

نِقَارُ نَظَائِرِ
أَكْبَارِ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ
لِأَوْضِحِ النَّفَائِسِ



صورة ما كتبه تاج العلماء ، وإمام الفضلاء : صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

المرحوم الشيخ يوسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ؛ معدن الأسرار ، ومنبع الأنوار وعلى آله
الأطهار ، وأصحابه الأخيار ، وكل من اقتنى أثره من السادة الأبرار !

حضرة الأستاذ الجليل محمد عبد اللطيف .

اطلعت على مواضع من تعليقك على المصحف الشريف ؛ الذى دمجته يراعك البليغ ؛
فوجدته من خير ما كتب الكتبتون ، وأفضل ما جادت به القرائح النيرة ، ونمقته
الأفكار السليمة !

فنه عمالك النافع ، وتصرفك الحكيم ، واستدراكك الدقيق !

وكم لك من أياذ بيضاء على الدين والعلم ؛ فقد قربت البعيد ، وسهلت العويص ؛ بعبارة
مختصرة واضحة ، وإشارة لطيفة تغنى عن الإطناب والإسهاب ؛ فهى تعليقات كافية شافية .
فوجه الأنظار إليها ، ونصح لعامة المسلمين أن يتنافسوا فى هذا المصحف الشريف ، وذلك
التفسير اللطيف ؛ الذى كفاهم مؤنة البحث والتنقيب ، ومشقة التطويل والتعقيد ؛ فجزى الله
مؤلفه أحسن ما جازى به العاملين المخلصين ؛ بمنه وكرمه !

يوسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

ختم

صورة ما كتبه قدوة العلماء الأعلام : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

المرحوم الشيخ عبد المجيد اللبان

شيخ كلية أصول الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله واهب الخير مفيض البركات على من استقام في خدمة الحق ونصرة الدين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير هاد وأفضل مرشد ؛ وعلى آله وصحبه الذين عزروه
ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه .

أما بعد : فإن من أجل نعم الله تعالى على عبده ؛ توفيقه لخدمة الدين ، ونصرة كتابه
العزير ؛ الذي وعد بحفظه

وإن من العاملين في هذا المضمار حضرة الأستاذ محمد عبد اللطيف ؛ الذي جسد في طبع
المصحف الشريف على وجه مرضى ، وهيئة ضبطت كلماته ، وحفظت رسمه ؛ وقد زاد في النفع
فلى هامشه ببعض تعليقات تفيد القارئ ؛ وقد اطلعت عليها فوجدتها كما يحب المؤمن الذي
يهمه شأن دينه ؛ فأسال الله تعالى له كمال التوفيق والسداد في عمله ؛ وأن يجمع له بين خيري
الدنيا والآخرة ؛ إنه سميع مجيب !

عبد المجيد اللبان

شيخ كلية أصول الدين بالأزهر الشريف
توقيع

١٤ جادى الثانية سنة ١٣٥٤

١٩٣٥ / ٩ / ١٢

صورة ما كتبه أئمة الفضل والنيل : حضرات الأساتذة

محمد أبو بكر إبراهيم ، والمرحوم محمد أحمد جاد المولى (بك) ومحمد عطية الأبراشي

حضرة الأستاذ العالم المفضل محمد محمد عبد اللطيف .

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد قرأنا « أوضح التفاسير ، للقرآن الكريم ؛ فراقنا ما توخيتموه من التحرى . فى تفسير المفردات ، وشرح العبارات ؛ مما جعل هذا التفسير سهل التناول ، جزيل الفائدة !

ولا ريب فى أن هذا الصنيع يدل على سعة الاطلاع ، وسلامة الذوق فى اختيار الألفاظ المهدبة ، والعبارات المحررة ؛ وأنه سيلقى إقبالا من الطلاب والأساتذة والقراء ؛ بل من كل مسلم يتوق إلى فهم كتاب الله والوقوف على أسرارهِ .

ومما يزيدهُ حسناً : إتقان طبعه ، وحسن ورقته ، وملاءمة حجمه . وتلك خدمة إسلامية من الله تعالى عليكم بالتوفيق لها ؛ وسيمجزىكم عنها الجزاء الأوفى !

محمد عطية الأبراشي
توقيع

محمد أحمد جاد المولى
توقيع

محمد أبو بكر إبراهيم
توقيع

١٩٣٥ / ٩ / ٢٠

صورة ما كتبه زهرة العلماء وإمام المفسرين : صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف

أخي الفاضل . محمد محمد عبد اللطيف

أجل نعمة يغبط عليها الإنسان في هذه الحياة ؛ أن تكون جهوده موفقة رابحة في الأولى
والآخرة ؛ حميدة الأثر في الدنيا والدين !

هذا هو الذي مر بخاطري حينما قرأت في المصحف المفسر الذي أهديته إلى .

فأشكر لك عملك المجيد ، وأسأل الله أن يزيدك نعمة على نعمة ، ويحقق ما ترجوه

من خير !

والسلام عليكم ورحمة الله ٩

عبد الوهاب خلاف

توقيع

١٩٣٨ / ٤ / ١١

صورة ما كتبه الأستاذ الكبير

المرحوم محمد توفيق رفعت (باشا)

رئيس مجمع اللغة العربية

حضرة الفاضل محمد محمد عبد اللطيف .

تناولت كتابك شاكراً ، وسرني هذا الاتجاه الحسن إلى تفسير كتاب الله الكريم ،
والعناية بتقريبه للناس ؛ وإني أهنئك بما وفقت إليه في إتمام هذا العمل النافع .

ولا على إن قلت إنني لم أنقطع لدراسة التفسير ، وإنني لست حجة في هذا الباب بيد أن
مدارستي للفصحى رديحاً من الزمن تأذن لي أن أرى في شرحك لمفردات القرآن ، وبيانك
مجميل معانيه ؛ خدمة لغوية أقدرها حق قدرها ؛ فهي عون لمن يتلو كتاب الله تعالى على تذوق
لطرف من فصاحته ومعجز أسلوبه .

جزاك الله تعالى أحسن ما يجزى به المخلصين ، وأدام توفيقك لخدمة الإسلام والمسلمين !

محمد توفيق رفعت
توقيع

٣ من رجب سنة ١٣٥٤
أول أكتوبر سنة ١٩٣٥

صورة ما كتبه إمام الأئمة ، وصفوة الأولياء : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ

المرحوم الشيخ محمد علي خلف الحسيني

شيخ المقاريء المصرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل القرآن ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بينه للناس بأعلى طبقات البيان ، وعلى آله وأصحابه ذوى الهداية والعرفان .

وبعد فقد اطلعت على هذا الكتاب المسمى بأوضح التفاسير ، للعلم الشهير : الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف ؛ الذي حلى به هامش المصحف الشريف ؛ فإذا هو من أجل التفاسير النافعة ، عباراته — مع حسن اختصارها — واضحة ؛ كاف في بابه ؛ مفيد لطلابه ؛ نسأل الله تعالى أن ينفع به النفع العميم ، إنه جواد كريم !

شيخ المقاريء المصرية

ختم

٦ جمادى الثانية سنة ١٣٥٤

٤ سبتمبر سنة ١٩٣٥

أصحُّ النِّسَبِ

لابن الخطيب

يُغْنِي عَنْ جُلِّ النَّفَاسِيرِ
حَيْثُ لَا تَعْنِي كَلِمَاتُهَا

حقوق الطبع والنقل محفوظة

الطبعة السادسة بها زيادات هامة عما سبقها من الطبقات

رمضان ١٣٨٣ — فبراير ١٩٦٤

المطبعة المصرية ومكثتها
تأسست عام ١٩٦٤
سوق الأوقاف بأرض شريت. شارع عبدالعزیز
تليفون ٩٠٠٥٣٨



مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله واهب ما يشاء لمن يشاء ، بيده وحده المنع وبيده العطاء ؛ وبيده مفاتيح الخير ومغاليق الشر : يفتح الخير لمن يطلبه ويسمى إليه ، ويفلق الشر عنم ينبذه ويتعد عنه . ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يمسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم .

والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، وذييه العظيم : المؤيد بالآيات البينات ، والمعجزات الظاهرات ؛ جاءنا بأفضل كتاب على الإطلاق ، وهدانا إلى مكارم الأخلاق ؛ وحشنا على اتباع المعروف والأمر به ، واجتناب المنكر والنهي عنه . كنتم خير أمة أخرجت للناس : تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله .

صلى الله تعالى وسلم عليه : صلاة وسلاماً دائماً بدوام ملك الله ! نكون بهما أهلاً لمحبة ورضاه ؛ وموطناً لشفاعته يوم نلقاه !

وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الطيبين ، ومن أحبهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين !
أما بعد : فهذا كتابي [أوضح التفاسير] في طبعته السادسة ؛ وقد تناولته الأمة — منذ طبعته الأولى — بالرضا والقبول ؛ فضلاً من الله ونعمة !

هذا وقد نفذت طبعاته السابقة فور صدورها ؛ وعاقني عن موالاته إصداره عوائق ، وحالت دون إبرازه حوائل . فلما آذن فجره بالطلوع ، وأذن المولى الكريم بصدوره : جعل الصعب سهلاً ، والعسر يسراً ؛ وأبدل سبحانه من ضعفي قوة ، ومن شيخوختي فتوة ؛ فإذا بي أستخف المتاعب ؛ وكنت أنوء بحملها . وأستهين بالعقبات ؛ وكنت أئن من ثقلها !

ولكنه الله : د الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يريد ، ا

فاستعنت الله تعالى ، وشمرت عن ساعد الجد ، وأخذت في تبييض أصوله ؛ متوخياً الإفاضة فيما أوجزته ، والإطناب فيما لخصته ؛ وقد زدت فيه زيادات كثيرة مما فتح به الكريم الوهاب ، ورفعت النقاب عن درر الكتاب ؛ ليكون مسرح ذوى الأبواب ، ومطمح مبتغى الثواب ؛ وليكون عليه واسعاً نافعاً ، وفيضه عظيماً عيماً !

وقد عملت جاهداً على أن أبسط للقارىء ما تحتاجه الكلمات والعبارات من معان كثيرة غزيرة : لأغنيه عن الموسوعات التي يضرب الباحث في صحرائها ، ويديه في بيداتها ، ويتحمل حرها اللافح ، وشمسها المحرقة ؛ فإذا ما لاحت له واحة المعاني وارقة الظلال : لم يبق له الجهد ما يتنفس به من هوائها العليل ، وما يستسيغه من مائها السلسيل .

وليس هذا قدحاً فيها ، أو ذمماً لها ؛ فهي ملجأ الباحثين ، وملاد المتقين ؛ غير بعض الهنات ، وسبحان من تنزه عن السيئات !

جزى الله واضعها ومؤلفها أحسن الجزاء ؛ فهو جل شأنه د أهل التقوى وأهل المغفرة ،

وطالما خالفت الكثير من أقوال المفسرين ؛ معتمداً — في هذه المخالفة — على لب القرآن ، وحكمة نزوله ، وقدر منزله !

وكثيراً ما طعنت طعناً مريراً فيما استندوا إليه من منقول : لا يبلغ حد إلغاء العقول !
ومن منقول لا يبلغ حد المعقول !

وقلت في نفسى : أليس من حقى — وأنا من عداد المؤمنين المكلفين — أن أفرع الحجة الواهنة ، بالحجة البينة ، وأن أدفع الرأى الفاسد ، بالرأى السديد ؛ أم أسلم مع المسلبين ، وأقول مع القائلين : لم يترك الأول شيئاً للآخرين ، ومن قلد عالماً لقي الله سالماً ؛ وقد كان لإبليس اللعين أول العالمين !

لقد قالوا ما قالوا ، وأوردوا ما أوردوا — بحسن نية ، وصدق طوية — وهم من خيرة الخلاء المؤمنين !

ولكن الإثم كل الإثم : أن نرى المنكر ولا نغيره ، ونتلو الباطل ولا نحموه ؛ ويهينا المولى الجليل ميزان الأمور ؛ بقسطاس العقل المنير — الذى به شرفنا وفضلنا على كثير ممن خلق من العالمين — فنلقى ما وهبنا ، ونربط عقلنا بعقال غيرنا . وقد يكون هذا الغير آثماً أو مخطئاً — وقد كتب الخطأ على سائر بني آدم — كل ابن آدم خطاء ، فكيف نحمل أنفسنا لإثم الآئمين ، وخطأ المخطئين ؛ ونمتطى تلثم الآثام ، ونترسم خطى هاتيك الأخطاء ؟ !

ولكنى — بحمد الله تعالى وحسن توفيقه — استعنت بقلي وربي ، وحكمت عقلى ولبي ؛ فى كل ما قرأت وسمعت ؛ فهدانى الهادى إلى ما كتبت ؛ وروح القدس معى ، والرحمن يحمدونى بإلهامه وإكرامه ، ويمدنى بفيض فضله وإنعامه !

وقد أسرق الدليل ؛ فلا يروقك — بادی ذی بدء — لغرابته وجدته ، ولما سيطر على ذهنك من أقوال سابقة كالهواء ، وحجج متلاحقة كالهباء ! ولكنك بعد قليل من التدقيق والتروى : تجده أروى من الرواه (١) ، وأصنى من الصفاء !

وها هو ذا — كما قلت فى مقدمة طبعته الأولى — « يغنى عن جبل التفاسير ، حيث لا تغنى كلها عنه ! ، ولا بدع فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم !

هذا ولم أَدع مزيداً من العلم والرواية ؛ بل زعمت صحة التحيص والدراية (٢) ، والغوص وراء حقيقة المعانى : المحتجبة إلا عن الواصلين ، المغطاة إلا عن المتقين !

وحاربت — حرباً لا هوادة فيها — كل ميل عن السبيل ، وزيف عن الطريق ، وحيدة عن الصراط ؛ ليكون التكلم فى كتاب الله : خالصاً لوجه الله !

ومما يدعوا لشديد الأسف ، ومزيد الالام : أن بعض الأمة الإسلامية — وقد اصطفاها الله تعالى من بين الأمم ، واختصها بخير رسول ، وميزها بأفضل كتاب — قد استكانوا

(١) ماء رواء : كثير مرو .

(٢) من معانى الزعم : القول الحق . وفى الحديث « زعم جبيل » .

للضعف ؛ وقد ناهم الله عنه ، وركنوا للنفاق ؛ وقد توعدهم الله عليه ! وصار ديدنهم الجرى وراء المادة ؛ وهى مطغية ، والسعى وراء الشهوات ؛ وهى مردية !

فكل قول يقولونه ، وكل عمل يعملونه : لا يريدون به وجه الله ؛ بل يريدون به المنفعة الشخصية ؛ فكأنما باعوا أخراهم بدينام ، واشتروا رضا الناس بسخط مولاهم ؛ ففازوا فى الحالتين بالعقوبتين : خزى الدنيا وعذاب الآخرة ! وقد يما قال الشاعر :

وابغ رضا الله ؛ فأغبي الورى من أغضب المولى ، وأرضى العبيد !

ولكنى — علم الله — لم أنبغ فيما كتبت سوى رضا الله ! لأنه تعالى هو وحده المعطى المانع ، الخافض الرافع ، المعز المذل ، الغفور الرحيم !

وها هو ذا — أيها المؤمن — بين يديك ؛ فإن راقك كله ؛ فله الحمد والمنة ، والفضل والنعمة ! وإن أعجبك بعضه ولم يعجبك بعضه ؛ فلعلى أكون من خطوا أعمالاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ! وإن لم يعجبك كله — ولا إخاله كذلك — فيشفع لى حسن ظنى ويقينى ، وما يكنه قلبى لربى ؛ من حب وإيمان ، وإخلاص وإيقان ؛ وشهادتى بربوبيته ووحدانيته ! ناصيتى بيده ، ومرجعى إليه ! أعوذ بوجهه الكريم من غضبه ، وبغفوه من عقوبته ، وبرضاه من سخطه !

جعلنى الله تعالى وإياك من يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله

وأولئك هم أولوا الالباب !

محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

مَقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الْأُولَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الذى من تمسك بشريعته فاز ونجا ، وعلى آله وصحبه الذين أناروا حالك الدجى .

أما بعد : فقد كنت منذ حداثة سنى ولوعاً بالكتاب الكريم ، شغوفاً بمطالعة ما كتبه أئمة المفسرين ، وما دونه علماء الملة والدين ؛ وكنت دائماً أناقش من حضرني من أفاضل الأدباء وجلة العلماء ، فيما كان يبدو لى مشوهاً متناقضاً ؛ وكثيراً ما وضع ترجيح رأى ، وتفضيل مذهبي .

فجرأتى هذا ، وألجأتى إلخاف من يحسنون الظن بى ؛ إلى الشروع فى كتابة تفسير صغير للقرآن المجيد ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فترددت بادى ذى بدء ، وخفت من الزلل ، وخشيت من الخطل ، ولكنى راجعت نفسى قائلاً : إن الأمر بيد الله تعالى . وهو وحده القادر على أن يمدنى بنور من عنده ، ويكشف عن بصرى وبصيرتى ، وينقى سرى وسريرتى ، فاستعنته تعالى ، وابتدأت التأليف ؛ بعد أن تصفحت أغلب كتب التفسير وأمهااتها . ولا أكتم القول أن جلها — إن لم يكن كلها — قد يجمع على ضلالة . وأنها لا تخلو من حشو اليهود وإفك الأفاكين ؛ إلى غير ذلك من الأحاديث الكاذبة ، والأقاويل الباطلة .

ورب قائل يقول : ومن أنت حتى تنقد أقوال المفسرين وتسفه آراءهم ؟ وهل أنت أجل من ابن جرير الطبرى ، وأنبغ من ابن كثير والإمام الرازى والزمخشرى ؟ !

وجوابى على هذا : إننى من بحرهم استقيت ، ومن معينهم ارتويت ؛ إلا بعض الهنات ، وسبحان من تنزه عن السيئات . وقد أخذت خلاصة آرائهم ، وزبدة أقوالهم ، وطرحت ما لا يتفق والدين ، وما كان مخرلاً بعصمة الملائكة والنبیین ، وتحويرت التنبيه على الأحكام الشرعية ، وما يعادلها من القوانين الوضعية . وتوخيت فى بعض المواطن :

الإقلال حيث لا خلال ، وفي بعضها الإكثار حيث لا ملل . وقد حاولت جهد الطاقة الابتعاد عن دس الدسائين ، ووضع الزنادقة والملحدين !

أما التشدق بتصريف الألفاظ وتأويلها ، وتحميلها ما لا تحتمله — كشأن أكثر التفاسير — فلم أعره أى التفات ، بل كان جل همى إيضاح المعاني وحل المشكلات .

وقد التزمت الإطالة فى المواضيع التى طرفتها طائفة المبشرين ، ولمزتها أعداء الملة والدين ، ووفيت أبحاثها ، ودعمت حججها وبراهينها .

وقد أغفلت بضع مواطن لم أوفق لحلها ، ولم أهتد لتأويلها ، ولم أجد فيما قاله فيها المتقدمون والمتأخرون ما يرتاح إليه الضمير ، وينشرح له الصدر : فتركته راغماً لا راضياً ؛ وهذا نهاية عزمى ، وقصارى جهدى .

ولم أقل إننى أحطت بكل دقائق التأويل ، وسائر حقائق التنزيل ؛ فهذا ما لا يستطيعه بشر ، ولا يقوى عليه إنسان ، وما يعلم تأويله إلا الله ، .

وحقاً إننا لو أردنا استيفاء معنى آية واحدة ؛ لما استطعنا حصر ما فيها من جليل الحكم وغزير الفوائد ؛ وإن الأوائل — رغم شدة توسعهم ، وعظم تبجرهم — لم يستطيعوا فهم سائر معانيه وإدراك كل مراميه ؛ وإننى فى كثير من الأحيان أشعر بفهم آية من الآيات حيث لا أملك الإبانة عما فهمته ، أو الإفاضة بما علته ؛ وحقاً إن هذا الضرب ، لمن ضروب الإعجاز الذى امتاز به القرآن الكريم ، ولعل من تقدمنى من أفاضل المفسرين عرض له مثل الذى عرض لى . وهكذا يقتضى العجز البشرى تجاه عظمة لانهائية كعظمة القرآن .

مع العلم أن القرآن الكريم فوق سائر العقول والأفهام ؛ وجميع التفاسير مهما علت وجلت : لا يصح أن تكون حجة عليه ، بل هى ترجمة له .

وقد جرت عادة المؤلفين أن يصدرُوا مؤلفاتهم بمقدمات يذكرون فيها أنهم جابوا الصحارى والقفار ، وجاسوا الممالك والأقطار ؛ حتى وصلوا إلى ما عجز عنه الأوائل ، ولم يهتد إليه الأواخر ،

ولكني أصارح القول إنني حينما شرعت فيما صنعت ، أخذت مصحفاً وبدأت في تلاوته ؛ وكلما وجدت لفظة لغوية رجعت في حلها إلى كتب اللغة المعتمدة وأثبتته على هامشه ، وكلما وجدت معنى غامضاً عرضت على ذهني آراء كبار المفسرين ، وأثبت ما عن لي من ثنايا تلك الآراء ، وإن لم يرق لي أحدها أملت على الذاكرة شيئاً لم أسبق إليه ، وقد ثبتت لي صحته لما ظهر لي من تحبيذ كبار الفضلاء ، وأفاضل العلماء له حينما أسمعتهم إياه ، وأقسم إنني كنت أكتب ما أكتب وأنا منشرح الصدر ، منبسط النفس ؛ حتى لو خيرت بين الاستمرار في تفسير آي الذكر الحكيم ، وبين السعادة لاخترت الأولى ، وذلك لما كنت أجده من تذوق حلوة القرآن ، وفتح مطلق معانيه . كيف لا وهي السعادة كل السعادة : سعادة الدنيا والآخرة ، سعادة القرب من حضرة الرب !

فإن كنت أخطأت فيما قدمت ؛ فن عجزى وقصورى — وهكذا الإنسان ، على مر الزمان — وإن كنت قد أصبت — وهذا ما آمله وأرجوه — فالشكر وحده للبنان ، حيث تفضل بالإحسان .

وقد جاء — رغم صغر حجمه — كبير النفع ، جزيل الفائدة ؛ يغني عن جل التفاسير ، حيث لا تغني كلها عنه . ولا بدع فالمنقول من الماس ، يفضل القناطير من النحاس .

وإنه أسأل أن ينفعني به ، ويجعله يوم المآب ، وسيلة لنيل الثواب ، ويجعله من صالح عملي ، الذي لا ينقطع بانقضاء أجلي ، وأن يكون حجة لي لا على ، وأن يهب لي الفوز برضاه وشفاعة مصطفاه !

ابن الخطيب

وَإِنزَالِ كِتَابِ عَزِيزٍ
لَا يُؤْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
نَزِيلٍ مُنْجٍ كَرِيمٍ

(بسم الله الرحمن الرحيم) آية من الكتاب الكريم ؛ تدل على ذات الله العلية ، وصفاته السنية ا وقد ورد أنها المعنية بقول الحكيم العليم : «وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً» قيل : إن من قرأها - متعبداً بها - أجهه الله تعالى من ملائكة التسعة عشر «عليها تسعة عشر» فعدد حروفها بعدد حروفها . وقال بعضهم : لأنها تيجان لسور القرآن ؛ وليست آية منه . وعلى ذلك قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها . وقيل : لأنها آية من كل سورة ؛ وعلى ذلك قراء مكة والكوفة وفقهاؤها . وقد رجحوا أنها آية من فاتحة

خسب ؛ لأحاديث وردت بذلك . والرأى أنها آية من كل سورة عدا براءة ؛ لثبوتها في المصحف الإمام ؛ الذي لازيادة فيه ولا نقصان بإجماع الأمة الإسلامية .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم : فهو أتر» أى ناقص وقليل البركة ! لذا وجب علينا أن نبدأ بها في كل أمورنا : لتحل بركتها ، وبعم قمعها !

هذا وقد جرت عادة بعض كتاب هذا العصر على إغفالها في مؤلفاتهم ؛ وهو خطأ فاحش شنيع ! إذ كيف نبدأ في أمورنا باسم بعض المخلوقات الفانية العاجزة ، وننقل اسم الإله الباقي العظيم الخبير ، اللطيف القدير ؟ ! (رب) مالك وسيد . يقال : «رب» الدار أى مالكتها ، و«رب» الغلام ؛ أى مالكته قال تعالى : «ارجع إلى ربك» أى إلى سيدك ولا يقال لمخلوق : هذا الرب : معرفاً بالألف واللام . فإن هذا لا يجوز إلا لله

تعالى وحده . وإنما يقال : «رب» المنزل ، و«رب» القرية . فيعرف بالإضافة أنه من الأرباب المخلوقين ؛ فتعالى رب الأرباب رب العالمين ! (العالمين) جمع العالم . والعالم : الملقب كله . والمراد : رب سائر المخلوقات ؛ من ملك وإنس وجن ، ووحش وطير وغيره وبالجملة فهو مأسوى الله تعالى من أحياء وجماد ويتناول أيضاً سائر العوالم الكائنة بشئى الكواكب المتناثرة في ملكوت الله تعالى . فتعالى الله رب العالمين ! (مالك) يوم الدين) مالك يوم الجزاء - وهو يوم القيامة - فلا شفيع إلا بإذنه ، ولا عقاب إلا بأمره ، ولا ثواب إلا بفضلها ! (صراط الذين أنعمت عليهم) أى طريق الذين أنعمت عليهم بالهداية والاصطفاء كالنبيين ، =

(1) سُورَةُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَكِّيَّةٌ مَبْدُوءَةٌ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③
 مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ ⑤
 نَسْتَعِينُ ⑥ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑦
 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ ⑧
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑨



= والصدّيقين ، وخواص المؤمنين (غير المغضوب عليهم) وهم العصاة ؛ الذين جعلوا لهم هوام ، واشتروا دنياهم بأخرام ، ولم يبالوا بمغضب مولاهم ؛ فارتكبوا الذنوب وهم بها عالمون ، ولما قبّتها مقدرون . وقيل : هم اليهود (ولا الضالين) وهم الذين يرتكبون الذنوب حال كونهم غير عالين بجرمها ، ولا يبلغ لأعمالهم . وقيل : هم النصارى . ولا يخفى أن اليهود ؛ مغضوب عليهم وضالون ، وأن النصارى : ضالون ومغضوب عليهم . « آمين » ليست من القرآن بالإجماع ؛ ويسن قولها بعد الفراغ من قراءة فاتحة ؛ وبعد سكتة قصيرة ؛

للفرق بينها وبين كلامه تعالى . ومعناها : اللهم استجب ، أو كذلك فليكن . وقيل : هي اسم من أسماءه تعالى .

(الم) قيل : لث المعنى : ألف ، لام ، ميم (ذلك الكتاب) أى إن هذا الكلام اللبغ المعجز : مكوّن من جنس الأحرف التي يتكوّن منها كلامكم ؛ وهي الألف ، واللام ، والميم ؛ وهكذا . وقيل : إن «الم» : اسم للسورة ، وهكذا سائر أوائل السور المكوّنة من الأحرف . وقيل : غير ذلك . وجميع ما ذكر في هذا الصدد لا يرتاح إليه الضمير ؛ والله تعالى أعلم بما يريد .

وقد جاءت «الم» في بدء ست سور من القرآن الكريم : البقرة ، وآل عمران ، والعنكبوت والزوم ، ولقمان ، والسجدة . وزيدت عليها الصاد في الأعراف : «المص» وزيدت عليها الراء في الرعد : «المر» (انظر آية ١ من سورة غافر) (لا ريب) لاشك «الذين يؤمنون بالغيب» بما غاب عنهم ؛ من أمر البعث

والحساب ، وغير ذلك ؛ مما غاب عن البصر ، ولم ينب عن البصيرة (ومما رزقناهم) من الثمار والأموال والحيرات (ينفقون) يتصدقون على الفقراء والمعوّزين (انظر آيتي ٤٤ من سورة الروم ، و ١٠٧ من سورة الصافات) (والذين يؤمنون بما أنزل إليك) من القرآن (وما أنزل من قبلك) على من تقدمك من الرسل : كالنوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود ؛ عليهم السلام . والمراد أنهم يؤمنون بالرسول عليه الصلاة والسلام وما أنزل إليه ، وبالرسل المتقدمة - الذين جاء ذكرهم في القرآت - وصدق دعواهم : «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى =

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ مَبْرُورَةٌ
وَأَسْمَاءُهَا الْبَقَرَةُ وَالْمَوَاقِفُ وَالْمَوَاقِفُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اٰمَنَّا ۙ ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيْهِ
 هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ ۙ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ
 وَيُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنٰهُمْ يُنْفِقُوْنَ ۙ
 وَالَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا اُنزِلَ
 مِنْ قَبْلِكَ وَاٰخِرَةَ هُمْ يُوقِنُوْنَ ۙ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا فرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» (وبالآخرة) وما فيها من نعيم مقيم ، وعذاب أليم (م يوقنون) يؤمنون بالقيامة وما فيها تمام الإيمان ؛ من غير شك ولا شبهة (أولئك) المذكورون (على هدى من ربهم) هداية أضفاها عليهم ، وعناية أحاطهم بها : لإيمانهم بالغيب ، وإقامتهم الصلاة ، وإتقانهم ما رزقهم الله ! (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بالجنة ، الناجون من النار (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أى وعظمتهم أم لم تعظمهم ، وخوقتهم أم لم تخوفهم (لا يؤمنون) عناداً واستبداداً (حتم الله

البقرة الأولى

على قلوبهم وعلى سمعهم) أى غطى عليها وطبع (وعلى أبصارهم غشاوة) غطاء . من غشاء : إذا غطاه . والمعنى : أنه تعالى طبع وغطى على قلوبهم ؛ فلا تفهم العظة ، وعلى أسماعهم ؛ فلا تسمع النصيح ، وعلى أبصارهم ؛ فلا ترى الحقيقة (ومن الناس) وهم المنافقون (من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) وغاية الإيمان : أن يؤمن الانسان بقلبه بالله فينتقيه ، وباليوم الآخر وما فيه . أما إذا كان الإيمان لا يجاوز اللسان : فهو خداع ونفاق ؛ وذلك لألك إذا تيقنت أن هناك إلهاً قادراً عظيماً ؛ يراك حين تصاه ، ويسمك حين تبغى على مخلوقاته : وجب عليك أن تتجنب هذا العصيان وذلك البغى ، وإذا آمنت أن هناك يوماً تناسب فيه على الكبير والصغير ، والتقير والتظهير : وجب عليك ألا تفعل إلا طيباً ، ولا تقول إلا حسناً (يخادعون الله) يبدون من الإيمان ، خلاف ما يخفون من الكفران (في قلوبهم مرض) شك ونفاق . لأن الشك : تردد بين الأخرين ، والمرض : متردد بين الحياة والموت (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) هكذا شأن المفسدين في كل زمان ومكان : يظنون في أنفسهم الإصلاح وهم عنه بقاء ، ويتوهمون ما يضلونه الخير وهم منه براء (قالوا أتؤمن كما آمن السفهاء) يعنون بالسفهاء : أئمة المسلمين ، وهداة الدين ؛ الذين آمنوا بالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه «وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه» والسفهاء : الجهال . قال تعالى رداً عليهم (ألا إلهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) ليزيد جهلهم ، وفرط سفههم (وإذا خلوا إلى شياطينهم) أى إذا انفردوا بمن هم كالشياطين في العتو والتردد والكفر ؛ وهم رؤس الكفر والضلال من قسبهم وربهم .

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُصْلِحُونَ ﴿١﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَا تُنذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشًّا وَهُمْ غَدَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٥﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٦﴾ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿٨﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ بَلِّغُوا كَمَا بَلَّغُوا نَفْسًا قَالُوا إِنَّا نَفْسًا كَمَا بَلَّغْنَا الْغَنَاءَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْمَعُوا وَأَسْمِعُوا أَصْوَابَكُمْ وَإِذَا خَلَا بِكُمْ شَيْطَانُكُمْ

قَالُوا

ويتوهمون ما يضلونه الخير وهم منه براء (قالوا أتؤمن كما آمن السفهاء) يعنون بالسفهاء : أئمة المسلمين ، وهداة الدين ؛ الذين آمنوا بالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه «وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه» والسفهاء : الجهال . قال تعالى رداً عليهم (ألا إلهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) ليزيد جهلهم ، وفرط سفههم (وإذا خلوا إلى شياطينهم) أى إذا انفردوا بمن هم كالشياطين في العتو والتردد والكفر ؛ وهم رؤس الكفر والضلال من قسبهم وربهم .

(قالوا إنا معكم) في الدين ؟ فلا تظنوا أننا قد آمنا مع هؤلاء واتبعنا دينهم (إنما نحن) بتظاهرنا بالإيمان (مستهنئون) بحمد وأحبابه . قال تعالى ردأ على استهزائهم بالؤمنين (الله يستهزي بهم) أى يسخر منهم ، ويجازيهم على استهزائهم . وسمى الجزاء باسم العمل ؛ كقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » وقوله جل شأنه « ومكروا ومكر الله » (وعدمهم) يعلمهم (في طغيانهم) وذلك لأنهم ابتدأوا بالكفران ؛ فزاد لهم رهيم في الطغيان . والطغيان : تجاوز الحد في العصيان (يعمّهون) يتحرون ويترددون (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أى الكفر

بالإيمان (أنظر آية ١٧٥ من هذه السورة) (مثلهم) في طغيانهم ونفاقهم، وزعمهم الإيمان، وإنكارهم له (كمثل الذى استوفد ناراً) أو قدما ، أو طلب إيقادها للاضائة (فما أضاءت ما حوله) واستبدل ظلمته نوراً ؛ بالتلفظ بالإيمان ؛ وهو قولهم عند ملاقات المؤمنين : « آمنا » (ذهب الله بنورهم) عندما خلوا إلى شياطينهم ، و « قالوا » لهم « إنا معكم إنما نحن مستهزئون » (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) وهى ظلمات الكفر، والنفاق، والجهل . والدنيا كلها ظلمات ؛ لإموضع العلم، والعلم كله هباء ؛ لإموضع العمل ، والعمل كله هباء ؛ لإموضع الإخلاص . فالإخلاص أس العبادة ، وجماع الإيمان والفضائل (١) (صم) عن سماع الحق (بكم) عن الطق به . (عمى) عن رؤيته . والصمم : انسداد الأذن ، ونقل السمع . والبكم : الحرس (فهم لا يرجعون) عن الظلمات التى يعمّهون فيها ؛ وذلك لصممهم وعماهم وخرسهم (أو كصيب) أى « مثلهم كمثل الذى استوفد ناراً » أو مثلهم « كصيب » والصبب : المطر الشديد . وأريد بالصبب : القرآن الكريم (فيه ظلمات ورعد) وهو تمثيل لما فيه من الوعيد الشديد ؛ بنيران الجحيم ، والعذاب الأليم (وبرق) أى فيه

قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٧٥﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ
بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٧٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ قَلِيلًا كَثِيرًا وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ﴿١٧٧﴾ مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا
أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧٨﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٧٩﴾
أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ
أَصْبَعَهُمْ فِي أَفْئِدَتِهِمْ مِّنَ الصُّورِ عِجَىٰ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ
مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٨٠﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ
كُلَّمَا أَضَاءَتْ لَهُمْ مِشْوَاهُ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّا لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨١﴾ يَتَأْتِيهِمُ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكَ الَّذِي خَلَقَكَ
وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكَ

ظلمات الوعيد ، ورعد العذاب « وبرق » المعرفة ! لأنه أريد بالبرق : نور الحجج البينة النيرة اللامعة (يجعلون أصابعهم في أفئدتهم من الصواعق) وقاية وحذراً منها . والصاعقة : نار تنزل من السماء ؛ عند تصف الرعد . وهل تمنع الأصابع في الآذان ، عذاب الملك الديان ! ؟ وكيف تمنع (والله محيط بالكافرين) عالم بهم ، قادر عليهم ؛ لا يفوته شيء من أعمالهم ؛ ولا تعجزه أفعالهم ؛ فلا يستطيع أحد الفرار من بطشه ، أو النجاة من بأسه ، أو الخروج عن أمره ! (يكاد البرق يخطف أبصارهم) لسرعة وميضه ، وشدة لمانه =

(١) جماع كل شيء - بضم الجيم وفتح الميم المشددة - مجتمع أصله ، وكل ما تجمع وانضم بعضه إلى بعض .

== (كلا أضواء لهم مشوا فيه) أى كلما لمع البرق مشوا مسرعين في ضوءه (وإذا أظلم عليهم قاموا) أى إذا سكت البرق، وخبث ناره، واطفأ نوره: وقفوا في أماكنهم متحيرين مترصدين خفة أخرى؛ عسى ينسنى لهم الوصول إلى مقاصدهم (الذى جعل لكم الأرض فراشاً) تقعدون عليها وتمشون وتنامون (وأنزل من السماء ماء) ماء المطر: ينزل من السماء رأى العين؛ ومنشؤه البحار، وتحمله السحب. قال الشاعر:

الجزء الأول

٦

كالبجر يطره الغمام وماله

فضل عليه لأنه من مائه

(أندادا) شركاء ونظراء وأمثالا (وإن كنتم في ريب) شك (مما نزلنا على عبدنا) محمد من آيات الكتاب المجيد (فأتوا بسورة من مثله) تحداهم أولا بقوله: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله» وبعد ذلك تدرج تعالى معهم - تكلمة بهم، وزيادة في توبيخهم - بقوله: «قل فأتوا بعشر سور مثله» وبعد كل هذا الاحتقار والازدراء؛ أراد أن يستثير كامن همتهم، وماضى عزيمتهم بقوله: «قل فأتوا بسورة مثله» أى سورة، بل أى آية؛ وأنى لهم أن يأتوا باقصر سورة من مثل هذا القرآن الذى أعجز البلغاء، وأخرس الفصحاء؛ وانظر - يارعاك الله - فى أى عصر من المصور حصل هذا التحدى؟ إنه فى عصر الفصاحة التى لا تمارى، والبلاغة التى لا تجارى، والمنطق الذى لا يلحق له بغير. وقد وقف الجميع مكتوفوا الأيدي، ناكسوا الرؤس؛ لا يستطيعون أن يجيروا جوابا أو أن ينبسوا بينت شفة (وادعوا شهداءكم) آلهتكم التى تبدونها (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) أى رزقنا فى الدنيا مثله: فى المنظر، لاقى الخبر (ولهم فيها أزواج مطهرة) من

الْأَرْضِ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاتَّخِذْ بِهِ مِنْ الشَّرْبِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَيَسِّرِ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ أَمْرًا وَعَسَلُوا الصَّلَاحِ أَنْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كَمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ قَبْلَ وَرِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مِثْلَهَا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٩﴾ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَآبُوعَةً مِمَّا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا

وَمَا يُضِلُّ

الحيض والأقذار، والأدناس الحسية والمعنوية (إن الله لا يستحي) من المياء؛ جاءت رداً على الكفرة حيث قالوا: أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت. فجاءت على سبيل المقابلة (فما فوقها) فى المقارة والصفى (يضل به) أى بهذا المثل (كثيراً) من المنافقين؛ لكفرهم وعنادهم (ويهدى به كثيراً) من المؤمنين؛ لتسليمهم واثقيادهم

(وما يضل به إلا الفاسقين) الكافرين ؛ لأن الله تعالى لا يضل مؤمناً «وما كانت الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم» وإنما إضلال الله تعالى يقع عقوبة لمن يصر على الكفران ، وأبى داعي الإيمان ! (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) والمراد بناقضى العهد : المنافقين ، أو الكفار جميعاً ، أو هم أحرار اليهود ؛ بدليل قوله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لشئنه للناس ولا تكفون » (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) كصلة الأقرباء ، والعطف على الفقراء ، ومعاونة الضعفاء ، وإشاعة المحبة بين الناس ،

والألفة والمرحمة ! (وكنتم أمواتاً) نطفاً في أصلاب آبائكم . والموت يطلق على السكون وعدم الحركة (فأحياكم) في الأرحام ، أو بالخروج إلى الدنيا (ثم يميتكم ثم يحييكم) يعشكم (ثم إليه ترجعون) يوم القيامة ؛ فيؤخذكم بما فعلتم و(هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً) لخدمتكم ومصالحكم : لقد سخر تعالى لكم الحيوان والطير ، والنبات والجماد ، والماء والهواء ؛ بغير حول لكم ولا قوة فاظفر أيها المؤمن لى تدليل الله تعالى للحيوان ، وخضوعه واستكانته لىنى الإنسان : فترى البعير الكبير ، وقد انقاد للطفل الصغير وكيف أن الفيل - رغم قوته وضخامته - ينقاد لىنى الإنسان ، ويكون له مطية فى كثير من الأحيان ، ومعاوناً له فى الرحال ، وحمل الأثقال . وانظر إلى الطير ، وكيف يرحل من موطنه ، ويسير آلاف الأميال ؛ حتى يرتقى بين فكيك ، وينسحق تحت ماضفك ، وانظر إلى الثمار والنبات : كيف ترمى البذرة فتنتج لك الجنات ، وتلقى بالحية فتنتب لك الأقوات . وانظر أيضاً إلى الجماد : فقد علمك المعلم على الاستفادة به فى شتى الحالات . وكذلك الماء : فقد ساقه الله تعالى لك سلسلا ؛ تستقى منه وتسقى ما تشاء من العجاوات . والهواء : وقد أجراه الله تعالى لك ؛ ليحييك ويكفيك صنوف البلاء !

ولو شاء ربك لقلب هذه النعم تقيا ، وجعل الداء مكان الدواء ؛ لأنه تعالى وحده خالق المخلق الفاعل لما يشاء ! (ثم استوى إلى السماء) وجه قدرته وإرادته لخلقها بعد خلق الأرض (فسواهن) خلقهن مستويات ؛ لا عوج فيها ، ولا خلل ، ولا خطأ «لا ترى فى خلق الرحمن من تفاوت» (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة) يختلف فى تنفيذ أحكامى ، والقيام بأوامرى ؛ وهو آدم أبو البشر عليه السلام . (قالوا) آتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) وهذا يدل على وجود الأرض قبل آدم ، وسكانها بأهم قبل بنى آدم ؛ كان دأبها الإفساد فى الأرض وسفك الدماء . أو كان قول الملائكة استفهاماً عن الحكمة الداعية لذلك المخلق ؛ وقد كانوا عليهم السلام ملء الأرض والسموات ، وقد رأوا فى اللوح المحفوظ فساد بنى الإنسان ، =

وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٦٠﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦١﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٢﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالِ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا لَا نَعْلَمُ لَكَ إِلَّا مَا عَلَّمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَوَلَمْ يَتَّبِعُوا

== وشهوته إلى سفك الدماء ! وما هو الجنس الأدنى قد حقق ظن الملائكة فيه؛ فلا الأرض فساداً وإفساداً، وأراق الدماء مجاراً وأنهاراً، وعصى خالقه ورازقه جهاراً، وكفر بموجده ومربيه نهاراً؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! هذا ولم يكن سؤال الملائكة عليهم السلام اعتراضاً على فعله تعالى، أو مخالفة لأمره؛ فحاشا أن يعترض على الله تعالى أعلمهم به، وأخوفهم منه، وأتقاهم له ! (ونحن نسبح بحمدك) نزهك عن كل نقص، ونحمدك على نعمائك (وقدس لك) أى تعظمك، أو نظهر أنفسنا امامتاك . ومعنى تقديس :

الجزء الأول

تطهر (وعلم آدم الأسماء كلها) أى ألهمه معرفة كل شيء يحتاج إليه . وسمى « آدم » لخلقته من أديم الأرض؛ وهو ما على وجهها من تراب . وزعم بعضهم : أن آدم وإبليس ليسا على حقيقتهما؛ وإنما هما رمان لأصل لهما؛ يمثلان الشر والمعصية . وهو قول بادي البطلان؛ يدفعه صريح القرآن (ثم عرضهم على الملائكة) أى عرض السبيات لا الأسماء؛ بدليل قوله تعالى (أنبئوني بأسماء هؤلاء) السبيات؛ ليريبهم أنه تعالى قد وهب لآدم من المعرفة ما لم يهبه لهم، وليريبهم آيته في حكمة خلق الإنسان وخلقه في الأرض . هذا وقد أضنى تعالى على نبينا صلوات الله تعالى وسلامه عليه علوم الأولين والآخرين؛ ليجعله رحمة للعالمين؛ ولقوله درالبوصرى حيث يقول في همزته :

لك ذات العلوم من عالم النور
ب ومنها لآدم الأسماء

(قالوا سبحانك) تزهت وتعاليت (أنظر آية ١ من سورة الإسراء) .

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) أمرهم الله تعالى بالسجود ابتلاء لهم واختياراً؛ وهو سجد لقدرة الله تعالى وإبداعه؛ ولواجه لمن قال: إن سجدتم كان بالإنحاء تحسب؛ على سبيل التحية؛ بل كان

أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَكَ
إِلَٰهًا غَيْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَشْيَاءُ فِيهِنَّ
تَكْفُرُونَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧١﴾
وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا
رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٧٢﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا
فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ
مَسْكَنٌ وَمَتَّعَ لِكُلِّ جَنَّةٍ مَّتَّعًا فَمَنْ تَبِعَ مَا كَانَتْ
قَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٣﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا
مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَايَ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِعَابِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٥﴾

يَبْنِي

سجوداً حقيقياً كسجود الصلاة؛ يدل عليه قول الحكيم العليم: «ففعواله ساجدين» (فسجدوا) أى سجد الملائكة جميعاً، وسائر المخلوقات من المخلوقات (إلا إبليس أبى) رفض السجود المأمور به . و «إبليس»: أبو الجن؛ وليس من الملائكة كما زعموا . وسمى إبليس: ليأسه من رحمة الله تعالى وتجره؛ لأن معنى أبلس: يس وتجر (رغداً) الرغد: طيب العيش وسعته (ولا تقربا هذه الشجرة) هي شجرة أى شجرة نهبها عن الأكل منها امتحاناً لها، واختياراً لجزئها . وقيل: إنها الحطبة، أو الغنم، أو التفاح (فتسكونا من الظالمين) يؤخذ من ذلك أن هناك خلقاً قبل آدم عليه السلام، وأن ظالماً وظالماً قد كان في الأرض قبله (فأزلهما الشيطان) أوتوهما في الولة . وقرئ «فأزلهما»: أى عن التعم الذي كانا فيه (اهبطوا) أنزلوا . ==

والمعنى : تحولوا من الجنة العالية ، إلى الأرض السافلة ، ومن النعيم ، إلى البؤس والشقاء (بعضكم لبعض عدو) بنى الإنسان ، وبنى الشيطان ، أو بعض بنى الإنسان عدو لبعض (ومتاع) تمتع (إلى حين) وهو انتقضاء الأجل (فالتقى آدم من ربه) ألهم ، أو أوحى إليه (كلمات) هى قوله تعالى «ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نتعرف لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» (فتاب عليه) ربه: قبل توبته ، وغفرله (قلنا اهبطوا منها جميعاً) المراد آدم وحواء ؛ تؤيده قراءة من قرأ «اهبطا منها جميعاً» وقوله تعالى : «قال اهبطا منها جميعاً» وقد

خطبنا بلفظ الجمع : لأنهما أصل لبني الإنسان ، أو على مذهب من يقول : إن أقل الجمع اثنان وقد يكون المقصود بالمخاطب : آدم وحواء وإبليس (فاما يأتيه منى هدى) كتاب أو رسول (يا بني إسرائيل) خطاب لليهود ، و«إسرائيل» هو يعقوب عليه السلام . وحسن بنى إسرائيل بالذكر ؛ لأنهم أوفر الأمم نعمة ، وأشدهم كفرأ ، وأكثرم فسادأ وعنادأ (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) أنعام من الذل ، وفضلهم على الكفر ؛ فازدادوا طغيانأ وكفرأ ، وغبأ وعتوأ (وأوفوا بعهدى) الذى عهدته إليكم فى التوراة ؛ بالإيمان بمحمد عند بعثته . أو أوفوا بما عهدتكم عليه ؛ من تبليغ ما أنزل إليكم ، وتبيينه للناس : «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه» (أوف بعهدكم) الذى قطعته على نفسى ؛ وهو لإثابتكم على ذلك بالثواب والأجر (وإياى فارهبون) يخافونى وأطيعوا أمرى (وآمنوا بما أنزلت) من القرآن (مصدقأ لما معكم) من التوراة ؛ وفيها ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأنباء بعثته (ولا تكونوا أول كافر به) أى بالقرآن ، أو بالرسول (ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً) أى لا تتبعوا دينكم بدنياكم وأخراكم بأولآكم (ولا تلبسوا) لا تخططوا (الحق) الإيمان

(بالباطل) بالكفر الذى تفترونه (أتأمرون الناس بالبر) البر : الاتساع فى الخير (وتنسون أنفسكم) فلا تأتفرون بما به تأمرون . قيل : نزلت فى أجيال اليهود ، كانوا ينصحون سرأ بإتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا يتبعونه ؛ طمعاً فيما يصل إلى أيديهم من الصلات والهبات والهدايا (وأنتم تتلون الكتاب) للتوراة ؛ وفيها ذكر الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وأنباء رسالته (واستمعوا) على الأمور الشاقة ، والشهرات الموبقة (بالصبر) على الطاعات ، وعن المذلات (والصلاة) التى هى مناجاة لرب العالمين ! «كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا حزبه أمر (١) فزع إلى الصلاة» (ولإنها لكبيرة) ثقيلة شاقة =

سورة البقرة

يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ
 وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارِهٌ بِكُمْ
 وَعَٰمِنُوٓا إِنَّمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا بَعَدَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ
 بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِفُونَ ﴿١﴾ وَلَا
 تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا مَعَ الرَّٰكِبِينَ ﴿٣﴾
 وَأَتَاكُمْ مِنَ النَّاسِ بِالْبَرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتَلُونَ الْكِتَابَ
 أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ
 إِلَّا عَلَى الْخٰشِعِينَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ
 وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رٰجِعُونَ ﴿٦﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ
 الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعٰلَمِينَ ﴿٧﴾ وَأَتَقُوا
 يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ
 وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨﴾ وَإِذْ خَلَقْنَاكُمْ

(١) حزبه أمر : أصابه ضر ، ونابته نائبة .

== (إلا على الحاشعين) الذين يستغفرون في مناجاة ربهم (الذين يظنون) يوقنون (أنهم لا تقوار بهم) فيجازيهم على طاعتهم وإخلاصهم (واقنوا يوماً) خافوا يوم القيامة (ولا يؤخذ منها عدل) بدل أو فدية (يسومونكم) يظلمونكم أشد الظلم؛ من سامه خسفاً : إذا أولاه ظملاً (ويستحيون نساءكم) يتركونهن أحياء ، أو يفلتون بهن ما يخل بالحياء (بلاء) بلية ومحنة (وإذ فرقنا) فصلنا وفلقنا (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) وذلك لما دخل بنو إسرائيل مصر - بعد هلاك فرعون - ولم يكن لهم كتاب يرجعون إليه : وعد الله تعالى موسى أن ينزل عليه كتاباً « التوراة » وضرب له ميثاقاً : « ولما جاء موسى ليقاتبنا وكلمه ربه » (ثم اتخذتم العجل) عبدتموه ؛ وهو العجل الذي صنعه لهم السامري من حليهم ؛ وكان الشيطان يدخل في جوفه ويخور كما يخور العجل قال تعالى : « فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار » وقيل : صنعه بحيث إذا تعرض للهواء : أصدر صوتاً يشبه خوار العجل (وإذ آتينا موسى الكتاب) التوراة (والفرقان) الذي يفرق بين الحق والباطل (بارئكم) خالقكم (فاقتلوا أنفسكم) أي ليقتل البريء منكم المذنب ؛ ولا يستر عليه لقرابته ، أو لمحنته . وقيل : كانت التوبة عندهم أن يقتل التائب نفسه إنباتاً لصدق توبته . أو المراد بقتل النفس : كبح جماحها ، وقتل شهواتها ، والحيلولة دون سطوتها وتسلطها ، وتمردها على الحق ؛ ويكنى في التوبة : الإقلاع عن المعصية ، ورد

الجزء الأول

مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَذَّبُونَ آبَاءَهُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَظِيمٌ ﴿١١﴾
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَمَّجْنَاكُمْ وَآغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ
الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ
وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ
يَقَوْمِ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَاذْكُرُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّا حَاذِرُونَ أَلَّا نَمْسُقَ
بِأَرْبَابِكُمْ مَا فَعَلْنَا لِنَفْسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ
لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ إِلَهُ جَهَنَّمَ فَاخُذْ نَكَالَ الصَّنِيعَةِ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِ مُوسَىٰ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٨﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ
وَالسَّلْوَىٰ

الظالم ، واجتناب المحارم (الصاعقة) نار تنزل من السماء؛ ذات أصوات (ثم بعثناكم من بعد موتكم) أي من بعد أخذ الصاعقة لكم ، ومعابنة أسباب الموت وموجباته . ولعل المراد بالبعث هنا : من خلفهم من ذراريهم وأبنائهم (الغمام) السحاب (المن) ظل ينزل من السماء ويتعقد عسلاً . أو هو كل ما يمن الله تعالى به على الإنسان

وَالسَّالُونَ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ
فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ مُجْتَمِعِينَ وَقُولُوا
حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾
فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣﴾
* وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَشْرَبِهِمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ
وَحِيدٍ فَأَنذَرْنَا رَبَّنَا بِكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا نَبَتْ الْأَرْضُ مِنْ
بَقْلِهَا وَقِثَاقِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ
الَّذِي هُوَ آذَنٌ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا

(والسألوى) قيل إنه السمانى ؛ الطائر المعروف . أو هو كل ما ينسلى به ؛ من فاكهة ونقل ، ونحوهما
(كلوا من طيبات ما رزقناكم) من الرزق الحلال المبارك (أنظر آيتى ١٧٢ من هذه السورة ٥٨ من الأعراف)

(وما ظلمونا) بكفرهم ومعاصيهم (ولكن كانوا

أنفسهم يظلمون) بتمريرها للعذاب الأليم المقيم

(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) وهى بيت

القدس ، أو أريحا ؛ وهى بلد بالشام (رغدا)

الرغد : سعة العيش (وادخلوا الباب سجدا)

أى حينما تدخلون باب هذه القرية : اسجدوا

لله تعالى ؛ شاكرين فضله وأنعمة (وقولوا

حطة) مسألتنا حطة ؛ أى تطلب حط الذنوب

عنا . وهو كناية عن التوبة وطلب المغفرة

(رجزا) عذابا (بما كانوا يفسقون) الفسق :

الترك لأمر الله تعالى ، والحصيان ، والخروج

عن طريق الحق ، وجادة الصواب (وإذ استسقى

موسى لقومه) طلب لهم السقيا من الله تعالى

(فقلنا) له (اضرب بعصاك الحجر) فضربه

(فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) وذلك أنه

لما اشتد العطش بيني إسرائيل : طلبوا من

موسى عليه السلام أن يدعو ربه ليرسل لهم

الماء ؛ فدعا الله تعالى ؛ فقيل له : «اضرب

بعصاك الحجر» فضربه «فانفجرت منه اثنتا

عشرة عينا» تفيض بالماء ؛ وذلك بعد رؤساء

الجند (قد علم كل أناس مشربهم) أى قد علم

كل فرقة من الجند عينهم التى يشربون منها

(ولانتوا) العثو : أشد الفساد (لن نصبر على طعام

واحد) وهو «المن والسلى» (بقليها) البقل :

ما تنبتة الأرض من الخضر ؛ كالقول والفصوليا

واللوبيا ، والحمص وأمثالها ؛ وهو ما ينبت فى بزره لاقى أصل ثابت (وفومها) القوم : الثوم . وقيل : الحنطة

(الذى هو آذن) أقل وأحقر (اهبطوا مصرا) المصر : العاصمة . أى اهبطوا مصرا من الأمصار ،

أوهى مصر نفسها (فإن لكم ما سألتكم) من البقل ، والقثاء ، والقوم ، والعدس ، والبصل .

(وضربت) جعلت (عليهم) وصارت لزماً لهم (الذلة والمسكنة) أعطاهم الله تعالى جميع ما سألوا ، ووهبهم فوق الذي طلبوا ؛ فما زادم ذلك إلا طغياناً وكفراناً ؛ فسلبهم العزة ، وألبسهم الذلة . وليس المراد بالمسكنة : الفقر نفسه ؛ بل المراد لازمه ؛ وهو الحفارة ، وقلة العان ، والصغار . ومصدق هذه الآية : اضطهاد العالم أجمع لليهود ، ونشيتهم في سائر الممالك ؛ حيث لا وحدة تجمعهم ، ولا رابطة تضمهم ؛ اللهم سوى ما اغتصبه بعض الأفاقين من أرض فلسطين ؛ وهو عائد إلى أربابه بإذن رب العالمين ! (وإياوا) رجعوا (إل الذين آمنوا)

الجزء الأول

١٢

بأنه تعالى ، وبرسوله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (والذين هادوا) اليهود . من هاد : إذا تاب ورجع إلى الحق ، وهم قوم موسى عليه السلام (والنصارى) وهم قوم عيسى عليه السلام . قيل : سموا نصارى ؛ لتناصرهم وتآلفهم على دينهم - وقت تسميتهم - وقيل : نصرائي ؛ نسبة إلى نصورية : - بفتح النون ، وضم الصاد ، وكسر الراء وفتح الياء - قرية بالشام (والصابئين) الخارجين من دين إلى آخر ؛ من صبا : إذا مال . وقيل : هم قوم عبدوا الملائكة . وقيل : لأنهم كانوا يعبدون الأتيم والكواكب . وقيل : هم قوم على ملة نوح عليه السلام ؛ استمروا على إيمانهم به ، فلم يقلوا اتباع من أرسل بعده من الرسل (من آمن) إيماناً حقيقياً كاملاً ؛ من هؤلاء الذين آمنوا بمحمد ، أو آمنوا بموسى ، أو آمنوا بعيسى ، أو آمنوا بنوح ؛ من آمن منهم (بالله) وعظمته وقدرته ووحدايته (واليوم الآخر) القيامة ؛ وما فيها من عقوبة للعاصين ، ومثوبة للطائعين (وعمل صالحاً) في دنياه ؛ تقريباً إلى مولاه ؛ وذلك لأن الإيمان لا ينفع ولا يجدي ؛ ما لم يكن مقروناً بالعمل الصالح (فلهم أجرهم) أى فلهؤلاء المذكورين جزاءهم على إيمانهم (وإذ أخذنا ميثاقكم) العهد عليكم بالعمل بما في التوراة (ورفعنا فوقكم الطور)

سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ بِغَضَبٍ
مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ بَغِيَوا الْحَقَّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰرِئِينَ وَالصَّٰبِغِينَ
مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَهُمْ فَوْقَ مَطْوَرٍ فَذُكِّرُوا شَاءَ مَا أَنبَأْتُمْ بِقُوَّةٍ
وَإِذْ كَرَّوْا مَآفِقَهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ
فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤﴾
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ
كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٥﴾ لَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا
وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذِيبُوا بَقْرَةَ قَالُوا أَتُحَدِّثُنَا هُزُوًا

قَالَ

الجليل . قيل : لما جاء موسى عليه السلام لبي إسرائيل بالصحف المنزلة عليه من ربه : أمرهم بالعمل بما فيها ؛ فقالوا : «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره» فرجع الله تعالى الجليل فوقهم ؛ حتى صار كاظلة عليهم . فقال لهم موسى : إن لم تؤمنوا وقع عليكم وكنتم من المالكين ! فأمنوا جميعاً ذعراً وخوفاً من الهلكة (خذوا ما آتيناكم بقوة) مجد واحتماد (وإذ كروا ما فيه) ائتمروا بأوامره ، وانتهوا بنواهيها (ثم توليت) أعرضت عن الإيمان (ولقد علمت الذين اعتدوا منكم في السبت) بصيد السمك فيه ؛ وقد نهيناهم عنه . والمقصود بالسبت : يوم السبت ؛ ومعناه لغة : الراحة ؛ لأنه يوم راحتهم ؛ وكانوا قد أمروا بالتفرغ فيه للعبادة ؛ فخالفوا ذلك ، وخرجوا للاصطياد (فقلنا لهم كونوا قردة) أى كالقردة ؛ في الحق والحق والفساد . أو مسخروا قردة على =

قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا آذَعْ لَنَا
 رَبُّكَ بَيِّنًا لَنَا مَا مَيِّ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ
 وَلَا بَكْرٌ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ ﴿٦١﴾
 قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبُّكَ بَيِّنًا لَنَا مَا لَوْثَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
 إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٢﴾
 قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبُّكَ بَيِّنًا لَنَا مَا مَيِّ إِنَّ الْبَقْرَ نَشَبَهُ عَلَيْنَا
 وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
 لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا أَسِيَّةَ فِيهَا
 قَالُوا الْفَتْنُ جِئَتْ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٤﴾
 وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ
 تَكْتُمُونَ ﴿٦٥﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يَجِي اللَّهُ
 الْعَوْنُ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ قَسَتْ
 قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً

= الحقيقة (خاسئين) مطرودين (جعلناها) أى جعلنا هذه العقوبة ، أو هذه السخنة ، أو هذه الآية
 (نكالا) عبرة وعظة . يقال: نكل به تنكيلا : إذا صنع به صنيعاً يحدز به غيره «والله أشد بأساً وأشد تنكيلا»
 (لما بين يديها وما خلفها) أى لعاصريهم ومن بعدهم ، أو للسابقين واللاحقين (وإذ قال موسى لقومه)

حين وجدوا قتيلا من بينهم ؟ ولم يعلموا قاتله
 فسألوه أن يدلهم عليه (إن الله يأمركم أن
 تدبجوا بقرة) وحكاية ذلك : أن رجلا
 موسراً قتلته بنوعه ليرثوه ، وطرحوه عند
 باب المدينة ، ثم جاءوا يطالبون بديته ؟
 فأمرهم الله تعالى أن يدبجوا بقرة ، ويضربوا
 القاتل ببعضها ؟ فيجيا ويخبرهم بقاتله . فضربوه
 بذنبها ، فخي وقال : قتلني فلان وفلان - يريد
 ابني عمه - فاقصص منها ، وحرما ميراثه

(فارص) طاعنة في السن (عوان) وسط
 في السن «لا فارص ولا بكر» (فاقع لونها)
 شديد الصفرة (لا ذلول) أى لم تدال للعمل
 (مسلمة) سالمة من العيوب (لا أسية فيها)
 لا علامة (فادارأتم) أصلها : فتدارأتم ؛ أى
 تدافتم في الحصومة ، وتستر بعضكم وراء بعض
 (والله مخرج) مظهر (ما كنتم تكتمون) من
 الجريمة (فقلنا اضربوه ببعضها) أى اضربوا
 القاتل ببعض البقرة فيجيا ، أو اضربوا
 القاتل بعض جثة القاتل ؛ وهذا يكون مدعاة
 لاعتراف القاتل (كذلك) أى مثل إحياء
 القاتل أمامكم (يجي الله الموتى) يوم القيامة ؛
 فتقوم ، وتجادل ، وتحاسب ، وتثاب ، وتناقب
 وعلى القول الثاني - وهو ضرب القاتل ببعض
 جثة المقتول - «يجي الله الموتى» بظهور
 القتال ، والاقتصاص منه .

(ثم قست قلوبكم) أيها اليهود (من بعد ذلك) أى من بعد أن أظهر الله تعالى ما كتمتموه في أنفسكم
 من القتل ، وبعد أن أراكم كيف يجي الموتى ؟ ومن حق القلوب التي ترى ذلك أن تخضع وتلين ؛
 ولكن قلوبكم ازدادت قسوة (فهى كالحجارة) في الصلاة والجمود ، وعدم الخشوع والفهم (أو أشد
 قسوة) من الحجارة

(وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) إشارة إلى أن من الحجارة ما هو أرق من القلوب الفاسية ،

وأرق من القلوب الكافرة (وإن منها لما يهبط من خشية الله) أي وإن من الحجارة لما ينحسح ويخضع خوفاً من الله ؛ قال تعالى: « فلما تجلج بيه للجل جعله دكا » (أفطمعون) أيها المؤمنون (أن يؤمنوا لكم) أي تؤمن لكم اليهود عن طريق النظر والاستدلال ؛ وكيف يكون ذلك (وقد كان فريق منهم) أي من أسلافهم ، ومن هم على شاكلتهم ؛ وهم قوم موسى (يسمعون كلام الله) في التوراة؛ ويعلمون تمام العلم أنه حق - بما ظهر لهم من الآيات المتتالية، والمعجزات المتوالية - (ثم يحرفونه) يغيرونه ، ويبطلونه ؛ متعمدين معاندين (من بعد ما علقوه) فهموه بقولهم (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) بأنكم على الحق ، وأن رسولكم هو الميسر به في التوراة (وإذا خلا) انقرد ورجع (بعضهم إلى بعض قالوا) أي قال الذين لم ينافقوا ولم يؤمنوا الذين ناققوا بقولهم «آمنا» قالوا لهم (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) عرفكم في التوراة من نعت محمد (ليحاجوكم) ليقبوا عليكم الحججة (ومنهم) أي من اليهود (أميون) لا يقرأون، ولا يكتبون (لأمانى) إلا أكاذيب . وقيل: «أمانى»: قراءة . والمعنى: لانهم يقرأون بغير فهم ، ولا علم ، ولا تدبر (فويل للذين) حلول الشر، وشدة العذاب (للذين يكتبون الكتاب) التوراة (بأيديهم) مغيرين فيها ومبدلين ؛ طبقاً لأهوائهم

وَأَنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَسْقَى فَيُخْرِجُ مِنْهَا الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ * أَفَطَمْعُونَ أَنْ يَرْسُلُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَلْحِقُونَ فَرِيقَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُدُهُمْ إِلَيْنَا بَعْضٌ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسِلُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿١٨﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ يَكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتَسِبُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً

(بلى من كسب سيئة) ارتكب جرماً ، أو المراد بالسيئة : الشرك (وأحاطت به خطيئته) أى لم يخرج

من معصيته بالتوبة ، ومن كفره بالإيمان (وبالوالدين إحساناً) لقد أمر الدين ،

للوالدين بالإحسان ، فى كل وقت وزمان ، وفى كل كتاب أنزله ، وعلى لسان كل رسول

أرسله ؛ فتدبر هذا أيها المؤمن ، وتقرب إلى ربك بطاعتها وبرها ! (انظر آية ٢٣ من

سورة الإسراء) (وقولوا للناس حسناً) أى قولوا حسناً ؛ وهو حث ببلغ على طيب الأخلاق

وحسن المعاملة . والقول الحسن : يجمع سائر الفضائل ، وبه تنبع المحبة من القلوب ، وله

تطمئن النفوس ، وبه تخفى الإحن ، وتذهب حزازات الصدور ! (ثم تولى) أعرضتم عن

الإيمان ، والعمل بهذه الوصايا النافعة فى الدنيا والآخرة (وإذ أخذنا ميثاقكم) أى أخذنا

المهدى عليكم ؛ بأن أمرناكم وعقلتم ما أمرناكم به ، أو أمرناكم بما يجب أن يطاع ، وبما فيه

مصلحتكم ؛ فكان ذلك عناية العقد والمهد والميثاق (لا تسفكون دماءكم) أى لا ترتكبون

من الجرائم ما يوجب سفكها قصاصاً (ثم أقررتم) أى أقر عقلكم بذلك واستصوبه

(ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم) أى يقتل بعضكم بعضاً (تظاهرون) تتعاونون (بالإثم

والعدوان) بالمعصية والظلم (وإن يأتوكم أسارى فتادوهم) أى تقبلوا إطلاقهم نظير أموال تدفع

إليكم ؛ وقد حرم عليكم أصلاً محاربتهم (وما أخرجهم من ديارهم) (وهو محرم عليكم إخراجهم)

وبالتالى يحرم عليكم أخذ الفدية منهم ؛ لأنهم إخوانكم (أفتؤمنون ببعض)

قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ أَمْ قَوْلُكُمْ

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ

بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦﴾

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ

هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذَى الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٨﴾

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ

أَنفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تُشْهَدُونَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ

هَتُولَاءُ تُقْتَلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ

تَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ

تُفَادِلُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ فَإِخْرَجُوهُمْ أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضٍ

(أفتؤمنون ببعض)

الْكِتَابِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِ مَا جَاءَهُمْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ مِنْكَ
 إِلَّا نَزَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ
 الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ يَضِلُّ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
 اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْصِفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ
 وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٤٥﴾ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا
 مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ
 بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ
 اسْتَكْبَرُوا فَهِيَ آيَاتُنَا لَكُمْ لِيَتَّقُوا وَلِيَأْخُذُوا
 بِحَبْلِ اللَّهِ لَعَنَ اللَّهُ الْمُكْفِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا
 غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤٧﴾
 وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ
 وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
 مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٤٨﴾
 بَشَرًا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعَثْنَا

الكتاب التوراة (وتكفرون ببعض) لأن
 فيها حل المفاداة ، وحرمة القتل والإخراج
 (إلا نزي) فضيحة وهوان (أولئك الذين
 اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) أى اشتروا
 اللذة الفانية ، والشهوة الزائلة ؛ بالتواب
 الباقى ، والنعيم السرمدى ! (ولقد آتينا
 موسى الكتاب) التوراة (وقفينا) آتينا
 (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) الآيات
 الواضحات ، والمعجزات الظاهرات (وأيدناه
 بروح القدس) جبريل عليه السلام (وقالوا قلوبنا
 غلفت) مغطاة بأغطية (ولما جاءهم كتاب من
 عند الله) القرآن الكريم (مصدق لما معهم)
 موافق لكتابهم (وكانوا من قبل يستفتحون)
 يستنصرون (على الذين كفروا) المشركين
 - إذا قاتلهم - ويقولون : اللهم انصرنا بالنبي
 المبعوث فى آخر الزمان ، الذى نجد وصفه ونعته
 فى كتابنا «التوراة» (فلما جاءهم ما عرفوا) أى
 ما عرفوه فى كتبهم ؛ من بعثته صلى الله تعالى
 عليه وسلم (كفروا به) فلم يؤمنوا ؛ وقد كان
 الأجدر بهم أن يؤمنوا بما عرفوا . (أنظر آية
 ١٤٤ من سورة الشورى) (بشرا اشتروا به
 أنفسهم) أى ساء ما اشتروا به أنفسهم ، أو
 بشىء الشىء الذى اشتروا به أنفسهم (أن يكفروا بما أنزل الله) على رسوله (بشرا)

أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) أى حسداً منهم : أن أنزل الله تعالى الكتاب على غيرهم (فباءوا) رجعوا (بغضب على غضب) غضب استوجبه بسبب كفرهم بحمد عند بعثته ، وغضب استحقوه بسبب جهودهم نبوته ، وزعمهم بأنه ليس هو المنعوت في كتابهم ، وحسدكم لمن بعث فيهم (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) على محمد ؛ وهو القرآن الكريم (قالوا) لا (نؤمن) إلا (بما أنزل علينا) من التوراة والإنجيل (ويكفرون بما وراءه) بما بعده ، وبما عداه ؛ وهو القرآن (وهو الحق مصدقا لما معهم) أى حال كون هذا القرآن - الذى يكفرون به - هو الحق ، وهو مصدق لما معهم

من التوراة والإنجيل (قل) فان كنتم صادقين فيما تقولون ، وأنكم بغير الذى أنزل عليكم لا تؤمنون (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) كركريا ويحيى عليهما السلام (واقدم جاءكم موسى بالبينات) المعجزات الظاهرات (ثم اتخذتم العجل) عبدتموه (وأنتم ظالمون) لأنفسكم بكفركم (وإذا أخذنا ميثاقكم) أخذنا العهد عليكم بأن تبنون الكتاب للناس ولا تكتمونه عنهم «وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه» (وزرعنا فوقكم الطور) الجبل (خذوا ما آتيناكم) من الأوامر والنواهي (بقوة) بمجد واجتهاد وعزيمة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك . أى قالوا بألسنتهم : «سمعنا» وعملوا بعكس ما يعقل السامع ؛ كمن قال «عصينا» قال تعالى : «يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم» (وأشربوا في قلوبهم العجل) عبر بذلك كناية عن تغفل حب العجل في قلوبهم وعبادته كتغفل الشراب (قل إن كانت لكم

أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قِبَآءٌ وَيَغْضَبَ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْفِينُمْ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ قَتَلْتُمُ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٩﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَنْصَبُوا قُلُوبَكُمْ وَعَصِينَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ لَسَنَا بِبُيُوتِكُمْ بِهِ إِعْتِسَافٌ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ دَارُ الآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ وَلَنْ يَسْمَعُوا أُمَّامًا قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أُحْرَصَ النَّاسِ

الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) فيها تقولون ؛ من أن لكم الثواب في الآخرة ، ولئن عداكم العقاب . وذلك لأن من يثق أن النعيم أمامه : أسرع إليه ، ومن يثق أنه صائر إلى الجنة : اشتاق إلى ورودها ؛ ليخلص من دار الآثام والآلام . ولكن قولهم ينافي فعلهم ؛ إذ هم متمسكون بدنياهم ، مفروطون في شئون آخراتهم (ولتجدنهم أحرص الناس

عَلَى حِيْزَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يُوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمِرُ اللَّهُ
سَنَةً وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَلَمْ يَكُنْ يَرَى
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ
عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ
وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾
أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ
وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا
الشَّيْطَانِ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ
الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسُ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ

الملكين

وتأتمر الجن بأوامره (ولكن الشياطين كفروا) بتعليمهم الناس السحر (يعلمون الناس السحر) بالسوسة؛
ويحتمل أن يعنى بالشياطين : شياطين الإنس والجن معا (وما أنزل على

على حياة) لما تراه من خوفهم وجبنهم ؛
شأن المزعج على مصيره ، الخائف من عاقبته
(وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)
في الدنيا ؛ ما دام الموت له بالمرصاد ، والجحيم
معدة له يوم المعاد (قل من كان عدواً لجبريل
فإنه نزله على قلبك) أى فإن جبريل الذى
يعادونه : نزل القرآن على قلبك . وناهيك بمن
نزل بالقرآن من الرحمن ! وقد نشأت عداوة
اليهود لجبريل عليه السلام ؛ حين علموا أنه ينزل
بالعذاب والمهلك والدمار (مصدقاً لما بين يديه)
ما تقدمه من الكتب المنزلة (أو كلما عاهدوا
عهداً) وهو موثقهم في التوراة بتبيين أحكامها
للناس ، وعدم إخفاء شيء منها (نبذه) طرحه
وألقاه (فريق منهم) وهم المشركون لمحمد
عليه الصلاة والسلام وبعثته ، والقرآن ونزوله
(واتبعوا) أى اليهود (ماتلوا الشياطين) من
كتب السحر والشعوذة (على ملك سليمان) أى
في زمنه وعهده ، أو حول ملكه وسلطانه ؛
وكانوا يذيعون أن ملكه كان قائماً على السحر
(وما كفر سليمان) كما ادعت اليهود ؛ حيث
قالوا : إن محمداً يخلط الحق بالباطل ، ويذكر
أن سليمان نبى؛ مع أنه كان ساحراً يركب الريح ،

المسكين بيابل) يحتمل أن يكون هناك ملكان حقيقة؛ أنزلها الله تعالى لتعليم الناس السحر؛ لإظهار الفرق بين السحر والمعجزة؛ وليروا أن ملك سليمان، وما فيه من خوارق وعظمة وسلطان؛ لم يكن قائماً على سحر وتختلات، بل على كرامات ومعجزات؛ وأنه عليه السلام لم يكن ساحراً ما كراً؛ بل كان رسولا عظيماً، ونبياً كريماً؛ أمدته الله تعالى بالملك الواسع، والنفى الجامع؛ تحقيقاً لرغبته، واستجابة لدعوته؛ وإلا فأين السحر من تكليم الحيوان والحشرات والطير؟ وأين السحر من تسخير الهواء والماء، والجن والإنس؟ وقد ذهب بعضهم إلى أن «ما» نافية؛ في قوله

تعالى «وما أنزل على المسكين بيابل» وقوله جل شأنه «وما يعلمات من أحد» أي لم ينزل على المسكين شيء من السحر، ولم يعلمه أحداً؛ كما ادعت اليهود أن هناك ملكين أنزل عليهما السحر، وأنها يعلمانه للناس، وكما ادعوا على سليمان؛ فكذبهم الله تعالى في ذلك.

و«بابل» قرية بالعراق (هاروت وماروت) اسمان للمسكين المزعومين؛ كما أستمتهما اليهود.

وقيل: لانهما رجلان تعلماه من الشياطين، وجعلنا يعلمانه للناس. وقيل: لانهما قبيلتان من قبائل الجن. وعلى قراءة من قرأ «ملكين»

يكون المراد بهما: داود وسليمان (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا لئمانحن فتنة فلا تكفر) أي لئمانحن ابتلاء من الله تعالى واختبار؛ فلا

تكفر بتعلم السحر والعمل به (فيتعلمون) أي الناس (منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) وهي الأشياء التي يعملها بعض الفجار؛ مما يؤدي إلى التفرقة بين الزوجين بواسطة بعض التخييلات.

وبلاحظ أن الرأي القائل بأن «ما» نافية لا يستقيم مع باقي الآية. وقيل: لأن أهل بابل كانوا يعبدون الكواكب - بصرف السحرة لهم عن الحق -

فأنزل الله تعالى هذين الملكين ليفضحا حيل السحرة، وليظهرا أمر السحر للناس على حقيقته، ويعلموهم أن ما يسيطرون به عليهم ليس إلا نوعاً

من التمويه والتخييل، وكان الملكان يعلمان الناس حيل السحرة، ويحذرانهم أن يفعلوا مثله، لأنه كفر وضلال، ويقولان لهم: لئمانحن متجانس لكم، فلا تكفروا بما فعلكموه؛ فانما فعلكم للتحذير من الوقوع في مثله، ولتستطيعوا أن تفرقوا بين السحر والمعجزة، وبين الحق والباطل.

أما ما ذهب إليه أكثر المفسرين: من أن هاروت وماروت: ملكان؛ عصيا الله تعالى وزنيا، وقتلا النفس، وشربا الخمر؛ فعذبهما الله تعالى بأن علقهما من شعورهما في بئر بابل؛ فجعلنا يعلمان الناس السحر. إلى آخر ما أورده من أقاصيص من وضع الدسائس والزنادقة واليهود؛ وهو كلام لا يجوز نسبتها بحال إلى الملائكة السكرام عليهم الصلاة والسلام؛ الذين قال الله تعالى فيهم: «ومن عنده لا يستكبرون عن =

الْمَلَكَيْنِ بِيَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا لِإِمَّا نَحْنُ فَتَنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفْرَقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْسًا وَقُولُوا نَحْنُ سَمْعَاءُ وَكُنَّا مِنَ الْكٰفِرِينَ عَذَابُ الْيَمِّ ﴿١٩﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتٰبِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَيْبِكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٠﴾ * مَا نَسَخَ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نَسَبَهَا نَسَخْنَا بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ نُبَلِّغُهَا أَلَّا تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾ أَلَّا تَعْلَمَ

عبادته ولا يستجسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون» وقال جل شأنه واصفاً طاعتهم: «لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» (خلاق) نصيب (ولو أنهم آمنوا واطقوا لثوبة) أى لكان ذلك ثواباً لهم (راعنا) راقبنا؛ وهى بلغة اليهود: كلمة سب؛ من الرعونة (انظرونا) انظرونا (ننسخ) نبدل (أو ننسها) من النسيان. وقرىء «أو ننسأها» أى تؤخرها (نأت بغير منها) أى نأت بأية جديدة حاوية للحكم جديد ، خير من الحكم المنسوخ. وقد ذهب كثير من العلماء والمفسرين إلى تقسيم المنسوخ إلى أقسام: منها ما نسخ حكمه ونسخت تلاوته ، ومنها ما نسخ حكمه

وبقيت تلاوته ، ومنها ما نسخت تلاوته وبقى حكمه . فاذا ما استساغ العقل منسوخ الحكم والتلاوة ، ومنسوخ الحكم باقى التلاوة ؛ فإن القسم الأخير لا يستساغ عقلاً ؛ إذ كيف تنسخ التلاوة مع بقاء الحكم ؟

ومن ذلك زعمهم أن القنوت فى الصلاة من القرآن المنسوخ ؛ فى حين أن القنوت ورد بألفاظ شتى ، وعبارات متباينة ، وقد أخذ كل واحد من الأئمة بصيغة تخالف ما أخذه غيره .

كما زعموا أيضاً أن « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموا البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » من القرآن المنسوخ تلاوة الباقى حكماً . هذا مع أن الرجم لم يزل به قرآن البتة ؛ بل هو عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وتشريع الرسول واجب حتماً كتشريع القرآن ؛ لقوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » وقوله جل شأنه : « وما آتاكم الرسول فخذوه » وقوله عز وجل : « من أطاع الرسول فقد أطاع الله » .

وأخفى هذه المزاعم : روايتهم عن عائشة رضى الله تعالى عنها: كان فيما يقرأ من القرآن « عشر رضعات معلومات يجرمن » وأن ذلك

أَنَّ اللَّهَ لَمَّا مَلَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧٠﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلُوا مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَبْدُلُ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٧١﴾ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ رَدُّوهُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَرُوا وَأَصْحَابُوا حَتَّىٰ بَلَغَ اللَّهُ بِأَمْرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَّحْمِلْهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٧٣﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧٤﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٥﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ الْنَصْرَانِيَّةُ

على

قد نسخ بقوله تعالى « خمس رضعات معلومات يجرمن » وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم توفى وهى فيما يقرأ من القرآن . وأن الدواجن أكلتها بعد موت الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه !

وهذا الزعم يشهد بفساده وبطلانه : وعد القدير العظيم ، بحفظ كتابه العزيز الكريم « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وقد حفظه تعالى من شياطين الإنس والجن؛ فكيف بالدواجن ، وضفاف الطير؟! (ولى) محب يلى أموركم (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) أى كما سأل قوم موسى موسى بقولهم: « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » وقولهم « أرنا الله جهره » (سواء السبيل) الطريق السوى (حسداً من عند أنفسهم) المراد بالحسد هنا : الأسف على الخير عند الغير (انظر آية ٥ من سورة الفلق) =

— (فاعفوا) عنهم (واصفحوا) عن ذنوبهم (حتى يأتي الله بأمره) بالقتال ، أو بنمو الإسلام بزيادة بنيه وقدرتهم على دفع عدوهم (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) أى تجدوا ثوابه وجزاءه (هوداً) أى من اليهود (تلك أمانيتهم) آمالهم ، أو تلك أقوالهم التى يدعونها (بلى من أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله ، وصدق فى عبادته (وهو محسن) لنياته وأعماله (ولا خوف عليهم) فى الدنيا (ولام يميزون) فى الآخرة (وم) أى اليهود والنصارى (يتلون الكتاب) التوراة لليهود ، والإنجيل للنصارى ؛ وفى التوراة : تصديق عيسى . وفى الإنجيل : تصديق موسى . وفى الكتابين : تصديق محمد . وفى القرآن :

٢١

سورة البقرة

عَلَىٰ شَيْءٍ ۖ وَقَالَتِ الْنَصْرَىٰ لَيْسَ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ۖ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٦﴾
 وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا نَذْرٌ ۚ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٧﴾
 وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَمُجِبُّهُ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٨﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ سُبْحٰنَ اللَّهِ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴿١١٩﴾ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ تَشٰهَدْتُمْ قُلُوبِهِمْ ۚ قَدْ بَيَّنَّا الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يُّوقِنُونَ ﴿١٢١﴾

تصديق ما تقدمه من الكتب والرسل (انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف) . (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (من منع مشاهدته) أى أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها) أى تعطيلها . ويدخل فى ذلك : منع الصلوات وحبس المياه أو النور عن المساجد ، أو تركها بغير إصلاح وتمهير ؛ مع حاجتها إلى ذلك ، والقدرة عليه . أو هونى عن ترك الصلاة وهجر المساجد (خزى) فضيحة وهوان (ثم) هناك (واسع) أى واسع الرحمة ؛ يسع فضله كل شئ (وقالوا) أى النصارى (اتخذ الله ولداً) يعنون به المسيح عيسى ابن مريم (سبحانه) تزيهاً له عن الولد والوالد (بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون) خاضعون مطيعون . وهو إنكار لاتخاذ الله تعالى للولد بالدليل العقل : لأن الإنسان لا يسمى للولد إلا رغبة فى المساعدة والمعاونة ؛ وكيف يحتاج تعالى لذلك و «له ما فى السموات والأرض»

ومن فيما : طائفتين خاضعتين (بديع السموات والأرض) مبدعهما (وإذا قضى أمراً) فإنما يقول له كن فيكون هو تقريب لأفهامنا ؛ والواقع أنه تعالى إذا أراد شيئاً كان ؛ بغير افتقار للفظ «كن» (لولا يكلمنا الله) أى هلا يكلمنا الله (أو تأتينا آية) معجزة مما نقرحه . قال تعالى : «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب تفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبلاً» .

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ
 الْجَحِيمِ ﴿١١١﴾ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى
 تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَمَا لَهُدَى اللَّهُ هُوَ الْهَادِي وَلَئِنْ أَتَيْتَ
 أُمَّوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ
 وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٢﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ
 تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١٣﴾ يَنْبَغِي إِسْرَافًا أَنْ تَكُونُوا عَلَى
 أَنْعَمْتُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾ وَاتَّقُوا
 يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ
 وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١١٥﴾ * وَإِذْ ابْتَلَى
 إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
 إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْبَأُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١١٦﴾
 وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ

(إنا أرسلناك بالحق) بالقرآن (بشيراً) مبشراً
 من أطاع بالثواب والجنة (ونذيراً) منذراً من
 عصى بالعقاب والنار (ولا تسأل عن أصحاب
 الجحيم) أي ولا نسألك عنهم : ما لهم لم يؤمنوا
 بعد أن أبلغتهم رسالتهم؟ « ليس عليك هداهم »
 (ولي) يحب يلى أمرك ، ويهيم شأنك (الذين
 آتيناهم الكتاب) من اليهود والنصارى؛ وآمنوا
 به إيماناً حقيقياً (يتلون حقه تلاوته) فهمونه
 حق فهمه (أولئك يؤمنون به) أي محمد ،
 أو بالقرآن ، أو بكتابتهم التي هداهم إلى معرفة
 محمد وكتابه (عدل) بدل أو فدية (ابتلى)
 اختبر وامتنح (بكلمات) أو امر ونواه (فأتمهن)
 فأداهن أحسن تأدية ، وقام بهن خير قيام (قال
 إني جاعلك للناس إماماً) أي رئيساً لهم؛ يأمنون
 بك في الدين ، ويقتدون بك في الأعمال (قال
 ومن ذريتي) أي واجعل من ذريتي أيضاً أئمة
 يقتدى بهم (قال لا ينبأ عهدي الظالمين) المراد
 بالظلم هنا: الكفر. أي لا تصيب الإمامة الكافرين
 من ذريتك . ويصح أن يراد بالظلم : الظلم
 نفسه لا الكفر ؛ إذ أن ولاية الظلمة والفسقة
 لا تجوز ؛ وكيف تجوز ولاية الظالم ، لكف
 الظالم ؟ (مثابة) مرجعاً ؛ من تاب : لإذارجع

إبراهيم

أو المعنى : موضع ثواب ؛ يجزون إليه ، فيتابون عليه (وأمنأ) يأمن من فيه على نفسه - في الجاهلية
 والإسلام - فقد كان الرجل يلقى فيه قاتل أبيه ؛ فلا يستطيع أن يصعد النظر نحوه (واتخذوا من مقام

إبراهيم مصلي) موضع صلاة . وهو أمر بركعتي الطواف . روى جابر رضى الله تعالى عنه : أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين ؟ وقرأ « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلي » ومقام إبراهيم : هو الحرم كله ، أو الحجر الذى قام عليه عند البناء ؛ وفيه أثر قدمه ، أو الموضع الذى كان فيه الحجر - حين قام عليه وأذن بالحج - وعن عمر رضى الله تعالى عنه : وافقت ربي فى ثلاث . قلت : يارسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلي ؟ فزلت! « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلي »

وقلت : يارسول الله إن نساءك يدخل عليهن اللز والفاجر؛ فلو أمرتهم أن يحتجن ؛ فزلت آية الحجاب . واجتمع على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نساؤه - فى الغيرة - فقلت لهن : « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن » فزلت كذلك (وعهدنا) أوصينا وأمرنا (والعاكفين) المقيمين (وارزق أهلهم من الثمرات) وقد أجاب الله دعوة إبراهيم عليه السلام ؛ فخلت الثمار من سائر الأقطار إلى الحرم ؛ قبل أن يتذوقها زارعوها وحاملوها ؛ وقد تجددين أيديهم فأكبه الصيف فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء فى الصيف؛ وقد رأيت بعينى رأسى أرقى ثمار العالم تحمل إليه بالطائرات عبر البحار والمحيطات ، فوجدت - حيث لا يحب - لماذا يحمل كل ذلك لهذه البلدة الخاوية إلا من الدين ، الخالية إلا من المؤمنين؟ فتذكرت دعوة إبراهيم ، فتبارك السميع العليم! (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) فقد كان دعاؤه عليه السلام قاصراً على من آمن منهم بحسب؛ ولذا قال تعالى (ومن كفر) أى وسأرزق أيضاً من كفر (فأمنته قليلاً) فى الدنيا (ثم أضطره) الجحيم (القواعد) الأسس والجسور (ربنا تقبل منا) أى قالا : «ربنا تقبل منا» ما فعل فى سبيلك؛ من بناء بيتك ، وإعلاء دينك (إنك أنت السميع)

لقولنا ودعائنا (العليم) بإخلاصنا وصدق نيائنا (ربنا واجعلنا مسلمين) مخلصين (وأرنا مناسكنا) عرفنا عبادتنا (وتب علينا) أى اقبل توبتنا، ورجوعنا إليك ، وإنا بئنا لك! وإذا كان هذا حال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ؛ وهما من كبار الأنبياء ، وخيرة الأصفياء ؛ فكيف بنا معشر العصاة الطغاة - وقد ارتكبنا ما ارتكبنا ، وأتينا ما أتينا - فلم تندبر المآب ، ولم تفكر فى الثاب ؛ كأنما أخذنا عند الله عهداً بعدم العذاب ، أو كأن ما فعلناه لا يستوجب العقاب ! (وابعث فيهم رسولا منهم) أى من ذرية إبراهيم عليه السلام ؛ وهو خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام . قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « أنادعوه أبى إبراهيم (وزيكرهم) يظهرهم من الشرك ، ومن دنس المعصية (ومن يرغب عن ملة إبراهيم) يرغب عن الشيء : =

إِبْرَاهِيمَ مِصْلًى وَعٰهَدْنَا اِلَيْكَ اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطّٰاِفِيْنَ وَالْعٰكِفِيْنَ وَالرُّكْعِ السُّجُوْدِ ﴿١٢٥﴾
وَإِذْ قَالَ اِبْرٰهِيْمُ رَبِّ اجْعَلْ لِيْ ذٰلِكَ اٰيَةً وَاَرْزُقْ اٰهْلَهُ مِنَ الثَّمَرٰتِ مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ
قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَاَمْتَعُوْهُ قَلِيْلًا ثُمَّ اَضْرُوْهُ اِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَاِنَّ الْمَصِيْبَ ﴿١٢٦﴾
وَإِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهِيْمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمٰعِيْلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ﴿١٢٧﴾
رَبَّنَا وَاَجْعَلْنَا مُسْلِمِيْنَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا اُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ وَاَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا اِنَّكَ اَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ﴿١٢٨﴾
رَبَّنَا وَاَبْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ اٰيٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيْهِمْ اِنَّكَ اَنْتَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ ﴿١٢٩﴾
وَمَنْ يَّرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ اِبْرٰهِيْمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اَضْطَقَيْنٰهُ فِى الدُّنْيَا وَاٰتٰهُ

== لم يردده ؛ ضد رغب فيه إذا أرادته (إلا من سفه نفسه) حملها على السفه ، أو أهلكتها (ولقد اصطفيناه) اختراناه

الجزء الأول

(أسلم) استسلم (ووصى بها) أى بالسلطة ؛
 ومى الإسلام (إن الله اصطفى لكم الدين) أى
 اختار هو رضىه (فلا تخفوا ولا وأتم مسلمون) المعنى
 حافظوا على دينكم ، وتقربوا الى ربكم ؛ حتى
 لا تخفوا ولا وأتم ثابتون على الإسلام (أم كنتم
 شهداء) مشاهدين وحاضرين (مسلمون)
 مطيعون ومتقادون (تلك أمة قد دخلت) قد مضت
 وهو خطاب لأهل الكتاب من اليهود والنصارى .
 أى إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ،
 وذراريهم من المؤمنين «أمة قد دخلت» والأمة:
 الجماعة (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أى عليها
 لم ما اقترفت من الذنوب ، وثواب ما عملت من
 الصالحات ، وعليكم لم ما جنيت من الآثام ، وأجر
 ما عملتم من الحسنات (وقالوا) أى اليهود والنصارى
 للمؤمنين (كونوا هوداً) يهود (قل) لهم: إن
 تحول عن ديني الذي هداني إليه ربي ؛ ولن
 أكون يهودياً ونصرانياً (بل أمة) أبى (إبراهيم
 حنيفاً) مستقيماً (وما كان) إبراهيم (من
 المشركين) بل كان عبداً لله فانتأ (الأسباط)
 خدة يعقوب : ذرارى أبنائه

فِي الْأَيَّامِ لَمَّا لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ
 قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٥﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ
 بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ
 إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
 الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ
 إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّهُمْ
 رِجَالٌ وَحَمَلٌ لَهُمْ مَسَلُونَ ﴿٢٧﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ
 لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْ كُنُوفِكُمْ
 وَمَا كُنْتُمْ بِبِاعِيهَا قَالُوا كُنُوفُ هُودًا أَوْ نَصْرَانِيًّا تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ
 مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٨﴾
 قُولُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى
 وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

مبين

مِنْهُمْ وَخَنُ لَّهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢٥﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ
 فَقَدْ ءَاهَتُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَبِّحْهُمْ بِمَا كَفَرُوا
 اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ
 مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَخَنُ لَّهُمْ عَدِيدُونَ ﴿٢٧﴾ قُلِ ءَاتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ
 وَهُورِبْنَا وَرَبُّكَ وَنَا ءَعْمَلْنَا وَلَكِنْ ءَعْمَلْنَا وَخَنُ لَّهُمْ
 مَخْلُصُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا لِرَبِّهِمْ وَعَدِ وَاسْتَعِيلَ وَإِخْتَقَ
 وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلِ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ
 أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدِهِمْ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
 بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ تِلْكَ ءَأُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
 وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾
 * سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ ءَأَنَّى
 كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَدِي مَن يَشَآءُ
 إِلَيْكُمْ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ ءَأُمَّةً وَسَطًا

(وإن تولوا) أعرضوا (فإنما هم في شقاق) في خلاف ومعاداة (صبغة الله) دينه (قل أتتاجوننا
 ولنا أعمالنا) أي جزء أعمالنا ونوابها (ولكم أعمالكم) لأئمتها وعذابها (ونحن له مخلصون)
 في الحب، والعبادة! والإخلاص: لب كل خير،
 وأساس كل نفع؛ فغيره لا يصل الإنسان إلى
 ربه، ولا يهتأ بقربه؛ فالدينا كلها ظلمات لإموضع
 العلم، والعلم كله هباء إلا موضع العمل،
 والعمل كله هباء، إلا موضع الإخلاص.
 والإخلاص لا يكون باللسان؛ بل بالجنان، ولا
 يكتسب بالركوع والسجود؛ بل بالاتجاه إلى
 الرب العبود! فاحرص - هديت وكفيت -
 على الإخلاص؛ فهو باب النجاة والخلص!
 (والأسباط) حفدة يعقوب عليه السلام؛
 ذراري أبنائه (ومن أظلم) أي لا أحد أظلم
 (من كتم شهادة) أخفاها ولم يبدها (تلك
 أمة قد خلت) قد مضت (لها ما كسبت) جزء
 ما عملت (ولكم ما كسبت) جزء ما عملتم
 (ولا تسألون عما كانوا يعملون) أي
 ولا تؤاخذون بكفرهم وظلماتهم «كل امرئ
 بما كسب رهين» (سيقول السفهاء من الناس)
 الجهال منهم (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا
 عليها) أي ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا
 يصلون نحوها؛ وقد كان المؤمنون - في بدء
 الإسلام - يصلون نحو بيت المقدس؛ حتى نزل
 قول العزيز الكريم: «قد نرى قلب وجهك
 في السماء فلتولينك قبلة ترضاها» (قل لله
 المشرق والمغرب) أي له السكون أجمع بسائر جهاته «فأينما تولوا فثم وجه الله» (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)
 أي متوسطين بين الفلأ والتفريط. ووسط كل شيء: أعدله. والطريقة الوسطى: المثلى. قال تعالى
 «قال أوسطهم» أي أعدلهم حكماً، وأصوبهم رأياً

(وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) وهي بيت المقدس (إلا لنعلم من يتبع الرسول) فيما يذكره عن ربه ؛ من تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة (من ينقلب يرجع (على عقبيه) أي يعود إلى الكفر الذي كان فيه (وإن كانت) التولية عن القبلة (لكبيرة) شاقفة صعبة ؛ لأن كل تغيير في أمر من الأمور - خاصة إذا كان هذا الأمر جديداً في أوله: كالإسلام ، وكان هاماً: كقبلة الصلاة - فإنه يكون صعباً وشاقاً على النفوس (إلا على الذين هدى الله) وفقهم للإيمان ،

وهدهم للتصديق (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي صلاحكم إلى القبلة الأولى . ولا يخفى ما في التعبير عن الصلاة بالإيمان: من تعظيم لشأنها ، وإعلاء لقدرها ؛ وأن من تمسك بأدائها ، وحافظ على أوقاتها ؛ فقد تمسك بالإيمان كله ! كيف لا وهي الناهية عن الفحشاء والمنكر : «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» وهي فوق ذلك مذهبة الهموم ، ومفرجة الكرب «كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة» (١) (قول وجهك شطر المسجد الحرام) جهته (وإن الذين أتوا الكتاب) اليهود والنصارى (ليعلمون أنه الحق من ربهم) أي يعلمون أن تحويل القبلة هو الحق ؛ لأنه معلوم عندهم ، مدون في كتبهم (ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (بكل آية) بكل معجزة يقترحونها ، وبرهان يطلبونه (ماتبعوا قياتك) لإصرارهم على الكفر والعناد (ولئن أتيت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين) علم الله تعالى أن رسوله صلوات الله تعالى وسلامه عليه ليس يتابع قلوبهم ، ولا يتبع أهواءهم ؛ ولكنه خطاب موجه لسواد الأمة الإسلامية ، ونهى لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر ؛ عن اتباع الأشرار والفجار ، واتخاذهم أولياء . وهو كنهى الملك

لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
 وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ
 الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا
 عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِبَتَكُمْ إِنْ
 اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ
 فِي السَّمَاءِ فَلْنُوَلِّنْكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
 وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ
 وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ
 وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ
 مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٢﴾
 الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ

وإن

لقائده ، وتهديده أمام جنده ؛ بقصد حثهم على الاستقامة ؛ وتخفيفهم على الطاعة . وكل ما جاء في الكتاب الكريم من الآيات بهذا المعنى ؛ فهو لهذا المرمى (الذين آتيناكم الكتاب) اليهود والنصارى (يعرفونه) أي يعرفون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . قال تعالى: «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل» (أنظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف) .

(١) حزبه أمر: أصابه ضرر ، ونايته نائبة .

(وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق) أى ينكرون معرفة الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ الذى هو حق معروف ثابت فى كتبهم (فلا تكونن من المتزين) الشاكرين (ولكل وجهة هموليها) أى ولكل قبة يتجه إليها .

أو لكل فريق طريقة هو متبعها (فاستبقوا الخيرات أيما تكونوا يأت بكم الله جميعاً) أى حيث إن الله تعالى قادر على الإتيان بكم جميعاً ، ومحاسبتكم عما ضيعتموه ، ومعاقتكم على ما اقترتموه ؛ فاسبقوا إلى الخيرات والحسنات ؛ ليحل الثواب مكان العقاب ، والرحمة مكان العقوبة ، والنعم مكان الجحيم ! (شطره) جهته (لئلا يكون للناس اليهود والنصارى والمشركين (حجة) يجادلونكم بها ؛ وذلك لأن اليهود تعلم أن النبي المنعوت فى التوراة تكون قبلته الكعبة لا بيت المقدس (إلا الذين ظلموا) من أهل الكتاب ؛ الذين قالوا : ما تحول إلى الكعبة إلا رغبة فى دين قومهم ؛ ويوشك أن يرجع إلى ملتهم (ويزكركم) يطهركم من الكفر والمعاصى (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) أى يعلمكم مالا سبيل إلى علمه ومعرفته ؛ إلا بالوحى الإلهى الدال على نبوته عليه الصلاة والسلام (فاذكروني) بالطاعة (أذكركم) بشواها ، وبالتوفيق إلى أمثالها (واشكروا لى) ما أنعمت به عليكم . والشكر قسان : قسم بالأقوال ، وقسم بالأفعال . والقول إن لم يصحبه فعل يدل على صدقه ؛ فلا فائدة منه ، ولأطائل وراءه . ورب شاكر باللسان ورب العزة عليه غضبان ! أما إذا صاحب القول الفعل ؛ فقد ازداد

وَأِنْ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦١﴾
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٦٢﴾ وَلِكُلِّ
 وَجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا
 يَأْتِ بِكُرِّ اللَّهِ جَمِيعًا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٣﴾
 وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 وَإِنَّمَا لِلذِّكْرِ مِنْ رَبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٦٤﴾
 وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
 عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي
 وَلَا تُؤْمِنُ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٦٥﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا
 فِيكَ رَسُولًا مِّنْكَ يَتْلُوا عَلَيْكَ آيَاتِنَا وَزَيَّرَكَ بِرُؤُوسِ
 الْكُتُبِ وَالْحِكْمَةَ وَعَلِمَ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾
 فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٦٧﴾

الشاكر سعة ونعمة ، ومن الله حباً وقرباً ! وشكر المال : لإفائه فى سبيل الله تعالى وإبضاء مرضاته ، وإخراج زكاته . وشكر البصر : غضه عن المحارم . وشكر السمع : ألا يسمع به غيبة أو لفظاً . وشكر القوة : نصرة المظلوم ، والكف عن الأذى ، وبذلها فى الجهاد والدفاع عن الدين والوطن !

(يا أيها الذين آمنوا استمعوا) على قضاء حوائجكم الدنيوية والأخروية (بالصبر) على الطاعة ، وعن المعصية ، وعلى الأمور الشاقة (والصلاة) وكيف لا يستعان بها ؛ وهي مرضاة رب العالمين ، ومناجاة أكرم الأكرمين ، ومفرجة كرب المكروبين « كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة »

(ولنبلونكم) لنختبرنكم (بشيء من الخوف)

من العدو (والجوع) القحط (وقص من

الأموال) بالفقر وتقدير الرزق (والأهس)

بالموت والأمراض (والثمرات) بالجوائح

والآفات الزراعية «لنبلونكم» فلكل ننظر

أنصبرون أم تكفرون (الذين إذا أصابهم

مصيبة قالوا إنا لله) ملكاً وخلقاً وعبيداً

(وإنا إليه راجعون) فيجزينا أجر ما أصابنا !

عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «ما من

عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه

راجعون ، اللهم آجرني في مصيبتى واخلف لي

خيراً منها ؛ إلا آجره الله في مصيبتيه وأخلف له

خيراً منها» وقد ورد عن أم المؤمنين أم سلمة

رضي الله تعالى عنها ؛ أنه لما توفي زوجها

أبو سلمة رضي الله تعالى عنه : قالت - في

نفسها - ومن خير من أبي سلمة ؟ رجل

شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم ، وفاز بصحبته ، وحظي بحبته ؛

ولكنها استرجعت ، ودعت الله كما جاء في

الحديث: غظبها رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم ؛ فكان نعم الخلف ! وعنه أيضاً صلى

الله تعالى عليه وسلم «ما يصيب المسلم من نصب ،

ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ،

ولا غم حتى الشوكة يشاكها ؛ إلا كفر الله بها

من خطاياها» (أولئك عليهم صلوات من ربهم)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ

مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أُوتِيَ بَلًا أَحْسَنَ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ

بِشَيْءٍ مِّنَ الْجُوعِ وَالْجَسَدِ وَقَصِّ مِّنَ الْأَمْوَالِ

وَالْأَنْفُسِ وَالْأَثْمَرِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٨﴾ الَّذِينَ إِذَا

أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٩﴾

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُهْتَدُونَ ﴿١٦٠﴾ * إِنَّ الصَّفَا وَالرِّمَّةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ

فَمَنْ حَاجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا

وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ

يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُهْذَبَاتِ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ

لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

الْمَلَائِكَةُ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْكَاتِكِ

الْبَيِّنَاتِ ﴿١٦٣﴾

﴿١٥٦﴾

﴿١٥٧﴾

﴿١٥٨﴾

﴿١٥٩﴾

﴿١٦٠﴾

﴿١٦١﴾

﴿١٦٢﴾

﴿١٦٣﴾

أُوتِيَ

الصلاة من الله تعالى : المغفرة (إن الصفا والمروة) هما جبلان بمكة شرفها الله تعالى (من شعائر الله) أعلام مناسك (اعتمر) زار (فلا جناح عليه) لا حرج ، ولا إثم عليه (أن يطوف بهما) أى بالصفا والمروة ؛ بأن يسعى بينهما سبعاً (ومن تطوع) زاد على ذلك (خيراً) أى بخير ؛ بأن أراد زيادة التقرب إلى الله تعالى بالنوافل (فإن الله شاكر) له مازاد ، مجاز عليه (علم) بطواهره وسراره

(أتوب عليهم) أغفر لهم (ينظرون) يمهلون ويؤجلون (إن في خلق السموات) وما فيها من كواكب وأنجم، وأفلاك وأملاك (و) في خلق (الأرض) وما فيها من مخلوقات ونباتات، وأشجار وأنهار (و) في (اختلاف الليل والنهار) بالذهاب والحجى، والزيادة والنقصان (و) في (الفلك) السفن (التي تجرى في البحر) بأمر الله تعالى ونعمته (بما ينفع الناس) من التجارات، والانتقال بواسطتها من بلد إلى آخر (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) بعد جديها (وبت) فرق ونشر (فيها من كل دابة) وهي كل ما يدب على وجه الأرض؛ من إنسان وحيوان ونحوهما (و) في (تصريف الرياح) تقلبها جنوباً وشمالاً، باردة وحارة؛ بما ينفع الناس والمخلوقات، والزرع والضرع (و) في (السحاب المسخر) بأمر الله تعالى وقدرته (بين السماء والأرض) إن في جميع ذلك (آيات) دلالات واضحات على وحدانية القادر الحكيم (لقوم يعقلون) يتدبرون هذه الآيات، ويفهمون هذه الدلالات (ومن الناس) أى ممن لا يعقلون، ولا يفهمون، ولا يتدبرون (من يتخذ من دون الله) غيره (أنداداً) شركاء وأمثالا (ولو يرى) الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر واتخاذ الأنداد (إذ يرون العذاب) يوم القيامة؛ وقد كانوا يكذبون به في الدنيا (أن القوة لله) (بمجرداً) وأن الله شديد العذاب (١٣٥) إذ تبرأ الذين

أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا أُولَئِكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّمَا لِلَّهِ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَاقِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبِتِّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٤٠﴾ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٤١﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ

(إذ يرون العذاب) يوم القيامة؛ وقد كانوا يكذبون به في الدنيا (أن القوة لله) وحده؛ لا للأنداد التي كانوا يعبدونها (إذ تبرأ الذين

اتبعوا) أى تبرأ الأنداد التى كانوا يعبدونها، والكهان والرهبان الذين كانوا يطيعونهم، والسادة والرؤساء الذين كانوا يتبعونهم، وكل من دعا لى عبادة غير الله تعالى؛ تبرأ هؤلاء جميعاً (من الذين اتبعوا) أى الذين اتبعوهم على الكفر؛ وهم قراء الكفار والمسكرين وأرذلمهم. يقول السادة والرؤساء يومئذ: لا نعرفهم، ولم نقل لهم: اعبدونا أو اتبعونا (وتقطعت بهم الأسباب) أى أسباب المودة؛ من قرابة وصداقة ولم يبق لهم نصراء (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة) أى لو أن لنا رجعة إلى الدنيا (فتبرأ منهم) أى من رؤساء الأديان؛ الذين دعونا للكفر فى الدنيا،

الجزء الثانى

٣٠

وتبرأوا منا فى الآخرة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى لا تطعموا وسوسته لكم بترك الحسنات، وفعل السيئات. ويدخل فى ذلك شياطين الإنس أيضاً؛ فمنهم من هو أشد فتكاً، وأبلغ نكاية من شياطين الجن! (انظر آية ١١٢ من سورة الأنعام) (ما ألقينا) ما وجدنا (أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) أى أولو كان آباؤهم جهالاً؛ لا يفقهون، ومجانين لا يعمون؛ فهم لهم متبعون؟! ففاهم (كمثل الذى ينعق) يصيح (بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) أى صوتاً يسمعه ولا يفهم معناه؛ كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه (صم) عن سماع الحق (بكم) عن التطق به (عمى) عن رؤيته (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) أى من الرزق الحلال؛ ومتى كان الأكل حلالاً: كان العمل صالحاً ومتقبلاً! وإذا شاب الحرام الرزق أو أحاطت به شبهات الكسب: فترت الهمة، ووهنت العزيمة؛ ولم يقبل الله تعالى من عبده العادات والطاعات، وردت عليه دعوته؛ واكتنفته النبل مع عزته، والفقر مع غناه، وخسر دنياه وأخره؛ فليحذر المؤمن من الشبهات فى سائر الحالات؛ خاصة فى طعامه وشرايه (انظر آية ٥٨ من سورة الأعراف) (واشكروا لله إن كنتم

اتَّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
الْأَسْبَابُ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَسْمَعُ
مِنْهُمْ كَمَا نَسْمَعُ وَمَا نُبْحِرُ مِنَ النَّارِ ﴿٣١﴾ يَأْتِيهِمُ النَّاسُ كَوَّارًا
عَلِيمٌ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٣٢﴾ يَأْتِيهِمُ النَّاسُ كَوَّارًا
بِمَا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ
لَا تَكْفُرُ لَهُ دَلِيلٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّبْحَةِ وَالْفَحْشَاءِ
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبِعُ مَا نَلْفِقُ عَلَيْهِ عَابَاءُ نَا أَوْلُو
كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ
كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعْوًا وَنِدَاءً
﴿٣٦﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴿٣٧﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا
كَوَّارًا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ

وَمَا

إياه تعبون) فالشكر من لوازم العبادة؛ وغير الشاكر: لا يكون عابداً، ولو ظل طول دهره ساجداً. (انظر آية ١٥٢ من هذه السورة) (إنما حرم عليكم الميتة والدم) المسفوح (ولحم الخنزير) نهانا تعالى عن لحم الخنزير؛ لما فيه من شر وضر؛ فقد ثبت أنه يحمل ميكروبات شتى تسبب أمراضاً يعسر شفاؤها ويعز دواؤها! وهذه الآية من أهم ما حرص عليه الطب الوقائى: فى الميتة ملايين الميكروبات العفنية والرمية، كما أن الدم هو حامل الميكروب إلى سائر الجسم؛ وقد لجأ الطب أخيراً - حينما اكتشف ذلك - إلى تحليل جزء منه فيتضح له كل ما فى الجسم من أمراض؛ وهو فى هذه الحال من أسرع وسائل العدوى، ولحم الخنزير: مياة لكثير من الميكروبات، وهو العائل الأصيل للدودة الشريطية

وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعْنَةُ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
 فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيُسْتَرُونَ بِهِ هُمْ كُنَّا
 قَلِيلًا أَوْلِيَّكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
 اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٧﴾
 أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابُ بِالْمَعْفُورَةِ
 قَدْ أَصْبَرْتُمْ عَلَى النَّارِ ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَزَلَّ الْكِتَابَ
 بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ
 بَعِيدٍ ﴿٣٩﴾ * لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ
 وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
 ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ
 وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ

(وما أهل به لعنة الله) أى ما ذبح للأضنام ، أو ذكر عليه اسم غير اسمه تعالى (فمن اضطر) أى الجأته
 الضرورة إلى أكل شيء من ذلك الحرم ؛ بسبب مجاعة مهلكة أشرف فيها على التلف ؛ فله أن يأكل على
 ألا يتناول منه سوى القدر الذى يحفظ عليه حياته (غير باغ) على أحد؛ كأن يخطف ما يسد رمقه من لسان آخر؛
 ليس له ما يسد رمقه سوى ما اختطفه منه. أو «غير باغ» على جماعة المسلمين وخارج عليهم (ولا عاد) معتد عليهم
 بقطع الطريق ؛ فأجأه ذلك إلى الجوع المهلك للتلف ؛ فليس له أن يستمتع بهذه الرخصة (إن الذين يكتمون
 ما أنزل الله من الكتاب) وهم اليهود والنصارى؛

كتموا نعت محمد عليه الصلاة والسلام ؛ وهو
 موصوف عندهم في التوراة والإنجيل (ويسترون
 به) أى بذلك الكتمان (ثمناً قليلاً) هو ما يأخذه
 أجبارهم ورهبانهم (ولا يزكّيهم) لا يطهرهم .
 والمعنى : لا يغير لهم (أولئك الذين اشتروا
 الضلالة) الكفر والمعصية (بالهدى) بالإيمان
 والطاعة (والعذاب) الذى ينالهم ؛ عقوبة على
 ضلالهم وكفرهم (بالمغفرة) التى تنال المؤمنين
 المهتدين ؛ جزاء لإيمانهم وطاعتهم !

ومن عجب أن ينصرف كثير من الناس
 عن إرضاء مولاهم ؛ إلى الحرص على دنياهم
 وينصرف آخرون إلى إرضاء المخلوقين ،
 وإغضاب رب العالمين ؛ قال الشاعر :
 عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى
 وللمشترى دنياه بالدين ؛ أعجب
 وأعجب من هذين ؛ من باع دينه
 بدنيا سواه ؛ فهو من ذين أخيب

(شقاق) خصام وجدال وخلاف (بعيد)
 كبير (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
 والمغرب) فى الصلاة (ولكن البر من آمن)
 بالله إيماناً حقيقياً (واليوم الآخر) أى وآمن
 بالقيامة وما فيها من بعث وحساب ، ونعيم وعذاب
 (والكتاب) أى وآمن بالكتاب ؛ وهو
 اسم جنس. أى آمن بسائر الكتب المنزلة (وآتى

المال) أعطاه وبذله (على حبه) أى رغم حبه للمال ، وحاجته إليه ، وانفقاره له ؛ لأن مقتضى الحب : الحاجة
 إلى المحبوب ، والتشوق إليه . وقيل : فى سبيل حبه تعالى ، ورغبة فى إرضائه جل شأنه !

والمراد: أن يعطى المال وهو طيب النفس بإعطائه (انظر آية ٣٢ من سورة الزخرف) (وابن السبيل)
 المسافر المنقطع (وفى الرقاب) أى لإعتاق العبيد ، وفك الأسرى . والرق معروف - من أقدم العصور - قبل
 الإسلام ؛ فقد عرف فى مصر الفرعونية ، وفى دولة آشور ، ودول فارس ، والدولة الرومانية والبيزنطية ؛ ولم
 يكن الإسلام مؤسساً للرق وموجداً له - كما يزعم الكثيرون - بل كان داعياً إلى التخلص منه والقضاء عليه ؛
 لما يكتشفه من المباشرة والمفاخرة وإذلال الغير . وحين بزغ فجر الإسلام ، وسطمت =

== أنوار الحرية : سعى الدين إلى رفع التل والعبودية عن الأرقاء ؛ فجعل من العتق قرينة إلى الله تعالى ومنجاة من العذاب ، وكفارة من الإثم افدوا بذلك إلى حرية المجلس الإنساني ، وقدسية الأدمية (انظر آية ٩٢ من سورة النساء) . (البأساء) الفقر (والضراء) المرض (وحين البأس) وقت اشتداد القتال (بأيها الذين آمنوا كتب) فرض (عليكم القصاص) وهو الأخذ بالمثل في العقوبة : كقتل القاتل (الحرب بالحر) فلا يقتل حر بعبد (والعبد بالعبد) ويقتل بالحر أيضاً . (والأنتى بالأنتى) وتقتل بالذکر ، كما يقتل الذکر بها . و « القصاص » : يقتضى المائلة في الدين ؛

الجزء الثاني

٣٢

فلا يقتل مسلم - ولو عبداً - بكافر - ولو كان حراً - (فمن عني لمن أخيه) أي ولي المقتول ؛ بأن ترك المطالبة بالقصاص واكتفى بالدية (فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان) أي حيث إن ولي المقتول عني عن قتل القاتل ، وقيل الديمة منه فليتبع ذلك بالمعروف ، وليؤد إليه الدية بإحسان من غير مظل ولا ضرار (فمن اعتدى بعد ذلك) بأن جاوز هذا الشرط ؛ كأن لم يدفع القاتل الدية كاملة لولي المقتول ، أو أن يقتل ولي المقتول القاتل بعد قبوله الدية (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) إقرأ هذه الآية - أيها المنصف الحكيم - وكرر قراءتها ، وتبين معانيها ومراميتها ، وتفهمها جيداً ، وتأملها ملياً ؛ وانظر إلى بلاغة القرآن وإيجاز القرآن وإعجازه : يقول الله تعالى : إن لكم في الموت حياة . لأن القصاص : هو القتل ولنا في هذا القتل حياة !

ولو لم يكن القصاص : لما بقي على ظهرها إنسان : إن النفوس التي جبلت على الشر ، وروضت عليه لو علمت أنه لا يوجد حاكم يحكمها ، ولا رادع يردعها ، ولا ولي يأخذ لضعيفها من قوتها ، ولفقيرها من غنيها ؛ لقتل الأشرار الأخيار ، وأكل الناس بعضهم بعضاً ! وقد صدق الله : فإن لنا في القصاص حياة وأى

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّالِحِينَ فِي الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُتِيَ لَمْ مِنْ أَخِيهِ فَمَنْ فَاتَبَعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّاهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكَ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حِكْمَةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٩٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلَّذِينَ وَالِ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٩٦﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوَسٍ جَنْفًا أَوْ لَمَسًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾

يأتيها

حياة ! (كتب عليكم) فرض عليكم (إذا حضر أحدكم الموت) أي حضرت أسبابه ، وأحسن المريض بدونه أو أهله ولم يبق له سوى صالح عمله (إن ترك خيراً) أي مالا كثيراً . (الوصية للوالدين والأقربين) الذين لا يرثونه (بالمعروف) الذي أذن فيه الله تعالى وأجازته في الوصية ؛ مما لم يجاوز الثلث ، ولم يتعمد فيه ظلم ورثته . وقيل : إن هذه الآية نسخت بآية الموارث في سورة النساء (فمن بدله) أي غير الإيصاء - من الورثة ، أو الشهود - عن وجهه الذي أراده للموصي (فإثمه) لأن هذا التبديل (على الذين يبدلونه) لا على الموصي ؛ الذي أبرأ ذمته ، وأرضى ربه ! (فمن خاف من مؤس جناً) جوراً وميلاً عن الحق (أو لأمساً) بالأوصى لوالديه ؛ بنفساً لهما ، أو لا يوصى للأقربين ؛ مع فقرهم وحاجتهم ، أو يوصى بأكثر مما أجازته الله تعالى =

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
 الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٠١﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ
 فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
 وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ
 خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿٢٠٢﴾ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
 لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن مَّشَى مِنْكُمْ
 الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
 أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمَلُوا
 الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمُوهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٠٣﴾
 وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
 إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿٢٠٤﴾
 أَحِلٌّ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرِّقْتُ إِن كَانَ نَسَاءُ بَعْضِكُمْ مِّنَ لَّيَالِ

في الوصية ؛ متمدداً لحق الضرر بالورثة (فأصلح بينهم) بين الوصي وورثته ، أو بينه وبين من تجب عليه
 الوصية لهم (يا أيها الذين آمنوا كتب) فرض (عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) فقد كان الصوم مفروضاً
 على من تقدمنا من الأمم (لعلكم) بسبب هذا الصيام (تتقون) الله تعالى ، وتحشون غضبه ، وتعملون بأوامره ؛
 ومن هذا يعلم أن الصيام يعث على الإيمان الصادق ، ويرقق القلب ، ويصني النفس ، ويعين على خشية الله تعالى ؛
 ولذا استعان به الأنبياء في تحقيق مآربهم ، والأولياء في تهذيب نفوسهم ، والخاصة في شفاء قلوبهم ، والعامه
 في شفاء جسامهم ! (أياماً معدودات) أي قلائل
 (وعلى الذين يطيقونه) يتحملونه بمجهود ومشقة ؛

وهو رخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده (أنظر
 آية ٢٢٦ من هذه السورة) (فمن تطوع خيراً)
 زاد في الإطعام ، أو زاد في الصيام ؛ تطوعاً منه
 فوق ما فرض عليه من الإطعام والصيام (فهو
 خير له) وفي هذا ما فيه من الحث على الإطعام ،
 والترغيب في الصيام . ومنه يعلم ما في الصيام من
 فوائد جمة لا تدرجها العقول ؛ فإنه فضلا عن كونه
 مريضات للرب ، ومطهرة للنفس ؛ فقد ثبت أنه
 علاج ناجح لكثير من الأمراض المستعصية ؛
 وقد يكون العلاج الوحيد لضغط الدم ، وقد أجمع
 الأطباء على فائده الكبيرة لمرضى السكر ؛ يدل
 على ما تقدم قوله تعالى (وأن تصوموا) حال
 المرض والسفر (خير لكم إن كنتم تعلمون)
 ما فيه مصالحكم (وبيئات من الهدى) آيات
 الكتاب الكريم (والفرقان) الذي يفرق بين
 الحق والباطل (فمن شهد منكم الشهر) أي
 حضره ؛ ولم يكن مسافراً ، ولا مريضاً
 (فليصمه) وليس معنى الشهود : الرؤية
 والمشاهدة (ولتكملوا العدة) أي عدة الشهر ؛
 ليتساوى صائم الشهر كاملاً ، مع من قضى مافاته
 لعذر (وإذا سألك عبادي عني) أين ربنا ؟
 وهل يسمع لدعائنا ، ويستجيب لندائنا ؟
 (فاني قريب) منهم ؛ أسمع نوحهم وشكواهم ،

و (أجب دعوة الداع إذا دعان) ورب قائل يقول : لاني أسأله في كل يوم فلا يعطيني ، وأنادي به في كل ساعة
 فلا يجيبني . والجواب على هذا القائل : إنك أيها السائل لم تسأل ربك بل امتحنته ، ولم تتاده بل سخرت منه ؛
 ولو أنك ناديته بحق لأجابك ، وسألته بصدق لاستجاب لك !

إن من شرائط السؤال - أيها المتحن لربه ، الساخر بقدرته - أن تتيقن بإجابته تيقنك بوجودك ، وأن
 تثق بما عنده وثوقك بنفسك : تسأل صديقك - الدليل المحقير الضعيف الفقير - أن يعطيك شيئاً ؛ وأنت على
 تمام الوثوق ، ومزيد اليقين بإجابة سؤالك ، وتدعور ربك - المعطى المانع ، الضار النافع - أن يهبك أحقر
 الأشياء ؛ وأنت من الإجابة آيس ، ومن عطائه فائظ ! فما الذي ترجوه بعد هذا الكفران ! ؟ تؤمن =

== يصدقك أكثر ماتؤمن بربك ، وترجو إجابة سؤالك ودعائك ؛ هيئات هيئات أن يجاب لك ؛ قبل أن تحسن ظنك به ، وثنى بما عنده ، وابعده كأنك تراه ، وتحشاه كأنه يراك ! (أنظر آية ٦٠ من سورة غافر) (فليستجيبوا لي) إذا دعوتهم لما يصلحهم وينجيهم ؛ لأجيبهم فيما يطلبونه مني !

ومن هذا يعلم أن الإيمان والعمل الصالح : شرط في قبول الدعاء (لعلمهم يرشدون) يصيبون الرشد والسداد ، ويوفقون لما يجعلهم مجاب الدعاء ، عظيمي الرجاء ! (أحل لكم ليلة الصيام) أى كل ليلة صيام ؛ لا الليلة الأولى من رمضان ؛ كما توهمه بعض العامة (الرفث) الجماع (هن للناس لكم وأتم لباس هن) أى كلاً كما ستره للآخر عن الحرام ، أو شبهتها تعالى باللباس : لاغتنامها ، واشتمال كل واحد منهما على صاحبه ، أو هو بيان لسبب الإحلال : فان الذى بينكم وبينهن مثل هذه المحالطة والملابسة : قل صبركم عنهن ، وصعب عليكم اجتنابهن ؛ فلذا رخص لكم في مباشرتهن (مخائفون) أن تخونون (أقسم) وتظلمونها بالجماع ، أو تقصونها حظها من الثواب (فتاب عليكم) غفر ما سلف منكم (وعفا عنكم) بإحلال ما كان محظوراً عليكم (فالآن) بعد الإحلال (باشروهن) جامعوهن (الحيط الأبيض) الفجر (من الحيط الأسود) الليل (ولا تباشروهن) لا تجامعوهن (وأتم عاكفون) مقببون ومتكفون (في المساجد) للتعبد والصلاة (وتدلوا) تلقوا (بها) بالأموال (إلى الحكام) على سبيل الرشوة .

وهذا مشاهد ؛ يفعله بعض ضغاق النفوس عديمو الضمائر: فيرشون أمثالهم - بمن لاخلاق لهم - ليقطعوا بذلك مال إخوانهم (بالإم) بالباطل والظلم ! فليحذر هذا وليتجنبه من يؤمن بالله وتحشاه ، وليخف يوماً إذا طوب فيه بالوفاء : عجز عن الأداء (وأتوا البيوت من أبوابها) هو كناية عن وجوب مباشرة الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها .

وقيل : كانوا يأتون بيوتهم - في الإحرام - من قب يقبونه في ظهرها ؛ زاعمين أن ذلك من البر (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) أى قاتلوا الذين يبدؤونكم بالقتال ، أو قاتلوا الرجال الذين يقاتلونكم نجس ؛ ولا يقاتلوا الشيوخ والنساء والصبيان (ولا تعتدوا) بالابتداء بالقتال ، أو بقتال الذين لم يقاتلوك

وقيل : كانوا يأتون بيوتهم - في الإحرام - من قب يقبونه في ظهرها ؛ زاعمين أن ذلك من البر (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) أى قاتلوا الذين يبدؤونكم بالقتال ، أو قاتلوا الرجال الذين يقاتلونكم نجس ؛ ولا يقاتلوا الشيوخ والنساء والصبيان (ولا تعتدوا) بالابتداء بالقتال ، أو بقتال الذين لم يقاتلوك

لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَّاسٌ لَنْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَابِئْسَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ الَّذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ وَأَبْغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسْبَغَ لَكُمْ أَنْحِيطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَمْرًا الصَّيَامِ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبْشِرُوا مَنَ عَقَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ بِذَلِكَ حُدُودِ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبِطْلِ وَقْتُلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيضًا مِمَّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْتِي لِلنَّاسِ وَالْحَيُّ لِيَسْأَلُواكَ بِيَانٍ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنَ الْإِثْمِ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَقْرَبُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا

(واقتلوهم حيث تقتلهم) حيث وجدتموهم (وأخرجوهم) والمراد بذلك المشركين (من حيث أخرجوكم) أى من مكة ؛ لأنهم أخرجوا المسلمين منها (والفتنة أشد من القتل) «الفتنة»: عذاب القيامة ، أو الإخراج من مكة ، أو الشرك (فان انتهوا) عن الشرك (فان الله غفور) لهم ما تقدم من كفرهم (رحيم) بهم ؛

فلا يعذبهم بما فعلوه حال كفرهم . والإيمان

يجب ما قبله (واقتلوهم حتى لا تكون فتنة)

لا يكون شرك ، ولا يكون إبداء (فان

انتهوا) عن الشرك والقتال (فلا عدوان)

أى لا يصح القتال والاعتداء (إلا على الظالمين)

الكافرين ؛ وقد انتهوا عن القتال وأسلموا

(الشهر الحرام) فى الحرمه والتفديس والأمن

وعدم القتال (بالشهر الحرام) أى مقابله .

والأشهر الحرم : ذو القعدة ، وذو الحجة ،

ومحرم ، ورجب . فاذا قاتلك المشركون فى

شهر منها ؛ فلا تضعوا أيديكم على صدوركم ،

وتخرجوا من قتالهم فى مثاها وتقولوا : لا قتال

فى الأشهر الحرم ؛ فقد حرم الله تعالى فيها

القتال والاعتداء . بل قاتلوهم فيها كما قاتلوكم

(والحرمات قصاص) فكما انتهكوا حرمة

الأشهر الحرم ؛ جاز لكم أن تقتصوا بمثاها .

يؤكدده قوله تعالى (فمن اعتدى عليكم

فى الأشهر الحرم (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى

عليكم) فيها . وليس معنى ذلك : أن من يقتل

ولدى أقتل ولده ، ومن يسم بهيمة يسمى

بهيمة ؛ إذ ما ذنب الولد حتى يعاقب بما جناه أبوه

وما ذنب البهيمة حتى تعاقب بما جناه صاحبها ؟

بل يجب أن تقع المماثلة فى العقاب على نفس المجرم

جزاء ما جنت يدها (ولا تلقوا بأيديكم إلى

التهلكة) بعدم الإنفاق فى سبيل الله تعالى ،

والاستعداد للجهاد ؛ فىقوى عدوكم ، وتضعل قوتكم ! وفى هذا ما فيه من الدال المؤيد ، والهلاك المحقق .

وقيل : «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» بأن تعرضوها للصوت المحتم ، أو باساق سائر مالك فتعرضون أنفسكم

وعيالكم للفقر والنف والضياع (وأحسنوا) الظن بالله تعالى فى النصر والإخلاف أو أحسنوا أعمالكم ونياتكم

(فان أحصرتم) أى حوصرتهم من الأعداء ، ومنعتهم من الحج (فما استيسر من الهدى) ما تيسر منه .

و«الهدى» الإبل المهداة للحرم

إِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ الْمُعْتَدِينَ ﴿١١٦﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ

وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ

وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقُولُوكُمْ فِيهِ

فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١١٧﴾

فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٨﴾ وَفَاتِلُوهُمْ حَتَّى

لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ

إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١١٩﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ

وَالْحَرَمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعتدى عَلَيْكُمْ فاعْتَدُوا عَلَيْهِ

بِمِثْلِ مَا اعتدى عَلَيْكُمْ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ

الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٠﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ

إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾

وَأَمَّا الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ

الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ

وَالْهَدْيُ الْإِبِلُ الْمَهْدَاةُ لِلْحَرَمِ

(فمن كان منكم مريضاً) مرضاً يضطره إلى ترك شيء من المناسك (أو به أدى من رأسه) كثير ، أو قل ، أو نحوهما ؛ مما يلجئه إلى حلق رأسه وهو محرم (فقدية من صيام) يصوم ثلاثة أيام (أو صدقة) يتصدق بها ؛ وهي ثلاثة أصع . والصاع : أربعة أمداد . والمد : ملء كف الرجل المعتدل (أونسك) ذرع شاة .

المسألة الثاني

٣٦

عن هادى الأمة صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ أنه قال لكعب بن عميرة : «لعلك أذاك هوامك ؟» قال : نعم يا رسول الله . قال : «أحلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة مساكين ، أو انسك شاة» والفرق : ثلاثة أصع (فاذا أمتم) الإحصار وكتبم في حال سعة وأمن (فمن تمتع) حل من إحرامه ، واستباح ما كان محظوراً عليه (بالعمرة) وفاته الحج بسبب إحصاره .

والعمرة : زيارة البيت الحرام ؛ مع الطواف والسعي بالإحرام (إلى) وقت (الحج) فاستيسر من الهدى) أى فإياه دم بسبب تمتعه بمحظورات الإحرام (إذا رجعت) أى من الحج (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) أى لم يكن من مستوطنى مكة (فلا رفت) الرفت : الجماع ، أو الفحش فى القول (ولافسوق) الفسوق : الفجور ، والستر ك لأمر الله تعالى (ولا جدال فى الحج) أى لا مجادلة ، ولاخاصة أثناء الحج . وذلك لأن الحج عبادة روحية تستدعى الصفاء وقرغ النفس لعبادة ربها وحده ، والبعد عن مواطن الخطأ والزلل (وتزودوا) لآخرتكم ؛ بالعبادة والعمل الصالح والإخلاص (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) أى لا حرج عليكم إن ابتغيت

قَمَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِمَّنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ قَمَن لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ قَمَن قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا بِكُلِّ آيَةٍ الْآلِيبِ ﴿٣٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْعَشْرِ الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿٣٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَقَاضَ النَّاسُ

وَاسْتَقْرَبُوا

مع الحج - التجارة والتكسب (فاذا أقضتم) رجعت (من عرفات) جبل معروف بمكة (المسعر الحرام) جبل يقف عليه الإمام ، واسمه «الفرح» (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أى ارجعوا من حيث رجعوا ؛ وهو أمر لفريش خاصة ؛ وقد كانوا يقفون بالزدلفة (١) ترفعاً عن الوقوف مع باقى المؤمنين بعرفة

(١) الزدلفة : موضع بين عرفات ومنى ؛ سمي بذلك : لأنه يتقرب فيه إلى الله تعالى . وهو من الازدلاف ؛ وهو التقرب . وقيل : سميت بذلك لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضة ، أو لجمي الناس إليها فى زلف من الليل .

وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٧﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ
 مِنْكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا
 فَمَنْ نَسِيَ مِنْ النَّاسِ مِنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الذَّنْبِ وَمَا لَنَا
 فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٣٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا
 فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَيْنَاكَ الْبُرْجَانَ
 أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
 * وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْهِ
 فَلَا أَتَمَّ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأْتَرَ فَلَا أَتَمَّ عَلَيْهِ لِمَنِ أَتَىٰ وَأَتَمَّ
 اللَّهُ وَاعْلَمُوا أَنَّكَ إِلَهِهِ تَحْتَمِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ
 مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيْزَةِ الذَّنْبِ وَيَشْهَدُ أَنَّ عَلَىٰ
 مَا فِي قَلْبِهِ ، وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ ﴿٤١﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ
 فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ
 لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ

(فاذا قضيتكم مناسككم) أديتم عباداتكم المتعلقة بالحج (فاذكروا الله) بالتكبير والثناء عليه (كذكركم
 آباءكم) وقد كان من دأبهم المخاطرة بالآباء (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا) أى يجعل كل همه نيل
 ما يتمنى من دنياه (وماله في الآخرة من خلاق) أى ليس له فيها من نصيب ؛ لانصرافه عن
 تحصيلها ، وانشغاله بالفانية عن الباقية ؛ فكان
 جزاؤه الحرمان من طيبات الدنيا ، وحسن
 ثواب الآخرة (ومنتهم من يقول ربنا آتنا
 في الدنيا حسنة) أى رزقاً واسعاً ، وعبثاً
 رغداً (وفي الآخرة حسنة) ثواباً ومغفرة ،
 وحنة عرضها كعرض السموات والأرض ؛
 فكان حقاً على الله أن ينيله ما يتمناه فضلاً
 من لذه ونعمة ! وقيل : إن حسنة الدنيا :
 المرأة الصالحة (أولئك لهم نصيب مما كسبوا)
 أى ثواب ما عملوا .

(واذكروا الله في أيام معدودات) هى
 أيام التشريق ؛ وذكر الله فيها : التكبير
 عقب الصلوات (إليه تحتمرون) تجمعون يوم
 القيامة ؛ فيجازيكم على ما عملتم (ومن الناس
 من يعجبك قوله) المزخرف ، وشفاه المستر
 (في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه)
 لك ؛ من ودوح (وهو ألد الخصام) شديد
 العداوة والمخومة أو «يعجبك قوله» في الدين
 واليقين «ويشهد الله على ما في قلبه» من إيمان
 وإحسان «وهو ألد الخصام» للدين والله
 ولسوله (وإذا تولى) انصرف من عندك ؛
 ظهر على حقيقته ، وبان على طبيعته ، و(سعى
 في الأرض ليفسد فيها) بكفره وشفاهه وإذاعته الإلحاد بين الناس (ويهلك الحرث والنسل) هو مبالغة
 في الإفساد ؛ كقولهم أهلك الزرع والضرع (وإذا قيل له اتق الله) ولا تفعل ما يفضبه (أخذته العزة) حملته
 الأفة والحمية ؛ على العمل (بالإيم) الذى أمر باتقائه والبعد عنه

(غسبه) كفيه (جهنم) التي سيصلاها عقوبة له (ولبس المهاد) الفراش (من يشرى نفسه) أي يبيعه (في السلم) الإسلام؛ أو هو الاستسلام؛ وهو الصلح. أي اجنبتوا الفضاء والشحناء (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) لأنه يدعوكم إلى التفرقة والشقاق (فان زلتم) وقتم في الزلّة (البيئات) المعجزات الظاهرات،

والآيات الواضحات (هل ينظرون) ما ينظرون (إلا أن يأتيهم الله) أي بعذابه؛ كقوله تعالى: «أو يأتي أمر ربك» أي بالعذاب (في ظلال) جمع ظلة؛ وهو ما أظلك (من الغمام) السحاب المتكاثف (وقضى الأمر) قامت القيامة، أو وجب العذاب (سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة) معجزة ظاهرة واضحة (ومن يبذل نعمة الله) أي آياته؛ التي أنعم بها على عباده لهدايتهم، وإنجائهم من الضلال؛ لأنها من أجل النعم! وتبديلها: أنها سبقت لتكون سبباً للهداية، فيجعلونها سبباً للفتوة (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) أي حبت إليهم، وزينها الشيطان لهم، وعجلنا لهم طيباتهم فيها. قال تعالى: «عجلنا لهم طيباتهم في الحياة الدنيا» (ويسخرون) في الدنيا (من الذين آمنوا) لأنهم لا يعاؤون بالدنيا ولا بأهلها؛ وكل همهم الحرص على رضا ربهم جل شأنه! (والذين اتقوا) ربهم وخافوه، وعملوا بأوامره، واجتنبوا نواهيه، وصدقوا برسوله، وآمنوا بالنور الذي أنزل معه؛ فهؤلاء (فوقهم) أي فوق الكافرين؛ الذين بدلوا نعمة الله كفوفاً وأحلوا قومهم دار البوار! فالمتقين في الجنة، والكافرين في النار! (والله يرزق من يشاء) من المؤمنين والكافرين (بغير حساب) أي بغير سبب؛ فقد يرزق

الجزء الثاني

٣٨

بِالْإِيمَانِ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمَهَادُ ﴿٣٨﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكَرِهُمُ عَلِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤١﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْمَلَائِكَةُ وَفِي الْأَمْرِ وَالْمَلِكَةِ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَرْتَدَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَلَىٰ سُنُوبِهِمُ اللَّهُ نَارًا تَلْقَوْنَ فِيهَا وَلَا يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٢﴾ كَانُوا نَاسًا أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

وَأَنْزَلَ

البليد، ويمنع النشيط، ويعطى العاصي، ويمنع الطائع؛ ما أَرَادَهُ كَانَ، وما لم يرده لم يكن! (كان الناس أمة واحدة) على دين واحد؛ هو دين الفطرة؛ أو كانوا كفاراً لا يعلمون حالهم ولا ما لهم (انظر آية ١٩ من سورة يونس) (بعث الله النبيين) إليهم (مبشرين) من أطاع بالجنة (ومنذرين) من عصى بالنار!

(وأُنزل معهم الكتاب) الذين يؤدبهم (بالحق) الذي يأمرون به ، ويسرون عليه . و « الكتاب » اسم جنس : يقع على سائر الكتب المنزلة ؛ كالنوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن (وما اختلف فيه)

أى فى الكتاب المنزل مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (إلا الذين أوتوه) أى لإلا الذين أنزل عليهم الكتاب ؛ أنزله الله تعالى مزبلاً

للاختلاف ، فجعله سبباً للخلاف (نبياً بينهم) أى حسداً وظلماً : كيف ينزل الكتاب على رجل غيرهم ؟ وكل واحد منهم يرى أنه أحق

بنزوله عليه ، وأجدر من نزل عليه « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين

عظيم » و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (صراط) طريق (خلوا) مضوا (مستهم

البأساء) الفقر والحاجة (والضراء) المرض (وزلوا) أزعجوا لزعاجاً شديداً (يسألونك

ماذا ينفقون) ما الذى يتصدقون به ؟ (قل ما أفقتم من خير) مال ؛ أو هو كل ماينفق : من مال ، أو غذاء ، أو كساء ، أو دواء .

وسمى تعالى ماينفق : خيراً ؛ لأنه سبب فى كل خير فى الدنيا والآخرة ؛ وناهيك بقول العظيم

الكريم (وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) يجزى عليه أحسن الجزاء (كتب) فرض (عليكم القتال) الجهاد فى سبيل الله (وهو

كره) مكروه (لكم) لما فيه من مشقة ، وبعد عن الأهل والولد ؛ ولأنه فى ظاهره

تعرض للتلف والفناء ، مع أنه أساس الحياة وسر البقاء ! (وعسى أن تكرهوا شيئاً

كالقتال (وهو خير لكم) فى الدنيا ؛ بتخليص البلاد ، ونجاة العباد ، ورفع كلمة الله تعالى ! وفى الآخرة بنعيم الجنان ، ورضا الرحمن (وعسى أن تحبوا شيئاً

كالتمرد مع الأهل والولد (وهو شر لكم) فى الدنيا ؛ بالذل والاستعباد ، وفقدان الكرامة ! وفى الآخرة بالجحيم والعذاب الأليم ! (والله يعلم) ما فيه الخير لكم (وأنتم لا تعلمون) فاتبوا أوامره ، وابتقوا ما فرضه

عليكم ؛ ففيه نجاتكم وسعادتكم !

وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيهِ اِلَّا الَّذِينَ اوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعِيًّا يَبْغِيهِمْ فَهَدَىٰ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِاِذْنِ اللهِ وَاللَّهُ يَهْدِىٰ مَنْ يَشَاءُ اِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣٥﴾ اَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِيْنَ اَلْبَاسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَرَزِلُوْا حَتّٰى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَعَهُ مَتّٰى نَصَرَ اللهُ الْاِلٰهَ اِنْ نَصَرَ اللهُ قَرِيْبٌ ﴿١٣٦﴾ يَسْئَلُوْنَكَ مَاذَا يَنْفِقُوْنَ قُلْ مَا اَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلّٰهِ الدِّيْنَ وَالْاٰقِرْبِيْنَ وَالْيَتٰمٰىنَ وَالْمَسْكِيْنَ وَاٰتِىَ السَّبِيْلِ وَمَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللهَ بِهٖ عَلِيْمٌ ﴿١٣٧﴾ كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسٰى اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسٰى اَنْ تُحِبُّوْا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿١٣٨﴾

البلاد ، ونجاة العباد ، ورفع كلمة الله تعالى ! وفى الآخرة بنعيم الجنان ، ورضا الرحمن (وعسى أن تحبوا شيئاً كالتمرد مع الأهل والولد (وهو شر لكم) فى الدنيا ؛ بالذل والاستعباد ، وفقدان الكرامة ! وفى الآخرة بالجحيم والعذاب الأليم ! (والله يعلم) ما فيه الخير لكم (وأنتم لا تعلمون) فاتبوا أوامره ، وابتقوا ما فرضه عليكم ؛ ففيه نجاتكم وسعادتكم !

(يسألونك عن الشهر الحرام) الأشهر الحرم هي: ذوالقعدة، وذوالحجة، والمحرم، ورجب (قتال فيه) أى هل يجوز القتال فيه؟ (قل قتال فيه كبير) من المشركين لكم (وصد عن سبيل الله) منع عن دينه (و) صد أيضاً عن (المسجد الحرام وإخراج أهله) المؤمنين (منه) وجميع ذلك (أكبر عند الله) لأنما وأعظم جرماً؟

المسرة الثاني

٤٠

من القتال في الأشهر الحرم . فكيف تسألون عن جواز القتال في الأشهر الحرم؟ قال تعالى: «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص» (والفتنة) أى الكفر، أو الإخراج من مكة، أو العذاب يوم القيامة (أكبر من القتل) وأنكى وأشد (حطت أعمالهم) أى بطلت أعمالهم الحسنه التي عملوها؛ لأن الكفر يحبط لسائر الأعمال (يسألونك عن الحمر) ماحكمها؟ (انظر آية ٩٠ من سورة المائدة) (والميسر) القمار (قل فيها لأم كبير) وأى لأم! لقد أكرمك الله تعالى أيها الإنسان بالعقل النير؛ فكيف تطفئه بالحمر؟! ووهبك الحيز الكثير؛ فكيف تتلفه بالقمار؟ وهب أنك كاسب فيه غير خاسر؛ فبم تستحل لنفسك ماليس لك بحق، وما هو محرم عليك، وشؤم على عيالك؟! ويدخل في عموم الميسر: ما يسمونه باليانصيب، وكذلك سائر المراهات، وسباق الخيل؛ وكل كسب أو خسارة بغير سبب معقول، ووجه مشروع: فهي لأم! (و) في الحمر والميسر؛ مع ما فيها من أسقام وآثام (منافع) في الظاهر (للناس) ألا يربحون في تجارة الحمر، ويكسبون في لعب الميسر؟! وهو ربح محقوت؛ الحسارة منه أكسب! وكسب حرام؛ الإفلاس منه أربح! وهي منافع حقيرة زائلة؛

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ
وَصَدْعٌ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجُ
أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ
وَلَا يَرَاؤُنَ بِقِتَالِنَا حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِن
اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٍ وَهُوَ كَافِرٌ
فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ
أُتْحِبُوا النَّارَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ
النَّخْلِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا لَئِمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ
وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ
أَعْقِرُوا كَذَٰلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٩٢﴾
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتِيمِ قُلْ إِصْلَاحٌ

لهم

بجانب ما يترتب عليها من الآلام والآثام! فقد أثبت الطب - قديمه وحديثه - ان الإدمان على الحمر: يسبب تلفاً بالكبد، ويحول خلاياه الحية إلى ألياف ميتة؛ كما تؤدي إلى تصاب الشرايين، وإلى نزف المخ، وإلى إفساد الجهاز العصبي، وضعف المدارك الحسية! (ويسألونك ماذا ينفقون) أى أى شئ ينفقونه؟ (قل الغفر) أى الزائد عن قفتكم وحاجاتكم. أو خير ما تنفقونه: «الغفر» عند القدرة «ألا تحبون ان يفر الله لكم»

(وإن تخالطوهم) في المعيشة (والله يعلم الفساد) منكم في هذه الخاطلة (من المصلح) الذي أراد بها تديير أموال اليتامى ، وإصلاح أمورهم (ولو شاء الله لأعتكم) لأخرجكم وضيق عليكم (ولا تنكحوا المشركات) أى لا تزوجوهن . والمشركة : التى تدعو مع الله لها آخر ؛ وهى غير الكتابية : اليهودية أو النصرانية . (ولا تنكحوا المشركين) أى لا تزوجوهم بناتكم (حتى يؤمنوا) وقد ذهب جماعة - منهم حبر الأمة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما - إلى أن لفظ المشركات والمشركين ؛ يعم اليهود والنصارى لقوله تعالى :

سورة البقرة

٤١

لَمْ يَخَيْرَ وَإِن تَخَالَطُوهُمْ فَإخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ
 مِنَ الْمَصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ۝ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُ ۖ وَأَمَةٌ
 مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا
 الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۖ وَلَعَبَدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ
 وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى
 الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ
 فَاغْتَرَلُوا إِنْسَاءً فِي الْمَيْمِضِ وَلَا يَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ
 فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُتَّوْبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۝ نِسَاءٌ أُزُورَتْ لِحُرِّ لَحْرٍ
 فَأَتُوا حُرَّتَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ
 وَعَابَرُوا أَنكُمْ مَلْفُوهٌ وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ

«وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله» فهم مشركون أيضاً ؛ لأن إلههم الذى يعبدونه يلد ؛ وإلهنا تعالى «لم يلد ولم يولد» ويعارض هذا الرأى : قوله تعالى «والمحضات من الذين أتوا الكتاب» وقد قصد بهم اليهود والنصارى الذين قالوا : عزيز ابن الله ، والمسيح ابن الله . وعلى ذلك يكون المراد بالمشركين : عبدة الأصنام والنار والكواكب ، ومن شاكلهم ؛ ممن لا يؤمنون بوجود إله أصلاً ! (أولئك) المشركون والمشركات (يدعون إلى النار) أى إلى الكفر المؤدى إلى النار ؛ فلا تفلتوا منا كتمهم (والله يدعو إلى الجنة والمغفرة) بما يدعو إليه من أعمال صالحات ؛ موصلة إليهما ، موجبة لها (بإذنه) بأمره وإرادته (ويسألونك عن المحيض) أى عن شأن الزوجة فمدة الحيض ، وما ينبغى على الزوج حيالها وقت نزول دم الحيض ؟ (قل هو أذى) مستقذر مبغوض (فاعتزلوا النساء في المحيض ولا يقربوهن) أى لا تتجمعوهن ؛ لأن الأصل في الجماع : إنتاج الولد ؛ وهن في هذه الحال غير مؤهلات للحمل . وقد جعل الله التلذذ عند التقاء الرجل بالمرأة : حرصاً على بقاء الجنس ، واستيفاء حاجة الكون من بنى آدم وغيره من الأحياء ؛ والمرأة الحائض تستقذر عادة ؛ فإذا حاول

الرجل لإتيانها - وهى على هذه الحال - ربما أفضها استقذاراً لها ؛ فهنا الحكيم العليم بعدم قربانها في المحيض (حتى يطهرن) أى حتى ينقطع الدم ، ويمتنع الأذى ؛ ويفتسلن ؛ فيصرن نظيفات طاهرات مؤهلات لما أعدهن الله تعالى له . وقد أثبت الطب تحقق الضرر من التقاء الرجل بالمرأة وقت حيضها (فإذا تطهرن فأتوهن) جامعوهن (من حيث أمركم الله) في الفرج ؛ لاقى مكان آخر يكرهونه ويفض الله تعالى (سأؤم حرث لكم) شبههن الله تعالى بالحرث ؛ لما يلقى في أرحامهن وينتجن من الولد (أنى شئتم) أى بأى طريقة أردتم ؛ في المكان المعلوم : موضع الحرث ، لاموضع الفرت . وزعم بعض الفساق : أن الله تعالى أباح لإتيان المرأة في دبرها ؛ مستدلاً بقوله تعالى «أنى شئتم» أى في أى موضع أردتم . والمعلوم أن معنى «أنى» لغة : =

كيف . فلا تعطى المعنى الفاسد الذى ذهبوا إليه ! ومن المعلوم أيضاً أن الله تعالى أنزل هذا القرآن على مخلوقات تسمع وتمقل وتعى ؛ فاذا ما كان هناك أمر تعاف إتيانه أخط الحيوانات ؛ فكيف يتوهم حصوله من أفضل المخلوقات ! ولم نسمع أن حماراً أتى أتاناً فى دبرها ؛ فكيف نصدق أن إنساناً يستسبح أن يكره امرأته على إتيانها فى غير ما أمر الله تعالى به ؟! فليتق الله من يؤمن بالله ، ولا يدع شيطانه ينزل به إلى درك لم تنزل إليه البهائم التى لاتمقل ! وإن الإنسان ليرى العذرة فى الطريق فيستقدر أن يمشى بقربها ؛ فكيف يذهب بارادته ويندس فى مكانها ووعائها ! أف لمن فعل ذلك ، أو يحاوله ؛ وله الويل يوم يسأل عنه ويأقاب عليه !

الحيزه الثاني

٤٢

(ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) أى لا تجعلوه تعال معرضاً لأيمانكم ؛ فتحلفون به فى كل وقت وحين ، وفى كل مناسبة ، وتعرضوا اسمه الكريم للابتذال بكثرة الحلف به . وقد ذم الله تعالى كثير الحلف بقوله «ولا تطع كل حلاف مهين» أو المعنى : ولا تجعلوا الله مانعاً وحاجزاً دون الخير ؛ كمن يحلف على قطيعة رحم ، أو عدم الإصلاح بين متخاصمين ، أو عدم التصديق ؛ أو ماشا كل ذلك . قال الصادق المصدوق صلوات الله تعالى وسلامه عليه : «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها ؛ فليكفر عن يمينه» (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) وهى الأمور المحلوف عليها : أداء أو تركا . ويجوز أن يكون المعنى : «ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم» إلا أن كان ذلك بسبب البر والتقوى والإصلاح بين الناس ؛ فحينئذ يجوز لكم أن تحلفوا بقصد إقتناع البعض وإرضائه عن الآخر؛ كمن يحلف للزوجة المغاضبة : أن زوجها يقول عنها : إنها خير امرأة . وكمن يحلف للأخ الخاصم : أن أخاه يدعو له بالهداية والخير

عَرَضَةَ لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ الَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَبْرُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٤﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٥﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلَتِهِنَّ أَحْسَنَ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٦﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَاءٍ آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ

فإن

ويتطلب رضا. وقد يكون الواقع عكس المحلوف به (لا يؤاخذكم الله) لا يعاقبكم (بالغو في أيمانكم) وهو ملا يعقد عليه القلب ؛ كقول الإنسان : لا والله ، وبلى والله (يؤلون) يقسمون . وبها قرأ ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (تبرص) التبرص : الانتظار (فاءوا) رجعوا (ثلاثة قروء) ثلاثة حيضات (وبعولتهن) أزواجهن (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) لقد كانت النساء قبل الإسلام مستعبدات ، مملوكات ، مهانات ؛ وكان الرجل يرى أن وجود المرأة مرة ؛ ويماملها معاملة العبيد - بل أسوأ من معاملة العبيد - وكانت المرأة توهب وتورث كسائر المجمادات والحيوانات ؛ ويزوجها ولها لمن لا تريد ولا ترغب رغم أنها ؛ شأن جملة هذا العصر : الذين يضحون ببنتاهم على مذابح الأطماع الدنيئة ؛ ابتغاء العرض الزائل . وكان الرجل =

في الجاهلية إذا مات عن زوجة : جاء ابنه - من غيرها - أو جاء أحد ورثته ؛ فألني ثوبه عليها وقال : ورثت امرأته كما ورثت ماله . وتصير في حوزته ، ويصير أحق بها من كل الناس - حتى من أهلها وأبويها - فإن شاء تزوجها من غير صداق ، وإن شاء زوجها وأخذ صداقها لنفسه . قلنا أشرفت شمس الإسلام وبرز قر السلام : خلصهن من هذا الاستعباد وأقذهن من الدل والاسترقاق ، وأوجب لهن على الرجال - مثل ما يجب للرجال عليهن - من حسن العشرة ، وترك المضارة ، والحب ، والإخلاص ، والمودة ، والرحمة ! وغير ذلك من الحقوق التي تعرف بالبديهة ، ويحس بها كل ذى عقل وقلب ! وأمر ألا تزوج إلا باذنها ، وبمن ترخصه لنفسها . ولا حجة لمن قال بعكس ذلك من الفقهاء ؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا تنكح الأيم (١) حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ؛ واذنها صاتها » وقد رد الرسول الكريم ؛ صلوات الله تعالى وتسليماته عليه : تزويج الأب ابنته بغير اذنها ! وقد حثنا الدين الحنيف على التلطف بهن والعناية بأمرهن !

وقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : انى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى . وأنى عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه بامرأة تصر على فراق زوجها ؛ فنظر إلى الزوج فوجده أشعث غير نظيف الثياب ؛ فقال : أدخلوه الحمام وألبسوه الأبيض . فلما جرى به نظيف الجسم ، نظيف الثياب ؛ قال لها : أتقيمين معه ؟ قالت نعم . فاصلح بينهما ؛ وقال لمن حضره : تصنعوا لهن كما يتصنعن لكم . (الطلاق مرتان) دفتان مفترقتان . فلو طلقها ثلاثاً بلفظ واحد : لم يقع إلا واحدة (انظر مبحث الطلاق بآخر الكتاب . وانظروه أيضاً مفصلاً في « زاد المعاد » لابن قيم الجوزية) (تسريح) تطليق (باحسان)

من غير إجحاف ولا مضارة (ولا يحل لكم) أى حرام عليكم (أن تأخذوا مما آتيتموهم) من المهر وغيره (إلا أن يخافا) الزوجان (ألا يقيما حدود الله) بأث يخشى الزوج أن يبسء معاملتها - لكرهته لها - أو أن تسيء عمرته - لبعثها له - (فان خفتم) أيها الحكماء . قال تعالى : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » (فلا جناح عليهما) لا لئم ولا حرج (فما افدتت به) نفسها ؛ من =

(١) الأيم : من لا زوج لها ، بكرأ كانت أم ثيبا . والمراد بها في الحديث التعريف : الثيب ؛ لمقابلتها في الحديث مع البكر .

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَّتْ بِهِ ۖ بَعْدَ حُدُودِ اللَّهِ فَلَا تَعْتُدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٠٧﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مَحْلِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۚ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ بَيْنَهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٠٨﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۖ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لَتَعْتَدُوا ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۗ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَأَلْحِكْمَةَ يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ ﴿٢٠٩﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرْضَوْنَ بَيْنَهُنَّ

رد ما أخذته - إن كانت كارهة له - ولا يجوز للزوج أن يأخذ أكثر مما أعطى؛ إذ هو ظم بين ، ودليل على خسة الطبع ، وذنابة النفس ! وحكمة رد المهر : أنها له كارهة ، ولصحته بمفوضة ؛ وهو في حاجة للزوج بغيرها ؛ فوجب أخذ مادفعه ليمبره سواها . أما إذا كان هو الكاره لها ، المائل عنها لغيرها ؛ فلا يحل له أصلاً أن يأخذ شيئاً مما آتاهما «أناخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً» هذا وقد جاءت جملة بنت ساول - وكانت زوجا لثابت بن قيس - إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقالت له : يا رسول الله إنى لا أعتب على ثابت في دين ولا خلق ؛ ولكنى أخشى الكفر بعد الإسلام ؛ لشدة بغضى له ! فقال لها سيد ولد آدم : أتردين عليه حديثه التى أصدقك ؟

قالت : نعم وزيادة . فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : أما الزيادة فلا ؛ ولكن حديثه . فأخذها ثابت وخلق سبيلها . وهذا أول خلق في الإسلام .

وقال بعض الفقهاء بجواز أخذ شيء من مالها . ولا حجة لهم فيه : لقوله تعالى «ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً» واستثنى من ذلك بقوله جل شأنه «إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن ختم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به» أى فى هذه الحال فقط يحل أخذ بعض المهر أو كله ، فى حدود قوله تعالى «مما آتيتموهن» من المهور والهدايا ونحوهما (انظر آية ٢٠ من سورة النساء) (فإن طلقها) للمرة الثالثة (فلا تحل له) مراجعتها (حتى تنكح زوجاً غيره) حتى تنكح رجلاً آخر ، ويبنى بها ويدوق عسيتها وتدوق عسيتها (فإن طلقها) الزوج الآخر (فلا جناح عليهما) هى والمطلق الأول (أن يتراجعا) بعد انقضاء عدتها من زوجها الآخر بعقد جديد ؛ وذلك (إن ظنا) تأكيداً (أن يقيما حدود الله) أو امره وشرائعه ؛ التى سنهنا

الجزء الثاني

بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُعْطَى بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْعِمَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ
رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ وِلاَ وُسْعُهَا
لَا نُصَارُ وَالدَّيَّةُ بِوَالِدَيْهَا وَلَا بِمَوْلُودِ لَهُ يُولَدُ لَهُ وَعَلَى الْوَارِثِ
مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا فَأُولَادُكُمْ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَأَلْتُمْ مَا تَأْتِيكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَقُوا
اللَّهَ وَأَعطُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٥﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ أَزْوَاجًا يَبْرِضْنَ بِأَنْفُسِهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ
وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ
فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٤٦﴾

ولا

لعباده : من ترك المضارة ، وحسن المعاملة ، وطيب العاشرة ، وتوافر المودة والرحمة ! (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى قاربن آخر عدتهن (ولا تمسكوهن ضراراً) أى مريدين الإضرار بهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) بارتكاب ما نهى الله تعالى عنه ، وتعرضها للعقاب (نعمة الله) الإسلام ، ونبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ! (يعظكم به) أى بالقرآن (فبلغن أجلهن) انقضت عدتهن (تعضلوهن) تمنوهن (أن ينكحن أزواجهن) الذين كانوا قبلكم . أو الذين يتقدمون ليهن ، أو هو خطاب للأولياء . (ذلك) الأمر والنهى المتقدم (يوعظ به) يتعظ ويعمل به (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) الذى يعاقب فيه العاصى على عصيانه ، ويثاب فيه الطائع على طاعته (ذاكم أزكى لكم) أفضل للمآب وأسمى =

للثواب (وأطهر) لقلوبكم ونفوسكم (والله يعلم) ما يصلحكم في دنياكم وأخراكم (وأنتم لا تعلمون) لجهلكم وقصور أنفهامكم ، وطعمكم في الحطام الزائل الفاني ، ونسيانكم النعيم الدائم الباقي ! (حولين) عامين (وعلى المولود له) أى الوالد ؛ ولم يقل : وعلى الوالد ؛ إشعاراً بأن الوالدات إنما ولدن لهم (بالمعروف) من غير إسراف ولا تقتير (لا تكلف نفس إلا وسعها) أى لا يكلف الوالد بما لا يطيق ؛ بل ينفق النفقة التي يستطيعها « لينفق ذو سعة من سعته » و (لاتنصر والدة بولدها) أى بسبب ولدها ؛ بلأ ينفق عليها ، أو يهددها بأخذها منها (ولا) يضار (مولود له بولده) بأن تطالبه بما لا يستطيع ، أو تترك له ولده - بعد أن ألفها واعتاد صحبتها - وما أشبه ذلك . وإضافة الولد إليهما في الموضعين : استعطافاً لهما ، وهزأً للشاعرهما !

(وعلى الوارث) أى وارث الصبي ، أو وارث الأب (فان أرادا) أى الأب والأم (فصلاً) فطام الصغير (وان أردتم) أيها الأزواج الآباء (أن تسترضوا أولادكم) أى تسترضعوا لأولادكم مرضع غير الوالدات (إذا سلمتم ما آتيتن) أى ما أردتم لمتاعهن من الأجرة . وقرئ : « ما آتيتن » أى ما آتاكم الله تعالى ، وأقدركم عليه (ويذرون) يتركون (يتربصن) ينتظرن (أربعة أشهر وعشراً) وهى عدة المتوفى عنها زوجها ؛ ما لم تكن حاملاً ؛ فعدتها أبعاد الأجلين : الوضع ، أو الأربعة الأشهر

والعشر (فاذا بلغن أجلهن) قضين عدتهن (فعلن في أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه الذي لا ينكره الشرع ؛ فلا يبالغن في التزين ، ولا يفرطن في التبرج (ولاجتاح عليكم) لاجرح ، ولا إثم (فيما عرضتم) لوحتم وأشتمتم (به من خطبة النساء) كأن تقول لها : إنك لجميلة ، أوصالحة ، أو من غرضى أن أتزوج . وشبه ذلك مما لا ينكره الذوق ، ولا يفتقه الدين (أو

أكنتم) أضمرتم (ولكن لاتواعدوهن) على اللقاء (سراً) خفية عن أعين الرقباء ؛ ففي هذا ما فيه من تمكين للشيطان ، الذي يجرى مجرى الدم من الإنسان ! وقيل : المراد بالسر : الزنا ، أو هو التعريض بالجماع . والمراد : لا يكون تعريضكم سفهاً وجوراً ؛ فذكر أمثال ذلك - أمام غير الزوجة - خش ؛ لا يرتكبه إنسان ! (ولا تعزموا) تقصدوا قصداً جازماً (حتى يبلغ الكتاب أجله) بانقضاء عدتها (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) من سوء وشر (فاحذروه) خافوا عقابه ، ووطنوا أنفسكم على فعل الخير ما استطعتم ؛ وروضوا قلوبكم على عمل الطاعات ، وتجنب الخالفات (لا جناح عليكم) لاجرح (إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) (أو ترضوا لهن فريضة) أى لم تقدروا لهن مهراً (ومتعوهن) أى أعطوهن =

سورة البقرة

٤٥

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرُضُوا عُقْدَةَ التِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٤٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ مَسَّوْهُنَّ أَوْ تَرْضَوْهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَّعُوا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَوَصَفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بَيْنَهُمْ وَعُقْدَةُ التِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٧﴾ حَنِيفُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى

أكنتم) أضمرتم (ولكن لاتواعدوهن) على اللقاء (سراً) خفية عن أعين الرقباء ؛ ففي هذا ما فيه من تمكين للشيطان ، الذي يجرى مجرى الدم من الإنسان ! وقيل : المراد بالسر : الزنا ، أو هو التعريض بالجماع . والمراد : لا يكون تعريضكم سفهاً وجوراً ؛ فذكر أمثال ذلك - أمام غير الزوجة - خش ؛ لا يرتكبه إنسان ! (ولا تعزموا) تقصدوا قصداً جازماً (حتى يبلغ الكتاب أجله) بانقضاء عدتها (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) من سوء وشر (فاحذروه) خافوا عقابه ، ووطنوا أنفسكم على فعل الخير ما استطعتم ؛ وروضوا قلوبكم على عمل الطاعات ، وتجنب الخالفات (لا جناح عليكم) لاجرح (إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) (أو ترضوا لهن فريضة) أى لم تقدروا لهن مهراً (ومتعوهن) أى أعطوهن =

ما يتمتع به ، واكسوهن بعد الطلاق (على الموسع) الفنى (قدره) طاقته ووسمه (وعلى المقتر) الفقير (حقاً) أى ذلك التمتع «حقاً» واجباً (على المحسنين) الذين أحسنوا أعمالهم ، ورجعوا فى إرضاء ربهم (وقد فرضتم لمن فريضة) قدرتم لمن مهرأ (فنصف ما فرضتم) أى فلهن أخذ نصف المهر (إلا أن يعفون) أى تعفو الزوجة ووليها ؛ فبدون المهر كله (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) وهو الزوج ؛ فلا يأخذ من المهر شيئاً ؛ تطلقاً منه وكرماً ! (وأن تعفوا) أيها الأزواج ؛ فتدركوا جميع المهر (أقرب للفقوى) وأرضى الله ! ومن المعلوم

أن العبد إذا اتقى ربه وأرضاه ؛ فإنه تعالى يجازيه على ذلك ؛ بأن يخلف عليه أكثر مما فاته من مال ، وأن يعوضه خيراً ممن تركها ! (ولانتسوا الفضل بينكم) أى تدركوا أن الأكل لدينكم ، والأجل لفعالكم ؛ ألا تشددوا وتقلبوا ما أقدمتم عليه من خير وتوثيق لروابط المحبة ، إلى عداء كبير ، وشر مستطير ! ومن عجب أن الناس اليوم لا يعفون ما به الله أمر ؛ بل يتكفرون لأوامره ، ويتشددون عند حدوث ذلك ، ويتخذونه مغنا وهو غرام ، ويفرحون بما يأخذون وهو حرام ! وتكون عاقبة الذين أساءوا السوأى ؛ فى الدنيا بعدم التوفيق ، وسوء الرفيق ، وفى الآخرة بالحرمان من رضا الرحمن ! (حافظوا على الصلوات) أى أدوها فى أوقاتها (والصلاة الوسطى) صلاة العصر ؛ لتوسطها صلاة اليوم ، واشتغال الناس - فى وقتها - بأعمالهم ومتاجرهم . وقيل : صلاة الظهر ؛ لتوسطها النهار . وقيل : المغرب أو العشاء . وقيل : الفجر ؛ لتوسطها بين صلاة الليل والنهار ، ولما فيها من المشقة والثقل على المنافقين . قال صلى الله تعالى عليه وسلم «أنقل الصلاة على المنافقين : الصبح والعشاء» وقد أخفاها تعالى : ليحافظ المؤمنون على صلواتهم أجمع (وقوموا لله قانتين) طائعتين خاشعتين (فإن ختمتم) عند حلول وقت

وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٤٦﴾ فَإِنْ خِئْتُمْ فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَلِذَا
أَمِنْتُمْ فَأَذِّكُوا اللَّهَ بِمَا عَلَيْكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾
وَالَّذِينَ يَتوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ
مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٤٨﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
الْمُتَّعِينَ ﴿٤٩﴾ كَذَلِكَ يبينُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٥٠﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ
وَهُمْ أَوْفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٥١﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٢﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
فِيضِعْفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ

وَاللَّهُ

الصلاة من عدو بها جرم (فرجالاً أوركباناً) أى فصلوا قانتين أوراكين ولو إلى غير قبلة «فأينا تولوا ثم وجه الله» (فإذا أمنتم) أى إذا زالت أسباب الخوف (فاذكروا الله) اشكروه ، واعبدوه ، وصلوا له (كما عليكم) من أحكام دينكم ، ومنافع دنياكم (مالم تكونوا تعلمون) أى ما كنتم تجهلون ، ولا تستطيعون علمه بمقولكم القاصرة (والذين يتوفون منكم ويذرون) يتكون (أزواجا) فليوصوا (وصية لأزواجهم) أى يجب عليهم أن يوصوا قبل موتهم لأزواجهم (متاعاً إلى الحول) أى أن ينفق عليهن من ماله لمدة عام . قيل : إنه منسوخ بقوله تعالى «أربعة أشهر وعشراً» ولعله حق من حقوق الزوجة ؛ لها أن تمتع به ما دامت لم تتزوج غير زوجها التوفى (غير لإخراج) أى لا يخرجهن أحد من مساكنهن =

وَالَّذِينَ تَرْجِعُونَ ﴿٤٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ جَاءُوا إِسْرَائِيلَ
 مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَجْرِهْمُ مَا بَعَثَ لَنَا مَلَكًا يُقْتَلُ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ
 أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَالَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ
 أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا
 إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنَّمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ
 نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى
 يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ
 سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ
 بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُم مِّن بَسْطِهِ
 وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ
 أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ
 آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ

= (فان خرجن) منها باختيارهن - قبل العام ، وبعد انتهاء العدة - (فلا جناح) لا حرج ولا إثم
 (عليكم) يا أولياء الميت ، أو يا أيها الحكام (فيما فعلن في أنفسهن) بترك الحداد ، والتزين ، والتعرض
 للخطاب (من معروف) أى بشرط أن يكون ذلك في حدود المعروف ؛ الذى لا يتركه الشرع ، ولا العادة ،
 ولا البيئة (وللمطامعات متاع) نفقة العدة ؛ يعطى لها (بالمرءف) من غير جلبه ولا مشقة (حقا على
 المتقين) فمن كان يتق الله تعالى ؛ فيعطى مطلقته - وقد كانت ضجيعته وموضع سره وعجته - نفقتها

«بالمرءف» من غير أذى ، ولا معاندة ،
 ولا مضارة ! (حذر الموت) خرجوا هرباً
 من الجهاد . وقيل : هرباً من الطاعوت
 (فقال لهم الله موتوا) أى أماتهم ، أو عرضهم
 للموت عند الجهاد واحتدام القتال (ثم أحيام)
 نصرهم على عدوهم - بعد بأسهم - والنص :
 هو الحياة ؛ إذ لأحياة مع ذلة ، ولا بقاء بلا
 حرية ! وقيل : أماتهم موتاً حقيقياً ؛ يعلمهم
 بعد إحيائهم - أن الجين لا يبق من الموت «قل
 لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
 القتل إلى مضاجعهم» وليعرفهم أن القتال
 والاستبسال قد يكونان سبباً في الحياة الدنيوية
 والسعادة الآخروية «ثم أحيام» بعد موتهم ؛
 بدعوة نبهم (واعلموا أن الله سميع) لأقوالكم
 (عليم) بأفعالكم وسرايركم (من ذا الذى
 يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) عبر تعالى
 عمن ينفق في سبيله ، ويتصدق على عبيده ؛
 بالقرض له ! وذلك لتأكد الوفاء والجزاء .
 ومن أوفى من الله في مضاعفة الحسنات ؟ !
 ولكن هل من مؤمن ؟ وهل من مصدق ؟ !
 وكيف لا تصدقون (والله يقض) الأرزاق
 عمن يشاء ابتلاء (ويبسط) يوسع لمن يشاء
 امتحاناً ؛ ويده وحده المنع والمطاء (انظر
 آية ٢٦١ من هذه السورة) (اللائ) الجماعة
 (من بعد موسى) أى بعد موته (هل عسيتم)

أى هل طمعتم ورجوتم (إن كتب عليكم القتال) فرض عليكم الجهاد (وقد أخرجنا من ديارنا وأبناثنا)
 وقد كان جالوت وقومه قد احتلوا ديارهم ، وسبوا نساؤهم ، وقتلوا أبناءهم (فلمسا كتب عليهم القتال
 تولوا) أى فلما فرض عليهم الجهاد ، وألزموهم بتخليص أوطانهم من العدو : أعرضوا (إلا قليلاً منهم)
 وهبوا نعمة الإقدام (والله عليم بالظالمين) الكافرين ؛ الذين لم يستمعوا لأوامره ، وضعفوا واستكانوا
 (أنى) كيف (ولم يؤت سعة من المال) ظنوا أن الله تعالى لا يؤتى ملكه إلا للأغنياء ؛ وفاتهم أن العزة
 بالنقى ، لا بالنقى (اصطفاه) اختاره (وزاده بسطة في العلم والجسم) البسطة في العلم : التوسع فيه ، وشدة
 الفهم له . وفي الجسم : الطول ، والضخامة ، والقوة (والله واسع) أى واسع الفضل والخير والرزق =

== (عليه) بمن هو أحق بالملك ، وأجدر بالرفعة (آية ملكة) علامته (التابوت) وهو صندوق كانت به التوراة ؛ وكان قدر رفع من قبل عقوبة لهم (فيه سكنينة) طمأنينة لقلوبكم ؛ وهو كتاب الله تعالى «التوراة» وقد جرت عادته جل شأنه أن يعث طمأنينة وسكينته في كتبه الكريمة ، المنزلة على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ؛ وأي طمأنينة وسكينته أعلى وأرقى من حسن الجزاء ومزيد العطاء ، وكرم الرحيم ، ورحمة الكريم ! (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) بعض الألواح التي أنزلت على موسى عليه السلام ، وبها الكثير من الأحكام (فلسا فصل طالوت) خرج (مبتليكم) مختبركم (فلسا جاوزه) أي جاوز طالوت النهر (قالوا) أي قال الذين خانوا أمر طالوت ، وشربوا من النهر (قال الذين يظنون) يتأكدون (أنهم ملائقوا الله) وهم الذين أطاعوا أمره ، وسمعوا قوله ؛ ولم يشربوا من النهر (كم من فئة) جماعة (ولما برزوا لجالوت وجنوده) أي استعدوا لمحاربتهم ، واصطفوا لقتالهم (قالوا ربنا أفرغ) أصيب (ولولا دفع الله الناس بعضهم بعضا لفسدت الأرض) يؤخذ من هذه الآية : أن الحرب من لوازم الحياة الدنيا ، وأنه بدونها لا يتم العمران : فيها يحفظ التوازن الكوني ، ولا يبقى على ظهر الأرض سوى من يصلح للبقاء ، وللخلافه فيها ؛ اللهم ! إلا إذا أراد الله تعالى لأرضه الفناء ؛ فيشيع الفجور ، وتعم الفوضى ، ويملك الأرض الغاة المتجربون ؛ فيعشون فيها فساداً ، وفي أهلها إفساداً ؛ ليم الله تعالى أمره ، ويرث الأرض ومن عليها ؛ «ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى» .

حاجة الكون إلى الحرب ؛ كحاجته إلى الأوبئة والطواعين ؛ إذ لو ترك العالم بغير حرب ، وبغير وباء ؛ لتكدس الناس فوق هذه الأرض تكدس الذباب ، ولتكاثروا تكاثر الجراد ؛ ولأكل بعضهم بعضاً شأن أحقر الحيوانات وأدنىها !

ولكن شتان بين الحروب التي يحتاجها الكون ، والحرب التي يدبرها الآن بعض المخلوقين لبعض الآخر ؛ فان الأولى يجب أن تكون لدفع ظلم ، أو رد عدوان - وكثيراً ما يقع الظلم ، وبحيق العدوان - أما الثانية فهي حروب تدبرها رؤس خوت من العقل ، وقلوب خلت من الرحمة ! ولا سبب لها سوى حب السيطرة ، والسيادة ، والتوسع . هذا وقد تطورت الحروب منذ بدء الخليقة حتى الآن : فقد كانت بادئ ذي بدء بالصي والحجارة ، ثم صارت بالمدى والسيوف ، والقسي والرماح ؛ ثم تطورت إلى البنادق والمدافع ؛ وأخيراً - وليس آخراً - دبر الإنسان لهلاك نفسه ، ومحو حضارته : القنابل الذرية والهيدروجينية ، =

لَايَةَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٤﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا لِلْيَوْمِ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمِ مَنِ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ فَغَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٢٥﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَصْرنا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٦﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَوَاتَتْهُ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ

وَأَنَّكَ

== والكويال ، والصوارخ الموجهة ؛ وماش كل ذلك من وسائل التخريب والهلاك ؛ ليهدم ما بنته الإنسانية في مئات الملايين من السنين ، ويحتاج ما شيدته الفطر السليمة من مدينة وحضارة بتوجه من موجد الكون ومنشئه تعالى ! ولو استمرأ دعاء السوء والحرب مالم عليه الآن ؛ لحق لنا أن نقول بحق : ان الجنس الإنساني قد أصبح بغير شك أغعب من الذباب - وقدهاه الله تعالى النجدين - وأحط من الصرصور - وقد خلقه تعالى في أحسن تقويم - وهذا نهاية الطيش والحق والجنون ! وهو إن دل على شيء ؛ فلا يدل إلا على عقول عفنة ، أتلفها الجشع والطمع ! وقلوب متشجرة ، أفسدتها الأنانية وحب الذات ! وحقان أعدى أعداء الإنسان ؛ لهو الإنسان نفسه !

ولو خير العقلاء بين هذه الحروب وتلك الأوباء ؛ لاختاروا الثانية وفضلوها على الأولى وذلك لأن الأولى من صنع خثالة الخلائق ، ووحوش البشرية ؛ والثانية من صنع الحكيم العليم ، العزيز الرحيم ، الذي لا يصدر أعماله إلا بحكمة ، ولا ينفذ قضاءه إلا برحمة ؛ وكل شيء عنده بمقدار !

وترى دعاء الحروب - رغم استعدادهم بتلك القوى الهائلة ، وهذه الأدوات المهيبة - يتميزون بلجن والخور : يخشون المحن ، وعاديات الزمن ؛ تحيط بهم الأطباء من كل جانب ؛ يحافظوا على نبضهم وضعفهم وحرارتهم فهم دائماً في مرض ونصب ، وهم تعب ! (انظر آية ٥٠ من سورة طه) (ولكن الله ذو فضل على العالمين) فيسخر هؤلاء للحرب : تبعاً لحاجة الكون إلى الحرب ؛ لا تبعاً لحاجاتهم وأطاعهم ؛ فتعالى القادر القاهر ، السير المسخر الذي هو بكل شيء عليم ! (تلك الرسل) الذين نقص عليك قصصهم معجزة لنبتوك ، وآية لأمتك (فضلنا بعضهم على بعض) لما ميزناه به عن الآخرين (منهم من كلم الله)

كموسى عليه الصلاة والسلام ؛ وهي مرتبة جلييلة : اصطفاه الله تعالى لها ، واختصه بها . (انظر آية ١٦٤ من سورة النساء) (ورفع بعضهم على بعض درجات) وناهيك برفعة قدر نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام !

فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يذانونه في علم ولا كرم !

لم يساووك في علاك وقد حال سنا منك دونهم وسناء !

(وآتينا عيسى ابن مريم البينات) المعجزات الواضحات ، كإحياء البوتى ، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى (وأيذناه بروح القدس) جبريل عليه السلام . وقيل الإنجيل (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا) زكوا وصدقوا (بما رزقناكم) به ، وأمرناكم بالإففاق منه (من قبل أن يأتي يوم) هو يوم القيامة =

وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٩﴾ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٥٠﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَمْ يَلَمْ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا

== (لا يبيع فيه) أى لامعاملة فيه بين الناس كشأنهم في الدنيا . أو هو إشارة إلى أن حرصهم في الدنيا على الرخ والكسب ، والبيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، واهتمامهم بشئون دنياهم ؛ كل هذا لا يفيد في الآخرة ؛ التى لا يفيد فيها سوى العمل الصالح ؛ وأين العمل الصالح ؛ وقد قضا أعمارهم في الحرس على الرخ - من أى وجه كان - من رباً ، أو سرقة ، أو كذب ، أو خداع ! (ولا) تنفع في هذا اليوم (خلة) صداقة أو محبة ؛ وقد كانوا في الدنيا يتحابون في الشيطان ، ويتصدقون على المعاصي ! فلا صداقة اليوم تنجي

المجزء الثالث

٥٠

من عذاب الله (والكافرون هم الظالمون) أى والتاركون للزكاة «هم الظالمون» بدليل أول الآية «يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم» وبدليل قوله تعالى «وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون» وكفرتارك الزكاة لا يحتاج إلى دليل ؛ فقد قاتل الصديق رضى الله تعالى عنه مانعها ؛ والمؤمن لا تجوز مقاتلته إطلاقاً ؛ فيؤخذ من ذلك أن أبا بكر حكم بخروجهم من الإسلام لمنعهم الزكاة ؛ وقد قال : «والله لو منعوني عقاب يعبر لقاتلتهم عليه» ومن أولى بالاعتداء والاتباع من أبي بكر ؟

وقد سماه الله تعالى في هذه الآية بالكافرين وفى آية أخرى بالمشركين ، وهذه التسمية بهم أولى وأليق ! (انظر الآيات ٧ و٦ من سورة فصلت ، وآية ١٤١ من سورة الأنعام) . (الله لا إله إلا هو الحي) الذى لا يموت أبداً (القيوم) القائم بتدبير الخلق وحفظه ؛ والقائم بداته : الذى لا يقوم غيره إلا به ! وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن «الحى القيوم» هو الإسم الأعظم ؛ الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ! (لا تأخذه سنة) ناس وهو ما يتقدم النوم من الفتور (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) أى لا يشفع أحد عنده تعالى إلا إذا أذن له بالشفاعة ورضى قوله

وَمَنْ أَعْلَى الْعَظِيمِ ﴿٢٥٩﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
الرِّشْدُ مِنَ الْعَمَىٰ قَمَنَ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ
مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أَرْزَلْتِكُمَا أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٦١﴾ الرَّ تِلْكَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِيبِهِ
أَنِ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ اجْعَلْ لِّى
وَيْتًا قَالَ إِنَّا أَنَا حَىٌّ وَأُمِّيٌّ قَالَ اجْعَلْ لِّى
بَيْتًا مِّنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦٢﴾ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَبَحِى خَلْوِيَّةً عَلَىٰ عُرْوَيْهَا قَالَتْ أَيْنَ بِحَىِّهِ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ قَالَتْ مَقَامٌ مِّنَ اللَّهِ مَا تَعْلَمُونَ بَعَثَ اللَّهُ لِكُلِّ
بَلَدٍ مِّنْهُمْ نَبِيًّا لِّئَلَّا يُتَذَكَّرَ أَذَىٰ يَفْعَلُونَ

قَالَ

«يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا» قال شافعيانا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام «يجمع الله تعالى الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا عند ربنا فيربنا مما نحن فيه ؟ فيأتون آدم فيقولون : أنت الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ؛ فاشفع لنا عند ربنا . فيقول : لست هناك لست لى هذه المرتبة ؛ ويدكر خطيئته - أكله من الشجرة - ويقول : اثنا نوحاً ؛ أول رسول بعثه الله تعالى . فيأتونه فيقول : لست هناك ؛ ويدكر خطيئته - دعوته على قومه - ويقول : اثنا إبراهيم ؛ الذى اتخذته الله خليلاً . فيأتونه فيقول : لست هناك ؛ ويدكر خطيئته - كذباته الثلاث التى مرض بها - ويقول : اثنا موسى ؛ الذى كله الله تعالى . فيأتونه فيقول : لست هناك ؛ ويدكر خطيئته ==

== قتله القبطي - ويقول : انتوا عيسى فيأتونه فيقول : لست هناكم ؛ اثنوا مجدداً صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؛ فيأتوني فأستأذن على ربي ، فاذا رأيته وقت ساجداً ؛ فيدعني ما شاء ، ثم يقال : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ! فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ؛ ثم أشفع فيحدي حداً ، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ؛ ثم أعود فأقع ساجداً مثله - في الثالثة أو الرابعة - حتى مايق في النار لإلأمن حبسه القرآن أى أوجب عليه الخلود» (انظر آية ٩٣ من سورة النساء) (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم)

سورة البقرة

٥١

قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْبَعَضَ يَوْمٌ قَالَ بَلْ لَيْتُ مِائَةَ عَامٍ
فَأَنْظُرْ لَكَ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَأَبْسَنَّهُ وَأَنْظُرْ لَكَ حِمَارِكَ
وَلِنَجْعَلُكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نَشْرُهَا
ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنحِي
الْعَمَاقِقَ قَالَ أَوْلَىٰ أَوْلَىٰ تَوَمَّنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَيْطَمِينَ قَالِي
قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ
كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ
سُنْبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَذَكَّرُونَ
مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

أى ما سيعملونه ، وما عملوه (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) أن يعلمهم إياه (وسع كرسيه) أى وسع علمه (السموات والأرض) وما فيهما (ولا يؤوده) لا يشق عليه تعالى ولا يتعبه (حفظهما) بهذا النظام العجيب ، والتدبير البديع « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون» (لا إكراه في الدين) يؤخذ من هذه الآية الكريمة : حرية الاعتقاد ؛ ليكون التدين قرين البحث الفكري ، والاعتناق العقلي ؛ وذلك لأنه (قد تبين) مما سقناه من المعجزات ، وأوردناه من الآيات (الرشد) الصواب ؛ وهو الإيمان (من النقي) الضلال ؛ وهو الكفر (من يكفر بالطاغوت) الطاغوت : الشيطان ، أو الأضنام ، أو هو كل رأس في الضلال . وهو مشتق من الطغيان (فقد استمسك بالعروة الوثقى) الحبل المحكم الوثيق (لا انفصام لها) أى لا انقطاع لهذه العروة التي وثقها الله تعالى بالحق ، وقواها بالإيمان (الله ولي الذين آمنوا) ناصرهم ومعينهم ، ومتولى أمورهم وكافئهم ! ولا تكون ولاية الله تعالى إلا

للمؤمنين الصادقين « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » والإيمان سابق على ولاية الله تعالى ؛ فلو لم يؤمن الإنسان : لكان وليه الشيطان ! (بمخرجهم) مولاهم (من الظلمات) الكفر والجهل (إلى النور) الإيمان والعلم . (انظر آية ١٧ من هذه السورة) (والذين كفروا أولياؤهم) نضراؤهم وأصدقاؤهم (يخرجونهم من النور) الإيمان والعلم (إلى الظلمات) الكفر والجهل . جلنا الله تعالى من المؤمنين الجديرين بولايته وحمايته ، وأخرجنا من ظلمات الكفر والجهل ، إلى نور الإيمان والعلم ! (ألم ترى الذى جادل حاج) جادل (إبراهيم في ربه) أى في حقيقة وجوده وربوبيته (أن آتاه الله الملك) أى غره ماهوفيه من ملك وساطان ؛ فجادل إبراهيم في ربه؛ وقد فاته أن السلطان الذى هوفيه ، والملك الذى أوتيه؛ من لدن =

= ندى الجلال والاكرام ؛ الذى يؤتى فضله من يشاء - منحة أو محنة - ليقم بذلك الدليل على وجوده ، والبرهان على وحدانيته (إذ قال إبراهيم) لعدو الله عمروذ (ربى الذى يحيى ويميت) أى يخلق الحياة والموت (قال) عمروذ (أنا) أيضاً (أحى وأميت) مثلما يحيى ربك ويميت (قال إبراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) ان استطعت . وهنا أسقط في يد الكافر الحاسر ؛ وقامت عليه الحجة القاطعة الدامغة (فبنت الذى كفر) دهش وتحير ، ولم يجر جواباً ! وذلك لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أهمه مولاه

الحزب الثالث

٥٢

أن يسلك مع عدو الله أسلوباً قطعاً لكل جدل ، دامعاً لكل حجة : لقد قال الكافر لإبراهيم - جواباً على تقريره بأن الله تعالى يحيى ويميت - « أنا أحى وأميت » فلو قال لإبراهيم : كيف يحيى وكيف يميت ؛ وقد اتفرد الله تعالى بهما دون سائر الخلائق ؛ ! لأحضر عدو الله إنساناً مقضياً بموته فأطلقه ، وإنساناً بريئاً فأماته ؛ وكان لإبراهيم على ذلك رد آخر : وهو أن الله تعالى يحيى ابتداء ويميت بغير أداة ؛ ولا تسمت بينهما رقعة الجدل ؛ ولكن الله تعالى أهمه العدول عن مجاراته فى هذه المهارات ، والتصديق عليه بالحجة التى لا تقبل التأويل ، ولا تختمل الجدل ، ولا تنسج للمعاورة والمداورة ؛ فقال له : « إن الله يأتى بالشمس من المشرق » فان كنت لها كما تزعم « فأت بها من المغرب » وأتى لعدو الله أن يتعرض للملك الله بتضير ، أو لنظامه بتبديل ؛! (أو كالذى صر على قرية) وهو عزيز : أحد أنبياء بنى إسرائيل (انظر آية ٣٠ من سورة التوبة) (وهى خاوية على عروشها) أى ساقطة على سقوفها ؛ وهى بيت القدس ؛ وقد خربها بختنصر ، وقتل أهلها ومن فيها (قال) عزيز فى نفسه (أنى يحيى) كيف يحيى ؟ (هذه) القرية ؛ أى أهلها (الله بعد موتها) خرابها

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ ﴿٥٢﴾ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَعْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى وَاللَّهُ غَفِيرٌ حَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَبْتَاطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ كَأَلَّذِي كَانُوا يُفْعَلُونَ مَالَهُمْ رِيقَةٌ النَّاسُ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَسَخَّرْنَا كَذَلِكُمْ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَاَصَابَهُمْ وَأَيْلٌ فَتَرَكَهُ صَدَدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَتَمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ رَّبْوَةٍ أَصْلَابُهَا وَأَيْلٌ فَتَاتَتْ أَصْلَابُهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَأَيْلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥٥﴾ أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْيَابٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعُفَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ

تعلُّك

وهلاك أهلها (فأماته الله مائة عام) أنامه ؛ كما أنام أصحاب الكهف نيف وتلاثمائة عام (ثم بعثه) أيقظه كما أيقظهم . وقد يكون المراد بالإماتة : الموت الحقيق ؛ الذى هو سلب الروح من الجسد - سلباً كلياً - ليكون لإحيائه دليلاً على إحياء أمثاله ممن مات من أهل هذه القرية (لم يتغير) لم يتغير (وانظر إلى حمارك) كيف صار رمياً ؛ وهذا يدل على طول المكث ، وأنه لبث مائة عام ؛ لا « يوماً أو بعض يوم » كما توهم . وقد أراه الله تعالى - فى نفسه - كيف يقوم الإنسان بعد الإحياء عند بعثه ، وأراه - فى حماره - كيف يجمع العظم المتفتت ، وكيف يركب بعضه فوق بعض ؛! (وانظر إلى الظلام كيف ننشزها) تركب بعضها على بعض (انظر آية ٢٠ من سورة الكهف) (وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى) قد يظن ظان =

== من هذه القالة - أن إبراهيم عليه السلام كان شاكاً في البعث ، أو كان مرتاباً في قدرة ربه تعالى - وهو صفيه وخليله ومصطفاه - ولا يجوز بحال نسبة الشك ، أو الارتباب إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ خصوصاً في أهم الاعتقادات التي يتوقف عليها صحة الإيمان : كالبعث والاحياء . وأماننا الكهرباء واللاسلكي وأمثالها ؛ فما من أحد إلا ويؤمن بها إيماناً يقينياً وهو لا يعرف كيفيتها أو كمههما ؛ ويود لو توصل إلى عرفاتها . ولا يقال : إنه بطلبه هذه المعرفة شك فيها ، غير مؤمن بوجودهما (فصرهن) اضمهن

(ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا) قيل : إنه أخذ أربعة أصناف من الطيور ؛ فذبحها وخلط بين لحمها وعظمها ودمها وربشها ، وجعل على كل جبل جزءاً منها ؛ ثم نادى : تعالين باذن الله ؛ فصار كل جزء منهن يتضام إلى الآخر ويتناسك ، وجئن إليه طائرات كما كن ! (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) ابتغاء مرضاته ونوابه (كمثل حبة) من قمح ؛ زرعت في الأرض فدأنتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة) وهذا العدد أضغاف ما تنتجها أخصب الأراضى وأحسنها (والله يضاعف) ينمى ويزيد في الحسنات (لمن يشاء) أكثر من السبعائة ضعف المذكورة : «سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة» فقد يجعل الكريم الحليم ، الودود الرحيم ؛ من كل حبة من هذه السبعائة : سبعائة أخرى ؛ فتكون أربعائة وتسعين ألفاً - كما يفعل الزارع الترى التنى - ويضاعفها تعالى أيضاً إلت شاء ؛ وذلك معنى قوله تعالى : «يضاعفه له أضغافاً كثيرة» ولا حرج على فضله تعالى (انظر آية ١١٧ من سورة آل عمران) (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) ابتغاء نوابه ومرضاته (ثم لا يقبوعن ما أنفقوا من) المن : أن يعتد الإنسان ويفخر على من أحسن إليه باحسانه (ولا أذى)

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَمْتَرْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْطَيِّبَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِعَاطِلِينَ إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٥٤﴾ الشَّيْطَانُ يُعِدُّ لِلْفَقِيرِ وَيَأْمُرُكَ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُ لِمَنْ هُوَ مُقِرُّهُ مِنْهُ وَقَضَى اللَّهُ وَرِسْعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٦﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذِيرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَابٍ ﴿٥٧﴾ إِنْ تَبَدُّوا لَأَضْحَكْتَ فَيَعْمَأُجِي وَإِنْ تُخَفِّرْهَا وَتَوَدَّهَا الْفُقَرَاءُ فَهِيَ خَيْرٌ لَكَ وَيُكْفِرُ عَنْكَ مِنْ سَيِّئَاتِكَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥٨﴾ * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدُنُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيدٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْفِكْهُ وَمَا تُنْفِقُونَ

ينالون به المنفق عليه ؛ بأن يسخروه في المشاق ، ويؤذوه بالشتم والسب ؛ وأولئك المنفقين الذين لا يتعنون ولا يؤذون (لهم أجرهم عند ربهم) وناهيك بأجر الكريم العظيم ! وفي هذا ما فيه من عظم الأجر ، ومزيد الثواب «وما عند الله خير للأبرار» (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) أى إنك إن تلتين لأخيك القول ، وتفتر له زلاته ، وتفغو عن سيئاته ؛ خير - عند الله - من أن تصدق عليه صدقة تتبعها بالبن والأذى ! (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى) أى لا تنهبوا ثواب صدقاتكم بأن تحنوا بها على الفقراء ، وتقبلوهم بالسخرية والاستهزاء ، وتؤذوهم بالقول أو بالفعل ؛ بسبب حاجتهم إليكم ، ولا تجعلوا إهانتكم (كالذي ينفق ماله رثاء الناس) أى مراهاة لهم وتفاخراً ؛ ليقال : هو كريم ==

جواد . وما أكثر هؤلاء في عصرنا هذا ! (فتله) أى مثل المنفق رياء (كثل صفوان) حجر أملس (عليه تراب فأصابه وابل) مطر غزير (فتركه صلداً) أملس لم يعلق به شيء ؛ فكذلك من يرأى بعبادته وإفاته ؛ فان رياءه يذهب ثواب عمله ، ولا يبقى له أجر ؛ كما يذهب المطر ما على الحجر الصلد الأملس من التراب (لا يقدر على شيء مما كسبوا) أى لا يجدون ثواب شيء مما أففقوا ؛ لأنهم أففقوه رياء ؛ وابتغاء الفخر ، لا ابتغاء وجه الله تعالى ومرضاته . هذا مثلهم (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله)

أى طلباً لرضائه (وتثبيتاً من أنفسهم) أى مثبتين مستيقنين بحسن جزائه ، ومزيد ثوابه ! (كثل جنة) بستان (ربوة) مكان مرتفع (أصابها وابل) مطر شديد (فأتت أكلها) أنتجت ثمرها (ضعفين) أى مثلى ما يثمر غيرها (فان لم يصبها وابل فطل) مطر قليل ؛ وهو الرذاذ ، أو الندى . أى ان المنفقين ابتغاء وجه الله تعالى : يتضاعف لهم ثواب أعمالهم ، ويجزون عنها الجزاء الأوفى ؛ وذلك بعكس المرأى الذى يعنى ثواب عمله (أبود أحدكم) استفهام للانكار (أن تكون له جنة) بستان (من نخيل وأعناب) ذكر الله تعالى النخيل والأعناب في غير موضع من كتابه الجليل ؛ وذلك لفتناً لأفظار ذوى الاعتبار إلى ما يحتويه الصنفان من فوائد تجل عن الحصر : فن فوائد التمر أنه يقوى الكبد والرئتان والحلق ، ويزيد في الباه مع الصنوبر ، وأكمله على الرين : فائل لديدان المعدة ، وهو من أكثر الثمار تغذية للبدن ؛ ويعتبر التمر غذاء ، ودواء ، وفاكهة . أما العنب فهو من أجل الفواكه وأكثرها نفعا ؛ وهو يسهل ويسمن ، ويقوى القلب والرئتان ، ويقطع البلغم (وأصابه الكبر) ضعف عن السعى والكسب ، واحتاج إلى الدعة والراحة (وله خزية ضفاه) أبناء صفار ضفاف ؛

لَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يَوْفُ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَقْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْفًا وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقْرَمُونَ إِلَّا كَمَا يَقْرَمُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَلَلُوا وَإِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٧﴾ تَمَحَّضَ اللَّهُ الرَّبْوَ وَرَبِّي الصَّبِيغَتِ وَاللَّهُ

لَا يَحُثُّ

لا يقدر على السعى والكسب (فأصابها) أى أصاب جنته ؛ الذى أصبح هو وذريته في مسيس الحاجة إلى ثمارها (إعصار) ريح شديدة مهلكة (فيه نار) أى في هذا الإعصار نار (فاحترقت) جنته بما فيها من نبات وثمار !

وهذا تمثيل لذهاب ثواب المرأى يوم القيامة ؛ وهو أشد ما يكون احتياجاً إلى قليل الثواب ! (يا أيها الذين آمنوا أففقوا من طيات ما كسبتم) أى من أحسن ما عندكم وأنفسه (ومما أخرجنا لكم من الأرض) من سائر صنوف النبات والفاكهة (ولا تيسموا الحديث منه تنفقون) أى لا تقصدوا أردأ ما عندكم فتجودوا به ؛ يؤيده قوله تعالى «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» (ولستم بأخذيه) أى لو قدم لكم =

ما تقدمونه من الخيث ؛ لتأخذوه في حق من حقوقكم ؛ ما قبلتموه لفساده ورداءته (إلا أن تمضوا فيه) أي إلا أن تمضوا بأبصاركم عن خبثه ورداءته ؛ فكيف تقدمون لله ما لا ترضونه لأنفسكم ! أتجملون لله ما تكرهون ؟ ! والاعراض : غض البصر . وهو كناية عن المسامحة (واعلموا أن الله غني) عنكم وعن إفتاقكم ؛ ولكنه تعالى يمتحن بهذه الأوامر قلوبكم (حميد) محمود ، وأهل لكل حمد . أو «حميد» يحمد أفعالكم الحسنة ؛ فيجازيكم عليها (الشیطان يعدكم الفقر) أي يحيل إليكم بوسوسته أن الإفتاق يذهب بمالكم ،

ويفضي إلى سوء حالكم ؛ ولكن الله تعالى

(يعدكم مغفرة منه) لذنوبكم (وفضلاً) يمتصكم به

في الدنيا (والله واسع) موسع عليكم جزاء

إفتاقكم ؛ ألا ترون لي قوله جل شأنه :

« مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل

حبة أنتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة »

وقوله عز وعلا « وما أنفقتم من شيء فهو

يخلفه وهو خير الرازقين » وقد وعد تعالى

مغفرة ذنوبكم : جزاء حسناتكم « إن الحسنات

يذهبن السيئات » (علم) بالمتفقين فيكافئهم ،

وبالمسكين فيعاقبهم ! (يؤتي الحكمة من

يشاء) والحكمة : العلم النافع ، الموصل لخيري

الدنيا والآخرة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي

خيراً كثيراً) ومن الحكمة : أن يعلم الإنسان

أن الله تعالى صادق الوعد ، وأن ما يبذل في

سبيله سيؤتيه مكانة أضعافاً مضاعفة في الدنيا ،

وثواباً عظيماً ومغفرة ورضواناً في الآخرة

(وما يذكر) يتذكر (إلا أولوا الأبواب)

ذوو العقول (وما للظالمين) الأغنياء ؛ الذين

ظلموا الفقراء بمحبس حقوقهم عنهم ، ومنع

إيصال الصدقات إليهم ؛ فيؤلاء ما لهم (من

أنصار) ينصرونهم من الله تعالى ، ويمنعون

عنهم عذابه يوم القيامة . أو المراد : أنهم

ليس لهم أنصار في الدنيا ؛ لكرهة الناس لهم ،

وبغضهم لإيائهم (انظر الآيات ١٤١ من سورة

الأنعام ، و٧٦ من سورة فصلت) (إن تبدوا الصدقات)

شيئاً هي ؛ لأن إبداءها يحفز الهمم على التقليد لكم ، والاعتداء بكم (وإن تخفوها) عن الناس ، وتسترها

عند إعطائها (فهو خير لكم) لأن فيه جبر خواطر الفقراء ، وعدم إذلالهم ! والأفضل أن يبدي الزكاة

المفروضة للاعتداء ، ويغني الصدقة حتى لا تعلم شماله ما فعلت يمينه ! (ويكفر) يعجو (ليس عليك) يا محمد

(هدام) أي لا تذهب نفسك عليهم حسرات ؛ فلست ملزماً بهدائيتهم ؛ إنما عليك الإنذار والبلاغ المبين

« من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها » (وما تنفقوا من خير فلا تأثمكم) أي فتوايه

وأجره عائد عليكم (وما تنفقوا من خير يوف إليكم) جزاؤه في الدنيا بالستر ، وفي الآخرة بالأجر . =

لَا يُحِبُّ كُلُّ كَفَّارٍ أُنِيعَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَتَمُّوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أُمُورِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَمْتُمْ بَيْنَ لِكِّ أَجَلٍ مَّسْمُومٍ فَكُتِّبَتْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّخِذِ اللَّهُ رِبْعَهُ

== (للقراء الذين أحصروا) منعوا بسبب الجهاد عن التكسب ، وعن السير في منابها (لا يستطيعون ضرباً في الأرض) أي لا يستطيعون سفراً للتجارة والكسب (بحسبهم الجاهل) بمالهم (أغنياء من التفنن) وذلك لإيائهم السؤال ، ومجانبتهم التملق والترلف (تعرفهم بسيام) بما يلوح عليهم من انكشاف البال ، ورتابة الحال (لا يسألون الناس إلحافاً) إلحافاً (الذين يأكلون الربا) أي يأخذونه ويستحلونه . والربا : الزيادة . هذا وقد فشا الربا في مجتمعنا هذا فشواً شنيعاً ذريعاً ؛ ينذر بضايح الزوة ، وعود البركة ، وسقوط المحبة ، وانعدام التعاطف والتراحم بين الناس . وأكلوا الربا (لا يقومون) يوم القيامة . أو «لا يقومون» في الدنيا (إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان) وهو المصروع (من المس) الجنون . وهذا مشاهد فيهم في الدنيا ؛ إذ هم - رغم وفرة أموالهم ، ومزيد ثرائهم - لا يزالون في هم دائم ، وفكر مقيم ! وقد حرمهم الله تعالى الذنائب - رغم توافر أسبابها - ومن النعم - رغم وجود مقوماتها - فتجدهم يأكلون أطيب الطعام ؛ وكأنما يتناولون السم الزعاف ، ويتداولون النقود ، وكأنما يتداولون الصخور والأحجار ، وينامون على الحرير ، وكأنما يتقلبون على الجمر ! غيبتهم دائماً ظاهرها النعم ، وباطنها العذاب الأليم ! ويظن كثير من الناس أن إثم الربا يقع على آكله دون موكله ؛ وأن موكله لا نص يوجب تأنيبه ؛ وهو ظن فاسد ، ووهم باطل ؛ فالدليل قائم على اشتراك الموكل مع الآكل في الجرم والإثم ؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم «لئن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه» (ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا) ذلك قولهم عند نزول هذه الآيات البيئات، القاطعات الدلالة ؛ وقد خلف من بعدهم خلف قالوا قائلهم ، وساروا على نهجهم واتبعوا طريقتهم ؛ وهانحن أولاء وقد فشا بيننا الربا فشواً يؤذن بالتدمير ، وينذر بسوء المصير ! وهامو تاريخ

الجسرة الثالث

٥٦

وَلَا يَبِيحُ مِنْهُ شَيْعًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا
 أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتِطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلَئِمْلٍ عَلَيْهِ بِالْعَدْلِ
 وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
 فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ
 إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَبَأُ الشُّهَدَاءُ
 إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ يَكْفُرَهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا
 لِلَّهِ أَجْلُهُ ذَلِكَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشُّهَدَةِ وَأَدَقُّ
 أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَعْضُكُمْ حَاضِرًا يُدِيرُهَا يَشْكُرُ
 فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ
 وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَمَا لَهُمْ قُوفٌ بِكُمْ
 وَأَنْتُمْ قَوْلُ اللَّهِ وَيَعْتَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾
 * وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِمْ مَقْرُوضَةً
 فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنُ مِنْهُ

وَلَسْتِ

الكفر يعيد نفسه ؛ فاذا بالمعاملات جميعها وقد صار الربا جزءاً منها متما لها ؛ وبألت التعاملين به يقولون يتصرعه ؛ كمن يتعاطى الحجر ويرتكبه الزنا ؛ عالماً بتعريمها ، كارهاً لها ؛ ولكنهم يتعاطون الربا ، ويقولون كما قال آباء لهم من قبل : «إنما البيع مثل الربا» (وأحل الله البيع) لأنه عن تراش . كما أن الزيادة في ثمن المبيع بسبب تأخير دفع الثمن ؛ لا غبار عليها ، وهي مما أحل الله (وحرم الربا) لأنه ظلم وغصب - ولو أنه يتخذ دائماً مظهر الرضا في كثير من الأحيان - ومن عجب أن قام أناس من العلماء ، يحلون ذلك الربا ؛ فانافق ولما إليه راجعون ! (من جاءه موعظة من ربه) تهديده إلى سواء السبيل ، وتحويل بينه وبين هذا الداء الويل (فاتهي) فامتنع عن أكل الربا ، ورجع إلى الله تعالى (فله ما سلف) =

= ماضى من أمره قبل مجىء الموعدة ، ولا يعاقبه الله تعالى عليه ؛ بشرط أن يرد ما أخذه لأربابه ؛ لأنه ظلم . والظلم قرين الكفر ! قال تعالى « وان تبتم فلکم رؤس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون » (وأمره إلى الله) إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه (ومن عاد) إلى أكل الربا ؛ بعد استماع الموعدة (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وأولئك الذين أعلن الله تعالى ورسوله الحرب عليهم : « فأذنوا بحرب من الله ورسوله » (يحق الله الربا) يبطله ويذهب ببركته (ويرى الصدقات) يزيد وينسى المال الذى أخرجت منه الزكاة ! فاجب لمال يزيد : فينقصه الله ويحقه ، ولمال ينقص فيريده الله تعالى وباركه !

هذا فضلا عن زيادة ثواب الزكاة والصدقة « والله يضاعف لمن يشاء » (والله لا يحب كل كفار) شديد الكفر (أتيم) كثير الإثم (وذروا) اتركوا (ما بقى من الربا) لكم عند مدنيكم (فان لم تفعلوا) ذلك ، وطالبتم بما استحق لكم من الربا ؛ بعد ما علمتم حرمة وشؤمه (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) الويل كل الويل لمن سمع هذا الإنذار ولم يرتجع ولم يقب ؛ بل انتحل الأعذار التى لا يستسيغها بعض مخلوقات ، فضلا عن مبدع الكائنات ! والإيدان : الاعلام (وان كان) الدين (ذو عسرة) لا يستطيع دفع ما عليه فى موعده (فنفطرة) مهلة وانتظار (إلى ميسرة) أى إلى أن يتيسر للدين دفع دينه . قال صلى الله تعالى عليه وسلم « من أنظر معسراً أو وضع عنه : أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله » (وأن تصدقوا) تصدقوا على المعسر بالترك ، أو الإبراء ، أو حط جزء من الدين (خير لكم إن كنتم تعلمون) ما أعدده الله تعالى من الأجر للمتصدق (ثم توفى) تجازى (كل نفس ما كسبت)

جزاء ما عملت من خير أو شر (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى) أى أجل معلوم ؛ وهذا غير ما يعطى على سبيل العونة (فاكثبوه) ليتذكر الدائن ما له ، والدائن ما عليه .

أنظر أيها المؤمن كيف يعاملنا الله تعالى النظام والكتابة ؛ ليحل الوثام مكان الحصاص ، والوفاق مكان الشقاق ؛ فله تعالى الحمد والمنة ، والشكر والنعمة ! (وليملل الذى عليه الحق) لأنه هو الدين ، وهو الذى يعلم مبلغ يساره ووقته (وليتق) الدين الملى (الله ربه) أو « ليتق » الكاتب (ولا يخس) لا ينقص (منه شيئاً) أى من الدين (فان كان الذى عليه الحق) الدين (سفيهاً) لا يحسن التصرف (أو ضيفاً) عن الإملاء ؛ لمرض ، أو كبر (أو لا يستطيع أن يعل) لحرس ، أو عى ونحوها (فليملل وليه) متولى =

وَلَيْتَىٰ اللَّهُ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا النَّهْيَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فإِنَّهٗ رِءُوسٌ لِّقَلْبِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٨﴾ ءَأَمِنَ الرَّسُوْلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَنفِرُ بَيْنَ أَيْدِي رِسَالِهِمْ وَقَالُوْا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا خُفِرْنَا رَبَّنَا وَإِلَيْكَ النَّصِيْرُ ﴿٥٩﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا مَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ سَيْنَا أَوْ أخطَانَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا

== أمره ؛ كوالده ، أو ولده ، أو وصي ، أو قيم (أن تفضل) أى خشيته أن ينسى (إحداهما) لإحدى المرأتين (فذكر إحداها الأخرى) بما نسبته (ولا ياب) لا يتعق (الشهداء إذا ما دعوا) للشهادة (ولا تسأموا) لا تملوا (أن تكتبوه) أى الدين (صغيراً) كان (أو كبيراً إلى أجله) مدته ، وموعد أدائه (ذلك أقسط) أعدل (وأدنى ألا ترتابوا) أقرب ألا تشكوا في مقدار الدين وأجله (إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم) بالتسليم وتسلم الثمن (فليس عليكم جناح ألا تكتبوها) إذ لا فائدة

من الكتابة ؛ فقد تم تسليم البضاعة ، وتم دفع ثمنها (ولا يضار كاتب) بسبب كتابته (ولا شهيد) بسبب شهادته ؛ ما دام قد قام بما أمر الله به من العدل والاستقامة (وان تفعلوا) ما نهيت عنه ، وألحتم الضرر بمن كتب ، أو شهد (فانه فسوق بكم) خروج عن الطاعة (وانقوا الله) خافوه ، واخشوا عقابه (ويطعكم الله) ما لم تكونوا تعلمون ؛ بسبب خشيتكم وتقواكم (ولا تكتبوا الشهادة) أى أدوها على وجهها الأكمل ؛ لئلا يترد الحقوق إلى أربابها ، والظالم إلى أصحابها (ومن يكتبها فانه آثم قلبه) إسناد الآثم إلى القلب - مع أنه سيد الأعضاء والمضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله - دلالة على أن كتم الشهادة من أكبر الآثام ؛ إذ أن إثم القلب ليس كإثم سائر الجوارح (وان تبدوا ما في أنفسكم) فإطعمه الناس عنكم (أو تخفوه) عن الناس ؛ فان الله تعالى يعلمه (آمن الرسول بما أنزل إليه) من القرآن (والمؤمنون آمنوا أيضاً به) (كل) من الرسول والمؤمنين (آمن بالله وملائكته) أى وآمن بوجود ملائكة الله تعالى المكرمين (وكتبه) أى وكل آمن بسائر الكتب المنزلة على رسل الله وأنبياؤه السابقين (ورسله) أى وآمن برسله عليهم السلام ؛ الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم (لا فرق)

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨﴾

(٢) سُورَةُ آلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَأَيَّاهَا ٢٠٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلَمْ ۙ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ ﴿١﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَاَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْاِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلُ هَدَى لِنَاسٍ وَاَنْزَلَ الْفُرْقَانَ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيَاتِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَّاللّٰهُ عَزِيْزٌ ذُوْ اَنْتِقَامٍ ﴿٣﴾ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَجْعَلُ عَلَيْهِ سُوْرَةً فِى الْاَرْضِ وَلَا فِى السَّمَآءِ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِى يُّصَوِّرُكُمْ فِى الْاَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِى اَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ

هُنَّ

أى يقول الرسول والمؤمنون: «لا فرق» (بين أحد من رسله) فتؤمن ببعض ، ونكفر ببعض (وقالوا سمعنا) قولك (وأطعنا) أمرك (غفرانك ربنا) لذنوبنا (وإليك المصير) فاعف عنا واغفر لنا (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) طاقتها (لها ما كسبت) من الثواب (وعليها ما اكتسبت) من العقاب (ربنا لا تؤاخذنا بذنوبنا) (إنا نسينا) ان فعلناها ناسين (أو أخطأنا) أو فعلناها مخطئين ، غير عاملين . قال صلى الله تعالى عليه وسلم «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (ربنا ولا تحمل علينا إصراً) أى لا تكلفنا إصراً يثقل علينا حمله وأداؤه . والإصر: العبء الثقيل (كما حملته على الذين من قبلنا) كبنى إسرائيل ؛ حين شددوا فشدد الله تعالى عليهم ، وحرم عليهم طيبات أحلت لغيرهم (ربنا ولا تحملنا =

== مالا طاقة لنا به) أى لا تحملنا ما يصعب علينا القيام به . وليس معناه : لا تحملنا مالا قدرة لنا على احتماله لأن مالا قدرة عليه ؛ لا يدخل في باب التكليف « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » (أنت مولانا) سيدنا ومتولى أمورنا !

(سورة آل عمران)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سورة آل عمران

٥٩

(الم) (أظفر آية ١ من سورة البقرة)
 (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) الفاعم بتدبير الخلق وحفظه . عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه الاسم الأعظم (نزل عليك الكتاب) القرآن (مصدقاً لما بين يديه) ماقبله من الكتب: كالنوراة والإنجيل (وأنزل التوراة) على موسى (والإنجيل) على عيسى (من قبل) أى من قبل محيى وإمام الرسل عليه الصلاة والسلام (وأنزل الفرقان) القرآن الكريم ؛ ويطلق «الفرقان» على سائر الكتب المنزلة ؛ لأنها تفرق بين الحق والباطل (هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء) ذكرانا ولانانا بيضاً وسوداً ، حسناً وقبحاً (منه آيات محكمات) قطعية الدلالة ؛ لا تحتمل اشتباهاً ، ولا تأويلاً (هن أم الكتاب) أى أصله ، تحمل المشابهات عليها ، وترد إليها (وأخر) أى وآيات أخر (متشابهات) محتملات التأويل ، لها معان متشابهة . وقد ذهب قوم - عفا الله تعالى عنهم - إلى أن القرآن كله محكم ، لقوله تعالى « كتاب أحكمت آياته » وذهب آخرون إلى أنه كله متشابه ؛ لقوله جل شأنه « كتاباً متشابهاً » وليس هذا من معنى الآية فى شىء ؛ إذ أن معنى قوله تعالى « أحكمت آياته » أى فى حسن النظم ، وقوة التعبير ، وأنه

هُنَّ أَمْ أَلْكِتِيبِ وَأَخْرَمْتَشَيْهَتْ فَمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
 ذَرِيعٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا نَشَأَهُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ
 وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّحْمَنُ فِي الْعِلْمِ بِقَوْلُونَ ءَامَنَّا
 بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٩﴾
 رَبَّنَا لَا تَرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
 رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٦٠﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْأَعْيَادَ ﴿٦١﴾ إِنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿٦٢﴾ كَذَّابٍ
 ءَالَ فِرْعَوْنَ وَآلِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمْ
 اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦٣﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 سَعْتَلُونَ وَيَحْتَمِرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٦٤﴾
 قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ الْأَتَقَاتِ فَمَا تُغْنِيَنَّ فِي سَبِيلِ

حق من عند الله . ومعنى «متشابهات» : أى يشبه بعضه بعضاً ، ويصدق بعضه بعضاً (أولو الأبواب) ذوا العقول (ربنا لا ترغ) لا تل (قلوبنا) عن الحق (بعد إذ هديتنا) إلى الإيمان (ليوم لا ريب) لا شك (فيه) وهو يوم القيامة (إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) من عنده لهم ، واتقاهم منهم (كذاب) كشاف وعادة (آل فرعون) أى فرعون وقومه (والذين من قبلهم) من الأمم الكافرة المعاندة ؛ كعاد وثمود (كذبوا بآياتنا) التى أنزلناها على رسلنا (فآخذهم الله بذنوبهم) جازاهم بها ، وعاقبهم عليها . يقال : أخذته بكذا : أى جازيته عليه (قل) يا محمد (للذين كفروا ستغلبون) يوم بدر (وتحتمرون) يجمعون يوم القيامة (إلى جهنم وبئس المهاد) الفراش (قد كان لكم آية) برهان وعبرة =

== (في فئتين) فرتين وجماعتين (التقيا) للقتال يوم بدر (ثمة) مؤمنة (تقاتل في سبيل الله) أى في سبيل نصرته دينه ، واعلاء كلمته (وأخرى) أى وقتة أخرى (كافرة) تحاول إطفاء جذوة الإيمان (برونهم مثلهم) أى يرى الكفار المؤمنين ضعف عددهم ، فتضلع قلوبهم ، أو يرى المؤمنون الكفار ضعف عددهم - مع أنهم يزيدون عن الضعف زيادة كبيرة - فتقوى بذلك قلوبهم ؛ وقد وعدهم الله تعالى بالنصر والغلبة : «فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين» (انظر الآيات ٤١ وما بعدها من سورة الأنفال) (إن في ذلك) الحداد الذى بدأ على أعين القوم ؛

الجزء الثالث

٦٠

والذى تسبب في نصرته المؤمنين ، وخذلان الكافرين (لعبرة) لعظة (لأولى الأبصار) لنوى البصائر (زين للناس) حب للمهم ، وزين الشيطان لهم (حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة) والاستكثار من كل ذلك : يحبون النساء للشهوة ؛ لا لابتناء الولد الصالح ، ويحبون البنين للطفان والكثرة ؛ لا لمباداة والقرين ، ويحبون الذهب والفضة للجمع والكنز ؛ لا للبدل والتصدق (والخيل المسومة) الحسان المعلقة ؛ يحبونها للفخر والزينة ؛ لا للجهاد في سبيل الله (والأنعام) وهى الماشية التى ترعى ؛ وأكثر ما تطلق على الإبل (والحرث) الزرع (ذلك) كله (متاع الحياة الدنيا) يؤاخذ الإنسان على تصرفه فيها ، والقيام بحقوقها (والله عنده حسن المآب) حسن المرجح ؛ فمن شاء عمل لذلك ؛ ولم تفره مفاتن الدنيا ومتاعها الزائل (قل أؤنبشكم بخير من ذلكم) المتاع المذكور: الشهوات من النساء ، والبنين ، والقناطير من الذهب والفضة ، والخيل الفارحة ، والزرع والضرع ؛ بخير من ذلك كله : ما أعده الله تعالى للمتقين (لذين اتقوا عند ربهم جنات) فأين الشهوات الزائلات ، والأموال الفانيات ؛ من الجنات العاليات ،

اللَّهُ وَأَخْرَجَ كَافِرَةٌ بِرُؤْنِهِمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٥٧﴾
 زِينِ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
 الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ
 وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
 عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ ﴿٥٨﴾ * قُلْ أُوْنِبْشِكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ
 ذَلِكَ لِّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ
 وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَهْمَانَا فَاغْفِرْ
 لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٦٠﴾ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
 وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقَاتِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
 اللَّهُ أَنَّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٦١﴾ الَّذِينَ هُمْ
 عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ اللَّهُ أَنَّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾

عند

التي عرضها كعرض الأرض السموات (خالدين فيها) أبداً (و) لهم فيها (أزواج مطهرة) من الأدناس ، ومن كل ما يستقذر عادة ؛ كالحيض والنفس (ورضوان من الله) وهو خير من الجنات ، وما فيها من الطيبات (والقاتين) الطامعين الداعين (والمنفقين) نما آتاهم الله ؛ الذين وقام شح أنفسهم ، وزادهم هدى وآتاهم تقواهم «فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا» (والستغفرين بالأسحار) أواخر الليل ، قبيل الصبح (شهد الله) قرء ، وبين خلقه باللائل والآيات (أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) يقررون ذلك أيضاً (فإنما بالقسط) مقبلاً للعدل بين خلقه (إن الذين

عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا
 مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ
 اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٦١﴾ فَإِنْ حَاجَّكَ قَوْمٌ
 أَنَسْتُمْ وَجْهَ اللَّهِ وَمِنْ أَجْنِمْ ۖ وَعَلَى الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
 وَالْأُمِّيِّينَ أَنَأْسَلُكُمْ فَإِنْ أَسَأَلُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا
 فَأَمَّا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ۗ وَاللَّهُ بِصَبْرٍ بِالْعِبَادِ ﴿٦٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ نَادَوْا بِغَيْرِ حَقٍّ
 وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
 بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
 فِي النَّارِ وَالْآخِرَةُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ
 لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٦٥﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۗ

عند الله الإسلام) أى إن الدين الحق ،
 المرضى المقبول ، هو الإسلام . وقد قال فيلسوف
 الإنجليز برناردشوف لإحدى كتاباته عن
 الإسلام : هو دين المستقبل . (فإن حاجوك)
 جادلوك (فقل أسلمت وجهي) أخلصت نفسي
 (لله) أنا (ومن اتبعني) من المؤمنين (وقل
 للذين أوتوا الكتاب) اليهود والنصارى
 (والأميين) الذين لا كتاب لهم من مشركى
 العرب (أسلمتم فإن أسلموا) واتقادوا (فقد
 اهتدوا) إلى الصراط المستقيم (وإن تولوا)
 أعرضوا عن الإيمان (فأما عليك البلاغ)
 «ليس عليك هدام» (بالقسط) العدل
 (حطت) بطلت (ألم تر إلى الذين أوتوا
 نصيباً من الكتاب) هم أحبار اليهود (يدعون
 إلى كتاب الله) التوراة (ليحكم بينهم) عن
 ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : دخل
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جماعة
 من يهود فدعاهم إلى الله؟ فقال له نعيم بن عمرو
 والحارث بن زيد : على أى دين أنت يا محمد ؟
 فقال : على ملة إبراهيم ودينه . فقالا : فإن
 إبراهيم كان يهودياً . فقال لها رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم : فهلوا إلى التوراة
 فهي بيننا وبينكم . فأبوا عليه ؟ فأنزله الله
 تعالى هذه الآية .

(فكيف) يكون حالهم (إذا جئناهم ليوم لا ريب فيه) لاشك فيه ؛ وهو يوم القيامة (ووفيت كل نفس) في ذلك اليوم (ما كسبت) جزاء ما عملت من خير أو شر (وهم لا يظلمون) بزيادة عذاب ، أو نقصان ثواب (تولى الليل في النهار) أى تدخله فيه ؛ بزيادة النهار ونقصان الليل (وتولى النهار في الليل) بزيادة الليل ونقصان النهار كما هو مشاهد في نهار الصيف والشتاء وليهما (وتخرج الحى من الميت) الدجاجة وهى حية ، من البيضة وهى ميتة ، والإنسان وهو حى ، من المني وهو ميت في الظاهر (وتخرج الميت من الحى) البيضة وهى ميتة ، من الدجاجة وهى حية ، والمني وهو ميت ظاهراً من الإنسان وهو حى . أو تخرج النخلة والأشجار وهما أحياء بالفاكهة والثمار ، من النواة والبذرة وهما لا تقع منهما ، ولا حياة فيهما . وروى عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه :

« يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن » ولا بدع فالحياة الحقيقية : حياة القلوب لا الجسم ؛ ولا حياة بغيرها ! والحياة الأبدية : هى الإيمان ! (وترزق من نساء) رزقه (بغير حساب) بل بغير سبب ؛ فقد يرزق تعالى الجاهل ، ويمنع العاقل ! (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) نهى سبحانه وتعالى عن موالاتة الكفار دون المؤمنين ؛ لما يترتب على ذلك من مضار دينية ودنيوية ؛ إذ أن الكافر إن أظهر الود بخداع وفاق ، وإن أبان الإخلاص بنصام وشقاق ! وما أجز الأمم الإسلامية وأذلها بالاستعباد والاسترقاق : سوى موالاتة الكفار ، ومجانبة الأبرار (انظر آية ٥١ من

وَعَرَّمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥١﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وُوفِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن نَّسَاءَ وَتُزِجُ الْمَلِكَ مِّن نَّسَاءَ وَتُزِجُ مَن نَّسَاءَ مِّن نَّسَاءَ وَيُبَدِّلُ مَن نَّسَاءَ بِمَن نَّسَاءَ إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٣﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتُزَوِّجُ مَن نَّسَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥٤﴾ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمُ تُقَةً وَيَحْذَرَ اللَّهُ أَنفُسَهُ وَلِلَّهِ اللَّهُ الْمَصِيرُ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِن تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبْلُغُوا بِعِلْمِ اللَّهِ وَعِلْمِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٦﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ

سورة المائدة (ومن يفعل ذلك) بأن يوالى الكافرين من دون المؤمنين (فليس من الله في شيء) أى فقد برىء من الله تعالى ، وبرىء الله منه (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أى إلا إذا واليتهم بقدر ، وصاحبتهم بحذر ؛ لتتقوا بذلك أذاهم ، وتسلموا من كيدهم (ويحذركم الله نفسه) أى يخوفكم بطشه وعقابه إذا لم تسمعوا قوله وتزولوا على حكمه (وإلى الله المصير) فيؤاخذكم على ما فعلتم ، ويعاقبكم على ما جنيتم (يوم تجد كل نفس ما عملت) في الدنيا

مِنْ خَيْرٍ مَحْضَرًا وَمَا عَلَّمْتِ مِنْ سُوْرٍ تُوْدُلُوْنَ اَنْ يَبِيْنَهَا وَبَيْنَهُ
 اَمْدًا بَعِيْدًا وَيَحْدِكُ رُكُوْعًا لِنَفْسِهِ وَاللّٰهُ رَعُوْفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٦٣﴾
 قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْ
 لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴿٦٤﴾ قُلْ اَطِيعُوا اللّٰهَ
 وَالرَّسُوْلَ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِيْنَ ﴿٦٥﴾
 * اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰٓى اٰدَمَ وَنُوْحًا وَاٰلَ اِبْرٰهِيْمَ وَاٰلَ عِمْرٰنَ
 عَلٰى الْعٰلَمِيْنَ ﴿٦٦﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ
 عَلِيْمٌ ﴿٦٧﴾ اِذْ قَالَتْ اَمْرَاْتُ عِمْرٰنُ رَبِّ اِنِّيْ نَذَرْتُ
 لَكَ مَا فِيْ بَطْنِيْ مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيْ اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيْعُ
 الْعَلِيْمُ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا وَضَعَهَا قَالَتْ رَبِّ اِنِّيْ وَضَعْتُهَا اُنْثٰى
 وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكْرَ كَالْاُنْثٰى وَاِنِّيْ
 سَمِيْتُهَا مَرْيَمَ وَاِنِّيْ اَعِيْذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطٰنِ
 الرَّجِيْمِ ﴿٦٩﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُوْلٍ حَسَنٍ وَاَنْبَتَهَا نَبَاتًا

(من خير) أى أجره وثوابه (محضراً) لم ينقص منه شيء (أمداً) مسافة وغاية (قل) أطيعوا الله والرسول فان تولوا) أعرضوا عن الطاعة (فان الله لا يحب الكافرين) وسيعاملهم يوم القيامة معاملة الكاره لهم ؛ والويل لمن أبغضه الله ! (ان الله اصطفى) اختار واجتنب (آدم ونوحاً) لاتباع دينه ونشره (وآل إبراهيم وآل عمران) للاسلام. وآل الرجل: قومه وأتباعه ، ومن هم على دينه . قال تعالى « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه » (ذرية بعضها من بعض) في موالاته الله ، وفي الدين (إذ قالت امرأة عمران) أم مريم عليها السلام (رب إني نذرت لك ما في بطني) من الولد (محراً) خالصاً من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس

(وإني أعيدنها) أجيرها وأحصنها (بك) وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها) تقبل مريم التي نذرتها أمها (وأنتها نباتاً حسناً) وهو مجاز عن التربية الحسنة . قال ابن عطاء : ما كانت ثمرة مثل عيسى ؛ فذاك أحسن النبات !

(وكفلها زكريا) أى جعله الله تعالى يتكفل بتربيتها (كما دخل عليها زكريا المحراب) الفرقة التى تجلس فيها ، أو هو مكان العبادة (وجد عندها رزقا) طعاماً . قيل : كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء (قال يامرهم أنى لك) من أين لك (هذا) الذى أراه (هنالك) عندما رأى زكريا مشاهد الرضا والقبول (دعا زكريا ربه)

الجزء الثالث

٦٤

ففى مواطن التجلى يستجاب الدعاء ! (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى) فيه إشارة إلى أن الصلاة مفتاح للخيرات ، وبها تجاب الدعوات ؛ وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا حزبه أمر فرغ إلى الصلاة . (مصدقا بكلمة من الله) أى مصدقا بعبسى عليه السلام ؛ لأنه أتى لى الحياة بكلمة «كن» فكان (وسيدا وحسورا) المحصور: الذى يحصر نفسه ويغنى عن ملاذها وشهواتها ، أو هو المحصوم من الذنوب ؛ كأنه حصر نفسه عنها . وقيل : المحصور : الذى لا يأتى النساء (قال) زكريا (رب أنى يكون لى غلام) كيف يكون لى ولد (وامرأتى عاقرة) لا تلد لكبرها (قال رب اجعل لى آية) علامة على ذلك ، أو مهزنى بأمرى إذا وقعت لى : أعلم منه إجابة دعوتى (قال آيتك) علامتك (ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) أى بالإشارة ، لا بالنطق . وقد كان صيامهم عن الطعام والكلام « لى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا » (وإذ كر ربك كثيراً) اعبدته (وسبح) بحمده (بالعشى) وهو من الزوال لى الغروب (والإبكار) من طلوع الفجر لى الضحى . والمراد : طول مدة التسبيح (يامرهم إن الله اصطفاك) اختارك (وطهرتك) من كل سوء .

حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّ دَخَلٍ عَظِيمًا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابِ
 وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُومُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ
 مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ رَزَقُكَ مِنْ يَسَاءٍ وَبِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٥﴾
 هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لى مِنْ لَدُنْكَ
 قُوَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٦٦﴾ فَنادته الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ
 قَائِمٌ يَصَلَّى فِى الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يَشْرِكُ بِحُجَّتِى مُصَدِّقًا
 بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحُصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦٧﴾
 قَالَ رَبِّ أَنى يَكُونُ لى غَلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِى الْكِبَرُ وَامْرَأَتى
 عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٦٨﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ
 لى آيَةً قَالَتْ عَائِشَةُ أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا
 رَمَزًا وَإِذْ كَرَّرْتُكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالنَّيْتِ وَالْإِبْكَارِ ﴿٦٩﴾
 وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ
 وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ يَمْرُومُ اقْنَتى لربك

وأتجدي

وقيل : من مس الرجال (واصطفاك على نساء العالمين) قيل : على سائر النساء ؛ من بدء الخليقة حتى قيام الساعة . وقيل : على زمانها حسب ؛ وأنها عليها السلام لا تفضل فاطمة بنت محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا خديجة بنت خويلد ؛ واستلوا بقوله تعالى «يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلنكم على العالمين» ولم يقل أحد : إن بنى إسرائيل أفضل من أمة خير الأنام صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ بل إن تفضيلهم كان على عالمي زمانهم ، أو من تقدمهم من الأمم (يامرهم اقنتى لربك) أديعى الطاعة له ، والخشوع والابتهال لىه .

(ذلك) المذكور من أمر مريم وأما ، وزكريا وابنه (من أبناء الغيب) الذي غاب عن علمك وعلم قومك (نوحه إليك) آية لنبوتك ، وبرهاناً على صدقك (وما كنت لديهم) في هذه العصور ؛ حتى ترى ما فعلوا ، وما فعل بهم ؛ فتحكيه لقومك . ولكننا أطلعناك عليه من غيبنا الذي لا نطلع عليه إلا من ارتضينا «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول» أطلعناك عليه ليؤمن بك من أنار الله بصيرته ، ويهتدى بهديك من أراد الله هدايته ! «وما كنت لديهم» قبل ذلك عند ولادة مريم (إذ يقولون أفلأمهم) ليرون (أيهم يكفل مريم) قيل :

اختصم أهل مريم عليها السلام فيمن يكفلها ؛ فانفقوا على الاقتراع ؛ وطريقته وقتذاك : أن يلقوا أفلأمهم في النهر ؛ ويحتمل أن تكون القرعة لصاحب القلم الذي يظل طافياً على الماء ، أو الذي يكون رأسه إلى أعلى ، أو أمثال ذلك (يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه) يعيسى عليه السلام ؛ لأنه خلق بقول «كن» (وجيهاً في الدنيا والآخرة) أي ذا منزلة عالية في الدنيا ، وغزة وكرامة في الآخرة (ويكلم الناس في المهد) وهو ما يفرش للطفل ؛ وكلامه في المهد معجزة له ، وتبرئة لأمه مما افتراه عليها المفترون (وكهلاً) أي ويكلمهم كهلاً . والكهمل : الذي جاوز الثلاثين ، وخطه الشيب . والمراد بذلك نفى ما ادعاه الكافرون من ربوبيته ؛ فذكر تعالى أنه عليه السلام يدركه ما يدرك البشر من التغير والانتقال من الصغر إلى الكبر ، ومن حال إلى حال (قالت) مريم (رب أنى) كيف (يكون لى ولد ولم يمسسني بشر) كسائر من يلدن (ويعلمه الكتاب) الكتابة التي يخطها بيده (والحكمة) العلم النافع ؛ والمراد بها الشرائع والأحكام (والتوراة) الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام ؛ وقد كان معمولاً به حتى بعثه عيسى عليه السلام (أنى

وَأَجْمَعِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِبِينَ ﴿٦٥﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَأَمَّهُمْ
أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٦﴾
إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ
الْمُقَرَّبِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبِّكُمُ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي
بَشَرٌ قَالَ ذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٩﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٧٠﴾ وَرَسُولًا لِّكِنِّي إِسْرَائِيلَ أَنِّي
قَدْ جِئْتُمُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ
كَهَيِّئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِيءُ
الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُوحِي إِلَيْهِمُ بِمَا يَشَاءُ اللَّهُ وَأُنشِئُكُمْ

قد جئكم بآية) معجزة دالة على صدق (وأبرى الأكمه) الذي ولد أعمى (والأبرص) وهو يباض يصيب بعض الجلد ؛ فيجعله مشوها . وخصا بالذكر : لأن المبتلى بهما لا يبرأ منهما (وأوحى الموقى بإذن الله) بارادته وقدرته ؛ لا يارادنى وقدرتى . قيل : إنه أوحى سام بن نوح ؛ فكلمهم وهم ينظرون . وذهب بعض المفسرين المحدثين إلى أن المراد به إحياء موتى القلوب والنفوس ؛ وهو تأويل فاسد ، منسك لإحدى معجزات عيسى عليه السلام التي اختصه الله تعالى بها ؛ وإلا فإن أكثر الصالحين يموتون موتى القلوب والنفوس (وأُنشئكم) أخرجكم .

(بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) قيل : انه عليه السلام كان يقول لأحدهم : يا فلان لقد أكلت كذا في يومك ، وادخرت كذا في بيتك ؛ وذلك بغير تفكير ، أو استئذان لرمل أو أرقام ؛ كما يفعل الدجاجة . ولعل المراد أنه كان يعلمهم عناصر الأغذية وخواصها ، وكيف يحفظونها ويدخرونها . وهو باب يدخل ضمن أبواب الأدوية والعلاجات : وقد تخصص فيها معجزة له عليه الصلاة والسلام (ومصدقا لما بين يدي) ما تقدمني (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) وقد كان تعالى حرم عليهم بعض الطيبات عقوبة لهم

الجزء الثالث

قال تعالى «فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم» وقال جل شأنه «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم» (وجنتكم آية) معجزة دالة على صدق ، وحجة وعبرة ؛ وهو كل ما قدمه من إبراء ، وإحياء ، وإخبار بغيب (هذا صراط) طريق (مستقيم) ومن يجب أن يرى عيسى - لبي إسرائيل - الأكمة والأبرص ، ويحي لهم الموتى ، ويغيرهم بالغيب الذي لا يعلمه سواهم ، وما هو كائن في خلوقهم وبطونهم ؛ فيأبون الاقياد لحير العباد ، ويرفضون الإيمان للديان ! (فلسا أحس عيسى منهم الكفر) بالله ، وانكار بعثته ، ونبوته : أراد أن يختار خلاصاه من بين من آمن منهم - وقليل مالم - (قال من أنصاري لى الله) أى من أنصاري لنصل معاً لى الله ، أو من أنصاري مع الله (قال الحواريون) حوارى الرجل : صفوته وخاصته (فاكتبنا مع الشاهدين) الذين يشهدون بوحدانيتك ، ويؤمنون بصدق رسوك (ومكروا ومكر الله) أى جازاهم الله على مكرهم بمكر أشد منه وأقسى . وهذا على سبيل المقاتلة . والمكر : الحداق . قال تعالى «يخادعون الله وهو خادعهم» (إذ قال الله يا عيسى لى متوفيك) أى مستوفى أجلك . وقد اختلف في موته عليه الصلاة والسلام ؛ وهل رفع حياً ، أم رفت روحه بحسب ؛ واستدل كل فريق بما يراه مؤبداً لرأيه : فاستدل من قال بموته بقوله تعالى : «كل نفس ذائقة الموت» وعيسى عليه السلام من جملة النفوس التى كتب عليها الموت . ورد الفريق الآخر بأنه عليه السلام سيدوق الموت قبيل القيامة ، وبعد نزوله لى الأرض وحكمه بشريعة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ! ونحن إذا قلنا برفع روحه بحسب ؛ فان سائر الأرواح ترفع لى بارئها سبحانه وتعالى ؛ ولا يكون ثم فضل لعيسى عليه السلام اختصه الله تعالى به ! وزعم قوم بأنه مات ودفن بجهة سموها ؛ ولعلها ببلاد الهند ؛ والله تعالى أعلم بقوله وفعله ! (ورافعك لى) أى لى السماء =

بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ
 إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ
 وَلِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجَنَّتُمْ عَلَيْهَا مِنْ
 رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
 فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾ * قَلْبًا أَحْسَنَ عَيْسَى
 مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ
 تَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٨﴾ رَبَّنَا
 ءَأَمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبِعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦٩﴾
 وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ
 يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي جَعَلْتُكَ رَافِعًا لِي وَمَطْهُرًا مِّنَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا وَجَاعِلًا لِلَّذِينَ اتَّبَعُوكَ خَيْرًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنِّي يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ نُمِّي لِي مَرْجِعَكُمْ فَاحْكُمْ بَيْنَكُمْ فِي مَا كُنتُمْ فِيهِ
 تَخْتَلِفُونَ ﴿٧١﴾ فَمَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعَذِبْنَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا

في الدنيا

خادعهم» (إذ قال الله يا عيسى لى متوفيك) أى مستوفى أجلك . وقد اختلف في موته عليه الصلاة والسلام ؛ وهل رفع حياً ، أم رفت روحه بحسب ؛ واستدل كل فريق بما يراه مؤبداً لرأيه : فاستدل من قال بموته بقوله تعالى : «كل نفس ذائقة الموت» وعيسى عليه السلام من جملة النفوس التى كتب عليها الموت . ورد الفريق الآخر بأنه عليه السلام سيدوق الموت قبيل القيامة ، وبعد نزوله لى الأرض وحكمه بشريعة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ! ونحن إذا قلنا برفع روحه بحسب ؛ فان سائر الأرواح ترفع لى بارئها سبحانه وتعالى ؛ ولا يكون ثم فضل لعيسى عليه السلام اختصه الله تعالى به ! وزعم قوم بأنه مات ودفن بجهة سموها ؛ ولعلها ببلاد الهند ؛ والله تعالى أعلم بقوله وفعله ! (ورافعك لى) أى لى السماء =

= (ومطهرك من الذن كفروا) بتخليصك منهم (وجاعل الذين اتبعوك) وآمنوا بك (فوق الذين كفروا) بك . وهم اليهود - فآتاهم الله - كفروا بموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

سورة آل عمران

٦٧

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٦٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ
الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ
الْحَكِيمِ ﴿٦٩﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ
مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧٠﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٧١﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ
لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٧٢﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْءِقُصٌ
الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَوْءِزٌ
الْحَكِيمُ ﴿٧٣﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

(ذلك) القصص (تتلوه عليك) يا محمد (إن
مثل عيسى عند الله) في الخلق (كمثل آدم)
خلقه من غير أب ولا أم ، وخلق عيسى من
غير أب ؛ قال لها : كونا فكانا (الحق من
ربك فلا تكن من الممترين) الشاكين (فمن
حاجك) جادك من النصارى أو المشركين (من
بعد مجاءك) الذي جاءك (من العلم) في هذا
الكتاب الحق (فقل) لهؤلاء المجادلين
(تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا
وأفئسنا وأفئسكم ثم نبهل) تتضرع إلى الله
تعالى .

والباهلة : أن يجتمع الفريقان ويخرجان
بأبنائهم ونسائهم ، ثم يدعون الله تعالى باللعة
على الكاذب منهما (فنجعل لعنة الله على
الكاذبين) الذين يعرفون نعمة الله ثم
ينكرونها ! (فان تولوا) أعرضوا (فان
الله عليم بالمفسدين) الكافرين (قل يا أهل
الكتاب) اليهود والنصارى (تعالوا إلى كلمة
سواء) مستوية ؛ والسواء : العدل

بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
 مُسْلِمُونَ ﴿١٥٠﴾ يَتْلُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا حَتَّىٰ يَسْمَعُوا كَلِمَ اللَّهِ فَخِصَّةً
 يَسْمَعُونَ ﴿١٥١﴾ أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ لِأَنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفْلَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٢﴾
 هَاتِمْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجُجَكُمْ فَمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ
 فِيهَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٣﴾
 مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا
 مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ
 بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ
 وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٥﴾ وَوَدَّ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
 لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥٦﴾
 يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ
 تَسْهَوْنَ ﴿١٥٧﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
 وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥٨﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ

(يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم) زعم
 كل من اليهود والنصارى : أن إبراهيم عليه
 السلام كان منهم ؛ وجادلوا رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم فيه ، فقبل لهم : إن
 اليهودية إنما كانت بعد نزول التوراة ،
 والنصرانية بعد نزول الإنجيل ؛ وبين إبراهيم
 وموسى ألف عام ، وبينه وبين عيسى ألفان
 فكيف يكون على دين لم يأت بعد ، ولم
 يحدث إلا بعد عهده بأزمنة (ما أنتم هؤلاء
 حاجتم فيما لكم به علم) من أصحاب موسى وعيسى
 (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) من أصحاب
 إبراهيم (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا)
 كما تزعمون (ولكن كان حنيفا) مائلا إلى
 الدين الحق القيم ؛ وهو الإسلام (إن أولى
 الناس بإبراهيم للذين اتبعوه) أى آمنوا به ؛
 وليس من بينهم اليهود أو النصارى (وهذا
 النبي) محمد ؛ لأنه نادى بدين إبراهيم وملتسه
 «قل إنني هداة ربي إلى صراط مستقيم ديننا
 قيا ملة إبراهيم حنيفا» (والذين آمنوا) بمحمد
 عليه الصلاة والسلام ؛ فهؤلاء هم أولى الناس

أهل

بإبراهيم ؛ لا من كذبوه ! (ودت طائفة من أهل الكتاب) جماعة من اليهود (يا أهل الكتاب لم
 تكفرون بآيات الله) القرآن (وأنتم تصفدون) تعلمون أنه حق منزل من عند الله تعالى ؛ لورود ذكر
 محمى الرسول عليه الصلاة والسلام في كتابكم (يا أهل الكتاب لم تلبسون) تخلطون (وقالت طائفة من أهل
 الكتاب) لطائفة أخرى منهم

(آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار) أوله (واكفروا آخره) وذلك أنهم تواصلوا فيما بينهم أن يؤمن فريق منهم أول النهار، ثم يكفروا آخره؛ لأجل أن تنزل عقائد المسلمين؛ فيقولون في أنفسهم: مادعا هؤلاء إلى الارتداد؛ إلا ظهور بطلان ديننا (لعلهم يرجعون) أي لعل المؤمنين يرجعون عن إيمانهم (ولا تؤمنوا) لا تصدقوا ولا تطمشوا في هذا السر الذي اتفقنا عليه (إلا لمن تبع دينكم) لئلا يطلع المسلمون عليه (أن يؤتى) بأن يؤتى (أحد) من المؤمنين (مثل ما أوتيتم) من المعجزات والتوراة، وفاق البحر، والسنن والسلاوي، وأشبه ذلك (أو يحاجوكم) ويجادلوكم المؤمنون يوم القيامة (عند ربكم) لأنكم أصبح ديناً. قال تعالى رداً عليهم: مخاطباً خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام (قل إن الفضل) كله (بيد الله يؤتية من يشاء) وقد آتاك النبوة، وأنزل عليك الكتاب بالحق (ومن أهل الكتاب) اليهود (من إن تأمنه بقنطار) من الذهب؛ والمراد به المال الكثير (يؤده إليك) لأمانته (ومنهم من إن تأمنه بدينار) واحد (لا يؤده إليك) لحياثته (إلا ما دمت عليه قائماً) أي ملحاً بالمطالبة والمقاضاة. وهو تحذير من معاملتهم وعدم الاعتراض بأمانته بعضهم (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين) أي العرب (سبيل) طريق للإثم؛ وذلك لأن اليهود لعنهم الله تعالى يستحلون أكل مال من عداهم من الأمم - مسلمين، أو نصارى، أو غيرهما - وزعمون أن الله بذلك أسرهم. قال تعالى (ويقولون على الله الكذب) بنسبة ذلك الإفك إليه؛ وقد أمر تعالى بالوفاء بالعقود والمعهود والوعود - للمسلمين والكافرين على السواء - وقد خص على ذلك بقوله جل شأنه (بلى من أوفى بعهده) أدى أمانته (واتق) الله ربه في سائر معاملاته (فإن الله يحب المتقين) فيعزم في الدنيا، ويكرمهم وينعمهم في الآخرة (إن الذين

أهل الكِتابِ ءَامِنُوا بِاللَّهِ أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَا آتَىٰ تَبَعٌ دِينِكُمْ قُلْ إِنْ أُرِيدُ إِهْدَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِنُصْرَةٍ فَسَبَّحْتَ بِمِثْلِ مَا آتَىٰ تَبَعٌ دِينِكُمْ قُلْ إِنْ أُرِيدُ إِهْدَىٰ اللَّهُ يَدِي يَأْتِيهِ مِنَ بَيْنَايَ وَأَلْفُ عَشْرٍ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ﴿٧١﴾ مَخْتَصِمٌ بِرَحْمَتِهِ مِنَ بَيْنَايَ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٢﴾ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّه إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّه إِلَيْكَ إِلَّا مَا دَمَتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٣﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتُرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِمْ مِمَّا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ

يشترون) يستبدلون (بعهد الله وأمانتهم ممنا قليلا) أي يستبدلون الصدق والوفاء والأمانة بالكذب والاختلاف والحياثة؛ نظير ممنا قليل هو حطام الدنيا الزائل الفاني؛ وذلك كمن يتفق مع آخر على بيع ساعة من السلع؛ فيزيد له إنسان في ثمنها فيبيعها له، وينقض اتفاقه مع الأول. أو من يخطب ابنة إنسان؛ فيعاهده أبوها على تزويجها له نظير مهر بينهما؛ فيأتي آخر فيزوجها له نظير زيادة في المهر. أو كمن يحلف ببراءته من دين هو عليه. قال صلى الله تعالى عليه وسلم «من حلف على عين يقتطع بها مال امرئ مسلم؛ لقي الله تعالى وهو عليه غضبان» وكيف يرجو الخير من يلقي الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان؟ أعاذنا الله تعالى من غضبه، وأنجنا من سخطه ومن علينا برضاه يوم نلقاه! (أولئك) الذين اشتروا بعهد الله وأمانتهم ممنا =

= قليلا (لا خلاق) لا نصيب (لهم في الآخرة) من النعيم ، والثواب المقيم (ولا يكلمهم الله ولا ينظر

إليهم) نظر عطف ورحمة ، ولا يرأهم (ولا يزيهم) لا يطهرهم من ذنوبهم (وإن منهم) أى من اليهود ؛ وقد كانوا يقطنون حوالى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام (لفريقاً يولون ألسنتهم) يميلونها في النطق ؛ يريدون بذلك أن يفهموا السامع أن ما ينطقون به هو من التوراة (لتحسبوه من الكتاب) التوراة (وما هو من الكتاب) ما هو من التوراة ؛ بل هو من عند أنفسهم (ما كان لبشر) ما جاز له وما صح (أن يؤثبه الله الكتاب) الإنجيل (والحكمة) العلم والفقه (والنبوة) ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله) وهو تكذيب لمن يقول بألوهية المسيح عيسى ابن مريم (ولكن) كان يقول للناس (كونوا ربانيين) نسبة لى الرب تعالى ؛ أى طائعين له ، ومنفذين لأحكامه . أو كونوا علماء حكماء أتقياء (ولا بأمركم) أى ما كان لبشر أن يقول للناس : كونوا عباداً لى . ولا أن بأمركم (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) أى أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) على يديه ، وبأمر من مرسله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) أخذ العهد عليهم بأن يصدق بعضهم بعضاً ، ويؤمن بعضهم بما جاء به الآخر (لما آتيتكم) لئذى آتيتكم (من كتاب) أنزلته عليكم (وحكمة) علم نافع أضيفته على أفهامكم (ثم جاءكم رسول) محمد سيد البشر عليه الصلاة والسلام (مصدق لما معكم) من الكتب المنزلة (لتؤمنن به ولتنصرنه) قال أفقرتم) بذلك (وأخذتم على ذلكم) الميثاق (إصرى) أى عهدى . والإصر: العهد والذنب ، والثقل

الجزء الثالث

٧٠

بِالْبَيْمِ يَوْمَ الْقَيْمَةِ وَلَا يَزْكِيهِمْ وَلَمْ عَذَابُ الْيَمِّ ٧٧
وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرْقًا بِلُؤْلُؤِ السِّتَمِ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبَهُ مِنْ
الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ٧٨ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ
وَالنَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ
كُونُوا رَبَّيُنَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ
تَدْرُسُونَ ٧٩ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ
أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ٨٠
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ
وَلتنصرنه ٨١ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي
قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٨٢

فمن

من الكتب (مصدق لما معكم) من الكتب المنزلة (لتؤمنن به ولتنصرنه) قال أفقرتم) بذلك (وأخذتم على ذلكم) الميثاق (إصرى) أى عهدى . والإصر: العهد والذنب ، والثقل

قَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٧﴾
 أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ
 وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيِّينَ
 مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُنْفِرُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَبَيْنَ لَءَا مُمْلِكُونَ ﴿٣٩﴾
 وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٠﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
 بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
 وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ
 أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٤٢﴾
 خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٣﴾
 إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

(فن تولى) أعرض عن الإيمان بمحمد؛ وقد
 آمن به الأنبياء قبل لإيجاده (أفغير دين الله
 يبغون) يطلبون (وله أسلم) انقاد (من في
 السموات والأرض) من أملاك، ولانس
 وجن ، ومخلوقات لا يعلمها سوى خالقها
 (طوعاً) بعد تدبر الأدلة والآيات ، والحجج
 البينات (وكرهاً) بالسيف ، أو بعد معاينة
 العذاب ؛ كتنق الجبل على بني إسرائيل ،
 وإغراق فرعون وقومه ، وأمثال ذلك
 (والأسباط) حفدة يعقوب عليه السلام ؛
 ذراري أبنائه

(وجاءهم البينات) الدلائل الواضحات

(ينظرون) يمهلون

(إلا الذين تابوا من بعد ذلك) أى بعد
 ارتدادهم (وأصلحوا) أعمالهم (فإن الله غفورٌ
 لذنوبهم)

(رحيم) ٣٣

رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا
 كُفْرًا أَنْ تَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأَوْلَتْكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٣٤﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ
 مِلًّا ۗ الْأَرْضُ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهَا ۗ أَوْلَيْتَكَ لَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٥﴾ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا
 مِمَّا تُحِبُّونَ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾
 * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
 إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ ۗ قُلْ فَأَتُوا
 بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا ۗ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٧﴾ قُلْ أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ
 اللَّهِ الْكُذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأَوْلَيْتَكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٨﴾
 قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَمَا كَانَ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
 بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٤٠﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ

(لن تناولوا البر) أى لن تناولوا بر الله تعالى
 ونوابه ومغفرته (حتى تنفقوا مما تحبون)
 وهذا يكاد أن يكون منعدماً في هذا الزمان ؟
 لأنك ترى الرجل يتصدق بتوبه الممزق ،
 ولقمة الفضة ، وكل ما يكرهه ويستقفره ؟
 ثم يبه حجاباً ، ويغثال طربياً ، ويمس نفراً ،
 بما جاد به ، ويعتقد أن الجنة لم تخلق إلا لأجله ؟
 فهيات هيات أن يدخل مثل هذا جنة الله ،
 أو أن يجمع برضوانه ! ولن ينال بر الله ،
 سوى من أشفق بما يجب في دينه ! (وما
 تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) فيؤخذكم
 عليه إن كان مما تكرهون ، ويشيكم عليه إن
 كان مما تحبون ! فانظروا - هداكم الله -
 ماذا أتم فاعلون ! (كل الطعام كان حلالاً
 لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه)
 حرم على نفسه لحوم الإبل والباها - وقد
 كانا أحب الأشياء عنده - لمرضه بعرق النساء . و «إسرائيل» هو يعقوب عليه السلام (إن أول بيت وضع
 للناس للذي ببكة) مكة ؟ وهما لتان فيها (مباركا) كثير الخير والبركات ؟ لما فيه من الثواب وتكفير
 السيئات (فيه آيات بينات) حجج ظاهرات .

مقام

كانا أحب الأشياء عنده - لمرضه بعرق النساء . و «إسرائيل» هو يعقوب عليه السلام (إن أول بيت وضع
 للناس للذي ببكة) مكة ؟ وهما لتان فيها (مباركا) كثير الخير والبركات ؟ لما فيه من الثواب وتكفير
 السيئات (فيه آيات بينات) حجج ظاهرات .

مَّامٌ لِإِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ
 حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ
 غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٥﴾ قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ
 بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٦﴾ قُلْ يٰٓأَهْلَ
 الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِن مَّا مَنَّ تَبِعُونَهَا
 عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ ۗ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾
 يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيضَاتِ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٢٨﴾ وَكَيْفَ
 تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنَادِيٰنَ عَلَيْكُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ
 وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢٩﴾
 يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
 وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
 ۗ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۖ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

(مقام إبراهيم) وهو الحجر الذي قام عليه
 عند بناء البيت فأثرت فيه قدماه ، ومنها أن
 الطائر لا يطوله أبداً ؛ مع كثرتة وشدته (وقته
 على الناس) أى طلب منهم ، وفرض عليهم
 (حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) بالمال ،
 والصحة ، والأمن (ومن كفر) أى جحد
 فرضية الحج . أو هو من كفران النعم ؛ أى
 من لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم ،
 وسعة الرزق ؛ ولم يحج (فان الله غنى عن
 العالمين) وهم الفقراء إليه ، المترلقون له ،
 الطالبون مرضاته ، المؤمنون فضله ! (قل
 يا أهل الكتاب لم تصدون) تمنعون (عن
 سبيل الله) عن دين الحق ؛ وهو الإسلام
 (تبعونها عوجاً) تطلبونها وتريدونها معوجة
 (ومن يعتصم بالله) يحمى به ، ويلجأ إلى
 أوامره ، ويهتد إلى مرضاته (فقد هدى إلى
 صراط) طريق (مستقيم) قوم واضح ،
 موصل لكل خير (يا أيها الذين آمنوا اتقوا
 الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)
 أى خافوا الله واحذروه، واثبتوا بأوامره،
 واجتنبوا نواهيه ، وداوموا على ذلك حتى
 تموتوا وأنتم مسلمون (واعتصموا بحبل الله)
 بكتابه ؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
 «القرآن حبل الله المتين» .

(وكنتم على شفا حفرة من النار) الشفا: الحافة (فأقذكم منها) بأن هداكم للإسلام؛ وذلك لأن الكافر والمذنب - مثلهما في الدنيا - كمثل الواقف على حافة النار؛ فإذا مات: وقع فيها؛ فأقذنا الله تعالى - بمنه وكرمه - من الوقوع في النار؛ بهدایتنا إلى الإيمان (ولتكن منكم أمة) أى جماعة من متفكركم وعلمائكم (يدعون إلى الخير) يرشدون إلى الإيمان، ويحضون على الإحسان، ويوجهون إلى البر، ويحثون على الشكر (ويأمرون بالمعروف) بالفعل الحسن الذى يقره العرف والشرع (وينهون عن المنكر) الذى يستقبحه الشرع، وينكره العقل (وأولئك) الداعون

إلى الخير، الأمرون بالمعروف، الناهون عن المنكر (هم الفلحون) هذا وقد أوجب الله تعالى على سائر الأمة الإسلامية: الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر؛ لما يترتب على تركها من فساد المعاشى، وانتهاك حرمان الله تعالى. قال صلى الله تعالى عليه وسلم «ما أقر قوم المنكر بين أظهرهم؛ إلا عمهم الله بعذاب محض» وما نحن أولاء - وقد دعونا إلى الشر، وأمرنا بالسكر، ونهينا عن الخير - نعالق قلة البركات، وفساد النفوس والثمار، وقلة الأرباح، وكساد التجارات، وعقوق الأبناء، وتيجير الآباء! ولا دواء لما نعالقه، وشفاء لما نعالقه؛ سوى اللجوء إلى الله تعالى، والتمسك بأوامره، واجتناب نواهيه وزواجره! (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) هم اليهود والنصارى؛ حيث تعادوا وكفر بعضهم بعضا «وقالت اليهود ليست النصارى على شئ» وقالت النصارى ليست اليهود على شئ» (من بعد ما جاءهم البينات) الآيات الواضحات (يوم تبيض وجوه) وجوه المؤمنين؛ ولو كانت سوداء (وتسود وجوه) وجوه الكافرين؛ ولو كانت بيضاء (فأما الذين أسودت وجوههم) فيقال لهم (أكفرتم بعد إيمانكم) أى بعد أن كان الإيمان فى

قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأقذكم منها كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴿٧٤﴾ ولتكن منكم أمة يدعو إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴿٧٥﴾ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴿٧٦﴾ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين أسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴿٧٧﴾ وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴿٧٨﴾ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالين ﴿٧٩﴾ والله ما فى السموات وما فى الأرض وإلى الله ترجع الأمور ﴿٨٠﴾ كنتم خيرا أمة أخرجت للناس تأمرون

بالمعروف

متناول قلوبكم وعقولكم! يقال لهم ذلك على سبيل إذلهم والى الكفاية بهم (وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله) وحنته ورضوانه (هم فيها خالدون) أبد الأبدى، ودهر الداهرين! (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) ملكا وخلقاً وعبداً! (وللى الله ترجع الأمور) فى الدنيا والآخرة؛ فيبقى فيها حسباً تقتضيه المصلحة، وتستوجه العدالة المطلقة (كنتم) يا أمة محمد (خيراً أمة أخرجت للناس) بسبب أنكم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر: صيرا الأمة الإسلامية خير الأمم وأفضلها! كذلك تركهما بصير الإنسان أحط من العجاوات؛ فآداب - هديت وكفيت - على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ لترضى نفسك، وترضى ربك؛ وتكتفى ذل الحياة وبؤسها! وليكن أمرك

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ
 أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ
 فَالْسَاقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ
 يُؤَلِّدُوكُمُ الْأَذْيَارَ ثُمَّ لَا يُضِرُّونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ
 أَيْنَ مَا تَقَفُوا إِلَّا يَجْحَلِي مِنَ اللَّهِ وَجَحْلِيَ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَ
 بَغْضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَتَّى
 ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ * لَيْسُوا سَوَاءً
 مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ
 اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُوَسَّسُوا
 فِي الْقُلُوبِ وَأَوْلِيكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَعْمَلُوا
 مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفُرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ

بالمعروف ونهيك عن المنكر ؛ ابتغاء وجه الله تعالى ، ورغبة في مرضاته ! وحذار أن تفعل ذلك ابتغاء
 شهرة أو تظاهر فتهلك ؛ ويقلب سبعك إلى خسiran ، وحقق إلى بطلان ! (منهم) أى من أهل الكتاب
 (المؤمنون) كعد الله بن سلام وأصحابه
 (وأكثرهم الفاسقون) الكافرون، الكاذبون
 لكم (لن يضرؤكم) بكفرهم وكيدهم (إلا
 أذى) يسيراً (وان يقاتلوكم يولؤكم الأدبار)
 لجنهم ، وضعف باطلهم أمام حكم (ضربت
 عليهم الذلة أينما تقفوا) أى أينما وجدوا .
 نزلت في اليهود ؛ وهى من الآيات البينات ،
 والمعجزات الظاهرات ، والمغيبات الواضحات ؛
 وليس أدل على ذلك من اضهاد العالم أجمع
 لهم ، وتشيتهم في سائر الممالك ، وتفريق
 شملهم ؛ ولا يفرك ما هم عليه الآن من ملك
 اغتصوبه ، وحق استلبوه ؛ سيرد إلى أهله
 بقوة السنن والإيمان ؛ بعون الله تعالى !
 وستضرب عليهم الذلة - التى كتبها الله تعالى
 عليهم - والمسكنة - التى أرادها الله لهم -
 وستحل عليهم العنة أينما تقفوا ! (انظر آية
 ٦١ من سورة البقرة) (للاجحلي من الله وجحلي
 من الناس) الجحلي : السبب والعهد . أى أنهم
 لا يأمنون على أنفسهم إلا إذا كانوا يدفعون
 جزية ، أو يتملقون مسلما ؛ وهذا نوع من
 الذلة كتبه الله تعالى عليهم (وباءوا) رجعوا
 (بغضب من الله وضربت عليهم) كتبت
 (المسكنة) الذلة والضعف ؛ وهام أولاء
 تعاونهم شتى الدول بالميرة والتخيرة ، والعدة
 والعسدد ؛ فلم يزددهم ذلك إلا ذلا وضعفاً
 وهواناً ! (ويقتلون الأنبياء) كيجي وزكريا عليهما السلام (ليسوا سواء) أى ليس أهل الكتاب مستوين
 في الخير والشر «منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون» (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله) أى
 «ليسوا سواء» لأن منهم أمة قائمة بأمر الله ؛ يتلون آياته (آناء الليل) ساعاته (وما يفعلوا من خير فلن
 يكفروه) أى لن يعدموا ثوابه !

(مثل ما ينفقون) أي مثل ما ينفق الذين كفروا (في هذه الحياة الدنيا) من بر، وصدقة، وصلة رحم (كثل ربح فيها صر) الضر: برد يضر المزث والنبات (أصابت) تلك الريح (حرت قوم ظلموا أنفسهم) بارتكاب المعاصي، وتعرض أنفسهم للعقاب (فأهلكته) أي أهلكت الريح ذلك الحرت. وقد وصف تعالى المؤمنين في إلتفاهم - وما يجلبه هذا الإلتفاه علىهم من أجر عظيم، وخير عميم - بقوله جل شأنه «مثل الذين

الجزء الرابع

٧٦

ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة» فضاعف تعالى أجر المؤمن النفق إلى سبعمائة؛ ووعد أيضاً بأن يضاعف له هذه السبعمائة أضغافاً مضاعفة «والله يضاعف لمن يشاء» هذا مثل المؤمن النفق؛ أما مثل إلتفاه الكافر فقد مثله الله تعالى بالريح التي تصف بالنبات والأقوات، وتهلك الزرع والضرع! (وما ظلمهم الله) بذلك الجزاء (ولكن أنفسهم يظلمون) بالكفر (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل: خاصته وأسدائه.

ومنه بطانة الثوب؛ لاصتقتها له (من دونكم) أي من غير دينكم وجنسكم؛ لأن الأجنبي لا يعمل لحريك، بل يدس ويكيد لك؛ فوجب الابتعاد عنه، والاحتباس منه؛ قال تعالى «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة» (لا يألونكم خبالاً) أي أنهم لا يقصرون في إفسادكم، وإلصال الضرر بكم (ودوا ما عنتم) أي ودوا ضرركم أشد الضرر وأبلغه؛ وهو من العنت: أي المشقة (قد بدت البغضاء من أفواههم) بما يقذفونكم به من سباب، وما ينطقون به من كفر وهجر (وما تخفي صدورهم أكبر) مما بدا من أفواههم (ها أنتم أولاء تحبونهم)

كَفَرُوا وَإِنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٨﴾ هَٰئَانَتْ أَوْلَادُكُمْ بِحُبِّهِمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىٰ أَعْيُنِكُمْ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧٩﴾ إِنْ تَمَسَّكَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُومُكُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصَّبَرُوا وَسَبِّحُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ

بِ

وتتخذون منهم بطانة (و) هم (لا يحبونكم) لأنهم مفسدون على كراهة من عداهم (وتؤمنون بالكتاب كله) بالكتب المنزلة كلها؛ بما في ذلك كتابهم؛ في حين أنهم لا يؤمنون بكتابكم، ولا بكتابتهم أيضاً لأنهم لا يعملون بما في كتابهم (وإذا لقوكم) ناقفوا و (قالوا آمنا وإذا خلو) بأنفسهم (عضوا عليكم الأمان من الغيظ) وعض الأمان: عادة يفعلها الميظ المحقق، إذا لم ينل من عدوه منلاً (إن الله عليم بذات الصدور) بما في القلوب (إن تمسككم حسنة) نصر أو غنيمة (تسومكم وإن تصيبكم سيئة) باختلاف مقصد أو بهزيمة من عدو (يفرحوا بها) أرايت أيها المؤمنون حال من نهاكم عن اتخاذهم بطانة لكم، أو أولياء تولونهم من دون المؤمنين؟!

بِمَا يَعْمَلُونَ مُخِيطٌ ﴿١٠١﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ
الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾ إِذْ هَمَّتْ
طَائِفَتَانِ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ قَلْبُ كُلِّ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٠٤﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ
يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُرْتَلِينَ ﴿١٠٥﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ
فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُسَوِّمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ
قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ ﴿١٠٧﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ
فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٠٨﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَنْتُمْ ظَلِمُونَ ﴿١٠٩﴾ وَاللَّهُ مَافِي السَّمَوَاتِ

(وإذ غدوت من أهلك) أى خرجت غدوة
من أهلك . والغدوة : ما بين صلاة الفجر
وطلوع الشمس (تبوى المؤمنين) نزلهم
(مقاعد للقتال) مواقف ؛ أى ترتب جيوش
المؤمنين : ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين .
وكان ذلك فى وقعة أحد (إذ همت طائفتان)
هم بنو سلمة ، وبنو حارثة (أن تفشلا) تضعفا
عن القتال (والله وليهما) كفيهما وناصرهما
(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لاعلى أحد غيره
قال تعالى «ومن يتوكل على الله فهو حسبه»
(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) قليلون ؛
نصركم - رغم قلتكم وضعفكم - على المشركين
رغم كثرتهم وقوتهم (ويأتوكم من فورهم)
من وقتهم (موسمين) معلمين (وما جعله الله)
أى هذا الإمداد (ولتطمئن قلوبكم به) فلا
تجزع لكثرة العدو (وما النصر إلا من عند
الله العزيز الحكيم) يهب لمن يشاء بلا قدرة
ولا قوة ، ويعنه ممن يشاء مع مزيد القدرة
ووفور القوة ؛ وقد وهبكم النصر على الكافرين
مع قلتكم وكثرتهم ، وضعفكم وقوتهم (ليقطع
طرفا من الذين كفروا) أى لهلك طائفة منهم
(أو يكتسبهم) يغيظهم ويندهم ويخزيهم (فيتقبلوا
خائبين) فيرجعوا منهزمين .

(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا) كل منى جاء مصحوبا ببناء المؤمنين : «يا أيها الذين آمنوا» فهو من الحرمات ؛ التي يأثم فاعلها ، وثاب تاركها : «يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان» «لا تكونوا كالذين كفروا» «لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» «لا تخونوا الله والرسول» وأمثال ذلك . وأكل الربا من أخش الموبقات المنهى عنها ؛ خاصة إذ كانت (أضعافاً مضاعفة) وهو ما يسميه الربوبون بالفوائد المركبة ؛ وهو أن يضم المرابي فوائد الدين إلى أصله ، ويحتسب الدين وفوائده وفوائد الفوائد ؛ وهكذا حتى

يتضاعف الدين «أضعافاً مضاعفة» وليس معنى الآية : لإباحة الربا إذ لم يكن أضعافاً مضاعفة ؛ بل هو حرام قل أو أكثر ، ضعف أو لم يضاعف ؛ ويأثم فاعله ، ويكفر مستحله ؛ لقوله تعالى (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) الذين لا يطيعون الله فيما أمر ، ولا يعاونون بتهديده ووعيده ! (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) أى بادروا لقل ما يوصل إليها ؛ من فعل الطيبات ، واجتناب الحرمات (و) سارعوا إلى (جنة عرضها السموات والأرض) هذا عرضها فكيف بطولها؟ والمراد بذلك وصفها بالسعة والبسط ؛ فشبها تعالى بأوسع ما عمله الناس وألفوه . أما وصفها الحقيقي : فهو ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ! (أعدت) هذه الجنة ، التي هذا وصفها ، وهذه سمعتها (للمتقين) الذين يرجون رحمة ربهم ، ويخافون عذابه ! ووصف الله تعالى المتقين بقوله (الذين ينفقون) مما آتيناكم (في السراء والضراء) في اليسر والعسر ، في السعة والضيق ، في السرور والحزن ؛ لا يمنعهم مانع عن الإنفاق والإعطاء ؛ أليس هذا أمر ربهم ، وتوجيه لهم !؟ (والكاظمين الفیظ) يقال : كظم غظه : إذا حبسه ومنعه (والعاقبين عن الناس) إذا صدر منهم ما يستوجب المؤاخاة (والذين إذا

وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا
الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٧٧﴾
وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٧٨﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٧٩﴾ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْظَ وَالْعَاقِبِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ
الدُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَوْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾
أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٨٣﴾

فعلوا فاحشة) الفاحشة : المخرجة عما أمر الله تعالى به . وقيل : الفاحشة : الزنا (أو ظلموا أنفسهم) بارتكاب المعاصي ، وتعريضها للعقاب (ذكروا الله) تذكروا أمره ونهيه ، وثوابه وعقابه (فاستغفروا لذنوبهم) طلبوا منه تعالى غفرانها ، وعاهدوه على تركها وعدم العودة إليها (ومن يغفر الذنوب إلا الله) أى لا أحد يغفرها ومحوها سواه تعالى ؛ بشرط الاستغفار ، وعدم الاصرار (ولم يصروا) أى لم يقيموا (على ما فعلوا) من الذنوب التي استوجب الاستغفار وإلا فالعائد إلى ذنبه ، كالمتسهيء بربه ! (وهم يعلمون) أن ما يفعلونه من الآثام .

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٧٩﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ
 وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٨٠﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ
 الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ إِنْ يَمْسَسْكَ قُرْحٌ فَقَدْ
 مَسَّ الْقَوْمَ قُرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَاهَا بَيْنَ النَّاسِ
 وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَجْعَلُ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
 الظَّالِمِينَ ﴿٨٢﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ
 الْكٰفِرِينَ ﴿٨٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
 يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٤﴾
 وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
 وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٨٥﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
 مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَمْ يَأْتِ أَوْ قَتِلْ أَنْتَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ
 وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ

(قد خلت) مضت (من قبلكم سنن) وقائع أو أمم (هذا) القرآن (بيان للناس) يبين لهم ما خفى عليهم
 (وهدى) هداية لهم يهديهم إلى الطريق القويم ، والصراط المستقيم (وموعظة للمتقين) يتعظون بما فيه من
 الآيات ، ويعتبرون بما فيه من الحوادث (ولا تهنوا) من الوهن أي لا تضعفوا (ولا تحزنوا) فإله تعالى معكم
 (وأنتم الأعلون) بالغبلة والنصر على الكافرين
 (إن يمسك قرح) القرح : واحد القروح ؛
 وهو كناية عن القرب والهزيمة يوم أحد (فقد)
 مس القوم قرح مثله) أي مستهم هزيمة منكرة
 يوم بدر (وتلك الأيام نداؤها بين الناس)
 أي نصرها بينهم: فنصر هؤلاء يوماء ، ونصر
 أولئك يوماً آخر . ونفقر هؤلاء ، ونفنى
 هؤلاء ؛ ثم نفى من أقرنا ، ونفقر من أغنيا
 كل شيء عندنا بمقدار وتقدير، ونظام وتديير
 (وليعلم الله) علم ظهور (الذين آمنوا) بصبرهم
 على بلوهم ، وشكرهم على نعمهم ! (وليمحص)
 يبتلى ويختبر (ويمحق) يهلك (أم حسبتم)
 أيها المؤمنون (أن تدخلوا الجنة ولما) لم
 (يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)
 على ما أصابهم في سبيله (ولقد كنتم تمنون)
 تمنون (الموت) في الجهاد ؛ عند ما فاتكم وقعة
 بدر التي انتصر فيها المسلمون (فقد رأيتموه)
 أي رأيتم أسبابه ؛ في الجهاد يوم أحد ؛ فلم
 جنتم وانهرتم ؟ أليس هو الموت الذي تمنونه
 والشهادة التي تنشدهونها ؟ ! (انظر آية ٤٢ من
 سورة الرمز) (وما محمد إلا رسول) يعرض له
 ما عرض لسائر الرسل ، ويجوز عليه ما جاز عليهم
 وهو كسائر البشر : يأكل الطعام ، ويمشي
 في الأسواق . ويعرض ، ويموت (انظر آية ٤
 من سورة القلم) (قد خلت) مضت (من قبله)

(الرسل) ماتوا حين خان أجلهم (أفان مات) كباقي مخلوقات الله تعالى (أو قتل) كسائر المستشهدين
 في سبيله (انقلبتم) رجعت (على أعقابكم) والمراد : ارتددتم إلى الكفر بعد إيمانكم (ومن ينقلب على
 عقبيه) فيكفر بعد إيمان ، ويشك بعد إيقان (فلن يضر الله شيئاً) بل يضر نفسه ، ويوردها مورد الهلكة

(وما كان لنفس أن تموت) بارادتها؟ بل تموت (بإذن الله) حين ينتهي أجلها المحدد لها فإذا جاء أجلها لا تتأخر ساعة ولا تستقدم (كتاباً) مكتوباً عند الله (مؤجلاً) أى مؤقناً بأجل معلوم؛ فلا ينفع الجبن،

الجزء الرابع

٨٠

ولا تنجى الهزيمة «قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم» (ومن يرد) بعمله (ثواب الدنيا نؤته) ما كتب له (منها) وليس له حظ في ثواب الآخرة (ومن يرد) بعمله (ثواب الآخرة) وما أعده الله للمتقين (نؤته منها) ما يستحقه من النعيم القيم (وكانين) (من نبي قاتل معه ربيون) أى ربابيون؛ وهم العلماء العاملون، والمؤمنون الموحدون: حواربو الأنبياء وخاصتهم (فما وهنوا) أى فما قفروا، وما انكسرت هممتهم، أو ضعف قوسهم (وما استكانوا) وما خضعوا (والله يحب الصابرين) في الحرب، وعلى البأساء والضراء، وعلى الطاعة، وعن المصيبة (وما كان قولهم) أى لم يكن قولهم هذراً ولا لنواً ولا شكاية، ولا تأففاً وتضجراً؛ وإنما طاعة وصبراً؛ ولم يكن قولهم (إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا) تجاوزنا الحد فيها أمرتنا به، ونهيتنا عنه (وثبت أقدامنا) في الحرب؛ فلا تزول من مكانها إلا إلى النصر والظفر! من هنا نعلم أن واجب الإنسان حين يدعوره لدفع ملة، أو رفع كربة: أن يتجرد من دنياه، ويستغفر من خطاياها، ويتجه إلى مولاه؛ فيستجيب دعاه! ألا ترى - هداك الله تعالى إلى مرضاته - إلى

الشَّاكِرِينَ ﴿١١١﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يَرُدَّ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرُدَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجَّزَى الشَّاكِرِينَ ﴿١١٢﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرًا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُكُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ نَافِئًا وَإِسْرَافًا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَصْرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١١٤﴾ فَعَاسَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ طَئِعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا رُدُّوكُمْ عَلَيَّ أَعْتَصِبُكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١١٦﴾ بَلَى اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١١٧﴾ سَلِّقُوا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ

سَسْ

قول العزيز الجليل (فاتام الله ثواب الدنيا) بالنصر والتمنية والذكر الحسن (وحسن ثواب الآخرة) بالجنة والنعيم المخلد، ورضى عنهم وأرضاهم! (بل الله مولاكم) ناصركم ومتولى أموركم (سئلق في قلوب الذين كفروا الرعب) منكم؛ فلا يستطيعون مقاتلتكم (بما أشركوا) أى بسبب لإشراكهم (بالله ما لم ينزل به سلطاناً) حجة أو برهاناً (وماؤام) مرجعهم .

(مئوى) مقام (إذ تحسونهم) تقتلونهم . والحس : القتل والاستئصال (بإذنه) بأمره وإرادته وقدرته (حتى إذا فشلتم) جبتهم وضعفتم (من بعد ما أراكم ماتحبون) من النصر والظفر والغبية ، وانهمزام العدو في مواقع عدة (منكم من يريد الدنيا) الغيبة ؛ فترك مراكز القتال ؛ ليفوز بها (ومنكم من يريد الآخرة) وثوابها ؛ فثبت في مراكزه حتى قتل ؛ وفاز بالأجر والشهادة ؛ وأنعم بهما من سعادة !

(ثم صرفكم عنهم) ردكم عن الكفار بالهزيمة (ليبتليكم) ليختبركم بالمصائب ، وليظهر ثباتكم

على الإيمان (إذ تصعدون) الإصعاد : الذهاب في صعيد الأرض ، أو الإبعاد فيه . والصعيد :

ماعلى وجه الأرض من تراب وحجر ونحوهما . والمعنى : تستبقون إلى الهرب في مستوى الأرض ،

وفي بطون الأودية والشعاب . وقيل : هو من الصعود ؛ وأنهم صدعوا هارين في أحد (ولا

تلون) لا تلتفتون (والرسول يدعوكم في أخراكم) يناديكم وأتم منهزمين : إلى عباد الله ،

إلى عباد الله ! (فأتاكم) جزاكم (غما) هزيمة (بغم) أى مقابل غمكم للرسول صلوات الله

تعالى وسلامه عليه ، ومخالفتكم أمره . أو المعنى : غمكم بالهزيمة في أحد ، مقابل غم

الكافرين وهزيمتهم بيدر ! وهو كقوله تعالى «تلك الأيام نداؤها بين الناس» (ثم أنزل

عليكم من بعد الغم) والهزيمة (أمنة ناساً) أى أنزل تعالى على المؤمنين الأمن ، وأزال

عنهم الخوف حتى نسوا (يفشى) هذا النعاس (طائفة) جماعة (منكم) وهم الذين كانوا مع

الرسول في القتال ، وعملوا بأمره ، ولم تلهمهم الغنائم عن طاعته : فنعسوا من كثرة ما آمنوا .

والنعاس في القتال : أمن من الله ورحمة ، وفي الصلاة : من الشيطان (وطائفة) أخرى ؛

وهم الذين خالفوا أمر الرسول ، وانصرفوا إلى الغنائم ؛ فقدم المشركون وأغنوا المؤمنين . وهذه الطائفة (قد أهمتهم أنفسهم) والمحافظة على حياتهم ؛

فهم من حذر الموت ، وخشية القتل في شغل (يظنون بالله غير) الظن (الحق) ويتوهمون أنه تعالى لا ينصر محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم (ظن الجاهلية) الأولى ، الذين كانوا يشركون بالله ، ولا يعرفون

ربا يعتمدون عليه ، ويكون أمورهم إليه (يخفون في أنفسهم) من النفاق (ملا لا يبدون لك) وذلك لأنهم كانوا يبدون للرسول الإسلام - وهم برآء منه - والحرس على الجهاد - وهم بقاء عنه -

وَبَسَّ مَتَوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٣١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُرُّ اللَّهُ وَعَدَهُ

إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ

وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَأْمُوحِينَ ۖ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا

وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ

وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

* إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ ۚ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ

فِي اثْرِنَكُمْ فَاتَّبِعُوا ۗ عَمَّا يُفِئِدُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ

وَلَا مَا أَصْبَحَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ

عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَعَّاسًا يَعْتَشَىٰ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ

وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ

الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنْ

الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ

لَوْ كَانَتْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ حَقٌّ ۖ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا ۗ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ

(لبرز) خرج (الدين كتب) قضى (عليهم القتل إلى مضاجعهم) مصارعهم (وليبتلى) يختبر (ما في صدوركم) من إيمان وإخلاص ، أو كفر ونفاق (وليمحص) يميز حقيقة (ما في قلوبكم) من حب له ، ونفاق في سبيله ، أو حب للذات ، ونفاق في اللذات (وإن الله علم بذات الصدور) بما في القلوب (إن الذين تولوا منكم) انهزموا (يوم التقي الجمعات) الجيشان :

المسز الرابع

٨٢

جمع المسلمين ، وجمع الكافرين ؛ بأحد (لأنما استزلم الشيطان) أوقعهم في الأثرة (ببعض ما كسبوا) عملوا من الذنوب . (وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض) سافروا فيها ، وتعرضوا للتعاب والأخطار (أو كانوا غزى) جمع غاز (لو كانوا عندنا) في ديارهم (ما ماتوا) في أسفارهم (وما قتلوا) في غزواتهم . ونسوا أنهم لو كانوا في بيوتهم وكتب عليهم الموت ؛ لسيء لأبيهم ، أو سعوا إليه ، وأن قضاء الله تعالى لا يدفع ، وأمره لا يرد (ليجعل الله ذلك) القول الذي يقولونه ، والتفكير الذي يفكرونه (حسرة في قلوبهم) تحز في نفوسهم (والله يحيي ويميت) فلا يمنع من الموت قعود ، ولا يكون القعود سبباً في الخلود (لغفرة من الله) لذنوبكم (ورحمة) منه لكم (خير مما يجمعون) من المال الفاني (ولئن مت) في فراشكم ، أو أسفاركم (أو قتلتم) في حربكم وجهادكم (إلى الله تحشرون) فيجزىكم خير مما عملتم (فما رحمة من الله لنت لهم) أي فبرحة عظيمة كائنة من الله تعالى لهم ؛ عاملتهم بهذا الرفق والتلطف ! (ولو كنت ظفراً جافياً) غليظ القلب (فاسيه لاقتضوا) تفرقوا (فاعف عنهم واستغفر لهم) ما تقدم من ذنوبهم (وشاورهم في الأمر) تক্রماً لهم ، وتطيباً لنفوسهم : يا الله ؛ عفو ومغفرة ، ورفعة تبلغ حد المشاورة ! يأمر المولى عز وجل رسوله عليه الصلاة والسلام بمشاورتهم في الأمر - وهو خير الأنام ، وهاديهم ومرشدهم - وكل الناس مهما ارتقوا وعلا فن مدده يفترون ، ومن فيضه يستقون ! ولكن الله تعالى أراد بهذه الآية أن يعلنا التدبر في الأمور ، والتشاور فيها ؛ وما البادئ الديمقراطية ، والنظم الدستورية ، والمجالس النيابية ؛ إلا نتيجة تعاليم هذا الكتاب الكريم ؛ فله تعالى الحمد على ما من به وأنعم !

فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ لِنَاصِحِهِمْ
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ
التَّقِي الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا
وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ حَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٢﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَى لَوْ كُنَّا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا
وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٤﴾
وَلَئِن مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٥﴾ فَمَا رَحْمَةٌ مِنَ
اللَّهِ لِنَتِّ لِمَنْ وَلَوْ كُنْتَ ظَفْرًا غَلِيظًا لَلْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ
حَوْلِكَ قَاعْفَ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفَرُوا لَهُمْ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ

فَإِذَا

تكرماً لهم ، وتطيباً لنفوسهم : يا الله ؛ عفو ومغفرة ، ورفعة تبلغ حد المشاورة ! يأمر المولى عز وجل رسوله عليه الصلاة والسلام بمشاورتهم في الأمر - وهو خير الأنام ، وهاديهم ومرشدهم - وكل الناس مهما ارتقوا وعلا فن مدده يفترون ، ومن فيضه يستقون ! ولكن الله تعالى أراد بهذه الآية أن يعلنا التدبر في الأمور ، والتشاور فيها ؛ وما البادئ الديمقراطية ، والنظم الدستورية ، والمجالس النيابية ؛ إلا نتيجة تعاليم هذا الكتاب الكريم ؛ فله تعالى الحمد على ما من به وأنعم !

(فإذا عزمتم) أى إذا استقر رأيك على إمضاء أمر من الأمور ، وطابت نفسك له ، وشاورت إخوانك وأجباءك ، واستخرت إهلك (فتوكل على الله) اعتمد على معونته ونصرته ؛ فإنه لا شك معيناك وناصرك (وعلى الله) وحده (فليتوكل المؤمنون) الصادقون في الإيمان ! (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (وما كان لني أت يغل) أن يخون. يقال :

غل من الغم : إذا أخذ منه خفية (ومن يغل) منكم (يأت بما غل يوم القيامة) المعنى : أنه يأت حاملا ذنب الغلول وإعنه (ثم توفي كل نفس ما كسبت) تطفى جزاء ما عملت وافيأ ؛ غير زائد ولا منقوص . قيل : نزلت حينما افتقدوا قطيفة من مفاتيح بدر ؛ فقال بعضهم: لعل محمداً أخذها لنفسه . وقيل : « أن يغل » أى يكتم شيئاً مما أنزله الله تعالى عليه ؛ رهبة من الناس أو رغبة ! (أفمن اتبع رضوان الله) أطاعه واتبع أمره ، ولم يغل من مغم ، ولم يكتم علماً (كن) غل في الغم ، وعصى مولاه ، و (باء) رجح (بسخط) غضب (من الله) لا يستويان ! (هم درجات عند الله) فالتبع لرضوانه في جنات النعيم ، والذي باء بسخطه في العذاب الأليم . (لقد من الله على المؤمنين) تفضل عليهم وأكرمهم وأعزهم (لإذ بعث فيهم رسولا) محمداً : خاتم الرسل وإمامهم ؛ عليه أفضل الصلاة وأتم السلام (من أنفسهم) أى من جنسهم ، ولسانهم (يتلو عليهم آياته) من القرآن الكريم (ويركبهم) يطهرهم من دنس الكفر والمعاصي (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) العلم النافع (أولما أصابكم) أى أوحين أصابكم (مصيبة) يريد ما أصابهم

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٦﴾
 وَإِن يَضُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكَ وَإِن يَخْذَلْكَ
 قَنَّ ذَا الَّذِي يَضُرُّكَ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٥٧﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلْ يَأْتِ
 بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٥٨﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ
 مِنَ اللَّهِ وَمَا وَدَّ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥٩﴾ هُمْ دَرَجَاتُ
 عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرِهِمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
 آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا
 مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦١﴾ أَوْلَمَّا أَصَابَكُم مِّصْبَةٌ
 لَقَدْ أَصَابَتْكُمْ مِثْلُهَا قَلْتُمْ أِنَّا نَحْنُ مُغْتَابُونَ ﴿١٦٢﴾
 إِنَّا لَنَعْلَمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ النِّقْحِ

يوم أحد ؛ من قتل وجراح (قد أصبتم مثلها) يوم بدر ؛ فقد قتل من المسلمين بأحد سبعون رجلا ، وكان المسلمون قد قتلوا منهم بيتر سبعين وأسروا مثلهم (قلم أى هذا) كيف يكون هذا ؟ ومن أين أصابنا هذا ! ونحن مؤمنون وهم كافرون (قل هو من عند أنفسكم) لأنكم خذلتهم الرسول ، ولم تطيعوا أمره ، وهرعتم إلى الفئام ، وتركتم مراكز القتال التي أمركم بالوقوف فيها ؛ ففكر عليكم المشركون ، ونالوا منكم ما نالوا ؛ فلا تفلتموا إلا أنفسكم !

اَلْحَمَّانِ فَيَا ذِي اَللَّهِ وَليَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٧﴾ وَليَعْلَمَ اَلَّذِينَ
 نَافَقُوا وَيَعْلَمَ اَللَّهُ اَفْضَلُ اَلَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اَللَّهِ اَوْ اَدْفَعُوا
 قَالُوا لَوْ عَلِمْنَا اَلَّا تَتَّبِعُنَا كَرِهْنَا لَكُمُ الْكُفْرَ يَوْمَئِذٍ اَقْرَبُ
 مِنْكُمْ لِلْاِيْمَانِ يَقُولُونَ يَا قَوْمِ هُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
 وَاللَّهُ اَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٧٨﴾ اَلَّذِينَ قَالُوا لَا اِخْوَانِيكُمْ وَقَعَدُوا
 لَوْ اَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلُوبًا فَادْرَاوْا عَنْ اَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ اِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧٩﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اَلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اَللَّهِ
 اَمْوَاتًا بَلْ اَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٨٠﴾ فَرِحِينَ بِمَا
 ءَاتَاهُمُ اَللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا
 بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ اَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٨١﴾
 * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اَللَّهِ وَفَضْلٍ وَّانَ اَللَّهُ لَا يُضِيعُ
 اَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨٢﴾ اَلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّ اَلرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ
 مَا اُصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاَتَقُوا اَجْرَ

(هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) يؤخذ من هذه الآية الكريمة : أن من دعى للجهاد فلم يلب ؛ كان للكفر أقرب منه للإيمان ! وجدير بمن سمع نداء الدين والوطن والواجب ؛ فلم يلب هذا النداء ؛ أن يموت إن شاء يهودياً أو نصرانياً ! (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) وهو قولهم « لو تعلم قتالا لاتبعناكم » (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا) عن الجهاد ؛ كفراً وحباً (لو أطاعونا) أي لو أطاعنا الذين خرجوا للقتال (ما قاتلوا) وكانوا سالمين مثلنا . قال الله تعالى لهم رداً عليهم (قل فادروا) ادفوا (عن أنفسكم الموت) بعودكم عن الجهاد (إن كنتم صادقين) فيما تقولون (ولا تحسبن) لا تقطن (الذين قتلوا في سبيل الله) في الجهاد ؛ لاعلاء دينه ، ونصرة نبيه . لا تحسبنهم (أمواتاً) كسائر الأموات ؛ الذين لا يموتون ، ولا يعيشون إلا يوم القيامة (بل) هم (أحياء عند ربهم يرزقون) يأكلون ويشربون ، ويتلفذون ويتعمون ، ويضحكون ويمرحون كريم ! (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم) أي يستبشرون بإخوانهم المجاهدين الذين لم يموتوا في الجهاد بعد ، وبما سيؤول إليه حالهم بعد موتهم ؛ من إكرام كإكرامهم ، ونعيم كنعيمهم ! (من بعد ما أصابهم القرح) الهزيمة بأحد

عظيم

من نعم مقيم ، وورق
 أي يستبشرون بإخوانهم المجاهدين الذين لم يموتوا في الجهاد
 بعد ، وبما سيؤول إليه حالهم بعد موتهم ؛ من إكرام كإكرامهم ، ونعيم كنعيمهم ! (من بعد
 ما أصابهم القرح) الهزيمة بأحد

عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٧﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَأَتَىٰ خِزْيَانَتِ الْأَثَرِ وَكَانَ فِيهَا ثَمَرٌ كَرِيمٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّ يَنْفَعُهُمْ يُعْرَفُونَ أَنَّ اللَّهَ مُنْتَقِمٌ عَلَيْهِمْ ﴿١٧٩﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِمْ ﴿١٨٠﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٨١﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٨٢﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٨٣﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٨٤﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٨٥﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٨٦﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٨٧﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٨٨﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٨٩﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٩٠﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٩١﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٩٢﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٩٣﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٩٤﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٩٥﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٩٦﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٩٧﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٩٨﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿١٩٩﴾ وَكَانَ اللَّهُ مُنْتَقِمًا عَلَيْهِمْ ﴿٢٠٠﴾

(الذين قال لهم الناس) أى قال لهم المنافقون (إن الناس) الكفار (فدجمعواكم) الجموع للقائكم ومحاربتكم (فاخشوهم) خافوهم (فزادهم) هذا التخوف ، وذلك القول . أو زادهم تجمع الأعداء عليهم (إيماناً) بالله ، ووثوقاً بنصره الذى وعده به (وقالوا حسبنا الله) كافينا وناصرنا (فاقبلوا) رجعوا (بنعمة من الله وفضل) نصر وغنمة (لم يمسههم سوء) لم يصبههم قتل أو هزيمة (واتبعوا رضوان الله) ما يوجب رضاء تعالى (إنما ذلكم) الذى يلقى الرعب فى قلوب المؤمنين ، ويصرف النفوس عن الجهاد فى سبيل الله ، ويخوفهم من الكافرين «إنما ذلكم» هو (الشیطان) اللعين : عدو المؤمنين ، وولى الكافرين (يخوف أولياءه) أى يخوفكم أتباعه من الكافرين ! (ولا يحسبن الذين كفروا أن ما نملي لهم) أى نمهلهم بدون جزاء وعذاب (خير لأنفسهم) أى ليس ذلك الإمهال خير لهم ؛ بل هو شر كبير! (إنما نملي لهم) نؤخرهم (ليزدادوا إيماناً) على إيمانهم (ما كان الله ليترك المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) وما كان الله ليطلعكم على الغيب

وبعضكم يعبد الله على حرف ؛ فما كان الله ليترككم على هذه الصورة (حتى يميز) يفصل وبين (الخبث) الكافر والمنافق (من الطيب) المؤمن الصادق الإيمان (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أى ما كان ليطلعكم على ضمائر الناس ؛ فتعرفوا ما فيها من كفر ونفاق ؛ ولكنه تعالى يختبرهم بالتكليف الشاقة ؛ كالجهاد والهجرة وأشباهها ؛ فيميز المؤمن والطائع ، من الكافر والمنافق .

(ولكن الله يجتبي) يختار (من رسله من يشاء) فيصطفيه فيظلمه على ما في ضمائر بعض الناس (ولا يحسن الذين يظنون بما آتاهم الله من فضله) من الأموال والأرزاق؛ لا يحسبون أن ينزلهم به (هو خيراً لهم بل هو) في الحقيقة (شر لهم) في الدنيا بالأمراس ، وبغض الناس لهم . وفي الآخرة (سيطوقون ما بخلوا به) هو كناية عن إحاطة إثم البخل بهم ؛ كإحاطة الطوق بالنعق (ولله ميراث السموات والأرض) ملكهما ، وما فيهما ، ومن فيها (والله بما تعملون) من خير أو شر (خير) فيثيبكم عليه (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) قاله اليهود لهمم الله تعالى ؛ حين نزل قوله تعالى « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً » (سكنت ما قالوا) في صحائف أعمالهم ؛ ليجازوا عليه يوم القيامة (وقتلهم الأنبياء) ونكبت أيضاً قتلهم الأنبياء : كركريا ويحيى عليهما السلام (وتقول لهم يوم القيامة (ذوقوا) أيها الأغنياء الأغنياء (عذاب الحريق. ذلك) العذاب (بما قدمت أيديكم) من كفر ونكر ألم تقاتلوا الأنبياء ؟ ألم تقولوا : « إن الله فقير ونحن أغنياء » ؟ ! (الذين قالوا) وهم اليهود أيضاً (إن الله عهد إلينا) أوصانا وأمرنا (ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقرآن تأكله النار) أي حتى يقدم هذا الرسول قربانا ؛ فنزل نار من السماء فتأكله . وهذا افتراء منهم على الله حيث لم يهد إليهم بذلك (قل) لهم يا محمد (قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات) بالآيات الواضحات والمجزات الظاهرات (وبالذي قلتم) أي بالقرآين التي تأكلها النار (فلم تقاتلهم) إن كنتم صدقين (فإن كذبوك فقد كذب رسل من

وَلَكِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَمَا نُمِئُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَشَقُّوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٧٨
وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطْرَقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٧٩ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَكَنَّا مَا قُلْنَا وَقَتَلْنَا الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَتَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝١٨٠ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِلْعَالَمِينَ ۝١٨١
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا الْأَنْزَمِينَ لَرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝١٨٢ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلًا مِنْ

قَبْلِكَ

وقد جاءوا بما عهد إليكم به الله في زعمكم (فإن كذبوك) بعد أن ألحمتهم (فقد كذب رسل من قبلك جاءوا) أقوامهم

(بالينات) بالهيج والمعجزات (الزبر) الصحف . جمع زبور ؛ من الزبر : وهو الكتابة (والكتاب المتبر) الذى يبين العقول من ظلمات الجهل ، والقلوب من ظلمات الكفر (كل نفس ذائقة الموت) حتى ولا يبق غير وجه الله تعالى . وهذه الدنيا - كما أنها ليست بدار خلود - فانها ليست بدار جزاء ؛ فقد يفتى الله تعالى فيها الشقي ، ويفقر النقي ! (ولمعا توفون أجوركم) كاملة (يوم القيامة) فيدخل الجنة من ابتناها وعمل لها ، ويصلى النار من كفر بالله ، ولم يعبأ بوعده ووعيدته ! (فمن زحزح عن النار) بأمر الله (وأدخل الجنة) بفضلته ورضاه (فقد فاز) فوزاً عظيماً ! (وما الحياة الدنيا إلامتاع الفرور) يتمتع بها من يقدر بزخرفها ؛ وقد قلت فيها :

تعلموا أنما دنياكم عرض
 ما لامرئ عاقل في جمعها عرض
 دنيا تم إذا ما أقبلت ، وإذا
 ما أدبرت فهي في قلب الفتى مرض !
 فكم لفرقتها أشفى على تلف
 صب بها مولع ، في حبا حرض
 ومي الفرور ؛ فمن يبيع الركون لها
 فانه بين أهل الحق مقترض
 صلوا و صوموا ، وهشوا للزكاة إذا
 ما كان مال ، وقولوا : الحج مقترض
 وارضوا بما قسم الرحمن بينكموا
 تحسبكم أن تكونوا في الدين رضوا
 ولا تظنوا دوام الحال ، واعتبروا
 بمن ترون عياناً ، أو من اقرضوا

(تلبون) لتخبرن وتمتنن (في أموالكم) بذهابها وقصاتها (وأفسكم) بالأمراض والأوبئة ، وفقد الأجرة (وإن تصبروا) على ذلك البلاء (وتتقوا) الله (فإن ذلك) الصبر والتقوى (من عزم الأمور) أى من الأمور الواجبة الاتباع ؛ التى يحرص عليها ، ويعزم

على أدائها (فنديوه) طرحوا هذا الميثاق ، وذلك الكتاب (وراء ظهورهم) فلم يبيتوه للناس ، وكتبوا ما فيه عنهم (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) من الأعمال ، ويظنون أنهم من خيار الصلحاء الأتقياء (ومحزون أن يجمدوا بما لم يفعلوا) أى يحزون أن يشهر عنهم التقى وليسوا بالأتقياء ، والصلاح ؛ وليسوا بالصلحاء وهذا هو الرياء كل الرياء ! (فلا تحسبنهم بمفازة) بمنجاة (من العذاب) وذلك لأن أعمالهم مردودة عليهم ، وعبادتهم غير مقبولة منهم ؛ لأن الرياء يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (ولهم عذاب أليم) جزاء مراءاتهم للناس ، وتركهم الإخلاص (ولله ملك السموات والأرض) وما فيها من كواكب وأجرام (والأرض) وما عليها من دواب وحيوان وإنسان .

قَلِيلِكَ جَاءَهُ وَالْبَالِغِينَ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْأَمِينِ ﴿١٨٦﴾
 كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ
 فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٨٧﴾
 * تَلْبُلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا
 وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٨﴾
 وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ
 لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا
 بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَيَسَّ مَا يَسْتُرُونَ ﴿١٨٩﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
 يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا
 تَحْسَبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩٠﴾
 وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿١٥٥﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ
 اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ
 اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا بِسْمِكَ
 قَدِيمًا عَبَابِ النَّارِ ﴿١٥٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ قَدَّ
 أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٥٨﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا
 مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ
 لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّافًا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٥٩﴾
 رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٦٠﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي
 لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ
 مِنْ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا
 فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتِلُوا لِأَكْفِرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَلَا دَخَلْتَهُمْ

الله تعالى (وآتنا ما وعدتنا) من الفضل والرحمة والمغفرة (على رسلك) أي على السنة رسلك (فاستجاب لهم ربهم) أجاب دعاءهم، فانلأهم (أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) وسأجزى كل بما فعل (بعضكم من بعض) يستوى في الأعمال الذكور والإناث (لا كفرن) لأعوان

(إن في خلق السموات والأرض) وما فيها من
 عجب عجيب (واختلاف الليل والنهار) بالزيادة
 والنقصان، والنور والظلمة (آيات) ليعبر
 (لأولي الأبواب) ذوى العقول (الذين يذكرون
 الله) يذكرونه (قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم)
 والمراد بذكر الله في هذه الحالات: هو خشيته
 ومراقبته في كل حالة؛ وليس كما يدعيه أرباب
 الطرق: من أن تأويله ما يفعلونه في مراقبهم
 مما يتناقى مع الدين وآدابه! وقيل: المراد
 بالذكر: الصلاة؛ وليس بشئ. قال تعالى
 «فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً
 وعلى جنوبكم» (وتتفكرون في خلق السموات
 والأرض) وكيف خلقها الله تعالى، وكيف
 حفظها، وكيف رزق من فيها؟ قائلين
 في حال ذكركم وتفكيركم (ربنا ما خلقت هذا)
 الكون عبثاً و (باطلاً سبحانه) تنزهت
 وتعاليت عما يقوله الكافرون (انظر آية ١ من
 سورة الإسراء) (ربنا لئن سمعنا منادياً)
 هو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، أو
 القرآن الكريم (وكفرنا عننا) استر وامج
 (وتوقنا مع الأبرار) جمع بر، أو بار؛ وهم
 المستسكون بالشريعة، المحافظون على حدود

وَلَا دِخْلَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ
 عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٥﴾ لَا يَفْرَنَكَ
 قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَهُمْ
 جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَهَادُ ﴿١٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ
 جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا تَزْلَمُونَ
 عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلَّارِبَارِ ﴿١٨﴾ وَإِنْ مِنْ
 أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
 أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَسْتَرْوْنَ بِعَابِثِ اللَّهِ تَمَنَّا
 قَلِيلًا أَوْلَيْكَ لَهُمْ أَبْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا
 وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠﴾

(ثواباً من عند الله) وجزاء لأعمالهم
 (لا يفرنك) يا محمد، أو «لا يفرنك» أيها
 المؤمن (تقلب الذين كفروا في البلاد) بالأموال
 والتجارة؛ فهذا (متاع قليل) في الدنيا (ثم
 مأواهم) مرجعهم (جهنم وبئس المهاد) الفراش
 (تزلما) موضع لأكرام. والنزل: ما بعد نزول
 الضيف وإكرامه
 (وما عند الله خير للأبرار) المتقين (وإن
 من أهل الكتاب) اليهود والنصارى (لمن
 يؤمن بالله) ورسوله (وما أنزل إليكم) من
 القرآن (وما أنزل إليهم) من التوراة والإنجيل
 (وصابروا) أي غالبوا الأعداء في الصبر على
 أهوال القتال، وشدائد الحروب (ورابطوا)
 أي لازموا حدود بلادكم وثغوركم؛ مستعدين
 للدفاع والكفاح والغزو

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ مَلَائِكَةٌ
وَأَرَاهَا ١٧٦ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَدِينِ حَتْمَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ وَاتَّقُوا الَّتِي نَسَمْتُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا
الْحَيْثُ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ
إِنَّهَا كَانَتْ حُوبًا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي
الْيَتِيمِ فَانكِسُوا مَا طَلَبَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَفْضِي
وَتِلْكَ وَرِيعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَمْلُوكَةٌ
أَيُّنَّكُمْ ذَلِكُمْ أَذَقُوا أَلَّا تَعْمَلُوا ۝ وَاتَّقُوا اللَّهَ

صَدَقْتَيْنِ

بها (ولا تبدلوا الحيث) الحرام؛ أي لا تبدلوا الأمر الحيث؛ وهو أكل مال اليتامى (بالطيب) الحلال؛ وهو المحافظة عليه، وزد لأصحابه (ولا تأكلوا أموالهم) بأن تضموها (إلى أموالكم) وترعونها لكم (إنه كان حوبا) إثمًا (وإن خفتم ألا تقسطوا) ألا تعدلوا (في) شأن (اليتامى فانكسوا) تزوجوا (ماطاب) لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) انظر محث «تعدد الزوجات» بأخر الكتاب (ذلك أدنى) أقرب (ألا تعملوا) ألا تجوروا. من مال الحاكم في حكمه: إذا جار. أو «ألا تعملوا» بمعنى ألا تعملوا. من عال الميزان عولا إذا مال. وقيل: المعنى: ذلك أدنى ألا يكثر عيالكم. يؤيده قراءة من قرأ «ألا تعملوا» (وأتوا النساء صدقاتهن) مهورهن

(سورة النساء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) خافوه واخشوا عقابه (الذي خلقكم من نفس واحدة) آدم عليه السلام (وخلق منها) أي من جنسها (زوجها) حواء (وبث) فرق ونشر (منها) رجلا كثيرا ونساء) كثيرة؛ هم سائر المخلوق من بني الإنسان (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) أي يسأل بعضكم بعضا بالله استعطافا كقولكم: أسألك بالله أن تفعل كذا. ويسأل بعضكم بعضا بالأرحام؛ يقول: بحق ما بيننا من الرحم افضل كذا «والأرحام» جمع رحم؛ وهو القرابة. أي واتقوا الأرحام فلا تقطعوا؛ بل صلوا أقرباءكم وبروهم (إن الله كان عليكم رقيبا) أي مراقبا لأعمالكم، فجازبكم عليها؛ إن كان خيرا فخير، وإن كان شرا ففسر (وأتوا اليتامى أموالهم) أعطوهم أموالهم، ولا تأكلوها لجزم عن مطالبكم

(نحلة) النحلة: العطاء الذي لا يقابله عوض. أو «نحلة» أى عن طيب نفس. أو «نحلة» بمعنى: حقا لمن، لامرأه فيه؛ لأن النحلة أحد معانيها الدعوى (فإن طين لكم عن شيء منه) أى من المهر بأن تنازلن لكم عن بضه (فكلوه هنيئاً مريئاً) حالاً لا شبهة فيه؛ لأن كل حق تنازل عنه صاحبه - عن طيب نفس - فهو حلال طيب للمتنازل إليه (ولا تؤتوا السفهاء) المبدرون وعديمو الأهلية، أو هم النساء والصبيان أى لا تؤتى ابنك السفية، ولا امرأتك السفية مالك وكان أبو موسى الأشعري يقول: ثلاثة يدعون الله تعالى فلا يستجيب لهم: رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل أعطى ماله سفياً، ورجل كان له دين على آخر فلم يشهد عليه. والآية في السفهاء عامة بدوت تخصيص والسفيه: هو المستحق الحجر؛ لفساده وإفساده وسوء تديبه؛ فلا تؤتوه (أموالكم) فيتلقونها ويضيعونها؛ وهى (التي جعل الله) أى جعلها (قياما) قواماً لأبدانكم، وسبباً لمعاشكم! ويدل على أن المراد بذلك الأبناء والزوجات: قوله تعالى (وارزقوهم فيها وأكسومهم وقولوا لهم قولا معروفاً) وابتلوا اليتيم حتى إذا بلغوا النكاح فإن

صَدَقْتُمُنَّ نَحْلَةً فَإِن طِين لَكَرَّعَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكَلُوهُ هَيِّئًا مَّرِيئًا ٩١ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْعُوفًا ٩٢ وَابْتَلُوا الْيَتِيمَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنِ اسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رِشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبُرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ٩٣ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ٩٤ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ٩٥ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتِيمَ وَالْمَسْكِينِ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْعُوفًا ٩٦ وَيَخْشَى الَّذِينَ لَوْ رُكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً

عانتهم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا) أى مسرفين ومبادرين أى كل أموالهم قبل أن يكبروا ويتسلطوا منكم (ومن كان) منكم (غنياً) أيها الأوصياء (فليستعفف) أى فلا يأخذ أجراً على وصايته (ومن كان فقيراً فليأكل كل بالمعروف) لا يزيد عن أجر لإدارة أموال اليتيم بحسب (الرجال نصيب) حظ مقدر (مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب) من ذلك أيضاً (نصيباً مفروضاً) فرضه الله تعالى (وإذا حضر القسمة) قسمة الميراث (أولو القربى) ذوو القرابة؛ بمن لا يرث =

لمصالح ارتأها المقنن؛ واطاعة الحاكم واجبة مالم تمس حرمة الله تعالى! (فإن آستم) وجدتم وعرقتم (منهم رشداً) عقلاً وصلاً في التصرفات (فادفعوا إليهم أموالهم) ليتصرفوا فيها طبقاً لرغباتهم - في حدود ما أمر الله تعالى - وإلا فالحجر واجب على كل سفية! (ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا) أى مسرفين ومبادرين أى كل أموالهم قبل أن يكبروا ويتسلطوا منكم (ومن كان) منكم (غنياً) أيها الأوصياء (فليستعفف) أى فلا يأخذ أجراً على وصايته (ومن كان فقيراً فليأكل كل بالمعروف) لا يزيد عن أجر لإدارة أموال اليتيم بحسب (الرجال نصيب) حظ مقدر (مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب) من ذلك أيضاً (نصيباً مفروضاً) فرضه الله تعالى (وإذا حضر القسمة) قسمة الميراث (أولو القربى) ذوو القرابة؛ بمن لا يرث =

== (و) حضر (اليتامى والمساكين فارزقوم منه) من الميراث بقدر ما تطيب به نفوسكم (وقولوا لهم قولاً معروفاً) ترضية لنفوسهم ، وتطيباً لقلوبهم . وهي وصية لأولى القربى : الذين يميزنون ولا يترنون . قال تعالى « إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » وقد ذهب بعضهم إلى نسخ ذلك الحكم ؛ وهو محمك وليس بمنسوخ ؛ وقد أجمع على ذلك الصدر الأول من الإسلام : فقد روى عن يحيى بن يعمر رضى الله تعالى عنه : ثلاث آيات محكمات مدينيات ؛ تركهن الناس : هذه الآية ، وآية الاستئذان « يا أيها الذين آمنوا

ليستأنذنكم الذين ماكنت أيمانكم » وآية التعارف « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » وقيل : على الوارث الاعطاء ، وعلى العطى له قول العروف (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم) بعد موتهم (ذرية ضعافاً خافوا عليهم) نزلت هذه الآية في الأوصياء والمعنى : تذكر أيها الوصى ذريتك الضعاف من بعدك ؛ وكيف يكون لهم بعد موتك ؛ وعامل يتامى الذين وكل إليك أمرهم وتربوا في حجرك ؛ بمثل ما تريد أن يعامل أبناؤك بعد فقدك ! (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) أى ظالمين لهم (لأنهم يأكلون في بطونهم ناراً) وهذا مشاهد في الدنيا: ترى آكل مال اليتيم ؛ وقد اتابته الأمراض الفتاك المهلكة ؛ فهذه قرحة في المصارين تقض مضجعه ، وهذا سرطان يسرى في دمه ويأكل لحمه ، وهؤلاء أبناؤه وقد فسدوا خلقاً وخلقاً ، وعانوا فساداً وفساداً ، وأهلكوا ماله وأفسدوا حاله ؛ جزاء وفاقاً لما جنته يده ، وعصيانته لمولاه ! وقد ذهب المفسرون إلى أن المراد بالنار التي يأكلونها في بطونهم : نار الآخرة ؛ لأن ما لهم لإيها . والقول الذي ذهبنا إليه أولى لما نشاهده ، ولقوله تعالى (وسيصلون سعيماً) في الآخرة (يوصيكم الله) أى يعهد إليكم ، ويأمرهم (في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) أى مثل نصيب الأنثيين . ولا توجد حالة يسوى فيها المشرع بين الذكر والأنثى في الميراث ؛ سوى عند وجود الأبوين مع ابن أو بنتين فصاعداً ؛ فإن نصيب الأم يكون مساوياً لنصيب الأب ؛ فيأخذ كل منهما السدس . وعند وجود أخوة ، وإخوة أم ؛ فانهم جميعاً يستحقون ثلث التركة : يقسم بينهم بالتساوى ، لافرق بين ذكورهم وإناثهم . ولا عبرة بما يدعو إليه غلاة الزنادقة ، وأئمة الإلحاد ؛ من مساواة المرأة بالرجل في الميراث ؛ إذ أن ما يدعون إليه من أكبر الكباير ! كيف لا وهو مخالف لما جاء به الكتاب الكريم ، الذي لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ! والميراث من المحقوق التي قررها الله تعالى ، وجعلها فريضة محكمة ، ونوعه مخالفها والحارج عليها نار الجحيم ؛ والعذاب ==

المجزء الرابع

ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١٠١﴾
 إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠٢﴾ يُوْصِيكُمْ اللَّهُ فِي ذُرِّيَّتِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ آئِنَتَيْنِ فَهُنَّ نِصْفُ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَوَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِلْمِائَةِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْمِائَةِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَايِبًا وَكُرًّا وَأَسْرًا وَكُرًّا لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَعْمًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٣﴾ * وَلِكُلِّ نِصْفٌ مِّمَّا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُلِّ الرِّبْعِ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرِّبْعُ

مما

مما

بِمَا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَالِدٌ فَإِنْ كَانُوا فَتَرَكْتُمْ إِيَّاهُمْ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَّةً أَوْ امْرَأَةً وَوَالِدٌ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشَّرْهُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٨﴾ وَمَنْ يُعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٠٩﴾ وَالَّذِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ مِنَ نِسَائِكَ فَاستَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ

== الأليم : «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين» فليس لإنسان - بالغ ما بلغ - أن يطعمه الشيطان ؛ بأن هداه أهدى من هدى الله ! وليس لإنسان أن يحاول الخروج عما رسمه الله تعالى وأراده لعباده ؛ وليس لهوى الإنسان ، مكان مع صريح القرآن ! «أبأؤمك وأبناؤم لا تدرون أيهم أقرب لكم نعماً . فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً» «يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شئ عليم» وقد يقول قائل : إن الله قد جعل الإنسان حراً فيما آتاه ! وهو وهم يلقيه الشيطان لأوليائه من بنى

الإنسان ؛ فهي حرية مقيدة بما فرضه وقرره وأهب المال ! وقد جعله تعالى قنينة للناس «واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم» «فمن شاء اتخذ لى ربه سبيلاً» باتباع أحكامه ، والقيام بأوامره ، ومن شاء اتخذ لىه هواه ، وخرج من دينه بسخط المخلوقين ، وغضب رب العالمين ! وليس معنى ذلك أننا نحرم الوصية المشروعة ؛ التي يجب وضعها حيث أمر الله ؛ وما شرعها تعالى إلا لزيادة ثواب فاعلمها وتنمية أعماله ؛ وهي - في حدود الثلث - لذوى القربى من المعوزين ، ولذوى الحاجات من الفقراء والمعجزين ! وقد جاء في الحديث الشريف : أن أحد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم منح أحد أولاده بعض ماله ، وجاء ليشهد الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه على ما منح ؛ فسأله صلى الله تعالى عليه وسلم : أله أخوة ؟ قال : نعم يارسول الله . قال : أكلهم أعطيت مثلما أعطيتك ؟ قال : لا . قال عليه الصلاة والسلام : «لا أشهد على جور ؛ اتقوا الله واعملوا بين أولادكم !» وقد وضح من ذلك الحديث : أن محاباة بعض الأبناء ظلم وجور ؛ وعن ذلك نهى الله تعالى ورسوله «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» «أبأؤمك وأبناؤم لا تدرون

أيهم أقرب لكم نعماً) في الدنيا والآخرة ؛ ولكن الله يدري ذلك ؛ فقسم حيث توجد المصلحة ، وتتوفر المنفعة . وهذا يتناق مع ما يعمل بعض الجهال ؛ من إيثار بعض أبنائه بماله ، وحرمان البعض الآخر ؛ مما يوجب البغضاء والشحناء ، ويؤدى لى ارتكاب الجرائم ، ووخيم العواقب (من بعد وصية يوصي بها) لى بعض الأقرباء الفقراء ؛ كما بينا فى الآية السابقة (وإن كان رجل يورث كلالة) الذى لا ولد له ولا والد (غير مضار) أى بشرط أن تكون تلك الوصية للمصلحة ؛ لا بقصد الأضرار بالورثة (تلك) الفرائض التى بينها الله تعالى وشرعها (حدود الله) فلا ينبغى تجاوزها «ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون» (واللانى يأتينى الفاحشة من نساءكم) هى الساحقة . وقال الأكثرون : هى الزنا ، وإيها =

== نسخت بقوله تعالى « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » وسندهم في ذلك : قوله تعالى (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) واشترط الأربعة الشهداء ؛ لم يرد إلا في الزنا (فان شهدوا) بإتيانهن الفاحشة (فأسكوهن) احبسوهن (في البيوت) فلا يختلطن بأحد - رجالا أو نساء - عقوبة لمن وحفظاً (حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سيلا) طريقا للخلاص ؛ مما هن فيه من الحبس ، وما كن عليه من الإثم ! وذلك السبيل بالزواج . ويرد على قول من قال : إن هذه الآية نزلت في الزنا وإنها منسوخة ؛ يرد على ذلك بقوله تعالى (واللذان يأتيانها منكم)

المجزء الرابع

٩٤

نقص في الأولى الأناث وحدهن ، وفي الثانية الرجال وحدهم ؛ فبان لنا من ذلك أنه تعالى إنما عني في الأولى المساحقة ، وفي الثانية اللواط (فأذوهما) أى اللاتط والملاوط به ؛ والإيذاء يكون بالضرب ، والتوبيخ ، والتشفيخ ، والتصيير ، والمهجران ، وغير ذلك . وهو دليل أبى خيفة رضى الله تعالى عنه ؛ في حد اللواط بالعزيز . والتعزيز قد يصل إلى حد القتل ؛ وقد قضا في اللواط ؛ بأن يأتي من حلق ! واللواط من الفواحش الذميمة التى يستحق مرتكبها أن يقطع إرباً ، ويلقى للكلاب ؛ جزاء فعلته التى قبها الله وتوعد فاعلها ! عافانا الله تعالى من كل ما يفضبه عنه وكرمه ، وأتجاننا من ذل المصيبة ، ووهنا عز الطاعة ؛ لانه سميع مجيب ! (فإن تابا) عن اللواط (وأصلحا) أعمالها (فأعرضوا عنها) توقفوا عن إذايتهما ؛ ماداما قد تابا إلى الله ، وأصلحا (إن الله كان تواباً) قابلاً لتوبة من تاب (رحياً) بعباده ؛ إذا حسنت توبتهم : بدل سيئاتهم حسناً ! (إنما التوبة على الله) يقبلها ويتبب فاعلها (للذين يعملون السوء بجهالة) يجهل منهم عاقبة أمرهم (ثم يتوبون من قريب) أى يتوبون سريعاً ، ويرجعون إلى مولاهم ! ومن علامة التوبة النصوح : عدم العود إلى

فَعَاذُوهُمَّ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴿١٧﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١٨﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنِّ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَجِدُ لَكَرَأْنُ تَرْفُؤِ النِّسَاءِ كَرَاهٍ وَلَا تَتَّصِلُوهُنَّ لِنَدَاهُمْ بَبَعْضِ مَا ءَاتِيَتْهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيراً ﴿٢٠﴾ وَإِن أَرَدْتُمْ أَنَسْتَبْدِلَ زَوْجَ مَكَانَ زَوْجٍ ءَوَّاتِيَتْكُمْ إِحْدَاهُنَّ فَنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَن تَأْخُذُوهُنَّ بِهِنَّ وَإِنَّمَا مِينَا ﴿٢١﴾

وكيف

الذنب ؛ وإلا فالإثم لذنبه ، كالسهمزىء بره ! وهذه هى التوبة المتقبلة ؛ التى تجعل صاحبها في عداد الطيبين الصالحين ! (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) ولا يعبأون بفاطر الأرض والسماوات ! وهم أهل الاصرار على المعاصى (حتى إذا حضر أحدهم الموت) أى حضرت أسبابه ومقدماته ، وأخذ في النزح (قال إنى تبى الآن) فهذا العز لا تقبل توبته ، ولا ترد غربته ، ولا تحمد أوبته ! فإ أشبهه بفرعون - حين أدركه الفرق ، وأخذ الموت بتلابيه - قال : « آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل » فقيل له : « الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » (انظر آية ٩١ من سورة يونس) (ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا) أعدنا وهياًنا (لهم عذاباً أليماً) في جهنم وبئس المصير ! (يا أيها الذين آمنوا لا تجعل لكم أن ترموا النساء =

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ
 مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٩٥﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ
 مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
 سَبِيلًا ﴿٩٦﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
 وَوَهْمَتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ
 وَأُمَّهَاتُ النِّسَاءِ الَّذِينَ أَرْضَعْنَكُمْ وَآخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضْعَةِ
 وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ
 نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَ
 فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَطَلِيلُ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أُمَّةِكُمْ
 وَأَنْ يَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ
 كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٧﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ
 إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِجْلٌ لَكُمْ
 مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَنْتَفُوا بِأَمْوَالِكُمْ مَحْضِينَ غَيْرِ مُسْتَفْهِينَ

= كرها) أى لا يجمل لكم أن تأخذوا نساء مورثكم فتزوجوهن كأنهن من الميراث التروك لكم ؛ وكان ذلك شأنهم فى الجاهلية . وقد يكون المعنى : لا يجمل لكم أن ترثوهن أحياء ؛ فأخذوا أموالهن كرها (ولا تعضوهن) العضل : الحبس والضيق (لنذهبوا ببعض ما آتيتموهن) من المهر ونحوه (لأن أن يأتين فاحشة) هى الزنا . وقيل : ما تستحيل معه العيشة : كالنشوز ، وإيذاء الزوج وأهله ؛ فهنا فقط يجوز للزوج أن يسترد ما آتاها (وعاشروهن بالمعروف) بالمودة والرحمة اللتان فرضهما الله تعالى بين الأزواج

(فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) وهو حث كريم على العطف وعدم التطلق إلا للضرورة القصوى التى تستحيل معها حياة الحياة الزوجية ، لى جسيم الشجاء والبغضاء ! (وان أردتم) أيها الأزواج (استبدال زوج مكان زوج) بتطبيق وتزوج (وأتيتم احداهن) أى آتيتم الزوجة المرغوب عنها ، المرغوب فى تطبيقها (قطاراً) كناية عن كثرة المعطى لها ؛ من مهر وهدية ونحوهما (فلا تأخذوا منه شيئاً) تأخذونه بهتاناً وإعماً مبيهاً) وصف الله تعالى أخذ المطلق شيئاً مما آتاها لطلقاته بالبهتان - وهو الظلم - وبالإثم المبين - وهو الذنب البين الفادح . وهذا النهى فى حالة واحدة: هى رغبة الرجل وحده فى التطلق ؛ ابتغاء «استبدال زوج مكان زوج» أما فى حالة رغبتها هى فى الانفصال ؛ فيجوز له أخذ كل ما آتاها أو بعضه ؛ لقوله تعالى «فلا جناح عليهما فيما اقتدت به» نفسها ؛ لتخلص من هذا الزوج الذى لا ترغب فى البقاء تحت إمرته (انظر آية ٢٢٩ من سورة البقرة) (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم لى بعض) هو كناية عن الحلوطة الصحيحة (وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) الميثاق الغليظ : هو ما أمر الله تعالى به من إمساكهن بالمعروف ، أو

تسريحهن بإحسان ، أو هو عقد الزواج ، أو هو كناية عن الالتقاء والجماعة . أو المراد بالإفشاء والميثاق : هو ما بينهما من المودة والمحبة ، وما يجب عليهما من ستر المعاييب ، والمحافظة على السر (ومقتاً) وبضاً عند الله تعالى (وربائبكم اللاتي فى حجوركم) أى بنات أزواجكم اللاتي ربيتموهن ؛ وسميت ربيبة: لتربيته لها . والتحرير يتناول من تربت فى الحجر ومن لم ترب فيه ؛ لأن الزوجة المدخول بها : يحرم على الزوج أصولها وفروعها . وقد ذهب أهل الظاهر لى أن الربيبة لا تحرم إلا بشرطين : الدخول بالأمر ، والتربية فى الحجر ؛ فإذا انعدم أحد الشرطين ؛ لم يوجد التحريم (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) لا حرج فى تزوج الربيبة فى حالة طلاق الزوجة ، أو موتها قبل الدخول بها ؛ والدخول: كناية عن الجماع (وحلائل أبنائكم) =

= جمع حليلة ؛ وهى الزوجة (وأن تجمعوا بين الأختين) لما فى الجمع بينهما من مضارة لها ؛ وإبدال ما بينهما من ود بالغ ، لى حقد شنيع ! ويحرم أيضاً الجمع بين المرأة وعمتها ، أو خالتها ، أو ابنة أخيها ، أو ابنة أختها ؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا تنكح المرأة على عمها ولا على خالتها وعلى ابنة أخيها ولا على ابنة أختها » (والمحصنات) المزوجات (من النساء) أى وحرمت عليكم النساء المزوجات ؛ ويتناول التحريم : أن يتعرض لها بوعد ، أو أن يمرض نفسه عليها (إلا ما ملكت أيمانكم) فهن غير محررات . وهن

الجزء الخامس

٩٦

اللائي سين فى الحرب ، ولهن أزواج من الكفار المحاربين ؛ فقد أصبحت - بالكفر والسبي - من ملك اليمين ؛ حلالا لمن أخذها ؛ بشرط أن يستبرأها ؛ وإذا باعها فقد طلقت منه بالبيع . وقيل : « المحصنات » العائف « إلا ما ملكت أيمانكم » بالعقد . وقيل : هن نساء أهل الكتاب : لا تحل إلا إذا ملكت بالسبي وقت الحرب (كتاب الله) أى كتب الله تعالى تحريم ما حرم ، وتحليل ما حلل من ذلك (عليكم) فلا تحلوا ما حرم ، أو تحرموا ما أحل (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتنوا) الحلال (بأموالكم) للمهر أو للثمن (محصنين) متزوجين . والأحصان : العفة ، وتحصيف النفس من الوقوع فى الحرام (غير مسافحين) غير زانين . والمسافحة : الزنا (فما استمتعتم به منهن) بالزواج (فاتوهن أجورهن) مهورهن (ولا جناح عليكم) لائم ، ولا حرج (فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) أى فى إيقاص جزء من المهر المفروض ؛ بشرط التراضى الكامل ؛ الذى لا عسف فيه ولا إكراه (ومن لم يستطع منكم طولا) غناء وسعة (أن ينكح المحصنات) الحرائر العفيفات (فما ملكت أيمانكم من فتياتكم) إمائكم (المؤمنات والله أعلم بما يمانكن) أى ليتزوج أحدكم أمة أخيه أو

مَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٦﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ
طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ مِنْ بَيْنِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَّحَاتٍ وَلَا
مُتَخَذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَنْتُمْ فَانْكِحُوا بِغَيْبِ
فَطَلَيْنَ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَدَابِ ذَلِكَ
لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٨﴾
وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهْوَاتِ

أَنْ

صديقه - ما دامت قد أظهرت إيمانها - والله أعلم بسرئركم (بعضكم من بعض) أى لأنكم جميعاً بنو آدم ؛ قد خلقتم من نفس واحدة ؛ فلاداعي أن تستكفوا من زواج الإماء المؤمنات ؛ حيث لأنكم فى ضيق لا يمكنكم من زواج الحرائر ؛ أليس الزواج بالأمة خير من الوقوع فى الزنا ؛ ! (فانكحوهن) تزوجوا الإماء (بإذن أهلن) مواليهن (وآتوهن أجورهن) مهورهن (بالمعروف) على ما تراضيتن به ؛ من غير مطل (محصنات) عفيفات (غير مسافحات) زانيات (ولا متخذات أخدان) جمع خدن : وهو الحليل (فاذا أحصن) زوجن (فان أنين بفاحشة) أى زين (فطليهن) أى على الإماء من الحد (نصف ما على المحصنات) الحرائر (ذلك) الذى أبحته لكم من زواج الإماء (لمن خشي العنت) الزنا . وأصل العنت : الضيق والضرر والمشقة =

أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٩٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ
 وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٩٨﴾ بَنِيَاءُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا
 أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ
 مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٩٩﴾
 وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا وظَلَمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا
 وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ سِيرًا ﴿١٠٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ
 عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مَّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿١٠١﴾
 وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ
 نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ
 وَسَوَّلُوا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٠٢﴾
 وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ
 عَقَدْتُمْ بِمَنكُورٍ فَعَقَرْتُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْتُمْ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ وَسَهِيْدًا ﴿١٠٣﴾ الرِّجَالُ قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ مِمَّا

= (وَأَنْ تَصْبِرُوا) عَنْ الْمَعَاصِي ، وَعَلَى الطَّاعَاتِ (خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ) لِمَا فَرَضَ مِنْكُمْ ؛ لِأَنَّ أَصْلَحَكُمْ أُمُورٌ
 أَنْفُسَكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ (رَحِيمٌ) بِكُمْ ؛ لِأَنَّهَا كَمْ إِلَّا عَمَّا فِيهِ الضَّررُ الْحَقِيقُ بِكُمْ ، وَلَا يَأْمُرُكُمْ إِلَّا بِمَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ
 الدُّنْيَوِيَّةُ وَالْآخِرَوِيَّةُ لَكُمْ (يُرِيدُ اللَّهُ لِيَبَيِّنَ لَكُمْ) الشَّرَائِعَ السَّالِمَةَ (وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) طَرُقَ
 مِنْ سَبَقَكُمْ مِنْ رَسُلِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْبِيَآئِهِ ، وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) يَغْفِرُ
 ذُنُوبَكُمْ ، وَيَعْفُو عَمَّا سَلَفَ مِنْ آثَامِكُمْ (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ) مِنَ الشَّيَاطِينِ الْإِنْسَانِ ؛ الَّذِينَ نَسُوا
 مَوْلَاهُمْ ، وَجَعَلُوا لَهُمُوهَا (أَنْ تَمِيلُوا)
 عَنِ الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ
 عَنْكُمْ) بِمَا يَسْرَهُ وَأَبَاحَهُ لَكُمْ ؛ مِنْ زَوْجِ
 الْأُمَّةِ - عِنْدَ تَعَدُّرِ زَوْجِ الْحَمْرَةِ - وَبِمَا
 رَخَّصَهُ لَكُمْ (وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا)
 لَا يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَنِ النِّسَاءِ (يَأْيُهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ) بِمَا
 لَمْ يَجْعَلِ الشَّرْعُ ؛ كَالنِّصَبِ ، وَالقَهْرِ ، وَالرَّبَا ،
 وَالسَّرْقَةِ ، وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ (إِلَّا أَنْ تَكُونَ
 تِجَارَةً) تَدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ (عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ)
 عَلَى أَنْ يَكُونَ التَّرَاضِيُّ غَيْرَ مَشُوبٍ بِأَكْرَاهٍ ؛
 كَمَنْ يَرَى تَاجِرًا فِي ضَيْقٍ فَيَنْتَهزُ فُرْصَةَ ضَيْقِهِ
 وَإِفْلَاسِهِ ، وَيَسَاوِمُهُ فِي بَضَاعَتِهِ ؛ بِدُونِ عُنْهَا
 الْمَعْلُومِ ، أَوْ بِأَقْلٍ مِمَّا يَشْتَرِي بِهِ مِثْلَهَا ؛ فَيَقْبَلُ
 الْبَائِعَ مُضْطَرًّا ؛ لِحَاجَتِهِ . وَيَقُولُ الْمَشْتَرِي فِي
 نَفْسِهِ : أَلَيْسَ الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ ؟ أَلَيْسَ مِنْ
 حَقِّ أَنْ أَشْتَرِيَ بِالْثَمَنِ الَّذِي أَرْضَيْتُهُ ؛ وَيَسْتَحِلُّ
 بِذَلِكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى ! فَلَيْسَ هَذَا بِالْتَّرَاضِيِّ
 الْمَطْلُوبِ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى ؛ بَلْ هُوَ بِالنِّصَبِ
 أَشْبَهٌ . وَإِنَّمَا التَّرَاضِيُّ : أَنْ تَكُونَ نَفْسُ
 الْبَائِعِ رَاضِيَةً ؛ وَنَفْسُهُ لَنْ تَكُونَ رَاضِيَةً وَهُوَ
 خَاسِرٌ فِي بَيْعِ سَلْعَتِهِ ؛ أَوْ كَرِهَتِهِ الطَّرُوفُ عَلَى
 هَذَا الْبَيْعِ ، وَاضْطَرَّتْهُ مَطْعَمُ الْمَشْتَرِيِّ إِلَيْهِ !
 فَلْيَتَّقِ اللَّهَ مِنْ يَرْغَبُ فِي جَنَّتِهِ ، وَلْيَتَّجِبْ
 الشَّهَوَاتِ فِي مَالِهِ وَعَرَضِهِ وَدِينِهِ ! (وَلَا تَقْتُلُوا

أَنْفُسَكُمْ) أَيْ لَا يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، أَوْ لَا تَفْعَلُوا مَا يَوْجِبُ قَتْلَهَا . أَوْ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ بِعَمَى الْاِتِّحَارِ (وَمَنْ
 يَفْعَلْ ذَلِكَ) بِأَنْ يَأْكُلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، أَوْ يَشْتَرِيَ بِغَيْرِ تَرَاضٍ ، أَوْ يَقْتُلُ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى
 قَتْلَهَا (عَدُوًّا) مِنْهُ عَلَى الْغَيْبِ (وَظَلَمًا) لَهُمْ (فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ) نَدْخَلُهُ (نَارًا) جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ! (إِنْ
 تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ) الْكَبَائِرُ : لَا تَعُدُّ ، وَلَا تَتَّجِدُّ ؛ وَأَكْبَرُهَا : الشَّرْكُ بِاللَّهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ،
 وَعَقْوُ الْوَالِدِينَ ، وَالزَّوْنَا ، وَشَرْبُ الْخَمْرِ ، وَقَوْلُ الزُّوْرِ ، وَالْفِرَارُ يَوْمَ الرِّجْفِ . وَقَدْ قَالُوا : لَا ضَعْفَةَ مِنْ
 الْإِصْرَارِ ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ الْاِسْتِغْفَارِ ! أَيْ لِأَنَّ الصَّغَائِرَ إِذَا لَازَمَهَا الْمَذْنِبُ وَأَصْرَ عَلَى لِأَيَّانَهَا : فِيهَا كَبَائِرٌ ،
 وَالْكَبَائِرُ إِذَا نَدِمَ عَلَى ارتكابها ، وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ مِنْهَا ؛ قَبْلَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَغَفَرَهَا لَهُ ! (نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) =

== المراد بالسيئات : الصفات (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) أي الزموا الطاعة ، وتمسكوا بأهداب القناعة ؛ ولا تطلعوا بأعينكم إلى ما خص الله تعالى به غيركم ؛ فهو جل شأنه مالك الملك ؛ يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ؛ بيده الخير كله ! وهو حث على عدم الحقد والحسد . وقيل : نزلت حين تمت النساء مثل أجر الرجال (واسألوا الله من فضله) فان آلاؤه لا تعد ، وفواضله لا تنفد ؛ وهو وحده القادر على تحقيق أمانيتكم ، وبلوغ آمالكم (ولكل جعلنا موالى) وهم الأقرباء الذين ليست لهم فرائض مسماة ؛ فيأخذون ما بقي - من الميراث - من أصحاب

الجزء الخالص

٩٨

الفرائض (الرجال قوامون على النساء) أي فأعمت عليهن بالأمر والتهى والتوجيه ، والزرع والتأديب ، والإلتحاق والرعاية ؛ كما يقوم الولاة على الرعية . وذلك لأن القوامة أحوج إلى الحزم والتدبير ؛ منها إلى الحنان والوجدان ! صفات الرياسة والقوامة متوافرة في الرجل توافراً كاملاً ؛ لأنه خلق ليكون قائداً ورأبداً ؛ كما أن صفات الرقة والحنان ، والرحمة والوجدان ؛ متوافرة في المرأة ؛ لأنها خلقت لتكون زوجاً وأماً (بما فضل الله بعضهم على بعض) أي هذه القوامة بسبب تفضيل الله تعالى للرجال على النساء ؛ لوفور علمهم ، ومزيد قوتهم ، واضطلاعهم بالأعباء الجسم (وبما أنفقوا من أموالهم) لأن النفقة واجبة عليهم . وهذا هو سبب قوامة الرجل على المرأة ، فاذا انقضت هذه الأسباب ؛ وكان الرجل خاملاً ، ضعيفاً ، جاهلاً ، معذماً ؛ فأى قوامة له على المرأة السابعة ، القوة ، العالة ، الغنية ؟ ! (فالصالحات) من النساء (فاتتات) مطيعات لله تعالى ولأزواجهن (حافظات للفني بما حفظ الله) أي حافظات لعرسه وماله - حال غيبته - بما أمر الله به أن يحفظ . أو حافظات لما يجري بينهن وبين أزواجهن مما يجب كتبه ، ويحمل ستره .

فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ
فَأَصْلَحَتْ قَاتِنَاتٌ حَفِظَتْ لِلْفَنِيِّ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ
وَأَلَّتِي تَخْفَوْنَ نُسُوزَهُنَّ فَيُظْهِرُهُنَّ وَأَهْجُرُهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ
وَأَضْرِبُهُنَّ فَإِنَّ أَطْعَمَكُمُ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٩٨﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
فَابْتَئُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ بَرَيْتُمْ أَصْلَحًا
يُوقِي اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٩٩﴾ * وَأَعْبُدُوا
اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِالنِّسْبِ
الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْبَرِّ وَالْحَرِّ وَالْبَحْرِ
الْحَيْثُ وَالصَّاحِبِ بِالْحَنْبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَأَجِبٌ مَنْ كَانَ مُحْتَالًا فَخُورًا ﴿١٠٠﴾
الَّذِينَ يَخْلَوْنَ وَبِأَمْرٍ مِنَ النَّاسِ بِالْبَعْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠١﴾

وَالَّذِينَ

قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة : الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ؛ ثم ينشر أحدهما سر صاحبه » ولا يخفى ما يأتيه الآن سفهاء القوم ؛ حين يصبح أحدهم فيقول : صنعت في ليلة أمس كيت وكيت ، وتصبح زوجته أيضاً فتقول لجارتها : لقد صنع بي أمس كيت وكيت . فيتباحثن لتلك السفاهة الشنيعة ، والبذاءة الموقوتة ! (واللاتي تخافون نشوزهن) عصيانهن (فضوهن) أي مهوهن بالطاعة (وأهجرهون في المضاجع) بأن لا تناموا معهن في فراش واحد . أو كناية عن عدم إتيانهن (وأضربوهن) ضرباً يسيراً غير مبرح ؛ ولكنه يبلغ حد الإيلام ، ولا اتفتت به حكمة التأديب . انظر كيف يعلنا الله سبحانه وتعالى كيف تؤدب نساءنا ؟ وكيف تندرج بهذا التأديب ؛ فن نصح يبلغ =

وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ أَمْوَالَهُم بِرِيعَةِ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٩٩﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿١٠٠﴾ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَغْلِبُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَبْضُغْهَا وَيُؤْتِ
مِنْ لَدُنْهُ أُجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠١﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿١٠٢﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرُّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا
يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿١٠٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا
الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا
إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ
عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَايِبِ أَوْ لِمَسَمَّ
الْإِنْسَاءُ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَاسْحَرُوا

حد اللطف ، إلى هجر لا يبلغ حد العنف ، إلى ضرب بعيد عن القسوة ؛ فإذا نفع الوعظ : حرم الهجر .
وإذا تم التأديب بالهجر : حرم الضرب (فان أظعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلا) أى إن أظعنكم بالوعظ ؛
فلا تبغوا عليهم بالهجر ، وإن أظعنكم بالهجر ؛ فلا تبغوا عليهم بالضرب (وإن ختم شقاق بينهما) أى إن
استحك هذا الشقاق ، وخشيت عواقبه ؛ ولم تتأدب بما أدها الله تعالى به ، أو تجاوز الزوج حدود الله
في تأديبها (فابشوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) ليحشا ما بين الزوجين من خلاف (إن يريدنا) الحكمان
(إصلاحاً) بين الزوجين (يوفق الله بينهما)
أى بين الحكمين ؛ فيزيلا ما بين الزوجين .

أو « يوفق الله بينهما » أى بين الزوجين (إن
الله كان عليماً) بما فعله الحكمان (خبيراً)
بمكتون صدورهما (واعدوا الله) حق عبادته
(ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً)
قرن تعالى عبادته بالإحسان بالوالدين في غير
موضع من كتابه الكريم ؛ لما لها على الابن
من فضل يعجزه وفاؤه (والجار ذى القربى)
القريب منك (والجار جنب) البعيد عنك .
أو المراد بها قرابة النسب ؛ وعلى كلا المعنيين
فقد أوصى الله تعالى بنى القربى - جاراً
كان أو غير جار - وقد أوصى جبريل الأمين
الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه
عليهما بالجار حتى ظن النبي أنه سيورثه ؛ ومن
وصيته عليه الصلاة والسلام بالجار : « إن
استقرضك أقرضته ، وإن استعانك أعنته ،
وإن مرض عدته ، وإن احتاج أعطيته ، وإن
أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيت به ،
وإن مات تبع جنازته ، ولا تستطل عليه
بالبناء فتحجب عنه الريح إلا باذنه ، ولا تؤذنه
بقتار قدرك إلا أن تعرف له منها ، وإن اشترت
فاكهة فاهد له ، وإن لم تفعل فأدخلها سراً ،
ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » (والصاحب
بالجنب) وهو الذى رافقتك في سفر ، أو تعلم

علم ، أو جاورك في الصلاة . وقيل : هي امرأة الرجل تكون إلى جنبه (وابن السبيل) المسافر المنقطع
(وما ملكت أيمانكم) من العبيد والإماء (إن الله لا يحب من كان مختالاً متكبراً (مغورا) على الناس
بجاهه وماله (الذين يخلون بأمرهم الناس بالخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) من مال كثير ، ورزق
وفير ؛ فلا يعطون منه الفقير ؛ تحسبهم جهنم وبئس المصير ! (وأعدتنا) هيأنا وأعدنا (للكافرين) الذين
يخلون بما آتاهم الله (عذاباً مهيناً) هذا شأن الذين يخلون ؛ أما الذين يتظاهرون بالكرم والجود - رياء
ونفاقا - فهم أسوأ حالا وأما لمن يخلون ! وقد وصفهم الله تعالى بقوله : (والذين ينفقون أموالهم رياء
الناس) أى مراعاة لهم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) لأنهم لو آمنوا بربههم ؛ لعملوا له بالخلوفاته ! =

فهم في العطاء أسوأ من البخل؛ لأنهم قرءوا الشيطان (ومن يكن الشيطان له قريناً) أي مصاحباً؛ يأمر فيطاع: يأمره بكل شر، وينهاه عن كل خير (إن الله لا يظلم مثقالاً) وزن. من الثقل (ذرة) وهي أصغر من الرمل أو هو ما يندروه الهواء من صفار الخلوقات؛ التي خلقها باري الأرض والسوات! (وإن تك حسنة يضاعفها) ينمها ويزدها (فكيف إذا جئنا) يوم القيامة (من كل أمة بشهيد) هو رسولها يشهد بما لها أو عليها (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) أي على قومك (شهيداً) بما عملوا من عناد وفساد (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض) أي لو يدفنون وتسوى بهم الأرض كما يفعل بالموتى (ولا يكتمون الله حديثاً) أي ولا يستطيعون أن يكتموا الله تعالى ما فعلوا؛ وكيف يكتمونه وأعضاءهم وجوارحهم تشهد عليهم (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) قيل: نزلت هذه الآية في بدء تحريم الخمر؛ حين قرأ أحدهم في صلاته «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون» فنهوا عن الصلاة وهم سكارى (ولاجنباً) أي لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب (إلا عابري سبيل) أي إلا مسافرين؛ فقد أبيحت لكم الصلاة بغير وضوء - عند فقدان الماء - ويجزى حينذاك التيمم (أو لامتس النساء) جامعتموهن (فتيمموا) اقصدوا (صعيداً) هو وجه الأرض؛ تراباً كان أو حجراً أو غيرها (طيباً) طاهراً (إن الله كان عفواً) كثير العفو (غفوراً) للذنوب:

سبحان من نهفو ويعفو دائماً
ولم يزل مهما هفا العبد عفا
يعطى الذي يخطئ؛ ولا يمنع
جلاله من العطا لدى الخطأ

(لم تر لى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب)

هم أبحار اليهود (يشتركون الضلالة) يختارونها (ويريدون أن تضلوا السبيل) أي يريدون أن تكونوا مثلهم في الضلال، وتخضوا طريق الحق (من الذين هادوا) من اليهود قوم (يجرفون السكام عن مواضعه) أي يبدلون الكلام عن معناه. قال بعضهم: أريد بالكلم التوراة. وقد أخفوا فيها ذكر محمد عليه الصلاة والسلام، وأخفوا منها آية الرجم (ويقولون سمعنا وعصينا) المعنى: إنهم سمعوا قوله؛ فتلقوه بالعصيان. وقد عبر تعالى عن ذلك بالقول - مع أنهم لم يقولوه - كما جاء في قوله تعالى «قالنا أتينا طائعين» (واسمع غير مسمع) هو دعاء بمعنى: اسمع لاسمعت (وراعنا) هي كلمة سب بالعبرية أو السريانية (لياً بالسنتهم) أي يلوون ألسنتهم. يقولهم «غير مسمع» وقولهم «راعنا» التي هي في الحقيقة سب ودعاء، ويقولونها في قالب =

الجزء الخامس

١٠٠

يُوجِبُهُمْ وَيُؤَيِّدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا غَفُورًا ﴿١٠٠﴾
أَلَمْ تَرَ لَى الَّذِينَ أوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُسْتَرُونَ
الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٠١﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِأَعْدَائِكُمْ وَكُنَى بِاللَّهِ لِيَا وَكُنَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿١٠٢﴾ مِّنَ
الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَعْنَا لِيَا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا
فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّمْ يَنْتَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٠٣﴾ بَيَّاتِبَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا
نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا قَهِرَةً
عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَسْحَابَ النَّبْتِ ۖ وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ
مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ

إِنَّمَا

إِنَّمَا عَظِيمًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَرَّكُوا أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ
 يُرِيكَ مِنْ بَشَرِهِ وَلَا يَظُنُّونَ نَجِيًّا ۝ أَنْظَرَ كَيْفَ
 يَظُنُّونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَى بِهِ إِيمَانًا مِثْبَاتًا ۝
 أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا ضَيْبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِ
 وَالطُّنْجُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى
 مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
 وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۝ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ
 مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۝ أَمْ يَحْسُدُونَ
 النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَاهُ آلَ
 إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۝
 فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ
 سَعِيرًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ
 مُلَجًّا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَنُهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا

= آخر؛ كقولهم: السام عليكم مكان «السلام عليكم» والسام: الموت (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (آمنوا بما نزلنا) من القرآن، على رسولنا محمد (مصداقاً لما معكم) من التوراة والإنجيل (من قبل أن نطمس وجوها) نغيرها بالمسح (أو ناهنهم) نطردهم من رحمتنا أو نسخهم قردة (كألفنا أصحاب السبت) اليهود الذين خالفوا بالصيد يوم السبت؛ وقد نهوا عنه «فقلنا لهم كونوا قردة خاشعين» (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) يمدحونها ويصفونها بالطاعة والتقوى؛ وهو لأم. وأريد بهم اليهود؛ حيث قالوا «نحن أبناء الله وأحباؤه» وليست تركية النفس بالقول (بل الله يركى من يشاء) يأجره ويجزيه (ولا يظلمون قتيلاً) هو كناية عن القلة. والفيل: الذي يقتل بين الأصابع؛ لثافته وقتله (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) اليهود (يؤمنون بالجبث) الصنم، أو الكاهن، أو الساحر (والطاغوت) كل رأس في الضلال. وقيل: الجبث والطاغوت: صنمان كانوا يعبدونهما في الجاهلية (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من هؤلاء الناس الذين وصفهم كتاب محمد بالكفر (أهدى) سبيلاً (من الذين آمنوا) بمحمد (أولئك الذين لعنهم الله) طردهم من رحمة (أم لهم) أى أم هؤلاء اليهود (نصيب من الملك) من ملك الله؛ يعطون من أرادوا ويعنعون من شاءوا (فإذا) إذا كان لهم نصيب من الملك (لا يؤتون الناس نقيراً) النقر: النقرة في ظهر النواة؛ وهو مثل في القلة: ضربه الله تعالى لهم؛ إشارة لشدة بخلهم. وهذا كقوله تعالى «قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأسكنكم خشية الاضاق» (أم) بل (يحدون الناس) المسلمين (على ما آتاهم الله من فضله) وهو بعث الرسول محمد صلوات الله تعالى وسلامه عليه فيهم، وانزال القرآن الكريم إليهم (فقد آتينا) من قبل محمد (آل إبراهيم) إبراهيم وأبناءه عليهم السلام (الكتاب) الكتب التي أنزلت إليهم: كصحف إبراهيم، وتوراة موسى، والإنجيل عيسى، وزبور داود (والحكمة) النبوة والعلم النافع (وآتيناهم ملكاً عظيماً) كملك سليمان - وهو من آل إبراهيم - وقيل: المراد بالملك: النبوة، والجاه، وكثرة الأتباع، والانتصار على الكفار. وذهب أكثر المفسرين - ساعهم الله - إلى أن المقصود بـ«الناس» في الآية: محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، وبالفضل الذى آتاه الله: ما أباحه له من النسوة؛ ينكح منهن ماشاء بغير عد ولا حد. وقد تقوا هذا التأويل الفاسد بعنة دونها، وأسماء طنانة أوردوها، وألفاظ نغقوها، وهو قول فاسد يأثم فآله وراويه ونالقه، ومعتقده فلا حول ولا قوة إلا بالله! (فمنهم) أى من الذين أوتوا الكتاب من يهود =

== بنى إسرائيل (من آمن به) أى بمحمد عليه الصلاة والسلام . أو «من آمن به» أى بالكتاب - أى كتاب منزل - وليس فيه . ما يؤمنون به من الحب والطاغوت بل فيه نعت محمد عليه الصلاة والسلام ، وأبناء بعثته (ومنهم من صد عنه) أى أعرض ومنع الناس عن الإيمان به (سوف نصليهم) ندخلهم (كما نصحت جلودهم) أى أحرقت (بدلائم جلودا غيرها ليدوقوا العذاب) وذلك لأن أشد العذاب والإيلام يكون عن طريق سطح الجلد ؛ فإذا ما احترق الجلد : فتر الألم ، وقل العذاب . أما وقد قضى ربك بتعذيبهم ، والتشديد عليهم ، وعدم النظر إليهم ، وطردهم من رحمة ، وحرمانهم من عطفه ! لذا فانه تعالى قرر أن تبدل جلودهم كما نصحت «ليذوقوا العذاب» الذى كفروا به ، وكذبوا بجدونه (والذين آمنوا) بالله تعالى ، وملائكته وكتبه ورسوله ، وبعثه وبعثه وناره (وعملوا الصالحات) التى أمرهم الله تعالى بها وحضهم عليها ؛ وماتوا على ذلك ! (لهم فيها أزواج مطهرة) مما يستقذر عادة ؛ كالخبيث والنفاس والأنجاس (وندخلهم ظلا ظليلا) أى دائما لا تتسخره شمس (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) هى فى ولاية الأمور ؛ وتأدية الأمانة إلى أهلها : أن تضع ثقتك فى محلها ؛ فلا يحكمك إلا من هو أهل للحكم ، ولا يملك إلا من هو أهل للولاية ؛ فلا تلب بك الأهواء ، فتجعل ثقتك فى غير موضعها ؛ وتكون الأمانة التى وضعها الله تعالى فى عنقك . والأمانات : كل ما ائتمنت عليه من مال ، أو عهد ، أو عقد ، أو سر ، أو شبه ذلك (إن الله لما يعضكم به) أى نعم الشيء الذى يعظم به ؛ وهو تأدية الأمانات إلى أهلها ، والحكم بين الناس بالعدل (أطيعوا الله) أى وأمره ونواهيهِ الواردة فى القرآن (وأطيعوا الرسول) أى ماجاء عنه من القول السديد ، والفعل الحميد (وأولى الأمر منكم) فى هذه الآية دليل على أن

العذاب ۞ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمُوتْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَدَخَلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۞ * إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ لَآتٍ وَتُؤَدُّونَ الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَن يُخَافُوا إِلَى الْأَلْفُوفِ وَقَدْ أُخِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

أولى الأمر الواجبة طاعتهم على الأمة : يجب أن يكونوا منها - حسا ومعنى ، ولحا ودما - «وأولى الأمر» هم الولاة والسلاطين ؛ ماداموا قاطعين بأمر الله تعالى؛ إذ لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق (فان تنازعتم فى شىء) أى إذا اختلفتم فيما بينكم وبين أنفسكم فى أمر من الأمور أو إذا تنازعتم أتم وأولوا الأمر (فردوه) ارجعوا فى حكم هذا النزاع (إلى الله) إلى ماجاء فى كتابه المستبين (والرسول) وإلى الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه حال حياته ، وإلى سنته وهديه من بعده! (ذلك) الرجوع إلى الله ورسوله فيما شجر بينكم من خلاف (خير) من رد النزاع إلى التهور والتصعب الأعمى (وأحسن تأويلا) ما لا عاقبة (ألم تَرَ إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك) من القرآن ؛ وهم بعض من آمن من اليهود (وما أنزل من قبلك) من التوراة ==

لهم

= والإنجيل . أو المراد بـ «الذين يزعمون أنهم آمنوا» : بعض المؤمنين أو المنافقين «وما أنزل من قبلك»
 بعض اليهود (يريدون أن يشعروا كوا إلى الطاغوت) وهو كل رأس في الضلال ؛ من ساحر وكاهن ونحوهما
 (وقد أمروا أن يكفروا به) أى أمروا بالتحاكم إلى الله ورسوله . قال تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى
 يحكموك فيما شجر بينهم» (وإذا قيل لهم تعالوا نختمك (إلى ما أنزل الله) في كتابه (وإلى الرسول) ليحكم

في تنازعنا (رأيت المنافقين يصدون عنك
 صدوداً) يمنعون الناس من الاتصال بك ،
 والإيمان بما أنزل عليك ، والاحتكام إليك
 (فكيف إذا أصابتهم مصيبة) نزلت بهم نازلة
 (بما قدمت أيديهم) بسبب ما قدموه من كفران
 وعصيان (يحلفون بالله إن أردنا) ما أردنا
 في الاحتكام إلى غيرك (إلا إحساناً وتوفيقاً)
 بين الناس (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم)
 من النفاق (وقل لهم في أنفسهم) ازجرهم في
 السر (قولا بليغاً) زجراً عنيفاً ؛ ليتعلموا
 ويؤمنوا ، ويرجعوا عن تقاعدهم . أو «قل
 لهم في أنفسهم» أى فيما ارتكبهت أنفسهم من
 آثام (ولو أنهم إذ ظهروا أنفسهم) بارتكاب
 الآثام ، وتمريضها للعقاب (جاءوك)
 (فاستغفروا الله) مما فرط منهم (واستغفر
 لهم الرسول) هو على طريقة اللغات ؛ أى
 واستغفرت لهم مستشفعاً (لوجدوا الله تواباً)
 أى قابلاً لتوبتهم واستغفارهم ؛ كيف لا . وقد
 تابوا وأتابوا ، واستشفع لهم شفيع الأمة
 ومنقذها صلوات الله تعالى وسلامه عليه ا
 (فلا وربك) أقسم تعالى بخاتم رسله وأنبياؤه
 صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يؤمنون) إيماناً
 حقيقياً (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما
 اختلف عليهم ، واختلفوا فيه (ثم لا يجدوا)
 أى المتحاركون (في أنفسهم حرجاً) ضغاً

(بما قضيت) به بينهم (ويسلموا تسليماً) بظواهرهم وبواطنهم ، بألسنتهم وقلوبهم (ولو أنا كتبنا عليهم)
 فرضنا وقضينا (أن اقتلوا أنفسكم) أى عرضوها للقتل بالجهاد (أو اخرجوا من دياركم) مهاجرين إلى الله
 (ما فعلوه) لأن قلوبهم لم تطمئن بعد للجزاء الذى وعدتهم به (إلا قليل منهم) ممن أثار الله بصيرته ، وأتى
 سريره (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) من الاقدام والاستبسال (لسكان خيراً لهم) لأنهم سيفوزون
 بالنصر والغنية ، أو بالأجر والشهادة (وأشد توبيخاً) لقلوبهم ، وتحقيقاً لإيمانهم !

ثُمَّ تَعَالَوْا إِلَيَّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ
 يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۖ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ
 مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ
 أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ
 مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ
 قَوْلًا بَلِيغًا ۗ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيَطَاعَ بِإِذْنِ
 اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
 وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۗ فَلَا
 وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
 فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۗ وَلَوْ أَنَّا
 كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ
 مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ
 لَسَكُنَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَبَتُّبًا ۗ وَإِذَا لَا يَأْتِنُهُمْ مِنَ

لَدَنَا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَهَلِّبْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٣٦﴾
 وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
 وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٣٧﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ
 وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِيمًا ﴿٣٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
 فَاتَّخِذُوا نَبَاتٍ أَوْ أَنْعُرًا بِجَمِيعٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مِتَّكُمْ لَمَنْ
 لِيُطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مِصْيَبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ
 أَكُنْ مَعَهُمْ شُهَدَاءَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ
 لِيَقُولُوا كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ بَلِيغَتِي كُنْتُ
 مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٤١﴾ * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٢﴾
 وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ

الرِّجَالِ

(فليقاتل) أمر صريح بالجهاد (في سبيل الله الذين يشرون) يبيدون (الحياة الدنيا بالآخرة) أي يستبدلونها
 بها (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين) أي وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله ، وفي سبيل
 خلاص المستضعفين ؛ الذين أسروهم الكفار ، أو المراد بالمستضعفين : النساء . أي في سبيل حماية نساءكم من
 الاعتداء ، وأعراضكم من الضياع .

(ولهديناهم صراطاً مستقيماً) طريقاً واضحاً
 قويمًا (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع
 الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين)
 الصديق : المبالغ في صدق ظاهره بالمعاملة ،
 وباطنه بالمراقبة ؛ وطلق على خواص صحابة
 الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . (يا أيها الذين
 آمنوا خذوا حذركم) من الأعداء (فاقروا
 نبات) أي اخرجوا إلى العدو جماعات متفرقة :
 سرية بعد سرية ؛ و «النبات» : الجماعات ؛
 واحداً ثبة (أو انعروا جميعاً) مجتمعين ؛
 حسباً تقتضيه ظروف ملافة العدو ، وأسباب
 الحرب وقوتها ؛ من حكر وفر ، وإقدام
 وإحجام ، وتظاهر بالكثرة الطالبة ، أو بالقلّة
 الضاربة (وان منكم من ليظنن) ليتقاتلن
 ويتخلفن عن الجهاد ؛ ويشطن هم المجاهدين
 (فان أصابكم مصيبة) ابتابكم هزيمة (قال)
 المتناق ، الجبان ، المتناقل ، المتخلف ، المتشط
 (قد أنعم الله على) بالسلامة والنجاة
 (إذ لم أكن معهم شهيداً) مشاهداً للقتال ،
 وحاضراً فيه (ولئن أصابكم فضل من الله) نصر
 وغنيمة (ليقولن) منتظماً على ما فاته من نصر
 وكسب (يا ليتني كنت معهم فأفوز) بما فازوا به

الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أُمَّهَاتُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظَلْمُونَ فَتِيلًا ﴿٦٠﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ قُلْ كُلُّ

(الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) هي مكة؛ إذ أنها كانت موطن الكفر، ولذا هاجر منها الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) في سبيل إعلاء كلمته، ونصرة دينه (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) الطغيان، وهو كل رأس في الضلال. (فقاتلوا أولياء الشيطان) أنصاره (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) لأن كيده معلوم لأرباب القلوب، ويمكن لكل ذي لب أن يتحاشاه. (الم تر) يا محمد (إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) عن القتال؛ قبل فرض الجهاد (واقموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب) فرض (عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس) أي يخشون لقاء الأعداء في الحرب؛ لجنهم (خشية الله) وعذابه (أو أشد خشية) من الله؛ وأمثال هؤلاء لا تقول بنفاقهم أو ضعف إيمانهم؛ بل هو الكفر بعينه (انظر آية ١٨ من سورة التوبة) (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) متاع الدنيا قليل زائل، ومتاع الآخرة كثير دائم؛ والكثير إذا كان مشرفا على الزوال: فهو قليل؛ فكيف بالقليل الزائل؟ (ولا تظلمون فتيلًا)

هو مثل اللقطة؛ وهو ما يفتله الإنسان بأصبعيه؛ لقلته وحقارته (وإن تصبهم) أي اليهود، أو المنافقين (حسنه) خصب وسعة، وسلامة وأمن (وإن تصبهم سيئته) جذب وفقر، ومرض وخوف (يقولوا هذه من عندك) أي بشؤمك علينا (قل كل) من الخصب والرخاء، والجذب والبلاء

(من عند الله) يتجن بها من يشاء ؛ ليعلم علم ظهور ؛ أشكرون على السراء أم يفجرون ؟ ويصبرون على الضراء أم يكفرون ؟ (ما أصابك) أيها الإنسان (من حسنة) نعمة وإحسان (فن الله) بفضلته ومنته (وما أصابك من سيئة) بلية ومصيبة (فن نفسك) بذنب ارتكبتها ، وتقصير أئنته . وقد ذهب بعض الجهال لى أن المراد بالحسنة : الطاعة . وبالسيئة : المعصية ؛ وبنوا على ذلك قصوراً من الآمال ، على كسبان من الرمال ! ونسقوا على ذلك البطلان قول الحكم العدل اللطيف الخبير «قل كل» من الطاعة والمعصية

الجزء الخامس

١٠٦

«من عند الله» وهو قول هراء ينسب ظلم المالين ، لأحكم الحاكمين ؛ وهو القائل في كتابه المبين «وما ظلمناكم ولكن كانوا هم الظالمين» «فإل هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا» (ومن تولى) أعرض عن الإيمان (ويقولون طاعة) أي أمرنا طاعة لك (فاذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول) بيت الأمر: دبره ليلا ؛ وهي في الغالب تستعمل في الضر للبيت له (فأعرض عنهم) لاتعابهم ، فإن الله حافظك منهم (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا) والتوكل على الله تعالى: هو الوثوق به عند الملمات ، والاعتماد عليه في سائر الحالات ! وهي مرتبة سامية قل أن يرتفع إليها لإنسان ؛ إلا من هدى الله ، وقليل مأمم ! فقد اعتاد الغالية العظمى أن يعتمدوا على المال - وهو عرض زائل - أو على بعض مخلوقين - وهو جسم فاني - فالذي تعود الاتكال على ماله ، أو على صديقه : يأتيه زمن تضيق به دنياه بل تضيق به نفسه ؛ فلا يجد من ماله نفعا ، ولا من أصدقائه متنفساً ، ولا يجد من دون الله وليا يلي أمره ، ولا نصيراً ينصره في نكته ، أو يعينه في محنته !

أما إذا كان العبد متوكلاً على الله حق توكله ؛ فهو تعالى كافيهِ من كل شر ، وحافظه من كل سوء !

وأي المال والصديق عند زلزلة العقائد ، وعند الأزمات الحالكة ، والأوقات المعصية ؟ أين المال والصديق ساعة الموت ، وعند طلوع الروح ، وفي ظلمة القبر ووحشته ؟ بل أين المال والصديق عند الحساب ؟ وعند ما تفتح أبواب التران ؟ ويقال لها «هل امتلأت وتقول هل من مزيد» ؟ عند ذلك لا ينفع مال ولا بنون ؛ إلا من أتى الله بقلب سليم ! وعرفه حق معرفته ، وتوكل عليه حق توكله ! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «لو توكلمت على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير : تمدوا خاصاً ، وتروح بطاناً» ولا شك أن فتنة الحيا والميات ، ونسيان القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ؛ لا شك أن كل هذه البلايا =

مِنَ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَيْثُ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٠٦﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٠٨﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِّانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَرَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴿١٠٩﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١٠﴾ فَتَّقَبَّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأَنْتَ كَلْفٌ إِلَّا تَنْسَكَ

وعريض

العظام ، وهاتيك المصائب الجسام ؛ لاسبب لها سوى ترك التوكل ، والاعتماد على غير الله تعالى ؛ فعود نفسك أيها المؤمن الزكون إلى ربك لترشد ، والتوكل عليه لتسعد ؛ ولتلقى في دينك غبطة وسروراً ، وفي آخرتك جنة وحريراً !

هذا وليس معنى التوكل على الله تعالى : غلق الأبواب ، وترك الأسباب ؛ فقد حث تعالى على السعي والعمل ، وابتغاء الرزق . ألا ترى إلى قوله تعالى لمريم : « وهزى إليك بمجنع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ولو شاء لأسقط عليها الرطب من غير هز الجذع ؛ ولكنه تعالى أراد أن يجعل لكل شيء سبباً ؛ فجعل سبب الرزق : السعي والدأب .

١٠٧

سورة النساء

وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْفُ بِأَسِ الدِّينِ
كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿١٠٧﴾ مَنْ يَسْفَحْ
شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهَا نَصِيبٌ مِمَّا مِنْهُ وَمَنْ يَسْفَحْ شَفْعَةً
سَيِّئَةً يَكُنْ لَهَا كِفْلٌ مِمَّا مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
مُقِيمًا ﴿١٠٨﴾ وَإِذَا حِينُمْ بِحَيْثُ خَيْرًا بِأَحْسَنِ مِمَّا أُرْدُوها
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿١٠٩﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
لِيَجْمَعَنَّكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَآرِبٌ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ
مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿١١٠﴾ * قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِدُ
أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ
وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١١١﴾ وَدَوَّالُوا تَكْفُرُونَ
كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَخْذَفُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى
يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُواهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَخْذَفُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١١٢﴾

وليس معنى ذلك إنكار الكرامات والمعجزات ؛ فقد يسخر الله تعالى السموات والأرضين ، في خدمة بعض المخلوقين ؛ ولكن ليس هذا من طبيعة الأشياء ، فهو تعالى يختص من شاء بما شاء (أفلا يتدبرون القرآن) أى أفلا يتأملون في معانيه ومراميه ومبانيه ؛ فيعلمون أنه الحق من ربه (ولذا جاءهم) أى جاء المسلمين ، أو النافقين (أمر من الأمن) خبر يؤدى إلى النصر (أو أمر من الخوف) خبر يؤدى إلى الهزيمة (أذاعوا به) أفشوه ؛ وفي هذا ما فيه من اذاعة الأسرار المتعلقة بالحروب ، والتي قد تؤدى إلى أوجم العواقب (ولو ردوه) أى ردوا هذا الأمر (إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم) من الرؤساء والولاة والقادة ؛ لأنهم وخدمهم الذين يعملون أين توجد المصلحة . ويعلمون ما يجب إذاعته وما يجب كتمه (لعله) أى لعلم ذلك الأمر الخطير - الذى يعتبر سراً حربياً - (الذين يستنبطونه) يستخرجون من الأمر ما ينداع وما لا ينداع (ولولا فضل الله عليكم) بارسال الرسل ، وإبداء النصح والارشاد ، والتوفيق إلى السداد (و) لولا (رحمته) بانزل القرآن (لانتقم الشيطان) الذى يوردكم موارد الحسران ؛ مثل هؤلاء النافقين الذين يقولون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم - إذا أمرهم بأمر - : «طاعة . فاذا برزوا من عنده بيت طائفة منهم غير الذى تقول» والمخاطب للذين قال لهم جل شأنه : «يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا» والاستثناء بقوله تعالى (إلا قليلا) ينصب على المستنبطين من أولى الأمر ؛ الذى عنانهم العليم الحكيم بقوله : «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعله الذين يستنبطونه منهم» (وحرص المؤمنين) حثهم على القتال (عسى الله أن يكف) يمنع بهذا التحريض ، وهذا الاستعداد (بأس الذين كفروا) قوتهم =

== وسطوتهم ؛ فأتهم تدعون إلى الحق ، وهم يدعون إلى الباطل وأتم تدعون إلى الجنة ، وهم يدعون إلى النار وأتم يدعكم الرحمن ، وهم يدعهم الشيطان ! «وان تكونوا تألون فانهم يألون كما تألون وترجون من الله ما لا يرجون» (والله أشد بأساً وأشد تكليلاً) أشد تمديباً . ونكل به : جملة عبرة لغيره (من يشفع شفاعة حسنة) هي الشفاعة في دفع الشر ، أو جلب الخير (ومن يشفع شفاعة سيئة) هي السعي في جلب الشر ، أو منع الخير ، أو هو كناية عن النجاسة (يكن له كفل) نصيب (منها) أي من شرها في الدنيا ، ومن أتمها في الآخرة (وكان الله على كل شيء

المجزء الخامس ١٠٨

مقيتاً) مقتدا (وإذا حيتت بتحية) التحية : أي تكريم يكون بالقول ، أو بالعمل . فالقول الحسن : تحية . والذم : تحية . والهدية : تحية . والمحب : من أجل التحايا (فحياوا بأحسن منها) قولاً أو فعلاً فالسلام : يرد بأحسن منه . والتكريم : بأكرم منه . والدعاء : بأبلغ منه . والهدية : بخير منها . والمحب ؛ وناهيك بالمحب : فهو خير الهدايا والتحايا ، والأقوال والأفعال (أوردوها) أي أجيوا في القول بمثله ، وفي الفعل بمثله . أو المراد « فحياوا بأحسن منها » أهل الإسلام « أوردوها » فلا تزيدوا عليها ؛ لأهل الكتاب ، والتحية في الأصل : تلوع ، وردها بأحسن منها أو مثلها : فريضة .

هذا ولا يرد السلام في الخطبة ، وقراءة القرآن ، ورواية الحديث ، ومذاكرة العلم ، والأذات ، والإقامة . ولا يسلم على لاعب الملاهي ، ولا على النبي ، ولا على القاعد لحاجته (الله لا إله إلا هو ليجتمعنكم) من قبوركم (إلى يوم القيامة) للحساب (لا ريب فيه) لا شك في ذلك الجمع ، أو لا شك في ذلك اليوم (فالكم) أي ما شأنكم أيها المؤمنون (في المنافقين فثنتين) فرقتين مختلفتين ؛ فرقة

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِئْتٌ
أَوْ جَاءَتْكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا
قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقْتُلُوكُمْ فَإِنْ
اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ
اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿١٠٨﴾ سَجِدُونَ لِأَخْرِيْنَ يُرِيدُونَ
أَنْ يَمْنُوكُمْ وَيَأْمُرُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ
أُرْكَبُوا فِيهَا فَإِنْ كَرِهْتُمُوهَا فَمَا أَتَمَّهَا وَلَوْ يُدْرِكُ
الْعَيْنُ أَلْبَابَهُمْ لِغَدُوِّهِمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ
وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مِّنْ بَيْنِنَا ﴿١٠٩﴾ وَمَا كَانَ
لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ
يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانِ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانِ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِئْتٌ

فدية

قول : تقتلهم . وفرقة تقول : لا تقتلهم . و «المنافقين» هم الذين تخلفوا عن القتال يوم أحد ، وقالوا للرسول عليه الصلاة والسلام ولأصحابه : « لو نعلم قتالا لاتبناكم » (والله أركسهم) ردمم مخذولين مقهورين . والرأس : رد الشيء مقلوباً (بما كسبوا) بما عملوا (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً) طريقاً إلى النجاة (ودوا) أي ود هؤلاء المنافقون الجبناء (لو تكفروا كما كفروا) وتجبون كما جنبوا (فتكونون سواء) مستويين في الجبن والكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء) أصدقاء ، أو خلاصاء (حتى يهاجروا في سبيل الله) فثبت بذلك إيمانهم وإقدامهم ، ووثوقهم بما عند الله (فان تولوا) أعرضوا عن الإيمان والجهاد في سبيل الله (فخذوهم) الأخذ : العقوبة ، والإيقاع بالشخص (واقتلوا حيث وجدتموهم) =

== بلا شفقة ولا رحمة (ولا تتخذوا منهم وليا) صديقا ؛ وكيف تصادقونهم بعد ظهور كفرهم وعداوتهم للمؤمنين !؟ (ولا) تتخذوا منهم (نصيرا) تصرونه ، أو تستنصرون به (إلا الذين يصلون) يحتنون ويلجأون (إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد (أو جاءكم) مسالين (حصرت صدورهم) ضاقت . والمصر: الضيق والاقبال (أن يقاتلوك أو يقاتلوا قومهم) الذين أسلموا وانضموا إلى زمركم (وألقوا إليكم السلم) الاقباد والاستسلام (فاجعل الله لكم عليهم سبيلا) طريقا للقتال ؛ لأنهم لم يقاتلوك وجاءكم مسالين (كلما ردوا إلى الفتنة) أى كلما دعوا إلى الشرك (أركسوا فيها) قلبوا فيها (واقتلوهم حيث تفتنوهم) صادفتوهم (وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) تسلطاً قوياً ، ووجه ظاهرة في قتلهم . وبعد أن أباح الله تعالى قتل الكافرين المحاربين المخادعين : نهى عن قتل المؤمنين . قال تعالى (وما كان) ما صح وماجاز (لؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) أى بغير عمد (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) أى فعله لإعتاق رقبة مؤمنة ؛ لأنه لما أخرج نفساً مؤمنة من جملة الأحياء ؛ لزمه أن يدخل نفساً مثلها في جملة الأحرار ؛ إذ أن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها .

ولرق حدود وواجبات مفصلة في كتب الحديث والفقه . وللعبد الرقيق في الإسلام من الحقوق ما ليس للأحرار في الأمم الأخرى ؛ وليس أدل على ذلك من قوله تعالى «فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء» وقول الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه في مرضه الذي مات فيه «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم» لا تكلفوهم ما لا يطيقون» ومن يطلع على معاملة الزنوج بأمرها يتضح له جليا صحة ما تقول . وها هي الأمم الغربية تحرم استرقاق العبيد ؛ في حين أنها تسترق الأحرار . وتحرم

استرقاق الأفراد ، وتسترق الجماعات والأمم والشعوب ؛ باسم الاستعمار ، والانتداب ، والاحتلال ، ومناطق النفوذ (انظر آيتي ١٧٧ من سورة البقرة ، و٧١ من سورة النحل) (إلا أن يصدقوا) أى لا أن يتصدق أهل القتل بالدية للقتال ؛ فلا يطالبونه بها (فمن لم يجد) أى لم يملك رقبة ، ولا ما يتوصل به إليها من مال ونحوه (فصيام شهرين متتابعين) مكان الإعتاق (توبة من الله) تجاوزا منه للتخفيف عليكم (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) قاصداً قتله (فجزاؤه جهنم) لا جزء له غيرها (خالدا فيها) خلودا مؤبداً ؛ يدل عليه ما بعده من غضب الله تعالى عليه ولعنه ، واعداد أشق العذاب وأعظمه له ؛ وقول الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم» وقال الأكثرون : المراد بالخلود =

قَدِيرَةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا
حَكِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِدًا بجزاؤه جهنم
خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا
عَظِيمًا ﴿١١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَن ءَاتَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا
تَبَيَّنُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمِنذَ اللَّهِ مَغَامٍ كَثِيرٌ
كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ ءَاتَىٰ عَلَيْكُمُ فَتَبَيَّنُوا إِنِ ءَانَ اللَّهُ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١٢﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

= في سائر الآيات : طول المكث . وهو معنى لا يستقيم مع صريح لفظ الكتاب الكريم ؛ فقد أخبرنا الله تعالى - بما يبلغ حد اليقين - بأن خلود الكافرين على وجه التأيد ؛ قال تعالى « وما هم بخارجين من النار » « ولهم عذاب مقيم » (انظر آية ٢٥٥ من سورة البقرة) (بأبها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله) أي سرتهم في طريق الفزو (فتبينوا) تثبتوا ممن تريدون قتله ، ولاتأخذوا بالثك بل باليقين . فلا تقتلوا سوى من تيقنتم عداوته ولإيذائه (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام) الاستسلام أو كلمة الشهادة ، وقيل :

الجزء الخامس

١١٠

التسليم (لست مؤمنا) أي تقولون له : أنت لست مؤمنا ؛ بل تظاهرت بالإيمان لتنجو من القتل (تبتنون) بذلك (عرض الحياة الدنيا) متاعها الزائل الفاني ؛ وهو لباسه وسلاحه وماله (فعد الله مقام كثيرة) تضمنوها في الدنيا برزقه ، وفي الآخرة بفضله (كذلك كنتم من قبل) مثل هؤلاء الكفار الذين يقتلونهم الآت أو « كذلك كنتم » تحفون دينكم تحمزا منهم ، كما أخفوا دينهم تحمزا منكم (فن الله عليكم) بالإيمان والنصر والظفر (فتبينوا) كما أمرتكم (لا يستوى القاعدون) عن الجهاد في سبيل الله تعالى (غير أولى الضرر) المرض ، والماعة : من عمى ، أو عرج ، ونحوهما (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين) من أولى الضرر ؛ فضاهم عليهم (درجة وكلا) من المجاهدين والقاعدين بسبب ضرر لحقهم (وعد الله الحسن) الجزاء الحسن في الآخرة (فضل الله المجاهدين على القاعدين) عن الجهاد بغير ضرر بينهم ، أو سبب يعوقهم (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) التوفى: قبض الروح . و« الملائكة » ملك الموت عزرائيل عليه السلام وأعوانه . والمعنى : إن الذين توفاهم الملائكة ؛ وهم ظالمون لأنفسهم بالجبن والمجر ، ووقدان الأمل ؛ وضمف الزميمة ، وعدم الهجرة (قالوا فيم كنتم) أي قال الملائكة للمتوفين : في أي شيء كنتم ؟ وهو سؤال تفرغ وتوبيخ ؛ حيث إنه كان في مقدورهم أن يقروا عزائمهم ، ويهاجروا من أوطانهم ، ويتخلصوا من ذمهم وجنهم ، ولا يحيا حياة السوأم ! والدين الاسلامى القويم : لم يرض لمعتقيه الضعف والتل ؛ بل أراد لهم وبهم العزة والرفعة والكرامة ؛ وألا يحل مسلم في أرض إلا إذا كان عزيزا مكرما مهوبا الجانب ؛ والا فأرض الله واسعة وأبواب رزقه ورحمته مفتوحة ؛ وربما أريد بظالمى أنفسهم : المنافقين ؛ الذين نجلوا وتركوا الهجرة بدينهم مع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه (قالوا) جوابا على سؤال ملائكة الموت (كننا مستضعفين) أي عاجزين عن القيام بأعباء العبادة بين كفار مكة وصناديد قريش (في الأرض) أرض مكة (قالوا ألم تكن =

دَرَجَتْ مِنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ

قَالُوا كَمَا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ

وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا لَهُمْ جَنَّةٌ وَسَاءَتْ

مَصِيرًا ﴿٥٢﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ

وَالْوَالِدِينَ لَا يُسْتَظِيمُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٥٣﴾

فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا

غَفُورًا ﴿٥٤﴾ * وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ

مَرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى

اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَمَا يَدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٥﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنَّ خِفْتُمْ

أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا

مُبِينًا

مُبِينًا

مُبِينًا

— أرض الله واسعة قتهاجروا فيها) أى قال لهم الملائكة : أليست أرض الله - على سعتها ورحبها - تسعكم إذا هاجرتم فيها ، وفررتم بدينكم ؟ كما فعل من هاجر إلى المدينة ، وإلى الحبشة ؟ (إلا المستضعفين من الرجال) لكبر ، أو مرض ، أو فقر ونحو ذلك (لا يستطيعون حيلة) للقتال ، أو للهجرة (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعماً) مذهباً ومكاناً للهرب (وسعة) في الرزق (وإذا ضربتم) سافرتم (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) قصر الصلاة: هو تصيير الرباعية ثنائية في السفر وقد قال بعض الفقهاء:

إن صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الخوف ركعة واحدة . وقال آخرون : إن القصر في السفر حال الخوف غيب ، وأما في الأمن فلا قصر في السفر . ورووا عن النبي صلوات الله تعالى وسلامه عليه القصر حال الخوف والأمن في السفر ؛ وعلى ذلك الأكثرون (إن خفتم أن يفتنكم) يعذبكم (الذين كفروا) بأن يؤذوكم وقت الصلاة ويقتلوكم (وإذا كنت فيهم) وقت القتال ، وحان وقت الصلاة (فأقت لهم الصلاة) صلاة الخوف ؛ فليتقسما فرقتين (فلتقم طائفة منهم) فليصلا (معك وليأخذوا) أى لتأخذ الطائفة الأخرى التي لم تقم للصلاة (أسلحتهم) استعداداً للقاء العدو ؛ إذا غدر بك ، منتهزاً فرصة انشغالكم بالصلاة . وقيل: الأمر بأخذ السلاح للصليين ؛ فيأخذون سيوفهم ورماحهم وخناجرهم ؛ استعداداً للدفاع إذا دهمهم العدو وقت الصلاة (فإذا سجدوا) وأتموا سجودهم ؛ فلينتقلوا من مكانهم في الصلاة (فليكونوا من ورائكم) للمحافظة على من يصلى بعدهم ؛ وهى الطائفة الأخرى - التي لم تصل ، وكانت قائمة بالحراسة - (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) بعد ؛ لأنهم كانوا قائمين بحراسة المصلين (فليصلا معك) كما صلى أفراد الطائفة الأخرى (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) أى لتأخذ

مُيَبَّأً ۝ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَرِيصَلُوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ يَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ إِنْ كَانَ بِكَ أَذًىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ۝ وَلَا يَهْنَأُ فِي نَيْغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

الطائفة التي صلت حذرهما وأسلحتها ؛ لتقوم بحراسة الطائفة التي قامت للصلاة . وقيل : إن الطائفة التي تأخذ حذرهما وأسلحتها : هى الطائفة المصلية (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتمتكم فيميلون عليكم) يأخذونك خدعة على غرة ؛ وهذا هو سبب الأمر بالحيلة والحذر واتخاذ الأهبة (ولا جناح) لا حرج ولا إثم (عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى) لاستطيعون الاستمرار في حمل السلاح ؛ فلا حرج عليكم في (أن تضعوا أسلحتكم) أمامكم ، ولا تحملوها (وخذوا حذركم) اجعلوا الأسلحة قريبة منكم وفي متناول أيديكم (إن الله أعد للكافرين) في الآخرة (عذاباً مهيناً) عظيماً مؤلماً (فاذا قضيت الصلاة) فلا تقطعوا صلواتكم بربكم ، ولا تنظروا أنكم قد أدبتم ما عليكم (فاذكروا الله) تذكروه =

وراقبوه (قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) أى فى سائر حالاتكم ؛ ليعينكم على عدوكم (فاذا أطمأنتم) وزال خوفكم من أعدائكم (فأقيموا الصلاة) كاملة (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) فرضاً واجباً ؛ محمداً بأوقات مطومة (ولا تنهوا) لاتضعفوا ولا تنهوا (فى ابتغاء القوم) فى طلبهم (إن تكونوا) تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) أى إن كنتم تتألمون من القتال ، وتحافون من الهلاك ؛ فانهم يتألمون أيضاً منه كما تتألمون ، ولكنكم ترجون من الله الشهادة والمثلة الرفيعة ، حيث لا يرجونها هم (إنا أنزلنا إليك الكتاب) القرآن (بالحق) بالصدق (لتحکم بين الناس بما أراك الله) فى القرآن ؛ من الأحكام والأوامر والنواهي (ولا تكن للظالمين خصيماً) أى لا تكن مدافئاً عنهم ، ومخاصماً من أجلهم (ولا تجادل عن الذين يخافون أنفسهم) أى يخونونها ؛ بارتكاب المعاصى . وعبر بلفظ الحياة : لأنهم كانوا يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) أى لا يحاولون الاستخفاء منه بترك معاصيه ؛ وكيف يستخفون منه (وهو معهم) يعلم سرهم ونجواهم (إذ يبيتون) يضربون فى أنفسهم (وكان الله بما يعملون محيطاً) عالماً به ؛ لا يخفى عليه منه شئ ؛ فيجازى على الخير والشر (ومن يعمل سوءاً) يرتكب ذنباً يسيراً إلى غيره (أو يظلم نفسه) يرتكب ذنباً يسيراً إلى نفسه ، ويعرضها للمقاب يوم القيامة (ثم يستغفر الله) ويتب عن ذنوبه وأثامه (يجد الله غفوراً) لذنوبه (رحيماً) به ؛ فلا يؤاخذنه ولا يعاقبه (ومن يكسب إثمًا فاعما يكسبه على نفسه) أى ومن يقترف إثمًا متعمداً ؛ فاعما يعود وبال ذلك على نفسه .

المسزء الطامس

١١٢

لَتَعْرَكَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلظَّالِمِينَ خَصِيماً ۝ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ۝ وَلَا تَجِدُ لِمَنْ يَحْتَسِبُ مِنَ الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً ۝ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ۝ هَاتَمٌ هَتَوَلَّاهُ جَلَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يَجِدُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ۝ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ۝ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بِهِنَّ وَإِنَّمَا مِثْلُنَا ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ

لَمِت

(ومن يكسب خطيئة أو إثمًا) الخطيئة : الذنب الذى يحتمل الخطأ أو العمد . والإثم : المعصية التى لا تتأتى إلا عن عمد (ثم يرمي به) بالخطيئة أو الإثم (بريئاً) كمن يقتل ، أو يسرق ، أو يزنى ؛ ثم يلصق التهمة بغيره .

لَمَسْتَ طَائِفَةً مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
 وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ
 عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ * لَأَخْبِرُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَمْجَرُهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ
 بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ
 ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾
 وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ
 غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ أَجَهْمُ وَسَاءَتْ
 مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ أُنْثَىٰ بِرُكٍّ بِهِءٍ وَيُغَيِّرُ مَا دُونََ
 ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
 بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْسَانًا وَإِنْ يَدْعُونَ
 إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ
 نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَمَ لَهُمْ وَلَا مَنِينَهُمْ وَلَا مَرَهُمْ

(وأنزل الله عليك الكتاب) القرآن
 (والحكمة) النبوة ، والعلم النافع (لا خير في
 كثير من نجواهم) مسارتهم (إلا من أمر)
 في نجواه (بصدقة أو معروف أو إصلاح بين
 الناس) فهذا الأمر بالخير والمعروف ؛ تباح له
 النجوى والمسارة (ومن يفعل ذلك) التناجى
 بالمت على الصدقات ، والأمر بالمعروف ،
 والإصلاح بين الناس (ابتغاء مرضات الله)
 يقصد بهارضاءه تعالى ، ولا يقصد رياء ،
 ولا ثناء بين الناس (ومن يشاقق) يخالف
 ويعادي (الرسول من بعد ما تبين له الهدى)
 وصار في تناول عقل العاقل ، وسمع السامع ،
 وبصر المبصر (ويتبع غير سبيل المؤمنين)
 بالأل يؤمن بالله تعالى ، ولا يصدق برسوله
 عليه الصلاة والسلام (نوله ما تولى) تركه
 وشأنه ؛ فلا توليه عنايتنا وحفظنا ، بل نجعل
 وليه وحافظه وهاديه .: من تولاه واتخذته
 لها ؛ من صنم ، أو نجم ، أو نار ، أو مال
 (ونصله) ندخله (إن الله لا يفر أن يشرك
 به ويفر ما دون ذلك) استدلل بهذه الآية

القائلون بأن الله تعالى يفر سائر الكبائر (لمن يشاء) وهو جل شأنه لم يشأ غفرات الكبائر للمصر
 عليها ، الجاهر بها ، الذي لم يتب عنها (إن يدعون) ما يعبدون (إلا إنانا) كان كل حي من العرب له صنم
 يسمونه : أثنى بنى فلان ؛ وكانوا يقولون عنهن : هن بنات الله ! (وإن يدعون) وما يعبدون (إلا شيطاناً
 مريداً) متمرداً ، خارجاً عن الطاعة (وقال) الشيطان لربه (لأتحذن من عبادك) أى الذين خلقتهم لعبادتك
 (نصيباً مفروضاً) مقطوعاً به (ولأضلمهم) عن طريق الحق (ولأمنينهم) بطول الأمل ، وامتداد الأجل ؛
 وألا يبت ولا حساب ، ولا نواب ولا عقاب

فَلْيَتَكُنْ عَادَانَ الْأَنْعَمِ وَلَا مَرْنَمَهُمْ فَلْيَغِيرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ
 وَمَنْ يَحْتَدِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا
 مُبِينًا ﴿١١٤﴾ يَئِدُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ
 إِلَّا غُرُورًا ﴿١١٥﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا
 مَخْرَجًا ﴿١١٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ
 اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١١٧﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
 وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا
 يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١١٨﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
 مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَوْلَاكَ
 يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظَلُمُونَ نَفِيرًا ﴿١١٩﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا
 مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
 وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٠﴾ وَاللَّهُ مَعِ الصَّالِحِينَ

وما في

(ولامرئهم فليتكفن) البتك: القطع (فليغيرن خلق الله) كخصاء العبيد والحيوان . أو هو تغيير دينه . الذي خلقه وارتضاه ، وتحريم ما أحله ، وتحليل ما حرمه ؛ وما أشبه ذلك (ومن يتخذ الشيطان وليا) يتولاه ويطلبه (يئدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) خداعا وباطلا . والغرور : أن يرى الشيء على خلاف حقيقته (ولا يجدون عنها مخرجًا) مخرجاً ومهرباً (ومن أصدق من الله قيلاً) أى قولاً (ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به) أى ليس الأمر كما تشتهون وتمنون ، ولا كما يشتهي أهل الكتاب ويتمنون ؛ بل الذى يعمل سوءاً يجزى به ، وينال عقابه (ولا يجد له من دون الله) غيره (وليلاً) يلى أمره (ولا نصيراً) يمنه من عذاب الله تعالى (ولا يظلمون قتيلاً) مبالغة فى القلة ؛ وهو النقرة فى ظهر النواة (ومن أحسن ديناً) أى لا أحد أحسن ديناً (ممن أسلم وجهه لله) اتفاقاً لأوامره ، وتجنب نواهيهِ (واتبع ملة إبراهيم) وهى ملة الإسلام (حنيفاً) مانثلاً عن كل دين يخالف الإسلام (واتخذ الله إبراهيم خليلًا) لأنه صاق القلب ، خالص الحب ا

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١١٦﴾
 وَبَسَفْتَنَّاكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكَ فِيهِنَّ وَمَا يَنْبَغِي
 عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ فِي يَسْمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ
 مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبْنَ أَنْ تَكْفُرْنَ وَأَمْتَضَعَيْنَ
 مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَنْ تَهْمُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ
 خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١١٧﴾ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ
 بَعْضِ مَا يُصَلِّحُهَا شُرُوزًا أَوْ إِمْرَاطًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَلِّحَا
 بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ
 وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١٨﴾
 وَإِنْ تَسَطَّيْعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ
 فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصَلِّحُوا
 وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا فَيُغْنِ
 اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَسْعًا حَكِيمًا ﴿١٢٠﴾

(وكان الله بكل شيء محيط) بعلمه وقدرته وبأسه وسطوته (ويستفتونك في النساء) أي يسألونك عن شأن النساء ، وما الذي يجب لهن وعليهن : في الزواج والمهر والطلاق والمعاملة ، وغير ذلك (قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب) وهو ما تقدم من آيات الفرائض في أول هذه السورة (في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن) ما فرض لهن من الميراث (وترغبون أن تكفروهن) تزوجوهن (والمستضعفين) الصغار الضعفاء (من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط) بالعدل (وما تفعلوا من خير) في شأن اليتامى ، أوفى أي شأن من الشئون (فإن الله كان به عليما) فيجازيكم عليه أحسن الجزاء (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا) أي جفاء وأذى (أو لإمراضا) بأن يقل من مؤانستها ؛ بسبب دمامة ، أو كبر سن ، أو تطلع لى أخرى (فلا جناح عليهما) لا إثم ولا حرج (أن يصلحا بينهما صلحا) بأن يتصالحا على أن تنزل له عن نصيبها في القسم ، أو النفقة ، أو بعضهما (والصلح خير) لهما (وأحضرت الأنفس الشح) أي وأحضرت أنفس النساء الشح بأنصباتهن في القسم والنفقة . و «الشح» : الإفراط في الحرص (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) العدل المقصود في هذه الآية : هو العدل في المحبة القلبية فحسب ؛ وإلا لو قلنا بأنه العدل المطلق ؛ لكان ذلك تناقضا مع قوله جل شأنه «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع» وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ؛ ويقول : «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا توأخذني فيما تملك ولا أملك» يعني بذلك المحبة القلبية ؛ ويؤيده ما بعده من قوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل فتدروها كالمعلقة) أي لا تميلوا

عن الرغبة عنها فتجعلوها كالمعلقة التي ليست بأيم ، ولا ذات بعل . ولا عبرة بما يدعو إليه من يتسمون بالمجددين ؛ من وجوب الزواج بواحدة فقط ؛ مستدلين بهذه الآية . وهو قول باطل ترده الشريعة السجدة ، والسنة الفراء ! فليحذر غضب الله من «يحرفون الكلام عن مواضعه» انظر مبحث تعدد الزوجات بآخر الكتاب (وإن يتفرقا) هذان الزوجان المتباغضان (يغني الله كلا) منهما (من سعته) وفضله ! فيرزقه خيرا منها خلقا وخالقا ، ويرزقها خيرا منه رقة ولطفًا ، وحنانًا وعطفًا (وكان الله واسعا) أي واسع الفضل والرحمة والرزق (حكيمًا) في صنعه !

(من كان يريد ثواب الدنيا) أى متاعها الزائل وحطامها الفانى ؛ كالجهاد الذى يريد بمجاهدة الفتنمة والفرغ ؛ لا الثواب والأجر ! والذى يريد بصلاته وحبه : الرياء والسعنة ، ولا ينتهى بعبادته وجه الله تعالى ؛ فقد أخطأوا جميعاً وجه الصواب ؛ وآبوا شر مآب (فعد الله ثواب الدنيا والآخرة) يعطى من كليهما

من شاء ! فقد يعطى أحد الناس الدنيا غصب ويحرمه من الآخرة والعباد بالله ! وقد يعطى أحدهم الآخرة غصب ؛ ويحرمه من الدنيا ؛ وهو عنه راض ! وقد يعطى أحدهم الدنيا والآخرة «وما كان عطاء ربك محظوراً» ! (وكان الله سميعاً) لأقوالكم (بصيراً) بأفعالكم (بأبصارها) الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) فآمنين بالعدل فى كل شيء (شهداء لله) أى تقيمون الشهادة لا يتبعون بها سوى وجه الله بدون تحيز أو عماية (ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) أى ولو كانت تلك الشهادة على أنفسكم ، أو على آبائكم ، أو أقاربكم ؛ فلا توقعكم القرابة ، ولا المنفعة عن أداء الشهادة على وجهها الأكل ! ولا يجل كتمانها ؛ لأن فيه من ضياع الدماء والأموال والحقوق ما فيه ! (انظر آية ٢٨٣ من سورة البقرة) (إن يكن) المشهود ضده (غنياً) فلا يتمتع عن أداء الشهادة عليه لقناه ، طلباً لرضاه ؛ فرضا الله تعالى أحق أن يطلب ! (أو فقيراً) فلا يتمتع عنها عظفاً عليه ، ورحمة به ! (فإنه أولى بهما) أى حكمه تعالى وقضاؤه أولى بأن ينزل عليهما «ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله» (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أى فلا تتبعوا هواكم بأن تعدلوا عن الحق ؛ فتضيموا حقوق الخلق ! (وإن تولوا) أيها الشهداء فى شهادتكم

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكَ وَإِنَّا نَحْنُ اللَّهُ وَإِنَّا نَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١١٦﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ رَبُّكَ بَعِثْنَا إِيَّاهَا النَّاسَ نَبِيِّنًا وَمَا يَكْتُمُ إِلَيْكَ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١١٧﴾

وَالكِتَابِ

فتحرفوها (أو تعرضوا) عن أدائها (فإن الله كان بما تعملون خبيراً) فيجازيكم عليه . وقيل نزلت الآية فى الحكم ؛ لاقى الشهداء (بأبصارها الذين آمنوا) بالرسل السابقين ؛ وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ؛ فاليهود آمنت بالتوراة وبين جاء بها ؛ وكذبت بالإنجيل والقرآن وبين جاء بهما . والنصارى آمنت بالإنجيل وأهت من جاء به ، وكذبت بالقرآن ومن جاء به صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وعلى سائر أنبيائه وملائكته ! فنزل الخطاب لهؤلاء : «بأبصارها الذين آمنوا» (آمنوا بالله) تعالى (ورسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (والكتاب الذى نزل على رسوله) وهو القرآن الكريم .

وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ
 وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
 ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا
 ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَدُوا كُفْرًا أَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ
 وَلَا لِيُدْبِرَ لَهُمْ سَبِيلًا ﴿١١٨﴾ بَشِيرِ الْمُنْفِقِينَ بِأَنَّهُمْ عَدَابًا
 أَلِيمًا ﴿١١٩﴾ الَّذِينَ يَخْدُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
 الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٢٠﴾
 وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ عَابِتِ اللَّهُ
 يُكْفِرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا
 فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ
 الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٢١﴾ الَّذِينَ
 يَتَرَبَّصُونَ بِكَ فَإِنْ كَانَ لَكَ قِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ
 مَعَهُكَ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ

(والكتاب) اسم جنس؛ أي وآمنوا بالكتب
 (الذي أنزل من قبل) كالتوراة والإنجيل
 (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
 واليوم الآخر) أو يؤمن بالله وحده ويكفر
 بأحد هؤلاء (فقد ضل ضلالاً بعيداً) أي جار عن
 حجة الطريق القويم، إلى مهادي المهالك، وبعد
 عن الهدى والاستقامة! (بشر المنافقين) عبر
 تعالى بلفظ «بشر» تهكماً بهم. والتبشير :
 يحيى أيضاً بمعنى الاخبار (الذين يتخذون
 الكافرين أولياء) أصدقاء ونصراء (أيتفون
 عندهم العزة) أي يطلبون العزة والرفعة في
 الدنيا بصحبة الكافرين وصدقهم، واتخاذهم
 أولياء من دون المؤمنين الذين هم إخوانهم (فإن
 العزة لله جميعاً) لا يملكها أحد سواه؛ يهبها
 لمن يشاء من أوليائه وأجائه (وقد نزل عليكم
 في الكتاب) القرآن (أن إذا سمعتم آيات الله
 يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم) أي
 لا تقعدوا مع الكافرين المستهزئين بآيات الله
 (حتى يخوضوا في حديث غيره) فإن قعدتم معهم
 مع كفرهم بآيات الله تعالى، وخوضهم في الحق
 الذي أنزله (إنكم إذا مثلتم) في الكفر .
 يؤخذ من هذه الآية الكريمة : أن السامع

شريك للقاتل؛ ما لم يردده قسراً. أو يمنعه جبراً؛ فان لم يستطع فليفارق مجلسه من فوره (إن الله جامع المنافقين)
 الذين يظهرون غير ما يبطنون (والكافرين في جهنم جميعاً) للعذاب (الذين يتربصون) ينتظرون (بكم فان
 كان لكم قتح) نصر وغنيمة (من الله قالوا) أي قال المنافقون للمؤمنين (ألم تكن معكم) بالمساعدة والرأى
 (وإن كان للكافرين نصيب) من النصر عليكم (قالوا) أي قال المنافقون للكافرين

(ألم نستعوذ عليكم) ألم نقاب عليكم حتى قهرتم المؤمنين ؛ بعد أن بطنناهم حتى هابوكم وخافوكم وقويتكم عليهم (وتعتمكم) تحمكم وتدفع عنكم (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) حجة ، أو طريقاً للتليل منهم (إن المنافقين) وحالهم كما وصفنا (يخادعون الله) يظهرون خلاف ما بطنون (وهو خادعهم) لأنه تعالى يبطن لهم في الآخرة خلاف ماظهر لهم في الدنيا فقد أعطاهم فيها ما يؤملونه من صحة ومال ؛ وبيت لهم في

الآخرة من العذاب ما تشيب لهوله الولدان ، ويجعلهم سكارى ومم سكارى ! (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) متشاكليين يذهب الإنسان لقاء صديقه : فيشط لقابله ، ويسرع لرؤيته ؛ ويقوم الإنسان لمناجاة ربه ، والوقوف بين يدي حبه : الخائف الراض ، المعطى المانع ؛ متباطئاً متشاكلاً ؛ كأنما يساق إلى أصعب الأعمال ، وأشق الأعمال ! وقد فاته أن هذا التكاسل والتشاغل من صفات الكافرين ، وسمات المنافقين ؛ وهم رغم تشاكلهم وتكاسلهم (يراءون الناس) بصلاتهم (مذبذبين) مترددين (بين ذلك) بين الإيمان والكفر ؛ ولم يراعوا الميثاق الذي واظمهم به ربهم ، وهم في عالم الغيب ؛ وأضاعوا الأمانة التي اتتمهم عليها ، وأساءوا إلى آدميتهم ، وأهدروا عقولهم ، ونزلوا من مصاف الإنسانية إلى درك الحيوانية ؛ وأصبحوا (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) لا إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين ؛ والتردد : أسوأ ما يوصف به مخلوق ! وهو إن دل على شيء ؛ فاعما يدل على انعدام الشخصية ، وفساد العقل ! (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً) إلى الخير ، أو إلى الجنة ، أو إلى الصواب ! وذلك لأنه أرخى لشهواته العنان ، واستمرأ ما يغلب عليه الشيطان فاستوجب الخذلان والحرمان ؛ وتغلى عن حفظه الرحمن ؛ «فاذا بعد الحق لإالضلال»

عَلَيْكُمْ وَتَمْتَعُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَالَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۗ ۞ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ ۗ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۗ ۞ مَذْهَبَيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۗ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَجِدٌ ۗ لَهُ سَبِيلًا ۗ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخِدُوا الْكٰفِرِينَ أُولِيَاءِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ أترِيدُونَ أَنْ يُجْعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ۗ ۞ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا ۗ ۞ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۗ ۞ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ۗ

وكان

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء) أصدقاء ونصراء ؛ بعد أن بينا لكم شأنهم وعداوتهم (أتريدون أن يجعل الله عليكم سلطاناً مبيناً) حجة واضحة على نفاقكم ، وموالاةكم للكفار ؛ تؤدي إلى عذابكم ! (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) دركات النار : منازل أهلها فيها . والنار دركات ، والجنة درجات ! (إلا الذين تابوا) من النفاق ومن التشاغل في العبادات (وأصلحوا) أعمالهم (واعتصموا بالله) استعانوا به ، ووثقوا بوعده ووعيدته (وأخلصوا دينهم لله) أى أخلصوا له تعالى في العبادة (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) .

(وكان الله شاكراً) يجازيكم على إخلاصكم وشكركم (علياً) بحالكم ؛ ظاهراً وباطناً (لا يجب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) أى لا يجب الله الفحش في القول ، والإيذاء باللسان ؛ إلا المظلوم فإنه يباح له أن يجهر بالدعاء على ظالمه ، وأن يذكره بما فيه من سوء! (إن تبدوا خيراً) أى ان تطهروا ما تعملونه من أعمال الخير والبر (أو تخفوه) ما تعملوه سراً (أو تعفوا عن سوء) تتجاوزوا عن أساء إليكم (فإن الله كات عفواً) عن ذنوبكم - يحب العفو - ويميزكم برأ بركم ، وعفوا بعفو (قديراً) على ذلك ! بعد أن أباح تعالى لمن ظلم أن ينال من ظالمه بالجهر بالدعاء عليه :

حت على العفو ، وأشار إلى أنه تعالى عفو مع قدرته ؛ فكيف لا تعفون مع ضعفكم وعجزكم (وأعدتنا) أعدتنا وهياناً (والذين آمنوا بالله ورسله) جميعاً (ولم يفرقوا بين أحد منهم) كأن يقول المسلم : لا أومن بموسى ولا بيسى ، أو أن يقول اليهودى : لا أومن بيسى ولا بمحمد ، أو أن يقول النصراني : لا أومن بموسى ولا بمحمد ، أو أن يقول النصراني : لا أومن بإن عيسى لم يكن رسولا من عند الله كموسى ومحمد ؛ بل هو ابنه أرسله ليحمل عن الناس أوزارهم وخطاياهم (يسألك أهل الكتاب) اليهود (أن تنزل عليهم كتابا من السماء) يرونه بأعينهم نازلا عليهم ؛ فلا تعجب من ذلك (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) جحوداً وكفراً (فقالوا أرنا الله جهرة) نراه بأعيننا ، ونحسك بأيدينا «فأنتلهم الله أنى يؤفكون» (فأخذتهم الصاعقة) وهى نار تنزل

وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١١٩﴾ * لَا يُجِبُ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيمًا عَلِيمًا ﴿١٢٠﴾
 إِنْ تَبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴿١٢١﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
 وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٢٢﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْدَاؤُنَا
 لِلْكَافِرِينَ عَدَاؤُنَا مُهِينًا ﴿١٢٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
 وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٤﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ
 تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ
 مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
 ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ

من السماء (بظلمهم) بسبب ظلمهم ؛ وأى ظلم أقيح ، وأى كفر أفدح ؛ من طلبهم رؤية من «لا تتركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» (ثم اتخذوا العجل) عبوده (من بعد ما جاءتهم البينات) وتضافرت لهم الآيات والمعجزات .

(وأتينا موسى سلطانا مبينا) حجة ظاهرة (ورفعنا فوقهم الطور) الجبل ؛ تهديدا لهم حين امتنعوا عن العمل بما في التوراة (ميثاقهم) أى بسبب أخذ العهد عليهم بالإيمان بموسى ، والعمل بما في التوراة (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) أى ادخلوا باب إيلياء مطأطين رؤوسكم (وقلنا لهم لا تدوا) لا تعتدوا بالصيد (ق) يوم السبت) وقد نهيتهم عن ذلك (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) عهدا قويا وثيقا ؛ فنقضوه (فما نقضهم) فبسبب نقضهم (ميثاقهم) الذى واثقناهم به (وكفرهم بآيات الله) تكذيبهم بكتبه ورساله ، وآياته في الآفاق والأنفس (وقتلهم الأنبياء)

١٢٠

المسز السادس

ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٢٠﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ مِيثَاقَهُمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٢١﴾ فَمَا نَقَضُوا مِيثَاقَهُمْ مِمَّا عَمِلُوا وَكُفِّرُوا بَعَائِنَ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا وَكُفْرِهِمْ قُلُوبَنَا غَلْفًا بَلْ طَعِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ يَكْفُرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢٢﴾ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بَهْتِنَا عَظِيمًا ﴿١٢٣﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قُتِلَ وَمَا صَلَبَهُ وَلَكِن شَبَّهَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا آتَيْنَا لَهَا نَذِيرًا ﴿١٢٥﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ كِتَابٍ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِرَبِّهِمْ يَوْمَ تُنزَلُ السَّاعَةُ وَمَن يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ إِنَّا فَاعِلٌ لِّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢٦﴾

عليهم

من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به) أى بعيسى عليه الصلاة والسلام (قبل موته) أى قبل موت الكتابي - حين تحضره ملائكة الموت - فلا ينفعه الإيمان ، أو قبل موت عيسى عليه السلام ؛ حين ينزل قبيل الساعة لقتل الدجال ، والحكم بشريعة سيد الملق عليه الصلاة والسلام ؛ كما جاء في الآثار والأحاديث الصرفة (ويوم القيامة يكون) عيسى (عليهم شهيدا) أى شاهدا على أهل الكتاب ؛ بتكذيب من كذبه منهم ، وتصديق من صدقه . ومن كذب بجمحمد: فقد كذب بعيسى ، لأن عيسى بشر بجمحمد ووصفه لقومه (فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) أى فيسبب ظلم الذين هادوا ضيقنا عليهم ، وحرمانا عليهم الطيبات . قال تعالى «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها

عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّيقِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 كَثِيرًا ۝ وَأَخْتِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ
 النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۝ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝
 لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ
 إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۝ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۝ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ
 أَجْرًا عَظِيمًا ۝ * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا
 إِلَيْكَ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۝ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۝ وَالْأَسْبَاطَ ۝ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ
 وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۝ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۝
 وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ۝ وَرُسُلًا لَمْ
 نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۝ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝
 رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ

إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم» (وبصدم) أى وذلك التضييق والتحریم بسبب صدم (عن سبيل الله) دينه (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) (انظر آية ٢٧٥ من سورة البقرة) (وأكلهم أموال الناس بالباطل) وهو ما يأخذونه من الرشا في الحكم (وأعدنا) أعددنا وهياتنا (لكن الراسخون في العلم منهم) أى من اليهود (يؤمنون بما أنزل إليك) من القرآن (وما أنزل من قبلك) من التوراة والإنجيل (والأسباط) حفدة يعقوب عليه السلام (وآتينا داود زبوراً) الزبور: الكتاب ويجمع على زبر (ورسلناهم تقصصهم عليك) إشارة إلى أنه تعالى أرسل للناس رسلاً في كل زمان ومكان غير من ذكرهم في القرآن (وكلم الله موسى تكليماً) لا يوصف، ولا يعلم له كنه فلا ينبغي لأمثالنا أن نجث عن كفيته، أو نحاول الوقوف على حقيقته؛ فليس بالصوت الحادث، ولا بالأحرف المعلومة؛ فقد كلم الله موسى، وسمع موسى كلام ربه؛ ولكن كيف كان ذلك الكلام؟ وكيف كان ذلك السماع؟ فهذا مما لا ينبغي الحوض فيه والبحث وراءه؛ لأن الكلام قد حصل من قبيل الوحدات والشعور النفسى؛ كالإحساس بالذلة والسرور - وهما من الأشياء التى يتذوقها الإنسان تذوقاً كاملاً - غير أنها لا يمكن وصفها بما توصف به المحسوسات؛ وإلا لو قلنا بخلاف ذلك لجاز لموسى - وقد سمع كلام الله تعالى - أن يصف ذلك التكلم بالسرعة أو بالبطء، ولجاز له أيضاً أن يصف الصوت المسموع بالجمهور أو الخفوت، وما شاكل ذلك؛ وقد تعالى الله عن قول القائلين، ووصف الواسفين! وهؤلاء الرسل الذين قصصناهم عليك، والذين لم تقصصهم قد أرسلناهم إلى أقوامهم (مبشرين) من أطلاع بالجنة (ومنذرين) من عصى بالنار (لئلا

يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) أى إنه بعد إرسال الرسل تنقطع حجة الناس، وتسقط معذرتهم؛ ويقال للكافرين عند دخول النار: «ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين» هذا وقد وفينا هذا البحث في كتابنا «الفرقان»

حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٦﴾ لَكِنِ اللَّهُ
 يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِيبَةٍ وَالْمَلَأَكُفُوفَ
 وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ
 سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَظَلَمُوا أَرَبِكُنِ اللَّهُ لِيُغَيِّرَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٥٩﴾
 إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
 اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٠﴾ بَيِّنَاتٍ لِّلنَّاسِ قَدْ جَاءَ كُرَّةَ الرُّسُولِ
 بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكَ فَتَلَمَّسُوا خَيْرَ الْكُرِّ وَإِن تَكْفُرُوا
 فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
 حَكِيمًا ﴿١٦١﴾ يَتَأَلَّفُ الْكُتُبَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا
 تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
 مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ الْقَلْبَ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
 فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا

لَكَ

عليهم السلام ؟ في قوله «لذا قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه» يعني برسالة منه ، وبشارة من عنده (وروح منه) أي رحمة منه على من اتبعه ، أو وقوة منه ؛ لإحيائه الموتى وإبرائه الأكمة والأبرس ، وإتيانه بالمعجزات الظاهرات . قال تعالى «وأيدم بروح منه» أي بقوة منه ، أو برحمة منه (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) وهو ما يزعمه النصارى من أن الإله ذو ثلاثة أقانيم : الأب ، والإبن ، وروح القدس (انتهاوا) ارجعوا عن ذلك القول

(لكن الله يشهد بما أنزل إليك) أي لا يحزنك يا محمد حسد الحاسدين ، وتكذيب المكذبين ؛ فان الله تعالى يشهد بأنك صفوته من عباده ، وخبرته من خليقته ، وأن ما أنزل إليك هو كلامه القديم الكريم ! لأنه تعالى (أنزله بعلمه) وورادته (والملائكة يشهدون) بذلك أيضا (إن الذين كفروا وصدوا) منعوا الناس (عن سبيل الله) دينه (إن الذين كفروا وظلموا) أنفسهم بكفرهم (لم يكن الله ليغير لهم) قال تعالى «إن الله لا يغير أن يشرك به» (ولا يهديهم طريقا) يوصلهم إلى الإيمان والجنة (إلا طريق جهنم) التي سلكوه واختاروه لأنفسهم (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق) بالقرآن (بالأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) أي لا تتجاوزوا الحد ؛ حيث قالت اليهود عن عيسى : إنه ابن زنا . وقالت النصارى : إنه ابن الله (ولا تقولوا على الله إلا الحق) بأن توحده ، وتمجدوه وتنزهوه عن الولد والصحابة والشريك (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) كسائر الرسل الذين أرسلهم لهداية عباده (وكلته) التي (ألقاها إلى مريم) على لسان ملائكته

لَكَرَّ إِيمًا اللَّهُ إِلَهُهُ وَاحِدٌ سَبَّحْتَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
 وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ
 وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ أَنْ يَسْتَكْفِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا
 لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ
 وَسَتَّكِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ
 فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
 أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا
 إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا
 بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِكِرُ فِي الْكَلَالَةِ
 إِنْ أَمْرٌ هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ

(خيراً لكم) إذ أن فيه نجاتكم (إنما الله لاه
 واحد) لا ولد له ولا والد (سبحانه أن يكون
 له ولد) تنزه عن أن يكون له ولد؛ كما زعمت
 النصارى أن عيسى ابنه؛ تعالى الله عما يقولون
 علواً كبيراً! (لن يستكف) أى لن يأف
 (المسيح أن يكون عبداً لله) فكيف
 تستكفون أتم عن عبادته تعالى (ومن
 يستكف عن عبادته ويستكبر) مثلكم
 (فسحشرهم إليه جميعاً) أى يجمع سائر
 الملائق يوم القيامة للحساب: مؤمنهم وكافرهم
 (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من
 شرائط الإيمان: العمل الصالح (فيوفيهم
 أجورهم) نواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله)
 فوق ما يستحقونه (وأما الذين استنكفوا) أنفوا
 من الإيمان، ومن عبادة الرحمن (واستكبروا
 فيعذبهم عذاباً أليماً) جزاء كفرهم واستكبارهم
 (ولا يجدون لهم من دون الله ولياً) يدفع
 عنهم عذابه (ولا نصيراً) يمنعهم منه (يا أيها
 الناس) قد جاءكم برهان من ربكم) هو الرسول
 عليه الصلاة والسلام؛ لأنه يحمل برهات
 صدقه، وبرهان وجوده تعالى (وأنزلنا إليكم
 نوراً مبيناً) هو القرآن الكريم؛ وأنعم به من

نور! لأنه يهدى إلى الحق، وينجى من الضلال (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) أى بالله،
 أو بالقرآن؛ والاعتصام: الامتناع والوقاية (فسيدخلهم في رحمة منه) خير ونعمة (وفضل) كبير
 (ويهديهم إليه) يوفقه إلى طاعته ومحبه (صراطاً) طريقاً (مستقيماً) موصلاً إلى مرضاته (يستفتونك)
 يسألونك يا محمد عن الكلاله (قل) لهم (الله يفتكم) يجب على سؤالكم (في الكلاله) وهي (إن امرؤ هلك)
 مات؛ و (ليس له ولد) يرثه (وله أخت فإياها نصف ما ترك) وما بقي فلعبسته. و «الكلاله»: من
 لا ولد له ولا والد

(وهو يرثها) أى يرث أخته إن ماتت قبله ؛ لا ولد لها ولا والد (فلذا ذكر مثل حظ) نصيب (الأختين)
 (انظر آية ١١ من هذه السورة) (بين الله لكم) الأحكام (أت تضلوا) أى لتلا تضلوا .

(سورة المائدة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الجزء السادس

١٢٤

(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) هو أمر بالوفاء بكل عقد . والعقد : كل اتفاق يتم بين اثنين فأكثر؛ مكتوباً كان أو غير مكتوب: فالزواج عقد ، والوفاء به : حسن العشرة ، وترك المضارة . والبيع عقد ، والوفاء به : عدم الغش ، وحسن المعاملة . والوعد - أياً كان - عقد ، والوفاء به : إنجازه . ويقاس على ذلك سائر الاتفاقات التي تحمل بين عليها حقوقاً والتزامات (انظر آية ٧٢ من سورة الأنفال) (أحلّت لكم بهيمة الأنعام) وهي الإبل والبقر والغنم ؛ وأهى الأنعام الوحشية ؛ من الظباء والبقر والحمر ونظائرهما (إلا ما يتلى عليكم) تحريمه في قوله تعالى : «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطحية وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب» (غير على الصيد وأتم حرم) أى «أحلّت لكم بهيمة الأنعام» غير مستعمل صيد ما يصاد منها ، وأتم محرّمون . وقيل المراد بالإحلال : أجنة الأنعام التي توجدميتة في بطونها عند ذبحها (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شئاً مما حرم الله) شعائر الله : حدوده التي حددها لعباده - من إحلال الحلال ، وتحريم الحرام - والمراد بها هنا : معالم الحج ؛ كالطواف ، والسعى ، والحلق ، والنحر ،

مَاتَرَكٌ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَوَلَدٌ فَإِن كَانَتَا أَنْثَىٰ
 فَلَهُمَا الشُّكْرَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانَتَا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً
 فَلِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَىٰ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا
 وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾

(٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ مَلَائِكَةٌ

الآية ٣ فنزلت بمرات في حجة الوداع
 وأما ١٢٠ نزلت بعد الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ
 الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبَيِّنُ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ
 إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا
 شَيْئاً مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ وَلَا الشُّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ
 وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَفِعُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ

وَرِضْوَانًا

ونحوه . وإحلالها : تعدي حدود الله تعالى فيها ، ومخالفة أوامره (ولا الشهر الحرام) أى ولا تنتهكوا
 حرمت الشهر الحرام ؛ والأشهر الحرم: ذو القعدة ، وذو الحجة ، والحرم ، ورجب ؛ وانتهاك حرمتها :
 القتل فيها (ولا الهدى) وهو ما يهتدى إلى البيت تقرباً إلى الله تعالى (ولا القلائد) جمع قلادة ؛ وهو ما قلده به
 الهدى . أى لا تنتهكوا حرمت الهدى ؛ سواء كان مقلداً أو غير مقلد . وقيل : لأنهم كانوا في الجاهلية يتقلدون
 من لحاء شجر الحرم ؛ فيأمنون على أنفسهم حتى يلحقوا بأهلهم ؛ فنهى الله عن التقليد بشئ من شجر الحرم
 (ولا آمين) ولا قاصدين (البيت الحرام) أى لا تمنعوا قاصدي البيت عن الوصول إليه ، ولا تقاتلوه ؛ لأنهم
 (ينتفون) بذلك (فضلاً من ربهم ورضواناً وإذا حللتم) انتهيت من أداء مناسك الحج ، وحل لكم ما حرم

وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ
 قَوْمٍ أَن صَدَّقْتُم مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا
 وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّفْسِوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٦﴾
 حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَيْزُرِ وَمَا أُهْلَ
 لِفَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ
 وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن
 تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَنسَىٰ أَيُّ يَوْمٍ بِيَسَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تُحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
 لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
 الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ
 لِإِثْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٧﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ
 لَكُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ

عليكم - بسبب الإحرام - كالصيد والحلق
 ونحوهما (ولا يجرمكم) لا يحملكم (شأن)
 بغض (قوم أن صدقتم) أى من أجل أنهم
 منعوكم (عن المسجد الحرام أن تعتدوا)
 عليهم (وتعاونوا) جميعاً (على البر)
 بالناس (والتقوى) وتقوى الله تعالى وخشيته
 (ولا تعاونوا على الإثم) أى ولا تتعاونوا على
 ارتكاب الذنوب (والعدوان) على الناس
 (وما أهل لغير الله به) أى ما سمى عليه بغير
 اسمه تعالى (والموقوذة) التى ماتت من الضرب ؛
 من وقذه: إذا ضربه حتى استرخى وأشرف على
 الهلاك (والمتردية) التى تردت - أى سقطت -
 من مكان عال (والنطيحة) التى ماتت من
 نطح أخرى لها (وما أكل السبع) أى ما بقى
 من أسكه ، أو ما أسكه لياكله (إلا
 ما ذكيتم) أى يستثنى من التحريم: ما ذكيتموه ؛
 أى طهرتموه بالذبح قبل أن يموت من الضرب ،
 أو السقوط ، أو النطح ، أو أكل السبع
 (وما ذبح على النصب) أى على الأصنام والأوثان
 (وأن تستقسموا بالأزلام) الاستقسام: طلب
 ما قسم فى الغيب ؛ و«الأزلام»: قدام كانوا
 يستعملونها لتلك (ذلكم) الذى ذكرته لكم
 وحرمته عليكم (فسق) خروج عن أمر الله
 تعالى (فمن اضطر) إلى أكل شيء (فى مخصة) جماعة (غير متجانف لإثم) أى غير مائل للذنوب ؛ وإنما أجازته
 الضرورة القصوى (يسألكم ماذا أحل لهم) من المطاعم (قل أحل لكم الطيبات) التى تذكونها بأيديكم
 (وما علمتم من الجوارح) أى وأحل لكم أيضاً صيد ما علمتموه «من الجوارح» وهى سباع البهائم والطيور ؛
 كالكلب ، والفهد ، والعقاب ، والصقر ، والبازى ؛ ونحوها

مَكْلِبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ بِمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ
 عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَقْرَأُوا إِنَّ اللَّهَ
 مَرِيعٌ الْحَسَابِ ﴿١٠﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ
 وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ
 حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
 مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
 أَجْرَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِهِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ
 وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى
 الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
 وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ
 جُنُبًا فاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
 أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً

(مكلبين) المكلب : مؤدب الجوارح ، ومعلم
 الكلاب (فكلوا مما أمسكن عليكم) أى مما
 أمسكن لكم من الصيد ، ولم يأكلوا منه ؛
 أما إذا أكلت الجوارح من الصيد ؛ فلا يحل
 أكله ؛ بل يترك لهم (وطعام الذين أوتوا
 الكتاب) من اليهود والنصارى ؛ الذين يدينون
 بما نزل عليهم ، ويسمون الله تعالى على ذبائحهم
 (حل لكم) كذبائحكم تماماً ؛ ولا يطلق الحل
 إلا على الذبائح حسب - لا على سائر الأطعمة -
 ألا ترون أنهم يطعمون الخنزير ؛ وهو حرام
 عندنا ولهم كبير (المحصنات) المراتب الفقيات
 (من المؤمنات) حل لكم زواجهن (والمحصنات
 من الذين أوتوا الكتاب) حل لكم أيضاً
 (إذا آتيتهم من أجورهن) مهورهن (محصنين)
 متزوجين (غير مسافحين) زانين .. والسفاح :
 الزنا (ولا متخذى أخدان) الخدن : الصديق
 (حط) بطل (أوجاء أحد منكم من الغائط)
 أى أحدث ؛ وذلك أنهم كانوا يذهبون إلى
 الغائط لقضاء حاجتهم . والغائط : الأرض
 المستوية الواسعة ؛ ومنه غيط ، وغيطان : لما
 يجرث ويزرع (أو لامتتم) أى جامعتم

(فتيمموا) اقصدوا (صعيدا) الصعيد: وجه الأرض؛ من تراب وغيره (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) ضيق (ولكن يريد ليظركم) يظهر أجسامكم من الأحداث والخبائث، وأرواحكم من دنس الشك والمعاصي! ويؤخذ من التيمم أن الله تعالى لم يرد من الفسل والوضوء: مجرد النظافة الظاهرية - وإلا لما أجزأ التيمم: الذي هو في حقيقته يتناق مع مظهر النظافة - وإنما أريد بذلك التطهر الباطني، والتطهر الروحي؛ وبهما يكون العبد أهلا لمناجاة ربه وللوقوف بين يديه، وبذلك أيضاً ينظر الله تعالى إليه برحمته ومغفرته، وإلغائه وإحسانه! فليغتسل والمتوضئ أن ينوي تطهير

روحه، قبل تطهير جوارحه؛ وأن يقصد بغسل يديه: محوما ارتكبتا من آثام وذنوب. وبغسل وجهه: لإزالة خائنة عينيه، ولإثم أذنيه. وبمسح رأسه: لإزاحة هواجسه ووساوسه، وطرده ما يلقى الشيطان في فكره، مما يكون سببا في وبال أمره. وبغسل رجله: لإزالة ما علق بها من آثار خطاياها إليه، وجرم مشي فيه! وما أراد الله تعالى بالفسل والوضوء والتيمم: سوى تطهير ذاتكم وصفاتكم، وتقاء سرهم وسريرتكم (وليتم نعمته عليكم) بالوفاء والصفاء (واذكروا نعمة الله عليكم) بالإيمان (وميثاقه الذي واثقكم به) بأن تسمعوا وتطيعوا؛ فاذا وفيتم بذلك: وفي لكم ما ضمن لكم الوفاء به: من إتمام نعمته، ودخول جنته، والتمتع بدار كرامته! وقيل: الميثاق: هو الذي أخذ عليهم - وهم في صلب آدم - حين قال لهم: «أأست بربكم قالوا بلى شهدنا» والأول أولى (إن الله علم بذات الصدور) أي بما تحفي القلوب (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) قائلين في سبيل مرضاته: تقصدون وجهه في سائر أعمالكم، وتبتغون فضله في جميع أموركم (شهداء بالقسط) أي يجب أن يكون العدل في الحكم، والصدق في الشهادة؛ في المكان الأول من تقدركم، وألا تحيدوا

فَتَيْمِمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٠١ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٠٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اكْتُبُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٠٣ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ١٠٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِعَآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ١٠٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١٠٦

عن ذلك أبداً مهما كان المحكوم عليه أو المشهود له (ولا يجرمكم) لا يحملكم (شأن قوم) بغض قوم (على ألا تعدلوا) بينهم؛ لعادوتكم لهم، وكرهاتكم لإيامهم (اعدلوا) بين الجميع - أعداء وأحباء، براء وأقرباء - ذلك أركي لكم، وأطهر لنفوسكم؛ وهذا (هو أقرب للتقوى) أي أقرب لحشية الله تعالى، ومخافة عقابه! وأهل التقوى: هم أهل الخوف من الله تعالى، والحذر من أن يخالفوه (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم) هم يهود بني النضير. وقيل: قريش (أن يسطوا إليكم أيديهم) بالإيذاء والقتال (فكف) منع (أيديهم عنكم) أن تصل إليكم بسوء (وعلى الله) وحده (فليتوكل المؤمنون) لا على غيره (انظر آية ٨١ من سورة النساء)

(ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل) على الإيمان والطاعة (وبعثنا منهم اثني عشر نبياً) النبي : هو الذي ينقب عن أفعال القوم ويفتش عنها (وقال الله) لبني إسرائيل على لسان رسله (إني معكم) بالتوفيق والمعونة (لئن أقم الصلاة) وداومت عليها (وآتيتم الزكاة) أعطيتموها لمن أمرت باعطائها لهم (وآمنتم برسلي) جميعاً (وعززتموه) عظمتوه ووقرتهم (وأقرضتم الله قرضاً حسناً) بالصدقات التي يردها لكم في الدنيا أضعافاً مضاعفة ، وفي الآخرة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ! لئن فعلتم ذلك (لأكفرن) لأعون (عنكم

الجزء السادس

١٢٨

سيئاتكم) التي ارتكبتوها «إت الحسنات يذهبن السيئات» (فمن كفر بعد ذلك) الميثاق (منكم فقد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الصواب والحق (فما تقضهم ميثاقهم) أي فبنقضهم عهدهم (لنأمنن) اللعنة من الله تعالى : الطرد والقت ؛ فعوذ به تعالى من غضبه ! (وجعلنا قلوبهم قاسية) جافية عن الإيمان بي ، والتوفيق لطاعتي (يعرفون الكلم عن مواضعه) وذلك بتحريفهم التوراة ، وكتابة ما يرغبون فيها ، ومحو ما يرغبون ، أو تحريفهم معانيها بما يفتق وأهواءهم (ونسوا حظاً مما ذكروا به) الحظ: النصيب . أي تركوا نصيباً مما ذكروا به فلم يفعلوه (ولأنزال تطلع على خائفة) على خيانة (منهم) ومن ذلك همهم ببسط أيديهم إليكم بالإيذاء والقتال (إلا قليلاً منهم) استكانوا ولم يبسطوا أيديهم (فأغف عنهم) أي عن الذين هموا بكم (وأصفح) عن ذنبهم هذا (إن الله يحب المحسنين) خصوصاً من أحسن لمن أساء . وقيل : هي منسوخة بقوله تعالى «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» . هنا هو حال اليهود (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم أيضاً ؛ كما أخذنا ميثاق اليهود (فنسوا حظاً) نصيباً

* وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا وَقَالَ اللَّهُ لِنِي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢٨﴾ فِيمَا نَقُضُوا مِنْهُمْ أَهْلَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِفَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٩﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوْا أَخَذْنَا مِنْهُمُ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٣٠﴾ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَ كُرُّ

رسولنا

(مما ذكروا به) كما نسيت اليهود «تشابهت قلوبهم» (فأغرينا بينهم) أي بين اليهود والنصارى ، أو بين اليهود أنفسهم ، أو بين النصارى وبعضهم ، وبين اليهود والنصارى ؛ فخرى اليهود وقد انقسموا إلى فرقتين متنازعتين : فرأين وربانيين ؛ وكلاهما له دين خاص ، وشرعية خاصة ، ونظام يخالف نظام الآخر - في العبادات والمعاملات - لا يجتمعان إلا في أمر واحد : هو كراهة المسلمين والنصارى . وترى النصارى وقد انقسموا إلى فرق متعددة : كاثوليك ، وأرثوذكس ، وپروتستانت ؛ كل منها له شرعية خاصة ونظام خاص ؛ وترام دائي الخلاف في كل صغيرة وكبيرة . أما عداوة اليهود للنصارى ، والنصارى لليهود ؛ فأمر لا يحتاج إلى =

= برهان أو دليل ؛ قال تعالى « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » وترى الأمم الغربية - وهم أبناء دين واحد - وقد تفنن بعضهم في إهلاك البعض - هلاكاً تشييب لهوله الولدان - فن اخترع للقبلة الذرية ، إلى مخترع للهيدروجينية ، إلى مصمم لقبلة الكوبالت ؛ إلى مالا نهاية له من صنوف الإيذاء والبلاء الذي لا يوصف ؛ وبذلك حق عليهم الإغراء ؛ فهم أبد الدهر في شحناء وبغضاء ! (يا أهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قد جاءكم رسولنا)

محمد (بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب) اسم جنس . أى ما كنتم تخفونه من كتابيكم « التوراة والإنجيل » وكان مما أخفوه وبينه النبي عليه الصلاة والسلام : رجم الزانين المحصنين (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) موضح ؛ وهو القرآن الكريم . اللهم أمدنا بنوره ، واجعله حجة لنا لاعلينا ! (يهدى به الله من اتبع رضوانه) طريق مرضاته (سبل السلام) طرق الأمن والسلامة ؛ و « السلام » : يشمل كل ما تحتمله هذه الكلمة من معات زاخرة بأنبال الصفات والسمات ؛ فالسلام : هو السلامة والسلم ، والود والهدوء ، والسكينة والطمأنينة ، والخير والبر ! (ويخرجهم من الظلمات) وهي جمع ظلمة ؛ وهي تقع على كل ضلال وخيال ، وسوء وشر ، وعصيان وفسوق ! أرايت كيف يتعثر الإنسان في الظلمات : فلا يرى ما يعترضه من عقبات ، ولا ما يصادفه من مهاوى ومهالك ؟ فيقع في موارد التهلكة وسوء العاقبة . والمراد بالظلمات أيضاً : الجهل والكفر (انظر آية ١٧ من سورة اليفرة) فمن أحبه الله تعالى : هداه إلى سبل السلام ، وأخرجه من الظلمات (إلى النور) والنور : كل عمل ينقسم بالنبل والفضل ، والهدى والرشاد ! أرايت كيف يهتدى الإنسان في النور إلى سلامته وأمنه ،

رَسُولُنَا بَيْنَ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْلَمُونَ أَكْثَرَ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَبَيِّنَاتٍ لِيُصِرَّ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٨﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ

ويتوق مواطن المظل والزلل ؛ وبالتالي يق نفسه غضب الرب ، وسوء المنقلب ! والمراد بالنور : الإيمان . أى يخرجهم من ظلمات الكفر ، إلى نور الإيمان ! (بإذنه) بأمره وإرادته (ويهديهم إلى صراط) طريق (مستقيم) طريق النجاة ، طريق الفلاح ، طريق الجنة ! كأن سائلا سأل : ما هو القرآن ؟ وما فائدته ؟ وما جدوى نزوله ؟ فقيل له : هو « كتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » وهو تعريف عرّف به القرآن منزله تعالى ؛ العالم بأسراره وأنواره ، الواضع لمعالمه وأحكامه !

وهذا التعريف بالقرآن ؛ خير مما عرفه به الأصوليون ؛ من أن القرآن : هو اللفظ العربي ، المنزل =

== على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ للتدبر والتذكر ، المنقول متواتراً ؛ وهو ما بين دفتي المصحف ؛
المبدوء بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس .

وهو تعريف - كما ترى - جاف ، خال من الروح والروعة الواجبة . وخير التعاريف به : تعريف منزله ومبدعه ؛ تعالى شأنه ، وعز سلطانه ! (قل فن يملك من الله شيئاً) أى فن يملك أن يدفع شيئاً أراداه الله تعالى (إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم) الذى ترعمون ألوهيته ، أو بنوته لله (و أن يهلك (أمه) مريم التى ولدتها ؛ ذكرها

الجزء السادس ١٣٠

تعالى ليعرفهم أن الله الواجب الوجود : لا يلد ولا يولد ؛ فكيف تقولون عن ولدته مريم : إنه الله ، أو ابن الله ؟ ! (وقالت اليهود والنصارى) تبجاً منهم (نحن أبناء الله وأحباؤه) قالوا ذلك حين دعاهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للإيمان ، وحذروهم غضب الله تعالى وعقابه (قل) لهم يا محمد : إذا كنتم صادقين في أنكم أبناء الله وأحباؤه (فلم يعذبكم بنوبكم) وذلك أنهم قالوا : «لن تمسنا النار إلا أياما معدودة» (بل أنتم) في الحقيقة (بشر من خلق) كسائر البشر (يقفر لمن يشاء) بأن يوقفه للإيمان والطاعة (ويعذب من يشاء) بأن يتخلى عن هدايته ؛ لتمسكه بالكفر وعناده (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) محمد (بين لكم) طرق الهداية (على فترة من الرسل) أى على فنور من لإرسال الرسل ، وانقطاع الرسمى (أن تقولوا) أى أرسلناه لثلاثا تقولوا (ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم) محمد (بشير) لمن آمن منكم وأطاع بالجنة (ونذير) لمن كفر وعصى بالنار (وجعلكم ملوكاً) أى مالكين ؛ بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه (وأتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين) خالصهم من الذل ، وفضلهم على الكل ؛ فازدادوا كفرأ

رَسُولُنَا بَيْنَ لَكَ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَ لَمْ بَشِيرٍ وَنَذِيرٍ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٠﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَرَّبُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ يَتَقَرَّبُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٣٢﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنَّا فَإِن يَخْرُجُوا مِنَّا فَإِنَّا ذَاكِرُونَ ﴿١٣٣﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ عَالِمِينَ أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَأْتِيَنَّكَ دَخْلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَغَدَا

واعتوا ؛ وأنجاهم من السلوى ، وأطعمهم المن والسلوى ؛ فأبوا الطعام الأعلى ، وطلبوا الطعام الأدنى ؛ وأنزل عليهم مائدة من السماء ؛ فكفروا بما هناك ، وأوقعوا أنفسهم في المهالك ؛ فأعد لهم رهم عذابا لا يعذبهم أحداً من العالمين ! (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة) أرض بيت المقدس (التي كتب الله لكم) أى كتب في لوحه المحفوظ أن تسكنوها وتقيموا فيها (ولا تترددوا على أدباركم) أى لا ترجعوا مدبرين منهزمين (قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين) أقوياء أشداء شجعاناً . وقيل : سفلة لا خلاق لهم . وقال بعض المفسرين : أنهم من بقايا قوم عاد ، وأنهم ضحاج الأجسام ، عظام الأجساد ؛ حتى إن أحدهم ليحمل الاثني عشر نفساً في أحد أكتافه . وهو قول غير صحيح ، وإنما قصه القصاصون الأفاكون ؛ وزينوه بروايات =

= لا أصل لها ، وعنقات لا وجود لها (قال رجلان من الذين يخافون) الله تعالى ويخشونه (أنعم الله عليهما) بالإيمان والشجاعة والاقدام (ادخلوا عليهم الباب) أى ادخلوا على هؤلاء الجبارين باب المدينة (فاذا دخلتموه) عليهم ؛ وبدأتموهم بالهجوم والقتال (فانكم غالبون) أنظر كيف يعلنا الله سبحانه وتعالى الخطط الحربية الحكيمة الموقفة ؛ يعلنا أن نتبع خطة الهجوم ، خطة الاستبسال ، خطة بيع النفس في سبيله جل شأنه ! وهى قاعدة معروفة متبعة ؛ يعلمها كل ذى لب ، ويتبعها كل ذى قلب : «اطلب الموت توهب لك

الحياة !» وإذا فكرت أيها المؤمن جليلاً ، ونظرت ملياً في هذه الحطة ؛ لأنباك التاريخ عن إصابتها وسدادها ؛ فهناك سعد بن أبى وقاص ، وقد قام بجيشه الصغير ؛ فاكسح به دولة الفرسا كفسحاء ، وجعلها أثراً بعد عين ؛ وقد كانت في أوج عظمتها وقوتها ! وهناك أيضاً طارق بن زياد ؛ وقد فتح الأندلس فتحاً سجله التاريخ بمداد الفخار والإكبار ولم تكن تلك الفتوح والانتصارات : لكثرة في العدد ، أو زيادة في المدد ؛ وإنما هي الحطة التى وضعها القائد الأعلى ، والمرشد الأعظم ، وحث عليها عباده ! (انظر آية ٢٥١ من سورة البقرة) (وعلى الله فتوكلوا لأن كنتم مؤمنين) من هذا نعلم أن التوكل من لوازم الإيمان ؛ وأن الإيمان بلا توكل : إعمات مشوب بالشك والشرك ؛ إذ أن الإيمان به تعالى يستوجب حتماً الإيمان بقدرته وقوته ، والوثوق بمعوته ! ومن آمن بالله تعالى ولم يؤمن بصفاته العلية السنية ؛ فهو من عداد الكافرين ! (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (قالوا يا موسى لن ندخلها أبداً ما داموا فيها) فازدادوا بذلك جبناً على جنبنهم ، وخوراً على خورهم ، ورفضوا التوكل على الله ، وأبوا الاستعاضة إلى نصح الناصحين ؛ الذين يخافون ربهم ، وقد أنعم الله عليهم (فاذهب) ياموسى (أنت وربك فتقاتلا

لإنا هنا قاعدون) أضاف بنو إسرائيل إلى جنبنهم وضعفهم وحقارتهم : كفراً بربهم لابعده كفر ، وتحدياً يستأهل ما أعدده الله تعالى لهم من عذاب بئيس ! إذ قالوا لنبيهم الكرم ؛ الذى بعثه الله تعالى إليهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور : «فاذهب أنت وربك فقاتلا» (قال) موسى (رب إنى لا أملك) من دنياى (لإنفسى وأخى) ولا نصلح أن نلقى بمفردنا الجابرة فنخرجهم من بيت المقدس (فأفرق) فافصل واحكم (بيننا وبين القوم الفاسقين) الكافرين ؛ الذين خرجوا عن طاعتك (قال) الله تعالى لموسى (فإنها) أى الأرض المقدسة (محرمة عليهم أربعين سنة) لا يدخلونها ولا يتمتعون بغيراتها ؛ بل (يتبهون في الأرض) سائرين على وجوههم ؛ لا يلبغون مقصداً ، ولا يمحزون مأملاً ؛ عقوبة لهم على عصيانهم وجبنهم ، وعدم =

إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٥١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا
نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥٢﴾
قَالَ فَإِنَّهَا مُحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَهَوَّنُ فِي الْأَرْضِ
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥٣﴾ * وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ تِبَاءً
أَبْنَىٰ عَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
يَتُقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ
الْمُتَّقِينَ ﴿٢٥٤﴾ إِنْ بَسَطْتَ إِلَىٰ بَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ
يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٥٥﴾
إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوَ بَيْنِي وَإِنَّمَا فَتْكُونَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٦﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ
قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٧﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ
غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَرِّثُ سَوْءَةَ أَخِيهِ
قَالَ يَتْلُوَنَّكَ نَجْمُ الزُّجَرِ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ

= استعصمهم لكلام ربهم ونصح نبيهم (فلا تأس) لا تحزن (على القوم الفاسقين) الكافرين العاصين (واتل) يا محمد (عليهم) على هؤلاء اليهود؛ الذين هموا أن يبسطوا اليك أيديهم بالبطش والأذى (نبأ ابني آدم) هابيل وقايل (إذ قربا قرباناً) لله (فتقبل من أحدهما) هابيل (قال) قايل - الذي لم يتقبل قربانه - لهايل الذي تقبل منه (لأقتلك) حسداً منه له (قال) هابيل (إنما يتقبل الله من المتقين) الذين يخشونه (لأن بسطت) مدتت (إلى يدك لتقتلني) فلن أقابلك بمثل بئيك؛ و (ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك) لأنى لست

المسرة السادس

١٣٢

شريراً مثلك (إن أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أنت تبوء) ترجع (بأعمى) ثم قتل (ولأنك) الذى ارتكبتة من قبل؛ ولم يتقبل قربانك بسببه أو المراد «بأعمى»: آتأى تلقى عليك «ولأنك» الذى ارتكبتة بقتلى . قال صلى تعالى عليه وسلم: «يؤخذ من حسنات الظالم فتراد في حسنات المظلوم حتى ينتصف؛ فان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه» يعضده قوله تعالى «وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم» (قطوعت له نفسه) زينت له ، وتابعت وطاوعته (بعث الله غرباباً يبحث في الأرض) يحفر فيها برجله ومتقاره (ليريه كيف يوارى سوءة أخيه) جسده؛ والسوءة: كل ما يسوء الإنسان ظهوره (من أجل ذلك) القتل الذى حصل بين ابني آدم (كئيبنا) حكمتنا وقضينا (على بنى إسرائيل) وعلى غيرهم أيضاً (أنه من قتل نفساً بغير نفس) أى بغير أن يكون ذلك القتل قصاصاً من المقتول الذى قتل نفساً ظالماً (أو فساد في الأرض) أى وبغير أن يكون القتل بسبب إفساد المقتول في الأرض ، وقطعه للطريق ، وسلبه أموال الناس وإفساده للأمن (فكأنما قتل الناس جميعاً) أى لأنه بفعلته هذه سن القتل ، وجل كل الناس عرضة له ، ولأن عقوبته في الآخرة لا تنقص عن عقوبة

فَأَوْرَىٰ سُوَّةَٰهُمُ أَيُّ فَاصَّحَ مِنَ النَّاسِ ۗ مِنَ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِن كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿١٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْمَانُهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَخُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي الدُّنْيَا ۗ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ هُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ

جميعاً

من قتل الناس جميعاً؛ ألا ترى أن جزاء جهنم ، وأنه خالد فيها ، وأن غضب الله تعالى محيط به ، ولنتته منصبة عليه ، وأنه تعالى أعد له عذاباً عظيماً مهيباً! ؟ فأى شقاء وأى عذاب بقي لمن قتل الناس جميعاً بعد هذا الشقاء ، وفوق هذا العذاب؟ (انظر آية ٩٣ من سورة النساء) (ومن أحيأها) أى أنقذها من هلاك محقق: كغرق ، أو حرق ، أو دفع عدو ظالم ، أو غير ذلك (فكأنما أحيأ الناس جميعاً) لأنه سن بينهم النجدة ، والتضحية ، والأمن . وقيل: إن الكف عن القتل: هو الإحياء .

بعد ذلك بين الله تعالى لنا الأسباب الموجبة للقتل ، واتى استثناءها في الآية السابقة بقوله جل شأنه : « بغير نفس أو فساد في الأرض» قال تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) بحاربة المسلمين ، =

== ومخالفة ما أمر الله تعالى به ، وإتيان ما نهى عنه (ويسعون في الأرض فساداً) وهم قطاع الطريق ؛ الذين يعيشون في الأرض ، ويتهمكون الحرميات ، ويفسدون الأمن ؛ جزاء أمثال هؤلاء (أن يقتلوا) إن كان لثمهم القتل فقط (أو يصلبوا) إن كان لثمهم القتل وسلب المال (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) إن كان لثمهم سلب المال « السرقة بالإكراه » وطريقة ذلك أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى - يده للسرقة ، ورجله لإخافة الطريق - فان لم يتب تقطع يده اليسرى ورجله اليمنى (أو ينفوا من الأرض) إن كان لثمهم التخويف فقط ؛ والنفي : أن يطرد من موطنه قسراً حتى يلحق بأرض العدو ، أو هو نفيه من بلده إلى بلد آخر يسجن فيها حتى تبدو توبته ، وتظهر إنباته ؛ ويقطع عن مصيبة الله وليضاء عباده الآمين ! (انظر آية ٣٨ من هذه السورة) (ذلك) الجزاء المتقدم لهم خزي (ذل وفضيحة (في الدنيا) يطلق بهم وبأبنائهم وذرايرهم (إلا الذين تابوا) عن عاربه الله تعالى ورسوله ، وعادوا إلى حظيرة الإيمان (من قبل أن تقدروا عليهم) فأولئك ليس لكم عليهم من سبيل ؛ لأن الإيمان يجبه ما قبله . أما إذا كان السامع في الأرض بالفساد من المؤمنين : فعليه القود والقصاص .

وقال الشافعي رضى الله تعالى عنه : يعنى من حق الله تعالى ، ويؤخذ بحق الناس (بأبيها الذين آمنوا اتقوا الله) خافوه ، واخشوا عقابه (وابتغوا إليه الوسيلة) الوسيلة : هي القرية ، والعمل الصالح (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) يسرق السارق - حين يسرق - وهو آمن مطمئن ؛ لا يخشى شيئاً : اللهم سوى ذلك السجن الذى يطعم ويكسى ويعالج فيه ؛ فيفضى مدة العقوبة التي فرضها عليه القانون الوضعى ، ويخرج من هذا السجن وهو إلى الإجمام أميل ، وعلى الشر أقدر ! يدل على هذا أن تعداد الجرائم يزداد يوماً عن يوم ،

وعاما عن عام ، وذلك لتصور العقل البشرى وبمجزه عن الوصول للشفاء النافع ، والدواء الناجح ! أما عقوبة قطع يد السارق فالتى وضعها الرحيم الرحمن ، الذى هو أعلم بالإنسان من الإنسان ؛ وهامى ذى بلاد الحجاز - رغم فقر أهلها وعوزهم - فلا تكاد تسمع بوقوع سرقة فيها ؛ حتى ان الإنسان ليقع منه الدرهم فيتذكره فيعود إليه فيجده في موضعه بعد أيام ؛ حيث لا يجسر أحد أن ينظر إليه ، فضلا عن أن يعد يده لأخذه وما ذلك إلا بفضل انتشار الأحكام الدينية ؛ جزى الله تعالى القاسمين بها خير الجزاء ! وهامى ذى أوروبا وأمريكا تناديان بوجود تفسير هذه القوانين الوضعية ؛ حيث لم تعد صالحة لدفع النفوس الثميرة ؛ بدليل ازدياد الجرائم ؛ فنه ما أحل هذا الدين ، وأجل تعاليمه وشرائعه ! (جزاء بما كسبوا) من لثم السرقة =

بجميعاً ومثلهُ معهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 مَا تَقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ النَّارِ ۖ يَرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا
 مِنَ النَّارِ وَمَا لَهُمْ بِخُرُوجِهَا مِنْهَا وَهُمْ عَذَابٌ مُّصِيبٌ ۗ
 وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا تَكَلَّافَ
 مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۖ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ
 وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ
 الَّذِينَ قَتَلُوا نَفْسَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ مَلَكَ يَشْهَدُ بِالْأَرْضِ لِيُعَذِّبَ
 مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ
 يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
 الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَابِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ
 هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ عَانِرِينَ لَئِنْ بَايَعْتَهُمْ
 بِحُرُوفٍ أَلْكَتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِمْ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا
 فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ

== (نكالا من الله) النكال : العبرة للغير . أى ذلك القطع عبرة من الله : يعتبر بها الغير ؛ فيتجنب أسبابها (فن تاب من بعد ظلمه) رجع إلى الله من بعد ارتكاب السرقة ، واعترف بها (وأصلح) أعماله (فان الله يتوب عليه) يقبل توبته ؛ بعد توقيع الحد عليه (يا أيها الرسول) خاطب الله تعالى سائر النبيين بأسمائهم ؛ فقال : « يا آدم ، يانوح ، يابراهيم ، ياداود ، ياعيسى ، يازكريا ، يايحيى » ولم يخاطب الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه إلا بقوله : « يا أيها الرسول ، يا أيها النبي ، يا أيها الزمّل ، يا أيها المدثر » وفى هذا من رفعة شأنه عليه الصلاة والسلام
 ما لا يخفى !

(أكلون للسحت) الحرام والرشوة

(فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل

قُلْ تَمَكَّلْ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْعًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَرَجَدَ اللَّهُ أَن يَطَّوِّرَ قُلُوبَهُمْ ۗ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا نَجْرٌ ۖ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثُونَ لِلْحَيِّتِ فَإِن جَاءَ وَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلن يَضُرُّوكَ شَيْعًا ۖ وَإِن حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيْبِيُّونَ وَالْأَجَابِرُ ۖ بِمَا اسْتَحْضَرُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۖ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَاحْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَسْتَرُوا بِعَاقِبَتِي نَمْنًا قَلِيلًا ۖ وَمَن لَّرَ بِحُكْمِ ۖ إِنَّا أَنْزَلْنَا اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ

بِالنَّفْسِ

(وكتبنا عليهم فيها) أى فى التوراة (أن النفس) تقتل

(والربانيون) جمع ربانى نسبة إلى الرب ؛ وهم العلماء والحكماء . وقيل : هم الرهبان (والأجبار) العلماء (بما استحضروا) حفظوا ، واستودعوا علمه (من كتاب الله) وهو التوراة (فلا تحشوا الناس واخلشون) أى لا تخافوهم خوفاً ينسبكم أوامرهم ؛ فأنا أحق بالحشية منهم ؛ لأنى أنفع وأضر ، وهم لا يستطيعون جلب نفع لأنفسهم ، ولا دفع ضرر عنها . وهذا نهى عن الترفل والتعلق ، ووجوب نهى العاصى عن عصيانه ، والطاغى عن طغيانه

(بالنفس والعين) تفقأ (بالعين والأنف) يجذع (بالأنف والأذن) تقطع (بالأذن والسن) تقلع (بالسن والجروح قصاص) فيقتص لكل عضو بمثله إذا أمكن .

لو أن الحجر المتاد للأجرام ، والذي أشربت نفسه حب الأذى والضرر ؛ علم أنه لو فقأ عيناً فقئت عينه ، أو كسر سناً كسرت سنه ؛ لما جسر على الأذى : ولا قوى على الفتك ! ولو أن أعصى العصاة ، وأعطى العتاة ؛ حينما يضع يده على عصاه ؛ ليقوع الضرر بعباد الله : علم أنه إنما يضرب نفسه ، ويقتطع من جوارحه : لا تقبلت شروره وخيراته ، وسيئاته حسنات ؛ وكان مندفعاً إلى الخير - إن لم يكن بطبيعته وفطرته - فبرعه ورهبته ! غير ما في هذه العقوبات الرادعة من شفاء للقلوب المكومة ، والنفوس الموتورة ؛ التي يتولد منها - بسبب عدم إزال العقاب الصارم ، بالجرح الظالم - سلسلة جرائم وأخذ نارَات ؛ يتزلزل لها الأمن وتزعج منها العدالة ! أرشد الله تعالى الناس ، لما يصلح الناس (فن تصدق به) أي تجاوز عن حقه في الاقتصاص من المعتدى (فهو كفارة له) أي إن ذلك التجاوز تكفير لبعض ذنوب المعتدى عليه ، أو هو كفارة للمعتدى نفسه ؛ لأن العفو كالاقتصاص ؛ فلا يجوز للمعتدى عليه أن يطالبه بالقصاص بعد التصديق والعفو (وقفينا) أتبعنا (على آثارهم) أي آثار النبيين الذين تقدموا عيسى عليه السلام (مصدقاً لما بين يديه) ما تقدمه (من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى) من الله (ونور) لمن اتبعه (ومصدقاً) أي الإنجيل جاء مصدقاً (لما بين يديه) تقدمه (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) ولكنهم لم يحكموا بما فيه ؛ بل حكموا تبعاً لأهوائهم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) ومن عجب أن تنزل التوراة لليهود فلا يعملون بها ، ويحرفونها عن مواضعها ، وينزل الإنجيل للنصارى فلا يعملون بما فيه ، بل يكون دأبهم تغييره ومخالفته ، وينزل القرآن الكريم على المسلمين فيجعلون دينهم التشنق بحروفه ، ومراعاة وقوفه . والإفراط في الفن إفراطاً أدخل بنطقه ، والتزيد في المد تزيداً أدخل بمعناه ؛ وتركوا العمل بما فيه ؛ ولم ينزله منزله تعالى لإلالتك ! ولكنه الشيطان زين لهم نافة الأمور ، وصرفهم عن لب القرآن ! (وأنزّلنا إليك) يا محمد (الكتاب) القرآن (مصدقاً لما بين يديه) ما تقدمه (من الكتاب) كالتوراة والإنجيل (ومهيئنا عليه) رقيباً وحافظاً وأميناً (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) الشرعة: التريعة . والمناهج : الطريق البين الواضح (ولكن ليلوكم) ليختبركم (فيما آتاكم) من الشرائع والتكالييف ؛ فيعلم - علم ظهور - الطبع منكم والماضى ، والبر والفاجر !

سورة المائدة ١٣٥

بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفِ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ مَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ
كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَقَفِينَا عَلَىٰ ءَأَنذَرْتَهُمْ بَعْضِي أَيْنَ مَرَمْتَهُ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ ۚ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٦﴾ وَلِيَحْكُرَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا
أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿١٣٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ قَاحِكُمْ بِدِينِهِم
بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ
الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكَ شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَآءَ اللَّهُ
لِيُحْلَلَ كُرْهُ أُمَّةٍ وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَلْوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ

لليهود فلا يعملون بها ، ويحرفونها عن مواضعها ، وينزل الإنجيل للنصارى فلا يعملون بما فيه ، بل يكون دأبهم تغييره ومخالفته ، وينزل القرآن الكريم على المسلمين فيجعلون دينهم التشنق بحروفه ، ومراعاة وقوفه . والإفراط في الفن إفراطاً أدخل بنطقه ، والتزيد في المد تزيداً أدخل بمعناه ؛ وتركوا العمل بما فيه ؛ ولم ينزله منزله تعالى لإلالتك ! ولكنه الشيطان زين لهم نافة الأمور ، وصرفهم عن لب القرآن ! (وأنزّلنا إليك) يا محمد (الكتاب) القرآن (مصدقاً لما بين يديه) ما تقدمه (من الكتاب) كالتوراة والإنجيل (ومهيئنا عليه) رقيباً وحافظاً وأميناً (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) الشرعة: التريعة . والمناهج : الطريق البين الواضح (ولكن ليلوكم) ليختبركم (فيما آتاكم) من الشرائع والتكالييف ؛ فيعلم - علم ظهور - الطبع منكم والماضى ، والبر والفاجر !

فَاسْتَقْرَأُوا الْحَبِيرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرَجِحَكُمْ جَمِيعًا فَيُنشِكُمْ بِمَا
 كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٨﴾ وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
 أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
 لَفَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ الْحَكْرَ الْجَنَابِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ
 مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَا تَخْلُدُوا فِي الْيَهُودِ وَالنَّصْرِيِّ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
 وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَمَا آتَاهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَآيْدِي الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ ﴿٦١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ
 فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ
 يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا
 فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿٦٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْتُوا لَوْ

الَّذِينَ

يتولهم منكم فانه منهم) يستدل من ذلك أن
 موالاته الكفار كفر؛ الا ترى الى قوله تعالى «فانه منهم» أي من جنسهم، ومن جماعتهم! فاحذر - يارعاك
 الله - أن توالي الكافرين؛ فتكون من الظالمين! (انظر آية ٢٨ من سورة آل عمران) (فترى الذين
 في قلوبهم مرض) شك ونفاق (يسارعون فيهم) أي يسارعون في ولايتهم وصدقهم (يقولون) إنما نوالهم
 لأننا (نحشى أن تصيبنا دائرة) أي مصيبة، أو حادثة تدور بالحلال التي يكونون عليها (فحسى الله أن يأتي
 بالفتح) بالنصر (أو أمر من عنده) ينزل العذاب (فيصحبوا على ما أسروا في أنفسهم) من النفاق
 والسكر بالمؤمنين

(فاستبقوا الحبيرات) ابتدروها وسابقوا
 نحوها؛ قبل القوات بالوفاة؛ (لى الله مرجحكم
 جيعا فينبشكم بما كنتم فيه تختلفون) ويجزى
 كلا بما عمل (وأن احكم بينهم) بين اليهود
 - وقد احتكموا الى الرسول عليه الصلاة
 والسلام في بعض مجرمهم - وقيل: لان سادة
 اليهود وكبراءهم ذهبوا الىه صلى الله تعالى عليه
 وسلم، وقالوا له: لانا لان أسلفنا أسلم سائر
 اليهود، وان بيننا وبين قومنا خصومة، فاقض
 لنا عليهم ونحن نسلم لك ونؤمن بك. فأبى
 اتباعهم، وأنزل الله تعالى عليه هذه الآية
 (واحذرهم أن يفتنوك) يضلوك (عن بعض
 ما أنزل الله إليك) من الأحكام في كتابه
 المبين (فان تولوا) أعرضوا عنك، وانصرفوا
 عن تصديقك (فاعلموا انما يريد الله أن يصيبهم)
 بالعقوبة في الدنيا؛ كالجلاء، والجزية، والأسر،
 والقتل (ببعض ذنوبهم) التي أتوها؛ ومنها
 الإعراض والتولي؛ وسيصيبهم في الآخرة
 بالعقوبة الكاملة المدمرة (يا أيها الذين آمنوا
 لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) أي
 أصدقاء توالونهم من دون المؤمنين (ومن
 يتولهم منكم فانه منهم) يستدل من ذلك أن

(حطت أعمالهم) بطلت (فسوف يأتي الله بقوم) غيركم : مؤمنين ، طائعين ، صالحين (يحبهم) لإيمانهم (ويحبونه) لمرقتهم به ، ومزيد فضله عليهم !

وحب المؤمن لربه : يجب أن يكون متميزاً عن سائر الحب ؛ فلا يجوز أن يكون كحب الولد ؛ إذ هو كاسبه ، ولا كحب الوالد ؛ إذ هو واهبه ، ولا كحب المال ؛ إذ هو مكسبه ، ولا كحب الزوج ؛ إذ هو هادياها وراعياها ، ولا كحب سائر الأهل - مهما كانوا نافعين قادرين ، ومهما كانوا أجراء محبين - بل يجب ألا يشاركه تعالى في الحب مخلوق - مهما سما

سورة المائدة ١٣٧

قدره ، وعلت منزلته - ولا يجوز أن يتعلق حبه تعالى بسبب من الأسباب ؛ لكلا يزول ذلك الحب بزوال هذا السبب ؛ بمعنى أنه يحبه لأنه يحفظ عليه أهله ، أو ولده ، أو ماله . بل يجب أن يكون حبه لله لذات الله ! فانه تعالى إن شاء وهب ، وإن شاء سلب ؛ وإن شاء أعطى ، وإن شاء منع ؛ لا يسأل تعالى عما يفعل وهم يسألون !

الَّذِينَ أَقَامُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿١٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَحْسَبُونَ لَوَايِمٍ ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٨﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١٣٩﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغْلِبُونَ ﴿١٤٠﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوراً
وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤١﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ
اتَّخِذُوا هُزُوراً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤٢﴾

والحب لله ان كان ميدياً على خوف عذابه ، أو رجاء ثوابه ؛ فانه لا يخالف الشرع ؛ قال تعالى (يدعون زهيم خوفاً وطمعاً) لكنه على كل حال ليس بلحب الذي يناسب ذات الله المقدسة ! وقد ذهب بعض الصوفية الى أكثر من هذا ؛ فقال : إن حبه تعالى لا يجوز أن يكون رغبة في جنته ، أو خوفاً من ناره ؛ بل يجب أن يكون مجرداً عن كل غرض ، أو شبهة الغرض ؛ بل يكون حبه تعالى : هو الغاية ، وهو الوسيلة ، وهو المقصد ، وهو المطلب ! فإذا ما وصل العبد إلى هذه المرتبة : كان صديقاً ؛ بل وفوق مرتبة الصديقين ! واعلم أيها المؤمن - هديت وكفيت - أن حبة الله تعالى ورضاءه لا يتوافران إلا برضاء الناس ومحبتهم ؛ فاحرص على رضاء مخلوقاته

وحبهم - حتى العجاوات منها - فيرضى عنك الجميع ويحبونك ، ويرضى عنك الله تعالى ويحبك ! وما من إنسان يحبه مولاة : إلا أحبه كل مخلوق ، وتيسر له كل صعب ، وهان عليه كل عسير ! واعلم أن مخلوقات الله تعالى بحماية عياله ؛ فن أكرمهم : أكرمهم الله ، ومن أعزهم : أعزه ، ومن غفر لهم : غفر له ! «ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم» .

واعلم - هداك الله وعافاك - أنه ما من لقمة تطعمها ، ولا نقمة تنفقها ؛ إلا كان لك بها أجر : لو علمته لأطعمت الفقراء سائر طعامك وما طعمته ، ولو تحققته لأنفقت عليهم نقمة عيالك وما بخلت به ! =

= واعلم - علم اليقين - أن الله تعالى معطيك بذلك ما تريد وفوق ما تريد - في الحياة الدنيا - ومعطيك في الآخرة ما لم تتوهمه ، وما لم يحظر بيبالك ! وأن عطاءه تعالى ليس كعطائك - مهما بذلت - وأن ثبوته ليست كثوبتك - مهما بالفت - فاعمل بذلك لدياك وآخرتك ؛ إني لك من الناصحين ! (انظر آية ٢٢ من سورة المجادلة) (أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) من علامة حب الله تعالى للمؤمن ، وحب المؤمن لربه : أن يكون لبين الجانب متواضعا لإخوانه المؤمنين ، قوى الشكيمة منسربلا بالعزة والكبرياء حيال الكافرين والمتافقين ؛ لا يراعى أحداً لسته أو بلطشه .

الجزء السادس

١٢٨

أقدار الناس عنده تتسامى بإيمانهم وتقواهم ، لا بقوتهم وغنائم (ذلك فضل الله يؤتبه من يشاء) من خالصاته وأوليائه (إنما وليكم) ناصركم (والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) جعل تعالى لإقامة الصلاة ولإتداء الزكاة : شرطاً من شرائط الإيمان ؛ فليحظر هذا وليعتبر ! (وإذا ناديتُم للى الصلاة) أى أذن مؤذنتكم بها (اتخذوها هزواً ولعباً) هذه صفة الكافرين ؛ وصفهم الله تعالى بها في كتابه الكريم ؛ ومن عجب أن هذه الصفة قد أصبحت من سمات كثير من تسوا بالمؤمنين : يراك أحدهم وقد شرعت في طاعة مولاك بإقامة الصلاة - التى أمرك بأدائها - فيغرب في الضحك ، ويمعن في السخرية ، ويمتجع حولك مع أمثاله من الفاسقين الضالين ؛ فيجولون من صلاتك سبباً للضحك عليك ، والسخرية بك ! «فليضحكوا قليلاً وليكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون» (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون) هل تكرمون (مننا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا) من القرآن (وما أنزل من قبل) على النبيين (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة) أى ثوابا . والثبوة - وإن كانت مختصة بالاحسان - لكنها وضعت هنا موضع العقوبة ؛ كقوله تعالى «فيشرهم بعذاب أليم» (من لعنه الله) طرده من رحمته (وغضب عليه) وأى شر أشر من لعن الله تعالى وغضبه ؟ ! بل أى درك ينحط فيه لإنسان - بعد اللعن والغضب - أخط من المسخ ؟ ! (وجعل منهم القردة والمنازير) وأى حيوان أقيح شكلا ، وأخبت منظراً ، وأكره رائحة ، وأزرى خلقاً وهيئة من القردة والمنازير ؟ ! هذا وصف بنى إسرائيل من ناحية الخلق ؛ أما وصفهم من ناحية الخلق : فشأنه لا يقل مجال عن الخلق ؛ فقد وصفهم الله تعالى بقوله (وعبد الطاغوت) والمراد بالطاغوت : الطغيان المادى أو هو كل رأس في الضلال ؛ هذه الصفات ، وتلك السمات ؛ ساقها الله تعالى وصفاً لليهود (أو لك شر مكاناً) في الدنيا : بما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة ، وفي الآخرة : بما أعده الله تعالى =

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ
فَنسِفُونَ ﴿١٦٧﴾ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مُثُوبَةٌ عِنْدَ
اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ
وَالخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ
عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿١٦٨﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ قَوْلُوا آمَنَّا وَقَدْ
دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ
فِي الْإِيمَانِ وَالْعُدُوتِ وَأَكْثِهِمُ السُّخْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٧٠﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّشِيدُونَ وَالْأَخْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ
الْإِيمَانُ وَأَكْثِهِمُ السُّخْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٧١﴾
وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا
بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُغْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُنَّ

مِنْهُنَّ

مِنْهُنَّ
العقوبة ؛ كقوله تعالى «فيشرهم بعذاب أليم» (من لعنه الله) طرده من رحمته (وغضب عليه) وأى شر أشر من لعن الله تعالى وغضبه ؟ ! بل أى درك ينحط فيه لإنسان - بعد اللعن والغضب - أخط من المسخ ؟ ! (وجعل منهم القردة والمنازير) وأى حيوان أقيح شكلا ، وأخبت منظراً ، وأكره رائحة ، وأزرى خلقاً وهيئة من القردة والمنازير ؟ ! هذا وصف بنى إسرائيل من ناحية الخلق ؛ أما وصفهم من ناحية الخلق : فشأنه لا يقل مجال عن الخلق ؛ فقد وصفهم الله تعالى بقوله (وعبد الطاغوت) والمراد بالطاغوت : الطغيان المادى أو هو كل رأس في الضلال ؛ هذه الصفات ، وتلك السمات ؛ ساقها الله تعالى وصفاً لليهود (أو لك شر مكاناً) في الدنيا : بما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة ، وفي الآخرة : بما أعده الله تعالى =

مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا
 بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ لَئِنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا أَوْقَدُوا
 نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
 وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿١٧٠﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ
 آمَنُوا وَأَتَوَاتَوْا لَكُمُوعًا مِنْ رَبِّكَ لَأَخْلَسْنَا مِنْهُمْ
 النَّعِيمَ ﴿١٧١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ
 إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ
 مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٢﴾
 * يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ
 تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ
 الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
 وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيُؤْتِيَنَّهُمْ مَّا أَنْزَلَ

= لهم من عذاب النار وبئس المصير ! (وأضل عن سواء السبيل) عن طريق الصواب والحق (وأكلهم
 السحت) الحرام والرشوة . والسحت : الحرام . أو هو ما خبت من المكاسب فزمت عنه العارا (لولا) هلا
 (بنيهم الربانيون) الزهاد فيهم (والأخبار) العلماء (عن قولهم الإنم) الكذب والزور (وقالت اليهود
 يد الله مغولة) أى شحيحة بخيلة ؛ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ! (غلت أيديهم) دعاء عليهم بتقيد
 أيديهم عن عمل الخير ؛ ليعرّموا من ثوابه (بل يدها مبسوطتان) غل اليد وبسطها : كناية عن البخل والجود .

قال تعالى «ولا تجعل يدك مغولة إلى عنقك
 ولا تبسطها كل البسط» ومن أكرم من
 الله ؟ ومن أبسط يدا منه تعالى ؟ !
 (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم
 القيامة) أى بين اليهود والنصارى وبين
 سائر المسلمين ؛ لأنه تعالى قال قبل ذلك :
 «لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء» أو هو
 بين اليهود أنفسهم ؛ فكل فرقة منهم تحالف
 الأخرى ؛ ولقوله تعالى «تحسبهم جميعا وقلوبهم
 شتى» فهم متباغضون أبد الدهر ، متنافرون
 طول العمر ؛ شتت الله تعالى شملهم ، وفرق
 جمعهم ! (لكفرنا) محونا (ولو أنهم أقاموا
 التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم
 لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يؤخذ
 من هذه الآية الكريمة : أن الطاعات مفتاح
 لسائر السعادات ، وأن ما عند الله لا ينال إلا
 بطاعته ! (منهم أمة) طائفة (مقتصدة) تعمل
 بالعدل والخير ؛ ولا تقول إلا الحق . وأصل
 القصد : الاستقامة ؛ وهو ضد الإفراط ؛
 والمقصود بهم الطائفة التي قالت في عيسى : إنه
 رسول الله وكنيته ألقاها إلى مريم ، وروح
 منه ؛ ولم تقل : إنه ابن الله ، أو إنه ابن زنا ؛
 صلوات الله تعالى وسلامه عليه ! (وكثير
 منهم ساء ما يعملون) أى ساء الذى يعملونه ؛
 لأن أعمالهم كلها سيئة (والله يعصمك من

الناس) يحفظك من مكرهم وكيدهم ؛ فلا يتمكن أحد من قتلك أو خداعك ؛ وقد كان الصحابة رضوان
 الله تعالى عليهم يحرسون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فلما نزلت «والله يعصمك من الناس» قال :
 «انصرفوا عني فقد عصمني الله من الجن والإنس ؛ فلا أحتاج إلى من يحرسني !» أما عصمته - صلوات الله
 تعالى وسلامه عليه - من الشيطان : فهي عصمة مصاحبة له منذ ولد عند ما تداعى إيوان كسرى ، وخبث
 نيران الفرس ؛ وعند ماشق جبريل الأمين عن صدره الشريف ؛ فترج منه حظ الشيطان من بى الإنسان ؛
 فكان صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة الله تعالى بين البشر ، وسيد ولد آدم ولا نفر ! (قل يا أهل
 الكتاب) اليهود والنصارى (لستم على شيء) أى لستم على دين ، ولا على نظام ، أو لستم على حق =

= (حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) بأن تعملوا بما فيها . وفي التوراة والإنجيل
 نعت مجد عليه الصلاة والسلام ، والتبشير بمجيئه ؛ فالإيمان به إذن : إمامة للتوراة والإنجيل ، وعمل بما فيها
 (انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف) (وليزيدن كثيراً منهم) أى من اليهود والنصارى (ما أنزل إليك
 من ربك) من القرآن (طغياناً) على طغيانهم (وكفراً) على كفرهم (فلا تأس) لا تحزن (إن الذين آمنوا)
 بالله تعالى ؛ وهم قوم مجد عليه الصلاة والسلام

١٤٠ الحزب السادس

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
 الْكَافِرِينَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ
 وَالصَّخْرِيُّونَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا
 فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٥٨﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قَالُوا إِنَّا نَأْتِيكَ بِكُلِّ
 بَشَرٍ لَمْ يَلِدْ وَأَنْفُسُهُمْ فَرِيحٌ كَثِيرٌ وَمِنْ يَدَيْهِمْ
 حَصَبٌ مَسُومٌ الَّذِي يَتَوَّنَّ فَعَمَوْا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 ثُمَّ عَمَوْا عَمُوا وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ أَصَمٌّ فَرَى اللَّهُ صَبْرًا بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾
 لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
 وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِيَّ إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
 إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ
 وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٦٠﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
 ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَإِنَّ إِلَهًا وَاحِدًا وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا

(والذين هادوا) اليهود : قوم موسى عليه
 السلام (والصابغون) جنس من أهل الكتاب .
 وصبا : إذا رجح . وقيل : هم قوم كانوا
 يبدون النجوم . وقيل : قوم كانوا على دين
 نوح عليه السلام ؛ وأبو اتباع دين آخر
 (والنصارى) قوم عيسى عليه السلام (من
 آمن) من هؤلاء جميعاً (بالله واليوم الآخر
 وعمل صالحاً) في دينه (فلا خوف عليهم)
 من العذاب (ولا هم يحزنون) يوم القيامة ؛ إذ هم
 ناجون بإيمانهم بالله واليوم الآخر ، وبالعمل
 الصالح (وحسبوا) أى ظن بنو إسرائيل (ألا
 تكون فتنة) أى ألا ينزل بهم عذاب بسبب
 تكذيبهم (فصموا) عن رؤية الحق (وصموا)
 عن سماعه ؛ وذلك لأنهم لم ينتفعوا بما رأوا
 ولا بما سمعوا ؛ فكانوا كالأعمى والأصم
 (ثم تاب الله عليهم) رفع عنهم العذاب ،
 ومهد لهم سبيل التائب ، ولن يتوب إنسان ،
 قبل أن يتوب عليه المنان ! قال تعالى «ثم تاب
 عليهم ليتوبوا» لكن بنى إسرائيل هم هم ؛
 طول العمر ، وأبد الدهر ؛ فبعد أن عموا
 وصموا ، وبعد أن رفع ربهم عنهم العذاب ،
 (ثم) مهد لهم سبيل التائب (عموا وصموا
 كثير منهم والله بصير بما يعملون) فجازيهم به
 (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن
 مريم) وكيف يكون لها من ولده مريم ؛ ومن صفاته تعالى أنه لا يلد ولا يولد ! «قل فن علك من الله شيئاً
 إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً» (وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي
 وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) أن يدخلها ، أو يشم ريحها (وماواه) مرجعه (النار
 وما للظالمين) الكافرين (من أنصار) يعمونهم من عذاب الله ، أو ينصرونهم من دونه ؛ (ولقد كفر)
 أيضاً (الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وهم النصارى حيث يقولون : إن الله ذو ثلاثة أقانيم (ولأن لم
 ينتهوا) يرجعوا

عما

عما

عَمَّا يَقُولُونَ لِيَمْسَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾
 أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٦﴾
 مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
 وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ هُمُ
 الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ اتَّعَبُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ مَا لَكُمْ لِكُرْهُرٍ وَلَا تَقَعَا ۗ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ ﴿٦٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ
 الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا
 كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٩﴾ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
 ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ
 عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ تَرَى كَثِيرًا
 مِنْهُمْ يَتُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ هُمْ أَنْفُسَهُمْ

(عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم) بهذا القول (عذاب أليم) في الدنيا بالخرى، وفي الآخرة بالنار! (ما المسيح ابن مريم) الذي ألهته النصارى ورمته اليهود (لإرسول) من عند الله (قد خلت) مضت (من قبله الرسل) أمثاله (وأمة صديقة) مبالغة في الصدق (كانا يأكلان الطعام) كما تأكل كل سائر المخلوقات؛ وفي هذا القول إشارة لطيفة إلى أن من يأكل الطعام؛ لا بد أن يكون في حاجة إلى إخراجِه ومن يكن هذا حاله؛ فكيف يعبد؟ أو كيف يتوهم أنه إله؟! (انظر كيف نبين لهم الآيات) الدالة على فساد حكمهم، وخطأ رأيهم (ثم انظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن عبادتي؛ رغم ظهور الآيات الدالة على وحدانيتي؟! (قل) يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق الغلو: مجاوزة الحد؛ من إفراط. أو تفريط: فقد قالت النصارى عن عيسى: إنه إله، وإنه ابن الله. وقالت اليهود عنه: إنه ابن زنا! فاتهم الله أنى يؤفكون! (ولا تتبعوا أهواء قوم) يعني بهم اليهود (قد ضلوا من قبل) باقتراثهم على المسيح وأمه؛ وهو عبد الله وكلته، وأمه صديقة (وأضلوا كثيرا) من الناس؛

بصرفهم عن الإيمان (وضلوا عن سواء السبيل) عن الطريق المستقيم (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) أى لعنوا على لسان داود في الزبور، وعلى لسان عيسى في الإنجيل (كانوا لا يتناهون) لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر فعلوه) قال تعالى «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» بل تصيب الطائعين والعاصين معاً؛ لأن الطائعين لم يكونوا يهتدون مهتكي المنكر عن منكرهم؛ فيصيبهم ما يصيبهم (ترى كثيراً منهم) أى من اليهود (يتولون الذين كفروا) يصادقون مشركي العرب وعبداء الأوثان؛ ليستعينوا بهم على المسلمين (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) لدنياهم وآخرتهم!

أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْعَذَابِ مِمَّ خَلِدُونَ ﴿٥٧﴾
 وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا آخَذْتَهُمْ
 أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٥٨﴾ * لَتَجِدَنَّ
 أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
 وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ
 ذَٰلِكَ بَأْسٌ مِنْهُمْ قَسِيصٌ وَرِهَانًا وَأَنْتُمْ لَا تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٩﴾
 وَإِذَا مِعْجَا مَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنَ الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
 الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا
 مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ
 الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٦١﴾
 فَأَنْتَبِهْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٦٣﴾

بَيَانُهَا

عليه الصلاة والسلام حق ، وأن نزول القرآن عليه حق (انظر آية ١٥٨ من سورة الأعراف) (يقولون
 ربنا آمنا فاكْتُبْنَا مع الشاهدين) أي مع أمة محمد عليه الصلاة والسلام ؛ الذين هم شهداء على سائر الأمم
 (فأناهم) جزاء

(أن سخط الله عليهم) بسبب مصابحتهم
 للكافرين ، ومولاتهم لهم ، وعدائهم للمسلمين
 وعدم تاهيهم عما يعملونه من المنكر (ولو كانوا
 يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم
 أولياء) إذ أن موالاة الكافرين كفر
 (لتجدن) يا محمد (أشد الناس عداوة للذين
 آمنوا) بك (اليهود والذين أشركوا) بالله
 من عبدة الأوثان (ولتجدن أقربهم مودة
 للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) قيل :
 نزلت في نفر من نصارى الحبشة ؛ وفدوا على
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ
 عليهم القرآن وآمنوا به ؛ ولما رجعوا إلى
 الحبشة أخبروا النجاشي بذلك فآمن وظل على
 إيمانه حتى مات مسلماً . وقيل : منهم قوم
 كانوا على ملة عيسى عليه السلام ؛ فلما بعث
 محمد صلى الله تعالى عليه وسلم آمنوا به
 وصدقوه . والظاهر أن المراد: عموم النصارى
 (ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم
 لا يستكبرون) عن عبادة الله تعالى (وإذا سمعوا
 ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من
 الدمع) خشوعاً وتأثراً (مما عرفوا من الحق)
 وذلك أنهم عرفوا من الإنجيل أن مجيء محمد

(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اليمين اللغو : أن يحلف على شيء يرى أنه كذلك ، وليس كما ظن ، أو هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف ؛ كقول الإنسان : لا والله ، وبلى والله (أو تحرير رقبة) وتحريرها : إعتاقها من الرق ؛ كفارة لليمين (انظر آية ١٧٧ من سورة البقرة) (بأيها الذين آمنوا إنما الحمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) و«الحمر» : كل ما خاصر العقل ؛ وقد جاء في الحديث الشريف أنها أم الكبائر! وقد تعددت في زماننا هذا أنواعها وألوانها ؛

لشدة رغبة العصاة فيها ، وانكبابهم عليها ؛ قال صلى الله تعالى عليه وسلم «يأتى على أمتي زمان يسمرون الحمر يسمونها بغير اسمها» وقد صدق الحديث على هذه الفترة من الزمن ؛ وهام الآن يسمونها بأسماء عدة ؛ ليس من بينها لفظ «الحمر» ويسمرون بعضه للتداوى ؛ وهو من أفتك أنواع الخمر وأخفها ؛ كأصناف حديد الكينا وغيرها ؛ مما لا يتورع بعض العلماء والفقهاء عن شربه ؛ مستترين بأنها تحمل اسما غير اسم الحمر ، وغاب عنهم أن الله تعالى مطلع على خفاياهم ، وعالم سرهم ونجواهم !

ومن دواعي الحسرة والأسف أننا نجد بعض لأمم الغربية - الغير الاسلامية - تحارب الخمر بكل الوسائل وكافة السبل ؛ وتحظر صنعها ويبيعها وحلها ؛ في حين أننا في مصر لا نكون عصريين ومتحضرين إذا لم نشربها ونعرف سائر أنواعها وأصنافها .

ومن عجب أنها في مصر - زعيمة الدول العربية - تباع جهاراً وعلى مقربة من المساجد ، وتصرخ رسمي من الحكومة المسلمة - التي دينها الرسمي الإسلام - حتى متى نظل في هذه الأدران ، راضين عن هذا الكفران ؟ !

سورة المائدة ١٤٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٤٣﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٤٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ فَطُغِمْتُمْ بِغُرُوبِكُمْ وَإِذَا حَلَفْتُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٤٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٤٦﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ

ونحن نرجو ونلحف في الرجاء : أن تقوم حكومتنا الرشيدة المسلمة برفع هذا الإصر ، وعو هذا العار ؛ لنكون أهلاً لما بوأنا الله تعالى من زعامة ، وما اختصنا به من كرامة !

والحمر : يحد شاربها ويستتاب . وقد جاء في البخارى : «أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حد شارب الحمر ، وأمر أن يضربوه بالنعال» وهذا قاطع بوجود امتهان شارب الحمر وتسميهه والإزراء به !

والحمر من أولى مهامها أن تجعل شاربها يمجا حياة هى دون مستوى الحياة الإنسانية المهذبة ؛ فيتسلط عليه الجانب الحيوانى ، على الجانب العقلى والروحى ، الكامن فى أعماقه ! وهى فوق هذا تهبط بالقوى =

العقلية إلى مستوى لا يرضيه لنفسه إنسان يريد أن يعيش موقراً بين أقرانه ؛ مكرماً بين أئداده ؛ لأنها تؤثر تأثيراً مباشراً على جهازه العصبي ؛ فتضيق من إحساساته وانفعالاته تغييراً كبيراً يجعله أقل قدرة على ضبط أقواله وأفعاله ؛ فيسهل اقتياده إلى حيث يرضى الشيطان ، ويغضب الرحمن ! «والميسر» : القمار ؛ ويدخل تحته سائر ضروب اللعب وأوراق اليانصيب «اللوترية» و «الأضباب» : الأصنام والأحجار التي كانوا ينصبونها للعبادة من دون الله تعالى «والأزلام» : قدامح أو سهام ؛ كان أهل الجاهلية يستقسمون بها ؛ قال تعالى «وأن تستقسموا بالأزلام»

الجزء السابع

١٤٤

والاستقسام بها : طلب معرفة ما قسم للانسان في الغيب . والرجم : القنذر ؛ وهو كل ما يستوجب العذاب والقاب (إنما يريد الشيطان) بدفعكم إلى شرب الخمر ، ولغوائكم على لعب القمار (أن يوقع بينكم العداوة) بعد أن ألف الله تعالى بين قلوبكم بالإيمان (والبغضاء) بعد أن جعلكم الله تعالى إخواناً أحراباً ؛ ولكن الشيطان - ودأبه دائماً إذابة بني الإنسان - أراد بدفعكم إلى هذه المناكير أن يعادي بعضكم بعضاً ، ويغضب بعضكم بعضاً ، وكيف لا يتعادي من سلبت عقله الخمر ، وأطاحت برشده ولبه ؟ أو كيف لا يتعادي القاصرون ؛ وقد سلب بعضهم مال البعض الآخر ظلماً وزوراً ؟ ! (و) قد أراد الشيطان بذلك أيضاً أن (يصدكم) بمنعكم ومحول بينكم وبين (ذكر الله) تذكيره وعبادته (وعن الصلاة) وكيف يذكر الله تعالى أو يصل له من لا عقل له ؟ أو كيف يعبد الله من شغله القمار عن أهله وولده ، بل عن أكله وشربه ؟ ! (فهل أتم) أيها المؤمنون (منتهون) راجعون عن طاعة الشيطان ، إلى طاعة الرحمن ؟ ومنصرفون عن الصيانه ، وعائدون إلى حظيرة الإيمان ؟ ! (انظر آية ٢١٩ من سورة البقرة) (فان توليتم) أعرضتم عن الطاعة (جناح) إثم (فيأطعموا)

انتقام

ذاقوا . قال أكثر المفسرين : لأنها نزلت حين تخرج قوم عند نزول تحريم الخمر وهي لا تزال في بطونهم .

والذي أراه في معنى الآية : «ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا» أي أكلوا وشربوا من المباحات (إذا ماتقوا) الله تعالى وخافوه ، وتناولوا هذا الطعوم من حله ، وأدوا حق النعم به ، وأطعموا منه البائس والفقر ؛ يدل عليه قوله جل شأنه (وآمنوا و عملوا الصالحات) وأي صالحات أسمى ، ولا أسمى من إطعام الطعام ؛ فبه يدخل المؤمن جنة ربه ، ومحظى بقره ومزيد حبه ! وليس للسانع سوى النيران وغضب الرحمن ! واذكر إن شئت قول الحكيم العليم : «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً» وقول الجبار القهار : «ماسلككم في سقر» قالوا : لم نك من الصالحين ، ولم نك نطعم المسكين» =

أَنْتِقَامٍ ﴿١٤٥﴾ أَهْلَ لُكْرٍ صَيْدِ الْبَحْرِ وَطَعَامِهِ مِنْهَا كَرِهَ
 وَالسَّيَّارَةَ وَحَرَّمَ عَلَيْكَ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرَمًا وَأَنْتُمْ
 اللَّهُ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٤٦﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ
 الْيَتِيمَ الْحَرَامَ وَمِثْلَ مَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ
 وَالْقَلْبَةِ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السُّنُونِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا وَعَلِيمٌ ﴿١٤٧﴾ أَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٨﴾
 مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
 وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْطَّيِّبُ وَالطَّيِّبُ
 وَلَوْ أَحْبَبَكَ كَثْرَةُ الطَّيِّبِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
 لَمَلِكٌ مُقْتَدِرُونَ ﴿١٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن
 أَشْيَاءَ إِنْ تَبَدَّلَ لُكْرٌ سُؤْرًا وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ
 الْقُرْآنُ تَبَدَّلَ لُكْرٌ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥١﴾

= (ثم اتقوا) ربهم؛ فلم ينالوا ما طعموه واطعموه إلا من حله؛ لا يشوبه نهب ولا سلب، ولا خداع
 (ثم اتقوا) ربهم؛ فلم يدركهم العجب بكرمهم، ولم يراوا بجودهم (وأحسنوا) العمل خالصاً لوجهه الكريم؛
 غير مبتغين أجراً ولا شكوراً «إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوْجَهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا» (يا أيها الذين آمنوا
 ليبلونكم) ليختبرنكم (الله يمسئ من الصيد) يسوقه إليكم؛ بحيث إنه (تتاله أيديكم) بالاسك؛ كصغار
 الوحش، وضفاف الطير وفراخه وبيضه (و) تتاله (رماحكم)؛ وذلك الابتلاء (ليعلم الله) علم
 ظهور؛ إذ هو جل شأنه عالم بما كان وسيكون (من يخافه بالغيب) أي من يخشاه؛
 مع أنه غائب عنه لا يراه (فمن اعتدى بعد ذلك) فاصطاد (فله عذاب أليم) لاستهاتته
 بأوامر الله تعالى، وارتكابه ما نهى عنه، واستحلاله ما حرم! والتكاليف: امتحان
 من الله تعالى لعبيده؛ وقد تكون المغفرة، وقد يكون التعذيب؛ بقدر تسلط الطبيعة البشرية
 على النفس وعدم تسلطها؛ فكلما كان تسلط الطبيعة قاسياً ومستحكماً على النفس؛ كانت
 مغفرة الله تعالى أذنى من الذنب - طالما أُلغ عن ذنبه، ولجأ إلى ربه! - وكما كان ارتكاب
 الإثم واقعاً تحت الاختيار المحض، والرغبة المطلقة: كان الذنب أقيح، والجرم أمدح! وكانت
 العقوبة أشد - لاستهانة النفس بوعدها خالفها ووعيده! - لذا توعد الله تعالى من
 اصطاد في الإحرام، بالتعذيب والإيلام! وإلا فأى دافع يدفع المحرم إلى الصيد؛ وأى حافز له إلى ذلك غير الخالفة لأوامر الله تعالى، وعدم الاعتداد بنواهيها! لذلك وجبت له
 الجحيم، وحق عليه العذاب الأليم! (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) محرمون بالهج أو العبرة (ومن قتله منكم متعمداً) قتله، ناسياً لإحرامه، أما متعمداً
 القتل مع تذكر الإحرام «فله عذاب أليم»

(جزاء) أن جزاء على قتل الصيد (مثل ما قتل من النعم) أى يذبح مما يماثلها في الشكل والعدد - نظيره في الخلق، وقدره في الجسم؛ فان قتل نعامه: أهدى ناقة - للثائل ولقرب الشبه بين الاثنين في الحلقة - وان قتل حماراً وحشياً: أهدى بقرة، وان قتل ظلياً: أهدى شاة، وهكذا. و«النعم»: واحد الأنعام؛ وهو المال الراعية؛ وأكثر ما يقع على الإبل (هدياً) الهدى: ما يهدى إلى المحرم (أو كفارة) نحو ما ارتكبه من قتل الصيد وهو محرم (طعام) إطعام (مساكين) وذلك بأن يقوم بمن المثل؛ ويطعم به المساكين (أو عدل ذلك) أى ما يعادل ذلك الإطعام وعيانه من الأيام (صياماً) يصومه قاتل الصيد المتعمد؛ عن كل صاع يومين (ليذوق وبال أمره) ثقل جزائه (عفا الله عما سلف) عما مضى قبل التحريم =

= (ومن عاد) إلى ما نهى عنه (فينتقم الله منه) في الآخرة (أحل لكم صيد البحر) ما اصطدتموه من سمك وحيوان ؛ محلين أو محرمين و«البحر» : سائر البحار والأنهار (وطعامه) ما قذفه على ساحله : حياً أو ميتاً ؛ ما دام صالحاً للأكل (متاعاً لكم) تتمتعون بأكله (والسيارة) السائرين من أرض إلى أرض (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس) يقوم به أمر دينهم ؛ بالحج إليه . ودينام ؛ بأمن من يدخله . وهي قوام من لا قوام لهم ؛ من ملك يجمع كلتهم ، أو رئيس يجز قويمهم عن ضعيفهم ، ومسبئهم عن

الجزء السابع

١٤٦

محسنهم ، وظالمهم عن مظلومهم (و) جعل تعالى (العصر الحرام) كذلك ؛ يمتنع فيه القتل والمدوان . والأشهر الحرم : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب (والهدى) وهو ما يهتدى إلى الحرم من الأنعام (والقلائد) جمع قلادة ؛ وهي ما يعلق بأعناق الأنعام المهداة إلى الحرم ؛ جميع ذلك جعله الله تعالى حراماً لا يعتدى عليه ؛ وذلك لتهديب النفوس التي أشربت حب الفتك والمدوان ، ولتأهيلها لتلقي الأوامر والنواهي ، وإعدادها لقبول الزجر عن المخالفات والعصيان ؛ فكان جميع ذلك بمثابة الرئيس الذي يقوم به أمر أتباعه، وينتظم عقدهم ، ويسلس قيادهم (اعلموا) أيها الناس (أن الله شديد العقاب) لمن عصاه (وأن الله غفور رحيم) لمن أطاعه (ما على الرسول إلا البلاغ) «إن علينا للهدى» (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) فحاسبكم عليه (قل لا يستوي الخبيث الحرام (والطيب) الحلال . وكيف يستويان و«الخبيث» موصل إلى النار و«الطيب» موصل إلى الجنة ؟! (فاتقوا الله) وأتركوا الحرام - مهما كثر - فانه منعدم البركة ، محقق الحق ! واحرصوا على الحلال - مهما قل - ففيه الخير كل الخير ، وفيه النماء والبركة ! (يا أولى الأبواب) يادوى العقول (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) وهي الأشياء التي لا يستفاد بها علم ، ولا يبتغى من وراءها نفع . وقد كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام ؛ مستهزئين به تارة ، ومنتحنين له أخرى . روى البخارى ومسلم رضى الله تعالى عنهما في صحيحهما «قال رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : يا بني الله من أبى ؟ قال أبوك فلان . فزلت» والإساءة المتوقعة والغنية بقوله جل شأنه «ان تبد لكم تسؤم» هي أن يكون السائل ابن زنا ، أو منتسباً لغير أبيه .

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكَ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٤٦﴾
 مَا جَعَلَ اللَّهُ مِّن بَيْعَةٍ وَلَا سَائِغٍ وَلَا وِصَالَةٍ وَلَا حَافٍ وَلَا يَكْفُلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا نَافٍ أَوْ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَيَطْهَرُنَّ أَمْ كُنْتُمْ جَنَّاتٍ بَدِيدٍ ﴿١٤٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا نَافٍ أَوْ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَيَطْهَرُنَّ أَمْ كُنْتُمْ جَنَّاتٍ بَدِيدٍ ﴿١٤٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا نَافٍ أَوْ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَيَطْهَرُنَّ أَمْ كُنْتُمْ جَنَّاتٍ بَدِيدٍ ﴿١٥٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا نَافٍ أَوْ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَيَطْهَرُنَّ أَمْ كُنْتُمْ جَنَّاتٍ بَدِيدٍ ﴿١٥١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا نَافٍ أَوْ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَيَطْهَرُنَّ أَمْ كُنْتُمْ جَنَّاتٍ بَدِيدٍ ﴿١٥٢﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ

ووهى الأشياء التي لا يستفاد بها علم ، ولا يبتغى من وراءها نفع . وقد كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام ؛ مستهزئين به تارة ، ومنتحنين له أخرى . روى البخارى ومسلم رضى الله تعالى عنهما في صحيحهما «قال رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : يا بني الله من أبى ؟ قال أبوك فلان . فزلت» والإساءة المتوقعة والغنية بقوله جل شأنه «ان تبد لكم تسؤم» هي أن يكون السائل ابن زنا ، أو منتسباً لغير أبيه .

وروى أيضا أنه لما نزل قوله تعالى : «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا» قالوا : يا رسول الله أتى كل عام ؟ فسكت . فقالوا : أتى كل عام ؟ قال : «والذي نفسى بيده لو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت ما أظقتكموها ، ولو لم تطبقوها لكفرتم» فأنزل الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا =

— عن أشياء ان تبدل لكم تسؤكم . وعلى كل فالعبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ؛ فالآية الكريمة نزلت للنهي عن كل سؤال لا فائدة من ورائه ، ولا حاجة إلى استقصائه . وقد كان هدى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم : السؤال للفهم والعلم ؛ فقد سألوه صلوات الله تعالى وسلامه عليه عما فيه خير دنياهم وآخرتهم رجاء النفع لا الضرر ، والاستفادة لا العنت : « يسألونك عن المحيض . يسألونك عن الأهلة . يسألونك عن اليتامى . يسألونك عن الشهر الحرام . يسألونك ماذا ينفقون » .

وقيل : كان السؤال عن البجيرة والسائبة والوصيلة والحامى .

وخير ما يقال في هذه الآية الكريمة : إن المراد بالنهي : سؤال الآيات ، واقتراح المعجزات ؛ وفي إبدائها إساءة بالغة لتكريمها . قال تعالى عند ما سأله بنو إسرائيل أن ينزل عليهم مائدة من السماء : « إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » (وإن تسألوا عنها) أى عن هذه الأشياء التى نهيت عن السؤال عنها (حين ينزل القرآن تبدل لكم) أى لا تسألوا معجزة ، ولا تقترحوا آية ؛ إلا إذا نزل القرآن ؛ ففيه كل تبيان وبرهان ، وفيه ما يفتنكم عن كل سؤال ، وعن كل آية ، وعن كل معجزة ؛ قال الإمام البوصيرى رضى الله تعالى عنه :

دامت لدينا ففاقت كل معجزة

من النبيين إذ جاءت ولم تدم

(عفا الله عنها) أى عن المسألة التى سلفت منكم (قد سأله قوم من قبلكم) أى سأل قوم — ممن كان قبلكم — مثل سؤالكم هذه الآيات واقترحوا مثل ما اقترحتموه من المعجزات (ثم أصبحوا) بدلاجابة سؤلهم (بها كافرين) وذلك كما فعل بنو إسرائيل عند اقتراحهم استبدال

الطعام ، وإزالة المائدة ، أو كقوم صالح الذين سألوا الآية ؛ فلما جاءتهم الناقة عقروها (ما جعل الله من بجميرة) وهى الناقة يبصر أذنها «أى يشق» وهى ابنة السائبة ؛ وحكمها حكم أمها (ولاسائبة) كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث ؛ سبيت فلم تترك ، ولم يشرب لبنها لإولادها أو الضيف حتى تموت ؛ فاذا ماتت : أكلها الرجال والنساء جميعاً ، وبجرت أذن بنتها الأخيرة فصارت «بجميرة» (ولا وصيلة) الوصيلة التى كانت فى الجاهلية : هى الشاة تلد سبعة أبطن — عناقين عناقين (١) — فان ولدت فى الثامنة جدياً ذبحوه لأهلهم ، وإن ولدت جدياً وعناقاً ؛ قالوا : وصلت أخاها ؛ فلا يذبحون أخاها من أجلها ، =

ذَاقِرْبِي وَلَا تَكُمُّ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآمِنِينَ ﴿١٥٦﴾
فَإِنْ عَرَّعْتَهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَاعْتَرَاهُنَّ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا
مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ
لَشَهِدْتُمَا أَحَقَّ مِن شَهِدَتَيْهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٥٧﴾ ذَلِكَ أَذَقْنَا أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهْدَةِ عَلَى وَجْهِهَا
أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٥٨﴾ * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ
الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٥٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَسْمِيَ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ
نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدِّيكِ إِذْ أَيْدَتُكَ رُوحَ الْقُدُسِ
تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ
وَالْحِسَابَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ
كَهَيْجَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي

(١) العناق ؛ بفتح العين : الأثني من ولدالمز .

ولا تصرب لبها النساء ؛ وكان للرجال وحدهم ، وجرت مجرى السائبة (ولا حام) كانوا في الجاهلية إذا نتج من صلب الفحل عشرة أطنن ؛ قالوا : قد حمي ظهره . فلا يركب ، ولا يحمل عليه ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى (قالوا حسينا) كافينا (ما وجدنا عليه آباءنا) من عبادات وعادات (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) فقوموها على الإيمان ، وروضوها على الطاعة ، واعملوا على خلاصها من عقاب الله تعالى ، وأمرها بالمعروف ، وانها عن المنكر (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فقد فعلتم ما أمرتم به ، وقيم بما وجب عليكم . وهو كقوله تعالى : « ليس عليك هدام »

المسألة السابع

١٤٨

« إنك لا تهدي من أحببت » (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) أى ليشهد بينكم (إذا حضر أحدكم الموت) أى حضرت أسبابه ومقدماته ؛ كاشتداد المرض ، والنزح (حين الوصية اثنان ذوا عدل) مشهود لها بالثبوت والورع والصلاح (منكم) من دينكم وملتكم (أو آخران من غيركم) أى من غير دينكم وملتكم - إذا لم يوجد الأولان - وذلك لأن الوقت وقت ضرورة ملحة ؛ وليس في الإمكان أن يطلب ممن يبالغ سكرات الموت أن ينتظر حتى يعثر على المؤمنين الأتقياء الصالحاء ! وقالوا بعدم جواز شهادة غير المسلم على المسلم ؛ لإقاي الوصية - بشرط أن تكون في حال السفر - وقيل : « منكم » أى من أقراركم ؛ لأنهم أعلم بأحوال الميت « أو آخران من غيركم » أى من الأجانب المؤمنين (إن أتم ضربتم في الأرض) سافرت فيها (فأصابكم مصيبة الموت) أى فتم بعد أن أديتم إلى الشاهدين ما تملكون ، وأوصيتهم بما يريدون ؛ فان قاما بما استودعاها ، وأديا ما ائتمنا عليه ، وارتاح ورتة المتوفى لتصرفها ؛ فقد تم أمر الله . أما إذا توم الورتة كذبها أو خيانتها ؛ فاعليكم إلا أن (محبسونها) تمسكونها (من بعد الصلاة) وقد كانوا يجلسون للحكومة بعد صلاة العصر

وَتَبَرَّيْ أَلْعَمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتِنَ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَابٌ مُبِينٌ ﴿١٤٨﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ ﴿١٤٩﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَنْعِيسِي ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْرَأُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالُوا نَرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَأَنْتَ كَذَّابٌ ﴿١٥١﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٥٢﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلُهَا عَلَيْكَ مِنْ سَمَاءٍ مُبِينَةٍ فَاتَّخِذْهَا حَتَّى تَأْكُلُوا مِنْهَا وَلَا تَبْغُوا

أصله

(فيقسمان بالله) يحلف الشاهدان به تعالى (إن ارتبتم) إن شكتم فيها ؛ ويقولان (لا نشترى به) أى بالحق الذي استودعناه وائتمنا عليه ، أو لا نشترى بالخلف بالله (نعمنا) عوضاً ؛ ولا نبيع آخرانا بدنياً (ولو كان) المتوفى ، أو صاحب المصلحة المقسم له (ذا قرين) يهينا أمره (ولا نكنم شهادة الله لنا إذا لم نالنا) المستوجبين للعقاب إذا كتمنا الشهادة (فان عثر على أنها استحقاقاً لئلاً) بأن كذبنا في الشهادة ، ولم يؤدبها على وجهها (فأخران) من أولياء الميت ؛ أو من الموصى إليهم (بقومنا مقامهما) في الحلف (من الذين استحق عليهم) أى استحق عليهم الإثم ؛ وهم المحبى عليهم من أهل البيت وعشيرته ووارثيه (الأوليان) الأحقان بالشهادة لقربانها ، أو لمقرتها (فيقسمان بالله) يحلفان به (لشهادتنا أحق) =

أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٠١﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
 ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ لِلنَّبِيِّينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 قَالُوا سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحِجِّى إِنْ
 كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي
 نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلٰمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٢﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا
 أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
 شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ
 عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٠٣﴾ إِنْ تَعْلَمُهُمْ فَلَمَنْهُمْ
 عِبَادُكَ وَإِن تَعْفُرْ لَهُمْ فَلَمَنْ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٤﴾
 قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٥﴾ لِلَّهِ مَلَكُ السَّمَوٰتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾

= أولى وأصدق (من شهادتهما) وأنها قد كذبا فيما قالا ، وخانا الأمانة ؛ وأن ما وجد لديهما هو من مال المتوفى لا من مالهما (وما اعتدنا) عليهما في ذلك (إنا إذا لمن الظالمين) إن كنا معتمدين ، أو كاذبين (ذلك) الذي مر ذكره ؛ من ترتيب الشهادة ، ودفنها عند الارتباب ووقوع الإيم (أدنى) أقرب (أن يأتوا) أى الشهداء (بالشهادة على وجهها) الصحيح ؛ كما حلوا بلا خيانة فيها (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) فيقتضوا بظهور كذبهم (يوم يجمع الله الرسل) الذين أرسلهم لهداية خلقه (فيقول ماذا أجبتم) أى بماذا أجابكم أقوامكم (إذ قال الله باعيسى ابن مريم إذ ذكر نعمتى عليك) بالإمامة والرسالة (وعلى والدتك) بالطهارة ، والاصطفاء على نساء العالمين (إذ أيدتك) قوتك (روح القدس) جبريل عليه السلام (تكلم الناس) صغيراً (في المهد) المهد : فراش الطفل (وكهلا) الكهل : الذى جاوز الثلاثين ووخطه الشيب (وإذ علمتكم الكتاب) الكتابة (والحكمة) العلم النافع (وتبرئ الأكمه) وهو الذى ولد أعمى (وإذ تخرج الموتى من القبور أحياء) (بأدنى) قيل : أخرج سام ابن نوح ، ورجلين ، وامرأة ، وجارية ؛ وتكلم معهم خلق كثير . وقال بعض المحدثين : المراد بالموتى : موتى القلوب والنفس . وهو قول هراء لا يلتفت إليه عاقل ؛ وذلك لأن إحياء موتى القلوب متيسر لمن عنده أدنى معرفة بالله تعالى ؛ فكيف يكون معجزة لنى ؟ والمعجزة من صفاتها وخصائصها عدم توفرها لغير نبي مؤيد من الله تعالى ! (وإذ كفت) منعت (بنى إسرائيل عنك) أى اليهود حين هموا بقتلك (إذ جنتهم بالبينات) بالمعجزات والحجج الظاهرات (وإذ أوحيت إلى الحواريين) وحى الهام . والحواريون : الحواسب والأصفياء ؛ وهم أنصار عيسى عليه السلام (قال اتقوا الله

إن كنتم مؤمنين) أى لا تمتحنوا ربكم باقتراح الآيات والمعجزات ؛ خشية أن يصيبكم عذابه - إذا كذبتموني بعد نزولها - قال تعالى : «إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين» (انظر آية ١٠١ من هذه السورة) (قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا) بأنها منزلة من السماء ، وليست من صنع البشر (ونعلم) بذلك (أن قد صدقتنا) في ادعائك النبوة (تكون لنا) يوم نزولها (هدياً لأولنا وآخرنا وآية) علامة دالة على صدق ، وعلى وجودك ! (قال الله لنى منزلها عليكم) كما اقترحت (فمن يكفر بعد منكم) أى بعد نزولها (قال سبحانه) أنزهك عما لا يليق بك (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (ما يكون لى) ما يصح لى ولا يجوز (أن أقول ما ليس لى بحق) فكيف بادعاء الألوهية !؟ =

== وسؤاله تعالى ليعسى يوم القيامة ليس سؤال استفهام ؛ بل هو لإقامة الحجّة على هؤلاء الكفرة الفجرة ؛ الذين عبدوا من دون الله مخلوقات الله ؛ واتخذوا عبيده آلهة ؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ! (إن كنت قتله) أى قلت للتاس ذلك القول (فقد علمته) لأنك علام الصيوب (تعلم ما فى نفسى) أى ما أكنه فى صدرى ؛ فكيف بالذى أقوله بلسانى؟ (وكنتم عليهم شهداء مادمت فيهم) أى كنتم مشاهداً لأعمالهم، مراقباً لأفعالهم ؛ مدة إقامتى بينهم فى هذه الحياة (فلما توفيتنى) أمتى ، أو توفيت مدة إقامتى فى الدنيا ورفعتنى إليك (كنت أنت

الرقيب عليهم) المراقب لأعمالهم وأفعالهم (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) فى الدنيا ؛ فى عبادة الله تعالى والإجابة إليه (لهم جنات) بسائين (تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) أى خلوداً مؤبداً ؛ لا غاية له ، ولا انتهاء لأمدته ! (رضى الله عنهم) فأرضاهم (ورضوا عنه) فرضى عنهم (انظر آتى ٤٥ من هذه السورة ، و ٢٢ من سورة المجادلة) (لله ملك السموات والأرض وما بينهما) ملكاً وخلقاً وعبيداً ؛ لم يشركه أحد فى خلقهم ، ولا يشركه أحد فى عبادتهم ! (وهو على كل شىء) أرادته (قدير) على فعله .

(سورة الأنعام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وجعل الظلمات والنور) الليل والنهار ؛ فانها آياتان من آيات الله تعالى . أو المراد كل ظلمة ، وكل نور ، أو هو ظلمة الكفر ونور الإيمان ، وظلمة الجهل ونور العلم ؛ جعل الظلمات ليستدل بها على ما عداها ؛ فلولا ظلمة الليل ما عرفنا نور النهار ، ولولا الكفر ما عرف الإيمان ، ولولا الجهل ما عرف العلم . (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (ثم الذين كفروا) بمد هذه الدلالات على وجود الله تعالى ووحدانيته (يرهبهم يبدلون) أى يجعلون

له عدلاً ؛ وهو المثل ، والشبيه ، والنظير ؛ وهو تعالى «ليس كمثل شىء وهو السميع البصير» (وهو الذى خلقكم) أى خلق أصلكم آدم عليه السلام (من طين ثم قضى أجلاً) لكل مخلوق من مخلوقاته لا يجاوزه «فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» (واجل مسمى عنده) هو أجل القيامة ووقتها (ثم أنتم) بمد كل ذلك (تعترون) تشكون فى القيامة ، وتجادلون فى الله (وهو الله) الخالق البارئ المصور (فى السموات) وأين أنتم من السموات وما فيها ؟ ! «أأنتم أشد خلقاً أم السماء ؟!» (وفى الأرض) وهو ذلك الكوكب الصغير الحظير ؛ بالنسبة لملك الله تعالى وملكوته (يعلم سرهم) ما تسرونه فى أنفسكم ، وتحفظون به فى صدوركم (ويعلم ما تكسبون) ما تعملون (وما تأتيهم من آية) معجزة وبرهان =

الجزء السابع

١٥٠

(٦) سُورَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ

الآيات: ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿٦﴾
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى
عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٧﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي
الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٨﴾
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
مَعْرِضِينَ ﴿٩﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ
يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَرَّمًا
مُتَوَلِّيًا أَلَمَّ بِهِمْ فِي الْمَقَابِلِ إِذْ هُمْ يَنْتَظِرُونَ ﴿١١﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَرَّمًا

تَكَرَّمًا

= (إلا كانوا عنها معرضين) لا يأبهون بها ، ولا يلتفتون إليها ؛ وأى معجزة أكبر أو أجل من القرآن ؟! وأى برهان أقوى من رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ؟ ذلك اليتيم الذي آواه الله ، والصال الذي هده ، والعائل الذي أغناه ! والأى الذي أخرس بفصاحة ما جاء به البلقاء والفصحاء ، وتحدى بآياته أساطين البيان (فقد كذبوا بالحق) القرآن الكريم ، أو محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام (لما جاءهم فسوف يأتيهم أبناء ما كانوا به يستهزئون) أى سوف يأتيهم العذاب الذي يدهم على صدق ما كذبوا به ؛ وصحة ما سخروا منه (أم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) القرن : الأمة ، أو أهل الزمان الواحد (مكناهم في الأرض) أى جعلنا لهم مكانة فيها ، وقوة وسعة (وأرسلنا السماء عليهم مدراراً) أى جعلنا السماء تدر عليهم بالمطر ؛ وهو كناية عن بسط الرزق ، وسعة القوت ؛ لأن المطر مصدر الرخاء والنعاء (وجعلنا الأنهار تجري من تحتمهم) لكنهم طغوا وبنوا (فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً) أمة (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس) أى لو أنزلنا عليك من السماء كلاماً مكتوباً في ورق (فلسوه بأيديهم) ورأوه بأعينهم ؛ لما آمنوا ، و (لقال الذين كفروا إن هذا الذي نراه ونلمسه) (الاسحر مبین) سحر واضح بين (وقالوا لولا) (هلا (أنزل عليه) أى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (ملك) من السماء ؛ يمشى معه ويؤيده ، ويصدق أمامنا بما جاء به (ولو أنزلنا ملكاً) كما يقتحون (لقضى الأمر) بهلاكهم واستئصالهم (ثم لا ينظرون) لا يؤجلون ، ولا يعملون (ولو جعلناه) أى الرسول لإيهم (ملكاً) من السماء (لجعلناه رجلاً) أى جعلناه على صورة رجل ؛ ليستطيعوا رؤيته ، ويقفوا على مواجهته ؛ لأنه لا قوة ولا طاقة للبشر على رؤية الملك على حقيقته ؛ ولأن كل

نوع يعيل إلى نوعه ، وكل جنس يألف لجنسه ؛ والإنسان عن الإنسان أفهم ، وطباعه بطباعه أنس ؛ والإنسان لا يقوى على رؤية عفريت أو شيطان ، فكيف برؤية الملك الذي يهلك قرية بصيحة ، وفيه أمة برحمة؟! وقد كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل لنبينا صلوات الله تعالى وسلامه عليه على صورة رجل ؛ ليأنس إليه ، ويطمئن إلى مخاطبته ؛ ولم يره صلى الله تعالى عليه وسلم على صورته الحقيقية غير مرتين : مرة عند غار حراء ؛ رآه ساداً للأفق ، حاجباً للشمس ؛ فغشى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من عظمة ما رأى ! ورآه مرة أخرى عندما أسرى به في السموات العلى «عند سدره المنتهى» فتعالى الخالق المبدع المصور ؛ الذي هدانا برسول من أنفسنا ، أنس إليه ، وفتنمى غنى الدارين من يديه ! (وللبسنا عليهم)

لَكَرُّوْا رَسُلَنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرْآنًا آخَرَ ۝١ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَرُومٌ ۝٢ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٣ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَاءً يَلْسُونَ ۝٤ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرَسُولِ مِنْ قِبَلِكَ لَخَاقِ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٥ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ۝٦ قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ * وَلَهُمْ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ

للبشر على رؤية الملك على حقيقته ؛ ولأن كل نوع يعيل إلى نوعه ، وكل جنس يألف لجنسه ؛ والإنسان عن الإنسان أفهم ، وطباعه بطباعه أنس ؛ والإنسان لا يقوى على رؤية عفريت أو شيطان ، فكيف برؤية الملك الذي يهلك قرية بصيحة ، وفيه أمة برحمة؟! وقد كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل لنبينا صلوات الله تعالى وسلامه عليه على صورة رجل ؛ ليأنس إليه ، ويطمئن إلى مخاطبته ؛ ولم يره صلى الله تعالى عليه وسلم على صورته الحقيقية غير مرتين : مرة عند غار حراء ؛ رآه ساداً للأفق ، حاجباً للشمس ؛ فغشى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من عظمة ما رأى ! ورآه مرة أخرى عندما أسرى به في السموات العلى «عند سدره المنتهى» فتعالى الخالق المبدع المصور ؛ الذي هدانا برسول من أنفسنا ، أنس إليه ، وفتنمى غنى الدارين من يديه ! (وللبسنا عليهم)

لحاطنا عليهم (ما يلبسون) على أنفسهم ؛ بأن يقولوا على الملك الذي أنزلناه في صورة رجل « ما هذا إلا بشر مثلكم » (ولقد استهزئ برسلك من قبلك) مثل ما استهزئ بك (خفاق) فزول (بالدين) سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) أى جزاءه من العقاب والتعذيب (كتب) قضى ربكم (على نفسه الرحمة) فضلاً منه على العباد ؛ ومن دلائل رحمته تعالى : تعلقه بخلقه رغم تحريمه ، وإمدادهم رغم عصيانهم ؛ وأى رحمة أبغ من رزقه لمن يكفر به ، وإمهاله لمن يعبد غيره ؛ ! (ليجتمعنكم إلى يوم القيامة) للحساب والجزاء (لا ريب فيه) لا شك في حصول ووقوعه (الذين خسروا أنفسهم) أضاعوها بكفرهم ، وأعمالهم السيئة في الدنيا ؛ فلا يقام لهم وزن في الآخرة ، وليس لهم نصيب فيها سوى الجحيم والذاب الأليم ! (وله ما سكن في الليل والنهار) أى له تعالى كل شيء - هو خالقه ومالكو - من ساكن أو متحرك ؛ لأن الذى يسكن لابد أن يكون متحركاً . والآية الكريمة تص على كل مخلوق من متحرك وساكن بطبعه ، أو ساكن بعد تحرك (وهو السميع) لأقوالكم (الطيم) بأفعالكم (قل أغير الله أخذ ولياً) ناصرأ ومعينأ (فاطر السموات والأرض) فاطر الشيء : خالقه ابتداء من غير مثال سبق (وهو يطعم) سائر مخلوقاته ويتكفل بأرزاقهم وأقواتهم (ولا يطعم) لا يحتاج لأحد يرزقه أو يطعمه ؛ شأن من عبدتم من المخلوقات كيمسى (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة (وهو القاهر) الذى لا يعجزه شيء (فوق عباده) مستعلياً عليهم ؛ فهم كلهم تحت رحمته ؛ وقيد إرادته ؛ يعز من يشاء ، وينزل من يشاء ، يحيى من يشاء ، ويميت من يشاء ، يسعد من يشاء بجنته ورحمته ، ويشقى من يشاء بناره وغضبه ، بيده الملك والملكوت ، والفرز والجبروت ؛ تفرد بالظلمة والديطان ! (وهو الحكيم) في صنعه (الحبير) بخلقه

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٥٦﴾ قُلْ أَغْيِرُ اللَّهَ أَمْخُذُ رَبِّي فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٨﴾ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ قَدَرَهُمْ وَذَلِكَ الْقَوْمُ الْمُبِينُ ﴿١٥٩﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بِنَجْمٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٦١﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُرْسِلْ إِلَى هَذَا الْقَوْمِ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَشِكُرْ لَهُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُكَ وَجِدْ وَإِنِّي بِرُبِّكُمْ شَكْرُونَ ﴿١٦٢﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ

الَّذِينَ

(قل أى شيء أكبر شهادة) لى بالرسالة والنبوة (قل الله شهيد بيني وبينكم) أى ان دعوتى لتوحيدى ، وحى على معرفته : شهادة على نبوتى ، ودليل على صدق (وأوحى إلى هذا القرآن) وهو شهادة أخرى قاطعة ناصعة ؛ فأى شهادة أكبر من هذا تطالبونى بها ، وتزعمونى بأبدانها ؟ ! (لأنذركم به ومن بلغ) أى لأنذركم بهذا القرآن ؛ ومن سبيلفه من بعد وفاتى ؛ فسكناً أنذرته بنفسى وأبلغته . أو ومن بلغه القرآن : وجب عليه القيام بتبليغه أيضاً (الذين آتيناهم الكتاب) اليهود والنصارى (يعرفونه) أى يعرفون محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ لفته في كتبهم (انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف) .

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
 مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الظَّالِمُونَ ﴿١٥٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا
 آيِنُ شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتْنَتَهُمْ
 إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿١٥٤﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ
 كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٥٥﴾
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ
 يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا
 إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥٦﴾ وَهُمْ يَبْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ
 عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَوْ
 رَأَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ
 بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ بَلْ بَدَأَهُم

(الذين خسروا أنفسهم) بتعريضها للجهنم
 والعذاب الأليم (فهم لا يؤمنون) بحمد ؛
 رغم معرفتهم له كعرقهم لأبنائهم (ومن أظلم)
 أى لا أحد أظلم (من افترى على الله كذباً)
 بأن أشرك معه غيره من مخلوقاته (ثم نقول
 للذين أشركوا آين شركاؤكم الذين كنتم
 تزعمون) أنهم آلهة ، وتشركوهم معى في
 العبادة (ثم لم تكن فتنتهم) الفتنة هنا بمعنى
 الاختبار ؛ أى لم يكن جوابهم حين اختبروا
 بهذا السؤال . وقيل : «فتنتهم» معذرتهم
 (وضل عنهم) غاب (ومنهم من يستمع إليك)
 بأذنيه ، وينصرف عنك بقلبه ؛ ومثل هذا
 غير جدير بالاعتبار ؛ وأولى بمنته أن يورده
 الله تعالى موارد الغواية ، ويبعده عن مواطن
 الهداية (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغشية ؛
 بسبب انصرافهم وعنادهم وكفرهم (أن يفقهوه)
 أى لتلايفقوها القرآن (وفي آذانهم وقراً) نقلا
 يمنع من السمع (وإن يروا كل آية) منزلة
 عليك من القرآن الكريم (يقول الذين كفروا
 إن هذا القرآن (إلا أساطير) أ كاذب
 (وهم يبهون عنه) أى يبهون الناس عن
 سماعه (ويتأون) يتقاعدون (وإن)

وما (يهلكون) بهذا النهى والتأى (إلا أنفسهم) لأنهم يعرضونها للعذاب الشديد يوم القيامة (ولو ترى
 إذ وقفوا) حسبوا (على النار فقالوا يا ليتنا نرد) نرجع إلى الدنيا

مَا كَانُوا يَحْفُونَ مِنْ قَبْلِ وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ
 وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
 وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿١٥٥﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَعُوا عَلَى رِيسِهِمْ
 قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا
 الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٥٦﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا
 بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَنْصُرُنَا
 عَلَىٰ مَا قَرَرْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ
 أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿١٥٧﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ
 وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥٨﴾
 قَدْ نَعَلُمْ إِنَّهُ لِحَزْنُنَا الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
 وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١٥٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ
 رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُّوا حَتَّىٰ
 آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ

تَبَيَّنَ

أَنَّهُمْ نَصَرْنَا) باهلاك المكذبين (ولا مبدل لكلمات الله) لأوامره وسنته ، ومواعيده بنصر رساله

(ولو ردوا) إليها (لعادوا لما نهوا عنه)
 أى لعادوا الى كفرهم وعنادهم (وقالوا إن)
 ما (هى إلا حياتنا الدنيا) لا شىء غيرها
 ولا حياة بعدها (ومانحن بمبعوثين) فى الآخرة
 كما يزعم محمد .

هذا وقد ظهر فى زماننا هذا قوم من
 غلاة الزنادقة ينكرون البعث ، ويقولون
 بالتعطيل (١) وفى الواقع أن عقولهم وقلوبهم
 هى المعلقة ؛ وسيرون غداً حيناً تلتهمهم
 النيران ، ويحل بواديههم الحسران ؛ من أضل
 سبيلاً ، وأسوأ قبلاً ! (انظر مبحث التعطيل
 بأخر الكتاب) (ولو ترى إذ وقعوا على
 ريسهم) للحساب ، ورأوا بأعينهم سوء المآب
 (قال أليس هذا) الذى ترونه وتلمسونه
 (بالحق) الذى أنذركم به محمد ؛ فكذبتموه
 وكفرتم به (حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة) فجأة
 (قالوا) وقتذاك (ياحسرتنا على ما فرطنا فيها)
 أى على ما قصرنا فى الدنيا (وهم يحملون
 أوزارهم) ذنوبهم (ولقد كذبت رسل من
 قبلك) مثلما كذبت قومك ؛ وهو تسلية
 للرسول عليه الصلاة والسلام (فصبروا على
 ما كذبوا وأودوا) فاصبر كما صبروا (حتى
 آتاهم نصرنا) باهلاك المكذبين (ولا مبدل لكلمات الله)

(١) التعطيل: التفرغ والإخلاء ، وترك الشىء ضياعاً . ويطلق على تعطيل الكون ، وإخلائه
 بغير خالق . والمعلقة : من يقولون بالألا بعث ، ولا حساب ، ولا جزاء !

نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٥﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ
 اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَامًا فِي السَّمَاءِ
 فَتَأْتِيَهُمْ بِعَاقِبَةٍ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا
 تَكُونُ مِنَ الْخَالِهِينَ ﴿١٥٦﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
 يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿١٥٧﴾
 وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ
 عَلَىٰ أَنْ يَنْزِلَ آيَةٌ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥٨﴾
 وَمِمَّنْ دَابَّ آيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا تَطِيرُ بِطَيْرٍ بِجَنَاحِهِ إِلَّا
 أُمَّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ
 رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿١٥٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَكُمَّ
 فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ يَسْمِ اللَّهِ يُضْلِلُهُ وَمَنْ يَسَّاجِعْهُ عَلَىٰ
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ
 أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦١﴾

(وإن كان كبر عليك) عظم وشق (إعراضهم) عن الإيمان (فإن استطعت أن تبغى) تطلب وتجيد
 (نفقاً) سرباً (في الأرض أو سلماً في السماء) تصعد عليه (فتأتيهم بآية) معجزة مما يقترحوه من غير
 إرادتنا (إنما يستجيب) للدعوة إلى الإيمان (الذين يسمعون) سماع تدبر وتفكر (والموتى) الكفار؛
 سماع موتى: لأن حالهم كحالهم (ببعثهم الله) يوم القيامة، ويوقفهم على النار؛ فيقولون: «بالتناز
 ولأنكذب آيات ربنا ونكون من المؤمنين... ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه» (وقالوا لولا) هلا (نزل
 عليه آية) معجزة (وما من دابة في الأرض)

الدابة: كل ما يدب على وجه الأرض؛ من
 إنسان أو حيوان. والمراد بها هنا الحيوان
 (إلا أم أمثالكم) تحتاج إلى تدبير رزقها
 ومعايشها، وتدل على خالقها المتكفل بأرزاقها؛
 وفي الآية دليل على وجوب السير مع هذه
 الأمم بالحسنى، وعدم مجاوزة الحدود التي
 رسمها الله تعالى في معاملتها؛ ووجوب الرفق
 بها في سائر الحالات؛ أليست أمماً أمثالنا؟!

وقد شغل أناس كثيرين من علماء الحيوان
 والنبات بدراسة هذه الأمم - من الحيوان
 والطير - فأروا محباً يضيق بصنعه بنو الإنسان
 فانك لو أردت أن ترى آية في الاختراع،
 وغاية في الإبداع؛ لما وجدت أروع ولا أبداع
 من لوح الشمع الذي يصنعه النحل بنفسه؛ فان
 الرسام المبدع لا يكاد يستطيع أن يرسم بأدواته
 وأقلامه مارسه النحل بتوفيق من ربه؛ وناهيك
 باختياره للورود والأزهار التي يرثف منها
 الرحيق الذي يحوله - بقدرة ربه وإلهامه -
 إلى شراب مختلف الطعوم والألوان!

هذا عدا النظام الدقيق الذي تسير عليه
 مملكة النحل؛ مما تعجز أساطين العقول
 البشرية عن الإتيان بمثله؛ فسبحان من خلقه
 وسخره، وأوحى إليه بأمره؛ فاستمع إلى
 وحي ربه؛ شأن فضاء بنى الإنسان!

ولو تأملت إلى مملكة النمل، وما هي عاياه من نظام محكم دقيق؛ لصغرت أملكك نفسك، وهانت عليك
 حكمتك وتديريك؛ فقد ثبت أنه من خير الأمم المنظمة؛ التي تدبر حياتها ومعيشتها، وتحفظ في يومها لغدها،
 وتنابر في عملها حتى تنال مرادها؛ وترى النمل إذا نزلت به نازلة، أو اجتاحتها جائحة؛ لا تفتر عزيمته،
 ولا تنهار قوته؛ بل يعتبر النمل نفسه وحدة لا تتجزأ، وأنه يجب التضحية بالفرد لصلحة المجموع؛ فكما يدفع
 الإنسان عن نفسه - ما يصيبه في هذه الحياة - بيده أو بأى عضومن أعضائه، ويضحي بزهرة أبنائه في سبيل
 الدفاع عن أرضه ووطنه؛ فكذلك النمل يضحي ببعضه في سبيل حياة باقية؛ فتراه إذا دمه مطراً أو سيل =

= فأودى بمنزله ، وأطاح بمملكته ؛ فغلبها خراباً ياباً ؛ وصار الفناء الشامل ، والهلاك المدمر قيد خطوة منه ، حينئذ تراه يتجمع ألوفاً مؤلفة ، وملايين لاعداد لها فيتكور على نفسه ، فيجمل السيل هذه المجموعات الهائلة منه حتى تستقر على اليابسة - بعد أن يبید أكثرها اختناقاً وغرقاً - فيبدأ من نجا من أفراد هذه الملكة في العمل والإنشاء والتصير ؛ كأن لم تجل بهم داهية تنهب بلب الحكماء ، وتصف بمقول العقلاء ! وترامم يبداون بما فيه قوام حياتهم ؛ فينتظون الحروب - التي اخترنوها ونالتها مياه الأمطار - فيجففونها في الشمس خشية التلف ، ويميدونها إلى مخازنها التي أعدها لها من قبل !

الجزء السابع

١٥٦

والذي يبدو أن الله تعالى خلق هذه الحلوقات وأبدع هذه الكائنات ؛ لخدمة بني الإنسان ومنفعتها الخاصة ؛ ولا تقف هذه المنافع عند المنفعة المادية غسب ، بل هناك منافع أديبية وتعليمية لا حد لها ؛ فالؤمن الصادق الإيمان يجب عليه أن يقلد هذه الأمم - التي هي دونه في الخلق ، وفوقه في الخلق - فلا يعيش لنفسه فقط ، ولا يقصر جهده على ما يعود عليه وحده بالمنفعة ؛ بل يجب أن يكون كالنحلة : دائب العمل لمصلحة الآخرين ؛ فما من شك أن النحل يأكل من الثمار والأزهار ليحفظ نفسه وحياته ؛ ولكنه لا يكتفي بهذا القدر ؛ بل يسعى جاهداً لتوفير القوت والشراب لغيره !

وكذلك النمل : فان تديره لمعايشه ؛ يفوق تدبير كثير من الحلوقات ؛ فان مشارته وكده ، وتضحية بعضه في سبيل بعضه ؛ كل ذلك سخره الله تعالى ليلستفيد منه بنو الإنسان ما يحملهم أهلاً للخلافة في هذه الأرض ؛ ليعمروها بالخير والبر ! فتبارك الخالق الباريء المصور ؛ الهادي للحيوان ، والمنعم على الإنسان ! فليتدبر ذلك من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ! (انظر آية ٦٩ من سورة النحل) (ما فرطنا

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ
وَتَسْوُونَ مَا تَمْتَرُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ
فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿١٢﴾
فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا سَأَوْا
مَآذِرًا لِقَوْمِهِمْ فَخَنَّا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا
بِمَا أُرْتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿١٤﴾ فَقَطَّعَ
دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَىٰ
قُلُوبِكُمْ مِنْ لَدُنْهِ غَيْرَ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ أَهْ أَنْظَرَ كَيْفَ تَصْرَفُ
الْأَيْدِي ثُمَّ هُمْ يَصْذِقُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْشَأَ
عَذَابَ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُدْرِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾
وَمَا تَرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَمَنْ آمَنَ

وَأَصْلَحَ

في الكتاب) ما تركنا في الوح المحفوظ (من شيء) لم نبتته ونبينه (ثم إلى ربهم) يوم القيامة (يحمشرون) يجمعون ؛ فيقتص للجهنم من القرناء ؛ بل يقتص من بني الإنسان ، ما فله بالحيوان ! (انظر آية ٤٠ من سورة النبأ) (والذين كذبوا بآياتنا صم) عن سماع الحق (ويكف) عن النطق به (في الظلمات) ظلمة الكفر ، وظلمة الضلال ، وظلمة العصيان ، وظلمة الجهل ! (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (من يشأ الله) أن يضلله (يضلله) بما قدمت يده ، من عصيان مولاه ؛ بأن كذب بآيات الله ، وأصم أذنيه عن سماعها ، وحيس لسانه عن النطق بها ، وتعمرغ في أحوال الجهل والجهال ؛ فليس له جزاء سوى التردى في الضلال (ومن يشأ) أن يهده (يجعله على صراط مستقيم) طريق قوم ؛ هو الإيمان ، الذي هو طريق الجنة =

وَأَصْلِحْ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٥٨﴾ وَالَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُمْسِكُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٥٩﴾
قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ
هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦٠﴾
وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَحْفَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَيْكَ رَبِّمْ لَيْسَ لِمَنْ
دُونَهُ مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ وَلَا تَطْرُدِ
الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ
مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ
مِنْ شَيْءٍ وَتَطْرُدَهُمْ فَكَفُونِ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦٢﴾ وَكَذَلِكَ
فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيُتْلَوْا أَهْتُولًا وَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
مِنْ بَيْنِنَا لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّكِرِينَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا قُلْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ

طريق النعم المقيم ! (قل أرايتكم) هي عند بعضهم بمعنى : أرايتم . وعند الآخرين بمعنى : أخبروني
(إن أتاكم عذاب الله) الذي توعدكم به في الدنيا (أو أتتكم الساعة) القيامة (أغير الله تدعون) ليكشف
ماحل بكم . والمعنى: هل يوجد عندئذ من يستطيع أن يمنعكم من عذاب الله تعالى، أو أن يدفع عنكم بأسه (بل
إياه تدعون) منه وحده تطلبون (فيكشف ما تدعون إليه إن شاء) أي إن أراد أن يكشف ما نزل بكم
(وتنسون ما تذكرون) به في عبادته (فأخذناهم بالأساء) بالبوؤس؛ وهو القحط والجوع (والضراء)

الضرر؛ وهو المرض، وتقصان الأنفس (لعلهم
يتضرعون) إلينا فنكشف ما بهم (فلولا)
فبلا (إذ جاءهم بأسنا) عذابنا (تضرعوا)
تدلوا إلينا لنكشف عنهم ما نزل بهم؛
كعادتنا دائماً (فلما نسوا ما ذكروا به)
أي تركوه فلم يعملوا به (فتجنا عليهم أبواب
كل شيء) قلوبنا جسومهم، ووسعنا أرزاقهم،
وبذلنا لهم المزيد من الخيرات والنعم؛ استدراجاً
لهم (حتى إذا فرحوا بما أوتوا) فرح بطر
وكفران، لا فرح شكر وإيمان (أخذناهم)
بالعذاب (بفتنة) فجأة . عن سيد الخاق
صلوات الله تعالى وسلامه عليه «إذا رأيتم الله
تعالى يعطي العباد ما يشاءون على معاصيهم فأنما
ذلك استدراج منه لهم» ثم تلا «فلما نسوا
ما ذكروا به فتجنا عليهم أبواب كل شيء
حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بفتنة فاذا
هم مبلسون» أي فاطلون بأسئون . يقال: أبلس
من رحمة الله؛ إذا قطط؛ ومنه سمي لبليس .
والإبلاس أيضاً: الانكسار والحزن (فقطع
دابر القوم الذين ظلموا) استؤصلوا عن آخرهم
(من إله غير الله يأتيكم به) أي بما أخذه
منكم (ثم هم يصدفون) يعرضون (قل أرايتكم)
أرايتم (إن أتاكم عذاب الله بفتنة) فجأة؛
بغير مقدمات، أو دلائل تدل على مجيئه؛ فقد
تأتى النقمة من جهة الرحة، وقد يحل القحط

من جهة الرخاء؛ فقد يعطر السحاب ناراً، وقد تقذف الأرض حما ! (أو جهرة) ظاهراً بمقدمات تدل على
إتيانه . أو المراد: «بفتنة» ليلا، و «جهرة» نهاراً (فن آمن) بالله (وأصلح) عمله (قل لا أقول لكم
عندي خزائن الله) فأملك التصرف فيها، والإعطاء منها (ولا أعلم الغيب) فأستكثر من الخير . وهاهو
الرسول الأعظم؛ سيد الخلق قاطبة ! يقول له ربه: أعلن على الملا أنك لاتعلم الغيب؛ فإبال أقوام يدعون
علم ماضى، وما حضر، وما استقبل؟ وأعجب من ادعائهم هذا: أنهم يجحدون من يصدقهم وثنى بأقوالهم؛
مع أنهم من كبار الدجاجلة، وقد جاء ذكرهم والتحذير منهم في شتى الأحاديث؛ فليحذر المؤمن من تمويههم
وباطلهم؛ وليعلم أن الاستسلام لثل أقوالهم ضرب من الكفر! قال صلى الله تعالى عليه وسلم: =

«من أتى كاهناً أو عرفاً فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» (ولا أقول لكم إنى ملك) ذهب بعضهم إلى تفضيل الملك على الرسول؛ بدليل هذه الآية. والآية الكريمة لا يؤخذ منها التفضيل؛ بل المراد نفي الأفعال الحارقة للعادة، والتي لا تتأتى إلا من الملائكة عليهم الصلاة والسلام (إن أتبع) ما أتبع فيما أقول وأعمل (إلاما يوحى إلى) من ربي (قل هل يستوى الأعمى) الكافر (والصير) المؤمن (أفلا تفكرون) في ذلك فتؤمنون (وأنتربه) أي بالقرآن (ليس لهم من دونه) غيره (ولي) ينصرهم (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) يعبدونه ويتضرعون إليه (بالفداء

والمشى) أي صباحاً ومساءً (يريدون وجهه) يطلبون مرضاته تعالى؛ ولا يبتغون شيئاً من أعراض الدنيا (وكذلك فتنا) ابتلينا (بعضهم ببعض) ابتلينا الشريف بالوضع، والقوى بالضعيف، والغنى بالفقر، والسادة بالعبدة (ليقولوا) أي ليقول الشرفاء، والأقوياء، والأغنياء؛ والسادة (أهؤلاء) الرضعاء، والضعفاء، والفقراء والعبدة (من) الله عليهم من بيننا) بالعقل والإيمان والهداية! قال تعالى رداً على استفهامهم البادى على ألسنتهم تارة، وفي قلوبهم أخرى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) فيوقفهم إلى مرضاته، ويسوقهم إلى جناته! (كتب) قضى (ربكم) على نفسه الرحمة) تفضلاً منه على عبده، وإحساناً منه لحلقه! ومن رحمته تعالى (أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده) أي من بعد عمل السوء (وأصلح) أعماله (فانه) تعالى (غفور) لذنبه (رحيم) به! يؤخذ من هذه الآية أن جنابة العالم أكبر من جنابة الجاهل، وأن من لوازم التوبة: إصلاح العمل (وكذلك فصل الآيات) نوضحها ونبينها (ولتستبين) تظهر (سبيل) طريق (المجرمين) الذين يصرون على ذنوبهم؛ فلا يتوبون منها، ولا يرجعون عنها (قل إنى

على نفسي الرحمة) أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه) تعالى (غفور) لذنبه (رحيم) به! يؤخذ من هذه الآية أن جنابة العالم أكبر من جنابة الجاهل، وأن من لوازم التوبة: إصلاح العمل (وكذلك فصل الآيات) نوضحها ونبينها (ولتستبين) تظهر (سبيل) طريق (المجرمين) الذين يصرون على ذنوبهم؛ فلا يتوبون منها، ولا يرجعون عنها (قل إنى

على بينة من ربي وكذبتم به) أي إنى على حجة واضحة ظاهرة من ربي؛ وهي القرآن (و) قد (كذبتم به) و (ما عندى ما تستعجلون به) أي ليس عندى ما تطلبونه من العذاب؛ وذلك كقولهم «فأمطر علينا حجارة من السماء» (إن الحكم إلا لله يقص الحق) أي يقوله، ويتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره وفي قراءة «يقضى الحق» (وهو خير الفاصلين) الحاكمين (قل لو أن عندى ما تستعجلون به) من العذاب (لقضى الأمر بيني وبينكم) بتعجيله وإنزاله بكم؛ وقسركم على الإيمان، ولكن الله تعالى وحده يعلم متى يعذب عباده، ومتى يعفو عنهم، ومتى يرحمهم (والله أعلم بالظالمين) فيعذبهم وقت إرادته؛ لا وقت طلبهم (وما تسقط من ورقة) من ورق الشجر (إلا يعلمها) يعلم شكلها وحجمها ومقدارها، ومتى تسقط، =

بأنبيال

بِالْبَيْتِ وَيَعْلَمُ مَا جُرِحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِبُقْضَىٰ
 أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿١٠١﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ
 حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ
 لَا يُفِرُّونَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ
 الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ
 ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَجَبْنَا
 مِنْ هَذِهِ لَنَتَّكِنَنَّ مِنَ الشَّكْرِينَ ﴿١٠٤﴾ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَنْجِيكُمْ
 مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٥﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ
 عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ
 أَرْضِكُمْ أَوْ يَبْسُطَ سَيْبَهُ فَيُخَذَ بِبَعْضِكُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
 أَنْتُمْ كَافِرُونَ ﴿١٠٦﴾ أَنْتُمْ كَافِرُونَ ﴿١٠٧﴾ أَنْتُمْ كَافِرُونَ ﴿١٠٨﴾
 وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَنْتُ عَلَيْكُمْ

وَأَنْ تَسْقُطَ ، وَكَمْ مَرَّةٌ تَدُورُ فِي الْهَوَاءِ ، وَكَمْ مَرَّةٌ تَتَقَلَّبُ عَلَى الْأَرْضِ عِنْدَ سَقُوطِهَا ! (وَلَا حِجَةَ) مِنَ الْحَيَوتِ ؛ كَالْبَرِّ وَالشَّعِيرِ وَالذَّرَّةِ وَالْعَدَسِ وَنَحْوِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ كَيْفَ تَنْبَتُ ، وَمَتَى تَنْبَتُ ، وَمِنْ يَجْتَنِيهَا ، وَمِنْ يَأْكُلُهَا ؛ وَقَدْ تَحْمَلُ الْحَبَّةُ مِنْ قَطْرٍ إِلَى قَطْرٍ ، وَتَجُوبُ الْجِبَارُ وَالْأَنْهَارُ ؛ جَرِيئاً وَرَاءَ آكُلِهَا ؛ حَتَّى تَسْتَقِرَّ فِي جَوْفِ مَنْ كَتَبَتْ لَهُ ، وَزَرَعَتْ مِنْ أَجْلِهِ ؛ فَتَعَالَى الْخَالِقُ الرَّازِقُ ، الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ! (وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَّكْتُوبٍ) (مَبِينٍ) بَيْنَ وَاضِحٍ ؛ وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ : كَتَبَ فِيهِ لَعَلَّهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُؤَكَّدُونَ بِإِنْفِذِ أَوْامِرِهِ تَعَالَى (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ) يَمِيتُكُمْ عِنْدَ نَوْمِكُمْ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النُّومَ قَرِينَ الْمَوْتِ ؛ لِأَنَّهُ فِيهِ تَقْبِضُ رُوحَ النَّامِ ، وَتَسْبِيحُ فِي مَلَكُوتِ رَبِّهَا ؛ كَمَا تَقْبِضُ رُوحَ الْمَيِّتِ تَمَاماً ؛ غَيْرَ أَنَّ النَّامَ لَا تَنْفَصِلُ رُوحُهُ مِنْ جَسَدِهِ انْفِصَالاً تَمَاماً ؛ بَلْ لَا تَرَالُ مُتَصِلَةً بِهِ . أَمَّا الْمَيِّتُ فَتَنْفَصِلُ رُوحُهُ مِنْ جَسَدِهِ انْفِصَالاً تَمَاماً فَيَرْبِيهَا اللَّهُ تَعَالَى مَا شَاءَ مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ نِقْمَةٍ ؛ حَتَّى يَقْضَى تَعَالَى بِالْقِيَامَةِ فَتَنْفَصِلُ كُلُّ رُوحٍ بِجَسَدِهَا الَّذِي يَبْعِدُهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا ؛ فَيَلْقَى الْمُؤْمِنَ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَسَنِ وَفَادَتِهِ مَا يَنْبِسِيهِ الْبُؤْسُ الَّذِي لَقِيَهِ فِي دُنْيَاهُ ! وَيَلْقَى الْكَافِرَ مِنَ الذَّلَالِ وَالْهَوَانِ وَالْعَذَابِ مَا يَنْبِسِيهِ النِّعَمِ الَّذِي كَانَ فِيهِ (وَيَعْلَمُ مَا جُرِحْتُم بِالنَّهَارِ) مَا كَسَبْتُمْ فِيهِ مِنَ الْآثَامِ . وَجُرِحَ وَاجْتَرَحَ : بِمَعْنَى كَسَبَ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْآثَامَ لَا تَرْتَكِبُ إِلَّا بِالْجَوَارِحِ (ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ) أَيْ فِي النَّهَارِ ؛ بَرْدَ أَرْوَاحِكُمْ (لِبُقْضَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) وَهُوَ انْقِضَاءُ أَجَالِكُمْ (انظُرْ آيَةَ ٤٢ مِنْ سُورَةِ الزُّمَرِ) (ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فَيُجَاوِزُكُمْ عَلَيْهِ (وَهُوَ الْقَاهِرُ) الَّذِي لَا يَبْجُزُهُ شَيْءٌ (فَوْقَ عِبَادِهِ) بِالْإِسْتِعْلَاءِ ؛ فَكُلُّهُمْ مَخْلُوقٌ وَفَقْرٌ لِإِرَادَتِهِ ، وَكُلُّهُمْ تَحْتَ سُلْطَانِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ يَحْيِي وَيَمِيتُ ، وَيُعْطِي وَيُمْسِكُ ، وَيَعِزُّ وَيُذِلُّ ؛ وَهُوَ الْلطِيفُ الْخَبِيرُ ! (وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) مَلَائِكَةٌ حَافِظِينَ (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ)

أَي جَاءَ وَقْتُهُ وَأَوَانُهُ (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) الْمَكْفُوفُونَ بِقُبُضِ أَرْوَاحِ الْخَالِقِ (وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ) فِيمَا عَاهَدَ إِلَيْهِمْ بِهِ ، فَلَا يَتَعَمَّلُونَ أَحَدًا لَمْ يَحْمِلْ حِينَهُ ، وَلَا يَتَرَكُونَ أَحَدًا أَنْقَضَى أَجَلَهُ (ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ) سَيِّدُهُ وَمَالِكُهُم (الْحَقُّ أَلَا لَهُ) وَحْدَهُ (الْحُكْمُ) بَيْنَ عِبِيدِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) قِيلَ : يُعَاسِبُ النَّاسَ جَمِيعاً فِي مَقْدَارِ حَلْبِ شَاةٍ (قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ) مَخَافَتِهَا وَأَهْوَالِهَا ، أَوْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ : الصَّوَاعِقُ . وَظُلُمَاتِ الْبَحْرِ : الْأَمْوَاجُ ؛ وَكِلَاهُمَا يَشْتَدُّ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ (تَدْعُونَهُ) عِنْدَ الْوُقُوعِ فِي الْمَهَالِكِ (تَضَرُّعاً) ابْتِهَالاً وَتَدَلُّلاً ؛ مَعْلَنِينَ الضَّرَاعَةَ (وَخُفْيَةً) مَسْرِينَ ؛ فَائِينَ (لَّئِنْ أَجَبْنَا) رَبَّنَا (مِنْ هَذِهِ) الْمَهَالِكِ وَالْأَهْوَالِ (لَنَتَّكِنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) لَهُ ، =

المؤمنين به (قل هو القادر على أن يعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم سيماءً) يخلطكم فرقا؛ على أهواء شتى متباينة (ويذيق بعضهم بأس بعض) شدة بعض في القتال . لما نزل قوله تعالى «قل هو القادر على أن يعث عليكم عذاباً من فوقكم» قال صلى الله تعالى عليه وسلّم : «أعوذ بوجهك» فلما نزل «أو من تحت أرجلكم» قال : «أعوذ بوجهك» فلما نزل «أو من تحت أرجلكم» قال : «أعوذ بوجهك» فلما نزل «أو من تحت أرجلكم» قال : «أعوذ بوجهك» فلما نزل «أو من تحت أرجلكم» قال : «أعوذ بوجهك»

الجزء السابع

١٦٠

من الطائرات ، من قبائل ومهلكات ، وقوله «أو من تحت أرجلكم» : هو الديناميت الذي يدسه الأعداء في باطن الأرض ؛ يدل على ذلك ما عده : «ويذيق بعضهم بأس بعض» ولم يقل ويذيقكم بأسه . وهو قول ظاهر التكلف ، بادى التصف . والمعنى المراد من الآية : «عذاباً من فوقكم» هو الصواعق - التي أهلك الله تعالى بها كثيراً من مكذبي الأمم قبلنا - وما تلقى البراكين من الأحجار والحجم . وقوله «أو من تحت أرجلكم» : هو الحسف والزلازل ؛ أعادنا الله تعالى من قبته ، بمنه ورحمته ! (لكل نيا) أنبأتكم به ، وعذاب ذكرته لكم (مستقر) أى قرار يستقر عنده ، ونهاية يتهم إليها ؛ فيعلم صدق النيا من كذبه (وسوف تعلمون) صدق ما أنبأتكم به ؛ حين ينزل بواديك العذاب ، وتدمون ؛ ولات ساعة مندم ! (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) يتكلمون فيها بما لا يليق ؛ من النقد ، أو الطعن ، أو التكذيب (وإما ينسبك الشيطان) تركهم عند خوضهم ، والاعراض عنهم (فلا تقعد بعد الذكري) أى بعد التذكر (وما على الذين يتقون) الخوض مع الخائضين (من حسابهم) من آثام الخائضين (من شئ ولكن ذكري) أى ولكن قيامهم وعدم العقود معهم لتذكيرهم بالقيام عنهم ، وإظهار الكراهة لهم ! (لعلهم يتقون) الخوض في آيات الله (وذري) اترك (الذين اتخذوا دينهم) الذى دعوا إليه ، وكلفوا اتباعه ؛ وهو الإسلام (لعباً ولهوياً) سخرية واستهزاء (وغرثهم الحياة الدنيا) خدعتهم بزخرفها وبهرجها ؛ فاقادوا إليها ، وتمسكوا بها ؛ وتركوا الآخرة وما يوصل إليها وراء ظهورهم (وذكر به) عظ بالقرآن ، أو بالدين (أن تبسل) مخافة أن تبسل . والبسل : الحبس ، والفضيحة ، والهلاك . والبسل : أيضاً الإجمال والشدة . وأصل الإبسال : المنع (وإن تعدل كل عدل) وإن تقدم كل فداء ؛ والعدل : المثل (أو لك الذين أسلوا) حبسوا ، أو فضحوا ، أو أهلكوا (لهم شراب من حميم) ماء شديد الحرارة (قل أندعوا) أبعد (من دون الله) غيره (وزرد على أعقابنا) نرجع كما كنا كفاراً (بعد إذ هدانا الله) للإسلام وأنجانا من

يُوكِبِلُ ﴿١٦٠﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٦١﴾
 وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
 حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِبُكَ الشَّيْطَانُ
 فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٦٢﴾ وَمَا
 عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِى
 لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً
 وَلُهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرْتَهُمْ أَن تَبْسُلَ نَفْسٌ بِمَا
 كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن
 تَعْدِلْ كُلَّ عَدَلٍ لَأُنْزِلَنَّ مِنْهَا آوْثَاكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا بِمَا
 كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
 يَكْفُرُونَ ﴿١٦٤﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُ
 وَلَا يَضُرُّهُ وَزَرِدْ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي
 اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ مِصْحَابٌ

يَدْعُوهُ

يَدْعُوهُ

عبادة الأصنام ؛ ونكون (كأذى استهوته) أضلته (الشياطين في الأرض) باغوائهم وتزيينهم ؛ وصيرته (حيران) لا يدري ما هو فاعل ، وماذا تكون عاقبته ؟ (له أصحاب) رفقة خيرون ؛ يتمنون نجاة من زلته وتخليصه من سقطته ! (يدعونه إلى الهدى) قائلين له (اثنتا) أى ارجع عن غيك ، وتعال في زمرتنا . فلا يجيبهم إلى ما يطلبونه ، ولا يتبعهم إلى الهدى (قل إن هدى الله) الإسلام ، والتوفيق إليه (هو الهدى) وماعدها فهو ضلال ووبال (ويوم يقول) الله تعالى يوم القيامة لما يريد (كن فيكون) ما أراده من فناء الدنيا ، وموت الخلاق ؛ ثم لإحيائهم ثانية ، ثم محاسبتهم على ما عملوا ، ثم إدخال أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ! كل هذا يتم من غير جهد ، ولا عناء ؛ بل بقوله تعالى «كن» كما قال للسماوات والأرض: كونا ؛ فكانتا . ولا دم . وكان ؛ فكان . ولفظ «كن» هي في الواقع تقرب لأذهاننا ؛

لنعلم أنه تعالى لا يجزه مطلب ، ولا يؤده شيء - مهما عظم - وفي الحقيقة أنه تعالى إذا أراد شيئاً: كان ؛ بغير افتقار للفظ «كن» فتعال القادر المقدر ! (يوم ينفخ في الصور) القرن الذى ينفخ فيه لإسرائيل عليه السلام . وقيل: «الصور» جمع صورة ؛ كبسر وبسرة (وكذلك نرى إبراهيم) أى مثل ما أريناه كفر قومه ، وأطعنناه على فساد عبادتهم للأصنام: نريه (ملكوت) ملك ، وسلطان . قيل : الملك : السلطان الظاهر ، والملكوت : السلطان الباطن ؛ فهو الملك التام ؛ ظاهره وباطنه (السماوات والأرض) وما حوتا من عجائب المخلوقات ، وغرائب المصنوعات ؛ ليستدل بذلك على وجودنا ووحدانيتنا (وليكون من الموقنين) عياناً ، كما أيقن بنا فأنا (فلما جن) أظلم (عليه الليل رأى كوكباً)

قيل : هو الزهرة ، أو المشتري ، أو هو أى كوكب من كواكب السماء ؛ وهي تبلغ ملايين الملايين ؛ بل لا يحيط بها عد العادين ، وإحصاء المحصنين ؛ فلما رأى هذا الكوكب (قال هذا ربى) لا يخفى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يؤمن بالكوكب وغيره إيماناً يقينياً ؛ وما كان له أن يقر بالربوبية لغير الله - وقد اختاره للنبوّة والرسالة والامامة - وحاشا أن يتصف إبراهيم بمثل هذا ! وإنما قال ما قال ، وفعل ما فعل ؛ لفتناً لأتظار قومه إلى فساد ما يعبدونه ، وتسفيهاً لأحلامهم (فلما أفل) غاب هذا الكوكب (فلما رأى القمر بازغاً) طالماً ، أو مبتدئاً في الطلوع (فلما رأى الشمس بازغة) طالمة

يَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى أَنْتَنَا قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى
وَأْمَرْنَا لِنُسَلِّمَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ وَإِنْ أَيْمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَقُوا هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ
قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغُيُوبِ
وَالشَّهِيدُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٦٣﴾ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
لِأَبِيهِ إِزْرَأْ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمُرَّكَ
فِي صَلَاتِي مُبِينٍ ﴿٦٤﴾ وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا
جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ
قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ
هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ
الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا

(قال هذا ربى هذا أكبر) من كل الكواكب التي ظننتها ربا (فلما أفلت) غابت واعي ضوؤها ؛ وأثبت إبراهيم لقومه بذلك أن الله المعبود : يجب أن يكون أكبر من كل شيء ، وأنه يجب ألا يطرأ عليه التغير ، ولا يجوز له الأنول ! حينذاك انتقل إبراهيم من الاستدلال إلى التقرير ، ومن الاستقراء إلى التوثيق والثبوت ؛ وواجه قومه بما يجب أن يواجههم به ؛ فأعما بالدعوة المطلوبة منه والمرسل بها (قال يا قوم إني برى مما تشركون) به الله تعالى في العبادة !

الجزء السابع

١٦٢

(إني وجهت وجهي) اتجهت بقلبي (لدى فطر السموات والأرض) خلقهما ؛ والفطر : الخلق من غير مثال سابق (حنيفا) مائلا إلى الدين الحق ؛ والحنيف : الصحيح الميل إلى الإسلام ، الثابت عليه (وواجهه) جادله (قومه) فيما قاله (قال أتجاجونى) أمجادلونى (في الله وقدهدان) إلى معرفته (ولا أخاف ما تشركون به) في عبادته (إلا أن يشاء ربى شيئا) أى إلا أن يشاء الله تعالى أن يبتلي بىء من المكروه ؛ فلا اعتراض لى عليه ؛ إذ أنى ملكه وصنع يده ؛ يفعل بى ما يشاء ، ويحكم فى بما يريد! (وكيف أخاف ما أشركتم) وهى لا تنفع ولا تضر ، ولا تسمع ، ولا تنقل! (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله) وهو السميع البصير ، اللطيف الخبير ، المعطى المنافع ، النافع الضار! (مالم ينزل به عليكم سلطانا) أى مالم يقم عليه دليل عقل أو تقلى (فأى الفريقين أحق بالأمن) والاطمئنان للبصير : نحن الذين عبدنا الإله الحق ، القادر القاهر الرازق ، المحي المميت ؛ ولم نخف آلهتكم وأسماءكم ؛ أم أنتم وقد عبدتم ما صنعتم بأيديكم من جماد لا يقدر على حماية نفسه ؛ ولم تخشوا ربنا الذى خلقنا وهدانا ، ورزقنا وكفانا ! «فأى الفريقين» نحن أم أنتم «أحق بالأمن» والطمأنينة ؟ ! (الذين آمنوا

رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنْى بَرَى مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنْى وَجَّهْتُ وَجْهَى لِذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَمَآ جَاءَهُ قَوْمَهُ قَالَ اتَّخَذُونِى فِى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِى وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ؕ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّى شَيْئًا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَى الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ ظُلْمًا أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حِجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ؕ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ؕ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ؕ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ

وسليمن

ولم يلبسوا) يخلطوا (إيمانهم بظلم) بشرك «إن الشرك ظلم عظيم» أو هو الظلم نفسه (أولئك لهم الأمن) من العذاب فى الدنيا ، والأمن بالنجاة من النار فى الآخرة (وتلك حجتنا) التى احتج بها إبراهيم على قومه بوجود الله تعالى ووحدانيته ؛ بأن وجهنا نظره للكائنات ، فرأى ما يحدث لها من تغيرات ؛ وعلم أن الإله لا يتبدل ، وأن الخالق لا يتغير ؛ وتوصل بطريق الاستدلال العقلى إلى معرفة الله تعالى : الموجود فى سائر الوجود «فتعالى الله الملك الحق» وصلوات الله وسلامه على سيدنا ومولانا إبراهيم : رأس الملة الحنيفة ، وإمام أهل الحق ، وجد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (ترفع درجات من نشاء) فى العلم والحكمة ، وسمو الروح ، وعلو الهمة ! (ومن ذريته) أى من ذرية نوح عليه السلام .

وَسَلِيمِينَ وَيُؤَبِّ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ
 نَجَّيْنَا الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ
 كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٥٩﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ
 وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦٠﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ
 وَفِرْيَتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦١﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٢﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ
 فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَتَّكُوا قَدْرَهُمْ وَكَلَّمْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا
 بِكَافِرِينَ ﴿١٦٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ
 آفَقْتُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
 لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ
 اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي

(وزكريا ويحيى) اللذين قتلها اليهود عليهم
 اللعنة ! (ولياس) وهو غير «الياس» جد
 النبي عليه الصلاة والسلام - بسكون الهمز -
 لأنه أول من ابتلى بالياس ، وهو السل ؛ سمي
 بذلك لليأس من شفائه (واجتيناهم) اخترناهم
 واصطفيناهم (وهديناهم إلى صراط) طريق
 (ذلك) الهدى الذى أضفيناه على هؤلاء الأنبياء
 (هدى الله يهدى به من يشاء من عباده)
 المتقين (لحبط) لبطال (أولئك) الأنبياء
 المذكورون : هم (الذين آتيناهم الكتاب)
 أى الكتب التى أنزلت عليهم (والحكم)
 العلم النافع ، وحسن الفصل فى الحكومة (فان
 يكفر بها) أى بالكتب ، أو بالكتاب والحكم
 والنبوة (هؤلاء) الفسقة الظلمة الكفرة
 (فقد وكلنا بها قوماً) من المؤمنين الطائعين
 المتبينين (أولئك) الأنبياء الذين ذكرناهم : هم
 (الذين هدى الله فبهدهم آفقتهم) أى اقتد
 يا محمد بهم ، واصبر كصبرهم ، وتحمل أذى
 قومك كما تحملوا أذى أقوامهم ؛ و (قل)
 لقومك (لا أسألكم عليه أجراً) أى
 لا أسألكم على القرآن جملاً (إن هو إلا ذكرى

للعالمين) لسائر الجن والإنس (وما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته ، وما عظموه حق عظمتهم ،
 وما عبدهوه حق عبادته (إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) كأنهم يريدون أن ينزل إليهم ربهم بنفسه ،
 أو ينزل لهم بعض ملائكته ؛ كسابقهم فى الكفر : الذين قالوا لرسولهم : «أوتأتى باقه والملائكة قبلاً»
 وقالوا «لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً» (قل) لهم : كيف تقولون ذلك وقد تحققتم من نزول
 الكتاب على بشر من قبلى ؛ وإلا فقولوا لى (من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس
 يجعلونه قرطاس) أورافا مفرقة ؛ أى كسائر الأوراق ، وهوليس كسائرها

جَاءَ بِهِ مَوْعِنٌ نُّورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْمَعُوا فِيهَا بِرَبِّهِمْ
 تَبَدُّوْنَهَا وَيُخْفَوْنَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا
 ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٧٠﴾
 وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَّارَكٌ مُّصَدِّقٌ لِّلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآيَةِ
 يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٧١﴾ وَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ
 إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ
 إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا
 أَيْدِيهِمْ أَتْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
 بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا
 تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْتُمْ
 أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا خَلَقْنَاكُمْ وَرَأَىٰ ظُهُورَكُمْ وَمَا تَرَىٰ

(تبدونها وتخفون كثيراً) تبدون منها ما يروق
 لكم من الأحكام ، وتخفون كثيراً مما يشغل
 عليكم ؛ وهو خطاب لليهود (قل الله)
 جواب لقوله « قل من أنزل الكتاب الذي
 جاء به موسى » (ثم ذرم) دعهم واتركهم
 (في خوضهم) باطلهم الذي يخوضون فيه
 (وهذا كتاب) القرآن (أنزلناه مبارك)
 كثير المنافع والفوائد (مصدق الذي بين يديه)
 ما تقدمه من الكتب (ولتنذر أم القرى)
 مكة شرفها الله تعالى ، وزادها فضلاً ! وسُميت
 « أم القرى » لأن الناس يؤمنونها ، وهي قبلة
 أهل القرى ، وأعظمها شأنًا (ومن حولها)
 كل الدنيا ومن فيها من العقلاء ؛ وذلك لأن
 ما حول مكة : هي الجهات الأربع التي يتكون
 منها كل الأرض ومن عليها (وهم على صلاتهم
 يحافظون) المحافظة على الصلاة : ملازمتها في
 أوقاتها (ولو ترى إذ الظالمون) الكافرون
 (في غمرات الموت) أهواله وسكراته
 (والملائكة) الموكلوت بقبض أرواحهم
 (باسطوا أيديهم) بالتعذيب ؛ ويقولون لهم
 (أخرجوا أنفسكم) أرواحكم ؛ أي خلصوها

من عذابنا إن أمكنكم ، أو هو كناية عن صعوبة خروج أرواح الكافرين ؛ وقد ورد أن أرواح
 الكافرين تخرج انزعاجاً شديداً ، وتسل من جسامهم ، كما يسيل الحبر من الشوك ؛ أما روح المؤمن فتتشط
 للخروج فرحاً بقاء ربها ! أو يقال لهم هذا القول يوم القيامة : « أخرجوا أنفسكم » من النار إن استطعتم ؛
 بدل عليه ما بعده (اليوم تجزون عذاب الهون) الهوان (ولقد جئتمونا فرادى) منفردين بلا مال ولا معين
 (وتركتم ما خلقناكم) ملكناكم في الدنيا : من الأموال والنعم

(وما نرى معكم شفعاءكم) آلهتكم ؛ وقد كنتم تقولون عنها : «هؤلاء شفعائونا عند الله» (الذين زعمتم أنهم فيكم) أى فى استحقاق عبادتكم (شركاء) لله (لقد تقطع بينكم) أى تشقت جمعكم (وضل) غاب (عنكم) ما كنتم تزعمون) فى الدنيا من شفاعتها لكم (إن الله فائق الحب) عن النبات (والنوى) عن النخل

(يخرج الحى من الميت) أى النبات الفس من الحب اليابس (ويخرج الميت من الحى) الحب اليابس من النبات ، أو الإنسان من النطفة ، والنطفة من الإنسان ، أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون (فائق الإصباح) خالق نور النهار (وجعل الليل سكناً) تسكن فيه سائر مخلوقات ، وتهدأ مما أصابها من تعب النهار ووصيه (و) جعل (الشمس والقمر حساباً) أى جعلهما تعالى - فضلاً عن كونهما للانارة والنفع العام - فهما لمعرفة الحساب الزمنى ؛ قال تعالى «وجعلنا الشمس والقمر آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتقوا فضلاً من ربكم وتلعنوا عدد السنين والحساب» (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) هى آدم عليه السلام (مستقر ومستودع) المستقر : رحم المرأة . والمستودع : صلب الرجل . أو المستقر : من خلق من الملائق ؛ فاستقر فى الأرض ، والمستودع : من لم يخلق بعد . وزعم بعضهم أن المستقر : الرحم . والمستودع : القبر . وهو ليس بشيء ؛ إذ أن المقام مقام لإنشاء : «إن الله فائق الحب والنوى . فائق الإصباح . وهو الذى أنشأكم . وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً ثم أنجرح منه حباً متراً كباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنت من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير مشتبهاً

خالق كل شيء فاعبده» ! (فأخرجنا منه خضراً) أى أخضر (نخرج منه) أى من الخضر (حباً متراً كباً) متراً كما ؛ بضمه فوق بعض ؛ وهو السنبلى وما يشبهه (قنوان) جمع قنو ؛ وهو العذق ؛ وهو من القمر : كالعنقود من العنب (دانية) سهلة الجنى والمثال (وجنت) حدائق (من أعناب) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (مشتبهاً) فى الشجر واللون (وغير متشابه) فى الطعم ؛ فنه الحلو والمر والحامض ، وجميع ذلك «يسق بماء واحد» لجل الصانع المبدع !

مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۗ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٦٥﴾
 * إِنَّ اللَّهَ فَائِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۗ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۗ ذَلِكُمْ اللَّهُ ۗ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١٦٦﴾
 فَائِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حِسَابًا ۗ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٦٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْعِدٌ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٦٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ثُمَّ أَنْجَرْنَا خَضِرًا ثُمَّ جَعَلْنَا الْخَضِرَ حَبًّا مُتَرًا كَبَابًا ۗ وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مَشْتَبَهَا ۗ وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ ۗ

(انظروا الى ثمره اذا اثمر) كيف يكون نجاً ؛ لا طعم فيه ، ولا لون له ، ولا رائحة (و) انظروا بعد ذلك الى (ينعه) نضجه ؛ بعد أن تتحول حرارة الثمرة الى حلاوة ، ويابسها الى طراوة ، وخضرتها الى احمرار أو اصفرار ؛ حتى تلد في الطعم ، وتلين في القضم ، وتسهل في الهضم ؛ وهذا كله «صنع الله الذي أتقن كل شيء» (وجعلوا لله شركاء الجن) أى وجعلوا الجن شركاء لله في العبادة ؛ وقد يراد بالجن الشياطين . وذلك باتباعهم فيما يوحيون به اليهم ، ويوسوسون (وخلقهم) أى وقد خلقهم (وخرقوا له) أى اختلقوا (بنين وبنات بغير علم) منهم بمحققة ما يقولون . واختلقهم البنين والبنات : قولهم : الملائكة بنات الله . وقول النصارى : عيسى ابن الله ، وقول اليهود : عزيز ابن الله (سبحانه) تزه وتقدس (وتعالى عما يصفون) (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (بديع السموات والأرض) مبدعها (أنى) كيف (يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) زوجة (ذلكم) الموصوف بهذه الصفات (الله ربكم) الذى خلقكم (لا تدركه الأبصار) أى لا تراه الأبصار ، ولا تحيط به (وهو يدرك الأبصار) أى يرى أصحاب الأبصار ، ويحيط بسائر المراتب (وهو اللطيف بعباده (الخبير) بدقائق الأمور (قد جاءكم بصر) جمع بصيرة ؛ وهى نور القلب . أى جاءكم من الوحي والآيات ؛ ما هو للقلوب بمنزلة البصائر (فمن أبصر) آمن واتقى (فإنفسه) لأن ثواب إيمانه وتقواه عائد اليه (ومن عمى) كفر (فعلينا) لأن إثم كفره عائد عليها أيضاً (وليقولوا درست) أى قرأت الكتب السابقة

١٦٦

الجزء السابع

انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلك لآيات
 لقوم يؤمنون ﴿١٦٦﴾ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم
 ونحوها لهم بنين وبنات بغير علم منهم بمحققة ما يقولون .
 واختلقهم البنين والبنات : قولهم : الملائكة
 بنات الله . وقول النصارى : عيسى ابن الله ،
 وقول اليهود : عزيز ابن الله (سبحانه) تزه
 وتقدس (وتعالى عما يصفون) (انظر آية ١ من
 سورة الإسراء) (بديع السموات والأرض)
 مبدعها (أنى) كيف (يكون له ولد ولم
 تكن له صاحبة) زوجة (ذلكم) الموصوف
 بهذه الصفات (الله ربكم) الذى خلقكم (لا تدركه
 الأبصار) أى لا تراه الأبصار ، ولا تحيط به
 (وهو يدرك الأبصار) أى يرى أصحاب
 الأبصار ، ويحيط بسائر المراتب (وهو اللطيف
 بعباده (الخبير) بدقائق الأمور (قد جاءكم
 بصر) جمع بصيرة ؛ وهى نور القلب . أى
 جاءكم من الوحي والآيات ؛ ما هو للقلوب بمنزلة
 البصائر (فمن أبصر) آمن واتقى (فإنفسه)
 لأن ثواب إيمانه وتقواه عائد اليه (ومن عمى)
 كفر (فعلينا) لأن إثم كفره عائد عليها أيضاً
 (وليقولوا درست) أى قرأت الكتب السابقة

ما أشركوا

ونقلت عنها ماتلوه علينا اليوم . يقولون هذا وهم يعلمون أنه عليه الصلاة والسلام أى لا يقرأ ولا يكتب «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا» (ولو شاء الله ما أشركوا) أى لو أراد تعالى أن يلزمهم بالإيمان ويجبرهم على الطاعة لفضل ؛ ولكنه تعالى أراد أن يجعلهم أحراراً مستقلين في اختيار ما يشاءون حتى يكونوا مسئولين عن عملهم ، مؤخذين على جرمهم

مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
 بِوَكِيلٍ ﴿١﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا
 اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ
 ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾
 وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ بِآيَةٍ لِيُؤْمِنُوا بِهَا
 قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعُرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ وَنَقَلِبْ أَقْبِلْتَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَمْ
 يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَدْرَهُمْ فِي طُعْنَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾
 * وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
 عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
 وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْمَهُونَ ﴿٥﴾ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
 عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
 زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ

(ولا تسبوا الذين يدعون) يبدون (من دون الله) غيره (فيسبوا الله عدواً) اعتداءً (بغير علم) منهم
 بما يجب لله تعالى! (كذلك زيننا لكل أمة) من أمم الكفار (عملهم) أى زينه في زعمهم؛ حيث قالوا:
 «والله أمرنا بها» وهو كقوله «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء»
 (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) غاية اجتهادهم في الأيمان (لئن جاءتهم آية) معجزة (ليؤمنن بها قل إنما
 الآيات عند الله) لا ينزلها بارادتكم أو لإرادتي؛ بل ينزلها متى شاء، وحيث شاء (وما يشعركم أنها إذا
 جاءت لا يؤمنون) فقد أنزل الله تعالى على الأمم
 الآيات تلو الآيات، والمعجزات تلو المعجزات؛
 فلم يؤمنوا بها؛ بل ازدادوا كفراً وعناداً؛
 وقالوا: هذا سحر مبین! (ونقلب أفتدبهم)
 قلوبهم؛ فلا يؤمنوا كما آمن الناس (وأبصارهم)
 فلا يروا الحقائق التي يراها المؤمنون؛ وذلك
 عقوبة لهم (كما لم يؤمنوا به أول مرة) حين
 ظهرت آياته البينات، وحججه الظاهرات
 (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء)
 (وندرهم) ندعهم (في طغيانهم يعمهون)
 يترددون متحيرين (ولو أننا نزلنا إليهم
 الملائكة) كما قالوا «لولا أنزل علينا الملائكة»
 (وكلهم الموتى) كما قالوا «فأتوا بآبائنا»
 (وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً) جمع قبيل؛
 أى أفواجاً. كما قالوا «أوتانا بالله والملائكة
 قبلاً» أى لانا لو أجبناهم لما سألوا، وحققتنا
 لهم كل ما اقترحوا (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن
 يشاء الله) إيمانهم؛ فليلجأوا إلى ساحته،
 وليهرعوا إلى طاعته! (وكذلك) كما أن لك
 أعداء من المشركين (جعلنا لكل نبي) ممن
 سبقك (عدواً شياطين الإنس والجن يوحى
 بعضهم إلى بعض) يزين بعضهم إلى بعض؛
 فترين شياطين الجن لشياطين الإنس، وترين
 شياطين الإنس للإنس بما يوحون به من شرور
 وفساد؛ وقد قدم تعالى شياطين الإنس على

شياطين الجن؛ لأنهم على الشر أقدر، وعلى ما يورد الجحيم أطوع؛ وشيطان الجن - مهما علت مرتبته،
 وسمت مكانته؛ في الشر والترين والتفكير - فانك بالاستعاذة منه تمحقه، وتبلاوة القرآن تهلكه!
 أما شيطان الإنس فانك لو قرأت عليه ما بين دفتي المصحف؛ لما تخلصت منه، ولا ابتعدت عنه! إلا إن
 أعاذك منه اللطيف الخبير، وأنجأك من كيده وشروره وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «قرناء السوء شر
 من شياطين الجن» (زخرف القول) ما زينوه من قولهم ووسوستهم في الشر، وإغرائهم على المعاصي
 (غروراً) خداعاً وباطلاً (ولو شاء ربك ما فعلوه) أى لو شاء الله لمنعهم من الإجماع والوسوسة؛ ولكن الله
 تركهم امتحاناً لعباده؛ ليعلم أصحاب الإيمان الراسخ؛ المقيمين على الهدى، الحافظين للود (فندرم) دعمهم واتركهم

(ولتصفي) تميز وتوجه (إليه) إلى ما توحى به شياطين الإنس والجن (أثمة) قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة) أما من آمن بها؟ فانه لا يصفى قلبه، ولا يلتفت إلى ما توحى به الشياطين، ولا يرضاه، ولا يقترف ما يفضب مولاة (وليروضه) يرضوا بما أوحى به الشياطين (وليقتروا) ليكتبوا. والاعتقاد: ارتكاب الإثم (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب) القرآن (مفضلاً) مبيناً حكماً (والذين آتيناكم الكتاب) هم من آمن من اليهود والنصارى (يعلمون أنه) أي القرآن (منزل من ربك بالحق) وذلك لما لسوه فيه من الصدق، ولما علموه عنه من كتبهم السابقة «التوراة والإنجيل» (فلا تكونن) أي السامع (من المتزين) الشاكرين (وتعت كلمة ربك) القرآن (صدقاً وعدلاً) كل ما فيه من قصص وأخبار: مشتغل على الصدق، وكل ما فيه من أوامر ونواه، وقضاء وأحكام: مشتغل على العدل (لا تبدل لكلماته) أي لا أصدق بما جاء فيه فيقع، ولا أعدل من أوامره فيطاع؛ بل كل ما فيه واجب الطاعة. والاتباع عقلاً؛ فلا يصح تركه إلى أصدق منه، ولا يجوز تبديله بما هو أعدل منه! «ومن أصدق من الله قيلاً. ومن أصدق من الله حديثاً» وهو جل شأنه أصدق الصادقين وأعدل العادلين! (وهو السميع) لأقوالكم (العليم) بأحوالكم (وإن تطلع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) أي يضلوك عن الطريق المستقيم؛ الموصل إليه تعالى. وهذه الآية دليل على ما أراه من ضلال الغالبية العظمى وإضلالها! وقد ورد ذلك الخطاب موجهاً إلى الأمة الإسلامية؛ في شخص إمامها ورسولها صلوات الله تعالى وسلامه عليه؛ وقد علم تعالى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لن يطبع أحداً من الضالين المضلين، وأنه لا سبيل لأحد منهم عليه. وقد وفاه الله تعالى كيد الكاذبين، ووسوسة الشياطين، وإضلال المضلين - (إن يتبعون) أي ما يتبع هؤلاء المضلون

وَمَا يَقْتَرُونَ ﴿١٦٨﴾ وَلَيَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوهُ وَيَقْتِرُونَ مَا لَهُمْ مَقْتَرُونَ ﴿١٦٩﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ
 أُتْبِعِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا
 وَالَّذِينَ آمَنَّا مِنْهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَنزَلٌ مِنْ رَبِّكَ
 بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٧٠﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ
 رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ ﴿١٧١﴾ وَإِنْ تَطَّعْ أُمَّتٌ مِنْ فِي الْأَرْضِ ضِلُّوكَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
 يَحْرُصُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ
 وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٧٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ
 إِنْ كُنْتُمْ بِعَاقِبَتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا
 ذُكِّرْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا
 مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرٌ لِيُضِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ

(إلا الظن) وهو ظنهم بأن آباءهم كانوا على حق، وهم على آثامهم مقتدون (وإن هم الايخوصون) يكذبون. والحرس: الكذب، والتخمين (وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل) بين (لكم ما حرم عليكم) وهو قوله تعالى «حرمت عليكم الميتة» الآية (إلا ما اضطررتم إليه) من ذلك المحرم؛ فهو حلال أيضاً عند الحاجة المتلفة؛ بشرط عدم البغي والاعتداء (وإن كثيراً) من المضلين (ليضلون) الناس عن الحق، وعن كل ما هو حلال مباح (بأهوائهم) و (بغير علم) منهم بصحة ما يقولون؛ بل يضلون بسبب هوائهم وميلهم؛ بغير استناد منهم إلى علم صحيح: كمن يجل بعض الشراب المحرم لميله إليه، ويحمل المشيش لتعوده عليه، أو كمن يفتي بغير علم ولا سند من كتاب أو سنة

عَلِمَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٦٩﴾ وَذَرُوا ظَهِيرَ الْإِيمَانِ
وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِيمَانَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا
يَقْتَرِفُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْثَالَهُ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَإِنَّهُ لَفَسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ
لِيُجْنِدُواكُمْ وَإِنْ أَنْعَمْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمَشْرُكُونَ ﴿١٧١﴾
أَوْ مِنْ كَانَ مِيثَاقَ حَيْثِنَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ
فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا
كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٢﴾ وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَسْتَعْرُونَ ﴿١٧٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ
آيَةٌ قَالُوا إِنَّا أَنزَلْنَاهُ حَتَّىٰ نُنزِّلَ مِثْلَ مَا أَوْقَىٰ رَسُولُ اللَّهِ
اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٧٤﴾

(وذروا) اتركوا (ظاهر الإيم وباطنه) علانيته : كالقتل والسب ، وسره : كالزنا والغبية (سيجزون) في الآخرة (بما كانوا يقتربون) يكتبون من الإيم (وإنه لفسق) القسق : العصيان والترك لأمر الله تعالى (وإن الشياطين ليوحون) يوسوسون (إلى أوليائهم) من المشركين (ليجادلوكم) فيما أحله الله تعالى وحرمه ؛ وذلك بقولهم - في حل الميتة - كيف تأكلون ماقتلتم ، ولأننا كلون ماقتلتم ، الذي هو حياة القلوب

أى كافرأ فهديناه للإيمان؛ الذي هو حياة القلوب والنفوس (وجعلنا له نوراً) هو نور الإيمان واليقين ؛ يهدى به الله تعالى أولياءه الصالحين! أو هو نور العلم والمعرفة (يعنى به) أى بهذا النور (في الناس) يهديهم بهديه ، ويرشدهم إلى ماينجبهم في دنياهم وأخراهم ! (كمن مثله في الظلمات) ظلمات الكفر والجمل والخطيئة . (انظر آية ١٧٧ من سورة البقرة) (ليس بخارج منها) أى من هذه الظلمات . وكيف يخرج منها وهو لم يحاول الخروج ، ولم يسع إليه ، ولم يفكر فيه ؟! (كذلك) كآزين للمؤمنين إيمانهم (زين للكافرين ما كانوا يعملون) وقد زين الله تعالى للمؤمنين أعمالهم ، وللكافرين أعمالهم ؛ بعد عرض الإيمان عليهم جميعاً : فأمن المؤمنون ، وكفر الكافرون ! يؤيد هذا المعنى قوله تعالى «ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زيننا لهم أعمالهم» فزى أن الزين قد حصل بعد عدم الإيمان (وكذلك) كما جعلنا في مكة صنائد قريش يكررون فيها (جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) أى جعلنا أكابرها مجرمين (ليمكروا فيها) بالصد عن الإيمان ، وإفشاء الفجور والفساد ، والابتعاد عن طرق السداد والرشاد (وما يكررون إلا بأنفسهم) لأن وبال مكرهم عائد عليهم (وإذا جاءتهم آية) دالة على صدق الرسول صلوات الله تعالى

وسلامه عليه (قالوا لن نؤمن) لك (حتى نؤتي مثل ما أوتى رسول الله) أرادوا لعنهم الله أن يكونوا مثل أنبياء الله تعالى ورسله ؛ فيقدمم بالآيات ، ويخصمهم بالمعجزات ! ونظيره قوله تعالى «بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منسورة» وذلك لمزيد كفرهم ، وبالغ كبرهم . وقد رد الله تعالى عليهم بقوله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) فيختار لها الأبرار الأطهار ، لا الكفار الفجار ؛ ويمد لهم شريعته ، صفوة خليقته ! فكلمهم - عليهم الصلاة والسلام - من خيرة الأنام ! فكيف يختار معهم بعض الكفرة اللثام ؛ الذين نسوا الله فأنسأهم أنفسهم ، وعبدوا من دونه الطواغيت ، واختاروا العصيان على الإيمان ، وعصوا الرحمن وأطاعوا الشيطان ! فهيات هيات لما يقولون ! (سيصيب الذين أجرموا صغار) ذل وهوان .

فَمَنْ يردُ اللهُ أَنْ يهدِيَهُ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ
 يردُ أَنْ يضلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّما
 يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرَّجْسَ عَلَى
 الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا
 قَدْ فَهَمْنَا الْآيَةَ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٦٦﴾ * هُمْ دَارُ
 السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٧﴾
 وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا بِمَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ
 الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْمَعْ بِمَعْضَا
 بَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ
 فَخَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٨﴾
 وَكَذَلِكَ نُوحِيَ إِلَى بَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦٩﴾
 بِمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ رُسُلَ مَنْكَ يَقْبِضُونَ
 عَلَيْكَ آيَاتِي وَيُتَدْرُونَكَ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا

على

الذي جعلته نهاية لحياتنا واستمتاعنا (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً) أي نجعلهم أولياء بعض؛ عقوبة
 لهم على ظلمهم، أو نسلط بعضهم على بعض فيهلك (بما كانوا يكسبون) يفعلون من المعاصي

(ومن يرد أن يضلّه) أي يزيده على
 ضلاله الذي اختاره لنفسه وارتضاه (يجعل
 صدره ضيقاً حرجاً) الحرج: شدة الضيق
 والاقباض (كأنما يصعد في السماء) أي يصعد
 فيها؛ وهو كناية عن بعد مثال الإيمان،
 وعن تكلفه ما لا يطيقه، أو هو كناية عن
 الضيق الذي يأخذ بتلابيه من كل جانب
 (كذلك يجعل الله الرجس) العقاب والغضب
 (على الذين لا يؤمنون) بالله، ولا يصدقون
 برسله (وهذا) الإيمان (صراط ربك)
 طريقه: الذي رسمه لعباده، وارتضاه لهم؛
 فن حاد عنه: حاد بارادته واختياره، ومن
 سلكه: فقد سلكه بارادته وتوفيق ربه له
 (لهم دار السلام) الجنة: دار الأمن والسعادة
 والسلامة (بمَعْشَرَ الْجِنِّ) المراد بهم الشياطين
 (قد استكبرتم من الإنس) أي أضلتم كثيراً
 منهم بإغوائهم (وقال أولياؤهم) الذين أطاعوهم
 (من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض) في
 الدنيا: استمتع الجن بطاعة الإنس واتباعهم
 لهم، واستمتع الإنس بالشهوات التي زينها
 لهم الشياطين (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا)
 القيامة التي جعلتها موعداً لنا، أو الموت

عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَرَّيْتُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ
 أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٧١﴾ ذَلِكَ أَنْ لَوْ يَكُنُ رَبُّكَ مُهْلِكًا
 أَفْعَىٰ يَظْلِمُ أَهْلَهَا عَتِيفُونَ ﴿١٧٢﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ
 مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَنِيْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَرَبُّكَ
 الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يَدْهَبِكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ
 مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءآخَرِينَ ﴿١٧٤﴾ إِنْ
 مَا تَوَعْدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٧٥﴾ قُلْ يَتَقَوْمِ
 أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ
 تَكُونُ لَهُ رِجْزَةُ الدَّارِ إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٧٦﴾
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا
 هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ
 فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ فَمَا يَصِلُ
 إِلَيْهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٧٧﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ الْمُشْرِكِينَ

(وغرتهم) خدعتهم (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى يظلم) منه لها؛ فتعالى الله عن الظلم! وإنما هم
 ظلّموا أنفسهم باتباع الهوى والشيطان، وانتشالهم بالحياة الدنيا وزخرفها، عن الآخرة ونعيمها (وأهلها
 غافلون) بدون رسول أو نذير (ولكل) من الجن والإنس (درجات) في الجنة، أو درجات في النار
 (مما عملوا) من خير أو شر (انظر آية ٣١ من سورة الأحقاف) (وربك الغني) يعطي من يشاء إعطائه،
 ويرزق من يشاء رزقه بغير حساب؛ ورزقه تعالى ماله من فقاد! وهو جل شأنه (ذو الرحمة) الواسعة! قال
 تعالى «ورحمتي وسعت كل شيء» جعلنا الله
 تعالى من وسعته رحمة، وتناوله مغفرته،
 وشملته عنايته ورعايته! (إن يشأ يذهبكم)
 بالإهلاك أو بالموت (ويستخلف) يخلف من
 يخلفكم على هذه الأرض؛ خلقاً آخر أطوع
 منكم (إن ما توعدون) به؛ من العذاب
 والقيامة (لآت) لا محالة (وما أنتم بمعجزين)
 بفائتين عذابنا إذا أنزلناه (قل يا قوم اعملوا
 على مكاتبتكم) أي اعملوا على تمكّنكم من
 أمركم، وأقصى استطاعتكم في الكفر (لأن
 عامل) ما في استطاعتي من طاعة لربي، وإيمان
 به! (فسوف تعلمون) غداً يوم القيامة؛ عند
 نزول تقمة الله (من تكون له عاقبة الدار)
 أي العاقبة المحمودة في الآخرة (وجعلوا لله
 مما ذرأ) أي ما خلق. ذراً الله الخلق:
 خلقهم. وذراً الشيء: كثره (من الحرث)
 الزرع (والأنعام) الإبل والشاة؛ وتطلق على
 الإبل خاصة (نصيباً) قسماً وجزءاً (فقالوا
 هذا) النصيب (لله بزعمهم) جعلوا منها
 أيضاً نصيباً؛ وقالوا (هذا لشركائنا) يعنون
 الأصنام (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله
 وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) قيل:
 كان إذا اختلط ما جعلوه لله بما جعلوه
 لشركائهم: تركوه، وإذا اختلط ما جعلوه
 لشركائهم بما جعلوه لله: أخذوه. وقد يكون

المعنى: أن الله تعالى لا يقبل منهم شيئاً؛ فما جعلوه له فهو مردود عليهم، وغير مقبول منهم، وواصل
 إلى شركائهم؛ فلينظروا ثوابه منهم لا من الله (وكذلك) كما زين لهؤلاء المشركين أن جعلوا لله نصيباً
 ولأصنامهم نصيباً (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) بالوآد: زين لهم ذلك (شركاؤهم) من
 الشياطين؛ وسامهم تعالى شركاء: لأنهم يتبعونهم ويستمعون لإيهم؛ كطاعتهم واستماعهم لله؛ فهم بذلك
 - في نظرهم - شركاء لله في العبادة؛ أو المراد بالشركاء: أصدقاء السوء؛ الذين يزنيون الكفر والمعاصي؛
 فمنهم من زين الوآد خشية الفقر، ومنهم من زينته خشية فضيحة الزنا وهوان السبي! زينوا ذلك لهم

(ليردوم) ليهلكوم بهذا الجرم والإثم (وليلسوا) ليخطوا (عليهم دينهم) فلا يعرفون ما أحله الله تعالى مما حرمه (ولو شاء الله ما فعلوه) ولكنه تعالى تركهم وشأنهم : خلق لهم عقولا يفكرون بها ، ويبت لهم رسلا يهدونهم إلى ما ينفعهم ، وأنزل عليهم كتباً يستضيئون بنورها ، ويسرون على هديها ، وأبان لهم فيها ما يضرهم وما ينفعهم «وهديناه النجدين» «فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» (فذرهم) دعهم يا محمد واتركهم (وما يفترون) وما يخلقون من باطلهم (و) من جملة افتراءهم وكفرهم أن (قالوا) على

الأنعام والحرث التي وهبها الله تعالى لهم ، وأحلها لمن شاء من عباده (هذه أنعام وحرث حرام (لا يطعمها) لا يأكلها (إلا من نشاء) من خدمة الأوثان ، وسدنة الأصنام (بزعمهم) بباطلهم وكذبهم. والزعم: القول الحق ، أو الباطل والكذب . وأكثر ما يستعمل في الباطل وفيما يشك فيه (وأنعام حرمت ظهورها) أي حرم ركوبها ؛ كالسائبة والبحيرة والحامى (سيجزبهم) ربهم (بما كانوا يفترون) عليه من أحكام لم ينزلها ، وشرائع لم يصرعها (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام من الأجنة والألبان (خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) قيل: هي البحائر والسواحب ؛ كانوا ينحسون الذكران وحدهم يشرب ألبانها وأكل أولادها (وإن يكن) الجنين (ميتة فهم) نساء ورجالا (فيه شركاء) يأكلونه جميعاً (سيجزبهم) ربهم (وصفهم) أي سيجزبهم عقوبة كذبهم وافتراءهم (وهو الذي أنشأ) خلق لكم وأبدع (جنات معرشات) حدائق ذات أفنان وظلال (والنخل والزرع مختلفاً أكله) أي ثمره الذي يؤكل ؛ يختلف في الطعم ؛ فهذا حلو ، وهذا حامض ، وهذا من «صنع الله الذي أتقن كل شيء» (والزيتون والرمان متشابها) في الحلقة والشكل والأغصان والأوراق (وغير متشابه) في الطعم (كلوا

قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَ لَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِمْرَ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ يَزِجُّهُمْ وَأَنْعَمُ حَرِمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَدْرُكُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٧٣﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرْنَا وَمَحْرَمٌ عَلَى الْأَرْوَاجِ وَإِنْ يَكُنْ مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٧٥﴾ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مَتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ

وَلَا تُسْرِفُوا

من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه) أي زكاته (يوم حصاده) بدون تأخير ؛ فقد وجب حق الفقير بالحصاد . وقيل : المراد بحقه : التصدق من الحب والثمار على الفقراء ؛ وهو حق ثابت : مأمور به ، مثاب عليه ، معاقب على تركه ! وهل يجوز لك - أيها المؤمن الكريم - أن تتم وعيالك برزق الله ؛ دون أن تؤتي منه عيال الله؟! وهل يجوز لك - أيها المؤمن الرحيم - أن تبيت مطمئن النفس ، ممتلئ البطن ؛ والفقير بجوارك طاوي الكشح ، متطلع إليك ، حائق عليك؟! !

وقد تفألَى بعض الصوفية ؛ فقال : إن لكل نعمة حقاً ، وأن مرتب الموظف يستحق حقه يوم قبضه ؛ الذي هو «يوم حصاده» .

وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١١٦﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ
 حَمَلَةٌ وَفَرَسَاتٌ لِّكُلِّمَا رَزَقَتْكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ
 الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُرْهُدٌ مُّبِينٌ ﴿١١٧﴾ تَمَنِّيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ
 الْأَصْبَانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرَاثَيْنِ قُلْ ءَالِدُكُمْ حَرَامٌ
 الْأَنْثَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ نِسْوَةٌ
 يَّعْلَمُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٨﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ
 اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدُكُمْ حَرَامٌ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
 أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا
 فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٩﴾ قُلْ لَا أُجِدُ
 فِي مَا أُرْحَىٰ إِلَىٰ مَحْرَمٍ عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 مِثْمَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَيْرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
 أُهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَدُوٌّ فَإِنَّ رَبَّكَ

(ولا تسرفوا) في حبس الزكاة عن أربابها ، والحقوق عن أصحابها ؛ إذ أن هذا هو منتهى الإسراف في
 البخل ! أو أريد بالإسراف : الخطأ في العطيّة ؛ بأن يعطى من لا يستحق . وزعم قوم من المفسرين - أنابهم
 الله تعالى - أن الإسراف : مجاوزة القدر في الإعطاء ؛ حتى ييحف صاحب المال بنفسه . وهو قول غير
 مستساغ ؛ إذ أنه لا سرف في الخير ! وقد فاتهم أن الله تعالى أعقب ذلك بقوله (إنه لا يحب المسرفين) وما من
 أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يستطيع أن يقول : إن الباذل ماله في سبيل مرضات الله ؛ مستوجب لغضب
 الله ، والحرمان من محبته ؛ وهو جل شأنه
 القائل : «ويطمعون الطعام على حبه . وآتى
 المال على حبه» .

يقول الله تعالى «وهو الذي أنشأ جنات
 معروشات وغير معروشات والنخل والزرع
 مختلفا أكله والزيتون والرمان مثابها وغير
 مثابها» أى هو الذي أنشأ كل هذا بقدرته
 وعظمته ؛ لا أنتم بجزئكم الأرض ، ووضعكم
 البذر ؛ ولو شاء لما أنشأها ، ولجعلها قاحلة
 مجدبة ؛ فالفضل له وحده لا لكم وهو جل
 شأنه مالكمها ومالككم ! فالكم إذا قيل
 لكم : «كلوا من ثمره إذا أثمر» أكتم .
 وإذا قيل لكم : «وأتواحقه يوم حصاده»
 تناصبتم وأعرضتم ! فلا تبكوا إذا أترعها منكم
 واستخلف عليها قوما غيركم ؛ يطيعون أمره ،
 ويحتنون نبيه ! ولا تقولوا عند حضور آجالكم
 «رب لولا آخرتني إلى أجل قريب فأصدت وأكن
 من الصالحين» ولو أخركم لعدتم لما نهيتم عنه ،
 ولبختم بالخيرات ، وأسرفتم في اللذات ! «ولن
 يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خير بما
 تعملون» .

فانظر - يارعاك الله - كيف عبر تعالى
 بقوله : «وأتواحقه يوم حصاده» وتأمل واعلم
 أن للمال حقا في أعناقنا ؛ يأمرنا الله تعالى

بأدائه لأربابه ! وانظر لمبلغ هذا النظام ، الذى وضعه خالق الأنام ؛ ومدى لإضافه وحسنه ، والفائدة التى
 تعود على المعطى قبل العاطى (١) ، وعلى المنفق قبل المنفق عليه : تملك الأرض فتنتب لنا من خيراتها ، بغير
 حول لنا ولا قوة ؛ بل بقدرته تعالى وإرادته ! ويأمرنا الرزاق الوهاب لسائر هذه النعم أن نعطى الفقير حقه
 فيها - ولو شاء - لجعله المالك لها ، ونحن الفقراء إلى قليل العطاء - فنأبى إلا أن نشح ونبخل ؛ فنورد
 أنفسنا النيران ، ومحل بوادينا الحسران ! فانظر بربك أيها المنصف لو أن الخلائق عملت بإرشاد الخالق =

== وأخرجت مافي ذمتها من الصدقات والزكاة ؛ لما بقى على ظهرها إنسان ، يشتكى الفقر والحرمان ؛ ولحل
 الروثام مكان الحصام ، والرفاق مكان الشقاق ؛ وإذا نظرت - بين التدبر - إلى معظم الجرائم لوجدت أن السبب
 الأول ؛ بل السبب الأوحده فيها هو المال والمال وحده : يتمتع الغني بسائر ضرور التمتع ، ويكسر قلب
 الفقير بما يظهره من نفيس الملابس ، ولذيذ المظم ، وفاره المركب (١) فيدفعه الفقر ، والحقد ، والجوع إلى
 ارتكاب السرقة ، والنهب ، والسلب ، والقتل ؛ ويعلم الله تعالى وحده أن تبعه هذه الآثام لا تقع على

الجزء الثامن

الجاني ؛ بل على المحيي عليه ؛ فليأدر من يتقى
 الله ويخشاه ، ويحذر عقاب آخرته وشقاء
 دنياه ؛ وليخرج مافي عنقه من زكاة ماله ،
 وصدقات أوجبها عليه ربه ؛ عن طيب خاطر
 وصفاء نية ؛ ففي هذا النعم الأكبر ، والخير
 الأوفر ؛ (ومن الأنعام حمله) أى تتخذونها
 لحمل الأثقال (وفرشاً) أى تتخذون من
 أصوافها وأوبارها ما تقدرشونه . وقيل :
 الحمله : الأنعام الكبيرة التي يحمل عليها .
 والفرش : الصغار التي لم يحمل عليها بعد .
 وقيل : الحمله : ما حمل عليه من الإبل والبقر
 والحيل والبغال والحمر وغير ذلك . والفرش :
 الفم والمز (ثمانية أزواج) هو بيان للحمله
 والفرش ؛ أى ومن الأنعام أنشأ تعالى لكم
 ثمانية أزواج (من الضأن اثنين ومن المزمز
 اثنين) زوجين اثنين ؛ يريد الذكر والأنثى ؛
 فذلك أربعة أزواج ؛ لأن كل واحد من الاثنين
 زوج للأخر ؛ والواحد إذا كان وحده فهو
 فرد ، وإذا كان معه غيره من جنسه : سمي
 كل واحد منهما زوجاً ، وهما معاً زوجان ؛
 يدل على ذلك قوله تعالى «خلق الزوجين الذكر
 والأنثى» (قل) يا محمد لهؤلاء الذين حرّموا
 ما حرّموا - من الحرث والأنعام - اتباعاً
 للشيطان (الذكرين) من الضأن والمزمز
 (حرم) ربكم (أم الأثنين) منها (أم

عَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿١٧٤﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلَّ ذِي ظُنْفُرٍ
 وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمًا عَلَيْهِمْ مِّمَّوهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ
 ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ
 بِبِقِيَّتِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٧٥﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ
 ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يردُّ بَأْسَهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٧٦﴾
 سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا
 وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
 حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا
 إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِن أَنتُمْ إِلَّا مُخْرَصُونَ ﴿١٧٧﴾ قُلْ فَلِلَّهِ
 الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٨﴾ قُلْ هَلْ
 شَهِدْنَا بِكُمْ أَن لَدِينٍ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا
 فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرْبِمُ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٩﴾

* قل

ما اشتملت عليه أرحام الأثنين) من الضأن والمزمز ؛ وذلك لأنهم - لعنهم الله تعالى - كانوا يجرمون
 الذكران تارة ، والإناث تارة ، وما اشتملت عليه أرحامها تارة أخرى ؛ وكذلك كان شأنهم بالنسبة للإبل
 والبقرة (أم كنتم شهداء) حضوراً مشاهدين (إذ وصاكم الله بهذا) التحريم الذي تزعمونه (قل لا أجد فيما
 أوحى إلى محرمات على طاعم يطعمه) أى على آكل يأكله (فانه رجس) قدر ونجس . والرجس : كل عمل
 يؤدى إلى العذاب والعقاب (أو فسقاً) الفسوق : الخروج عن الطاعة (أهل لعن الله به) =

(١) الفاره من المركب : المليح الشديد . ويطلق على الجارية المليحة الفتية .

* قُلْ تَعَالَوْا أَنزَلْنَا مَاحِرَمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ آلَ شُرُكُوتِهِمْ
 شَيْئًا وَالَّذِينَ إِحْسَنَّا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِنَّا لَإِ
 نْحَنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَرْحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
 وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
 ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ
 الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
 بِالْكَيْلِ وَالْوَيْزَانِ بِالْقِسْطِ لَّا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
 وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْبُدِ اللَّهُ أَوْفُوا
 ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ وَإِنَّ هَذَا
 صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ
 عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾
 ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَىٰ الَّذِي أَحْسَنَ
 وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّاهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ

= أى ذكر اسم غير الله تعالى عليه ؛ وسمى «فسقاً» لأنه خروج عن طاعة الله تعالى ، وإعلاء لاسم غير
 اسمه ، في موضع يجب ذكر اسمه تعالى فيه ؛ وقد كانوا في الجاهلية يذبحون على النصب ، ويذكرون اسم
 آلهتهم . ويقاس عليه ما يفعله الآن جهلة العوام من تسمية الأولياء عند الذبح ؛ خاصة في الموالد التي يقيمونها
 (فن اضطر) إلى أكل شيء من هذه الحرمات ؛ كأن أوشك على الهلاك جوعاً ، ولم يجد ما يتبلغ به
 سوى ميتة ، أو لحم خنزير ، أو دماً ، أو ذبيحة أهل لغير الله بها ؛ فله أن يتناول منها القدر الذى يسد
 رمقه فحسب ؛ ولا يزيد فيبلغ بما يأكل كل حد

الشئ ؛ وبشرط أن يكون (غير باغ) على
 أحد من جماعة المسلمين ؛ كأن يكون قاطعاً
 للطريق ، أو مبتغياً لإثم ؛ وأوشك من
 جوعه على التلف ؛ فإنه ليس له أن يتمتع برخصة
 الله تعالى ؛ إلا أن يتوب وينيب ؛ كما أنه ليس
 له أن يأخذ برخصة الإفطار في رمضان وقصر
 الصلاة ؛ في حالة السفر (ولا عاد) معتد على
 آخر ؛ بأن يختطف قوته من هذا المأكول
 الحرام المحلل . أو هو «غير باغ» متلذذ بما
 يأكل ؛ بغير ضرورة ملحة «ولاعاد» متجاوز
 حاجته التي تدفع عنه الموت (وعلى الذين هادوا)
 اليهود (حرمانا كل ذى ظفر) وهو كل مالم
 يكن منفرج الأصابع من البهائم والطيور ؛
 كالإبل ، والأوز والبط ، وأشبابها (ومن
 البقر والنم حرمانا عليهم شعومها) ظاهر
 الآية يدل على أن التحريم تناول سائر
 شعومها (إلا ما حلت ظهورها) من الشحم
 (أو الحوايا) الأمعاء ؛ أى ما حلت الأمعاء من
 الشحم (أو ما اختلط) من الشحم (بعظم)
 فجميع ذلك مباح . وقيل ؛ إنما حرم الله تعالى
 التروب خاصة ؛ وهى الشحم الرقيق يكون على
 الكرش والأمعاء (ذلك) التحريم (جزيناهم
 بغيرهم) أى بسبب بغيرهم وكفرهم (فإن كذبوك
 فقل ربكم ذو رحمة واسعة) لا حد لها ، تسع

كل شيء (ولا يرد بأسه) عذابه ؛ رغم رحمة الواسعة (عن القوم الجرمين) فإن من تمام رحمة تعالى
 الاتصاف من الجرمين ، والاتقاف من الظالمين للظالمين (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا)
 أشرك (أباؤنا) فهو راض عن هذا الشرك ؛ ولو لم يرضه «ما أشركنا» وهى حجة الكافرين والمعادين
 في سائر العصور ؛ «لو شاء الله ما أشركنا ، لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ، لو شاء الرحمن
 ما عبدناهم ، أنطمع من لو يشاء الله أطعمه» يجاجون بذلك ربهم ؛ ووجهه تعالى فأتمه عليهم ؛ وله تعالى الحجة
 البالغة ؛ «فن شاء فيؤمن ومن شاء فليكفر» (كذلك) أى مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من
 قبلهم) وقالوا مثل قولهم (حتى ذاقوا بأسنا) عذابنا (قل هل عندكم من علم) بأن الله تعالى راض عن =

== شرككم وشرك آبائكم ؟ (وإن أتم الا تحرصون) تكذبون (قل لله الحجة البالغة) على الناس جميعاً ؛ حيث لاجحة لأحد عليه ؛ وحيته تعالى تقطع كل العاذير ، ونزير سائر الشكوك : ألم يرسل لعباده الرسل ، وينزل عليهم الكتب ؛ ويسلكها في قلوب الكافرين لعلمهم يؤمنون ؟! فأى عذر بعد ذلك للجاحد المعاند ؟! ألم يبدل له خالقه كل السبل الموصلة إلى معرفته فأعرض عنها واتبع هواه ؟! ألم يقم له الدليل ولو الدليل على قدرته ووحديته فأبى إلا ضللاً وخبلاً ؟! وهل بعد هذا تقوم له حجة بقوله « لو شاء الله ما أشركنا ولا آبائنا » وهي كلمة حق أريد بها باطل ؛ لقد قال العظيم الكريم « ولا يرضى لعباده الكفر » فكيف يريد ما لا يرضى ؟ بل كيف يعذب على ما أراد ؟ فيأبى الكافر الفاجر ؛ المشرك بربه ، المجترى على خالقه : لقد هداه ربك إلى معرفته فأنكرت ، ودعاك إلى رحمة فأعرضت ، وسلك الإيمان في قلبك فأبيت ! وبعد ذلك تريد أن تستر وراء منطق الجهال ، وقول الضلال : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آبائنا » ونسيت قول الحكيم العليم « لمن شاء منكم أن يستقيم » (انظر آيتي ٢٠٠ من سورة الشعراء ، و ٢٨ من سورة التكوير) (قل هلم شهداءكم أي هاتوا شهداءكم (فان شهدوا) أي فان شهد شهداؤهم زوراً بأن الله تعالى حرم ما حرموه من حرثهم وأنعامهم (فلا تشهد معهم) أي فلا تجالسهم ولا تخاطبهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) لأنهم تركوا الحق الذي أنزل إليك ، واتبعوا أهواءهم (وهم بربهم يعدلون) أي يجعلون له عدلاً . والعدل : المثل (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) من فقر (نحن نرزقكم وإياهم) وخوف الإملاق : كفر بالخلق ! فقد خلق الله تعالى الخلق وتكفل بأرزاقهم - ولو كانوا في مهمه فقر - ألا ترى أنه تعالى يرزق المشجرة داخل الصخر الأمم ! ؟

يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٦﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُوكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٧٧﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ النَّبِيُّ عَلَيْنَا مِنْ سَمَوَاتِهِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٧٨﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ قَدْ أَكْثَرْتُمْ مِنَ كَذِبٍ عَلَيَاتِ اللَّهِ وَصَدَقَ عَنْهَا مَنْ جَزَىٰ الَّذِينَ يَبْغِيُونَ عَنْ هَٰئِنَّا سَوْءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْذِقُونَ ﴿١٧٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لِذَنْبِهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ مِمَّا كَانُوا يَصْذِقُونَ ﴿١٨٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَفَرُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

تَعْلُونَ

(ولا تقربوا الفواحش) الكبائر (ما ظهر منها) كالقتل ، والسب (وما باطن) كالزنا والغبية . وقيل : أريد به سر الزنا وعلانيته (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) الذي يوجب قتلها ؛ كقتل القاتل ، أو القتل دفاعاً عن النفس ، وأمثال ذلك (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) وهي أن تستثمره له ، وأن تؤدوا زكاته (حتى يبلغ أشده) بلوغ الأشد : هو قوة البدن ، وزيادة المعرفة بالتجربة ؛ وهو ما بين ثمان عشرة إلى ثلاثين . وهو أيضاً بلوغ الحلم (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل (لا تكلف نفساً إلا وسعها) أي لا تكلفها إلا طاقتها - في إيفاء الكيل والوزن - وقد جاء ذلك الضابط خشية التخرج والتأثم ؛ فيضطر البائع إلى زيادة الكيل والموزون ، ويضطر المشتري بدوره إلى أخذ ما يقل عن استحقاقه =

فيهما ؛ وبذلك تضيق صدورهما ؛ لذلك أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان في حدود الطاقة البشرية ؛ بغير ما ظلم ولا غبن (وإذا قلتم فاعدلوا) أى إذا حكمت بين الناس ، أو أديتم شهادة ؛ فاحكموا بينهم وأدوا الشهادة بالعدل (ولو كان) المحكوم عليه أو المشهود ضده (ذا قرين) وذلك عهد الله تعالى عهد به لا يسلك (وبعهد الله أوفوا) لتؤجروا ، وتدوقوا حلاوة الطاعة وعزها ، وتتجنبوا مرارة المعصية وذلكها (انظر آية ١٤ من سورة لقان) (وان هذا) الذى أمرتكم به ، وعاهدتكم عليه ؛ من عدم الإشراك بى ،

سورة الأسماء

١٧٧

وبالإحسان إلى الوالدين ، وبالنهي عن قتل الأولاد خشية الفقر ، وعن قربان الفواحش «ما ظهر منها وما بطن» وعن قتل النفس «إلا بالحق» وعن قربان مال اليتيم «إلا بالتي هي أحسن» وبالوفاء بالكيل والميزان ، وبالعدل في الحكم والشهادة ؛ فجميع ذلك (صراطى) أى طريق (مستقيماً) واضحاً ، موصلاً إلى خيرى الدنيا والآخرة (فاتبعوه) لتؤجروا (ولاتتبعوا السبيل) الطرق المختلفة ، والأهواء التباينة ، والديانات المتعددة (فتفرق) فتتفرق وتبيل (بكم عن سبيله) عن طريقه تعالى الذى وصفه بالاستقامة ، وبالتالي يكون غيره مائلاً عن الحق معوجاً ؛ قال تعالى «الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً» (ثم آتينا موسى الكتاب) التوراة (تماماً على الذى أحسن) أى تماماً للنعمة على الذى أحسن الطاعة ، وتجنب المعصية (وتفصيلاً لكل شىء) يحتاجون إليه (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) هو القرآن ؛ كبير النفع ، كثير الخير ، عظيم البركة ! (أن تقولوا) أى لثلاثا تقولوا إذا لم نزل عليكم القرآن (إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) هما اليهود والنصارى ؛ وقد نزل عليهما أشهر كتابين - بعد القرآن - نزلاً من عند الله : التوراة والإنجيل (وان كنا عن دراستهم)

يَقُولُونَ ﴿١٧٦﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ لِكِ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ بِرِهِيمٍ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٨﴾ قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٩﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٨٠﴾ قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ إِبْنِي رِبًّا وَهَوْرِبُّ كُلَّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ قُلْ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ رَبُّكُمْ ۚ مَرْجِعُكُمْ فِينَيْتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٨١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغُكُمْ فِي مَآءِ اسْتِكْرَٰهٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

أى عن دراسة هذه الأمم لكتايبها (لعافلين) لأنهما لم ينزلا بلساننا ، ولا بلفظنا ، ولم نؤمر باتباعهما . فأُنزل الله القرآن قطعاً لهذه الحججة ؛ ومنها يعلم أن الله تعالى لا يؤاخذ من لم يصلحهم كتاب ، ولم ينذرهم رسول ؛ قال تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» (أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب) الذى أنزل عليهم (لكننا أهدى منهم) أى لكننا أشد استقامة ، واتباعاً لما فى الكتاب ، وأطوع لله من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا ؛ قال تعالى ؛ رداً على هذه الحججة المقترضة (فقد جاءتكم بينة من ربكم) كتاب عربى بلسانكم ، مبين لما تحتاجون إليه (وهدى ورحمة) لمن عمل به واتبعه (فمن أظلم) أى لا أحد أظلم (من كذب بآيات الله) بعد إذ جاءت به (وصدف) أعرض وصد (عنها) سنجزى الذين يصدفون عن =

= آياتنا سوء العذاب) أسوأه (هل ينظرون) ما ينتظرون (إلا أن تأتيهم الملائكة) أى ملائكة الموت لقبض أرواحهم (أو يأتي ربك) يوم القيامة للحساب والجزاء (أو يأتي بعض آيات ربك) علامات الساعة؛ كطول الشمس من مغربها؛ وحيثئذ (لا ينفع قسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) أى من قبل حضور الموت، وظهور علامات القيامة (أو كسبت في إيمانها خيراً) وهو الإخلاص في الإيمان (إن الذين فرقوا دينهم) وهم اليهود والنصارى (وكانوا شيعاً) فرقاً متباينة (لست منهم في شيء) أى لست مسئولاً عما فعلوا.

وقيل: عنى بالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً: أهل البدع والضلال من هذه الأمة؛ الذين اتبعوا ما تشابه من القرآن، وأولوه طبقاً لأهوائهم (إنما أمرهم) أى عاقبة أمرهم (إلى الله ثم ينيهم بما كانوا يفعلون) فيجازيهم عليه «أحصاه الله ونسوه» (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) المراد بالعشر: الكثرة دون العدد؛ فقد يبلغ الجزاء مالا يحصره حد، ولا يحصيه عد! وقرأ إن شئت قول المنان الوهاب، المطلق من يشاء بغير حساب: «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم» (انظر آية ٢٦١ من سورة البقرة) (صراط) طريق (دينا قيا) مستقبلاً عوج فيه؛ و«قيا» قيا؛ وبه قرأ سائر القراء عدا الكوفيين وابن عامر (ملة إبراهيم حنيفاً) مسلماً (وما كان) إبراهيم (من المشركين) بل كان أول المهادين للمرك، المستنلين على الوحداية بالعقل والمنطق والتدبر! (انظر الآيات ٧٦ وما بعدها من هذه السورة) (قل إن صلاتي ونسكي عبادةي) (وبذلك أمرت) من ربي ومن عقلي الذي وهبني وأكرمني به! (ولا تكسب كل نفس) إنما (إلا عليها) أى لا يقع وبال إنما إلا عليها (ولا تزر وازرة وزر

(٧) سُورَةُ الْاِخْرَافِ مَكِّيَّةٌ
الآ من آية ١١٣ إلى غاية آية ١٧٠ قُدْسِيَّةٌ
وَأَمَّا ٢٠٦ فَتُرِكَتْ بَعْدَ هَذَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصَّ ۝ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَا تَكُن فِي صَدْرِكَ
حَرَجٍ مِّنْهُ لِنُبَيِّنَ لَكَ بِهِ ذِكْرًا لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ أَتَّبِعُوا
مَا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا
بِأَسْنَانٍ يَّتَسَاءَلُونَ ۝ قَا كَانَ دَعْوَاهُمْ
إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانٍ إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝
فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝
فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ عِلْمَهُ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ۝ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ
الْحَقُّ ۝ قَمَن نَّقَلْتُمْ مَوَازِينَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝

ومن

أخرى) الوزر: الإثم، والحمل الثقيل؛ أى لا تحمل نفس آثمة لثم نفس أخرى (وهو الذي جعلكم خلائف) جمع خليفة (الأرض) أى أهلك من سبقكم، واستخلفكم مكانهم (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) في العلم والجاه والمال والسلطة (ليلوكم) ليختبركم (فيا آتاكم) فيا أعطاكم من نعمه؛ ولعلم - علم ظهور - من أطاعه فيما آتاه، وأحسن فيما وهبه! (إن ربك سريع العقاب) لمن عصاه وخالفه؛ فليبادر من ابتلى بالعصيان والحرمان إلى الرجوع إلى ربه، والمآب إلى خالقه! «فيحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» (وإنه لظفور) لمن تاب وأتاب (رحيم) به؛ فلا يؤاخذ به بما سلف من أمره؛ تفضلاً منه تعالى ورحمةً بخلقته!

(سورة الأعراف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المس) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (كتاب أنزل إليك) القرآن الكريم (فلا يكن في صدرك حرج) ضيق (منه) أي لا يكن في صدرك غم أو ضيق من عدم إيمانهم بما أبلغته إليهم من القرآن المنزل عليك ؛ وهذا كقوله تعالى : «لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين» (لتنذر به) أي

«كتاب أنزل إليك ؛ لتنذر به» (وذكري) تذكري (للمؤمنين) الذين يخشون ربهم ومحافظون سواء الحساب (ولا تتبعوا من دونه) غيره (أولياء) طيعوهم في معصيته تعالى والكفر به (وكم من قرية) ظالمة (أهلكناها فجاءها بأسنا) عذابنا (بيانا) ليلا (أو هم قائلون) أي وقت القيولة . والمعنى : فجاءها عذابنا ليلا أو نهاراً ؛ كما نريد (فما كان دعواهم) دعاؤهم وتضرعهم (إذ جاءهم بأسنا) حين جاءهم عذابنا (فلنسالن الذين أرسلنا إليهم) أي الأمم عما فعلوه من عصيان رسلهم ، وكفرهم بربهم (ولنسالن المرسلين) عما أجابوا به ، وما لاقوه من عنت وتكذيب (فلنقصن عليهم) لنخبرنهم بما فعلوه (بعلم) منا ؛ لأننا حاضرهم معهم ، مشاهدون لأعمالهم (والوزن) للأعمال الحسنة أو السيئة (يومئذ) يوم القيامة (الحق) العدل ؛ لزيادة في السيئات ، ولا نقصان للحسنات (انظر آية ٤٧ من سورة الأنبياء) (فمن نقلت موازينه) أي ما يوزن له من الحسنات (فأولئك هم المفلحون) الفائزون ؛ (ومن خفت موازينه) أي نقصت حسناته (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) حرموها من النعيم ، وأضاعوها

١٧٩

سورة الأعراف

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلُمُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكَ فِي الْأَرْضِ
وَجَعَلْنَا لَكَ فِيهَا مَعَاشٍ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٢﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكَ ثُمَّ صَوَّرْنَاكَ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٣﴾
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ
خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٤﴾ قَالَ فَأَهْبِطْ
مِنْهَا فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ
مِنَ الصَّافِرِينَ ﴿٥﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٦﴾
قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٧﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقُودَنَّ
لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٨﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٩﴾ قَالَ أَنْتَرَجُ مِنْهَا مَذْمُورًا

في الجحيم (عما كانوا بآياتنا يظلمون) أي يجدون (ولقد مكناك في الأرض) أي جعلناك متمكين منها ، قادرين عليها ؛ ذوى مكانة فيها (وجعلنا لك فيها) أي في الأرض (معاش) أي أسبابا للعيشة ؛ من مطعم ومشرب وملبس ؛ فضلا من لدنه تعالى ! (ولقد خلقناك) أي خلقنا أصلك وأباك آدم من طين (ثم صورناك) أي صورنا آدم في صورته الإنسانية ، وفقضنا فيه الروح . أو يكون معنى «خلقناك ثم صورناك» : إشارة إلى حكمه تعالى وتقديره لإحداث البشر في هذا العالم - منذ بدايته حتى نهايته - وتصويره لهم على حقيقتهم التي علمها قبل أن يصورهم ، ولإنبات جميع ذلك في اللوح المحفوظ ؛ الذي أنبت فيه تعالى كل ماهو كائن (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) كان الأمر بالسجود لما خلقه الله تعالى بيديه ؛ لا لأن آدم مستوجب =

للسجود مستحق له ؛ قال تعالى : «يا إيليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي» وقد ابتداء اللعين ، يحاج رب العالمين ؛ فأهلك نفسه ومن اتبعه إلى يوم الدين ! (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) ظناً منه أن النار جسم شفاف نوراني ، والتراب جسم كثيف ظلماني ؛ وهو أول من قال بالقياس ؛ وفاته أن القياس لا يجوز مع صريح النص ؛ فقد أمره تعالى بالسجود وهو عالم أنه مخلوق من نار ، وأن آدم مخلوق من تراب ؛ وهو جل شأنه «يخلق ما يشاء ويختار» (قال فاهبط منها) فانزل من الجنة (فما يكون لك أن

تتكبر فيها) دل ذلك على أن التفاخر بالأنساب من أشد الكبر ! (فاخرج إناك من الصاغرين) أي من أهل الصغار ؛ وهو الذل والهوان ؛ وهكذا كانت الجزاء من جنس العمل : لما تكبر لإيليس وتعالى على أمر الله : أدخله الله تعالى ، وألقى به الصغار والهوان ؛ وطرده من جنته ، وحرمه من رحمته ! (قال) لإيليس لربه (أنظرني) أي أمهلني (قال فما أغويتني) أضللتني ؛ أي باغوائك لي ؛ وهذه إحدى مكائد الشيطان اللعين ؛ حيث ينسب الإضلال لرب العالمين ! إذ أنه تعالى لم يضل إلا بعد أن ضل بنفسه ، وانحط إلى درك المخالفة ، وجادل ربه تعالى بمجادلة الند للند ، وعاب خلقه وصنعه ، وعصى أمره ! ومن عجب أن يقول قوم بما قال به لإيليس ، وينسبون الإضلال لهادي الضلال ، والاغواء لمن ينهى عن الغي ويعاقب عليه ؛ ويقولون : إن لإيليس أعلم بالله ممن ينهى عن ربه الإضلال والإغواء ! (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) (لأقعدن لهم) أي لبي آدم (صراطك المستقيم) أي أمنعهم عن الطريق القويم الموصل إليك (ثم لا ينهين من بين أيديهم) أي من قبل الآخرة ؛ التي هي أملكهم وبين أيديهم ؛ أشككم فيها ، وأزين لهم عدم جيبها وأنه لا بئس ، ولاجنة ، ولا نار (ومن خلفهم) من قبل الدنيا ؛ لأنها

لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ أَجْمَعِينَ ﴿٣٨﴾
 وَيَتَقَدَّمُ أَسْفَلَ أَنْتَ وَرَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلِمًا مِنْ حَيْثُ
 شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾
 فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ
 سُوءِ بَيْتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ
 تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ وَقَامَتَهُمَا
 إِبْرَاهِيمَ لَمَّا كُنَا مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٤١﴾ فَدَلَّهُمَا بِرُؤُوسِهِمَا ذَاتًا
 مِنَ الشَّجَرَةِ يَدْعُهُمَا سَوْءَ بَيْتِهِمَا وَطَافَا بِحُصْنَيْهِمَا
 مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ
 الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٤٢﴾
 قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَرَحْمَتَا لَنَكُونَنَّ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ أَقْبِرُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
 وَلَكُمُ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٤٤﴾ قَالَ فِيهَا

تحوين

وراءهم ؛ أحبيهم فيها ، وأزيدهم تسكبا بها (وعن أيمانهم) من قبل الحق ؛ لأنه يوصف باليمين ؛ أزين لهم أكله ، وأشبه عليهم أمر دينهم (وعن شمائلهم) من قبل الباطل ؛ أشبه لهم المعاصي ، وأدفعهم إلى ارتكابها ! لقد جاءك لإيليس بإبن آدم من كل جانب ، ومن كل وجهة ؛ لكنه لم يأتك من فوق ؛ فلم يستطع أن يحول بينك وبين رحمته ورضوانه ومفقرته ؛ فهلم إلى ربك ، ادعه يستجب لك ، واطلب منه أن يتجيبك من لإيليس ومن ترصده لك ، وإيقاعه بك ! فهو وحده القادر على حمايتك وعصمتك ! عصنا الله تعالى من الممالك ، وأعادنا ممن جعله فتنة للناس ولم يجعل له سلطاناً عليهم ، وأذل جنده ، وأضعف كيده ! «إن كيد الشيطان كان ضعيفاً» (قال اخرج منها مذموماً) معيياً محقراً (مدحوراً) مطروداً (ويا آدم =

== اسكن أنت وزوجك حواء (الجنة فلكا من حيث شئت) فيها (ولا تقربا هذه الشجرة) أي شجرة ؛
 نهما ربهما عنها امتحانا لها وابتلاء ؛ وليسجل عليهما ضعفهما ، وليجأ إليه بالاستغفار ، ويجأرا إليه بالتضرع !
 (فتكونا من الظالمين) لأفسهم بالضعيان (انظر آية ٣٥ من سورة البقرة) (فوسوس لها الشيطان ليبدى
 لها ما وورى) استتر واختفى (من سوءاتها) عوراتها . والسوأة: كل مايسوء الإنسان ظهوره (و) كانت
 وسوسته بأن (قال) لها (مانها كما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين) أي كراهة أن تكونا
 ضمن الملائكة المقربين (أو تكونا من الخالدين)

سورة الأعراف

١٨١

تَحْيُونَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿١﴾ يَتَّبِعِي آدَمَ قَدْ
 أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَيِّدُ سَوَاءَ تَتَكَبَّرُ فِيهَا وَرِيثًا وَيَلْبَسُ التَّقْوَى
 ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾
 يَتَّبِعِي آدَمَ لَا يَفْتِنُكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنْ
 الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ
 هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنْ جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ
 أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا قَالُوا فَحِشَةً قَالُوا
 وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ
 بِالنَّفْسِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قُلْ أَمْرٌ
 رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٥﴾ فَرِيقًا هَدَى
 وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ
 أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُهْتَدُونَ ﴿٦﴾

الباقين أبدا (وقاسمها) حلف لها على صحة
 ما يقول (فدلاهما) أهبطهما من درجات الجنة
 الرفيعة العالية ، إلى دركات الأرض الوضيعة
 السافلة (بغور) أي غرر بهما وخدعهما ؛
 وما كانا يتوهمان أن مخلوقا يقسم بالله تعالى
 كاذبا ! (فلسا ذاقا الشجرة) التي نها عن
 الأكل منها (بدت لها سوءاتها وطفقا
 يخصفان) جملا يلزقان ويشدان (عليهما من
 ورق الجنة) قيل : هو ورق التين .

هذا وقد زعم بعض من لاقيت من المتكلمين
 أن قصة الأكل من الشجرة ليس على حقيقته ؛
 بل هو عن طريق المجاز: وقد أريد به الالتقاء
 الذي يتم بين الرجل وزوجه ، وأن قول إبليس
 «أو تكونا من الخالدين» هو خلود آدم
 وحواء بأبنائهما إلى يوم القيامة وقوله :
 «وملك لا يبلى» هو ملك الدنيا ، والخلافة
 فيها ؛ وأن الشجرة قد تكون على حقيقتها ،
 وأن ماتم بينها كانت تحتها وفي ظلها ؛
 واستدل على رأيه بما بدا لها من سوءاتها
 عند الالتقاء - المشار إليه بالأكل من الشجرة -
 وهو زعم مخالف للجمع ما بأيدينا من أقوال
 المفسرين ؛ ولم يبلغ بعد حد الإقناع الذي
 يازمنا بالقول به ، والدعوة إليه ! (فلا ربنا
 ظلمنا أنفسنا) بمصيانك (وإن لم تغفر لنا) خطيئتنا (وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الهالكين ا وقد أراد
 تعالى بإيراد تلك القصة على هذا الوجه : أن يعلما كيف يخسر العائد «إبليس» نفسه ، وبوردها موارد
 الملكة ، وكيف ينجو المترف بذنبه ، اللاجئ إلى ربه «آدم» فقد «اجتبا ربه فتاب عليه وهدى» (قال
 اهبطوا) أنزلوا من الجنة (بعضكم لبعض عدو) المقصود : آدم وذريته ، والشيطان وقبيله ؛ أو بعض ذرية
 آدم لبعضها أعداء (ولكم) جميعا (في الأرض مستقر) موضع قرار (ومتاع) تمتع (إلى حين) وهو انقضاء
 الأجل (قال فيها) أي في الأرض (تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) تمتعون يوم القيامة للحساب والجزاء
 (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم) يستر عوراتكم التي أراد الشيطان إظهارها (وريشا) =

لباساً للزينة (ولباس التقوى) الذى يقي الجسم مما يؤذيه من الحر والبرد ، أو هو لباس الحرب وقيل : «لباس التقوى» الإيمان وخشية الله تعالى بدليل قوله تعالى (ذلك خير) أى لباس التقوى - الذى يقي عذاب الله تعالى وغضبه - خير من كل لباس ؛ و(ذلك) اللباس الذى أنزلناه عليكم ليوارى سوءاتكم (من آيات الله) الدالة على وحدانيته ؛ فمن المعلوم أن اللباس لا يعدو أنواعاً ثلاثة ؛ كلها تدل على قدرته تعالى ، ويمزج لطفه وإبداعه ؛ فالصوف ؛ من أشجار الأنعام وأوبارها ، والقطن والكتان: مما تنتجه الأرض من خيراتها ، والحرير : تنتجه وتنسجه حشرة من حشرات الأرض ؛ يوحى من ربها ، وإرشاد من خالقها ؛

وجميع ذلك - من حيوان ونبات - مسخر من عند الله تعالى لو أراد منه لامتنع ؛ فتعالى المنعم المفضل ! فما أروع عظاته ، وما أبداع آياته ! (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان) احذروا لتلا يضلنكم (إنه يراكم هو وقبيله) معشره وجنوده (من حيث لا ترونهم) لأنهم أجسام شفاقة لا ترى (إنما جئنا الشياطين وأولياء الذين لا يؤمنون) أى قرناء لهم وأعوانا (وإذا فعلوا) أى إذا فعل الذين لا يؤمنون (فاحشة) قالوا وجدنا عليها آباءنا) فى حين أن تقليد الذنب فى ذنبه ، والآثم فى إثمه لا يقوم عذراً للمقلد (والله أمرنا بها) احتجوا بتقليد الجاهل ، وافتروا على ذى الجلال ! وظنوا أن علم الله تعالى بكفرهم أمر منه به ، ورضا عنه (قل أمر ربي بالقسط) بالعدل ؛ فيجب اتباع أمره ؛ لا معاندته (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) أى توجهوا بكليتكم إليه ، وأخلصوا قلوبكم عند كل سجود . أو أقيموا وجوهكم بالدعاء له فى مواطن الصلاة ؛ ألا ترى لى قوله تعالى «هنالك دعا زكراية» وكان ذلك عند دخوله المحراب (وادعوه) اعبدوه (مخلصين له الدين) أى مخلصين له العبادة ؛ لأن العبادة بلا إخلاص كلا عبادة (انظر آية

الحجزة الثامن

* يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾
 قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالنَّبِيَّ بغيرِ الْحَقِّ وَإِن تَشْرَبُوا بِاللَّهِ مَآلَم يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَنًا وَإِن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾
 وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعْتِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَا بَنِي آدَمَ إِذَا بَاتَ بِكُمْ رُؤْسُكُمْ فَغُضُّوا عَلَى رُءُوسِكُمْ وَأَبْطِئُوا وَاصْلِحْ فَمَا خُوفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْكَنُوا مِنْهَا أُولَئِكَ أُخْتَبِ النَّارُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ قُلْ

أَقْلَمُ

١٧ من سورة البقرة) (كما بدأكم تعودون) أى كما بدأكم من العدم ، يعيدكم بعد العدم ! (فريقاً هدى) الله بهدياته (وفريقاً حق) وجب (عليهم الضلالة) استوجبوها بانصرافهم عن نداء الحق ؛ ونذمهم كلام ربهم وراء ظهورهم ؛ ولم يوجب ربهم الضلالة عليهم ظمناً لهم ؛ وكيف لا يستحقونها وقد بوصفهم الله تعالى بقوله (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء) يوالونهم ويعبدونهم (من دون الله وبحسبون أنهم مهتدون) فحق عليهم غضب ربهم ، ووجب انتقامه منهم ؛ بتركهم فى ضلالهم يعمون ! (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) أى البسوا أغفريابكم وأطهرها ؛ قيل : لأنهم كانوا يطوفون بالبيت عرايا فنزلت . (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) أى «كلوا واشربوا» مما أحله الله «ولا تسرفوا» بتناول ما حرم . أو «كلوا واشربوا» ما يكتفى لفظاً =

أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
 أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْعَذَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ
 رُسُلُنَا يَدْعُوهُمْ قَالُوا إِن مَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ
 اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسُهُمْ كَانُوا
 كٰفِرِينَ ﴿١٧٥﴾ قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم
 مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا
 حَتَّىٰ إِذَا آدَرُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُتْرَبْتُمْ لِأَوْلَئِهِمْ رَبَّنَا
 هَذَا لَآءِ أَسْأَلُونَا فَفَاتِمُهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ
 ضِعْفٍ وَلٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿١٧٦﴾ وَقَالَتْ أَوْلَئِهِمْ لِأَخْرَجْتُم
 قَسَاكُم لَكُرْ عَيْنًا مِن فَضْلِ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
 تَكْسِبُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا
 لَأَنفَعُ لَهُمْ آيَاتُنَا وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ
 الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿١٧٨﴾

أودم ، وبقاء حياتكم «ولاتسرفوا» بالزيادة على ذلك ؛ ولا يجوز لإنسان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يطعم
 هو وأولاده فاخر الطعام ، وجاره يتضور جوعاً ، ويفتقر إلى الخبز الفقار ؛ وكفى بالمرء سرفاً أن ينيل
 بطنه كل ما تشتهى ! وقد جرت عادة أفاضل القوم على أن يطعمون الغير ما يشتهونه هم ، ويحرمون أنفسهم
 مما يبتغون ؛ زجرأ لها وتأديباً ! وهذا إذا جاز في شريعتهم فانه غير ملازم لغيرهم ؛ لأن الله تعالى لم يكلف الناس
 ما يشق عليهم (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وإنما هم حرموا على أنفسهم

الطيبات ، ليحظوا بالخيرات ، ولم يطلقوا أسرارها
 ليأمنوا عثارها ! وليصدق عليهم قول الحليم
 الكريم (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا
 خالصة يوم القيامة) أى ان زينة الله والطيبات
 من الرزق ستكون يوم القيامة خالصة للذين
 آمنوا في الحياة الدنيا . كيف لا ؛ وقد أطمعوا
 الطعام على جبه ، وجعلوا هواهم تحت أرجلهم
 ورضا ربهم نصب أعينهم ؛ وآثروا غيرهم على
 أنفسهم ! فاحرص - هديت وكفيت - على
 الإيثار لا الأثرة ، والإففاق لا الجمع ، واحذر
 البطنة ؛ فانها تذهب الفطنة ! قال صلى الله تعالى
 عليه وسلم : «ماملأ ابن آدم وعاءاً شر من
 بطنه» وقد جمع القرآن الكريم في قوله تعالى
 «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا» أصول الطب
 وخلاصة تجارب الأولين ، وحكمة علوم الآخرين
 ويعتبر من أعظم قواعد حفظ الصحة . وعدم
 الإسراف في الأكل والشرب : وقاية من
 كثير من الأمراض الفتاكه ؛ كأمراض القلب ،
 والكبد ، والسكر ، والضغط العالى وتصلب
 الشرايين (قل إنما حرم ربي الفواحش)
 جمع فاحشة ؛ وهى القبايح (ماظهرمنها) كالقتل
 والسب (وما بطن) كالزنا والنية والتمية
 (والإثم) العصية (والبغى) الظلم والكبر
 (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً)
 حجة أودليلا (ولكل أمة) من الأمم السابقة

المكذبة (أجل) وقت لتزول العذاب الذى قدره الله تعالى عليها (فإذا جاء أجلهم) وقت نزول العذاب
 البعد لاستئصالهم (يايى آدم إما بأيتكم) أى إن ييتمكم (من اتقى) آمن (وأصلح) أعماله (فلاخوف عليهم)
 في الدنيا (ولا هم يحزنون) في الآخرة (فمن أظلم) أى لا أحد أظلم (من افترى) اختلق (أولئك ينالهم
 نصيبهم من الكتاب) مما هو مكتوب في اللوح المحفوظ ؛ من الرزق والأجل (حتى إذا جاءتهم رسلنا)
 ملائكة الموت (قالوا) أى قال لهم ملائكة الموت (أين ما كنتم تدعون) تعبدون (من دون الله) غيره ؛ أى
 اينهم ؟ هل يستطيعون كشف الضر عنكم ، أو دفع الموت ، أو تخليصكم من أيدنا ؟ (قالوا ضلوا عنا) أى
 غابوا عنا (قال) لهم ربهم (ادخلوا في أمة قد خلت) مضت (حتى إذا آداركوا) أى تداركوا وتلاحقوا =

= واجتمعوا (فالت أخرام) أي الأمم المتأخرة (لأولام) لمن تقدمهم من الأمم (ربنا هؤلاء) المتقدمين (أصلونا) لأنهم ضلوا قبلنا ابتداء فاتباعنا في ضلالهم ؛ فلما منا أنهم مهتدون (فأتهم عذاباً ضعفاً) أي مضاعفاً (قال لكل) منكماً (ضعف) من العذاب : تابعاً ومتبوعاً ، متقدماً ومتأخراً لأن الأولين أتتهم رسلنا فكذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً ، والآخرين أتتهم رسلنا فكذبوهم وآذوهم ؛ فالأولين والآخرين في الكفر سواء فكما أن الخطأ لا يبرر الخطأ ؛ كذلك كفر الأولين لا يصحح أن يتخذ سبباً لكفر الآخرين و « كل نفس بما كسبت

رهينة » ومن ضل فاعما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى» (وقالت أولام) أي قالت الأمم المتقدمة (لأخرام فما كان لكم علينا من فضل) إذ أنكم كفرتم كما كفرنا ؛ فلم يزد فضلكم علينا ؛ لكنكم لو كنتم اعتبرتم بما حل بنا وآمنتم ؛ كان ذلك فضلاً بغيركم علينا . وبذلك انقطعت حجة التأخرين على المتقدمين ، وتساووا في الكفر برب العالمين ! وحيث يقول رب العزة للفرقتين (فدوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) تعملون (إن الذين كذبوا بآياتنا) القرآن (واستكبروا عنها) فلم يؤمنوا بها (لا تفتح لهم أبواب السماء) أي لا يصعد لهم عمل صالح ولا ينزل منهم ، أو لا تنزل لهم رحمة من السماء ، أو لا تفتح لأرواحهم بعد الموت ؛ بل ينهب بها إلى سجين ؛ وما أدراك ما سجين ! (ولا يدخلون الجنة) أبداً (حتى يبلغ الجبل في سم الخياط) أي حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة ؛ ويطلق الجبل أيضاً على جبل السفينة الغليظ ، وعلى النخل ؛ وقد علق الله تعالى دخولهم الجنة على مستحيل ؛ فلن يدخل الجبل - سواء كان بغيراً ، أو جبلاً ، أو نخلاً - في خرت الإبرة ؛ كما علق تعالى رؤية موسى له ؛ على استقرار الجبل فلم يستقر ؛ بل جعله ربك ذكاً وخر موسى صعقاً ! (لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغطية ؛ فكانت

لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿١٨٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا وِئَامًا وَلَا سَهْمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٨٥﴾ وَرَحْمَةً مَّا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْرِ نَجْزِي مَنْ نَجَّيْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَن هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُونَ أَن تُنَكَّرَ الْجَنَّةُ أَوْ يُتَّصَمَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨٦﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ جَدَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨٧﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿١٨٨﴾ وَيُنَادِيهِمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوُا

النار لهم وطاء وغطاء . وقد جعل الله تعالى العذاب مكان الأمن والدعة والراحة ؛ عافانا الله تعالى برحمته من غضبه وبقوته ! (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها) أي إن الإيمان والأعمال الصالحة في وسع كل إنسان ؛ فلا حاجة لتقصير ، ولا عذر لتخلف !

وهل ترى من قصد إلى المسجد ؛ فتوضأ وصل وابتهل إلى ربه : خسر من ماله ، أو من صحته ، أو من عرضه ؛ مثل من قصد إلى حانة أو ماخور ؛ خسر ماله وصرته وعرضه ! بل خسر أيضاً دينه وآخرته ! وربما جره ذلك إلى أشد العقوبات ، وأفتك الأمراض ! فأى الفريقين أحق بالأمن ؟ وأى الفريقين أهدى وأرخص وأيسر ؟ ! طريق الجنة ، أم طريق النار ؛ وحقاً إن النار لتشرى بالنقود ، =

وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَنَدْخُلَهُمْ
وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ
أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾
وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمِهِمْ
قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٩﴾
أَهْتَوَاهُ الَّذِينَ أَلْسِنَتُهُمْ لِينَاغَمُّهُمُ اللَّهُ رِيحَةً آدَخَلُوا الْجَنَّةَ
لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٢٠﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ
النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَيْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢١﴾
الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُجُورًا وَعَبَّأ عَنْهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
فَالْيَوْمَ نَنْسِفُهُمْ كَمَا نَسَوْنَا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا
يَعَابِتِنَا يَجْعَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَفَصَّلْنَاهُ
عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ

والجنة تال بالحنان ! وقد تمت النية ، وكملت النعمة ، وسقطت المعذرة ، وقامت لله الحجة البالغة ؛ بقوله «لأنكف نفساً لإلوسها» (ونزعنا ما في صدورهم) أى صدور أهل الجنة (من غل) حقد وعداوة ؛ وذلك من تمام نعمته تعالى على عباده المؤمنين ! (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) أى هدانا لصالح العمل ؛ الذى أدخلنا بسببه الجنة (وما كنا لنهتدى) إلى ذلك (لولا أن هدانا الله) قيل : إن أهل النار يرون مقاعدهم من الجنة لو كانوا مهتدين ؛ فيكون ذلك حسرة عليهم ، وتعذيراً لهم ! وإن أهل الجنة يرون مقاعدهم من النار لو لم يهتدوا ؛ فيقولون «الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى

لولا أن هدانا الله» (ونودوا) أى نادى الملائكة أصحاب الجنة (فأذن مؤذن) نادى مناد (بينهم) بين أهل النار (أن لعنة الله على الظالمين) الكافرين ؛ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وتعريضهم للعقاب ! (الذين يصدون) يمنعون الناس (عن سبيل الله) دينه الحق (ويغفونها عوجاً) أى يحاولون أن يجعلوا طريقه القويم ودينه المستقيم ؛ معوجاً (وم بالآخرة) بالبعث والحساب والجزاء (كافرون) لا يصدقون بحجى القيامة (وبينهما) أى بين الجنة والنار ، أو بين أصحاب الجنة وأصحاب النار (حجاب) حاجز ؛ وهو السور الذى ذكره الله تعالى فى قوله «فصرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب» وهو سور الأعراف المعنى بقوله جل شأنه (وعلى الأعراف) جمع عرف ؛ وهو كل مرتفع من الأرض ، ومنه سمي عرف الديك ؛ لارتفاعه. وقيل : سمي الأعراف : لأن أصحابه يعرفون الناس جميعاً : أهل الجنة وأهل النار (رجال) هم أناس تجاوزت بهم حسناتهم النار ، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ؛ فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ؛ فجعلوا هناك حتى يقضى الكرم فيهم بما يشاء ؛ وسيدخلهم الجنة بفضلهم ومغفرتة

ورحمته ! وزعم بعضهم أن المقصود بأصحاب الأعراف : الملائكة ؛ وأنهم يناقشون أهل النار بأمر ربهم ؛ وهو قول يتجافى مع الصواب والمنطق ؛ فقد عرفهم الله تعالى بقوله «رجال» ولا يطلق هذا التعريف على ملائكة الرحمن ! وهؤلاء الرجال (يعرفون كلا) من أصحاب الجنة وأصحاب النار (بسيماهم) بعلامتهم ؛ فأهل الجنة يعرفون ببياض الوجه ونضرتة ، وبالنور الذى يسمى بين أيديهم وبأيمانهم ، وأهل النار يعرفون بسواد وجوههم ، وبالفترة التى ترهقهم (ونادوا) أى نادى أصحاب الأعراف (أصحاب الجنة) قائلين لهم (سلام عليكم لم يدخلوها) أى لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة بعد (وم يطمعون) فى دخولها (وإذا صرفت أبصارهم) أى إذا اتجهت أبصار أصحاب الأعراف (تلقاء أصحاب النار) دعوا الله تعالى قائلين =

«ربنا لا تجلنا مع القوم الظالمين» في هذه النار: (ونادى أصحاب الأعراف رجالاً) من أصحاب النار (يعرفونهم بدينام) بهيئاتهم التي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا ، ويكفرهم ويكبرهم (قالوا) لهم (ما أغنى عنكم) من النار (جمعكم) كترتكم واجتماعكم في الدنيا (وما كنتم تستكبرون) عن الإيمان بالله ، وتعاملون على مخلوقاته . ويشيرون إلى أهل الجنة ؛ فآئلين لأهل النار (أهؤلاء الذين أنستم) في الدنيا أنهم (لا ينالهم الله برحمة) منه ، ولا يدخلهم جهنم ؛ وما هو قد قيل لهم (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقيل :

يقال «ادخلوا الجنة» لأهل الأعراف (فاليوم ننسائم) تركهم في العذاب كالنسيين (كانسوا لقاء يومهم هذا) فلم يعملوا له (وما كانوا آياتنا) كتبنا التي أنزلناها على رسلنا (ييجدون) ينكرون ويكذبون (ولقد جئناهم بكتاب) هو القرآن الكريم (فضلناه) بيناه ؛ بالقصص والأخبار ، والوعد ، والوعيد ، وفضلنا فيه بين الحق والباطل (على علم) مناجى ما بيناه ، وحنة ما فصلناه (هدى) لمن اتبعه (ورحمة) لمن تمسك به (هل ينظرون) ما ينتظرون (ولا تأويله) أى إلا أن يأتي ما وعدوا به في القرآن من البعث والحساب ، وما يستتبعه من العذاب ؛ (يوم يأتي تأويله) يوم القيامة ؛ وحينئذ (يقول الذين نسوه من قبل) أى نسوا الوعد والوعيد في الدنيا (قد جاءت رسل ربنا بالحقن) فقد تحقق الآن ما أنذرونا به (أو نرد) إلى الدنيا (فنعمل) فيها من الصالحات (غير الذي كنا نفعل) من السيئات (قد خسروا أنفسهم) بأن ألقوا بها في الجحيم والعذاب الأليم (وضل عنهم) غاب (ما كانوا يفتنون) أى ما كانوا يبدونه من الأسمان (ثم استوى على العرش) استواء يليق به ؛ وليس كاستواء المخلوقين ؛ لأن الديان يتقدس عن المكان ، وتمالى العبود عن الحدود! (يفشى الليل النهار) أى يظطيه بظلامه (يطلبه حينئذ) سرعاً

إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ
 قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ
 شَفَعَةٍ فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلُ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
 قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٥﴾
 إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
 أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُبْشِرُ اللَّيْلَ أَنَّهُ يُبْطِئُ
 حِينَئِذٍ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ
 أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾
 ادْعُوا رَبَّكُمْ خَوْفًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٣٧﴾
 وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا
 وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨﴾ وَهُوَ
 الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى
 إِذَا أَقْبَلَتْ سَحَابًا نَفَخْنَا لَيْسَانَ مِيتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ

الْمَاءَ

(والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) سائرات بقدرته ، منظفات للكون بارادته ؛ كل منها يعمل في الحدود التي رسمها له خالقه (ألا له الخلق) جميعاً ؛ من ملك ، وإنسان ، وحن ، وحيوان ، ونبات ، وجماد (والأمر) كله له لا يشاركه فيه أحد من خلقه ! (تبارك) تعالى وتعاظم (ادعوا ربكم) اعبدوه (خفياً) تذللاً واستكانة لطاعته (وخفية) بخشوع قلوبكم ، وحنة بقلوبكم ؛ لا بجاهرين بذلك ؛ بقصد المראה ؛ كشأن أهل النفاق ؛ ولقد كان من سبقنا من علية القوم ما من عمل يقدرت على أن يعملوه في السر ؛ فيكون علانية أبداً ، وكانوا لا يعملون في الجهر إلا ما قصد به وعظا القيد إلى ما انظروا به ، وهدايتهم إلى ما هتدوا ؛ أو أريد بالدعاء ؛ السؤال والطلب ؛ وقد كانوا يجهدون في الدعاء ؛ فلا يسمع لهم صوت =

إن كان فلا يكون إلا همساً بينهم وبين ربهم - هذا وقد ذكر الله عبداً صالحاً من عباده فرضى فعله ؛ فقال «إذ نادى ربه نداء خفياً» (إنه لا يجب المعتدين) المتجاوزين للحد في رفع الصوت بالدعاء ، أو المتجاوزين لحد الأدب في الدعاء ؛ كمن يطلب رتبة النبيين ، أو كمن يسأل مالا يجوز عقلاً ؛ ومن المعلوم أن إرادة الله تعالى لا تتعلق بمستحيل ؛ فلا يجوز أن يدعو إنسان ربه قائلاً: يارب اجعل هذا التهرب لنا سائناً ، أو عسلاً صافياً ؛ فهنا - ولو أنه غير مستحيل على قدرة الله تعالى - فانه مستحيل عقلاً وعادة ؛ ومثل هذا الداعي ساخر بدينه ،

مستهزئ بربه ! (ولا تنسدوا في الأرض بعد إصلاحها) أى لا تكفروا بعد إذ أمركم بالإيمان وأقام على وحدانيته الدليل والبرهان ، ولا تظلموا بعد إذ أمركم بالعدل ، وأبان لكم مقبة الظلم ، ولا تصوبوا بعد إذ عرفكم جزاء الطائعين ، وعاقة المتقين ! وجماع القول أن الله تعالى أراد بما أمر به ونهى عنه : إصلاح العباد والبلاد ؛ فمن ابتغى وراء ذلك : فقد بلغ في الفساد والإفساد ! (وادعوه خوفاً وطعماً) خوفاً من عذابه ، وطعماً في رحمته ! (وهو الذى يرسل الرياح بشراً) مبشرات (بين يدي) أمام (رحمته) الطير ؛ وسماه رحمة لأنه سبب في الرخاء والحسب والنجاة ؛ وجميعها رحمة وأى رحمة ! (حتى إذا أقلت) حملت الرياح (سحاباً ثقلاً) ممتلئاً ماءً (سقناه) أى سقنا السحاب بواسطة الرياح (بلد ميت) جذب لانات فيه (فأنزلنا به) أى بواسطة الرياح ، أو بالسحاب (الماء فأخرجنا به) أى بالماء (من كل الثمرات) التى يحتاجها الإنسان (كذلك) أى مثل إحياء الأرض بالثمار والنبات ، وإخراجها للارزاق والأقوات ؛ بعد قحطها وموتها (تخرج الموتى) أحياء من قبورهم (لعلكم تدكرون) فتؤمنون بالآخرة والحساب والجزاء (والبلد الطيب) الذى طابت تربته ، وعذبت مشاربه

الأمم فأنزلنا به من كل الثمرات كذلك تخرج الموتى لعلكم تدكرون ﴿١٨٧﴾ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبئ لا يخرج إلا ننكداً كذلك نصرف الآيات لعلهم يسكرون ﴿١٨٨﴾ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال إنقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره وإنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴿١٨٩﴾ قال الملأ من قومه إنا لنرىك في ضلل مبين ﴿١٩٠﴾ قال إنقوم ليس بي ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين ﴿١٩١﴾ أبلغك رسالتى ربى وأصح لك وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴿١٩٢﴾ أوحيتم أن جاء كذابين ربك على رجل منك لينذرهم ولتستقروا ولعلكم ترجحون ﴿١٩٣﴾ فكذبوه فأنجينه والذين معه فى الفلك وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمن ﴿١٩٤﴾ * وإلى عاد

(يخرج نباته) ثمراته وخبراته (بإذن ربه) بقدرته وحكمته ؛ وفى هذا إشارة إلى أن إخراج النبات والثمار - ولو أن سببه صنع البشر رأى العين - لا يكون إلا بإذن الحكيم العليم ، الخالق القادر ! (والذى خبئ) أى والبلد الذى خبئ تربته ، وأسنت مشاربه (لا يخرج) نباته (إلا ننكداً) رديئاً مصاباً بالعايات والآفات ؛ وهذا مشاهد فى وقتنا الحاضر : إذ أصيب الثمار والنبات بسائر ضروب المعاطب ؛ وما ذاك إلا بجنابة الخلق على أنفسهم : بنسيانهم الأعز الأكرم ، المتفضل بسائر النعم ، وانصرافهم عن إلههم ومولاهم ! ويصح أن يكون ذلك مثالا للوثن والكافر ؛ ويكون معنى قوله تعالى «والبلد الطيب» أى أهله ؛ وهو كقوله جل شأنه «واسأل القرية» أى أهلها «والبلد الطيب» الذى يعمل أهله مجيد واجتهاد =

= في دينهم ودينام «يخرج نباته» أي ثواب إحسانهم وإيمانهم كثيرا غزيراً «ياذن ربه» بتفضله وإحسانه ؛ وهو الجنة ، وأثم بها من منة ! «والذي خبت» أي الذي خبت أهله ، وساءت أعمالهم ، وكفروا بربهم ؛ وركبوا إلى الكسل والحوول «لا يخرج» نباته «إلا نكدأ» أي ثواب أعمالهم النار وبئس القرار! ويجوز أن يكون المراد بالبد : الجسد . وطيه : أكل الحلال ، والابتعاد عن كل ما هو حرام . ونباته : أعماله ؛ تخرج كلها حسنة ، مليئة بالطاعات ، موصلة إلى الجنات! والحمد الذي خبت بأكل الحرام ، وارتكاب

الآثام : لا يخرج عمله إلا سيئاً ؛ موصلاً إلى النار ، وغضب الجبار ! فكذلك بنو آدم : خلقوا من نفس واحدة - بل من طينة واحدة - فمنهم من آمن بالله وكتبه ورسله ؛ فطاب ! ومنهم من كفر بالله وكتبه ورسله غث ! (انظر آية ١٧٢ من سورة البقرة) (كذلك) أي مثل هذه الأمثال التي نضربها ، والآيات التي نسوقها (نصرف الآيات) نوضحها ونبينها، ونكررها (قال الملا) أي السادة والأشراف (فأعيناه والذين معه في تلك) السفينة (انهم كانوا قوماً عمن) أي عمى عن الحق (إنا لسناك في سفاهة) أي خفة عقل (أوعجت أن جاءكم ذكر من ربكم) موعظة تذكركم (واذكروا إذ جعلكم خلفاء) في الأرض ؛ تملكونها ، وتنتصون بغيراتها (من بعد قوم نوح) وقد أهلكهم الله تعالى بكفرهم وذنوبهم (وزادكم في الخلق بسطة) زيادة في الجسم والعزم (فاذكروا آلاء الله) أنعمه ! (ونذر) نذع وترك (ما كان يبد آباؤنا) من الأصنام (فأتنا بما تعدنا) به من العذاب (قال قد وقع عليكم من ربكم رجس) عذاب (وغضب أتجادلونني في أسماء سميتوها) يعنى بها الأصنام التي يعبدونها ؛ كالات ، والغزى ، ومناة ؛ وما شاكلها (ما نزل الله بها من سلطان) حجة وبرهان (فاتظنوا) العذاب الموعود الذي تستعجلون به (إلى معكم من المنتظرين) له ؛ فنزل بهم العذاب ، وأوقع الله تعالى عليهم العقاب !

الجزء الثامن

١٨٨

أَخْلَاهُمْ هوداً قَالَ يَقَوْمِ أَتَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ آلِهِ غَيْرِهِمْ
أَقْلَابَتُونَ ﴿١٧٢﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا
لَنُرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَنظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿١٧٣﴾
قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٧٤﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ
أَمِينٌ ﴿١٧٥﴾ أَوْعَجْتُمْ أَنْ جَاءَ كُرْدٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ
مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ
قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَادْكُرُوا آيَةَ
اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٧٦﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ
وَنَذُرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتَّبِعْنَا بِمَا تَعُدُّنَا إِن كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧٧﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ
رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ
وَمَا بَأْسُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَا

من

العذاب الموعود الذي تستعجلون به (إلى معكم من المنتظرين) له ؛ فنزل بهم العذاب ، وأوقع الله تعالى عليهم العقاب !

مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧٦﴾ فَأَلْحَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
 وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾
 وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
 مِن إِلَهٍ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ
 نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا
 تَمْسُوهَا يُسِوْا فَمَا خَذَكَ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٨﴾ وَاذْكُرُوا
 إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
 نَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَتَّخِذُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا
 فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٩﴾
 قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا
 لِمَن ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَن صَالِحًا مَّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ
 قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٠﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
 إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنُمْ بِهِءِ كَافِرُونَ ﴿٨١﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا

(فألحيناها) أى ألحيناها هوداً (والذين) آمنوا
 (معه برحمة منا) بأن حفظناهم بلطفنا الحفي ،
 وألحيناهم من عذاب بييس؛ لا ينزل إلا بأمرنا ،
 ولا يدفع إلا برحمتنا ! (وقطعنا دابر الذين
 كذبوا بآياتنا) الدابر: الأصل؛ أى استأصلناهم
 فلم يبق منهم أحداً (وإلى ثمود أخاهم صالحاً)
 عبر تعالى بالأخ - فى مثل هذه المواضع - لأن
 كل نبي بعثه الله تعالى من قومه: زيادة فى تألفهم
 (قد جاءكم بينة من ربكم) حجة واضحة
 (هذه ناقة الله) معجزته؛ أخرجها (لكم
 آية) علامة على صدق ووجودانيته (فذرورها)
 دعوها واتركوها (واذكروا إذ جعلكم خلفاء
 من بعد عاد وبوأكم) أسكنكم (فى الأرض
 تتخذون من سهولها) السهل: الأرض المستوية
 (فاذكروا آية الله) نعمه (ولا تتشوا فى
 الأرض مفسدين) العنى : أشد الفساد (قال
 الملأ) السادة والأشراف (الذين استكبروا)
 عن الإيمان (للذين استضعفوا) وهم الذين
 آمنوا بصالح عليه السلام (قال الذين استكبروا)
 الكافرون (إننا بالذى آمنتم به كافرين) أى
 كفروا بأن صالحاً مرسل من ربه ، وأن
 الناقة آية منه تعالى (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ) قتلوها

(وعتوا عن أمر ربهم) استكبروا عن طاعته (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا) من العذاب (فأخذتهم الرحمة) الزلزلة الشديدة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي متلبدين بالأرض باركين على الركب متبين (فتولى عنهم) أعرض صالح عنهم (وقال) لقومه - بعد نزول العذاب بهم وموتهم - (يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى) التى

الجزء الثامن

١٩٠

كلفتى بإبلاغها لكم ، وأرسلنى بها هدايتكم (ونصحت لكم) باتباعى والإيمان بالله تعالى وطاعته ؛ خشية أن ينزل بكم ما نزل ، ويحل بكم ما حل (ولكن لا تحبون الناصحين) فصيتمون وكفرتم بربكم ؛ فحل بكم عذابه الموعود الذى استعجلتموه ، ويومه المشهود الذى عاينتموه ! وخطاب صالح عليه السلام لقومه بعد موتهم : تسجيل لأداء ما كلفه الله تعالى بأدائه ، وتسجيل لتكذيبهم وكفرهم ؛ ولا شك أنهم سامعون لقوله ؛ بدليل مخاطبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لقتلى المشركين يوم بدر : «قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً» وقال لمن حوله : «ما أنتم بأسمع منهم» (ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) الكبيرة ؛ وقد كانوا يأتون الذكران (بل أنتم قوم مسرفون) فى العصيان (لإنهم أناس يتطهرون) أى يتزهون عما فعله من إتيان الرجال فى الأدبار .

هذا وقلة قوم لوط من أشنع الفواحش ، وأبشع الجرائم ؛ يأبأها أخط الحيوانات ، فما بالك بأكرم المخلوقات ! (فأنجيناه وأهله) جمع من آمن به (إلا لإسراءه كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب (وأبطننا عليهم مطراً) عبيياً ؛ ليس كسائر المطر ، الذى يأتى

عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْلِحُ أَتَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٩٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّيحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿١٩١﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿١٩٢﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٣﴾ إِنْ كُنْتُمْ تَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿١٩٤﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَنْزِلْهُمْ مِنْ تَحْتِ رَبِّكَ إِنَّمَا نِسَاءٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿١٩٥﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ أُمَّرَأَةً كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿١٩٦﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٩٧﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ

ولا

بالثر ؛ بل أنزل عليهم من السماء ناراً تستعر ! ليس بالمطر الذى يبعث الرخاء والرحمة ، والسعة والنعمة ؛ بل أمطرتهم السماء ناراً وأحجاراً ، وبعثت فيهم موتاً ودماراً ! ويقال «أمطر» فى العذاب ، و«مطر» فى الرحمة (فأنظر كيف كان عاقبة المجرمين) ومآلهم ؛ إذ دمرناهم وأحرقناهم وأهلكناهم ! (ولم يمدن أخاهم شعيباً) وهو صهر موسى عليهما السلام ؛ الذى زوجه إحدى ابنتيه وقال له «لا تخف نجوت من القوم الظالمين» (قد جاءكم بينة) حجة (من ربكم) تدل على صدق (فأوفوا الكيل والميزان) فى معاملتكم

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
 بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾
 وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا
 فَكَفَرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٦﴾
 وَإِنْ كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ
 وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَخْرُجَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ
 خَيْرُ الْخَارِجِينَ ﴿٥٧﴾ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
 مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن
 قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مَلِيَّتِنَا قَالَ أُولُو كَأْفٍ هِينٌ ﴿٥٨﴾
 قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ
 مَجِئَنَا اللَّهُ مِنهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا
 أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَىٰ

(ولا تبخسوا) تنقصوا (ولا تفسدوا في
 الأرض) بالكفر والمصيان (بعد إصلاحها)
 يبعث الرسل ، وإزالة الكتب (ولا تقعدوا
 بكل صراط) طريق (توعدون) من التوعد؛
 أى تهددون من آمن بشعيب . والتوعد :
 التهديد . ويقال في الخير : وعد . وفي الشر :
 أوعد . قال الشاعر :

وإن إذا أوعدته ، أو وعدته

لخلف إيمادي ، ومنجز موعدى

(وتصدون) تمنعون الناس (عن سبيل الله)
 دينه القويم (وتبغونها) تريدونها (عوجاً)
 معوجة ؛ غير مستقيمة ؛ لتمنعوا الناس عن سلوكها
 (قال الملاء) السادة والأشراف من قوم شعيب
 (الذين استكبروا) عن الإيمان به (لنخرجنك
 يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو
 لنعودن) جميعاً (في ملتنا) التي نحن عليها
 (قال أولو كنا كارهين) أى أتريدوننا في
 ملتكم ؛ ولو كنا كارهين لهذه الملة ، ساخطين
 عليها (قد افترينا) اخترقنا (على الله كذباً إن)
 آتانا بغيره ، و (عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا
 الله منها) بعبادته وتوفيقه ، وهدايته إلى

معرفة ! (وما يكون) ما يجوز ، وما يحق (لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) أى إلا أن يكون
 قد سبق في علمه تعالى شقوتنا وإحراقنا عن الحق الذى أمرنا باتباعه (وسع ربنا كل شيء) كان ، أو هو
 كائن (علماً) كيف لا ؛ وهو جل شأنه خالق كل شيء ، وهو السميع العليم !

اللَّهُ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ
 وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨١﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٨٢﴾
 فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينًا ﴿٨٣﴾
 الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا يَخَفُونَهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا
 كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٤﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِمْ وَقَالَ تَقَوْمٌ لَقَدْ
 أَبْلَغْتُمْ رَسُولَنَا مِنْ رَبِّهِ وَنَصَحْتُمْ لَكُرْهُ فَكَيْفَ تَأْسَى
 عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا
 أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٨٦﴾
 لَمْ يَدُلَّنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ
 مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿٨٧﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا
 لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن

كذبوا

أن ينسبوا ذلك إلى الدهر ، وأن ما حاق بهم : حاق بمن كان قبلهم ؛ وهذا ضرب من ضروب الكفر !
 (فأخذناهم) بالمذاب (بفتنة) فجأة ؛ بعد أن بدلنا في إقناعهم كل الأسباب ؛ من نعمة وعذاب ، وإغناء
 وإقتناء ، وصحة وإعلال ، ونوال ونكال ؛ فاستحقوا بذلك الإهلاك والاستئصال ! (ولو أن أهل القرى)
 الذين كفروا باقوا تعالى ، وجدوا أنعمه ، وكذبوا رسله ؛ لو أنهم (آمنوا) بربههم (واتقوا) بطشه
 وعذابه (لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) بالملح والنبات

(على الله توكلنا) ليهدينا سبيلنا ! (انظر آية ٨١)
 من سورة النساء) ربنا افتح) احكم) بيننا
 وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) الحاكمين
 (فأخذتهم الرجعة) الزلزلة الشديدة (فأصبحوا
 في دارهم جاعين) متلهين بالأرض ، ياركين على
 الركب ميتين (كأن لم يفتنوا فيها) كأن لم
 يقيموا فيها . والمفتى : المسكن (فتولى)
 أعرض (عنهم وقال) لهم (يا قوم لقد أبلغتكم
 رسالات ربي) التي أرسلني بها إليكم ؛
 فكذبتموني (ونصحت لكم) فلم تستمعوا
 لنصحي (فكيف آسى) أحزن (على قوم
 كافرين) بذلت لهم سبل الهداية ؛ فازدادوا
 غموراً وكفراً ، وأسدى لهم النصح ؛ فأبوا
 إلا اعتواً وعتاداً (أخذنا أهلها) عاقبناهم
 (بالأساء) الفقر (والضراء) المرض (لعلهم
 يضرعون) يتذللون (ثم بدلنا مكان السيئة)
 أبدلناهم مكان الفقر والمرض (الحسنه) الفتي
 والعافية (حتى عفاوا) فت أموالهم ، وكثرت
 أولادهم ؛ يقال : عفا الشعر والنبات : إذا
 كثر . وقد عرفنا تعالى أنه أخذهم بالهدنة فلم
 تتجع ، وأخذهم بالبين فلم ينفع (وقالوا قد مس
 آباءنا الضراء والسراء) كما مسنا ؛ أرادوا

كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥١﴾ أَفَلَمِنَ أَهْلِ
الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بِيَنَاءٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٥٢﴾
أَوْ آمِنِ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا سُحْحًا وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿١٥٣﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا
الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٥٤﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ
مِن بَعْدِ آهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطِيعٌ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٥٥﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ
عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ
بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٥٨﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ

(ولكن كذبوا فأخذناهم) بالعذاب (أفمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا) عذابنا وانتقامنا (بياناً) ليلاً (ضحى) نهاراً (أفأمِنوا مكر الله) مكره بهم : أخذه لياليم من حيث لا يشعرون (أولم يهد) أولم يدين (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) أهلكتناهم بسببها (ونطيع على قلوبهم) نطقي عليها (فهم لا يسمعون) التصح ؛ وذلك عقوبة لهم على انصرافهم عن آيات ربهم ؛ وعدم اعتبارهم بما امتحنهم به من تعذيب ، وامتنحه لهم من نعم ! (تلك القرى) التي ذكرناها ، وذكرنا أبناءها ، ومن أرسل إليها ؛ والمقصود بالقرى : أصحابها وساكنيها ؛ وهم قوم نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب (نقص عليك من أنبائها) أخبارها ما ثبتت به فؤادك ؛ وليعظ بذلك قومك ، وليعلموا أنهم إن بقوا على كفرهم ؛ فيكون حالهم مثل حالهم «أو لم يهد للذين يرتون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم» (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الظاهرات (فما كانوا ليؤمنوا) بالرسل ولا بالمعجزات (بما كذبوا من قبل) أي بما كذب به آبائهم وأسلافهم ، أو «بما كذبوا» به

«من قبل» إتيان الرسل إليهم ؛ أي إنهم ظلوا بكفرهم متمسكين ، وعلى تكذيبهم ثابتين . وقيل : «فما كانوا ليؤمنوا» إذا ردوا بعد الموت «بما كذبوا من قبل» قال تعالى «ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه» (كذلك) مثل ذلك الطبع الذي طبعه الله تعالى على قلوب الكافرين والمكذبين (يطبع الله) يحتم ويغطي (على قلوب الكافرين) لأنهم كفروا ابتداء ، وأصروا على الكفر انتهاء ، وأصروا آذانهم عن الاستماع إلى التصح ، وأغلقوا قلوبهم بأفعال من الغفلة والعدا ! لحق عليهم غضب ربهم ، وتخليه عن هدايتهم ! ولا يخفى أن كفرهم سابق على تطبيع الله تعالى قلوبهم ؛ وأن طبع الحكم العدل على قلوبهم ؛ كان عقوبة على عنادهم وتمسكهم بكفرهم ! (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) أي ليس لهم وفاء ولا أمانة (فظلموا بها) فكفروا بها .

يَنْفِرَعُونَ إِيَّايَ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٦﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ
 أَن لَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُمْ بَيْنِي مِن
 رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٧﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ
 جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٣٨﴾
 فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مِّبِينٌ ﴿١٣٩﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا
 هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّاطِرِينَ ﴿١٤٠﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ
 هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٤١﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ
 فَأَيُّهَا تَأْمُرُونَ ﴿١٤٢﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ
 حَاشِرِينَ ﴿١٤٣﴾ يَا تَوْكُّ يَا كُلَّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿١٤٤﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ
 فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٤٥﴾
 قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٤٦﴾ قَالُوا يُصَوِّعُ إِمَامًا
 أَن تُلْقَى وَإِمَامًا أَن تَكُونَ تَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١٤٧﴾ قَالَ الْقَوَا
 فَلَمَّا الْقَوَا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا

(حقيق) جدير (قد جئتم بيني) بمعجزة
 ظاهرة (قال) فرعون (إن كنت جئت بآية)
 معجزة (فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) بين
 واضح؛ لا لبس فيه ولا لبهام، ولا تمويه
 ولا خداع (ونزع يده) أخرجها من جيبه
 (فإذا هي بيضاء للناظرين) مشرقة كاشراق
 الشمس، ولم يكن بيضاء معتاداً، كيباض
 البرص؛ وإلا لم تكن معجزة (قالوا أوجه
 وأخاه) أي أخرهما (وأرسل في المدائن
 حاشرين) جامعين (وجاء السحرة) الذين
 جمعهم رسل فرعون من المدائن (قالوا ياموسى
 إماماً أن تلقى) بسحرك أولاً (قال) موسى
 (ألقوا) أتم بسحرك أولاً (فلما ألقوا)
 بسحرم (سحروا أعين الناس) يؤخذ من
 هذا أن السحر إن هو إلا تمويه على العقول
 وخدع للأبصار؛ وليس قلا للأشياء عن
 حقيقتها وطبيعتها؛ كشأن المعجزة التي تسدها
 قوة الخالق الأعظم تبارك وتعالى؛ وذلك لأن
 الساحر لو أحال طبيعة الأشياء؛ لكان ما يأتى
 به معجزة أو هو كالمعجزة التي يأتى بها الأنبياء
 عليهم السلام، وكان لا فرق بينه وبين النبي؛
 ولقام المدر لمن انخدع به (واسترهبوهم) من
 الرهبة؛ أي أخافوهم وأزعجوهم

(وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف) تناول بسرعة ؛ والمعنى أنها تتلعب. (ما يافكون) ما يكذبون ؛ أي ما يعومون به على أعين الناس من سحرم ؛ والإفك : أسوأ التكذب (فوقع الحق) الذي أُراده الله تعالى ، وانتصر رسول رب العالمين ، على رسول إبليس اللعين ! ولقفت عصا موسى حبال السحرة وعصيم ، وظهر أمر الله تعالى ، وعلت كلمته ، وانهار صرح الكفر وذالت دولته !

(فقلبوا) أي غلب فرعون وقومه (هنالك) واقبلوا) رجعوا (صاغرين) ذليلين مقهورين ! ولما بان للسحرة شأن موسى ، وأحسوا بما أبداه وأظهره ، وعلما أن ذلك ليس من جنس السحر الذي يخدعون أعين الناس به ؛ وأنه يستعين فيما يأتيه بقدره خارقة لطباع الأشياء ، ويستمد بقوة لهية محسوسة ؛ ولو أنها غير منظورة ! حينئذ علموا أنه يدعو إلى الحق ، وأن فرعون يدعو إلى الباطل ؛ وخرأ سجداً لله ، و(قالوا آتنا رب العالمين . رب موسى وهارون . قال فرعون أمتهم) استفهام ؛ أي أمتهم (به قبل أن آذن لكم) بالإيمان (إن هذا لسكر مكرم) وهو إظهار الإيمان بموسى ؛ ليؤمن به باقي الناس (قالوا إنا إلى ربنا منقلبون) راجعون (وما تقم منا) أي وما تقاينا ؛ يقال تقم منه : إذا عاقبه (إلا أن آتانا بآيات ربنا) الدالة عليه ؛ وهي ما رأينا من معجزات طاهرات (ربنا أفرغ علينا صبراً) هب لنا من لذلك صبراً واسماً ، وأكثره علينا حتى يفيض ويفرنا (وقال الملا من قوم فرعون أتنبأ) أتترك (موسى وقومه) ممن آمن به من بني إسرائيل (ليفسدوا في الأرض وينرك) يدعك ويرتك

(وألهتك) قيل : كان لعدو الله تعالى بقرة يعبدونها ؛ وقد قرأ مجاهد وابن عباس «وإلهتك» وكان القائلون لذلك خاصة فرعون وبطائه ؛ وهكذا شأن بطانة السوء في كل زمان ومكان ؛ تفسد للعالمين الصالحين ؛ عند الملوك الجاهلين المستبدين ؛ وتفهمهم أن في بقاء أمثال هؤلاء خطراً على عروشهم ؛ وهكذا أيضاً شأن الحق من الملوك والرؤساء ؛ يهيئون ملكهم وجيوشهم بسياج من السطوة والبطش ؛ لتوفر لهم بذلك أسباب الاستقرار والانتقاد ! ولذا كان جواب فرعون على تحريض ملكه له (قال سنقتل أبناءهم ونستحي

بِسْحَرٍ عَظِيمٍ ﴿١٩٥﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٩٦﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩٧﴾ فقلبوا هنالك وأنقلبوا صغرين ﴿١٩٨﴾ وألقى السحرة سيجدين ﴿١٩٩﴾ قالوا آتانا رب العالمين ﴿٢٠٠﴾ رب موسى وهرون ﴿٢٠١﴾ قال فرعون آمنتهم به قبل أن آذن لكم إن هذا لسكر مكرم ﴿٢٠٢﴾ في المدينة ليخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ﴿٢٠٣﴾ لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلفكم ثم لأصلبنكم أجمعين ﴿٢٠٤﴾ قالوا إنا إلى ربنا منقلبون ﴿٢٠٥﴾ وما تنقم بيننا إلا أن آتانا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفقنا مسلمين ﴿٢٠٦﴾ وقال الملا من قوم فرعون أتنبأ من قوم موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وينركهم وينصركم ونستحي

نساءهم وإنما فوقهم قاهرون) عالون بالقدرة ، والكثرة ، والغلبة ، والقهر . وهذا هو شأن المستبد الظالم الفاشم المبتل ؛ الذي لا يعتمد إلا على ظلمه وقوته وقسوته ! أما الذي ينشد العدل ، ويرغب في الحق ؛ ويسعى إلى الإصلاح ؛ فهو إذا غلب على أمره : لجأ إلى مولاه يستهد به ويستعينه ويسترضه ؛ لنا (قال موسى لقومه استعينوا بالله) على أعدائكم (واصبروا) على أذام ؛ فانه معكم ، وهو ناصركم ! (إن الأرض لله يورثها) يملكها (من يشاء من عباده) الأتقياء (والعاقبة) النهاية الحسنة المحمودة (للتقين) الذين يخشون ربهم ،

المسزة التاسع

١٩٦

و يخافون سوء الحساب ! (قالوا) أى قال بنو إسرائيل - أصحاب موسى - حين سمعوا مقاله : لقد (أوذينا من قبل أن تأتينا) بقتل الأبناء ، واستحياء النساء (ومن بعد ما جئتنا) بإيذاء فرعون لنا ، ووعده وتهديده (قال) موسى لقومه (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) فرعون وملئه (ويستخلفكم في الأرض) مكانهم (فينظر كيف تعملون) أتخشون هذه الخلافة ، أم تكونون - كن سبقكم - من المفسدين ! وقد أهلك الله تعالى عدوهم ، واستخلفهم في الأرض كما وعدم ؛ فكانوا أضل من فرعون وأظنى ، وكانوا من أسوأ الأمم فساداً وإفساداً ؛ لعنهم الله تعالى ! (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) بالقطط ؛ يقال : أسنت القوم ؛ بمعنى أخطوا (فاذا جاءتهم الحسنة) الحصب والفضى (قالوا لنا هذه) أى نستحقها بعلنا وعلمنا ؛ ولم يشكروا الله تعالى عليها (وإن تصبهم سيئة) قطط وبلاء (يطيروا) يتشامموها (بموسى ومن معه) زاعمين أنهم سبب الشؤم الواقع بهم (ألا إنما طأرهم عند الله) أى إنما سبب شؤمهم عند الله ؛ وهو عملهم الذى يعملونه ، والذى استوجبوا عليه ما أسوءه طيرة وشؤماً ! هذا والتطير والتشاؤم من المادات التى ذمها القرآن الكريم ، ونهى عنها الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه :

نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٧٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ
مِنَ عِبَادِهِ ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٧٨﴾ قَالُوا أَوِزِينَا
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ
يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا
مِنَ الشَّجَرِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٨٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ
قَالُوا لَنَا هَذِهِ ۚ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى
وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّأَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ
بِهَا قَالُوا لَنْ نَحْنُ بِكُفَّارٍ لِمَنْ آمَنَ ۚ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِم الطُّوفَانَ
وَالجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ۚ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٨٢﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِم الرِّيحُ

قَالُوا

« لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » « إذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا » وقال أيضاً صلى الله تعالى عليه وسلم : « من عرض له من هذه الطيرة شيء فليلق : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك » لقد تشام الكافرون من أنبيائهم ، فى حين أن الشؤم هم سببه ومصدره ؛ فقد تشام قوم موسى بموسى ، وتشام قوم صالح ب صالح « قالوا اطيرنا بك وبينك » وفى شتى العصور تشام الكافرون بالرسولين وبالؤمنين « قالوا إنما تطيرنا بكم » هذا وقد جرى بعض المسلمين على نهج هؤلاء الكافرين ؛ فتشاموا من الأوقات ، ومن الأيام ، ومن الأشخاص ؛ وهى عادة مردودة يابأها الإسلام ويحس على نبذها ومنعها ؛ ولا يقبلها دين سماوى ، ولا عقل راجح ؛ ومن عجب أنهم يستدلون ببعض آيات =

قَالُوا يَمْشِي آدَعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ
عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ لِكِ أَجْلِ هُمْ بَلَغُوا إِذَا هُمْ
يَنْكُفُونَ ﴿١٩٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَاتِهِمْ
كَذِبُوا بِعَابِقَنَا وَأَكْنَا عَنْهَا غَفْلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ
الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربَهَا آلِي
بِشْرًا فِيهَا وَنَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ
وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿٢٠٠﴾ وَجَنَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ
فَأَتَوْا عَلَى قَوْمِهِ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانِهِمْ قَالُوا يَمْشِي
أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ
تَجْهَلُونَ ﴿٢٠١﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَنُفْرٌ مِمَّا هُمْ فِيهِ وَبِظُلْمٍ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٢٠٢﴾ قَالَ أَغْرَبَ اللَّهُ أَيُّكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى

الكتاب الكريم على ما يزعمونه ؛ ويوردون قوله تعالى « في يوم نحس مستمر ، في أيام نحسات ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما » ولا ندري أى يوم من هذه الأيام الثمانية فنحنه بالنحس دون الآخر . وقد شملت الآية الكريمة كل أيام الأسبوع ولياليه - فبان لنا من ذلك : أن النحس متعلق بذات الأشخاص الواقع عليهم النحس ؛ وذلك بسبب شؤم معاصيهم ، وبعدهم عن مرضات ربهم ! ولم يخلق الله تعالى الأيام محسأ كلها ، أو سعادة كلها ؛ فبعضها نحس على أناس ، سعد على آخرين ؛ ورب لإنسان تصور نحسه في يوم من الأيام ، فصار هذا اليوم مصدر سعادة له لا يتركها ولا يتوهمها ! ونخرج من هذا البحث بنتيجة واحدة لا ثاني لها : هي أن « من أعطى واتقى وصدق بالحسنى » فليسيره ربه لليسرى ؛ وأيامه كلها هناء ، ولياليه كلها سعادة ؛ غير ما أعده الله تعالى له من خير عميم ، ونعيم مقيم ! أما « من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى » فليسيره ربه للعرسى ؛ وأيامه نحسات ، ولياليه مدلهات ؛ غير ما أعده له ربه من جحيم ، وعذاب أليم ! (فأرسلنا عليهم الطوفان) كل ما طاف وغلب ؛ من مطر ، أو مرض ، ونحوها : فهو طوفان . ومنه قوله تعالى « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون » وورد : انه الموت المتتابع الذريع ؛ ولعله الطاعون . وقيل : هو طوفان من الماء ؛ أحاط بهم ، ودخل منازلهم ، وعلا حتى وصل إلى حلوقهم سبعة أيام (والجراد) سلطه الله تعالى عليهم ؛ فلم يدع لهم طعاماً يأكلونه (والقمل) وهو السوس الذى يأكل الحنطة فلا يدع إلا قشرها ؛ أفنى الجراد ما زرع ليؤكل ، وأباد السوس ما أهد للأكل ، وقيل : « القمل » صغار الجراد ؛ الذى لا أجنحة له ، أو هو قمل الرأس المعروف (والضفادع) امتلأت الدنيا بها من حولهم ؛ حتى ان الرجل ليفتح فمه ليتكلم ؛ فتنب واحدة منه فتدخل في فيه (والدم) قيل : صارت مياههم دماً . وقيل : هو الرعاف . وقد أرسل الله تعالى عليهم هذه الآفات (آيات) عظام (مفصلات) ظاهرات ؛ لا يخفى على عاقل أنها من عند الله . أو « مفصلات » بمعنى متفرقات (فاستكبروا) عن الإيمان ، ولم يجيبوا داعى الرحمن (ولما وقع عليهم الرجز) العذاب المذكور . وقيل : هو عذاب آخر عذبوا به بعد إذ لم يؤمنوا بما حرم من الآيات ؛ وهو الطاعون (قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) أى بما اختصك به من إجابة الدعاء ، وقبول الرجاء ؛ و (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولترسلن معك بنى إسرائيل) تذهب بهم حيث تشاء (فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالعهود) وهو انتهاء أعمارهم بالفرق (إذاهم ينكبون) يتقضون وبعدهم وتوبتهم =

== (فاتقننا منهم فأغرقتهم في اليم) في البحر الذي لا يدرك قره (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) وهم بنو إسرائيل؛ رفعهم من حضيض الذل، إلى أوج العز! (وما كانوا يعرشون) يبنون (فأتوا على قوم يعكفون) يقبلون مواطنين (على) عبادة (أصنام لهم قالوا) أي قال بنو إسرائيل لموسى (ياموسى اجعل لنا إلهاً) نعبده (كالم آلهة) يعبدونها (قال إنكم قوم تجهلون) عجباً لبنى إسرائيل: رأوا ما حل بفرعون وقومه جزاء كفرهم بالله وذاقوا حلاوة نصرهم على عدوهم - جزاء إيمانهم - وحينا يرون أناساً يعبدون

الأصنام يقولون: كيف يكون لهم آلهة ولا يكون لنا إلهاً نعبده كما يعبدون؟ ونسوا أنهم الله تعالى عليهم! (إن هؤلاء) الذين ترونها يعبدون الأصنام (متبر مأم فيه) أي إن مأم فيه هلاك وخسران. و«متبر» مدمر مكسر (قال أغير الله) الذي خلقكم، واصطفاكم، وأهلك عدوك وأنجماك؛ أغيره (أبغى) أبغى لكم (إلهاً) معبوداً (وهو فضلكم على العالمين) فكيف تبتفون غيره، وتطلبون معبوداً سواه؟ وتقولون «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة»؟ (و) اذكروا بنو إسرائيل (إذ أمعناكم من آل فرعون) الخطاب موجع لليهود الموجودين في عصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم؛ أي اذكروا إذ أمعنا آباءكم وأسلافكم؛ أو هو تذكير لنته تعالى على بني إسرائيل (يسومونكم) يذيقونكم (سوء العذاب) أشده وأسوأه (ويستحيون نساءكم) يستبقونهن أحياء، أو يفعلون بهن ما يخل بالحياء (وفي ذلكم) العذاب والتقييل (بلاء) ابتلاء ومحنة، أو «وفي ذلكم» العذاب نعمة لكم؛ لأن سنته تعالى جرت على رفع درجات من ابتلى، وإعلاء شأن من امتحن (وواعدنا موسى) بالإنقاذ (ثلاثين ليلة) وأتمناها بمصر) فتكون أربعين؛ صامها موسى استعداداً لهذا اللقاء، وتأهباً لتلقى أوامر الله تعالى! (تم)

الجزء التاسع

١٩٨

الْعَالَمِينَ ﴿١٩٨﴾ وَإِذْ أُنجَيْنَاكَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَقُولُونَ أَبْنَاءُ كُرٍ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُرٍ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَظِيمٌ ﴿١٩٩﴾ * وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَمَتَّ مِثْقَل رِيَّةٍ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرِيكَ وَلَكِن نُنظِرُكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَرَمَىٰ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠١﴾ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِلَىٰ أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي نَقَدْنَا مَاءَ بَيْتِكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٠٢﴾ وَكُنْتُمْ لَهَا فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ مَنَىٰ

مَوْعِظَةٌ

ميفات ربه) ماوقته له من الوقت (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي) أي كن خليفتي فيهم، وراعياً لهم (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) (انظر آية ١٦٤ من سورة النساء) (قال رب أرني) فسك (انظر إليك) أي لأنظر إليك وأراك (فلما تجلَّى ربه للجبل) تجلَّى أمره بأن جعل الجبل لا يستقر، وتجلت قدرته بأن جعله دكاً) أي مذكوكاً؛ وليس معنى التجلَّى: ظهور المولى - جل وعلا - للجبل، أو لإبداء نوره؛ كما ذهب إليه أكثر المفسرين؛ والتي حصل: أن الجبل تزلزل واهتز، وانهارت أركانه، وتصدع بنيانه، ومادت أحجاره، وتساقلت صخوره (وخر موسى صعقاً) مصعوقاً؛ مشياً عليه من هول ما رأى! (فلما أفاق) من غشيبته، أتجه بكلمته (وقال سبحانك) ربي؛ وتقدس عن الرؤية، وتعاليت عن الوصف! =

مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَنَحْنُهَا بِقُوَّةٍ وَأَمْرٌ قَوْمَكَ
 بِأَخْذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوذِرْبِكُمْ دَارَ الْفَلْسِيفِينَ ﴿١١٥﴾
 سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
 الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ
 سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١١٦﴾
 وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
 هَلْ يُجِزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٧﴾ وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَى مِنْ
 بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّمٍ مَجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ
 لَا يَكْفُرُهُمْ وَلَا يَنْبِئُهُمْ سَبِيلًا أَخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١١٨﴾
 وَلَمَّا سَفِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ
 يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١١٩﴾
 وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا

== (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (نبت إليك) من قولي «رب أرني أنظر إليك» (وأنا أول المؤمنين) بعظمتك ، المصدقين بملوك وتزبيحك ! فقبل الله تعالى توبته ؛ و (قال) له معدداً أفضله عليه (ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) اصطفيتك : اخترتك (انظر آية ١٦٤ من سورة النساء) (نخذ ما آتيتك) من التوراة ، وبلغها لقومك (وكن من الشاكرين) لى على هذا الاصطفاء (وكتبنا له فى الألواح) وذلك لأن التوراة كانت تنزل على موسى مكتوبة فى الألواح ، أو كان يكتبها - بأمر

ربه - فى الألواح ؛ ولاحاجة بنا لى أن نخوض فى صفة هذه الألواح ؛ وهل كانت من ياقوت ، أو زبرجد ، أو زمرد ، أو من سدر الجنة ؛ مما خاص فيه أكثر المفسرين ، وأطنبوا فى وصفه ؛ حيث لا حاجة بنا لى ذلك (من كل شىء) من التنبيه لى وجود الله تعالى والتذكير بعظمته ! (موعظة) لهم (وتفصيلاً) تبييناً (لكل شىء) يحتاجون لىه لمعاشهم ومعادهم (نخذها بقوة) مجد وعزم واجتهاد (وأمر قومك بأخذوا بأحسنها) وذلك لأن فى التوراة : الحسن والأحسن ؛ كالاقتصاص والغفو ؛ فان الغفو خير من القصاص ، وكانع الأوامر واجتناب النواهي ؛ فان اتباع الأوامر خير من اجتناب النواهي (سأريك دار الفاسقين) أى سأريك ما حل بفرعون وقومه من عذاب وتشريد ، وأورثكم أرضهم وديارهم ؛ والمراد بدار الفاسقين : مصر (سأصرف عن آياتى) دلائل قدرتى وعظمتى (الذين يتكبرون فى الأرض) فلا يؤمنون بى ، ولا يصدقون رسلى (ولم يروا كل آية) دالة على وحدانيتى (لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد) طريق الهدى والصلاح (لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغنى) طريق الفساد والضللال (يتخذوه سبيلاً) طريقاً لهم يتمسكون به ، ويسرون

فيه (ذلك) الصرف عن الآيات ، والوقوع فى الضلالات (بأنهم) بسبب أنهم (كذبوا بآياتنا) بعد ظهورها ووضوحها ؛ فاستحقوا بذلك الصرف عما ينجى ، والوقوع فيما يردى ! (والذين كذبوا بآياتنا) فلم يؤمنوا بها ؛ واتخذوا لقدرة الله تعالى وآياته أسبأياً ؛ كقولهم : ان المطر بالنوء ، وإن الزلازل من تفاعلات أرضية ، وإن البراكين ترجع إلى أسباب طبيعية ؛ كتسرب ماء البحار وتبخره من الحرارة ومحاولة الخروج ، وإن الأرض والكواكب تدور فى أفلاكها بقوى مغناطيسية ، ودوافع جاذبية ، وإن الأرض كانت قطعة من الشمس فزالت منها ، وانفصلت عنها ؛ وهم بهذه التعلات والأسباب يحاولون أن يستندوا كل كائن إلى أسباب طبيعية ؛ يدفع بعضها بعضاً بغير حاجة إلى موجد أو إلى صانع ؛ ناسين الخالق الرازق ، القادر ==

= القاهر ، العظيم الجبار ؛ فعلى الله عما يقولون علواً كبيراً ! سبحانه « له الخلق والأمر » وهؤلاء المكذبين : كذبوا بآيات الله تعالى (ولقاء الآخرة) وهى القيامة ، والبعث ، والحساب ، والجزاء (حطت) بطلت (أعمالهم) التى عملوها فى الدنيا ؛ فلا يقام لها وزن ؛ فكذبوا من عالم : ملاء علمه طباق الأرض ؛ وسارت مخترعاته فى طولها والعرض ؛ وهو من أهل النار : لكفره بالله ، وإيمانه بالقوى التى أوجدها الله بقدرته ومشيئته ! وكذبوا من جاهل : صفت نبيته ، وحسنت عبادته ؛ وآمن بمولاه ؛ فكان من أهل النجاة ! (هل يجزون) أى

هل يجزى هؤلاء المكذوبون الغافلون ؛ يوم القيامة من الذناب (إلا ما كانوا يعملون) أى لا جزاء ما عملوا فى الدنيا (واتخذ قوم موسى من بعده) أى بعد ذهابه لميقات ربه (من حلهم) أى مما يتحلون به من الذهب والفضة (عجلاً جسداً) أى عجلاً جسماً (له خوار) له صوت ؛ والحوار : صوت البقر ؛ وقد كان لإبليس اللعين يدخل فى جسد العجل ، ويخور كما يخور . وقيل : صنوه بحيث إذا تعرض للهواء : خرج منه صوت يشبه خوار العجل (اتخذوه) عبدوه (ولما سقط فى أيديهم) هو كناية عن اشتداد الحسرة والتندامة (ولما رجع موسى) من ميقات ربه (إلى قومه) بعد أن تلقى أمر ربه ووجهه (غضبان أسفاً) مما رأى عليه من الانصراف عن عبادة الله تعالى ؛ - الخالق الرازق ، الضار النافع ، السميع العليم - إلى عباد صنم أخرس ؛ لا يخالق ولا يرزق ، ولا يضر ولا ينفع ، ولا يبصر ولا يسمع ! (أعلمت أمر ربكم) تعجلتم سخطه وغضبه وعذابه ! (وألقى الألواح) التى فى يده ، وفيها التوراة ، التى تلقاها عن ربه ليلها لم ؛ وذلك ليتفرغ للتصال مع أخيه هرون ؛ الذى استخلفه عليهم ؛ وقد توهم أن هرون

٢٠٠

الجزء التاسع

خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْلَمْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَنْتِ الْأَلْوَحُ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ
اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ
وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٥﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي
وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ
وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٧﴾
وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ
رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٨﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ
مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُحُوتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ
لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٥٩﴾ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ
سَبْعِينَ رَجُلًا رَشِيدًا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْحَةُ قَالَ رَبِّ
لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَاسْتَأْذِنْتَ لَأَهْلَكْتَهُمْ جَمَاعًا فَفَعَلْ

الفهامة

لم يتم بما استخلفه عليه ، وأهمل فى اتباع أوامره (وأخذ برأس أخيه يجره إليه) فهال ذلك هرون ؛ وخشى على نفسه من أخيه موسى ، ورأى وضوح عذر موسى فى هذا الاعتداء - رغم أن هرون كان مضطراً ومغلوباً على أمره - (قال) هرون لموسى متفتراً (ابن أم إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي) بعد ذهابك (وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء) بما فعله الآن معي (ولا تجعلني مع الظالمين) أى لا تجعلني - بعدائك لي - فى مصاف الكافرين ! ويؤخذ من هذه الآية أن حالة الغضب لا يصح أن تقاوم بالشدّة ؛ بل باللين ، خصوصاً بين متحابين ! فانظر كيف أن هرون عليه السلام حينما قابل غضب أخيه وبأسه بليته وهدوئه : سكن موسى وطلب لنفسه ولأخيه الغفران (قال رب اغفر لي وأخى وأدخلنا فى رحمتك) =

التي وسعت كل شيء (إن الذين اتخذوا) عبدوا (العجل) وهم اليهود (سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا) غير ما أعد لهم في الآخرة من عذاب أليم مقيم ! (ولما سكنت عن موسى الغضب) أي سكن ؛ وبه قرأ معاوية بن قرة . وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن موسى عليه السلام كان من أشد الناس غضباً ، وأنه من شدة غضبه صك ملك الموت فقفاً عينه . وهي قرية لإسرائيلية ؛ نموز بالله من الوقوع فيها ! (أخذ الألواح وفي نسخها) أي فيما نسخ فيها وكتب (هدى) من الله (ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) يخافون بطشه وعقابه (واختار موسى قومه) أي من قومه (ليقاتنا) أي للوقت الذي ضربناه له للاتيان بهم ليعتدروا عن عبادة العجل ، ويستغفروا مما جنت أيديهم ! (فأما أخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة ؛ وذلك لأنهم لم يفارقوا قومهم - حين عبدوا العجل - ولم ينهروهم على عبادته ؛ وهم غير الذين سألوا الرؤية ، وأخذتهم الصاعقة ! (إن هي إلا فتنتك) عنتك وابتلاؤك ؛ حين كلمني وسمعا كلامك ، فطمعوا في رؤيتك . أخذها موسى عليه السلام من قوله تعالى «فأنا قد

سورة الأعراف ٢٠١

السُّفَهَاءَ مِمَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ نَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ نَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ ﴿٢٠١﴾ * وَاسْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا أَعْيُنُكَ قَالَ عَلِيُّ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأْتُكَ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٢﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْغُيُوبَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

فتنا قومك من بعدك» وقد فتنهم الله تعالى بعد أن ضلوا وأضلوا ، وزاغوا وأزاغوا «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» (لما هدانا إليك) أي تبنا ورجعنا (قال عدنان أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَسَاءٍ) قرأ الحسن «من أساء» من الإساءة (ورحمتي وسعت كل شيء فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتوا الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) انظر كيف قيد الرحمة التي وسعت كل شيء بتقوى الله ، وإتاء الزكاة ! فاعلم أيها المؤمن أن أمامك طريقين ؛ أيهما سلكت جوزيت من جنس عملك : فإما أن تشج عمالك وتضجى برحمة الرحيم الرحمن ؛ الذي يطعم في رحمته كل إنسان ، ولما أن تؤدي ما فرضه الله تعالى عليك من الزكاة ؛ فتسلك رحمته ،

وتسلك مغفرته ! (انظر آية ١٤١ من سورة الأعراف) (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) جاء في إنجيل برنابا - على لسان عيسى عليه السلام - ما نصه : «إن كلامكم لا يعزيني ؛ لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور ، ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب ، وسيستد دينه ويمم العالم بأسره ؛ لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم ، وإن مما يعزيني أن لا نهاية لدينه ؛ لأن الله سيحفظه صحيحاً ! حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا الله أرسل لنا رسولك ، يا محمد تعال سريعاً لخلص العالم» اصحاب ٩٧ (ويحل لهم الطيبات) وهو ما كانوا يحرمونه على أنفسهم - في الجاهلية - من البجائر والسوائب والوسائل والحواشي (ويحرم عليهم الجباث) كلحم الخنزير والميتة =

والدم ، وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التي حرمها الله تعالى (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) أي يضع عنهم القيود والتشديد الذي كان على بني إسرائيل ؛ بسبب أعمال عملوها ، وذنوب ارتكبوها (فالذين آمنوا به) أي بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعزروه) عظموه (واتبعوا النور الذي أنزل معه) وهو القرآن العظيم ؛ وأكرم به من نور !

رب إن الهدى هداك وآيا تك نور تهدي بها من تشاء !

الجزء التاسع

٢٠٢

نور القلوب ، وشفاء الصدور ، وكلام الحكيم العليم ، العزيز الرحيم ! (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي) الذي لا يقرأ ولا يكتب ؛ وآتى بما أعجز البلغاء ، وأخرس النصحاء ! وقد أرسله الله تعالى أمياً ؛ ليكون ذلك أذهب للريبة ، وأبعد للشبهة ؛ أرسله أمياً وهو أعلم العلماء ، وأحكم الحكماء !

كفالك بالعلم في الأمي معجزة

في الجاهلية ، والتأديب في اليتيم !

(ومن قوم موسى) يعني بني إسرائيل (أمة) جاعة ؛ آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (يهدون) الناس (بالحق) التي تمسكوا به (وبه) أي بالحق (يعملون) في أحكامهم فيما بينهم ؛ فيه يعطون ، وبها خنن ، وينصفون من أنفسهم فلا يجورون . وقد ذهب قوم من المفسرين إلى أنها أمة فيها وراء الصين ؛ وهو ليس بشيء (وقطناهم) أي فرقناهم (اثنتي عشرة أسباطا) الأسباط : أولاد الولد ؛ وكانوا اثنتي عشرة قبيلة ؛ من اثني عشر ولداً من ولد يعقوب عليه السلام (وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومه) طلبوا السقيا ؛ لانعدام الماء في التيه (فانجست) فافضرت (منه اثنتا عشرة عيناً) بعدد الأسباط ؛ والسبط: القبيلة من اليهود (قد علم كل أناس)

وَالْأَرْضِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
 لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
 وَبِهِ يَعْبُدُونَ ﴿١٥١﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا
 أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمَهُ أَنْ أَضْرِبْ
 بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ
 عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ وَأَنْزَلْنَا
 عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
 وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٥٢﴾ وَإِذْ قِيلَ
 لَهُمْ اسْكُونُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا
 حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ مُجْتَمِعِينَ فَغَفَرْنَا لَكُمْ حِطِّيَّتِكُمْ
 فَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٣﴾ قَبَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا
 غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ

بما كانوا

كل سبط (مشربهم) العين الخاصة بشربهم (وأزلنا عليهم المن) وهو كل مامن الله تعالى به على عباده ؛ من غير تعب ولا نصب (والسوى) كل ما يتسلى به . وقيل : طائر ، ويطلق أيضاً على العسل (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي من الرزق السهل ، الحلال الطيب المباح . (انظر آيتي ١٧٢ من سورة البقرة . و ٥٨ من هذه السورة) (وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية) بيت المقدس (وقولوا حطة) أي أمرنا حطة . وهي بمعنى: حط عنا ذنوبنا حطة (وادخلوا الباب) أي باب القرية (سجداً) مطاطئين الرؤس ، خاضعين لله التي تفضل عليكم (قبَّل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم) فلم يقولوا «حطة» بل قالوا: حطة في شعيرة . ولم يسجدوا ؛ بل زخفوا على أستانهم ؛ ولم يقصدوا من وراء ذلك سوى الخالفة (فأرسلنا عليهم رجزاً) عذاباً

بِمَا كَانُوا يَظْلُمُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ
حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانَتُهُمْ
يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتَوُونَ لَأَن تَأْتِيَهُمْ كَذَلِكَ
نَبِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ
لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
قَالُوا مُعِدَّةٌ لِّإِن رَّبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٠٥﴾ فَلَمَّا سَأَلُوا
مَا دُكِّرُوا بِهِ أَجَبْنَا الَّذِينَ يَبْهُونَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا
الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٠٦﴾ فَلَمَّا
عَتَوْا عَن مَّانُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٢٠٧﴾
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ لِكِ يَوْمِ الْفِتْنَةِ مَن
يَسُوءُهُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ إِن رَّبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ
وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠٨﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا
مِّنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ

(وأسألهم من القرية التي كانت حاضرة البحر) أى قرية منه ، رابكة لشاطه «ميناء» قيل : هى أيلة ؛ بين مدين والطور ، وقيل : هى ساحل مدين (إذ يعدون) يتعدون ويتجاوزون حدود الله تعالى (فى السبت) فى يوم السبت - وهو يومهم المظم فى ديانتهم - وقد أمروا بعدم العمل فيه (إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً) ظاهرة على وجه الماء ؛ فتنة لهم وابتلاء ؛ وإن الله تعالى ليبتلي المؤمن ليزداد أجرأ بصدقه ، ويبتلي الكافر ليزداد عذاباً بكفره (كذلك) أى لإتيان الحيتان وظهورها على وجه الماء فى يوم السبت ؛ الذى حرم فيه الصيد ، وعدم إتيانها فى الأيام الأخرى التى أبيع فيها ؛ كذلك (نبؤهم) نشدد عليهم البلاء والاختبار والامتحان (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم ، وتركهم لأمر ربهم (وإذ قالت أمة طائفة منهم) من بنى إسرائيل ؛ لطائفة أخرى كانت تعظ الذين اعتدوا فى السبت ، وتقول لهم : احذروا مخالفة ربكم ، والزموا أوامره . فقالت الطائفة الضالة لهذه الطائفة الأمرة بالمعروف (لم تعظون قوماً الله مهلكهم فى الدنيا بأعمالهم (أو معذبهم) يوم القيامة (عذاباً شديداً قالوا) إنما نهيهم (معصرة لى ربكم) أى تعظهم ليكون ذلك عذراً لنا عند ربنا ؛ إذ قننا بما يجب علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ولعلمهم يتقون) بسبب وعظنا لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) أهملوه وتركوه واستمروا الكفر والمخالفة (أجيبنا الذين يبهون عن السوء) وهى الطائفة التى كانت تعظهم ونهيهم (وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس) شديد البؤس (بما كانوا يفسقون) أى بخروجهم من طاعة الله تعالى إلى معصيته (فلما عتوا) تكبروا (عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة) أى كالقردة فى المهانة أو «قردة» على الحقيقة (خاسئين) صاغرين مطرودين (وإذ تأذن ربك) أى أقسم وأعلم (ليبعثن عليهم) أى على اليهود (إلى يوم

القيامة من يسومهم) يقال : سامه خسفاً ؛ إذا أولاه ذلاً (سوء العذاب) بالقتل ، والأسر ، وأخذ الجزية . فبعث الله تعالى عليهم سليمان ، وبعده بختنصر ؛ فأعمل فيهم القتل والسبي ، وضرب الجزية على من بقى منهم ؛ فكانوا يؤدونها الى الجوس ؛ حتى بعث الله تعالى نبينا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم فضرها عليهم ؛ ثم بعث الله تعالى عليهم بعد ذلك أمة الألمان ، فأرثهم من الذل والعذاب ألواناً لم يرها مخلوق من قبل ؛ حتى انهم ليجمعونهم بالآلاف ويطلقون عليهم الغاز الخائق ، ويضعونهم فى النيران ! أليس ذلك مما تأذن به المنتقم الجبار فى سالف الأزمان ؟ !

وسيطل اليهود طول العمر ، وأبد الدهر؛ تحت نير الذل والعذاب «إلى يوم القيامة» (وقطعناهم) =

فرقانهم (في الأرض أجمعاً) فرقا (منهم الصالحون) المؤمنون ؛ الذين آمنوا بحمد وبعما أنزل إليه (ومنهم دون ذلك) أي الكافرون (ويولوناهم بالحسنات والسيئات) أي امتحناهم بالنعم والنقم ، والحصب والجذب ، والفتى والفقير ، والصحة والمرض (لعلهم يرجعون) إلى ربهم ، ويتوبون من ذنوبهم ، ويؤمنون بعد كفرهم . لكنهم لم يفعلوا (خلف من يعدم خلف) الخلف بالجزم : الأولاد الطالحون ، وفتح اللام : الصالحون (ورثوا الكتاب) التوراة عن آباؤهم (ياخذون عرض هذا الأذن) العرض : المتاع . والأذن : القريب ، أو الأخص الأحقق . والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام (ويقولون سيفرلنا) وهكذا شأن النجار الأشمار : يعملون كل ما يؤهلهم للشار ، ويطعمون في المغفرة بلا عمل ولا استغفار ! (ولان يأتيهم عرض مثله) أي مثل العرض الأذن المذكور (ياخذوه) أيضاً ؛ وهم في ذلك كمثل المذنب الذي يطعم في المغفرة ، ولا يحاول ترك الذنوب ؛ بل يصر عليها ، ويداوم على فعلها . ومن المقطوع به : أنه لا كبيرة مع الاستغفار ، ولا صغيرة من الإصرار ؛ فكيف بالكبيرة مع الإصرار؟! (لم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) وهو أخذ العهود عليهم بأقامة التوراة والعمل بما فيها ، و (أن لا يقولوا على الله إلا الحق) فلا ينسوا إليه مالم يقوله ، ولا يطمعوا في مغفرته بغير توبة ولا عمل (ودرسوا ما فيه) أي ما في الكتاب (والدار الآخرة) وما فيها من نعيم مقيم (خير للذين يتقون) الله ويخشون عقابه (والذين يمسكون) يستمسكون (بالكتاب) ويعملون بما فيه . وقرأ ابن مسعود رضى الله تعالى عنه «والذين استمسكوا بالكتاب» (وأقاموا الصلاة) التي أمرناهم بأقامتها (وإذ نتقنا فوقهم) فاقناه ورفقناه فوق رؤوسهم (كانه ظلة) الظلة : كل ما أظلك من سقف ، أو سحاب (وظنوا) تأكدوا (أنه واقع بهم)

وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧١﴾ خَلَفَ مِنْ بَعِيْمٍ خَلَفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنِ وَيَقُولُونَ سِغْفَرْنَا وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧٢﴾ وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أجرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٣﴾ * وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَاءَ آتِنِكُمْ قُوَّةً وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٤﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٥﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ

بَعِيْمٍ

لأحالة ؛ حينئذ قلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) من الشرائع ، والأوامر ، والنواهي (بقوة) بمجد وعزم واهتمام (وادكروا ما فيه) بالعمل (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم) قائلاً لهم (ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا) بأنك ربنا . وهذا من باب التمثيل والتخييل . والمعنى : أنه تعالى نصب لهم الأدلة على ربوبيته ، والبراهين على وحدانيته ، فشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها الله تعالى فيهم ، وجعلها مميزة بين الضلالة والهداية ! فكانت تعالى أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم «ألسنت بربكم» وكانهم «قالوا بلى شهدنا» وهذا التمثيل شائع سائغ في لغة العرب وأشعارهم (أن تقولوا) أي أشهدناكم على أنفسكم ؛ ثلاثاً تقولوا (يوم القيامة إنا كنا عن هذا) الإيعان (غافلين) فلم نعلم عنه شيئاً (أو تقولوا =

== إنما أشرك آبائنا) بالله (من قبل وكنا ذرية من بعدهم) سرنا على سيرتهم ، وابتغناهم في عباداتهم (أتهلكنا بما فعل المبطلون) من آبائنا (واتل عليهم) يا محمد (بأ الذي آتيناهم آياتنا) قيل : هو رجل من بني إسرائيل ؛ أوتي علماً غزيراً ، وقيل : هو أمية بن أبي الصلت . وأعجب الأقوال : قول بعض المفسرين : إنه نبي من أنبياء الله ؛ يقال له : بلعم ، أو بلعام ، وقد أنزل عليه كتاباً . وهو قول باطل ؛ يردده العقل والنقل ؛ فإن الله تعالى ليس كأحدنا : فيخطيء في اصطفاء عباده ، واختيار أنبيائه ؛

سورة الأعراف

٢٠٥

و «الله أعلم حيث يجعل رسالته» (فانسلخ منها) أى كفر بها (فأتبعه الشيطان) أى إن الشيطان جعله تابعاً له (فكاث من العاوين) المالكين ؛ من غوى الفصيل : إذا هلك (ولو شئنا لرفعناه بها) أى بهذه الآيات ؛ ووقفناه للعمل بما فيها (ولكنه أخذ) سكن (إلى الأرض) أى إلى الدنيا ، ورغب فيها ، ومال لآيها (واتبع هواه) واتباع الهوى لمن أشد الموبقات المهلكات ؛ وهو لإحدى موارد النار ؛ فقد خلق الله تعالى الإنسان مزيجاً بين الخير والشر ؛ وأبان له عن كليهما حق التبين : قال تعالى «وقس ومساواها ، فألمها فجورها وتقواها» ثم ميزه بالعقل الذى يعقله عن الفجور المؤدى إلى النار ، ويمهد له سبيل التقوى المؤدى إلى الجنة ! وما من إنسان - كائن من كان - إلا ويميز في نفسه بين الخير والشر ، والطيب والحديث ؛ وقد تقل قدرته على هذا التمييز ، أو تنعدم أصلاً ؛ إذا كان مصاباً بفساد عقله ، أو بنهاه !

بَعْدِهِمْ أَتَيْنَاكَ بِمَا فَعَلَ الْمُطَّيَّرُونَ ﴿٢٠٥﴾ وَكَذَلِكَ نَقْصِلُ
الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٠٦﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي
ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
الْعَاوِينَ ﴿٢٠٧﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى
الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ لَكُمِّلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ
عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٠٨﴾
سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴿٢٠٩﴾ مَنْ يَبْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى وَمَنْ يُضِلْ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢١٠﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا
مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ
كَأَلَّا نَعْمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٢١١﴾

غير أنه لا يمكن القول بأن تمت مخلوقاً قد عدم التمييز بين الخير والشر انعداماً تاماً ؛ وهو في تمام صحته ، وكمال عقله . بل لا بد أن تكون لديه فكرة كاملة عن أن بعض الأعمال شر وبعضها خير ؛ وإذا قلنا بغير ذلك فلماذا

يستخفى عن الأعين حينما يتطلب هواه منه أمراً محذوراً غير مشروع ؟

حتى الحيوان الأعجم فانه يحس في قرارة نفسه ماهو شر ، وماهو خير ، وماهو مشروع ، وما هو غير مشروع . أ رأيت إلى القطعة كيف استطاعت أن تميز بين ماهو مباح ، وما ليس بمباح ؛ فيبينها تأكل ماتصلبه لها آمنة مطمئنة ؛ إذا بها تفر فراراً بما تسرق أو تحطف ، وتتوارى به عن الأعين ؛ وتنتظر إليك شزراً نظراً الخائف المرتعب !

فالإنسان إذا ما اتبع هواه ، ولم يستطع أن يقاوم في نفسه قوى الشر : فقد انحط بإنسانيته إلى مرتبة هي دون مرتبة البهائم ! أما إذا قاوم هواه ، وحارب نفسه ، وألزمها الخير المحض ، وجنبها الإثم والشر : فقد ترقى =

== بها إلى مراتب الأملك ، وصار أملا لخلافة الله تعالى في أرضه ، وخليقاً بتبوي جنته ، والقلب في نعمته ! (فتله) أي مثل من أخذ إلى الأرض واتبع هواه (كثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) المعنى : أنه ضال سواء وعظته أم لم تظهه ؛ كالكلب إن طردته فسعى لهث . وإن تركته على حاله آمنا هادئاً لهث . وهو تمثيل ظاهر البلاغة ، بادی الروعة ؛ يضرب لطالب الدنيا وحدها ؛ فهو دائماً ذليل مهان ؛ تابع لشمواته ، عابد لمخلقاته (فاقص القصص) عليهم (لعلهم يتفكرون) يتدبرون فيها ؛ فيؤمنون

الجزء التاسع

٢٠٦

(سواء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي بئس المثل مثلهم (وأنفسهم كانوا يظلمون) بالكذب ، وتعريضها للعقاب النبوي ، والعذاب الأخروي (من يهد الله) إلى دينه (فهو المتهدي) لأن الهداية جاءت تفضلاً من لدن العزيز الكريم (ومن يضل) يتركه بغير هداية (وأولئك هم الخاسرون) «الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة» وقد أضلهم الله تعالى بعد أن ضلوا وأضلوا ؛ قال تعالى «ولا تتبموا أهواء قوم قلدضوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل» (ولقد ذرأنا) خلقنا (لجنهم كثيراً من الجن والإنس) خلقناهم ليؤمنوا بي وبرسلي ؛ فكفروا بي وكذبوا رسلي . ومهدنا لهم سبيل الهدى ؛ فاتبعوا الهوى ، وأبنا لهم طريق الرشد ؛ فأبوا إلا طريق الضي (لهم قلوب) كسائر قلوب الناس ؛ خلقناها لهم ليقبها بها ؛ ولكنهم وضموها عليها أكنة وأقفلاً تخمها من الفهم ؛ فأضموها (لا يفقهون بها ولهم أعين) خلقناها لهم للإبصار والاستبصار ، وللترفة بين النافع والضار ، وللنظر إلى دلائل قدرته تعالى بين الاعتبار ؛ لكنهم وضموها عليها غشاوة فعموا عن رؤية الحق ، وأصبحوها (لا يسمعون بها ولهم آذان) خلقناها لهم للاستماع إلى الصبح والرشد ؛ لكنهم صموا عن سماع الهدى ؛ فأمسوا (لا يسمعون بها) حتى عليهم

وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُّو الدَّيْرَ
يُحْسِنُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَجَزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٠﴾
وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٧١﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ
لَا يَعْهَدُونَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمَّا لَهُمْ إِن كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٧٣﴾
أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ
مِّبِينٌ ﴿١٧٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنَّ عَذَابَ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٥﴾ مَن يُضِلِلِ اللَّهُ
فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٧٦﴾
يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِنْدَ
عِنْدِ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْ تَهَا إِلَّا هُوَ نَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْضَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ

وصف ربهم (أولئك كالأنعام بل هم أضل) سبيلاً من الأسماء ، و (أولئك هم الغافلون) عما ينجيهم (والله الأسماء الحسنى) سميت أسماءه تعالى بالحسنى : لأنها حسنة اللفظ والمعنى ، حسنة في القلب والسمع ؛ كيف لا وهي تدل على اللطف والجود ، والكرم ، والرحمة ، والرأفة ، والود ، والهداية (فادعوه بها) أي تقيروا إليه تعالى بها ؛ واطلبوا منه ما تشاءون بأسمائه الكريمة : فطلب الإنسان بكل اسم ما يملك به ؛ كأن يقول : يا رحيم ارحمني ، يا معز أعزني ، يا غفار اغفر لي ، يا رزاق ارزقني ، يا قاهر اقهر من ظمني ، يا تواب تب علي ، يا هادي اهدني ، وهكذا .

وهذه الأسماء : صفات لذاته تعالى ؛ إذ أن اسمه العظيم الأعظم هو «الله» وعلى ذلك كبار القوم ؛ =

حَتَّىٰ عَنَّا قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ يُقْرَأُ بِرُؤْيُوتِهِمْ ﴿٢٠٨﴾ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلٌ حَافِيًا قَرَّرَتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَقَلَّتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهَا لَنْ يَأْتِيَنَّاهَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشُّكْرَيْنِ ﴿٢٠٩﴾ فَلَمَّا سَأَهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١٠﴾ أَيْشُرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُحْلِقُونَ ﴿٢١١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٢١٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاكُمْ عَلَيْهِمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِحُونَ ﴿٢١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ

= ألا ترى إلى قوله جل شأنه «والله» وهو المسمى «الأسماء» أى التسميات التى يتسمى بها ، أو الصفات التى يتصف بها (انظر آية ١٠ من سورة الإسراء) (وذروا) اتركوا (الذين يلحدون فى أسمائهم) أى يميلون فيها ، ويتركون القصد ؛ كما فعل المشركون فى تسمية أوثانهم : فاشتقوا اللات من «الله» والعزى من «العزير» (ومن خلقنا أمة) جماعة (يهدون بالحق وبه يعدلون) أى يحكمون بالحق عدلا (وأولى لهم) أهمهم (إن كيدى) الكيد : المكر . والراد به : العذاب . أى إن عذابى (متين) قوى شديد (أولم يتفكروا) ما بصاحبهم) أى ليس بصاحبهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (من جنه) جنون . وكانوا يقولون : شاعر مجنون (إن هو إلا نذير مبين) بين الإنذار واضحه (أولم ينظروا) نظر اعتبار واستبصار (فى ملكوت السموات والأرض) ملكه تعالى (وما خلق الله من شيء) فيهما ؛ وأن كل ذلك يدل على وجود الله تعالى ووحدانيته ، ووجوب الإيمان به ، والتصديق برسله (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) فيقبضوا على ما هم عليه من تكذيب وكفر ؛ فليسارعوا فى الإيمان ، قبل فوات الأوان ! وإذا لم يؤمنوا بما سقناه لهم من الدلائل (فأبى حديث بعده يؤمنون) أى فبأبى تخويف وتهييب ، وتبشير وترغيب ؛ بعد الذى جاء به محمد هدايتهم يهتدون ؟ ! (من يضل الله فلا هادى له) أى من يتركه بغير هداية : فلن يستطيع أحد هدايته . وإضلاله تعالى لا يعدو أن يتركه فى طغيانه ؛ مادامت أامله سبل الهداية فلم يحاول سلوكها (ويذرهم فى طغيانهم يعمهون) العمه : التخير والتزدد (يسألونك عن الساعة أيان) متى (مرسأها) لرساؤها ؛ أى لئباتها وإقرارها ووقتها (لا يجلبها) لا يظهرها (لوقتها لا هو) وحده لا يشركه أحد - من ملك أو رسول - فى ذلك (نقلت) عظمت (فى السموات والأرض) أى

على أهلها ؛ لما ينتظرانه فيها من أموال (لا تأتكم إلا بفتنة) فجأة (يسألونك كأنك حنى عنها) أى كأنك عالم بها (قل إنما علمها عند الله) وحده (قل لا أملك لى نفسى نفعا) ألقه بها (ولا ضرا) أدفعه عنها (إلا ما شاء الله) أن يقوينى ويعيننى عليه (ولو كنت أعلم الغيب لاستكترت من الخير وما مسنى السوء) أى لو كنت أعلم الغيب لتحررت مواضع النجاح ، ومواطن النجاة ؛ ولما كنت غالباً تارة ، ومغلوباً أخرى (انظر آية ٥٠ من سورة الأنعام) (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) آدم عليه السلام (وجعل منها) من جنسها (زوجها) حواء (ليسكنن إليها) ليستأنس بها ، ويطمئن إليها (فلسا تغشاهما) أى جامعها (فلما أتقلت) ثقل حملها (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا) أى تسلا صالحا (جعلنا له شركاء) المعنى : =

== انه كان من نسل آدم عليه السلام من كفر بالله تعالى ، وجعل له شركاء في العبادة ؛ والتثنية بالنسبة للذكر والأنثى (أي شركون) به في العبادة (ملا يخلق شيئاً وهم يخلقون) يخلق الله تعالى الحجارة - التي هم من جنسها - ويخلق الإنسان منها الأصنام التي يعبدونها (ولا يستطيعون) أي لا تستطيع الأصنام (لهم) أي لعابديهم (نصراً) على عدوهم (ولا أنفسهم ينصرون) لو أراد أحد الناس بهم سوءاً ؛ وهاهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد حطمها تحطياً ، وتركها جذاداً ؛ وقال لعبيدتهم «فاسألوهم إن كانوا ينطقون» (وإن

تدعوهم) أي وإن تدعوا هذه الأكلة (إلى الهدى لا يتبعوك) لأنهم لا يسمعونكم ، ولا يرونكم (سواء عليكم أذعوتهم أم أتت صامتون) أي سيات عندكم دعاؤكم وصمتكم ؛ فكيف يهديك إلى الرشاد ؛ من إذا دعى إليه: استوى عنده دعاؤكم وصمتكم ؛ لأنه لا يسمع ولا يعقل ! (إن الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) غيره (عباد أمثالكم) مملوكون له ؛ كما أتم له ممالك (فادعواهم فليستجيبوا لكم) يجيبوك لما دعوتهم إليه . ولا فكيف تعبدون ما لا يسمع ولا يعقل ؟ ! (ألم أرجل يمشون بها) كأرجلكم (أم لهم أيدي يبطشون بها) كأيديكم (أم لهم أعين يصرون بها) كأعينكم (أم لهم آذان يسمعون بها) كأذانكم ؟ فإذا كانوا لم يلفوا بعد حد العابدين الخلقين ؛ فكيف تسوونهم بأحسن الخلقين ؟ ! (فلا تنظرون) تؤجلون وتمهلون (خذ العفو) العفو : ضد الجهد ؛ أي تسهل في معاملة الناس من غير كلفة ، ولا تطالبهم بما يشق عليهم ، أو «خذ العفو» أي الزيادة . والمعنى : لا تأخذ للصدقات إلا بما زاد عن حاجتهم . قال تعالى «ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو» وقيل : لأنها نسخت بعد نزول آية الزكاة (وأمر بالعرف) المعروف والجميل من الأعمال . وقد ورد عن الرسول

الجزء التاسع

٢٠٨

مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ أَلَمْ أَرْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا آمُّ لَمْ
 أُبْدِ يَبْطِشُونَ بِهَا آمُّ لَمْ أَعْيُنَ يَبْصُرُونَ بِهَا آمُّ لَمْ
 ءَ إِذْ أَنْ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ
 فَلَا تَنْظُرُونِ ﴿١١٢﴾ إِنَّ وَرَثَةَ اللَّهِ الَّذِينَ تَزَلَّ أَلْتَكْتَبُ
 وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
 لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٤﴾ وَإِنْ
 تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ
 إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١١٥﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
 وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١١٦﴾ وَإِنَّمَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ
 نَزْعًا فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا
 هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿١١٨﴾ وَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ النَّبِيِّينَ مَا

لَا يُبْصِرُونَ

الكرام صلوات الله تعالى وسلامه عليه : «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» : هو أن تصل من قطعك ، وتغطي من حرمك ، وتمفو عن ظلمك ! وحقاً إن من يرى ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام بأعدائه ؛ بعد أن أوسعوا في الكيد له ، وأفرطوا في إيذائه والتيل منه ! إن من يرى ذلك الإيذاء والبلاء ، ويرى بعد ذلك معاملته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ؛ بعد أن أمكنه الله تعالى منهم ، ودخل مكة - فاتحاً ظافراً - ببئس عزمه لبي ؛ لم تر جزيرة العرب مثله من قبل ؛ يكتسح مكة ، وتطوؤها خيله ؛ والبلاذ جيعاً في قبضته وتحت رحمة ؛ وقد شملها - مع القدرة - عفو ، وعمها - مع القوة - عدل ! فلم تثره عليهم حفيظة ، أو تحفره على الفتك بهم ضغينة ! في حين أن مثلهم قليل عليه هلاك النفوس ، وقطع الرؤوس ! =

انظروا إلى أبي سفيان ابن حرب ؛ وقد فعل بالمؤمنين ما فعل ، وأذاهم أبلغ الإيذاء ، وأنزل بهم صنوف البلاء : فهو الذي نكل بهم أشد النكيل في أحد ، وزلزلهم في الخندق ، وهاج عليهم القبائل ، وحرص عليهم الكفار والمنافقين ! وانظروا عفو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عنه ، بعد أن أمكن الله منه : فان عفوه عليه الصلاة والسلام لم يقف عند حد فك أسره وانجاهه من الموت فحسب ؛ بل قد من عليه بما أعظم شأنه ، ورفع رأسه : فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول مكة « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » فأى معروف هذا ، وأى فضل ، وأى عفو؟! ٢٠٩ سورة الأنفال

ورب قائل يقول : إن لأكرام أبي سفيان وتكريمه ، والعفو عنه : إنما كان لرفقته في قبيلته ، وكرامته على قومه . فهاهو ذا « وحشى » ذلك العبد الخبيث ، الذى لا أهل له يدفعون عنه ، ولا عشيرة تؤويه ، ولا قبيلة تحميه ؛ وهو الذى أدى قلب المسلمين ، بقتل إمام المجاهدين : عم الرسول عليه الصلاة والسلام « حمزة » سيد الشهداء ؛ وقد جرى بوحشى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ وقد أسلم - أو تظاهر بالإسلام وتقتذك خشية القتل - ولا شئ حينئذ أحب إلى سائر المسلمين من أن يروا دمه ؛ كما رأوا أحشاء حمزة وقد طعنه وحشى بجرته خيانة وغدراً ! فلم يكن شأن الرسول معه سوى أن قال له : غيب عني وجهك فلا أرينك !

فأى مثل هذا لضبط النفس ، والعفو الجميل ! ولاتالو أردنا أن نورد طرفاً مما كان عليه صلى الله تعالى عليه وسلم من كريم الخصال ، وحميد الفعال : لما وسعتنا الأسفار الضخام ؛ فتبارك الذى خصه بمحاسن الأخلاق ! (انظر آية ٤ من سورة القلم) (ولما يترغفك من الشيطان ترغف) ترغف الشيطان بينهم : أفسد وأغرى (ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من

الشیطان) الطائف : العسن . شبه به بدء وسوسة الشيطان ؛ لأنه عليه اللعنة يأتي متلصصاً ؛ وبعد أن يتمسك من ضيقه : يتحكّم فيها بأمرها بالنكر ، ونهبها عن العروف (واخوانهم يمدونهم في النفي) أى يكونون مدداً لهم ، ويعضلونهم (قالوا لولا اجتبيتها) أى هلا اخترتها واختلقتها (هذا بصائر) أى هذا القرآن بصائر : وهو جمع بصيرة ؛ وهى المحجة الواضحة (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له) حال قراءته فى الجهر (وأنتصتوا) حال قراءته فى السر . وهذا فى غير الصلاة ؛ إذ «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» وذهب بعضهم إلى أن الاستماع والإصبات واجبان على المأموم عند قراءة الإمام (وإذ ذكر ربك فى نفسك) حين استماعك للقرآن وما فيه من عظات (نضرعاً) تذلاً وتخشعاً وتواضعاً (وخيفة) من أن يعاقبك مولاك على تقصير =

لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٩﴾ وَإِذَا رَأَوْا تَايِبَةً قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا
قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصِيرَةٌ
مِّنْ رَبِّيكَ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢١٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢١١﴾
وَإِذْ كَرَّرْنَا فِي نَفْسِكَ نَضْرَعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ
الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢١٢﴾
إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْجُدُونَ لَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢١٣﴾

(٨) سورة الأنفال مكية
الآية ٢٠٩ إلى غاية آية ٢١٣ وكلمة
وأيافنا ٧٥ نزلت بعدد البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴿١﴾

== وقع منك (ودون الجهر) أى أقل من الجهر ؛ لأن الإخفاء أدخل في الاخلاص ، وأقرب إلى حسن التفكير (بالهدو) هو ما قبل طلوع الشمس (والأصال) هو ما بعد العصر إلى المغرب . والترادف : واذكر ربك في كل وقت (إن الذين عند ربك) هم الملائكة .

(سورة الأنفال)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

المسألة التاسعة

٢١٠

(يسألونك عن الأنفال) الأنفال : الغنائم

التي تريد عن حصة المجاهدين - وهي الخمس من كل ماغنوه - وقيل : هو ما جاء من غير قتال ؛ كفريس ، أو عبد ، أو سلاح . وقيل : هي زيادة كان يزيدها الرسول عليه الصلاة والسلام لبعض المجاهدين : تشجيعاً لهم ، وحثاً لغيرهم ؛ فسألوا عن ذلك ؛ فقبل لهم (قل الأنفال لله والرسول) يضعها الرسول بأمر الله تعالى حيث يشاء (فأهوا الله وأصلحوا ذات بينكم) أى أصلحوا الأحوال التي بينكم . كقوله تعالى «بنات الصدور» أى بضميراتها (إنما المؤمنون) الكاملو الإيمان : هم (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره ؛ استظماماً له ، وتبهاً من جلالة وعزه وسلطانه (وإذا نلت عليهم آياته زادتهم إيماناً) على إيمانهم (وعلى ربهم يتوكلون) ويعتمدون ، ويستعينون (الذين يقيمون الصلاة) في أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) فلا يخافون فقراً ، ولا يخشون فاقة ؛ لأنهم «على ربهم يتوكلون» (أولئك هم المؤمنون حقا) فتدبر أيها المؤمن الكريم هذه الآية ، وسائل نفسك : هل أنت مؤمن حقا ؟ وهل إذا ذكر الله أمامك : وجل قلبك ؟ وإذا نلت عليك آياته : زادتك إيماناً ؟ وهل أنت تنفق مما رزقك الله ، كما أمرك الله ؟ فان كنت تفضل ذلك : فأنت من السعداء الناجين ،

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 ۝۱۰ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝۱۱ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا نُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝۱۲ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝۱۳ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۝۱۴ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝۱۵ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَذِبُونَ ۝۱۶ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝۱۷ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَيِّطَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقَطِّعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝۱۸ لِيُخَيِّطَ الْحَقَّ وَيَبِطِلَ الْبِطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝۱۹ إِذْ تَسْتَعْجِلُونَ

ربك

فاهناً بما آتاك الله تعالى من فضل ، وما وهبك من خير ؛ وإن كنت في واد والمؤمنون في واد آخر ؛ فالجأ إلى الرحيم الودود ، واجأر إلى اللطيف الحميد ؛ ليتم إيمانك ، وثبت يقينك ، ويوفئك لإقامة الصلاة ، ولإيتاء الزكاة ، والوقوف بما عند الله ؛ فتم القرب ، ونعم الحبيب ؛ (لهم درجات عند ربهم) في جناته (ومغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) وهو ما أعده الله تعالى لهم في الجنة من لذيذ المسأكل والمشرب ، وهني العيش (كما أخرجك ربك من بيتك) بالمدينة إلى بدر (بالحق) الذي أمر به الله (وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) ذلك الخروج . المعنى : إن إصلاح ذات البين ، ووجل القلوب عند ذكر المحبوب ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة : خير لكم عند ربك ؛ كما أن إخراج محمد عليه الصلاة والسلام من بيته كان خيراً له =

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ مجاهدة العدو (بعد ما تبين) لهم النصر؛ بوعد الله تعالى به. وذلك أنهم خيروا بين العير والنخير، فاخاروا العير (كما يسمون) حين تأسروهم بالقتال (إلى الموت وهم ينظرون) وكان ذلك في وقعة بدر (وإذ يمدكم الله إحدى الطائفتين) وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام في تجارة عظيمة، وخرج أبو جهل بجميع أهل مكة لتلقي العير، والمحافظة عليها؛ ونزل جبريل عليه الصلاة والسلام؛ فقال: يا محمد إن الله وعدهم إحدى الطائفتين: إما العير، وإما قريشاً. فاستشار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه؛ فاخاروا العير لحققة الحرب،

وكثره الغنيمة. وهذا معنى قوله تعالى ﴿وَتُودُونَ أَنْ تُغِيرَ ذَاتَ الشُّوْكَ تَكُونُ لَكُمْ﴾ والشوك: السلاح. فقام عند ذلك أبو بكر، وعمر، وسعد بن عباد، والمقداد بن عمرو، وسعد بن معاذ؛ رضي الله تعالى عنهم، وقالوا فأحسنوا القول، وكان مما قاله المقداد بن عمرو: يا رسول الله امض لى حيث أمرك الله ففتح معك؛ والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى «اذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا قاعدون» ولكن اذهب أنت وربك فقاتل إنا معكما مقاتلون! فوالذى بعثك بالحق لن نسيرت بنا إلى برك الغنادر (١) لجلادنا معك دونه حتى تباهه! ففرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك ودعا لهم بخير؛ وقال: سيروا على بركة الله تعالى! وكان ما كان مما هو مدون في كتب السير. (فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) يقال: ردفه: إذا تبعه. وأردفته إياه: إذا أتبعته (وما جملة الله) أى ما جعل ذلك الإمداد (إلا بشرى) لكم (ولتطمئن به قلوبكم) وما النصر) بالكثرة، ولا بالعاونة؛ وإنما هو فى الحقيقة لا يكون (إلا من عند الله) ينصر الأقل الأذل، على الأكثر الأعز - متى شاء - بإرادته وقوته (إن الله عزيز) قوى

غالب، لا يلبأ أبداً (حكيم) فى سائر أموره وتقديراته؛ فاذا قدر النصر فلعنة، وإذا قدر الهزيمة فلحكمة! (إذ يبشركم النعاس) النوم (أمنة) أمناً لكم؛ إذ أنه من المعلوم أن الحائف لاينام؛ ولكن الله تعالى ربط على قلوبهم، وحال بينهم وبينها؛ فأمنوا فى موطن الخوف، وخاف الكافرون فى موضع الأمن! والنعاس فى القتال: أمن من الله، وفى الصلاة: رجز من الشيطان (ويترى عليكم من السماء ماء ليطهركم به) قيل: كانوا على غير ماء، وأصبحوا مجننين؛ فترى المطر كالسيل؛ فشرىوا وتطهروا (ويذهب عنكم رجز

رَبُّكَ فَاسْتَجَابَ لَكَرَأْتِي مُدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿١﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢﴾ إِذْ يُبَشِّرُكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿٣﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَاتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا قُورَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاتُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿٧﴾ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِرَجْزٍ

(١) برك الغنادر: قالت العرب: إنه أقصى معمر الأرض. وقيل: هو مدينة الحبشة.

الشیطان) بعد أت وسوس للإهم فی منامهم بما أصبحهم مجنبن (ولیربط علی قلوبکم) یقویها بالصبر؛ وأنهم قد أصبحوا متطهرین (وثبت به الأقدام) عند لقاء العدو، قبل: كانوا ینتقلون فی حربهم علی کتبان من رمل تسوخ فیہ الأقدام؛ فقلبه الرمل من الماء وثبتت علیه أقدامهم عند اللقیا (واضربوا منهم کل بنان) البنان: أطراف الأصابع، أو می الأصابع كلها؛ وذلك لجلبهم عاجزین عن إمساك السیوف، ومقاتلة المسلمین مرة ثانية (ذلك بأنهم شاقوا) خالفوا وعادوا (ذلكم) القتل والأسر والذل (فدوقوه) أيها الکافرون فی الدنیا (وأن للکافرن) فی الآخرة (عذاب النار) وغضب الجبار (رحمًا) مجتمین مهاجین (إلا متحرًا لقتال) أي جاعلا القتال حرفة له، متقتا لها؛ وقد فر لیکر، وتظاهر بالهزيمة، لیفوز بالفنیمة (فقد باه) رجع (بغضب من الله) وشتان بین من رجع بالفوز والفنیمة، أو الأجر والشهادة؛ وین من «باه بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصیر!» (فلم تقتلوه) أي لم تقتلوا من قتل من الأعداء بأیدیكم ورماحکم (ولکن الله قتلهم) بأیدی ملائکته (وما رمیت إذ رمیت ولكن الله رمی) وذلك حین رمی سید الکونین صلوات الله تعالی وسلامه علیه جیوش المشرکین بقبضه من تراب، وقال: شامت الوجوه! فلم یبق مشرک إلا دخل فی عینیه منها، ولم یسطع الإبصار؛ وتسب من ذلك هزیمتهم ونصر المؤمنین!

الجزء التاسع

٢١٢

دبره. إِلَّا مَنَحَرَفًا لِقِتَالٍ أَوْ مَنَحَرَفًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ قَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَثَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١١﴾
فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ
اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٢﴾ ذَلِكَ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْجِنٌ كَرِيمٌ
الْكَافِرِينَ ﴿١١٣﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا قَدْ جَاءَ كُرَ الْفَتْحِ وَإِنْ
تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَنَنْتَهِنَا عَنْكُمْ
فَتَشْكُرُوا شَيْعًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ
وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا
وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١١٦﴾ * إِنْ شَرَّ النَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ
الضَّمُّ الْيَكْرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ
خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١١٨﴾

يَأْتِيهَا

كلاهما؛ فكذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة: من الله الإنشاء والإنجاز بالنسب، ومن الخلق الاكتساب بالقوى. وقد فاتهم أنه مما لا خلاف فيه أن سائر أعمال الخير مصدرها من الله تعالی، أما أعمال الشر فهي من الإنسان وحده؛ قال تعالی «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك». وقد نسب الله تعالی إلى نفسه قتل المشركين ورميهم بالحصاء؛ وهما خير وحسنة وإذا قلنا بغير ذلك: كانت أعمال الكفار أيضاً: من الله لإنشائها وإنجازها؛ وهذا ما لم يقل به مؤمن «وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» (وليليل) ينعم ويعطي (المؤمنين منه) من فضله (بلاء حسناً) عطاء كثيراً من النعم (ذلكم) النصر والفنیمة حق (وأن الله موهن) مضعف (إن تستفتحوا) أي إن تطلبوا القضاء أيها الكفار =

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهٌ مُنْشَرُونَ ﴿١٥﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ فَخَافُونَ أَن يَخطفُكُمْ النَّاسُ ففَاوَكُّرُوا وَيَأْخُذُكُمْ بِيضْرِهِمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا لَا تُخَوِّنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوِّنُوا أَمْثَلَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرُ عَنْكَ سَيِّئَاتِكَ وَيَغْفِرَ لَكَ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٠﴾ وَإِذْ يُكْرَبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ

== (فقد جاءكم الفتح) القضاء بهلاككم (وإن تنهوا) ترجعوا عن الكفر والحرب (فهو خير لكم) في الدنيا والآخرة (وإن تمودوا) إلى النفاق والشقاق (نعد) إلى قتلكم وتشريدكم (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) أى قالوا: آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم (إن شر الدواب عند الله) أى إن شر مخلوقات التي تدب على وجه الأرض - ومنها الإنسان - (الضم) عن سماع الحق (البكم) عن النطق بكلمة التوحيد . شبه تعالى الكفار بالبهائم ، بل بشرها ! وفى ذلك كل البلاغة ، ونهاية الإعجاز : إذ أن الكافر

لا يسمع الحق ، والبهائم لا تسمعه ، ولا ينطق بالحير ، والبهائم لا تتطق به ، ويأكل والبهائم تأكل ؛ قال تعالى «والذين كفروا يسمعون وبأكلون كما تأكل الأنعام» بقى أن الإنسان يؤذى ويضر ، والبهائم لا تؤذى ولا تضر ! فكيف لا يكون بعد هذا شراً من البهائم ؟ ! (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله) أجوبه (والرسول) محمد صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ بأن تطيعوه (إذا دعاكم لما يحيك) أى إذا دعاكم للإيمان الذى به تحيا النفوس ، وبه تحيون الحياة الباقية ! أو «إذا دعاكم» للجهاد وفى الجهاد حياتكم ؛ وإلا فال موت والويل لمن يمكن أعداءه من نفسه ، ومن دينه ، ومن وطنه ! (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) قد أريد بالقلب هنا : العقل . قال تعالى «لهم قلوب لا يفقهون بها» أى إن الله تعالى يحول بين المرء وعقله ؛ فيعمل بغير ما عليه عليه ؛ وقد حال الله تعالى - فى الجهاد - بين المؤمنين وعقولهم ، وكذلك حال أيضاً بين المشركين وعقولهم ؛ قال تعالى «وإذ يريدكم هؤلاء الفاسقين فى أعينكم قليلاً ويطغى فى أعينهم» فلو لم يحل تعالى بين المؤمنين وقلوبهم : لانهمزوا رعباً لكثرة المشركين وقوتهم ، ولو لم يحل أيضاً بين المشركين وقلوبهم : لما استهانوا بالمؤمنين وأمكنوهم من أنفسهم ؛ وذلك «ليقضى الله

أمرأ كان مفعولاً» وقد ذهب كثير من المفسرين - أئامهم الله - إلى أن معنى هذه الآية : أن الله تعالى يحول بين الكافر والإيمان ! وهو قول ظاهر البطلان ؛ لا يجوز نسبته إلى الله تعالى ! وإنما أريد بالقلب هنا العقل كما بينا (انظر آتى ١١٠ من سورة الأنعام ، و ٢٠٠ من سورة الشعراء) (واتقوا فتنة) عذاباً لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة) وذلك لأن العذاب يصيب الذين ظلموا ، والذين لم يظلموا ؛ لأن الظالم يهلك بظلمه وعصيانه ، والذى لم يظلم يهلك لعدم منعه الظالم من ظلمه ، وتركه إمامة المد عليه ! (واعلموا) أننا أموالكم وأولادكم فتنة) أى محنة من الله ؛ ليختبركم كيف تحافظون فيها على حدوده ، وتجنبون عماره (انظر آية ١١ من سورة النساء) (يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقانا) الفرقان : =

النصر والبرهان ، ولعل المراد بذلك : يجعل لكم عقلاً راجعاً تفرقون به بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وبين النفع والضر (ويكفر) يمح (وإذ يمحرك بك الذين كفروا) يكدوا لك (ليبتوك) ليحبسوك (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لئن لمثل هذا) قالوا هذه القالة ؛ وحينما تحدثهم بقوله «قل فأتوا بسورة مثله» ركنوا إلى الفرار وولوا الأدبار (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) لقد وصف الله تعالى هؤلاء البهيم بأدق ما يوصف به أمثالهم :

الجزء التاسع

٢١٤

حيث قال «إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً» وكيف لا يكون كالأنعام - بل أسوأ حالا من الأنعام - من يقول هذا القول ؟ ! وكان الأليق بمن يتصف بالآدمية والإنسانية ؛ أن يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه ، ووفقنا إلى اتباعه ! (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) وقد جرت عادته تعالى ألا يعذب أمة إلا بعد إخراج نبيها والمؤمنين منها (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) قيل : كان المشركون يقولون عند طوافهم بالبيت: غفرانك غفرانك. وقيل : أريد بالمستغفرين : المؤمنين المستضعفين ؛ وهو كقوله تعالى «ولو تريبوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً» وقد ذهب المفسرون إلى أنه كان فيهم أمانان : نبي الله تعالى والاستغفار ؛ فذهب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بموته ، وبق الاستغفار . وقد فاتهم أن الذي ذهب من الأمانين هو الاستغفار ؛ لا الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ إذ لم يبق الآن مستغفر ؛ وإذا استغفر لسان : فاستغفاره في حاجة إلى استغفار ! أما الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فهو بين ظهرايتنا - بل بين جوانحننا - إلى يوم تلقى الله ؛ متممين باستغفاره لذنوبنا ، وشفاعته لنا إن شاء الله ! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «تعرض على أعمالكم ؛ فإن وجدت

وَبِمَكْرَاهِ اللَّهِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمَسْكِينِ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تَنَلَى عَلَيْهِمْ
آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا
إِلَّا أَسْطُورٌ الْأُولِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا
هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ
وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ
أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا
كَانُوا أَوْلِيَاءَهُمْ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُمْ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عَنِ الْبَيْتِ إِلَّا
مُكَاةً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْقُضُونَ أَمْرَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْمَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ

الطَّيِّبِ

خيراً حمدت الله ، وإن وجدت شراً استغفرت لكم» (وما لهم ألا يعذبهم الله) هو تأييد لما تقدم ؛ أي لولا وجودك فيهم ، ووجود المستغفرين بينهم : لعذبهم الله تعالى ؛ لأنهم مستحقون للعذاب فعلاً ؛ بسبب أنهم (يصدون) يمنعون المؤمنين (عن المسجد الحرام) يمنعونهم عن دخوله ، والطواف به (وما كانوا) أي وما كان هؤلاء المشركون الصادون (أولياءه) أي لا ولاية لهم على المسجد الحرام حتى يمنوا الناس من الطواف به (إن) ما (أولياؤه إلا المتقون) الذين يخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب ! (وما كان صلاتهم) أي دعاؤهم (عند البيت الأمعاء) صغيراً (وتصدية) تصفيقاً ؛ وقد كانت قریش يطوفون بالبيت عراء ؛ يصفقون ويصغفرون ؛ كما يفعل اليوم بعض من يدعون الولاية والجنذب في كثير من مجالسهم

المختصة بذكر الله تعالى وعبادته (فسيئفونها ثم تكون عليهم حسرة) لأنهم لن ينالوا ما يبتغونه؛ وسيم الله تعالى نعمته بكل دينه ! (ثم يفلبون) في الدنيا؛ بالقتل وذهاب الأموال، والحزى (ليمين) يفضل (الحيث) الكافر (من الطيب) المؤمن؛ فيجعل الخبيث في نيران الجحيم والطيب في جنات النعيم ! أو هو عام في كل شيء : في العبادات، والمعاملات، والتفقات والصدقات، وفي سائر الأعمال التي يحبها الرباء، والأذى، والمن. ويطيبها الإخلاص في الطاعات، وتطهير السر والعلن ! (ويجعل الخبيث بضه على بعض فيركه) يجمعه ويجمعه متراكما (قل للذين كفروا إن ينتهوا) يرجعوا عن الكفر (ينفر لهم ما قد سلف) ما قد مضى من ذنوبهم؛ لأن الإيمان يجب ماقبله (وإن يهودوا) إلى الكفر بعد إيمانهم عنه (فقد مضت سنة الأولين) أي طريقتنا في معاملة الكافرين؛ وهي لإهلاكهم واستئصالهم؛ فكنا نفعل بهم (وقاتلوا حتى لا تكون فتنة) حتى لا يكون شرك (فإن أتتكم) عن الكفر (فإن الله بما يعملون بصير) فيجازيهم عليه (وإن تولوا) أعرضوا عن الإيمان، وإن منهم العدوان (فاعلموا أن الله مولاكم) ناصركم ومعينكم (واعلموا أن ما غنمتم من شيء) من مال الكفار في القتال (فإن لله حصة) يأمر فيه تعالى بما يشاء؛ وأربعة الأخماس للمحاربين الفاعين؛ وقد قسم الله تعالى الخمس على خمسة (والرسول ولذي القربى) قرابته صلى الله تعالى عليه وسلم (والتي) أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم (والمساكين) ذوى الحاجة من المسلمين (وإن السبيل) الذى انقطع به الطريق في السفر (إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا) أى وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا محمد من الآيات والمعجزات، والملائكة الذين أنزلناهم لنصرتهم (يوم الفرقان) يوم النصر، وهو يوم بدر؛ وسمى «يوم الفرقان» لأنه يوم

الطَّيِّبِ وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكَبُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢١٥﴾
 قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢١٦﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢١٧﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَبُوا إِنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نَعِمَ الْمَوْلَىٰ وَنَعِمَ النَّصِيرُ ﴿٢١٨﴾ * وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ عِشْرَةَ لِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ أَتَيْنَا الْجَمْعَانَ بِاللَّهِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١٩﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوَّةِ الدِّينِيَّةِ وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْقُصُوفِ وَالرَّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنَّ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ

فرق الله تعالى به بين باطل المشركين، وحق المؤمنين (إذ أتتم بالعدوة الدنيا) جانب الوادى القريب وهو من الدتو (وهم بالعدوة القصوى) جانب الوادى البعيد (والركب) أى ركب المشركين (أسفل منكم) في مكان منخفض؛ مما يلي البحر (ولو تواعدتم) أتم والأعداء، على هذا اللقاء (لاختلقتهم في الميعاد ولكن) تم هذا التوافق (ليقضى الله أمراً كان مفعولاً) وهو نصر الإسلام، وحق الكفر، وإعلاء كلمة الله تعالى

(ليهلك) ليكفر (من هلك) من كفر (عن بينة) حجة واضحة؛ من أخذهم - وهم الأكثرون الأقوياء وانتصار المؤمنين عليهم - وهم الأقلون الضعفاء - (ومعها) يؤمن (من حى) من آمن (عن بينة) حجة ظاهرة. وأى حجة آيين وأظهر من غلبة الضعيف للقوى وانهزام الجيش اللجب، ذى السطوة والقوة. أمام شرفة لاحول لها ولا طول الا بالله ذى العزة والمنعة! ولم تكن البينة في انتصار الضعفاء على الأقوياء بحسب؛ بل لقد رأى المسلمون - وهم الأقلون - الكافرين قليلا - وهم الأكثرون - ورأى الكافرون المسلمون كثيراً؛ فانخلعت قلوبهم، وأمكن الله تعالى منها! ولم تكن بينة الله تعالى - التي جعلها

فيصلًا بين الكفر والإيمان - قائمة على انتصار الضعفاء على الأقوياء، ورؤية الأقلين للأكثرين قليلا، والأكثرين للأقلين كثيرا؛ لم يكن هذا وحده؛ بل رأى المسلمون والكافرون في هذه المعركة جنود الله تعالى من الملائكة جهارا تنكل بالكافرين تنكيلا، وتحصد عتاة المشركين وسراهم حصدا؛ ولقد كان المؤمن يقصد الكافر بسيفه؛ فطوح رأس الكافر قبل أن يصل سيف المؤمن إلى عنقه (إذ يريكم الله) أى يريك الكفار (في منامك قليلا) فسرت واطمأنت لذلك، وأخبرت أصحابك فسروا واطمأنوا (ولو أراكم كثيرا لفشتم) جيتم (ولتازعتم في الأمر) أى لتزدتم بين الثبات والفرار (ولكن اقتسلم) بما أراك في منامك؛ مما تقوى به قلوبكم، وتشدت به عزائمكم (إنه علم بنات الصدور) بكنونات القلوب وماخفي فيها (وإذ يريكم الله إذ التقيتم) في القتال (في أعينكم قليلا) كما أراكم في منامك (ويقلكم في أعينهم) فله تزيد عن قلتم؛ ليطعموا فيكم، ويقدموا على قتلكم، ولا يهجموا عن حربكم؛ وكان ذلك قبل الالتحام؛ فلما التحم الفريقان أراهم ليأكم مثلهم؛ قال تعالى «يروهم مثلهم رأى العين»

أَمْ أَرَأَىٰ أَن مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مِن هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مِن حَىٰ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧١﴾ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي سَنَامِكُمْ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا لَفَشِمْتُمْ وَلَتَنْزِعَنَّ فِي الْأَمْزِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٧٢﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّبُكَ فِي أَعْيُنِهِمُ لِيَفْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٧٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بِطَرَا وَرِعَاةِ النَّاسِ وَمُضِدُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ حَبِيطٌ ﴿١٧٦﴾ وَإِذْ زَبَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ

الناس

(ولا تنازعوا) تتنازعوا (فتفشلوا وتذهب ريحكم) أى تضعفوا وتذهب قوتكم، وتدول دولتكم (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً) طغيانا (ورثاء الناس) أى رياء وهم أهل مكة حين نفروا لحماية العير؛ فأقام رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم. فأبى أبوجهل، وقال: حتى تقدم بدرأ، وتتحربها الجزور، ونشرب الخمر، وتزف القيان؛ ونطعم العرب - فذلك بطرهم ورياءهم الناس باطمامهم - فوافوها: فسقوا كؤوس النايما مكان الخمر، وناحت عليهم النوايح مكان القيان؛ فضى الله تعالى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم: بطرين، طرين، مراثين (ويصدون) ينعمون (عن سبيل الله) دينه (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) التي عملوها في معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم (وقال) لهم الشيطان؛ تقوية لقلوبهم (لا غالب لكم اليوم

النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَّكَ فَلَمَّا تَرَ آيَاتِ الْفِتْيَانِ نَكَصَ
 عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ
 إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٥﴾ إِذْ يَقُولُ
 الْمُنْصَفُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ لَا دِينَهُمْ
 وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ تَرَى
 إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
 وَأُذُنَهُمْ وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ
 أَيْدِيكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥٨﴾ كَذَابٍ أَلِ
 فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ
 اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ يَأْتِي
 اللَّهُ لِرَبِّكَ مَغْفِرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغْفِرُوا
 مَا يَا نَفْسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ كَذَابٍ أَلِ
 فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

من الناس) وقد ظهر لهم الشيطان على صورة سيد الناحية التي تم فيها القتال (وإني جار) أى مجر
 (لكم فلما تراءت الفتشان) تلاقى الجمعان (نكص) رجع الشيطان (على عقبيه) هارباً (وقال إني برىء
 منكم إني أرى ما لا ترون) وذلك حين رأى إبليس اللعين ، الملائكة المقربين ؛ يضربون الكفار مع

المسلمين ؛ فقال «إني أرى» يعنى رأسى
 «مالا ترون» أتم «إني أخاف الله» كذب
 اللعين في هذا القول ؛ ولكنه قاله حينما رأى
 ألا حول له ولا قوة في هذا اليوم : فركن إلى
 الفرار ، وولى الأدبار (إذ يقول المنافقون)
 وهم الذين أظهروا الإيمان ، وأبطنوا الكفران
 (والذين في قلوبهم مرض) شرك وفساق
 (غر هؤلاء دينهم) يعنون أن المسلمين اغتروا
 بدينهم ؛ فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر ،
 إلى زهاء ألف ؛ ثم قال تعالى رداً عليهم (ومن
 يتوكل على الله) يعتمد عليه ، وبإجاء إليه
 (فان الله) ناصره ومعينه ؛ لأنه تعالى (عزيز)
 غالب لا يغلب (حكيم) في صنعه (انظر آية
 ٨١ من سورة النساء) (ولو ترى إذ يتوفى
 الذين كفروا الملائكة) يقبضون أرواحهم
 بأمر ربهم ؛ فلا ينزعونها برفق ؛ بل (يضربون
 وجوههم وأدبارهم) بمقارع من حديد ؛ تعذيباً
 لهم (و) يقال لهم في الآخرة (ذوقوا عذاب
 الحريق) جزاء كفركم وعنادكم (كذاب)
 كشأن وعادة (آل فرعون) في كفرهم
 وعنادهم ، وتعذيبهم بعد موتهم (فأخذهم الله
 بذنوبهم) أهلكتهم في الدنيا بسببها (ذلك)
 العذاب والانتقام (بأن) بسبب أن (الله بك
 مغفر أنعمة أنعمها على قوم حتى يغفروا ما بأنفسهم)
 أى إنه لا يجوز في حكمته تعالى أن يسلب قوما

نعمة أنعمها عليهم ؛ إلا إذا استوجبوا سلبها بما ارتكبوها من إثم ؛ ونعمته تعالى التي أنعمها على قريش :
 هي بثة الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم ؛ فلما غيروها بالإفناء ، والإخراج ، والكذب ، والحجارة ؛
 غير الله تعالى نعمته عليهم . باهلاكم يوم بدر ؛ كما فعل بالأمم الماضية قبلهم ؛ ممن عصى وطفى وبغى !

(إن شر الدواب عند الله) الدواب : كل ما يدب على وجه الأرض ؛ وأكثر ما يطلق على الجمادات ، وقد نزل الله تعالى بالإنسان الكافر إلى مصاف الحيوان ؛ بل هو - في الحقيقة - شر من الحيوان ! (فأما تتقنهم) فان تصادفتهم (في الحرب فشردهم بهم من خلفهم) فقاتلهم شر قتله ، واضربهم الضربة القاضية ؛ التي تجعل من وراءهم يفرّون مشردين ، ويفرقون خائفين جزعين (ولما) وإن (تحافن من قوم) بينك وبينهم عهد (خيانة) للعهد ، ونقضاً للمواثيق التي بينكما (فابذ إليهم) أي اطرح إليهم عهدهم ، وعرفهم أنك قد قابلت نقضهم للعهد ، بنقضك له أيضاً

(على سواء) لتكونوا مستون في معرفة نقض العهد ؛ وليكون ذلك بمثابة إعلان الحرب عليهم ؛ فلا يؤخذون على غرة ، ويكون ذلك منافعاً لما عرف عن الإسلام والمسلمين من الفضائل والشمائل ، وتوافر المروءة ؛ حتى في عداوتهم ! (إت الله لا يحب الخائنين) ولومع أعدائهم ؛ فقد نال المسلمون بأخلاقهم - من أعدائهم - أكثر مما نالوه بسيوفهم ؛ فتعالى الربى الأعظم ! (ولا يحسبن الذين كفروا) أنهم (سبقوا) أي فاتوا الله تعالى ، ونجوا من عقابه (لأنهم لا يعجزون) أي لا يفوتونه ؛ بل سيدركهم عقابه في الدنيا ، وعذابه ومقته في الآخرة ! (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) من يجب أن يمد لنا العدو السيف والسنان ، ونمد له أطراف اللسان ؛ وهيئات هيات أن يكسب اللسان حقاً أكسبه السنان ؛ وهامى ذى تماليم الرحمن ، ومن هو أعلم بالإنسان من الإنسان ؛ تقول «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» فليتنبه الغافل ، وليتدبر العاقل ! (ومن رباط الخيل) رباطها وحبسها للجهاد في سبيل الله تعالى . والرباط من الخيل : الخس فافوقها ؛ وتجمع على «رباط» وبها قرأ الحسن وعمر بن دينار وغيرهما (ترهبون به) تخوفون برباط الخيل (عدو الله وعدوكم) وهم اليهود وكفار مكة (وآخرين من دونهم) أي وأعداء آخرين غير هؤلاء الأعداء ؛ وهم المنافقون . وقيل : هم فارس والروم . وقيل : هم الجن ؛ لقوله تعالى (لأنظلوهم الله يعلمهم) وهو ينطق على المنافقين أيضاً ؛ لأنهم غير معلومين ؛ وقد ورد عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه «إن الجن لا تقرب داراً فيها فرس ، وأنها تهرب من صهيل الخيل» (وإن جنحوا) مالوا (للسلم) للسائلة وعدم الحرب (فاجنح لها) فل إليها ؛ أي إلى السلم كما مالوا إليه (وتوكل على الله) وحده (إنه هو السميع) لقولك (العليم) بمالك (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (وإن يريدوا أن يخدعوك) يكروا ويفتروا بك

فَأَعْلَسَتْهُمْ دُورِهِمْ وَأَعْرَفْتُمُوهَا فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٢١٨﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١٩﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ فَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٢٢٠﴾ فَلَمَّا تَثَقَفَتِمْ فِي الْحَرْبِ فَأَشْرَدَتْ بِهِنَّ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهِنَّ يَدْرِكُونَ ﴿٢٢١﴾ وَلَمَّا تَحَفَّنَ مِنْ قَوْمِ خِيَانَةَ فَأَنبَذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٢٢٢﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَالتَّيْمِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَأَمَّا تَتَّبِعُوا مِنْ نَحْيٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَ إِلَيْكُمُ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ﴿٢٢٤﴾ * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٥﴾ وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ

حَسْبُكَ

(عدو الله وعدوكم) وهم اليهود وكفار مكة (وآخرين من دونهم) أي وأعداء آخرين غير هؤلاء الأعداء ؛ وهم المنافقون . وقيل : هم فارس والروم . وقيل : هم الجن ؛ لقوله تعالى (لأنظلوهم الله يعلمهم) وهو ينطق على المنافقين أيضاً ؛ لأنهم غير معلومين ؛ وقد ورد عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه «إن الجن لا تقرب داراً فيها فرس ، وأنها تهرب من صهيل الخيل» (وإن جنحوا) مالوا (للسلم) للسائلة وعدم الحرب (فاجنح لها) فل إليها ؛ أي إلى السلم كما مالوا إليه (وتوكل على الله) وحده (إنه هو السميع) لقولك (العليم) بمالك (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (وإن يريدوا أن يخدعوك) يكروا ويفتروا بك

حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِبَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
 وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا
 أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ
 إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ
 يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُمْ قَوْمٌ
 لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ نَخَفْ اللَّهَ عِنْدَكَ وَعَلِمْنَا أَنَّ فِئَةً
 ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ
 وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
 الصَّابِرِينَ ﴿٢١﴾ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى
 يُخَيَّرَ فِي الْأَرْضِ يُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ
 الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢﴾ لَوْلَا كَتَبْنَا مِنَ اللَّهِ

(فإن حسبك الله) كافيك (بأيها النبي حرض المؤمنين على القتال) التحريض: المبالغة في الحث على الأمر (إن يكن منكم عشرون صابرون) على مرضات ربهم وطاعته، يجاهدون أعداء الله تعالى ابتغاء جنته (يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا) نتيجة العدد في الفرضين واحدة؛ وهو أن الواحد من المؤمنين الصابرين؛ يغلب العشرة من الكافرين؛ وإنما كررها تعالى لبيان لنا أن زيادة العدد أو نقصانه لا يؤثران في الغلبة؛ فسواء كان المجاهد واحداً أو ألفاً؛ فإن الواحد يغلب العشرة، والألف يغلب العشرة الآلاف؛ مع اشتراط الصبر في

هذا، والكفر في ذلك (بأنهم) أي تلك الغلبة بسبب أن الكافرين (قوم لا يفقهون) لأنهم يقاتلون بغیر احتساب وطلب ثواب؛ فيقل ثباتهم، وتضعف عزيمتهم. وقد كان ذلك عند بدء الإسلام، وقلة معتقيه، وكثرة أعدائه ومحاربيه؛ فلما نما الإسلام، وزاد المسلمون: خفف الله تعالى عنهم (الآن) خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله) بقوته ومعونته (والله مع الصابرين) بالعون والنصر، والإمداد (ما كان لنبي) ماصح وماجاز (أن) يكون له أسرى حتى يخضع في الأرض) الإخضاع: كثرة القتل؛ وذلك حتى ينزل الكفر باشاعة القتل في أهله، ويعز الإسلام والمسلمين بالاستيلاء والفهر؛ ثم يكون بعد ذلك الأسر. وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بسعين أسيراً - فبهم العباس عمه وعقيل - فاستشار النبي أصحابه فيهم؛ فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: قومك وأهلك، استبقهم لعل الله يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك. وقال عمر رضي الله تعالى عنه: كذبوك وأخرجوك، فقدمهم واضرب أعناقهم؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر، وإن الله قد أغناك

عن الفداء: مكن علياً من عقيل، وحزة من العباس، ومكني من فلان - لنسيب له - فلنضرب أعناقهم! فقال عليه الصلاة والسلام: مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم؛ حيث قال «ومن عصاني فانك غفور رحيم» ومثلك يا عمر كمثل نوح؛ حيث قال «رب لا تدعني على الأرض من الكافرين دياراً» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم: إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم فاديتوهم واستشهد منكم بعدتهم؛ فقالوا: بل نأخذ الفداء - فاستشهدوا بأحد - فلما أخذوا الفداء نزلت هذه الآية (تريدون عرض الدنيا) أي متاعها؛ ويعني به ما أخذ من فدية الأسرى (والله يريد) لكم (الآخرة) وما فيها من نعيم مقيم! وفي هذه القصة من احترام الشورى، والنزول على رأى الأغلبية ما فيه؛ وليس من أحد أوسع حكمة، وأسد رأياً، وأهدى =

== رَشْدًا ؛ من الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ ولكنه استشار أصحابه ، وأمضى رأى الجماعة ؛
 تنبيهاً لأمته ، وتعليماً لهم ؛ وإقراراً لنظام الشورى ، وهذه هي الديمقراطية الحقة ؛ التي يجب السير على نهجها !
 (والله عزيز) في ملكه ؛ غالب لا يظلب (حكيم) في صنعه (لولا كتاب من الله) أى لولا حكم منه تعالى
 (سقى) بإحلال القنائم والأسرى لكم (لستم) لنالكم وأسابكم (فبما أخذتم) من فداء الأسرى (عذاب
 عظيم) مما أعده الله تعالى لمن يخالفون أمره (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم

خيراً) إيماناً بالله ، وإخلاصاً للمؤمنين
 (بؤتكم) في الدنيا (خيراً مما أخذ منكم) من
 الفداء (ويغفر لكم) ما تقدم من ذنوبكم (وإن
 يريدوا) أى الأسرى (حياتك) بأن يظهروا
 الإيمان ، ويطنوا الكفران (فقد خانوا الله)
 بكفرهم (من قبل) أى قبل وقعة بدر (فأمكن
 منهم) أى أظفرك بهم في بدر (والذين آووا)
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ونصروا)
 المؤمنين وهم الأنصار رضى الله تعالى عنهم (أولئك
 بعضهم أولياء بعض) في المعونة والنصرة ؛
 ولا حجة لمن زعم أنهم أولياء في الإرث أيضاً
 (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم
 من شيء حتى يهاجروا) ليكونوا كالسابقين
 من المهاجرين ؛ وليس معنى ذلك أن تعادهم
 وتسوا بينهم وبين الكافرين أو المنافقين
 (وإن استنصروكم في الدين) أى طلبوا معاوتكم
 على أعدائهم من أجل الدين (فعليكم النصرة)
 أى فواجب عليكم نصرهم ومعاونتهم (إلا)
 إذا كانت استنصارهم بكم (على قوم بينكم
 وبينهم) عهد و (ميثاق) فلا يجوز نقضه من
 أجلهم ؛ إذ أن الوفاء بالمواثيق والعهود والعقود
 من أسس الإسلام ؛ بل هو الإسلام نفسه !
 فكل وعد وكل عقد ، وكل عهد ، وكل
 ميثاق ؛ إنما هو عقد بين طرفين ثالثهما الله
 تعالى ؛ فن نقضه : فقد أخل بالوفاء مع ربه

سَبَقَ لَكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٦﴾ فَكُلُوا مِمَّا
 غَنِمْتُمْ حَلَالًا وَبَالِغًا وَأَتُوا اللَّهَ إِنَّا اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٧﴾
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ
 اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُرْتَكِبْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ
 لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٨﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَابَتَكَ فَقَدْ
 خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٩﴾
 إِن الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ
 أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِن
 وَلَّيْتِهِم مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يهاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي
 الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ
 وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ
 أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ

كبير

وخالفه ومالك أمره ؛ قال تعالى « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » وقال أيضاً « الذين يوفون بعهد الله
 ولا ينقضون الميثاق » وقال جل شأنه « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقال عز من قائل « وأوفوا بالعهد
 إن العهد كان مسئولاً » (انظر آية ١ من سورة المائدة) وهذه الآية تعتبر قانوناً سامياً ، ودستوراً دولياً ؛
 تكتبه الأمم في معاهداتها ، وينص عليه المشرعون والمقنون في كتبهم وقوانينهم ؛ ولكن الكتابة والتقنين
 والتشريع - في عرف ساسة اليوم - شيء غير التنفيذ ؛ وأصبح الجميع يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم
 فكيف من معاهدة ، وكيف من اتفاق ، وكيف من تحالف ؛ ضرب به عرض الحائط ؛ وصار المنطق للقوة وحدها ،
 وصار من يملك أداة التخريب والدمار هو صاحب الحق ، وهو الناطق بالصواب ! فانظر - يارعاك الله =

== وهذاك - إلى تشريع مولاك: «وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر؛ إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق»
 فعلى الله الملك الحق؛ الهادى للرشاد والهدى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظهر الآية: لإنبات
 موالاة الكافرين لبعضهم؛ وحققتها طلب كف المؤمنين عن مولاتهم، ولينجاب مبادئهم (لأنهم فعلوه) أى
 إن لم تفعلوا ما أمرت به من نظام الحرب، والإخفاف في الأرض قبل اتخاذ الأسرى، وولاية المهاجرين
 والمؤمنين، ونصرة من يستنصر من المسلمين

- مع المحافظة على العهود والمواثيق - وعدم
 موالاة الكافرين؛ فإن لم تفعلوا ذلك (تكن
 فتنه في الأرض وفساد كبير) لأن ذلك مؤد إلى
 انهزامكم، واستيلاء العدو على بلادكم، وعدم
 الثقة في عهودكم ومواثيقكم (وأولوا الأرحام)
 أى ذووا القربات (بعضهم أولى ببعض) في
 البر، والإنفاق والإحسان. والرحم: وعاء
 الولد ومنبته. وأطلق على القربات: لأنه
 أصلها وسببها.

كَبِيرٌ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
 هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ
 بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكَ فَأُولَئِكَ مِنكَ وَأُولَئِي
 الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

(٩) سُبُوْحُ التَّوْبَةِ مَلَانِيَّةٌ
 إِلَّا الْآيَاتِ الْأَخِيرَاتِ تَكْتَابُ
 وَأَيَّهَا ١٢٩ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَائِثَةِ

(سورة التوبة)

(براءة) اختلف في التسمية في ابتداء
 هذه السورة - كسائر سور القرآن الكريم -
 فعن علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهم: أن
 بسم الله الرحمن الرحيم: أمان، وبراءة نزلت
 لرفع الأمان. وهو قول غير جائز - ولعله قد
 دس على الراوين - فالله جل شأنه: رحيم
 ورحن؛ سواء أمر بالقتال، أو أمر بالسلم،
 أمر بالعذاب، أو أمر بالتواب! وقال بعض
 الصحابة رضوان الله تعالى عليهم: إن الأمان
 وبراءة سورة واحدة؛ نزلت في القتال. وهو قول خير من سابقه، ولا بأس به. و (براءة) أى تخلص
 وتبرؤ من المواثيق والعهود وهذا التبرؤ (من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) أى عقدتم معهم
 مواثيق يعلم الاعتداء؛ فنقضوها (فسيحوا) فسبوا آمنين أيها المشركون. والسيح: السير على مهل
 (أربعة أشهر) وهي مدة الهدنة التي ضربها الله تعالى لهم للتوبة من الشرك (واعلموا أنكم غير معجزى الله)
 أى غير فاتى عذابه وانتقامه بل سيدرككم بالأخذ والعقوبة (وأذان) إنبان وإعلام (من الله ورسوله إلى
 الناس) جميعاً: من عاهد منهم ومن لم يعاهد، ومن نقض عهده ومن لم ينقض (يوم الحج الأكبر) يوم عرفة

بِرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا
 أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ يَخْزِي الْكٰفِرِينَ ﴿١٤﴾
 وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ

(أن الله برىء من المشركين) ومن عهدكم (ورسوله) برىء منهم أيضاً . ومن برىء منه الله تعالى فان رسوله برىء منه ، ومن برىء منه الرسول فان الله تعالى برىء منه (فان تبتم) أيها المشركون من كفرتم وتفكركم للمهود (فهو خير لكم) لأنكم ضمنتم الأمان في الدنيا ، والأمن في الآخرة ! (وإن توليتم) أعرضتم عن ذلك (فاعلموا أنكم غير معجزي الله) غير فائتي عذابه (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً) مما عاهدوكم عليه (ولم يظاهروا) لم يعاونوا (عليكم أحداً) من أعدائكم (فأتموا إليهم عهدكم لى مدتهم)

الجزء السادس

٢٢٢

التي ضربتموها في العهد . يؤخذ من ذلك أنه كانت تعقد بين المؤمنين والمشركين معاهدات وعافيات ، مؤقتة بمواقيت ؛ كما يفعل كبار ساسة العالم اليوم ؛ بغير فارق سوى أن هؤلاء ناقضون للعهد ، صارمون للود ؛ وأولئك لعهدهم راعون ، وأماناتهم حافظون ! (فاذا انسأخ) أي مضى (الأشهر الحرم) وهي ذى القعدة ، وذى الحجة والمحرم (فاقتلوا المشركين) ناكثي العهد (حيث وجدتموهم) في الحل أو الحرم ، وفي الأشهر الحرم ، أو غير الأشهر الحرم (وخذوهم) الأخذ : الانتقام والأسر (واحصروهم) حاصروهم ؛ حتى يضطروا إلى الإسلام ، أو الاستسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) كل طريق ؛ ترصدونهم به ، وترقبونهم فيه (فان تابوا) عن الشرك وآمنوا (وأقاموا الصلاة) في أوقاتها (وآتوا الزكاة) المفروضة (غفلاً سبيلهم) أطلقوا سراحيهم من الأسر ولا تعرضوا لهم بأذى (وإن أحسن المشركين) الذين أمرت بقتالهم (استجارك) أي استجار بك ، وطلب منك الأمان (فأجره حتى يسمع كلام الله) ومن هنا نعلم أن الإسلام لم ينتشر بالشدّة والقسوة - كما يزعم بعض أعدائه وشائثيه - وإنما انتشر وشاع بالحجة والاقناع وباللطف لا العنف ؛ ولم تكن مهمة المسلمين النيل من الكافرين ؛ بل لإقناعهم وهدايتهم حتى يعرفوا الحق فيتبعوه ؛ وليس بعد ذلك مطعن لطاعن ، أو مغزى لغامز ؛ ممن طمس الله تعالى بصائرهم ، وجعلهم من حزب الشيطان فهو يدعوهم دائماً إلى نار السعير ! (ثم أبلغه مأمنه) موضع أمته ؛ وهو المكان الذي يختاره لنفسه بنفسه . والمعنى : حافظ عليه حتى يصل إلى ديار قومه . وبعد ذلك يجوز قتاله إذا بدت منه إذاية للمسلمين ، أو إضرار بمصالحهم (وكيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) أي لا يجوز أن يكون لهم عهد ؛ لأنهم قوم لا أمان لهم (إلا الذين عاهدتم) منهم (عند المسجد الحرام) ولم ينكثوا بهدهم (فاستقاموا لكم) أي أقاموا على العهد

أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ آيِمْ ۖ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضِلُّوا عَلَيْهِمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ لِمِ مَنَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۖ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْرُسُوهُمْ وَأَعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَظَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۖ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ۚ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا

لَكُمْ

حتى يعرفوا الحق فيتبعوه ؛ وليس بعد ذلك مطعن لطاعن ، أو مغزى لغامز ؛ ممن طمس الله تعالى بصائرهم ، وجعلهم من حزب الشيطان فهو يدعوهم دائماً إلى نار السعير ! (ثم أبلغه مأمنه) موضع أمته ؛ وهو المكان الذي يختاره لنفسه بنفسه . والمعنى : حافظ عليه حتى يصل إلى ديار قومه . وبعد ذلك يجوز قتاله إذا بدت منه إذاية للمسلمين ، أو إضرار بمصالحهم (وكيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) أي لا يجوز أن يكون لهم عهد ؛ لأنهم قوم لا أمان لهم (إلا الذين عاهدتم) منهم (عند المسجد الحرام) ولم ينكثوا بهدهم (فاستقاموا لكم) أي أقاموا على العهد

لَكَرْتُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٠٠﴾ كَيْفَ
 وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً
 يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٠١﴾
 أَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِ اللَّهِ عَمَّا قَلِيلًا فُصِدُوا عَنْ سَبِيلِهِ
 لَهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا
 وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
 الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَلَمْ يُخَوِّنْكَ فِي الدِّينِ فَتَفَصَّلْ
 الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ
 بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكَ فَقْتُلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ
 لَهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٠٥﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا
 نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدءُكُمْ أَوْلَىٰ
 مَرَّةً أَخَذْتُمُوهُمْ فَالَّذِينَ هُمْ أَنْ يُخَاشِعُوا لَكُمْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾
 قَتَلْتُمُوهُمْ يَعْلَمُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْكُمْ وَيُنْصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ

(فاستقيموا لهم) على الوفاء بهدم (كيف)
 تكرار للتأكيد؛ أي «كيف يكون للمشركين
 عهد» (و) هم (إن يظهروا عليكم) أي إن
 يظفروا بكم (لا يرقبوا) لا يراعوا (فيكم) لا
 ولاذمة) الإل: الحلف، والقرابة، والجوار،
 و «الذمة»: العهد (يرضونكم بأفواههم)
 رياء وثقا (وتأبى قلوبهم) الإيمان (اشتروا)
 استبدلوا (آيات الله) القرآت (عما قليلا)
 هو اتباع الشهوات (فصدوا) منعوا (عن
 سبيله) دين الله القوم (فان تابوا) عن الشرك
 (وأقاموا الصلاة) في أوقاتها (وآتوا الزكاة)
 المفروضة (فاخوانكم في الدين) وأخوة الدين:
 تفضل أخوة النسب، وترتق عنها في السبب
 (وإن نكثوا) نقضوا (أيمانهم) من بعد
 عهدهم) أي وإن نكثوا عهدهم الموثق بالإيمان
 (وطعنوا في دينكم) القوم المستقيم؛ فهم من
 أمة الفجرة الكفرة (فقاتلوا أمة الكفر)
 رؤساءه؛ لأنه بقتل الرؤساء: يخضع
 المرء وسون ويدلوا ويستكينوا (لعلهم ينتهون)
 يرجعون عما هم فيه (ألا تقاتلون قوما
 نكثوا أيمانهم) نقضوها (وهووا بإخراج
 الرسول) هووا بإخراجه عليه الصلاة والسلام

من مكة؛ حين تشاورا بدار الندوة (وهم بدأوكم) بالقتال (أول مرة) بيدرك؛ حين قالوا: لن نتصرف حتى
 نستأصل محمدا وأصحابه، وتنتينا القيان، ونحرب الجزور، ونشرب الخمر (قاتلواهم يعذبهم الله بأيديكم)
 بالقتل والجراح (ويخزهم) يذمهم بالأسر والقهر.

(ويشف صدور قوم مؤمنين) بالنصر على الكافرين ! (ويذهب غيظ قلوبهم) مما نالهم من أذى المشركين (أم حسبتم) أي هل ظننتم (أن تتركوا) بفسير امتحان وابتلاء (ولما يعلم الله) لم يعلم حتى الآن ؛ بمعنى أنه تعالى لم يظهر ما يعلم ؛ لأنه جل شأنه عالم بكل معلوم ، محيط بكل موجود ؛ أي لم يعلم (الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله) غيره (ولارسله ولا المؤمنين وليجة) من الولوج ؛ وهو الدخول . والمراد بها بطانة الرجل وخاصته ؛ أي لم يتخذوا من الكفار والمنافقين أصدقاء وخلصاء . قال تعالى « لا يتخذ المؤمنون

الجزء العاشر

٢٢٤

الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ؛ إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير » (ما كان للمشركين) لا يحق لهم (أن يعبروا مساجد الله) بأن يدخلوها ؛ وقد كانوا يدخلون المسجد الحرام: حاجين أو طائفين ؛ بعد ما ودى فيهم بالمتع عن المسجد الحرام بقوله تعالى « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » وقد كانت فيهم السدانة ، والسقاية ، والرفادة (شاهدين على أنفسهم بالكفر) بعبادتهم للأصنام ، وسجودهم لها ؛ مع معرفتهم وإقرارهم بأنها مخلوقة (أولئك حبطت) بطلت (أعمالهم) الحسنة التي يعملونها في الدنيا ؛ لأن الكفر يحبط سائر الأعمال (إنما يعمر مساجد الله) يدخلها (من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) وخشيته تعالى: إحدى دعائم الإيمان ؛ التي لا يتم إلا بها ، ولا يقوم إلا عليها ؛ إذ كيف يكون مؤمناً بالله ، من لم يخش الله ؟ أو كيف يكون مؤمناً باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب من يخشى مع الله غيره ؟ ولو تأملت بعين الاستبصار والاعتبار ؛ لوجدت أن كل الأعمال الموصلة إلى الجنة توصل إلى النار - إذا صحبتها خشية المخلوقين ، دون خشية رب العالمين -

وَيُشَفِّصُ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ
وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَلَمْ يُخَاجِدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِيَجْءَ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَن يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفْرِ
أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ
أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَبِينَ ﴿٢٠﴾ * أَجْعَلْتُمْ مَسْجِدَ
الْحَرَامِ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ
اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَجَاهَدُوا

فكم مصيب يدخل النار؛ لحب نيته ، وسوء طويته! وكم من مخطئ يدخل الجنة لصدق نيته ، ومزيد خشيته ! ومن هنا نعلم أن خشية الله تعالى هي الإيمان كله ، وأنها موصلة لخيري الدارين ، وأنها طاعة من أجل الطاعات ، وأن خشية ماسوى الله تعالى معصية من أقبح المعاصي! ويندرج تحت ذلك سائر الطاعات ؛ فالجهاد: خشية لله تعالى ، والإحجام عنه : خشية من الأعداء « فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس خشية الله أو أشد خشية » والإنفاق : خشية لله تعالى ، والإمساك : خشية من الإملاق والفقر « الشيطان يمدك الفقر ويأمرك بالفحشاء والله يمدك مفرقة منه وفضلا » وسائر العبادات - مالم يشهارياء أو نفاق - فهي خشية من الله تعالى ؛ فإذا شابها شيء منها فهي خشية لسواه ! (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد =

= الحرام من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) قيل: افتخر العباس بالسقاية ، وشيبة بالعمارة ، وعلى رضى الله تعالى عنه بالإسلام والجهاد ؛ فصدق الله تعالى عليا ؛ لأن (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في

سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) والمؤمن المهاجر: أعظم درجة من المؤمن الذى لم يهاجر (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء) أصدقاء وخلصاء (إن استحبوا الكفر على الإيمان) وذلك لأن الكفر نهاية العداء، وغاية بغضاء! (قل) يا أيها المتخلفين عن الهجرة معك (إن كان آباؤكم وأبناءؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) والتمتع بصحبهم (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها؛ وتريدون المحافظة عليها (وتجارة تخشون) تركها، وتهاونون (كسادها ومسكن ترضونها) وترتاحون في الإقامة بها. إن كان ذلك (أحب إليكم من الله ورسوله وجاهد في سبيله فرتبوا) انتظروا (حتى يأتي الله بأمره) بعقوبته؛ يوم فتح مكة؛ و(لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) بقدرته ومعونته؛ لا بقوتكم وكثرتكم؛ كوقعة بدر، وقرظلة والنضير، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة. وقيل: إن المواطن التي نصر الله تعالى فيها الإسلام ثمانون موطناً (ويوم حنين) وهو واد بين مكة والطائف؛ دارت فيه رحى القتال بين المؤمنين والمشركين، وانحصر المشركون فترة من الزمن. والمعنى: «ويوم حنين» نصركم الله فيه أيضاً بعد أن أذاقكم مرارة الهزيمة؛ عقوبة على تقصيركم في الاعتماد عليه، وإعجابكم

بكثرتكم (إذ أعجبتمكم كثرتكم) وقلتم: لن نقاتل اليوم عن قلة. وكانوا اثني عشر ألفاً؛ والكافرون أربعة آلاف (فلم تفتن عنكم) هذه الكثرة (شيئاً) فالنصر يأتي به الله لمن شاء أنى شاء؛ ليس تبعاً لكثرة أو لقلة!

وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
 أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٩٠﴾
 يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا
 نَعِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٩١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ
 عَمَلٌ عَظِيمٌ ﴿٩٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ
 وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ
 وَمَنْ يَتَّخِذْهُمْ مِتْرًا فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِنْ
 كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
 وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ
 كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
 كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ

شَيْعًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضَ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ
 مُدْبِرِينَ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٤٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ
 ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
 بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ
 مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٤٨﴾ قَاتِلُوا
 الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
 مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
 مُسْتَعْفِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ
 النَّصْرِيُّ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ

(ثم أنزل الله سكينته) طمأنينته (على رسوله
 وعلى المؤمنين) فنادى الرسول عليه الصلاة
 والسلام فيهم : يا معشر الأنصار ، يا معشر
 المهاجرين ، يا أصحاب سورة البقرة ! فرجع
 المسلمون إليه (وأنزل) الله تعالى (جنوداً لم
 تروها) من الملائكة (انظر آية ٤٢ من
 سورة الأنفال) (وعذب الذين كفروا) بالقتل
 والأسر (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من
 يشاء) إسلامه وهدايته من المشركين ، أو
 يتوب على من يشاء من المدبرين التهمزين ؟
 لأن الواجب على المجاهد ألا يولى العدو دبره .
 قال تعالى «ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً
 لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله
 ومأواه جهنم وبئس المصير» (إنما المشركون
 نجس) لحب باطنهم ، وقذارة ظاهرهم؛ ولأنهم
 لا يمتسلون ، ولا يتطهرون ، ولا يتجنبون
 النجاسات ؟ فهي دائماً ملاسة لهم (وإن
 خفت عيلة) فقرأ (حتى يعطوا الجزية) سميت
 جزية : لأنها جزء على الكفر (عن يد) أى
 تقدماً مقبوضة ؛ غير نسيئة (وهم صاغرون)
 أى تؤخذ منهم الجزية على الصغار ؛ وهو القل

يُضْمِرُونَ

والهوان (وقالت اليهود عيزر ابن الله) وهو أحد أنبياء بني إسرائيل ؛ وربما قال هذا القول الأوائل منهم ،
 أو قالوه في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام - عناداً له - لما رأوه منه من تقديس الإله ، وتزويه عن
 الولد والوالد ، أو نزلت هذه الآية بسبب أن اليهود سمعوا مقالة النصارى بمثل ذلك ؛ فلم ينكروا عليهم ،
 أو يردعوهم . وخلاصة القول : إنه لا يوجد الآن بين اليهود من يقول «عيزر ابن الله» فوجب أن نتناول
 ذلك بما قلناه . هذا ولو أنه من المعلوم أن اليهود يرتكبون ما هو أشد من نسبة الولد إلى الله !

(يضاهون) يشابهون بقولهم هذا (قول الذين كفروا من قبل) وهم الذين قالوا: الملائكة بنات الله . وقول المشركين: اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى (فاتلم الله أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق ؛ مع قيام الدلائل الواضحة على صدقه ! (اتخذوا أحبارهم) علماءهم (ورهبانهم) نساكهم (أرباباً من دون الله) أى كالأرباب ؛ حيث أطاعوهم فى كل شىء . ومنه قوله تعالى «افخخوا حتى إذا جعله ناراً» أى كالنار . وقد كان الأحبار والرهبان يحلون لهم الحرام فيستطونه ، ويمرمون عليهم الحلال فيحرمونه (والمسيح ابن مريم) عطف على «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم» أى اتخذوا المسيح ابن مريم رباً لهم

(وما أمروا إلا ليعبدوا) سبجانه) تزده وتقدس عن الولد ، وعن الشبيه والنظير! (يريدون أن يطفئوا نور الله) شرعه وراهينه ، وأدلة توحيده (ويأبى الله إلا أن يتم) يظهر (نوره) دينه وشرعه ؛ وبطيه على سائر الأديان والشرائع ! (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) القرآن (ودين الحق) الإسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على سائر الأديان المخالفة (ويصدون) يمنعون الناس (عن سبيل الله) دينه (والذين يكتزون الذهب والفضة) ولا يؤدون زكاتها ، ولا يتصدقون منها (ولا ينفقونها فى سبيل الله) ذهب أبو ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه الى أن المسلم لا ينبغي له أن يكون فى ملكه أكثر من قوت يومه وويلته . والإجماع على غير ذلك ؛ ما دام مؤدياً حق الله تعالى فيه . وقد زعم بعضهم أنها نزلت فى أهل الكتاب فحسب ؛ وهو زعم باطل (يوم يحمى عليها) أى على الذهب والفضة (فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وقد اختيرت الجباه والجنوب والظهور بالسكى لأن البخيل يرى الفقير قادماً عليه فيقطب جبهته ، فإذا جاءه أعرض ونأى بجانبه ، فإذا

يُضَاهِعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمْ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقُونَ ﴿٢٢٧﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٢٨﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَامِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢٢٩﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٢٣٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٣١﴾ يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ

طالبه باحسان ولاه ظهره ؛ فوجب أن يكوى بما يجلى به على جبهته وجنبه وظهره ! وقد يكون المراد بذلك كى سائر الجسم ؛ فالجبهة تدل على الأمام ، والجنوب والظهور على باقى الجسم . وقد يقال : كيف يحمى على أوراق العملة المتداولة الآن إن كانت مكتنزة ؟ والجواب : إنه يحمى على ما يوازها من الذهب والفضة ؛ فتكوى بها الجباه والجنوب والظهور ؛ وجميع ذلك على وجه التمثيل : فقد يحمى على أطنان كثيرة من الذهب والفضة ؛ فتصب على البلاء صبا ؛ ويومئذ يتذكرون ما فعلوه فى دنياهم «وأتى لهم إذا جاءتهم ذكراهم» والمراد من الآية : أن الذهب والفضة اللذين هما موضع إعجابهم فى الدنيا واهتمامهم وحرصهم ؛ سيكونان فى الآخرة موضع ألمهم وتعذيبهم ! نعوذ به تعالى من غضبه وعذابه ! (هذا ما كنتم

لأنفسكم) أى يقال لهم : انكم لم تكنوا خيراً لأنفسكم ؛ بل كنتم لها الشر القيم ، والعذاب الأليم !
 (فدوقوا ما كنتم تكذبون) أى جزاءه وعقوبته! (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله)
 لوحه المحفوظ؛ الذى كتب فيه (يوم خلق السموات والأرض) كل ماهو كائن (منها أربعة حرم) يحرم القتال
 فيها ؛ وهى ذو القعدة ، وذو الحجة ، والحرم ، ورجب (ذلك) أى تحرم هذه الشهور؛ هو (الدين القيم)

الجزء العاشر

٢٢٨

المستقيم (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) أى لا تظلموا
 أنفسكم فى الأشهر الحرم ؛ بارتكاب المصاحى ؛
 فانها فيها أعظم لأثماً ، وأشد وزراً ؛ وقيل :
 الضمير فى «فيهن» عائد على الأشهر كلها :
 الإثني عشر . أما الأشهر الحرم فان الذنب فيهن
 أكبر ، كما أن العمل الصالح والأجر فيهن
 أعظم . وقد اصطفى الله تعالى من خلقه صفايا :
 فاصطفى من الملائكة والناس رسلا ، واصطفى
 من الكلام القرآن ، واصطفى من الأرض
 المساجد ، واصطفى من الشهور رمضان
 والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام الجمعة ،
 واصطفى من الليالى ليلة القدر ؛ فظفوا ما نظم
 الله تعالى واصطفاه : تفوزوا بجنته ورضاه !
 (وقاتلوا المشركين كافة) أى مجتمعين غير
 مفترقين ، مؤلفين غير مختلفين (لأعدائهم)
 (زيادة فى الكفر) النسب : التأخير ؛ وقد
 كانوا يؤخرون حرمة الأشهر الحرم لغيرها ؛
 طبقاً لأهوائهم ورغبتهم فى القتال (ليواطئوا)
 ليوافقوا (عدة ما حرم الله) وذلك بتحريم
 شهر حلال ، مكان شهر حرام استحلوه ؛
 فكانوا يجرمون صفر عاماً - مكان الحرم -
 ويجرمون الحرم عاماً ؛ وذلك معنى قوله جل
 شأنه (فيحلوا ما حرم الله) باحلالهم الحرم ؛
 الذى هو من الأشهر الحرم (يا أيها الذين
 آمنوا ما لكم إذا قيل لكم اتقوا) أى

لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكذبون ﴿٢٢٨﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ
 عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ
 فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
 يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٢٩﴾
 إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
 يُحَلِّفُونَ عَامًا وَيُحَرِّمُونَ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
 فَيُحَلِّفُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٣٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ
 إِذَا قِيلَ لَكُمْ اتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ
 أَرْضِينَا بِحَبْزَةِ الذَّنْبِ مِنَ الْأَجْرَةِ فَمَا مَنَعَ الْحَبْزَةَ
 الدُّنْيَا فِي الْأَجْرَةِ إِلَّا لَقِيلٌ ﴿٢٣١﴾ إِلَّا اتَّقُوا وَعَدِبْتُمْ
 عَذَابَ الْيَمَامَةِ وَاسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا

والله

أخرجوا للقتال (فى سبيل الله أنا قلتم) تناقلتم وتباطأتم عن الجهاد (إلى الأرض) أى ملتم إلى القعود (أرضيتم
 بالحياة الدنيا من الآخرة) أى أرضيتم بما فى الدنيا من متاع زائل ، وراحة مؤقتة ؛ عما فى الآخرة من نعيم
 مقيم ، وسعادة دائمة ! (فما متاع الحياة الدنيا فى) جنب متاع (الآخرة) ونعيمها الباقى الدائم (إلا قليل)
 حقير زائل (إلا) لأن لم (تتفروا) تخرجوا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للجهاد (يعذبكم عذاباً أليماً) فى
 الدنيا ؛ بالجدب والقطط (ويستبدل قوما غيركم) يطعمونه إذا أمر ، ويخرجون معه إذا استنفر (ولا تضروه
 شيئاً) أى ولا تضروا الله شيئاً بترككم التفرغ وعصيانكم ؛ لأنه تعالى ليس فى حاجة إليكم .

وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٢٩﴾ إِلَّا تَتَّصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ
 إِذْ أَنْزَلَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا نَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ
 إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَلْقَاهُ مِنْ مَعْنَىٰ فَأَنْزَلَ اللَّهُ
 سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ﴿٢٣٠﴾ أَنْفَرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ
 وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿٢٣١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا
 لَا تَبِعُوكَ وَلَكِنْ بَدَلْتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةَ وَسَيَحْفِلُونَ بِاللَّهِ
 لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٣٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ
 حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَا لِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٣٣﴾
 لَا يَسْتَعِذُّنَكَ الَّذِينَ يَزُومُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ

(إلا تتصروه فقد نصره الله) أي إن لم
 تتصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه
 سوى رجل واحد (ثاني اثنين) هو وأبو بكر
 رضى الله تعالى عنه (إذ هما في الغار) والغار:
 قبة في الجبل؛ وقد كانا في غار بجبل ثور؛
 وهو من جبال مكة المكرمة (إذ يقول) محمد
 صلى الله تعالى عليه وسلم (لصاحبه) أني بكر
 رضى الله تعالى عنه؛ حين رأى المشركين
 يجوبون الجبل بحثاً عن النبي صلى الله تعالى
 عليه وسلم ليقتلوه؛ فقال للنبي: لو نظر أحدهم
 تحت قدميه لأبصرنا. فقال عليه أفضل
 الصلاة وأتم السلام (لا تحزن إن الله معنا)
 بنصره وعونه وكلايته (فأنزل الله سكينته)
 السكينة: الطمأنينة (وأيده جنود لم تروها)
 ملائكة يحفظونه من أن يراه الكفار، ومن
 أن ينال منه أحدهم لو رآه (وجعل كلمة الذين
 كفروا) دعوتهم إلى الشرك (السفلى) المنحطة
 المقلوبة (وكلمة الله) دينه، والدعوة إلى توحيد
 (هي العليا) الظاهرة الغالبة (انفروا خفافاً
 وثقالاً) أي اخرجوا للقتال ركباناً ومشاة،
 أو شباباً وشيوخاً، أو أغنياء وفقراء (لو كان
 عرضاً قريباً) أي لو كان مادعوتهم إليه مغنا

سهل المأخذ (وسفراً قاصداً) وسطاً، غير بعيد (لاتبعوك) جريا وراء منافهم الدنياوية (ولكن بدت
 عليهم الشقة) المسافة الشاقة (وسيحفلون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم) بالكذب والنفاق،
 وتمريضها للعذاب الأليم! (عفا الله عنك) هو من أطف العتاب! (لم أذنت لهم) في التخلف عن الجهاد؟

من هذه الآية نعلم مكانة الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه عند ربه، وعلو قدره، وسمو
 منزلته؛ فقد بشره مولاة جل شأنه بالفوق قبل أن يخبره بالذنب؛ ولأنه لو قال له معاتبا: لم أذنت لهم؟ لحيف
 عليه أن ينشق قلبه حزناً وكداً!

(وارتابت قلوبهم) شكت في صحة الدين (ولكن كره الله انبئتهم) كره نهوضهم للخروج الجهاد معك ؛ على ما هم عليه من شك وفاق ؛ لا يتوفر معها الاقدام ، وصدق الدفاع (فتبطنهم) الله عن الخروج ؛ أي كسلهم عنه (وقيل) لهم (اتقدوا مع القاعدين) مع

المرضى والنساء والشيوخ والصبيان ؛ الذين أقعدتم المرض والضعف والعجز والصغر ؛ وهؤلاء الشاكون المرتابون (لو خرجوا فيكم) للقتال (مزاودكم لإخبالا) الخبال: النقصان ، والمهلاك ، والفناء ، والسكل ؛ والمعنى : ما زادوكم لإفساداً وتوقيفاً (ولأوضاعوا خللكم) لمشوا بينكم بالفساد والنميمة ، وإفساد ذات البين (بيغونكم) يطلبون لكم (الفتنة) الإفساد والعداوة ، أو ييغون لكم الكفر ، أو المراد بالفتنة : الدس والوقعة ؛ لقوله تعالى (فيكم سماعون لهم) أي مصدقون لما يقولونه ، أو «سماعون لهم» أي جواسيس من المنافقين : يسمعون أسراركم ، ويأبسونها لهم (لقد ابتغوا) طلبوا وأرادوا لك (الفتنة من قبل) حين قدمت المدينة (وقلبوا لك الأمور) دبوا لك الخيل والمكائد لإبطال دينك (حتى جاء الحق) النصر الذي وعدك الله تعالى به (وظهر أمر الله) فشاد به ، وسطع نوره (ومنها من يقول ائذن لي) في القعود عن الجهاد (ولا تفتني) أي لا توقعني في الفتنة ؛ وهي الإثم . قال تعالى ردأ على قولهم (الافق الفتنة) الكفر والمذاب والإثم (سقطوا) وقعوا ؛ بسبب ما قالوا . وما فعلوا ، وبسبب تخلفهم عن الجهاد (وإن جهنم لحيطه بالكافرين) لا ينجو منها أحد منهم (إن تصبك حسنة) نصر وغنيمة (تؤم) لأنهم لا يبتغون لك الخير ؛ لحبت باطنهم (وإن تصبك مصيبة) شدة وهزيمة (يقولوا قد أخذنا أمرنا) من الحذر واليقظ ؛ ولم تقع فيما وقعوا فيه (قل لن يصيبنا) من خير أو شر (إلا ما كتب) قدر وقضى (الله لنا) فلا دافع له ، ولا مناس من وقوعه

يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَالِمُ الْمُتَّقِينَ ﴿١١﴾
 إِنَّمَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿١٢﴾
 * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ
 انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اتَّقُوا مَعَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٣﴾
 لَوْ تَخَرَّجُوا فِيكُم مَّا زَادَوكُم إِلَّا خَبَالًا وَلَا ضَعُفًا خَلَّكُمُ
 بِيغُونِكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَالِمُ
 الْغَاطِبِينَ ﴿١٤﴾ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ
 الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُم كَارِهُونَ ﴿١٥﴾
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذِنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا
 وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾ إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ
 سَأَلْتَهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ
 قَبْلُ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ

الله

اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَاعْتَصِمِ الْيَوْمَ الْيَوْمَ
 قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ
 بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِنَا
 فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٢٣١﴾ قُلْ أَنْتُمْ أَطْوَعَاءُ
 أَوْ كَرَاهَاءُ لَنْ يُنْقِلَ مِنْكُمْ إِنْتُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٢٣٢﴾
 وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفْسَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ
 إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٢٣٣﴾ فَلَا تَعْبِكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الْخَيْبَةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ
 وَهُمْ كَانِفُونَ ﴿٢٣٤﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لَيْسَ لَهُمْ
 مَسْكُوكٌ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٢٣٥﴾ لَوْ يُجَادُونَ مَلَاحًا
 أَوْ مَعْرَبَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوْلَا إِلَهِهِمْ وَهُمْ يَجْمَعُونَ ﴿٢٣٦﴾
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْعَنُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا

(هو مولانا) ناصرنا ومتولى أمورنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في سائر أمورهم (انظر آية ٨١ من
 سورة النساء) (قل هل ترصدون بنا) تنتظرون لنا (إلا إحدى الحسينين) النصر، أو الشهادة: وكلاهما
 حسن. بل الشهادة التي تتوقفون عليها: أحسن وألذ من النصر! (ونحن نترصد بكم) ننتظر لكم
 (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) بقارعة من
 السماء؛ كقارعة عاد وحمود (أو بأيدينا) بأن
 تقتلكم (قل أنفقوا) في طاعة الله تعالى
 (طوعاً) بارادتكم (أو كرها) رغم أنوفكم
 (لن يتقبل منكم) ما تنفقونه (إنكم كنتم قوماً
 فاسقين) كافرين (وما منعهم أن تقبل منهم
 نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله) بنفاقهم،
 ورغبتهم في إيصال السوء إليك (ولا يأتون
 الصلاة إلا وهم كسالى) لأنهم لا يبتغون من
 أدائها ثواباً، ولا يخشون من تركها عقاباً
 وإنما يقومون بها ابتغاء للمؤمنين، وصرافاً
 لهم (فلا تعجبك أموالهم) وكثرتها (ولا
 أولادهم) ولا تظن أن ذلك لإعناهم منا عليهم،
 أو رضاء عن أعمالهم (إنما يريد الله ليُعذبهم
 بها في الحياة الدنيا) بما يلقونه في سبيل
 تحصيل الأموال والحرص عليها، والكدر
 عند إنفاقها، وبما يلقونه من عنت الأولاد،
 ومرضهم وقدمهم؛ في حين أن المؤمن لا يحرص
 على الجمع، ولا يألم للانفاق؛ ويكتب له
 بكل أذى يلقاه حسنة! (وتزهد أنفسهم)
 تخرج أرواحهم؛ والزهد: الخروج بصعوبة
 (ولكنهم قوم يفرقون) جنباً؛ يخافون
 القتل إذا هم أظهروا ما يبطنون (لو يجادون
 ملجأ) يلجأون إليه خوفاً من القتال (أو
 مفارات) سراديب في الجبال (أومدخلا) فقاً
 (وهم يجمعون) يسرعون كالفرس المروح الذي لا يرد (ومنهم من يلزك) يسيك (في الصدقات) أى في
 توزيعها، والمراد بالصدقات الزكاة المفروضة؛ وقد كانت تجمع، وتوزع بمعرفة الرسول صلوات الله تعالى
 وسلامه عليه (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) أى إن رضاهم وسخطهم للدنيا؛
 لا للدين، ولأنفسهم لا للمسلمين

وَأَن لَّرَ يُعْطَوْنَ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ
 رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٦﴾
 * إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا
 وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴿٥٧﴾ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾
 وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ خَيْرٌ
 لَّكَرَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
 مَنكَرٌ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٩﴾
 يَحْفَظُونَ بِأَلْفِ لَكْرَ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن
 يَرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ مُحَمَّدٍ
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخُلُوعُ
 الْعَظِيمُ ﴿٦١﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ

تَنْبِيهُ

(ولو أنهم رضا ما آتاهم الله ورسوله) أى
 بما آتاهم من الأموال والفتايم وطابت به
 نفوسهم ، من غير تطلع إلى ما أوتى غيرهم
 (وقالوا حسبنا الله) كافينا (إنما الصدقات
 للفقراء) الذين يسألون الناس لأنهم لا يجدون
 ما ينفقون (والمساكين) الذين لا يسألون أحداً ؛
 لأن عندهم ما يكفيهم في الحال ؛ كمن يملك
 قوت يومه ، أو من لا يجد الكفاف
 (والعمالين عليها) الحياة الذين يحصلونها
 (والمؤلفة قلوبهم) قوم من أشرف العرب ؛
 كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
 يتألفهم ليسلوا ، أو هم كل من أسلم من اليهود
 أو النصارى ، أو غيرهم من المشركين : ليشتوا
 على إيمانهم ؛ وقد كان ذلك في صدر الإسلام
 (وفي الرقاب) أى المكاتبين . وهم الذين
 يكتابون مواليهم بشتمهم ؛ فإذا أدوه فهم أحرار .
 وقد أجاز الله تعالى عليهم الزكاة ؛ ليعانوا
 على تحرير أنفسهم (والغارمين) المتقلين
 بالديون ، أو الذين أصابهم اضطهاد وغرم
 في سبيل الدين والوطن ؛ اللهم إلا من تدين
 في سفاهة أو محرم ؛ فهو واجب المحاربة
 لا الإعانة (وفي سبيل الله) أى للقائمين بالجهاد

(وإن السبيل) الذى اقتطعه الطريق في السفر (فريضة من الله) أى فرض الله الزكاة لهؤلاء الأصناف
 فرضاً (ومنهم) أى من هؤلاء الجبناء والمنافقين (الذين يؤذون النبي) بكلامهم (ويقولون هو أذن) أى
 سماع لما يقال له من الشر (قل) هو (أذن خير) أى سماع لكل خير (لكم) ولا يستمع للشر كما ترغمون
 (ألم يعلموا أنه من محمد) يجاوز الحد . والمقصود انه يحارب ويخالف (الله ورسوله) ولا يطعها
 (يحذر) يخاف (المنافقون أن تنزل عليهم) أى على المؤمنين (سورة تنبئهم بما في قلوب
 المنافقين من تبئت العداوة والشر ، والاستهزاء بالمؤمنين

تَنْبِيهِمْ يَمَّا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ اسْتَزِرُوا وَإِنَّ اللَّهَ لَمُخْرَجٌ
 مَا تَحْذَرُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ
 وَنُلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَزِرُونَ ﴿١٠١﴾
 لَا تَعْتَدُوا ۚ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ
 مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٠٢﴾ الْمُنْفِقُونَ
 وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَنكِرِ
 وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ
 فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٣﴾ وَعَدَّ اللَّهُ
 الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
 فِيهَا ۚ هِيَ حَسِيبٌ وَلِعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٠٤﴾
 كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مَنكِرَ قُوَّةٍ وَأَكْثَرَ آمُولاً
 وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِمَخْلِقِهِمْ فَاسْتَمْتَعَتْ بِمَخْلَقِكُمْ كَمَا
 اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلِقِهِمْ وَخَضَّتُمْ كَالَّذِي

(قل استهزؤا) ماشتم أن تستهزؤوا (إن الله
 مخرج ما تحذرون) أي مظهر ما تخفونه وتحذرون
 ظهوره من النفاق (ولئن سألتهم) عن استهزائهم
 بك ، وبما أنزل إليك من القرآن (ليقولن
 معتزبن عن استهزائهم) (إنما كنا نخوض
 في الحديث (ونلعب) نلغو ونمزح (قل أبا لله
 وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) والاستهزاء
 والسخرية بالله ، أو بآياته ، أو بملائكته ،
 أو برسله - ولو على سبيل الزاح - كفر
 لا يحصوه اعتذار (لا تعتدوا) وكيف يجدي
 الاعتذار ، و (قد كفرتم بعد إيمانكم) ولم
 ترى بعض المتطرفين الثقلاء يقذف باللكنة
 الوقعة ، وبالزحرة السمجة ؛ يقال بها من
 دينه وخالفه ! ومن عجب أن نرى أناساً
 يضحكون للكنة هذا الفاجر الكافر ؛ ولم
 يعلموا أنهم شركاء له في جوره وكفره ، قرناه
 له في جهنم وبئس المصير ! نعوذ بالله الحليم ، من
 الاستهانة بقدره العظيم ، أو بكتابه الكريم
 أو برسله البررة ، أو بملائكته الحيرة ! (إن
 نفع عن طائفة منكم) لحسن نيتها ، وصدق
 طوبتها ، ورجوعها إلى حجة الصواب (نعذب
 طائفة بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على كفرهم

واستهزائهم (ويقبضون أيديهم) عن الإنفاق في الطاعات (نسوا الله) تركوا طاعته ، ونسوا أجره الذي
 وعده ؛ لأنه تعالى وعد المنفقين أجراً عظيماً ؛ فكانوا بذلك مكذبين لوعده ، ناسين
 لأجره (فنسيتهم) تركهم من رحمة وفضله ؛ وجعلهم كالنسيين (هي حسبيهم) تكفيهم جزاء وعقاباً (فاستمعوا
 بمخلاقهم) بنصيبيهم من الدنيا (وخضتم) في الباطل والظن في الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفي
 الكتاب المنزل عليه (كالذي خاضوا) أي كالخوض الذي خاضوه

(أولئك حبطت أعمالهم) بطلت أعمالهم المحسنة التي عملوها (في الدنيا) لأن الكفر عبط اسائر الأعمال (والآخرة) لأنه لا جزاء لها (ألم يأتيهم) أي ألم يأت هؤلاء الحائضين (نبأ الدين) خاضوا (من قبلهم قوم نوح وعاد) قوم هود (وعمود) قوم صالح (وقوم إبراهيم وأصحاب مدين) قوم شعيب ؛ عليهم الصلاة والسلام (والمؤتفكات) قرى قوم لوط ؛ والمراد بها أهلها (أتتهم رسالهم بالبينات) بالآيات الواضحة ، والمعجزات الظاهرات ؛ فاستهزأوا برسالهم ؛ فعذبهم الله تعالى عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين ! (فأكان

الله ليظلمهم) بالعباد الذي أنزله بهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وارتكاب المعاصي ، وتعريضها للعقاب . هذا حال الكافرين ، والمنافقين ، والحائضين ؛ أما حال المؤمنين فقد أوضحة الله تعالى بقوله (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) أي هم لبعض أنصار وأعوان ؛ لأنهم (بأمرهم بالمعروف) بالإيمان ، والاستقامة (وينهون عن المنكر) وهو كل ما ينكره العرف والشرع (ويؤتون الزكاة) المفروضة (ويطعمون الله) فيها أمر به ، ونهى عنه (ورسوله) فيما سنه لأمته من كرم الفصال ، وحسب الحاصل ! (أولئك سيرحهم الله إن الله عزيز حكيم) .

يا معشر المؤمنين: لقد جاءكم البشير النذير ، بقول الرحمن الرحيم «أولئك سيرحهم الله» فأى شيء يتغفون فوق رحمة ؟ وأى شيء تطلبون بعد جنته ؟! ولم يجعل جل شأنه سبب الوصول إلى رحمة عبداً شافاً ؛ بل هو طلبة كل إنسان كامل ، وبغية كل شخص عاقل ! وقد وصف الله تعالى أولئك الذين اصطفاهم لجنته ، واختصهم برحمته بقوله : «يا أمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر» فهل ترى أيها المؤمن العاقل أن النهي عن المعروف ، والأمر بالمنكر ؛ أولى وأجدر من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؟

خَاضُوا أَوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَعَسِرُونَ ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَعَمُودٍ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ
 وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رِسَالُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَكَانَ اللَّهُ
 لِيُظَلِّمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ
 وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
 وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ
 طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ
 هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٩﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جُنَيْدُ الْكُفَّارِ
 وَالْمُنْفِقِينَ وَأَعْلَظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنَبَسَ

النصير

ووصفهم تعالى أيضاً بأقامة الصلاة : «ويقيمون الصلاة» وإقامتها - كما تعلم - قيام بشكره تعالى على ما وهب من واسع العطاء ، وأنعم من مزيد النعم ؛ وابتهاج إليه تعالى لين بالهداية إلى دينه القويم ، وصراطه المستقيم !

ووصفهم جل شأنه بإيعاء الزكاة : «ويؤتون الزكاة» فهل ترى أيها المتقلب في نعمة الله ، التمتع بهباته وفيوضاته ؛ أن تأكل كما تأكل الأنعام فلا تلتفت إلى من هم دونك من الأنعام ؛ وتدرهم يموتون عرياناً ، =

ويتصورون جوعاً؟ وهل هذا شأن بني الإنسان؛ الذين فضلهم ربهم على كثير من خلق تفضيلاً، وميزهم بالعقل الراجح، والقلب الرحيم!

ووصفهم تعالى أيضاً بأحسن ما يوصف به العباد المقربون؛ وهل يقرب الإنسان من ربه سوى طاعته؟ «ويطيعون الله ورسوله» وهل تجب على العاقل طاعة الشيطان، أم طاعة الرحمن؟ هل تجب طاعة من يدعوك إلى الجنة، أم من يدعوك إلى النار؟! إن الله تعالى قد أليك ثوب محبته، وهداك إلى جنته، ووعدهك بمزيد رحمته فهل - يارعاك الله وهداك - إلى رحمة الله!

رحمنا الله تعالى وإلياك، ووهبنا مزيد رضوانه ووفقتنا لما يؤهلنا إلى فيض إحسانه! (ومساكن طيبة) يطب فيها العيش والإقامة (في جنات عدن) «التي وعد الرحمن عباده» وهي من عدن في السكات: إذا أقام فيه. والمعنى: جنات الإقامة (ورضوان من الله أكد) أى أكبر من ذلك النعيم الموصوف (ذلك هو الفوز العظيم) الذى لا فوز بعده! «ولمثل هذا فيعمل العاملون» (يأبىها النبي جاهد الكفار بالسيف) (والمناقضين) بالحجة (واغلظ عليهم) في القتال والمحاجة؛ فلا تأخذك بهم رافة ولا رحمة (يخلفون بالله ما قالوا) قيل: نزلت في الجلاس ابن سويد بن الصامت؛ وقد أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء؛ على حبر لهم. فقال الجلاس: إن كان ماجاء به محمد حقاً؛ ونحن أشر من حبرنا هذه التي نحن عليها. فقال مصعب: أما والله ياعدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما قلت؛ فإني إن لأفعل أخاف أن تصيبني فارعوه وأخذ بخطبتك فلما أتيا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم؛ قال مصعب: يارسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء، فقال كذا وكذا. فقال للجلاس: أقلت الذى قال مصعب؟ غاف ما قال؛ فنزلت «يخلفون بالله ما قالوا» (وهو) بالفتك بالنبي

الْمَصِيرُ ﴿٢٣٥﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُوا بِمَا لَمْ يَنْبَأُوا وَمَاتَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يَعَذِّبُهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ دِينٍ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٣٦﴾ * وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا يَنْتَهِبُوا مِنْ فَضْلِهِ لِنُصَدِّقَهُمْ وَلَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٣٧﴾ فَلَمَّا آتَاهُمُ مِنْ فَضْلِهِ خَنَلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مَعْرُضُونَ ﴿٢٣٨﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٣٩﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغَيْبَ ﴿٢٤٠﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

صلى الله تعالى عليه وسلم (علم لم ينالوا) لأن الله تعالى عصمه منهم؛ قال تعالى «والله يعصمك من الناس» (وماتقمو) أى وما أنكروا، وما عابوا (إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) قيل: قتل مول للجلاس؛ ففضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له بديته؛ فكانت سبياً في غناه (فان يتوبوا) عن النفاق، وعن كلمة الكفر (يك خيراً لهم) في الدنيا والآخرة (وإن يتولوا) يعرضوا ويصروا على النفاق (يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا) بالقتل، والأسر، والذل (والآخرة) بالنار وبئس القرار! (ومنهم) أى من المنافقين (من عاهد الله لئن آتانا من فضله) رزقه وسعته. قيل: هو ثعلبة بن حاطب (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم) أى جعل عاقبتهم النفاق في القلب، وهو البخل لأن البخل يخفى نعمة الله تعالى عليه =

== ولا يديها . وفتاق القلب : أسوأ مراتب النفاق (ونجواهم) ما يتناجون به فيما بينهم ؛ وهي المسارة (يلزون) بيمين (الطوعين) المتطوعين ، المتبرعين (والذين لا يجدون إلا جهدهم) لإطاعتهم ؛ فيقدمونه (فيستخرون منهم) أى فيستخر المنافقون من المتطوعين : إن أكثروا زعموا أنه رياء ، وإن أقلوا قالوا : إن الله غنى عن مثله . (استغفر لهم أولاً تستغفروهم) نزلت في المنافقين وقيل : في عبد الله بن أبي بن سلول حين صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جنازته (إن تستغفر لهم سبعين مرة) المقصود من العدد

الكثير ، لا التحديد ؛ إذ لو استغفر لهم طول حياته (فلن يغفر الله لهم) وهؤلاء هم أشقى الناس بلاهراء : فقد حرموا من قبول استغفار من لو استغفر لمصاة الجن والإنس : لغفر لهم ! (فرح المخلفون) الذين تخلفوا عن الجهاد (بعقدهم) أى بقعودهم (خلاف رسول الله) أى بعد ذهابه للجهاد ، أو قعدوا مخالفين له (وقالوا) لبعضهم ، أو قالوا للسلمين (لا تنفروا في الحرب) أى لا تخرجوا للقتال في الحرب لا يوذبح (قل نار جهنم أشد حرا) فإن كنتم تخشون الجهاد في الحرب الذى يطيقه وتحمله كل مخلوق - والجهاد موصل إلى ظل الجنة الوارف ، ونعيمها الدائم - فكيف نار جهنم الذى لا يطيقه الصخر ، وينوب من حره صم الجلاميد ؟ وهل الوصول إلى الجنة بطريق مشوب بالحمر المحتمل أولى ، أم الوصول إلى الجحيم بطريق ممتلئ بالهواء العليل ، والجو الجليل ؟ (فليضحكوا) أى فليضحك هؤلاء القاعدون في الدنيا (قليلا) حتى انتهاء آجالهم - وهو قليل وإن طال - (وليكوا) في الآخرة (كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) في الدنيا من البخل ، والنفاق ، وعيب الكرماء والسخرية منهم ، وتخلفهم عن الجهاد وكرامتهم له (فإن رجعت الله) إلى الجهاد (إلى طائفة منهم) أى من المنافقين (فاستأذنوك

الجزء العاشر

أَلَيْمٌ ۝۱۸۱ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝۱۸۲ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۝۱۸۳ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَسْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝۱۸۴ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعْذَنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مِنِّي أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مِنِّي عَدُوًّا إِن كُرِهْتُمْ بِالتَّعَدُّدِ أَوْ لَمْ مَرَّةً فَاقْعُدُوا مَعَ الْمُخَلَّفِينَ ۝۱۸۵ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ۝۱۸۶ وَلَا تَعْبُجْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ

بما

للخروج) إلى غزوة أخرى (فاقعدوا مع المخلفين) من الشيوخ ، والصبيان والمرضى ، والنساء (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) نهى تعالى عن الصلاة على موتى الكفار ؛ وهي مفروضة على موتى المؤمنين - صالحين كانوا أو من أهل الكباير - ما لم يكونوا من البغاة وأهل الضلالت ؛ إلا الشهيد ؛ فإنه لا يصل ، ولا يصلى عليه ؛ وذلك لأن الفضل لحو النجاسات والقاذورات ؛ والشهيد يبعث يوم القيامة بدمه - تشريفا له ، وإشادة بموقفه الحميد - والصلاة على الميت دعاء له بالأجر وغفران الذنب ؛ والشهيد ماجور مغفور !

وصلاة الجنازة: أربع تكبيرات ؛ يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب سرا ، ثم يصلى على النبي صلى الله تعالى ==

= عليه وسلم في الثانية ، ثم يخلص الدعاء للميت بعد الثالثة ، ثم يكبر الرابعة ويقول : اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تقنابعه ، ثم يسلم . وليس في صلاة الجنازة ركوع ولا سجود . (وماتوا وهم فاسقون) كافرون (ولا تعجبك أموالهم) وكثرتها (وأولادهم) وشذتها (إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا) يعذبهم بجمع الأموال والحرم عليها ، وبعقوق الأولاد

وجوحهم (وترحق أنفسهم) تفرج أرواحهم وهي كارهة (استأذنتك أولوا الطول) ذوو الفنى (وقالوا ذرنا) دعنا واتركنا (نكن مع القاعدين) عن الجهاد (رضوا بأن يكونوا مع الخوالم) النساء (وطبع) غطى (على قلوبهم) بسبب كفرهم وجبنهم (لكن الرسول والذين آمنوا معه) لم يتخلفوا ، (جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئكَ لهم الحيات) منافع الدارين . وقيل : المراد بالحيات النساء الحسنات ؛ لقوله تعالى «فبين خيرات حسان» (أعد الله لهم جنات) حدائق وبساتين (وجاء المعتذرون) المعتذرون الذين انتحلوا الأعدار ، ليتخلفوا عن الجهاد (ليؤذن لهم) في القعود . وقيل : المعتذرون بعذر حقيق يمنعهم من الجهاد (وقعد) عن الجهاد المشركون (الذين كذبوا الله) أى كذبوا عليه ؛ فادعوا الإيمان وناقضوا ؛ فلم يجاهدوا مع المجاهدين ، ولم يعتنوا مع المعتذرين ؛ وقرأ أبى «كذبوا الله» فلم يصدقوا وعده بأجر المجاهدين ؛ وما أعده لهم من خير عظيم ، وتعيم مقيم (ليس على الضعفاء) حرج في ترك الجهاد (ولا على المرضى) لأنهما سيكونان عبثاً ثقيلاً على المجاهدين (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) في سبيل الله : من مال ، أو سلاح ، أو مركب (حرج) إثم

في التخلف (إذا نصحوا لله ورسوله) في حال تخلفهم ؛ فلا يتطون هم غيرهم ، ولا يقعدونهم عن الجهاد .

والنصح : إخلاص العمل من النفس (ماعلى المحسنين) لأعمالهم ؛ الذين نصحوا لله ورسوله ، ولم يمنعهم عن الجهاد إلا العذر الشديد (من سبيل) يدعو إلى مؤاخذتهم أو لومهم

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْحَقَ أَنْفُسُهُمْ
وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٩٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللهِ
وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا
ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٩٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ
الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٩٧﴾ لَكِنِ
الرُّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
وَأَوْلِيائِكَ هُمُ الْخَائِرَاتُ وَأَوْلِيائِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٨﴾
أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ
وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ
إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ
 لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَعَيْنُكُمْ
 مُغْفِرٌ مِنَ الذَّمِّ حَزْنَا إِلَّا مِجْدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿١٢﴾
 * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِدُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ
 رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
 فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ يَحْتَدِرُونَ إِلَيْكَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ
 قُلْ لَا تَعْتَدُوا أَنْ تَزُومَ لَكُمْ قَدْ تَبَيَّنَا اللَّهُ مِنْ أَنْجَابِكُمْ
 وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَزِيدُونَ لِي عَلِيمَ الْغَيْبِ
 وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ سَيَحْلِفُونَ
 بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
 عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَلُونَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا
 عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾

الأعراب

فأبوا طريق الهدى والفلاح ، واتبعوا طريق الشيطان ؛ فكان لزاما أن يطبع الله تعالى على قلوبهم ، ويحتم
 على أبصارهم «فهم لا يعلمون» (سيجحفون بالله لكم إذا انقلبتم) أى رجعت من الجهاد (لتعرضوا عنهم)
 فلا تعاتبوهم على تحملهم وقودهم (فأعرضوا عنهم) فلا تشيروا إلى تقصيرهم ، ولا تعاتبوهم ؛ وذلك لأن المعاتبة :
 تصفية للقلوب ، وإبقاء للمودة ؛ ألا ترى لى وصفه تعالى لأهل النار : «فيؤمئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم
 ولا هم يستعتبون» (لأنهم رجس) قدر لحبت باطنهم ؛ فلا يظهرون بالعتاب والتوبيخ . والرجم : القدر
 المؤدى إلى العذاب والمقاب .

(ولاعلى الذين) رغبوا في الجهاد رغبة صادقة ،
 ولم ينعمهم عنه سوى أنهم (إذا ما أتوك لتحملهم)
 أى لتحملهم ما يركبون عليه للجهاد (قلت)
 لقلته ما عندك من المراكب ؛ وكثرة المجاهدين
 الذين استفدوا كل ما عندك من خيل وأبيرة
 أعدتها وجعلتها للجهاد ؛ قلت لهم (لا أجد
 ما أحملكم عليه) وعند ذاك يظهر الأسى على
 وجوههم ، والحسرة في قلوبهم - لزيد لعائهم
 وإخلاصهم - (وتولوا) انصرفوا (وأعينهم)
 تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) في
 سبيل الله ؛ فيشترون ما يركبونه - لهم ولأمثالهم
 ممن منعمهم عن الجهاد قلة المراكب - (إنما
 السبيل) الطريق للمواخاة والعقوبة (على الذين
 يستأذنونك) في الخلف (وهم أغنياء) أقوياء
 يستطيعون الجهاد في سبيله تعالى بالأفسس
 والأموال ؛ لكنهم (رضوا بأن يكونوا مع
 الخوالف) النساء ؛ لأنهم خلف الرجال في البيوت
 (وطبع) غطى (الله على قلوبهم) بسبب نفاقهم
 (فهم لا يعلمون) ما ينفعهم فيوصلهم إلى الجنة ،
 وما يضرهم فيلقى بهم في الجحيم ؛ هذا وقد طبع
 الله تعالى على قلوبهم ؛ بعد أن أنزل عليهم
 آياته البينات ، وأرأى معجزاته الظاهرات ؛

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣٩﴾
 وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُرِّ
 الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةَ السُّوءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَمِنَ
 الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ
 قُرْبَىٰ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۗ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَىٰ لَهُمْ
 سِئِدُ ظُهُومِهِمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٤١﴾
 وَالسَّيْفُورِ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
 اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
 لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 ذَلِكَ الثَّوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٢٤٢﴾ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ
 مُنَافِقُونَ ۗ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ
 نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ۗ ثُمَّ يَرُدُّونَ لَكَ عَذَابٍ

(الأعراب) أهل البدو (أشد كفرة أو نفاقاً) لبقائهم وقسوتهم ، وغلظ طباعهم ، وبعدهم عن العلم والعلماء (وأجدر) أحق وأولى (ألا يعلموا حدود ما أنزل الله) من شرائعه وفرائضه وأدلة توحيده ؛ لقصر نظرهم ، وقلة تبصرهم (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق) في سبيل الله (مغرمًا) غرامة وخسراناً ؛ لأنه ينفقه رياء وخوفاً (ويتربص) ينتظر (بكم الدوائر) دوائر الزمان ؛ وهي أنكاده ، وتقلباته ، ومصائبه ، وهزأته (عليهم دائرة السوء) دعاء بنزول العذاب - الذي ينتظرونه لكم - بهم ، وحلول الهلاك بساحتهم (ومن الأعراب من يؤمن بالله) إيماناً يقينياً (واليوم الآخر) وما فيه من ثواب وعقاب (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) تقربهم منه ، وتدينهم من رحمته (وصلوات الرسول) دعواته (ألا إنهم) أي نفاقهم ، أو دعوات الرسول عليه الصلاة والسلام ، واستغفاره لهم (قربة) تقربهم من الله تعالى (سيد ظهولهم الله) بسبب ذلك (في رحمته) نعيه ورضوانه وجنته (والسابقون الأولون) هم من شهد بدراً ، أو بيعة الرضوان (رضى الله عنهم) ورضا عنه) (انظر آية ٢٢ من سورة المجادلة) (ومن حولكم) يا أهل المدينة (من الأعراب منافقون) كقبائل أشجع وأسلم وغفار ومزينة وجهينة (ومن أهل المدينة) منافقون أيضاً (مردوا على النفاق) أي لجوا واستمروا عليه (لا تعلمهم) لتسترهم ونفاقهم ، وتظاهرهم بالإيمان (سنعذبهم مرتين) في الدنيا ؛ بالقتل والأسر والحزى والهوان ، أو بالأمراض والفضيحة (ثم يردون) يوم القيامة

(وآخرون) من المنافقين (اعترفوا بذنوبهم) بأن تابوا منها ، وأقلعوا عنها (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) بها من دنس الشح ، والبخل ، والإم (وتركهم) تسمى أعمالهم وحسناتهم (وصل عليهم) ادع لهم

الجزء الحادي عشر ٢٤٠

لهم (إن صلاتك سكن لهم) رحمة وسلام وطمأنينة (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) يفرغهم ذنوبهم (ويأخذ الصدقات) يتقبلها ، ويميز عليها (وقل أعمالوا فسرى الله عملكم) لأنه تعالى مطلع على السرائر (ورسوله) بإطلاع الله تعالى له على أعمالكم؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم «تعرض على أعمالكم فإن وجدت خيراً حمدت الله ، وإن وجدت شراً استغفرت لكم» (والمؤمنون) سيرون بفراسطهم ما تطوى عليه أفئدتكم ، وما تنطق به ألسنتكم وتخفيه قلوبكم ؛ فإن المؤمن يريه الله تعالى ببيئته ما لا يراه المنافق ببيئته ! وقد جرت عادة الله تعالى على فضح المنافق وانكشاف أمره ؛ قال الشاعر :

ومها تكن عند امرئ من خليقة

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

(وستردون) ترجعون يوم القيامة (إلى عالم الغيب والشهادة) ما خفي وما ظهر (فينبئكم بما كنتم تعملون) يجازيكم عليه (وآخرون) غير من ذكر من التخلفين (مرجون لأمر الله) مؤخرون لكي أن يظهر أمر الله تعالى فيهم (إما يعذبهم) فلا يتوب عليهم ، ويموتون بلا توبة ؛ ويعرضهم للعذاب الأكبر يوم القيامة ! (وإما يتوب عليهم)

عظيم ﴿٢٣٩﴾ وَاعْتَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآثَمًا مَسِيئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ خَذَمِنَ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤١﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٤٢﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتَرَدُونَ إِلَىٰ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَأَشْهَدَةَ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَاعْتَرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ

لأمرهم

فيتوبون إلى ربهم ، ويمسئون أعمالهم ؛ قال تعالى : «ثم تاب عليهم ليتوبوا» (والله عليم) بخلقهم (حكيم) في صنعه ؛ فيعلم من يستحق منهم العفو ، ممن لا يستحق (والذين اتخذوا مسجداً ضراباً) مضارة . أي بقصد الإضرار بالمؤمنين . وهم أناس من المنافقين . قيل : كانوا اثني عشر رجلاً ، وقصدوا ببنائه الإضرار بالذين بنوا مسجد قباء (وإرصاداً) لإعداداً وترقباً (لمن حارب الله ورسوله) من الكفار والمنافقين (وليلطفن إن أردنا) ما أردناه ببناء هذا المسجد (إلا الحسنى) والتوسعة على الصلبيين .

لَهُمْ لَكُذِبُونَ ﴿٢٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ
 عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ
 يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿٢٨﴾
 أَقْسَمُ أَسْسَ بِنَيْبَتِهِ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ
 أَمْ مَنْ أَسْسَ بِنَيْبَتِهِ عَلَى شِفَا جِرْفٍ هَارٍ قَاتَهَا رِيهٌ
 فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾
 لَا يَزَالُ بُعِثَتْهُمْ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ
 قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾ * إِنْ اللَّهُ اشْتَرَىٰ مِنْ
 الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْبَلُونَ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَافِي
 التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنْ
 اللَّهِ فَاسْتَبَشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ
 الْقَرَارُ الْعَظِيمُ ﴿٣١﴾ أَتَسْتَبِرُونَ الْعَالَمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا

(لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) وهو مسجد قباء (أقن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) وهو حافة الوادي المتصدع، المشرف على السقوط (لا يزال بنيانهم الذي بناؤ ريبه) شكاً (في قلوبهم إلا أن تقطع) تقطع (قلوبهم) بالموت؛ أو لا أن يتوبوا (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) مثل تعالى لإثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله؛ بالشراء. عن الحسن رضى الله تعالى عنه: أنفساً هو خلقها، وأموالاً هو رزقها!

وصر أعرابي بالرسول عليه الصلاة والسلام وهو يقرؤها فقال: بيع والله صريح؛ لا ثقيله ولا نستقيه؛ وخرج إلى الغزو فاستشهد (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون) أى يقتل بعضهم بعض الكفار (ويقتلون) يقتل بعض الكفار بعضهم (وعداً عليه حقا) أى لأن جزاء المؤمن على جهاده بالجنة: وعد من الله حق (في التوراة والإنجيل والقرآن) ومن هنا يعلم أن فريضة الجهاد، ومقاومة الأعداء، وبذل النفس والمال في سبيل إعلاء

كلمة الله تعالى: كان من أقدم العصور التي نزل فيها تشريع لاهي، ودين سماوي؛ وأنه قد نص على أجر المجاهدين وثوابهم «في التوراة والإنجيل» قبل أن ينزل به القرآن الكريم؛ الذي جاء مصدقاً لما تقدمه من الرسل والكتب (ومن أوفى بعهد من الله) أى لا أحد أوفى منه تعالى! (فاستبشروا) أيها المجاهدون (ببيعكم الذي بايتم به) الله (وذلك هو الفوز العظيم) وأى فوز أعظم من التمتع بالجنة، والفوز برضا الله تعالى ١٩ «أصحاب الجنة هم الفاترون» (الثابتون) عن المعاصي (المأمدون) لله تعالى في كل حالة.

(السائحون) المجاهدون ، أو الصائمون . وذلك لأن الصائم تصفو روحه ، وتضعف شهوته ، وتتجلى قريحته ، ويعتدل نظره ، ويقبل هواه ؛ فيكون أقرب شبيهاً باللائكة ؛ فيسيح في ملكوت الله تعالى ، وتفكر في خلق السموات والأرض ؛ وقيل :

هم طلبة العلم ؛ لأنهم يسبحون في الأرض ابتغاء طلبه وتحصيله ؛ أو هم الجائلون بأفكارهم في ملك ربهم وتوحيده (والحافظون لحدود الله) أحكامه ، والعمل بما فيها ، والحض عليها (وبشر المؤمنين) الذين هذا حالهم بالجنة (ما كان للتي والذين آمنوا) أى ما يجوز لهم ولا يحق (أن يستغفروا) يطلبوا من الله المغفرة (للمشركين) الذين يتخذون مع الله لها آخر (ولو كانوا أولى قرين) أى ولو كان المشركون ذوى قرابة للتي والذين آمنوا . قيل : نزلت حين استغفر صلى الله تعالى عليه وسلم لعمه أبى طالب ، واستغفر بعض المؤمنين لأبائهم المشركين (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) لأنهم ماتوا على الكفر ؛ وليس بعد الكفر ذنب . قال تعالى : « إن الله لا يفر أن يفرك به » (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه حين استغفر له (إلا عن موعدة وعدها إياه) ومى قوله لأبيه حال حياته « سأستغفر لك ربى » والمعنى : انه لا يجوز لكم أيها المؤمنون المستغفرون للمشركين ؛ أن تحجوا باستغفار إبراهيم لأبيه ؛ لأنه استغفر له عن موعدة وعدها إياه ، ولأنه لم يقين له بعد أنه من أعداء الله ، وأنه من أصحاب الجحيم ! (فلما تبين له أنه عدو لله) بابائه الإيمان ،

الجزء الحادى عشر ٢٤٢

السَّيْحُونَ الرَّكْعُونَ السَّلْجُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَنِيفُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قَرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ
أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٢٤٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ
إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا بِإِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ
لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ
قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٤٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ
يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِمَّنْ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ يَرْتَدَّ

رُءُوفٌ

وموته على الكفر (تبرأ منه) وترك الاستغفار له (إن إبراهيم لأواه) كثير التأوه من خشية الله تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم) وإنما يضل من أصر على الكفر « ويضل الله الظالمين » كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب « (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) تاب عليهم : رزقهم الإنابة إلى أمره وطاعته (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) في غزوة تبوك: كان للعسرة رجال البعير الواحد ، وكان زادهم التمر المدود ، والشعير المسوس ؛ وربما اقتصم اثنتان منهم التمرة الواحدة

(وعلى الثلاثة الذين خلفوا) أى وتاب أيضاً على الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة ؛ فلم يقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توبتهم ! وهم كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية . وقيل «الذين خلفوا» أى تخلفوا عن الجهاد في غزوة تبوك (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم) فلم يبق فيها أنس ولا سرور ، وذلك بسبب أن الرسول عليه الصلاة والسلام دعا لمقاطعتهم ؛ فكان أحدهم يقبضى السلام لأقرب أقربائه فلا يرد عليه ، وهجرتهم

نساءهم وأهلهم (وظنوا) نيقنوا (أت لاملجأ من الله إلا إليه) فأكثرُوا من الابتهاج والاستغفار ، لى أن تاب عليهم العزيز الغفار (ثم تاب عليهم ليتوبوا) لما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم بما وسعت : لجأوا إلى اللطيف المنان ، الرحيم الرحمن ؛ فتاب عليهم ليتوبوا ! فانظر - يارعاك الله وهداك - لى رحمة مولاك ! يتوب عليك لتتوب «تاب عليهم ليتوبوا» ويحبك لتحبه «يحبهم ويحبونه» ويرضى عنك لترضى عنه «رضى الله عنهم ورضوا عنه» فأسأله أن يتوب عليك ، وأن يحبك ، وأن يرضى عنك ! تاب الله علينا فيمن تاب ، وأحبنا فيمن أحب ، ورضى عنا فيمن رضى ! (ما كانت لأهل المدينة) مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) أى ماصح وما جاز لهم أت يقعدوا عن طاعته ، ويتخلفوا عن الجهاد معه (ولا يرغبوا) لا يضنوا (بأنفسهم عن نفسه) أى عما يصيب نفسه من أذى وغم ؛ بل يجب عليهم أن يقدوه بأنفسهم وأموالهم وأهلهم ، وأن يكونوا معه في الضراء قبل السراء ، وفي الشدة قبل الرخاء (وذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ)

عطش (ولا نصب) تب (ولا خصصة) جوع

(ولا يطأون موطئاً) أى لا يحتلون بلداً ، ولا يدسون موضعاً (يفظ الكفار) وطؤم له (ولا ينالون من عدو نبلا) منالا . أى لا يقتلون منهم قتيلاً ، أو يأسرون أسيراً ، أو يجرحون جريحاً (إلا كتب لهم به عمل صالح) ينالون أجره ، ويكسبون ثوابه (ولا يقطعون وادياً) أرضاً (إلا كتب لهم) أجرهم وجزاؤهم (وما كان المؤمنون) ماصح ، وما جاز لهم (لينفروا) للحرب ، أو لطلب العلم (كافة) عامة ؛ وتركوا أهلهم بلا عائل ، وأوطانهم بلا حافظ ؛ بل ينفر بعضهم للجهاد ، وبعضهم للتفقه في الدين ، ويبقى باقيهم لحماية الدمار ، وحفظ الديار

رُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلْفُوا حَتَّىٰ
إِذَا ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقتْ عَلَيْهِمُ
أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمُ
لِيتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٩٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٩٣﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ
الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن
رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يُرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَلَا يَطْعُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ
نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً
وَلَا يَقْطَعُونَ وَاذْيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً

(فلولا) فهلا (فر من كل فرقة) جماعة (منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) يتعلموا ويتبصروا (ولينذروا قومهم) بما تعلموه وتفقهوا فيه (لعلهم يحذرون) الجهل فيجتنبونه (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أي القريبين منكم ؛ لأنك لو قاتلت الأبعدين ؛ لم تأمن غدر الأقربين . وذلك النظام من أدق فنون القتال ؛ لتحمي ظهره من يلونك من الأعداء (وليجدوا فيكم غلظة) قسوة وشدة ؛ ليكونوا عبرة لمن بعدوا عنكم من الكفار ؛ وليتم أمر الله تعالى وإعلاء دينه (وإذا ما أنزلت سورة) من القرآن

(فمنهم) أي من المنافقين (من يقول) لأصحابه تحبباً (أيكم زادت هذه) السورة (إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) بالله ؛ وبقيناً بوحدانيته، وتصديقاً برسوله (وهم يستبشرون) بما أعدده الله تعالى لهم من ثواب وأجر (وأما الذين في قلوبهم مرض) شك وفاق (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) الرجس : القدر . وهو كل عمل يؤدي إلى العذاب ؛ أي زادتهم كفراً على كفرهم (أولايرون) أي أولاً يرى هؤلاء المنافقون (أنهم يفتنون) يبتلون بالفتن والشدة ، والأمراض والأوجاع ؛ وهي كلها من الله تعالى ؛ امتحاناً لحلقه ، وتأديباً لهم (في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون) عن نفاقهم وكفرهم ؛ رغم هذه الفتنة التي ينتليهم بها كل حين ؛ لتعرفهم قدرتنا ، ونشعرهم بقوتنا وقهرنا ؛ لكنهم لا يتظنون ، ولا يرجعون (ولائم يذكرون) يتذكرون (وإذا ما أنزلت) على الرسول عليه الصلاة والسلام (سورة) من القرآن (نظر بعضهم إلى بعض) قائلين (هل يراكم من أحد) من المؤمنين (ثم انصرفوا) من مجلس الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ معرضين عن سماع القرآن (صرف الله قلوبهم) بعد أن مهد لهم تعالى سبل الإيمان فأنكروها ، وأبان لهم دواعي الحق فتكفروا لها ، وأنزل عليهم آياته فانصرفوا

فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
 وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١١٦﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
 وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١١٧﴾
 وَإِذَا مَا أَنزَلْنَا سُورَةً فَمِنَهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْ
 هَذِهِ ءِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ ءِيمَانًا وَهُمْ
 يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١١٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ
 رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١١٩﴾ أَوْ لَا يَرْوُونَ
 أَنَّهُمْ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَمْرٍأُ أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ
 وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَإِذَا مَا أَنزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ
 إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ
 قُلُوبَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَمَّا يَلْفُظُونَ ﴿١٢١﴾ لَقَدْ جَاءَكَ رَسُولٌ
 مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

رَوَوْف

عنها ؛ بعد كل ذلك «صرف الله قلوبهم» جزاء لهم على انصرافهم ؛ وهو كقوله تعالى «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» وقد يكون معنى قوله تعالى «صرف الله قلوبهم» دعاء عليهم ؛ كقوله «فأتلهم الله» هذا شأن الزائغين المنصرفين ؛ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ؛ فأولئك «يهدبهم ربهم بإيمانهم» (لقد جاءكم) أيها الناس (رسول من أنفسكم) أي من جنسكم ، وقرىء «من أنفسكم» بفتح الفاء ؛ من النفاسة . أي من أشرفكم وأفضلكم ، أو أكثركم طاعة وتقرباً إلى الله تعالى (عزيز عليه ما عنتم) شاق على نفسه ارتكابكم الإثم ، وتعرضكم للهلاك والتلف والحسران ؛ وهو من العنت ؛ أي المشقة والمخرج (حريص عليكم) أي حريص على إيمانكم وهدايتكم ونجاتكم

(فان تولوا) أعرضوا عن الإيمان (فقل
حسي) كافي (الله) وحده .

(سورة يونس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(تلك آيات الكتاب الحكيم) المحكم ؛
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه (أ كان للناس مجبا) استفهام للتقرير
والتوبيخ ؛ أي هل يجوز أن يعجب الناس
(أن أوحينا لى رجل منهم) وإنما العجب كل
العجب: إذا لم نوح أصلا ، أو إذا أوحينا لى
رجل ليس منهم ، أو لى مخلوق ليس من
جنسهم ؛ فلا يسكنون ليه ، أو يرتاحون
لخاطبته : كلك ، أو جن ، أو غيرها
(وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق)
أى سابقة فضل ؛ تستتبع الأجر الحسن ،
أو مى شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام
(قال الكافرون إن هذا لساحر) أى ماهذا
النبى لإلا ساحر (مين) بين السحر واضحه (ثم استوى على العرش) استواء يليق به ؛ وليس كاستواء
المخلوقين ؛ لأن الديان ، يتقدس عن المكان ، وتعالى العبود عن الحدود (بدر الأمر) بين الملائق (ذلكم)
الموصوف بهذه الصفات ، المتسم بهذه السمات (الله ربكم فاعبدوه) وحده ، ولا تقمروا به شيئا

رَهْمَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٣٩﴾

(١٠) سورة يونس مكتمة
الإيالات ١٠٠ و٩٤ و٩٥ و٩٦ فمدينة
وأياها ١٠٩ نزلت بعد الألسنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السر تَبَكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ
لِلنَّاسِ مَجْبًا أَن أَوْحَيْنَا لى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَن أُنذِرِ
النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَهُمْ قَدَمٌ صَدِيقٍ عِنْدَ
رَبِّهِمْ قَالِ الْكٰفِرُونَ إِن هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾
إِن رَّبُّكُمْ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُدْرِىُّ الْأَمْرَ مَا مِّن شَيْعٍ
إِلَّا مِز بَعْدِ إِذِىءَ ذٰلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠٠﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا
 لِأَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ
 حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠١﴾ هُوَ الَّذِى
 جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا
 عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ
 يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ إِنِّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ
 وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ
 لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿١٠٣﴾ إِنَّا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا
 بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأْنَنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا
 غَافِلُونَ ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ مَاؤُنْهَمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٠٥﴾
 إِنَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِذْنِهِمْ
 تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٠٦﴾ دَعَوْنَهُمْ

فِيهَا

(إليه مرجعكم جميعاً) فيجازى كل واحد
 بما عمل (وعد الله حقاً) لأنه لا يخلف الميعاد
 (إنه يبدأ الخلق) بالإنشاء (ثم يعيده)
 بالإحياء يوم القيامة (بالقسط) بالعدل
 (والذين كفروا لهم شراب من حميم)
 الماء المغلي الشديد الحرارة (هو الذى جعل
 الشمس ضياءً) تضيء للكائنات (والقمر
 نوراً) ينير للموجودات (وقدره) أى قدر
 القمر من حيث سيره (منازل) ثمانية وعشرين
 منزلاً ، ثمان وعشرين ليلة ؛ ويستتر ليلة
 - إذا كان الشهر تسعة وعشرين يوماً - أو
 ليكتين - إذا كان ثلاثين يوماً (لتعلموا)
 بواسطة الشمس والقمر ، واختلاف الليل
 والنهار ؛ أو بواسطة تلك المنازل (عدد
 السنين والحساب) حساب الشهور والأيام
 والأعوام (ما خلق الله ذلك) الكون ، وما
 فيه من آيات بينات (إلا بالحق) إلا بالحكمة
 والصواب ، وإظهار بدائع الصنع ، ودلائل
 القدرة والعلم (يفصل الآيات) بينها ويوضحها
 (لقوم يعلمون) يتدبرون ، ويتوصلون بعلمهم
 إلى مافى الكون من أسرار (إن فى اختلاف
 الليل والنهار) بالذهاب والحجى ، والاضلام

والإنارة ، والتقصان والزيادة (وما خلق الله فى السموات والأرض) من بدائع صنعه ، وعجائب مخلوقاته ؛ إن فى
 كل ذلك (آيات لقوم يتقون) الله ؛ فيؤمنون به ، ويتدبرون فى مصنوعاته ! (إن الذين لا يرجون لقاءنا)
 أى لا يؤمنون بالبعث (انظر مبحث «التعطيل» بآخر الكتاب) (ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها) سكنوا
 لحياتها ، ولم يعملوا للآخرة (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) أى يهديهم مولاهم بسبب
 لإيمانهم . لأنهم ليسوا كالذين انصرفوا فصرف قلوبهم ، أو زاغوا فأزاغها ! (دعواهم فيها) دعاؤهم فى الجنة

(سبحانك) تقدست وتعاليت . (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (وآخر دعوانهم) نهاية مطلبهم ، أو خاتمة دعائهم ، أو آخر قولهم ؛ حينما تتحقق سعادتهم (أن الحمد لله رب العالمين) «الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» (ولو يجعل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم) أى لو يجعل الله للناس الشر - الذى استحقوه بارتكاب المعاصى والآثام - بقدر استعجالهم للخير - الذى يظنون أنهم استوجبه بأعمالهم - لأهلكهم جميعاً (فندر) ترك (الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يؤمنون بالبعث ؛ ولا يرجون ثواباً ولا عقاباً ! ولانكار الآخرة

٢٤٧

سورة يونس

وما فيها من بعث وحساب ، وثواب وعقاب ؛ يكون بلسان الحال ، كما يكون بلسان المقال ؛ فرب مؤمن بالآخرة بلسانه ، وأعماله تبالغ في تكذيبه ! إذ أن الذى لا يقوم بمافرضه الله تعالى عليه من عبادات ؛ غير مؤمن بالآخرة ؛ ولو أقسم على إيمانها بها ؛ فان يمينه غموس (١) ، والذى يرتكب الموبقات ، ولا يخشى رب الأرض والسموات ؛ غير مؤمن بالآخرة ؛ وإلا فكيف يكون مؤمناً بالآخرة من يخشى الخلوقين ، ولا يخشى أحسن الخالقين ؛ ! كيف يكون مؤمناً بلقاء الله: من يخشى الناس كخشية الله أو أشد خشية !

إن من شرائط الإيمان بالآخرة أيها المؤمن : أن تحشى عقابها وتطمع في ثوابها ، وأن تعلم أن ربك قد أحصى عليك عملك ، وأنه محاسبك ؛ فجازيك عليه: إن كان خيراً فخير ، وإن كان شراً فشر ! (في طغيانهم يعمهون) يترددون متعبرين (وإذا مس الإنسان المرض) المرض ، أو الفاقة (دعانا لجنبه) مريضاً ؛ لا يمكنه الحركة (أو قاعداً) متعباً ؛ لا يمكنه القيام (أو قائماً) دائماً في طلب الرزق فلا يجد ما يسد الرمق . أو المراد أنه يدعو ربه على كل حالة هو عليها . ومن العلوم أن

فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٠﴾ * وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ ۗ فَتَدْرَأُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٠١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسًّا ۚ كَذَٰلِكَ زَيْنَ الْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَن أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآئِي

حالة الإنسان وهياته لا يعدوان ثلاث حالات: نائماً ، أو قاعداً ، أو قائماً (فلما كشفنا عنه ضره) الذى دعانا من أجله: شفيئاً مرضه ، ومحونا بؤسه ، وأزلنا فقره (مر) انصرف عنا ، أو استمر على كفره (كان لم) يحتج علينا ، ويفتقر إلى معونتنا ، ولم (يدعنا إلى ضره) فكشفناه عنه (كذلك زين للمسرفين) الكافرين (ولقد أهلكنا القرون) الأمم (لما ظلموا) كفروا (وجاءتهم رسلم بالبينات) الآيات الدالات على صدق رسالاتهم (وما كانوا ليؤمنوا) لأن الله تعالى طبع على قلوبهم ؛ جزاء على كفرهم (ثم جعلناكم =

(١) اليمين الغموس : التى تغمس صاحبها فى الإثم ، ثم فى النار ؛ لكذبها .

== خلافت) خلفاء ؛ تخلفونهم فى سكنى الأرض وعمارتها (لنظر كيف تعملون) أتكفرون ككفرهم ،
وتتصرفون عن الإيمان كاتصرافهم أم تؤمنون بشأن سائر العقلاء (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أى قال الذين
لا يؤمنون بالبعث ، ولا بالجزاء

نَفْسِيْٓ إِنِ اتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَّوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا تَوَلَّوْهُ طَيْفِكُمْ وَلَا أَدْرِكُكُمْ بِهِۦٓ قَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَتَّقُلُوْنَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِۦٓ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شَفَعَلُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ
أَتَدْعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ
إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَقَّتْ مِّن رَّبِّكَ
لَقَضَىٰٓ بَيْنَهُمْ فِيهَا فِيه يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ
عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي
مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَدْعَا النَّاسُ رَحْمَةً مِّن

(قل لو شاء الله ماتلوته) أى لو شاء الله تعالى
ما أرسلنى به إليكم ، و«ماتلوته عليكم» (ولا
أدراكم به) أى ولا أعلمكم به الله تعالى على
لسانى (فقد لبثت فيكم عمرا) أى مكثت بينكم
سنين طويلا ؛ فلم أحدثكم بشيء من ذلك ،
حتى أوحى الله تعالى لى به ، وكلفى بإبلاغه
(فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) اخلق
قرآنا ؛ كاتسبون لى (أو كذب آياته) التى
أنزلها ؛ كما تقولون أتم الآن (ويصدون من
دون الله) غيره (ملا يضرم) أى لا يستطيع
إيصال الضرر إليهم (ولا ينفعهم) لا يجلب لهم
النفع ؛ وذلك لأنه جاد لا يعقل (ويقولون
هؤلاء شفعأونا عند الله) تقرب بهم إليه
(سبحانه) تنزهه وتقدس عن أن يكون له
شريك ، أو أن يشفع عنده أحد إلا بإذنه .
(انظر آية ١ من سورة الإسراء) (وما كان
الناس إلا أمة واحدة) على دين واحد ؛ هو
الإسلام من لدن آدم إلى نوح عليهما السلام ،
أو المراد بالناس : نوح ومن نجا معه فى
سفينته (فاختلفوا) فأرسل الله تعالى إليهم
رسله وأنبياءه . وقيل : كانوا أمة واحدة

على الكفر ، فبعث الله النبيين لمدايتهم . أو المراد أنه يولد من يولد على الفطرة ، ثم أبواه يهودانه ،
أو ينصرانه ، أو يمجسانه «فاختلفوا» عند بلوغهم (ولولا كلمة سقت) هى تأخير الجزاء إلى يوم القيامة
(لغضى بينهم) لعجل عقابهم فى الدنيا (ويقولون لولا) هلا (أنزل عليه) أى على محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم (آية) معجزة (من ربه) كمصا موسى ، وناقته صالح ، وأمثالهما (فقل إنما الغيب لله) لا يعلمه سواه
«ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير» (فانتظروا) ما يفعله
الله بى وبكم (إنى معكم من المنتظرين) لذلك (وإذا أدعنا الناس رحمة) رزقا وخيرا

بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْتَهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ
 مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا نَمْكُرُونَ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي
 يُسِيرُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ
 وَجَمْرَيْنِ يَوْمَ يَبِيحُ طَيْبَةً وَفِرْحَانِيَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
 وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ
 دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِن أُجِيتَا مِنْ هَاهُنَا
 لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا أَجْتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْتَغُونَ
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّبُوا عَلَى النَّاسِ لِمَا بَغَيْتُمْ عَلَيْهِ
 أَنْفُسَكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ
 بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ لِمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا
 أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا
 يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
 زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطْنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قُلُودُونَ عَلَيْهَا أَنْهَاهَا

(من بعد ضراء) بؤس وجذب (إذا لهم مكر
 في آياتنا) بأن دفعوها وأنكروها بالاستهزاء
 والتكذيب (قل) لهم (الله أسرع) منكم
 (مكراً) أى أسرع عقوبة لكم على مكركم
 (إن رسلنا) أى المظلة (يكتبون ما نمكرون)
 أى يحصون في صحف أعمالكم ما تقومون به
 من سوء وشر؛ فنجزىكم به، ونؤاخذكم
 عليه (حتى إذا كنتم في الفلك) السفن (جاءتها
 ريح عاصف) شديدة الهبوب (وظنوا)
 تأكدوا (أنهم أحيط بهم) أى أهلكوا.
 وهو من إحاطة العدو المؤدية إلى الهلاك
 (دعوا الله مخلصين له الدين) أى مخلصين في
 دعوته، صادقين في محبته! (فلما أجتأهم إذا هم
 يبتغون في الأرض) يفسدون فيها (بأيتها الناس
 إنما بغيكم على أنفسكم) أى إنما أتم بغيكم واقع
 على أنفسكم (متاع الحياة الدنيا) أى تمتعوا بمتاع
 الحياة الدنيا؛ وليس لكم في الآخرة من نصيب!
 (ثم إلينا مرجعكم) يوم القيامة (فننبئكم بما
 كنتم تعملون) فنجازيكم عليه (إنما مثل الحياة
 الدنيا) صفحتها في زوالها وفنائها (كما أنزلناه
 من السماء فاختلط به) أى اختلط بالماء
 (نبات الأرض) جميعاً؛ فأنبئت (بما يأكل
 الناس) من الحبوب والثمار وغيرها (والأنعام) أى وما تأكل الأنعام؛ من الكلاب والطين والسمير وغيره
 (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت) استكملت زينتها وبهجتها؛ بالثمار والأزهار، والنبات والأقوات
 (وظن) يتقن (أهلها أنهم قلدرون عليها) أى متمكنون منها، مالكون لها

(أناها أمرنا ليلاً أو نهاراً) وذلك لأن الأمر - إذا أتى - يكون نهاراً في بقعة من الأرض ، وليلاً في بقعة أخرى . والمقصود بأمر الله الذي يأتي ليلاً أو نهاراً : الأمر بزوال الأرض والسموات ، وانقضاء الدنيا

الجزء الحادى عشر

٢٥٠

(فجعلناها حصيداً) خراباً بياباً ؛ كالأرض المحصودة (كأن لم تكن) كأن لم تسكن إطلاقاً (والله يدعو) إلى الإيمان به ، والعمل الصالح ؛ وكلاهما موصل (إلى دار السلام) إلى الجنة ؛ لأنها ممتلئة أمناً وخيراً ، وسعادة وسلاماً ؛ ولأنها هي «دار السلام» وتحتيهم فيها سلام . ويقال لهم «ادخلوها بسلام» والنعم بها تعالى اسمه «السلام» (الذين أحسنوا) في هذه الدنيا (الحسنى) الجنة ؛ جزاء لاحتسابهم (وزيادة) هي مضاعفة حسنتهم إلى ما لا نهاية له ! وقد ورد في الحديث الشريف : أن الزيادة ؛ هي النظر إلى وجه الله تعالى ! (ولا يرهق) لا يفضى (وجوههم قتر) غيرة وسواد ؛ كثأت أهل النار (ولا ذلة) هوان وخزى ؛ كالذلة والمهانة التي تعثرى أهل الجحيم (والذين كسبوا السيئات) عملوها (جزاء سيئة بمثلها) أى بقوة تقابلها في الجرم (وترهقهم) تشاهم (ذلة) خزى وهوان وفضيحة (ما لهم من الله من عاصم) مانع ، وواق ؛ يمنع عنهم عذابه ، ويقيم ناره ! (كأنما أغشيت) غطيت (وجوههم قطعاً من الليل مظلماً) أى صارت وجوههم سوداء كقطع الليل المظلم (ثم تقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزهوا مكانكم لا تبرحوه ؛ حتى تروا ما يحل بكم (أتم وشركاؤكم) الذين

أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تكن بالأمس كذلك نفصل الآية لقوم يتفكرون والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم * للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أحببنا لهم فيها خلدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أحببنا النار لهم فيها خلدون ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم ثم شركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيماناً تعبدون فكأن بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا

إلى

كنتم تعبدونهم (فزيلنا) فرقنا وميزنا (بينهم) وبين المؤمنين . وهو كقوله تعالى «واتموا اليوم أيها الجرمون» (هنالك) أى في ذلك اليوم (تبلوا) من الابتلاء ، وقرئ «تتلوا» من التلاوة (كل نفس ما أسلفت) ما قدمت من عمل

(وردوا إلى الله مولاهم) لهمهم وسيدهم (الحق) الذي لا إله غيره ، ولا سيد سواه ، ولا شريك له !
(وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى غابت عنهم آلهتهم التي كانوا يزعمونها ؛ فلم تشفع لهم عند الله ، ولم تمنع
عندهم عذابه ! (قل من يرزقكم من السماء) بانزال المطر ؛ المنبت للحب والتمر ؛ وإن شاء تعالى منعه
(والأرض) باخراج النبات والأقوات ؛ وإن
شاء تعالى أجدها ؛ فتم عند ذلك جوعا
وعطشا ! (أمن يملك السم) يملك خلقها ،
وإن شاء أصمها ! (والأبصار) أنارها ،
وإن شاء أعمأها ! (ومن يخرج الحى من
البيت ويخرج البیت من الحى) السلم من
الكافر ، والكافر من السلم ، والإنسان
من النطفة ، والنطفة من الإنسان (ومن
يدبر الأمر) فى السماء والأرض ؛ فينزل
الماء ، ويخرج النبات ، وينثر الأقوات ؛
ويهب لمن شاء البين ولئن شاء النبات ؛
بتدبير منظم حكيم «ذلك تقدير العزيز العليم»
(فأنى فكيف تصرفون) عن الإيمان ؛
وهذه دلائله وبراهينه (كذلك حفت)
وجبت (كلمة ربك) عذابه (على الذين
فسقوا) كفروا وعمدوا ، وتجاوزوا الحد .
وهى قوله تعالى «وتمت كلمة ربك لأملأن
جهنم من الجنة والناس أجمعين» (قل هل من
شركائكم) الذين تعبدونهم (فأنى تؤفكون)
فكيف تصرفون عن عبادته ؛ مع قيام هذه
الأدلة !؟ (قل هل من شركائكم) أى الأصنام
التي تعبدونها (أفنى يهدى إلى الحق) وهوا الله
جل شأنه (أحق) وأجدر (أن يتبع) ويعبد
ويطاع (أمن لا يهدى) يهتدى (إلا أن
يهدى) أى لا يهتدى إلى مكانه إلا إن هداه

إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٥١﴾
قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٥٢﴾ قَدْ لَكَ اللَّهُ رَبُّكَ الْحَقُّ قَادًا بَعْدَ
الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٢٥٣﴾ كَذَلِكَ حَفَّتْ
كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٥٤﴾
قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَسُدُّوا السَّمْعَ لِمَنْ يُعْبَدُ
قُلْ اللَّهُ يَسُدُّوا السَّمْعَ لِمَنْ يُعْبَدُ فَأَنَّى تُؤفَكُونَ ﴿٢٥٥﴾
قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ
يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَنُؤْمِنُ بِهَيْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ
لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ مَا كَرِهَتْ كَيْفَ تُحْكَمُونَ ﴿٢٥٦﴾
وَمَا يُتَّبَعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقِينُ مِنَ الْحَقِّ

غيره إليه . والمعنى : أفنى يهدى الناس إلى الحق ويهديهم إلى ما يصلحهم ، ويهديهم إلى ما فيه خيرهم - وهو
الله تعالى - أحق بالعبادة والاتباع أمن لا يستطيع هداية نفسه إلى مكانه - وهم الأصنام - إلا أن يحمله
حامل ؛ فيضمه حيث شاء ؛ لا حيث تريد الأصنام ؛ التي لا إرادة لها (فالسلم) ما الذى أصابكم ، وماذا
دهاكم وأتلف عقولكم ؟ ! (كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد ؛ الذى لا يستند عقل ولا منطق (وما يتبع
أكثرهم) أى أكثر الكفار (إلا ظنا) حيث قلدوا آباءهم فى عبادة الأصنام ؛ ولم يحكموا عقولهم !

شَيْعًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَأُرَبِّبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيقُونَ ﴿٤١﴾ مِمَّا أَعْمَلُوا وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الْعَمَّهُمْ وَلَوْ كَانُوا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤٣﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي

العمى

نواب عملي (ولكم عملكم) لأعمه وعقابه (ومنهم من يستمعون إليك) إذا قرأت القرآن ، وإذا نصحت لهم بالإيمان ؛ لكنهم لا يستمعون لك سماع تدبر أو تبصر (أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون) شبههم بالعمى : لتعاميهم عن الحق «فإنها لا تعنى الأبصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور»

(وما كان هذا القرآن أن يفترى) أى لا يجوز عقلا ، ولا يصح دراية أن يكون هذا القرآن مفترى . لأنه فوق طاقة البشر (ولكن) أنزل (تصديق الذي بين يديه) ما تقدمه من الكتب كالنوراة والإنجيل وغيرهما (وتفصيل الكتاب) تبين ما كتبه الله تعالى ، وأنزله على رسوله (لأرب) لاشك (فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله) (انظر آية ٢٣ من سورة البقرة) (وادعوا من استطعتم) استعينوا بمن شئتم (من دون الله) غيره : هل يمكنكم أن تأتوا بسورة من مثله «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) وهو القرآن الكريم ؛ والناس دائما أعداء لما جهلوا (ولما يأتهم تأويله) لم يأتهم حتى الآن عاقبة ما في القرآن من الوعد والوعيد (ومنهم) أى من أهل مكة (من يؤمن به) أى من سيؤمن بهذا القرآن . علم الله تعالى ذلك عنهم (ومنهم من لا يؤمن به) أيد الدهر (وربك أعلم بالمفسدين) وسيقتص منهم في الدنيا والآخرة ! (وإن كذبوك قل لى عملي)

الْعُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَآيْبِسُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ
 شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٢﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ
 كَمَا كَانُوا يَلْبَسُونَ إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ
 قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٣﴾
 وَإِنَّمَا تَرَيْنَا بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَفَّيْنَاكَ فَأَلَيْنَا
 مَرَجَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿١٤﴾ وَلِكُلِّ
 أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ
 وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٥﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا
 نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ
 فَلَا يَسْتَفْرِخُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
 إِنِ اتَّخَذْتُمْ عِبَادِي يَنبِئًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
 الْمُجْرِمُونَ ﴿١٨﴾ أَلَمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَتُمْ بِهِ ءَ الْفَنِّ وَقَدْ

(إن الله لا يظلم الناس شيئاً) عندما يعاقبهم
 (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) بارتكابهم
 المعاصي ، وتعريض أنفسهم للعقاب (ويوم
 يحشرهم) يجمعهم يوم القيامة (كان لم يلبسوا)
 كان لم يمتسوا في الدنيا ، أو في القبور (إلا
 ساعة من النهار يتعارفون بينهم) يعرف
 بعضهم بعضاً عند البعث : تعارف بعض
 وانتضاح ؛ يقول هذا لذاك : أنت أضللتني ،
 أنت أغويتني ، أنت حملتني على الكفر . ويتبرأ
 بعضهم من بعض ، ويسب بعضهم بعضاً
 وليس التعارف تعارف حب ومودة ، وتراحم
 وشفقة ؛ كتعارف المحبين في الدنيا (قد
 خسِر) يومئذ (الذين كذبوا بقاء الله)
 وأنكروا البعث ، والحساب ، والجزاء (انظر
 مبحث التعطيل بآخر الكتاب) (وإما ترينك
 بعض الذي نعدهم) من العذاب في الدنيا (أو
 تتوفينك) قبل تعذيبهم (فالينا مرجعهم)
 فننتقم منهم (ثم الله شهيد) مشاهد ومطلع
 (ولكل أمة) من الأمم (رسول) يهديهم
 إلى طريق السداد والرشاد (فإذا جاء رسولهم)
 إليهم فكذبوه (قضى بينهم بالقسط) بالعدل
 فأهلكنا الكاذبين ، وأنجينا المؤمنين (ويقولون

من هذا الوعد) أي متى هذا العذاب الذي تهددنا به (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً) وبالتالي لا أعلم
 ما يريد الله تعالى بي ولا بكم (إلا ما شاء الله) أن يطعني عليه لحكمة خاصة (لكل أمة أجل) موعد
 لتعذيبهم (قل أرايتم إن أتاكم عذابها بيانا) ليلا (أم إذا ما وقع) العذاب (آتمتم به) أي بالعذاب الواقع
 وقيل لكم (آلان) تؤمنون «يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل
 أو كسبت في إيمانها خيراً»

(وقد كنتم به) أى بهذا العذاب (تستعملون) لتشكككم في وقوعه ، وتكذيبكم لمن أنذر به (ثم قيل للذين ظلموا) كفروا (ذوقوا عذاب الخلد) العذاب الدائم ؛ نموذ بالله تعالى من غضبه وعذابه ! (انظر آية ٩٣ من سورة النساء) ويستنبئونك) يستخبرونك (أحق هو) أى ما وعدتنا به من البعث والحساب والجزاء (قل لى وربى) نعم والله «إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون» (وما أنتم بمعجزين) بغالين ، أو بفاتنين العذاب الذى أعده الله تعالى لكم (ولو أن لكل نفس ظلمت) نفسها بالكفر والمعاصى ، أو «ظلمت» غيرها بالبنى والمدوان .. لو أن لها (ما فى الأرض) جميعاً من مال ومتاع (لافتدت به) نفسها من عذاب يومئذ (وأسروا الندامة) أظفروها (لما رأوا العذاب) وبدت الندامة على أسار ووجوههم؛ ومنه قولهم : أسر إليه المودة وبها . أى أظفرها له (وقضى بينهم بالقسط) بالعدل (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم) القرآن الكريم (وشفاء لما فى الصدور) وأمراض الصدور : أخطر من أمراض الجسم ؛ لأن أمراض الصدور تؤدى إلى الجحيم ، وأمراض الجسم تؤدى إلى النعيم ! ولا شفاء للصدر إلا بالقرآن ، ولا نجاة من التيران إلا به ! وشفاء الصدور : هو تخليصها من السرور ، وإرشادها إلى ما فيه الحياة الأبدية ، والسعادة السرمدية ! (قل بفضل الله عليهم وبرحمته) لهم (فبذلك) الفضل والرحمة (فليفرحوا) لا بالمال والنسب ، والجاه والحسب . وقد ورد أن المراد بفضل الله في هذه الآية : الإسلام . والمراد برحمته: القرآن . هنا وكل خير يصيب الإنسان: فرده إلى فضل الله تعالى وحده ، وكل بر وسعادة ونجاة : فرده إلى رحمته جل شأنه ! فضله

الجزء الحادى عشر

٣٥٤

كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْمِلُونَ ﴿٣٥٤﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٥٥﴾ * وَاسْتَنْبِئُونَا بِحَقِّ الْقَوْلِ إِذْ رُزِّقْتُمْ بِهِ خَيْرٌ ﴿٣٥٦﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٥٧﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٥٨﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥٩﴾ هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٦٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِى الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٦١﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ قَدْ أُنزِلَ لِكُلِّ قَلْبٍ مِّنْ خَيْرٍ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٦٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آءَلَّهُ أَذْنٌ لِّكُرْ

تعالى ورحمته هما الموصولان إلى خيرى الدنيا والآخرة! منحنا الله تعالى فضله ، وهنارحمته ؛ بفضلِهِ ورحمته ! (هو) أى فضل الله ورحمته (خير مما يجمعون) فى الدنيا من الأموال (قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق) طيب حلال (فجعلتم منه حراماً وحلالاً) كالبحيرة والسلاية (انظر آية ١٠٣ من سورة المائدة) (قل آء الله أذن لكم) فى تحريم ما حرمت ، وتحليل ما أحلتم

أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى
 اللَّهِ الْكَذِبِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٠١﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ
 وَمَا تَسْأَلُونَ مِنْ فُرْقَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا
 عَلَيْكُمْ شُهودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ
 مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرُ
 مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١٠٢﴾ أَلَا إِنَّ
 أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠٣﴾
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٠٤﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٥﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ
 جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠٦﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ
 فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ

(أم على الله تفترون) تكذبون عليه بنسبة
 ذلك إليه (وما تكون في شأن) من الشئون،
 أو أمر من الأمور (وما تملو منه) أى
 «ما تملو» من أجل ذلك الشأن (من قرآن
 ولا تعملون من عمل) قل أو جل (إلا كنا
 عليكم شهوداً) مشاهدين ومراقبين لأعمالكم؛
 نعلم ظواهركم وبواطنكم (إذ تفيضون فيه)
 تأخذون في عمله (وما يعزب) وما يبعد،
 ولا يغيب (عن ربك) عن بصره وإرادته
 ومشيشته (من مثقال) وزن (ذرة) غلة
 صغيرة؛ تدروها الريح إذا هبت (ولا أصفر
 من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) هو
 اللوح المحفوظ؛ كتب فيه ما كان وما سيكون
 إلى يوم القيامة (ألا إن أولياء الله) خاصته
 وأحبابه (لا خوف عليهم) في الدنيا (ولاهم
 يجزنون) في الآخرة (الذين آمنوا) بالله تعالى
 وأحسنوا أعمالهم (وكانوا يتقون) الله،
 ويخشون غضبه وعذابه؛ فصدت أعمالهم في
 حدود ما رسمه الله تعالى لعباده وأراده لهم!
 فأولئك (لهم البشرى في الحياة الدنيا)
 يعيشون وقت النزح؛ بأن يرى المحتضر مكانه
 من الجنة رأى العين؛ فيتهلل ويستبشر.

وهذا مشاهد متواتر في كل مؤمن معبود فيه التقوى، مشهود له بالصلاح (وفي الآخرة) «يستبشرون
 بنعمة من الله وفضل» (لا تبدل لكلمات الله) فأمره نافذ، ووعدته محقق؛ جعلنا الله تعالى من المستبشرين
 في الحياة الدنيا وفي الآخرة بمنه وفضله! (ولا يحزنك قولهم) أى قول المشركين لك: «لست مرسلًا»
 «إنما يعلمه بشر» وأمثال ذلك (إن العزة) القوة والقلبة (لله جميعاً هو السميع) لأقوالهم (العليم) بأفعالهم؛
 وسيجازيهم عليها؛ بعد أن ينصرك نصراً عزيزاً مؤزراً (وما يتبع الذين يدعون) يعبدون

(من دون الله) غيره (شركاء) لله في ملكه كما يزعمون (إن يتبعون) ما يتبعون (إلا الظن) الوهم والتخمين (وإن هم إلا يجرسون) يختلقون ويفترون (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا) لتسترجموا (فيه والنهار مبصراً) مضيئاً؛ تبصرون فيه (قالوا اتخذ الله ولداً) وهو أحد صمد؛ لم يلد ولم يولد! ومن عب أن هؤلاء الحق الجهال، ينسبون للعلی المتعال؛ ما يزهون عنه رهبانهم؛ إذ أنهم لا يتزوجون ولا يلدون (سبحانه) تزه وتقدس أن يكون له ولداً وكيف يكون له ولد؛ و(هو النقي) عن الولد، والوالد، والصاحبة؛ لأن الإنسان يحتاج للصاحبة: لتؤنسه وتخمه. وللوالد: ليكلاه ويرعاه. وللولد: ليعينه ويستكبر به. والله تعالى ليس في حاجة إلى مؤنس، أو كلاء، أو مدبر، أو راع، أو أمين. إذ هو وحده مؤنس الكائنات، وكالؤم، ومدبر مصالحهم، وراعيهم، ومعينهم! (له ماق السموات وماق الأرض) ملكاً وخلقاً وعبداً (إن عندكم) ما عندكم (من سلطان) حجة (بهذا) الذي تقولونه (قل إن الذين يفترون) يختلقون (على الله الكذب) بنسبة الولد إليه (متاع في الدنيا) أى ليس لهم إلا تمتع قليل في الدنيا (ثم إنا مرجعهم) فنحاسبهم حساباً عسيراً على ما عملوا في دنياهم (يا قوم إن كانت كبر) عظم وتقل (عليكم مقابى) لما مقى بينكم (و) شق عليكم (تذكبرى) وعظى لكم (آيات الله فعلى الله) وحده (توكلت) أى اعتمدت عليه، واستعنت به. وليس أهل على صدق الإيمان، ومزيد الإيقان؛ من التوكل على الله تعالى. وقد قال نوح لقومه ماق نفسه ليشعروا أنه - وقد استعان بالله تعالى - لا يعبأ بكيدهم ولا بجمعهم، ولا يخشى من قوتهم وكثرة عددهم! لذلك جاههم بقوله (فأجعوا

مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۖ إِنَّ يَدْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَجْرِمُونَ ﴿٢٥٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٥٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً ۗ سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلٰطِنٍ مُّبِينًا ۗ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٥٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿٢٥٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنْفِخُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٦٠﴾ * وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ نُبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ يَتَّقُونِ ۚ إِنَّ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ۖ وَتَذَكِّرُنِي ۖ فَبِأَيِّ آيَاتِ اللَّهِ قُلْتُمْ ۖ فَاجْعَلُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَ كُرْهُمُ ۖ لَآ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٢٦١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَسْأَلَنَّكُمْ مِن

أمرهم) اعزموا على أمر تعلقونه بي، وكيد تكيدونه لي (وشركاءكم) أى وادعوا شركاءكم لنصرتكم (ثم لا يكن أمركم) الذى تزمون عليه (عليكم غمة) أى لا يكن مستوراً عليكم، بل واضحاً؛ تتمكنون منه، وتقدرون عليه؛ من غم الهلال: إذا استر واحجب. أو (لا يكن أمركم عليكم غمة) أى لا تكن نتيجة أمركم غما عليكم (ثم اقضوا إلى) امضوا فإى أردتوه من النيل منى! (ولا تنظرون) لا تعجلون فأنظر - ياهدك الله - إلى هذه القوة التى وهبها الله تعالى لنبىه نوح، والشجاعة التى بها فى روحه وما كان ذلك إلا وليد اعتماده على ربه سبحانه وتعالى وتوكله عليه! (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (فان توليتم) أعرضتم عن الإيمان الذى دعوتكم إليه، والتذكير الذى وعظتكم به (فا سألتكم من أجر) على ذلك

أَبْرَإِيمَ إِذْ جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ حَقًّا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذِبًا مُّبِينًا ﴿٦٧﴾
 فَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا
 إِلَىٰ قَوْمِهِمْ بِجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا
 بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٦٩﴾
 ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
 وَمَلَإِيهِمْ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٠﴾
 فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ
 مُّبِينٌ ﴿٧١﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ
 هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا
 وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ
 وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَدْعُونِي فِي كُلِّ
 مَسْجِدٍ لِّكُفْرِي كَذَّبْتُ بِآيَاتِكُمْ وَأَنَا مِنَ الْمُكذِّبِينَ ﴿٧٤﴾

(فنجيناها ومن معه في الفلك) في السفينة ؟
 ويطلق على الواحد والجمع (وجملناهم خلائف)
 خلفاء ؛ جمع خليفة

(ثم بعثنا من بعده) أى بعد نوح عليه السلام
 (رسلا إلى قومهم) أى هوداً ، وصالحاً ،
 وإبراهيم ، ولوطاً ، وشعياً (بجاءهم
 بالبينات) الحجج الواضحة الدالة على صدق
 رسالتهم (فما كانوا) أى فما كان هؤلاء
 الأقوام (ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل)
 أى بما كذب به آباؤهم (كذلك نطبع)
 نختم (على قلوب المعتدين) الذين اعتدوا على
 رسالتهم وأنبياهم ، وكذبوا بما أرسلوا به ؛
 ولم تفهم الغلط ، ولم يؤمنوا بالآيات البينات
 (فلما جاءهم الحق من عندنا) التوراة (قالوا إن
 هذا لسحر مبين) واضح ظاهر (قال موسى
 أتقولون) هذا القول (للحق) الواضح (لما
 جاءكم أسحر هذا) أى أيقظ أن يكون هذا
 سحراً ، وهو واضح مبين ؟ (قالوا أجئتنا
 لنتلفتنا) لتصرفنا (وتكون لكما الكبرياء)
 أى الملك ؛ لأن الملوك موصوفون بالكبر
 والتعجب (وقال فرعون) لقومه (أتدعونني بكل
 مسجدي في كل مذبذب) لنحارب موسى بسحر مثله

(ساحر علم)

سَجَرَ عَلَيْهِ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالَ لَّهُمْ مُوسَى
 اَلْقُوا مَا اَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا اَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ
 بِهٖ اِلَّا سِحْرًا ۗ اِنَّ اِلٰهَ سَيِّطِلَهٗ ۗ اِنَّ اِلٰهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلِ
 الْمُفْسِدِيْنَ ﴿٥٨﴾ وَيُحِقُّ اِلٰهُ الْحَقِّ بِكَلِمٰتِهٖ ۗ وَلَوْ كَرِهَ
 اَلْمُجْرِمُوْنَ ﴿٥٩﴾ قَا اَمَنْ لِّمُوسَى ۗ اِلَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ قَوْمِهٖ ۗ
 عَلٰى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَٲِيْمِهِمْ اَنْ يَقْتُلُوْهُمۡ ۗ وَاِنَّ فِرْعَوْنَ
 لَعَالٍ فِى الْاَرْضِ ۗ وَاِنَّ لِمَنْ اَلْمَسْرِفِيْنَ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ مُوسَى
 يَنْقُومُ اِنْ كُنْتُمْ اٰمِنْتُمْ بِاِلٰهٍ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوْا اِنْ كُنْتُمْ
 مُّسْلِمِيْنَ ﴿٦١﴾ فَقَالُوْا عَلٰى اِلٰهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
 فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ ﴿٦٢﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ
 الْكَافِرِيْنَ ﴿٦٣﴾ وَاَوْحَيْنَا اِلَى مُوسَى ۗ وَاٰخِيَهٗ اَنْ تَبَوَّءَا
 لِقَوْمِكُمَا مِمْصَرَ بِيُوْتَا ۗ وَاَجْعَلُوْا بِيُوْتَكُمَا قِبْلَةً ۗ وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ
 وَبَيِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٦٤﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا اِنَّكَ اٰتَيْتَ

(فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما اتمت
 ملتون) وذلك بعد أن قالوا له: «إما أن تلقى
 وإما أن نكون نحن الملقين» (فلما القوا)
 جابلهم وعصيم (قال موسى ما جئتم به السحر)
 أى إن الذى جئتم به الآت هو السحر؛
 لا ما اهتمتوني به؛ و (إن الله سيطله)
 لأن سنته تعالى فى خلقه: أنه (لا يصلح عمل
 الفسدين . ويحق الله الحق) يظهره ويبله
 (بكلماته) بأمره وقدرته (فا آمن لموسى
 إلاذرية من قومه) أى طائفة من أبناء قومه؛
 أما كبارهم فاستكبروا وعتوا! وهذه الطائفة
 التى آمنت؛ إنما آنت (على خوف من
 فرعون وملثهم) أى رغم خوفهم من فرعون،
 وخوفهم من ملثهم؛ الذين هم أهلوم وأباؤهم.
 أو على خوف من فرعون وشيعته (أن يفتنهم)
 أن يعذبهم (وإن فرعون لعال) متكبر جبار
 (وإنه لمن السرفين) التجاوزين للحد: بكفره
 وادعائه الربوبية (فقالوا على الله توكلنا) وهو
 لاشك معيننا وناصرنا (انظر آية ٨١ من
 سورة النساء) ربنا لا تجعلنا فتنة (أى موضع
 فتنة (للقوم الظالمين) بحيث يفتنوننا عن ديننا،
 ويصلوننا . والفتان: الضل عن الحق . أو

«فتنة» بمعنى عذاب . أى لا تجعلنا موضع عذابهم وانتقامهم (وأوحينا لى موسى وأخيه أن تبوأ) أى
 اتخذوا . يقال: تبوأ المنزل: إذا نزله واتخذه سكناً (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مساجد تصلون فيها سراً؛
 خوفا من أذى فرعون وملثه (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة) فرشا وثياباً، ومالبساً حسناً،
 ومسكناً فخماً، ومركباً فارهاً، وحلياً نفيسة (وأموالاً) وفيرة

(ليضلوا) الناس (عن سبيلك) عن دينك الحق القويم (ربنا اطمس على أموالهم) أى أهلكتها وأذهب آثارها (واشدد على قلوبهم) اطبع عليها ؛ جزاء تمسكهم بكفرهم ، واستهزأهم بنبيهم ، ولإيذائهم للمؤمنين (فلا يؤمنوا) لك (حتى يروا العذاب الأليم) الذى تنزله بالمستهزئين ، وتلحقه بالكافرين (قال) الله تعالى (قد أجيبت دعوتكما) فلم يؤمن فرعون وقومه حتى أدركهم العرق ؛ فلم ينفعهم إيمانهم (فاستقميا) اثبتنا على ما أتانا عليه من نشر الدعوة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) صدق الإجابة ، وحكمة الإمهال (وجاوزنا بيني لبسائيل البحر) جعلناهم يسلكونه ويتجاوزونه ؛ بأن فرق الله تعالى الماء :

فر بنو إسرائيل على اليابسة . قال تعالى : «فانطق فكان كل فرق كالطود العظيم» (فأتبهم) لحقهم (فرعون وجنوده بغيا) منهم على المؤمنين (وعدوا) اعتداء وتطاولوا وظلماً (حتى إذا أدركه العرق قال آمننت أنه لا إله إلا الذى آمننت به بنو إسرائيل وأمن المسلمون) ذهب بعضهم لى أن فرعون قد آمن بقوله هذا ؛ وأنه لا يتناقض إيمانه ما جاء بعد ذلك فى القرآن الكريم (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) لأن ذلك القول من قول الملك الموكل بالعذاب ؛ لامن قول الحكيم الخبير ! وهذا القول يردده العزيز العليم «وليست التوبة الذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إن تبت الآن» وحضور الموت - المعنى فى هذه الآية - هو اليأس من الحياة ؛ وقد قال فرعون ما قال وقت إطباق البحر عليه ، ويأسه من النجاة . وسبب لهلاك فرعون بالاغراق : هو أنه ألبا بنى إسرائيل لى البحر ليفرقهم أو يقتلهم ؛ فكان جزاؤه من جنس عمله . وتأمل - يارعاك الله - لى قدرة الله ؛ فقد جعل فى لحظة واحدة العزيز ذليلا ، والدليل عزيزاً ؛ إذ لم يكن أعز من فرعون ومثله ، ولا أذل من موسى

وقومه ! (انظر آية ١٨ من سورة النساء) (فاليوم نتجيك بيدنا) بجسمك ؛ بعد ليزهاق روحك (لتكون لمن خالفك) أى لمن بعدك من الأمم (آية) عبرة لهم ؛ وهامى ذى جنته الآن تعرض فى دار الآثار المصرية . (وإن كثيراً من الناس) الكافرين (عن آياتنا لغالون) لا يتظنون بها «وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها» (ولقد بوأنا بنى إسرائيل ميثاقاً صديقاً) أى أنزلناهم منزل تكريم : فى مصر والشام ، أو الشام وبيت المقدس (ورزقناهم من الطيبات) الثمار وغيرها (فاختلفوا) فى أمر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ الذى بشر به كتابهم (حتى جاءهم العلم) القرآن

فِرْعَوْنَ وَمَلَأْهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٠٠﴾
 قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ * وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ءَ الْفَنِّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَأَيَّةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَأَيَّتِنَا لَغَفِلُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْقَالَ حَبِّ خَلْبٍ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا

كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٦٠﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا
 إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ
 جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٢٦١﴾
 وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَاتِ اللَّهِ فَكُونُوا مِنَ
 الْمُتَحَسِّرِينَ ﴿٢٦٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٦٣﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ
 الْأَلِيمَ ﴿٢٦٤﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا
 إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعَّمْنَا لَهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿٢٦٥﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
 لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ
 حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٦٦﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦٧﴾
 قُلْ أَنْظِرُوا مَا ذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْبَدُونَ

الآيَاتُ

أن يؤمن الناس قسراً وجبراً (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ليس عليك هدام ، وما عليك
 إلا البلاغ المبين (وما كان ل نفس أن تؤمن إلا بإذن الله) بأمره وإرادته وتوفيقه! (ويجعل الرجس) العذاب
 (على الذين لا يعقلون) لا يتدبرون آيات الله تعالى ؛ فلا يؤمنون بها (قل انظروا ماذا في السموات
 والأرض) من الدلالات القاطعة بوجود صانعها وبارئها ومدبرها (وما تعبى) ما تنفع .

(فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك) من
 أت ذكرك قد ورد في التوراة والإنجيل
 (فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك)
 المقصود بالكتاب : التوراة والإنجيل . قال
 صلى الله تعالى عليه وسلم حين نزلت :
 « لا أشك ولا أسأل » (لقد جاءك الحق)
 القرآن (من ربك فلا تكونن من الممترين)
 الشاكين (إن الذين حقت) وجبت (عليهم
 كلمة ربك) بالعذاب (فلولا) فهلا ؛ وقرأ بها
 أبي وابن مسعود (كانت قرية) واحدة ؛ من
 القرى التي أهلكتها (أمنت) أى تاب
 أهلها عن الكفر ، وآمنوا بمحض إرادتهم ؛
 قبل أن ينزل بوادئهم العذاب ويحل بساحتهم ؛
 كما حل بساحة فرعون ومثله (ففصها إيمانها)
 لأنها آمنت قبل اليأس من الحياة (إلا قوم
 يونس لما آمنوا) بعد نزول العذاب بهم
 (كشفتنا عنهم عذاب الخزي) الذي كان سيحل
 بهم (في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) وهو
 انقضاء أجلهم (ولو شاء ربك لأمن من في
 الأرض كلهم جميعاً) ولكنه تعالى تركهم
 لمحض إرادتهم واختيارهم ؛ ليتبين الطائع ،
 ويعاقب العاصي ! فإذا كان ربك يا محمد لم يشأ

الْآيَاتِ وَالنَّذْرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ
 إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي
 مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١١﴾ ثُمَّ نَسِجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا
 كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
 إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأَمِرْتُ أَنْ
 أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
 حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ
 لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ
 بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قُلْ
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ

(الآيات) المينة الواضحة (والنذر) الرسل
 (عن قوم لا يؤمنون) لا يفتحون أعينهم
 للآيات، ولا أسماعهم للخطب (فهل ينتظرون)
 بتكذيبك ومخالفتك (لأمثل أيام الذين خلوا)
 أي الذين مضوا من الأمم الذين كذبوا؛ فنزل
 بهم العذاب (فلا أعبد الذين تعبدون من دون
 الله) غيره (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم)
 عيتكم باستيفاء أجلكم في الدنيا (وأن أقم
 وجهك) أي استقم واتجه بكليتك (للدن)
 الذي أمرت باتباعه؛ ولا تلتفت إلى ما عداه
 (حنيفاً) مثلاً إلى الإسلام (ولا تدع) لا تعبد
 (من دون الله) غيره (ملا ينفعك) إن
 دعوته وعبادته (ولا يضرُّك) إن كفرته
 وتركته (فإن فعلت فإناك إذا من الظالمين)
 الخطاب للرسول الكريم صلوات الله تعالى
 وسلامه عليه؛ والمراد به أمته؛ لأنه صلى الله
 تعالى عليه وسلم؛ هو صاحب الدين الحنيف،
 الداعي إليه، الهادي له، وهو الأمر بالتوحيد،
 الخات عليه، الناهي عن الشرك، المحطم له؛
 وفقنا الله تعالى إلى حسن اتباعه، وحسننا
 في زمرته؛ بفضلِهِ ورحمته! (وإن يمسك
 الله بضر) مرض، وشدة (فلا كاشف له)

أي لا كاشف لهذا الضر (إلا هو) وحده (وإن يردك بخير) عافية ويسر (فلا راد لفضله يصيب به) أي
 بالخير، أو بكل ما أراد من خير وشر (من يشاء من عباده) جزاء، أو ابتلاء (قل يا أيها الناس قد جاءكم
 الحق) القرآن - الذي هو حق كله - (من ربكم فمن اهتدى) به

فَأَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَلَمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ
وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَارِجِينَ ﴿١٢﴾

(١١) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ

إِلَّا الْآيَاتِ ١٢ وَ ١٧ وَ ١١٤ فَدُنِّيَّةٌ
وَأَيَّهَا ١٢٣ نَزَلَتْ بِعَدَلٍ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كُنْتُ أَحْكَمْتُ عَابِسْتُهُ ثُمَّ فَصَلْتُ مِنْ لَدُنِّ
حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ
نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَفْغُرُوا رَبَّكَ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ
يَسْتَعْمِكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي
فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿٤﴾

قَدِيرٌ ﴿٤﴾
(مستعمكم) في الدنيا (متاعاً حسناً) بسعة الرزق ، ورغد العيش ؛ فان لم يرزقها التائب المستغفر رزق ماهو
خير منهما : رزقه الله تعالى القناعة والرضا . قال الشافعي رضى الله تعالى عنه :

غنى بلا مال عن الناس كلهم وليس الغنى إلا عن الشيء لا به

ورزقه الله تعالى أيضاً السرور والحبور ؛ فتعالى الغنى المفقى ، اللطيف الخبير ! وهذا التناع الحسن (إلى
أجل مسمى) هو انقضاء الأجل ، وتحقيق الأمل ؛ وكمال السعادة ، وتتمام السيادة ، وتوفية الأجر الذى
وعده به الكريم ، وتفضل به على عباده المؤمنين التائبين ! (ويؤت كل ذى فضل فضله) أى جزاء فضله
(وإن تولوا) تتولوا وتعرضوا

(فأما يهتدى لنفسه) لأن نواب هدايته غائبة
إليها (ومن ضل فأما يضل عليها) لأن لما
ضلاله واقع عليها (وما أنا عليكم بوكيل)
فألزمتكم بالإيمان ، وأجبركم على الهدى .

(سورة هود)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(كتاب) قرآن (أحكمت آياته) بما احتوته من
عجيب النظم ، وبلغ اللفظ ، وبديع المعاني ؛
لا خلل فيها ولا خطأ (ثم فصلت) بينت
بالأحكام ، والمواعظ ، والوعد ، والوعيد ،
والتواب ، والعقاب ، والقصاص (من لدن)
من عند (حكيم) حكيم للأمر (خير) بكل
ما كان وما يكون (إني لكم منه نذير) بالعقاب
(وبشير) بالتواب (وأن استغفروا ربكم) من
الشرك والكبائر (ثم توبوا إليه) من ذنوبكم .
وقدم تعالى الأمر بالاستغفار : لأن المفطرة هي
الغرض ، والتوبة هي السبب المؤدى إلى المفطرة !

(مستعمكم) في الدنيا (متاعاً حسناً) بسعة الرزق ، ورغد العيش ؛ فان لم يرزقها التائب المستغفر رزق ماهو
خير منهما : رزقه الله تعالى القناعة والرضا . قال الشافعي رضى الله تعالى عنه :

غنى بلا مال عن الناس كلهم وليس الغنى إلا عن الشيء لا به

ورزقه الله تعالى أيضاً السرور والحبور ؛ فتعالى الغنى المفقى ، اللطيف الخبير ! وهذا التناع الحسن (إلى
أجل مسمى) هو انقضاء الأجل ، وتحقيق الأمل ؛ وكمال السعادة ، وتتمام السيادة ، وتوفية الأجر الذى
وعده به الكريم ، وتفضل به على عباده المؤمنين التائبين ! (ويؤت كل ذى فضل فضله) أى جزاء فضله
(وإن تولوا) تتولوا وتعرضوا

(الأنهم) وصف للمنافقين (يتنون صدورهم) أى يطوون قلوبهم على عداوة المؤمنين وبنضمهم . أو المراد : ينصرفون ويعرضون عن سماع الحق (ليستخفوا منه) أى من الله ؛ ظنا منهم أنه تعالى لا يرى سرايرهم ، أو «ليستخفوا» من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (ألا حين يستغشون ثيابهم) يتغطون بها ؛ كراهة استماع كلام الله تعالى . وهذا كقول نوح عليه الصلاة والسلام «جلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم» والله تعالى (يعلم مايسرون وما يعلنون إنه علم بذات الصدور) بما حوته القلوب (وما من دابة في الأرض) الدابة: كل ما يدب على وجه الأرض ؛ من لإنسان وحيوان واطر (إلا على الله رزقها) تكفل به تعالى لكل ذى روح ؛ فانظر - يارعاك الله - كيف يرزق مولاك الطير في الهواء ، والسماك في الماء ، والدودة في الصخرة الصماء وانظر إلى رزقه للإنسان ، رغم أنه دائب العريان ، دائم الكفران ! فان الأسماك في البحار لتكاد تلتق بنفسها بين يديه ؛ ليملاها شديداً ! والطير يهجر أوطانه ، ويترك أجدانه ، وينتقل من بلد فيه نقأ ، وفي أرضه درج ؛ فيسبح في الهواء آلاف الأميال ؛ ليتقي عصا الترحال ، على مائدة بنى الإنسان ؛ وبعد ذلك فان هذا الإنسان - بعد موته - يكون طعاما لغيره مما خلق الله تعالى من الدواب التي تكفل برزقها ، وضمن حياتها حتى تنتهي آجالها . فأى نظام هذا الذى وضعه العلى القدير ، ونظمه الحكيم الخبير؟! (و) هو بعد ذلك (يعلم مستقرها) أى مستقر كل دابة خلقها (ومستودعها) والمستقر : موضع القرار ؛ من مكان ، أو مسكن في الأرض . والمستودع : مكانها الصلب والرحم ، أو مكانها في الأرض حين تدفن بعد موتها (كل) من الدواب ، والرزق ، والمستقر ، والمستودع (في كتاب مبین) بين وهو اللوح المحفوظ (وهو الذى خلق السموات والأرض) وما فيها (ليلوكم) ليختبركم (أيكم

قَدِيرٌ ﴿١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَتُّونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢﴾ * وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ أَكْبَارُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا كسر مبین ﴿٤﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ ليقولن ما يجيبسہر ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحقاً يوم ما كانوا به يستهزءون ﴿٥﴾ وَلَئِنْ أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليغفوس كفور ﴿٦﴾ وَلَئِنْ أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب

أحسن عملاً) فيجزى عليه الجزاء الأوفى ! (ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت) ومجزون على أعمالكم (ليقولن الذى كفروا إن هذا) أى ما هذا القرآن المحتوى على ذكر البعث (إلا سحر مبین) بين السحر واضح . وقرأ حمزة وعلى «ساحر» ويكون المراد به الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه . والساحر : الكاذب المبتطل (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة) مدة من الزمن (ليقولن ما يجيبسه) أى ما يمنع العذاب من النزول ؛ (الأيوم يأتيهم) العذاب (ليس مصروفا عنهم) أى لا يمنع مانع ، ولا يدفعه دافع (وحق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزءون) من العذاب ويقولون : «ما يجيبسه» (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة) نعمة وفضلا (ثم نزعناها منه) امتحاناً له (إنه ليغفوس) قنوط من رحمة الله تعالى (كفور) به (ولئن أذقناه =

(نعماء) غني وسعة (بعد ضراء) فقر وشدة (مسته ليقولن ذهب السيئات عني) أي اقتطع الفقر والضيق (إنه) عندئذ (لفرح) فرح بطر وكبر؛ لا فرح نعمة وشكر (غفور) على الناس، متكبر عليهم، مستهين بهم (إلا الذين صبروا) على الضراء، وشكروا ربهم في سائر حالاتهم (وعملوا الصالحات) في النعماء، ولم ينكروا أنهم الله تعالى عليهم، وفضله الواصل إليهم! ولا يخفى أن أولى الأعمال الصالحة وأولها: البذل والصدقة (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك)

وذلك لأنهم كانوا يتلقون الوحي - عند نزوله - بالطمأن والاستهزاء؛ فترلت هذه الآية لفتناً لأبصارهم؛ وليعلموا أنهم مهابتوا، ومهما استهزأوا؛ فإن الله بالغ أمره، وإن رسوله مبلغ رسالته (وضائق به صدرك) كراهة استهزائهم، وكراهة (أن يقولوا لولا) هلا (أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) يؤيده في رسالته؛ قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم «ليس عليك هداهم» «إنك لا تهدي من أحببت» «ولست عليهم بمسيطر» (إنما أنت نذير) منذر لهم بما أعدته للكافرين، من عذاب اليم (أم يقولون افتراه) اختلق القرآن (قل فاتوا بشر سور مثله) انظر آية ٢٣ من سورة البقرة (مفتريات) مختلفات (وادعوا من استظمت) لمعاونتكم (من دون الله) غيره (فإن لم يستجيبوا لكم) أي لم يجيبكم من استعتم بهم للاتيان بمثل هذا القرآن؛ وإن لم يجزكم جميعاً عن الإتيان بمثله (فاعلموا أنما أنزل) هذا القرآن (بعلم الله) وإرادته؛ لا باختلاق مخلوق، ولا باقتراء مفتر (وأت لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون) بعد ظهور هذه الدلالات والحجج القاطعة (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحيط ما صنعوا فيها ونيطل ما كانوا يعملون (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله

السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴿٣٦٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٣٦٥﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴿٣٦٦﴾ إِنَّكَ أَنْتَ نَذِيرٌ ﴿٣٦٧﴾ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٣٦٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورٍ مِّثْلِهِ مَفْتَرِينَ ﴿٣٦٩﴾ وَادْعُوا مَنِ اسْتَضَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٧٠﴾ فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣٧١﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿٣٧٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطَلِّ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ ﴿٣٧٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ

الآخرة وما يوصل إليها من الإيمان وصلاح الأعمال؛ فأولئك (نوف إليهم أعمالهم فيها) أي نجزم في الدنيا على ما عملوه فيها من عمل صالح؛ كبر الوالدين، وحسن العاملة، وأمثال ذلك (وهم فيها لا يبخسون) لا يتقصون شيئاً مما عملوه؛ فيجزون بمزيد من المال والصحة (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحيط) بطل (ما صنعوا فيها) أي في الدنيا؛ لأن أعمالهم لم يقصد بها وجه الله تعالى؛ بل قصد بها التفاخر والاستكثار (أفمن كان على بينة من ربه) على برهان من الله، وحجة بينة عقلية: أن دين الإسلام حق! (ويتلوه) يتبعه (شاهد منه) أي من الله تعالى؛ يشهد بصدقه؛ وهو القرآن الكريم

قَبْلَهُ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحِمَةً ۗ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ
 وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۗ مِنَ الْأُمْتَابِ ۗ قَالَ نَارُ مَوْعِدِهِ ۗ فَلَا تَكُ
 فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۗ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 أُولَٰئِكَ يَعْرِضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ
 الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾
 الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ
 بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧٩﴾ أُولَٰئِكَ لَ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ
 فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ۗ
 يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا
 كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٨٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ
 وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨١﴾ لَاجِرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 هُمُ الْآخْسِرُونَ ﴿٨٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(ومن قبله كتاب موسى) التوراة (إماماً)
 الإمام: الجامع للخير، المقيم على الحق (أولئك)
 أي الذين هم على بينة من ربهم (يؤمنون به)
 أي بالقرآن (ومن يكفر به من الأحزاب)
 من الكفار؛ وسواً أحزاباً: لأنهم تجزوا
 على معاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
 (فلا تك في مريّة) شك (ومن أظلم) أي
 لا أحد أظلم (ممن افترى) اختلق (ويقول
 الأشهاد) أي اليهود؛ الذين شاهدوا كفرهم:
 من الملائكة والنبين (هؤلاء الذين كذبوا على
 ربهم) بنسبة الولد والشريك إليه (الذين
 يصدون عن سبيل الله) يمنعون الناس عن
 دينه (ويبغونها عوجاً) يصفونها بالاعوجاج،
 أو يتمنون أن تكون معوجة (أولئك لم
 يكونوا معجزين في الأرض) فائزين أو غالبين
 (وما كان لهم من دون الله) غيره (من أولياء)
 يمنعونهم من عذاب الله تعالى وينصرونهم؛
 ولكنه تعالى أراد لإظهارهم، وتأخير عقابهم
 إلى هذا اليوم (يضاعف لهم العذاب) فيه
 (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون)
 لما كانوا - لانصرافهم عن استماع الحق،
 وتعاميهم عنه - كمن لا يسمع ولا يرى: عبر
 عنهم بعدم استطاعة السمع والابصار (أولئك الذين خسروا أنفسهم)
 لأنهم أوقفوها في العذاب الدائم،
 والنار المؤبدة (وضل عنهم) غاب (ما كانوا يفترون)
 يختلقون على الله تعالى من دعوى الشريك (لا جرم)
 لا بد ولا محالة (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لأن الإيمان بغير عمل صالح: لا يعتد به.

(وأخبتوا) اطمانوا (إلى ربهم) وانقطعوا إلى عبادته ، ووقفوا بأجره وجزائه ورحمته (مثل الفريقين) المؤمنين والكافرين : فمثل الكافر (كالأعمى والأصم) لأنه لا يستفيد بما يرى ، ولا بما يسمع (والبصير والسميع) وهو مثل المؤمن ؛ لأنه رأى بديع صنع الله تعالى وملكوته ؛ فأقر بوحدانيته . وسمع آياته ؛ فأمن به (هل يستويان مثلاً) وكيف

الجزء الثاني عشر

يستوى الضدان ؟ وقد اهتدى المؤمن بهدى الله ، وآمن برسله وكتبه ، وعمل بأمره ، وانتهى بنهيه كيف يستوى هذا ومن تعالى عن الحق ، وركب رأسه ، واتبع هواه ، وأكب على دنياه ! «هل يستويان مثلاً» (أفلا تدكرون) أفلا تتذكرون بهذه الأمثلة ما يجب اتباعه وما لا يجب ؟ وتعلمون الحق فتبعونه ! (إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) في الدنيا ؛ أو أريد به يوم القيامة ؛ أوهما معاً (وما تراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) أى أسافلنا ؛ وغاب عنهم أنهم هم الأسافل ولكن لا يعلمون . وقد يقصد بالأراذل : الفقراء - رغم أنهم أحباء الله تعالى وأسباب جنته - فباكرامهم تستمطر الرحمات ، وبالإحسان إليهم تجتلب البركات ! وبارضائهم يرضى الغنى على عباده ؛ فيهبهم رحمته ، ويدخلهم جنته !

هذا والغنى من أهم أسباب البعد عن الله : إذا لم يكن مقروناً بالشكر والإيفاء ؛ والفقير من أسباب القرب إلى الله : إذا كان مقروناً بالرضا والصبر ؛ فاذا انعدما : كان الفقير مبعداً من الله تعالى ؛ وبذلك يكون خاسراً لدنياه وآخرته ! و«ذلك هو الحسران المين» جعلنا

الله تعالى من الشاكرين في النعماء ، الصابرين في الضراء ! (بادى الرأى) أى اتبعوك ابتداء من غير روية ولا تفكر (وما ترى لكم علينا من فضل) فتستحقون به أن نتبعكم (قال) نوح (يا قوم أرايتم إن كنت على بينة) حجة واضحة (من ربى وآتاني رحمة) هداية ونبوة (فعميت) خفيت (عليكم أنزلتموها) أى أنجزكم على قبولها واتباعها قسراً (ويا قوم لا أسألكم عليه) أى على التبليغ (وما أنا بطاريد الذين آمنوا) لفقركم (إنهم ملائقوا ربهم) فأخذهم من ظلمهم وطردهم .

وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَيْسَ لَكَ أَحْسَبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦٦﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۗ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٦٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ كَانَ لَهُمْ لَكَ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٣٦٨﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٣٦٩﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَكْنَا إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ۖ وَمَا تَرَكْنَا تَبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْتَفِعُوا بِأَدْيِكَ ۚ وَهُمْ الرَّائِي ۗ وَمَا تَرَىٰ لَكَ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْتَفِكُكَ كَذِبِينَ ﴿٣٧٠﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَنْتُمْ رَحِمَةٌ مِّنْ عِنْدِي ۖ فَعِمَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَاكُمْ مَكْهُومًا وَأَنْتُمْ لَهَا كِذْبُونَ ﴿٣٧١﴾ وَيَنْقُومُ لَأَسْأَلَنَّكَ عَلَيْهِ مَا لَّا إِنَّا بِأَعْرَىٰ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ ۗ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّهُمْ مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ ﴿٣٧٢﴾ وَيَنْقُومُ

من

الله تعالى من الشاكرين في النعماء ، الصابرين في الضراء ! (بادى الرأى) أى اتبعوك ابتداء من غير روية ولا تفكر (وما ترى لكم علينا من فضل) فتستحقون به أن نتبعكم (قال) نوح (يا قوم أرايتم إن كنت على بينة) حجة واضحة (من ربى وآتاني رحمة) هداية ونبوة (فعميت) خفيت (عليكم أنزلتموها) أى أنجزكم على قبولها واتباعها قسراً (ويا قوم لا أسألكم عليه) أى على التبليغ (وما أنا بطاريد الذين آمنوا) لفقركم (إنهم ملائقوا ربهم) فأخذهم من ظلمهم وطردهم .

مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٦﴾
 وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا
 أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ
 يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ
 الظَّالِمِينَ ﴿٣٧﴾ قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
 جِدْلَنَا فَاثْنَانِ بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٨﴾
 قَالَ لَأَمَّا بَأْسَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٩﴾
 وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ
 اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَائِي وَأَنَا
 بَرِيءٌ مِمَّا تَكْفُرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ
 قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئَسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾
 وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ

(من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون) تذكرون) أفلا تذكرون وتتعتون بذلك ا
 وولا أقول لكم عندي خزائن الله) فأعطيكم
 وأعنيكم (ولا أعلم الغيب) فأخبركم به قبل
 وقوعه (انظر آية ٥٠ من سورة الأنعام)
 (ولا أقول إنى ملك) بل أنا بشر مثلكم
 (ولا أقول للذين تزدري أعينكم) تحقر (أعينكم)
 لضغفهم وقرهم (لن يؤتيهم الله خيراً) لأنهم
 ضعفاء ، أو لأنهم فقراء (الله أعلم بما في
 أنفسهم) من إيمان وخير؛ فيتيهم عليه خيراً
 وبرا! (لنى إذا لمن الظالمين) إذا قلت ذلك
 (قالوا يانوح قد جادلنا فأكثر جدلنا فاثنا
 بما تعدنا) به من العذاب . وبالها من حافة
 وجهل (انظر آية ٣٢ من سورة الأفعال)
 (وما أنتم بمعجزين) بفائتين الله ، وناجين
 من عذابه (ولا ينفعكم نصحي إن أردت
 أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم)
 يهلككم؛ من غوى الفصيل: إذا بشم وهلك .
 أو المعنى: إن كان الله يريد أن يضلكم (أم
 يقولون افتراه) أى اختلق محمد هذا القرأت
 (قل إن افتريته فعلى لإجرائي) عقوبة لإمى
 وجرى (وأنا برىء مما تجرمون) فى حقى؛

وتنسبونه إلى من الكذب والاختلاق (فلا تبتئس) فلا تحزن ولا تتأسف (واصنع الفلك بأعيننا) بحفظنا ورعايتنا
 (ووحينا) بأمرنا ومعونتنا؛ ومانوحه إليك من هياتها وصفها (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) لاتراجعتى ،
 ولا تطلب منى العفو عنهم والمغفرة لهم؛ فانهم قد استوجبوا العذاب بكفرهم؛ ولن تنفعهم شفاعة الشافعين!

ظَلَمُوا لَهُمْ مَرْقُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا
 مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالِ إِنْ تَسْخَرُونَ مِنِّي
 فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٧﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
 مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُجْرِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٨﴾
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
 زَوْجٍ مِثْقَلِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ
 وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٩﴾ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا
 بِسْمِ اللَّهِ جَمْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٠﴾
 وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجَلْحِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
 فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾
 قَالِ سَعْلَىٰ إِلَيَّ جَبَلٌ يَعْصِنِي مِنَ الْمَاءِ قَالِ لَا عَاصِمَ
 الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ
 فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ ﴿٤٢﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ

وَنَسَاءً

(قال إن تسخروا منا) الآن (فانا نسخر) أى
 سنسخر (منكم) حين تنجو في السفينة بأمر
 الله تعالى ؛ ويدرككم الفرق (فسوف تعلمون)
 في القيامة (من يأتيه عذاب يجزيه) يفضحه
 (ويحل) يزل (عليه عذاب مقيم) أى دائم
 (حتى إذا جاء أمرنا) بالعذاب ؛ قلبنا الأوضاع
 ومحونا طبائع الأشياء : نجعلنا الماء يخرج
 من مصدر النار ، والأرض تمتنع عن شربه
 (وفار التنور) نبع الماء من التنور بفرارة ؛
 و«التنور» هو ما يصنع فيه الخبز - وقد صار
 مصدراً للنساء ، بعد أن كان مصدراً للنار -
 من باب خرق العوائد ؛ (قلنا) لنوح (احمل
 فيها) أى في السفينة (من كل) أى من كل
 نوع من الأنواع ، وجنس من أجناس المخلوقات
 (زوجين) ذكر وأثني ؛ لحفظ النوع بعد
 الطوفان (وأهلك) أى واحمل أيضاً في السفينة
 أهلك (إلا من سبق عليه القول) بالإهلاك ؛
 وهم زوجته وولده كنعان ؛ الذي ناداه أبوه
 لينجيه من الهلاك المحقق (ونادى نوح ابنه)
 وفي قراءة «ابنها» والضمير لامرأته ، وأنه
 كان ربيبه لا ابنه (إلا من رحم) أى إلا من رحمه الله تعالى بالإيمان ، والحمل في السفينة .

فلسا تم ما أرادته الله تعالى ؛ من نقاذ أمره ، وهلاك أعدائه: أعاد طبائع الأشياء إلى ما كانت عليه ،
 وتولى حفظها (وقيل يا أرض) ارجعي سيرتك الأولى ، و (ابلعي ماءك) كطبيعتك التي أودعتها فيك

(وياسماء ألقى) أمسكى عن المطر (وغيض الماء) تقص ونضب (وقضى الأمر) الذى أراد الله تعالى (واستوت) استقرت السفينة (على الجودى) جبل بأرض الجزيرة؛ قرب الموصل . وليس على جبال أارات؛ كما يزعم الآن بعض المكتشفين - من أنهم رأوا هناك أجزاء من سفينة نوح عليه السلام - فإكل خشبة سفينة ، ولاكل سفينة بسفينة نوح (وقبل بعداً) أى هلاكاً وسحقاً (للقوم الظالمين) الكافرين !

(ونادى نوح ربه) ميتها إليه (فقال رب

لأن ابني) الذى حال بينى وبينه الموج (من أهلى

وإن وعدك الحق) وقد وعدتني أن تتجى

أهلى؛ فكيف بولدى؟ (قال يانوح إنه ليس

من أهلك) إشارة إلى أن الكفر يعد

القرباء ، والإيمان يقرب البعداء ! ألا ترى

إلى قوله تعالى «لا يتخذ المؤمنون الكافرين

أولياء من دون المؤمنين» وقوله عز وجل

«والذين كفروا بعضهم أولياء بعض» وقوله

جل شأنه «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم

أولياء بعض» ولذا قال تعالى : «إنه ليس من

أهلك» (إنه عمل غير صالح) وقد ذهب بعض

المفسرين إلى أنه كان ابن زنا؛ بدليل قوله

تعالى «إنه ليس من أهلك إنه عمل غير

صالح» أى «إنه ليس من أهلك» أصلاً؛ لأنه

نتيجة عمل غير صالح . وقوله جل شأنه عن

زوجتى نوح ولوط عليهما السلام «كأنتا تحت

عبدين من عبادنا صالحين غفائهما» وقد أورد

هذا المعنى ابن جرير الطبرى بأكثر من عشر

طرق رواية؛ وقد حلف بعض التابعين أنه

ليس بابنه .

واحتج على من قال ذلك بقوله تعالى :

«ونادى نوح ابنه» وبأنه لا يجوز أن يحدث

زنا في بيت من بيوت النبوة؛ ولو أن الكفر

حدث في بيوتهم ، ومن المقطوع به أن الزنا

من الذنوب التى يقلع عنها ، ويستغفر منها؛ وهو دون الكفر (ولما تفرلى) وقيل يانوح

اهبط بسلام منا) انزل من السفينة . فقد زال الخوف ، وحل الأمن ، وطهرت البلاد من الفساد !

(وبركات) خيرات ونعم (عليك وعلى أمم ممن معك) فى السفينة . أى من أولادهم وذرياتهم؛ وهم

المؤمنون (وأمم) منهم سيكفرون بالله تعالى؛ فأولئك (سنتهم) فى الدنيا قليلاً (ثم يمسه) فى الآخرة

(منا عذاب أليم) مؤلم دائم (تلك) القصة (من أبناء الغيب) الذى غاب عنك فهمه وعلمه (ما كنت تعلمها

أنت ولا قومك من قبل هذا) الوقت ، أو من قبل لإحاطى لك بها (فاصبر) يا محمد على أذى قومك؛ كما صبر

نوح من قبلك على أذى قومه .

وَيَسْمَاءَ أَقْلَبِي وَعِغْضَ الْمَاءِ وَقَضَى الْأَمْرَ وَأَسْتَوْتْ

عَلَى الْجُدُودِي وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦٩﴾

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ

الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٢٧٠﴾ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ

لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُمْ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْطَلْنِ مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَخْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْخٰٓئِلِينَ ﴿٢٧١﴾

قَالَ رَبِّ إِنَّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ

وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخٰٓئِسِرِينَ ﴿٢٧٢﴾ قِيلَ

يَنْتُوخُ أَهْطُ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبِرَكَّتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّرٍ مِّنْ

مَعِكَ وَأُمَّرٍ سَنَتْمَهُمْ ثُمَّ يَمْسَهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا

أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذِهِذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعُقُوبَةَ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧٤﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هٰوً قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا

(يا قوم لا أسألكم عليه) أى على التبليغ والإنذار (أجرأ إن أجرى إلا على الذى فطرنى) خلقنى (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم) يؤخذ من هذه الآية : أن كثرة الاستغفار : تزيد فى الرزق ، وتعين على الباء ؛ بدليل قوله تعالى فى هذه الآية « ويزدكم قوة إلى قوتكم » وقوله جل شأنه : « ويزدكم بأموال وبنين » هذا غير الأجر الأخرى المستدل عليه بقوله تعالى « ويجعل لكم

الجزء الثانى عشر ٢٧٠

جنان ويجعل لكم أنهاراً » وأقسم أنه ما اعترانى ثم أوصيق ؛ ولجأت إلى الاستغفار : إلا وجدت من شدتى فرجاً ، ومن ضيقى مخرجاً (قالوا يا هود ما جئنا بينة) برهان ومعجزة تدل على صدقك (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) أى أصابك بمكروه ؛ فاخناط عقلك . فتحدام هود عليه السلام ، وتحدى آلهتهم (قال لئن أشهد الله) الإله الحق (واشهدوا) أتم أيضاً (أنى برىء مما تشركون) مع الله فى العبادة ؛ من آلهة لا تضر ولا تنفع (فكيدونى جيباً) أتم وآلهتم التى ترعون أنها مستنى بسوء (ثم لا تنتظرون) لا تمهلون .

انظر بربك كيف جابه هود بمفرده جمعهم ، وكيف استهان بكثرة عددهم وعدتهم وكيف سفه آلهتهم ؛ وما ذاك إلا لشدة إيمانه بربه ، وبقينه بنصرته ، وعظم ثقته بمرسلة تعالى اومى وحدها - لو تأملوها بعين الاعتبار - من أعظم البراهين الدالة على صدق رسالته عليه الصلاة والسلام ! ولو كان مبطلاً : لما أتم وداهمهم ، وخطب ودمم ؛ كما يفعل الدجالون المشعورون (إنى توكلت على الله ربي وربكم) فهو وحده القادر على حفظى وكلايتى (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (وما من دابة)

اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٢٧٠﴾
يَنْقُومُ لَا اسْفَلَكَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۗ إِنْ أَجْرَىٰ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٧١﴾ وَيَنْقُومُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٢٧٢﴾ قَالُوا يَا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآلِهَتُهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٢٧٤﴾ مِنْ دُونِهِ ۗ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ۗ مَا لَأَنْتُمْ لِأَنْتُمْ وَرَبِّي ۗ تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيَتِهَا ۗ إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٧٥﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ۗ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢٧٦﴾

شع

ومى كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان وحيوان وطيء (إلا هو آخذ بناصيتها) أى مالك أمرها ، وقاهرها ؛ فلا تتحرك إلا بإرادته ، ولا تقع ولا ضريقع منها أو عليها إلا بعيشته ! وخص الناصية بالذكور : لأن من آخذ بناصيته : يكون فى غاية الذلة ، ونهاية الاستكانة ؛ ولنا كانوا يجزون ناصية المذنب إيماناً فى إذلاله وتحقيره ! والناصية : شعر مقدم الرأس (إن ربي على صراط مستقيم) يقضى بين عباده بالحق ؛ فينبى الحسن على إحصائه ، ويجازى العاصى على عصيانه (فان تولوا) تعرضوا عن الإيمان

ثُمَّ وَحَفِظَ ﴿٢٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٨﴾
 وَتِلْكَ ءَادٌ يَّجْحَدُونَ بِفَآئِنَتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا
 أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ
 وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ ءَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بَعْدَ لَعَادِ
 قَوْمِ هُودٍ ﴿٣٠﴾ * وَإِن تَمُودُ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقُومُ
 أُعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ
 الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ
 إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا
 مَرْجُومًا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا
 لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ
 إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَبْصُرُنِي
 مِنَ اللَّهِ إِن عَصَيْتُمْ ۗ فَا تَرِيدُونََنِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٣٣﴾

(إن ربي على كل شيء حفيظ) رقيب (ولما
 جاء أمرنا) بالعذاب (نجينا هوداً والذين آمنوا
 معه برحمة منا) هداية وتوفيق : هديناهم
 للإيمان ، ووقفناهم للطاعة (ونجيناهم من عذاب
 غليظ) شديد (وتلك عاد) قوم هوم (جحدوا
 بآيات ربهم) كذبوا بالمعجزات وأنكروها
 (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) كل عات متكبر ،
 معاند للحق (واتبعوا في هذه الدنيا لعنة) من
 الناس . واللعنة : الإبعاد والطرده ؛ المقترن
 بالسخط والغضب (ويوم القيامة) تدرکہم اللعنة
 أيضاً (ألا بعداً لعاد قوم هود) يقال : أبعده الله
 بعداً : نجاه عن الخير ولعنه (واستعمركم فيها)
 جعلكم عماراً لها : تسكنون فيها ، وتتمتعون
 بنجراتها (إن ربي قريب مجيب) أى قريب
 الرحمة ، مجيب الدعاء (قالوا يا صالح قد كنت
 فينا مرجوياً) نرجو خريك وعطافك وبرك ؛
 فما بالك تنهانا عما نعبد ويعبد آباؤنا ؟ أو المراد
 «مرجوأ» ذا عقل راجح ، وذهن ثاقب
 (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي
 وآتاني منه رحمة) نبوة وحكمة وهداية (فما
 تزيدوني غير تحسير) أى ضلال ؛ لأن
 الضلال يعقبه الحسران . أو «فما تزيدوني»
 بتكذيبكم ، والتمسك بالله آباءكم ؛ غير زيادة
 ضلالكم وخسرانكم

(ويأتون هذه ناقة الله لكم آية) معجزة دالة على صدق (فذروها) أتركوها (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) سريع حال (فغفروها) ذبحوها ، أو قتلوها ، وقيل : قطعوا قوائمها ؛ عقرها واحد منهم ؛ ورضوا جميعاً عن عمله ؛ لذا عذر تعالى بجمعهم . ومن هنا يعلم أن الراضى عن المعصية : شريك في العصيان ، وأن العذاب كما يصيب العاصى بصيانه ؛ فإنه يصيب الطائع بتركه التمسى عن العصيان ، قال تعالى «واقتوا فتنة لا تصين الذين ظلموا منكم خاصة» بل تصيب الذين ظلموا ، والذين لم يضرىوا على أيديهم ليكفوا عن ظلمهم (فقال) لهم صالح ؛ بعد عقرهم للناقة ، واستهانتهم بأمر ربهم (تمتعوا في داركم) بالأمن والسلامة (ثلاثة أيام) يعمل بعدها عذاب الله تعالى بساحتكم (ذلك وعد غير مكذوب) واقع لا عالة ! (فلما جاء أمرنا) بالعذاب (نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا) وهى توفيقهم للإيمان ؛ الذى كان سبباً لنجاتهم (ومن خذى يومئذ) وهو الخزى الذى لحق بالكافرين المذنبين ؛ وأى خزى أخزى من غضب الله تعالى وعذابه ! (إن ربك هو القوى) القادر على فقاد أمره (العزيز) القاهر ، الذى لا يظلم (وأخذ الذين ظلموا) كفروا (الصيحة) صاح بهم جبريل عليه السلام ؛ فأهلكهم الله تعالى بصيخته ؛ والصيحة : تطلق على العذاب ، أو هي مقبلة لكل عذاب (فأصبحوا في ديارهم جائعين) باركين على الركب ميتين (كان لم يفتوا) كان لم يقيموا (ألا بعداً لثمود) أبعد الله بعداً : نجا عن الخير وامنه (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) (قالوا سلاماً) أى سلموا عليه سلاماً ؛ أو قالوا قولاً طيباً يمت على الأمن والراحة والسلام . قال تعالى «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً» (قال سلام) أى أمرى سلام ، ولا أريد غير السلام

وَيَقُومُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۝

فَعَقَرُوهَا فَقَالَ مَتَمَعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدُ غَيْرِ مَكْذُوبٍ ۝ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَوَّأُونَ فِيهَا

أَلَّا إِن تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ التَّمُودِ ۝ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ قَالَتْ لَنْ أَبْرَأَ إِلَيْهِمْ

لَأَنْصِلَ إِلَيْهِ نِسْرَهُمْ وَأَوْجِسُ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَنْخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ ۝ وَأَمْرًا لَهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِحْتَقٍ وَرَأَى الْإِحْتَقَ يَعْقُوبُ ۝ قَالَتْ

يَبْنَوتِي ۝

فَمَا لَبِثَ أَى فَمَا مَكَتَ (أَنْ جَاءَ) حَتَّى جَاءَ (بِعَجَلٍ حَيْدٍ) مَشْوَى ؛ فَوَضَعَهُ أَمَامَهُمْ لِأَكْلِهِ مِنْهُ ؛ فَلَمْ يَتَقَدَّمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِأَكْلِ (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَىهِ) أَى لَا تَمْتَدُّ إِلَى الْعِجْلِ الْمَشْوَى الَّذِى قَدَّمَهُ لِإِكْرَامِهِمْ ؛ وَقَدْ كَانُوا جَاءُوهُ فِي صُورَةِ بَنِي الْإِنْسَانِ (نَكَرَهُمْ) أَنْكَرَهُمْ ، وَتَوَهَّمَهُمْ أَعْدَاءَ لَا أَحْبَاءَ (وَأَوْجِسُ مِنْهُمْ خِيفَةً) أَضْرَفُ فِي نَفْسِهِ الْخَوْفَ مِنْهُمْ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ إِذَا عَادُوا إِنْسَانًا ، وَأَرَادُوهُ بِسُوءٍ ؛ لَمْ يَمَسُّوا طَعَامَهُ ؛ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ فِيهِمْ حَتَّى الْآنَ (قَالُوا لَا تَنْخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ) أَى امْرَأَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (قَائِمَةٌ) بِعِزَّةِ الْأَضْيَافِ ، أَوْ «قَائِمَةٌ» وَرَأَى السِّرَّ ؛ تَسْتَعْمَلُ مَا يَدُورُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ زَوْجِهَا . وَالْأَوَّلُ أَوَّلَى : لِكَلَامِ الْمَلَائِكَةِ لَهَا ، وَتَبَشِيرِهِمْ لِأَيَّاهَا =

فَعَقَرُوهَا فَقَالَ مَتَمَعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدُ غَيْرِ مَكْذُوبٍ ۝ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَوَّأُونَ فِيهَا أَلَّا إِن تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ التَّمُودِ ۝ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ قَالَتْ لَنْ أَبْرَأَ إِلَيْهِمْ لَأَنْصِلَ إِلَيْهِ نِسْرَهُمْ وَأَوْجِسُ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَنْخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ ۝ وَأَمْرًا لَهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِحْتَقٍ وَرَأَى الْإِحْتَقَ يَعْقُوبُ ۝ قَالَتْ يَبْنَوتِي ۝

فَمَا لَبِثَ أَى فَمَا مَكَتَ (أَنْ جَاءَ) حَتَّى جَاءَ (بِعَجَلٍ حَيْدٍ) مَشْوَى ؛ فَوَضَعَهُ أَمَامَهُمْ لِأَكْلِهِ مِنْهُ ؛ فَلَمْ يَتَقَدَّمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِأَكْلِ (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَىهِ) أَى لَا تَمْتَدُّ إِلَى الْعِجْلِ الْمَشْوَى الَّذِى قَدَّمَهُ لِإِكْرَامِهِمْ ؛ وَقَدْ كَانُوا جَاءُوهُ فِي صُورَةِ بَنِي الْإِنْسَانِ (نَكَرَهُمْ) أَنْكَرَهُمْ ، وَتَوَهَّمَهُمْ أَعْدَاءَ لَا أَحْبَاءَ (وَأَوْجِسُ مِنْهُمْ خِيفَةً) أَضْرَفُ فِي نَفْسِهِ الْخَوْفَ مِنْهُمْ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ إِذَا عَادُوا إِنْسَانًا ، وَأَرَادُوهُ بِسُوءٍ ؛ لَمْ يَمَسُّوا طَعَامَهُ ؛ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ فِيهِمْ حَتَّى الْآنَ (قَالُوا لَا تَنْخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ) أَى امْرَأَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (قَائِمَةٌ) بِعِزَّةِ الْأَضْيَافِ ، أَوْ «قَائِمَةٌ» وَرَأَى السِّرَّ ؛ تَسْتَعْمَلُ مَا يَدُورُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ زَوْجِهَا . وَالْأَوَّلُ أَوَّلَى : لِكَلَامِ الْمَلَائِكَةِ لَهَا ، وَتَبَشِيرِهِمْ لِأَيَّاهَا =

== (فضحكت) خاضت ؟ تمهيداً لماسبق عليها من البشارة (فيشرناها باسحق ومن وراء إسحق يعقوب) وقيل: «فضحكت» استبشاراً بما سمعته من إهلاك قوم لوط ، أو سروراً بزوال الخوف عن زوجها (قالت ياولنا ألد وأنا عجوز) ونسبت حياضها ؛ الذي هو من علامات الاستعداد للحمل (وهذا بعلي شيخاً) أى عجوزاً ؛ لا ينجب مثله الأبناء (قالوا أتعجبين من أمر الله) قدرته ؛ وهو إذا قضى أمراً فأنما يقول له كن فيكون ! (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أهل بيت إبراهيم ، بيت النبوة (إنه حميد) محمود في كل ما يعمل (مجيد) كثير الخير والاحسان !

(فلما ذهب عن إبراهيم الروح) الخوف من الأضياف وعدم تناولهم طعامه ، وعلم أنهم رسل ربه جل شأنه ! (بمجادلتنا في قوم لوط) وذلك إنه لما علم من ملائكة الرحمن أنهم جاءوا لإهلاك قوم لوط : مسه الفزع والازتجاج ؛ وقال لهم : أرايتم لو كان في قرية لوط خمسون مؤمناً أهلكونها ؟ قالوا : لا . قال : فأرايتم ؟ قالوا : لا . قال : فثلاثون ؟ قالوا : لا . حتى بلغ العشرة ؛ قالوا : لا . قال : أرايتم إن كان فيها مسلم واحد أهلكونها ؟ قالوا : لا . قال : إن فيها لوطاً . قالوا : نحن أعلم بمن فيها ؛ لننجينه وأهله (إن إبراهيم حلیم أواه) كثير التأوه والحرف من الله تعالى (منيب) راجع إليه تعالى (ياإبراهيم أعرض عن هذا الجدل) (إنه قد جاء أمر ربك) بإهلاك قوم لوط (ولأنه آتاهم عذاب غير مردود) بمجادلك عنهم ، أو بشفاعتك لهم (ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم) أى ساءه بمجيئهم (وضاق بهم ذرعاً) يقال : ضاق ذرعه بالأمر ؛ إذا لم يطقه ولم يتحمله (وقال هذا يوم عصيب) شديد الشر والمكاره ! وذلك لأنه ظن رسل ربه أضيافاً ؛ وخاف لإذابة قومه لهم (وجاءه قومه يهرعون) يسرعون (إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات) وهي إتيان الذكران في

الأدبار ؛ وقد اتفرد بهذا الجرم من بني الإنسان : من انحط عن مرتبة الحيوان ! ووجد هذا الجرم : الإلقاء من حلق ، أو جبل شاهق ؛ ليكون عبرة لغيره ، ونكالا لئله ! (قال) لوط لقومه (ياقوم هؤلاء بناتي) أى بنات أمته - لأن كل نبي أب لأمته - لأنه لا يصح أن يتزوج الأشرار الأخيار ؛ فإياك بنات الأنبياء ! (من أظهر لكم) بالزواج (فاتقوا الله ولا تحزون) لا تفصحوني (أليس منكم رجل رشيد) عاقل ؛ يأمر بالعرف ، وينهى عن المنكر (قال لو أن لي بكم قوة

يَنورِلَيْقَىٰ ءَآلَهُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجِيبٌ ﴿١٠﴾ قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُهُ الْبَشْرَىٰ بِيَجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿١٢﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوْهٌ مُنِيبٌ ﴿١٣﴾ يَتْلُو رَبِّهِمْ أُعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّيكَ وَآئِنْتُمْ آتَيْتِهِمْ عَذَابٌ غَيْرَ مُرْدُودٍ ﴿١٤﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا مِنْ رَبِّهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿١٥﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَرَّبُ هَؤُلَاءُ مِنِّي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُنُوا فِي ضَيْقِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿١٦﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتْنَا مَا فِي بِنَاتِكَ مِنَ الْحَقِّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿١٧﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ

(أو أوى إلى ركن شديد) عشرة تصرفي عليكم ، وتقبني شروكم ! وحين سمع ملائكة الله تعالى تحسروا لوط على ضعفه واقطاعه (قالوا) له (يالوط) لا نخش بأساً ؛ وإن ركنك لشديد (إنا رسل ربك لن

الجزء الثاني عشر

٢٧٤

يصلوا إليك) أي لن يستطيعوا الوصول إليك ؛
لأننا أرسلنا لإهلاكهم ، وقطع أديارهم
(فأسر) الإسرء : السير ليلاً (بقطع) طائفة
(من الليل ولا يلتفت منكم أحد) وراه ؛
خشية أن يرى ما حل بالقوم فيذهله ذلك ويؤله
ويأخذ بلبه ! فانظر - يارعاك الله - إلى عذاب
رؤيته عذاب ! وقانا الله تعالى عذابه ، وباعد
بيننا وبين غضبه ! (فلما جاء أمرنا) بالإهلاك
(جعلنا عاليها سافلها) رفع جبريل عليه الصلاة
والسلام قري قوم لوط ، حتى عنان السماء ،
ثم قلبها بمن فيها (وأمطرنا عليها حجارة من
سجيل) من نار (منضود) متتابع (مسومة)
معلمة . قيل : مكتوب على كل حجر منها اسم
من يرم به (ولا تنقصوا المكيال والميزان
إني أراكم بخير) أي في سعة تقنيكم عن نقص
الكيل والميزان (ويا قوم أوفوا المكيال
والميزان بالقسط) بالعدل (ولا تبخسوا) لا تنقصوا
(ولا تعثوا) العثى : أشد الفساد (بقية الله
خير لكم) أي ما أبقاء الله تعالى لكم من الحلال :
خير مما يجمعونه من الحرام ، والمسنات التي
يبقى ثوابها عند الله : خير لكم من البقية التي
تبقونها من الكيل والميزان ! وهذا دستور
من أعجب الدساتير : فكم قد رأينا من يطفف
الميزان والمكيال : سعدته في زوال ، وحاله
من أسوأ الأحوال ! ورأينا من يوفي الكيل

أَوْ أَوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٢٧٤﴾ قَالُوا يَبْلُغُ إِنَّا رَسُولُ
رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ يَفْتَعُ مِنْ أَيْمَانِهِ وَلَا
يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تَكُنُّ مِنْهُ مُصِيبًا مَا آصَابَهُمْ
إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٢٧٥﴾ فَلَمَّا
جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً
مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ﴿٢٧٦﴾ مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنْ
الْقَطْلِينِ بِيَعِيدٍ ﴿٢٧٧﴾ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا
قَالَ يَبْقُومُ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ وَلَا تُنْقَسُوا
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرَانَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٢٧٨﴾ وَيَقُومُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا
فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٧٩﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمَفْظِيضٍ ﴿٢٨٠﴾ قَالُوا يَشْعُوبُ

أصلوتك

والميزان : حاله دائماً في رجحان ، ويحوطه رضا الناس والرب في كل مكان ! (وما أنا عليكم بمفريط) بربيب
أراقبكم ؛ ولكنه تعالى هو المراقب لكم ، المنزل العقاب بكم !

أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ
 فِي أُمُورِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿١١﴾
 قَالَ يَنْقُومُ آدَمُ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي
 مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكَ إِلَىٰ مَا أَنْهَكَ عَنْهُ
 إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ
 عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٢﴾ وَيَنْقُومُ لَا يَجِرُ مِنْكَ
 شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ
 هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿١٣﴾
 وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
 وَدُودٌ ﴿١٤﴾ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا إِنَّمَا نَقُولُ وَإِنَّا
 لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ
 عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿١٥﴾ قَالَ يَنْقُومُ أَرَهطَىٰ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
 وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ

(إنك لأنك الحليم الرشيد) قولهم هذا إما أن
 يكون على سبيل التهكم والاستهزاء؛ ولما أن
 يكون بمعنى: كيف تقول ذلك وأنت المشهر
 بالعلم والرشد (قال يا قوم أرايتم إن كنت على
 بينة) برهان وجحة (من ربي ورزقني منه
 رزقاً حسناً) النبوة والرسالة، أو «رزقاً
 حسناً» حلالاً، لا تقص فيه ولا تجس (وما
 أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) أي لا أريد
 بنهيكم هذا أن أسبقكم إلى شهواتكم وضلاتكم
 التي أنهاكم عنها (إن أريد) ما أريد (إلا
 الإصلاح) لكم (ما استطعت) أي مدة استطاعتي
 وقدرتي على ذلك (وما توفيقي إلا بالله عليه
 توكلت) في سائر أموري. (انظر آية ٨١ من
 سورة النساء) (وإليه أُنِيبُ) أرجع (ويا قوم
 لا يجير منكم) لا يكسبكم (شقاق) مخالفتي (أن
 يصيبكم) العذاب (مثل ما أصاب قوم نوح) وقد
 أهلكوا بالفرق (أو قوم هود) وقد أهلكوا
 بالريح العقيم (أو قوم صالح) وقد أهلكوا
 بالرحفة (وما قوم لوط منكم ببعيد) لقرب زمنهم
 من زمنكم، أو ديارهم من دياركم؛ وقد أهلكوا
 بالاستئصال، فجعل على قراهم سافلها، وأمطروا

حجارة من سجيل! (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم) بمن يؤمن به (ودود) كثير الود لمن
 والاه (ولولا رهمك) عشيرتك (قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً) أي
 اتخذتم الله وراء ظهوركم؛ فلم تتبوا دينه، ولم تعابوا بأوامره ونواهيه

(إن ربي بما تعملون محيط) علماً فجازيكم عليه (ويأقوم أعمالوا على مكاتكم) حاكم وقدرتكم في الإيذاء (لأن عامل) على مكاتني وقدرتي في الإنذار والإصلاح ؛ حسب ما يؤثني الله تعالى من النصرة والتأييد ؛ و (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) يفضحه (ومن هو كاذب وارقبوا) انتظروا العذاب للوعود (لأن معكم رقيب) منتظر ومرتب (ولما جاء أمرنا) بالعذاب (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبريل عليه الصلاة والسلام ؛ فهلخوا . والصيحة : تطلق على العذاب ، أو هي مقدمة لكل عذاب (فأصبحوا في ديارهم جاغين) باركين على الركب ميتين (كان لم يمضوا فيها) كان لم يقيموا في ديارهم (ألا بعداً لمدن) يقال : أبعد الله تعالى ؛ أي نجاه عن الخير ، ولمنه وطرده ! (كما بعدت عمود) كما لعنت وطردت وأهلكت عمود من قبل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) بالعجزات الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا (وسلطان مبن) معجزة بينة قاهرة ؛ ولله أريد بها العسا ؛ لأنها أظهر معجزات موسى عليه السلام (وما أمر فرعون برشيد) بنى رشد ؛ إنما هو غي ، ومحض ضلال (يقدم قومه يوم القيامة) يتقدمهم (فأوردتهم النار وبئس الورد المورود) الورد : مكان الشرب ، أو هو الموضع المقصود (وأتبعوا في هذه) الدنيا (لعنة ويوم القيامة) أي يلعنون في الدنيا ، ويلعنون في الآخرة أيضاً (بئس الورد المرفود) الورد : العطاء . أي بئس العطاء المعطى لهم ! (ذلك) القصص

الجزء الثاني عشر

٢٧٦

مَحِيْطٌ ۝ وَيَقُوْمُ اَعْمَالُوْا عَلٰى مَكَاتِكُمْ لِاِنِّيْ عَمِلٌ ۝
 سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ مَنْ يَّاتِيْهِ عَذَابٌ يُخْزِيْهِ وَمَنْ هُوَ كٰذِبٌ ۝
 وَاَرْقَبُوْا لِاِنِّيْ مَعَكُمْ رَقِيْبٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَ اَمْرُنَا نَجَّيْنَا
 شُعَيْبًا وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَاَخَذَتِ الَّذِيْنَ
 ظَلَمُوْا الصَّيْحَةَ فَاصْبَحُوْا فِيْ دِيَارِهِمْ جٰثِمِيْنَ ۝ كٰنَ
 لَمْ يَغْنَوْا فِيْهَا اَلَا بَعْدًا لِّلْمَدِيْنِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُوْدُ ۝
 وَاَلْقَدْ اَرْسَلْنَا مُوْسٰى بِآيٰتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ ۝
 لِّاِنِّيْ فِرْعَوْنَ وَمَلَٖٓٔهٖ فَاتَّبَعُوْا اَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا اَمْرُ فِرْعَوْنَ
 بِرَشِيْدٍ ۝ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ
 وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُوْدُ ۝ وَاَتَّبَعُوْا فِيْ هٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ
 الْقِيٰمَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُوْدُ ۝ ذٰلِكَ مِنْ اَنْبِيَآءِ الْقُرْاٰنِ
 نَقُصُّهٗ عَلَيْكَ مِنْهَا قِٰٓٔمٌ وَحٰصِيْدٌ ۝ وَمَا ظَلَمْنٰهُمْ
 وَلٰكِن ظَلَمُوْا اَنْفُسَهُمْ فَاَغْنَتْ عَنْهُمْ اٰهْلِيَّتَهُمْ

آتي

(من أنباء القرى) التي كفرت بخالقها وبالمرسل إليها (نقصه عليك) يا محمد ؛ تسلياً لك (منها) أي من هذه القرى (قائم) باق حتى الآن (وحصيد) فان قد اندرس واحي (وما ظلمناهم) بتعذيبهم وإهلاكهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر ، وتعريضها للعذاب والهلاك في الدنيا ، والعذاب المقيم الدائم في الآخرة (فاغنت) فادفعت ، ولا منعت (عنهم) العذاب والهلاك (آهلتهم التي يدعون) يعبدونها

(لما جاء أمر ربك) بالعذاب (وما زادهم غير تنبيب) هلاك وتخسير (وكذلك أخذ ربك) عذابه (إذا أخذ القرى) بالعذاب (إن في ذلك) القصص الذي قصصناه عليك من أخبار الأمم الهالكة (آية) لعبرة وعظة (لن خاف عذاب الآخرة) وما أعدّه الله تعالى فيها (ذلك يوم) يوم القيامة (بمجموع له الناس) جميعاً: مؤمنهم وكافرهم (وذلك يوم مشهود) أى يشهده كل مخلوقات، لا يقرب عنه أحد (وما تؤخره إلا لأجل) وقت (معدود) معلوم عند ربك (يوم يأت) ذلك اليوم (لا تكلم) لا تتكلم (نفس إلا بأذنه) لا يشفع أحد إلا بأذنه تعالى «من ذا الذى يشفع عنده إلا بأذنه» (فمنهم) أى من أهل الموقف (شقى) معذب فى النار (وسعيد) ومنهم سعيد: منعم فى الجنة! (فأما الذين شقوا فى النار لهم فيها زفير وشهيق) الزفير: خروج النفس بشدة . والشهيق: رد النفس بشدة أيضاً . وقيل: رده بضعف شديد كالحسرجة . وهو إشارة إلى أنهم يكونون فى شدة الكرب والضيق (خالدين فيها) أى فى النار (مادامت السموات والأرض) أى مدة بقائهما ؛ وهو على عادة العرب عند إخبارهم عن دوام الشيء وتأبيده ؛ كقولهم: لا آتيك ما غاب ليل وطلع نهار . فأخبر تعالى أنهم باقون فى النار والعذاب أبداً الأبدى ، ودهر الدهرين ! (إلا ما شاء ربك) أنت ينجيهم من الخلود فى النار ، أو بالانتقال من النار إلى الزمهرير (وأما الذين سعدوا فى الجنة خالدين فيها) أبداً (إلا ما شاء ربك) من إقامة بعض عصاة المؤمنين فى النار قبل دخولهم الجنة (عطاء غير مجدود) غير مقطوع (فلاتك فى مرة) شك (مما يبد هؤلاء) أى قل يا محمد لكل من شك فى عبادة هؤلاء المشركين : «لاتك فى مرة مما يعبد هؤلاء» فلم يأمرهم الله تعالى بها ، ولم ينزل عليهم سلطاناً بشأنها (ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل) أى أنهم لما عبدوها كما كان آباؤهم يعبدونها . وقيل : هو نهى للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ والمقصود به أمته : تثبتاً لهم ، وتقوية لإيمانهم (ولما لم نوفهم نصيبتهم) من العذاب ، أو من الرزق ؛ فلا تستعجل إهلاكهم

أَنِّي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَنْبِيئًا ۗ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا
أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١١
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَلِكَ يَوْمٌ
مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝١٢ وَمَا تَوْجِهُوا إِلَّا
لِأَجْلِ مَعْدُودٍ ۝١٣ يَوْمَ يَأْتُ لَأْتِكُمْ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ
فَتَنبِئُهُم بِشَيْءٍ وَسَّعِيدٌ ۝١٤ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَمْ يَمُوتْ
فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٥ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦
* وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ عَطَاءٌ غَيْرُ
مَجْدُودٍ ۝١٧ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءُ مَا يَعْبُدُونَ
إِلَّا صُكُومًا يَعْبُدُ آبَاءَهُمْ مِن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُنُوفُهُمْ

(ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) تصديقاً وتكذيباً؛ كما اختلف في القرآن المنزل عليك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب (لغضى بينهم) في الدنيا؛ ولنزل العذاب بكل مكذب وقت تكذيبه (ولأنهم) أى المكذبين بالقرآن (لن شك منه) أى من القرآن، أو من العذاب (وإن كلا) من الصديقين والمكذبين؛ من سائر الأمم السابقة واللاحقة (لما) إلا (ليوفينهم ربك أعمالهم) أى جزاءها يوم القيامة (إنه بما يعملون خير) بظواهرها وبواطنها (فاستقم كما أمرت) أى داوم على العمل بأمر ربك، والدعوة إليه (ولا تظنوا)

٢٧٨

الجزء الثاني عشر

تجاوزوا حدود الله (إنه بما تعملون) من خير أو شر (بصير) فيتيسر على الخير، ويؤاخذكم على الشر (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) لا تملوا إليهم بصحة، أو ود، أو مداينة، أو تأييد، أو بإبداء أى مظهر من مظاهر الرضا عن أعمالهم؛ فكل ذلك إثم منهي عنه، معاقب عليه (فتمسك) تصيبك؛ كقوله تعالى «وان يمسك الله بضرفلا كاشف له إلا هو» (وما لكم من دون الله) غيره (من أولياء) أحماء ونصراء (واقم الصلاة) طرق التهار) غدوة وعشية؛ والمراد جميع التهار: الصبح، والظهر، والعصر (وزلفاً من الليل) أى ساعات منه؛ قريبة من النهار؛ وحى المغرب والعشاء.

ولما كان الإنسان في هذه الحياة - مهما ارتقى واتقى - معرضاً لارتكاب صفات الآثام والذنوب؛ خاصة في وقتنا هذا الذي اختلط فيه الحرام والحلال، وسارفيه النساء متبرجات، كاسيات عاريات، مائلات بميلات. فقد يفرط منه ما ينافي الدين القويم، والخلق المستقيم؛ فإذا ما تكررت هذه الصفات: انقلبت إلى كيار - بالتكرار والإصرار - وفي هذه الحال يكون في مسيس الحاجة إلى ما يخفف عنه

تصيبهم غير منقرض ﴿١٠٠﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لغضى بينهم ولأنهم لن ي شك منه مرئب ﴿١٠١﴾ وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خير ﴿١٠٢﴾ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تظنوا إنه بما تعملون بصير ﴿١٠٣﴾ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسك النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴿١٠٤﴾ واقم الصلوة طرقى النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات ينجين السيئات ذلك ذكرى للذكرين ﴿١٠٥﴾ وأصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴿١٠٦﴾ فلو لا كان من القرون من قبلك أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اتزفوا فيه وكانوا مجرمين ﴿١٠٧﴾ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم أهلها مصلحون ﴿١٠٨﴾ ولو شاء ربك لجعل

الناس

عبء الذنوب، ويرفع عن كاهله أفعال المعاصي؛ وهنا يتدخل القرآن الكريم بمبعضه الكافي الشاق؛ فيجث آثار العصيان، ويجعل مكانها التفران! يقول الحكيم العليم، الغفور القدير (إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) فهل من متذكر، وهل من معتبر؟! (انظر آية ١٧ من سورة التائبين) (فلولا) فهلا (كان من القرون) الأمم (من قبلك أولوا بقية) أى أصحاب دين وفضل؛ قال تعالى: «بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين» (إلا قليلاً ممن أنجينا منهم) هم الذين نهوا عن الفساد في الأرض؛ فنجوا من الهلاك (واتبع الذين ظلموا ما اتزفوا فيه) يقال: أترفتته النعمة: إذا أطفته (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) منه لها (وأهلها مصلحون) بل يهلكها بذنوب أهلها وغورهم وطفانهم (ولو شاء ربك لجعل

الناس أمة واحدة) على دين واحد ؛ لكنه تعالى لم يرد إيمانهم قسراً وجبراً ؛ بل اختياراً (ولا يزالون مختلفين) في الكفر والإيمان (إلا من رحم ربك) بتوفيقه إلى الإيمان (ولذلك) الامتحان والاختبار (خلقهم) فيؤمن من يؤمن ، ويكفر من يكفر (وتمت كلمة ربك) بقوله للملائكة ولأملائن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلمه تعالى بكثرة العصاة والكافرين (وكلا) أى وكل الذى يحتاج إليه «من أبناء الرسل» (نقص عليك) ما نظمتهك به ، و (ما ثبت به فؤادك) تقويه بذكر ما نال الرسل الذين بعثوا قبلك من أذى

قومهم ، وتكذيبهم لهم ، وصبرهم على ذلك الأذى والتكذيب (وجاءك في هذه) الأنباء ، أوفى هذه الآيات ، أوفى هذه الدنيا (الحق) الذى لا حرية فيه (وموعظة) يتعظ بها أولوا الأبواب (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) على حالكم ، ووسع طاقتكم . وهو تهديد ووعيد للكافرين (وانظروا) عاقبة أمرهم ، وما سيحل بهم (ولله غيب السموات والأرض) لا تخفى عليه خافية فيما (ولإيه يرجع الأمر كله) أمرك وأمرهم ؛ فيأخذ لك منهم ، ويشيك وبعاقبهم (فاعبده وتوكل عليه) جعل الله تعالى التوكل عليه قرين عبادته والإيمان به (انظر آية ٨١ من سورة النساء) .

النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٣١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٢﴾ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ۖ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٣٥﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۖ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٦﴾

(١٣٦) سورة يوسف مكنته
إلا الآيات ٢٠١ و ٢٠٢ و ٧٧ فبدت
وأياتها ١١١ نزلت بعد سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّبِّكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ

(سورة يوسف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) (انظر آية ١ من سورة البقرة)

(نحن نقر عليك أحسن القصص) أوثقه وأصدقه (وإن كنت من قبله) أى قبل نزول القرآن عليك (لن العاقلين) عن هذا القصص وعن هذا الهدى ! وقد شرع تعالى في ذكر بعض هذا القصص ؛ قال تعالى (إذ قال يوسف لأبيه) يعقوب (يا أبت إنى رأيت) فى المنام (أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) فلم يعقوب أن لابنه يوسف شأننا كبيراً (قال) له (يابنى لا تقصص رؤياك) هذه (على إخوتك)

الجزء الثانى عشر

٢٨٠

قُرَّة نَاعِرِيَّاء لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿١١﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لى سَاجِدِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ بَلَى لَأَقْصُصَ رِئَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهُ عَلَىٰ أَبِيكَ مِنْ قَبْلِ إِزْمِيلَ وَيُحَقِّقُ لَكَ رَبُّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾ * لَقَدْ كَانَ فى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلسَّالِطِينَ ﴿١٥﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَحُلْ

تدرجهم الفيرة منك ، والمقد عليك ، والمسد لك (فيكيدوا لك) بالدس والوقية والإذابة (كيداً) كبيراً (لن الشيطان) للانسان عدومين) بين العداوة لساثر بين الإنسان ؛ فلا يفتأ يوقع العداوة بين الخلان ، والبغضاء بين الإخوان (وكذلك) كما أكرمك ربك وأعزك بهذه الرؤيا المحققة (يجتبيك) يختارك ويمسطفيك (ويملك من تأويل الأحاديث) ألحيت الأم العابرة ، والكتب السابقة ، واستنباط الحقيقة ، وتحرى أدلة التوحيد ؛ وهذا جميعه من إلهامات النبوة ومقدماتها . وقيل : «تأويل الأحاديث» تسيير الرؤيا (ويم نعمته عليك) بالنبوة ؛ وجميع ذلك من تأويل رؤيته التى رآها (وعلى آل يعقوب) أولاده (كما أتمها على أبويك) جديك ؛ لأن إبراهيم : أبو إسحاق ، وإسحاق : أبو يعقوب والد يوسف عليهم الصلاة والسلام . وإتمام النعمة المقصود فى هذه الآية : هو النبوة (لقد كان فى يوسف وإخوته آيات عظمت) لسالطين) الذين يتعرون ما فى القصص من عبر ، وما فى السير من عظات .

هذا وفى قصص القرآن الكريم ما فيه من بليغ الحكم ، وروائع السير ، ولفت الأنظار إلى ما فيه الاعتبار والاستبصار ! وفى قصة يوسف عليه السلام - وما كان من شأنه

وشأن إخوته - آيات للتوسمين ! (إذ قالوا) أى قال بعض إخوة يوسف لبعض الآخر (ليوسف وأخوه) الشقيق بنيامين (أحب إلى أينا منا ونحن عصبة) جماعة قوية (إن أبانا لنى ضلال) خطيئاً (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً) بعيدة . قالوا ذلك القول حين رأوا استنثار أخوهم بما يحب أيهما ، وتفضله لهما عليهم جميعاً ؛ فى حين أنهم يرون أنفسهم أجدر بذلك الحب ، وأولى بهذا التفضيل ؛ لأنهم الرجال الأشداء الأقوياء !

ووجه العظة : أنه يجب على الآباء عدم إظهار بعض الأبناء على بعض فى الحب والقرب ؛ فى ذلك إظهار الصدور ، وإشاعة البغضاء ؛ وداعية لوقوع بين الإنسان ، بين برائى الشيطان

لَكَ

لَكَ وَجْهٌ أَيْبَرُ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١٠﴾
 قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ
 الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١١﴾
 قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
 لَنَنصِحُونَ ﴿١٢﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ
 لَحَفِظُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ
 أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غٰضِلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ
 الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخٰسِرُونَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا
 بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ
 لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ
 عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِيقُ وَنَرَكَ
 يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَآكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا
 وَلَوْ كُنَّا صٰدِقِينَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَهُ عَلَى قَبْرِهِ بِبَدَنٍ كَذِبٍ

(يخل لكم وجه أيبك) بأن يقبل عليكم ،
 ولا يلتفت إلى غيركم (قال قائل منهم لا تقتلوا
 يوسف والقوه في غياة الجب) قمر البئر
 الحرب ؛ الذي خفر ولم يبن بعد (يلتقطه بعض
 السيارة) السامرين (قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا
 على يوسف) ذهب بعض القراء إلى أن لفظ
 «تأمنا» يجب فيه الإشمام . والإشمام هذا
 - كما يزعمون - هو أن يشير الإنسان بشفتيه
 كأنه ينطق بضمة بحيث لا يظهر أثر ذلك في
 النطق . وهو قول هراء لا يجب التعويل عليه
 بحال ؛ انظر - إن شئت المزيد - كتابنا
 «الفرقان» (ولانا له لناصون) أي قاطعون
 بمصلحه (قال لاني ليحزني أن تذهبوا به)
 لأنني لا أطيق فراقه . وقد زاد ذلك من
 حنقه على يوسف ، وأسروها في أنفسهم
 (وأخاف أن يأكله الذئب) وقد لقنهم بذلك
 الحجة التي يحتجون بها من حيث لا يشعرون (قالوا
 لئن أكله الذئب ونحن عصبة) جماعة قوية (لانا
 إذا لخاسرون) لأن الذئب إذا قدر على أكل
 أحدنا من بيننا ؛ فهو على أكل مواشينا
 وأغنامنا أقدر . فأذن لهم بأخذ يوسف (فلما
 ذهبوا به وأجمعوا) عزموا أمرهم على ما اتفقوا

عليه ؛ وهو (أن يجعلوه في غياة الجب وأوحينا إليه) أي أوحينا إلى يوسف - بعد أن ألقوه في الجب -
 وحي إلهام . وقيل : نزل إليه جبريل عليه السلام قائلا له (لتنبئهم) لتخبرهم في مستقبل الأيام (بأمرهم
 هذا) الذي صنوه معك (وجاءوا أباهم عشاء يبيكون) يتباكون (قالوا يا أبانا لانا ذهبا ناستيق) نتسابق
 في الجرى أو الرى (وتركنا يوسف عند متاعنا) ثيابنا وطعامنا (فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا)
 يصدق لقاتلنا (وجاءوا على قبصه بدم كذب) أي مكذوب ؛ ليس بدم يوسف كما زعموا

(قال بل سولت) زينت وسهلت (لكم أنفسكم أمراً) شيئاً اقدرتموه (فصبر جميل) على فراق يوسف .
والصبر الجميل : مالا شكوى فيه إلى الخالق (والله المستعان) المطلوب منه العون (على ماتصفون) مائة كرون
من أمر يوسف (وجاءت سيارة) رفقة سائرون (فأرسلوا واردهم) الذي يبحث لهم عن الماء ، ويرده
ليستقي لهم ويدهم عليه . فوجد الجب (فأدلى دلوه) فيه ؛ فتعلق يوسف في الدلو (قال) الوارد لما رأى يوسف

الجزء الثاني عشر

٢٨٢

في الدلو (يا بصرى هذا غلام) وذهب به إلى
صهبة؛ ففرحوا به (وأسروه بضاعة) أى أخفوه
في متاعهم ليتاجروا فيه كالبضاعة (وشروه)
أى باعوه . يقال : شراه يشره : إذا ملكه ،
أو باعه ؛ كاشتره (بشن بخس) قليل حقير
(وقال الذي اشتراه من مصر لأمراهه أكرمى
منواه) أى أكرمى مقامه عندنا (وكذلك)
إشارة إلى إنجاء يوسف ، وعطف قلب الذي
اشتراه عليه (مكننا ليوسف في الأرض) جعلنا
له مكانة فيها ، وسلطاناً عليها (ولعلمه من
تأويل الأحاديث) تصديقاً لقول أبيه يعقوب :
« ويعلمك من تأويل الأحاديث » (والله غالب
على أمره) أى على أمر نفسه ؛ لا يعجزه شيء
أراده ؛ وإنما يقول له : كن ؛ فيكون ! ويحتمل
أن يعود الضمير إلى يوسف عليه السلام ؛ أى
والله غالب على أمر يوسف ؛ يحوطه بنياته
وكلايته وحفظه ! (ولكن أكثر الناس
لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ يوسف أشده)
كمال قوته وشدهته ؛ وهو من ثمانى عشرة إلى
ثلاثين ، وهو أيضاً بلوغ الحلم . أو هو إلى
الأربعين : حيث تكون النبوة ؛ بدليل قوله
تعالى (آتيناه حكماً) حكمة (وعلماً) فقهاً في
الدين (وكذلك) مثل ما آتيناه يوسف من
الحكمة والعلم (نجزي المحسنين) الذين يحسنون
أعمالهم كما أحسن يوسف ، ويعفون أنفسهم كما

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿٣٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ
فَأَرْسَلُوا وَاِرْدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبشَرِي هَذَا غُلَامٌ
وَأَسْرُهُ بَضْعَةٌ وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ
بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٤٠﴾
وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ
عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ
فِي الْأَرْضِ وَنَعَّمْنَا مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ
عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ وَلَمَّا
بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ
وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ
إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٣﴾

ولقد

أف ! (ورودته التي هو في بيتها) امرأة العزيز . والمرادة : الإرادة برفق ولين (وعلقت الأبواب)
عليه معها (وقالت هيت لك) أى هلم ؛ فلما رأى منها ما رأى (قال معاذ الله) أن أخون من أكرمني وأواني
(لانه ربي) أى سيدي ومالكي ، والمقصود به عزيز مصر ، أو أراد به الله تعالى (أحسن مثواي) أحسن
إقامتي ؛ فلا أخوته في أهله ، وإذا كان المراد به الله تعالى : كان معنى «أحسن مثواي» أى أحسن لإقامتي في
هذه الدنيا ؛ إذ أتجانى من الهلاك المحقق ، وأكرمني بحب مخلوقاته لى وعطفهم على ؛ فلا أعصيه بأقبح ما يعصى به !

(ولقد همت به) همت بامساكه وضه (وهم بها) المراد بهمه عليه السلام : ميل الطبع البشرى ، ومنازعة الشهوة الفطرية ؛ لا القصد الاختياري . وهذا الهم مما يصح أن يكتب له به حسنة ، لا أن تحسب عليه سيئة . وقد جاء في الحديث القدسي عن رب العزة : «إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة» وقد تخط كثير من المفسرين في تأويل هذا بما يتناقى وعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (لولا أن رأى برهان ربه) وبرهان ربه : عصمته من الوقوع فيما يقع فيه عامة البشر . ولما كان البرهان : هو الدليل ؛ كان برهان الله تعالى :

دليل وجوده وقدرته ؛ فأثبت الله تعالى قدرته بمنعه ، وأثبت وجوده بالحيلولة بينه وبين الوقوع في الخطيئة ! أرانا الله تعالى برهانه ، وعصمنا بقدرته ، وحال بيننا وبين مصيبته ، وهذا ما برحمته ! (كذلك) أى أريناه برهان وجودنا (لنصرف عنه السوء والفحشاء) الحياطة والزنا (واستبقا الباب) جرى يوسف منها ، وجرت وراءه لتمسكه ؛ فأدركت ثيابه (وقدت) شقت (قيصه من دبر) من خلف (وألفيا) وجدا (سيدهما) زوجها (لدى الباب) عند الباب ؛ حينما أراد أن يفتحه هربا منها . فلما رأت زوجها أسقط في يدها ، وحاولت الدفاع عن نفسها أمامه (قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم) «ما» نافية ؛ أى ليس له إلا أن يسجن . فلما رأى يوسف ما حاطته به الأتمة من لثم ؛ شرع في الدفاع المشروع عن نفسه (قال) لأنى لم أراودها ؛ بل (هى) التى (راودتني عن قيسى) وشهد (شاهد من أهلها) قيل : تكلم صبي من أهلها ، وكان في المهدي ، وقيل : هو ابن عم لها ؛ كان وزيراً للملك ، ومستشاراً له ؛ قال (إن كان قيصه قد) شق (من قبل) من أمام (فصدقت) وهو من الكاذبين وإن كان قيصه قد من دبر) من خلف (فلما رأى قيصه قد من دبر) مما يؤكدها كذبها وصدقه : التفت إليهما (قال)

لها (إنه) أى الذى حصل من الراودة ، واتهام البريء (من كيدكن) أيها النساء (إن كيدكن عظيم) ثم التفت إلى يوسف ، وقال له (يوسف أعرض عن هذا) الأمر الذى حدث فلا تذكره لأحد . ثم التفت إلى امرأته قائلاً (واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين) وبذلك وضع أنه استقر في ذهن العزيز - بعد أن رأى نفسه مارأى ، وسمع ماسمع - براءة يوسف وخطيئة امرأته . وكان أقل ما يجب عليه وتذكرك : أن يحول بين لفتائها به ، ورويتها له ؛ لكنه لم يفعل ؛ لئيم الله تعالى ما أراد يوسف ، وما أراد له ؛ فسارت يذكر قصته مع امرأة العزيز الركبان ، وتناقلا حديثهما في كل مكان (وقال نسوة في المدينة) باللذل والمال (امرأة العزيز تراود فتاها) خادمها وملوكها (عن نفسه) لتنال غرضها منه (قد شفعتها =

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ
كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُم مِّنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلِصِينَ ﴿١٧﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ
وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ
سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدتني
عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَيْصُكُمْ قَدْ
مِن قَبْلِ فِصْدَقْتُمْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٩﴾ وَإِنْ كَانَ
قَيْصُكُمْ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتُمْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٠﴾
فَلَمَّا رَأَىٰ قَيْصَهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُم مِّنْ كَيْدِكُنَّ
إِنْ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢١﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا
وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٢﴾
* وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ
نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرُنَّهَا فِي صِلَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾

جاء) أي مس حبه شفاف قلبها . وشفاف القلب : غلافه ، أو جباهه ، أو حبه ، أو سويدهاؤه (فلما سمعت بمكرهن) بقولهن ؛ وسمى حديثهن مكرأ : لأنه تم في خفية ؛ كما يخفي الماكر مكره (أرسلت إليهن) تدعوهمن لمجلسها (وأعدت) (لهن متكأ) مجاساً للطعام ؛ أعدت فيه ما يتكأ عليه من الوسائد والخمارق ، أو أعدت لهن فاكهة يتكأ عليها عند قطعها ؛ كالأنج مثل (وأتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت) ليوسف (اخرج عليهن) فخرج (فلما رأينه أكبرنه) أعظمته . وقيل : أكبرن : أي حضن ، والماء للسكر ؛ وهو تأويل ليس بشيء (وطقن أيديهن) من شدة ذمهن بما رأينه من جال يوسف عليه السلام وصباحة وجهه ؛ لم يشعرن بالسكاكين وقد جرحت أيديهن (وقلن حاش لله) تنزيهاً لله ؛ وهو لفظ خاص به تعالى : فلا يقال : حاش لك . بل حاشاك ، وحاشاك (ما هذا بشراً) كسائر البشر (إن هذا) ما هذا (إلا ملك كريم) وصفته بالملكية ؛ لأنه من الملوك ألا شيء أجل من الملك ، ولا شيء أقيح من الشيطان (قالت فذلكن) أي فهذا هو (الذي لئنني فيه ولقد راودته) من الإرادة ؛ أي طلبته بنفسى لنفسي (فاستصم) امتنع ، وتحصن بالصمت ، ومنع نفسه من أن أتاه (وليكونن من الصاغرين) الدليلين . ووجه الظة مما مضى من هذه القصة : أنه لا يجوز لما قل أن يضم في بيته شاباً مبتلاً قوة وقوة وجلا ؛ ويدعه مع امرأته تجتاحها عواصف الشهوة ، وتتهاجها أعاصير الخبيثة ، ويدع للشيطان بينهما مجالا وأي مجال ! بل الواجب أن يلتزم حدود الدين الخفيف ، وأوامر الخالق جل شأنه « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهم ويحفظن فروجهن » (انظر مجت التجرج والسفور بأخر الكتاب) (وإلا تصرف) وإن لم تصرف

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُتْرَجُ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٦٦﴾
 قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودَنَّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَصَمَّ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَسْجُنَنَّ وَليَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٦٧﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَنَّةِ لَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَنَّةِ لَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَنَّةِ لَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَنَّةِ لَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٧١﴾

فوق

(عنى كيدهن أصب) أمل (إليهن وأكن من الجاهلين) المذنبين (فاستجاب له ربه) أجاب دعوته ، وصرف عنه كيدهن (إنه هو السميع) لمن يدعوه (العليم) بمجال خلقه (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات) الدالة على براءته مما نسب إليه ، وألصق به (ليسجننه حتى حين) أي إلى أن ينقطع كلام الناس ، وينسون ما حصل بينه وبين امرأة العزيز ؛ وأدخل يوسف السجن ، مع من أدخل من العصابة والمجرمين (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما) بعد فترة من الزمن قضاها في السجن (إنى أرى نفسى في المنام (أعصر خمراً) أي أعصر عنباً ، فصير خمراً

فَوَقَّ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۗ
 إِنَّا نَرْزُقُكَ مِنَ الْمَحْسِينِ ﴿٥٦﴾ قَالَ لَا يَا أَبَتِ كَمَا طَعَّمْ
 تَرْزُقَانِيهِ إِلَّا نَبَأْتُكَ بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا
 ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٧﴾ وَأَتَيْتُ مِلَّةَ آبَائِي
 آلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ
 مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ
 مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أُمُّ اللَّهِ الرَّؤُوحُ الْقَهَّارُ ﴿٥٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
 بِهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾
 يَصْحَبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا

(قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) في منامكما كالغيب
 والحيز الذي رأيته (ألا نبأتكما) أخبرتكما
 (بتأويله) بما يؤول إليه رؤية ذلك . (قبل
 أن يأتيكما) تأويله . وقد يكون المعنى :
 «ترزقانه» أي طعامه «إلا نبأتكما بتأويله»
 أي بما يؤول إليه ذلك الطعام من عناصر
 وأخلاق . وأن يكون يوسف عليه السلام قد
 منحه الله تعالى - من جملة ما منحه - علم خواص
 الأغذية (ذلكما) العلم الذي ذكرته (مما
 علمني ربي) وأفاضه على (إني تركت ملة قوم
 لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) لا يؤمنون
 بالبعث . قال تعالى «واتقوا الله ويعلمكم الله»
 قيل : إن يوسف عليه السلام علم مكروه
 الإجابة على أحدهما؛ فحاول أن يتكلم في موضوع
 آخر ليصرفها عما طلباه من تأويل رؤيائهما !
 فلم يدهاه بل ألحا عليه ؛ فعدل أيضاً عن
 إجابتهما قائلاً (يا صاحبي السجن أرباب متفرقون
 خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه
 إلا أسماء سميتوهما أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها
 من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا
 إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا
 يعلمون) فلم يدهاه حتى يعبر لها ما رأياه ؛ فلم
 يستطع مخالفتها . وقد تدرج عليه السلام في دعوتهم وإلزامهم الحجة ؛ بأث بين لهم أولاً رجحان التوحيد
 على اتخاذ الآلهة المتعددة ، ثم برهن على أن ما يسمونها آلهة ويمدون بها ؛ لا تستحق الألوهية والعبادة ،
 ثم نص على ما هو الحق القوم ، والدين المستقيم ؛ الذي لا يقبل العقل غيره ، ولا يرضى العلم سواه ؛ ثم شرع
 في إجابتهما ؛ فقال (يا صاحبي السجن) أي يا صاحبي في السجن (أما أحدكما) الذي رأى في منامه أنه يعصر
 خمرأ (فيسقي ربه) أي سيده (خمرأ) في القلظة ؛ أي سيكون من خاصته الذين أعدهم لسقيه

(وأما الآخر) الذي رأى في منامه أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه (فيصلب) في البقطة (تأكل الطير من رأسه) وكأنه عليه السلام قد تألم من ذكر ما يؤلم؛ فقال أسفاً (قضى الأمر الذي فيه تستفتيان) والذي حاول جاهداً أن أستقبل من الإجابة عليه، فلم تمكناني (وقال الذي ظن) تأكيد (أنه ناج منهما) وهو الساق؛ قال له (اذكرني عند ربك)

أى اذكرني عند سيدك الملك حين تلقاه (فأنساه الشيطان ذكر ربه) أى أنسى الشيطان يوسف من أن يطلب من ربه الخلاص من السجن؛ ولباً - ناسياً - إلى العبد العاجز الفاني؛ فكان جزاءه أن لبث (في السجن بضع سنين) البضع: بين الثلاث إلى التسع (وقال الملك) جلساته (إني أرى) أى رأيت في المنام (سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) أى مهازيل (قالوا أضغاث أحلام) أى تخليط في الرؤيا؛ وهو مالا تأويل له؛ لصدوره عن فساد المعدة وأبجزة الطعام (وقال التي نجا منها) وهو الساق؛ تذكر يوسف وتأويله للرؤيا (وادكر بعد أمة) أى تذكر بعد مدة طويلة قول يوسف له: «اذكرني عند ربك» وقرأ ابن عباس «وادكر بعد أمة» والأمة: النسيان (أنا أنبئكم بتأويله) أى أدلكم على من يؤول هذا المنام لكم (فأرسلون) أى أرسلوني إلى السجن لأحضره لكم. فأرسلوه فقال ليوسف (يوسف أيها الصديق) الكثير الصدق، الدائم عليه (لعل) أرجع إلى الناس) فأخبرهم بما تدكر من تأويل هذه الرؤيا (لعلمهم يعلمون) ما ينفعهم من تأويلها، أو لعلمهم يعلمون فضلك وعلمك؛ فيخرجونك مما أنت فيه من الضيق (قال)

وَأَمَّا الْآخَرُ فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا إِذْ ذُكِرْتُ بِهِ عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعُ سَبُلَكْتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ الْأَقْتَرُونَ فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿١٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعِ سَبُلَكْتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلَّكَ أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا

مَا

تأويل ذلك: أنكم (تزرعون سبع سنين داباً) أى دائبين متوالين (فاحصدتم) قطعتم من الأرض (فذروه) اتركوه (في سنبله) بغير حراس؛ ليحفظ ولا يتطرق إليه التلف. وبذلك يعلمنا الله تعالى في هذه القصة: الطريقة المثلى لتخزين الحبوب والمحاصيل لحفظها؛ إذ أن تركها بغير نزع سنابلها: أحفظ لها من التلف والفساد؛ وذلك بعكس متزوعة السنابل التي قد يدب فيها الفساد في عام واحد أو عامين

(إلا قليلا مما تأكلون) أى إلا ما تحتاجون لأكله فادرسوه وانزعوه من سنباله (سبع شداد) أى سبع سنين تقطون فيها ؛ فلا تخرج الأرض نباتاً (ياكلن ما قدمت لهن) أى ما خزنتموه فى السنين السبع التى زرعتموها دأباً (تخصنون) تدخرونه لتزعموا ؛ لأن فى استبقاء البذر : تحصين للأقوات ؛ وإلا إذا أكلنا الحبوب فماذا نزرع ؟ (فيه يفاث الناس وفيه يعصرون) أى ينزل لهم الغيث ، ويرزقون ما يعصر من الثمار ؛ كالغلب ، والزيتون ، وغيرها . وقيل : «يعصرون» ينجون ؛ من العصرة : وهى المنجاة . ومنه العصر : وهو اللجأ (قال ما خطبكن) أى

أرسل إليهن الملك ، وقال لهن : ما شأنكن (إذ راودتن يوسف عن نفسه) هل وجدت من ميله إليك ؛ كالليل الذى بدا منكن إليه ؟ (قلن حاش لله) تعجباً من خلق لسان كامل عفيف مثله (ما علمنا عليه من سوء) قط (قالت امرأة العزيز) التى كان يوسف فى بيتها ، وراودته عن نفسه ، واتهمته بإرادة السوء بها ؛ لما رأت قول النسوة : «حاش لله ما علمنا عليه من سوء» جاشت فى صدرها عوامل الحب للدين ، مع الاكابر ، وورعت فى الصدق الصراح ؛ بعد أن ناعت بحمل الكذب المين ، طوال هذه السنين : قالت (الآن حصص الحق) وضع وظهر (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) فى دفاعه عن نفسه (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) أى لم أخن يوسف فى غيبته ، بعد أن خنته فى حضوره ؛ حين جابته بقول لزوجي «ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً» (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) لا يسد علمهم (وما أبرئ نفسي) فأقول : لى لم أروده (إن النفس لأمارة بالسوء) لا مارحم ربي إن ربي غفور رحيم) الذى أراه : أن جميع ذلك تمة لكلام امرأة العزيز ؛ لأن يوسف لم يأت بعد من السجن ؛ ولقول الملك بعد ذلك «اثنوني به أستخلصه لنفسي» وقد

مَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِصُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَأْسُ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ عَلَيْهِنَّ إِنْ رَبِّي بِكَافِبِينَ عَلِيمٌ ﴿٨٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رُودْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رُودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٨٢﴾ * وَمَا أBRئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَارَةٌ السُّوءِ إِلَّا مَارِحِمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ

ذهب أكثر المفسرين إلى أنه من كلام يوسف عليه السلام ؛ وزينوا ذلك بأقوال تتناقى مع عصبة الأنبياء عليهم السلام ؛ منها : أنه حين قال «ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب» همس جبريل فى أذنه قائلاً : ولا حين حلت نكة سراويلك وهمت بها ؛ فقال «وما أبرئ نفسي» وهو قول ظاهر القبح ، بادى البطلان ! ومن عجب أن أمهات كتب التفسير تذكر هذا القول وأمثاله ، وتنسبه لى فضلاء الصحابة ، وجلة التابعين ؛ وهم براء من هذا الهراء ! وذهب بعضهم لى أنه من كلام العزيز : أى لم أحامل عليه وأخنه فى غيبته ؛ بل جازيته على أماته ، وملكته رقاب الناس وأموالهم (وقال الملك) حين وضع له علم يوسف ، ورسوخ قدمه وفضله ، وبراهته مما نسب لى (اثنوني به أستخلصه لنفسي) أى أجمله من خلاصائى وأصفيائى (فلما) =

== جاءوا بيوسف من السجن ، و (كلمة قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) ذو مكاة تؤمن على كل شيء (قال) يوسف (اجعلي على خزائن الأرض) أي وزيراً للعالية ، أو وزيراً للتدوين (إني حفيظ) ذو محافظة على الأموال (علم) بإدارتها وتتميتها . وقيل : «حفيظ عليهم» أي كاتب حاسب (وكذلك) كما أنصنا عليه بالعلم ، والصدق ، والنوبة ، والنجاة من السجن ، والخلاص من كيد الشيطان ، والقرب إلى قلب الملك ؛ مثل هذا الإنعام والتفضل (مكننا ليوسف في الأرض) جعلناه مكانة فيها ، وقدرة عليها . قيل : استخلفه

الملك على مصر ؛ فسار موكبه في طرقها ؛ فرأته امرأة العزيز ؛ فبكت وقالت : الحمد لله الذي صير الملوك عبيداً بالمصيبة ، والصيد ملوكاً بالطاعة ! وقال بعضهم : إنه تزوجها بعد ذلك . والقول الراجح : إنه لم يتزوجها ، بل تزوج راعيل زوجة الطاهر ، وولدت له غلامان (يتبوا) يتزل ويسكن (منها حيث يشاء) فقد ملك أموالها وأقواتها ؛ واحتاج كل من فيها إليه ، وليست به حاجة إلى أحد (نصيب برحمتنا) بطاقتنا وأنصنا في الدنيا (من نساء) من عبادتنا (ولا نصيب أجر المحسنين) فيها ؛ بل ترزقهم منها جزاء إحسانهم (ولأجر الآخرة خير) من أجر الدنيا وجزائها (للذين آمنوا) برهم (وكانوا يتقون) الله في أعمالهم (وجاء إخوة يوسف) عدا بنيامين أخاه الشقيق ؛ وهم الذين تأمروا على يوسف ، وألفوه في غيابة الحب ؛ جاءوا - كما جاء غيرهم - ليأخذوا حاجتهم من القوت الذي حفظه يوسف في خزائنه ، لسنى القحط - تأويلاً لرؤيا الملك - (ففرهم وهم له منكرون) أي لم يعرفوه (ولما جهزهم ببهائم) أعطاهم حاجتهم من الأقوات التي جاءوا من أجلها ؛ قيل : أعطى كل واحد منهم حل يعير . وقد كان حاجة الشوق إلى أخيه ؛ وأراد أن يجتال على بيته (قال اثنتونى بأخ لكم من أبيكم) لأعطيه مثل ما أعطيتكم (الأترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المتزولين) المضيفين ، المكرمين (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندي) أي فلا أعطيك طعاماً بعد ذلك (قالوا سنراود عنه أباه) سنستحابل عليه في الإتيات به إليك (وقال لفتياناه) لفتلانه (اجملوا بضاعتهم) التي جاءوا بها ثمناً للطعام ؛ فسوما (في رحالمهم) خفية من حيث لا يشعرون (لطمهم يعرفونها إذا اقبلوا) رجعوا (إلى أهلهم لطمهم يرجعون) لأنها بها وأخبيهم ؛ قيل : كان محرماً في شريعتهم أخذ شيء من غير إذن له ، أو «لطمهم يرجعون» لأخذ حل بيع لأخبيهم كما أخذوا (فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل) لمن لم يحضر معنا (فأرسل معنا أغانا) بنيامين (نكتل) له ؛ كما اكتلنا لأنصنا ، وقرىء «يكتل»

لَيْسَ مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٣٥﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ
إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ وَنَصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءِ
وَلَا نُنصِيعُ الْبَاطِلِينَ ﴿٣٧﴾ وَلَا جُرْأِئَةَ الْآخِرَةِ حَاسِرِينَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٣٨﴾ وَجَاءَ إِخْوَتَ يُوسُفَ
فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَّفَهُمُ وَهُمْ لَهُمْ مُنْكَرُونَ ﴿٣٩﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم
بِجَاهِزِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي
أَوْفَىٰ الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٤٠﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ
فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٤١﴾ قَالُوا سَتَرُوا عَنْهُ
أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ
فِي رِحْلَتِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا
الْكَيْلُ فَأَرْسَلْنَا مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِيظُونَ ﴿٤٤﴾

قال

(الأترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المتزولين) المضيفين ، المكرمين (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندي) أي فلا أعطيك طعاماً بعد ذلك (قالوا سنراود عنه أباه) سنستحابل عليه في الإتيات به إليك (وقال لفتياناه) لفتلانه (اجملوا بضاعتهم) التي جاءوا بها ثمناً للطعام ؛ فسوما (في رحالمهم) خفية من حيث لا يشعرون (لطمهم يعرفونها إذا اقبلوا) رجعوا (إلى أهلهم لطمهم يرجعون) لأنها بها وأخبيهم ؛ قيل : كان محرماً في شريعتهم أخذ شيء من غير إذن له ، أو «لطمهم يرجعون» لأخذ حل بيع لأخبيهم كما أخذوا (فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل) لمن لم يحضر معنا (فأرسل معنا أغانا) بنيامين (نكتل) له ؛ كما اكتلنا لأنصنا ، وقرىء «يكتل»

قَالَ هَلْ ءَامَنُكَ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُكَ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ
 فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا
 مَتْنَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رَدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُغِي
 هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلًا وَنَحْفَظُ أَخَانًا
 وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٥١﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ
 مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ ءِلاَ أَنْ يُحَاطَ
 بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٥٢﴾
 وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَتَدْخُلَنَّهُمْ مِنْ بَابٍ وَجِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ
 مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؕ إِنَّ الْحَسْرَةَ
 ءِلاَ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٥٣﴾
 وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ
 مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؕ ءِلاَ حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَتَغَوَّبُ قَضَنَهَا
 وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمْتَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

(قال هل آمنك عليه إلا كما آمنتك عليه من قبل) يوسف (من قبل) ففجعتوني فيه (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) يرحم ضعفي وذلي، وحسرتي على مهجتي؛ فيحفظ لي ولدي، ويرده لي (ولما فتحو متاعهم وجدوا بضاعتهم) التي أمر يوسف بدسها في رحالهم (ردت إليهم) فمجبوا من ذلك، و (قالوا يا أبانا ما نبغي أي أي شيء. نطلب بسد ذلك؟ (هذه بضاعتنا ردت إلينا) تفضلا وكرما. أو «ما نافية؛ أي لانبغي شيئا منك؛ بل تكفيننا بضاعتنا هذه التي ردت إلينا (ونمير أهلنا) من الميرة؛ أي نجلب لهم الطعام (ونحفظ أخانا) في رحلتنا هذه (وتزداد كيل بعير) أي حمل بعير لأخينا بنيامين (ذلك كيل يسير) على الملك؛ لا يبخل به علينا؛ وقد رأينا من كرمه وسخائه ما رأينا! (قال لن أرسله معكم حتى تؤتونا ميثقا من الله) عهدا وقسا (لتأتني به إلا أن يحاط بكم) أي إلا أن يحيط بكم العدو، وبصير ليس في إمكانكم النجاة به (فلما أتوه ميثقهم) حلفوا له على ذلك (قال الله على ما نقول وكيل) رقيب مطلع (وقال) موصيا لهم (يا بني لا تدخلوا المدينة) (من باب واحد وادخلوا من أبواب

متفرقة) قيل: كانت وصية يعقوب: خشية من العين. والذي أراه أنه خشي أن يصيبهم مكروه مجتمعين؛ فيحل بهم جميعا. وقيل: خشية أن يراه الملك مجتمعين ويرى عددهم، واستواء أجسامهم، وقوتهم، فيطش بهم: حسدا لهم، أو خوفا منهم (وما أغنى عنكم من الله من شيء) لا أدفع عنكم شيئا أراداه الله تعالى بكم.

(ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه) ضمه إليه ، وأجلسه بجواره ، و (قال) له (إن أنا أخوك فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) أى بما عمل لإخوتك معنا (فلما جهزهم ببهارهم جعل السقاية) هى ما يسقى به ؛ وكانت من ذهب (فى رحل أخيه) بنيامين (ثم أذن مؤذن) نادى مناد (أيتها العير) العير: الإبل . أى يا أهل هذه القافلة ، يا أصحاب هذه

الإبل (إنكم لسارقون) فدهش إخوة يوسف من توجيه هذه التهمة لهم على رؤس الأشهاد ؛ وهم منها براء (قالوا و) قد (أقبلوا عليهم) أى على النادين بالسرقه ؛ متسائلين (ماذا تفقدون) وما الذى سرق منك ؟ (قالوا نفقد صواع) صاع (الملك) والصاع : مكيال يكال به . والمراد بالصواع هنا: الكأس الذى يشرب فيه ؛ لأنه سمي فى الآية المتقدمة بالسقاية «جعل السقاية فى رحل أخيه» (ولن جاء به) أى بالصواع المسروق (حمل بعير) مكافأة له على ضبط السارق (وأنا به زعيم) كفيل بأداء حمل البعير (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب (لقد علمت ماجئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين) وما جاء بنا إلا لطلب القوت (قالوا فما جزاؤه) أى فاجزاء السارق (إن كنتم كاذبين) فى قولكم ، وكان السارق من بينكم (قالوا جزاؤه من وجد) المسروق (فى رحله فهو جزاؤه) أى فهو عبدورق جزاء سرقته . وكان فى شريعتهم استرقاق السارق (فبدأ) يوسف (بأوعيتهم) أى بتفتيشها (قبل وعاء أخيه) وذلك تومئاً لهم ، وتغطية عليهم ؛ ليشرعهم بحقيقة ما يسفر عنه وعاء أخيه (ثم استخرجها) أى استخرج السقاية (كذلك كدنا ليوسف) أى علمناه ذلك الكيد ؛

الذى استطاع به أن يأخذ أخاه ، وليكون هذا سبباً فى اجتماعه بأبويه .

ومن هذا يؤخذ جواز التوصل إلى الأغراض المشروعة بالهيل ؛ ولو أدى ذلك إلى الكذب ؛ ما توافرت المنفعة ، بغير أن يترتب عليها إضرار بأحد ، و (ما كان) يوسف (ليأخذ أخاه) رقيقاً بسبب سرقه لم يرتكبها (فى دين الملك) سلطانه وعادته وحكمه (قالوا إن يسرق) أخانا هذا

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴿٥٦﴾ قَالَ إِنَّ أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أُخِيهِ ﴿٥٨﴾ ثُمَّ أَذِنَ الْمُؤَذِّنُ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا تالله لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا قَاتِلْ جَزَاءُؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَذَّابِينَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا جَزَاءُؤُهُ مِنْ وَجَدَ فِي رِجْلِهِ فهُوَ جَزَاءُؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٦٤﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاةِ أُخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاةِ أُخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ فَرَفَعْنَا دَرَجَاتٍ مِنْ نَسَائِهِ ﴿٦٥﴾ وَقَالَ كُلْ ذِي عِلْمٍ عِلمٍ ﴿٦٦﴾ * قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ

أَخٌ لَهُ

أَخٍ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَاسْرَهَا يَوْسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَسِدِّهَا
 لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾
 قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا
 مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن
 نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدَتِنَا مَتَعْنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا ظَلَمْنَا لَنَا
 فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كِيرِهِمُ الرَّتَلَمُوا
 أَنَّ أَبَاكَ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكَ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ
 فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ
 يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٧٩﴾ ارْجِعُوا إِلَى
 أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا
 عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨٠﴾ وَسَعَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي
 كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨١﴾
 قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى

(فقد سرق أخ له من قبل) يعنون يوسف
 عليه السلام ؛ وكان قد سرق في صغره منها
 من ذهب لجدته أبي أمه ؛ فكسره (فأسرها)
 أخى هذه القالة (يوسف في نفسه) ولم يظهر
 التضجر والتألم . ويجوز أن يكون المعنى :
 فأسر يوسف في نفسه قوله (أنتم شر مكاناً)
 لسرقتكم لياى من أبيكم ، وظلمكم الذى
 ظلمتموه لى وله (والله أعلم بما تصفون) بما
 تقولون ، أو بما تكذبون (فلما استياسوا)
 يتسوا من قبول مطلبهم (خلصوا نجياً)
 انفردوا متنجين فيما بينهم (ومن قبل ما فرطتم
 فى يوسف) أى ألم تعلموا تفرطكم فى يوسف
 من قبله ؛ فكيف تفرطون فى أخيه أيضاً
 (فلن أبرح) لن أفارق (الأرض) أرض مصر
 (حتى يأذن لى أبى) فى الرجوع ؛ راضياً
 عنى ، غير غاضب على ! (أو يحكم الله لى)
 بجلالسى أخى بنيامين ، وعودته معنا (ارجعوا
 لى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابناك سرق)
 وأخذ بجريرته (وما شهدنا إلا بما علمنا) أى
 بما يقنا ؛ لأننا رأينا بأعيننا صلب الملك وم
 يستخرجونه من رحله (وما كنا للغيب) لما
 غاب عن أعيننا وأذهاننا (حافظين) أى إن
 مائد كره هو الظاهر لنا ؛ المشاهد لأعيننا ؛ ولا نعلم ما فى الغيب ؛ هل هو السارق للصواع حقيقة ، أم أنه
 دس عليه ؟ (واسأل القرية) أى أهل القرية (والعين) الإبلى ؛ والمقصود : واسأل أهل القافلة (التي أقبلنا
 فيها) فقد رأوا بأعينهم ما رأينا بأعيننا . فذهبوا لى أبيهم فقالوا له مارسهم لهم أخوهم (قال بل سولت)
 زيتت وسهلت (لكم أنفسكم أمراً) فعلموه بنيامين ، كما فعلم يوسف أخيه من قبل

(فصبر جميل عسى الله أن يأتيهم جميعاً) يوسف وأخويه : بنيامين ، والذى قال «لن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبى» (إنه هو العليم) بحال (الحكيم) في صنعه ا (وتولى عنهم) انصرف وأعرض (وقال بأسفا) الأسف : شدة الحزن (وابيضت عيناه من الحزن) وكثرة البكاء (فهو كظيم) ممتلىء غيظاً

الجزء الثالث عشر

٢٩٢

وكرها وغما ، ويكم جميع ذلك في نفسه (قالوا تائه) قسم فيه معنى التعجب (فتناً) أى لا فتناً ، ولا تزال (تذكر يوسف) دائماً وتذكر فقده (حتى تكون حرضاً) المرض : الذى أذابه الهم والمرض ، وأشرف على الهلاك وقد قلت في وصف الدنيا :

فكم لفرقتها أشقى على تلف

صب بها مولع في جها حرض

(قال إنما أشكوى) حال المولم (وحزنى إلى الله) وحده ؛ فهو القادر على الذهاب به ، أو بأسبابه (وأعلم من الله ما لا تعلمون) من صحة رؤيا يوسف وتحققها ، وإطمئنانى بأن الله تعالى سيجمعنى به ؛ عاجلاً أو آجلاً (يا بني اذهبوا فاحسبوا) تجسسوا . والتجسس : في الخير ، والتجسس : في الشر . وقيل : إذا تجسس لغيره لنفسه ؛ يقال له : تجسس ، وإذا تجسس لغيره يقال له : تجسس (ولا تياسوا من روح الله) من رحمة وفرجه ! فذهبوا إلى مصر (فلما دخلوا عليه) أى على يوسف (قالوا يا أيها العزيز منا وأهلنا الضر) الشدة والجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) رديئة ، أو قليلة (فاوف لنا الكيل وتصدق علينا) بالزيادة ، أو برد أختينا . فأراد يوسف أن يكشف لهم عن حقيقته ، وأن يعانهم على ما فعلوه عتاباً رقيقاً (قال هل علمت ما فعلتم بيوسف) إذ

الله أن يأتيهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم ﴿٢٩١﴾
وتولى عنهم وقال يا أسنى على يوسف وأبيضت عيناه
من الحزن فهو كظيم ﴿٢٩٢﴾ قالوا تائه فتناً أى
حتى تكون حرضاً أو تكون من أهل الكين ﴿٢٩٣﴾ قال
إنما أشكوى بحالى المولم وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا
تعلمون ﴿٢٩٤﴾ يابني اذهبوا فاحسبوا من يوسف
وأخيه ولا تياسوا من روح الله إنه لا يابيس من
روح الله إلا القوم الكافرون ﴿٢٩٥﴾ فلما دخلوا عليه
قالوا يا أيها العزيز منا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة
مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله
يجزى المتصدقين ﴿٢٩٦﴾ قال هل علمت ما فعلتم بيوسف
وأخيه إذ أنتم جاهلون ﴿٢٩٧﴾ قالوا أأنك لأنت يوسف
قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من

يتقى

تأسرتم عليه ، وألقيتموه في غيابة الجب ، وزعمتم أن الذئب قد أكله (وأخيه) وما فعلتم بأخيه بنيامين ؛ إذ ضدتم أنه سرق ، وأشتمت ذلك ؛ وقلتم «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل» فلما رأوا فضله ، وسمعوا كلامه : علموا أنه أخوهم ؛ فقالوا (أأنك لأنت يوسف قال) نعم (أنا يوسف وهذا أخى) بنيامين (قد من الله علينا) بأجائى من الهلاك المحقق ، وتملكى حماه الناس وأموالهم ، وبثيرة أخى من السرقة ، واجتماعه بي

(إنه من يتق الله ، ويعمل لآخرته (ويصبر) على الطاعات ، وعن المعاصي ، وعلى المكروه (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) بل يجزيهم على صبرهم وإحسانهم خير الجزاء ! (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب (لقد آثرك الله) أي فضلك (علينا وإن كنا لحاطئين . قال لا تثريب عليكم) لا لوم ، ولا تقييد ، ولا عتب (اليوم يغفر الله لكم) لإناصتكم ، وندمكم على ما قدمتم ، واعتزافكم بخطيئكم ؛ وقال لهم (أذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً) ألمه الله تعالى أن قصه إذا أتني على وجه أبيه؛ يرتد بصره إليه بقدرته تعالى! وقد أبى أخوه يهوذا

٢٩٣

سورة يوسف

إلا أن يجعل القميص بنفسه ؛ وقال : أنا حملت إليه قميص يوسف بدم كذب فأخزته وأمرضته وأعميته ، وأنا الذي أحمل إليه القميص الآن لأسره وأشفيه ! وقيل : إن هذا القميص : كان قميص إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؛ الذي نجاه به من النار ، وأنه قد نسج من حرير الجنة ، وأن ريح الجنة لا يقع على مريض أو مبتلى إلا عوف . وهذا الكلام فيه نظر ؛ فلو صدقنا أنه كان قميصاً لإبراهيم ، وآمننا أن ريح الجنة لا يقع على مريض أو مبتلى إلا عوف ؛ فأين لنا بحرير الجنة الذي نسج منه القميص ؟ وأين لنا برح الجنة الذي يشفي كل مبتلى أو مريض ؛ وهو كلام لا يعدو أن يكون من تحريف القصص المولعين بكل غريب ، الناشرين لكل عجيب ! فكمن كلام لا نستسيغه الأفهام ، وكمن من منقول لا يوافق العقول ؛ وكتب التفسير ملأى بكل غريب وسقيم ؛ فيحذره العاقل الحكيم ! (وأتوني بأهلكم أجمعين) لأستمتع برؤيتهم ، وأهنا بقربيهم (ولما فصلت العير) أي خرجت من مصر ، وانفصلت عن عمراتها (قال أبوهم) يعقوب جلسائه (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) تنسبون إلى التخريف . وهو من الفند ، أي الخرف (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب (إنك لني ضاللك

يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾
 قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿١٨﴾
 قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٩﴾
 أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٠﴾
 وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٢١﴾
 قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٢٢﴾
 فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾
 قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٢٤﴾
 قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٢٥﴾
 فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٢٦﴾

القديم) خطئك القديم ؛ من حب يوسف ، وأملك في حياته ولفاته ؛ وقد أجمعوا على هلاكه وموته (فما أن جاء البشير) يهوذا بقميص يوسف (ألقاه على وجهه) أي أتني قميص يوسف على وجه أبيه (فارتد) عاد (بصيراً) كما كان (قال) يعقوب (ألم أقل لكم لاني أعلم من الله) ومن كرمه وفضله (ملا تعلمون) وحينئذ أدرك لإخوة يوسف مبلغ ما ارتكبه في حق أبيهم ، ومدى الإبداء الذي ألحقوه به ، وخافوا غضب الله تعالى عليهم ، وبطشه بهم ! (قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) فيها فلتنا (قال سوف استغفر لكم ربني) أطلب لكم الغفران منه (إنه هو الغفور) لكل مذنب (الرحيم) بكل تائب ! ولما أبلغوا أيام رغبة يوسف في اللحاق به : توجهوا جميعاً نحو مصر ولما استشعر يوسف بقدمهم : استقبلهم في خارج =

== العبران ودخلوا على يوسف (فلما دخلوا) عليه (آوى) ضم (إليه أبوه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين) روى أن يعقوب حين لقي يوسف : قال له : السلام عليك يا مذهب الأحران . فرد يوسف على أبيه السلام ؛ وقال : يا أبت تبكي على حتى يذهب بصرك ، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا ؟ ! قال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك ؛ فيحال بيني وبينك ! (ورفع أبوه على العرش) أجلسهما بجواره على السرير (وخروا له سجداً) أى خروا لأجله سجداً لله ، أو الضمير لله تعالى ، أو السجود كان ليوسف عليه السلام ؛

الجزء الثالث عشر

٢٩٤

وكان تحية عندهم ، أو كان على هيئة الانحناء (من بعد أن نزع الشيطان) أفسد وحرش (إن ربي لطيف لما يشاء) أى رفيق بعباده ؛ يسبب لهم صالحهم من حيث لا يعلمون ، ويرفعهم من ناحية المكارة التي تلصقهم ! إذ لولا تأمر إخوة يوسف عليه : لما ألقى في الجب ، ولولا إلقاءه في الجب : ما أخذته السيارة ، ولولا أخذ السيارة له وزهدم فيه : لما باعوه لحاكم مصر ، ولولا بيعه كالعبيد : لما راودته سيدة القصر عن نفسه ، ولولا هذه المراودة : لما دخل السجن ، ولولا دخوله السجن : لما اختلط بصاحي السجن ، ولولا تأويله لها ما رأياه في منامها : لما اتصل أمره بالملك ، ولولا اتصال أمره بالملك : لما خرج من السجن ، ولما ولي على خزائن الأرض !

وهكذا أراد ربك أن يرفعه من طريق الضمة ، ويضيه من طريق الفقر ، ويسعده من طريق الشقاء ! فقد كان الأقرب أن يموت عطشا مهتما عند إلقاءه في الجب ، أو أن يموت جوعا وعطشا لو ترك ، أو تتخذة السيارة خادماً ؛ فيعيش طوال حياته ذليلاً مهاناً ! ولكنه تعالى «لطيف لما يشاء» (لأنه هو العليم) بخلقه (الحكيم) في صنعه ! وهنا يحس يوسف بمبلغ فضل الله تعالى عليه ، ومدى لطفه به ؛ فيقول مناجياً ربه ، شاكراً نعماءه (رب

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٥٠﴾
 * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْفَنِي بِالصَّلَاتِ وَالْحَمْدِ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقَبْرِ نُوْحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا سَأَلْتَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ

قد آتيتني من الملك) ما آتيتني (وعلمتني من تأويل الأحاديث) ما علمتني (فاطر) خالق (أنت ولي) ناصري ، ومتولى أموري في الدنيا والآخرة (ذلك) الذي ذكرناه لك ، وقصصناه عليك يا محمد (من أنباء الغيب) أخبار ما غاب عنك ، ولم يصل إلى علمك (نوحيه إليك) ليكون دليلاً على صدقك ، وبرهاناً على نبوتك (وما كنت لديهم) أى لم تكن لدى إخوة يوسف (إذ أجمعوا أمرهم) عزموا عزمًا أكيداً على الكيد ليوسف (وهم يكررون) أى لم تحضرم وتنداك ؛ فتعلم ما دار بينهم ؛ فيكون ذلك مناراً للشبهة فيك ، والتهمة لك ؛ وإنما علمت ذلك عن طريق الوحي ! (وما أكثر الناس ولو حرصت) على إيمانهم (مؤمنين) إلا أن يشاء الله ! (وما تسألهم عليه) أى على القرآن (من أجر إن هو) ما هو (للاذكر) ==

عظة (المالين) الناس جميعاً (وكأين) وك (من آية) دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعظمته (يعرون عليها) يشاهدونها بأعينهم وألبابهم (وهم عنها معرضون) أى معرضون عن دلالتها على خالقها !
 إذ أن كل شيء في هذا الكون يشهد للمولى تعالى بالوجود والقدرة والحكمة والظمة ! وليس الجبل بظلمته
 وضخامته بأكثر دلالة على وجوده تعالى من الحصاة الملقاة في القلاة ، وليس الغزال المستحسن بأدل على قدرته
 تعالى ووجوده من الخنزير المستهجن ؛ بل إن النار والثلج - مع تفاوتها واختلافهما في الطابع - فإنهما لم
 يختلفا في جهة البرهان على وجود مبدعهما
 ومودع خواصهما ! (وما يؤمن أكثرهم بالله)
 ما يقرون بوجوده «ولئن سألتهم من خلق
 السموات والأرض وسخر الشمس والقمر
 ليقولن الله» (إلا وهم مشركون) به غيره :
 يعبدون الأصنام ؛ ويقولون : «ما نعبدم
 إلا ليقربونا إلى الله زلفى» (أفأمنوا أن
 تأتيهم غاشية من عذاب الله) عقوبة تقشام
 وتشملهم (بقتة) فجأة «قل هذه سبيلي»
 طريقى (أدعوا إلى الله على بصيرة) واضحة
 (وسبحان الله) تزيها له تعالى عما يقولون ،
 وعما يعبدون (وما أرسلنا من قبلك) من
 الرسل (إلا رجالاً) ليس من بينهم امرأة ،
 ولاجنى ، ولاملك ؛ وهو رد على القائلين «لولا
 أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً» وهؤلاء
 الرجال (نوحى إليهم من أهل القرى) أى من
 أهل المدائن ؛ ولم يرسل الله تعالى رسولا من
 أهل البادية ؛ لجفائهم وغلبة القسوة على طباعهم
 (حتى إذا استأسأ الرسل) يتسوا من إيمان
 قومهم ؛ أو يتسوا من النصر على أقوامهم
 (وظنوا) أى استيقن قومهم (أنهم قد
 كذبوا) أى أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا
 به من النصر ، أو ما وعدوا به من نزول
 العذاب بالمكذبين ؛ وقرئ «كذبوا»
 بالثقل ؛ أى وتأكد الرسل أنهم قد كذبوا

بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٥٠﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ
 عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥١﴾
 قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ
 اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥٢﴾ وَمَا
 أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ
 الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا
 أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
 قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا
 عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٥٤﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ
 عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن
 تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
 وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٥﴾

من قومهم تكذيباً لا إيمان بعده . وقال بعضهم : إن المعنى : وظن الرسل أن الله أخلفهم ما وعدهم به ؛
 وهو كفر لا يجوز نسبته إلى عامة المؤمنين فما بالك بخاصتهم ، وما بالك بالرسول ؛ الذين هم صفوة عباد الله
 وخيرته من خليقته ! ومن عجب أنهم ينسبون هذا التأويل إلى حبر الأمة وترجمان القرآن : ابن عباس رضى
 الله تعالى عنهما ! والأعجب من ذلك أنهم يزعمون أت السامع ناقش ابن عباس في ذلك القول ؛ فقال له :
 ألم يكونوا بشراً ؟ وتلا قوله تعالى «حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب»
 فاحذر - هداك الله وعافاك - من هذه الدسائس فهي كثر ! (جاءهم نصرنا) أى جاء الرسل نصرنا (فنجى
 من نشاء) وهم المؤمنون (ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المحرمين) الكافرين (لقد كان في =

= قصصهم) أى قصص الرسل ، الذين قصصناهم عليك (عبرة) عظة ؛ وهكذا سائر قصص القرآن (ما كان) القرآت (حديثاً يفتى) يخلق ؛ كما زعموا أنك اختلقته (ولكن تصديق الذى بين يديه) أى مصداقاً لما تقدمه من الكتب (وتفصيل كل شيء) يحتاجون إليه فى معاشهم ومعادهم

الجزء الثالث عشر

٢٩٦

(١٣) سُورَةُ الرَّحْمٰنِ مَلَانِيْتَهٗ

وَآيَاتُهَا ٤٣ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ مُحَمَّدٍ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الْحَمْدُ لَكَ ءَايَاتُ الْكِتٰبِ وَالَّذِیْ اُنزِلَ اِلَيْكَ
مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلٰكِنْ اَكْثَرُ النَّاسِ لَا یُؤْمِنُوْنَ ﴿١﴾
اللّٰهُ الَّذِیْ رَفَعَ السَّمٰوٰتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَّرَوْنَهَا ثُمَّ اَسْتَوٰی
عَلَى الْعَرْشِ وَحَمَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ یَجْرِی لِاَجَلٍ
مَّسْمُومٍ یَدِیْرُ الْأَمْرَ یَفْصِلُ الْاَبْنٰتِ لَعَلَّكُمْ یَلْقٰوْا
رَبَّكُمْ تَوَقُّوْنَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِیْ مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِیْهَا
رَوٰسِیً وَانْهَارًا وَمِنْ كُلِّ اَنْثَمْرَةٍ جَعَلَ فِیْهَا زَوْجِیْنِ
اٰتِیْنِ یُغْشِی الْاَبْلَ الْنَّهَارِ اِنْ فِیْ ذٰلِكَ لَآیٰتٍ لِّقَوْمٍ
یَتَفَكَّرُوْنَ ﴿٣﴾ وَفِی الْاَرْضِ قَطْعٌ مُّتَجٰوِرَاتٍ وَجَنَّتْ

مِنْ

(سورة الرعد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (ثم استوى على العرش) استواء يليق به ؛ وليس كاستواء المخلوقين ؛ لأن الديان يتقدس عن المكان ، وتعالى المعبود عن الحدود (لأجل مسمى) يوم القيامة (يدبر الأمر) وياله من مدبر حكيم ، ومخالق علم ؛ ترى الشيء فيمهلك مظهره ، ويسوؤك مخبره ، ولو نظرت إليه نظر العاقل البصير ، والناقد الخبير ؛ لو وجدت الخير كل الخير فيما وقع ؛ فنعمة المدبر العظيم ، والمخالق الكريم ؛ (يفصل الآيات) يبين لكم دلائل قدرته ، ومظاهر ربوبيته (وهو الذى مد الأرض) بسطها رأى العين ، وجعلها سهلة ذلولا (وجعل فيها رواسي) جبالا ثوابت (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) أى صنفين : حلو وحامض ، ورطب ويابس ، وأبيض وأسود ، وأحمر وأصفر ، وكبير وصغير ، وغير ذلك (يفشى) يغطي (الليل النهار) بظلمته (إن فى ذلك لآيات) دلالات على وحدانيته تعالى (وفى الأرض قطع متجاورات) يريد سبحانه وتعالى أن فى الأرض قطعاً متجاورة ومتماثلة : نسق بماء واحد ؛ فتنتج هذه الحامض ، وهذه الحلو ، وتلك الرطب ، والأخرى اليابس ؛ إلى غير ذلك مما لا يحصره بيان ، ولا يوزنه برهان (وجنات) بساتين

مِنْ

مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٍ وَنَخِيلٍ (صنوان) وَغَيْرِ صَوَانَاتٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ
 وَجَدٍ وَنُفْضِلَ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٩٧﴾ * وَإِن تَعَجَّبَ فَعَجِّبْ
 قَوْلَهُمْ أَذًا تَرَبَّأْنَا لِنِي خَلْقِي جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْيُنِهِمْ وَأُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩٨﴾ وَبَسَّعْنَا لَكَ
 بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُنْتَلَىٰ
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ
 لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٩٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ
 آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَمَّا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٣٠٠﴾
 اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ عِلْمِهِ بِمِقْدَارٍ ﴿٣٠١﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٣٠٢﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ

(من أعناب وزرع ونخيل) (صنوان) جمع صنو؛ وهو المثل؛ وهي
 التخلات، والتخلتان؛ يجمعهن أصل واحد، وقد يراد به: الشجر المائل، وغير المائل (يسق بماء واحد)
 ولكنه ينتج ثمراً مختلفاً، وطموماً متباينة (ونفضل بعضها على بعض في الأكل) في الثمر؛ لاذ ليس التمر
 كالعنب، أو الخوخ كالنفاح، أو التوت كالرمان أو الكهربي كالشمس (وإن تعجب) يا محمد من شيء
 (فجرب قولهم أمثما كنا ترابا) في قبورنا (أنا لني خالق جديد) أي أنبعث بعد ذلك في خلق جديد كما
 كنا قبل موتنا؟ (ويستعجلونك بالسبيئة)

قبل الحسنة) ذلك بأنهم سألوا رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب
 استهزاء منهم (وقد خات من قبلهم الثلاث)
 أي مضت عقوبات أمثالهم من المكذبين؛
 أفلا يتعظون بها؟ (وإن ربك لذو مغفرة
 للناس) متى تابوا من ذنوبهم، ورجعوا إلى
 ربهم (على ظلمهم) أي مع ظلمهم أنفسهم
 بالذنوب. قيل: لأنها أرجى آية في كتاب الله
 تعالى! (وإن ربك لشديد العقاب) لمن ظلم
 نفسه بالذنب، ولم يقلع عنه، أو يتب منه.
 أو شديد العقاب للكافرين (الله يعلم ما تحمل
 كل أنثى) ذكرأ كان أو أنثى، شقياً أو
 سعيداً، بليداً أو رشيداً، مليحاً أو قبيحاً،
 طويلاً أو قصيراً (وما تغيص الأرحام) أي وما
 تنقص؛ وذلك بالقاء الجنين قبل تمامه (وما
 تزداد) بزيادة عدد الولد؛ فقد تلد الأنثى
 واحداً، أو اثنين، أو ثلاثاً، أو أربعاً (وكل
 شيء عنده بمقدار) بقدر وحكمة؛ حيث
 تتوفر المصلحة، وتعم النفعة؛ فترى الكون
 لا يضيق بساكنيه، ولا ينقطع رزقه تعالى
 عن خلقه! «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف
 الخبير» وتتجلى حكمة الحكيم العليم في حفظ
 التوازن بين تعداد السكان وحاجاتهم؛ فترى

والطواغين: تزداد نسبة المواليد عنها أيام السلام، والأمن، والدعة. وترى أيضاً نسبة الذكورة والأنوثة
 لا تكاد تتفاوت إلا بالمقدار الذي أبيض من أجله تعدد الزوجات.

وترى الطفل حين يولد: يدر له الثدي لبناً خائراً؛ يسمى اللبن. وهو خلو من المواد الغذائية؛ مع
 احتوائه على مواد مليئة؛ تساعد على تنظيف أمعاء الطفل، وإعداده للتغذية؛ وبعد ذلك يتطور اللبن؛
 كما وكيفا؛ وتزداد قيمته الغذائية بازدياد الطفل ونموه؛ فكلما كبر سنه: ازدادت المواد الغذائية تبعاً لحاجته
 إليها: فطنفي المواد الدهنية والسكرية، على المواد الزلالية والمليحة؛ كل هذا والمرضع هي لم تتغير،
 وغذاءها هو هو لم يتطور؛ ولكنه «صنع الله الذي أتقن كل شيء» .

= وترى شجر البواقي في فصل الشتاء ، وتوفر الرطوبة والأمطار : مجدبا فاجلا ؛ وفي فصل الصيف مع وجود الحرارة المحرقة ، وقلة المياه ، وانعدام الأمطار ؛ تراه مزدهراً يافعاً مكسواً بالورق ، فائضاً بالخضرة ؛ وما ذلك إلا ليستظل به من حرارة الشمس من أهنته أشعتها وأحرقته نيرانها ؛ مع أن الطبيعة تقتضى وجود الخضرة حيث يتوفر الماء والرطوبة ، ووجود الفحل حيث توجد الحرارة وتقل الأمطار ؛ فسبحان من « كل شيء عنده بمقدار » . وترى فاكهة الشتاء لاتصلح للصيف ، وفاكهة الصيف لاتصلح للشتاء ! (عالم

الجزء الثالث عشر

٢٩٨

الغيب والشهادة) ماغاب ، وماشوهده (سواء منكم من أسر القول) أخفاه عن الأسماع (ومن جهر به) لأنه تعالى عالم السر والتجوى ، و « يعلم السر وأخفى » (ومن هو مستخف بالليل) متوار عن الأنظار في ظلمة الليل ؛ بمعية الله تعالى (و) من هو (سارب بالنهار) ذاهب في سره ؛ أى في طريقه ؛ يصحى ربه جهرأ في ضوء النهار . لا يخفى على الله تعالى منهم شيء (له معقبات) ملائكة تعقب في المحافظة عليه ؛ وكتابة سيئاته وحسناته (من بين يديه) أمامه (محفظونه من أمر الله) أى من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظ حسناته وسيئاته (إن الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الطاعات (وما لهم من دونه من وال) بلى أمرهم ، ويدفع عنهم عذاب الله تعالى الذى أراده بهم (هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمأناً) خوفاً من عذابه ، وطمأناً في رحمته : خوفاً من نزول الصواعق ، وطمأناً في نزول المطر (وهم يجادلون في الله) في وجوده وقدرته: وينكرون إرساله محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ، وينكرون قدرته على بعث الخلائق وإعادتهم (وهو شديد المحال) أى شديد الكيد والقوة (له دعوة الحق) أى إن دعوته تعالى إلى معرفته ، وإلى اتباع دينه ؛ ملائسة للحق ، مجانبة للباطل

جَهْرُ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠٠﴾
لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَن يَبَدِّلَ أُمَّةً مَّا فَعَلَ مَرَدًّا لَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١٠١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَآنًا وَيُنزِلُ السَّحَابَ النِّقَالِ ﴿١٠٢﴾ وَسَبِّحْ الرَّعْدَ بِمَحْمَدِهِ وَالْمَلَائِكَةَ مِنْ خِيفَتِهِ وَرِيسِلِ الصَّوْعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٠٣﴾
لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ وَلَا كَيْبِطُ كَيْفِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَلْبِغُهُ وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٠٤﴾
وَاللَّهُ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا أَتَقَدَّرُ وَالْأَصَالِ ﴿١٠٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ

وَالْأَرْضِ

(والذين يدعون) يبدونهم (من دونه) غيره (لا يستجيبون لهم بشيء) لا يجيبونهم إلى شيء يطلبونه منهم (إلا كيباط كفيه إلى الماء) أى إلا كاستجابة الماء لمن يبسط كفيه له (يلبغ فاه وما هو بيلبغه) لأن الماء لا يقبل ولا يسمع ، ولا يحس . أو كمن يبسط كفيه ليحمل بهما الماء ليشرب ؛ فلا يستجيب له الماء ، ولا تحمله كفاه إليه بسبب بسطهما (وما دعاء الكافرين) عبادتهم (إلا في ضلال) ضياع لا منفعة فيه (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً) بالسيف والقتال (وظلالمهم) أى ويسجد له تعالى ظلال كل من في السموات والأرض (بالغدو والأصال) قيل : يسجد له تعالى ظل كل شيء قبل طلوع الشمس ، وفي العشى كذلك

(قل أفأخذتم من دونه) غيره (أولياء) أصناماً تعبدونها وتخصون لها (قل هل يستوى الأعمى والبصير) الكافر والمؤمن ، أو الضم الذي لا يرى ولا يسمع ، والله السميع البصير ! (أم هل تستوى الظلمات) الكفر والجهل (والنور) الإيمان والعلم . (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (فتشابه الخلق عليهم) خلق

٢٩٩

سورة الرعد

الله تعالى ، وخلق شركائه الذين أشركوهم معه تعالى في العبادة (أنزل من السماء ماءً فسالأت أودية بقدرها) بمقدارها ؛ الذي علم الله تعالى أنه صالح لها ، وغير ضار بها (فاحتل السيل زبداً) وهو ماعلا على وجه الماء من الرغوة والأفذار (رأياً) منتفخاً مرتفعاً على وجه السيل (ومما يوقدون عليه في النار) كالذهب والنضة (ابتغاء) مبتغين صنع (حلية أو متاع) من الحديد والنحاس والرصاص وأمثالها ؛ مما يتخذ منه الأواني ، ويتمتع به في السفر والحضر (زبد مثله) أى خبث لا يتنفع به ؛ كالزبد الذي فوق الماء (كذلك) أى مثل هذه الأمثال (يضرب الله الحق والباطل) أى يضرب أمثالا لها (فأما الزبد) الذى هو مثل للباطل (فيذهب جفاء) باطلا ، ملقى به (وأما ما ينفع الناس) من الماء النقي ، والجواهر ، والمعادن الخالصة الصافية ؛ ومى مثل للحق (فيمكث في الأرض) يمكث الماء الصافي: فتسقى منه الأناسى والأنعام ، وتسقى منه الأرض ؛ فتجود بالبركات والمخيرات . ويمكث المعدن النقي : فصنع منه الحلى ، والأوعية ، والآنية ، والآلات النافعة (للذين استجابوا لربهم) وآمنوا به ، وصدقوا رسله ، وعملوا بما في كتبه ؛ فأولئك لهم (الحسنى) الجنة (والذين) كفروا به تعالى ، و (لم يستجيبوا له) وعصوا رسله ؛ فأولئك

وَالْأَرْضُ قُلُّ اللَّهِ قُلُّ فَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا تَخْلُقُهُ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْقَهْرُ ۝ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۝ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَاءُ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝

(لو أن لهم مافي الأرض جميعاً) من مال وعقار (ومثله معه) أضعافاً مضاعفة (لاقتدوا به) أنفسهم يوم القيامة من عذاب الجحيم ! ويومئذ لا يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ! (أولئك لهم سوء الحساب) يأخذهم تعالى بذنوبهم جميعها فلا يقفر منها شيئاً (وبئس المهاد) بئس الفراش

(أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك) القرآن ويمتد أنه (الحق كمن هو أعمى) عن الحق؛ وهو الكافر (إنما يتذكر أولوا الألباب) أصحاب العقول (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) الذي واتقوا به الناس (انظر آية ١ من سورة المائدة و ٧٢ من سورة الأفعال) (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الأرحام، والقرابات، وغيرها (ومغشون بهم) يخافون غضبه وعقابه؛ فلا تصدر أعمالهم إلا بما رضيه وأمر به، ولا تعتقد نيّتهم إلا بما يحب (والذين صبروا) على الطاعات، وعن المعاصي (ابتغاء وجه ربهم) طلباً لمرضاته تعالى (وأقاموا الصلاة) أدوماً في أوقاتها (وأفقوا) في وجوه الخير والبر (سما رزقناهم سراً وعلانية) هذا وفضل الصدقة دائماً يكون في السر؛ حتى لا تعلم شماله ما فعلت يمينه؛ ببدأ عن الظاهر، وبراءة من الرياء؛ ويستحب فيها العلق: إذا قصد به اقتداء الغير؛ وترويضه على الإحراق. وقيل:

يستحب السر في الصدقة؛ والجهر في الفريضة (ويدراون) يدفون (بالحسنة السيئة) بأن يقابلوا الجهل بالعلم، والحق بالحلم، والأذى بالصبر، والظلم بالعرف، والقطع بالوصل؛ (أولئك لهم عقي الدار) العاقبة المحمودة للدينا في الدار الآخرة؛ وهي (جنات عدن) أي جنات الإقامة؛ من عدن بالمكان: إذا أقام فيه (والذين ينقضون عهد الله) يتركون أوامره ويففلون فرائضه، وينتهكون محارمه (من بعد ميثاقه) الذي واتقهم به؛ وهو العقل الذي وهبه لهم. والوفاء به: عدم الخروج عن جادة الحكمة والصواب؛ أو هو قوله تعالى «ألست بربكم قالوا بلى» (انظر آية ١٧٢ من سورة الأعراف) (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) من صلة الرحم، والإحسان للفقراء، وما شاكل ذلك من الأمور التي تميز بها

الجزء الثالث عشر

٣٠٠

* **أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ۗ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْفَوْنَ سُوءَ الْحِسَابِ ۗ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عِقَابُ الدَّارِ ۗ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۗ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ ۗ مَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۗ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۗ** اللَّهُ يَسِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ

وَفَرِحُوا

الإسنان عن الحيوان؛ فاذا ما قطعها: كان الحيوان أفضل منه وأعز وأكرم؛ (ويفسدون في الأرض) بالكفر والمصيان (أولئك لهم اللعنة) البعد والطرده من رحمة الله تعالى (ولهم سوء الدار) سوء العاقبة في الآخرة: جهنم يصلونها وبئس المصير؛ (الله ييسط الرزق) يوسع (لمن يشاء ويقدر) ويضيق على من يشاء. يعطى بغير حساب، ويعنع بغير أسباب؛ فقد يوسع على من يكره، ويضيق على من يحب؛ ويبتلى بالشر والخير؛ ليعلم الصابرين منهم والشاكرين

(وفرحوا) أى فرح الذين بسط الله تعالى لهم الرزق : فرح بطر ؛ لافرح غبطة وشكر. أو وفرح الكفار (بالحياة الدنيا) وما نالوه فيها ، وما اكتسبوه منها (وما الحياة الدنيا فى الآخرة) أى بجانب ما فى الآخرة من نعيم مقيم ، وهناء دائم (إلا متاع) شئ يتمتع به فترة من الزمن؛ وما له لى الفناء (ويقول الذين كفروا لولا) هلا (أنزل عليه) أى على محمد (آية) معجزة (من ربه) كما أنزل على من سبقه من الأنبياء ؛ كصا موسى ، وناقاة صالح ، وأشباهما ؛ وتاسوا آية الرسول العظمى ، ومعجزته الكبرى : القرآن الكريم الموحى إليه به بأمر ربه ، والمحفوظ أبد الدهر بمنايته وقدرته !

٣٠١

سورة الرعد

دامت لدينا ففقت كل معجزة

من النبيين إذ جاءت ولم تدم

(قل إن الله يضل من يشاء) لإضلاله ؛

لتمسكه بالكفر ، وإصراره على الظلم «ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء» (ويهدى إليه من أناب) من رجع إليه بقلبه . فالإنابة سابقة للهداية ؛ فكانت الهداية أجراً لها . كما أن الظلم سابق للإضلال ؛ فكان الإضلال عقوبة عليه (ألا يذكر الله) بطاعته ومرضاته (نظمن القلوب) تهدأ وترتاح إلى نوابه (طوبى لهم) الطوبى : الخير ، والحسن وقيل : لأنه اسم للجنة بالهندية (وحسن مأب) حسن مرجع (قد خلعت) قد مضت (وهم يكفرون بالرحمن) قل) إن ما تكفرون به (هورى لإله إلا هو عليه توكلت) فى أمورى كلها (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) أى لو صح أن قرأنا سير الجبال ويصدع الأرض ، وتسمعه الموتى : لكان هو هذا القرآن ؛ لكونه غاية فى الإنذار ، ونهاية فى التذكير (بل لله الأمر جميعاً) يدخل من يشاء فى

وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
إِلَّا مَتَاعٌ ۗ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ
مِّن رَّبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّا نَعْبُدُ اللَّهَ بِحَسْبِ بَيِّنَاتٍ لِّنَبِيِّهِ
مَنْ أَنَابَ ۗ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ
أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۗ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنَ مَّكَابٍ ۗ كَذَٰلِكَ
أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ
الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هَوْرِي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ۗ وَلَوْ أَنَّ
قُرْءَانًا سِيرَتْ بِهِنَّ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ
الْمَوْتَىٰ بَلَّ اللَّهُ الْأُمُورَ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ
كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ

رحمه ، وينعم على من يشاء بحجته ، ويصطنق من يشاء لرسالته ! (أفلم يأس) يعلم ؛ وهى لغة قوم من النخع (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً) بطريق الإلهام أو الإلزام ، والفسر والجبر ؛ ولكنه تعالى تركهم لاختيارهم واختبارهم (فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) أى بسبب كفرهم (قارعة) داهية تفجؤم ، وسميت «قارعة» لأنها تفرع القلب بأهوالها ؛ ولذا سميت القيامة بالقارعة (أو تحل) الداهية (قريباً من دارهم) فيفزعون منها ، ويتظاير عليهم شررها ، ويأجقهم ضرورها ؛ فلا يمتظون بها

(حتى يأتي وعد الله) موتهم ، أو القيامة ؛ فتحل حينئذ بالكافرين قارعة القوارع ، وداهية الدوامى ! (فأملت) أمهلت . والإملاء : طول العمر ، مع رغد العيش (ثم أخذتهم) بالعقوبة (أفن هو قائم) رقيب (على كل نفس بما كسبت) بما عملت فيجزئها عليه ؛ إن خيرا بغيره ، وإن شرا فشر ! (وجعلوا لله شركاء) في العبادة (قل سموم) أى عرفوم

لنا (أم بظاهر من القول) أى يباطل منه ، أو هو الكلام يلقي على عواهنه (بل زين للذين كفروا مكرهم) كيدهم للإسلام «زين لهم الشيطان أعمالهم» فكادوا للمؤمنين (وصدوا عن السبيل) منوا عن دينه تعالى (ومن يضل الله فاله من هاد) قال تعالى «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل ، والأسر ، وأنواع المحن ! (ولعذاب الآخرة أشق) وأقسى من عذاب الدنيا (ومالم من الله من واق) يقيم غضبه ويمنع عنهم عذابه (مثل الجنة التي وعد المتقون) أى صفتها : أنها (تجرى من تحتها الأنهار) أكلها دائم) أى ثمرها مستديم ؛ لا ينقطع (يايان (١) ، ولا يتمتع بأوان (وظلها) باق ؛ لا ينسخ بالشمس كظل الدنيا (تلك) الجنة ؛ وحالها كما وصفنا (عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) والنار عذابها دائم ، كدوام نعيم الجنة (والذين آتيناكم الكتاب) من مؤمنى اليهود والنصارى (يفرحون بما أنزل إليك) من القرآن ؛ لأن تصديقه نزل في كتبهم (ومن الأحزاب) المشركين ؛ الذين تحزبوا على النبي والمؤمنين بالمعاداة والمناهضة (من ينكر بعضه) أى بعض القرآن . قال

حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الۡبِعَادَ ﴿٣٠٢﴾
 وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلِ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ كَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٠٣﴾ أَفَن هُوَ قَائِمٌ
 عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُل سُبُوهُمْ
 أَمْ تُسَبِّحُونَهُمْ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْهَتُونَ مِنَ الْقَوْلِ
 بَلْ زِينٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ
 وَمَن يَضِللِ اللَّهُ فَآلَهُ مِّن هَادٍ ﴿٣٠٤﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ
 مِن وَّاقٍ ﴿٣٠٥﴾ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي
 مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا دَاخَمَ وَظَلَمَهَا نَبَأُكَ عُقْبَى الَّذِينَ
 اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٠٦﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
 الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن
 يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُل إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ

إِلَيْهِ

تعالى «أنتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» (قل) لهؤلاء المنكرين (إنما أمرت) في هذا القرآن الذى أنكرتموه (أن أعبد الله) وحده (ولا أشرك به) أحدا غيره ؛ فانكاركم للقرآن : إنكار للتوحيد

(إليه أَدْعُو) الناس لمعرفة عبادته (وإليه مَأْب) مرجى (وكذلك أُنزِلناه حكماً عربياً) لتقرأوه وتفهموه (ولئن اتبعت أهواءهم) دينهم الذى يدينون به وفق هوائهم (بعد ما جاءك من العلم) والبراهين الساطعة ، والحجج الدامغة (مالك من الله من ولي) ينصرك «من الله» (ولا واق) يقيك غضبه وعذابه .

هنا وكل ما جاء خطاباً للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ بلسان التهديد والوعيد: إنما أريد به أمته ؛ إذ أنه من المعلوم أن الله تعالى أرسل رسله لهداية الخلق ، وإبعادهم عن أهوائهم ؛ لا أن يتبعوا ضلال المضلين ،

وأهواء الكافرين ! (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك) كما أرسلناك (وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) نساء وأولاداً ؛ كما جعلنا لك (وما كان لرسول منهم (أن يأتي بأية) معجزة (إلا بإذن الله) بأمره وإرادته ؛ لا بإرادة الرسول ، ولا برغبة قومه واقتراحهم (لكل أجل كتاب) أى لكل شيء موقت بوقت : أجل مكتوب محدد ، أو لكل أجل من الأجل : وقت مكتوب لا يتعداه (يمحو الله ما يشاء) ينسخ ما يشاء نسخه (ويثبت ما يشاء لإثباته ؛ مكان الذى نسخ ، أو «يمحو» ذنب المذنبين إذا تابوا ، وكفر الكافرين إذا آمنوا «ويثبت» لهم الحسنات ، مكان السيئات .

والحو والإثبات : عام فى الرزق ، والأجل والسعادة ، والشقاوة . فقد أخرج ابن سعد وغيره ؛ عن الكلبي . أنه قال : يمحو الله تعالى من الرزق ويزيد فيه . ويمحو من الأجل ويزيد فيه . وقد ذهب شيخ الإسلام زكريا الأنصارى إلى صحة ذلك .

وقد ورد : أن الصدقة ، وبر الوالدين وصلة الرحم : تنسأ فى الأجل (١) .

وقد كان عمر رضى الله تعالى عنه يقول وهو يطوف بالبيت : اللهم إن كنت كتبت على شقوة أو ذنباً فأحبه ؛ واجعله سعادة ومغفرة ؛ فانك تحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب . حتى القضاء الأزل : يمكن حموه وتغييره ؛ أليس هو الفعل لما يريد ؟

وليس أدل على الحو والإثبات : مما جاء عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه فى القنوت ؛ فان فيه : «وقضى شر ما قضيت» ولا يتقلب الشر خيراً ؛ إلا بحموه وتغييره ، وإثبات الخير مكانه .

ولولا جواز الحو والتبديل ، وإمكانه : لأصبح الدماء لتوأ ، لا طائل وراءه ؛ وقد قال تعالى =

(١) تنسأ فى الأجل : أى تؤخره . والمعنى : أنها تطيل العمر .

إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابٍ ۖ وَكَذَلِكَ أُنزِلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۗ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝١٦ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝١٧ وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيكَ فَلَمَّا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۝١٨ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَلَّهِ بِتَحَوُّكِهَا لَمْعَ الْعَيْنِ ۝١٩ وَهُوَ مَرِيعٌ الْحِسَابِ ۝٢٠ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ ۝٢١ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كُنْتُ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

«ادعوني أستجب لكم» وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنها : لا يفتح الحفر من القدر ولكن الله تعالى يدعو بالدعاء ما يشاء من القدر (وعنده أم الكتاب) أصله الذى لا يتغير ؛ وهو علم الله تعالى الأزلى الذى لا يدركه نحو ، ولا تبديل ، ولا تغيير (انظر آية ٢٢ من سورة البروج) (ولما نرى نريك) (بعض الذى نعدم) من العذاب (أو توفيقك) قبل تعذيبهم (فإنما عليك البلاغ) أى ليس عليك إلا إبلاغهم بما أرسلت به (وعلىنا الحساب) مجازاتهم بما فعلوا حينما يصيرون إلينا (أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) أى أرض الكفار ؛ ننقصها بامتلاك المسلمين لها وفتحها ، أو المراد بالنقص : خرابها ، وهلاك علمائها وفقهائها ، وخيارها وساداتها . والأطراف لغة : الكرماء والأخيار (والله يحكم) بما يشاء (لامقب لحكمه) لا راد لحكمه (وقد مكر الذين من قبلهم) المكر : الكيد أى مكر الأمم المتقدمة ؛ فكفروا برسولهم ، وكادوا لهم ؛ كما كفر بك قومك ، وكادوا لك (فإنه المكر جميعاً) فيجازى الماكرين على مكرهم ، ويرد كيد الكاذبين في نحوهم (يعلم ماتكسب كل نفس) من خير أو شر ؛ فيجزئها عليه (وسيعلم الكفار لمن عقى الدار) أى العاقبة المحمودة فى الآخرة (قل كفى بالله شبيداً بيني وبينكم) بما أظهره من الأدلة والبراهين والآيات ، على صدق رسالى (ومن عنده علم الكتاب) أى علماء أهل الكتاب الذين أسلموا ؛ لأن صفة الرسول عليه الصلاة والسلام وفتحه جاء فى كتبهم (انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف) وقيل : المراد بمن عنده علم الكتاب : الله تعالى . وقيل : هو جبريل عليه السلام .

الجزء الثالث عشر ٣٠٤

وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ ﴿١٤﴾

(١٤) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّةٌ
الآيَاتُ ٢٨ وَ ٢٩ قَدْ نَبَّأْنَا
وَأَيَّاهَا ٥٢ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحْسِنُونَ
الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِبَلٰسَانٍ قَوْمِهِ ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾

(سورة إبراهيم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (كتاب أنزلناه إليك) هو القرآن الكريم (لتخرج) به (الناس من الظلمات إلى النور) من الكفر إلى الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (بإذن ربهم) بأمره وإرادته وتوفيقه (إلى صراط) طريق (وويل للكافرين من عذاب شديد) الويل : حلول الضر ، وقيل : لأنه واد في جهنم (الذين يستحسبون الدنيا) يختارونها ويفضلونها (على الآخرة) فيتمسكون بزخرف الدنيا ومتاعها الفانى الزائل ، ولا يؤمنون بما فى الآخرة من ثواب وعقاب (ويصدون عن سبيل الله) يمتنعون الناس عن الإسلام (ويبغونها عوجاً) معوجة (وما أرسلنا من رسول إلا لبلسان قومه ليعلم لهم) أى إنه لا يجوز لإرسال رسول أعمى لأمّة عربية ، كما لا يجوز لإرسال رسول عربى لأمّة =

ولقد

— أعمية ؛ لذا وجبت ترجمة القرآن لسائر اللغات (انظر توفية هذا البحث بكتابتنا «الفرقات») (فيضل الله) من يشاء إضلاله ؛ بعد أن يزجى له الآيات البينات ، ويضرب له الأمثال والخطب ، ويسوق له المعجزات والدلالات ؛ حتى إذا ما استمرأ عصبانته ، ولج في طغيانه ؛ وكله لى شيطانه ؛ فأضله وزاد في إضلاله ! قال تعالى «إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله» (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) من الكفر إلى الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (وذكرهم بأيام الله) أى أنذرهم بوقائمه التى وقعت للأمم الكافرة قبلهم ، أو ذكرهم بأيام نعمه عليهم ؛ من تظليل النعم ، وإنزال المن والسلوى ، وغير ذلك من النعم التى لا تحصى (إن فى ذلك) التذكير (لآيات) دلالات (لكل صبار) كثير الصبر على الطاعة وعن العصية (شكور) كثير الشكر لربه على ما أولاه ! (يسومونكم) من سامه خسفا ؛ إذا أولاه ظلما ودلا (سوء العذاب) أسوأه وأقبحه وأشدّه (ويستحيون نساءكم) يستحيونهن وقيل: يفعلون بهن ما يحل بالحياء (وفى ذلكم بلاء) عنة (وإذ تأذن) أعلم . وهى أيضا بمعنى «قال» وبها قرأ ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (لئن شكرتم لأزيدنكم) برا وخيرا (ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) عبر تعالى عن عدم الشكر بالكفر ؛ لما فيها من أوجه الشبه : فالكافر منكر للإله ، وهذا منكر لنعم الإله ؛ فكلاهما فى الكفر سواء ! وحقا إن من يعرف الإله وينكر نعمه ؛ لأشد كفرا ممن لا يعرفه أصلا ! جلنا الله تعالى من عباده الشاكرين ! (فان الله لفتى) عن سائر خلقه (حميد) محمود فى صنعه بهم (وعاد) قوم هود (وعمود) قوم صالح (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالآيات الظاهرات ، والحجج الواضحات (فردوا أيديهم فى أفواههم) أى عضوا أناملهم من شدة النيط . وقيل : ردوا أيديهم فى أفواه الرسل ؛ لينعمهم من الكلام

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِذْ كُرُوا بِغَمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ إِذْ أَنْجَمَكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْعُونَ أُنثَاءَ كُرٍ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُرٍ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٢﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ حَمِيدٌ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا مَعَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ ؕ وَإِنَّا لَنى شَكْرٍ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٥﴾

شدة النيط . وقيل : ردوا أيديهم فى أفواه الرسل ؛ لينعمهم من الكلام

* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِنِّي اللَّهُ شَكَ فَاظِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَدْعُوكَ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
 مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
 عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٥﴾ قَالَتْ
 لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ
 مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا
 لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ
 عَلَىٰ مَا نَدَّيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٧﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا
 أَوْ لَتَعْمَدُنَّ فِي مِلْنِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
 الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ
 لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿٣٩﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ

(قالت رسلمهم أنى الله شك فاطر السموات والأرض) خالقهما ومبدعهما (ويؤخركم) بلا حساب ولا عقاب (إلى أجل مسمى) وهو انتهاء آجالكم ، أو إلى قيام الساعة (تريدون أن تصدونا) تمنعونا (عما كان يعبد آباؤنا) من الأصنام (فأتونا بسطان مبين) بحجة واضحة ؛ تتسلط على عقولنا ؛ فنلزمنا بتصدقكم (ولكن الله يمين على من يشاء من عباده) بالإيمان والنبوة (وعلى الله) وحده (فليتوكل المؤمنون) فى سائر أمورهم (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (وما لنا ألا نتوكل على الله) وأى عنر لنا فى ألا نتوكل عليه ؟! ومن التوكل : الشكر عند الطاء ، والصبر عند البلاء (وقد هدانا سبلنا) هدى كلانا طريقه المستقيم ؛ الذى ارتضاه لنفسه ، واختاره الله تعالى له (فأوحى إليهم ربهم) أى أوحى إلى الرسل (لنهلكن الظالمين) الكافرين الطاغين (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) أى أرض الظالمين وديارهم . وقد ورد «من أدى جاره ، ورثه الله داره» (ذلك) النصر على الأعداء ، وإبراث الأرض (لمن خاف مقامى) أى خاف قيامه بين يدى للحساب يوم القيامة ، أو «خاف»

قيامى عليه ، ومراقبى له ؛ قال تعالى «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت» (وخاف وعيد) أى خاف عذابى الذى أوعدت به فى القرآن (واستفتحوا) أى طلب المؤمنون النصر من الله تعالى (وخاب) ذل وخسر

(كل جبار عنيد) متكبر ، بجانب للحق (من ورائه) أى بعد انقضاء حياة (جهنم) يصلها (ويسقى) فيها (من ماء صديد) هو ما يسيل من جوف أهل النار من القيح والدم ! (يتجرعه) يتلهمه (ولا يكاد يسغه) يزدرده لرداءته وقبحه (وبأبيه الموت من كل مكان وما هو بميت) أى يأتيه أنواع العذاب المقتضية للهلاك ، المفضية للموت ؛ ولكن الله تعالى يمد في حياته ؛ ليزيد في تألمه وتحسره (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم) أى صفة الأعمال الصالحة ؛ التي يعملها الذين

كفروا بربهم ؛ كالصدقة ، وحسن الجوار ، وصلة الرحم ؛ فهذه الأعمال صفتها (كراماد) اشتدت به الريح في يوم عاصف) أى يوم شديد هبوب الريح ، وكل مائل عن غرضه ؛ فهو «عاصف» قال تعالى «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً» وذلك بالنسبة لأجر الآخرة ، أما في الدنيا فيجزون على أعمالهم هذه فيها «ولا يظلم ربك أحداً» (لا يقدرُونَ مما كسبوا) عملوا في الدنيا (على شيء) أى لا يقدرُونَ على نيل ثوابه في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) العذاب والهلاك الكبير (وبرزوا لله) أى ظهرت الخلائق (جميعاً) وبرزت لله تعالى من قبورها (فقال الضعفاء) الأبناء (للذين استكبروا) السادة والرؤساء (إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا) دافعون عنا (من عذاب الله من شيء قالوا) أى الرؤساء المشركون (لو هدانا الله) إلى الإيمان (لهديناكم) إليه ، أو «لو هدانا» لما تدفع به عذابه «لهديناكم» إليه . وفاتهم أنه تعالى هداهم للإيمان فأبوا ، وأرشدهم سواء السبيل فصوا ! قال تعالى «وهديناه النجدين» وقال جل شأنه «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى» (سواء علينا) الآن (أجرعنا) الجزع : ضد

كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٌ ﴿١٤﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيَسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٥﴾ يَجْرَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ ۖ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٦﴾ مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كِرَامًا اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا بِنُفُسِكُمْ وَبِأَنفِ بَنِي آدَمَ جَدِيدٌ ﴿١٨﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٩﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنْهُ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحْجِصٍ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَ أَقْبَضَىٰ الْأُمُورَ ۖ إِنَّ اللَّهَ وَعَدُّكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ ۖ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ

الصدر (أم صبرنا) على ما نحن فيه من العذاب (ما لنا من محيص) منجى ومهرب (وقال الشيطان لما قضي الأمر) أى فرغ من الحساب ، ودخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار (إن الله وعدهم وعدهم الحق) بأن قال : من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني دخل النار ؛ فوفى بما وعد ؛ وما قد دخنتم النار بصبيانكم ، ودخل أهل الجنة الجنة بطاعتهم (ووعدناكم) بأن لا بعث ، ولا حساب ، ولا جزاء (فأخلفناكم) كذبكم (وما كان لي عليكم من سلطان) تسلط وقوة ؛ حتى ألزمتكم بالمصيان ، وأكرهكم على الكفر

(إلا أن دعوتكم) للكفر والعصيان (فاستجبتم لي) أجبتم ندائي ؛ بغير تعقل أو روية (فلا تلوموني) الآن (ولوموا أنفسكم) على تفلحكم وعدم حرصكم (ما أنا بمصرحكم) بعينكم . أي بمجيب صراخكم (إني كفرت بما أشركتمون من قبل) أي بأشراككم ليأي مع الله في الطاعة والعبادة (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة) هي كلمة التوحيد ، أو هي كل كلمة طيبة يقولها الإنسان لأخيه الإنسان ؛ تهدي من روعه ، وتزيد في حبه ! قال تعالى : «وقولوا للناس حسناً» فهذه الكلمة الطيبة ينمينا الله تعالى ويصلى أجزها وجزاءها (كشجرة طيبة) أي طيبة الظل والثمر . قيل : هي الخلة . والمقصود بها : كل شجرة وارفة الظلال ، مفضة الثمار (تؤتي أكلها كل حين) أي تجود بثمرها لآكله في كل وقت . وهو مثل للكلمة الطيبة ومانتجة من طيب الأثر ، وياغ الثمر (ومثل كلمة خبيثة) هي كلمة الكفر ، أو كل كلمة رديئة بذية ؛ ترك أثراً سيئاً في النفوس ، وضئاً كامناً في القلوب (كشجرة خبيثة) منظرها كرهه ، وطعمها ردى . قيل : هي الحنظل . وقصد بها كل شجرة سيئة المنظر والخبير (اجتنت) استؤصلت (مالها من قرار) ثبات (بئس الله الذين آمنوا بالقول الثابت) كلمة التوحيد (في الحياة الدنيا) بأن ينطقه الله تعالى بها عند موته ، وعند سؤاله في القبر (وفي الآخرة) بأن يشهد بها وقت الحساب ، فينجو من العقاب (ويضل الله الظالمين) الكافرين ؛ فالكفر سابق على الإضلال «وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم» وإنما يضلهم بعد إصرارهم على الكفران

٣٠٨

الجزء الثالث عشر

مِنْ سُلْطٰنٍ اِلَّا اَنْ دَعَوْتُمْ فَاَسْتَجِبْتُمْ لِي فَلَا تَلُوْمُوْنِي
 وَاَلُوْمُوْا اَنْفُسَكُمْ مَا اَنَا بِمُصْرِحِكُمْ بِعَيْنِكُمْ اِلٰى
 كَفَرْتُمْ بِمَا اَشْرَكْتُمْ مِّنْ قَبْلُ اِنَّ الظَّالِمِيْنَ لَهُمْ عَذَابٌ
 اَلِيْمٌ ﴿٣٠٨﴾ وَاَدْخَلَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحٰتِ جَنَّٰتٍ
 تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا بِاِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ
 فِيْهَا سَلٰمٌ ﴿٣٠٩﴾ اَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
 كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ ﴿٣١٠﴾ تُؤْتِي
 اَكْلًا كُلَّ حِيْنَ بِاِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ لِلنَّاسِ
 لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ ﴿٣١١﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيْثَةٍ
 اَجْتَنَّتْ مِّنْ فَوْقِ الْاَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٣١٢﴾ يَثْبُتُ
 اللّٰهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي
 الْاٰخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّٰهُ الظَّالِمِيْنَ وَيَفْعَلُ اللّٰهُ لِمَا يَشَاءُ ﴿٣١٣﴾
 * اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ بَدَلُوْا نِعْمَتَ اللّٰهِ كُفْرًا وَاَحْلَوْا قَوْمَهُمْ

دار

وتعرفهم في أحوال العصيان ، ورفضهم الحجج والدلالات ، والآيات البينات ! قال تعالى «إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله» (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) أي كفروا بالنعمة ولم يشكروا عليها : فقد خلقهم تعالى ليؤمنوا به : فأنكروا وجوده ، وأصعبهم لطبعوه : فعبدوا غيره ، وأفانس عليهم من نعمائه ليشكروه : فكفروا به ! وبذلك بدلوا نعمة الله عليهم كفراً به ! وقيل : المراد بالنعمة في هذه الآية : الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ وأكرم به من نعمة ما أعظمها وأجلها ! يؤيد ذلك قوله تعالى (وأحلوا قومهم

دار البوار) لأن قومهم لما رأوا كفرهم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتكذيبهم له : اتبعوهم على ذلك . و«دار البوار» دار الهلاك (جنهم يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) المقر (وجعلوا لله أنداداً) أمثالا (ليضلوا) الناس (عن سبيله) دينه (قل تمتعوا) في الدنيا مدة حياتكم (فان مصيركم إلى النار) يوم القيامة (قل) أمر صادر ممن بيده مقاليد السموات والأرض ، ومن بيده الموت والحياة والنشور ؛ لرسوله وصفيه ، وخيرته من خلقه ؛ يقول له «قل» يا محمد (لعبادي الذين آمنوا) بوحدايتي ورسالتك (يقبموا الصلاة) يؤدوها في أوقاتها (ونفقوا) على الفقراء (مما رزقناهم) بفضلنا ؛ لا بكدكم وجهدكم ؛ فكبر

دَارَ الْبَوَارِ ﴿١٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُونَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿١٩﴾
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ
 مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٢٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا
 الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِمَّا قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
 يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْتَلَى ﴿٢١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
 رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ
 وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٢٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ﴿٢٣﴾
 وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٢٤﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ
 وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفُورٌ ﴿٢٥﴾
 كَفَّارٌ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا
 وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٢٧﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ
 كَثِيرًا مِمَّنْ النَّاسِ قَدْ نَبِغِي فَلَهُنَّ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي

من ساع - يتصب عرقه ، وينهال دمه
 ودمه - في سبيل العيش ؛ فلا يحصل على قوته
 يومه . وكم من قاعد أقتله النعمة ؛ والأرزاق
 عليه تترى من حيث لا يحتسب . وكم من مناد
 على سلعته ؛ حتى جف لسانه ، ونضب ريقه ؛
 فاستزداد سلعته بندائه لإلإ بواراً ، ولا يزداد
 بتعبه إلا خساراً ! وكم من جالس على أريكته ،
 لا يظن عن بضاعته ، ولا يدعو لإليها ،
 ولا يظن في مدحها : والمشترون من حوله
 كالذباب : يجمون حول بضاعته الزجاجة ،
 ويتساقون في شرائها ، ويتراحمون على
 اقتنائها . ومن هنا يصدق قول الحكيم
 العليم : «إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين»
 فكيف لاتنق مما رزقك مولاك أيها المسكين ؟
 (سراً) إذا كان في ذلك كبحاً لجح غرورك
 وطرذاً لشیطان رياتك ، وسراً للفقير ، وحفظاً
 لماء وجهه ! (وعلانية) إذا كان في ذلك تعليماً
 للمنفقين ، وحثاً للمسكين ! وحثار - رحك
 الله - من الرياء والإيذاء ؛ ف«قول معروف
 ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى» (من قبل
 أن يأتي يوم) هو يوم القيامة (لا يبيع فيه)
 كمال الدنيا : بيع وشراء ، وأخذ وعطاء .
 فليراع الله تعالى في بيعه وشرائه : لينفعه ذلك

في يوم جزائه (ولا خلال) ولا صداقة . فليراع في الدنيا من يصادق ؛ فلا يخال فيها إلا في الله والله أ
 أو المراد «لا يبيع فيه» لا عدل ولا فدية ؛ فلا يستطيع المذنب أن يستبدل ذنبه ، أو يفتدى نفسه بملء
 الأرض ذهباً «ولا خلال» أي ولا صديق ينفع في ذلك اليوم ، أو يدفع عذاب الله تعالى ! (وسخر لكم
 الشمس والقمر دائبين) دائمين لا يفتران ، ولا يقف أحدهما عن الدوران (وأتاكم من كل ما سألتموه) أي
 وأعطاكم من كل ما رغبت فيه . وقد جرت عادة تعالى أن يعطي عباده ما يسألون ، وفوق ما يسألون (وإن
 تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وكيف نحصى أنعمه التي لاتنتهي ؟! أنحصى نعمة السمع والابصار ؟ أم نعمة الشم
 والنوق ؟ أم نعمة الرزق والطعام ؟ أم نعمة الماء والهواء ؟ أم نعمة الإيمان والإسلام ؛ التي لاتعادها نعمة ؟ =

== حقا إن الإنسان لو حاول الإحصاء والمحصر : لضاقت ذرعا ؛ ولما وسعه إلا أن يقول : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (إن الإنسان لظلوم) كثير الظلم لنفسه ؛ لعدم شكر ربه على نعمه ! (كفار) كثير الكفر ، قليل الشكر ! جاء في الحديث القدسي « أخلق فيعبد غيري ، وأرزق فيشكر غيري » (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) البلد : مكة ؛ زادها الله تعالى شرفا وأمنا ! (واجنبي وبني أن نعبد الأصنام) وقد استجاب الله تعالى لابراهيم دعوته : فلم يعبد أحد من ولده صنما قط ! (رب لهنن) أي الأصنام

الجزء الثالث عشر

٣١٠

(أضللن كثيرا من الناس فمن تعبدن) منهم (فانه مني) أي شأنه كشأنني . وذلك كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « ليس منا من ظم الحدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوة الجاهلية » (ومن عصاني) فلم يؤمن بك ، ولم يستجب لدعوتك . (فانك غفور) لذنوب المذنبين ؛ بفضلك ! (رحيم) بعبادك تغفر لمن تشاء منهم ، وتغفو عن من تشاء ! قال نبى الله عيسى ابن مريم صلوات الله تعالى وسلامه عليهما : « إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » (رب لى أسكتت من ذريتي) زوجه هاجر وولده اسماعيل (بواد غير ذى زرع) مكة شرفها الله تعالى (فاجعل أئمة من الناس تهوى إليهم) لو قال عليه الصلاة والسلام : فاجعل أئمة الناس تهوى إليهم ؛ بغير « من » لما بقى على ظهر الأرض لإنسان إلا وذهب إليهم قبله ولبه ! (انظر آية ٦٠ من سورة غافر) (وارزقهم من الثمرات) وقد استجاب الله تعالى لابراهيم دعاه ؛ فغلبت لهم الثمار من سائر الأقطار ؛ وقد لا يتذوقها جانبا قبل أن يتذوقها هم ؛ فانظر يا أخى حكمة الحكيم العليم ! وبعد أن دعا ابراهيم ربه بما شاء : ختم دعاه بمحمد على نعامته (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر) بعد أن بئست من القوة والولد « وهب لى » (اسماعيل) جد نبينا

فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١٠﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادِ
غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ
الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَسْكُرُونَ ﴿٣١١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ
مَا نُحْيِي وَمَا نَعْتَمِدُ وَمَا نَحْتَجُّ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَإِنِّي
وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ ﴿٣١٢﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى
الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣١٣﴾
رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَاءَ ﴿٣١٤﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ ﴿٣١٥﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ
إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٣١٦﴾
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ
هَوَاتٍ ﴿٣١٧﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَا تَهُمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ

الَّذِينَ

عليهم الصلاة والسلام (واسحق) بعد اسماعيل (إن ربى لسميع الدعاء) لمن دعاه مؤمناً به ، موقناً بأجابته ! (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) أيضاً اجعلهم مقيمي الصلاة . وهى خير دعوة يدعوها المؤمن ؛ فلا أحب له ، ولا أضع ، ولا أصلح من أن يكون مقياً للصلاة هو وذريته (ربنا وتقبل دعاء) من آداب الدعاء : أن يدعو الانسان ربه بقبول دعائه ، وأن يكون متيقناً بالإجابة ؛ وإلا فهو شاك في قبرة ربه القادر على كل شئ ! (ولا تحسبن) يا محمد أن (الله غافلاً عما يعمل الظالمون) لسكوته عليهم ، وإغفاله لهم (إنما يؤخرهم) في التعذيب والانتقام (ليوم تشخص فيه الأبصار) شخص بصره : إذا فتح عينيه من غير أن يظرف ؛ وهذا لشدة ذهولهم ورعبهم (مهطعين) ماضى أعناقهم ، أو مسرعين (مقنى رؤسهم) رافعياً ==

= (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يعضون أعينهم : لشدة ما يرون من الهول ! (وأفئدتهم) قلوبهم (هواء) خالية من التفكير لكثرة فرعهم (فيقول الذين ظلموا) كفروا (ربنا أخرجنا) أى زدنا إلى الدنيا وأهلنا (إلى أجل قريب نجب دعوتك) التى دعوتنا إليها ، فلم نستجب لها (وتنبيح الرسل) الذين أرسلتهم لنا فكذبناهم ؛ فنقول لهم ملائكة الرحمن (أولم تكونوا أقمتم من قبل مالكم من زوال) أى حلفتم أنكم إذا تم : لا تزالون عن تلك الحالة ، ولا تنتقلون إلى

دار أخرى ، وحياة أخرى . وذلك كقوله تعالى «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من موت» (انظر مبحث التعطيل بآخر الكتاب) (وقد مكروا مكرمهم وعند الله مكرمهم) أى هو عالم بما يخفونه من النمر ، وما يضمرونه من سوء والأذى للمؤمنين ؛ فيجازيهم عليه (وإن كان مكرمهم لتزل منه الجبال) أى وإن كان مكرمهم شديداً عظيماً ؛ تبلغ قوته أن تزول منه الجبال ؛ فان الله تعالى قادر على إبطاله وعوه ، ومقابلته بمكر هو أشد وأقوى منه «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين» وقيل : «ولات» بمعنى ما ؛ أى وما كان مكرمهم لضغفه وهوانه «لتزل منه الجبال» وقرأ أبو وابن مسعود وغيرها «وإن كاد» ومعنى هذه القراءة : لقد عظم مكرمهم حتى كادت الجبال أن تزول منه (فلا تحسبن الله مخلف وعده رساله) ما وعدهم به من النصر ، ونزول العذاب بالمكذبين (إن الله عزيز) قوى ، غالب (ذو انتقام) ممن عاداه (وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد) أى مسلسلين فى الأغلال ؛ وقد قرنت أيديهم إلى أرجلهم ، أو قرن كل مجرم مع نظيره وشبيهه فى الكفر والإجرام ؛ كما يفعل مجرى أهل الدنيا

(سرايلهم) ملايهم (وتعشى وجوههم النار) تعلموها وتظليها (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) ما عملت فى الدنيا (إن الله سريع الحساب) يحاسب الملائق جميعاً فى أسرع من لمح البصر (هذا) القرآن (بلاغ للناس ولينذروا به) أى أنزل لتبليغهم أوامر ربهم وموجدهم ، ولإنذارهم بغضبه على من يخالفه ، وعقابه لمن يكفر به ! (وليدكر) ليتذكر به (أولوا الألباب) ذووا العقول .

الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبُ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعُ أَرْسُلَهُ أَوْ لَوْلَا تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ زَوَالٍ ۗ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ۗ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۗ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مَخْلُوفًا وَعَدِيهِ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۗ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۗ وَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۗ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ تَعْشَىٰ وَجُوهَهُمْ آتِنَارٌ ۗ لِيَجْزَى اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۗ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُكَ وَحْدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ

سورة الحجر مكية

الا آية ٨٧ فمدنية
وأياتها ٩٩ نزلت بعد سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُوَّةً أَنْ يُبَيِّنَ ۝ رُبَّمَا
يُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَسْتَمْتَعُوا وَيَلْبَسُهُمْ الِأْمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا
أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ إِلَّا وَهَلًا كِبَابٌ مَعْلُومٌ ۝ مَا نَسْفِقُ
مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا نَسْتَفْخِرُونَ ۝ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي
نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَوْ مَا تَأْتِيْنَا بِالْمَلَكَةِ
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا نَنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ

الأوليين

(سورة الحجر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(ربما) بتخفيف الباء وتشديدها ؛ وقرىء
بهما (يود) يتنى (الذين كفروا) حين
يروا العذاب يوم القيامة (لو كانوا مسلمين)
أى لو كانوا أسلموا في الدنيا ، ونجوا من هول
هذا العذاب (ذرم) دعهم واركهم (ياكلوا)
كما تأكل الأنعام (ويستمتعوا) يذنيام الفانية
(ويلبسهم) يشغلهم عن الإيمان بربهم ، وعن
الاهتمام بأخرتهم (الأملة) في طول الحياة ،
وجمع المال (فسوف يعلمون) تهديد ووعيد ؛
أى سوف يعلمون مايجل بهم في الآخرة ؛ من
عذاب أليم مقيم ! (وما أهلكنا من قرية)
من القرى الظالمة (إلا وهلا كتاب معلوم)
أجل محدود لإهلاكلها (ماسبق من أمة أجلها)
الذى حدد لهلاكلها (وما يستأخرون) عنه ؛
بل ينزل بها الدمار في الوقت الذى حدده الله

لها (وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر) القرآن (إنك لمجنون) يعنون بذلك سيد العقلاء محمداً صلى الله
تعالى عليه وسلم (لوما) هلا (تأتينا بالملائكة) فترام عياناً ؛ يشهدون بصدقك ، وأن القرآن قد نزل
عليك من عند الله . أو هلا تأتينا بالملائكة بالعذاب على تكذيبنا لك ؟ قال تعالى رداً عليهم (مانزل الملأكة
إلا بالحق) أى إلا بالعذاب الحق ؛ الذى يستحقونه (وما كانوا إذا منظرين) أى وما كانوا عند نزول
الملأكة - إذا أنزلناهم بالعذاب - مؤخرين ؛ بل يجمل بهم بقعة (إننا نحن نزلنا الذكر) القرآن (وإننا له لحافظون)
طول العمر ، وأيد الدهر ؛ لا يعتره تفتير أو تبدل ، ولا يشوبه تصحيف أو تحريف ، ولا تدركه زيادة
أو نقصان (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين) أى في فرق المتقدمين

(كذلك نسله) ندخله ؛ أى القرآن ، لا الكفران كما ذهب إليه أكثر المفسرين (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) (في قلوب المجرمين) الكافرين (لا يؤمنون به وقد خلت) مضت (سنة الأولين) أى سنة الله تعالى فيهم ، وعادته معهم ؛ من تعذيبهم بتكذيبهم ، واستئصالهم بظفانهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) يرونه بأعينهم (فظلوا فيه) أى في هذا الباب (يعرجون) يصعدون (لقالوا إنما سكرت) حيرت ، أو حسبت (أبصارنا) عن الإبصار (ولقد جعلنا في السماء بروجا) هى منازل الكواكب السيارة ؛

٣١٣

سورة الحجر

وهى اثنا عشر: الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدى ، والدلو ، والحوت . والكواكب السيارة سبعة : المریخ : وله من البروج الحمل والعقرب . والزهرة : ولها الثور والميزان . وعطارد : وله الجوزاء والسنبلة . والقمر : وله السرطان .

والشمس : ولها الأسد . والمشتري : وله القوس والحوت . وزحل : وله الجدى والدلو

(وحفظناها) أى حفظنا السموات (من كل شيطان رجيم) مرجوم ، أو ملعون (إلا من استرق السمع) من هؤلاء الشياطين (فأتبعه شهاب مبين) شعلة من نار ؛ تحرق كل ما تمسه كالصاعقة (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي) جبالا ثوابت (وأنبثنا فيها من كل شئ موزون) بميزان الحكمة : كتناسب

العناصر فى الخضر والفاكهة وغيرها ؛ مما يحيد العقول ، ويدهش الأفكار ؛ أو «موزون» بميزان التقدير ؛ فلا يزيد على حاجة الخلق ولا ينقص «وما ننزله إلا بقدر معلوم» أو «وأنبثنا فيها» أى فى الجبال «من كل شئ موزون» مما يوزن من المعادن : كالذهب ، والفضة ، والنحاس ، والرصاص ، وماشا كل ذلك (وجعلنا لكم فيها معايش) أى أسباب

العيش : من المظومات والمشروبات (ومن لستم له برازقين) أى وجعلنا لكم من العيال ، والماليك ، والأنعام ؛ من لستم له برازقين ؛ لأننا نخلق طعامهم وشرايهم لا أنتم (ولان من شئ) وما من شئ : قل أو جل ، دق أو رق (إلا عندنا خزائنه) التى تنفق منها (وما ننزله) للخلق (إلا بقدر معلوم) حسب حاجتهم إليه ، وحسب مشيقتنا وإرادتنا بالتوسعة على البعض ، والتضييق على الآخرين . وقد يوسع الله تعالى على العاصين ، ويضيق على المتقين ؛ لحكمة يعلمها ، وغرض يريد إفضاءه : ابتلاء بعض خلقه ، وإملاء لآخرين «وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال» (وأرسلنا الرياح لواقح) أى حوامل بالسحاب ؛ لأنها تحملها فى جوفها ، ولأن الرياح تلقح

النبات والأشجار ؛ فتنتل من ذكرها لأثائها «فتبارك الله أحسن الخالقين» !

الْأُولَئِينَ ﴿٣١٣﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣١٤﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣١٥﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأُولَئِينَ ﴿٣١٦﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُوا فِيهِ يَعْرجُونَ ﴿٣١٧﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سَكِرَاتُ أَبْصَارِنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿٣١٨﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاطِقِينَ ﴿٣١٩﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٣٢٠﴾ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿٣٢١﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَثْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿٣٢٢﴾ وَجَعَلْنَا لَكَ فِيهَا مَعْيِشًا وَمَنْ نَسْتَمُ لَهُ بُرُوزِينَ ﴿٣٢٣﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهِ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿٣٢٤﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَاتْرَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَافِينَ ﴿٣٢٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ

النبات والأشجار ؛ فتنتل من ذكرها لأثائها «فتبارك الله أحسن الخالقين» !

مُحْيٍ، وَمُيْتٍ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ
 مِنْكَ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْرِرِينَ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ
 بِحَشْرِهِمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
 مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَنْسُونٍ ﴿٣٧﴾ وَالْحَمْدُ خَلَقْتَهُ
 مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٣٨﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ
 إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَنْسُونٍ ﴿٣٩﴾ فإِذَا
 سَوَّيْتَهُ، وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَجِدِينَ ﴿٤٠﴾
 فَسَجِدَ الْمَلَكَةَ كُلَّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِي
 أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّجِدِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ يَا بَلِيسَ مَا لَكَ
 الْأَنْتَ كُونَ مَعَ السَّجِدِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ
 خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَنْسُونٍ ﴿٤٤﴾ قَالَ فَاتَّخِذْ مِنْهَا
 فِئْتًا رَجِيمًا ﴿٤٥﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾
 قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٤٧﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ

الْمُنْظَرِينَ

لم أكن لأسجد لبشر) أقل مرتبة مني ؛ إذ (خلقت من صلصال) طين يابس ؛ تسمع له صلصلة إذا ضرب
 عليه (من حمى مسنون) طين أسود متغير ؛ وقد خلقتني من نار ؛ والنار أفضل من الطين ! (قال) تعالى
 (فاخرج منها) أي من الجنة ؛ فلست أهلا للبقاء في النعيم (فانك رجييم) مطرود (وان عليك اللعنة إلى
 يوم الدين) يوم الجزاء : يوم القيامة (قال رب فأظنني) أخرني وأمهلني (قال فانك من المنظرين) المؤخرين

(ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
 المستأخرين) أي قد أحطنا بالخلق علماً من لدن
 آدم إلى قيام الساعة (ولقد خلقنا الإنسان من
 صلصال) طين يابس ؛ تسمع له صلصلة إذا
 ضرب عليه (من حمى) طين أسود (مسنون)
 متغير متين (والجان خلقناه من قبل من نار
 السموم) هي نار لادخان لها ؛ تفذ من الماسم،
 وتسرى مع الريح (فاذا سويته) أعمت خلقته
 (فقعوا له ساجدين) ذهب الأكثرون إلى
 أنه سجدوا تحية بالانحناء فحسب ؛ وبأبي ذلك
 قوله تعالى «فقعوا» لأنه أمر بالوقوع متلبسين
 بالسجود، وذهب بعضهم إلى أنه امتحان
 للملائكة ، واختبار لطاعتهم ؛ لأنهم - بلاشك -
 نوع أرقى من النوع الإنساني ؛ وليثبت تعالى
 للملائكة حسن طاعتهم ، ومزيد انقيادهم ؛ وأنهم
 «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»
 (انظر آية ٢٢ من سورة التكوير) (قال) الله
 تعالى مخاطباً لإبليس اللعين ؛ ليقطع الشك باليقين
 أمام سائر المخلوطين ؛ قال (يا إبليس مالك ألا
 تكون مع الساجدين) الذين سجدوا إطاعة
 لأمرى ، وتنفيذاً لقضائي ! فابتدأ اللعين ، في
 مجادلة رب العالمين ، وأحكم الحاكمين ! (قال)

(إلى يوم الوقت المعلوم) يوم القيامة . من هنا نعلم أن الله تعالى قد يستجيب للظالم - لحكمة قدرها وعلمها - امتحاناً به لغيره ، وابتلاءً لبعض مخلوقاته (قال رب بما أغويتني) لقن اللعين حجة لأوليائه الملائع ؛ وهي أن الإغواء جاءه من أحكم الحاكمين ؛ فقال لربه : بحق إغوائك لي ؛ في حين أن ربه لم يفوه ؛ وإنما غوى هو بنفسه ، وأغوى غيره ! وقد جرت سنة الله تعالى في خلقته أن يضل الضالين ، ويهدي المهتدين « قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً » وما كان الله ليضل قوماً بهد إذ هدام» (قال) الله تعالى (هذا صراط على مستقيم . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) أى هذا طريق مستقيم ، على أت أراعيه : وهو ألا يكون لك قوة ولا تسلط على عبادي المخلصين (إلا من اتبعك من العاوين) الكافرين «الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» (وات جهنم لموعدهم أجمعين) أى إن جهنم لموعدهم لمن اتبعك (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) (إن المتقين في جنات وعيون) (وإذ أدخلوها بسلم آمنين) (وزرعنا ما في صدورهم من غل إخنونا على سرر مثقلين) (لا يمسمهم فيها نصب) وما هم منها بمخرجين) * نبي عبادي أتى أنا

الْمُنظَرِينَ ﴿٣١﴾ إِلَيْكَ يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَعْرَبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٣﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٧﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٣٨﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٣٩﴾ أَذْخَلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٠﴾ وَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْتُونًا عَلَيَّ سُرُرٍ مُثْقَلِينَ ﴿٤١﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٢﴾ * نَبِيَّ عِبَادِي أَتَى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٤٤﴾ وَنَبِيَّهُمْ عَنْ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ ﴿٤٥﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا

الآبدن ، ودهر الدهارين (نبي عبادي أتى أنا الغفور) للتائبين المستغفرين (الرحيم) بالمؤمنين الطالحين ! (وأن عذابي) للكافرين والعاوين (هو العذاب الأليم) المؤلم (ونبيهم) أخبر قومك يا محمد (عن ضيف إبراهيم) من الملائكة (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال) بعد أن رد عليهم السلام (إننا منكم وجلون) خائفون وذلك لأنه رآهم لا يأكلون من طعامه الذي قدمه إليهم (قالوا لا توجل) لا تخف

(إنا نبشرك بغلام عليك) ذى علم كثير؛ وهو اسحق عليه السلام (قال أبشركموني) بالغلام (على أن مسنى الكبر) أى بعد أن كبرت، ولم أجد صالحاً لإنجاب الولد (فيم تبشرون) بعد ذلك (قالوا بشركنا بالحق)

الجزء الرابع عشر

٣١٦

أى بما سيقع حتماً، ويكون حقاً (فلا تكن من القاطنين) الآيسين (قال) معاذ الله أن أقط من وعده ورحته (ومن يقطع من رحمة ربه لا الضالون) ولست منهم (قال فما خطبكم) ما شأنكم (أيها المرسلون) ولأى شيء جئتم (قالوا إنا أرسلنا لى قوم مجرمين) قوم لوط؛ لنزل عليهم العذاب بأمر رب العالمين (إلا آل لوط) أهله من المؤمنين، ومن آمن به من قومه (إنا لنجوهم أجمعين) من العذاب (إلا امرأته قدرنا لى لمن الغابرين) الباقين فى العذاب (فلما جاء آل لوط المرسلون) من الملائكة الذين بشروا إبراهيم بغلام عليه (قال) لوط (إنكم قوم منكرون) أى لا أعرفكم؛ وقد أنكرتم لوط؛ لأنه رأى فى زى نظيف لا يتفق وحال المسافر؛ وليسوا ممن يعرف من أهل قريته (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى بالعذاب الذى كان قومك يشكون فى مجيئه (فأسر) أى سر لىلا (يقطع من الليل) بطائفة من الليل، أو ببقية منه، أو بمنتصف الليل (واتبع أديارهم) أى امش خلف المؤمنين من أهلك وقومك (ولا يلتفت منكم أحد) خلفه؛ لتلا يرى ما ينزل بقومك من العذاب؛ الذى يخلع القلب، ويطيح باللب (وقضينا لىه) أوحينا لىه (ذلك الأمر) الذى ذكرناه؛ وهو (أن ذابره هؤلاء مقطوع مصبحين) أى مستأصلون عن آخرهم صباحاً؛ لأن الذابره: آخر كل شيء وأصله (وجاء أهل المدينة يستبشرون) بمجيء الملائكة عند لوط؛ طمعاً فى ارتكاب الفاحشة معهم؛ ظناً منهم أنهم من عامة الناس أمثالهم؛ وقد دخلوا على لوط بأكل شكل، وأجل صورة (قال) لوط لقومه - لما رأى إقبالهم لىه - وعلم نواياهم السيئة (إن هؤلاء ضيوق

نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ٣١ قَالَ أَبَشِّرْهُنِّي عَلَىٰ أَن مَسَّنِيَ

الْكِبَرُ فَمَن تَبَشِّرُونَ ٣٢ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن

مِنَ الْقَانِطِينَ ٣٣ قَالَ وَمَن يَقْطَعُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا

الضَّالُّونَ ٣٤ قَالَ فَاصْطَبِرْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٣٥

قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا لى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ٣٦ إِنَّا لَنَنْجُوهُم أَجْمَعِينَ ٣٧ إِنَّا أَمْرَانِ قَدَرْنَا إِنهَابِ لَمَن

الْقَابِرِينَ ٣٨ فَلَمَّا جَاءَ آل لُوطِ الْمُرْسَلُونَ ٣٩ قَالَ

إِنكُمْ قَوْمٌ مَّنْكَرُونَ ٤٠ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ

يَمْتَرُونَ ٤١ وَاتَّبَعْنَا بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ٤٢ فَاسْر

بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ

مِنْكَ أَحَدٌ وَآمُضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ٤٣ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ

ذَلِكَ الْأَمْرَ أَن ذَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ٤٤

وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ٤٥ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ

ضيوق

مصبحين) أى مستأصلون عن آخرهم صباحاً؛ لأن الذابره: آخر كل شيء وأصله (وجاء أهل المدينة يستبشرون) بمجيء الملائكة عند لوط؛ طمعاً فى ارتكاب الفاحشة معهم؛ ظناً منهم أنهم من عامة الناس أمثالهم؛ وقد دخلوا على لوط بأكل شكل، وأجل صورة (قال) لوط لقومه - لما رأى إقبالهم لىه - وعلم نواياهم السيئة (إن هؤلاء ضيوق

(فلا تفضحون) معهم (واقفوا الله) خانوه ، واخشوا عقابه (ولا تخزون) الحزى : الذل والهوان (قالوا
أولم نهك عن العالمين) أى عن الاختلاط بالناس ، وتسميم أفكارهم بما تزعمه من الرسالة ، وما تدعو إليه
من الإيمان بالله؟ (قال هؤلاء بناتى) أى بنات أمته ؛ لأن كل نبى يعتبر أباً لقومه ؛ ولألا فليس بجائز
أن تروج بنات أصالح الصالحين ، لأفسق الفاسقين (لعمرك) أى وحقك (لأنهم لنى سكرتهم يعمهون) أى
فى ضلالهم يتخبطون . لقد تحبلى الإله على مصطفاه ، وأقسم الجليل بالليل ، وشرف الكريم عبده العظيم ،
وأفاض النعم على نبيه الأكرم ؛ فأظهر للملأ
قدره ، وأعلا فى الآفاق شأنه ؛ وحلف بحياته !

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ما خلق
الله ، وما ذرأ ، وما برأ ؛ نفساً أكرم عليه
تعالى من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سمعت
أن الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره : قال الله
تعالى ذكره «لعمرك لأنهم لنى سكرتهم يعمهون»
(فأخذتهم الصيحة) الصيحة: العذاب . وقيل:
صاح بهم جبريل عليه السلام حين بدأ بتعذيبهم .
والصيحة : مقدمة لكل عذاب (مشريقين)
وقت شروق الشمس (نجفنا عليها سافلها)
قيل : حمل جبريل عليه السلام قريتهم إلى أن
قاربوا الأفلاك ، وسموا تسبيح الأملأك ؛ وجعل
عليها سافلها ؛ بأمر ربه المنتقم الجبار ! أعاذنا
الله تعالى من غضبه بمنه ، وعافانا من عذابه
بكرمه ! (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل)
السجيل ، والسجين : المكتوب فى السجل ؛
أى وأمطرنا عليهم حجارة مكتوب عليهم أن
يعذبوا بها ؛ قال تعالى «وما أدراك ما سجين
كتاب مرقوم» أى مكتوب . وقيل : سجيل
وسجين : اسم وادى فى جهنم ؛ أى وأمطرنا
عليهم حجارة من جهنم ؛ إذا لم يصبهم جرمها ؛
أحرقتهم حرارتها (إن فى ذلك) العذاب
الذى أنزلناه بقوم لوط ، وبغيرهم من المكذبين
(لآيات) لعبر وعظات (للمؤمنين) للمتأملين ،

صَبَّحِي فَلَا تَفْضَحُون ﴿٥٦﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴿٥٧﴾
قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٥٨﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ
كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿٥٩﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٦٠﴾
فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٦١﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ ﴿٦٢﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٦٣﴾ وَإِنَّا لَنَسِيبِلُ مَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٦٦﴾
فَاتَّقَمْنَا مِنْهُم وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَارٍ مُبِينٍ ﴿٦٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ
أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٨﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا
فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٦٩﴾ وَكَانُوا يُضْعِفُونَ مِنْ أَبْجَابِ
يَبُوتَاءَ أَمِينِينَ ﴿٧٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصِيبِينَ ﴿٧١﴾
فَأَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧٢﴾ وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ

والتفكرين (ولأنها) أى قرى قوم لوط ، وما فيها من آثار تعذيبهم واستئصالهم (لبسبيل) طريق (مقيم)
باق لم يتدرس ؛ وهى مدينة سدوم ، أو سدوم . وقيل : عاموراء ؛ وهما قريتان من قرى قوم لوط (إن
فى ذلك) الابقاء على هذه القرى إلى الآن ، على حالها البادى للعيان (لآية) عبرة وعظة (للمؤمنين) الصادقين
فى الإيمان (وإن كان أصحاب الأيكة) الأيكة : النفضة ؛ وهى مجتمع الشجر . قيل : لأنهم قوم شعيب عليه
السلام (لظالمين) لكافرين (فاتقمتنا منهم) أهلكتناهم ؛ لما كذبوا شعيباً (ولأنهما) أى قرى قوم لوط ،
والأيكة (ليامام بين) طريق واضح ؛ لمن يريد أن يراها ويتعظ بما حل بأهلها . (ولقد كذب أصحاب
الحجر) ثمود : قوم صالح عليه السلام ؛ و «الحجر» وادى بين المدينة والشام ؛ عند وادى القرى ، =

== أو بين مكة وتبوك (فأخذتهم الصيحة مصحين) الصيحة : العذاب ؛ أو هي مقدمة لكل عذاب .
وقيل : صرخ فيهم الملك المأمور باهلاكم صباحا (فاغنى عنهم) فادفع عنهم العذاب (ما كانوا يكسون)
ما كانوا يعملونه : من جمع للأموال ، وبناء للقصور والحصون (فاصفح) يا محمد عن قومك (الصفح الجميل)
أى الصفح الذى لا يبق أثرأ فى القلوب ! لقد أقام الله تعالى عليهم الحجة التى لا تدحض ، والبرهات الذى
لا يدفع : فأمر رسوله عليه الصلاة والسلام بملابنتهم وملاطفتهم ، والصفح عنهم صفحاً جميلاً ؛ يبين من
شكيتهم ، ويسلس من قيادهم . وبعد ذلك

٣١٨

الحزب الرابع عشر

أمره بهجرهم هجرأ رقيقأ رقيقأ واهجرهم هجرأ
جيلاً» فأفاد ذلك بعض من هدى الله تعالى ،
وكتب له السعادة والسيادة ، ولم يفد مع
الآخرين ؛ فكانوا كالعضو الفاسد المريض ؛
الذى لا يسلم الجسم إلا بئره ، ولا يبرأ إلا
بقطعه ! فأنزل تعالى على رسول «غذوم»
واقطعهم حيث تقفتموه» (ولقد آتيناك سبأ
من المشانق) وهى - على القول الراجح -
الفاحة ؛ لأنها سبع آيات ، ولأنها تنثى فى كل
ركعة من الصلاة . وقيل : هى السبع الطوال :
البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ،
والأنعام ، والأعراف ، والأنفال والتوبة معاً ؛
وذلك لأنه قد تنثى فيها الأمثال ، والخبر ،
والعبر ، والفرائض ، والحدود ، والقضاء ،
والقصص (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به
أزواجاً منهم) أى لا تطمح بعينيك إلى ما آتينا
أصنافاً من الكفار ؛ من متاع الدنيا ، ونعيمها
الزائل ، وتراثها الفانى ! (ولا تحزن عليهم)
أى لا تحزن لعدم إيمانهم (واخفض جناحك)
تواضع ، وألن جانبك (للمؤمنين) أمر الله
تعالى رسوله الكريم - وهو سيد الخلق
وخيرهم - بأن يتواضع ويلين جانبه للمؤمنين ؛
وأى مؤمن - وإن سما وعلا - فهو دون
الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه رتبة ؛

السَّاعَةَ لَأَيُّةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٣١٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٣١٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ
الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٣٢٠﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى
مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ
جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٢١﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٣٢٢﴾
كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٣٢٣﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ
عِضِينَ ﴿٣٢٤﴾ قَوْلَ رَبِّكَ لَنَسْلَنَنَّهُمْ أَجْمِينَ ﴿٣٢٥﴾ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٣٢٦﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٢٧﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَبِيزِينَ ﴿٣٢٨﴾ الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَعَّمْنَا بِكَ بِصِيقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٣٣٠﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٣١﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى
يَأْتِيكَ الْيَقِينُ ﴿٣٣٢﴾

سورة

فكيف بنا معشر المؤمنين ونحن نتعالى على من هم أعلنا منا ديناً ، وأرق منا مرتبة ، وأسمى منا تقي وورعاً !
وقد فسدت المقاييس ، وانخرمت المعايير وأصبحت الأقدار ، تقاس بالدرهم والدينار ! فأى درك هذا الذى
هوينا إليه ؟! وأى إثم هذا الذى وقعنا فيه ؟! قال تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ولم يقل تعالى : إن
أكرمكم عندى أعنانكم ، أو أجلكم ، أو أقواكم ! فاعلم - هداك الله - أن أقدار الناس لا تقاس إلا بمقاييس
الدين والورع ، لا الحرص والطمع ! (انظر آية ٢٢ من سورة الروم) (كما أنزلنا على المقسمين) أى كما
أنزلنا من البلاء والعذاب على المقسمين . قيل : هم جماعة من المشركين . وقيل : هم أهل الكتاب ؛ لأنهم
قسموا القرآن ، وقالوا بصحة ما يوافق كتبهم ، وكذبوا باقيه ! (الذين جعلوا القرآن القرآن عvisين) ==

= أى أعضاء وأجزاء ، وأقوال متفرقة : شعر ، سحر ، كهانة ، اختلاق (فاصدع بما تؤمر) أى فامض في تنفيذ ما أمرتك به ؛ واجهر بما أنزلته عليك من القرآن ، وأعلن كلمة التوحيد ، وشق باطلهم بحمك ! (إنا كفيناك المستهزئين) أى منعا عنك شرهم وأذاهم ؛ بأن أهلكنام ، وقطعنا دابرهم ! (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) فيك ، وفي الله (فسبح بحمد ربك) قدسه واحده على ما آفاه عليك من نعم (واعبد ربك) داوم على عبادته (حتى يأتيك اليقين) الموت : المتيقن وقوعه .

٣١٩

سورة النحل

(سورة النحل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أنى أمر الله) بمعنى سيأتى ؛ وعبر تعالى بالمضى : لتيقن وقوعه ؛ وهو البعث والنشور والحساب (فلا تستعجلوه) وتقولوا : متى ؟ وأين؟ وأيان؟ (سجانه) تقدس وتزه (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (ينزل الملائكة بالروح) بالوحى (من أمره) بإرادته (على من يشاء من عباده) الذين اصطفاهم لنبوته ، واختارهم لرسالته (خلق الإنسان من نطفة) منى (انظر آية ٢١ من الداريات) (فاذا هو خصيم مبين) خصم شديد الخصومة لمن خلقه ورزقه ! (والأنعام) الإبل والبقر والغنم (خلقها لكم فيها دفء) من أصوافها وأوبارها وأشعارها ؛ تصنعون كساء ، ورداء ، وغطاء (و) لكم فيها (منافع) تنتفعون بركوبها ، وتشربون من ألبانها (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون)

من الإراحة ؛ أى حين تردونها في العشى من مسارحها ومرامعها ؛ إلى مساحها ومنازلها التي تأوى إليها (و حين تسرحون) بها ، وتخرجونها من مساحها إلى مرعاها في الصباح (وتحمل أثقالكم إلى بلد) بعيد (لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) إن ربكم لرؤوف رحيم

(١٦) سُورَةُ النَّحْلِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا الْآيَاتِ الثَّلَاثِ الْأَخِيرَةَ فَدَنِيَّةٌ
وَأَنْفُسًا ١٢٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنْ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾

وَالْحَيْلَ وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ لَتَرْكُبُهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِدٌ وَلَوْ شَاءَ
لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤١﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ يُخْرِجُ بِهِ سُيُومُونَ ﴿٤٢﴾ يَبْنِي لَكُمْ بِهِ
الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَخَلَقَ لَكُمْ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَمَا ذَرَأْنَاكُمْ
فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ
يَذَكَّرُونَ ﴿٤٥﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْبَحْرَ لِيَأْتِيَ مِنْهُ
طَرِيقًا وَتَسْفِرُ جَوَارِمُهُ حُلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ
مَرَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾
وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوِيًا أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَانْتَهَرًا وَسُبُلًا

لَعَلَّكُمْ

البحر (حلية تلبسونها) كالؤلؤ والمرجان (وترى الفلك مواخر) أي جوارى في البحر؛ تخمر الماء: أي تشقه (وليتبتغوا) لطلبوا بواسطة هذه الفلك (من فضله) من رزقه تعالى؛ بالانتقال للتجار من بلد إلى بلد (وألقى في الأرض رويًا) جبالًا ثوابت (أن تميد بكم) أي لتلا تميد الأرض بكم وتضطرب (وسبلا) طرقًا تسبون فيها .

(ويخلق ما لا تعلمون) من وسائل النقل والركوب: كالقطارات، والسيارات، والطائرات، وغيرها (وعلى الله قصد السبيل) أي وعليه تعالى هداية الطريق المستقيم (ومنها جائد) أي ومن هذه السبل ما هو مائل عن الاستقامة (ولو شاء لهداكم أجمعين) قسرًا وجبرًا؛ ولكنه تعالى أراد أن تهتدوا بالحجة والبرهان (فيه تسيمون) أي من الشجر تأكلون؛ وهو من سامت الماشية: إذا رعت (ينبت لكم به) أي بلماء النازل من السماء (الزروع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (إث في ذلك) الإنزال، والإنبات (لاية) دالة على قدرة الخالق ووحدانيته وعظمته! (لقوم يتفكرون) أي لهم عقول يفكرون بها في الأسباب ومسبباتها، والخالق تعالى ومخلوقاته! (وما ذرأ لكم) ما خلق لكم (في الأرض) من الحيوان، والنبات، وغيره (مختلفا ألوانه) كالأحمر، والأصفر، والأخضر، والأسود، والأبيض. ويجوز أن يكون معنى «مختلفا ألوانه» أي متعددًا أصنافه وأشكاله (وتسفرجوا منه) أي من البحر (حلية تلبسونها) كالؤلؤ والمرجان (وترى الفلك مواخر) أي جوارى في البحر؛ تشقه (وليتبتغوا) لطلبوا بواسطة هذه الفلك (من فضله) من رزقه تعالى؛ بالانتقال للتجار من بلد إلى بلد (وألقى في الأرض رويًا) جبالًا ثوابت (أن تميد بكم) أي لتلا تميد الأرض بكم وتضطرب (وسبلا) طرقًا تسبون فيها .

(وعلامات) تستدلون بها - في سيركم - على الطرقات ؛ كالجبال ، والوديان ، والأنهار (وبالنجم هم يهتدون) إلى الطرق ، وإلى الجهات ، وإلى القبلة (أمن يخلق) جميع ذلك ، ويديره ، ويديره ، ويحفظه ، ويكلؤه ؛ وهو الله الكبير المتعال ! (كن لا يخلق) شيئاً أصلاً ؛ بل يفتقر إلى خالق يخلقه ، وموجد يوجد به ؛ وهو الصم الذي تعبدونه ! (أفلا تذكرون) أفلا تذكرون ذلك ؛ فتؤمنوا بالله الخالق البارئ المصور ! (وإن تعدوا نعمة الله) عليكم (لا تحصوها) وكيف تحصى نعمته تعالى ؛ وهي لا يحدها حد ، ولا يحصها عد ؛ ويكفيها من نعمته تعالى :

واسع رحته ؛ ومزيد مغفرته ! (إن الله لغفور) لكم (رحيم) بكر ! قال الحسن رضي الله تعالى عنه : إن لله في كل عضو نعمة ؛ فيستعين بها الإنسان على المعصية . اللهم لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك ؛ وهب لنا لساناً ذا كراً ، وقلبا خاشعاً ، وجوارح لا تعمل إلا في طاعتك ؛ وجنبا معصيتك ، وأدخلنا جنتك ؛ بمنك ورحمتك ! (انظر آية ٣٤ من سورة إبراهيم) (والذين يدعون) يعبدون (من دون الله) غيره (لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون) رأيت إلى الصم ؛ هل يستطيع أن يوجد نفسه ؛ من غير موجد له ؟ ! (أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يعيشون) أي لا يعلمون في أي وقت يعبت عبدتهم (فالذين لا يؤمنون بالآخرة) وما فيها من بئس وحساب ، ونعيم وعذاب (قلوبهم منكرا) جاحدة : لا تقبل الوعظ ، ولا ينفع معها النصح ؛ لأنهم أصروا على عدم الاستماع ، ولأن الذي لا يؤمن بالآخرة : لا يرجو نوابا ، ولا يخشى عقاباً (وهم مستكبرون) عن الاستماع والانتفاع (لاجرم) أي لا بد ولا محالة أن يؤول حالهم إلى ما آل إليه ، وأن تنكر قلوبهم الوعظ ، وتأن الرشد ، وأن يستكبروا عن الإيمان ؛ و (أن الله يعلم ما يسرون) في قلوبهم (وما يعلنون) بألسنتهم

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَعَلَّمْتَ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٢﴾
 آمَنَ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِن تَعُدُّوا
 نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن
 دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ
 أَحْيَاءٍ وَمَا يَسْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٣٧﴾ لِلْهَكَرِ إِلَهٌ
 وَرَحَدٌ قَالِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ
 مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٨﴾ لَاجِرٌ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ
 إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ
 رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٤٠﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ
 كَمَالَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَيْنَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضَلُّونَهُمْ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ أَلْأَسَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٤١﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
 فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ السَّمَاءِ نَجْفًا مِّن

وجوارحهم (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) على عهد (قالوا أساطير) أباطيل وأكاذيب (الأولين) الأمم الماضية (ليحملوا أوزارهم) ذنوبهم (ومن أوزار الذين يضلونهم) أي ولحملوا أوزار أخرى مع أوزارهم ؛ وهي أوزار الناس الذين تسبوا في إضلالهم (بغير علم) ممن ضلوا بسببهم بأنهم ضلال (الأساء ما يزرون) أي بس ما يحملونه من ذنوبهم وأنامهم ، وذنوب وأنام غيرهم (قد مكر الذين من قبلهم) كفروا مثل كفرهم ، وأضلوا مثل إضلالهم (فأتى الله بنيانهم) قوضه وخربه (من القواعد) من الأساس ؛ حتى لا تقوم له قائمة بعد (نجر عليهم السقف من فوقهم) أي وهم تحته فهلكوا . وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذا الكلام على حقيقته ؛ وأن المراد به عمرو بن كنعان - الذي حاج إبراهيم في ربه - أو جباراً آخر من جبابرة =

النبط (١) أو مختصر ، أو هامان . والذي أراه أن الله تعالى شبه هلاك الأمم المتقدمة واستئصالهم : بمن أقاموا في بيت انهارت أسسه ؛ فخر عليهم سقفه (وأناهم العذاب من حيث لا يشعرون) ولا يتوقفون ! ويصح أن يكون الكلام على حقيقته ؛ إذا أطلق على الأمم المتقدمة : كقري قوم لوط . قال تعالى في وصف تمزيبهم «جعلنا عليها سافلها» وذلك بأن أتى قواعدها ؛ بأن زلزل أرضها زلزالا عنيفاً ، ورفها بما فيها ومن فيها ؛ وجعل عليها سافلها : فصارت سماؤها أرضاً ، وأرضها سقفاً «فخر عليهم السقف من فوقهم» (ثم يوم القيامة يمزجهم) ينهم (ويقول

الجزء الرابع عشر

٣٣٢

أين شركائي) الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة ، و (الذين كنتم تشاقون فيهم) أي تعادون وتخاصمون المؤمنين (قال الذين أتوا العلم) هم الملائكة ، أو الأنبياء ، أو المؤمنون (إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ، الذين تنوفاهم الملائكة) المولكون بقبض الأرواح ؛ حال كونهم (ظالمى أنفسهم) بالكفر والمعصيان ، وتعريضها للعقاب (فألقوا السلم) استسلموا ؛ على خلاف عادتهم في الدنيا من العناد والمكابرة ؛ وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) أنكروا السوء يوم القيامة ؛ وقد انغمسوا فيه طوال حياتهم ؛ فتقول لهم الملائكة (بلى) قد كنتم تعملون السوء وتشرونه (إن الله عليم بما كنتم تعملون) فجازيكم عليه (فلبئس مثوى المتكبرين) بئس المقام مقامهم (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا) أنزل (خيراً) وصدقا ؛ وسوما ما أنزله الله تعالى «خيراً» لأنه قد تسبب لهم في خيري الدنيا والآخرة ! فبعت فيهم الطمأنينة في الدنيا ، وهدوء النفس ، وسعادة الروح ؛ وذلك بما أمدهم به من إخوة إنسانية ، ومن مكارم أخلاق ، ومن تضحية بمصالح الفرد في سبيل المجتمع ، ومن حب للخير ، وحث على الإحسان والبذل ؛ كما أن القرآن الكريم قد تسبب أيضاً في دخول

فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٣٢﴾
 ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَمْزِجُهُمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣٣٣﴾ الَّذِينَ تَنَوَّفَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلْمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣٤﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٣٣٥﴾
 * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٣٦﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَمْزِجُ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٣٧﴾ الَّذِينَ تَنَوَّفَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣٨﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ

الجنة ، ورضا الرحمن ! وهما الأجر الذي أعداه الله تعالى لمن اتبع قرآنه ، وأطاع نبيه ! (الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير) مما يناله الإنسان في الدنيا (ولنعيم دار المتقين) الذين يخشون ربهم ، ويحافظون سوء الحساب ! (جنات عدن) جنات الإقامة ؛ من عدن في المكان ؛ إذا أقام فيه (الذين تنوفاهم الملائكة) بقبض أرواحهم (طيبين) مؤمنين ، طاهرين من الكفر (يقولون) أي يقول الملائكة لهم عند الموت (سلام عليكم) وقد ورد أنهم يقولون للمؤمن قبل قبض روحه : ربك يقرئك السلام ؛ فتفرج =

(١) النبط ؛ بفتح الباء : جيل من الناس يتزلون بالطأخ بين العرايين «الكوفة والبصرة» .

= أسارىه ، ورضى وجهه بالابتسام ؛ ويقال لهم في الآخرة (ادخلوا الجنة) أو تقول لهم الملائكة ذلك عند الموت ؛ لأن المؤمن وقتذاك يرى مقعده من الجنة (بما كنتم تعملون . هل ينظرون) أى ما ينتظر الكفار (الا أن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم بالعنف والشدة (أو يأتى أمر ربك) بالعذاب (وما ظلمهم الله) بتعذيبهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بكفرهم ، وتعريضها للعقاب (فأصابهم) أى فالذى أصابهم هو (سيئات ما عملوا) أى جزاؤها (وحاق بهم) نزل وأحاط

(وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) عبث يقولونه ، وباطل يزعمونه: فقد أرسل الله تعالى رسوله ، وأمرهم بتبليغ دينه الذى ارتضاه لعباده ، وخلق لهم العقل الذى به يفهمون ما ينفعهم فيتعون به ، ويدركون ما يضرهم فيجتنبونه «وهديناه النجدين» وبعد ذلك قال تعالى «فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» فهل بعد ذلك عذر لمعتذر ؟ وهل بعد هذا قول لقائل «لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء» (ولا حرمانا) البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحامى . وقولهم هذا يحمل بين طياته الاستهزاء ، والتجدي ، والسخرية ؛ ولأما فهو إيمان مشوب بعصيان ؛ لأنه اعتراف بالله تعالى وقد عبدوا غيره ، وإقرار بعيشته وقد أنكروا وجوده (كذلك فعل الذين من قبلهم) مثل فعلهم ، واحتجوا بمثل احتجاجهم ، وتناسوا كسبهم لكفرهم ومعاصيهم ، وأن جميع ذلك قد كان بمحض اختيارهم ؛ بعد أن أنذرتهم رسلكم مغبة أعمالهم ، وحذرتهم غضب ربهم وعقابه (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) لإقامة الحجة عليهم (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الشيطان ؛ أو هو كل رأس فى الكفر والضلال ، أو هو كل ما يؤدى إلى الطغيان

(فمنهم من هدى الله) إلى الإيمان (ومنهم من حقت) وجبت (عليه الضلالة) باصراره على الكفر ، واستكباره عن الإيمان (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى نهاية طاقتهم فى الإيمان (لا يبعث الله من يموت) أى لا يحىيه ثانية للحساب والجزاء (انظر مبحث التعطيل بآخر الكتاب)

يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ
كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا
وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ
وَلَاءَ آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ فَتَمَّ مِنْ هَدَى اللَّهِ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
الضَّلَالَةُ فَيَسُورُوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدُنِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا
بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتَ بَلَى وَعَدَا

(إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) هو تقريب للأذهان ؛ والحقيقة أنه تعالى لو أراد شيئاً لكان ؛ بغير حاجة للفظ « كن » (لنبوتهم)

الجزء الرابع عشر

٣٢٤

لنسكنهم (في الدنيا حسنة) أى لنبوتهم نبوة حسنة ؛ وهى سكنى المدينة المنورة ؛ على ساكنها أفضل الصلاة وأهم السلام. وأى نبوة حسنة أفضل من أن ينزل الإنسان بين من يجب ، وأن يمش بين الأبطال الأخيار ! (فاسألوا أهل الذكر) العلماء بالثورة والإنجيل ؛ ممن أرسلنا من قبل محمد (إن كنتم لاتعلمون) بمن أرسلنا من قبله من رسل ؛ ليسوا بالملائكة ، بل رجالا من البشر نوحى إليهم ؛ كما أوحينا لى رسولكم محمد (بالبينات) الحجج الواضحات (والزبر) الكتب (وأنزّلنا إليك) يا محمد (الذكر) القرآن ؛ كما أنزلنا على من قبلك من الرسل (لتبين للناس ما نزل إليهم) فيه : من الحلال والحرام ، والأوامر والنواهي ، والوعد والوعيد ، وغير ذلك (أفأمن الذين مكروا السيئات) أى مكروا بالسيئات . والمكر : الاحتيال والحديعة ؛ وقد يقصد بهم الذين يعلنون بالإيمان ؛ وليسوا بمؤمنين ، ويتباهون بالطاعة ؛ وليسوا بطائعين ، ويتظاهرون بالعبادة ؛ وليسوا بعبادين ! أفأمن هؤلاء (أن يخسف الله بهم الأرض) كما خسفها بقارون (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى من حيث لا يتوقعون ؛ كما فعل بأصحاب الظلة . وقد أمطرهم السحابة ناراً ؛ عند توقعهم الماء

عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٢٤﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٢٥﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٢٦﴾ وَالَّذِينَ هَابُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْبِئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْإِعْرَابِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٢٧﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٢٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢٩﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٣٠﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٣١﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ قَسَمٌ لِمَنْ يَمْجُرِينَ ﴿٣٣٢﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّنَا

لَرؤوف

والرءاء ! (أو يأخذهم في تقلبهم) في ذهابهم ومجيئهم ، وسفرهم للتجارة (فأهم بمجرين) الله ، أو فائين العذاب الذى يريد إزاله بهم (أو يأخذهم على تخوف) أى حال كونهم خائفين مترقبين متوقعين العذاب

لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ أَوْلَىٰ بِرِوَالِكُمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
 يَتَفَيَّؤُا ظِلَّهِ عَنِ الْعَجِينِ وَالسَّمَاءِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَهُمْ
 ذٰئِرُونَ ﴿٢﴾ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴿٣﴾
 يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٤﴾
 * وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا لِلنَّهْيِ اثْنَيْنِ إِتْمًا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ
 فَلْيُنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴿٥﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
 وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٦﴾ وَمَا يَكُ مِنْ
 نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْجِرُونَ ﴿٧﴾
 ثُمَّ إِذَا كَسَفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ
 يُشْرِكُونَ ﴿٨﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا بِسَوْفٍ
 تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْمَلُونَ نَصِيبًا مِمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتَسْلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿١٠﴾ وَيَجْعَلُونَ

(فان ربكم لرؤف) بالناس (رحيم) بهم ؛ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة ؛ بل ويعفو عن كثير من ذنوبهم ؛ وعلى
 لهم علمهم يرجعوا عن غيرهم وبشيهم (أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء) قائم ؛ كجبل وشجرة ، ونحوهما ؛
 مما له ظل متحرك (يتفأ ظل الله) يرجع من موضع
 إلى موضع ؛ تبعاً لسير الشمس ؛ فهو في أول
 النهار - عند طلوع الشمس - على حال ، وفي
 وسطه - عند الزوال - على حال ، وفي آخر
 النهار - عند الغروب - على حال أخرى
 مغايرة (عن اليمين والشمال) أى عن جانبيهما ؛
 بالعدو والآصال (سجداً لله) تسجد له صباحاً
 ومساءً أ : عند شروق الشمس وعند غروبها .
 وقيل : ظل كل شيء : سجوده ؛ يسجد
 ظل المؤمن طوعاً ، ويسجد ظل الكافر كرهاً
 (وهم داخرون) صاغرون ، مطيعون (ولله)
 يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة)
 وهي كل ما يدب ديباً (والملائكة) وهم أهل
 الملأ الأعلى ، وأعيان الخلوقات ؛ يسجدون
 أيضاً (وهم لا يستكبرون) عن عبادة ربهم ؛
 كما يستكبر بعض خثالة البشر عن عبادته تعالى
 (وله الدين واسبأ) أى واجباً ثابتاً دائماً (وما
 بكم من نعمة) أى نعمة : صغرت أو كبرت ،
 قلت أو جلت (فمن الله) هو وحده مصدرها
 وهو وحده - جل شأنه - مبدعها ومنشئها ،
 والمتفضل بها ! أليس هو المتفضل بحسن الخلق
 وسعة الرزق ؟ وصحة الجسم ، وبرء السقم ! ؟
 (ثم إذا مسك الضر) المرض ، أو الفقر (فأليه)
 وحده لا إلى غيره (تجارون) تتضرعون .
 والجوار : رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة
 (ويجعلون لما لا يعلمون) من الأصنام ؛ أى لا يعلمون أنها آلهة (نصيباً مما رزقناهم) من الأنعام والحراث
 «فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا» (تالله) قسم فيه معنى التعجب (لتسألن) يوم القيامة (عما كنتم
 تفترون) على الله ؛ بنسبة الشريك إليه

(ويجعلون لله البنات) كانوا يقولون : إن الملائكة بنات الله . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ! (سبحانه) تقدس وتنزه (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (ولهم ما يشتهون) أى «يجعلون لله البنات» ويتمنون لأنفسهم الذكران الذين يشتهونهم ؛ (و) ذلك لأنهم (إذا بشر أحدهم بالأنثى) ولدت له (ظل) صار وبقى (وجهه مسوداً) من الحزن والغم الذى اعتراه (وهو كظيم) مملوء خفياً وغيظاً (يتوارى من القوم) خجلاً (من سوء ما بشر به) مما لا يريد به ولا يرغب فيه . ومن عجب أن هذا شأن بعض الجهال والسفهاء فى هذه الأيام ؛ وقد تكون الأنثى خيراً من الذكر عاقبة ؛ وأتى وأتجب ؛ وما يرسل ربك الإناث إلا بقدر ، ولا يرسل الذكران إلا بسبب « ذلك تقدير العزيز العليم » الذى « كل شيء عنده بمقدار » (أيسك على هون) أى أيسك ذلك المولود الأنثى على ذل وهوان (أم يدسه فى التراب) وهو الوأد . وقد كانوا يدفنونهن أحياء ؛ خشية ما يتوهمنه من عار وفقر غير محققين (انظر آية ٨ من سورة التكوير) (الأساء ما يحكمون) أى أساء هذا الحكم الذى يحكمونه ، على شيء لا يطمونه ! وهم بفعلهم هذا لا يؤمنون بالآخرة ؛ ولو آمنوا بها : ما فعلوا فماتهم هذه (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) أى أساء

لَهُ الْبَنَاتِ سُبْحٰنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَوْنَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥١﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ۚ أَيَسْكَرُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٢﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ يَوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَآئِبَةٍ وَلَكِنْ يُوَفِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً ۚ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٥٤﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ السُّنْتَهُمُ الْكُذْبَ أَنْ هُمْ الْحَسَنِيُّ لَا جَرَمَ أَنَّ هُمْ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٥٥﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَىٰ هُمْ الشَّيْطَانَ أَعْمَلَهُمْ فَعُوًّا ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى

وهدى لازمة من لوازم ربوبيته ووحدانيته ، فاذا ما استطاع إنسان أن يفهم الكمال الإلهى حق الفهم : لإزداد بالله معرفة ، ومنه قرباً ! والتعرف إليه تعالى يحتاج إلى استعداد مخصوص : فكلما ازداد تمسك العارف بالله بأهداب الفضائل الإنسانية ؛ التى أمر بها الشرع ، وحث عليها الدين : نما حبه لله ، وأحبه الله ! وإنه مما لا شك فيه أن الإنسان الكريم : أحسن فهماً ، وأصدق عبادة ، وأرق قلباً من البغيث . وكذلك الإنسان الرحيم : أشد خوفاً لله من القاسى . والصبور : أكثر إيماناً من الأحق النافذ الصبر . والعالم : أشد معرفة من الجاهل . وهكذا كلما ازداد الإنسان تعلقاً بالفضائل والمثل العليا : كان أكثر محبة لله ، وأكبر معرفة به ،

ورحمته

وهدى لازمة من لوازم ربوبيته ووحدانيته ، فاذا ما استطاع إنسان أن يفهم الكمال الإلهى حق الفهم : لإزداد بالله معرفة ، ومنه قرباً ! والتعرف إليه تعالى يحتاج إلى استعداد مخصوص : فكلما ازداد تمسك العارف بالله بأهداب الفضائل الإنسانية ؛ التى أمر بها الشرع ، وحث عليها الدين : نما حبه لله ، وأحبه الله ! وإنه مما لا شك فيه أن الإنسان الكريم : أحسن فهماً ، وأصدق عبادة ، وأرق قلباً من البغيث . وكذلك الإنسان الرحيم : أشد خوفاً لله من القاسى . والصبور : أكثر إيماناً من الأحق النافذ الصبر . والعالم : أشد معرفة من الجاهل . وهكذا كلما ازداد الإنسان تعلقاً بالفضائل والمثل العليا : كان أكثر محبة لله ، وأكبر معرفة به ،

وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿١١﴾ وَإِنَّ لَكُم فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۗ نَسِيتُمْ
مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِئْسَ خَالِصًا سَائِغًا
لِّلشَّارِبِينَ ﴿١٢﴾ وَمَنْ تَمَرَّتْ التَّخِيلُ وَالْأَعْنَابُ فَتَلِدُونَ
مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ
الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ كُلِي مِنَ
كُلِّ الشَّجَرِ فَاسْلِكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۗ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوفِّقُكُمْ
وَيَسِّرْكُمْ مِّنْ رَّدَىٰ ۗ إِنَّهُ أَزْدَلُّ الْعَمْرُ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ
عَلِيمٍ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ

وأشد قربا منه ! وأمكنه بواسطة هذه الطافات والإمكانات أن يتذوق الحب الإلهي ! ويستشعر ما أعده الله تعالى له من نعم مقيم ؛ فيظل طوال حياته سعيداً بإيمانه ، سعيداً بقربه ، سعيداً بحبه ! لأنه علم علم اليقين : أن « الله المثل الأعلى » وأنه جل شأنه : الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، القادر المقتدر ، الجبار المتكبر ، الخالق الرازق ، المطي المانع ، الحافض الرافع ؛ الذي لا إله إلا هو (وهو العزيز) في ملكه ، الغالب الذي لا يغلب (الحكيم) في خلقه ؛ ولولم يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ، وفسقهم ، وعدوانهم (ما ترك عليها من ذنبة) وهي كل ما يدب على الأرض : من إنسان ، وحيوان ، وغيرهما (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) وهو انتهاء آجالهم (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة) المراد بالساعة هنا : أى زمن ؛ طال أو قصر (ولا يستقدمون) ساعة (ويحيطون لله ما يكرهون) بزعمهم أن الملائكة بنات الله (وتصف ألسنتهم الكذب) بقوله وتشيعه ؛ يزعمون (أن لهم الحسنى) الجنة . ومن ذلك قولهم « ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى » (لا جرم) لا بد ولا محالة (أن لهم النار) لا الجنة كما يزعمون (وأنهم مفرطون) مهملون يوم القيامة ؛ لا يعاينهم ، متروكون من رحمة الله تعالى ومفترته ! قال تعالى « اليوم نسأكم كما نسئتم لقاء يومكم هذا » (تالله) قسم فيه معنى التعجب (لقد أرسلنا) رسالنا (إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم) كفرهم ؛ فلم يؤمنوا برسلمهم ، كما لم يؤمن قومك بك (فهو وليهم اليوم) أى متولى أمورهم في الدنيا : يسوق لهم فيها ما يشتهون . أو المراد باليوم : يوم القيامة ؛ أى هو متولى أمورهم فيه ؛ ولما كان الشيطان عاجزاً عن إنجاء نفسه فيه ؛ فهو عن إنجاء غيره أعجز بالجدب (وأإن لكم في الأنعام) الإبل والبقر

والنعم (لعبرة) لعظة واعتبار (نسيتكم مما في بطونه من بين فرث) وهو ما يحتويه الكرش (ودم) وهو ما يجري في العروق (لبناً خالصاً) من الشوائب ؛ لم يختلط بالفرث ، ولم يؤثر فيه الدم (سائغاً للشاربين) سهل المرور في حلوهم ؛ لا يئس به شاربه أبداً (ومن تمرات التخيل والأعناب) (انظر آية ١٦٦ من سورة البقرة) (تتخذون منه سكرأ) خراً ؛ نزلت قبل تحريمها . وقيل : السكر : الخل . (ووزقاً حسناً) كالبلح المحفف ، والزبيب ، وما شاكلهما . والمعنى : لقد أنعم الله عليكم بثمرات التخيل والأعناب ؛ فانخذتم منه ما حرم الله عليكم - اعتداء منكم - وطعمتم منه جلالاً طيباً ؛ فكيف تغفلون أنعم الله تعالى عليكم بها ، وتستبدلون شكره كفرأ ؟ (وأوحى ربك إلى النحل) وحى إلهام ؛ أى ألهمه (ومما يعرشون)

== أى ومما تبنيه الناس من الحلايا ؛ لأن العرش : يطلق على عش الطائر (فاسلكى نسل) طرق (ربك) التى رسمها لك ، وأهلك باتباعها (ذلاً) سهلة مذلة (يخرج من بطونها شراب) هو العسل (مختلف ألوانه) اختلافاً كثيراً ؛ يرجع لى عوامل عدة ؛ منها : نوع النحل ، وما يطعمه من رحيق الأزهار والفاكهة ، وزمن الإنتاج ، وغير ذلك (فيه شفاء للناس) فقد ثبت بالتجربة أنه دواء نافع ، وعلاج ناجع لكثير من الأدوية الفتاكه ؛ ويفسده شرب الماء عقبه . وقد أثبت الطب الحديث : أن العسل يهوى مقداراً كبيراً

الحلوه الرابع عشر

٣٢٨

من الجلو كوز . والجلوكوز هذا قد أصبح سلاحاً للطبيب فى كثير من الحالات ؛ والعسل : شفاء فعال للضعف العام ، والتسمم ، وأمراض الكبد ، والاضطرابات المعوية ، والالتهاب الرئوى ، والذبحة الصدرية ، وسائر أنواع الحيات ، واحتقان المخ ، وضعف القلب ، والحصبة ؛ وغير ذلك من الأمراض المستعصية ؛ فسبحان من أودع فيه كل هذه الخواص ، ونهبنا للاقتناع بها (انظر آية ٣٨ من سورة الأنعام) (ومنكم من يرد لى أرض العسر) أردته ؛ وهو الكبر ، المؤدى لى الهرم والخرف (لكى لا يعلم بعد علم شيئاً) أى لينسى ما علمه ، أو لعدم استطاعته الفهم : لتحويله . قال عكرمة : من قرأ القرآن : لم يصر بهذه الحالة (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) فجعل منكم الأغنياء والفقراء ، والسادة والعبيد (فما الذين فضلوا) وهم السادة (برادى رزقهم على ما ملكت أيماهم) أى ليسوا برازق عبيدهم ومواليهم (فهم فيه سواء) أى فالسادة ومواليهم فى الرزق سواء ؛ لأن الله تعالى هو الرزاق للجميع : يرزق السيد برزق عبيده ! وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يطعم خادمه مما يطعم ، ويلبسه مما يلبس ، ويقول : «فا الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء» (أفبئمة

عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ قَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بَرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِنتَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحُدُودًا وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبِطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِنْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٣٩﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْعًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٠﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكُرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وهو

الله) وفضله عليهم (يجحدون) ينكرونها ، فيتوهمون أنهم رازقوا عبيدهم (وجعل لكم من أزواجكم بينا وحفدة) الحفدة : أبناء الأبناء . وقيل : هم الأصهار ، وقيل : هم بنو الزوجة : من رجل آخر (أفبالاطل يؤمنون) أى بالأصنام ، وبأنها تشفع لهم (وبنعمة الله) الإسلام (هم يكفرون) أو بأنعمه التولية عليهم فى كل وقت وحين (ضرب الله مثلا) له وللأصنام ، أو للمؤمن والكافر (عبدا مملوكا) حقيرا (لا يقدر على شىء) لا يملك شيئاً ، ولا يستطيع التصرف فى شىء (ومن رزقناه منا رزقا حسنا) حلالا طيباً (فهو ينفق منه سرا وجهرا) أو هو مثل للبخيل - عبد المال وأسيره ومملوكه - والكريم المنفق (وضرب الله مثلا) آخر ؛ للمؤمن والكافر ، أوله تعالى وللأصنام (رجلين أحدهما أبكم) أخرس : لا ينطق ==

= (لا يقدر على شيء) فلا ينطق بكلمة التوحيد ، أو لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر (وهو كل) عالة (على مولاه) على سيده (أيما وجهه) سيده قضاء مصلحة ، أو لدفع ضرر عن نفسه (لا يأتي بخير) يعود عليه (هل يستوى) هذا الأبكم العاجز العالة (هو ومن) يرى ويسمع وينطق ، و (بأمر) الناس (بالعدل) وينهاهم عن المنكر (وهو على صراط مستقيم) طريق سوى (وما أمر الساعة إلا كلح البصر) كطرفه العين (أو هو أقرب) من ذلك ؛

٣٢٩

سورة النحل

لأن أمر الساعة يكون بلفظ «كن» (والله) أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً) فعلمكم كل ما تحتاجون إليه «علم الإنسان مالم يعلم» (وجعل لكم السمع) الذي تسمعون به؛ ولا تعلمون كنهه (والأبصار) التي تنصرون بها ؛ ولا تدرون ماهيتها (والأفتدة) القلوب التي تفقهون بها (لعلكم تشكرون) الله تعالى على أنعمه التي لاتعد ، ولا تحد (ما يسكنهن) في الهواء أن يقعن على الأرض (إلا الله) فهو تعالى مسخر الهواء الذي يسبح فيه الطير ، وهو الذي ألهمه وعلمه كيف يقبض أجنحته ويبسطها (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً) موضع سكون وراحة (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً) هي الخيام والقباب والمظلات (تستخفونها) تحملونها بسهولة لحفتها (يوم ظعنكم) سفركم (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاناً) هو متاع البيت (ومتاعاً) كل ما يتمتع به ؛ كالبسط ، والأكسية ، وشبههما (إلى حين) تبلى ، أو إلى حين تموتون (والله جعل لكم مما خلق ظلالاً) من البيوت والشجر (وجعل لكم من الجبال أكناناً) الكنن : ما يستتر ؛ من كهف وغار ونحوهما (وجعل لكم سراويل) ثياباً واحدها سراويل : كسراويل وسروال (تفيمكم الحر)

وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا أُمِرَ السَّاعَةَ إِلَّا كَلِمَةٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ
أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ
سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا
يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا
وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم
مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ
لَكُم سُرَابِيلَ تَفِيكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَفِيكُم بِأَسْفَرِكُمْ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلُبُونَ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا

فيه تعالى لك أن اللباس ؛ كما أنه يمنع أذى البرد : فانه يمنع أذى الحر أيضاً (وسرابيل تفيكم بأسفركم) وهي الدروع والزراد من الحديد ؛ ترد عنكم سلاح عدوكم (فإن تولوا) أعرضوا عن الإيمان

عَلَيْكَ أَلْبَلَّغُ الْمَعِينُ ﴿٥٧﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ تَمَّ يَنْكُرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَيَوْمَ نَبِّئُكَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا
تَمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذَا
رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا
رَبِّنَا هُنَّ آلَاءُ شُرَكَائِنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ
فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكَ لَكَنذِيرٌ ﴿٦١﴾ وَالْقَوْلَ إِلَى
اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٦٢﴾
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا
فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٦٣﴾ وَيَوْمَ نَبِّئُكَ فِي
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا
عَلَى هُنَّوَلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ
وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٦٤﴾ * إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ

بِالْعَدْلِ

كل شيء» زيادة في خزي المشركين وفضيحتهم وهوانهم (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أي استسلموا لحكمه:
السايد والمبود (وضل عنهم) غاب عنهم (ما كانوا يفترون) من الأرباب التي كانوا لها عابدين (الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله) ممنوا الناس عن دينه (ويوم نبئ في كل أمة شهيداً عليهم) هو نبيهم
(وجئنا بك) يا محمد (شهيداً على هؤلاء) على قومك، أو على جميع الخلوقات (ونزلنا عليك الكتاب تبيناً
لكل شيء) بياناً لكل ما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم . ونظيره قوله تعالى «ما فرطنا في الكتاب من شيء»

(فإنما عليك البلاغ) لإبلاغ ما أنزله عليك
لإيهم (المبين) الواضح؛ المنهوب لكل شك،
الدافع لكل ريب؛ (يعرفون نعمة الله) عهداً
عليه الصلاة والسلام؛ لأنه وارد في كتبهم،
بشرت به أنبياءهم (ثم ينكرونها) بتكذيبه،
وعدم الإيمان به . أو «يعرفون نعمة الله»
التي عددها وبينها في هذه السورة وغيرها
من السور «ثم ينكرونها» ترك الفكر عليها،
أو يعرفونها في الشدة، وينكرونها في الرخاء،
أو يعرفونها بقلوبهم، ويجحدونها بألسنتهم؛
ونظيره قوله تعالى «وجدوا بها واستيقنتها
أنفسهم» (ويوم نبئ في كل أمة شهيداً)
يوم القيامة: وهو نبيها؛ يشهد لها أو عليها
(ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الكلام أو
الاعتذار (ولاهم يستمتبون) أي ولايعاتبون؛
لأن العتاب لا يكون إلا بين الأحياء؛ وهو
نعمة حرم الله تعالى على الكافرين نيلها!
(ولاهم ينظرون) لايعلمون (وإذا رأى الذين
أشركوا شركاءهم) الذين كانوا يعبدونهم:
من الشياطين والأصنام وغيرها (فألقوا إليهم
القول) أي قال المبودون للعابدين (إنكم
لكاذبون) ينطقهم الله تعالى «الذي أنطق

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان) والعدل : يتناول القول ، والفعل ، والإشارة ؛ بل يتناول كل المعاملات في شتى صورها . والعدل : جماع الفضائل كلها ؛ فمن جعل العدل ديدنه : أحاطه الحب من كل جانب ، وصار في عداد الأبرار ، الأخيار ، الأطهار ! قال تعالى «اعدلوا هو أقرب للتقوى» .

ولما كان العدل قرين الإحسان ، والإحسان : هو صلب العدل وأساسه ؛ أمر الله تعالى به أيضاً فقال «إن الله يأمر بالعدل والإحسان» والإحسان : يشمل كل خير يصل إلى الإنسان والحيوان ، وهو أيضاً يشمل الأقوال والأفعال .

سورة النحل

٣٣١

ولما كان العدل والإحسان لا يتان إلا بصلة ذى القربى قال تعالى (وليتاء ذى القربى) وهو صلة الرحم ، أو هو كل قريب منك : في النسب ، أو الجوار ؛ ووصلهم : بأن يبر فقيرهم ، وزور غنيهم ، ويعود مريضهم ، ويشيع موتاهم ، متحسباً إليهم لذاتهم وقربهم ؛ لا لمالهم وجاههم !

لما أمر الله تعالى بالعدل والإحسان وبر الأقرباء ؛ نهى عن أضداد هذه الصفات ؛ فقال جل شأنه (ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) والفحشاء : كل قبيح من قول أو فعل ، أو هو الزنا «والمنكر» كل ما ينكره الشرع والعرف والذوق السليم ؛ وهو شامل لجميع المعاصي ، والردائل ، والدناءات ؛ «والبغى» الظلم ، والكبر ، والاعتداء ؛ وهو لإجمالا تجاوز الحد (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) الناس ؛ سمي الله تعالى اليهود ، والعقود ، والمواثيق : عهدوا معه جل شأنه .

(انظر آتي ١ من سورة المائدة ، و ٧٢ من سورة الأنفال) (ولا تنقضوا الأيمان) أى لا تحشوا في أيمانكم وتكذبوا فيها (بعد توكيدها) بعد إبرامها مع الغير ، وبعد أن ترتبت لذلك الغير حقوق والتزامات في أعناقكم

(وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) أى شاهداً ورقياً ، أو متكفلاً بالوفاء ؛ حيث حلفتم به (ولا تكونوا كآلتي نقضت غزلها من بعد قوة) أى كالرأفة التي أفسدت غزلها من بعد أن تعبت فيه وأحكمتها (أنكاثاً) أنقاضاً . وهو ما ينكث فتله : أى يحل نسجه (تمخذون أيمانكم دخلاً بينكم) أى خديعة وفساداً ، وتفريراً بالخلاف له ؛ ليطمئن إليكم ؛ وأنتم مضمرون له الغدر وترك الوفاء . والدخل : ما يدخل في الشيء فيفسده ؛ لأنه ليس منه (أن تكون أمة هي أربى من أمة) أى خديعة وفساداً ، وتحتشون في الأيمان : مرضاة للأمة الأقوى (إنما يلوكم الله به) يختبركم بالوفاء بالعهد والأيمان (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) بطريق القسر والجبر (ولكن يضل) الله تعالى (من يشاء) لإضلاله ؛ بعد أن يعرض =

بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣٣١﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٣٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كآلَتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ
بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَخْذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ
تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۗ
وَالْبَيِّنَاتُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهَا تَخْتَلِفُونَ ﴿٣٣٣﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَنْظُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣٤﴾
وَلَا تَخْذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ نُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٣٣٥﴾ وَلَا تَسْرُبُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَسْرُبًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ

= عليه الإيمان فيأباه ، ويسلكه في قلبه فيرفضه ، ويسوق له الدليل تلو الدليل على ألوهيته ووحديته ؛ فيزداد تسكياً بما كان عليه آباؤه وأجداده (ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم) كرهه تعالى للتأكيد . أى لا تجعلوها للغش والخذاع (فتزل قدم) أى تزل أقدام الحالفين عن عجة الصواب . وعن طريق الإسلام ، الذى رسمه الله تعالى للأنام (بعد ثبوتها) استقامتها وهدايتها (وتوقوا سوء) هو في الدنيا ما يلقاه الكاذب من ازدياد الناس له ، وكرهاتهم لقياه ومعاملته ، وانصرافهم عن صحبتته (بما صدتم عن سبيل الله) أى بصدكم عن الوفاء بالعهد والعقد ، أو بصدكم الناس عن الوفاء لاعتدائهم بكم ، واتباعهم سنتكم (ولكم) في الآخرة (عذاب عظيم) شديد أليم (ولا تشتروا) لا تستبدلوا (بعهد الله) أو امره ونواهيته ، أو ما عاقدتم الناس عليه (عناً قليلاً) بأن تقضوه من أجل قليل المال ؛ الذى تأكلونه سحتاً وحراماً ! وهو قليل - وإن كثر - لا لتقدم بركته ، وكثرة إثمته (إن ما عند الله) من الثواب والأجر (هو خير لكم) من الدنيا وما فيها (ما عندكم) من مال - حلال أو حرام - كثير أو قليل (ينفد) يفضى ؛ لأن ماله لى الزوال ؛ ولو من أيديكم لأيدي غيركم (وما عند الله باق) دائم ، لا يزول ولا ينقطع (ولنجزين الذين صبروا) على الطاعات ، وعن المعاصي ، وعلى الوفاء بالعهود والعقود ، وصبروا على ما أصابهم من المحن . لنجزيهم (أجرهم) ثوابهم على ذلك في الدنيا بالحب والود والذكر الحسن ، وفي الآخرة بالنعيم المقيم (بأحسن ما كانوا يعملون) أى لأن جزاءهم سيكون خيراً من عملهم وأحسن منه ؛ ولا بدع فهو جزاء الملك الكريم الرحيم ! (فلنجزيه حياة طيبة) في الدنيا . والمراد بطيب الحياة: هدوء البال ، وانسراح الصدر ! (انظر آية ١٢٤ من سورة طه) (ولنجزيهم) في الآخرة (بأحسن ما كانوا

٣٣٢

الجزء الرابع عشر

الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿٣٣٢﴾ ما عندكم ينفد
وما عند الله باقٍ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن
ما كانوا يعملون ﴿٣٣٣﴾ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى
وهو مؤمنٌ فلنجزيه حية طيبة ولنجزينهم أجرهم
بأحسن ما كانوا يعملون ﴿٣٣٤﴾ فإذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم ﴿٣٣٥﴾ إنه ليس له سلطان على
الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴿٣٣٦﴾ إنما سلطنته
على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴿٣٣٧﴾ وإذا
بدلتنا آية مَكَان آية والله أعلم بما ينزل قالوا
إنما أنت مفتقرٌ بل أكثرهم لا يعلمون ﴿٣٣٨﴾ قل تزله
روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا
وهدى وبشرى للمسلمين ﴿٣٣٩﴾ ولقد نعلم أنهم يقولون
إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أجمعى

وهذا

يعلمون) أى جزاء خيراً مما عملوا ! (فإذا قرأت القرآن) أى أردت قراءته (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وهو دليل على وجوب الاستعاذة قبل القراءة ؛ وذهب الأكثرون إلى أنها غير واجبة ، بل مندوبة . ودليل الوجوب أقوى : فقد ورد عن الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه : أن جبريل عليه الصلاة والسلام أقرأها له «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وقد ثبت أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يستعذ قبل القراءة في الصلاة ؛ وعلى ذلك كثير من الصحابة والتابعين (لأنه ليس له سلطان) قدرة وتسلط (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) في سائر أمورهم (لأنما سلطنته) تسلطه وإغواؤه (على الذين يتولونه) يطيعونه فيما يوسوس لآلهم به ؛ مما يخالف ما جاء به الرسل . يقال : توليته ؛ إذا أطعته ، وتوليت عنه ؛ =

وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٌ ﴿٣٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ
 اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٣٤﴾ إِنَّمَا يَقْتَرِي
 الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْكٰذِبُونَ ﴿٣٣٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا
 مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ
 بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿٣٣٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى
 الْآخِرَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَإَيَّسِدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٣٧﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْغٰفِلُونَ ﴿٣٣٨﴾ لَآ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 هُمْ أَنْتٰخِرُونَ ﴿٣٣٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا
 مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ
 بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤٠﴾ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ

= إذا عرضت (والذين هم به مشركون) أي برهم (ولذا بدلنا آية مكان آية) أي شريعة مكان أخرى ؛
 أو حكماً مكان آخر ، أو نسخنا آية ، وأنزلنا غيرها مكانها ؛ لمصلحة العباد (قالوا إنما أنت مقدر) مخلوق ؛
 بدليل إتيانك بشريعة أو حكم ؛ غير ما عرفنا من الشرائع والأحكام ، أو آية غير ما جئت به من الآيات
 (قل نزله) أي نزل هذا القرآن الذي تتكرونه ، وتفسونون لي افتراءه (روح القدس) جبريل عليه الصلاة
 والسلام (ليبت الذين آمنوا) بما فيه من الحجج الظاهرات ، والآيات البينات (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما
 يعلمه) أي إنما يعلم محمد القرآن (بشر) زعموا
 - لعنهم الله تعالى - أن غلام الفاكه بن المغيرة
 - وكان نصرانياً وأسلم - كان يعلم محمداً
 ما يقوله للناس زاعماً أنه قرآن منزل من عند
 الله ! فرد الله تعالى عليهم بقوله (لسان الذي
 يتحدثون إليه) أي يقولون بالقول إليه ويقصدونه
 بزعمهم (أعجمي) لا يكاد بين (وهذا)
 القرآن (لسان عربي مبين) واضح فصيح ؛
 فكيف يعلمه أعجمي ؟ ! (إن الذين لا يؤمنون
 بآيات الله) حججه وبراهينه ، أو المراد :
 قرآنه (لا يهديهم الله) سبيل الرشاد في
 الدنيا ؛ بل يضلهم ولا يوقمهم لإصابة الحق
 عقوبة لهم (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء)
 (إنما يفتري الكذب) أي ليس محمد بمرتد
 ولا كاذب ؛ وإنما المفترون هم (الذين
 لا يؤمنون بآيات الله) ويقولون «إنما يعلمه
 بشر» (وأولئك هم الكاذبون) بقالتهم
 هذه ، وافتراءهم هذا ! (إلا من أكره) على
 الكفر : بالسيف والبنى ؛ فله أن يتظاهره :
 اتقاء الموت والعذاب (وقلبه مطمئن بالإيمان)
 لا يعتريه أدنى شك أو ارتياب (ولكن
 من شرح بالكفر صدراً) وطابت به نفسه ،
 واتسع له صدره (فعليهم غضب من الله ولهم
 عذاب عظيم) بالغ الإيلام (ذلك) العذاب
 (بأنهم استحبوا الحياة الدنيا) اختاروها

وفضلوها (على الآخرة) وما فيها من نعيم مقيم ! (أولئك الذين طبع الله) غطى وحمم (على قلوبهم) فلا
 يفهمون الحق (وسمهم) فلا يسمعون النصح (وأبصارهم) فلا يبصرون الهدى (لا جرم) لا بد ولا حالة
 (أنهم في الآخرة هم الخاسرون) لأنهم لم يعملوا لها (ثم إن ربك للذين هاجروا) مع الرسول عليه الصلاة
 والسلام إلى المدينة (من بعد ما قتلوا) أودوا وعذبوا (ثم جاهدوا) المشركين (وصبروا) على الطاعة ،
 وعن المصيبة (إن ربك من بعدها) أي بعد هذه الأعمال الصالحات ، أو بعد الفتنة (غفور) لهم (رحيم)
 بهم (يوم تأتي كل نفس)

(تجادل) تخاص (عن نفسها) لايهها غيرها ؛ يوم «لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً» (وتوفى كل نفس ما عملت) أى تطلى جزاء أعمالها (وضرب الله مثلاً قرية) هى مكة المكرمة ؛ والمراد أهلها (كانت آمنة مطمئنة) من أن ينير عليها أحد ، أو يعلن العداء لأهلها (يأتيها رزقها رغداً)

المجزء الرابع عشر

٣٣٤

واسماً . قال تعالى «يجي إليه ثمرات كل شىء» (فكفرت بأنعم الله) أى لم تشكره على ما آتاهها من خير ، وما وهبها الله من رزق (انظر آية ٧ من سورة إبراهيم) (فأذاقها الله) أى أذاق أهلها (لباس الجوع) دعا عليهم الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجلبها عليهم سنين كسنى يوسف» فابتلام الله تعالى بالقطط سبع سنين ؛ حتى أكلوا الظلام والجيف (و) أذاقها الله تعالى أيضاً لباس (الخوف) فكانت سرايا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تطيف بهم ليلاً ونهاراً . ووصف الله تعالى الجوع والخوف باللباس : لأنهما خاطبا أجسامهم مخالطة اللباس (بما كانوا يصنعون) أى بسبب ما صنعوا من العاصى . وقيل : هذا المثل مضروب لكل قرية هذه صفتها ، وتلك حالها ؛ وذهب بعضهم لى أن المراد بالقرية : المدينة المنورة ؛ وليس بشىء (واقدم جاءهم رسول منهم) هو خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام (إنما حرم) الله (عليكم الميتة والدم) المسفوح (وما أهل لغير الله به) أى ما ذبح على النصب ، وما ذكر اسم غير الله تعالى عليه (فن اضطر) لى تناول شىء من هذه المحرمات ؛ خشية هلاك محقق (غير باغ) على المسلمين (ولا عاد) معتد عليهم . أو «غير

مُجَدِّلٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٣٤﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٣٣٥﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٣٣٦﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لَهُ يَاقِينَ ﴿٣٣٧﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣٨﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبْنَا لِكُذِّبٍ أَلَيْسَ لِكُذِّبٍ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَضَرَّبُوا عَلَى اللَّهِ أَلَيْسَ لِكُذِّبٍ أَنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿٣٣٩﴾ مَنعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٤٠﴾

وعلى

باغ» فى أكلها ؛ بأن يأكلها مستطياً لها ، متلهذاً تناولها «ولا عاد» باستيفاء الأكل لى حد الشبع ؛ بل يتناول منها ما يسد رمقه ، ويمتنع تلفه (ولا تقولوا لما تصف أليستكم الكذب) أى لما تصف من الكذب (هذا حلال) وهو ليس بحلال (وهذا حرام) لما ليس بحرام (متاع قليل) فى الدنيا لهؤلاء الكاذبين المقتربين (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) مؤلم .

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ
 وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣٥﴾ ثُمَّ
 إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ
 ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣٦﴾
 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَا يَكُ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٣٧﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٣٨﴾ وَدَعَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا
 فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٣٩﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ
 اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٤٠﴾
 إِنَّمَا جَعَلُ السَّبْتَ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ
 لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣٤١﴾
 ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
 وَجَدِّهْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

(وعلى الذين هادوا) اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في قوله تعالى «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر». (انظر آية ١٤٦ من سورة الأنعام) (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) يجهل (ثم تابوا من بعد ذلك) (وأسلحوا) أعمالهم ؛ فلم يقفوا فيما وقعوا فيه من قبل (إن ربك من بعدها) أى من بعد توبتهم (لغفور) لذنوبهم (رحيم) بهم (إن إبراهيم كان أمة) إماماً ؛ والأمة: الرجل الجامع للخير والفضائل (قانتاً) مطيعاً عابداً (حنيفاً) ما لا لى الإسلام (شاكراً لأنعمه) أى مقدراً لأنعم الله تعالى عليه . وأولى هذه الأنعم : الإسلام (اجتبه) اختاره مولاه واصطفاه (وهده إلى صراط مستقيم) طريق قوم ؛ وهو الإسلام (وأتيناه في الدنيا حسنة) النبوة ، والتناء الحسن ، والتربية المباركة - وناهيك بمن كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من نسله - وآناه الله تعالى أيضاً تخليد اسمه والصلاة عليه في كل صلاة ؛ مقروناً اسمه باسم سيد الخلق عليهما الصلاة والسلام (ثم أوحينا إليك) يا محمد (أن اتبع مله إبراهيم) وذلك لأنها أصل الملل الحنيفية (إنما جعل السبت) أى فرض تعظيم يوم السبت (على الذين اختلفوا فيه) روى أن موسى عليه السلام طلب من بنى إسرائيل أن يفردوا يوماً للعبادة ، وأن يكون ذلك اليوم يوم الجمعة ؛ فأبى أكثرهم إلا يوم السبت ، وارتضى الأقلون بيوم الجمعة (ادع إلى سبيل ربك) دينة (بالحكمة) القرآن (والموعظة الحسنة) القول الرفيق الرقيق ، الذى ينفذ في القلوب ، ويحب إلى النفوس (وجادهم بالتي هي أحسن) أى بالرفق واللين ؛ وإذا كان الكفار يجادلون بالرفق واللين ؛ فما بالك بالمؤمنين الموحدين ؟!

(وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) ليس معنى ذلك أن من قتل ابني جاز لي أن أقتل ابنه ، ومن قتل ابني جاز لي أن أقتل أباه ، ومن سمى لإبلي جاز لي أن أسمم إبله ؛ بل المراد: معاينة الآثم نفسه بمثل لعنه ؛ فان قتل : قتل . وإن ألحق بالغير غرباً : غرم بغير مماثل لما ألحقه بالآخرين (ولئن صبرتم) عن الإنتقام والمعاينة (لهو خير للصابرين) في الدنيا بترك الخزازات ، ومنع النار والبغضاء الكامنة في النفوس ؛ وفي الآخرة بما أعده الله تعالى للصابرين من جزيل الأجر ، وواسع المغفرة ! (واصبر) يا محمد على أذى قومك (وما صبرك إلا بالله) بموته وتوفيقه .

الجزء الخامس عشر

٣٣٦

ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنِّ عَاقِبَتُهُمْ
فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ
لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٨﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿٢٠﴾

(١٧) سُورَةُ الْاِسْرَاءِ مَكِّيَّةٌ

إِلَّا آيَاتُ ٢٦ و ٢٢ و ٢٣ و ٥٧ وَآيَةُ ٧٣ إِلَى غَايَةِ آيَةِ ٨٠ فَدُنِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا ١١١ نَزَلَتْ بِمَدْيَنَ الْمُتَّصِفِينَ

(سورة الإسراء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي

(سبحان) تنزيه له تعالى من كل نقص ؛ ولا يجوز أن ينزه به غيره من المخلوقين ؛ وهي كلمة تدل على نهاية التنزيه ، وغاية التقديس ؛ وهي من السبح : بمعنى الذهب والإبهام . أى أنه تعالى عن النقائص ، وأبعده عن صفات المخلوقين ، وأجله عما وصفه به الكافرون ، وافترأه عليه المكذبون الضالون ا (الذى أسرى) الإسراء : السير ليلا (بعده) قال تعالى «بعده» ولم يقل بنيه ، أو برسوله ؛

وَصِيحًا

لأن صفة العبودية : هي غاية الغايات ، وأشرف النعوت والصفات ؛ يبتغيها العارفون ، ويتمناها المحضون ! (إلى المسجد الأقصى) بيت المقدس ؛ وقد كان التوجه إليه في الصلاة قبل تحويل القبلة (الذى باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا ؛ لأنه كان مهبط الوحي ، ومتعبد الأنبياء عليهم السلام (إنه) أى النبي صلوات الله تعالى وسلامه عليه (هو السميع) لأوامري ، المبلغ لها ، العامل بها (البصير) المتبصر في ملكوتي ، المعتر بأياتي ، المتدبر في عظمي وجبروتي ! أو الضمير عائذ الله تعالى ؛ فهو جل شأنه سميع لكل المسوعات ، بصير بكل المبصرات ا يأخذ بالرأى الأول المتصوفة ؛ أما أرباب الكلام فلا يرون إلا القول الثاني

(وقضينا لى بنى اسرائيل) لاهم وحباً مقضينا أوجياً (فى الكتاب) التوراة (لتفسدن فى الأرض) بالمعاصى (مرتين) أولاهما: قتل زكرياء . وحبس أرمياء عليهما السلام ، والأخرى : قتل يحيى ، وقصد قتل عيسى عليهما السلام (ولتلن علواً كبيراً) تبغون نبياً عظيماً ؛ وأى بفى أشد من قتل خيرة خلق الله تعالى ، والداعين لى دينه الحق ١٩ (فإذا جاء وعد أولاهما) أولى مرتى الفساد ؛ المشار لاهما بقوله تعالى «لتفسدن فى الأرض مرتين» (بعثنا عليكم عبداً لنا) هم أهل بابل (١) ؛ وكان عليهم مختصر (٢) . وقيل : جالوت (أولى بأس شديد) ذوى قوة وبطش .

قيل : فى المرة الأولى جاءت جند من فارس متنكرون ؛ يتجسسون أخبارهم ، ويعلمون مواطن ضعفهم ؛ لذا قال تعالى (تجسسوا) أى تجسسوا ، والجوس: طلب الشيء بالاستقصاء ، والتردد خلال الدور والبيوت فى الغارة (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أعدنا لكم القوة والقلبة ؛ حين تبتم وأنبتم . قيل : كان ذلك بقتل داود جالوت (وجعلناكم أكثر نفيراً) عشرة وعدداً (إن أحسنتم أعمالكم) أحسنتم لأنفسكم) لأن ثواب احسانكم عائد لاهيا (وإن أسأتم فلها) أى فلأنفسكم عقوبة إساءتكم (فإذا جاء وعد الآخرة) وعد المرة الآخرة فى الفساد الذى تقومون به فى الأرض ؛ وكان ذلك بقتل يحيى بن زكرياء عليهما السلام (ليسوا ووجهكم) أى بعثناهم «ليسوا ووجهكم» وإساءة الوجه : ظهور الحزن والأسى عليه . وللرأى : ليجزؤكم بالقتل والأسر والسبي . وقد يراد بـ«وجهكم» : أشرفكم وساداتكم ؛ وهو أبلغ فى الهوان والإذلال (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس : دخلوه فاتحين فخر به (كما دخلوه) وخربوه (أول مرة وليتبروا ما علوا تديراً) أى يهلكوا كل شيء استولوا عليه (وإن عدمتم) لى الكفران والصبيان (عدنا) لى العقوبة

والإذلال (وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) من التضيق والمصر . أى محبساً وسجنأ ، أو فراشأ يتقلبون عليه (إن هذا القرآن يهدى للى هى أقوم) أى للطريقة التى هى أصوب وأعدل

وَكَيْلًا ۝ ذُرِّيَّةً مِّنْ هَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَمَآذَا جَاءَ وَعْدَ أَوْلَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عَبَادًا لَّنَا أَوْلَىٰ بِأَسْ شَدِيدِ الْجَاسُوسَاتِ الَّذِيْنَ كَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَمَآذَا جَاءَ وَعْدَ الْآخِرَةِ لِيَسْئَعُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِن عُدْتُمْ عَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِّلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ لَنَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَإِن

(١) يابل : موضع بالعراق ؛ لاهه ينسب السجر والسجرة .

(٢) مختصر : ملك البابليين «عام ٦٠٧ قبل الميلاد» نزع بلاد الموصل ، وهاجم الإسرائيليين ، وأخذ منهم أقاليم سوريا ، وأخذ من فلسطين الجزية ، وبعد ذلك أسر من اليهود خلقأ كثيراً منهم جماعة من رؤسائهم وأخبارهم ، ونهب بيت المقدس .

(أعدتنا) أعدنا وهياناً (وهدم الإنسان بالسر دواءه بالحبر) أى يطلب النفع العاجل وإن قل ؛ بالضرر الأجل وإن جل ! أو يدعو على نفسه وأهله إذا حل به حشر ؛ كما يدعو بالحبر (وجعلنا الليل والنهار آيتين) داليتين على قبرتنا ووحدايتنا (فحونا آية الليل) طمسنا نورها بالظلمة ؛ وفي هذا الطمس آية دالة على وجوده تعالى (وجعلنا آية النهار مبصرة) أى يبصر بها وفيها (لتبتغوا) تطلبوا (فضلاً من ربكم) رزقاً بالسعى فيه والعمل والأجر (ولتعلموا عدد السنين والحساب) لأنه لو لم يكن ليل ونهار ؛ لما عرفت الأيام ، وأحصيت

الجزء الخامس عشر

٣٣٨

الأعوام (وكل شيء) تحتاجون إليه في ما يشكم (فصلناه تفصيلاً) ببناء تبييناً (وكل إنسان أزمانه طائرته في عقده) طائر الإنسان ؛ عمله الذى عمله في ديناه من خير أو شر ؛ أى ان جزء عمله ملازم له ملازمة القلادة للعنق (وتخرج له يوم القيامة كتاباً) قد كتب فيه سائر ما عمل في ديناه «أحصاه الله ونسوه» (يلقاه منشوراً) مبسوطة مقروءاً مذاها ؛ يقال : نشر الحبر ؛ إذا أذاعه (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لأن نواب هدايته تائد إليها (ومن ضل فإعما يضل عليها) لأن لأم ضلاله واقع عليها (ولا تزر وزرارة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس لأم نفس أخرى (وما كنا معذبين) أحداً من الناس (حتى نبعث) لاليهم (رسولاً) بين لهم ما يجب عليهم ، وأن يكون الرسول بلسان المرسل اليهم ؛ ليستطيع أن بين لهم «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليين لهم» وعلى هذا فواجب الأمة الإسلامية تبليغ القرآن الكريم لسائر الأمم ، وترجمته لمن لا يتكلمون بالعربية . ولهذا البحث مزيد بيان فانظره إن شئت في كتابنا «الفرقان» (وإذا أردنا أن نهلك قرية) أى أهل قرية ؛ بسبب انصرافهم عن الطاعات ، وانغماسهم في الشهوات (أمرنا مترفياً) من الأمر ؛ الذى هو ضد النهى .

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠٠﴾
 وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
 عَجُولًا ﴿١٠١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوْنًا آيَةً
 اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ
 وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ وَفَصَّلَتْهُ
 تَفْصِيلًا ﴿١٠٢﴾ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَزَمْتَهُ طَبَقَهُ فِي عَقْبِهِ
 وَنُحْرَجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٠٣﴾ أَقْرَأَ
 كِتَابَكَ كَتَبَ لِي بِسْمِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٠٤﴾ مَنِ اهْتَدَىٰ
 فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا
 وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
 رَسُولًا ﴿١٠٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
 فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا تَدْمِيرًا ﴿١٠٦﴾
 وَكَرَّاهُكُم مِّنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَانَ رِيبِكُمْ بِذُنُوبِ

عِبَادِهِ

أى أمرنا أغنياءها وكبراءها بالطاعة ؛ فلم يمتثلوا لأمرنا ، ولم يستجيبوا لأرادتنا (ففسقوا فيها) فخرجوا عن أمرنا ، وعصوا رسلنا ، وكذبوا بآياتنا ! أو المراد بالفسق : الزنا . قرىء «أمرنا» من التأمير . أى جعلنا مترفياً أمراء فيها (فحق عليها القول) وجب العذاب على أهل القرية جميعهم . وجب على من عصى وفسق : لعصيانه وفسقه ، ووجب على الباقيين : لعدم منعم العاصي عن عصيانه ، وعدم ضربهم على أيدي الفسقة ! قال تعالى «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر : من أولى واجبات المؤمنين ! (دمرناها تدميراً) أى دمرنا القرية التى فشا فيها الفساد والسفاد ، وعم فيها العصيان والظلمة ! وتدميرها يكون بتدمير أهلها ؛ وذلك بأن يسلم الله تعالى عليهم الأدواء والآفات ، =

== وشفى فيهم الأمراض والعلات ! ولا يخفى أن الزنا مصدر من مصادر الأمراض الفتاكة المتلفة ، وقد اقتضت حكمة الحكيم العليم بأن تكون عقوبة الزنا : فقراً مدقماً ، وهلاكاً محققاً ؛ فهو السبب الأوحد لمرض الزهري ؛ الذي يصيب الأجسام ، وينخر في العظام ، ويجعل القوى هزيلة ، والعزير ذليلاً ! ولا يقتصر هذا المرض العين على الفاسق فحسب ؛ بل يصاحب بنيه وذراريه ، وخطائمه وجلسائه ، وخطأه خطائمه ، وجلساء جلسائه ؛ إلى مالا نهاية له ؛ فتخط بذلك قوى الأمة ، ويضعف لإتاجها وتاجها ؛ حتى يصف بزهرة

الشباب ؛ فيشوه خلقهم ، كما شوه خلقهم ؛ قتهلك القرية بسبب أعمال قوى بينها وضعفهم واستكاثهم ؛ وعدم استطاعتهم مجارة الحياة في تجارة ، أو صناعة ، أو زراعة فيجعل بواديهم الدمار والبوار ؛ وهذا - ولا شك - لإحدى العقوبات التي ينزلها الله تعالى في الدنيا بمن غضب عليه ! أعادنا الله تعالى من غضبه وعقابه ؛ عنه وفضله !

هذا ولا يجوز بحال فهم الآية بظاهر سيافها : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » غاش لله أن يريد الهلاك لأناس قبل ارتكابهم الإثم ، واستحقاقهم الهلاك ! وكيف يستطيع عبد أن يمنع عن إرادة مولاه ، وإرادته مشيئة كائنة ؟ ! « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » وحاش أن يأمر تعالى بالفسق وهو الناهي عنه ، المتوعد عليه ! وإلا لو قلنا : إنه تعالى أراد الفسق ، وأمر الفاسق به ؛ فلماذا يتوعد ؟ وعلام يعاقبه ويؤاخذه ؟ ! وهل من العدل - يا ذوى العقول - أن يأمر عبده بالعيان ، ويهلكهم على تنفيذ أمره ؟ ! فتعالى الله عن إرادة الفسق ، أو الأمر به ، وجل عن الظلم ؛ وهو القائل : « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ولا يعذب الله تعالى أحداً من خلقه قبل أن

ينذره ويحذره « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ينهى عن الفسق ، ويتوعد عليه ؛ لا أن يأمر به ، ويرغب فيه ! هذا وقد عجز بعضهم عن فهم هذه الآية وأمثالها ؛ فأطاح ذلك بألبابهم ومعتقداتهم ؛ فساروا على غير هدى ، وسقطوا في مهاوى الردى ! فتفهم ما قلناه وتدبره ؛ هديت وكفيت ! (وكم أهلكتنا من القرون) أى وكثيراً ما أهلكتنا من الأمم (من كان يريد العاجلة) الدنيا (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) أى آتينا من نشاء ممن يرغبون في الدنيا ما نشاء إعطاهم له ؛ لا ما يريدوه هو لنفسه ؛ فكم قد رأينا منصرفاً عن الآخرة ، مقبلاً على الدنيا ، وقد خسر كليهما : لا مال في يديه ، ولا صحة في جسده ، ولا ولد يسنده في كبره وعوزه ؛ ورأينا آخر يمانته في كفره ، ويشاكله في عقيدته ؛ وقد آتاه الله تعالى من دنياه ==

عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ﴿٣٣٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٤٠﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿٣٤١﴾ كَلَّا بُمُدِّ هَتْمُوكُمْ وَهَتْمُؤَلَّاءِكُمْ مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكُمْ وَمَا كَانَتْ عَطَاءُ رَبِّكُمْ مَحْظُورًا ﴿٣٤٢﴾ أَنْظَرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٣٤٣﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٣٤٤﴾ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغْنِ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٤٥﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِ صَغِيرًا ﴿٣٤٦﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ

= ما أراد ، بل وزاد ؛ وذلك كله بتصرف الحكيم العليم يعطى من يشاء ما شاء ، ويمنع من يشاء عما يشاء ؛ وقد يعطى من يفيض ، ويمنع من يجب ؛ لحكمة عليها ، ومشيئة قدرها ! (ثم جعلنا له) أى جعلنا فى الآخرة لمن أراد العاجلة (جهنم يصلها) يدخلها (ممنوماً مدحوراً) مطروداً من رحمة الله تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) أى عمل الأعمال الصالحة الموصلة لها (وهو مؤمن) شرط الله تعالى لإيمانه ؛ فقد يعمل الكافر أعمالاً صالحة ؛ لا يفتنى بها دنيا ؛ ولكنها مهرودة عليه لكفره ، معجل له ثوابها

الجزء الخامس عشر

٣٤٠

فى دنياه عدلاً من ربه ! (كلا عند هؤلاء وهؤلاء) أى يعطى كلاً من المطيع والماسى تفضلاً منا وإحساناً (وما كان عطاء ربك محظوراً) ممنوعاً من أحد من خلقه (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى الرزق والجاه ، والصحة والقوة ؛ وقد يكون الفاضل أدنى رتبة من المفضول ؛ ولكن لا عبرة فى التفضيل فى الدنيا ، وإنما الاعتداد والعبرة بالتفضيل فى الآخرة (وللآخرة أكبر درجات) أعظم من درجات الدنيا (وأكبر) وأعظم (تفضيلاً) فينبغى الاعتناء والتمسك بالأعمال الموصلة إليها (وقضى ربك) أمر وألزم وأوجب (ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) أردف تعالى عبادة بالاحسان إلى الوالدين ؛ لأنه سبحانه هو المؤثر فى وجود الإنسان على الحقيقة ، والوالدان هما المؤثران فى وجوده - بحسب العرف الظاهر - وأيضاً فإن الله تعالى لا يعمل من الإنعام على عبده ؛ ولو أتى بأعظم الجرائم ، وأكبر الآثام ، وكذا الوالدان لا يعلن الإنعام على ولدهما ولا كرامه ؛ ولو كان مسيئاً لها غاية الإساءة ! فليأمل ذلك العاق لأبويه ، وليبادر بالإحسان لبيهما ؛ ليحظى بالفقران ! وقد ذهب بعض الفلاسفة إلى أن الوالدين لم ينجا ولدهما رغبة فى إيجاده ، وإنما هو ثمرة لشهوة اشتهاها وأرادها بمحض اختيارهما ؛ فلا فضل لها عليه ، ولا منة أسديها إليه . وقد فات هؤلاء الفجار أن الله تعالى جعل مصدر الولد الاشتها والذمة : لحكمة حفظ الأنواع وبقائها ؛ وناهيك بما يتعمله الولدان بعد ذلك فى سبيل تربية بنهما وتنشئتهما وما يبدلانه من متاعب فى سبيل راحتهم : فطالما سهرنا ليناوما ، وشقيا ليعبدوا ! وطالما أفقنا من مالمهما فى سبيل اطعامهم ، وطالما بدلا النفس والنفس فى سبيل تمريرهم والحفاظة عليهم ! أليس كل ذلك موجب لإكرامهما وإعزازهما ، وطلب الرحمة لهما ! ؟ فليأمل ذلك كل عاق لوالديه ، وليبادر إلى إدراك ما فاته من الإحسان لبيهما ؛ قبل أن يتقطع جبل حياتهما فيخسر الدنيا والآخرة !

وقد ورد أن الله تعالى لا ينظر يوم القيامة لمن عاق والديه ! (إما يبلغن عندك الكبر) خص تعالى =

إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا ﴿٣٤٠﴾
 وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْدِرْ
 تَبْدِيرًا ﴿٣٤١﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْرَانًا الشَّيْطَانِ وَكَانَ
 الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٣٤٢﴾ وَإِنَّمَا تَعْرَضُ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ
 رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لِّهْمُ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٣٤٣﴾
 وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
 الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٣٤٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
 لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٤٥﴾
 وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ لَّحَنَ تَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا نَكْرَهُ
 أَنْ قَتَلَهُمْ كَانَ خِطْفًا كَبِيرًا ﴿٣٤٦﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّمَا
 كَانَ فِتْنَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٤٧﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
 حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِ
 سُلْطَانًا فَلَا يَبْسُفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّمَا كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٤٨﴾

ولا

الكبر ؛ لأنه بيعت الضعف والحاجة ، ومظنة الملل والاستئثار (فلا تقل لها أف) وهي أذن كلمة تقال في الضجر . وقد ورد عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : « لو علم ربك دون أف لهنى عنه » (واخض لها جناح الذئب من الرحمة) أى ألن جانبك ، وكن ذليلاً في معاملتهما - مها كنت عزيزاً - حباً فيهما ، ورحمة بهما ؛ فقد أذلتها في صفرك وأتبتهما وأشقيتهما ؛ وقد أحباك كل الحب ورحماك كل الرحمة ! فكن لها محباً ، وبهما رحبياً ؛ ليحبك الرحمن ، ويرحمك الرحيم ! (للأوابين) الراجعين إلى الله تعالى (وآت ذا القربى حقه) بعد أن أمر الله تعالى

عباده بعبادته ، وبالإحسان إلى الوالدين والتذلل لها : أردف بذوى القربى ، ووجوب إيفائهم حقوقهم التي جعلها في أعناقنا ؛ فأمرنا بإيثارها لهم . ومن هذه الآية يعلم أى للأقرباء حقوا أقلها : معاونة فقراهم ، وزيارة أغنيائهم ، ومواساة ضعفائهم . وبعد أن أمرنا تعالى ببر الوالدين والأقرباء ؛ ولبعضهم من الحقوق ما يستأهل البر والطف والمساعدة ؛ بعد ذلك عرفنا تعالى أن لكل محتاج - قريب كان أو بعيد - حقا واجب الأداء والوفاء ؛ قال تعالى (والمسكين وابن السبيل) وهو المسافر الذي انقطع به الطريق ! واعلم - هديت وكفيت - أن هذا الحق الذي أمر به الله تعالى غير فريضة الزكاة ؛ فاحرص على ذلك حرصك على دينك ! (ولا تبذر تبذيراً) بالإففاق في غير طاعة الله تعالى ؛ فلو أنفق سائر ماله في الخير والصدقة : ما كان من التبذير ! إذ أنه لا خير في السرف ، ولا سرف في الخير ! ولا يعقل أن يكون البار بالمساكين ، من إخوان الشياطين ! (إن التبذير كانوا إخوان الشياطين) وقد خرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه من سائر ماله في سبيل الله تعالى ؛ فكان ذلك لإحدى محامده ! (وإما تعرض عنهم) أى عمن ذكر ؛ لضيق ذات يدك ، وفقر به الله امتحنك

(ابتغاء رحمة من ربك) أى طلباً لرزق يأتيك ؛ فتوفى به ما عليك : مما أمرك الله تعالى به ، وأزملك بأدائه . ومن عجب أن نرى في زماننا بعض من أفاء الله تعالى عليهم بالمال الكثير ، والرزق الوفير ؛ وقد بدلوا نعمة الله كفرة ؛ وجزوا والديهم عقوقاً وخذلاناً ، وأقربائهم ذلاً وحرماناً ، ومساكينهم قهراً ونهراً ؛ في حين أنهم في سعة من العيش ؛ يسرفون في ملذاتهم وشهواتهم بشير حساب ! بينما نجد فقيراً مدقماً : يتعثر في أسنانه ، ولا يكاد يني بحاجة عياله ؛ إذا به يقطع من قوته فيعطى الأيوين والأقرباء ، ولا ينسى المساكين والفقراء ! وذلك فضل من الله يؤتية من يشاء ! والله يجزي العاملين ، ويتولى الصالحين ! (فقل لهم قولاً ميسوراً) سمحاً سهلاً : بأن تعدم بالإعطاء ، عند حلول العطاء ، وبأن توسع عليهم عندما ينفق المولى =

وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤١﴾
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ ۚ إِذَا كَلَّمْتُمْ وِزْرًا بِالْقِسْطِ ۚ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٤٢﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٤٣﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَن تَحْرِقَ الْأَرْضَ وَنَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٤٤﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٤٥﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءآخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٤٦﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ بِالْيَتِيمِ ۚ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْسَانًا ۚ إِنَّكَ لَن تَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٣٤٧﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٣٤٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا

== عليك ! وبنائك يكون رفقك سبياً في رزقك ، وسخاؤك سبياً في رعاثك ! (ولا تحمل يدك مغلولة إلى عنقك) أى لا تكن بجيلاً (ولا تبسطها كل البسط) فتكن من السرفين ا (تفتقد ملوماً) مستوجباً للوم : من نفسك ، ومن بنى جنسك (محسوراً) متحسراً (إن ربك يبسط الرزق) يوسعه (ويقدر) يضيّق (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) فقر (خطأ) (ولما خطأ) (ولا تقربوا الزنا) اعلم - هداك الله تعالى - أن قربان الزنا غير إتيائه ، وقرع الباب غير ولوجه . وقد أريد بقربانه : غشيان مواضعه ، وتعريض النفس له ؛

المزج الخامس عشر

٣٤٢

من إطالة النظر ، وإشغال الفكر ، وإشباع الفرائض : قال تعالى « قل للمؤمنين يفصوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » فإذا ما صان الإنسان نفسه ، وكف بصره : تجنب مواضع الزلل! ولا يخفى ما في الزنا من فساد لأنساب ، وقطع للأرحام ؛ وما يترتب عليه من فتك الأمراض الخبيثة بالنفوس ؛ وهو من الذنوب التي جاء ذمها وتبيحها والزجر عليها في سائر الأديان ؛ والدليل على غش هذا الجرم وشناعته : فسوة عقابه ، وشدة جزائه ؛ فقد جعل الشارع الحكيم عقوبة الزنا : الرجم بالحجارة للمحصن «المتروج» وجلد مائة لغير المحصن «الأعزب» (انظر آيتي ١٦ من هذه السورة ، و ٢ من سورة النور) (وساء سبيلاً) أى بش هذا الطريق طريقاً (ومن قتل مظلوماً) بغير ذنب يستحق عليه القتل (فقد جعلنا لوليّه) لوارثه المطالب بدمه (سلطاناً) تسلطاً على القاتل وحده (فلا يسرف في القتل) بأن يقتل غير القاتل ، أو يقتل بعد أخذه الدية (إنه كان منصوراً) بكلمة الله تعالى وأمره (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) كان ينييه ويستثمره ، ولا يأخذ الوصي منه شيئاً إلا بمقدار ما يأكل - إذا كان فقيراً - بشرط عدم الإخلال برأس المال (حتى يبلغ أشده) أى قوته : وهو ما بين ثمانى عشرة

لَا تَبْغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٣٤٢﴾ سَبَّحْنَهُ وَتَعَلَّىٰ
عَمَا يَقُولُونَ عَلُوا كَبِيرًا ﴿٣٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ
وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٣٤٤﴾
وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٣٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ
فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّثَهُ وَلْيُوَاغَىٰ عَنْ آذَانِهِمْ نَجْوًا ﴿٣٤٦﴾ تَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ
إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٣٤٧﴾
أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٣٤٨﴾ وَقَالُوا أَوْدَاكُمَا عَظْمًا وَرَفَقْنَا أَوْدًا لَمَّعُونَ
خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٣٤٩﴾ * قُلْ كُونُوا حِجَابًا أَوْ حَدِيدًا ﴿٣٥٠﴾

أَوْ خَلْقًا

إلى ثلاثين سنة (وأوفوا بالعهد) الذي تعاهدون الناس عليه ، والميثاق الذي تواتقونهم به (إن العهد كان مستولاً) عنه . وقيل : يسأل العهد نفسه ؛ تبيكياً لناقضه ، وتقرباً له ! (انظر آيتي ١ من سورة المائدة ، و ٧٢ من سورة الأفال) (وزنوا بالفضاس) الميزان (ذلك خير) في الدنيا : بحب الناس لكم ، وإقبالهم عليكم . وفي الآخرة : برضا الرب عنكم ، وإحسانه إليكم (وأحسن تأويلاً) أى أحسن مآلاً وعاقبة (ولا تقب) ولا تتتبع (مالميس لك به علم) كأن تقول : سمعت ؛ وأنت لم تسمع ، ورأيت ؛ وأنت لم تر ؛ وعلت ؛ وأنت لم تعلم (إن السمع والصر والفؤاد) الفؤاد : القلب ؛ وأريد به العقل (كل أولئك كان عنه) الإنسان (مستولاً) فيجب على العاقل الحكيم ألا يسمع إلا خيراً ، وألا يرى محرماً ، وألا يفكر =

== شرأ ، ولا يعتقد نكراً ! (ولا تمش في الأرض مرحاً) أى لا تمش متكبراً ، مختالاً . وقد أخذ بعضهم من هذه الآية : تحريم الرقص ؛ لأنه أشد من المرح ، وأشر من الاختيال (إنك لن تحرق الأرض) بكبرك وتجبرك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتعاطلك وتفاخرك ! (كل ذلك) المذكور ؛ من أمر ونهى (كان سيئه) أى سيء ما عدنا عليك (عند ربك مكروهاً) مفضواً مذموماً ! ومن واجب المؤمن الذكى التقي : أن يتبع ما أحب الله تعالى ؛ لا ما أبغض وكره ! (مدحوراً) مطروداً (أفأصفاكم ربكم) اصطفى لكم وخصمكم (بالبين) واتخذ لنفسه (من الملائكة إناثاً) بنات ؛

كما تزعمون (واقعد صرفنا) فصلنا وبيننا (في هذا القرآن) من القصص ، والأمثال ، والوعد والوعيد (وما يزيدكم) ذلك القرآن المبين الفصل (إلا فقوراً) عن الحق ، وتمسكا بالباطل (قل لو كان معه) أى مع الله تعالى (آلهة) أخرى (كما يقولون إذا لا بتفوا) أى طلعت الآلهة مع الله (لى ذى العرش سبيلاً) طريقاً إلى محاربه ومناوئته ، ومنازعته فى ملكه ؛ كما تفعل ملوك الدنيا ، ورؤساؤها (سبحانه) تقديس وتزه (وتعالى عما يقولون) ويزعمون (انظر آية ١ من هذه السورة) (ولان من شيء إلا يسبح بحمده) للتسبيح والثناء : كما يجريان على لسان المقال ؛ فإنه ينطق بهما لسان الحال : فتسبيح السموات ، والأرض ، والجبال ، والكواكب ، والياه ، والأشجار ، والأزهار : دلالتها على أنه تعالى سى قادر ، جبار قاهر ، له القوة والملكوت ، والغزة والجبروت ! فقد خلقها - جلت قدرته ، وتمالت عظمته - فى أسرع مدة ؛ بلا روية ، ولا حركة ، ولا تجربة « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » وترى السموات مرفوعة بلا عمد ، والكواكب معلقة فى الفضاء بلا سبب : تسبح فى أفلاكها ، وتجرى لى منازلها التى قدرت لها ! كذلك يسبح بحمده ،

ويثنى عليه كل شيء نستمد منه سروراً وجوراً ، ورزقا وخيراً ! كالسموات فى زرقتها وصفائها ، والأرض فى استدارتها وانبساطها ، والشمس فى إشراقها ، والنجوم فى بريقها ، والسحب فى لمطارها ، والحقول فى خضرتها ، واليسابن فى نضرتها ، والأشجار فى حفيها ، والياه فى تدفقها وخيرها ، والطيور فى تغريدها ، والوحوش فى زفيرها ، والبهيم فى خوارها ورافها ! تلك بعض الطرق التى تسلكها مخلوقاته تعالى ، فى تسبيحها بحمده ! ولانها لقل من كثر ، وغيض من فيض «فبارك الله أحسن البراقين» (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) لانصرافيكم عن النظر إليها ، والتأمل فى بديع صنعها ! وقد يخلق الله تعالى لها ألسناً للتسبيح ، فتسبح بحمده بالنطق الفصيح ! (حجاباً مستوراً) يستتر عن الفهم والإيمان ؛ عقوبة لهم على كفرهم وإصرارهم ، وعدم

أَوْ خَلَقْنَا مَا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا
قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ
وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿١٥﴾
يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ۖ وَتَنْظُرُونَ إِلَىٰ لِبَائِمِمْ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٦﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ
الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا
مُبِينًا ﴿١٧﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۚ إِنَّ بَشِيرًا رَّحِيمًا ﴿١٨﴾ وَإِنْ يَسْأَلُ
بِعَذِّبِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٩﴾ وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَن فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ
عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٢٠﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ
زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ ۚ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا
تَحْوِيلًا ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخْفَؤُنَ عَدَابَهُ

الفساد إلى إفاك روتة اليهود؛ فتناقله ضفاف العقول، وصغار الأحلام؛ فليحذر العاقل من الوقوع في مثل ذلك الإفك! (وقالوا أننا كنا عظاماً ورفاقاً) حطاما (قل كونوا حجارة أو حديداً) أى لو كنتم حجارة أو حديداً، ولم تكونوا عظاماً ورفاقاً؛ فسيعدم الله تعالى كما كنتم في الدنيا (فطركم) خلقكم (فسيبغضون إليك رؤسهم) أى يحركونها مستهزئين (وتظنون إن لبتم إلا قليلاً) في الدنيا، أو في القبور (إن الشيطان يفرغ بينهم) يفسد ويفرى (وآتيننا داود زبوراً) كتاباً (قل ادعوا الذين زعمتم) أنهم آلهة مع الله تعالى (فلا يملكون كشف الضر) إذا نزل بكم (ولا تحويلاً) أى ولا يملكون تحويل الضر عنكم إلى غيركم (أولئك الذين يدعون) يبدون؛ أى يعبدون العباد من دون الله: كاللائكة، وعيسى، وعزير. وقرأ ابن مسعود «تدعون» أى هؤلاء الأرباب الذين تعبدونهم؛ هم عباد أمثالكم (يتبعون) بعبادتهم وطاعتهم (لدى ربهم الوسيلة) التي تقربهم إليه؛ ولا يدرون (أيهم أقرب ويرجون رحمته) يطلبون وبأملوت رضاه عنهم، ومغفرة لهم! (ومخافون عذابه) أن ينزل بهم (إن عذاب ربك كان محذوراً) أى يخاف منه ويحذر. والرجاء والخوف: مرتبتان؛

٣٤٤

الجزء الخامس عشر

إِنْ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحذُورًا ﴿٣٤٤﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴿٣٤٥﴾ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٣٤٦﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴿٣٤٧﴾ وَآتَيْنَا نُوحًا الْإِنشَاءَ مِثْمِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴿٣٤٨﴾ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيفًا ﴿٣٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا آرَافَةَ الْبَنِي أُرْسِيكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُوحِفُّهُمْ مَا زَيْدُهُمْ إِلَّا طَغَيْنَا كِبِيرًا ﴿٣٥٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٣٥١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ بَيْنَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَنْحَرَنَّ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٥٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ قَدْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٣٥٣﴾ وَأَسْتَفْزِزُ مِنْ

أَسْتَطَعْتُ

متلازمتان، والجمع بينهما: هو المثل الأعلى، والتوسط فيهما: هو غاية الكمال؛ فإذا زاد الخوف: ذهب بالحب؛ وهو لب العبادة وجوهرها! وإذا زاد الرجاء: ذهب بالأدب والوقار؛ وهما صلب المعرفة! وكما أن الكرم: وسط بين التبذير والبخل. والشجاعة: وسط بين التهور والجنون؛ كذلك يكون كمال الإيمان: في التوسط بين الخوف والرجاء! (وإن من قرية) وما من قرية (إلا نحن مهلكوها) أى محربوها، أو مهلكو أهلها بالوت؛ إن كانت مؤمنة، وبالعذاب؛ إن كانت ظالمة، وبالأمراس والأوصاب؛ إن كانت فاسقة (أو معذبوها عذاباً شديداً) بالقتل، والأسر، والذل. أو يكون المعنى: «وإن من قرية» ظالمة «إلا نحن مهلكوها» قال تعالى «وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون»

= (كان ذلك في الكتاب) اللوح المحفوظ (وما معنا أن نرسل) الرسل (بالآيات) المعجزات التي يقترحونها (لأن أن كذب بها الأولون) أي كذب بها آبائهم ، بعد أن أرسلناها لهم (وأتينا نوحاً الناقة مبصرة) أي آية واضحة جلية (فظلموا بها) أي كفروا بها ، وظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب والعذاب الأليم ؛ وأهلكناهم بسبب هذا الكفر وذلك التكذيب (وما نرسل بالآيات) أي القرآن ؛ وما فيه من نذر ، وقصص وعبر أو أريد «بالآيات» المعجزات (لأن تخويفاً) للمكذبين ؛ فلا يستمرئون تكذيبهم ،

وللكافرين ؛ فلا يقفون على كفرهم (وإذ قلنا لك) يا محمد (إن ربك أحاط بالناس) علماً وقدرة (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) وهو أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى في منامه - عام الحديبية - أنه يدخل مكة - غير أنه رد عنها في هذا العام ؛ فافتتحت المسلمون لذلك ، فزلت هذه الآية ؛ فلما كان العام القابل : دخل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مكة فاتحاً - كما رأى في منامه - وأنزل الله تعالى «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق» وقيل : رأى في منامه مصارع الكفار في وقعة بدر ، وكان يقول حين ورد ماء بدر : والله لكانت أنظر إلى مصارع القوم ؛ ويؤى إلى الأرض ويقول : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ؛ وقد كان ما قال وما رأى ؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه ! (والشجرة الملعونة) أي الملعون آكلها وهي شجرة الزقوم (قال) لإبليس العين ؛ حاجا ربه (أرأيتك) أي أرأيت ؛ والكاف : توكيد للمخاطبة ؛ والمعنى : أخبرني عن (هذا الذي كرمت على) فضلته ، وجعلته فوق في المرتبة : لم فضلته على ؛ وقد خلقتني من نار ، وخلقته من طين ؛ والنار خير من الطين ؛ ! (لأحتنكن ذريته) لأستأصلنهم جميعاً بالإغواء ؛ يقال : احتنك الجراد الزرع : إذا ذهب به كله (قال) تعالى لإبليس (انذهب) مذموراً

أَسْطَقَتْ مِنْهُمْ بَصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ
وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعْدُهُمْ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٠﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١١﴾ رَبُّكَ الَّذِي يُرْسِلُ
لَكَ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ
إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْأَرْضِ اعْرَضْتُمْ وَقَانَ الْإِنْسَانُ
كُفُورًا ﴿١٣﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَابِلُ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿١٤﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ
يُعِيدَ كُرْفِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ
فَيَغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِعًا ﴿١٥﴾
* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ

(فن تبعك منهم) أي من أطاعك واستجاب لإغوائك من ذرية آدم (فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً) كاملاً وافراً (واستغزى) استغف واستزل (وأجلب) اجمع وصح بهم ؛ وهو من الجلبة (بخيلك ورجلك) أي بركابك ومشاتك (وشاركهم في الأموال) بأن ترين لهم الربا ، والسرقه ، والغصب ؛ أو أن ينفقوها في معصية الله (والأولاد) بأن يكونوا أبناء أم وسفاح ؛ لا أبناء طاعة ونكاح (وعدم) أي منهم بالأمانى الكاذبة ، والآمال الباطلة ؛ بأن لا قيامه ، ولا حساب ، ولا جزاء ؛ وأنه إن كان تمت قيامة وحساب ، وحنة ونار ؛ فإنهم أصحاب الجنة ، وهم أولى بها ممن سواهم . قال تعالى «يعدم» ويتيمهم وما يعدهم الشيطان لإغوراً» (إن عبادي) الذين آمنوا بي ، وصدقوا برسلي ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ؛ فهؤلاء (ليس =

= لك عليهم سلطان) تسلط وقوة (ويك الذي يزجي) يسوق ويسير (لكم الفلك) السفن (لتبتنوا من فضله) لتطلبوا الرزق بطريق التجارة ، والتنقل في البلاد (ضل من تدعون إلا إياه) أي غاب من تستغيثون به فيغيثكم ، إلا الله تعالى فهو وحده حاضر لا يغيب « وهو معكم أيها كنتم » فادعوه مخلصين له الدين : ينجيكم مما تخافون ، ويخلصكم مما تحذرون ! (فلما نجاكم) من الضر الذي لحقكم ، والموت الذي أحاط بكم (أعرضتم) عن عبادته ، ونسيت ما أسبغ عليكم من نعمته (أفأنتم) وقد نجوت من البحر إلى اليابسة (أن يخسف بكم جانب البر) بأن يزلزل الأرض ويدكها ويحسفها بكم ؛ كما فعل بمن سبقكم من المكذبين : كقارون (أو يرسل عليكم حاصباً) الحاصب : الريح الشديدة التي ترمي بالحصاة ؛ وهي الحمى (أم أمتم أن يعيدكم فيه) أي في البحر (تارة أخرى) مرة أخرى (فيرسل عليكم) فيه (قاصفاً من الريح) وهي الريح التي تكسر الفلك والشجر (تبيحاً) مطالباً (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) برئيسهم وهونبيهم ؛ فيقال : يا أمة موسى ، يا أمة عيسى ، يا أمة محمد (ولا يظلمون فتيلاً) الفتيل : مثل للحقارة والصغر . وهو قشرة التواة ، أو كل ما يقتل بالأصابع ؛ مما يبق عن الحس (ومن كان في هذه) الدنيا (أعمى) عن الحق : أريد به عمى القلوب لا البصيرة « فإتيا لاتعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور » (فهو في الآخرة أعمى) عن النجاة ؛ كالأعمى حينما يتعثر فيها يلقاه (وإن كادوا) قاربوا (ليفتنونك) يزيلونك (عن الذي أوحينا إليك) من القرآن . قيل عن هذه الفتنة : إن قريشاً منعت الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه من الطواف بالبيت ، واستلام الحجر الأسود: حتى يلم بأهلهم ؛ فغضب الرسول نفسه في ذلك : فزلت عقابا له صلى الله تعالى عليه وسلم على ما هجست به نفسه ؛ ونزل قوله تعالى (ولولا أن تبنتناك) على

حَلَفْنَا تَفْضِيلاً ﴿٣٤٦﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ
 فَمَنْ أُوِّقِيَ كِتَابَهُ بِرِسْمِهِ ۖ فَاُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ
 وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٣٤٧﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هُدًى ۖ أَعْمَى
 فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤٨﴾ وَإِنْ كَادُوا
 لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ
 وَإِذَا لَا تُحَدِّثُكَ خَلِيلًا ﴿٣٤٩﴾ وَلَوْلَا أَنْ تَبَتَّنَاكَ لَقَدِ كُنتَ
 تَرْتِكُنَ لِإِسْمِ شَيْطَانٍ لَّيْلًا ﴿٣٥٠﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضَعْفَ
 الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ۖ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٣٥١﴾
 وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزِنُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
 وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٥٢﴾ سَنَةٌ مِّنْ قَدْرٍ
 أُرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُهُ لَسِنَتًا نَّحْوِيًا ﴿٣٥٣﴾
 أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ ۖ إِنَّكَ عَسَىٰ أَن يَلِيكَ وَقرءَانَ
 الْقَفْرِ ۖ إِنَّ قُرءَانَ الْقَفْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٣٥٤﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ

فتبنتناك

ما أنت عليه من الحق (لقد كدت تتركن لإلهيم شيئاً قليلاً) لأنه قال في نفسه : وما على أن ألم بأهلهم بعد أن يدعوني أستلم الحجر ؛ والله يعلم أن لها كاره مبغض ؛ وقيل : إنهم طلبوا من الرسول عليه الصلاة والسلام الكف عن ذم أهلهم (إذا) لو فعلت ما طلبوه (لأذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات) أي لذنبك عذاباً مضاعفاً في الحياة ، وبعد الممات ؛ وحاشاه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يتركن لإلهيم ؛ وإنما ورد هذا على سبيل التهديد للكفار ، ولئن تحدته نفسه بالركون إلى الكافرين - كما يفعل مسلمو اليوم (وإن كادوا ليستفزونك) ليزعجونك ويفزعونك (وإذا) إذا أخرجوك من أرضك (لا يلبثون خلافاً) خلقك ويهدك (إلا قليلاً) ثم يهلكهم الله (سنة من أرسلنا قبلك من رسلنا) أي هذه سنتنا وطريقتنا : أن نهلك من =

== يعادون رسلهم ويخرجونهم (أتم الصلاة لدلوك الشمس) لزوالها (إلى غسق الليل) ظلمته ؛ وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الصبح (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) تشهد الملائكة ؛ أي تحضره ، وتدعو لمقبية (وقل جاء الحق) الإسلام (وزهق الباطل) انمحي الكفر واطل (إن الباطل كان زهوقاً) مضجعا زائلاً (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) شفاء لقلوبهم ، ورحمة لأنفسهم (وإذا أنعمنا على الإنسان) بالسمعة والرزق والعافية (أعرض) عن العبادة (ونأى بجانبه) تكبر على الناس ، وتباعد عنهم (وإذا مسه الشر كان يؤسراً) أي وإذا أصابته مصيبة ، أو حلت به بلية : قطن من النجاة ، وبئس من روح الله !

٣٤٧

سورة الإسراء

فَتَجِدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
عَمُودًا ﴿٣٤٧﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي
مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا ﴿٣٤٨﴾
وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
زَهُوقًا ﴿٣٤٩﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَرِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى
الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۗ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ
يَافُوسًا ﴿٣٥١﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۗ فَرُبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٣٥٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۗ قُلْ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٥٣﴾
وَلَكِن سَأَلْنَا لِلَّذِينَ بِالَّذِي أُوحِيَآ إِلَيْكَ ۗ لَمْ نَجِدْ لَكَ
بِهِ عَلِيمًا وَكِيلًا ﴿٣٥٤﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ ۗ إِنَّ فَضْلَهُ
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٣٥٥﴾ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ

يمارض الإنسان ربه في حكمته ، ويعترض على قدرته : فيكفه إلى نفسه ؛ فينتهي به ذلك إلى العجز ، وينتهي به العجز إلى السخط ، وينتهي به السخط إلى الكفر ؛ فمتى كانت الإنسان عاجزاً ، ساخطاً ، موكولاً إلى نفسه ، معتمداً على قدرته ؛ مستنداً إلى قوته : كان كالأسد الجائع في المهمة الفقر ؛ إذا توهم أن قوته وبطشه يستطيعان أن يخلقا الفريسة له ؛ فيظل هائجاً هادراً مزيجراً ؛ يطرح بكل ما حوله ؛ فيجلب ذلك إلى نفس الإنسان اليأس ، والانزعاج ، والكآبة ، وغير ذلك من المهلكات التي تبعث في قلبه الشك بربه ، وتدفع إلى نفسه القنوط ، وتجيبل بخاطره حماقات العقل ، ونزغات الشيطان ! وقد ينتهي به ذلك إلى الاتعار . ولو أنه آمن بالله مكان إيمانه بنفسه لسلطه الله تعالى عليها ، ولم يسلطها عليه ، ولأرضاه بما عنده وأقنعه بما لديه ؛ ولأبعد عنه هواجسه ، ومتاعبه ، ولأبدل خوفه أمناً ؛ قال تعالى « وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً : يعبدونني لا يشركون بي شيئاً » ولكن الإنسان يؤس كفور ؛ يسوق يئأسه لنفسه البليات ، ومحط بكفره على قلبه الرزايا ! وإن شئت

فاقرأ قول الحكيم العليم « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » (قل كل) مناومكم (يعمل على شاكلكه) طريقته ، وطبيعته ، ومذهبه ، واعتقاده (ويسألونك عن الروح) التي يحيا بها البدن : ماصفتها ؟ وماهيأتها ؟ وماطبيعتها ؟ وذهب قوم من المفسرين إلى أن الروح المشوول عنه : هو جبريل . وقيل : ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، في كل وجه سبعون ألف لسان ، في كل لسان سبعون ألف لغة ؛ يسبح الله تعالى بكل هاتيك اللغات . وقيل : هو عيسى عليه السلام . وقيل : القرآن . والرأى الأول : أولى بالصواب ، وأجدر بالاعتبار ! (قل الروح من أمر ربي) توهب بقدرته ، وتسلب بأمره ؛ ولا يعلم حقيقتها إلا هو ، ولاسيطرة لأحد عليها - وجوداً وعمداً - وهي باقية بعد فناء =

الأجساد ، حتى يوم الماد ؟ فيعيد الله تعالى لكل جسد روحه ؛ ليحاسبها على ما اكتسبت في دنياها ؛ فيعذب الكافر العاصي ، ويشيب المؤمن الطائع ! وقيل : لان اليهود أوعزوا لقريش أن تسأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ثلاثة أشياء : عن أصحاب الكهف ، وعن ذى القرنين ، وعن الروح ؛ وقالوا لهم : إن أخبركم عن اثنين وأمسك عن واحدة: فهو نبي . فلما سأله أخبرهم عن أصحاب الكهف ، وعن ذى القرنين ، وقال عن الروح « قل الروح من أمر ربي » وقوله تعالى « قل الروح من أمر ربي » دليل على عجز الإنسان عجزاً تاماً عن معرفة حقيقتها وكنها ؛ فليس

الجزء الخامس عشر

٣٤٨

إنسان أن يزعم أن الروح - ولو كانت روح حيوان - هي تحت أمره ، وأنه يستطيع - بإذاعة شيء من الموسيقى - أن يحضر من الأرواح ماشاء وأن يستخدمها فيما شاء ، ويسأله عما يشاء ! وقد دأب ناس - عاقبهم الله - على اللعب بقبول السطاء وألبابهم ؛ بإشاعة هذه الحرافات ، وبث هذه الترهات والخزعبلات ؛ وقد حضرت كثيراً من مجالسهم ؛ فما ازددت إلا تكديباً لهم ، وتسفيهاً لأعمالهم ! وأمر هؤلاء لا يعدو أن يكون من عبث الشيطان بهم ؛ إذ أنه - لعنه الله تعالى - يستطيع أن يتشكل بمن شاء من مخلوقاته تعالى ؛ عدا أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام ؛ فيظهر الشيطان أو أحد أعوانه على صورة الإنسان المراد تخضير روحه ويغاطبهم بما يحلو لهم أت يسموه . أما الروح - ولو أنها موجودة ، وباقية أبد الأبدن - فإنه لا سلطان لأحد عليها من المخلوقين ، ولاتدين إلا الرب الصالحين ! (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) من القرآن ؛ بأن نزع من الصدور ، ونعجوه من الصحف ؛ وسيكون ذلك قبيل القيامة ؛ وهو من أشرط الساعة (إلا رحمة من ربك) أي إن إبقاءه وعدم إذهابه «رحمة من ربك» (قل لئن اجتمعت الإنس والجن) (انظر آية ٢٣ من

عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٣٤٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٣٤٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ ﴿٣٥٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكِ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَافَهَا تَفْجِيرًا ﴿٣٥١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَازَئِمَةً عَلَيْنَا كَيْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيَلًا ﴿٣٥٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ نُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقُرُّهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٣٥٣﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٣٥٤﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَّمشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٣٥٥﴾ قُلْ كُنِّي بِاللَّهِ شَهِيدًا

بيني

سورة البقرة) (ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) معنيًا (ولقد صرفنا) بينا وأوضنا (من كل مثل) يصح به الاعتبار والاستبصار ؛ كالأوامر ، والنواهي ، والترغيب ، والترهيب ، وذكر الثواب والعقاب ، وأفاضيص المتقدمين وأخبارهم (كسفاً) قطعاً (قبلاً) جماعة ؛ مقابلة وعياناً (من زخرف) ذهب (قل سبحان ربي) تزه وتقدس عن أن يأتي بأمرى ، أو بأمرهم (انظر آية ١ من هذه السورة) (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون) مثلهم (مطمئنين) قارين : يطمئنون لمن في الأرض ، ويطمئن من في الأرض إليهم

بَنِي وَيَشْكُرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ﴿١١﴾
 وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهِتَ اللَّهُ لِمِثْلِهِ لَخَشْمَةٌ عَلَيْهِ مِنْ يُضَلُّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ
 أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ
 عَمِيًّا وَيُكْفَرُ بِمَا وَكَّفُوا وَهُمْ جَاهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ
 سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ يَا نَهْمُ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا
 أَوْذَا كُنَّا عُظَمَاءُ وَرَفِقْنَا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٣﴾
 * أَوْ لَرَبُّوْنَا إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَارْتِيَبِ فِيهِ
 فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٤﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ
 تَعْرَابِن رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ قَنُورًا ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ
 بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
 إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مَوْسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٦﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتِ

(ومن يضل فلن تجد لهم أولياء) نصراء
 يهدونهم (من دونه) من غيره (ونحشرهم
 يوم القيامة على وجوههم) تجرم الزبانية من
 أرجلهم «على وجوههم» (عمياً وبكماً وصماً)
 عموا حين دخلوا النار لشدة سوادها، وانقطع
 كلامهم حين قيل لهم «احسأوا فيها
 ولا تكلمون» وذهب الزفير والشهيق والصراخ
 بسمعهم فلم يسموا شيئاً (كلما خبت) انظفاً
 لهيها (ورفاتاً) حطاماً (وجعل لهم أجلاً)
 لموتهم وبعضهم؛ هم مواقعوه (قل لو أنتم
 تملكون خزائن رحمة ربي) من الرزق،
 والمطر، وسائر النعم (إذاً لأمسكتم خشية
 الإنفاق) مخافة الفقر والعدم (وكان الإنسان
 قنوراً) بجحلاً مقترأً (ولقد آتينا موسى تسع
 آيات بينات) واضحات: وهي اليد، والعصا،
 والظوفان، والجراد، والقمل، والضفادع،
 والدم، والسنين أو البحر، ونقص الثمرات.
 وقد ورد في الحديث الشريف أنها «لا تنشق
 كوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي
 حرم الله إلا بالحق، ولا تسرقوا، ولا تسجروا،

ولا تمشوا بيريء إلى سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا حصنة، ولا تفروا من الزحف» (فقال له
 فرعون لاني لأظنك يا موسى مسحوراً) مجنوناً؛ مغلوباً على عقلك

شديد ! (إت الذين أتوا العلم من قبله) أي قبل نزول القرآن ؛ وهم مؤمنو أهل الكتاب (إذا يتلى عليهم يخرون) ساجدين (للأذنان) أي على وجوههم (وقولوت) حال سجودهم (سبحان ربنا) نزهه ربنا وتعالى وتقدس ! وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر أن يقول في سجوده ، وركوعه «سبحانك اللهم ومحمدك ، اللهم اغفر لي» (انظر آية ١ من هذه السورة) (إن كان وعد ربنا) بإرسال محمد ، وياتزال القرآن عليه (لمقولا) لحاصلا لا محالة (وزيدتم) الاستماع إلى القرآن (خشوعا) خضوعا وتواضعا لله تعالى (فله) جل شأنه (الأسماء الحسنى) التي تقتضى أفضل الأوصاف ، وأشرف المعاني ، وأسمى الصفات ، وأسمائه تعالى لا يحصيها عد ، ولا يحدها حد ؛ وقد ورد في الحديث الشريف «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما ؛ كلهن في القرآن ، من أحصاهن دخل الجنة» وليس المراد باحصائها حفظها بحسب ؛ بل الإيمان بها كلها ، والوثوق بملولاتها ؛ وهي : «الله إله لا هو . الرحمن . الرحيم . الملك . القدوس . السلام . المؤمن . المهيمن . العزيز . الجبار . المتكبر . الخالق . الباري . المصور . الغفار . القهار . الوهاب . الرزاق . الفتاح . العليم . القابض . الباسط . الخافض . الرافع . المعز .

(بصائر) أي عبرا بينات واضحات (مشبورا) مصروفا عن الخير ، أو هالكا ، أو مطرودا (فأراد) فرعون (أن يستفهم) أي أن يخرج موسى وقومه من الأرض . يقال : استفهمه ؛ إذا أخرجه من داره وأزجه (فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيقا) أي جميعا ؛ ملتفتين ، ومختلطين ؛ فنجزي من أحسن بالحسنى ، ومن أساء بالسوأى (وقرآنا فرقناه) أي فصلناه ، أو فرقنا فيه بين الحق والباطل ، أو نزلناه مفرقا ؛ في عشرين سنة ، أو ثلاث وعشرين (على مكث) على تؤدة وبيان وتعمل ؛ ليتفهموه (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) تهديد

مَا أَنْزَلْ هُنُلَاوِ إِلَّا رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ بِفِرْعَوْنَ مُشَبَّرًا ۖ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْهِمَ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِن مَّعَهُ جَمِيعًا ۖ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيقًا ۖ وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ نَزْلًا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۖ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ۖ قُلْ لِلَّهِ الْحُكْمُ وَأُولَئِكَ يُبْتَلَوْنَ أَنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۖ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۖ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۖ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۖ

وقل

الذل . السميع . البصير . الحكم . العدل . اللطيف . الخبير . الحليم . العظيم . الغفور . الشكور . العلي . الكبير . الحفيظ . المقيت . الحسيب . الجليل . الكرم . الرقيب . المحييب . الواسع . الحكيم . الودود . الحميد . الباعث . الشهيد . الحق . الوكيل . القوي . المتين . الولي . الحميد . المحصي . المبدئ . المعيد . المحي . الميت . الحي . القيوم . الواجد . الماجد . الواحد . الصمد . القادر . المقدر . المقدم . المؤخر . الأول . الآخر . الظاهر . الباطن . الوال . المتعال . البر . التواب . المنتقم . الغفور . الرؤف . مالك الملك . ذو الجلال والإكرام . المقسط . الجامع . الغني . الغني . المانع . الضار . النافع . النور . الهادي . البديع . الباقي . الوارث . الرشيد . الصبور ! (انظر آية ١٨٠ من سورة الأعراف) (ولا تجهر بصلواتك) =

== أى بقراءتك فيها ؛ لتلا يسمعك المشركون فيسبوك ، ويسبوا القرآن ، ومن أنزله (ولا تخافت بها) أى لا تسر بها ؛ فلا يسمعك من يقتدى بك . قيل : إن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان يسر قراءته كلها ، وكان عمر رضى الله تعالى عنه يجهر بها كلها ؛ فقيل لها فى ذلك ؛ فقال أبو بكر : إنما أنا جريء ربي ، وهو يعلم حاجتي إليه ! وقال عمر : أنا أطرد الشيطان ، وأوقف الوسنان ! فلما نزلت هذه الآية ؛ قيل لأبي بكر : ارفع قليلا . وقيل لعمر : اخفض قليلا . وقد يقول قائل : مادامت علة الجهر والإسرار : هو الخوف من أذى الكافرين والمشركين ؛ وقد كف الله تعالى

أذاهم ، وأذهب قوتهم - والعلة تدور مع العلول وجوداً وعدمًا - فإن لنا لا نجهر فى صلاتنا كلها ؛ والجواب على ذلك : إن الأعمال التعبدية ؛ لا يجوز فيها الاجتهاد ، بل يتبع فيها آثار الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ القائل «صلوا كما رأيتموني أصلي» وعن عائشة رضى الله تعالى عنها : أت المراد بالصلاة فى هذه الآية : الدعاء (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً) كما يزعم الكافرون (ولم يكن له شريك فى الملك) كما يزعم المشركون (ولم يكن له ولى من الدن) أى لم يذل ؛ فيحتاج الى ناصر بسبب ضعفه ؛ بل هو ولى الصالحين ، وناصر المؤمنين !

(سورة الكهف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله) مستوجب الحمد (الذى أنزل على عبده) محمد (الكتاب) القرآن (ولم يجعل له عوجاً) اختلافاً ، أو تناقضاً (فيها) مستقيماً (لينذر بأساً شديداً) ليحذر عذاباً أليماً (من لدنه) من عنده تعالى (كبرت) عظمت فى الافتراء والكفر (فلعلك باخع نفسك) فاتها غمًا وحرزاً (على آثارهم) بعد توليهم عنك ، وامتناعهم عن الإيمان بك (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) القرآن

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ لِدَاوُدَ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبِيرَةٌ تَكْبِيرًا ۝

(١٨) سُورَةُ الْكَهْفِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا آيَةٌ ٢٨ وَمِنْ آيَةِ ٨٢ إِلَى غَايَةِ آيَةِ ١٠١ قَدْ نُبِّئْنَا
وَأَيَّهَا ١١٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَكِينٍ فِيهِ أُهْدَى ۝ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَ نَفْسًا مِنْ عِلْمٍ أَنَّ نَجْمَهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ نَبَذًا

(أسفا) حزناً وكداً (إنا جعلنا ما على الأرض) من أشجار وحيف ورقها ، وأزهار وأريج نشرها ،
ونهار ولديها طعنها ، وأنهار وسلسيل مائها ، وبحار وعظيم موجها ، وجبال وشامخ بنيناها ، ورمال وبديع
ألوهاها ؛ وغير ذلك ما يدعش العقول ، ويجر الألباب ! كل ذلك خلقه المبدع الحكيم (زينة لها) أى للدنيا ؛

ليستمتع به أهلها (لنبوهم) نخبرهم (أيهم
أحسن عملاً) بالزهد في الدنيا ، وعدم الإقبال
عليها ، والرغبة في الآخرة ، والحرس على كل
ما يوصل إليها (وإنا لجاعلون ما عليها) أى
ما على الأرض من زينة (صعيداً جزراً) يابساً
لا ينبت . والأرض الجزر: التي لا نبات عليها ،
ولا بنيان ؛ كأن ما عليها قد اجثت (أم
حسبت) يا محمد (أن أصحاب الكهف) وهو
الغار الواسع في الجبل (والرقيم) لوح مكتوب
عليه أسماء أصحاب الكهف وأناسيهم ، ولعله
كتاب مرقوم ؛ أنزل لهم لتعليمهم الشرائع .

وقيل : إنه اسم كليهم . وعن ابن عباس
رضى الله تعالى عنها : ما أحرى ما الرقيم ؛
أكتاب هو أم بنيات ؟ (كانوا من آياتنا
عجبا) أى لا تحسب أن العجب في قصة أصحاب
الكهف ؛ وإنما العجب كل العجب فيما خلقناه
من سموات وأرضين ، وما جعلناه على الأرض
زينة لها ولئن فيها ! (وهي لنا من أمرنا
رشداً) توفيقاً للرشاد والسداد (فضربنا على
آذانهم) أى أعمناهم لإمامة ثقيلة ؛ لا تنبهم
الأصوات (سنين عدداً) كناية عن الكثير ؛
أى سنين كثيرة معدودة ؛ وذلك لأن القليل
يعلم من غير عدد (ثم بشنام) أيقظناهم من
نومهم ؛ كما نبت أهل القبور من موتهم
(لنعلم أى الحزين) المختلفين في مدة لبثهم

الْحَدِيثِ أَسْفَا ۝ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا
لِنَبْوَهُمْ أَنبَاءً أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا
صَعِيدًا جُرُزًا ۝ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى
الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا
مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرْبَنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ
سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيَّ الْحِزْبَيْنِ أَحْسَنَ
لِمَا لَبِثُوا أمدًا ۝ لَنَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
أَنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ۝
هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ
بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝

ولأذ

(أحصى) أضبط (لما لبثوا أمداً) مدة وغاية (وربطنا على قلوبهم) قوبناها على تحمل المكروه في نصرة
الدين (لأقاموا) بين قومهم ، وأمام ملكهم ؛ وقد عكفوا جميعاً على عبادة الأصنام (فقالوا) مجاهدين (ربنا
رب السموات والأرض) لن نؤمن بغيره ، و(لن ندعو من دونه إلهاً) آخر (لقد قلنا إذا) إذا دعونا من
دونه (شططاً) قولاً ذا شطط ؛ أى بعيداً عن الحق (لولا) هلا (بسلطانين) بحجة ظاهرة على صحة عبادتهم لها

وَلَا تُعْزِلْتُمْهُمْ وَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْتُوا إِلَى الْكَهْفِ
يُنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهْدِي لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ
مَرْفَقًا ﴿١٧﴾ * وَرَى السَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَوُّرَ عَن
كُهُفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ
الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ
يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا
مُرِيدًا ﴿١٨﴾ وَحَسِبَهُمْ آيِقَانًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَنِيصٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ
لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوْلِيْتُمْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتُمْ مِنْهُمْ
رُعبًا ﴿١٩﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ
مِنْهُمْ كَرِهْتُمْ قَالَوا لَيْسْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمِ قَالُوا رَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ فَأَبَعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ
فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ

(وإذا اعتزلتموهم) خطاب لأهل الكهف ؛ أي ولذا جانبتم هؤلاء الكفار (وما يعبدون) أي واعتزلتم
الذي يعبدونه من الألهة (إلا الله) سوى الله . وقرأ ابن مسعود «وما يعبدون من دون الله» وعلى ذلك

مصنفه ؛ وذهب قتادة إلى أنه تفسيرها

(فأووا) الجأوا (ينشُرْ لكم ربكم من رحمته)

يسطرها لكم (ويهيي لكم من أمركم مرفقاً)

وهو ما ينتفع به ؛ من بناء ، وغذاء ، وكساء

(تراور) تميل (تقرضهم) تقطعهم ؛ أي

تركهم وتعديل عنهم (وهم في فجوة منه) مسع

من الكهف . والفجوة : الفرجة (ذلك) أي

ميل الشمس وتركها لمكانهم ؛ مع مخالفة ذلك

للنظام الكوني (من آيات الله) النالة على

وجوده وقدرته (فان تجد له ولياً) يلي أمره ،

ويقوم بعموته (مرشداً) له إلى الهدى وطريق

الصواب (وتحسبهم) إذا رأيتمهم (أيقاناً)

منتبهين ؛ لأن أعينهم مفتحة (وهم رُقود)

نيام (وتقلبهم) أثناء نومهم (ذات اليمين

وذات الشمال) لثلاثاً كل الأرض لحومهم ؛

وقد يكون التقلب بواسطة ملك يأمره الله تعالى

به ، أو بفعلهم هم - بتوفيق من الله تعالى -

كما يفعل النائم حال نومه ؛ ولذا يحسبهم الرائي

أيقاناً ؛ لتقلبهم وانفتاح أعينهم (بالوصيد)

عتبة الكهف . والباب الموصد : الملقق

(لو اطاعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملت

منهم رعباً) لما حفرهم الله تعالى به من الهيبة ،

وأحاطهم به من الظلمة ؛ وقد منعهم الله تعالى

من الناس بالرعب ؛ لثلاثاً يقربوا منهم ، ويعبثوا

بهم ؛ فصاروا بحيث لا يستطيع أحد قربهم

أو الدنو منهم . أمان قال : إن الفرار منهم والرعب بسبب طول شعورهم وأظفارهم ؛ فليس بشيء :

لأنهم حين استيقظوا قال بعضهم لبعض «لينا يوماً أو بعض يوم» (وكذلك بعثناهم) أيقظناهم من نومهم

(ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضاً (فابعثوا أحدكم بورقكم) الورق : الفضة . والمراد بها : النقود التي

كانت متداولة بينهم (فليظنر أيها أزكى) أحل وأطيب (وليتلطف) في دخول المدينة ، وشراء الطعام

(إنهم إن يظهروا عليكم) يطعموا عليكم ، ويطعموا مكانكم (وكذلك أعرنا عليهم) أطلمنا عليهم (ليعلموا) أن وعد الله حق (أى يعلم الناس أن وعد الله تعالى بالبعث حق : لأن القادر على بعث أهل الكهف - بعد نومهم ثلاثمائة عام - قادر على بعث الخلق بعد ماتهم . وبعث الناس يوم القيامة سيكون بأجسادهم ؛ وقد أطلم الله تعالى الدليل على ذلك بإحياء حمار عزيز : قال تعالى له « وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً »

الجزء الخامس عشر

٣٥٤

(انظر آية ٢٥٩ من سورة البقرة) (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) أى يتنازع المؤمنون والكفار في شأنهم ؛ فقال الكفار : نبئنا فوفهم بيعة ، وقال المسلمون ؛ وكانوا كثيرة غالبية (لتتخذن عليهم مسجداً) واتخذوه فعلا فوق كهفهم ؛ وفي هذا الدليل القاطع على جواز اتخاذ المساجد فوق القبور - خلافا لما يقول به بعض الفلاة - ولا يدفع ذلك مارواه أبو داود والترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ؛ قال : « لمن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زورات القبور ، والتتخذين عليها المساجد والسرج » فهو حديث - إن صح - يجب تأويله بالنهى عن السجود إلى القبور ، أو الصلاة عليها ؛ يدل على ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها » وذلك لأن الحديث لا يدفع صحه القرآن : « لتتخذن عليهم مسجداً » وعله النهى في الحديث : أن اتخاذ القبور مساجد قد يؤدى إلى عبادة من فيها ؛ كما اتخذت الأصنام من قبل (سقولون) أى يقول المختلفون في شأن أهل الكهف وعدتهم ؛ وذلك في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (رجماً بالغيب) الرجم بالغيب : القول بالظن ؛ وهو دليل على بطلان السابق ، وصحة اللاحق ؛ وهو قوله تعالى (ويقولون سبعة وتأمّنهم كلهم)

وَلَا بُشِيرًا يَكُرُّ أَحَدًا ﴿٣٥٤﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ
 يَرْجُمُوكَ أَوْ يُعْدُوْكَ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٣٥٥﴾
 وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَإِنَّ
 السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا
 ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ ﴿٣٥٦﴾ قَالَ الَّذِينَ
 سَبَّوْا عَلَى اللَّهِ أَمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِلاَّ أَصْنَامٌ
 لَّهُمْ يَلْعَنُونَ ﴿٣٥٧﴾ يَقُولُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ
 عَلَيْهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ قَالُوا تَمَّارًا فِيهِمْ
 إِلاَّ مَرَأَةٌ ظَهَرْنَا وَلا تَسْتَفْتِي فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٣٥٨﴾
 وَلا تَقُولَنَّ لِسَائِيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٣٥٩﴾ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
 وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي
 لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٣٦٠﴾ وَلِيَتَّبِعُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ

مِائَةٍ

والم يقدح فيه بشيء (فلا تملر) فلا تجادل (فيهم إلا مرءاه ظاهراً) إلا جدالاً في حدود ما ظهر لك مما أنزلناه عليك (ولا تستفت فيهم) أى في شأن أهل الكهف (منهم) أى من اليهود وغيرهم من المشركين (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك) الشيء (غداً) أى فيما يستقبل من الزمان (إلا أن يشاء الله) أن تفعله ؛ فوجب إذا الاستثناء ؛ لأنك إن قلت : إني فاعل كذا . ولم تفعل ؛ كنت كاذباً . أما إن استثنيت وقلت : لأفضل كذا إن شاء الله ؛ ولم يقدرك الله تعالى على فعله : كنت صادقا (واذكر ربك إذا نسيت) أى اذكره إذا نسيت فضيته ، واستغفره وتب إليه ؛ والعصيان لا يكون إلا عند نسيان الله تعالى (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشداً) أى أحسن عملاً ، وأقرب منفعة وهداية (وليتوا) مكبوا

(في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسماً) قال بعضهم : إن مدة لبثهم في الكهف «ثلاثمائة سنين» شبيهة «وازدادوا تسماً» وهي السنين القمرية ؛ لأنها تزيد ثلاث سنين في كل مائة عام . وهو قول فيه الكثير من التكلف ، ويتناقى مع لغة العرب - التي جاء بها القرآن - قال الشاعر :

كانوا ثمانين وازدادوا ثمانية

يعني أنهم ثمانية وثمانون ؛ ولا يقل أن يكون مقصد الشاعر : أنهم ثمانون بالحساب الشمسي ،

وثمانية وثمانون بالحساب القمري ! والذي

أراه - من صريح لفظ القرآن الكريم -

أن أصحاب الكهف مكثوا في كهفهم «ثلاثمائة

سنين» ثم بعثهم الله تعالى «وكذلك بعثناهم»

وكان ما كان من أمرهم - الذي قصه الله

تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام - ثم

أنامهم الله تسع سنين ؛ يدل عليه قوله تعالى

«وازدادوا تسماً» ثم أنامهم بعد ذلك ، وتم

بناء المسجد فوقهم . وقيل : لأنهم أحياء في

نومهم حتى ينفخ في الصور ؛ والله تعالى أعلم .

(أبصر به وأسمع) وهي صيغة تعجب ؛ أي

ما أبصره تعالى بكل موجود ، وما أسمع له لكل

مسموع ! (لا يبدل لكلماته) التي ذكرها في

كتابه الكريم : فقد وعد تعالى بحفظه من

التبديل والتغيير ، وبالتالي فإن ما فيه من قصص ،

وعبر ، وترغيب ، وترهيب ، كله حق ،

وكله واقع لا محالة ! (ولن تجد من دونه)

غيره (ملتجدا) ملجأ (واصبر نفسك) احبسها

(بالفداء) صباحا (والعشي) مساء (يريدون)

بعبادتهم (وجهه) أي لا يريدون بطاعتهم

الدينا - مع حاجتهم إليها - بل يريدون عبادته

تعالى ورضاه ! (ولا تعد عينك) لا تجاوز ،

ولا تصرف (عنهم) عن هؤلاء الطائعين ؛

ولو كانوا من المعلمين (يريد زينة الحياة

الدينية) أي لا تصرف وجهك عن الفقراء ،

الذين لا يجدون ما يأكلون ، أو يلبسون ، أو يركبون - إلى الأغنياء الذين طعموا أحسن الطعام ،

ولبسوا فاخر الثياب ، وركبوا فاره المركب ؛ وجميع ذلك من زينة الحياة الدنيا . أما في الآخرة فقد يمرى

الكاسي ، ويكسى الصاري ، ويركب المشاي ، ويحني الراكب ! (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا)

عقوبة له ، وانتقاما منه ؛ لاتباعه هواه ، وعصيانه مولاه ! (واتبع هواه) (انظر آية ١٧٦ من سورة

الأعراف) (وكان أمره فرطاً) مجاوزاً عن الحق ، ومسرفاً في العصيان والكفر (وقل الحق) الإسلام

والقرآن (من ربه فمن شاء) منكم (فلئومن) باختياره (ومن شاء فليكفر) بارادته ؛ فقد خير الله تعالى

الإنسان ، بين الكفر والإيمان ؛ بعد أن بين له عاقبة الإيمان ، ومعقبة الكفران ! (إننا اعتدنا) هيأنا =

مِائَةً سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْمًا ﴿١٧﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا
لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَصْبْرَةٌ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ
مِنْ دُونِهِمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾
وَأَتْلُ مَا أَرْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا يُبَدِّلُ لِكَلِمَتِهِ
وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿١٩﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ
عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنْ
أَعْفَلْنَا قَلْبَكَ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْلَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٠﴾
وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ
فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا
وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوْا نَعُوْا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوْهَ
يُنَسُّ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَمْرًا مِنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٢٢﴾

الذين لا يجدون ما يأكلون ، أو يلبسون ، أو يركبون - إلى الأغنياء الذين طعموا أحسن الطعام ،

ولبسوا فاخر الثياب ، وركبوا فاره المركب ؛ وجميع ذلك من زينة الحياة الدنيا . أما في الآخرة فقد يمرى

الكاسي ، ويكسى الصاري ، ويركب المشاي ، ويحني الراكب ! (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا)

عقوبة له ، وانتقاما منه ؛ لاتباعه هواه ، وعصيانه مولاه ! (واتبع هواه) (انظر آية ١٧٦ من سورة

= وأعدنا (لظالمين) الكافرين (ناراً أحاط بهم سرادقها) أى تحيط بهم يوم القيامة لإحاطة السرادق
 بمن فيه من الجوع ويقال للدخان ، إذا ارتفع وأحاط بالمكان: سرادق (وإن يستفيثوا) من العطش (بثاقوا
 بماء كالمل) وهو المعدن المذاب ، أو القطران ، أو عكر الزيت (وساءت مرتفقاً) المرتفق: التكا ،
 وهو ما يستند إليه برفق اليد : كالخدة ، ونحوها . والمعنى : انعدام الراحة فيها . أو هو كل ما ينتفع به ،
 وليس في جهنم ما ينتفع به إطلاقاً ؛ وإنما سيقف للمقابلة مع قوله تعالى عن الجنة «وحسنت مرتفقاً» كما سيأتى

الجزء الخامس عشر

٣٥٦

(جنات عدن) جنات الإقامة ؛ من عدت
 بالمكان : إذا أقام فيه (سندس) ماروق من
 الديباج (واستبرق) ما غلظ منه (الأرائك)
 السرر (واضرب لهم) ياجهد (مثلاً) للكافر
 والمؤمن ، أو لمن يعتز بالدنيا ويترك الآخرة وراء
 ظهره ، ومن يرغب في الآخرة ولا يحرص على
 الدنيا ؛ فثقلها كمثل (رجلين جعلنا لأحدهما)
 وهو المقبل على الدنيا ، المنصرف عن الآخرة
 (جنتين) بستاتين (من أعناب وحفناهما
 بنخل) والبستان إذا أحيط بالنخل : ضم إلى
 حسن الخبز ؛ جمال النظر (انظر آية ٢٦٦ من
 سورة البقرة) (كلتا الجنتين آتت أكلها)
 أعطت ثمرها كاملاً (ولم تظلم منه شيئاً) أى
 لم تنقص من ثمارها شيئاً : أئبعت كأحسن
 ما يكون البنيح ، وأثمرت كأحسن ما يكون
 الثمار (ووجرنا خلالهما نهراً) إمعاناً في حسنهما
 وزيادة في خصوبتهما (وكان له) أى لصاحب
 الجنتين (ثمر) مال وافر مشر ؛ مما حازه من
 جنته في سابق أيامه (فقال لصاحبه) المقبل
 على الآخرة ، المنصرف عن الدنيا (أنا أكثر
 منك مالا وأعز نفراً) أى وأعظم عشيرة .
 والنفر : الرهط ؛ وهو مادون العشرة .
 وترك صاحبه (ودخل جنته) دخل أحد
 بستانيه (وهو ظالم لنفسه) بالكفر ، وعدم
 الشكر وبالفرور والكبر ؛ وحين رأى كثرة

أَوْلَيْكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلُونَ
 فِيهَا مِنْ أَسْوَدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ
 سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ
 الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٦٦﴾ * وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا
 رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
 بِبَخْلِ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٢٦٧﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا
 وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٢٦٨﴾ وَكَانَ لَهُ
 ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا
 وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٢٦٩﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ
 مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٢٧٠﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً
 وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٢٧١﴾
 قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ
 تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ مِنْ سَوَاكٍ رَجُلًا ﴿٢٧٢﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ

رَبِّي

ثَمَرَهُ ، وجريان أنهاره ، وأوحى إليه الشيطان أن توافر المال والماء : موجب لتوافر الحصول والثراء ا
 و (قال) في نفسه (ما أظن أن تبديد هذه) الجنة (أبدًا وما أظن الساعة قائمة) كما يزعمون (ولئن) كانت
 قائمة ، و (رددت إلى ربى لأجدن) عنده (خيراً منها) أى خيراً من جنتى هذه (منقلباً) مرجعاً وعاقبة ؛
 وذلك كقول نضائره من الكافرين «وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى»
 (قال له صاحبه) المؤمن ؛ رداً على ما قاله : كيف تقول ما قلت ؟ وكيف تنكر البعث والقيامة ؟ (أكفرت
 بالذى خلقك) أى خلق آدم - وهو أصل البشرية - خلقه الله تعالى (من تراب ثم) خلق أبناءه جميعاً (من
 نظفة) منى (ثم سواك رجلاً) سيمياً ، بصيراً ، عاقلاً (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) (لكنا) أصلها =

« لكن أنا » (هو الله ربى) أى أناشأنى أن أقول: «الله ربى» (ولا أشرك برى أحداً) ولا أكفر بعمته تعالى ؛ كما كفرت أنت ا (ولولا) وهلا (إذ دخلت جنتك قلت) عند إيجابك بها ، وسرورك من منظرها (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) ولم تقل «ما أظن أن تبعد هذه أبداً» لأنك (إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً) فى هذه الدنيا الفانية (فسى ربى أن يؤتىن) فى الآخرة الباقية (خيراً من جنتك) التى تعجب بها وتفخر (ويرسل عليها حساباً) صواعق (من السماء) والحسبات أيضاً : العذاب ؛ وهو يشعل كل آفة تنزل من السماء ؛ فهلك الزرع (فتصبح) جنتك الزاهية الزاهرة ، المثمرة الناضرة (صعيداً زلقاً) أرضاً جرداء ملساء ؛ لا تثبت عليها قدم (أو يصبح ماؤها) الذى يتوقف عليه إثمارها وازدهارها (غوراً) غائراً: أى ذاهباً فى الأرض (فلن تستطيع له طلباً) وكيف يطلب المالا وجود له أصلاً؟! وقد حقق الله تعالى ما قاله المؤمن فى جنة الكافر : فأنزل الله من السماء ما أتلفها وأخاوها ! (وأحيط بشعره) هو كناية عن إهلاك الثمار عن آخرها (فأصبح) الكافر (يقرب كفيه) يضرب لإحداهما على الأخرى ؛ ندماً وتحسراً (على ما أنفق فيها) أى فى الجنة : من جهد ، ووقت ، ومال (ويقول يا ليتنى لم أشرك برى أحداً) بعد أن علم أن كفره كان سبباً لما حل به من المصائب (ولم تكن له فئة ينصرونه من دوت الله) فيمنعون عنه ما نزل به ، ويحولون دون ما أراه الله تعالى به من خزي وخسران ! (وما كان منتصراً . هناك) عند حلول انتقام العزيز الجبار (الولاية) السلطان ، والملك ، والقدرة والنصرة (لله الحق) لا لغيره ! أو «هناك» يوم القيامة ؛ عند معاقبة الماصين ، وإثابة الطائمين (هو خير نواباً) أى خير من يثيب على الإيمان والطاعة (وخير عقباً) أى عاقبة للمؤمنين (واضرب لهم) ياحمد (مثل الحياة

الدنيا) وحسنها وبهجتها ؛ مع سرعة زوالها وانقضائها (كأء أنزلناه من السماء) يسر وسهولة (فاختلط به نبات الأرض) أى يهرب منه ، ونما وازدهر بسببه ؛ غير أنه ذبل بعد ذلك (فأصبح هشياً) يابساً متكسراً (تدروه الرياح) تلسفه وتطيره (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) فهما الغنى والسعة ، واليسر والعون - فى هذه الدنيا المحترمة - فلا تجعلوا المال مآربكم ، والبنين مطلبكم : فجمعون المال وتنسون المال ، وتحصون بنينكم بالحجر ، وتففلون الغير ؛ مع أن الله تعالى قد وعد منفقا خلقاً ، وأوعد مسكاً تلقاً !

رَبِّىَ وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّىَ أَحَدًا ۝ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِنَّ رَبَّنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ فَسَيَرَبِّىَ أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلُ عَلَيْهَا حِسَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَصَيِّحًا صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصَيِّحُ مَاؤَهَا غُورًا ۚ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۝ وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ ۚ فَاصْبِحْ يَلْبِغُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىَ أَحَدًا ۝ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۖ هُوَ خَيْرٌ نُّوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۝ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْخَيْبَةَ الدُّنْيَا ۖ كَمَا وَأَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيْحُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ

(والباقيات الصالحات) أعمال الخير والبر (خير عند ربك ثواباً) وأجرأ؛ من الدنيا وما فيها، ومن فيها (وخير أملاً) أى أفضل أملاً من ذى المال والبنين، بغير عمل صالح (ويوم نسير الجبال) فى الجب، أو تذهب بها؛ بأن نجعلها هباء منثوراً (وترى الأرض بارزة) ظاهرة؛ لا يسترها شيء مما كان عليها؛ من الجبال والأشجار (وحشرناهم) أى جمعنا الخلائق فى المحشر للحساب (فلم تغادر) لم تترك (وعرضوا على ربك صفاً) أى مصطفين؛ بحيث لا يخفى أحد منهم، أو يستر بغيره؛ ويقال لهم وقت عرضهم (لقد) بعثناكم بعد موتكم، وأعدناكم بعد بلاء أجسادكم؛ وما أنتم أولاء (جثمتونا) بأجسادكم وأرواحكم (كما خلقناكم أول مرة) وقد ذكرنا لكم ذلك - على لسان رسلنا - فكذبتم وعصيتم و(زعمتم أن نجعل لكم موعداً) نحاسبكم فيه (ووضع الكتاب) الذى فيه أعمال الخلائق؛ منذ ولادتهم حتى موتهم (فترى المجرمين) الكافرين (مشفقين) خائفين (مما فيه) من أعمال سيئة عملوها، وجرائم بغيضة ارتكبوها (لا يغادر) لا يترك (ووجدوا ما عملوا) فى الدنيا (حاضراً) مثبتاً فى الصحف، واضحاً. أو وجدوا جزء ما عملوا معداً لهم (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) خرج عن طاعته (أفتخذونه وذريته أولياء) ومن ذرية إبليس اللعين: من يوسوس فى الصلاة، ومن يحض على الزنا، ومن يأكل مع من لم يسم الله، ومن يزعج عند المصيبة ويحض على عدم الصبر! إلى ما لا نهاية له من الإضلال والإفساد (وهم لكم عدو) ألا ترون أنهم يتصبون لكم الأحابيل، وزينون لكم الأباطيل! (بئس

أَصْلَحْتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿١٠١﴾ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٠٢﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿١٠٣﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمَجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١٠٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿١٠٥﴾ * مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتَ تَمْنَعُ الْمُضِلِينَ عَصْدًا ﴿١٠٦﴾ وَيَوْمَ

يَقُولُ

لِلظَّالِمِينَ الكافرين (بدلاً) أن يستبدلوا طاعة الله تعالى ورسله؛ بطاعة إبليس وذريته! (ما أشهدتهم) أى ما أشهدت إبليس وذريته (خلق السموات والأرض) وما استعنت بهم (ولا) أشهدتهم (خلق أنفسهم) أى ولم أشهد بعضهم خلق بعض؛ بل خلقت الجميع بإرادتى وقدرتى؛ ولم أستعن بأحد منهم: فكيف تطيعونهم وتبعونهم (وما كنت تمنع المضلين عصداً) أى أعواناً أعتضد بهم وأستعين (ويوم يقول) الله تعالى

(نادوا شركائى) الذين أشركتموهم معى فى العبادة (فدعوهم) فنادوهم ، أو استفتأوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) وكيف يجب من لا يمجده مستجيب ؟ أو كيف يفيت من ليس له مفيت ؟! (وجعلنا بينهم) أى بين العابدين والصبودين (موقفاً) مهلكاً ؛ وهو جهنم : يهلكون فيها جميعاً . وقيل «موقفاً» حاجزاً بينهم وبين من عبدوا ؛ من الملائكة ، وعزير ، وعيسى ؛ إذ أنهم فى أعلى الجنات ، وما بدبهم فى أحط الدرجات ! (ورأى المحرمون النار فظنوا) يتقنوا وتأكدوا ؛ والظن يأتى فى القرآن الكريم دائماً بمعنى اليقين ؛ ما لم تدل قرينة السياق على خلافه ؛ كقوله تعالى «لأن

٣٥٩

سورة الكهف

نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين» (مواقعها) مخالطوها وواقعوا فيها (ولقد صرفنا) بيننا (من كل مثل) ضربناه للناس : تقريباً لأفهامهم ، وكل عظة تسلك فى قلوبهم ، وكل حجة تدخل فى عقولهم : ليتذكروا ، ويتعظوا ، وينزجروا ، وينبوا (وكان الإنسان أكثر شئء جدلاً) أى أكثر مهراء ، وخصومة : لا يرجع عن باطله ، ولا يثوب إلى رشده ! ولعل المراد بالإنسان : الكافر غسب ؛ فقد وصفه الله تعالى بالجدال فى غير موضع من كتابه الكريم : «جادلوا بالباطل» «ومجادل الذين كفروا بالباطل» «ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم» (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) أى أى مانع يمنع الناس عن الإيمان ؛ بعد نزول القرآن ؟ ! ولا حجة لمن ألد بزعمه أن الله تعالى ممنعه عن الإيمان ، وصرّفهم عن الإيمان ؛ بل وسلك فى قلوبهم الكفران ؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء) «لأن تأييدهم سنة الأولين» أى إن المانع لهم من الإيمان : بالغ جهلهم ، وضريد حمقهم ؛ وطلبهم معانية الهلاك الذى حل بأمثالهم من الأمم السابقة ؛ كقولهم «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء

يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٣٥٩﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٣٦٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٣٦١﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٣٦٢﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٣٦٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٣٦٤﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ

أو اثنتا بعذاب أليم» (أو يأتيهم العذاب قبلاً) مقابلة وعياناً (وما ترسل المرسلين إلا مبشرين) من آمن بالجنة (ومنذرين) من كفر بالنار (ليدحضوا) يبطلوا (واتخذوا آياتى) القرآن (وما أنذروا) به من الحساب والعذاب (هزواً) سخريه (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (ممن ذكر آيات ربه) المنفرة له بسوء القلب (ونسى ما قدمت يده) من كفر وعصيان ؛ فلم يرجع عن كفره ، ولم يتب من عصيانه (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) أعطية (أن يفقهوه) أن يفهموا هذا القرآن : عقوبة لهم . قال تعالى «ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون» (و جعلنا فى آذانهم وقراً) صمماً أن يسموه (و) ذلك لأنهم (إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً) كفراً منهم وعناداً

(لو يؤاخذهم) الله (بما كسبوا) عملوا من سيئات (لجعل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعد) يعذبون فيه : وهو يوم القيامة (لن يجحدوا من دونه موثلاً) ملجأ (وتلك القرى) أى أهلها : كقرى عاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وغيرهم (أهلكتنا لما ظلموا) لما كفروا ؛ كما كفر هؤلاء (وجعلنا لهملهم) لإهلاكهم (موعداً) وهو إقامة الحجة عليهم ، واليأس من إيمانهم (ولاذ قال موسى) ابن عمران (لفتاه) يوشع بن نون ؛ وكان تابعاً له يخدمه ، وتتلقى منه العلم (لا أبرح) أى لا أزال سائراً (حتى أبلغ جمع البحرين) ملتقى بحر فارس والروم ؛ مما يلي المشرق (أو أمضى حقاً) زماناً طويلاً (فلما بلغنا جمع بينهما) أى بين البحرين (نسيا حوتيهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً) يعنى دخل في الماء واستتر به ؛ والمراد أن الحوت اتخذ سرباً في البحر لطرقة . والسرب : الشق الطويل (فلما جاوزا) أى جاوز موسى وفتاه ذلك المكان - الذى تسرب فيه الحوت من حيث لا يدريان - وسار في طريقهما المرسوم ، وبلغ منهما الجوع مبلغه ؛ وحل وقت الغداء من اليوم الثاني لتسرب الحوت (قال) موسى (لفتاه آتنا غداءنا) والغداء : ما يؤكل في الضوفة ؛ وهى أول النهار ؛ وليس كما يتوهمه الأكثرون من أنه وقت الظهيرة (لقد لقينا من سفرنا هنا نصاباً) تبا ، ومشقة ، وجوعاً (قال) له فتاه (أرأيت) أى أتذكر (إذ أوتينا إلى الصخرة) لتسرع عليها ؛ عند جمع البحرين (فإني) عند ذلك (نسيت الحوت) أى نسيت أن أتفكره (أن أذكره) أن أتذكره وأحفظ به (قال) له موسى (ذلك) الذى حدث (ما كنا ننبئ) هو الذى كنا نطلبه (فارتدا) رجعا (على آثارهما) من حيث جاءا (قصصاً) يتبعان طريقهما الذى أتيا منه (فوجدنا) عند الصخرة :

٣٦٠ الجزء الخامس عشر

لَوِ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَبَ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْعِدًا ﴿٣٦٠﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهَلَّكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٣٦١﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٣٦٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٣٦٣﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا جَاءْنَا غَدَاءًا فَنَاسِيَنا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٣٦٤﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٣٦٥﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٣٦٦﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَنَّهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَهُ مِنَ كُنْهِنَا عَلِيمًا ﴿٣٦٧﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلِمَينَ مِمَّا عَلَّمْتَنِي رُشْدًا ﴿٣٦٨﴾ قَالَ

إِنَّكَ

التي استراحا عليها ، ونسيا الحوت عندهما (عبداً من عبادنا) هو الخضر عليه السلام (آتياه رحمة) الرحمة : الوحي ، والنبوته ؛ يدل عليه قوله تعالى «أهم يقسمون رحمة ربك» وقوله تعالى في نهاية هذه القصة ؛ على لسان الخضر عليه السلام «وما فتئته عن أمرى» أى إنما فعلت ما فعلت بوحى من الله تعالى . وأكثر المفسرين على أنها - في هذه الآية التى نحن بصددتها - الولاية ، وكشف الحجب ؛ والذى أراه ويقضيه السياق : أنها النبوة قولاً واحداً ؛ إذ لا يقبل أن يوجد في زمن أى نبي من هو أعلم وأحكم منه : لأن النبي - في كل زمان - خيرة الله تعالى من أهل ذلك الزمان (رشداً) أى صواباً أسترشد به

إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ
 مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ
 صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا
 تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ وَحَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾
 فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتَهَا
 لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ
 أَنْتَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا
 نَسِيتُ وَلَا تَرَهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ
 إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ
 لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّا
 لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ
 بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾
 فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنَّىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْرَأُوا

(وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) أى على
 ما لم تعلم حقيقة خبره

(لقد جئت شيئاً إمرأ) عظيماً منكراً

(ولا ترهقني) تكلفني (من أمرى عسراً)
 مشقة؛ بل عاملني بالعمو واليسر
 (قال أقتلت نفساً زكية) طاهرة، بريئة من
 الذنب (لقد جئت شيئاً نكراً) عظيماً منكراً

(قد بلغت من لدن عذراً) أى قد قام عندك
 في مطالبتي بدم مصاحبتك؛ كما قطعت على
 نفسي (استطعما أهلها) طلباً منهم أن يطعما
 على سبيل الضيافة

(فأبوا أن يضيفوهما) لبخل فاش فيهم . والبخل من أخط الصفات المذمومة ؛ خاصة إذا كان بالطعام لقوم جياح قد طلبوه بأنفسهم ! والبخل : يحسو سائر الحسنات ، كما أن السخاء يحمو السيئات (فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه) أى جداراً أيلال للسقوط فبناه . من هنا يعلم أن الإحسان يجب على المحسن ؛ لمن أحسن أو أساء ، وأنه يبدل من غير مقابل ! ومن يجب أن ترى النفوس الشريرة تقابل الإحسان بالإساءة ، وتجزى الخير بالشر ! (قال) موسى للخضر عليهما السلام (لو شئت لاتخذت عليه) أى على بناء الجدار (أجرأ) نطعم به ؛ لأنهم أبوا مجاملتنا

الجزء السادس عشر ٣٦٢

بقليل الطعام ؛ فكيف نجاملهم بهذا العمل الكبير الخطير ! ؟ (أما السفينة فكانت لساكين) والمسكين : أحسن حالا من الفقير ؛ لأن الفقير : هو الذى لا يجد القوت ، والمسكين : الذى يجد الكفاف ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى «أما السفينة فكانت لساكين» فوصفهم تعالى بالسكنة ؛ مع أنهم يملكون سفينة تؤجر للركوب والمحل ؟ وقال قوم بأن المسكين أشد بؤساً من الفقير . والقول الذى قلناه أولى ؛ يظهره المعقول والمنقول ؛ وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتعوذ من الفقر ، وكان يقول «اللهم أحيني مسكيناً وأميتي مسكيناً» ويستحيل عقلا أن يتعوذ عليه الصلاة والسلام من الفقر ؛ م يسأل ما هو أسوأ حالا منه . وقد قيده تعالى بقوله «أو مسكيناً ذا متربة» أى ذا فقر (وكان ورأهم) أى فى طلبهم . وقيل : «ورأهم» أى أمامهم فى سيرهم (نخشينا أن يرهبهما طغياناً وكفراً) إذا عاش وبلغ مبلغ الرجال ؛ لأن الله تعالى علم عنه ذلك ، وأمرني بما هتالك (فأردنا أن يبدلها ربهما) من الأبناء الصالحاء (خيراً منه زكاة) أى إيماناً وصلحاً وتقى (وأقرب رحماً) أى رحمة بالديه ، وبرأ بهما ؛ فانظر يارعاك الله ، إلى حكمة الله : لقد فرح الأيونان بانهما حين

أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ
قَالَ لَوْ شِئْتُ لَتَخَدَّتْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٦٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنَكَ سَأْنَيْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٦٨﴾
أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ
أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٦٩﴾
وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِمَهُمَا
طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٧٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ
زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٧١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ
يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا
رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ
تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ
قُلْ سَأَلْتُوهُمَا عَلَيْهِمُ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٣﴾ إِنَّا مَكَّالُهُ فِي الْأَرْضِ

وَأَتَيْنَهُ

ولد ، وحزنا عليه حين قتل ؛ ولو بقى لحسرا بسببه الدنيا والآخرة ! فارض هداك الله ، بقضاء الله ؛ فإن قضاءه للمؤمن فيما يكره ؛ خير له من قضاؤه فيما يجب ! (وكان أبوهما صالحاً) يؤخذ من هذا : أن صلاح الآباء ، ينفع الأبناء ؛ حتى قيام الساعة (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أى رشدهما . وبلوغ الأشد : اكتمال القوة ؛ وهو ما بين ثمانى عشرة ، إلى ثلاثين سنة (وما فعلته عن أمرى) وإنما فعلته بوحى من ربي ؛ وهذا أيضاً دليل على نبوة الخضر عليه السلام ؛ كما قدمنا (ويسألونك عن ذى القرنين) قيل : إنه الاسكندر الأكبر الرومى المقدونى . وقيل : لأنه غيره . وذهب قوم إلى أنه نبى ، أو رجل صالح ؛ أرسله الله تعالى لإحداث أحداث كونية ، روحية ؛ وقد مدحه الله تعالى فى القرآن . وسبب تسميته بذي القرنين : =

== أنه بلغ قطرى الأرض ؛ من مشرقها إلى مغربها . وقيل : سمي بذلك لأن له ضفيران كالقرنين . وقيل : لأنه عاش قرنين من الزمان ؛ والله تعالى أعلم وأحكم ! (إنا مكنا له فى الأرض) أى جعلنا له مكانة فيها ، وملكناها له ، وسهلنا سيره فيها (وأتيناه من كل شىء) أرادته (سبباً) أى وسيلة توصله إلى ذلك الشىء الذى أرادته وقدرنا وقوعه (فأتبع سبباً) فسلك طريقاً نحو المغرب (وجدها تقرب فى عين حجة) أى ذات حجة . والحجة : الطين الأسود المتين . وقرىء «عين حامية» بمعنى حارة ؛ والمراد عين سوداء لاضوء فيها ، وذلك رأى العين . أما الشمس فالثابت أنها

٣٦٣

سورة الكهف

أعظم وأكبر من الأرض ؛ وقد قدروا أنها أكبر من حجم الأرض بأكثر من مليون وأربعمائة وأربعة آلاف مرة (ووجد عندها قوماً) كافرين ، جبارين ، معتدين (قلنا ياذا القرنين) يؤخذ من هذه الآية أنه كان نبيا يوحى إليه ؛ وإن لم يكن فهو عبد صالح أوحى الله تعالى إليه وحى الهام (لما أن تعذب هؤلاء القوم ؛ على كفرهم وبغيهم وظنبايمهم (ولما أن تتخذ فيهم حسناً) بإسداء النصح والإرشاد . وقيل : «إما أن تعذب» بالقتل والقتك «ولما أن تتخذ فيهم حسناً» بالأسر حتى التائب (ثم يرد إلى ربه) يوم القيامة (فيعذبه عذاباً نكراً) شديداً : تنكره الطاقة ، ولا تحتمله القوة (وأما من آمن بالله تعالى (وعمل) عملاً (صالحاً) فله جزاء الحسنى) أى الجنة (وستقول له من أمرنا يسراً) أى لا تأمره إلا بما يسهل عليه «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها» أو سنعمله ما يقربه إلينا ، ويسر له كل صعب (ثم أتبع سبباً) سلك طريقاً آخر - غير الطريق الأول - نحو المشرق (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) أى أبنية تسترهم ؛ لأن أرضهم لا تحتل البناء ، أو أنهم عرايا ؛ لا يلبسون ثياباً تسترهم .

وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٣٦٣﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٣٦٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حِجَابٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ نَعْذِبَ وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٣٦٥﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعْذِبُهُ ثُمَّ يَردُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا ﴿٣٦٦﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقَوِّلُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٣٦٧﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٣٦٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٣٦٩﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٣٧٠﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٣٧١﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٣٧٢﴾ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ بَرْجًا عَلَيْهِ أَنْ تَجْعَلَ

قيل : لإنهم الزنج (كذلك) أى الأمر كما ذكرنا (وقد أحطنا بما لديه) أى بما عند ذى القرنين من الجند والآلة ، والميرة والخزيرة ، وغير ذلك (ثم أتبع سبباً) سلك طريقاً آخر غير الذى سلكه نحو المغرب والمشرق (حتى إذا بلغ بين السدين) الجبلين ؛ من قبل أرمينية وأذربيجان (وجد من دونهما) أى أمام السدين . وقيل : من وراءهما (قوماً لا يكادون يفقهون قولاً) أى لا يفهمون ما يقال لهم ، ولا يستطيعون أن يفهموا غيرهم ؛ يؤيده قراءة من قرأ : «يفقهوت» (قالوا) أى قال له الناس الصالحون ، القاطنون فى هذه الجهات (إن يأجوج ومأجوج) قبيلتان أشهرتا بالفساد والإفساد (مفسدون فى الأرض) قيل : لأنهم كانوا من أكلة لحوم البشر . وقيل : لأنهم كانوا يفسدون بالقتل ، والظلم ، والبغى ، والفساد (فهل =

الحديد (بين الصدين) جاني الجبلين ؛ وسد
الفرجة التي بين السدين ، والتي يتسرب منها
يأجوج ومأجوج إلى الذين لجأوا إلى
الإسكندر ، واستصرخوا به ؛ وقد سدها
بقطع كبيرة متفرقة من الحديد ، ووضع حول
القطع ناراً ؛ ثم (قال انصخوا) على النار
(حتى إذا جعله ناراً) أي صهر الحديد وجعله
كالنار (قال آتوني أنفرغ عليه قطراً) نحاساً
مذاباً بين ثنايا قطع الحديد (فما استطاعوا) أي
فما استطاع يأجوج ومأجوج (أن يظهروه)
أن يطوا السد ؛ لمزيد ارتفاعه وملاسته (وما
استطاعوا له تقباً) لعظمه وصلابته ؛ فلما أتم
السد (قال هذا) أي القدرة على بناء هذا
السد وإتمامه (رحمة من ربي) بالعباد والبلاد ؛
لذ كف بالسد أذى يأجوج ومأجوج عنهم
(فإذا جاء وعد ربي) بالقيامة ، وخروجهم
قبيلها (جعله دكاً) أي هدمه وحطمه وأزاله
وجعله مستويا بالأرض (وتركنا بعضهم يومئذ
أي يوم خروجهم (بموج في بعض) يختلطون
ويضطربون لكبرتهم (ونفخ في الصور)
القرن : ينفخ فيه لإسرائيل عليه السلام ، بأمر
ربه تعالى (فجسناهم) أي الخلائق أجمعين ، في
مكان واحد (الذين كانت أعينهم في غطاء عن
ذكرى) أي عن القرآن ؛ فهم عمى لا يهتدون

== نجل لك خراجاً) جملاً ، وفي قراءة «خراجاً» (قال ما مكنتي فيه ربي) أي ما جعلني متمكناً فيه ؛ من
القوة ، والحيلة ، والمال والتاد (خير) مما تعرضونه على من الحراج (فأعينوني بقوة) أي بقوتكم البدنية ،
ومعوتكم الجسائية (أجل بينكم وبينهم رحماً) جداراً ، وحاجزاً حصيناً (آتوني زبر الحديد) وهي القطع
الكبيرة من الحديد (حتى إذا ساوى) بذلك

بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًا ﴿٣٦﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ
فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٣٧﴾ آتُونِي
زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انصُخُوا
حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٣٨﴾
فَمَا اسْتَطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٣٩﴾
قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٤٠﴾ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
بِمَوْجٍ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ جَمْعَهُنَّهِمْ جَمًّا ﴿٤١﴾
وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴿٤٢﴾ الَّذِينَ
كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَظَاوٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿٤٣﴾ الْحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي
مِن دُونِ أَوْلِيَاءِ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِّلْكَافِرِينَ
نُزُلًا ﴿٤٤﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿٤٥﴾

الَّذِينَ

به ! (وكانوا لا يستطيعون سمعاً) «صم بكم عمى فهم لا يرجعون» (أحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي)
من الملائكة ، وعيسى ، وعزير (من دون أولياء) يوالونهم بالعبادة ؛ مع مساواتهم لهم في الحاجة والمعجز
(إننا أعتدنا) هيأنا وأعددنا (جهنم للكافرين نزلاً) النزل : المكان المعد لنزول الضيف وإكرامه ،
أي ان نهاية لإكرامهم : أن تكون جهنم نزلاً لهم !

الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيْدُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِنُونَ أَنْتَهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وِزْنًَا ﴿١٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَآخِذُوا
بِآيَاتِي وَرُسُلِي هُمْوَا ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿٢٠﴾
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوْلًا ﴿٢١﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ
الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ
كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿٢٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا
بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْبَشَرِ إِلَهٌ وَاحِدٌ قَن
كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعبَادَةِ رَبِّهِ ؕ أَحَدًا ﴿٢٣﴾

(أولئك الذين كفروا بايات ربهم) كتبه
(ولقائه) أى وكفروا أيضاً بالبعث
والحساب ، والثواب والعقاب (حبطت)
بطلت (أعمالهم) الصالحة ، التى عملوها فى
الدنيا (فلا تقيم لهم) ولا لأعمالهم (يوم القيامة
وزناً) بل تتركهم فى نهاية الذلة ، وغاية المهانة ؛
غير ما أعدناه لهم من عذاب أليم ، وشر
مقيم ! (حولا) تحولا (قل لو كان البحر)
بمائه الكثير الوفير (مداداً) المداد : الذى
يكتب به (لكلمات ربى) الدالة على عظمته
وربوبيته ، وعلمه وحكمته (لنفد البحر) فرغ
ماؤه فى الكتابة (قبل أن تنفد) تنتهى
(كلمات ربى ولو جئنا بمثله) بمثل البحر
(مداداً) لنفد أيضاً ذلك المدد ، قبل أن تنفد
كلمات الله تعالى ! وهو تصور لقدرة تعالى ،
ومزيد سلطانه ا وليس المراد حقيقة الكلام ؛
من مداد وأقلام ؛ إذ أن كلماته تعالى - فى
تكوينها - لا هجائية ؛ بل لإرادية ، فال مخلوقات
الربانية ؛ والمبدعات الإلهية : إن هى إلا كلمات
بلغة ؛ ينطق بها لسان الحال ، بما هو أفصح

من لسان المقال . وإن لله تعالى كتابين دالين على وجوده وشهوده ؛ يقوم كلاهما بالهداية لايه ، والتعريف به:
أحدهما : كتابا مخلوقا ؛ وهو الكون وما فيه من عجائب تجل عن الحصر ، وغرائب تفر عن الوصف .
وثانيهما : كتابا قديماً محدثاً منزلاً : وهو القرآن ؛ وفيه ما فيه من لآلى المعاني ، ونبايع الحكم ، وبلغ
الكلم ا (انظر آية ٢٧ من سورة لقمان)

(١٩) سُورَةُ الرَّحْمٰنِ مَكِّيَّةٌ
 اِلَّا آيَاتِهَا ٥٨ و ٧١ فَدُنِيَّانٌ
 وَاَيَاتُهَا ٩٨ نَزَلَتْ بَعْدَ فَاطِمَةَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

كَيْمِص ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِیَّآ ①
 اِذْ نَادٰی رَبُّهُ نِدَآءً خَفِیًّا ① قَالَ رَبِّ لِیْ اِنِّیْ
 اَلْعَظْمُ مِنِّیْ وَاسْتَعَلَّ الرَّاسُ شَبَابًا وَّلَا اَكُنُّ بِدُعَاۤیِكَ
 رَبِّ شَقِیًّا ① وَاِنِّیْ خِضْتُ الْعَوٰی لِمِنْ وَّرَآیْ وَكَانَتْ
 اَمْرًاۤیْ عَاقِرًا فَهَبْ لِیْ مِنْ لَدُنْكَ وِلِیًّا ① یَرِثْنِیْ وَیَرِثُ
 مِنْۢ عَلٰی یَعْقُوْبُ وَاَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِیًّا ① یَنْزُرْ كِرِیَّا اِنَّا
 نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اَسْمُهُ یُحٰییُّ لَمْ یَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِیًّا ①
 قَالَ رَبِّ اِنِّیْ یَسْكُوْنُ لِیْ غَلَمٌ وَكَانَتْ اَمْرًاۤیْ عَاقِرًا
 وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِیًّا ① قَالَ كَذٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ

(سورة مريم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كيمص) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
 (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) أي انت
 في هذه السورة : ذكر رحمة ربك لعبده زكريا
 (إذ نادى ربه نداءً خفياً) سراً : لم يسمعه
 سوى مولاه ! (قال رب لى وهن العظم
 منى) ضعف لشيخوختى وكبر سنى (ولم أكن
 بدعائك رب شقياً) أى كنت سعيداً بإجابة
 دعائى فيما مضى ؛ فلا تخيب رجائى فيما يأتى
 (ولى خفت الموالى) الذين يولون فى النسب
 (من ورأى) من بعدى . وخوفه منهم :
 لإهمالهم للدين ، وعدم تمسكهم به ، وتضييعهم له ؛
 كما ضيعة بنو إسرائيل فى غيبة موسى ، وبعد
 وفاته (وكانت امرأتى عاقراً) عقيماً لا تلد ؛
 لكبر سنها (فهب لى من لذك) من عندك
 (ولياً) يلى أمرى من بعدى ، ويدعو الناس
 لمعرفتك وعبادتك (يرثنى ويرث من آل

يعقوب) أى يرث ما أوتيناه من علم ، ودين ، وحكمة (واجعله رب رضىاً) أى مرضياً عندك فى دينه ،
 ومرضياً عند الناس فى خلقه ! (لم نجعل له من قبل سمياً) أى لم نجعل له نظيراً . وقيل : لم نجعل مسمى
 يحيى قبله (قال رب أنى) كيف (وكانت امرأتى عاقراً) عقيماً لا تلد (وقد بلغت من الكبر عتياً) من عتأ :
 إذا بيس . أى بلغت نهاية السن . قيل : كان عمره وقتذاك مائة وعشرين سنة

(قال رب اجعل لي آية) علامة على ذلك (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويًا) أي بأبامها . وقد كانوا يتقربون إلى الله تعالى بالصوم عن الطعام والكلام ، والتفرغ للعبادة ؛ ولا يزال - ولن يزال - الصيام والتفرغ للعبادة من موجبات إجابة الدعاء ، وتحقق الرياء (تفرج على قومه من المحراب) وهو موضع الصلاة (فأوحى) أشار وأومأ (اللهم أن سبحوا) اتقوا لعبادة الله تعالى وذكره (بكرة وعشيا) أوائل النهار وأواخره (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) بجد واجتهاد (وآتيناه الحكم صبياً) أي آتيناه الرشاد والسداد ؛ الذين يؤهلانه لأن يحكم بين الناس . قيل : كان وهو ابن ثلاث سنين يدعوه الصبيان للعب معهم ؛ فيقول : ما لعب خلقت (وحناناً) أي وآتيناه (من لدنا) حناناً ؛ وهو الرأفة ، والشفقة ، والحجة (وزكاة) طهارة ، وبركة (واذكر في الكتاب مريم) ابنة عمران (إذ انتبذت) اعتزلت وانفردت (من أهلها مكاناً شرقياً) قيل : حاضت ؛ فاعتزلت المحراب ، وذهبت قبل المشرق (فاتخذت من دونهم حجاباً) سترًا يسترها عن الناس . قيل :

لتنفصل من حيضتها (فأرسلنا إليها روحنا) هو جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشراً) أي كالبشر . والملائكة : أجسام نورانية ؛ تتشكل - بأمر الله تعالى - كيف شاءت (سويًا) أي مستوى الحلقة ؛ فلا هو بالكسبيح ، ولا الأعمى ؛ بل حسن الوجه ، مستوى الجسم (قالت) مريم ؛ لما رأته معترضاً طريقها

(أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) أي إن كنت ممن يتقى الله ويخافه ، ويخشى غضبه وعذابه : فلا تتعرض لي بسوء ! (قال) جبريل : لا تخافي يا مريم ، ولا تخشى سوءاً (إنما أنا رسول ربك) إليك (لأهب لك) بأمره وقدرته (غلاماً زكياً) طاهراً مباركاً ! وقرئ «لأهب لك» أي ربك (قالت أنى) كيف (يكون لي غلام و) أنا عذراء (لم يمسنى بشر) بتزوج

هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ﴿١﴾
 قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس
 ثلاث ليال سويًا ﴿٢﴾ تفرج على قومه من المحراب
 فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴿٣﴾
 يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً ﴿٤﴾
 وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً ﴿٥﴾
 ويرا بولده ولم يكن جباراً عصياً ﴿٦﴾
 وسلم عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم
 يبعث حياً ﴿٧﴾ وأذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت
 من أهلها مكاناً شرقياً ﴿٨﴾
 فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ﴿٩﴾
 قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴿١٠﴾
 قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً ﴿١١﴾
 قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك

(ولم أك نبياً) زانية (قال كذلك قال ربك هو علي هين) وقوله قضاء وأسر . قيل : لما رأى يوسف الجار مظاهر الحمل على مريم - وقد كان لا يشك في طهرها وصلاحها - سألها قائلاً : هل ينبت زرع بغير بندر ؟ قالت مريم : نعم . قال : فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها ؟ قالت : نعم . قال : فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم ؛ ألم تعلم بأن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع - يوم خلقه ابتداءً - من غير بندر ؟ والبندر يومئذ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بندر ! ألم تعلم أن الله تعالى بقدرته أنبت الشجر بغير

الجزء السادس عشر

٣٦٨

غيث ، وأنه جعل بتلك القدره الفيت حياة للشجر؛ بعد ما خلق كل واحد منهما وحده ١٩ أم تقول : لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء ؛ ولولا ذلك لم يقدر على إنباته ١٩ ؛ ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وزوجه من غير أنني ولا ذكر ؟ قال يوسف : بلى ! ووقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى ! (ولنحمله آية) علامة للناس ؛ دالة على قدرتنا ، وتصديقاً لرسالته (ورحمة منا) بهم ؛ لأنه أرسل لهدايتهم ولإرشادهم (فحملته) حملت عيسى عليه السلام ؛ بعد أن فزع جبريل في جيب درعها (فانبتت) اعترلت (به) بحملها (مكاناً قصياً) بعيداً . قيل : كانت مدة الحمل ساعة واحدة (فأجاءها) ألباهما (الخاص) وجع الولادة (إلى جذع النخلة) أصلها . قيل : كانت يابسة غير مشربة (قالت) حين رأت ما يجر عليها ذلك من الفضيحة (بالقبي) مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً لا يذكرني أحد بخير أو بشر ! وهنا ظهرت آية الله تعالى ، ونزل عيسى عليه الصلاة والسلام للوجود ؛ ليكون شاهداً على قدرته تعالى ، هادياً إلى دينه ، مبشراً بحمام رسله ! (فناداها) عيسى (من تحتها ألا تحزني) ففزع مريم وأجابته : وكيف لا أحزن وأنت ممي ؟ لا ذات زوج فأقول : من زوجي ؛

بَيْتًا ١٥ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ١٦
 * فَعَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ١٧ فَاجَاءَهَا
 الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا
 وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا ١٨ فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تحزني
 قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ١٩ وَهَزَيْتَ إِلَيْكِ بِجِذْعِ
 النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حِينِيًّا ٢٠ فَكَلِمَاتٍ وَأَسْمَاءٍ
 وَفَرَى عَيْنًا فَلَمَّا تَرَى مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ
 لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢١ فَأَتَتْ بِهِ
 قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ٢٢
 يَا بَاطِلَ آيَاتِ اللَّهِ هَذَا مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ
 بَيْتًا ٢٣ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ
 فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٢٤ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ

وجعلني

ولا مملوكة فأقول : من سيدى ! فقال لها عيسى : أنا أكفيك الكلام . وقيل المنادى جبريل عليه الصلاة والسلام (قد جعل ربك تحتك سريراً) سيداً كريماً . وقيل : نهر ماء ؛ كان منقطعاً وأجراه الله تعالى لإرهاصاً لولادة عيسى عليه السلام (وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا حنياً) ولو شاء ربك لأنزل الرطب من غير هز الجذع ؛ ولكنه تعالى أراد أن يجعل لكل شيء سبباً . والرطب من أفضل الأغذية والأدوية للوالدات (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (فإما ترين من البشر أحداً) أى فإن رأيت آدمياً (فقولي) لمن ترينه ، ويسألك عن هذا الغلام (إني نذرت للرحمن صوماً) صمتاً (فلن أكلم اليوم إنسياً) بعد ذلك وكان صومهم عن الطعام والكلام (قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) عجيباً عظيماً ؛ وقد أرادوا بذلك الزنا ؛ =

لأن الولد من الزنا : كالشيء المفترى ؛ قال تعالى « ولا يأتين بيهتان يفترينه » أريد به الولد ؛ يقصد الخافه بالزوج وليس منه (ياأخت هرون) في العفة ، والصلاح ، والتقى . وكان رجلا مشهوراً بالدين ، مشهوداً له بالظهر ، منتظماً إلى عبادة الله تعالى . وقيل : قصد به هرون أخو موسى عليهما السلام (ما كان أبوك أمراً سوء) أى ما كان زانياً ؛ فقتلعين مثله (وما كانت أمك بغياً) زانية (فأشارت إليه) أى إلى عيسى ؛ أن كلوه هو ولا تكلموني (قالوا كيف تكلم من كان في المهد صبياً) المهد: فراش الطفل . وبيناهم في جداهم مع مريم ؛ إذا بعيسى يرد عليهم (قال لى عبد

٣٦٩

سورة مريم

الله أتانى الكتاب) الإنجيل ، وقال : « أتانى الكتاب » وهو لم يؤت به بعد ؛ بمعنى سيؤتىنى : وذلك لتتحقق الإتياء ؛ ولأن الله تعالى قضى أولاً بتول الكتاب عليه ، واختياره للنبوته (وجعلنى نبياً) أى سيجعلنى . وقال بعضهم : لأن الله تعالى آتاه الكتاب ، وجعله نبياً في هذه السن ؛ كما علم آدم الأسماء كلها وهو لم يعد طور التكوين بعد (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق) أى القول الحق ؛ لأنه عيسى ابن مريم ؛ لا ابن الله كما زعم الكافرون ؛ (الذى فيه يمترون) يختلفون (ما كان لله أن يتخذ من ولد) كما يزعمون (سبحانه) تزه وتقدس عما يقولون ! (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (إذا قضى أمراً) أرادته (فإنما يقول له كن فيكون) من غير تعب ، ولا نصب ، ولا مثال سبق ! (هذا صراط مستقيم) طريق قوم ؛ مؤد إلى الجنة ! (أسمع بهم وأبصر) أى ما أسمعهم ، وما أبصرهم في الآخرة ؛ رغم تصامهم في الدنيا عن سماع آيات الله تعالى ، وتاميمهم عن رؤية الحق ، والنظر إلى حجج الله تعالى الدالة على وحدانيته وقدرته ؛ ويقولون في الآخرة « ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون » (وأنذرهم يوم الحسرة) يوم القيامة : يتحسر فيه الكافر على كفره ،

وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَيْنِي وَوَدًّا بِجَعَلَنِي جِبَارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۖ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وُلْدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۖ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۖ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ أَسْمِعْ يَوْمَ وَأُبْصِرْ يَوْمَ يَا تَوَنَّتْنَا لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْبُيُوتِ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۖ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ الْإِسْرَاءَ

والظالم على ظلمه ، والسيء على إساءته (إذ قضى الأمر) بدخولهم النار (وهم في غفلة) عن ذلك في الدنيا (وإذ ذكر في الكتاب) القرآن (لإبراهيم) جد رسولنا عليهما الصلاة والسلام ، ورأس الملة الخفيفة

(إنه كان صديقاً) مبالغا في الصدق (إذ قال لأبيه) (أزرى) (ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) من الأصنام ؛ وتدع الخالق الرازق ، السميع البصير ! (فاتبعني أهدك صراطاً سوياً) طريقاً مستوياً مستقيماً ؛ موصلاً للسعادة الأبدية

(قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) أى أثاركها ومنصرف عنها ؟ يقال : رغب في الشيء : إذا أراه . ورغب عنه : إذا لم يردّه (واهجرني ملياً) أى دهنراً طويلاً

(إنه كان بي حفيماً) مكرماً (وأعتزلكم وما تدعون) أى وما تعبدون من الأصنام (من دون الله) غيره (وأدعوني) أعبدّه (عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً) أى عسى ألا أشقى بعبادة ربي ، كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام (فلما اعتزلهم) فارقمهم ، وترك معاشرتهم (ووهبنا لهم من رحمتنا) النبوة ، والمال ، والولد (وجعلنا لهم لسان صدق علياً) وهو الثناء الطيب ، والذكر الحسن من جميع أهل الأديان

إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴿١٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١٧﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿١٨﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿١٩﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ الْمُهَيْبِ يَتْلُو بِرُحْمٍ لَيْلِنَ لَرَنْتَهُ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٢١﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٢٢﴾ وَأَعْتَزَلْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٢٤﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٢٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ

مُوسَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ۚ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۗ وَنَدْبَيْنَهُ
 مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۗ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ
 رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۗ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ
 إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۗ وَكَانَ يَأْمُرُ
 أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۗ
 وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۗ
 وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
 وَمِمَّنْ ذُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا
 إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ نَحْمَدُكُمُ وَيُكَيِّدُ ۗ
 * تَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا
 الشَّهْوَةَ فَنُوفٍ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۗ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ
 وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ

(واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً)
 خلصه الله تعالى من دنس الشرك (ونادينا به
 من جانب الطور الأيمن) أى من جانب الجبل
 الذى يلى بين موسى ؛ فائلين له «ياموسى لانى
 أنا الله رب العالمين» (وقربناه نجياً) منجياً
 لنا ؛ أى مكلماً ؛ والناجاة : المسارّة (وكان
 يأمر أهله بالصلاة والزكاة) يحثهم عليها .
 أثنى الله تعالى عليه بأنه كان يأمر أهله بالصلاة
 والزكاة ؛ فيجب على كل مؤمن أن يأمر بهما
 أهله وأقربائه ، وولادته ، وجيرانه ، وأصدقائه
 وأحبابه ؛ ليفوز بالقرب ، من حضرة الرب ا
 (إنه كان صديقاً) مبالفاً فى الصدق (ورفضناه
 مكاناً علياً) فى الدنيا : بتسرفه بالنبوة ،
 وإعزازه بالصدق ! وقيل : رفع بعد موته
 الى السماء ، أو الى الجنة (ولإسرائيل) هو
 يعقوب عليه السلام (واجتبتنا) اخترنا (خلف
 من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا
 الشهوات) هذه الآية من المغيبات التى انفرد بها
 القرآن الكريم : فها هو ذا الخلف الذى
 أضاع الصلاة ، واتبع الشهوات : تقوم الى
 الصلاة فلا ترى سوى مستهزئ بك ، ضاحك
 عليك ، ساخر من فعلك ! وهو يرتكب فى

نفس الوقت من المناكير والشهوات ؛ ما يتعفف عن إتيانه أحط المخلوقات ، وأحق الكائنات ؛ فلا حول
 ولا قوة إلا بالله ! (فسوف يلقون غياً) عذاباً شديداً ، أو يلقون شراً وخيبة ؛ وعاقبتهم العذاب الشديد ا
 (إلا من تاب) عن إضاعة الصلاة ، واتباع الشهوات (وآمن) إيماناً صحيحاً (وعمل صالحاً فأولئك
 يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) من ثواب أعمالهم

شَيْطَانًا ﴿١٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِهَا بِالْغَيْبِ
 إِنَّمَا كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿١١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا سَلَامًا
 وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ بُقْعَةٍ وَعَشِيًا ﴿١٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي
 نُورِثُ مِنَ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا
 بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ
 وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿١٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ
 سَمِيًّا ﴿١٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَوَدَا مَلَيْتُ لَسَوْفَ أُنْرَجُ
 حَيًّا ﴿١٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ
 وَلَرَبِّكَ شَيْطَانٌ ﴿١٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْضُرَنَّهُمُ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ
 لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿١٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ
 شِيْعَةٍ أَيْسَمًا أَوْ أَشَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ
 بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 كَانُوا

(جنات عدن) أى جنات الإقامة ؟ من عدن
 فى المكان : إذا أقام فيه (لا يسمعون فيها
 لغوا) كما يسمعون فى الدنيا . واللغو : غش
 القول ، والباطل من الكلام الذى لا فائدة فيه
 (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أى صباحا
 ومساء . والمعنى : أن رزقهم فى الجنة دائم
 أبداً لا ينقطع ؟ والجنة ليس فيها نهار وليل ؟
 بل هى ضوء ونور دائم (وما تنزل) أى
 ما تنزل (إلا بأمر ربك) لنا بالنزول ، وليس
 النزول وفقاً لإرادتنا ومشيئتنا . أو لا تنزل
 إلا حاملين أمر ربك لك . وهذا من قول
 جبريل عليه الصلاة والسلام لنى صلى الله تعالى
 عليه وسلم حين استوحش له ، وطلب منه
 الإكثار من زيارته ، أو هو من قول المتقين
 عند دخولهم الجنة . أى ما تنزل الجنة بملنا ؟
 بل بأمر ربنا وفضله ا (فاعبده واصطبر
 لعبادته) داوم عليها (هل تعلم له سمياً)
 شديداً فى القسرة ، والقوة ، والرحمة ا (ويقول
 الإنسان) الكافر، المنكر للبعث (أئذا ماتت)
 وصار جسمى عظيماً نخرة ، ورفاتاً مبعثرة
 (سوف أخرج) من قبرى (حياً) كما كنت
 فى الدنيا (فوربك لنحضرنهم والشياطين) أى

نجمعهم يوم القيامة مع الشياطين الذين أطاعوهم ، واتبعوا إضلالهم (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً) جاثين باركين
 على الركب ؛ وهو نهاية الإدلال ا (ثم لنزغن) لنخرجن (من كل شيعه) أمة وجماعة (أيهم أشد على الرحمن
 عتياً) أى أشد جرأة على الله تعالى ، وانها كالحرماته (أولى بها) أحق بجهنم (صلياً) دخولاً (وان منكم
 إلا واردها) المراد بالورود : الدخول ؛ فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً ؛ كما كانت على إبراهيم ا

(ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) نتركهم في النار ياركين على ركبهم . وقيل : المراد بالورود : دخول الكافر فيها ؛ ومروا المؤمن عليها ؛ ليؤمن بالعذاب الأليم : من آمن بالنعم المقيم ! (قال الذين كفروا للذين آمنوا : أى الفريقين) نحن أم أنتم (خير مقاماً) لإقامة في الدنيا (وأحسن ندياً) بمعنى النادى ؛ وهو مجتمع القوم : يتحدثون فيه ويتسامرون . أى نحن كنا أحسن حالاً منكم ! قال تعالى رداً عليهم وعلى أمثالهم (وكم أهلكتنا قبلهم من قرن) أمة من الأمم الماضية (هم أحسن) من هؤلاء المكذبين المتعاليين (أنا) مالا

ومتاعاً (ورثياً) منظرأ وهياة (قل) لهم يا محمد (من كان في الضلالة) منتمساً فيها ، مستمراً لها . و«الضلالة» الكفر (فليمدد له الرحمن) في كفره ، وفي عمره ، وفي رزقه ، وفي ولده ، وفي ماله (مدا) طويلاً في الدنيا ؛ يستدرجه به (انظر آية ٢٤ من سورة ص) (حتى إذا رأوا ما يوعدون) ما أوعدهم به رسولهم (إما العذاب) في الدنيا : بالقتل ، والأسر ، والقحط (وإما الساعة) القيامة ؛ المشتملة على جهنم العدة لهم (فسيطعون) حيثئذ (من هو شر مكاناً) أم أم المؤمنين ؟ (وأضعف جنداً) وجندهم الشياطين ، وجند المؤمنين الملائكة المكرمون (والبقيات الصالحات) الطاعات ؛ يبقى ثوابها لصاحبها (وخير مرداً) خير مرجحاً وعاقبة (وقال لأوتيين مالا وولداً) معتمداً على فته وقوته ؛ ولم يعتمد على ربه ومشيئته (أطلع الغيب) أى هل اطلع على الغيب ؛ فلم أنه سيؤتى المال والولد (أم اتخذ عند الرحمن عهداً) بأن يؤتیه كل ما يريد (كلا) أى لن يؤتى المال والولد كما زعم : معانداً ربه . و«كلا» لم تنجى في النصف الأول من القرآن الكريم ، وجاءت في ثلاثة وثلاثين موضعاً في النصف الأخير منه ؛ وهذه أولاها . وهى تنجى

بعده . وثانيهما : بمعنى : لا ؛ ويكون متعلقاً بما قبله . وقد تحتل المعنيين معاً في بعض المواضع : كهذا الموضع الذى نحن بصدده ؛ فيجوز أن يكون المعنى : لا ، لم يطلع على الغيب ، ولم يتخذ عند الرحمن عهداً . ويجوز أن يكون المعنى : حقا (سنتك ما يقول) لتعاقبه عليه . والمعنى الأول أوضح ، وأجدر بالاتباع . وقال الفراء : «كلا» حرف رد ؛ فكأنها نعم ، ولا ؛ في الاكتفاء ، وإن جعلتها صلة لما بعدها ؛ لم تقف عليها ؛ كقوله تعالى «كلا والقر» وقال الأكثرون : لا يوقف على «كلا» في جميع القرآن ؛ لأنها جواب ؛ والفائدة تقع فيها بعدها (وعند له من العذاب مداً) نزيده عذاباً فوق العذاب (ورثه ما يقول) أى نورثه جزءاً ما قاله من الكبر والكفر ، أو نسلبه يوم القيامة ما آتيناها في الدنيا من مال وولد (وآتينا =

عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿١٧١﴾ ثُمَّ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَنَذَرْنَا
الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿١٧٢﴾ وَإِذَا نُنَادِي عَالِمِينَ ﴿١٧٣﴾ أَيْتْنَا بِنُوحٍ
قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿١٧٤﴾ وَكُرَّهَلْنَا قَبْلَهُمْ مَن قَرْنَهُمْ
أَحْسَنُ أُنثَاءً وَرِيًّا ﴿١٧٥﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ
لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِذَا الْعَذَابُ
وَإِذَا السَّاعَةُ فَسَبِعَلْنَهُمْ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ
جُنْدًا ﴿١٧٦﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَصِيْقِيُّتُ
أَصْلِحَتْ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿١٧٧﴾
أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِعَالِيْنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿١٧٨﴾
أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿١٧٩﴾ كَلَّا
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدَدًا ﴿١٨٠﴾
وَنُرْثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿١٨١﴾ وَأَلْحَمْنَاهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

= فرداً) منفرداً ، بغير مال ، ولا ولد ، ولا معين (واتخذوا من دون الله) غيره

الجزء السادس عشر

٣٧٤

عَالِهَةٌ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٣٧٤﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ
وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٣٧٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ
عَلَى الْكَافِرِينَ لِيُؤْذِمُوا أَوْلَادَهُمْ ﴿٣٧٦﴾ فَلَا تَعْبَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا
نَعْبُدُ لَهُمْ عِدًّا ﴿٣٧٧﴾ يَوْمَ نُحْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ
وَقَبْدًا ﴿٣٧٨﴾ وَسَوْقَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٣٧٩﴾
لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اخْتَدَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٣٨٠﴾
وَقَالُوا اخْتَدَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٣٨١﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٣٨٢﴾
تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتْفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٣٨٣﴾ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٣٨٤﴾ وَمَا يَنْبَغِي
لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَخْتَدَ وَلَدًا ﴿٣٨٥﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٣٨٦﴾ لَقَدْ أَخَصَمَّ
وَعَلَّمَهُمْ عِدًّا ﴿٣٨٧﴾ وَكَلَّمَهُمْ بَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٣٨٨﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ

(آلهة ليكونوا لهم عزاً) يعترفون بهم ،
ويشعرون لهم عند ربهم (كلاً) لن تتحقق
أمانهم ؛ بل (سيكفرون بعبادتهم) أى
ستكفر هذه الآلهة عن عبدا (ويكونون
عليهم ضداً) يوم القيامة ؛ إذ يتراءون منهم
ومن عبادتهم (يؤذم أوالداً) تفرهم لغراء ،
وتهيجهم تهيجاً ؛ لأن الأزيز : شدة الفيلان
(إنما نعبد لهم عدداً) أى نعبد لهم ذنوبهم ؛
لنماقبهم عليها (وفداً) جاعة: ركبانا (وردأ)
جمع وارد ؛ وهو الماشى العطشان ، الباحث
عن الماء (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً)
بطاعته وإيمانه ؛ فاستوجب رحمته ونعمته ا
(لقد جئتم شيئاً إدأ) أى عظيماً منكراً
(يتفطرن) يتشققن

(فرداً) منفرداً ؛ لا أهل معه ، ولا مال ،
ولا ولد

(سيجعل لهم الرحمن ودأ) مودة في قلوب
العباد : يحبه الله تعالى ، ويحبهم إلى الناس

وَدَا ۝ فَاِنَّمَا يَسِرَّتْهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ
 بِهِ قَوْمًا لُدًّا ۝ وَكَرَّ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِيسُ
 مِنْهُمْ مِنْ اَحَدٍ اَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ۝

(٢٠) سُورَةُ طه مَكِّيَّةٌ
 اِلَّا آيَاتِ ١٣٠ وَ ١٣١ فَدُنِيَّاتَانِ
 وَاَيَاتُهَا ١٣٥ نَزَلَتْ بَعْدَ مَرْيَمَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

طه ۝ مَا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۝ اِلَّا
 تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَحْتَسِبُ ۝ تَنْزِيلاً مِّنْ خَلْقِ الْاَرْضِ
 وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ۝ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝
 لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
 الثَّرَى ۝ وَاِنْ تَجَهَّرَ بِالقَوْلِ فَاِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَ وَاَخْفَى ۝
 اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ لَهُ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۝ وَهَلْ اَتٰنَكَ

(فإنما يسرناه) أى القرآن (بلسانك)
 العربى : لتستطيع تبليغه وتفهمه (وتنذر)
 تخوف (قوماً لداً) شديدي الخصومة ؛ من
 اللد : وهو النخاصم ، والجدال بالباطل (وم)
 أهلكتنا قبلهم من قرن) أمة (هل تحس)
 تجد (أو تسمع لهم ركراً) صوتاً ؛ ولو خفياً .

(سورة طه)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طه) هو اسم من أسمائه صلى الله تعالى
 عليه وسلم . وقيل : بمعنى : يارجل . وقيل :
 يا حبيبي ؛ بلغة عك . وقيل : هو بمعنى :
 طأها ؛ أى طأ الأرض يا محمد . وقد كان صلى
 الله تعالى عليه وسلم - لكثرة قيامه بالليل -
 يرفع رجلا ويحط أخرى (ما أنزلنا عليك
 القرآن لتشقى) أى لتتعب نفسك فى العبادة ،
 ولتذهبها حسرات إن لم يؤمنوا بهذا الحديث
 أسفاً (الرحمن على العرش استوى) استواء
 يليق به ؛ لا كاستواء المخلوقين : لأن الديان ،
 يتقدس عن المكان ؛ وتعالى المعبود ، عن
 الحدود ! (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) أى يعلم السر ، وما هو أخفى منه ؛ وهو الذى يختر
 بالبال (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) لفظاً ومعنى (انظر آيتى ١٨٠ من سورة الأعراف ، و ١١٠ من

سورة الإسراء)

حَدِيثُ مُوسَى ① إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي
 نَأَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ
 هُدًى ② فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ③ إِنِّي أَنَا
 رَبُّكَ فَاطْلَعْ نَعْلَيْكَ ④ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ⑤
 وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ⑥ إِنِّي أَنَا اللَّهُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ⑦
 إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
 تَسْعَى ⑧ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ
 هَوَاهُ فَفَرِّدْ ⑨ وَمَا تَلَكَ بِبَيْمِكَ يَمْوَسَى ⑩ قَالَ هِيَ
 عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنِيٍّ وَلِي فِيهَا
 مَقَارِبُ أُتْرَى ⑪ قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسَى ⑫ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا
 هِيَ حِجَابٌ مُسْتَعْتَبٌ ⑬ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ سَنُعِيدُهَا
 سِيرَتَهَا الْأُولَى ⑭ وَأَصْنَمُ بِدَكَ لِي جَنَاحُكَ تَخْرُجُ

السَّاعَةَ

(فقال لأهله) أى لامراته ؛ وهى ابنة شعيب
 عليهما السلام (إنى آئت) أى أبصرت
 (ناراً لعل آتاكم منها بقبس) القبس : قطعة
 من النار (أو أجد على النار هدى) أى
 أناساً يهدوننى الطريق (فلما أتاهها) أى آتى
 موسى النار (نودى ياموسى إنى أنا ربك فاطلع
 نعليك إنك بالواد المقدس) المطهر (طوى)
 اسم للوادي ؛ وهو بالشام (وأنا اخذتك)
 من بين سائر خلقى ؛ لحمل رسالتى (فاستمع
 لما يوحى) أى لما أوحى به إليك (إنى أنا الله)
 فاعلم أنه (لا إله إلا أنا فاعبدنى) وحدى
 (وأقم الصلاة لذكركى) أى لتذكركنى فيها ،
 أو لأذكرك فى عليين إذا أقمها ، أو إذا نسيتها
 وتذكرت فصل ؛ قال سيد الخلق عليه الصلاة
 والسلام : «من نام عن صلاة أو نسيها ؛
 فليصلها إذا ذكرها ؛ فان الله عز وجل يقول :
 وأقم الصلاة لذكركى» (إن الساعة) القيامة
 (آتية) لا ريب فيها (أكاد أخفيها) من
 نفسى ؛ وقد أخفاها الله تعالى عن رسله ،
 وأنبيائه ؛ بل عن ملائكته المقربين ؛ وفيهم
 من يقوم بالفتح فى الصور ، وطى السماء ،
 وتسير الجبال ، وتسجير البحار ، وتسير
 المحيم ، ولزلاف الجنة (فلا يصدنك عنها) أى لا يصدرك عن الإيمان بها (من لا يؤمن بها) من الكفرة
 الفجرة (واتبع هواه) أطاع نفسه وشيطانه (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) (فتردى) فهلك (واضم
 يدك لى جناحك) ضع كفك اليمنى تحت إبطك الأيسر ؛ مكان الجناح

(تخرج بيضاء من غير سوء) أى بياضاً نورانياً ، لا بياضاً مرضياً ؛ كبرس ونحوه (آية أخرى) أى معجزة أخرى لك ، وآية دالة على نبوتك ؛ والآية الأولى: العضا واتقلابها حية (لترك من آياتنا الكبرى) الدالة على

قدرتنا ووحدانيتنا؛ لتجاهه بهافرعون امام أهل البنى والكفر (قال رب اشرح لى صدرى) أى وسعه ، ونوره بالإيمان والنبوة (ويسرلى) سهل لى (أمرى) الذى كلفتنى بالقيام به (واحلل عقدة من لساني) أى قوحجتى ، وأيدنى بالأدلة والبراهين . وقيل : كانت به لثقة من حجة وضمها فى فيه وهو صغير (واجعل لى وزيراً من أهلى) الوزير : الموزر . وسمى الوزير وزيراً : لأنه يؤازر السلطات ، ويحمل عنه وزره (اشدد به أزرى) الأزر : القوة والضعف ؛ أى قوبه ضعف . والأزر أيضاً : الظهر (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى) أى أجيب طلبك الذى سألتنا إياه (ولقد مننا عليك حرة أخرى) قبل هذه : بإنجائك من فتك فرعون بك (إذ أوحينا لى أمك) مناماً أو الهاماً (أن اقدفيه فى التابوت) وهو الصندوق (فاقدفيه فى اليم) اقدفى الصندوق فى نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) هو أمر منه تعالى لليل بأن يلقى التابوت بموسى على الشاطئ (ياخذه عدو لى) هو مدعى الألوهية فرعون (وعدوله) عدو لموسى أيضاً ؛ لأن من عادى الله تعالى ؛ فقد عادى أولياءه ؛ ولأن موسى أظهر كفره وكذبه على ملائمة قومه : الذين يؤمنون به ويؤلّفونه (وألقيت عليك حبة منى) وقد أحبه

كل من رآه ؛ حتى فرعون - الذى أمر بقتله وقتل أمثاله - أحبه أيضاً (ولنضع على عينى) أى تربى على رعايتى وحفظى لك (فرجناك لى أمك) كما وعدناها «إنا رادوه إليك»

بِيَضَاءٍ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ لِنُرِيكَ مِنْ
 آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٣٨﴾ أَذْهَبَ لَكَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَّ ﴿٣٩﴾
 قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٤٠﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٤١﴾
 وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٤٢﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٤٣﴾
 وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٤٤﴾ هَمْرُونَ أُنحَى ﴿٤٥﴾ أَشُدُّد
 يَدِي أَزْرِي ﴿٤٦﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٤٧﴾ كَيْ تُسَبِّحَكَ
 كَثِيرًا ﴿٤٨﴾ وَتَذَكَّرُكَ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَاءً بِصِيرًا ﴿٥٠﴾
 قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ
 مَرَّةً أُخْرَى ﴿٥٢﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَكَ مَا يُوْحَى ﴿٥٣﴾
 أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ
 بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوْلُهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً
 مِنِّي وَلِنُصْنِعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٥٤﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ
 هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴿٥٥﴾ فَرَجَعْنَكَ إِلَىٰ أُمِّكَ

(وَقَتَلَتْ نَفْسًا فَجِنَّكَ مِنَ النَّمِّ) (انظر آية ١٥ من سورة القصص) و«النم»: القصاص . وقيل: «النم»: القتل (وفتاك فتونا) أى ابتليتك ابتلاءً ، واختبرتك اختباراً . أو هو بمعنى : محصاك تحصيماً ؛ لتكون أهلاً لحبنتنا ورسالتنا . من فتى الذهب : إذا امتحنه بالنار ، وخلصه من الشوائب (ثم جثت على قدر) على تقدير منى ، وموعد (واصطنعتك لنفسى) اصطفتك واخترتك لرسالتي (ولا نبياً) لا تقصراً (فقولا له قولاً ليناً) لطيفاً . انظر - أيها اللبيب الأريب - كيف يعلم الله تعالى عباده حسن الخلق ، وكال الأدب : يرسل موسى وهرون عليهما السلام - وهما أزرى

المقربين ، فى ذلك الحين - إلى فرعون اللعين - وهو شر الأشرار ، وأجر العجار - ويقول لهما : «فقولا له قولاً ليناً» وانظر الآن حيناً يفلأك أحد المنتظين ؛ ويحب أن يظاھر بأنه أول الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر؛ فيبدأ بنسبة الكفر إليك - وهو إلى الكفر أقرب - ويصفك بأحط الصفات ، وأرذل السمات - وهو المغفوض عند الله ، المرذول عند الناس - فاضر هؤلاء لو تحلقوا بأخلاق الله ، واتبوا هداه ؛ وقالوا للناس حسناً ، ونصحوا عباد الله لوجه الله ! ولكنهم والعياذ بالله «يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً» تلى قوله تعالى «فقولا له قولاً ليناً» عند يحيى بن معاذ : فكيف ، وقال : هذا رفك بمن يقول : أنا إله ؛ فكيف بمن قال : أنت إله ! وهذا رفك بمن قال : أنا ربكم الأعلى ؛ فكيف بمن قال : سبحان ربى الأعلى ! (فأرسل معنا بنى إسرائيل) أى أطلقهم من الاستعباد والاسترقاق (قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه) أى أعطى كل مخلوق ما يحتاج إليه فى أحواله العيشية ، وما يناسبه من الهيئة والانسجام . أو أعطى خلقه كل شىء يحتاجون له ، ويفتقرون إليه (ثم هدى) أى بعد أن أعطى كل شىء خلقه : هداه لما

يصلحه ؛ فترى الإنسان يخرج إلى هذه الدنيا لا يدري من أمورها شيئاً ؛ فيأهم العلوم ، والمعارف ، والفنون ، ويدرك من خواص الأشياء وطبائعها الشىء الكثير ؛ مما لا يستطيع إحراكه ومعرفة كنهه بقوته النظرية ؛ وإن شئت فتأمل الحاكى «الفونوغراف» والمذياع «الراديو» والتليفزيون ، واللاسلكى ، والكهرباء ، وما شاكل ذلك من القوى التى ساق الله تعالى معرفتها إلى البشر بطريق الصدفة حيناً ، والإلهام أحياناً ؛ بل منها ما لا يدرك مداه ، ولا تعرف حقيقته ؛ حتى لصانعه ومستخدميه ! وترى الحيوان الأعجم حين يولد : يعرف أن رجليه معدتان لحله ؛ فيقوم عليها واقفاً ، وأن فمه معد للأكل ؛ فيتناول به طعامه . ومن عجب أنه يعرف الطريق إلى ثدى أمه بغير مرشد ولا هاد ! وترى كل مولود يولد ؛ إذا لم تربط سرتة : مات =

٣٧٨

الجزء السادس عشر

كَي تَقْرَعِيَهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْؤُوسٍ ﴿١٦﴾ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿١٧﴾ أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخْوَجْتَ بِابْنَتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي ﴿١٨﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٩﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلَا لَيْنًا لَعَلَّهُ بَيِّنٌ كَرِيمٌ ﴿٢٠﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطَّغَى ﴿٢١﴾ قَالَ لَا تَحْزَنَّا إِنِّي مَعَكُمْ ۖ أَسْمِعُ وَأَرْئِي ﴿٢٢﴾ فَأَتَيْنَاهُ فُتُورًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَ مِمَّن آتَيْنَا الْمُدَيِّنَ ﴿٢٣﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَالِ لِرَبِّكَ الْأُولَىٰ ﴿٢٧﴾ قَالَ

عَلَيْهَا

عَلَيْهَا

— لساعته ؛ فن يربط للوحوش في الفلوات !؟ إن الهادي يهديها ، والرشد يرشدها : فتقطع سره مولودها بأسنانها ؛ بعد أن ترك جزءاً كافياً لحفظ حياته . وهكذا الكلاب والهررة وأشباهها . وترى النحلة وقد اهتدت إلى طعامها وشراها فالتهمت من الزهرة رحيقها ، دون أن تلتفها ، ومن الثمرة صفوتها دون أن تنقصها ، وبعد ذلك تتجه إلى خليتها - من غير أن نضل عنها - فتفرغ فيها العسل ؛ بعد أن تعد له أوعيته من الشمع بشكل أنيق ، ونظام دقيق ! وكل ذلك بهداية الهادي القدير جل شأنه ، وعز سطرانه !

سورة طه

٣٧٩

وفوق كل هذا فإن النوع الإنساني يعتبر واحداً بين ملايين الأنواع التي تزخر بها هذه الأرض التي تعتبر من أصفر الكواكب المخلوقة لله تعالى . وبعض هذه الأنواع يعيش معنا فنراه ويرانا ، وبعضها ينتشر بيننا فلا نراه ؛ لتناهيه في الصغر والدقة ، وأنواع أخرى لا يحصيها سوى خالقها : بعضها في أعماق الماء ، وبعضها في عنان السماء ، وبعضها تحت الثرى ، وبعضها فوق الثرى ؛ وبعضها في بطون الصخور ؛ كل أو لك يسيرها الخالق القدير ، وينظمها «الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» ولا شك أن هناك أنواعاً أخرى - تعد بالملايين - لم ندر من أمرها شيئاً ، ولم يصل إلى علمنا بصيص من معرفتها ؛ ولا ندري كيف تحيا ، وكيف تعيش .

والنوع الإنساني يعيش بين هذه الملايين كفرد في هذه المجموعة الضخمة من الأحياء ! وهذه المخلوقات - التي لا عداد لها - يتنازعها حب البقاء ، والتشبث بالحياة ؛ شأن بني الإنسان تماماً ؛ ولو ترك أحدها على سجيته ونعاطي طبيعته : لضاقت به الأرض بما رحبت ، ولما وسعه هذا الكوكب الكبير الصغير .

وكل واحد من هذه المخلوقات - صغيرها وكبيرها ، عظيمها وحقيقها - له رسالة قائم بأدائها ؛ رسمها له النافع الضار ، اللطيف الخبير ! وقد لا يدرك الإنسان أهمية هذه الرسالة ؛ ولكن الخالق الأعظم يراها لازمة لزوم الماء والهواء ؛ ليسير بنا وبغيرنا ركب الحياة . وهناك نظام دقيق للتوازن الحيوي بين سائر المخلوقات ؛ وضعه المبدع الحكيم ! فلو ترك ذكر واحد وأنثى واحدة من الذباب ؛ وعاش نسلهما ، وتناسل هذا النسل - لمدة ستة شهور فحسب - لغطى الذباب سطح الكرة الأرضية بعنق سبعة وأربعين قدماً . وما يقال عن الذباب ؛ يقال أيضاً عن الجراد والنمل وغيرهما . فلم تر جفاف الجراد الضخمة ، وأسراب =

عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿١﴾
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا
 سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ
 نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٢﴾ كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَمْنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٣﴾ * مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا
 نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ
 آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥﴾ قَالَ أَإِنْتُمْنَا لَنُخْرِجُنَا مِنْ
 أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَمْؤِسُونَ ﴿٦﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ
 فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ
 مَكَانًا سَوِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشَّرَ
 النَّاسُ حُمْقِي ﴿٨﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ جَمْعَ كَيْدِهِ ثُمَّ أُنبِيَ
 قَالَ هُمْ مُمِسُونَ وَيَلِكُوا لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ
 بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴿٩﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ

== التمل العظيمة، أو جيوش الذباب الجرارة؛ غطت مساحة الكرة الأرضية وزاحمت بنى الإنسان في مكانه منها؛
 وذلك لأن الله تعالى قد أعد لكل شيء عدته؛ حتى تتوازن سائر الأحياء بعضها مع البعض؛ دون
 أن يطفى نوع على الآخر؛ فتفسد بذلك أسباب العمران؛

ويأتى دور الإنسان - الذى يعتبر نفسه بحق سيداً على المخلوقات الأرضية - فيحاول بشتى الوسائل لإبادة
 كل ما يعترضه من هذه الكائنات؛ فلا يكاد يبدي نوعاً من الأنواع؛ إلا وفضاجاً بأنواع أخرى من سللته؛

الجزء السادس عشر

٢٨٠

يضفيها الإنسان إلى قائمة ما يصارع؛ حتى
 تكاثرت عليه الأعداء، وعز الداء. فن
 بكتريا وفيروسات، إلى طحالب وفطريات،
 إلى هوام وحشرات، إلى كواسر وحيوانات،
 إلى ملاحله من المخلوقات؛ التى أخرجها
 مبدع الأرض والسماوات؛

ولكل نوع من هذه الأنواع أعداء
 - غير بنى الإنسان - خاصة به، أوجدها الله
 تعالى لتتحفظ توازنه، وتعد من تكاثره؛
 فللجراد أعداء، وللتمل والذباب والبعوض
 أعداء، وللجذذات والحيات والمقارب
 أعداء؛ وإذا لم توجد هذه الأعداء، أو قل
 شرها؛ لكان النوع نفسه عدواً لنفسه؛ فإذا
 تكاثر الجراد مثلاً وزاد عن الحد المرسوم؛
 قل الغذاء؛ فيتصارع النوع فيما بينه، ويقتل
 بعضه بعضاً؛ بل ويأكل بعضه بعضاً. وما يقال
 عن الجراد يقال عن الهوام والحشرات،
 والبكتريا والفيروسات.

حتى النباتات؛ يسرى عليها قانون
 التوازن الذى يسرى على سائر المخلوقات؛
 فإذا ناءت بعض الأشجار بمحملها؛ تخلصت
 من بعض أزهارها وثمارها، وتخفت من
 ثقلها؛ خشية أن يتاف بعضها البعض، أو تهلك
 الشجرة نفسها.

وهذا القانون السماوى؛ ملموس مشاهد فى كل الأوقات؛ وسائر الحالات؛ فتجد مثلاً دودة القطن؛
 وقد عانت به فساداً حتى أهلكته وأتلفته؛ فلم نسمع يوماً ما أن هذا العيث، أو ذلك الفساد؛ كان سبباً
 فى عرى الإنسان، وتقصان ما اختصه الله به من نعمة السر واللباس؛ بل هو فى ظاهره فساد وإفساد، وفى
 باطنه وحقيقته؛ نظام عجيب، وتوازن دقيق؛

وهكذا الإنسان؛ تحمل به الرزايا، وتحيط به البلايا؛ وتجتاحه الأوبئة والطواعين، وتنبخ عليه الحروب
 بكللها؛ وهو بين كل ذلك متضجر متململ؛ لا يدرى أن جميع ذلك يسير بحكمة الحكيم العليم؛ الذى قدر
 كل شيء، وأعطى كل شيء حقه وخلقه؛ فتعالى المبدع الحكيم؛ (انظر آية ٢٥١ من سورة البقرة) =

بينهم وأسروا النجوى ﴿٢٧﴾ قالوا إن هذان لساحران
 يريدان أن يخرجاك من أرضك بسحرهما ويذهب
 بطريقتك المثلنى ﴿٢٨﴾ فأجمعوا كيدك ثم اتوا صفواً
 وقد أفلح اليوم من استعمل ﴿٢٩﴾ قالوا يسمون إيماناً
 تلقى وإما أن تكون أول من تلقى ﴿٣٠﴾ قال بل ألقوا
 فإذا جاملهم وعصهم يحيل إليه من سحرهم أنها
 تسمن ﴿٣١﴾ فأوحس فى نفسه خيفة موسى ﴿٣٢﴾
 قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ﴿٣٣﴾ وألقى ما فى يمينك
 تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح
 السحر حيث أنى ﴿٣٤﴾ قالنى السحرة مجذباً قالوا آمنا
 ربنا هرون وموسى ﴿٣٥﴾ قال ءامنتم لى قبل أن ءآذن
 لكم إنه لكبير كرى الذى علم السحر فلا يقطن
 أيديكم وأرجلكم من خلف ولا صلبنكم فى جذوع

= (مهذا) فراشاً (وسلك لكم فيها سبلاً) طرقات (أزواجاً) أصنافاً (من نبات شتى) مختلفة ومتنوعة (إن في ذلك) أى إن في جعل الأرض مهذاً ، وشق الطرق فيها والعلامات ، وإزالة الماء من السماء ، وإخراج النبات من الأرض ؛ لأكلكم ورعى أنعامكم ؛ إن في جميع ذلك (آيات) دلالات على وجود الخالق الحكيم المبدع (لأولى النهى) ذوى العقول (منها) أى من الأرض (خلقناكم) خلقنا أصلكم آدم عليه السلام من تراب (وفيها نعيدهم) بعد الموت (ومنها نخرجكم) عند البعث (تارة) مرة (ولقد أريناه) أى أرينا فرعون (آياتنا كلها)

٢٨١

سورة طه

الدالة على صدق موسى ، وصحة رسالته (فكذب) بها (وأبى) أن يؤمن (قال) فرعون لموسى (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك) سمي عدو الله المعجزة سحراً ؛ وشتان بين المعجزة والسحر ! (مكانا سوى) مستويا ؛ ليرانا سائر من محضرنا ؛ ويشهدوا دلائل صدقنا وكذبك ! وقد توهم عدو الله أنه منتصر على حق موسى بإطله ، وعلى آياته بسحره (قال) موسى ؛ وهو مطمئن إلى حجته ، واثق بعبودية ربه (موعدكم يوم الزينة) هو يوم العيد ؛ لأنهم يتزينون فيه (وأن يحشر) يجتمع (الناس نحى) أول النهار ؛ وقد اختار موسى هذا اليوم ؛ لتكون فضيحة فرعون أكبر ، وخزيه أعظم ؛ أمام ملائكة كبير من شيعته وعبادته (فتولى فرعون) انصرف وأعرض عن موسى ؛ ليعده عدته ، ويأخذ أهنته (جمع كيد) أى جمع سحرته الذين ظن أنهم يستطيعون كيد موسى (قال لهم موسى وبلسكم) أى جعل الله تعالى الويل والعذاب لكم (فستحکم) يهلككم (فتنازعوا أمرهم بينهم) قال بعض السحرة لبعض الآخر: إن كان موسى ساحراً ؛ غلبناه . وإن كان أمره من السماء ؛ غلبنا ! (وأسروا النجوى) أى تشاوروا في السر متناجين . قال بعضهم : ما هذا بقول ساحر

النَّعْلِ وَتَعْلَمُونَ أَيُّ أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَّا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۚ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ إِنَّا ءَإِنَّمَا بِرَبِّنَا لَيَغْفِرُ لَنَا خَطِيئَتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ۗ ۝٢٨١ ۗ إِنَّهُ مِن بَيِّنَاتِ رَبِّهِ ۗ مُجْرِمًا ۚ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۗ ۝٢٨٢ ۗ وَمَنْ يَأْتِهِهُ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۗ ۝٢٨٣ ۗ جَنَّتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ۗ ۝٢٨٤ ۗ وَلَقَدْ آوَجْنَا لَكَ مُوسَىٰ أَنْ أَمْرِي بِعِبَادِي قَاضٍ رَبُّهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۗ ۝٢٨٥ ۗ فَاتَّبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ السَّمَاءِ مَغْشِيمٌ ۗ ۝٢٨٦ ۗ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۗ ۝٢٨٧ ۗ يَلْبَسُونَ لِإِسْرَائِيلَ

(قالوا) أى قال فرعون وشيعته للسحرة الذين جمعهم ، أو قال السحرة لبعضهم (إن هذان) يقصدون موسى وهرون (لساحران) أى ما هذان لإساحران (وينها بطريقكم المثل) أى ببادتكم الحسنة (فأجمعوا كيدكم) أى أحكموا أمركم واستعدوا العدوكم (ثم اثنوا صفاً) مجتمعين متساندين ؛ ليحصل لموسى وهرون الرعب ، ويدب في قسبهما الخوف (وقد أفلح اليوم من استعل) غلب وفاز . فجاءوا صفاً كما أمرهم فرعون ، و(قالوا يا موسى إما أن تلقى) سحرك ، أو عصاك ؛ وذلك لأنهم كانوا قد سمعوا بها (قال بل ألقوا) أتم أولا . فألقوا ما معهم من الحبال والعصى (فإذا جبالهم وعصيمهم يخيل إليه من سحرهم أنها) حيات (تسمى) تمشى وتحرك (فأوجس) أحس (في نفسه خيفة موسى) أى لم يبد عليه الخوف ؛ بل كان =

== إحساساً كما نأ في نفسه (قلنا) لموسى عن طريق الوحى (لا تخف) ما تراه (إنك أنت الأعلى) الغالب
 الفائر (وألقى ما فى يمينك) عصاك (تلقف) تبتلع (ولا يفلح الساحر حيث أتى) سحره ؛ فألقى موسى عصاه
 فابتلعت جبالهم وعصيمهم ؛ وحين رأى السحرة ما حل بسحرم ؛ علموا أن ما صنعه موسى ليس من نوع السحر
 الذى يمارسونه ؛ بل هو من العجرات الظاهرات ؛ التى لا يستطيع مخلوق الإتيان بها ، بغير معونة من الملائق
 (فألقى السحرة سجداً) بدافع من إيمانهم واقتناعهم ؛ وبدافع خنى من مولايم وهاديهم وخالقهم ؛ ليرى فرعون
 فساد عمله ، ووضف عمله ؛ ورفع جل شأنه

٣٨٢

الجزء السادس عشر

السحرة من مصاف الكفار النجار ، إلى مصاف
 المؤمنين الأبرار ! (قالوا آمنا برب هرون
 وموسى) وكفرنا بفرعون (قال) فرعون
 للسحرة ؛ حين رأى هزيمته المتكررة ، وأحس
 بتصدع أركانه ، وانهيار بنيانه ! قال لهم
 (آمنتم له) استفهام ؛ أى آمنتم لموسى (قبل
 أن أذن لكم) بالإيمان (إنه لكبيركم) أى إن
 موسى رئيسكم فى السحر ، وهو (الذى علمكم
 السحر) من قبل (فلا تظعن أيديكم وأرجلكم
 من خلاف) أى اليد اليمنى ، والرجل اليسرى ،
 أو العكس (ولتعلن أينا) أنا وموسى ،
 أو أنا ورب موسى (أشد عذاباً) أى أشد
 تعذيباً لكم (وأبى) وأدوم (قالوا لن نؤثرك)
 لن نختارك ، أو نفضلك (على ما جاءنا من
 البينات) بعد التى شاهدناه من الحجج
 الظاهرات؛ الدالات على صدق موسى وكذبك ،
 وقدرة إلهه وعجزك (والذى فطرنا) خلقنا . أى
 و«لن نؤثرك» أيها الفاسق الكافر على «الذى
 فطرنا» أو هو قسم : أى «لن نؤثرك على
 ما جاءنا من البينات» وحق الذى فطرنا (فأقضى
 ما أنت قاض) فاعل ما أنت فاعل (إنما تقضى)
 قضاءك الظالم فى (هذه الحياة الدنيا) الفانية ؛
 أما الآخرة الباقية فلا سبيل لك عليها ؛
 وسيقضى لنا الله تعالى فيها بنعيمه الأوفر ،

قَدْ أَتَيْنَاكَ مِنْ دُونِكَ وَمَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ
 وَرَزَلْنَا عَلَيْكَ الْأَمْنَ وَالسَّلَوى ۝ ١٥ ۝ كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
 مَا رَزَقْنَاكَ وَلَا تَطغُورُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكَ غَضَبِي وَمَنْ
 يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ۝ ١٦ ۝ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ
 وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ۝ ١٧ ۝ * وَمَا أَجَلَكَ عَنْ
 قَوْمِكَ يَمْؤُوسِ ۝ ١٨ ۝ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ
 إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝ ١٩ ۝ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ
 بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۝ ٢٠ ۝ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ
 غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَا حَسَنًا
 أَطَّالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ
 مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ۝ ٢١ ۝ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ
 بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا
 فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۝ ٢٢ ۝ فَأَتْرَجَ لَهُمْ جِعْلًا جَسَدًا

ورضوانه الأكبر ؛ حيث يقضى عليك بالجحيم والعذاب الأليم ! (إننا آمنا بربنا ليعفر لنا خطايانا وما أكرهتنا
 عليه السحر) أى ليعفر لنا ذنوبنا التى ارتكبتها حال جهلنا وكفرنا ، والسحر الذى أكرهتنا على إتيانه
 (لا يموت فيها) فيرتاح (ولا يحيا) حياة تنفعه وتفيده (جنات عدن) جنات الإقامة (وذلك جزاء من
 ترك) تظهر من الشرك والذنوب (أسر بصادى) أى سر بهم ليلا (فاضرب لهم) بصادك (فى البحر) يجعل
 الله تعالى مكان ضربك بالصا (طريقاً يبساً) يابساً فى وسط الماء ؛ تستقر عليه الرجل عند المشى (لا تخاف
 دركا) لا تخشى لإدراكا من عدوك (فأتبعهم فرعون) سار فى أثرهم ؛ فى هذا الطريق البابس ؛ الذى جعله
 الله تعالى آية لموسى ، وعذاباً لفرعون (فغشيهم) أصابهم وغطاهم (من اليم) البحر (ماغشيهم) أى =

== غشيم الأمر العظيم ، والخطر الدائم الذي غشيمهم (ونزلنا عليكم المن والسلوى) هما الترحيب والسيان .
أو هو كل ما يمن به من أطياب الرزق ، وما يتسلى به من الأكل والفاكهة ؛ وقلنا لهم (كلوا من
طيبات ما رزقناكم) أى من الرزق الحلال الطيب الذى رزقناكموه (انظر آيتى ١٧٢ من البقرة ، و ٥٨ من
الأعراف) (ولا تطغوا فيه) لا تكفروا بالنعمة ، ولا تدخلوا فيما طعمتم الشبهات (ومن يحلل عليه غضى
فقد هوى) سقط في العذاب (وإن لظنار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) أى لأن من شرائط
الغفران : التوبة ، والإيمان ، والعمل الصالح ،
والاهتداء ! (وما أمجلك عن قومك ياموسى)
أى أى شيء حملك على أن تسقمهم ، وتدعهم
عرضة للأهواء ! وقد كان موسى عليه الصلاة

والسلام أقام هرون على بنى إسرائيل ؛ على
أن يسير بهم في لئره (قال هم أولاء على
أثرى) أى هاهم سائرون خلقى ، أو هم
منتظرون عودتى إليهم بأوامرك (وعجلت إليك
رب لترضى) طالباً لمراضتك ، مشتاقاً ملاقاتك
(قال) تعالى (فإننا قد فتننا قومك) اختبرناهم
وامتحانهم (من بعدك) بعد فراقك لهم (وأضلهم
السامرى) هو موسى بن ظفر : كان منافقاً ؛
وقد أضلهم بدعوتهم لى عبادة العجل (فرجع
موسى لى قومه غضبان أسفاً) أى حزيناً ؛
والأسف : الحزن ، والغضب . قال تعالى « فلما
أسفونا » أى أغضبونا (قالوا ما أخلقنا موعداك
علكنا) بقدرتنا ، أو بأمرنا (ولكننا حملنا
أوزاراً من زينة القوم) أى ألقنا من الذهب
والفضة (فقدفناها) طرحناها فى النار
(فكذلك أتى السامرى) الحلى التى معه ؛
كما ألقينا (فأخرج لهم مجلا) أى صنع لهم
السامرى مجلا من ذهب (له خوار) صوت
كصوت البقر . قيل : صنع به تقويماً وفتحات ؛
إذا دخها الهواء : صار له صوت كالخوار .
وقيل : دبت فى العجل الحياة ؛ بسبب قبضة

لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٣٨٣﴾
أَفَلَا يَرُونَ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا
وَلَا نَفْعًا ﴿٣٨٤﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقُومُ
إِنَّمَا فَتِنْتُمْ بِهِ وَإِن رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي ﴿٣٨٥﴾ قَالُوا أَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَى ﴿٣٨٦﴾ قَالَ يَهْتُرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٣٨٧﴾
أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٣٨٨﴾ قَالَ يَبْتَغُونَ لَنَا خُذْ
بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ وَدَدَّ تَرْقُبُ قَوْلِي ﴿٣٨٩﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ
يَسْمِعِي ﴿٣٩٠﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّاتِ لِي
نَفْسِي ﴿٣٩١﴾ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ
لَا مَسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُحْلِقَهُ بِكَ وَنَضْرِبُكَ إِلَى الْهَيْكَلِ

التراب التى أخذها السامرى من أثر جبريل عليه الصلاة والسلام وألقاها على العجل الذهبى (فقالوا) أى
السامرى وأصحابه لقوم موسى (فنسئ) أى فسئ السامرى ما كان عليه من إظهار الإيمان . أو المراد : هذا
العجل هو إلهكم وإله موسى ؛ فنبه موسى هنا ، وذهب يطلبه عند الطور ، أو نسى أن يخبركم به (أفلا
يرون) عبدة هذا العجل (ألا يرجع) أنه لا يرجع (إليهم قولاً) لا يرد عليهم جواباً (ولقد قال لهم هرون
من قبل يا قوم إنما فتنتم به) أى ابتليتم وأضلتمم بالعجل (قالوا لن نبرح) أى لن نزال (عليه عاكفين)
مقيمين (حتى يرجع إلينا موسى) فلما رجع موسى ، ورأى ما حل بهم: أتجه إلى أخيه هرون ؛ الذى استخلفه
عليهم حال غيبته ؛ و(قال) له (يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا) عن سبيل الله ، وعبدوا ما لا يعبد =

= (ألا تتبعن) أي أن تتبعني ، و «لا» زائدة ؛ مثل قوله تعالى «ما منكم ألا تسجد» والمراد بالاتباع : اتباع سنته وطريقته ؛ في محاربتهم والإنكار عليهم ، أو المراد : تركه لهم في ضلالهم واتباع موسى (قال يابن أم) لما رأى هروث ثورة موسى ، وشدة غضبه ، ومزيد تأسفه على ما حدث : ذكره بمرکز الحنان ، ومنيع الشفقة ، وأساس الحب ؛ قال «يابن أم» لانتضب علي ، و(لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) فاني لم أخطئ ، ولم أقصد بما فعلت سوى الخير والصواب (إني خشيت) إن اتبعك بن أقام على الإيمان ولم يعبد العجل ، أو حاربت المشركين بالمؤمنين (أن تقول فرقت بين بني إسرائيل) وجعلتهم أعداء وشيماً (ولم ترقب قولي) لم تحفظ وصيتي ، ولم تنتظر أمرى . وقد قال له عند ذهابه لموعده «اخلفني في قومي وأصلح» وعندئذ «سكت عن موسى الغضب» والتفت إلى موسى السامري (قال فما خطبك يا سامري) أي ماشأ أنك ؟ وما حقيقة أمرك ؟ (قال بصرت بما لم يبصروا به) أي رأيت ما لم يروه . قيل : رأى جبريل عليه الصلاة والسلام على فرسه ؛ فزينت له نفسه أن يأخذ من أثره ؛ وهو معنى قوله تعالى (فقبض قبضة من أثر الرسول) قيل : أخذ قبضة من التراب الذي تحت حافر فرسه (فنبذتها) ألقيتها على الجبل الصاغ من ذهب (وكذلك سولت) زينت (لي نفسي) فتحول غضب موسى عن هرون البريء ؛ إلى المجرم موسى السامري (قال فاذهب) من أمامي ، ولا تربي وجهك (فان لك في الحياة أن تقول لا مساس) أي إنه أصيب - بدعاء موسى عليه : عقوبة له - بأمرض خبيثة فتأكد معدية ؛ جعلت الناس تهرب من مسه ؛ فإذا مسه إنسان : حم ، وأصيب بالأمرض التي ابتلى بها . وقيل : إنه جن وجعل ينادي ويقول : لا مساس ، لا مساس . وقيل : أمر موسى بنى إسرائيل بمقاطعته : فلا يكلمه منهم

الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحْرُقِهِ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٧٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٧٨﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٧٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَجْمَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ زُورًا ﴿١٨٠﴾ خَلِيلَيْنَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٨١﴾ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٨٢﴾ يَخْفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٨٣﴾ لَنْ نَعْلَمَ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٨٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٨٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٨٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَأَعْوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٨٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ

الْقِسْمَةُ

إنسان ، ولا يعامله ، ولا يقربه (وإن لك موعداً) للعذاب الأليم (لن تخلفه) يوم القيامة (واظفر إلى إلهك) العجل (الذي ظلت) ظللت وداومت (عليه عاكفاً) على عبادته مقبلاً (لنحرقه) لنذيبه بالنار (ثم لننسنفه في اليم) البحر (إنما إلهكم) الحق : هو (إله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً) أي وسع علمه كل شيء «يعلم ما يليق في الأرض وما ينزل منها وما ينزل من السماء وما يبرج فيها وهو معكم أينما كنتم» (كذلك) أي كما قصصنا عليك يا محمد من نبأ موسى وفرعون (قصص عليك من أنباء ما قد سبق) من الأمم (وقد آتيناك) أعطيناك وأتزلنا عليك (من لدنا) من عندنا (ذكرأ) قرأنا (من أعرض عنه) عن هذا القرآن ؛ فلم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة زوراً) إنما عظيمها ، وحمل ثقيلها (يوم ينفخ في الصور) =

القرن ؛ يفتح فيه إسرائيل عليه السلام بأمر ربه (ونحشر المجرمين) الكافرين (يومئذ زرقاً) أى سوداً . وقيل : عمياً . وليس بمستبعد أن يكون ذلك كما نقله العامة والسوقة من تلطخ وجوههم بالصنع الأزرق عند حلول المصائب ، وتوالى الكوارث ؛ وأى كارثة أعم من ورودهم النار ؟ وأى مصيبة أطم من غضب الملك الجبار ؟ أما ما ورد من أن الزرقة تكون في عيونهم ؛ فيأبه وصف ما هم فيه من خزي وعار وذلة وعذاب وتبجح ؛ فقد تكون زرقة العيون مدحاً لا قدحاً ؛ فكيف يوصف بها أفتيح الناس حالا وما لا ؟ (يتخافتون) يتهاسون (بينهم)

فائلين بعضهم (إن لبتم) ما لبتم في الدنيا ، أو ما لبتم في القبور (إلا عسراً) من الليالي بأيامها . وذلك أنهم لهول ما يرون في القيامة ؛ يظنون أنهم ما لبثوا في الدنيا سوى عشرى وقولهم «إن لبتم إلا عسراً» لم يكن صادراً عن جنون منهم (إذ يقول أمثلهم طريقة) أى أعقلهم وأذكاهم ، وأذكرهم وأفهمهم ؛ يقول - لشدة ما يرى ، وهول ما يكابد ويعان - (إن لبتم) في الدنيا (إلا يوماً) واحداً ؛ يستقلون أيام الدنيا - على ما قالوا فيها من شهوات وملذات - وقد فعلوا فيها ما فعلوا ، وارتكبوا فيها ما ارتكبوا ؛ مما أوردتم هذا المورد ، وأوقفهم هذا الموقف (فاعا) منبسطة (صفتاً) مستوية (ولا أمتاً) أى ولا ارتفاعا (يومئذ يتبعون الداعي) الملك الذى يدعوهم إلى المحشر ؛ هلموا إلى عرض الرحمن ! فهم اليوم يتبعون مكرهين داعى الرحمن للعذاب ، وبالأسلم لم يستجيبوا لداعى النجاة والثواب (لا عوج له) أى لا مناس من إجابة الداعى وانباعه ، أو «لا عوج» لدعائه (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) أن يشفع ؛ من النبيين ، والملائكة ، والصلحين . وقيل : «إلا من أذن له الرحمن» أت يشفع فيه . (انظر آية ٢٥٥ من سورة البقرة) (يعلم

ما بين أيديهم) ما يؤول إليه حالهم وأمرهم في الآخرة (وما خلفهم) وما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا (وعنت) خضعت وذلك (الوجه للحى القيوم) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لأنه الاسم الأعظم (وقد خاب من حمل ظلماً) من ارتكب (أعماً) (ولا هضماً) ولا جوراً (أو يتحدث لهم) القرآن (ذكرراً) تذكيراً بما حدث للسايقين من المكذبين (ولا تعجل بالقرآن) أى بقراءته (من قبل أن يقضى إليك وحيه) أى من قبل أن يفرغ جبريل عليه السلام من إبلاغه إليك (ولقد عهدنا إلى آدم) وأوحينا إليه ، وأوصيناه ألا يأكل من الشجرة (ففسى) وأكل منها (ولم نجد له عزماً) صبراً وحزماً ، ونباتا على التزام الأمر (فلا يخرجنكما) أى لا تستمعا إليه ؛ فيخرجنكما من الجنة بسبب وسوسته

النَّفْسَ لِمَا مِنْ أَدْنَىٰ لَهُ الرَّحْمَنُ رَرَضَىٰ لَهُ قَوْلًا ﴿٢٨٥﴾
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ
بِهِ عِلْمًا ﴿٢٨٦﴾ * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ
وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿٢٨٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿٢٨٨﴾
وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿٢٨٩﴾ فَتَعَلَىٰ
اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿٢٩٠﴾
وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَدْسِي وَلَا نَجِدُ لَهُ
عِزْمًا ﴿٢٩١﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿٢٩٢﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ
وَلِرِزْوِكَ فَلَا يَخْرُجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿٢٩٣﴾ إِنَّ

(ولا تضحي) أى ولا تتعرض فيها لحر الشمس «لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً» (شجرة الخلد) التى من أكل منها: يخلد ولا يموت (وملك لا يبلى) لا يفنى (فأكل منها) أى من الشجرة التى نهاها الله تعالى عن قربها (فبذت لها سوءاتها) عوراتها . والسوأة: كل ما يسوء الإنسان كشفه (وظفقا) وجلا (مخصفان) يلزقان (عليهما من ورق الجنة) قيل: هو ورق التين (وعصى آدم ربه فغوى) أى ضل عن الرأى وجهل . وقيل: أخطأ . وليس المراد العصيان والتقى بمعناها المتعارف ؛ بدليل قوله تعالى فى آية سابقة

الجزء السادس عشر

٢٨٦

«ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنى ولم نجد له عزماً» وبالجملة فإن الله تعالى يصح أن يوجه لأوليائه ، وأنبيائه وأصفياؤه ؛ ما لا يصح أن توجه نحن لهم ؛ كما أن الملك يخاطب وزراءه بلهجة الأمر ، والزاجر ؛ وهو ما لا يجوز أن يخاطبهم به سائر أفراد الرعية ؛ وليس لكائن من كان أن يقول : إن آدم عاص ، أو غاو ؛ فتل هذا القول كفر ، أو هو بالكفر أشبه ! (ثم اجتبه ربه) اختاره (فتاب عليه) غفر له (وهدى) هداه إلى الطريق الموصل إليه ! (انظر آية ٢٣ من سورة الأعراف) (قال اهبطا منها) أى من الجنة (جيماً) أنت وحواء ، وما اشتلتما عليه من الثرية ، أو «اهبطا» أنت وإبليس (بعضكم لبعض عدو) أى بعض ذريتكم ، للبعض الآخر عدو ، أو «بعضكم» لإبليس وذريته «لبعض» أنت وذريتك (فإما يأتينكم) فإن يأتكم (مى هدى) كتاب ، وشريعة (فمن اتبع هداى فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة ؛ وهو جزاء من الله ، لمن اتبع هداه ! (ومن أعرض عن ذكرى) كتي المنزل (فإن له معيشة ضنكا) شديدة ، ولو كان فى يسر ، ضيقة ولو كان فى وسع ! وذلك لأن الله تعالى جعل مع الإيمان : القناعة ، والتسليم ، والاطمئنان ، والرضا ، والتوكل ؛

لَكَ أَلَّا يَجْمُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١١﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٢﴾ فَوْسَوْسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١١٣﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١١٤﴾ ثُمَّ اجْنَبْتَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١١٥﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلِمَا يَا تُبَيِّنُكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١١٧﴾ قَالَ رَبِّ لِرِ حَشْرَتَيْنِ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١١٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسىٰ ﴿١١٩﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزى مَنْ أَسْرَفَ وَلَئِن يُوْمِنُ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٠﴾

أَقْلَمُ

فالؤمن مسرور دائماً فى سائر حالاته ، راض عن مولاه ، مطمئن لعاقبته : عيشه رغيد ؛ ولو لم ينل سوى الخبز ققاراً ، وقلبه سعيد ؛ ولو انسابت عليه الموم أنهاراً ! ويصدق عليه دائماً قول ربه تعالى : «فلنجينه حياة طيبة» كما جعل تعالى مع الكفر والإعراض عن الله : الحرص ، والشح ، وعدم الرضا ، وانشغال البال ، والطمع ، والجشع ؛ فالكافر دائماً طالب الزيادة ؛ ولو أوتى مال قارون ، قابض اليد ؛ ولو انصب عليه المال انصباباً ، كاره لمن حوله ؛ ولو بذلوا النفوس فى طاعته ؛ فعيشه ضنك شديد ، وحياته كرب دائم ، وحزن قائم ؛ وحق عليه قول ربه جل شأنه : «فإن له معيشة ضنكا» وقيل المعيشة الضنك : عذاب القبر . وقيل : هى جنم ؛ ويدفع هذا المعنى قوله تعالى «ولعذاب الآخرة أشد وأبقى» مما يدل على أن ما تقدم يكون =

في الدنيا أو في القبر؛ أعادنا الله تعالى من غضبه بمنه ورحمته (ونحشره يوم القيامة أعمى) عن الحجّة، أو أعمى البصر: تتفاذه الأرجل في المحشر (وكذلك اليوم تنسى) أي تنسى من النعيم والرحمة؛ كما نسبت آياتنا، وتركت العمل بها (وكذلك نجزي من أسرف) أشرك، أو جاوز الحد في العيوان (أفلم يهدمكم أهلكننا قبلهم من القرون) الأمم (عشون في مساكنهم) أي أفلم يدين لهم، أو أفلم يرشدهم ويهدم إهلاك من مضى قبلهم من القرون؛ وقد رأوا مساكنهم ومشوا فيها؛ فيهتدوا إلى طريق الحق والصدق؛ بأن يؤمنوا بالله ورسوله. وقيل: «أفلم يهد لهم» أي الله تعالى؛ يدل عليه قراءة بعضهم «أفلم نهد لهم» (إن في ذلك) المذكور، أو ذلك المتى في مساكن الأمم السابقة المكذبة؛

ورؤية ما حل بها من هلاك وتدمير! إن في جميع ذلك (آيات) لعباً وتدبيراً (لأولي النهي) لذوي العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب عن المكذبين من أمتك إلى يوم القيامة (لكان لزاماً) أي لكان العذاب لازماً، ولزاماً عليهم؛ وقت ارتكابهم الآثام في الدنيا (وسبح بحمد ربك) إشارة إلى الصلوات الخمس: (قبل طلوع الشمس) صلاة الفجر (وقبل غروبها) صلاة العصر (ومن آتاء الليل) ساعاته (فسبح) فصل. والمراد بها صلواتا المغرب والعشاء (وأطراف النهار) صلاة الظهر؛ لأن وقتها يدخل بزوال الشمس والزوال: طرف النصف الأول، وطرف النصف الثاني من النهار. وقيل: المراد بالآية: صلاة التطوع. والذي أراه: أنه ذكر الله تعالى، وتسيحه، وتمجيدته؛ في كل وقت وحين: قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، وآتاء الليل، وأطراف النهار؛ فقد اشتملت هذه الأوقات سائر النهار والليل (لعلك) بمواظبتك على العبادة، وتمسكك بمرضاة الله تعالى (ترضى) أي يثيبك الله تعالى حتى ترضى.

وقرىء «لعلك ترضى» بضم التاء؛ وأولئك تعطى ما يرضيك (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم) أصنافاً من الكفار (زهرة الحياة الدنيا) زينتها بالنبات والأقوات، والثمار والأشجار (لنفتنهم فيه) أي لا تطل النظر والتفكر إلى ما متعنا به أصنافاً من الكفار بأنهم لا يستحقونه؛ فإنه فتنة لهم؛ ليحق عليهم العذاب (ورزق ربك) نعيمه في الآخرة (خير) مما تراه في الدنيا (وأبقى) لأنه دائم لا يفنى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) أي داوم على أداؤها، والأمر بها (وقالوا) أي قال المشركون (لولا) هلا (بأنينا) بآية من ربه) معجزة مما يقترحونه. قال تعالى؛ ردأ على قولهم (أولم يأتيهم) في هذا القرآن (بينة) بيان (ما في الصحف الأولى) كالإنجيل، والتوراة، والزيور، وغيرها؛ مما أنزله الله تعالى. وبيان ما في هذه =

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَرَّ اهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ
 فِي مَسْجِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ﴿٢٨٧﴾
 وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامِ وَأَجَلٍ
 مُّسَمًّى ﴿٢٨٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
 قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ
 فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿٢٨٩﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ
 عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٢٩٠﴾
 وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْ رِزْقًا
 نَحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿٢٩١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَا بَنِي آدَمَ
 مِنْ رَبِّهِمْ أَوْلَادٌ تَاتِيهِمْ بَيْنَةَ مَلَىٰ الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿٢٩٢﴾
 وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا
 أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنَادِيَ

==الصف: أبناء الرسل وأبناء الأمم المتقدمة ، وماحل بالمكذبين منها . أى ألم يكفهم هذا معجزة لمحمد ؟ وهو النبي الأمي ، الذي لم يخط حرفاً ، ولم يقرأ كتاباً (ولو أنا أهلكنام) أى أهلكننا هؤلاء السائلين ، المتحيزين للآيات (بغضب من قبله) أى من قبل أن نرسل إليهم رسولنا محمداً (لقالوا) محتجين على هذا الإهلاك (ربنا لولا) هلا (أرسلت إلينا رسولا) يهدينا إليك ، ويعرفنا بك ، ويوصلنا إلى طريقك (فتنبه آياتك) التي تنزلها علينا (من قبل أن نفل) في القيامة (ونحزى) في جهنم (قل كل) منا ومنكم (مترصب) منتظر ما يؤول إليه الأمر (الصرط السوي) الطريق المستقيم (ومن اهتدى) من الضلالة ؟ نحن أم أمم ١؟

الجزء السابع عشر

٣٨٨

وَنَحْزَى ١٧٧ قُلْ كُلٌّ مَّرْتَبٌ فَرْتَبُوا فَسْتَعْلَبُونَ مِنْ
أَحْتَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ١٧٨

(٢١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَاتُهَا ١١٢ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ

(سورة الأنبياء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ١
مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ٢ لِأَهِيَةٍ قُلُوبِهِمْ وَاسْرَأَوْا النَّجْوَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ
تَبْصُرُونَ ٣ قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٤ بَلْ قَالُوا أَضَلَّكُمْ أَطْلَمَ بَلْ
أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ٥

(اقرب للناس حسابهم) أى اقربت القيامة (وهم في غفلة) عن هذا : سائرون في غيبهم ، سادرون في بغيهم (معرضون) عن ربهم (ما يأتيهم من ذكر) قرآن (من ربهم عذب) جديد في سماعه ، وفي لطفه ، وفي كتابته ، وفي حفظه . أما القرآن - بصفته كلام الرحمن - فهو صفة فأعته بذات منزله وقائله تعالى ! قال البوصيري رحمه الله تعالى في برده:

آيات حق من الرحمن عذبة

قدية صفة الموصوف بالقدم

(لاهية قلوبهم) غافلة عن معناه (واسرأوا) التجوى الذين ظلموا) أى تكلم الكفار فيما بينهم متجاجين سراً ؟ فآئين (هل هذا) يعنون

مَا عَامَّتْ

محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم (أفتأتون السحر) أى أتعنون السحر الذي يأتي به ؟ (بل قالوا) على الرحي الذي أوحينا به لمحمد (أضغاث) أخلاط (أحلام) أى رؤيا مختلطة لا تعبر: لكونها تجت من فساد المعدة ، وأبخره الطعام . وقالوا أيضاً (بل افتراه) أى اختلق القرآن واخترعه . وقالوا أيضاً (بل هو شاعر) يقول القرآت من بديته ؛ كما تقول الشعراء الشعر من بدائهم (فليأتنا بآية) معجزة (كما أرسل) الرسل (الأولون) كموسى وعيسى وغيرهما ؛ فرد الله تعالى عليهم بقوله

مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ
 الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
 لَّيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٣﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ
 الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٤﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرٌ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥﴾
 وَكَرَّ قَصَصَنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا
 قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّ بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا
 يَرْكُضُونَ ﴿٧﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ
 وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْقُطُونَ ﴿٨﴾ قَالُوا يَا بُولِيسَ إِنَّا نُكْفَرُ
 ظَالِمِينَ ﴿٩﴾ فَذَلِكَ نَذِيرٌ لَكُمْ دَعْوَتِهِمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ
 حَصِيدًا خَالِدِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ
 وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَبَثِ ﴿١١﴾ لَوِ ارْتَدَّا أَنْ نَنْحَدَّ لَهُمَا وَلَا يَنْحَدَّ

(ما آمنت قبلهم من قرية أهلكتها) كفوم
 صالح ، وقوم موسى ؛ فإنهم لم يؤمنوا رغم
 المعجزات والآيات ؛ فاقبناهم بالإهلاك (أفهم
 يؤمنون) أى أفيؤمن قومك ؟ (وما أرسلنا
 من قبلك إلا رجالا) مثلك (نوحى إليهم) مثل
 ما أوحينا إليك ؛ وهذا رد على قولهم «هل هذا
 إلا بشر مثلك» (فاسألوا أهل الذكر) أهل
 التوراة والإنجيل الذين آمنوا (وما جعلناهم)
 أى وما جعلنا الأنبياء (جسدًا لا يأكلون
 الطعام) بل لهم بشر أمثالكم : يأكلون
 الطعام ، ويمشون فى الأسواق (وما كانوا
 خالدين) فى الدنيا ؛ بل يموتون كسائر البشر
 (ثم صدقناهم الوعد) الذى وعدناهم بانجائهم ،
 وإهلاك المكذبين (فأنجيناهم ومن نشاء) من
 عبادنا المؤمنين (وأهلكنا المسرفين)
 المتجاوزين الحد بالكفر والتكذيب ، وارتكاب
 المعاصى (لقد أنزلنا إليكم كتابا) هو القرآن
 الكريم (فيه ذكركم) أى شرفكم وعلوكم ؛
 وذلك كقوله جل شأنه «وانه لذكر لك
 ولقومك» (وكم قصصنا) أهلكتنا . والقصم :
 الكسر (فلما أحسوا بأسنا) شعروا بنزول
 عذابنا (إذا هم منها) أى من القرية النازل بها
 العذاب (يركضون) يهربون مسرعين (وارجعوا إلى ما أترفتم) أى
 الذى كنتم فيه (إليكم تسألون) أى لعله أن يطلب منكم الإيمان ثانية . وهو توبيخ وتقريع لهم (حتى جعلناهم
 حصيدا) أى كالزروع المحصود (خامدين) ميتين ؛ وهو من خود النار : أى انطفأها

مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى
 الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكِنَّ الْوَيْلَ لِمَا
 تَصِفُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ
 عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٧٩﴾
 يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿١٨٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً
 مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُبْشِرُونَ ﴿١٨١﴾ لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ
 لَفَسَدَتَا فَسُبْحٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٢﴾
 لَا يُسْئَلُ عَمَّا يُفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿١٨٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ
 دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهٰنَكُمْ هٰذَا ذِكْرٌ مِنْ
 مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ
 فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١٨٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ
 إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٨٥﴾ وَقَالُوا
 اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿١٨٦﴾

لَا يَسْتَفْتُونَ

(من لدنا) من عندنا (فيدمغه) فيذهب
 (فإذا هو زاهق) مضحل ذاهب (ولكم
 الويل) العذاب (كما تصفون) به الله تعالى؛
 من الزوجة، أو الولد، أو الشريك (ومن
 عنده) من الملائكة (ولا يستحسرون)
 لا يتعبون، ولا يميون (يسبحون الليل والنهار
 لا يفترون) أي إن تسيبهم متصل دائم؛
 لا تتخله فترة، ولا يشوبه ملل. والفتور:
 السكون بعد الجدة، واللين بعد الشدة
 (ينشرون) يميون الموتى (فسبحان الله)
 تقدس وتزه من أن يكون له شريك!
 (لا يسأل عما يفعل) لأنه تعالى صاحب الملك،
 وخالقه، ومدبره! وقد جرت العادة أن يسأل
 الكبير الصغير؛ ولا أكبر من الله! والجليل
 الدليل؛ ولا أجل منه تعالى! (وهم يسألون)
 لأنهم محط الأخطاء، ومناط التكاليف! فلاحجة
 لأحد على الله، وله تعالى الحجة القائمة على كل
 أحد «قل لله الحجة البالغة» (انظر آية ١٤٩
 من سورة الأنعام) (هذا) القرآن (ذكر من
 معي) أي إن القرآن ذكر أمي، وسبيلها إلى
 التوحيد (وذكر من قبلي) من الأمم السابقة؛
 وفي هذا أن القرآن الكريم فيه ما في التوراة
 والإنجيل وسائر الكتب السابقة؛ مما يحتاجه المرسل ليهيئ لهم هدايتهم، والتعرف إلى ربهم؛ وليس في القرآن،
 ولا في أحد هذه الكتب تعدد الآلهة؛ بل كلها يجمع على أنه لا إله إلا الله وحده، لا إله غيره، وأنه فرد،
 صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد! فمن أين جاءهم ما يقولونه، وما يزعمونه! (وقالوا اتخذ
 الرحمن) من الملائكة (ولداً) بقولهم: الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيهاً له، وتقديساً عن اتخاذ الولد
 (بل) الملائكة (عباد مكرمون) مطيعون له عابدون

لَا يَسْتَفِيدُونَ بِالْقَوْلِ وَّهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣٩١﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
 أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَسْمَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ مِنْ
 شَيْئِهِمْ مَشْفِقُونَ ﴿٣٩٢﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ
 دُونِهِ فَقَدْ لَكُمْ فِيهِ جَهَنَّمٌ كَذَلِكَ تَجْزَى الظَّالِمِينَ ﴿٣٩٣﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا
 رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴿٣٩٤﴾
 أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩٥﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ
 بِهَا وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٩٦﴾
 وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا
 مُعْرِضُونَ ﴿٣٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
 وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٩٨﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِشَيْءٍ مِنْ
 قَبْلِكَ الْخَلْقَ أَفْهِنًا مِمَّنْ فَهْمٌ أَغْلِبُونَ ﴿٣٩٩﴾ كُلُّ نَفْسٍ
 ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَتَبْلُغُونَ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا

(لا يسبقونه بالقول) الذي يريدونه ؛ بل هم (بأمره) الذي يريد به (يعملون) لا يعملون سواه (يعلم ما بين أيديهم) ما سجدت منهم ولهم (وما خلفهم) ماضي من أمرهم وأعمالهم (وهم من خشيتهم مشفقون) خائفون (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا) سداً مثلثتين (فشقناهما) بالطر ،

والأرض بالنبات ؛ نظيره قوله تعالى «والسما»

ذات الرجح ، والأرض ذات الصدع» أو شق

السما والأرض فجعل كلا منهما سبعا ، وزعم

بعض الفلاسفة : أن قطعة انفصلت من الشمس

- بعوامل طبيعية - فكانت أرضنا هذه ؛

وهو قول لا دليل عليه غير ما زعموا ؛ ومن

عجب أن شايعهم بعض المحدثين في هذه القالة ؛

التي ما أريد بها غير نفي وجود الله تعالى وقدرته

على صنع هذه الأرض ؛ وأنها لم تكن إلا بحض

الصدفة ؛ كما أن الإنسان أيضا كان بحض

الصدفة والتطور . وهو قول خبيث ، له خبي ؛

ما أريد به وجه العلم ؛ بل أريد به نشر الكفر ،

وفشو الإلحاد ؛ فاحذر - هديت وكفيت -

دس الملحدين ووسوسة الشياطين ! (وجعلنا

من الماء) أى بواسطته وسببه (كل شيء

حي) جمادا كان أو نباتا ، حيوانا أو إنسانا

(وجعلنا في الأرض رواسي) جبلا ثوابت (أن

تميد بهم) أى خشية أن تميل الأرض وتتحرك

بمن عليها (وجعلنا فيها حجاجا) مسالك (سبلا)

طرقا (وجعلنا السما سقفا محفوظا) من الوقوع ،

ومن عبث الشياطين (وهم عن آياتها) أى آيات

السما وما فيها من شمس وجمرات ، وكواكب

وأنجيم ، وبروج ومنازل (وهو الذي خلق

الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتعملوا فيه ،

وتبتغوا من فضله (و) خلق (الشمس)

سراجا وهاجا ، لمنفعة الإنسان والحيوان ، والثمار والنبات (و) خلق (القمر) نوراً وضياء ؛ ليهتدى به

الناس إلى حساب الأشهر والسنين (كل) منها (في فلك يسبحون) يسرون في الهواء ؛ كالسائح في الماء

(ونيلوكم) تختبركم (بالقمر) الفقر ، والمرض ، والبؤس (والخير) النفي ، والصحة ، والسعادة . وهذا

الابتلاء بالشئ والخير (فتنة) لكم ؛ لتنظر أنصبرون على القم ، وتشكرون على الخير ؛ أم تكفرون

في أحدهما أو كليهما

تَرْجِعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا بِانْجِلْذُونَكُمْ
 إِلَّا هُزُوا أَمْهَلُوا أَلَيْسَ الَّذِي يَذُكُرُ الْهَيْتَكَ وَهُمْ يَذُكُرُ الرَّحْمَنَ
 هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ سَأُوبِيكَ
 يَا بَنِيَّ فَلَا تَسْتَعْجِلْهُ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
 لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ
 وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
 يَسْتَعِينُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ
 بِرُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَخَافَ بِاللَّيْلِ النَّارُ مِنْهُمَ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ
 بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ
 تَمْتَنُّهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَغِيثُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْنا
 يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ

(والينا ترجعون) يوم القيامة ؟ فأجركم على
 الشكر والصبر ، وثواخذكم على اليأس والكفر
 (أهدا الذي يذكر آلهتكم) أى قالوا : أهدا
 الذى يذكر آلهتكم بسوء (وهم يذكر الرحمن هم
 كافرون) يتعجبون من ذكرك لآلهتهم بالسوء ؛
 وهم لا تعقل ، ولا تنفع ، ولا تضر ؛ ويكفرون
 بالرحمن - عند ذكره - وهو الخالق الرازق ،
 النافع الضار ، السميع العليم (خلق الإنسان
 من عجل) أى إن الإنسان لكثرة تعجله ؛ كأنه
 خلق من عجل . وقيل : المراد بالإنسان : آدم
 عليه السلام ؛ وأنه أراد أن يثب قبل أن تبلغ
 الروح رجله : تعجلا إلى ثمار الجنة . وقيل :
 «خلق الإنسان من عجل» أى من تعجيل فى
 خلق الله تعالى لياه . والمراد بذلك : أن هذا
 الإنسان العجيب الحلقة ، المحكم الصنع : لم
 يحتاج إلى وقت فى خلقته وصنعه ؛ بل خلقه
 الله تعالى على عجل : بغير روية ، ولا مثال
 (سأريكم آياتى) الدالة على قدرتي وحدانيتي
 (فلا تستعجلون) يا نزال العذاب الموعود
 (ويقولون متى هذا الوعد) بالقيامة والثواب
 والعقاب (حين لا يكفرون) وقت لا يمتنعون
 ويدفعون (بل تأتيمهم) الساعة (بغتة) فجأة
 (فتبتهم) تدهشهم وتعجزهم (ولا هم ينظرون) يبهلون (خاف) فذلل (ما كانوا به يستهزئون) أى جزاءه
 وعقابه (قل من يكفركم) يحفظكم (من الرحمن) من عذابه وبطشه إن أراد تعذيبكم والبطش بكم (ولا هم منا
 يصحبون) يجارون ؛ كما يجير الصاحب صاحبه (بل متعنا هؤلاء) المكذبين لك (و) متعنا (آباءهم)
 بما أسبقناه عليهم من سعة ورزق وفير

عليهم

(حتى طال عليهم العمر) في النعمة؛ ووطنوا أنهم جديرون بها، وأنها لا تزول عنهم؛ فاعتروا بذلك، وانصرفوا عن الإيعان، وأعرضوا عن تدبر الحجج والآيات (أفلا يرون أننا تأتي الأرض ننقصها من أطرافها) بتملك المسلمين لها (أفهم الغالبون) أم أنت؛ وقد أظهرك الله تعالى عليهم، وأعزك وأذلهم! (قل إنما أنذركم بالوحي) الذي هو

من قبل الله تعالى؛ لا من قبل نفسي (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون) شبههم في عدم استماعهم للنصح: بالصم الذين لا يسمعون أصلاً، ولا يستجيبون للندب «سواء عليهم أن أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» (ولئن مستهم نفحة من عذاب) النفحة: القدر الضئيل؛ كنفحة العطر، أو كما ينفع إنسان إنساناً بقدر من ماله (ونضع الموازين القسط) أي الموازين العدل. وقد ذهب الأكثرون إلى أن لكل عبد ميزاناً توزن به أعماله، أو هو ميزان واحد لسائر الخلائق. والذي يبدو أنه ليس ثمة ميزان؛ وإنما أريد بالميزان: العدل. يؤيده لفظ الآية، وقوله تعالى «والوزن يومئذ الحق» (ولأن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفي بنا حاسبين) أي إن كان العمل وزن حبة من خردل أتينا بها وحاسبنا عليها. وحبة الخردل: مثل يضرب للقلة: لصغر هذه الحبة وخفة وزنها (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) التوراة؛ لأنها تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام؛ وسمى القرآن فرقاناً لذلك. وقد يكون «الفرقان» بمعنى النصر على الأعداء؛ بدليل قوله تعالى «وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان» يعني يوم بدر؛ فيكون المعنى: ولقد آتينا موسى وهرون النصر على الأعداء،

عَلَيْهِمْ الْعَمْرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٣٩٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرْتُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يَنْذِرُونَ ﴿٣٩٤﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَسِّئُنَا رَبَّنَا كَمَا ظَلَمْنَا ﴿٣٩٥﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٣٩٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٩٧﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٣٩٨﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَقْرَأْتُمْ لَهُمْ مِكْرُونَ ﴿٣٩٩﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٤٠٠﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٤٠١﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٤٠٢﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ

وتكون التوراة هي العنية بقوله تعالى (وضياء وذكراً للمتقين) وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قرأ «ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ضياء» بغير واو؛ وهي قراءة مخالفة للمصحف الإمام (الذين يخشون ربهم بالغيب) فيما بينهم وبين أنفسهم؛ لأنهم يعلمون تمام العلم بأنه تعالى مطلع على خوافيهم؛ كاطلاعه على طواهرهم (مشفقون) خائفون (وهذا ذكر مبارك) هو القرآن الكريم (ولقد آتينا إبراهيم إرشده) هدايه وتوفيقه (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل) الأصنام (التي أنتم لها عاكفون) على عبادتها مواظبون

(فطرهن) خلقهن (وتالله) قسم (لا أكيدن أصنامكم) أحطمها ؛ قال ذلك في نفسه - بعد مجادلة قومه -
 وقد حطمها فعلاً (فجعلهم جناداً) مكسرين فتاناً
 (إلا كبيراً لهم) أى صنأ كبيراً (قالوا فأتوا به
 على أعين الناس) أى على مرأى منهم (قال
 بل فعله كبيرهم هذا) وأشار إلى الصنم الكبير
 الذى تركه من غير تحطيم . وقيل : إنه كفى
 بأصبعه (فأسألونم إن كانوا ينطقون) أراد
 عليه الصلاة والسلام أن يريهم مبلغ حقهم
 وجهلهم ، وأنهم يصدون ما لا ينطقون :
 يصدون من هو أقل من عابديه درجات ؛ فتبارك
 القائل «إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً»
 (فرجعوا إلى أنفسهم) أى فكروا تفكير
 الراجع عن رأيه ، المتبصر في حجة خصمه ،
 المؤيد لها (فقالوا) لأنفسهم (إنكم أنتم
 الظالمون) بعبادتكم الأصنام ؛ لإبراهيم الذى
 حطمها (ثم نكسوا على رؤسهم) أى انقلبوا
 وعادوا إلى كفرهم ؛ بعد ومضة الإيمان التى
 أظهرها الله تعالى لهم ، وسلكها في قلوبهم :
 فبعد أن رجعوا إلى أنفسهم «فقالوا إنكم أنتم
 الظالمون» تغلبت أنفسهم الشريرة عليهم ،
 وسيطر عليهم إبليس بتزيينه ؛ وقالوا لإبراهيم
 (لقد علمت ما هؤلاء) الأصنام (ينطقون)
 ونسوا أنهم بوصفهم هذا لأهتهم : نزلوا بها
 إلى مرتبة أدنى من مراتبهم ؛ بل أدنى من
 مرتبة العجاوات ؛ وذلك لأن البهائم تنطق ؛
 وهؤلاء لا ينطقون . والبهائم تنفع وتضر ؛
 وهؤلاء لا ينفعون ولا يضررون (قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضرركم) بل لا يستطيع نفع
 نفسه ، ولا دفع الضر عنها ؛ فقد استطاع إبراهيم بيده أن يوصل الضر لسائرهم . وجعلهم جناداً !

فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ
 اللَّعِينِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤١﴾
 وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٤٢﴾
 فَجَعَلَهُمْ جُنَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٤٣﴾
 قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾
 قَالُوا مَعَنَا فَمَا يَدْكُرُكُمْ يُقَالُ لَهُ يَكْرَهُمُ ﴿٤٥﴾ قَالُوا فَأَتُوا
 بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَأَنْتَ
 فَعَلْتَ هَٰذَا بِإِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ ﴿٤٧﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
 كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَصَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٤٨﴾
 فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ ثُمَّ
 نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَاهُنَّوَلَاءَ يَنْطِقُونَ ﴿٥٠﴾
 قَالَ أَفْتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا

يَضُرُّكُمْ ﴿٥١﴾

وهؤلاء لا ينفعون ولا يضررون (قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضرركم) بل لا يستطيع نفع
 نفسه ، ولا دفع الضر عنها ؛ فقد استطاع إبراهيم بيده أن يوصل الضر لسائرهم . وجعلهم جناداً !

يَضْرُوكُمْ ۖ أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا الْمَتَكِرَ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧٦﴾ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٧﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٨﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمُ الْإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكَلَّمْنَا صَالِحِينَ ﴿٨٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٨١﴾ وَلُوطًا إِتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۗ إِنَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ۗ فَجَعَلْنَاهُ وَآهْلَهُ مِنَ السُّبْحِ الْعَظِيمِ ﴿٨٤﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ

(أف لكم) أى قبأ لكم ؛ وهى كلمة تضجر وتكره (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم) بعد أن أقام عليهم الدليل القاطع ، والبرهان الساطع ؛ على فساد عبادتهم ، وسخف معتقداتهم ؛ يقولون هذا القول ! ولا بدع

فالنار مثوى لهم ! وقد أوقدوا ناراً عظيمة ؛ بلغ من عنفها وشدهتها : أن أحرقت الطير فى جو السماء ؛ ووضعوا لإبراهيم فى منجنيق ، وقذفوا به وسط هذه النار ؛ التى تذيب صلد الأحجار ؛ وهنا تتجلى قدرة الجبار ، ويثبت أنه وحده النافع الضار ! هنا يقيم القهار الدليل على وجوده لأعدائه ، وعلى حفظه وكلامه لأولياته : فيقلب طبائع الأشياء ، ويخص ما شاء بما شاء ؛ كيف لا وهو ذو العرش المجيد ، الفعال لما يريد ! (قلنا يانار) يامن طبعتك على الإحراق (كوني برداً وسلاماً على) عبدى ورسول (إبراهيم) وأبدى القوى التين : سره المكنون ؛ وأن أمره بين الكاف والنون : فصارت النار المحرقة ، كالرياض الموقفة ! (وأرادوا به كيداً) لإنهاء باحراقه بالنار (فجعلناهم الأخسرين) فى الدنيا والآخرة . قيل : سلب الله تعالى عليهم العوض فأهلكهم ، وشرب دماءهم ، ودخلت واحدة منه فى منخر رئيسهم التمرد : فسار يضرب رأسه بالمخاط ، ويأمر رعيته بضرب رأسه ؛ حتى ينزف دماً ؛ فلا يستريح ، ولا يقر له قرار ؛ حتى هلك بعد أن أذاقه الله تعالى الهوان والعذاب الأليم ! (إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) وهى الشام ؛ وقد باركها الله تعالى بنزول أكثر الأنبياء بها ، وبكثرة الأنهار ،

والأشجار ، والثمار (وهبنا له) أى لإبراهيم (إسحق ويعقوب نافلة) أى زيادة على ما سأل : لأنه سأل ولدأ ، فأعطى اثنين (ونجينا من القرية التى كانت تعمل الخبيثات) هو آليات الذكران (ونوحاً إذ نادى من قبل) دعا بقوله «رب لا تترك على الأرض من الكافرين دياراً» وقوله «أن مغلوب فانصرو» (فاستجبتنا له) دعاه ، وانصرتنا له باستئصال الكافرين من قومه (فنجينا وآهله) الذين آمنوا معه

(وداود وسليمان إذ يحكمان في) مسألة (الحرث) الزرع (إذ نفشت فيه غم القوم) أي رعت ؛ فجاء صاحب الحرث يحثكم إلى داود : فحك لصاحب الحرث بالغم ، ولصاحب الغم بالحرث . وذلك لأنه رأى أن قيمة الحرث - قبل رعي الغم - تساوى سائر الغم ؛ والقاعدة أن الجاني يعوض المضرور بقدر ضرره . فلما سمع سليمان حكم أبيه داود ؛ راجعه قائلاً : الرأي أن يخدم صاحب الغم الحرث حتى ينمو الزرع كما كان ، ويأخذ صاحب الحرث الغم ؛ فيستفيد من أصوافها وألبانها حتى يتسلم حرثه مزروعاً كما كان ؛ فيرد لصاحب الغم غنمه ، فوافقته داود على هذا الحكم ؛ ودعا له

٣٩٦

الجزء السابع عشر

(فقهناها سليمان) أي فهناها حقيقة القضية ، وحسن المحكمة . وذلك لأن حكم سليمان طابت به نفس الحصين ، وعاد ل كليهما ماله كاملاً غير منقوص . ومن هنا نعلم أنه لم يوفق موفق إلا بهدى من الله تعالى ، ولا يحكم حاكم بعدل إلا بإرشاد منه تعالى ووحى . فكم رأينا ذكياً أخطأ ، وغيباً أصاب ! (وكلنا) من داود وسليمان (أتينا حكماً) نبوة (وعلمنا) تبصرة بأمور الدين والدنيا . وقد أراد الله تعالى أن يرينا قدر داود عليه السلام ، وأن حكمه - ولو أنه خالف الأولى - لم يقض من شأنه ، أو ينقص من قدره . فقد حكم في حدود العدل الذي ارتآه ؛ فلما وجد حكماً أقرب إلى العدل ، وأدنى من المصلحة : أقره وأمضاه ؛ لذلك كان أهلاً لما اختصه الله تعالى به ، واختاره له ؛ فقد سبجت الجبال معه والطيور ؛ بتوفيق من الله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطيور) يسبحن معه أيضاً ؛ لإكرامه له ، وعزازاً ! قال تعالى : «وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» (وعلمناه صنعة لبوس لكم) كان يصنع الدروع ، وقد ألان الله تعالى له الحديد (لتحصنكم من بأسكم) أي لتمتكم في الحرب من عدوكم (وسليمان الريح

الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا إِنَّمَا كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا
فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩٦﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ
فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكَانَ لِحُكْمِهِمْ
شَاهِدِينَ ﴿٣٩٧﴾ فَهَمَمْنَاهَا بِسُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا آتِينَ
حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ
وَكَانَ فَعَلِينَ ﴿٣٩٨﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكَ لِتَحْصِنَكُم
مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٣٩٩﴾ وَاسْلَيْمَانَ الَّتِي
عَاصَفَهُ تَجْرَى بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَكَانَ يَكْفِي عِزًّا ﴿٤٠٠﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ
يُفْوَسُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ
حَافِظِينَ ﴿٤٠١﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي
الضَّرَّ وَأنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٤٠٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا
مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِنْهُمُ رَجُلٌ مِنْ

عِنْدَنَا

عاصفة) أي شديدة الهبوب ؛ قال تعالى «تجري بأمره رضاء حيث أصاب» أي تسير الريح معه كما يشاء ؛ عاصفة شديدة ، أو هادئة لينة (تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها) هي الشام ؛ وكانت إقامة بها (ومن الشياطين) أي سخرنا له من الشياطين ؛ وهي طائفة من الجن . والشيطان : كل عات متبرد ؛ من جن أو لاس ، أو دابة ؛ وأطلق على إبليس ؛ لأنه رأس العتاة والتمردين ! (من يفوس له) في البحر ؛ فيستخرجون له من لآئها ، وجواهرها ، وغرائبها (ويعملون عملاً) أعمالاً (دون ذلك) أي غير ذلك ؛ من بناء القصور والحصون ، والتمائيل والمحارب ، وغير ذلك (وكنا لهم) أي للجن (حافظين) لأعمالهم ؛ من أن يفسدوها بعد إتمامها كشأنهم ؛ والمراد أنه تعالى سلطانه قائم عليهم ، وإرادته نافذة فيهم ! =

=(وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) الضر الذى مسه : هو ذهاب ماله ، وموت أبناؤه ، ومرض أصابه . أما ما يرويه بعض المفسرين من أن الضر : هو مرض أثلج لحمه ، وأذاب جسمه ، وجعل الدود يتناثر منه : فهو من أفايص اليهود ، باطل مردود : لأن الأنبياء عليهم السلام لا يصح أن يصابوا بأمراض تشتم منها النفوس ، وتوجب التفرقة منهم ! وقد يكون الضر هو المرض ؛ ولكن ليس كما حكوا ووصفوا (فكشفتنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم) أى وهبنا له ضعف ما فقدته من الأولاد (وإدريس) وهو من الأنبياء عليهم السلام ؛

وهو اسم أعجمى ، وليس مشتقاً من الدراسة كما توهم بعضهم . قيل : اسمه أخنوخ (وذا الكفل) زعم بعضهم أنه بوذا : رئيس الملة البوذية ؛ وقد تطرف أتباع بوذا من طاعته لى عبادته ؛ وعملوا له أصناماً لا تعد ؛ دانوا بعبادتها ، والخضوع لها ؛ وما أشبههم بأصحاب عيسى : دعاهم لى الله ؛ فزعموا أنه هو الله ! ونفى عنه الولد ؛ فقالوا : أنت المولود والولد ! وقيل : سمي بنى الكفل : لأنه كان متكفلاً بطاعة الله تعالى وعبادته ، أو لأنه تكفل لملك زمانه بالجنة إن أسلم . وقيل : إنه زكريا ؛ لأنه تكفل بمرم عليهما السلام . وهذا الرأى بعيد : لذكر زكريا عليه السلام بعد ذلك .

والله تعالى أعلم بخلقه وأحكامه (كل) ممن ذكرنا من الأنبياء (من الصابرين) على طاعة الله تعالى وعن معاصيه ، وعلى ما يصيبهم فى الحياة الدنيا من أحداث ، وآلام ، ومتاعب (وذا النون) النون : الحوت . أى وصاحب الحوت : وهو يونس بن متى عليه السلام (إذ ذهب مغاضباً) قومه ، منصرفاً عنهم ؛ بغير إذن من مرسله تعالى (فظن أن لن نقدر عليه) أى تأكد أنا لن نضيق عليه ؛ لقربه منا ، واصطفائنا له . ولكننا أمرنا الحوت بالتقاه (فنادى) نادانا (فى الظلمات) جمع

ظلمة : وهى ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت (أن لا إله إلا أنت) يعبد ويقصد (سجنانك) تعاليت وتزهمت (إلى كنت من الظالمين) مادعا داع بدعاء يونس عليه السلام : لإلا فرج الله همه ، ودفع كربيه ، وأنجاه من كل بلية ؛ كيف لا ؟ والله تعالى يقول (فاستجبنا له) أجبنا دعاءه ونداءه (ونجيناه من الغم) الذى كان فيه ؛ ولم يكن غمه قاصراً على التقام الحوت حسب ؛ بل كان جل همه وغمه : مظنة غضب الله تعالى عليه ؛ وقد ألهمه الله تعالى هذه الكلمات ، لينجيه مما نزل به من الكرب والضيق ! (وكذلك ننجى المؤمنين) لنهمهم ما يوصلهم إلينا ، ونوفقهم لى ما يقربهم منا (رب لا تنرنى فرداً) أى لا تتركنى وحيداً بغير ولد يرثنى (وأصلحنا له زوجة) جعلناها صالحة للحمل بعد عقمها ، أو صالحة الخلق بعد سوئتها =

عِدْنَا وَذَكَرْنَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٣٩٧﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ
وَذَا الْكُفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٣٩٨﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي
رَحْمَتِنَا إِنَّمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩٩﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ
مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠٠﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَيَّرْنَاهُ مِنَ النِّعَمِ وَقَدْ لَخِّنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٠١﴾
وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٤٠٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ
وَأَصْلَحْنَاهُ لِرَوْحِهِ إِنَّمِنَ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَدَعَوْنَاهُ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٤٠٣﴾ وَالَّتِي
أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا فَنَفَعْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَابِتَّاءَ آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٤٠٤﴾ إِن هَدَيْنَا مَتَكُمُ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَأَنَارِكُمْ فَاعْبُدُون ﴿٤٠٥﴾ وَتَقَطَّعُوا أَرْهَامَ بَنِيكُمْ

== (ويدعوننا رغبا) رغبة في رحمتنا (ورهبنا) رهبة من عذابنا (والتي أحصت فرجها) حفظته من الزنا : وهي مريم عليها السلام (فتفضنا فيها من روحنا) أمر تعالى جبريل عليه السلام فنفخ في جيب درعها ، غفلت ببسبى عليه الصلاة والسلام (وجملناها وابناها آية) دلالة واضحة على قدرتنا (وتقطعوا أئمه بينهم) أي فرقوا أمر دينهم ، واختلفوا فيما بينهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) لأن الصالحات بغير إيمان : لا اعتبار لها ، ولا اعتداد بها (فلا كفران لسميه) أي فلا جحود لعمله ؛ بل تشبيه عليه (وحرام على قرية أهلكتناها) أي تمتع على أهل قرية أهلكتناهم (أنهم لا يرجعون) أي لا يعادون إلينا يوم القيامة ؛ للحساب والجزاء ؛ لأن عذابهم في الدنيا لا يعفيهم من عذاب الآخرة الموعودا

الجزء السابع عشر

٣٩٨

بين تعالى أن من يعمل من الصالحات وهو مؤمن : فلا كفران لسميه ؛ وأن له المظ الأوفر ، والنعيم الأكبر ؛ وأعقب ذلك بأن الكفار الذين عذبهم في الدنيا ، وأهلكهم بذنوبهم : لا بد من إرجاعهم وإعادتهم في الآخرة لمحاسنتهم على ما أتوه ، ومعاقبتهم على ما جنوه أو أنهم «لا يرجعون» إلى الدنيا كما طلبوا في قولهم «رب ارجعوت» «فارجعنا نعمل صالحا» (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) يفتح السد الذي أقامه ذو القرنين بيننا وبينهم ؛ وذلك قبيل يوم القيامة (ومم من كل حذب مرتفع من الأرض . وقرى جدت» وهو القبر (يسلون) يسرعون (واقرب الوعد الحق) يوم القيامة (فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) مرهقة الأبخان ؛ لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه (إنكم) أيها الكافرون (وما تصبون من دون الله) غيره من الأصنام (حصب) حطب (أتم لها واردون) فيها داخلون . لما نزلت هذه الآية : فرح للمسركون ، وضحوا بالضحك ؛ وقالوا : لقد عبد الصارى عيسى ، وعبد اليهود عزيرا ،

كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٣٩٨﴾ مَن يَعْمَلْ مِن الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿٣٩٩﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٤٠٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْتُمَا بِأُجُوجٍ وَمَآجُوجٍ وَمِمَّن مِّن كُلِّ حِذْبٍ يُنسَلُونَ ﴿٤٠١﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ يُرْمَلُونَ فِي الْعُقَلِ مِمَّنْ هَذَا بَل لَّا عَظِيمِينَ ﴿٤٠٢﴾ إِنَّكَ وَمَا تُعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حِصْبٌ جِهَنَّمَ إِنَّمَا لَهَا زُؤُودٌ ﴿٤٠٣﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ إِلَهًا مَّا رُودُوا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٠٤﴾ لَهُمْ فِيهَا زُفُورٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحَسَنَةُ أُولَٰئِكَ عِنَّا مُبْعَدُونَ ﴿٤٠٦﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَمِتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿٤٠٧﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَلْقَاهُمُ الْمَلَكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٤٠٨﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ

وعبد بعض العرب الملائكة : فببسى وعزير والملائكة في النار . فنزل قوله تعالى «إنا الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون» ولو فطن هؤلاء المعاندون إلى دقة التعبير في قوله تعالى «إنكم وما تعبدون» ولم يقل : ومن تصدون ؛ ومن العلوم لفة أن «ما» لما لا يعقل ، وأن «من» لا تطلق إلا على العقلاء (لو كان هؤلاء) الأصنام (إلهة) كما زعمتم (ما وردوها) ما دخلوا جهنم (لهم فيها زفير) أي نين وبكاء وعويل (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) وهم الذين وعدوا بالغو والمغفرة ؛ لما قدموه من إيمان صادق ، وعمل صالح (لا يسمعون حسيسها) صوتها (لا يحزنهم الفرع الأكبر) الذي يعم سائر العصاة والمسركين ؛ مما يرونه من مظاهر الشدة والبطش والقسوة (وتلقاهم الملائكة) مرححين بهم ، قائلين لهم (هذا يومكم =

السَّمَاءِ كَتَبَ السَّجْدَ لِلْكَتِيبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ
 وَعَدَّا عَلَيْهِمْ إِنَّا كَاتِبُونَ ﴿٣٩٩﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ
 بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿٤٠٠﴾
 إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ غَائِبِينَ ﴿٤٠١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
 رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٤٠٢﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَا إِلَهُكَ إِنَّهُ
 وَحِيدٌ فَهَلْ أُنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٤٠٣﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ
 عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِن أُدْرِيَ أَقْرَبُ أَمْ يُعِيدُ مَا تُوْعَدُونَ ﴿٤٠٤﴾
 إِنَّمَا يَعْلَمُ الْغَيْبُ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿٤٠٥﴾ وَإِن
 أُدْرِيَ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لِّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٠٦﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم
 بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿٤٠٧﴾

= الذى كنتم توعدون) به في الدنيا (يوم نظوى السماء كطى السجل) الكتاب . وقيل : «السجل»
 اسم ملك يطوى كتب الأعمال (ولقد كتبنا في الزبور) الكتاب الذى أنزل على داود عليه السلام (من بعد
 الذكر) التذكير بالله تعالى (أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) المراد بالأرض : الجنة ؛ وذلك كقوله تعالى
 « وقالوا الحمد لله الذى أورثنا الأرض ننبؤاً من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين » (إن في هذا لبلاغاً)
 لتبليغاً كافياً مفهوماً (وما أرسلناك) يا محمد
 (لإراحة للعالمين) أى رحمة للجن والإنس ،
 والوحش والطير ؛ رحمة للمؤمنين ؛ بإنجائهم
 يوم الدين ، ورحمة للكافرين : بإنجائهم في الدنيا
 من نزول العذاب ؛ الذى كان يلحق بمكذبي
 الأمم السابقة (فإن تولوا) أعرضوا (فقل
 آذنتكم) أى أعلمتكم (على سواء) أى مستون
 كلمكم في هذا الإعلام ، أو أعلمتكم أنى على
 سواء . أى على عدل واستقامة . رأى ، أو
 « آذنتكم » بالحرب ؛ لاسلم بيننا : إما الإيمان
 ولما القتل ا (وإن أدري) وما أدري
 (أقرب ما توعدون) به من العذاب ، أو
 « ما توعدون » به من القيامة (لعله فتنة) أى
 لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا اختبار لكم
 (ومتاع) تمتع (إلى حين) انقضاء آجالكم
 (وربنا الرحمن المستعان) المطلوب منه المعونة
 والنصر (على ما تصفون) به أنفسكم ؛ من
 القوة والشجاعة ، والانتصار على المؤمنين ؛
 أو « المستعان » الذى نستعين به « على ما تصفون »
 به الله تعالى ؛ من الولد والشريك ؛ فنقض على
 هذه الفرية ؛ بالقضاء على مروجها ومعتديها ا

(سورة الحج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) خافوه ، واحذروا غضبه وبأسه ، واخشوا يوماً ترجعون فيه إليه (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) الزلزلة : الإزجاج ، والإفزع . أى اتقوا ربكم لأن زلزلة الساعة شيء مهول ! (تدهل كل مرضعة عما أرضعت) أى تقفل عنه ؛

الجزء السابع عشر ٤٠٠

مع أن الطبيعة البشرية : تقتضى تمام الحرص من جانب الأم على وليدها ، وتقتضى كامل الشفقة به ، والمحب على غيره ؛ فيذهب جميع ذلك لشدة ما تلقاه في هذا اليوم من الهول ، وما تجده من الرعب ! (وتضع كل ذات حمل حملها) أى تطرح كل حبلها ما في بطنها ؛ لشدة ما ترى من الفزع (وترى الناس سكارى) أى كالسكارى ؛ في عدم الوعي ، وفي الخلل ، وفي التعمر ، وفي الدهول (ومأم بسكارى) حقيقة ؛ ولكنه هول القيامة ! (ويتبع كل شيطان مرئياً) عات متمرد ؛ مستمر في الشر ؛ مسترئ له (كتب عليه) أى قضى على هذا الشيطان (أنه من تولاه) أى اتبعه ، واتخذ إماماً له ومعيناً (فإنه) أى الشيطان (يضله) عن طريق الحق ، ويرديه في الباطل (ويهديه) يوجهه (إلى عذاب السعير) إلى ما يوصله إلى جهنم وبئس المصير ! وهذا كقوله تعالى «فاهدوم إلى صراط الجحيم» (يا أيها الناس إن كنتم في ريب) شك (من البعث) يوم القيامة (فإننا خلقناكم) أى خلقنا أصلكم آدم (من تراب) أى إن كنتم شاكين في البعث ، وكيف أننا نعيدكم بعد فنائكم ؛ فانظروا في بدء خلقكم : إذ خلقناكم من تراب ، ولم تكونوا شيئاً ؛

(٢٢) سُورَةُ الْحَجِّ مَلَائِكَةً
إِلَّا الْآيَاتِ ٥٢ وَ ٥٣ وَ ٥٤ وَ ٥٥ فَتَزِيلُكَ وَالْمَدِينَةَ
وَأَيُّهَا ٧٨ نَزَلَتْ بِعَهْدِ النَّبِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدهَلُّ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَأْمُومٌ سُكَرَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ ﴿٣﴾ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَآتَهُ يُضَلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُنَبِّئَ لَكُمْ وَنَقُرِّ فِي الْآرْحَامِ

مَانِشَاءُ

فكيف لا نستطيع إعادةكم كما أنتم الآن ؟ ! (ثم من نطفة) منى (ثم من علقه) ذهب المفسرون إلى أن المراد بها : قطعة دم جامدة ! والذي أراه أن المراد بالعلقة : واحد الحيوانات المنوية ، التي يتخلق منها الجنين بأمر الله تعالى ؛ وتجمع على «علق» قال تعالى «خلق الإنسان من علق» (ثم من مضغة) قطعة لحم صغيرة ؛ قدر ما يضعف في الفم (مخلقة وغير مخلقة) أى تامة الخلقة ، وغير تامتها (ونقر في الأرحام مانشاء) أى نثب في الأرحام ما نشاء ثبوته ؛ وما لم نشاء إبقائه : أسقطته الأرحام . فليس كل من حملت أنتجت

مَا نَسَاءَ لَكَ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَخْرَجُكَ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا
 أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ لَكَ أُرْدُلَ
 الْعَمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ
 هَامِدَةً فِإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ
 مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٤٠١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ
 مُبْحَى الْمَوْتَى وَأَنْتُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠٢﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ
 آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٤٠٣﴾
 وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
 وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٤٠٤﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَيُنذِقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ
 الْحَرِيقِ ﴿٤٠٥﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ
 بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ
 فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أَلْقَبَ

(لى أجل مسمى) هو وقت استيفاء الجنين مدته في الرحم (ثم لتبلغوا أشدكم) كمال قوتكم ؛ وهو ما بين
 الثلاثين لى الأربعين (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) (ومنكم من يرد لى أردل العمر) أردته ؛ وهو الكبر

المؤدى لى الهرم والحرف (لكيلا يعلم من
 بعد علم شيئاً) أى لينسى ما عرفه ، ويجهل
 ما علمه ؛ لذهاب عقله ، ومزيد كبره «ومن
 نعمه ننكسه فى الحلق» قال عكرمة : من
 قرأ القرآن : لم يصر لى هذه الحالة فعنا الله
 تعالى بكتابه ، وكتبنا من أحبابه ، وشفعه فىنا ،
 وجعله حجة لنا لا علينا ! (وترى الأرض
 هامدة) ساكنة يابسة (فإذا أنزلنا عليها الماء)
 بالطر ، أو بالسقيا من ماء المطر نفسه - المنساب
 فى الأنهار والآبار - وذلك بعد وضع البذر
 (اهتزت) تحركت لطلوع النبات (وربت)
 انتفخت وارتفعت (وأبنت من كل زوج بهيج)
 من كل صنف حسن ، سار للناظرين !
 (ذلك) المذكور: من قدرة الله تعالى على إنشاء
 الإنسان أصلا من تراب ، ثم من نطفة ؛ ثم
 تطور النطفة لى علقه ، ثم مضغة ؛ ثم إخراجها
 طفلا ، ثم لإنهاء أجله على الصورة التى يريدھا
 الله تعالى له - صغيراً ، أو كبيراً ، أو بالفا
 أردل العمر - ثم قدرته جل شأنه ، وعلا
 سلطانه ؛ على إزال الماء من السماء على
 الأرض اليابسة ، واهتزازھا ، وانشقاقھا عن
 أصناف النبات : البهيج المنظر والمخبر ؛ كل
 «ذلك» يدل دلالة قاطعة على أنه تعالى (هو
 الحق وأنه) كما أنشأ الخلق ابتداء ، وأماتهم
 (ببھی الموتى) وبعثھا يوم القيامة للحساب

والجزاء ؛ فعن الله الخالق ما يريد ، الفاعل ما يشاء ! (ثانى عطفه) أى لاوياً عنقه : كبراً وخيلاء ،
 أو معرضاً عن ذكر الله تعالى (وأن الله) فى إحيائه وإماتته ، ومحاسناته ومعاقبته (ليس بظلام للعبيد)
 ولكن العبيد «كانوا أنفسهم يظلمون» (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف ؛ أى يعبد
 الله شاكاً فى وجوده ، أو شاكاً فى إحيائه ، أو شاكاً فى جزائه (فإن أصابه خير) غنى وصحة (اطمأن به)
 وسكن ليه (وإن أصابته فتنة) شر وبلاء وفقر

(انقلب على وجهه) رجع إلى كفره : يأتسأ من رحمة الله تعالى ؛ وبذلك يكون قد (خسر الدنيا) بفوات ما أمله فيها ، وأراده منها (و) خسر (الآخرة) لأن الله تعالى لم يعدها إلا للمتقين ؛ و (ذلك) الحسran (هو الحسran المبين) الواضح ؛ الذى لا خسran بعده (يدعو) أى يعبد (من دوت الله) غيره (ذلك هو الضلال البعيد) الكبير (يدعو لمن ضره) أى يدعو من ضره ؛ واللام زائدة (أقرب من نفعه) أى يعبد من دون الله من يحتمل وصول الضرر منه ، ولا يستطيع إيصال النفع . أو يطلب رفع ما نزل به ؛ ممن لا قدرة له على دفعه عن نفسه (لبئس المولى) أى بئس الرب ، وبئس السيد ؛ ذلك الذى لا يضر ولا ينفع ! (وبئس العشير) أى بئس القريب والصاحب ؛ و «العشير» من المعاشرة (من كان يظن أن لن ينصره الله) أى من كان يظن أن الله لن ينصر رسوله عليه الصلاة والسلام . أو المراد : من كان قد بئس من روح الله ، وقتط من رحمة ، وظن أنه تعالى لن ينصره : فليختنق ! وجاء على لسان العرب «ينصره» بمعنى يرزقه (فليمدد بسبب) يجبل (إلى السماء) أى إلى السقف ؛ لأت كل ما علاك ؛ فهو سماء (ليقطع) أى ثم ليختنق ! (فليظن هل ينهين كيده ما يفيظ) أى «هل ينهين كيده» لنفسه بالاختناق ؛ الأصر التى يفيظه : وهو ظنه بأن الله تعالى لن يرزقه ، أو بأن الله تعالى لن ينصر رسوله ؛ وقد نصره فى الدنيا : بنصره ، ورفعة شأنه ، وإعلاء دينه ؛ وفى الآخرة ؛ بالقيام المشهود ، والمحوسس المورود ، والشفاقة العظمى ! (وكذلك أنزلناه) أى القرآن (آيات

عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٤٠﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿٤١﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِّن نَّفْعِهِ لَيْسَ التَّوَكُّلُ وَلَيْسَ الْعَيْدُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٤٣﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبِّ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِنُ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿٤٤﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَن يُرِيدُ ﴿٤٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالصَّنَئِثَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ

وَالشَّمْسُ

(بينات) واضحات (وأن الله يهدى من يريد) هدايته ، أو من يريد أن يهتدى (والذين هادوا) اليهود (والصابغين) قوم زعموا أنهم على دين نوح عليه السلام ، أو هم كل من صبأ : أى خرج من دين إلى دين آخر (والمجوس) عبدة النار (ألم تر أن الله يسجد له) كل (من فى السموات) من أملاك (ومن فى الأرض) من لانس وجن

(والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) كل هؤلاء يسجد لله تعالى . أى طيعه ، ونخضع لأوامره . أو هو سجد على الحقيقة : يمثل في ظل هذه الأشياء « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » (وكثير من الناس) أى ويسجد له كثير من الناس ؛ وهم المؤمنون (وكثير من الناس) (حق عليه العذاب) أى وجب عليه ؛ لكفره ، وفسوقه عن أمر ربه (ومن يهن الله) يشقه بالكفر (فأله من مكرم) أى ليس له من مسعد يرتفع به إلى مصاف المؤمنين ، ويدفع عنه ما كتبه عليه أحكم الحاكمين !

سورة الحج ٤٠٣

ولما يهن الله تعالى من استوجب الشقاء والمهانة ، وارضى لنفسه حسنة الكفر ، وذلة الجهل ؛ وأبى رفعة الإيمان ، وعزة العلم !

هذا ولا يعقل أصلاً أن المولى الكريم يهين من لا ذنب له ، ولا إثم عليه ؛ بعد أن رفعه وكرمه «ولقد كرمتنا بنى آدم» وقد اعتاد أكثر المفسرين - ساعهم الله تعالى - على أن ينهبوا في مثل هذه المعاني مذاهب شتى ؛ بأباها العدل السماوى ، وتنبؤ عنها الحكمة الإلهية ؛ ويسترون وراء معات غفمة ضخمة ؛ هى فى الواقع عين الحقيقة ، ولب الشريعة . ولا فمن ذا الذى ينكر أنه تعالى يفعل ما يريد ؟ (إن الله يفعل ما يشاء) أو أن الأمر أمره ، والخلق خلقه ؟ وأن الجميع ملك له وعبيد ؟ إن من ينكر هذا أو بعضه ؛ فإنه واقع فى الكفر لاعماله ؛ لأنه قد أنكر ما لا يصح الإيمان إلا به . إنما الذى فنكره ، ونحارب من أجله ، ونلقى الله تعالى عليه : أنه تعالى «ليس بظلام للمعبد» وأنه جل شأنه لا يظلم الناس ، ولكن الناس «كانوا أنفسهم يظلمون» فإذا أهان الله تعالى عبداً ؛ فإنما يعاقبه بهذه الإهانة على ظلم نفسه ؛ بالرضا بالكفر ، والركوب إليه ! قال تعالى «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» .

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ
وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يَرَى
اللَّهَ قَالَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠٣﴾
* هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّن نَّارٍ يَصُبُّ مِنْ فَوْقٍ رُّؤُوسِهِمْ
الْحَمِيمِ ﴿٤٠٤﴾ يَصْهَرُ بِهِ مَن مَّا فِي بَطُونِهِمْ وَأَجْلُودٌ
وَهُمْ مَقْتُلِعٌ مِّن حديد ﴿٤٠٥﴾ كَلَّا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا
مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٤٠٦﴾
إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَدٍ مِّنْ ذَهَبٍ
وَلؤلؤًا وَيَسْهَرُ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٤٠٧﴾ وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ
الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٤٠٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ

لنا أتبع الله تعالى ذلك بنذكر خصومة المؤمنين والكافرين ، وما يؤول إليه حال كل منهم . قال تعالى (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) المؤمنون خصم ، والكافرون خصم (فالذين كفروا) بمحض اختيارهم ؛ وليس بدافع حتى من الله تعالى ؛ تنهار أمامه قوتهم ، وتمشى حياله إرادتهم ! وهل يستطيع مخلوق أن يدفع لإرادة الخالق تعالى ؟ أو أن يخرج عما أكرهه عليه ، واضطره إليه ؟ ! (قطعت) أى سويت وأعدت (لهم نياب من نار) وهو تشبيه لإحاطة النار بهم من كل جانب ؛ لإحاطة الثوب بلاسه (يصب من فوق رؤوسهم الحميم) وهو الماء البالغ نهاية الحرارة . عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لو سقطت نقطة واحدة منه على جبال الدنيا لأذابتها ! (يصره) أى يذاب بالحميم (ما فى بطونهم) من أحشاء ، وأمعاء وقلوب ، وكلى ، وأكباد ؛ وخص ما فى بطونهم : =

= ل يظهر مبلغ ما يحيق بهم من آلام لا توصف : فإن الإنسان لا يجتمل أذى ألم - مها قل - يلم بما في بطنه ؛ فبا لك - عافاني الله تعالى وإياك - بالجحيم في الرؤس ؛ يصب فوق الرؤس ؛ فيصهر ما في البطن ا (ولهم مقامع من حديد) تضرب بها رؤسهم ا والمقامع : جمع مقمعة ؛ وهي عمود من حديد ؛ يضرب به رأس الفيل ليستكين ويحد من هيجانه . وهي مشتقة من القمع (كلا أرادوا أن يخرجوا منها) أى من النار (من غم) حزن شديد ، وهم بالغ نالهم (أعيدوا فيها) بالضرب بالمقامع (و) يقال لهم (ذوقوا عذاب الحريق) بماقتسم (إن الله يدخل) بفضله (الذين آمنوا)

المسرة السابع عشر

٤٥٤

به وبكتبه ورسله (وعملوا الصالحات جنات) بساتين : لا آخر لظهما ، ولا حد ليهجتها (وهدوا لى الطيب من القول) أى هدوا فى الدنيا لى القول الطيب ؛ الذى وصلهم لى هذه الدرجة من النعيم : وهو لا إله إلا الله ا (وهدوا لى صراط الحميد) أى لى طريق الله ، الموصل إليه ؛ وهو الإيمان ا (إن الذين كفروا ويصدون) يمتعون (عن سبيل الله) دينه (سواء العاكف فيه) المقيم (والباد) غير المقيم (ومن يرد فيه بالمعاد بظلم) أى ومن بهم فيه بمعصية (نذقه من عذاب أليم) جاء فى اللغة : ألحد فى الحرم : إذا احتكر الطعام . وقيل ؛ الإلحاد : الخلف الكاذب ، أو هو منع الناس عن عمارة المسجد الحرام . وقرئ «ومن يرد» بفتح الياء : من الورود

هذا ولم يؤخذ الله تعالى أحداً من خلقه على الهم بالمعصية ما لم يرتكبها ، ولا بالشروع فيها ما لم يأتها ؛ إلا فى المسجد الحرام : فإن من يهم فيه بالذنب : كمن يقترفه ! وذلك لأن الإنسان يجب عليه أن يكون فى الحرم ظاهر الجسم ، نقى القلب ، صافى السريرة ، خالصة بكيته لله ، طامعاً فى مغفرته ، مشفقاً من غضبه ! وإن من يبتك حرمه الملك بمعصيته فى سماه ، وداخل بيته : أجرأ على

لِلنَّاسِ سَوَاءٌ سِوَاةُ الْعَكَفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يرد فِيهِ بِالْحَدِيدِ
يُظْلِمُ نَذَقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥٤﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ
مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَأَشْرِكَ فِي شَيْءٍ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٥٥﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ
يَأْتُونَكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٥٦﴾
لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَاتٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا
أَمْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ
إِلَّا مَا بَشَّرَ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ
وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٢٥٧﴾ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَفَهُ الطَّيْرُ

أَوْتَوِي

المعصية ممن يرتكبها بعيداً عنه ! وحققاً إن من تهجس نفسه بالسوء ؛ وهو فى داخل الحرم الآمن : لجدير بالجحيم ، والعذاب الأليم ا (وإذ بوأنا) هيأنا (وطهر بيتي) من الأصنام والأوثان والرجس (وأذنبت) ناد (فى الناس بالحج يأتوك رجالاً) أى مشاة على أرجلهم (وعلى كل ضامر) أى ركبانا . والضاير : البعير ، أو الفرس المهزول (يأتين من كل فج عميق) من كل طريق بعيد (ليشهدوا) يحضروا (منافع لهم) بالتجارة ، والتعرف بالناس من شتى الأقطار . وفى هذا من المنافع الاجتماعية ما فيه ؛ وقد أهتم الشارح الحكيم باجتماع الناس وتألفهم ، وتبادلهم الأخوة الدينية ، والمحبة الخالصة ا فتمرع صلاة الجماعة : ليختلط أهل الحى الواحد ، وشرع الجمعة : ليجتمع أهل البلدة ، وشرع الحج : ليجتمع أهل الأقطار والأمصار ؛

ليتنافروا، ويتحابوا، ويتبادلوا الآراء العامة؛ التي تعود بالنفع على الأمة الإسلامية في سائر أقطار العمورة! (وأطعموا البائس) الذي أصابه بؤس وشدة (ثم ليقتضوا تفهمهم) التفث في المناسك: قص الأظافر والشارب، وحلق الرأس والعانة، وري الحجاز، ونحر البدن، وأشباه ذلك. والتفث في اللغة: الوسخ. أي وليزبلوا وسخهم (وليوفوا نذورهم) من الهدايا والضحايا (وليطوفوا) يطوفوا طواف الإفاضة؛ الذي هو من واجبات الحج (بالبيت العتيق) القديم؛ وهو البيت الحرام. وسمى بالعتيق؛ لأنه أول بيت وضع للناس. قال تعالى «إن أول بيت وضع للناس

للذي بيك مبارك» (ومن يعظم حرمات الله) للذي يجتنب مالا يحل انتهاكه (إلا ما يقبل عليكم) تحريمه في قوله تعالى «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمخنقة والموقودة والمزبدية والطيحة وما أكل السبع - إلا ما ذكيتم - وما ذبح على النصب» (فاجتنبوا الرجس) القنسر. وهو كل ما يستوجب العقاب والعذاب (من الأوثان) الأصنام (واجتنبوا قول الزور) شهادة الزور. وقول الزور: من أكبر الكبائر، وهو من الموبقات المهلكات! وما فشا الزور في قوم: إلا وحل بهم الحراب والدمار! (حنفاء لله) مسلمين (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير) أي فكأنما سقط من السماء فتخطفه الطير، ومزقته كل مزق (أو تهوى به الريح) تسقطه وتلقبه (في مكان سحيق) بعيد. أي لأنه لا ترجى له نجاة في الحالتين (ذلك ومن يعظم شعائر الله) الشعائر: جمع شعيرة؛ وهي أعمال الحج، وكل شيء فعل تقربا إلى الله تعالى! وتَعْظِيمُها: اختيار البدن حسنة سميحة (فإنها) أي تعظيم الشعائر، والقيام بها على أكمل وجه، وأجل صفة (من تقوى القلوب) وهي أرقى مراتب التقوى! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «التقوى

هنا» وأشار إلى صدره الشريف (ثم محابها) أي مكان وجوب نحرها. والضمير للأتنام (ولكل أمة جعلنا منسكا) أي موضع قربان؛ وهو مكان الذبح (النجيبين) المطهين بذكر الله تعالى، المطيعين له، المتواضعين (الدين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت (والصابرين على ما أصابهم) من البأساء والضراء (والبدن) جمع بدنة؛ وهي من الإبل والبقرة: كالأضحية من الغنم (صواف) أي قائمات قد صفت أيديهن وأرجلهن (فإذا وجبت جنوبها) أي سقطت على الأرض بعد نحرها (فكلوا منها وأطعموا القانع) وهو الراضى بما عنده، وبما يعطى؛ من غير مسألة. أو هو السائل (والمعتر) وهو الذي يريك نفسه ولا يسأل (لن ينال الله) أي لن يصل إليه (لحومها ولا دماؤها) فقد استمتعتم بها أكلًا وبذلاً (ولكن يناله) يصل إليه =

أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣٥﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ
شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٦﴾ لَكُمْ فِيهَا
مَنْفَعٌ لَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلَاهُ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٧﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ
مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَلَا يُهَكَّرَ إِلَهٌُ وَّحِدٌ فَلَهُ أَسْلَبُوا
وَيُبَيِّرُ الْمَحِيطِينَ ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ
وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٩﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرَ
اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً
فَإِذَا وَجِبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ
وَالْمَعْتَرَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٠﴾ لَنْ
يَنَالَ اللَّهُ لَحْمُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ
كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَيُبَيِّرُ

= (التقوى منكم) أى إنه تعالى لن يصل إليه ، ولن يقبل من ذلك إلا ما أريد به وجهه جل شأنه ؛
 فذلك وحده هو القبول الجزى عليه ، أما ما أريد به التظاهر والتفاخر والرياء والاستعلاء : فهو مردود على
 فاعله موزور عليه غير مأجور ، (إن الله لا يحب كل خوان كفور) شديد الحياة والكفر (أذن للذين
 يقاتلون) أى أذن للمؤمنين الذين يقاتلون :

الجزء السابع عشر

أَنْ يقاتلوا من يقاتلوا ؛ وذلك (بأنهم ظلموا)
 وقاتلوا ابتداء واعتداء ؛ وهم (الذين أخرجوا
 من ديارهم) مكة ؛ ظلماً وعدواناً (بغير حق
 إلا أن يقولوا) أى أخرجوا بغير ماسب ؛
 سوى قولهم (ربنا الله) وحده ، لا إله غيره ،
 ولا نعبد سواه .

بعد أن بين تعالى مساوى القتال الظالم
 الغير المتكافئ ، والقائم على الإثم والظلال :
 عرفنا أن الحروب والقتال : ليست شرأ كلها ؛
 بل منها ما يقوم بسبب مشروع : يؤجر المرء
 ويثاب عليه . قال تعالى (ولولا دفع الله الناس
 بعضهم ببعض) أى لولا ما شرعه تعالى لأنبيائه
 والمؤمنين من عباده ؛ من قتال أعدائه : أعداء
 الدين ؛ لشاعت الفوضى ، وعمت الإباحية ؛
 (ولهدمت صوامع) جمع صومعة ؛ وهى مكان
 العبادة . وهى للنصارى كالخلوة عند متعبدى
 المسلمين (و) الهدمت (بيع) وهى كنائس
 النصارى (وصلوات) كنائس اليهود
 (ومساجد) المسلمين . وكلها معابد : واجب
 العناية بها ، والاحترام لها ؛ وذلك لأنها جميعاً
 (يذكر فيها اسم الله كثيراً) بالعبادة
 (وليصرن الله من ينصره) أى من ينصر
 دينه ، ويدفع عن أوليائه ؛ لأنه تعالى لا يحتاج
 إلى نصره أحد ، والكل مفتقر إلى نصرته .

الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ
 بِأَنَّهُمْ ظُلْمًا وَإِنِ اللَّهُ عَلَىٰ تَصَرُّهِمْ لَلْقَدِيرُ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ
 أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ
 وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَاعِقُ
 وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
 وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَلْقَوِيُّ الْعَزِيمُ ﴿٤٠﴾
 الَّذِينَ إِن مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
 الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ غَفِيْرٌ
 أَلِيمٌ ﴿٤١﴾ وَإِن يَكْفُرُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
 نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
 وَأَخْتَبُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مَوْسَىٰ فَاغْلَبَتْ لِلْكَافِرِينَ
 ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّنْ

قرية

وهذه الآية الكريمة خاصة بالحروب ، وحاجة الكون إليها ، وأنها ضرورة من ضرورات الحياة ، ولازمة
 من لوازم العمران . (انظر آية ٢٥١ من سورة البقرة) (الذين إن مكانهم فى الأرض) أى جعلنا لهم مكانة
 فيها وسلطاناً (وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (وأصحاب مدين) قوم شعيب (فأملت للكافرين)
 أمهاتهم (ثم أخذتهم) بالعذاب والاستئصال (فكيف كان نكير) إنكارى عليهم ما فعلوه ، وتقصيرى ؛
 حيث أبدلتهم مكان الأمن خوفاً ، ومكان الراحة تعباً ، ومكان النعم فقراً (فكأين من قرية

(أهلكناها وهي ظالمة) أي أهلكناها بسبب كفرها (وبئر معطلة) أي وكم من بئر متروكة لا ينتفع بها ؛ بسبب هلاك أهلها وإفناهم (و) كم من (قصر) عظيم (مشيد) رفيع طويل متين (وكلين من قرية) وكم من قرية (أملت لها) أمهاتها (وهي ظالمة) كافرة . والمراد بالقرية فيما تقدم : أهلها (ثم أخذتها) بالعذاب والاستئصال (وللى المصير) المرجح ؛ فأعاقب الكفار أشد العقاب (والذين سعوا في آياتنا) في القرآن : بالظلم فيه ، وفيمن نزل عليه ؛ بقولهم : سحر وساحر ، وشعر وشاعر (معجزين) أي طالبين

معجزنا ، ومناوئين لنا ، أو ينسبون العجز للتي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) تمنى : قرأ . أي إذا قرأ ألقى الشيطان في قراءته : ليشوش أذهات السامعين ، ويبعث في نفوسهم الشكوك والريب . قيل : كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ سورة «والنجم» فلما بلغ قوله تعالى «ومناة الثالثة الأخرى» تكلم الشيطان بقوله : تلك الغرائيق الملا ، وإت شفاعتهم لترجيى . فوقع عند بعضهم أن ذلك من قراءة الرسول عليه الصلاة والسلام . وقد كان الشيطان في ذلك الحين يتكلم ويسمع كلامه بالأذان ، وقد قال يوم أحد «لا غالب لكم اليوم ولنى جار لكم» والذى أراه في معنى هذه الآية : أن يكون التنى على ظاهره . أي «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى» لأتمته الإيمان «ألقى الشيطان في» سبيل «أمنيته» العثرات ، وأقام بينه وبين مقصده العقبات (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) يحوه وينهه من قلوب أوليائه (ثم يحكم الله آياته) بأن يجعلها مقبولة لدى من سبقت لهم الحسى ، وحازوا المقام الأسنى ! أما ما ذهب إليه أكثر المفسرين فباطل مردود ؛ لا يستسيغه عقل مؤمن ، ولا يقبله قلب سليم ! وهو زعمهم بأن الرسول الكريم - الذى

لا ينطق من الهوى - فطلق بلسانه ؛ حين بلغ «ومناة الثالثة الأخرى» قائلا : تلك الغرائيق الملا ، وإت شفاعتهم لترجيى . هذه القالة التى لا ينطق بها مؤمن فضلا عن سيد المؤمنين ؛ الذى هदानا التوحيد رب العالمين ! وقد استدلوا على قولهم الباطل بأحاديث واضحة البطلان ، بادية الحسران ! وقد نبه إلى ذلك بعض فضلاء الأمة : قال ابن اسحق في حديث الغرائيق : هو من وضع الزنادقة . وقال أبو بكر بن العربى : إن جميع ما ورد في هذه القصة لا أصل له . وقال القاضى عياض : إن هذا حديث لم يخرج له أحد من أهل الصحة ، ولا رواه أحد بسند متصل سليم ؛ وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون ؛ المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم !

قَرِيَّةً أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مَّعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴿٤٠٧﴾ أَقَمَّ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
فَأَنبَأَهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي
فِي الصُّدُورِ ﴿٤٠٨﴾ وَيَسْتَعْبِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٠٩﴾
وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِيَّةٍ أَمَلَّتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا
وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤١٠﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ
نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤١١﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤١٢﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ
أُولَئِكَ أَنحَبُ بِالْجَحِيمِ ﴿٤١٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَمَتْهُ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ
فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ

(ليجعل) الله (ما يلقي الشيطان) في صدور بني الإنسان (فتنة) محنة وإبتلاء (للذين في قلوبهم مرض) شك وفاق (والفاسية قلوبهم) أي ويجعله أيضاً فتنة للفاسية قلوبهم؛ التي لا تلتين لذكر الله تعالى (وإن الظالمين) الكافرين (لني شقاق بعيد) خلاف كبير! ألا ترى إلى الأمم الغربية - وقد يكونوا أبناء دين

واحد - وقد ساد بينهم الشقاق، وفشت بينهم الشغناء والبغضاء، وشمر كل ساعدهم للزوال والقتال، وأعدوا لبعضهم ما أعدوا: من ضروب الأسلحة المهلكة المدمرة؛ فصدق عليهم قوله تعالى «وإن الظالمين لني شقاق بعيد» فهم طول العمر، وأبد الدهر؛ في شقاق وأي شقاق! (وليعلم الذين أتوا العلم) بالله تعالى، وبدينه وآياته (أنه) أي القرأت الكريم (فتخبت) فتطمئن (ولا يزال الذين كفروا في صرمة منه) في شك من القرآن (حتى تأتيهم الساعة) القيامة (بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) وسمى عقيماً: لأنه لا يوم بعده.

وقيل: هو يوم بدر؛ وهو عقيم: لأنه لا مثل له في عظمه: لأن الملائكة عليهم الصلاة والسلام فالتت فيه، أو لأن الكفار لم ينظروا فيه إلى الليل؛ بل قتلوا قبل المساء؛ فصار يوماً لا ليلة له؛ فكان عقيماً! وأول الأقوال أولى: لقوله تعالى (الملك يومئذ لله يحكم بينهم) فيما كانوا فيه يختلفون (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا) في الجهاد (أو ماتوا) ميتة طبيعية (ليرزقنهم الله رزقاً حسناً) في الجنة (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أي اقتص لنفسه.

وليس المراد بذلك المجانسة في العقوبة على إطلاقها؛ فمن قتل ولدي: لم يجز لي أن أقتل ولده؛ لأن ولده لم يرتك ما يؤثم عليه، ومن سمم ماشيتي: لم يجز لي أن أسمم ماشيته؛ لأنها مجيء لم تذب. ولا يصح الاقتصاص منها - لو أذنت - قيل: نزلت في جماعة من المشركين مثلوا بقتل المسلمين يوم أحد؛ فعاقبهم المسلمون بالتمثيل بقتلهم. ومعنى الآية: من جازى الظالم بمثل ظلمه (ثم بنى عليه) أي بنى على العقاب، الآخذ بحقه

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣٧﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَنِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٣٨﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴿٤٠﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُ بِإِيمَانِهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ هُمُ عَذَابُ مُهِينٍ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيُرِزَقُنَّهُمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٤٣﴾ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٤٤﴾ * ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ

لِيُنصَرَهُ

لَيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٤٠٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ
يُورِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُورِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٤١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٤١١﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ
مُخْضِرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٤١٢﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٤١٣﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ
إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤١٤﴾ وَهُوَ
الَّذِي أَحْبَبَكُمْ ثُمَّ بَيَّنَّنَاكُمْ ثُمَّ بَيَّنَّنَاكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَكَفُورٌ ﴿٤١٥﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ
فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُوكَ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى

(لينصره الله) على من يني عليه (ذلك) النصر المستمد من الله تعالى ؛ لأنه وحده القادر القاهر ، العفو الغفور ؛ ومن قدرته تعالى أنه (يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل) أي يدخل كلاهما في الآخر ؛ بأن ينقص هذا ويزيد ذاك ؛ وهذا مشاهد ملموس في الصيف والشتاء ؛ وهما آيتان دالتان على قدرته تعالى ووحدانيته (ما يدعون) ما يعبدون (من دونه) غيره (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض) من أشجار وأنهار ، ودواب وأطيار ، وغير ذلك مما ينتفع به (والفلك) السفن (تجري في البحر بأمره) بإذنه ومعونته وقدرته (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) بأمره ومشئته ؛ يوم القيامة «يوم نظوى السماء كطلى السجل للكتب» «يوم تمور السماء مورا» (وهو الذي أحياكم) بالإنشاء من العدم (ثم يميتكم) عند انتهاء آجالكم التي قدرها لكم (ثم يحييكم) يوم القيامة للحساب والجزاء (إن الإنسان لكفور) بالله ، أو كفور بأتممه ؛ لكل أمة جعلنا منسكا) شرعة ودينا (هم ناسكوه) عاملون به

(وإن جادلوك) فيما أنزل إليك (فقل الله أعلم بما تعملون) من سوء ؟ فيجازيكم عليه (إن ذلك المذكور) : من أنزال الماء من السماء ، وازدهار الأرض بالنماء ، وتسخيره تعالى للفلك تجرى بكم على الماء ، وإسكاه جل شأنه للساء ، وإنشائه لمن يشاء ، وإمامته بعد الإحياء ، وإحيائه بعد الفناء ، وإحاطة علمه تعالى بما في الأرض وما في السماء . كل ذلك (في كتاب) مكتوب في اللوح المحفوظ ، ومعلوم له تعالى قبل حدوثه (ويعبدون من دون الله) غيره (ما لم ينزل به سلطاناً) حجة أو برهاناً (وإذا تتلى عليهم آياتنا) من القرآت (بينات) ظاهرات واضحات ؛

الجزء السابع عشر

٤٩٠

لا ليس فيها ولا إلهام (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) الإنكار لها ، والكفر بها ؛ وذلك بما يبدو عليهم من الاقباض والعبوس والكرامة (يكادون يسطون) يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) أي بالمؤمنين الذين يتلون عليهم القرآن (قل أفأنبئكم) أيها الكافرون المكذبون (بشر من ذلكم) التكذيب ، وإيذاء المؤمنين (النار وعدما الله) أمثالكم من (الذين كفروا وبئس المصير) أو يكون المعنى : « قل أفأنبئكم » أيها المؤمنون « بشر من ذلكم » أي هل أخبركم بما هو شر من بطش هؤلاء الكفار ، وإنكارهم لما جثم به من الحق « النار وعدما الله » أمثالهم من « الذين كفروا » (إن الذين تدعون) تصدون (من دون الله) غيره من الآلهة . والمقصود بها الأصنام (لن يخلقوا ذباباً) اختار الله تعالى الذباب في التمثيل - ولو أنه أكبر من البعوض - لأن الذباب أحقر المخلوقات وأخسها ، وأبغضها وأقذرها ! والمعنى : يأبى الكافرون ، يأحقر المخلوقين : كيف تصدون من دون الله ما لا يستطيع أن يخلق ذباباً (ولو اجتمعوا له) أي ولو اجتمع هؤلاء الآلهة ، وصار بعضهم لبعض ظهيراً ! ولم يقف مجزئهم عند عدم استطاعة خلقه الذباب فحسب ؟ بل (وإن)

هُدًى مُسْتَقِيمًا ﴿٤٩٠﴾ وَإِن جَدَلُواكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٤٩١﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٩٢﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴿٤٩٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٤٩٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٤٩٥﴾ وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ الْمَنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلِ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّن ذَكَرُوا النَّارَ وَعَدَّاهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُبْسِئُ الْمُصْبِرِينَ ﴿٤٩٦﴾ يَتَّبِعُهَا النَّاسُ مِثْلَ مَا فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِن يَسْلُبْنَاهُمُ الذَّبَابَ شَيْعًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٤٩٧﴾

ما أقدرُوا

يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) أي لو سلب الذباب ألقمهم - التي يصدونها - شيئاً من الطيب الذي كانوا يضمخونها به ؛ لم تستطع تلك الآلهة استرجاعه منه - رغم ضعفه وحقارته - هذا وقد يتوهم أن الذباب من الأشياء المخلوقة عبثاً - بل التي يفضل عدمها على وجودها - لما تنقله من مكروبات ، وما تحمله من جراثيم . لكنك لو علمت أنه يستوى في نظر الحاكم : الجلاد الذي يطيح بالرقاب ، والفواس المد للإتقاذ ؛ إذ بكل منهما يفعل ما أمر به : لهان الأمر . وأيضاً فإن الذباب - فضلاً عن حمله للمكروبات - فإنه خلق لإذلال التكبريين والجبارة : وذلك لأن الذبابة كما تقف على القمامة والغادورات : فإنها تقف على أنف أعمى الجبارة ، وأعظم الأكاسرة ! حيث لا يملك دفعها ، ولا يستطيع منعها ؛ وأن النمرود - على تكبره =

وخبروته - سلب الله تعالى عليه بعوضة أهلكته ؛ إذلالاً له ، واستخفافاً بأمره ، وتحقيراً لشأنه ؛ فتعالى الله الملك الحق ، الجبار المتكبر (ضعف الطالب) الذباب (المطلوب) الأصنام التي يعبدونها . أوه الطالب» العابد الكافر : لعجزه عن حماية آلهته من الذباب «والمطلوب» الصنم المعبود : لعجزه عن حماية نفسه

سورة الحج

٤١١

مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَزِيزٌ ۝١٦١
يَضْحَكُنِي مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۝١٦٢
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَسْمَعُ
بَصِيرًا ۝١٦٣
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ۝١٦٤
يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَآزَكُوا وَآمَنُوا
وَعَبَدُوا رَبَّهُمْ وَأَقْبَلُوا الْحَيْرَةَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ۝١٦٥
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ مَنَّمَكُمُ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى
وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝١٦٦

(ما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته ؛ حيث جعلوا الأصنام شركاء له (الله يصطنى) يختار (من الملائكة رسلاً) لرسله (و) يصطنى (من الناس) رسلاً لحقيقته (إن الله سميع) لأقوال عباده (بصير) بأعمالهم . كيف لا وهو تعالى (يعلم ما بين أيديهم) ما سيعملونه لاحقاً (وما خلفهم) ما عملوه سابقاً (ولى الله) وحده (ترجع الأمور) فيقضى فيها بما شاء ، ويحكم بما أراد ! (واقبلوا الخير لعلكم تفلحون) في حياتكم الدنيا ، وتفوزون بنعيم الآخرة (وجاهدوا في الله) في سبيل إقامة دينه ، ونشر تعاليمه ؛ الموصلة لخيرى الدارين (حق جهاده) باستفراغ جهدكم وطاقتكم . ويدخل في ذلك : جهاد النفس ، ومحاربة الشيطان :

وجاهد النفس والشيطان واعصها

وإن مما حضاك النصح فاتهم

(هو اجتباكم) اختاركم (حرج) ضيق (واعتصموا بالله) الجأوا إليه واحتنوا بفضله وعنايته ، وتقوا به !

(سورة المؤمنون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلح المؤمنون) الفلاح : هو الظفر بالمطوب ، والنجاة من المهروب ! (والذين هم عن اللغو معرضون) اللغو : كل كلام ساقط ؛ حقه أن يلغى : كالكذب ، والسب ، والهزل (والذين هم لفروجهم حافظون) يحفظونها من الزنا ، ومن كل ما يشين

الجزء الثامن عشر

٤١٢

(أو ما ملكت أيمانهم) من الإماء ؛ اللاتي تحلفن نتيجة جهاد الكافرين ؛ في سبيل إعلاء الدين ! وليس كما يفعل بعض من لا خلاق لهم ولا دين : من الاتجار فيهن ؛ تحت ستار إحلال الله تعالى له ؛ وليس الأمر كما يقولون ويفعلون ؛ بل هو من أكبر الكبائر : فلم يهل الله تعالى استعباد النفوس ؛ إلا إذا طفت وتجبرت - بعد كفرها - وجاهرت المؤمنين بالعداء ؛ فلا يصلحها حينذاك لإقطع الرأس ، وهلاك النفوس ، وسلب الأموال ، وسي العيال ، واستعباد النساء والرجال ! وهذا هو ملك اليقين ، الذي شرعه رب العالمين ؛ وأحله ونظمه ؛ وأمر تعالى - فيما أمر - بإعزازة بعد الذل ، وإكرامه بعد الهوان ، وإطلاقة بعد التملك ! ونهى جل شأنه - فيما نهى - عن إذلاله وامتهانه ، وجعل تخليصه واعتناقه إحدى القربات إليه !

أما الآن - وليس ثمة حرب ولا قتال - فكيف يملك الناس رقاب الأحرار؛ ويستحلون فروجهم بغير ما أمر الله ؛ إنه الزنا ورب الكعبة ! بل هو الفسق ، والفجور ، والظلم ! وإلا فبماذا نسمى استعباد الأحرار المسلمين ، واستحلال النساء بغير كلمة الله ؟ ! (فن

(٢٣) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاتُهَا ١١٨ نَزَلَتْ بِعَلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ زَوْجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
إَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾
أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ

مِنْ

ابتنى وراء ذلك) أى طلب غير ما أحله الله تعالى من زواج مشروع ، وتملك مشروع (فأولئك هم العادون) المعتدون ؛ المستوجبون للحد (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) فلا ينقضون عهداً ، ولا ينفطون ودأ ! (انظر آية ١ من سورة المائدة) (والذين هم على صلواتهم يحافظون) أى يؤدونها في أوقاتها (الذين يرثون الفردوس) وهو أعلى الجنان (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة) خلاصة . والسلالة : ما انسل من الشيء . والسليل ، والسليلة : الولد والبنت

(من طين) وهو آدم عليه السلام ؛ أصل البشر (ثم جعلناه) أى جعلنا سائر الإنسان من ولد آدم (نطفة) منياً (في قرار مكين) مستقر حصين في صلب الرجل ؛ أو هو الرحم (ثم خلقنا النطفة علقة)

هى واحدة الحيوانات الصغيرة التى توجد بالنبى (خلقنا العلقه مضغفة) قطعة لحم صغيرة ؛ قدر ما يمضغ (ثم أنشأناه خلقاً آخر) أى إنساناً كاملاً ، ناطقاً ، سميعاً ، بصيراً ، عاقلاً (فتبارك الله أحسن الخالقين) (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) (ثم لأنكم بعد ذلك) الخلق والإنشاء (لميتون) وعائدون إلى التراب الذى خلقتم منه (ثم لأنكم يوم القيامة تبعثون) فتحاسبكم على ما قدمتم لأنفسكم ؛ فمن عمل خيراً أنيب عليه ، ومن عمل سوءاً عوقب به ! (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) سموات ؛ جمع طريقة ؛ لأنها طرق الملائكة . وسميت أيضاً «طرائق» لأن بعضها فوق بعض ؛ والعرب تسمى كل شىء فوق شىء : طريقة (وأزلنا من السماء ماء بقدر) بتقدير حسب طلبكم له ، وحاجتكم إليه ؛ فلا هو بالحرق ، ولا هو بالفرق ؛ اللهم إلا إذا كان عذاباً وعقاباً ! (ولما على ذهاب به لقادرون) فيحل الجذب مكان الحصب (فأنشأناه جنات) بسائين (من نخيل وأعناب) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (لكم فيها) أى في هذه الجنات (فواكه كثيرة) متنوعة ؛ لا يعلم مداها سوى خالقها ! (وشجرة) هى شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) جبل فلسطين (تنبت بالدهن) أى بالزيتون المحتوى على الدهن ؛

وهو الزيت (وصبح للآكلين) لإدام يأتمون به (وإن لكم في الأنعام) وهى الإبل والبقر والغنم (لعبرة) لعظة وتدبيراً بقدر الله تعالى ، ومزيد أنعمه (نسقيكم مما في بطونها) من الألبان (ولكم فيها منافع كثيرة) بأصوافها وأوبارها : للفرش ، واللبس ، وما شاكل ذلك (وعليها وعلى الفلك) السفن

مِن طِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٨﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿٢٢﴾ وَأَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٤﴾ وَجَبَّةٌ مَّخْرُجٌ مِّنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٌ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٦﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ

مَحْمُولُونَ ﴿١٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ قَقَالَ يَقَوْمِ
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٨﴾
 قَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
 مِثْلُكُمْ يَرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ
 عَلَيْكُمْ مَائِمَةً مِمَّا عَيْنَا بِهَذَا فِي آيَاتِنَا الْأُولَىٰ ﴿١٧٩﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا
 رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبِّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٨٠﴾ قَالَ رَبِّ
 أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿١٨١﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَ ﴿١٨٢﴾
 فَأَعْيِنَنَا وَوَحِينَا فَأَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا وَقَارَ النَّوْرُ فَاسْلُكْ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
 مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿١٨٣﴾
 فَأَمَّا السَّمُوتُ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٨٤﴾ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي
 مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿١٨٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ

هو لا رجل به جنه جنوت (فتربصوا)
 انتظروا (حتى حين) أى الى أن يموت (قال)
 نوح (رب انصرنى) عليهم (عما كذبون)
 أى بسبب تكذيبهم لى (فأوحينا ليه أن)
 اصنع الفلك بأعيننا) أى اصنع السفينه بمعونتنا
 وتحت حفظنا ورعايتنا . و «الفلك» يطلق
 على الواحد والجمع (ووحينا) أى وبارشادنا
 (فإذا جاء أمرنا) باهلاك الكافرين (وقار)
 النور) أى وقار الماء فى النور - الذى يجذب
 فيه - فكان الفرق، من موضع الحرق! وقيل:-
 المعنى: أن سفينه نوح عليه السلام سارت
 بالبخار، كما تسير سفن اليوم فى البحار . وهذا
 معنى قوله تعالى «وقار النور» وهو قول غريب
 مرهيب: تعلق به وبأمثاله بعض التأخرين؛
 رغم مخالفته للأقوال الصريحه، والأحاديث
 الصححه! وما اخترت مثل هذه المعانى إلا لتقى
 قدرة الله تعالى على إيجاد الماء من النار،
 وبالتالي تقي وجوده تعالى وقدرته على خلق
 الحواريق، وقلب الحقائق! (فاسلك فيها)
 أى فأدخل فى السفينه (من كل) من أنواع
 المخلوقات وأجناسها (زوجين اثنين) ذكر
 وأثنى؛ لحفظ الأنواع وبقائها. قيل: لم يجعل
 نوح فى سفينه إلا كل ما يلد ويبيض؛ أما
 أمثال البق والذباب والدود؛ فقد أخرجها الله
 تعالى - بعد ذلك - من الطين (ولا تخاطبني فى
 الذين ظلموا) أى ولا تسألني المغفرة للكافرين (فإذا استوتت) أى علوت وتمكنت وجلست (أنت ومن
 معك) من المؤمنين (على الفلك) السفينه التى صنعها بأمرى (قل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين)
 الكافرين (وقل رب أنزلى منزلا مباركا) أى أنزلى لإنزالا مباركا أو أنزلى موضعا مباركا (إن فى ذلك)
 المذكور من أمر السفينه، وإيجاد نوح والمؤمنين، وإهلاك الكافرين

لايت

(آيات) دلالات على كمال قدرته تعالى ، ومزيد فضله ؛ وأنه جل شأنه ينصر دائماً أنبياءه ، ويهلك أعداءهم وأعداءه (وإن كنا لملتئين) مصيبين بعض الأنبياء والمؤمنين ، أو مصيبين بعض الأقوام المكذبة ؛ فقد

أصننا قوم نوح بيلاء عظيم ، وعذاب شديد أو «ملتئين» لختبرين الأمم السابقة بإرسال الرسل؛ لنعلم - علم ظهور - الطبع من العاصي وقد يكون المعنى «لأن في ذلك» القصص ؛ الذي قصصناه عليك يا محمد من أمر نوح وغيره من الأنبياء «آيات» دالة على صدق رسالتك «وإن كنا لملتئين» أي لختبرين بذلك أمثك : لنعلم من يصدق بنبوتك ، ومن يكفر بما جئت به (قرناً) قوما (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) هو هود . وقيل : صالح . وقيل : شعيب . عليهم السلام ؛ وذلك لأن أمهم هم من أخذوا بالصيحة ، وهؤلاء أهلكوا بها ؛ قال تعالى في آخر قصتهم «فأخذتهم الصيحة بالحق» (وأترفناهم) نعمانهم (إنكم إذا) أي إذا أطمع هذا النبي ، الذي هو بشر مثلكم «إنكم إذا» (لخاسرون) أي ليست لكم عقول (أي عدم أنكم إذا تم) ودفتم ، ولبت أجسامكم (وكنتم) وصرتم (ترابا وعظاما) في قبوركم (أنكم مخرجون) منها ، ومبعوثون أحياء للحساب والعقاب (هيئات هيئات لما توعدون) أي بعد بعداً كبيراً ما بعدكم به ؛ من أنكم تحيون بعد ماتموتون ، وتبعثون بعد ماتدفنون ، وتحاسبون على أعمالكم فتعذبون ؛ فهذه هيئات لما يتوهمون ! (إن هي إلا حياتنا الدنيا) وحدها ، ولا حياة بعدها (نموت ونحيا) قد يتوهم أن

لَأَيَّتْ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٤١٥﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤١٦﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤١٧﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ ۖ وَاتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٤١٨﴾ وَلَئِن أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ ۖ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٤١٩﴾ أَعِدُّوا أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا ۖ إِنَّكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٤٢٠﴾ * هِيَئَاتِ هِيَئَاتِ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٤٢١﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٤٢٢﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤٢٣﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي ﴿٤٢٤﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصِصَنَّ نَدِيمِينَ ﴿٤٢٥﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۖ لَعَلَّنَهُمْ غُثَاءً

لإقرارهم بالحياة بعد الموت : لإقرار منهم بالبعث بعد أن كذبوا به ؛ ولكنهم لما أرادوا «ونحيا» حياة أبنائنا ؛ أو لعلهم كانوا ممن يقول بتناسخ الأرواح ، وببعضها أجساد أخرى ، أو يكون في الكلام تقديم وتأخير - كعادة العرب في كلامهم - أي نحيا ونموت (انظر مبحث التعليل بآخر الكتاب) (فأخذتهم الصيحة) صاح عليهم جبريل عليه السلام فأهلكهم . . والصيحة : العذاب ؛ أو هي مقدمة لكل عذاب (فجعلناهم غثاء) الغثاء : ما حمله السيل من بقايا العيدات وورق الشجر اليابس

(فبعدا) فهلا كما (ثم أنشأنا) خلقنا (فرونا) أماً (آخرين مانسب من أمة أجلها) أى مانسب أمة الوقت الموقت لإهلاكها . وهو كقوله تعالى «فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» (ثم أرسلنا رسلنا تترى) أى تتتابع ؛ واحداً بعد واحد ؛ بفترة بينهما (كلا جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً) فى الإهلاك ؛ ماداموا تابعين بعضاً فى الكفر والتكذيب (وجعلناهم أحاديث) أى عبراً يتحدث الناس بها؛ ولا يقال «أحاديث» إلا فى الشر ؛ قال تعالى «جعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق» (وسلطان مبین) وحجة ظاهرة (فاستكبروا) عن الإيمان (وكانوا قوماً عالين) مستكبرين ، ظالمين ، قاهرين لغيرهم (وقومها لنا عابدون) مطيعون خاضعون (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) معجزة دالة على قدرتنا : إذ ولدته - عليه السلام - بغير زوج ، وولد بغير أب (وآويناها إلى ربوة) مكان مرتفع ؛ وهو بيت المقدس (ذات قرار) أى أرض مستوية يستقر فيها ساكنها (ومعین) ماء جار ؛ وسمى معيناً : لرؤيته بالعين (يا أيها الرسل) هو خطاب وجه لسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ وأريد به أممهم (كلوا من الطيبات) الحلال (واعملوا صالحاً) وهم عليهم الصلاة والسلام لا يأكلون إلا أطيب الطيب ، وأحل الحلال ؛ ولا يعملون إلا أصح الأعمال ؛ وذلك بفطرتهم واكتسابهم ! (إنى بما تعملون عليم) فجازيكم عليه (وإن هذه أممكم) خطاب لسائر الرسل (أمة واحدة) وهذا يدل على

فبعدا للقرم الظالمين ﴿١١﴾ ثم أنشأنا من بعدهم قروناً
 وآخرين ﴿١٢﴾ مانسب من أمة أجلها وما يستخرون ﴿١٣﴾
 ثم أرسلنا رسلنا تترى كل ما جاء أمة رسولها كذبوه
 فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم
 لا يؤمنون ﴿١٤﴾ ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بإياتنا
 وسلطان مبين ﴿١٥﴾ إلى فرعون وملأه به فاستكبروا وكانوا
 قوماً عالين ﴿١٦﴾ فقالوا أنؤمن لبشر ينزلنا وقومهما
 لنا عابدون ﴿١٧﴾ فكذبوهما فكانوا من المهلكين ﴿١٨﴾
 ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يتدنون ﴿١٩﴾ وجعلنا
 ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار
 ومعين ﴿٢٠﴾ يتأبها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً
 إني بما تعملون عليم ﴿٢١﴾ وإن هذه أممكم أمة
 واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴿٢٢﴾ فتقطعوا أمرهم بينهم

زيراً
 أن الأمم الإسلامية - فى شتى أنحاء المعمورة - يجب أن تكون قلباً واحداً ، وبدأ واحدة ، وأمة واحدة ؛ فى تشريعها ، ومقاصدها ، وأغراضها ، وتوحيدها ؛ فالكل يؤمن بىاله واحد ؛ يدينون له بالطاعة والعبودية ، والكل مصدق بملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والكل معترف بالبعث والإحياء ، والحساب والجزاء ؛ (فتقطعوا أمرهم بينهم) أى تفرقوا فى أمر دينهم ، وفى أمور دينهم

زُرَّا كُلَّ جَزْبٍ بِمَا لَتَيْتُمْ فِرْحُونَ ﴿٥١﴾ فَذَرْنُمْ فِي عَمْرَيْنِ
 حَتَّىٰ حَبِيبٍ ﴿٥٢﴾ اِيْحْسِبُونَ أَنَّمَا مُدْمَمُ بِهِ مِنْ مَالٍ
 وَيَنِينَ ﴿٥٣﴾ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾
 إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَالَّذِينَ
 هُمْ بِعَابَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ
 لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ
 أَنَّهُمْ لَكَ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٥٨﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ
 فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَسَاقُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا وِجْلًا
 وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾
 بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَمْ أَعْمَلْ مِنْ دُونِ
 ذَلِكَ لَهُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿٦١﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ
 بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ
 مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَانَتْ عَابَتِي نَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ

(زبراً) كتباً ألفوها ، وضللات وضعوها ،
 وخرافات ابتدعوها ! أو أريد بالزبر : الكتب
 المنزلة إليهم ؛ كالتوراة والإنجيل والزيور : تمسك
 كل فريق بكتابه ؛ بعد أن شوهه ، ومسخ
 ما فيه . أو «زبراً» بمعنى قطعاً ؛ أي تفرقوا في
 أمر دينهم ؛ فصاروا يؤمنون ببعض الكتاب ،
 ويكفرون ببعض (فذرهم في عمرتهم) فدعهم
 في غفلتهم وضلاتهم (حتى حين) أي إلى حين
 انتهاء آجالهم (أيحسبون أنما ندمهم به من مال
 وبنين) أي أيظن هؤلاء الكفار أن إمدادنا
 لهم ، وتوسعنا عليهم بالأموال والبنين (نسارع
 لهم في الخيرات) التي يبتغونها ويطلبونها ؛ حباً
 لهم ، ورجية لإرضائهم ؛ لا (بل لا يشعرون)
 أن ذلك استدراج لهم في الدنيا ؛ لتعاقبهم على
 ما فعلوا عقوبة كاملة يوم القيامة ! (مشفقون)
 خائفون (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة)
 أي الذين يعطون الصدقات وقلوبهم خائفة
 ألا تقبل منهم . وقرأت عائشة وكثير من
 الصحابة رضوان الله تعالى عليهم «والذين
 يأتون ما آتوا» أي يرتكبون ما ارتكبوا
 من الذنوب «وقلوبهم وجلة» خائفة من عاقبة
 ما ارتكبوا (أنهم لك بهم راجعون) أي
 لأنهم لك بهم راجعون فيعاقبهم على ما أتوه ، أو يعاقبهم على المنع ، أو على الرياء (أولئك) المذكورون : هم
 الذين (يسارعون في الخيرات) وأي مسارعة في الخير أكثر من وجل القلب ؛ عند افتراء الذنب ؛ ! أو عند
 استقلال الطاء ، ورجية في الجزاء ! (ولدينا كتاب ينطق بالحق) وهو اللوح المحفوظ : سطرته فيه أعمال
 العباد (بل قلوبهم في غمرة) في جهالة (مترفيهم) متعصمهم (يجأرون) بصرخون مستغنين

(على أعقابكم تكفون) أى ترجعون الفهقرى . والمعنى : تعرضون عن الحق (مستكبرين) أى متكبرين على المسلمين (به) أى بالجرم : زاعمين أنكم أهله وسادته وحامته . أو «مستكبرين به» أى بالقرآن : تستكبرون عن سماعه والتصديق به ، وتظنون على المؤمنين (سامراً) أى جماعة تفسامرون (تهجرون) أى تقولون فى سمركم الهجر ؛ وهو القول الفاحش من الطعن فى القرآن ، وسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أم جاهم) من الشريعة والأحكام (مالم يأت آباءهم الأولين) أو المراد «أم جاهم» أمان من العذاب ؛ وهو «مالم يأت آباءهم الأولين» أو «أم» بمعنى : بل (أم يقولون به جنة) جنون (ولو اتبع الحق القرآن (أهواءهم) بأن ينزل بما تهوى أنفسهم؛ من حل المحرمات ، وعبادة الأصنام ، وتعدد الآلهة ، والقول ببنوة عيسى لله . تعالى الله عما يقولون ويريدون علواً كبيراً) ولو نزل القرآن بما أرادوا (لفسدت السموات والأرض ومن فىهن) قال تعالى «لو كان فىهما آلهة إلا الله لفسدنا» (بل آتيناهم بذكرهم) أى بالقرآن الذى فيه شرفهم وغرهم قال تعالى «وانه لذكر لك ولقومك» والذكر : الشرف ، والعز ، والسؤدد . أو «آتيناهم» بالقرآن ؛ الذى فيه ذكرهم ، وذكر أعمالهم ؛ وما يترتب عليها من ثواب ، أو عقاب (أم تسألهم خراجاً) أجراً ؛ من الخراج : وهو الإناوة (خراج ربك) رزقه الذى يجره عليك من غير منع ولا قطع ؛ فذلك (خير) منهم وما يملكون (لنا كيون) لمدلون ومائلون (ولو رحمناهم) كصأنا دائماً مع عبادنا (وكشفنا ما بهم من ضر) جوع وفقر . وقد

عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَكْفُونَ ﴿١٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَائِرًا يَهْجُرُونَ ﴿١٦٧﴾ أَقْسَمُ بِذُرِّيَّتِهِ الْقَوْلُ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿١٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَآكَرَهُمُ لِقَاءِ كَذِبِهِمْ ﴿١٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿١٧١﴾ أَمْ تُسْأَلُهُمْ خُرُوجًا فَجَازِجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَكِبُونَ ﴿١٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٧٥﴾ وَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا رَبَّهُمْ فَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿١٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ

مِيلُونَ ﴿١٧٧﴾

كانوا فحطوا بمكة سبع سنين ؛ حتى أكلوا الجيف ! (للجوا) تمادوا واستمروا (فى طغيانهم) ضلالمهم (يعمهُون) يترددون متحيرين (ولقد أخذناهم بالعذاب) بالجوع ، والفتح الشديد (فما استكانوا) فاضعوا (وما يتضرعون) يتنلون بالدعاء إلى ربهم ؛ ليكشف ما بهم (حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذاء عذاب شديد) بالقتل ، والأسر ، والسبي ، والنل ؛ وكان ذلك يوم بدر . وقيل : يوم فتح مكة (إذا هم فيه) أى فى ذلك العذاب

(مبلسون) آيسون من كل خير (وهو) جل شأنه (الذي أنشأ لكم السم) الذي به تسمعون (والأبصار) التي بها تبصرون (والأفتدة) التي بها تعقلون ؛ فالكم لاتسمعون النصح ، ولاتبصرون الحق ، ولا تعقلون الهدى ا و (قليلا ما تشكرون) أي لا تشكرون البتة ا (وهو الذي ذرأكم) خلقكم (ولايه تحمضرون) يوم القيامة ؛ فيؤاخذكم بما كنتم تعملون

في الدنيا (وله اختلاف الليل والنهار) بالزيادة والنقصان ؛ وذلك بفعله سبحانه وتعالى ؛ ليقيم بنفسه الدليل على وجوده ا (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أي أنكروا البت مثل إنكارهم ؛ وذلك لأن الأولين (قالوا أننا متنا وكنا) صرنا في قبورنا (تراباً وعظاماً) نخرة (أننا لمبعوثون) لمعادون إلى الحياة ؟ لا نظن حدوث ذلك (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) البت (من قبل إن هذا) الوعد (لا أساطير) أكاذيب وأباطيل (الأولين) المتقدمين (قل) يا محمد لهؤلاء المكذبين ، وأسألهم (لن الأرض) من خلقها ، ومن يملكها (ومن فيها) من المخلوقات ؟ (إن كنتم تعلمون) خالقها ومالكها (سيقولون لله قل) مادام الله هو مالكها ؛ فالباكم لا تؤمنون به ؟ وما دام الله هو خالقها «ومن فيها» فكيف لا يستطيع إعادتها بمن فيها ؟ (أفلاتدكرون) أفلا تتذكرون ذلك فتؤمنون (قل) لهم أيضاً مبالغة في إقامة الحججة عليهم (من رب السموات السبع) وما فيهن من أفلاك ، ومن بهن من أملاك (ورب العرش) الملك (العظيم) الذي لا يحد ، ولا يوصف ؟ (سيقولون لله) وقرأ أبو عمرو «سيقولون الله» وفي القراءة المثل ؛ للاءمتها للسياق (قل أفلا تتقون) من

هذا شأنه ، وهذا سلطانه ؟ (قل من يديه) وتحت أمره وتصرفه (ملكوت) ملك (كل شيء وهو يجير) من استجار به ؛ فيحميه مما يؤذيه ، ويدفع عنه ما يخشاه (ولا يجار عليه) أي ولا يستطيع أحد أن يمنع السوء عن أمر الله تعالى لإنزاله به (سيقولون لله) وقرأ أبو عمرو أيضاً «سيقولون الله» وهو أنسب لل مقام ؛ كما قدمنا (قل فأتى تسحرون) أي فكيف تخدعون ، وتصرفون عن الحق الواضح الظاهر ؟ ا

مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾
بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظْمًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا
هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لَيُنزِلَنَّ
الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾
قُلْ مَنْ يَدِينُهُ ، مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى
نُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾

(ما اتخذ الله من ولد) كما تقول النصارى بينوة عيسى ! (وما كان معه من إله) يشركه في ملكه ؛ كما يقول المشركون (إذا) أي لو كان معه إله (لذهب كل إله) من الآلهة (بما خلق) واقرده بإدارته ، ومنع الآخر من الاستيلاء عليه (ولعلا) تعالي وتكبر (بعضهم على بعض) كفعل ملوك الدنيا ؛ وشأنهم دائماً التنازع

المسرة الناس عشر

٤٣٠

والمغالبة والتعاطف (سبحان الله) تعالي وتقدس (عما يصفون) من الكفر (عالم الغيب والشهادة) السر والملاينة (قل رب إني ما يوعدون) أي إن كان ولا بد أن تربى ما تقدم من العذاب (فلا تجعلني في القوم الظالمين) الكافرين ؛ لئلا ينالني ما ينالهم من العذاب (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) أي ادفع أذى الكفار وإساءتهم بطريقة حسنة لينة ؛ لا عنف فيها . قيل : نسخ ذلك بالأمر بالقتال ؛ فيجب موادعة الكافرين ، ما دمتنا على محاربتهم غير قادرين . وقد ورد هذا بلفظه ومعناه في مكان آخر من الذكر الحكيم ؛ وهو خاص بدفع المؤمنين . (انظر آية ٣٤ من سورة فصلت) (وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين) ترغابهم ووساوسهم (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي أن يحضروني في أموري وعبادتي ؛ فيفسدون ديني ودينابي ، أو أن يحضروني عند الموت ؛ فيفسدون آخرتي ! (حتى إذا جاء أحدكم الموت) أي جاء أحد الكافرين (قال رب ارجعون) أي أرجعني إلى الدنيا ، وأعدني إلى الحياة (لعلني أعمل عملاً صالحاً فما تركت) فيها خلفت ورأيت من مال ، أو فنيا عملته من عمل سيء ! قيل : يقول ذلك الكفار ، والبخلاء عند موتهم ؛ وقد أجابهم الله تعالي على

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّعَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٤٣٠﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّلَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣١﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٤٣٢﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٣٣﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٤٣٤﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَكْبَرُ إِذَا ضَلَّتْ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣٥﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٤٣٦﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِي حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٤٣٧﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ لَكُمْ يَوْمَ تَبْعَثُونَ ﴿٤٣٨﴾ فَإِذَا نَفَخْنَا فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا بَسَاءَ لَوْلَا نَفْسٌ تَقِيءُ ﴿٤٣٩﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤٤٠﴾

ومن

طلبهم الرجوع بقوله (كلا) لا رجوع (لأنها) أي إن قوله الكافر «رب ارجعون» (كلمة هو قائمها) لا أثر لها ، ولا فائدة فيها (ومن ورأهم) أمامهم إلى يوم القيامة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) «يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبه وبنيه ؛ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» ! (فمن ثقلت موازينه) بالחסنات (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنعم . الناجون من الجحيم !

وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
 فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٥٧﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُم نَارًا وَهُمْ فِيهَا
 كَالْحِجُونَ ﴿٥٨﴾ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ آيَاتِنَا عَلَىٰ عَالَمِينَ ﴿٥٩﴾ فَنُكَلِّمُهُم
 بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَذْهَابًا ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا
 ضَالِّينَ ﴿٦١﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٦٢﴾
 قَالَ أَخْسَعُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّمَا كَانَ قَرْيَةً مِنَ
 الْعِبَادِ يَعْبُدُون رَبَّنَا عَمَّا فَغَفَرْنَا لَهَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
 الرَّازِحِينَ ﴿٦٤﴾ فَأَتَّخَذْتُمُوهُمْ كَيْفًا حَتَّىٰ أَسْوَأَ كُفْرِي وَكُنْتُمْ
 مِنْهُمْ قَضْحَكُونَ ﴿٦٥﴾ إِنِّي جَزَيْتُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرْتُمْ أَنْتُمْ
 هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٦٦﴾ قُلْ كَرِهْتُمْ فِي الْأَرْضِ عِدَّةً سِنِينَ ﴿٦٧﴾
 قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنْ
 لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ الْحَسْبُ لَكُمْ
 خَلْقُنَاكُمْ عِبَادًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَاتَرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ فَتَعَالَىٰ اللَّهُ

(تلفح وجوههم) تحرقها (كالجون) عابسون
 متقبضون (ألم تكن آياتي تلى عليكم) أى يقال
 لهم ذلك (قالوا غلبت علينا شقوتنا) أى تغلبت
 علينا أهواؤنا وشهواتنا . وسيت شقوة :
 لأنهماؤدية إليها . وذهب قوم - غفر الله تعالى
 لهم - إلى أن المعنى : غلب علينا ما كتب علينا
 من الشقاء ؛ في حين أنه لم يكتب عليهم سوى
 ما علم أنهم يفعلونه بمحض اختيارهم ؛ فليسوا
 مغلوبين ولا مضطرين (قال أخسأوا فيها) أى
 ابعدوا في النار أذلاء ! يقال : خسأ الكلب :
 طرده (فأتخذتموهم سخريا) أى سخرتهم منهم ،
 واستهزأتم بهم (حتى أسوأكم ذكرى) (وكنتم
 لانشغالكم بالاستهزاء بهم عن تذكرى) (وكنتم
 منهم تضحكون) إذا ذكروني وعبودني (إني
 جزيتهم اليوم بما صبروا) أى بصبرهم على
 إذائكم (أنهم هم الفائزون) بعمى (قال)
 الملك المكلف بسؤالهم (كم ليتتم في الأرض
 عدد سنين) قيل : السائل لهم مالك عليه
 السلام : خازن النار (قالوا ليتنا يوما أو بعض
 يوم) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا ؛ لما
 نالهم في الآخرة من العذاب الأليم ، ولما
 استعجلوه في الدنيا من ملذات (أحسبتم أنما

خلقناكم) في الدنيا (عبادا) وأنكم تعيشون في الأرض فسادا ولا تصلحون ، وتميدون من الأصنام والأوثان
 ما تشاءون ، وتلدنون ربكم أحسن المالكين (وأنكم إلينا لا ترجعون) فنحاسبكم على ما جنيتم ، ونؤاخذكم
 على ما كسبتم ! قال تعالى «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (فتعالى الله) تزهه وتقدس

(الملك الحق) الذي (لا إله إلا هو) ولا معبود سواه (ومن يدع مع الله لها آخر لا برهان) لاجبة (له به) تقوم على صحة ألوهيته ، وصدق ربوبيته (فإنما حسابه) أي عقوبة كفره ، ومحاسبته عليه (عند ربه) في جهنم وبئس المصير !

(سورة النور)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الجزء الثامن عشر

٤٢٢

(وفرضناها) أي فرضنا أحكامها (وأنزلنا فيها آيات بينات) ظاهرات وباطنات (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) قدم تعالى ذكر الزانية على الزاني : لأنها منشأ الجنائية ، ومبدأ الفجائية ! فلو لم تطعم الزاني بلين كلامها ، وفتتح له المجال بإشراق ابتسامها ؛ وتخرجه عن طوره بإظهار محاسنها ، وإبداء مغانها ؛ وتمكنه - مع كل ذلك - بالاختلاء بها من غير محرم ؛ لاثالث لها سوى الشيطان ! لولا ذلك لما اعتدى أحد على حرمتها ، وأهدر كرامتها ، وسلبها عزها وغرما ؛ وأخرجها من عداد العفاف الحرائر ، إلى مصاف الزانيات الفواجر ! وجلد المائة : حكم غير المحسن «الأعزب» أما المحسن «المتزوج» فغده الرجم بالحجارة حتى الموت ! ومنهم من قال : يجلد المحسن والمحصنة مائة جلدة ؛ ثم يرمح ؛ على خلاف في ذلك . والاتفاق والإجماع على جلد غير المحسن ، ورمح المحسن فحسب ؛ وهل بسد الموت والتنكيل عبدة لمعتبر ؟ ! (انظر آية ١٠٦ من سورة البقرة) .

ويالها من عدالة ظاهرة ، وحكمة باهرة : يتحكّم السلم حرمة أخيه المسلم ؛ فلا يجد قانوناً يردعه ، ولا تشريعاً يمنعه ؛ وذلك لأن القوانين الوضعية - في سنى بلدان العالم - قد

أَمَلِكُ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١٦﴾
وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٧﴾
وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٨﴾

(٢٤) سُورَةُ النُّورِ مَلَانِيْتِي

وَأَيَاتُهَا ٦٤ نَزَلَتْ بِعَدْلِ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَأَيُّكُمْ إِلَّا زَانِيَةٌ أَوْ مُشْرِكَةٌ

وَالزَّانِيَةُ

أجمعت على ترك الزاني بلا رادع ، ولا وازع ؛ حتى تشتت بسبب ذلك الأمراض الخبيثة ، وفشكت بالأجسام ، وأطالت الأسقام ؛ وما ذاك إلا لهدم تمسكنا بديننا الحنيف ، وانصرافنا عن قانوننا السماوي ؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ! (انظر آية ٣٢ من سورة الإسراء) (ولا تأخذكم بهما رأفة) أي لا تأخذكم بهما شفقة حين ترون تألهما من الجلد ؛ فتجلدوهما جلداً هيناً لنا - فها هكذا أراد الله ؛ في تأديب عباده العصاة - بل الواجب شرعاً أن يجلدنا بتمتة الحزم والفاطمة ؛ ليكونا عبدة لغيرها ، ونكالا لأمتالها ! وكيف تأخذ الإنسان السلم رأفة بمن لم تأخذه رأفة بأخيه المسلم ؛ فانتكح حرمة ، واستباح عرضه ؟ ! بل انتكح حرمت الله تعالى ، وطرح أوامره ، ولم يعبأ بما أوعده به من عقاب ! وكيف تأخذ الإنسان المسلم =

= رافة (في دين الله) وقد أمره بالجلد؛ وهو تعالى أحكم الحكماء، وأرحم الرحماء؛ ولأن الرحمة بالجاني: تحمل معنى عدم الرحمة بالجاني عليه؛ سواء كان زوجاً، أو أباً، أو أخاً، (وليشهد عذابهما طائفة) جماعة (من المؤمنين) زيادة في فضيحتهما، والاعتبار بهما؛ هذا ويجب أن يبقى في الجلد الوجه والمقاتل؛ والأصوب أن يكون الجسد على الظهر؛ بلا حائل من اللبس يحول دون العذاب المفروض (الزاني لا ينكح) لا يتزوج (إلا زانية أو مشركة) أي ان الواجب ألا تزوج المسلمات العفيفات للزاني الفاجر، بل له أن يتزوج زانية مثله، أو مشركة تليق بشاكلته.

(والزانية لا ينكحها) لا يتزوجها (إلا زان أو مشرك) أي يجب ألا يتزوج الحر العفيف زانية فاجرة؛ وقد قال بعض الفقهاء، يتوجب التفريق بين العفيفة إذا تزوجت بزاني؛ لأنه غير كفء لها (والذين يرمون المحصنات) أي يقدفون العفاف المسلمات؛ بأن يرموهن بالزنا كيداً وظلماً؛ (ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً) بعد أن ثبت فسقهم وزورهم؛ هذا ولا تقبل شهادتهم - ولو بعد توبتهم - للتأييد الوارد في الآية «أبداً» أما قوله تعالى (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) فهو استثناء من قوله تعالى «وأولئك هم الفاسقون» ولا يعمل الاستثناء فيما قبل ذلك؛ وإلا لتناول الجلد أيضاً؛ وهو حد من حدود الله تعالى؛ لا يسقط بالتوبة (فمهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) وذلك بأث يقول أربع مرات: أشهد بالله أني لمن الصادقين فيما رميت به زوجي (والخامسة) أي يقول في الخامسة: على لعنة الله تعالى إن كنت من الكاذبين (ويدرؤ) يدفع (عنها العذاب) الرجم الذي استحق عليها بشهادة زوجها (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين) بأن تقول أربع مرات: أشهد بالله أن زوجي لمن الكاذبين. وتقول في الخامسة: وعلى غضب الله تعالى إن كان من

وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ٥ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٦ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٧ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحْيِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٨ وَالْخَمِيْسَةُ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٩ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ١٠ وَالْخَمِيْسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ١١ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٢ إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِمَّنْكُمْ

الصادقين؛ وباللعان هذا تحصل الفرقة الأبديّة بين الزوجين: فلا يجلب أحدهما للآخر أبد الدهر؛ فلا يجتمعان. ولا يتوارثان. وكيف يسكها وهي بنى؟ أو كيف ترضى به وقد رماها بأقبح ما ترمى به امرأة، وأسوأ ما ينسب إلى حليلة؟! (إن الذين جاءوا بالإفك) الإفك: أسوأ الكذب؛ وقد كذبوا على أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، ورموها بما هي منه براء!

(والذى تولى كبره) أى تحمل معظم الإثم ، وخاص أكثر الخوض . والكبر: الإثم الكبير ومعظم الشيء .
 وقرئ «كبره» بضم الكاف . والقصود به عبد الله ابن أبى بن سلول ، وقيل : حسان بن
 ثابت . ولكنه رضى الله تعالى عنه كذب ما أشيع عنه بقصيدة عصاه فنى بها ما أشيع وأذيع ، وأثنى
 على عائشة رضى الله تعالى عنها بما مى أهل له ! قال فيها :

(١) حصان رزان ما تزن بريبة
 (٢) (٣) وتصبح غمرى من لحوم الفواضل
 (٤) حليلة خير الناس ديناً ومنصباً
 نبي الهدى والكرامات الفواضل
 مهذبة قد طيب الله خبيها
 (٥) وطهرها من كل شين وباطل

(لولا) هلا (إذ سمعتموه) أى إذ سمعتم الإفاك
 (ظن المؤمنون والمؤمنات) الذين سمعوا الإفاك
 (بأنفسهم) أى بالفترى عليها ؛ لأن جميع
 المؤمنين : كالنفس الواحدة (وقالوا هذا) الذى
 سمعناه (إفاك مين) كذب واضح ؛ والإفاك :
 أسوأ الكذب (لولا جاء واعليه) أى هلا
 جاء العصبة على هذا الإفاك ؛ وهو قذف
 صريح (بأربعة شهداء) يشهدون على صدق
 ما زعموا (ولولا فضل الله عليكم ورحمته)
 لكم (فى الدنيا) بتأخير العقوبة (و) فى
 (الآخرة) بالفقران لمن تاب (لكم) أيها
 العصبة (فيا أفضتم) فيا خضتم (إذ تلقونه
 بألستكم) أى تلقونه ؛ يؤيده قراءة من قرأ
 «تلقونه» والمعنى : «تلقونه» بأسماعكم ؛
 فتذيعونه «بألستكم» فور سماعه ؛ فكأنما
 تلقيتهم بألستكم ؛ لا بأسماعكم ؛ لسرعة
 إذاعته . وقرئ «تلقونه» بكسر اللام ؛ من

لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل أمرى منهم
 ما أنسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب
 عظيم ﴿١﴾ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
 بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفاك مين ﴿٢﴾ لولا جاء
 عليه بأربعة شهداء فإذ لربأتوا بالشهداء فلو أنكم
 عند الله هم الكاذبون ﴿٣﴾ ولولا فضل الله عليكم
 ورحمته فى الدنيا والآخرة لسكرتم فى ما أفضتم فيه
 عذاب عظيم ﴿٤﴾ إذ تلقونه بألستكم وتقولون
 بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند
 الله عظيم ﴿٥﴾ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن
 نتكلم بهذا سبحناك هذا بهتشت عظيم ﴿٦﴾ يعظركم
 الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ﴿٧﴾ وبين
 الله لكم الآيت والله عليم حكيم ﴿٨﴾ إن الذين

يحبون

الولى : وهو الاستمرار فى الكذب (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) وفى هذا دليل قاطع على النهى
 عن التكلم فى الجنائيات بالسماح ؛ بل يجب أن يكون التكلم عن بينة واضحة ، وعن رؤية مثبتة ؛ فليست دماء
 الناس ، وأموالهم ، وأعراضهم ؛ يمثل هذا القدر من الهوان ! (ومحسبون) أى تحسبون هذا الرى =

- (١) امرأة حصان : عفيفة ، أو متروجة . (٢) رجل رزين : وقور . وامرأة رزان : وقورة .
 (٣) لا تزن : يقال : أزننته بكذا : إذا تهمت به . والمعنى : لا تهتم بريبة .
 (٤) غمرى : جائعة . وغمرى الوشاح : خيصة البطن ، دقيقة الحصر . (٥) الحيم : السجعة والطليعة .

= والقذف (هينا) سهلا (وهو عند الله عظيم) مستوجب للحد والمقت! (ولولا) وهلا (إذ سمعتموه قلم ما يكون لنا) ما يصح ولا يجوز لنا (أن نتكلم بهذا) أن تنهم أحداً ظلماً؛ بغير دليل ولا بينة (سبحانك) يا الله؛ تزهت وتعالت عن كل قبيح (هذا بهتان) زور وباطل (عظيم) كبير (يعظكم الله) ينهاكم (أن تعودوا لثله) أن تقفوا فيما وقعتم فيه (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) أن تتبع ظلماً وزوراً وبهتاناً (في الذين آمنوا) وليس معنى ذلك أن يستتر الإنسان على مظهر من الفواحش وبدا للعيان؛ فذلك واجب المنع بكل لسان، والمحاربة بكل سنان؛ وهو يدخل

في باب تغيير المنكر؛ الذي هو إحدى مراتب الإيمان! وهذا بعيد كل البعد عن يتسقط البأ، فيذمه على الملا؛ فأولئك (لهم عذاب أليم في الدنيا) بالجلد، والحزى، وسقوط العدالة، وعدم قبول الشهادة! (والآخرة) بغضب الرحيم، وبالعذاب الأليم! (ومن يقع خطوات الشيطان) العين (فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) وكل صديق سوء أمر بمنكر، وزين معصية؛ فهو في حكم الشيطان؛ بل هو شر منه؛ ويجب اجتنابه والابتعاد عنه! (مازكى) ما طهر (ولكن الله يزكى من يشاء) يطهر من أراد من دنس الفحش، وذل العصيان! (ولا يأتل) ولا يقصر. وقرأ أبو جعفر «ولا يأتل» أي ولا يحلف (أولوا الفضل منكم والسعة) الغني (أن يؤتوا أولى القربى والمساكين) أي لا يقصر، ولا يحلف هؤلاء ألا يؤتوا الفقراء من أموالهم؛ لذنب جنوه، أو لم ارتكبوه. قيل: نزلت هذه الآية حينما أقسم كثير من الصحابة - ومنهم أبو بكر - رضى الله تعالى عنهم؛ ألا يعطوا بعض من خاض في الإفك من الفقراء الذين كانوا يعطونهم. فلما نزل قوله تعالى (وليصفوا وليصفوا ألا يحبون أن يفر الله لكم) قال أبو بكر: بلى؛ أنا أحب أن يفر الله لي!

وأعاد ما كان يجريه على الفقراء الذين جاءوا بالإفك. وقد أراد الله تعالى أن يحفز السامع إلى ملازمة الصفح والعفو؛ بقوله «ألا يحبون أن يفر الله لكم» أي حيث إنكم تحبون الفرار، وتطلبونه من الديان؛ فلم لا تعفروا للاخوان، وتصفون عما كان؟! وفي قصة الإفك، وما أعقبها: دليل على وجوب إعطاء الفقير ولو عصى، والمسكين ولو أم! إذ أن مقياس العطاء: الحاجة؛ فاذا ما استوى فيها التقى والشقى: وجب تقديم الأول على الثاني

يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢١﴾ يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ

(بومئذ يوفيه الله دينهم الحق) أى يوفيهم جزاءهم الذى يستحقونه على أفعالهم (الحيثيات للحيثيين) أى إن الحيثيات لا يرغب فيهن إلا الحيثيون . والآية مبنية على قوله تعالى «الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة» لأن الحيثيات والحيثيين: هم الزوانى (والطيبات للطيبين) وهم العفاف؛ فلا يجوز أن يتزوج عفيف إلا عفيفة مثله ، ولا أن تتزوج عفيفة إلا عفيفاً مثلاً .

الجزء الثامن عشر

٤٣٦

وهذه هي سنة النفوس الفاضلة ، والخلق الكامل ! هذا ولم تخرج أوامره تعالى ، وإرشاداته لخلقه عن أسمى الأخلاق التى تصبو إليها الإنسانية ، وتنظم بها الأسر : فلا يختلط الحيث بالطيب ، ولا يدنس العفيف نفسه بمخالطة البغى ، ولا تنزل العفيفة إلى درك الزانى الفاجر ! (أولئك) الطيبون والطيبات (مبرأون مما يقولون) أى مما يقوله فيهم الحيثيون والحيثيات ، والوافون فى الأعراض ، الطاعنون فى الكرامات ! (بأىها الذين آمنوا) لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا) يعلمنا ربنا سبحانه وتعالى آداب الزيارة ، وكيف أننا لانتج بيتاً قبل أن نستأذن أهله فى دخوله ، ونأنس بهم ، وبأنسوا بنا . وانظر - يامن - تتمم أن الحضارة والرقة تأخذها عن الغربيين - إلى أى حد يعلمنا ربنا تعالى ، وإلى أى مدى يؤدبنا قرآنه الكريم ، وكتابه الحكيم ؛ فيحسن تأديبنا وتربيتنا ! (فإن لم تجدوا فيها أحداً) من أهلها تستأذنونهم وتستأمنون به (فلا تدخلوها) وسواء كانت البيوت مفتوحة الأبواب ، أو مغلقتها ؛ فقد أغلقها الله تعالى بتحریم دخولها ؛ وجعل مفتاحها الإذن من فاطمها ، أو مالكها ؛ و (ليس عليكم جناح) إثم ؛ فى (أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة) أى

السننهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴿٣٦﴾
يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٣٧﴾ أَلْحَيْبَتَاتُ لِلْحَيْبِيِّينَ وَالنَّحْيَبِيُّونَ
لِلْحَيْبِيَّةِ وَالطَّيْبَتَاتُ لِلطَّيْبِيِّينَ وَالطَّيْبِيُّونَ لِلطَّيْبِيَّةِ أَوْلَئِكَ
مُبرءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣٨﴾
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بِيُوتِكُمْ حَتَّى
تَسْتَأْذِنُوا وَلَسَوْا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٩﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى
يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ
لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٤٠﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ
أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ

تخيير

غير معدة للسكن الخاص (فيها متاع لكم) وهو كل ما يتمتع به: من لبواء ، واطقاء حر أو برد أو من البيوت المستعملة لمزج الضائع وماشاكلها ويجوز أن يدخل فى عموم ذلك الفنادق (قل للمؤمنين يعضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) أى لا يطلعو بأبصارهم إلى النساء ؛ لأن البصر رائد القلب ؛ بل هو بريد الزنا ؛ بل هو جملة لاظهار القلب وغضب الرب ! فانظر - كفاك الله كيد نفسك وشيطانك - أين تضع بصرك ! قال الشاعر :

وطرفك إن أرسلته لك رائداً
قلبك يوماً : أنتعتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر
عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر !

(ولا يبدن زينته) المراد بالزينة : مواضعها كالجيد ، والمعصم ، والساق ، وماشاكلها ، أو المراد نفس التزين : كالاكتحال ، وتخصيب الكفين ، ووضع المساحيق على الوجه ، وتلوين الشفتين ، وما أشبه ذلك (لما ظهر منها) أى إلا المقدار الذى لا يمكن إخفاؤه : كالوجه والكفين ؛ بغير زينة ، ولا خضاب (وليضرن

بجفهن على جبينهن) أى وليضعن ما يتلفن به على صدورهن ؛ والجيب : فتحة الثوب مما يلي العنق ؛ ومنه قوله تعالى لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام «وأدخل يدك في جيبك» (ولا يبدن زينته) الخفية ؛ وهى ما عدا الوجه والكفين ، أو هو كل ما يستحب رؤيته من المرأة ، وما يجذب أصار الرجال إليها ؛ فكل ذلك حرام لإبداؤه (للابعوتهن) أزواجهن ؛ الذين تملكوهن بكلمة الله ! ولا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدى زينتها إلا لبعليها الذى أحلها الله تعالى له ، أو لمحرم ممن ذكرهم الله جل شأنه فى هذه الآية . وقد ذهب كثير من العلماء لى حرمة كشف الوجه - إذا خيفت الفتنة - وذلك لأن الزينة منها ما هو خلقى : كالوجه ، وما هو كسبى : كالتياب ، والحلى ، والكحل ، والمساحيق ، والأصباغ (أو ما ملكت أيمانهن) من الإماء دون العبيد ؛ ولو كانوا خصياناً (أو التابعين) كالخدم ، أو الفقراء ؛ الذين يتبعونكم لأجل إطعامهم والتصدق عليهم ؛ بشرط أن يكونوا من (غير أولى الإربة) وهم الذين ليس لهم مأرب فى النساء : كالشيوخ الصلحاء ، والمجبوبين ؛ ومن شابههما (ولا يضررن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) أى ليعلم صوت الخلل

خَيْرٍ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٢٤﴾ وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصِرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُجُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ بَنَاتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ لِلنَّسَاءِ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ لَطْفَلٍ الَّذِي لَمْ يَظْهَرْ وَأَعْلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٥﴾ وَأَنْكَحُوا الْأَيْمَانَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِمِ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعَ عِلْمَهُ ﴿٢٦﴾ وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ

(وأنكحوا) زوجوا (الأيامى) جمع أيم ؛ وهى من ليست بذات زوج : بكرأ كانت ، أو ثيبا ؛ ويقاطق الأيم على الذكر والأنثى (والصالحين من عبادكم وإمائكم) أى المسلمين من العبيد والإماء (وليستغف الذين لا يجدون نكاحا) أى لا يستطيعون الزواج لفقرهم ؛ والاستغفاف : الابتعاد عن الزنا ، ومواطنه ، وأسبابه ، ومقدماته ؛ ومدافعة الرغبة بالصوم ؛ قال صلى الله تعالى عليه وسلم «من استطاع الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ؛ فإن الصوم له وجاء»

(والذين يبتغون الكتاب) يطلبون المكاتبه : وهم العبيد يكتبون مواليهم على أداء شيء معلوم ؛ يتحرون بعد أدائه (ولا تكثرها قياتكم) بناتكم ، أو إلماتكم ، أو من تقومون بأمرهم من مقام الولي والكفيل (على البغاء) الزنا ؛ بتكرهن بدون تزويج (إن أردن حصناً) تفضاً ؛ بالزواج الحلال الطيب ؛ هذا وقد دأب أكثر الناس اليوم على التباطى في تزويج بناتهم بتباطؤ أدى إلى الوقوع في الموبقات ؛ بحجة عدم صلاحية طالب الزواج ثارة ، وبالتغالي في المهور ثارة أخرى ؛ مما يؤدي إلى الانصراف عن الفتيات ، والرغبة عنهن ، مكان الرغبة فيهن ؛ وفي هذا ما فيه من

الجزء الثامن عشر

٤٢٨

الأنحراف ، عن الاستغناء ؛ فليبادر من يتق الله تعالى إلى تزويج بناته ؛ متى وجد الكفاء لهن ، الراغب فيهن ، المحافظ لأعراضهن ؛

وقيل : لانهم كانوا يكرهونهن على البغاء ، لاجتلاب الرخاء ؛ كما يفعل بعض من أعمى الله تعالى بصائرهم ، وطمس على قلوبهم ؛ وساقطهم الشيطان إلى مهاوى الضلال ، ومهامه الرذيلة ؛ (ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور) لمن (رحيم) بهن (من الذين خلوا) مضوا (الله نور السموات والأرض) أي منورها ، والمهادى فيما إلى الطريق القويم ، والصراط المستقيم ؛

ولما كان النور : هو الذي يرشد الإنسان إلى مواطن الضرر والمخطر ، ويهديه إلى طرق الأمن والسلامة ؛ ولولا لتردى الإنسان في مهاوى البيداء ، ومهامه الصحراء ؛

ولما كان الله تعالى هو المهادى إلى أقوم الطرق ، وأوضح السبل ؛ كان وصفه جل شأنه بالنور : هو الجامع لصفاته العلية ، الموضح لحاجة الكل إليه ، واعتمادهم عليه ؛ وللأفليس بعد النور الإلهي سوى دجاجير الظلمات ، المهددة عن الرحمت والجنات ؛ فتسك - يارعاك الله -

وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۖ وَلَا تَكْرَهُوا فَتَبَيَّنْكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ۚ إِنَّ أَرْدَنَ مَحْصَنًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٢٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا الْبِكْرَةَ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكَ ۖ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٢٩﴾ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ۖ مِثْلُ نُورِهِ ۚ كَمَشْكُورَةٌ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ ۚ الرُّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ۚ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ ۚ مَنْ نَّشَاءُ ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٤٣٠﴾ فِي بَيْتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ ۖ يُسَبِّحُ

بنور الله : يهلك سبل الرشاد والسداد «ومن لم يجعل الله له نوراً فإنه من نور» (مثل نوره كمشكاة) وهي الكوة غير النافذة في الجدار (الرجاحة كأنها) في صفاتها وبريقها (كوكب دري) مضى ؛ نسبة إلى الدر الذي يضى لشدة لمعانه (يوقد) ذلك الكوكب الدرّي (من شجرة مباركة) أي ليست كسائر الشجر ؛ بل «من شجرة» بورك فيها وعليها (لا شرقية ولا غربية) أي بينها ؛ فلا يتمكن منها حر ولا يضرانها (يكاد زيتها) لشدة صفائه (يضى) بنفسه (نور على نور) ضوء الزيت ، وضوء النار . أو هو نور الله تعالى - وهو هدايته للمؤمن - على نور المؤمن - وهو اهتداؤه بنفسه إلى خالقه ، واختياره للإيمان . وانصرافه عن داعي الشيطان - وهو النور الذي يبدؤه المؤمن باختياره ؛ فيذكيه مولاه تفضلاً وتكريماً منه تعالى لمن أكرم =

نفسه ، وسما بروحه ؛ فينبثق النور من القلب ؛ فتشتعل جذوة الإيمان ، وتبث الأعضاء على الاقياد والقيادة ؛ فيصير الإنسان الترابي نورانياً ؛ يأمر الأقدار فتطيعه ، ويقسم فيد الله قسمه ، ويرغب فينقاد إليه كل شيء طوعاً وكرهاً باذن الحنان المنان ، الرحيم الرحمن ! (يهدى الله لنوره) أى للإيمان به (في بيوت) هي المساجد ، أو هو كل بيت يقيم أهله الصلاة فيه ، ويذكرون اسمه تعالى ويسبحونه ويقدمونه ؛ وفيها وهذه البيوت : هي عطا نور الله تعالى ، ومبث هدايته ورحمته ، والطريق إلى رضائه وحنته ؛ وفيها

٤٢٩

سورة النور

المشكاة ، ومنها ينبعث نور الصباح ! (بالغدو والأصال) أى في الصباح والمساء (يخافون يوماً) هو يوم القيامة (تقلب) تضطرب (فيه القلوب) من شدة الخوف والرعب ، والتردد بين الهلاك والنجاة (و) تقلب فيه أيضاً (الأبصار) حيرى بين الجنة والنار (والله يرزق من يشاء) من فضله في الدنيا ، ومن نعيمة في الآخرة (بغير حساب) بلا حد ، وبلا مقابل ؛ فقد يرزق بالقطاير ، جزاء للنزير اليسير ، وقد يدخل الجنات ، جزاء لصدق الطويات ؛ تعالى المعطي المانع ، الضار النافع ! (والذين كفروا أعمالهم) الصالحة ؛ التي عملوها في الدنيا - كصلة الرحم ، وحسن المعاملة ، والصدقة ، وأشياء ذلك - فإنها تصير يوم القيامة (كسراب ببيعة) وهو شعاع يرى في الغلاة في وسط النهار (يحسبه الظمان ماء) فيهرع إليه لشدة ظمئه (حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) مما أراده : لا ماء ، ولا رى (ووجد الله عنده) أى عند عمله ؛ الذى هو كالسراب ، والذى هو في ميسس الحاجة إلى أقل الجزاء عليه ؛ وفاته أنه قد جوزى على إحسانه في دنياه ؛ تفضلاً وعدلاً من الله ! فإذا ما طمع في الجزاء عليه يوم القيامة «وجد الله عنده» (فوفاه حساب) من العذاب ؛ جزاء فسقه وكفراه (أو كظلمات)

لَهُ فِيهَا بِالْغُلُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿٤٢٩﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيسَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٤٣٠﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَزِيَدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٣١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُمْ قُرْآنَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤٣٢﴾ أَوْ كَظَلَمْتِ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن قَوْفِهِ ۗ مَوْجٌ مِّن قَوْفِهِ ۗ سَابَّ ظَلَمْتِ بَعْضًا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أُتْرَجَ بِدَعْرِ لَمْ يَكِدْ يَرِيهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٣٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُم مِّن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَنَفَاتٍ كُلٌّ قَد عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٣٤﴾

أى إن أعمال الكفار «كسراب ببيعة ، أو كظلمات» (في بحر لجي) عميق ، بعيد القور ، كثير الماء (يشاه) أى يظنى هذا البحر العميق (موج من فوفه) أى من فوق هذا الموج (موج) آخر (من فوفه) أى من فوق هذا الموج ؛ الذى هو فوق الموج الأول (سحاب) غيم ؛ فتجتمع من هذه الظلمات ، والبحر ، والأمواج التراكية المتكاثرة ، والنيوم التنكافة (ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج) الناظر ، أو الواقع في هذا البحر (يده لم يكدرها) لما أحاط به من الظلمات !

وهو مثل آخر ضربه الله تعالى لأعمال الكفار ؛ فمثل أعمالهم بالظلمات ؛ لأنها كلها مبنية على الخطأ والزيف والفساد ، ومثل اضطراب قلوبهم ، وعدم استقرارها ، وتشبيهاً بالجزيرة والضلالة : بالبحر اللجى =

== التلاطم بالأمواج ؛ إلى غير مقصد ، وعلى غير هداية ، ومثل جهلهم الذي غطى على عقولهم ، وran على قلوبهم: بالسحاب (ومن لم يجعل الله له نوراً) يسترشد به في اللغات ، ويهتدى به في الظلمات (فأله من نور) يوصله إلى الأمن والنجاة والسلامة ! (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض) من ملك وإنس وجن (والطير صافات) باسطات أجنحتهن بين السموات والأرض ؛ فصار التسبيح شاملاً لما في السموات والأرض

وما بينهما (كل قد علم صلاته وتسبيحه) أي

قد علم الله تعالى صلاتهم وتسبيحهم ، أو وكل قد علم ، كيف يصل ، وكيف يسبح . (انظر آية ٤٤ من سورة الإسراء) (ألم تر أن الله يرزقهم) يسوق (سحاباً ثم يؤلف بينه) يضم بعضه إلى بعض ؛ بعد أن كان متفرقاً ثم يجعله ركاباً) متراكماً ؛ بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر . وقيل : البرق (يخرج من خلاله) أي من ثنايا السحاب (فيصيب به) أي بالبرد النازل من السماء (من يشاء) معاقبته : فيتلف به زرعه ، ويهلك ضرعه (يكاد سنا برقه) أي لمان برق ذلك السحاب المزجي المتراكم (ينهب بالأبصار) بصيها فلترى شيئاً (يقلب الله الليل والنهار) يأتي بأحدهما مكان الآخر ، أو ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر (والله خلق كل دابة من ماء) أي من نطفة ؛ وذلك لأنها سائلة ، وأغلبها ماء . والدابة : كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان ، أو حيوان أو طير ، ونحوه . والدابة إجمالا : كل مخلوق تدب فيه الحياة . حتى الطير فإنه يخلق من البيضة ؛ والبيضة محتوية على ماء الذكر حتماً ؛ وإلا فهي غير معدة للإنتاج . وبذلك اقتضت حكمة الحكيم ! (فهم) أي من الدواب (من يمشی على بطنه) كالثعبان (ومنهم من يمشی على رجلين) كالإنسان ، والطيائر

وَلِلَّهِ مَكُّ الْيَحْنُوتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٧﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ الْحَبَابَ ثُمَّ يَرْزُقُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَجْعَلُكُمْ رُكَّامًا
 فَتَرَى الْوَدَقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
 جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ
 مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٨﴾ يَقْلِبُ
 اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٩﴾
 وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى
 بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى
 أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
 إِنَّ صِرَاطَ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥١﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ
 وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ
 بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ

بينهم

(ومنهم من يمشی على أربع) كالأنعام والحيوان (يخلق الله ما يشاء) كما شاء (إن الله على كل شيء) أراده (قدير) على إيجاده ؛ وإعماهي أسباب سببها ، وأمور رتبها ؛ وقد خلق تعالى كل شيء ابتداء من غير ماء ولا نطفة ، وسيعيده انتهاء من غير سبب ؛ فتعالى الخالق ، وجل المبدع المصور ! (لقد أنزلنا آيات مبينات) حجج واضحات : هي آيات القرآن الكريم (والله يهدي من يشاء إلى صراط) طريق (مستقيم) هو طريق الإسلام ؛ الموصل إلى الجنة ! (ويقولون) أي يقول المنافقون (ثم يتولى) يعرض (ليحكم بينهم) فيها عرض لهم من خلاف

بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مَّعْرُضُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَكُنْ لَّهُمْ
 الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ
 أُرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ
 أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا
 دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا
 وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤٦﴾ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَإِنَّ لَّهُ أَجْرًا كَثِيرًا ﴿٤٧﴾
 * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنِ أَمْرَتِهِمْ لَيْخْرَجَنَّ قُلُوبُ
 لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ
 أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
 وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
 إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٤٩﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

(إذا فريق منهم معرضون) عن هذه الحكومة
 يأبونها لأن الحق قد جانبهم ، والصواب قد
 باعدهم ؛ ولأن الرسول لا يقول إلا حقاً ،
 ولا ينطق إلا صدقاً (وإن يكن لهم الحق) أى فى
 جانبهم (يأتوا إليه) أى إلى الرسول عليه الصلاة
 والسلام ؛ لعلمهم أنه سيحكم لهم ؛ ما دام الحق
 معهم (مذعنين) طائعين مسرعين (أفى قلوبهم
 مرض) المراد بالمرض : الرغبة فى اغتيال
 الحقوق ؛ أو المراد به الكفر (أم ارتابوا)
 شكوا فى صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم
 ونيوته (أم يخافون أن يحيف) يجور ويظلم
 (بل أولئك هم الظالمون) الكافرون
 (إنما كان قول المؤمنين) أى الواجب على
 من يتصف بالإيمان (وأقسموا بالله) أى أقسم
 المنافقون (جهد أيمانهم) غايتها ونهايتها (لن
 أمرتهم) بالمخرج للجهاد (ليخرجن) معك
 (قل لهم) حينما يقسمون لك ، ويجهدون
 أنفسهم فى خداعتك (لا تقسموا طاعة معروفة)
 أى إن مبلغ طاعتكم وانقيادكم معروف لنا أيها
 المنافقون ، وقد أطلعنا الله تعالى على ما فى
 قلوبكم (إن الله خير بما تعملون) من طاعة
 باللسان ، ومخالفة بالجانان (فإن تولوا) تتولوا ؛

أى فإن تعرضوا (فإنما عليه ما حمل) من التبليغ إليكم ؛ وقد بلغ (وعليكم ما حملتم) من وجوب الإيمان
 والطاعة ؛ وقد كفرتم وعصيتم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض) وهو
 أمر ظاهر : فقد تم للمؤمنين فتح فارس والروم ، ودانت لهم البلاد والعباد (كما استخلف الذين من قبلهم)
 يعنى بنى إسرائيل : أهلك الله تعالى الجبارة بمصر والشام ؛ وأورثهم أرضهم وديارهم

(ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وأي تمكين أكثر من أن شاع الإسلام وذاع ، وملأ الأراضى والبقاع ، ولم تبق بقعة على وجه الأرض تخلو من الإسلام والمسلمين ؛ رغم محاربة الكافرين ، ومعاداة المضلين ؛ (وليدلتهم من بعد خوفهم أمناً) فقد كان السائر في الجاهلية لا يستطيع أن يمشى بضع خطوات ؛ مطشئا على نفسه ، أو ماله ؛ نجاء الإسلام فأحل الرثام مكان الحصاص ، والوفاق مكان الشقاق ، والحب مكان الكراهية ، والطف والحنان مكان البض والحقد ؛ (ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) الخارجون على ربهم (لا تحسبن الذين كفروا معجزين) أى لا تقدر على مؤاخنتهم والتيل منهم (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء) أى لا يجوز أن يدخل عليكم خدمكم ، ولا أطفالكم ؛ بدون استئذان في هذه الأوقات الثلاثة: وهى قبل صلاة الفجر ؛ لأنه وقت طرح ثياب النوم واستبدالها بغيرها ، وحين تخلعون ثيابكم لتناموا ظهراً ؛ لأنه وقت القائلة وتخفيف الثياب ، ومن بعد صلاة العشاء ؛ لأنه وقت التجرد من الثياب (ثلاث عورات لكم) أى هذه الأوقات المذكورة «ثلاث عورات لكم» لأنكم تحتاجون فيها إلى خلع الثياب ؛ وينبغك يبدو منكم ما تحرصون على ستره ، وتكرهون أن يراه أحد من الناس وقيل : أصل العورة من العار ؛ وذلك لما يلحق في ظهورها من العار والذممة (انظر آية ٨ من سورة النساء) (ليس عليكم جناح في ترك دخول خدمكم

٤٣٢

الجزء الثامن عشر

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيْمَكِنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
 وَلِيْلِدَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَّا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
 شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٠﴾
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
 تُرْحَمُونَ ﴿٥١﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
 وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا
 الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ
 تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظُّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ
 ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ
 طَوَّفُورٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
 الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ
 الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ

مبين

عليكم بغير استئذان ؛ في غير هذه الأوقات الثلاثة (ولا) حرج (عليهم) في دخولهم عليكم . وهذا الحكم قبل أن تكون للبيوت أبواب أو ستور ؛ أماعند وجود الأبواب أو الستر ؛ فالإذن واجب في كل الأوقات ، وسائر الحالات (طوافون عليكم بعضكم على بعض) يعنى الخدم يطوفون عليكم بجوائج البيت ، وتطوفون عليهم بطلب ما يلزمكم (فليستأذنوا) أى في كل الأوقات (كما استأذن الذين) بلغوا الحلم (من قبلهم) وهم الذين تناولتم الأحكام السابقة

بَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَالْقَوَاعِدُ
 مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْنَّ جُنَاحٌ
 أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجِينَ بِرِيبَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ
 خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ
 وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
 أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَبَاءَكُمْ
 أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ
 أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ
 أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ
 لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ
 بُيُوتًا فَسَلِّتُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَلِمَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبْرُوكَةً طَيِّبَةً
 كَذَلِكَ بَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٦﴾
 إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا

(القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا) وهن اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن . وم
 لذلك لا يطعمون في الزواج ولا يطلبنه ؛ بمد أن يلقن ما يلقن (غير متبرجات) التبرج : إظهار ما خفي من
 الزينة (وأن يستعفن) عن التبرج والتزين (خيرهن) في الدنيا ؛ لأنه موجب للاكابر
 والاحترام ، و «خيرهن» في الآخرة ؛ لأنه
 مدعاة لرضا الرب سبحانه وتعالى ! (ولا على
 أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أى بيوت
 أبنائكم ؛ لأن بيت الإنسان لا يحتاج إلى إذن
 ورفع حرج . ولأنه تعالى لم يذكر بيت الأبناء ؛
 وهو أولى البيوت بالأكل منه ؛ وعبر تعالى
 عنها بلفظ «بيوتكم» لأن بيت الابن ليس
 كبيت الإنسان فحسب ؛ بل هو بيته فعلا ؛
 قال صلى الله تعالى عليه وسلم «أنت ومالك
 لأبيك» (أو ماملتكم مفاتيحه) أى خزنتموه
 لغيركم ، وكنتم وكلاء على إدارته ؛ كناظرى
 الزراعات ، ومديرى المطاعم ، وأشباههم .
 ويجب - في هذه الحال - أن يكون المالك
 عالما بذلك . وقيل : إن هذا خاص بمن يقوم
 بعمله من غير أجر (أو صديقكم) أى ليس
 عليكم جناح في أن تأكلوا من بيوت من ذكره ؛
 ولو بغير حضورهم . هنا وقد يرتاح الإنسان
 في الأكل من بيت صديقه ؛ أكثر من راحته
 في الأكل من بيت نفسه ؛ فكم من حبيب ،
 أعز من القريب ؛ وكم من أخ لك لم تلده
 أمك ! و (ليس عليكم جناح أن تأكلوا
 جميعا) مجتمعين (أو أشتاتا) متفرقين (فإذا
 دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) بأن تقولوا :
 السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ؛ فإن الملائكة ترد عليكم . هذا إذا لم يكن بها إنسان (إنما المؤمنون)
 حقاً : هم (الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع) أى أمر هام يحتاج للإجماع : تحطبة
 الجمعة ، ودراسة الدين والقرآن

مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّا يَذْهَبُونَ حَتَّىٰ يَسْتَعِذُّوهُ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَعِذُّونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَمَاذَا
أَسْتَعِذُّوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَّنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ
لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٧﴾ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ
مِنْكُمْ لِرِوَادَا فَيَحْذَرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ
فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَافِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ
فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

(٢٥) سُورَةُ الْفُرْقَانِ مَكْتَبَةٌ

الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فديتة
وآياتها ٧٧ نزلت بعد ديس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ

(تجملوا دعاء الرسول) أى نداءه (كدعاء
بعضكم بعضا) بأن تقولوا : يا محمد . بل قولوا :
يا نبي الله ، يا رسول الله ! (قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم لوإذا) أى يخرجون مستخفين
متسترين ؛ يلوذ بعضهم ببعض (فليحذر الذين
يخالفون عن أمره) أى يخالفون أمر الرسول
عليه الصلاة والسلام ، أو أمره جل شأنه
(أن تصيبهم) بسبب هذه المخالفة (فتنة)
عذاب ، أو زلازل وأحوال ، أو سلطان
جائر (قد يعلم ما أتم عليه) «قد» للتحقيق ؛
أى قد علم (فينبئهم بما عملوا) من خير
فينبئهم عليه ، ومن شر فيأخذهم به .

(سورة الفرقان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك) تعالى وتقدس وتنزه ا أو هو من
البركة ، وهي الخير كل الخير ا (الذى نزل
الفرقان) القرآن ؛ وسمى فرقانا ؛ لأنه يفرق
بين الحق والباطل (على عبده) محمد (ليكون
للعالمين) الجن والإنس ؛ و «العالمين» جمع العالم . والعالم : الخلق كله

(ولم يتخذ ولداً) كما تزعم النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) كما زعم المشركون (وخلق كل شيء بقدره تقديرًا) بحيث لا يزيد عن الحاجة ، ولا ينقص عنها (انظر آية ٥٠ من سورة طه) (واتخذوا من دونه آلهة) هي الأصنام (ولا نشورا) أي بعتا للأموال ؛ وهذه جميعها يملكها مبدع الأرض والسماوات ؛ فهو تعالى وحده خالق الخلق ومالكهم ، وهو جل شأنه القادر على إيقاع الضر ، وإيصال النفع ، وإحداث الموت والحياة والنشور (وقال الذين كفروا إن هذا ما هذا القرآن (إلا إنك) كذب (افتراه) اختلقه محمد (وأعانه عليه) ساعده على اختلاقه (قوم آخرون) زعم المشركون أن بعض من آمن بمحمد من اليهود كانوا يعاونونه في اختلاق القرآن (فقد جاءوا) بقولهم هذا (ظلمًا وزورًا) كفرًا وكذبًا ؛ إذ كيف يؤمن به قوم يعلمون علم اليقين كذبه وافتراءه ؟ وكيف يعقل أن هذا القرآن المعجز من صنع البشر ، ومن جنس كلامهم ؟ (انظر آية ٢٣ من سورة البقرة) (وقالوا أساطير) أكاذيب (الأولين) المتقدمين (اكتتبها) طلب من غيره كتابتها له (فهي تلى) قرأ (عليه بكرة وأصيلًا) أول النهار وآخره . أي صباحًا ومساءً (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض) أي الذي يعلم ما خفي فيهما . ولما كان القرآن الكريم حاويًا لكثير من المفيات ؛ التي يستحيل على البشر علمها ؛ كان ذلك دليلًا على نزوله من لدن عالم السر والنجوى (وقالوا) من جهلهم وغيابهم (مال هذا الرسول يأكل الطعام) كأننا كل (ويعشى في الأسواق) طلبًا للمعاش ؛ كما عشى (لولا) هلا (أنزل إليه ملك) من السماء (فيكون معه نذيرًا) يصدقه فيما يبلغه عن ربه (أو يلقى إليه كثر) يقنيه عن المشى في الأسواق ، ويجعله من الأغنياء الذين ينظر إليهم بين الإكبار والاعتبار (أو تكون له جنة) بستان (وقال الظالمون) الكافرون (إن) (تبعون إلا رجلاً مسحورًا) مخدوعًا ، مغلوبًا على عقله

نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ يَخْذُ
وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
قَدْرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَأَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلهَةً لَا يَخْلُقُونَ
شَيْعًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَفْكٌ أَفْتَرْتَهُ وَأَعْلَمُ عَلَيْهِ قَوْمٌ عَاصِرُونَ
قَدْ جَاءَ وَظَلَمْنَا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ
اَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ
الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ
وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ
نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ
مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾

(انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الأمثال) فوصفوك بالسعور ، والمحتاج إلى مال ينفقه ، وإلى ملك يؤده ؛ وهذه الأمثال التي ضربوها ، والأكاذيب التي اخترعوها ؛ ما أرادوا بها إلا التوصل إلى تكذيبك ، والحط من شأنك (فضلوا) عن الهدى (فلا يستطيعون سيلا) إلى الإيمان ؛ وكيف يهديهم الله تعالى وقد ضلوا وأضلوا ؛ (وأعدتنا) أعدتنا وهياناً (سموا لها تقيظاً) غلياناً ؛ كما يقل صدر الغضب الغيظ (وزفيراً)

الجزء الثامن عشر

٤٣٦

صوتاً شديداً . أو المعنى : رأوا لها تقيظاً ، وسموا لها زفيراً ؛ لأن التقيظ لا يسمع ؛ أو هو وصف لحزنها (وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً) أي إذا ألقوا في مكان ضيق منها ؛ وجهه تضيق على واردتها - رغم سعتها ، وقولها «هل من مزيد» - ليكون ذلك الضيق من جملة العقاب الواقع بهم (مقرنين) مسلسلين في الأغلال ؛ قرنت أيديهم وأرجلهم (دعوا هناك نبوراً) أي هلاكاً ؛ كقول المصاب : وامصيتناه ؛ فيقال لهم (لا تدعوا اليوم نبوراً واحداً وادعوا نبوراً كثيراً) لأن الهلاك قد أحاط بهم من كل جانب (قل) للمشركين يا محمد - بعد وصف ما أعدده الله تعالى لهم من عذاب ألم - (أفلك) العذاب (خير) لمن يحمل به (أم حنة الخلد التي وعد المتقون) بها ، وأعدما الله تعالى لهم (كانت لهم جزاء) نواباً على أعمالهم (ومصيراً) مرجحاً ؛ يصيرون إليه ؛ فضلاً من ربهم ورضواناً (كان) ذلك الجزاء (وعداً) وعده الله تعالى عباده المتقون (مستولاً) يسأله من وعده به : «ربنا وآتنا ما وعدتنا» ويسأله الملائكة «ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم» (ويوم يحشرهم) أي يحشر المشركين (وما يعبدون) من الأصنام ، أو من الملائكة ، والإنس والجن (فيقول) تعالى للمعبودين (قالوا) أي

انظر كيف ضربوا لك الأمثال فصلوا فلا يستطيعون سيلاً ١ تبارك الذي إن شاء يجعل لك خيراً من ذلك جنت تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ٢ بل كذبوا بالساعة وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ٣ إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تقيظاً وزفيراً ٤ وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك نبوراً ٥ لا تدعوا اليوم نبوراً واحداً وادعوا نبوراً كثيراً ٦ قل أذلك خير أم حنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيراً ٧ لهم فيها ما يسأون وخالدون كان على ربك وعدا معلوماً ٨ ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ٩ قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى

نموا

الأصنام ؛ ينطقها الله التي أطلق كل شيء . أو المراد بما يعبدون : ما يعقل : كالملائكة ، وعيسى ، ومحمد (سبحانك) تعالى وتقدس عما قالوا ، وما فعلوا (انظر آية ١ من سورة الإسراء) (ما كان ينبغي لنا) ونحن المعبودون لهم (أن نتخذ من دونك أولياء) نوابهم وركن إليهم ؛ فكيف نضلهم ، ونطلب منهم أن يعبدوا من دونك ؟ (ولكن متعتهم وآباءهم) بسعة الرزق ، وطول العمر

(حتى نسوا الذكر) تركوا شكر نعمتك ؛ حتى استوجبوا قمتك (وكانوا قوماً بوراً) هلكت ؛ أو هو كالأرض البور : الفاسدة التي لا تجود بالنبات (فقد كذبوا) أي كذبتكم الآلهة التي تزعمونها ، وتبرأت منكم (فما تستطيعون صرفاً) دفماً للعذاب عنكم (ولا نصراً) ولا أحداً ينصرمك على الله ، وعنكم عذابه الذي قضاه لكم (ومن يظلم) يشرك (ليأكلون الطعام) كما تأكل (وعشوت في الأسواق) كما تمشي ؛

فلست بدءاً من الرسل ؛ بل أنت واحد منهم (وجعلنا بعضكم فتنه) أي بلية : ابتلى

الفقير بالغني ، والمريض بالصحيح ، والوضيع بالشريف ؛ فيقول الفقير : مالي لا أكون غنياً ؛ ! ويقول المريض : مالي لا أكون صحيحاً ؛ ! ويقول الوضيع : مالي لا أكون شرفاً ؛ ! وذلك الابتلاء لينظر تعالى

(أتصبرون) على ما ابتليتم به ، أم تكفرون ؟ (وكان ربك بصيراً) بعباده ، عالماً بما سيؤول إليه أمرهم وحالمهم (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) لا يؤمنون بالآخرة (لولا) حلاً

(وعتوا) طغوا (يوم يرون الملائكة) يوم القيامة ؛ لأنهم لا يرونهم إلا يومها ؛ ويومذاك (لا بشرى يومئذ للكافرين ؛ بل لهم العذاب والحزى والحمران) ولا تكون البشرية إلا لصالحى المؤمنين (ويقولون) أي يقول الملائكة (حجراً محجوراً) أي حراماً محرماً

أن يبشروا أو يدخل الجنة ؛ إلا من قال : لا إله إلا الله ، وقام بحقها . وقيل : هو من قول الكافرين ؛ بمعنى : عوداً معاذاً ؛ يستعيدون من الملائكة الذين يدفعونهم إلى جهنم ، ويدعونهم إلى نارها (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) أي إنا لا نقيم لحسنات الكفار وزناً يوم القيامة (وأحسن مقيلاً) أي

متزلاً ؛ وهو المكان الذي يقال فيه ؛ أي ينام وقت القبولة ؛ وهي منتصف النهار (ويوم تتشقق السماء) تتشقق (بالنمام) قيل : تتشقق السماء عن غمام أبيض ؛ وهو المعنى بقوله تعالى «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام» (ونزل الملائكة) من أمكنتها وسماواتها (نزيراً) بأمر ربها (الملك يومئذ الحق) أي الملك الحقيق ؛ الذي فيه الرفع والحفض ، والإمراز والإذلال ؛ وليس كملك الدنيا وملوكها ؛ الذين لا حول لهم ولا طول (ويوم يعض الظالم على يديه)

أنا وحسرة ونما

نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ لَمَّا نَسَيْتُمْ حِصْنَ صَرَفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴿٣﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلِيكَةُ أَوْ تَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلِيكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٦﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ جَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴿٧﴾ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٨﴾ وَيَوْمَ نَسْفُكُ السَّمَاءَ بِالْقَمَرِ وَنَزَّلْنَا الْمَلٰٓئِكَةَ تَنْزِيلًا ﴿٩﴾ أَلَمْ يَكُن لِّيَوْمَئِذٍ الرَّحْمٰنُ وَأَنزَلَ الْمَلٰٓئِكَةَ تَنْزِيلًا ﴿١٠﴾ أَلَمْ يَكُن لِّيَوْمَئِذٍ الرَّحْمٰنُ وَأَنزَلَ الْمَلٰٓئِكَةَ تَنْزِيلًا ﴿١١﴾ وَكَانَ يَوْمًا عَلَىٰ الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿١٢﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ

عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٦٦﴾
 يَنوَيْلَتِي لِيَتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانَا خَلِيلاً ﴿٦٧﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي
 عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ
 خَدُولاً ﴿٦٨﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا
 الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴿٦٩﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ
 الْمُجْرِمِينَ وَكُنِّي بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٧٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ
 لِنُتَبِّهَ بِهِ فُقَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٧١﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ
 بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٧٢﴾ الَّذِينَ
 يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُوءَ مَكَانًا
 وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٣﴾ وَإِنَّمَا آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا
 مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ﴿٧٤﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَىٰ الْقَوْمِ
 الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٧٥﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ

(يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً) طريفاً
 إلى الهدى (ليتي لم اتخذ فلاناً خليلاً) وفلاناً :
 هو الشيطان الموسوس : لانسياً كان أو جنياً
 (لقد أضلني عن الذكر) صرفني عن القرآن
 وما فيه من عظات ، وآيات بينات (وقال
 الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن
 مهجوراً) أى متروكاً والمراد ترك أحكامه ،
 أو ترك تلاوته والاتماظ به . وقيل : اتخذوه
 عداً للهجر والسخرية . والهجر : غش القول
 (وقال الذين كفروا لولا) هلا (نزل عليه
 القرآن جملة واحدة) لتأكد أنه منزل من
 عنده . قال تعالى رداً عليهم (كذلك)
 أنزلناه مفراً منجاً (لنثبت به فؤادك) تقوى
 قلبك بحفظه واستيما به ، وفهمه (ورتلناه
 ترتيلاً) أى بيناه تبيناً ، ونزلناه بتمهل وتؤدة
 (ولا يأتونك بمثل) يريدون به تكذيبك
 وإبطال أمرك (إلا جئناك بالحق) الدامغ
 لباطلهم (وأحسن تفسيراً) بياناً للأمر ؛
 وقد وصفهم الله تعالى بقوله (الذين يحشرون
 على وجوههم) يجررون عليها ؛ وفي هذا مثبته
 الإذلال والتعذيب (ولقد آتينا موسى الكتاب)
 التوراة . وقد شرع الله تعالى في تسلية رسوله

لَمَّا

الكرام عليه الصلاة والسلام ؛ بسرد تكذيب الأمم السابقة لرسولهم - كما كذبه قومه - وما حل بأقوامهم
 من تعذيب وتدمير ! (قلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) وهم فرعون وقومه من القبط ؛ فذهبوا إليهم
 برسالة ربهم وكتابه ؛ فكذبوها وأذوها ومن آمن بهما (فدمرناهم تدميراً) أهلكتناهم إهلاكاً

لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً
 وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ
 الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٧٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ
 الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ اتَّخَذْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ
 الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوَاءِ أَقْلَمَ يَكُونُوا يَرْتَدُّوا عَلَيْهَا
 لَوْلَا إِذْ يَرِجُونَ نُشُورًا ﴿٨٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَخِذُّونَكَ إِلَّا هُرُورًا
 أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٨١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ
 الْهَيْبَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ
 الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٨٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ
 هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٨٣﴾ أَمْ حَسِبُ أَنَّ
 أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ
 هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ أَلَمْ تَرَ لِكُلِّ رِيكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ
 شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٨٥﴾

(وجعلناهم للناس آية) عظة وعبرة (وأعدنا) أعدنا وهيانا (وعادا) قوم هود (وثمود) قوم صالح (وأصحاب الرس) الرس: البئر غير مطوية؛ وقد كانوا حولها وقت نزول العذاب فانهارت بهم؛ ولذا تسموا باسمها. وهم قوم شعيب عليه السلام (وقرونا) أمما (تبرنا) تتيبرا) أهلكتنا إهلاكا؛ من التبر: وهو الكسر والإهلاك (ولقد اتوا) أى ص كنفار مكة (على القرية التي أمطرت مطر السوء) السوء: العذاب؛ وهي قرية سدوم: أعظم قرى قوم لوط؛ وقيل: سدوم. وقد أهلكتها الله تعالى وأمطرها حجارة. وقد كانت قريش تمر بها في تجارتهم إلى الشام (بل كانوا لا يرجون نشورا) أى لا يؤمنون بالبعث (لولا أن صبرنا عليها) دنا وبقينا على عبادتها (أرأيت من اتخذ لهه هواه) أى نسي مولاه، واتبع هواه، واتقاد له في كل الأمور. قيل: كان الرجل في الجاهلية يمد الحجر؛ فإذا صبحجر أحسن منه: عبده وترك الأول (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) (لم تر لى ريك كيف مد الظل) بسط الظل الظاهر للبيان؛ ليتمتع به كل إنسان (ولو شاء لجعله ساكنا)

مستقراً لا تنسخه شمس. أو المراد بسكونه: منع الشمس من الطلوع (ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) أى على تحرك الظل؛ إذ أن الأشياء لا تعرف إلا بأضدادها؛ فلولا الشمس ما عرف الظل

ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٦٢﴾ وَهُوَ
 الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٦٣﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ
 مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْثَى كَثِيرًا ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ
 بَيْنَهُمْ لِيُبَذَرُوا فَاتَيْنَ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا أَكْفُورًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ
 شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٦٦﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكٰفِرِينَ
 وَجَهَنَّمَ بِهِ جِهَادٌ كَبِيرٌ ﴿٦٧﴾ * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ
 الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ
 بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِزًّا مَجْجُورًا ﴿٦٨﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ
 الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٦٩﴾
 وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ
 الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٧٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا

ونذيرًا ﴿٧١﴾

بما فيه ، والقتال عليه (وهو الذي مرج البحرين) جعلها متلاصقين مختلطين (هذا عذب فرات) شديد
 العذوبة (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة (وجعل بينهما برزخا) حاجزا (وجزرا مججورا) حائلا يمنع
 أحدهما عن الآخر (وهو الذي خلق من الماء) المني (بشرا) إنسانا (فجعله نسبا وصهرا) بات يتزوج ،
 ويتزوج ؛ فيناسب ، ويصاهر ؛ وبذلك ينتج وينجب من يناسب ويصاهر أيضا ؛ فلا تنقطع البشرية (وكان
 الكافر على ربه ظهيرا) أى معينا عليه أعداءه ؛ من شياطين الإنس والجن

ثم قبضناه أى قبضنا الظل المسدود
 (قبضاً يسيراً) خفياً بطيئاً ؛ بطلوع الشمس ،
 أو بزوالها ؛ حيث يقبض الظل ويتقلص ،
 ويحل محله الإظلام التام (وهو الذي جعل لكم
 الليل لباساً) أى ساتراً كاللباس (والنوم
 سباتاً) أى راحة . وقيل : موتاً : لأنه الموت
 الأصغر . قال تعالى « وهو الذي يتوفانا بالليل »
 (وجعل النهار نشوراً) أى ينشر فيه الخلق
 لطلب العايش ، أو هو كالبعث من الموت
 (وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي
 رحته) أى أرسل الرياح لتبشر الناس بالطر
 وسمى الطر رحمة : لأن به حياة النفس ،
 والأرض ، والنبات ، والحيوان (لنحيي به
 بلدة ميتة) جدباً ؛ لا نبات فيها (ونسقيه مما
 خلقنا أنعاماً) إبلًا وبقراً وغنماً (وأناسي) جمع
 لإنسان أو جمع لآسي (ولقد صرفناه) بيناه ؛
 والمراد به القرآن الكريم ؛ وقيل : المراد به
 الماء ؛ وليس بشيء ؛ وقد جاء ذكر القرآن
 في صدر السورة « تبارك الذي نزل الفرقان »
 وقوله « لقد أضلني عن الذكر » القرآن « بعد
 إذ جاءني » وقوله تعالى (وجاهدكم به) أى
 بالقرآن - لا بالهالة - والجهاد به : الأمر بالعمل

وَنَذِيرًا ﴿٤٤﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ شَاءَ
 أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٤٥﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي
 لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ
 خَبِيرًا ﴿٤٦﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَعَلْ بِهِ
 خَيْرًا ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ
 أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٤٨﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ
 فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٤٩﴾
 وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ
 أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٥٠﴾ وَعِبَادِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
 الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴿٥١﴾
 وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ لِلرَّيْبِ بُحْدًا وَيُقِيمُونَ ﴿٥٢﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
 رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٥٣﴾

(قل ما أسألكم عليه من أجر) أي على التبليغ (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) أي لا أطلب أجراً لي على التبليغ؛ إلا من شاء أن يتخذ طريقاً لرضات ربه؛ فينفق من ماله، ويتصدق بما آتاه الله! (وسبح بحمده) هو قول: سبحان الله، والحمد لله! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «كلماتان حبيتان إلى الرحمن، خيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم!» (وكني به بذنوب عباده خبيراً) عليهما؛ فيجازيهم عليها (ثم استوى على العرش الرحمن) استواء يليق به؛ وليس كاستواء المخلوقين؛ لأن الديان يتقدس عن المكان، وتعالى المعبود عن الحدود! (فأسأل به) أي عنه؛ والباء تكون بمعنى عن؛ إذا اقتضى السياق ذلك. ونظيره قوله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع» أي عن عذاب. ومعنى «فأسأل به» أي أسأل عما ذكر من خلق السموات والأرض، والاستواء على العرش (خبيراً) أي خبيراً بملك؛ وهو الله تعالى «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» وقال بعض الأجلة: «فأسأل به خبيراً» أي أسأل عن الرحمن «خبيراً» وهم مؤمنوا أهل الكتاب؛ وقد كان المشركون أنكروا على الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك الاسم الكريم عند نزول قوله تعالى «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى» وقد وصف الله تعالى ما حدث منهم بقوله جل شأنه (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا) مستكبرين (وما الرحمن) ألسنت تزعم أن ما تدعونا إليه إلهاً واحداً! (أنسجد لما تأمرنا وزادهم) ذكر الرحمن (نفوراً) على نفورهم، وكفراً على كفرهم (تبارك) تعالى وتزه وتقدس الله (الذي جعل في السماء بروجاً) وهي اثنا عشر (انظر آية ١٦ من سورة الحجر) (وجعل فيها سراجاً) يضيؤها؛ وهو الشمس (وقرأ منيراً) يبر الأَرْض عند طلوعه، ويهدي السائر والمساافرين.

هذا وقد ولع أقوام باكتشاف القمر؛ ولم تقف أطعاهم عند حد النظر؛ بل أرادوا أن يلجوه، ويسبروا غوره، ويعرفوا ما وراءه. وزعم بعضهم أنه سيرسل صاروخاً يفجر به جزءاً من القمر؛ ليكون هذا التفجير طريقاً إلى اكتشافه. وما رأينا فيما رأينا، ولا سمعنا فيما سمعنا حقاً يعدل هذا الحق، ولا جهلاً يوازي هذا الجهل! فإننا لو افترضنا جدلاً أن الوصول إلى القمر بالطريق التي يرسومونها، ومن اليسر بالدرجة التي يتوهمونها؛ فهل من الحكمة، وهل من السداد أن يحطم الإنسان ما يريد أن يكتشفه ويتفجع به؟! وماذا يكون الحال لو ثبت أن في هذه الكواكب سكاناً عقلاء، وأنت هؤلاء السكان قد بلغوا

من العلم ما بلقا ، وأنهم قد رغبوا فيما رغبنا فيه ؛ من اكتشاف بعض الكواكب القريبة منهم - كالأرض مثلا - فإذا بنا نفاعاً يوماً ما بصاروخ موجه إلى الأرض من القمر ، أو سكان الزهرة ، أو المريخ ؛ وإذا بنا في لحظة من اللحظات وقد طاحت القارة الأمريكية ، أو الأوروبية ، أو غيرها من القارات ؛ في سبيل استكشاف سكان بعض الكواكب للكوكب الأرضي ؟

أليس في هذا من الحمق والحرق ما يكفي لأن نفل يد من يقول بذلك ويعمل في سبيله ، وأن تلقى به في غياهب البيارستانات ؛ حتى يترد إليه عقله ، وشوب إليه رشده !

الجزء التاسع عشر

٤٤٢

وإذا سرنا وراء السائرين ، وقلنا مع القائلين : بأن الإنسان سيبلغ القمر لا محالة ، وأنه سيسكنه ويستعمره في بضع سنين ؛ فالفائدة التي تعود على بني الإنسان من سكني القمر أو سكني بعض الكواكب ؟ ولنفترض أننا قد وصلنا إليه الآن فصلا ؛ فهل يصلح لسكنانا ؛ وإذا افترضنا صلاحيته للسكني ؛ فهل تقف مطامع الإنسان عند هذا الحد ، أو يشمر عن ساعد الجدة ؛ فيسعى للوصول إلى الزهرة فالمريخ - وقد طمع من الآن في ولوجهما ، وبدأ في قياس أبعادهما ، وطريق الوصول إليهما - وما نحن أولاء قد وصلنا إلى القمر وسكنناه ، وإلى المريخ فاستعمرناه ، وإلى الزهرة فاسكنناه ؛ فهل تقف المطامع إلى هذا الحد ؛ أم تتصاعد إلى عطارد ، فالشترى ، فزحل !

وآخر المطاف قد يفكر الإنسان في ولوج الشمس ؛ ليسبر غورها ، ويكشف لثامها ؛ ولم لا : ألم يتغلب على سائر الأجواء ، ويملك الأرض والسماء ؛ ! فإن كانت الشمس قطعة من النيران ؛ فإنه يستطيع حتماً مكافئتها بما أوتي من حذق وعلم ؛ فليأخذ كل صاعد إلى الشمس آلة صغيرة بما أعد لإطفاء الحرائق ؛ فيعيش في النيران ، كما يعيش النعم في الجنات !

إِنَّمَا سَاعَتُ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٧٠﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٧٢﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿١٧٣﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٧٤﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿١٧٥﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿١٧٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْبَرُوا عَلَيْهَا سُمًّا وَعَيْبَانًا ﴿١٧٧﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿١٧٨﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَجْوَةً

وَسَلَامًا ﴿١٧٩﴾

وإذا ملك الإنسان الكواكب واستعمرها - كما يزعم - فهل يقف عند ذلك ؛ أم يقبل ناظره إلى العرش والكرسي ، وإلى الملك اللانهائي ؛ فيطمع في معرفة حدوده وأركانه ونحوه ؛ وكيف نشأ الكون ؛ وكيف بدأ ؛ وكيف صنع ؛ ومن هو هذا الصانع ؛ وأين هو ؛ هل إلى لقاءه ؛ بل إلى محاربهته ؛ ألم تنكر وجوده ؛ ألم تنكر بحقيقته ؛ ألم تقل : لا إله إلا المادة ، ولا خالق إلا الطبيعة ، ولا رازق إلا السعي ، وأن مخلوقات إنما خلقت من لا شيء ، والموجودات وجدت من غير شيء ؛ وما هو الكون قد جنبناه ، والملكوت قد حصرناه ؛ فأين يوجد ما تزعمون أنه الله ؛ !

== فإياهاذا الأحق الأخرق : لقد وصلت إلى درجة من الفهم ؛ ما كنت لتعقلها لولا ما وهبك الله تعالى من عقل ، ووصلت إلى درجة من العلم ؛ ما كنت لتعلمها لولا هداية العزيز الأكرم ، الذى «علم الإنسان مالم يعلم» فقد استطعت أن تقيس سرعة الصوت والضوء ، وأن تحسب تنقلات الشمس والقمر فى بروجهما ، وتحديد زمن كسوفهما وخسوفهما ؛ وشأن كليهما وتأثيره فى الحيوان ، والنبات ، والجماد .
وقد أدركت - بما علمك الله تعالى - بعض القوانين الكونية ، وكثيراً من الأسرار الطبيعية !

كل ذلك قين بهدایتك إلى خالقك وموجدك ، وجدير بإنباتك له وتعبدك !
ولكنك أيها الإنسان - كشأنك دائماً - جحود كنود(١) فقد جعلت هذه الفتوحات الربانية باباً لكفرك وتكذيبك ، ومصدراً لإلحادك وعنادك ؛ ولم تقل : جل الصانع ، وتبارك الخالق ! بل قلت : ما أجل الطبيعة وأبدعها ! أليست هى مصدر الكون ، وأصل الحياة ؟ وما الكون إلا وليد الصدفة ، وما الإنسان إلا وليد الطبيعة !

فيا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم ؛ الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ماشاء ربك ! اعلم أن الذى أدركته وملكنه واستعمرته : لا يعدل قطرة من بحر ملك ربك الزاخر ، وأن معاملته من الكواكب ، وما أدركته من صفاتها ومقوماتها ؛ إن هو إلا ذرة فى مجموعة من النجوم - لا تستطيع أن تحصيها ولو أضفت إلى عمرك أعمار النور ، وأضفيت على نفسك قوى الجابرة والمخالفة - وهذه النجوم مجتمعة - ما عرفت منها ومالم تعرف - إن هى إلا ذرة فى مجموعة أخرى ؛ لا يحيط بها العلم ، ولا يدركها الهم ؛ وهكذا هكذا بغير انتهاء !

واعلم أنك - وقد استوتبت خلقاً ، وأوتيت علماً وفهماً ، وسلطك الله تعالى على ما هو أكبر منك جسماً ، وأشد مراساً ؛ من مخلوقاته - لو سلط عليك قليلاً من التل لأهلكك ، أو ربحاً من الرمل لأنتك ! وهاهو الميكروب الذى عرفته ، وبما أنك الله تعالى من علم اكتشفته : لو سلطه الله تعالى عليك لجهلك كالمصف الماء كؤل ؛ كما فعل بأصحاب الفيل !

فيا أختى فى الإنسانية ، وعدوى فى اللادينية : نب إلى رشدك ، وقف عند حدك ، والزم أدبك ؛ واعلم أن نفسك ليست بأخس من التل ، ولا بأحق من الحديد فى حافر البقل ؛ وهما لا يوجدان بغير موجد ، =

وَسَلِّمًا ﴿٢٦﴾ خَلِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٢٧﴾
قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ
فَتَوَفَّيْكُمْ يَوْمَ الْوَأْتِيَةِ ﴿٢٨﴾

(٢٦) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ مَكِّيَّةٌ
الآيَةُ ١٩٧ وَحِينَ ٢٢٤ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ لَدُنِي
وَأَيَّامُهَا ٢٢٧ نَزَلَتْ بَعْدَ الْوَأْتِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ
بِنِخَاعِ نَفْسِكَ الْآيَاتُ الْكُونِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَسَا نُنزِلُ
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْتَهُ
مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَاهٍ أَنْبَثْنَا فِيهَا

== ولا يكونان بغير مكون . فكيف توجد أنت - يلابس الحذاء ، وراكب البغل - بلا خالق ، وتأكل بلا رازق ، وتولد بلا مصور ، وتعلم بلا معلم ، وتبني بلا مربي ، وتحفظ بلا حفظ ، وتهدي بلا هاد ، وتفتي بلا مفتح ؟! كيف يفوتك ذلك وأنت الليب الأريب ؟! وقد أبان لك الله تعالى الطريقين ، وهذاك التجدين ؛ فاحذر يا أئني من الوقوع في براثن الشيطان ؛ لأنه لك عدو مبین ؛ ولأني لك لناصح أمين !

الجزء التاسع عشر

٤٤٤

ومن عجب أنت يتبرع أناس بأنفسهم ، ويضعون بأرواحهم ، ويطلبون أن يكونوا من بين المسافرين إلى الكواكب ؛ كأن السفر إلى الكواكب قد أصبح بين عشية وضحاها حقيقة ثابتة واقعة لا محالة . ومثلهم في ذلك كمثل من سعى إلى حتفه بظلفه ؛ فلن يبلغ الكواكب بالغ ، ولن يسافر إليها مسافر ! فكما أن أجواء أعماق البحار والأنهار غير صالحة لسكنى بني الإنسان - مع صلاحيتها لسكنى كثير من الحيوان - فإن أجواء الكواكب لا تصلح لسكناه ، أو لبقائه بضع دقائق على قيد الحياة ؛ كما أن الأرض لا تصلح لحياة ساكني البحار ، ولا ساكني الكواكب .

هذا وقد قال الحكيم العليم - في معرض التعجيز والتعدي - «يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان» أي بقوة عظيمة فاهرة ؛ وأني لكم ذلك ؟! «يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران» فإن استطعتم يامعشر البلهاء ؛ أن تلبثوا الكواكب فابلثوها ، وأن تصعدوا إلى النجوم فاصعدوا إليها ؛ فقد سبقكم إلى ذلك فرعون ؛ حيث قال لهامان : «ياهامان ابن لي صرحاً لعل أبلغ الأسباب : أسباب السموات ؛ فأطلع إلى إله موسى ولأني لأظنه كاذباً» فانهما سوى الخزي والحذان !

وما فرعون وهامان بأكفر ولا أحق

مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيُضَيِّقُ صَدْرِي وَلَا يَبْطِئُ لِسَانِي فَأَرْسَلْ لِي هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَكَمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَادْخُلْهَا بِأَخِيكَ إِنَّا مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَخْبَرَهُ فِرْعَوْنَ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسَلْنَا مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنَّا لَوَدِدْنَا فِتْنًا مِنْ عَمْرُكَ يَسِينُ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْبُحْرَانِ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكَ لَمَّا خَشَّكَ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا

علي

منك : فقد كذب بخالقه كما كذبتهم ، وأنكر إلهه كما أنكرتهم ؛ فأتم في الفعلة سواء ؛ كما أنك في الكفر أشقاء ؛ ولم يبق إلا أن تنزل بساحتكم الأرزاء ، وبجسومكم الأدوية ؛ وما لكم جميعاً إلى النار ، وبئس القرار ! فإياها الناس استجيبوا لقول خالق الناس ؛ واحذروا ما أعد له لكم من ناز ونحاس ؛ واحفظوا على أنفسكم أموالكم وعقولكم ؛ واعلموا أن استثمار الأنهار ، وسكنى قاع البحار ؛ أقرب إليكم من استثمار الكواكب وسكنها «فهل أنتم مثهون!» (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه) أي يخلف أحدهما الآخر (لن أراد أن يذكر) يتذكر ؛ فإن فاتته عبادة في أحدهما ؛ أدركها في الآخر (أو أراد شكوراً) أو أراد أن يشكر ربه . هنا وشكره تعالى باللسان: أقل مراتب الشكر؛ وإنما يكون الشكر بالعبادة ، والصدقة ، =

= والصيام ، والقيام ا (انظر آية ١٥٢ من سورة البقرة) (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً) أى متواضعين ، هينين ؛ بدون كبر ، ولا مرح ، ولا بطرا (وإذا خاطبهم الجاهلون) بسفهمهم : قابله بمعلمهم ؛ و (قالوا سلاماً) أى قالوا قولاً يسلمون به من الإثم الذى وقع فيه الجاهلون (إنت عذابها كان غراماً) أى هلاكاً لازماً ، ومغرملاً لا كسب فيه (والذين إذا أنفقوا) نفقة على أنفسهم وعيالهم (لم يسرفوا ولم يقتروا) أما إذا كان الإنفاق فى الصدقات ؛ فيستحب الإسراف فيه . قال صلى الله تعالى عليه وسلم «لا سرف فى الخير»

(وكان بين ذلك قواماً) أى عدلا بين الإسراف والتقتير ؛ وكفى بالمرء سرفاً : أى ينذل نفسه كل ما يتبغيه (ومن يفعل ذلك يلق أثماناً) أى جزاء الإثم . وأى إثم أشد من الإسراف ، والفرك ، وقتل النفس ، وارتكاب الزنا (ويخلد فيه مهاناً) أى يخلد فى العذاب خلوداً أديماً لا اقتضاء له ا (انظر آية ٩٣ من سورة النساء) (إلا من تاب) عن الإسراف ، والمصيان ، والقتل ؛ قبل أن يدرك الموت وأسبابه (وآمن) بالله إيماناً يقيناً (وعمل) عملاً صالحاً) وذلك لأن الإيمان لا يتم إلا بالعمل الصالح إبد أن بين الله تعالى المواقف المهلكات ، وذكر جزاءها ؛ وهو الخلود فى النار : ذكر إيماناً من أكبر الآثام وأشدها : وهو شهادة الزور (والذين يشهدون الزور) ولا يخفى ما فى شهادة الزور من ضياع للحقوق ، وإتلاف للأموال ، وإفساد للضمائر ؛ إلى غير ذلك من إهدار للدماء ، وفشو للجرائم ! وشهادة الزور : من أكبر الكبائر! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فجلس - وقال : ألا وشهادة الزور ، ألا وشهادة الزور ، ألا وشهادة الزور ا» كبرها ثلاثاً ؛ لمزيد قبحها ، وفادح شرها ا هذا وقد كان قدما

عَلَى أَنْ عَجِدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١﴾ قَالَ فَرَحُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿٣﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمِعُونَ ﴿٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ قَالَ إِنْ وَصَّوْكَمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَتَمَجِّنُونَّ ﴿٧﴾ قَالَ رَبُّ الشَّمْسِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٨﴾ قَالَ لَيْنَ أَخَذَتْ إِلَيْهَا غَيْرِي لِأَجْحَشَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُرِينَ ﴿٩﴾ قَالَ أَوْلَوْجُنَّتْ بَنِي مُوسَى ﴿١٠﴾ قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُسِينٌ ﴿١٢﴾ وَزَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنْ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١٦﴾ يَا تَوَكُّ

المصريين يحكمون على شاهد الزور بالقتل (وإذا مروا باللغو) أى بالفحش ، وكل ما يبنى أن يلغى وطرح . والمعنى : وإذا مروا بأهل اللغو (مروا كراماً) أى معرضين عنهم (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم) أى قرئ القرآن ، أو ذكروا بما فيه (لم يخروا عليها صما وعمياناً) أى بل يسمعونها ، ويتبصرون فيها ؛ ليصلوا بها (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين) بأن يكونوا طامنين لك ولنا ، مشفقين منك وعلينا . وقررة العين : هدوؤها واستقرارها بالاطمئنان ؛ أو هو من القر : وهو البرد ؛ لأن دمع السرور : بارد ، ودمع الحزن : ساخن . ولنا يقال فى الداء : أقر الله عينك ، وأسغن عين عدوك ا (واجعلنا للمتقين إماماً) أى قدوة يقتدى بنا فى الخير (أولئك) الموصوفون بما ذكر (يجزون) =

== على صنيعهم وقولهم هنا (الفرقة) هي واحدة الغرفات ؛ وهي أعلى الجنات ؛ ومنه قوله تعالى «وم
في الغرفات آمنون» وقيل: الفرقة: الدرجة العليا (بما صبروا) أي جزاء صبرهم على الطاعات ، وعن المعاصي
(قل) يا محمد لكفار مكة (مايماً) ما يكثر (بكم رب لولا دعاؤكم) له في الملمات والشدايد ؛ فيكشفها عنكم ؛
لأبناً لألوهيته وربوبيته ؛ وتسجيلاً لمدولكم عن الإيمان إلى الشرك ، وكفركم بربكم ؛ بعد إنجاتكم
وإغاثتكم ؛ قال تعالى «فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم بيشركون»

الجزء التاسع عشر

٤٤٦

«فقد كذبتم» بالقرآن والرسول (سوف يكون
لزاماً) أي سوف يكون تكذيبكم هذا لزاماً
لكم ؛ تجزون به ، وتعاقبون عليه ؛ أو سوف
يكون العذاب ملازماً لكم !

(سورة الشعراء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طس) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(لعلك يا خبيث تفك) أي قاتلها حزناً وعملاً
(إن نشأ نزل عليهم من السماء آية) أي إن
نشأ إيمانهم قسراً : نزل عليهم من السماء
برهاناً وحيجة ، ومعجزة ظاهرة (فظلت
أعناقهم لها خاضعين) أي فظل رؤسناؤهم
ومقدموم ، أو جعائهم لها منقادين . وجاء
في اللغة : الضيق : بمعنى الرئيس ، أو الجماعة
(وما يأتيهم من ذكر) قرآن (من الرحمن
محدث) جديد بالنسبة إليهم ؛ قديم بالنسبة
لنزله تعالى :

آيات حق من الرحمن محدثة

قديمة صفة الموصوف بالقدم

(فقد كذبوا) بربهم وآياته ورسله (فسياؤهم
أبناء) عواقب (من كل زوج) صنف من
الشار والأزهار ، والمطوم والمشوم (كريم)
حسن نقيس (إن في ذلك) الإنبات (آية)

دالة على وحدانيته تعالى ، وكمال قدرته (ويضيق صدري) من تكذيبهم لي (ولا ينطق لساني) في حاجتهم .
قيل : كانت به ثقة تمنحه من الانطلاق في الكلام (فأرسل إلى) أختي (مهرون) أي اجعله معي رسولا
إلى فرعون وقومه (ولهم على ذنب) هو قتله للقبلي (انظر آية ١٥ من سورة القصص) (قال) تعالى
(كلا) لا تخافا (فاذهبا بآياتنا) بمججنا الدالة على صدقنا ووحدانيتنا (قال) فرعون لموسى ؛ حين قال
له «إنا رسول رب العالمين ، أن أرسل معنا بني إسرائيل» (ألم نربك فينا وليداً) أراد فرعون أن يذكر
موسى بتفضله عليه بالتربية ؛ ولم يعلم اللعين أن الله تعالى هو ربه ومربيه (وفعلت فطنتك التي فطنت) المراد
بالفطنة : قتله القبلي (وأنت من الكافرين) بتريتي لك ، ونعمتي عليك (قال فعلتها إذا) أي حيثئذ =

بِكُلِّ نَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١٧﴾ يَجْمَعُ السَّحْرَةَ لِيَمْقِنْتَ يَوْمَ

مَعْلُومٍ ﴿١٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿١٩﴾ لَعَلَّنَا

تَلْبِيعُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ

قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَهِنَ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٢١﴾

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لِمَنِ الْقُرْبِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ

الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُقْبُونَ ﴿٢٣﴾ فَالْقُوا جِهَابَهُمْ وَعَصَبَهُمْ وَقَالُوا

بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٢٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ

عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَلْقَىٰ السَّحْرَةَ

سَاجِدِينَ ﴿٢٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ

وَهَارُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ عَاسِمٌ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَكَ اللَّهُ

كَبِيرٌ كَرُّ الَّذِي عَلَيْكَ السَّحْرُ فَلَسَوْفَ تَعْمَلُونَ لَأَقِطَنَّ

أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صُلْبَكُمْ أُجْعِينَ ﴿٢٩﴾

قَالُوا لَا ضَرَرَ إِيَّاكَ رَبِّنَا مِنْقَلِبُونَ ﴿٣٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ

إِنْ

== (وأنا من الضالين) أى لم أكن بعثت ، ولم تأتني الرسالة بعد (فوهب لى ربي حكماً) أى علماً غزيراً ؛ أستطيع بواسطته الحكم على الأشياء حكماً صحيحاً (وتلك) القالة التى تقولها ؛ من أنك ربيتى وليداً ، وأيقنتى بينكم سنين من عمري (نعمة) حقيقة (عنها على) ولكن ما قيمتها بعد (أن عبدت بني إسرائيل) وأذلتهم ؛ وفى ذلك إزدلال لى أيضاً ؛ لأن كرامة النوع الإنسانى لا تتجزأ (قال) موسى لفرعون (أولو جثتك بئسء ميين) بمجزأة ظاهرة بينة (قال) فرعون (فأت به) أى بهذا الشيء الميين (إن كنت من الصادقين)

فى دعواك (فأتى) موسى (عصاه) التى كان ممسكاً بها فى يده يتوكأ عليها (فإذا مى ثعبان ميين) ضخم عظيم (ونزع يده) أخرجها من جيبه (فإذا مى بيضاء للناظرين) تسطع نوراً يفتشى الأصار ؛ وليس بياضاً كبيض البرص (قال) فرعون (للإل) الذين (حواله) من شيعته ، المؤمنين بربوبيته (إن هذا) يعنى موسى عليه السلام (أرجه وأخاه) أن أرجئهما وأخرهما (وابت فى المدائن حاشرين) جامعين (فجع السحرة لمقات) لوقت (يوم معلوم) هو وقت الضحى من يوم الزينة (قالوا لفرعون أئمن لنا لأجراً) عندك (إن كنا نحن الغالين) لموسى (قال لهم موسى) أى قال للسحرة (ألقوا ما أتم ملقون) من السحر (فألقوا) جبالهم وعصيهم) يغيل لى موسى أنها حيات تسمى (وقالوا) حينما ألقوا ما ألقوا (بعزة فرعون) مولانا وإلهنا (تلقف) تتبلع (ما يافكون) ما يزورون من تخييل الجبال والمعنى أنها حيات . فلما رأى السحرة ما فعله موسى بسحرم ، وعلموا أن ما جاء به ليس بسحر ؛ لأن البحر : تبق معذاته وأدواته ، ولا تمحى ؛ وقد لقت عصاه جبالهم وعصيهم ، ولم يبق أثر لها (فأتى السحرة) على وجوههم (ساجدين) لرب موسى وهارون ؛ بعد أن كانوا يقولون «بعزة فرعون إنا نحن الغالبون»

وأصبح من يستعين بهم فرعون : عوناً عليه ، لا عوناً له ؛ فأسقط فى يد اللعين ، وحل به الخزي والعار فى عقر داره ، وبين أهله وأصهاره . وحينئذ (قال) مخاطباً سحرتة (ءامتم له) أى هل آمنتم لموسى (قبل أن آذن لكم) بالإيمان (إله) أى موسى (لكيكم الذى علمكم السحر) أراد أن يوم قومه أن سحر موسى من جنس سحر السحرة ؛ كيف لا : وقد أحال موسى عصاه حية ؛ كما أحالوا جبالهم وعصيهم حيات . وفاته أن السحرة - وهم أدرى الناس وأعلمهم بالسحر - قد علموا أن ما جاء به موسى ليس بسحر ؛ وإنما هو من صنع فاطر الأرض والسموات ! (قالوا لا ضير) لا ضرر (إنا لى ربتنا منقلبون) راجعون إليه ؛ فيجزئنا على ما نقتل بنا خير الجزاء ! لقد آمن السحرة إيماناً صحيحاً يقينياً ، ووثقوا بالبعث والحساب ، =

أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾
 * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِيَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٣٨﴾
 فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ هَذَا لَوَلَاءُ
 لَشِرْذِمَةٍ قَلِيلُونَ ﴿٤٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ﴿٤١﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ
 حَافِدُونَ ﴿٤٢﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٣﴾
 وَكُنُوزٍ وَمَقَابِرَ كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي
 إِسْرَائِيلَ ﴿٤٥﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْجُمُعَاتُ
 قَالَ اصْحَبْ مُوسَىٰ إِنَّ لِمَدْرُودٍ ﴿٤٧﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ
 رَبِّي سَيَّئِرِينَ ﴿٤٨﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ
 الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٤٩﴾
 وَأَزَلَفْنَا لِمَ الْأَخْرِينَ ﴿٥٠﴾ وَأَمْجَيْتَنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ
 أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٥٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ

== والثواب والعقاب ؟ يدل على ذلك قولهم (إنا نطمع) بإيماننا وإنا بننا (أن يفر لنا ربنا خطاباً) التي ارتكبتها حال كفرنا (أن) أي بأت (كنا أول المؤمنين) من شيعتك (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي) أي سربهم ليلا (إنكم متبعون) سبتمكم فرعون وجنوده ؛ بقصد إهلاككم والقضاء عليكم (فأرسل فرعون في المداين) التابعة له (حاشرين) جامعين لقوات جيشه ؛ فأثلا لهم (إن هؤلاء) يقصد موسى ومن آمن معه (لشردمة) طائفة قليلة (ولأنهم لنا لماظنون) اعترف عدو الله بالجزى والنذلة ؛ وأن المؤمنين

الجزء التاسع عشر

٤٤٨

قليلون ؛ غير أنهم له غاظنون ! وسيرى يوم القيامة النذل الأكبر ، والجزى الأعظم ، والغيظ الأعم ؛ حين يقدم قومه يوم القيامة ؛ فيوردم النار ، وبئس الورد المورود ! (ولنا لجميع حاذرون) متيقظون (فأخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) أنهار جارية ؛ ظاهرة للعيان (وكنوز ومقام كريم) المقصود بها أرض مصر ؛ ولا يخفى ما اكتشف فيها حتى الآن من الكنوز الزاهرة التي خلقها الفراغة . والمراد بالمقام الكريم : الدور الرقيقة ، والقصور المشيدة ؛ التي كانوا يقيمون فيها ، ويعروحون في جناتها (وأورتهاها بنى إسرائيل) أي ملكنا بنى إسرائيل مصر وما فيها من «جنات وعيون وكنوز ومقام كريم» بعد إغراق فرعون وقومه (فأتبعوم مشرقين) أي وقت شروق الشمس أو توجهوا جهة المشرق (فلما تراءى الجمعان) أي رأى كل فريق منهما الآخر (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) أي سيبركنا حتما فرعون وأصحابه ، ويقضون علينا (قال) موسى ؛ مطمئنا لوعده بياجيائه (كلا إن مى ربى) بعونه وإرشاده (سيهدين) إلى ما ينجيني . وحين وثق موسى بربه ، وتأكد من نصرته ومعونه : أمده الله تعالى بالقوى التي لا تقاوم ، وبالنصر المؤزر الذي لا يدافع ؛ وأوحى ربه

الرَّحِيمِ ﴿٧٧﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٨﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظُلُّ لَهَا عَصِيبًا ﴿٨٠﴾ قَالِ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٨١﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا وَكَدَّاكَ يَفْعَلُونَ ﴿٨٣﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٨٤﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٨٥﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٨٧﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٨٨﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٩﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٩٠﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٩١﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٩٢﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٩٤﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٩٥﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٩٦﴾

يوم

إليه (أن اضرب بعصاك البحر) فضربه (فانفلق) الماء عن الأرض اليابسة (فكان كل فرق كالطود) كالجبل (وأزلنا) قربنا (ثم) هناك (الآخرين) فرعون وقومه (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) بمرورهم على الأرض ؛ بعد انحصار الماء عنها (ثم أغرقنا الآخرين) لأنهم تبعوا موسى في الطريق الذي سار فيه ؛ فأمر الله تعالى البحر فأطبق عليهم ؛ فأغرقهم عن آخرهم (إن في ذلك) الإنجاء والإهلاك (آية) لعبدة لمن يعتبر (قالوا نصد أصناما فنظف لها عاكفين) أي على عبادتها مداومين (فأنهم) أي الأصنام التي تعبدونها (عدول) لا أعبدكم مثلكم ، ولا أوليهم (إلا رب العالمين) فاني أعبده ؛ لأنه خالق ومالك ورازق ؛ وهو السميع العليم . النافع الضارا (والذي أطمع) أرجو (أن يفرل خطيئتي يوم الدين) يوم الجزاء ؛ =

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٤٤٩﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
 سَلِيمٍ ﴿٤٥٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٥١﴾ وَبُرُزَّتِ
 الْجَعِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٤٥٢﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٤٥٣﴾
 مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكَ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٤٥٤﴾ فَكَبِكُوا
 فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٤٥٥﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أُجْمَعُونَ ﴿٤٥٦﴾
 قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥٧﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِي ضَلَالٍ
 مُبِينٍ ﴿٤٥٨﴾ إِذْ نَسُوكَ رَبِّ الْعَالِينَ ﴿٤٥٩﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٦٠﴾ قَالْنَا مِنْ شَنْفَعِينَ ﴿٤٦١﴾ وَلَا صِدْقَ
 جِيبِهِ ﴿٤٦٢﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٦٣﴾
 إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٦٤﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٦٥﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٦٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٦٧﴾
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤٦٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٤٦٩﴾

= وهو يوم القيامة . واستغفار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : تواضع منهم لربهم ، وتعليم لأمتهم ؛ أو هو لذنوب سلفت منهم قبل اختيارهم ، واضطلاعهم بمهام الرسالة ؛ وخطاياهم - إن صح أن لهم خطايا - لا تندو الصفات العفو عنها ؛ إذ أنهم عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الكبائر حتماً (رب هب لي حكماً) علماً يقيني الخطأ والزلل (وأخفني بالصالحين) بمن تقدمني من الأنبياء (واجل لي لسان صدق) أى ثناء وذكرأ حسناً (في الآخريين) فيمن يأتي بعدى إلى يوم القيامة ! وقد استجاب الله تعالى دعاءه ، وجعل له

ذكرأ حسناً إلى يوم الدين : فلا يصلى مصل إلا إذا صلى عليه في صلاته ، ولا يؤمن مؤمن إلا إذا آمن بنبوته واعترف بفضله ، وأنبى عليه الثناء كله : اللهم صل على سيدنا محمد ، كماصليت على سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم في العالمين ، إنك حميد مجيد ! (ولا تخزن) لا تقضخى (يوم يعثون) فإعجاباً لإبراهيم خليل الله تعالى ونيبه - بل قدوة أنبيائه - وصاحب الملة الحنيفية : يدعوره ويسأله ألا يفضح يوم القيامة ! ونحن وحالنا كما لا يخفى : إيمان قاصر ، وعمل فاجر ، ورياء وثفاق ، وخصومات وشقاق ؛ ونظن أن لنا يوم البعث القدر الأعلى ، والقدح العلى ! فإلماً أيها المسكين إلى ربك بالدعاء واجأر إليه بالرجاء ؛ عسى أن يكتبك في عداد الناجين ، الفائزين ، المقبولين ! (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) من الشرك ، والتفاق هو الحقد «سليم» بالإيمان ؛ لأن قلب الكافر والمنافق : مرضى ؛ لقوله تعالى «في قلوبهم مرض» (وأزلت الجنة) قربت ، وهيئت ، وأعدت (وبرزت الجحيم) أظهرت (لغاوين) الكافرين ، المالكين (فككبوا فيها) طرح بعضهم على بعض في الجحيم (م والغاوين) أى ككب الآفة - وحى الأصنام - «والغاوين» وهم الكافرون

(وجنود إبليس أجمعون) وهم أتباعه ، ومن أطاعه ؛ من الجن والإنس (تالله) قسم فيه معنى التعجب (إن كنا) في الدنيا (لنرى ضلال مبين) . ظاهره ، بين (إذ نسويكم) أيها الشياطين ؛ في الطاعة والعبادة (رب العالمين) الذى ينفع ويضر ، ويحيى ويميت (فلو أن لنا كرامة) أى لو أن لنا رجعة إلى الدنيا (فنكون من المؤمنين) الناجين (إن في ذلك) المذكور ؛ من مجادلة إبراهيم لأبيه وقومه ، وذكر ما أعده الله تعالى للمؤمنين ؛ من نعم مقيم ، وللكافرين من عذاب أليم ؛ إن في ذكر ذلك جميعه (آية) عظة وعبرة

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١٠١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٢﴾ * قَالُوا أَنْتُمْ
 لَكُمْ وَاتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴿١٠٣﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿١٠٤﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١٠٥﴾
 وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾
 قَالُوا لَيْنَ لَدُنِّيهِ يَنْشُوعُ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١٠٨﴾
 قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١٠٩﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا
 وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٠﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ
 فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ﴿١١١﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١١٢﴾
 إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١١٤﴾ كَذَبَتْ عَادُ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٦﴾
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٨﴾

وما

(قالوا أتؤمن لك واتبك الأردلون) السفلة
 والرعاع (قال وما علمي بما كانوا يعملون)
 أي لست أعلم بما كانوا يعملون ؛ وغاية علمي
 أنهم آمنوا وكفرتهم ، وصدقوا وكذبتم ،
 وأطاعوا وعصيتهم ، واهتدوا وضللتهم ؛ وهذه
 هي ظواهرهم ؛ وليس لي أن أطلع على سرايرهم
 (إن) ما (حسابهم إلا على ربي) فهو عالم السر
 وأخفى (لو تشعرون) لو تعلمون (لنكونن
 من المرجومين) المقتولين بالحجارة (افتح
 بيني وبينهم) أي احكم بيني وبينهم حكماً .
 وحكمه جل شأنه: عدل كله ، وصواب كله !
 فكأنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه طلب
 إهلاك الكافرين ، وإنجاء المؤمنين (فأنجيناها
 ومن معه في الفلك المشحون) السفينة المملوءة
 (كذبت عاد المرسلين) عبر القرآن الكريم
 بصيغة الجمع « المرسلين » لأن مكذب الرسول
 الواحد : مكذب لسائر من تقدمه من الرسل

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١٧٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٧٨﴾
 وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٧٩﴾ وَإِذَا بَطِنتُمْ
 بَطِنتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٨٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٨١﴾ وَاتَّقُوا
 الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ
 وَجَنَّتْ وَعُمُورٌ ﴿١٨٣﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
 عَظِيمٍ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوَعِّظْتُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْنَا مِنْ
 الْوَعْظِينَ ﴿١٨٥﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولَىٰ ﴿١٨٦﴾ وَمَا نَحْنُ
 بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٨٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَّا الْوَعَزِيزُ
 الرَّحِيمُ ﴿١٨٩﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٩٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
 أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَالَاتِقُونَ ﴿١٩١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٩٢﴾
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٩٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ

(وما أسألكم عليه) أى على التبليغ (أتبنون بكل ريع آية تعبتون) كانوا يبنون بكل مكان مرتفع برجاً يجلسون فيه ، ويسخرون بمن يمر بهم من المؤمنين (وتتخذون مصانع) قصوراً ، أو حصوناً (وإذا بطنتم) يضرب أو قتل (بطنتم جبارين) من غير رافة ولا رحمة (واتقوا الذى أمدكم بما تعملون) أنعم عليكم بالنعم الظاهرة ؛ التى تحسونها وتعملونها ؛ وفسرها تعالى بقوله (أمدكم بأنعام) تركبوت عليها ، وتأكلون من لحومها ، وتشربون من ألبانها ، وتكتسبون من أوبارها وأشعارها (وبين) أى وأمدكم بينين يعاونونكم ، وتقر بهم أعينكم (وجنات) يساتين ؛ يرحون فيها ، وتعمون بفاكهتها (وعيون) أنهار جارية ؛ تراها العين (إني أخاف عليكم) إن بقيتم على حالكم من الكفر ، والظلم ، والبطش (عذاب يوم عظيم) فى الدنيا بالاستئصال ، وفى الآخرة بالعذاب الأليم المقيم ! (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فإنا لا نتبعك ، ولا نستمع لوعظك (إن هذا) ما هذا الذى نحن فيه (إلا خلق الأولين) عادة الأولين وطبعهم «نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر» (وما نحن بمعذبين) أو المعنى : ما هذا الذى تقوله ، وتأمرنا به ؛ إلا أكاذيب الأولين واختلافهم ؛ يؤيده قراءة من قرأ «خلق الأولين» (فكذبوه) أى فأصروا على تكذيبه (فأهلكناهم) بالريح ؛ قال تعالى «وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية» (إن فى ذلك) الإهلاك (آية) عظة وعبرة (وما كان أكثرهم مؤمنين) فكانوا من الهالكين ؛ ولم يؤمن بهود إلا قليل ؛ أنجاهم الله معه (كذبت ثمود المرسلين) لأن تكذيبهم لرسولهم صالح : تكذيب لمن سبقه من المرسلين (إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون) الله ، وتخشون باسه ؛ فتؤمنون به (وما أسألكم عليه) أى على التبليغ

إِنَّ أُجْرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ أَتَرَكُونَ فِي مَاهِنَهَا
 ءَامِنِينَ ﴿١١٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١١٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ
 طَلَعَهَا هَظِيمٌ ﴿١١٨﴾ وَتَجْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١١٩﴾
 فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٢١﴾
 الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا
 أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٢٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ
 بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا
 شَرْبٌ وَلَكُرْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٢٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ
 فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبِرُوا
 نَدِيمِينَ ﴿١٢٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
 أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِزٌ الرَّحِيمُ ﴿١٢٩﴾
 كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ
 أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ

(أتركون فيما ههنا) أى في الدنيا ، وفيما أنتم
 فيه (أمينين) من سوء والعذاب ؟ وقد كانوا
 معمرين ؛ يدل عليه قوله تعالى «واستعمركم
 فيها» (في جنات) بساتين (وعيون) أنهار
 (وزروع) وهو كل ما يزرع (ونخل طلعا)
 ثمرها (هظيم) لين ؛ كالرطب ، أو هش نضج
 (وتجتون من الجبال بيوتا فرهين) نشطين
 حاذقين ؛ ومن قرأ «فرهين» أراد بطرين
 متكبرين (ولا تطيعوا أمر المسرفين) الكافرين
 (الذين يفسدون في الأرض) بالملصحي (قالوا)
 إنما أنت من المسحورين (الذين غلب على عقولهم
 السحر ؛ والمراد به : نسبة عليه السلام إلى
 الجنون (فأنت آية) معجزة تدل على صدقك
 (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء
 للشرب (فمقروها) ذبحوها . عقروها واحد
 منهم ؛ ونسب المقر لجميعهم : لأنهم رضوا عن
 فعله ؛ فكان جزاؤهم جزاءه (فأخذهم العذاب)
 بالرحفة ، أو الصبحة ؛ التي طفت عليهم ؛
 فأهلكوا جميعا . قال تعالى «فأما نوحا فأهلكوا
 بالطاغية»

وَأَطِيعُونَ ﴿٤٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
 عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾
 وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
 قَوْمٌ عَادُونَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَنْ نَمْنَعَكَ مِنَ الْفَالِقِينَ ﴿٥٠﴾
 رَبِّ الْمَخْرُجِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ إِنِّي لَمَعْلَمٌ مِنَ الْقَالِينَ ﴿٥٢﴾ رَبِّ
 تَحِيَّتِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٥٤﴾
 إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْبِ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَنْخِرِينَ ﴿٥٦﴾
 وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٧﴾ إِنْ فِي
 ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥٩﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٠﴾
 إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
 أَمِينٌ ﴿٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
 عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾

(أتأتون الذكران) اللواط (وتذرون)
 تتركون (عادون) معتدون ؛ باتهاكم
 حرمت الله تعالى ، وإتيانكم مالا يجمل !

هذا وحكم اللواط: كحكم الزنا ؛ ألا ترى
 أن الله تعالى وصف اللاطين هنا بالعدوان
 « بل أنتم قوم عادون » ووصف الزانين بقوله
 « فأولئك هم العادون » فوجب أن يقام الحد
 على اللاط ؛ كما يقام على الزاني . وذهب قوم
 إلى وجوب إلقائه من حلقه ! (انظر آية ٧ من
 سورة المؤمنون) (لتكوتن من المخرجين)
 المطرودين (قال لاني لعلمكم) لفسقكم (من
 القالين) المفضين (إلا عجزوا في الغابرين)
 الباقين في العذاب ؛ ومى امرأته : أهلكتها
 الله تعالى فيمن أهلكت (ثم دمرنا) أهلكتنا
 (وأمطرنا عليهم مطرا) أمطرهم الله تعالى
 حجارة . قيل : إن جبيل عليه الصلاة والسلام
 خسف الأرض بقرية قوم لوط ، وجعل عاليها
 سافلها ، وأمطر من كان منهم خارج القرية
 بالحجارة (وإن ربك هو العزيز) الغالب الذي
 لا يغلب ؛ المنتقم من أعدائه (الرحيم) بعباده
 وأوليائه ؛ فلا يحلمهم مالا طافه لهم به ؛ ولا يؤاخذهم بذنوب غيرهم ! (كذب أصحاب الأيكة) هم قوم شعيب
 عليه السلام ؛ و« الأيكة » : الفيضة ؛ ومى مجتمع الشجر

(ولا تكونوا من المخسرين) الذين ينقصون الناس حقوقهم ، أو الذين خسروا أنفسهم وآخرتهم (وزنوا بالفضاس) الميزان (ولا تبخسوا) لا تنتقصوا (ولا تمشوا) الشئ: أشد الفساد (والجيلة) الخليفة (قالوا إنما أنت

الجزء التاسع عشر

٤٥٤

من المسحرين) الذين اختلط عقولهم ، وغلب عليهم السحر (فأسقط علينا كسفاً) قطعاً (من السماء) وهذا كقولهم «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» (فأخذهم عذاب يوم الظلة) هي سحابة أظلمت بعد أن عذبوا بالحر الشديد سبعة أيام ؛ فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها ، ظالمين في بردها ومائها ؛ فأمطرتهم ناراً: فاحترقوا عن آخرهم . قيل : كان لمدين ستة ملوك ؛ يسمون : أبجد ، هوز ، حطى ، كلن ، سغص ، قرشت ؛ وقد وضعت العرب الكتابة العربية على عدد حروفهم ؛ بعد زيادة ستة أحرف ؛ جموها في ثمخذ ، ضنطع . وكان رئيسهم : كلن . هلكوا جميعاً - فبين هلك - يوم الظلة ؛ وقد رنت ابنة كلن أباهما بقولها :

كلن هدم ركني هلكه وسط المحلة
سيد القوم أتاه ال حنط ناراً وسط ظله
جملت ناراً عليهم دارهم كالضحالة
(وإنه) أى القرآن الذى يكذبون به (لتنزيل رب العالمين) العالمين : جمع العالم ، والعالم : الملقب كله ؛ من لانس وجن ، وطير ووحش (نزل به الروح الأمين) جبريل عليه السلام : أمين وحى الله ا (وإنه لنى زبر

• أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٣٦﴾
وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْمَسْتَقِيمِ ﴿١٣٧﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ﴿١٣٨﴾ وَأَنْفُوا
الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحِيلَةَ الْأُولَىٰ ﴿١٣٩﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ
الْمُسْحَرِينَ ﴿١٤٠﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ
لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٤١﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٢﴾ قَالَ رَبِّ اعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٣﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ
يَعْرَمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٦﴾ وَإِنَّهُ
لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٧﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٤٨﴾
عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُبِينٍ ﴿١٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَنى زُبُرِ الْأُولَىٰ ﴿١٥١﴾ أُولَئِكَ يَكُنْ لَهُمْ

بَيِّنَاتٌ

الأولين) كتبهم . أى إن القرآن ثابت مذكور في الكتب السماوية المتقدمة (أولم يكن لهم آية) علامة على صدقك

(أن يطمه) يعلم هذا القرآن ، ويعلم أنه منزل من لدن ربك (علماء بني إسرائيل) الذين آمنوا بالرسول عليه الصلاة والسلام : كعبد الله بن سلام ، وكعب الأجار ، وأضرابها ؛ وقد صاروا من علماء المسلمين . وقد قال قائل : ما من أمة إلا وعلماءها شرارها ؛ إلا هذه الأمة الحميدة : فإن علماءها خيارها ! فلينظر علماء الأمة الإسلامية اليوم إلى هذا القول ، وليدبروه ، وليجتهدوا أن يكونوا مصداقاً له . قال الصادق المصدوق ؛ عليه أفضل الصلاة وأتم السلام : « يؤقن بالرجل يوم القيامة ؛ فيلقى في النار ؛ فتندلق

آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٥٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٥٩﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٦٠﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦١﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ أَفِعْدَابِنَا يُسْمَعُونَ ﴿١٦٣﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿١٦٤﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦٥﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿١٦٦﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ إِلَّا مَنًا مُنذَرُونَ ﴿١٦٧﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٦٨﴾ وَمَا نَنْزَلُ بِهِ السَّيِّئَاتِ ﴿١٦٩﴾ وَمَا يَنْسِفُ لَّهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿١٧٠﴾ لَأَنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُونَ ﴿١٧١﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمَعْدُوبِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٧٣﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

أقتاب بطنه ؛ فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى . فيجتمع إليه أهل النار ؛ فيقولون : يا فلان ، مالك ! ألم تكن تأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ؛ قد كنت آمر بالمعروف ولا آتبه ، ونهى عن المنكر وآتته « وفي رواية : « أول أهل النار دخولا : عالم يلقى في النار . . . الحديث » (ولو نزلناه على بعض الأعجمين) جمع أعجم ؛ وهو الحيوان ؛ لأنه لا ينطق . وقيل : هو جمع أعجمي . وهو الذي لا يفصح وإن كان عربياً . وقرأ الحسن « الأعجمين » جمع أعجمي ؛ وهو الذي لا ينطق العربية (كذلك سلكناه) أى القرآن : أدخلناه (في قلوب المجرمين) الكافرين : سلكناه في قلوبهم ؛ بحيث يعقلونه - إذا أرادوا - ليس يعقل كل مافيه ؟ ! ويفهمونه - إذا رغبوا - ليس مغلولاً ، وواضحاً مفهوماً ؟ ! وذلك لأن تكذيبهم به - بعد دخوله في قلوبهم - أعظم كفراً ، وأشد وزراً ؛ من تكذيبهم لشيء لم يعلوه ، ولم يفهموه ، ولم يطرق لهم قلباً ، أو يقرع لهم لباً ؛ فإن المكذب بالحق بعد معرفته له : شر من المكذب لما لا يفقه ، ولا يعرف . وقد سلكه الله تعالى في قلوبهم : لإزمامهم ، وحجة عليهم ! لكنهم استكبروا استكباراً ، وأصرروا على كفرهم إصراراً : فلم يؤمنوا

بما سلكه الله تعالى في قلوبهم ، ويسره على أفهامهم . ونظيره قوله تعالى « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً » وقوله جل شأنه ؛ خطاباً للكفار « سيريك آياته تفرقونها » وقوله عز سلطانه « واقتد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون » وقوله عز وجل « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » وقول الحكيم المتعالي « وقلب أقدنتهم وأبصارهم كالم يؤمنوا به أول مرة » وقوله تعالى « إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديم الله » (لا يؤمنون به حتى يروا) بأعينهم (العذاب الأليم) الذي وعدوا به في الدنيا ، أو يوم القيامة ؛ فحينئذ يعلمون أنه الحق من ربهم ؛ حيث لا يجدى لإيمانهم ، ولا تنفع توبتهم ! وقد ذهب جل المفسرين - إن لم يكن كلهم - إلى أن المقصود بذلك : أن الله تعالى يسلك التكذيب =

== في قلوب الكافرين ؛ لينتهم من الإيمان . وهو قول بادي البطلان ، ظاهر الحسران ؛ يتناقى مع العدل المطلوب من بني الإنسان ؛ فما ظنك بالرحيم الرحمن ! أعدل العادلين ، وأحكم الحاكمين !

هذا ويؤيد ما ذهبنا إليه - وخالفنا المفسرين فيه - قوله جل شأنه في ختام هذا القول : «وما أهلكنا من قرية إلا الهما منذرون ، ذكرى وما كنا ظالمين» إذ كيف يرسل تعالى المنذرين ؛ وقد سلك تكذيبهم في قلوب الكافرين ؟ وكيف ينفي الظلم عن نفسه ؛ وما زعمه المفسرون هو الظلم المبين !

المسرة السبع عشر

٤٥٦

وكيف يتفق قول المفسرين ؛ وقول العزيز الحميد ، في كتابه الحميد «ولا يرضى لعباده الكفر» وكيف لا يرضاه ؛ وقد سلكه في قلوبهم ، وأجره في دماهم ١٩؟ وكيف يحول المولى سبحانه وتعالى بينهم وبين الإيماء ؛ وهو جل شأنه القاتل : «وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ؟ وكيف يؤمنون ، أو يهتدون ؛ وقد حال بينهم وبين الإيمان والاهتداء ؟ وحيل بينهم وبين ما يشتهون» .

ونحن إذا ما واقفنا المفسرين فيما ذهبوا إليه : احتجنا إلى تعليل قولهم تعليلاً مقبولاً ؛ بأن قول . إن سلوك التكذيب في قلوبهم : كان نتيجة لإصرارهم على الكفر ، وتعاميهم عن الحق ؛ رغم وضوح آيات الله تعالى ، وتواتر معجزاته ، وصدق رسالاته ؛ وقد وصف الله تكذيبهم بأشنع ما يوصف به المكذبون - من جهل وعناد واستكبار - فقد بلغ تكذيبهم : أن لو قرأ القرآن عليهم من لا يدريه ولا يفهمه ؛ بل ومن ليس في عداد الآدميين ؛ من الأعميين «ما كانوا به مؤمنين» فكان سلوك التكذيب في قلوبهم : عقوبة لهم على عنادهم ؛ كقوله تعالى «فلسا زاغوا أزاغ الله قلوبهم» فكانت الإزاعة عقوبة على الزيغ . وقوله جل شأنه «ويضل

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٥٦﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٤٥٨﴾ الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٥٩﴾ وَتَقْلِبُكَ فِي السُّجُودِ ﴿٤٦٠﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٦١﴾ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٤٦٢﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٤٦٣﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٤٦٤﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَبِيعُوهُمْ الْغَاوُونَ ﴿٤٦٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ ﴿٤٦٦﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَظْلَمِهِمْ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٤٦٨﴾

سورة

الله الظالمين» «وما يضل به إلا الفاسقين» فكان الظلم والفسق سابقان للاضلال ! وبغير الذي قلنا لا يستقيم المعنى الذي أراده الله ، ولا تتوافر القدسية الواجبة في حقه تعالى ! فليتأمل هذا ، وليعتبر به من كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد ! (انظر الآيات ٣٣ من سورة الرعد و ٨ من سورة فاطر و ١٨ من سورة الحج) (فيأتيهم العذاب بضعة بضعة فجأة منظرين) مؤجلون (ما كانوا يوعدون) به من العذاب (وما تنزلت به) أي بالقرآن (وأُنزِر) خوف يأمده (عشيرتك الأقرين) قومك وآلك ؛ لينذروا من حولهم ؛ فيكثر المسلمون ، وتم الدعوة الإسلامية . قال تعالى «لأنتمكم به ومن بلغ» أي ومن بلغه القرآن : ينذر به أيضاً (واخفض جناحك) لأن جانبك وتواضع (وتقلبك في الساجدين) أي ويرى تعالى تقلبك في الصلاة مع الصليين ==

= (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) أى تنزل بالوسوسة والإغواء والإفساد (تنزل على كل أفاك أنيم) كذاب، مرتكب للإثم. والمقصود: رؤساء الكفار والذين يزعمون معرفة الغيب (يلقون السمع) أى ان الشياطين تتسمم إلى اللإ الأعلى (وأكثرهم كاذبون) يقولون لأوليائهم مالا يسمعون. وأوليائهم: هم «كل أفاك أنيم» يزيدون على إفاك الشياطين إفاكاً، ويزدادون على لأئهم لأئماً! (والشراء يتبعهم الفاوون) ليس المراد بالشراء هنا: كل الشراء. بل أريد الفاوون منهم، والضالون: الذين يلوكون بألسنتهم أعراض الناس، ويتشددون بالإثم والنجور، وروجون للفسق والخور! أمان ارتقى منهم بشعره عن درك الفساد والإفساد؛ فقد يكون من أئمة الأتقياء، وخلاصة الفضلاء الأصفياء! وناهيك بأن منهم الامام البوصدى، وحسان بن ثابت: شاعر النبي! والامام ابن الفارض، والبرعى؛ وغيرهم ممن وقفوا قرآنهم وأشعارهم على ذكر الرحمن الرحيم، ومدح رسوله العظيم، ووصف كتابه الكريم! وهم الذين استثناهم الله تعالى بقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً واتصروا من بعد ما ظلموا) أى واتصروا لأنفسهم، أو لآخوانهم، أو لدينهم؛ من بعد ما ظلمهم الغير. ونظيره قوله تعالى «لا يجب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم؛ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم».

(٢٧) سُبْحَانَ الْمَلِكِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٩٣ نزلت بعد سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ① هُدًى
وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ② الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ③ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ زِينَتُهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ④
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ
الْأَخْسَرُونَ ⑤ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ
عَلِيمٍ ⑥ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنست نَارًا
سَاءَتِ كَيْفَ مِنْهَا يَحْبُرُ أَوْ أَنبئِكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ ⑦ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ

(سورة النمل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طس) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) بالقيامة،
والحساب، والجزاء (زينا لهم أعمالهم)
الفاسدة؛ ليزدادوا كفراً على كفرهم،
وطغياناً على طغيانهم (انظر آية ١٢٢ من

سورة الأنعام) (يعمهن) يترددون في ضلالهم (لهم سوء العذاب) أسوأه (وانك لتلقى القرآن) لتلقاه
وتتلقته (من لدن) من عند (حكيم) يحكم قوله وفعله وأمره! (عليم) بمصالح الناس وحاجاتهم! (إذ قال
موسى) أى واذكر قصة موسى؛ إذ قال (لأهله) امرأته (إنى آنست) أبصرت من بعيد (سأيتكم منها
يخبر) لأن النار الموقدة: دليل على وجود موقد لها؛ تستقى منه الأخبار، ويهتدى به إلى الطريق، ويستطعم
(بشهاب) شعلة مضيئة (قبس) القبس: كل ما يقبس؛ من حجر، وجذوة، ونحوها (لعلكم تصطلون)
تستدفئون من البرد (فلما جاءها) أى جاء موسى النار التي توهمها (نودى) من حيث لا يعلم من أين يأتيه
النداء، ولا يعلم صفته، ولا كنهه: نداء ولا صوت! (أن) بأن (بورك) بارك الله (من في النار) من الملائكة

وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ يَمْشُونَ
 إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١﴾ وَالَّذِي عَصَاكَ فَلَمَّا
 رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعَقِّبُ يَمْشُومَنِ
 لَا يَخْفَى لِيَّ لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٢﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ
 ثُمَّ بَدَّلْ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ وَأَدْخِلْ
 يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي نِسْعٍ
 ءَأَيْتٌ لِّلْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِذْهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿١٤﴾
 فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾
 وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فَأَنظِرْ
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ
 وَسُلَيْمَانَ عَلِمًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ
 مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْبِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴿١٨﴾

(ومن حولها) موسى . وهي تهيئة من الله
 تعالى لكليمه عليه الصلاة والسلام (وسبحان
 الله) تزيه وتقدس ا (انظر آية ١ من سورة
 الإسراء) ونودي (ياموسى إنه أنا الله العزيز)
 القوى ، القالب ، الذى لا يظلم (الحكيم)
 الذى يضع الأمور في مواضعها ، ويمد لكل
 شيء عدته ا (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها
 جان) حية (ولى مدبراً) أسرع راجعاً (ولم
 يعقب) لم يرجع ؟ فتاداه ربه تعالى (ياموسى
 لا تخف لى لا يخاف لدى المرسلون) وكيف
 يخافون في موطن الأمن والسلامة ؟ ا (إلا
 من ظلم نفسه) منهم بالزلل (ثم بدل حسناً بعد
 سوء) كآدم ، ويونس ، وداود ،
 وسليمان ؟ عليهم السلام ا فإنهم يخافون ؟
 رغم رضائ عنهم ، ومفترقى لهم ، وتوبتى
 عليهم . وقيل : «إلا من ظلم» من غير
 الأنبياء ؛ لأن الأنبياء لا يظلمون (وأدخل
 يدك في جيبك) الجيب : فتحة الثوب مما يلي
 العنق (من غير سوء) من غير مرض : كبرص
 ونحوه (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) أى ظاهرة
 بينة (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) أى
 أنكروها بالاستهتة ؛ لشدة كفرهم وعنادهم ،

واستيقنتها قلوبهم ؛ لما رآوه من صحتها ، وصدقها ، ووضوحها ا (انظر آية ٢٠٠ من سورة الشعراء)
 (وورث سليمان داود) في النبوة والعلم ؛ دون سائر أبنائه (وأوبينا من كل شيء) المراد به كثرة
 ما أوتى من الملك ، والعلم ، والنبوة

إِنَّ هَذَا لَهَوُ الْفَضْلِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ وَحِشْرَ لَسْلِمَيْنِ
 جُنُودَهُ مِنَ الْحَرْنِ وَالْإِيسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٢﴾
 حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَتَأَيَّهَا النَّمْلُ
 أَذْهَلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي
 أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ
 صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٤﴾
 وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
 الْفَأْسِقِينَ ﴿٥﴾ لَأَعْلَبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
 أَوْ لِيَأْتِنِي سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ فَكَتَبَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
 أَحَطْتُ بِمَا لَمْ حِطُّ بِهِ ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ يَبْلُغِينَ ﴿٧﴾
 إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
 عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٨﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ

(وحشر) جمع (يوزعون) يحبس أولهم
 على آخرهم ؛ ليكونوا مجتمعين طوع أمره
 وإرادته (وادي النمل) هو واد كثير النمل
 (قالت نملة) قيل : لأنها ملكتهم . هذا وقد
 أثبت العلم الحديث : أن للنمل ملكة يأتمر
 بأمرها ، وينتهي بنهيها (انظر آية ٣٨ من
 سورة الأنعام) (لا يحطمنكم) لئلا يحطمنكم .
 والحطم : الكسر . ومن هنا تعلم أن القوى
 قد يهلك الضعيف من حيث لا يشعر ، وأن
 الضعيف يجب أن يعد عدته ، ويأخذ أمته ؛
 لتوق ضرر القوى (وقال رب أوزعني) ألهني
 (أو لأذبحنه) ليكون عبرة لغيره ؛ ممن يستكبر
 عن أمرى . هذا وقد رسمت هذه الكلمة في
 المصحف الإمام هكذا «لا أذبحنه» بصيغة النفي .
 وساق علماء الرسم في سبيل إثبات صحة هذا
 الرسم التلات ، وبنلوا ما وسعهم من الجهد
 ليحولوا دون الحقيقة المجردة ؛ وهي لا تعدو
 خطأ كاتب ، أو زلة مل . وفي موضوع هجاء
 المصحف العثماني ورسمه ، وعدم وجوب التقيد
 به ، مزيد بيان ؛ فانظره إن شئت في كتابنا
 «الفرقات» (بسلطان مبين) بحجة ظاهرة
 (فكت) سليمان وقتاً (غير بعيد) فجاء
 الهدهد (فقال) حين سأله سليمان عن سبب تخلفه عن مجلسه
 (أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبيل) وهي
 قبيلة بالين ، أو هو اسم مدينة بها ؛ تعرف بجأرب (إني وجدت امرأة تملكهم) هي بلقيس بنت شراحيل
 (وأوتيت من كل شيء) تحتاجه الملوك : من الجند ، والبرية ، والذخيرة ، والظلمة ، والقوة (ولها عرش
 عظيم) سرير كبير من ذهب ، مرصع بالجواهر والياقوت ؛ كانت تجلس عليه للحكم

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
 السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ
 الْغَبَّاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
 تُعْلِنُونَ ﴿١٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٨﴾
 * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٩﴾
 أَذْهَبَ يَكْتُمِي هَذَا فَأَقْبَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَوْلَ عَنْهُمْ فَانظُرْ
 مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٠﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَنزِلُ
 إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا ﴿٢١﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٢﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتَوْهُنَّ مِنْهُنَّ مَبْرُورًا
 قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً
 أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٢٣﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةٍ وَأَوْلَا بِاسِ
 شَدِيدِ الْأَمْرِ إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَتْ إِنَّ
 الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَ أَهْلِهَا

أذلة

(الجبء) المحبوه ، المستتر من الأنظار (في
 السموات) من الماء (و) في (الأرض)
 من النبات والكنوز (اذهب بكتابي هذا فألقه
 إليهم) وفي هذه القصة : تعلم لنا من الله تعالى
 باستخدام الطير في حمل الرسائل ، ولذا وفق
 الناس لاختيار الحمام الزاجل (ثم قول) انصرف
 (عنهم) وكن قريباً منهم ؛ بحيث ترام
 ولا يرونك (فانظر ماذا يرجعون) يجيبون
 على كتابي . فلما قرأت بلقيس خطاب سليمان :
 جمعت وجوه قومها ، وأشرفهم ، وقادتهم ؛
 و(قالت) لهم (يا أيها الملأ) أي التي لي كتاب
 كريم) يؤخذ من هذا : أن بلقيس كانت
 تحكم قومها حكماً «ديموقراطياً» وأنه كان
 لها مجلس للشورى «برلمان» والقرآن لم يورد
 هذه القصة عبثاً ؛ بل ليرشدنا إلى الطرق
 الدستورية ، والنظم الشورية (ألا تعلموا علي)
 لا تتكبروا عن طاعتي (وأتوني مسلمين)
 مؤمنين متقادين (ما كنت قاطعة أمراً حتى
 تشهدون) أي ما كنت ممضية أمراً حتى
 تحضرون . لم تأخذها العزة بالإثم ، ولم تفرها
 سطوة سلطانها ، وقوة جيشها ، وإخلاص
 شعبها ؛ لم يتمتع كل ذلك من استشارة رءوس

دولتها ، وكبراء مملكتها ، ومناقشتهم ؛ وقد تكون بلقيس أول امرأة في التاريخ يمثل هذا الخلق ، ويمثل
 هذا التدبير ، وهذه الحكمة (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية إذا دخلوا قرية) فاتحين غازين (أفسدوها) بالقسوة والبطش
 (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) لقد نظرت بلقيس بثاقب رأيها ، وعلمت أن الملوك الأقوياء ؛ إذا احتلوا بلاداً
 عنوة : أخذوا خيراتها ، وأذلوا أهلها واستعبدوهم

(وكذلك يفعلون) دائماً (وإني مرسله إليهم بهدياً) امتحاناً لهم ، ودرءاً لصلواتهم ؛ فحسب أن يكونوا طلاب مال ؛ فقتلهم هدينا عن إيماننا (فناظرة بما يرجع المرسلون) من أخبارهم (فلما جاء الرسل سليمان) ورأى ما يحملون من هدايا ، وأموا ، وتحف ،

ونفائس ؛ تفوق العد والحصر (قال) لرسول بلقيس (أتمدون بما آتاني الله) من الإسلام ، والملك ، والعلم ، والنبوة (خير مما آتاكم) من المال وحده (بل أنتم) لا أنا (بهديتكم تفرحون) والتفت سليمان إلى رئيس وفد بلقيس قائلاً له (ارجع إليهم بهديتكم) فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أي لا طاقة لهم على مقابلتهم ومقاتلتهم (ولنخرجهم منها) أي من بلادهم (أذلة وهم صامرون) الصغار ؛ شدة الذل . ثم التفت سليمان إلى خاصته ووزرائه ؛ من الإنس والجن (قال يا أيها الملأ أئكم يأتي بعرشها) الذي رآه المهدهد ، ووصفه لي : «ولها عرش عظيم» (مسلمين) طائعين منقادين (قال عفريت من الجن) العفريت ؛ هو القوى ، الواسع الحيلة ، النافذ الأمر ، الشديد الدهاء . و«الجن» المستتر . من جنه الليل ؛ إذا ستره . و«جن الليل» ظلمته (قبل أن تقوم من مقامك) أي من مجلسك هذا (قال الذي عنده علم من الكتاب) قيل : إنه ملك سخره الله تعالى لسليان . وقيل : إنه جبريل عليه السلام . وقيل : هو وزيره آصف بن برخيا ؛ وقد كان يعلم اسم الله الأعظم ؛ الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى (قبل أن يرتد إليك طرفك) أي قبل أن

أذلة ۖ وكذلك يفعلون ﴿٤٦١﴾ وإني مرسله إليهم بهدياً
فناظرة بما يرجع المرسلون ﴿٤٦٢﴾ فلما جاء سليمان قال
أتمدون بما آتاني الله خيراً مما آتاكم بل أنتم
بهديتكم تفرحون ﴿٤٦٣﴾ ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود
لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صامرون ﴿٤٦٤﴾
قال يتأيب الملأ أئكم يأتي بعرشها قبل أن يأتوني
مسلمين ﴿٤٦٥﴾ قال عفريت من الجن أنا آتيتك به
قبل أن تقوم من مقامك ۖ وإني عليه لقوي أمين ﴿٤٦٦﴾
قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل
أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا
من فضل ربي ليبلوني ۖ أشكركم أشكر ۖ ومن شكر فإمناً
بشكر لنفسي ۖ ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴿٤٦٧﴾
قال تكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين

تعمس عينك ؛ والمراد به : المبالغة في قرب المدة (ليبلوني) ليختبرني (أشكر) على ما أنعم به علي (أم أكفر) فأنسى ذلك ، وأنسبه لنفسي ولجندي (ومن كفر فإن ربي غني) عن شكر الشاكرين ، وعبادة العابدين (كريم) في عطائه ؛ يفضل على من يشكر ، ومن يكفر ! (قال تكروا) أي غيروا

(فلما جاءت) بلقيس : أروها عرشها المستقر عند سليمان ؛ و (قيل) لها (أهكذا مرشك قالت كأنه هو) لم تجزم بأنه هو : لتراية وجوده في ذلك الزمان والمكان ، ولاستحالة حدوث ذلك عقلا . وذهب بعض المحدثين إلى أنه لم يكن ثمت سوى رسم العرش - لا العرش نفسه - واستدلوا على ذلك : بقول سليمان لها : «أهكذا عرشك» وقولها «كأنه هو» وهذا الرأي يأباه سياق النظم الكريم ؛ لقوله تعالى «فلما رآه

مستقراً عنده» وإلا فأين المعجزة الخارقة وأين

٤٦٢

الآية الظاهرة ؟ ! (وأوتينا العلم) هو من قول سليمان ؛ أي أوتينا العلم بأن الله تعالى على كل شيء قدير (من قبلها) أي من قبل هذه المرة ، أو «وأوتينا العلم» بمعيتها طائفة وإسلامها «من قبل» بمعيتها (وكننا مسلمين) متقادين لأمر الله ، طائعين له ! (وصدعنا) منعها عن عبادة الله تعالى (ما كانت) أي التي كانت (تعبد من دون الله) ويجوز أن يكون المعنى «وصدعنا» سليمان «ما كانت تعبد» عما كانت تعبد (لإنها) أي لأنها (كانت من قوم كافرين) يبدوون الشمس والقمر (قيل لها ادخلي الصرح) وهو كل بناء عال (فلما رآته) أي رأت الصرح ؛ وقد صنعت أرضه من زجاج شفاف (حسبته لجة) ماء عظيماً (قال) سليمان (إنه صرح حمرد) مملس (من قوارير) زجاج . فلما رأت هذه العظيمة ، وهذه الأبهة ؛ التي أضفاها الله تعالى على سليمان ، ورأت عرشها ؛ وقد جرى به إليه : علمت أن ذلك لا يتوفر إلا لمن تسنده قوى خارقة من السماء ؛ و (قالت رب إنى ظلمت نفسي) بالشرك الذي كنت فيه ، وأقت عليه ! (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) قيل : إن سليمان تزوجها بعد إسلامها . وقيل : زوجها لدى تبع ملك همدان ؛ ولم يثبت صحة شيء من ذلك ! (قال) لهم نبيهم صالح (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) تطلبون العذاب (قبل الحسنة) قبل طلب الغفرة . أو «لم تستعجلون» بالصية قبل الطاعة (لولا) هلا . (تستغفرون الله) من ذنوبكم الماضية (اطيرنا) تشاءمنا (بك وعن معك) من المؤمنين (قال طائرهم) شوؤمكم (عند الله) يترله بكم ؛ بسبب كفرهم وتكذيبكم (انظر آية ١٣١ من سورة الأعراف) (بل أنتم قوم تقنون) تختبئون بالخير والشر ، أو «تقنون» تصذبون بسبب إصرارك على الكفر والصبان (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) (قالوا) لبعضهم (تقاسموا) أي احلفوا (بالله لنبيتنه) لنقتلهه بيانا ؛ أي لئلا

لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٦١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٦٢﴾ وَصَدَعَهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٦٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٦٥﴾ قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦٦﴾ قَالُوا أَطِيرِنَا بِكَ وَيَمُنُّ مَعَكَ قَالِ طَيْرٌ كَرُّ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٦٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٦٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ

أَتَقُولُونَ

أَتَقُولُونَ

لَقَوْلِ لَوْلِيَّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٥٦﴾
 وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يُسْعِرُونَ ﴿٥٧﴾
 فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٥٨﴾ فَتِلْكَ بَيِّنَاتٌ لِّمَا ظَلَمُوا ۗ إِن فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَخْبَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا
 يَتَّقُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي أَنذَرْتُكُمْ نَارَ
 تَبْعُرُونَ ﴿٦١﴾ أَشْكُر لِّتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ
 النِّسَاءِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ ﴿٦٢﴾ * فَكَانَ جَوَابَ
 قَوْمِهِ ۖ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ عَلَى لُوطٍ مِّن قُرْبَيْنِكَ ۗ إِنَّهُمْ
 أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٦٣﴾ فَأَجْبِبْنَاهُ وَأَهْلَهُ ۖ إِنَّا أَمَرْنَا
 قَدْرَنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَنَسَاءَ
 مَطَرِ الْمُنذَرِينَ ﴿٦٥﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ
 الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٦﴾ أَمَّن خَلَقَ

(ثم لتقولن لوليه) أى لولى دمه (ما شهدنا) ما رأينا (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً) أى دبروا أمرهم باهلاك صالح وأهله ، ودبرنا أمراً ياهلاكهم (أنا دمرناهم) أهلكتناهم (فتلك بيوتهم خاوية) أى ساقطة ، أو خالية (بما ظلموا) أى بسبب ظلمهم وكفرهم وذلك معنى قولهم : إن الظلم يخرب الديار ! (إن في ذلك) الإهلاك والتدمير (لاية) عظة وعبرة (ولوطلاً) أى واذا ذكر لوطاً (إذ) قال لقومه (أتأتون الفاحشة) اللواط (وأنتم تبصرون) أى تبصرون ما حل بالأمم السابقة من العذاب ؛ حين عصوا وكفروا بربهم . أو المراد : يبصر بعضكم بعضاً ؛ عند إتيان هذه الفاحشة الذميمة ! وذلك لإمعاننا منهم في الفسوق ؛ واتهما كما في المعصية (إنهم أناس يتطهرون) كان قولهم ذلك استهزاء ؛ كقوله تعالى «إنك لأنت الخليم الرشيد» أو أرادوا «يتطهرون» مما فعل (قدرناها من الغابرين) أى قدرنا أنها من الباقيين في العذاب ؛ لإصرارها على الكفر، وتكذيب زوجها مع المكذبين (آله) استفهام ؛ أى آله (خير) عبادة ، وخير لمن يعبده (أم ما يشركون) به من الأصنام

(أم من خلق السموات) وما فيها من كواكب وأفلاك ، ومن فيها من مخلوقات وأملاك

السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا
 به حدائق ذات بهجة ما كان لكر أن تنبتوا غيرها
 أوله مع الله بل هم قوم يعدلون ﴿١٦﴾ أمن جعل
 الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها روي
 وجعل بين البحرين حاجزاً أوله مع الله بل أكثرهم
 لا يعلمون ﴿١٧﴾ أمن يحب المضطرب إذا دعاه ويكشف
 السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أوله مع الله قليلاً
 ما تذكرون ﴿١٨﴾ أمن يهدى في ظلمات الليل والبحر
 ومن يرسل الريح بشراً بين يدي رحمة أوله مع الله
 تعالى الله عما يشركون ﴿١٩﴾ أمن يبدؤا الخلق ثم يعيدهم
 ومن يرزقكم من السماء والأرض أوله مع الله قل
 هاؤوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴿٢٠﴾ قل لا يعلم من
 في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون

آيات

(و) خلق (الأرض) وما فيها من بحار وأنهار،
 وزروع وأشجار، وجبال ورمال، وإنسان
 وحيوان (وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا
 به حدائق) بساكن (ذات بهجة) حسن
 وروفق (ما كان لكم) ما كان في استطاعتكم
 (أن تنبتوا شجرها) فما بالكم بشرها؟
 والمعنى: أذلك الإله - الموصوف بكل هذه
 الصفات - خير أم ما تعبدون من دونه؟
 ويلكم! (إله مع الله بل هم قوم يعدلون)
 يصركون بالله تعالى غيره ممن خلق، ويعملونه
 له عدلاً. والعدل: المثل والنظير (قراراً)
 للاستقرار عليها؛ ولا تميد بأهلها (خلافها)
 فيما بينها (رواسي) جبالاً (وجعل بين البحرين
 حاجزاً) بين العذب والملح: لا يختلط أحدهما
 بالآخر. والحجز: المنع (ويكشف السوء)
 الضر، أو الجور (ويجعلكم خلفاء الأرض)
 أي سكانها؛ يخاف بعضكم بعضاً فيها (بشراً
 بين يدي رحمة) أي للبشارة قدام المطر -
 وسمى المطر رحمة: لأنه سبب في حياة سائر
 الحيوات والنبات (أم من يبدأ الخلق) من
 غير مثال سبق (ثم يعيده) يوم القيامة؛
 بلا تعب ولا نصب (ومن يرزقكم من السماء)
 بالمطر (و) من (الأرض) بالنبات (إله مع الله)
 أن هناك إلهاً مع الله (قل هاؤوا برهانكم)
 أي لا يعلم أحد من فيهما الغيب الذي انفرد الله تعالى بعلمه إلا هو. قيل: نزلت حين سأل المشركون الرسول
 صلوات الله تعالى وسلامه عن وقت القيامة

(وما يشعرون أياهم يبعثون) متى يبعثون من قبورهم . وقيل : نزلت في سائر النيوب . ويؤخذ من هذه الآية أن في السموات سكاناً عقلاء ؛ لأن «من» لمن يعقل ، و «ما» لما لا يعقل . والآية دليل قاطع على نفي علم الغيب عن سائر المخلوقات ؛ حتى سكان السموات ! ومن عجب أن نرى من بيننا من يدعى علم الماضي والحاضر والمستقبل ! والأعجب أن نرى من يصدق في هذا الاقتراء والزور والبهتان ! ومن ذهب إلى منجم أو عراف : فقد جهده بهذه الآية ؛ بل كذب بالرسالة ! قال صلى الله تعالى عليه وسلم «من ذهب إلى عراف ذهب نكثاً دينه» وفي حديث آخر «فقد

كفر بما أنزل على محمد» وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها «من قال إن محمداً يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية ؛ والله تعالى يقول : قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله .

هذا وقد اعتاد كثير من الناس التردد على بعض العرافين وأرباب التنويم والتنجيم ؛ وكثير من هؤلاء يزعم علم الغيب ومعرفته ؛ ويقدم لك دليلاً على صدقه : إنباءك بما في يدك - مما يقع عليه بصرك ، وبدركه علمك - وهذا ليس من الغيب في شيء ؛ بل يدخل تحت قراءة الأفكار . وقد جرى للحجاج بأحد العرافين ؛ فأمسك الحجاج في يده حصيات - بعد أن علم عددها - وقال للعراف : كم في يدي ؟ فذكره العراف ولم يخطئ . فأمسك الحجاج بحصيات آخر - لم يعدهن - وسأله عن عددها ؛ فأخطأ . فسأله عن السبب ؟ فقال : إن الأولى قد أحصيتها أنت وعلمتها فخرجت عن حد الغيب ، والأخرى لم تحصها فكانت غيباً ؛ و «لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله» (بل ادراك علمهم في الآخرة) أي تدارك وتكامل علمهم بها ؛ لوصول الرسل والنذر إليهم ، وتحقيق الوعد به .

وقيل : المعنى : بل جهلوا علمها ، ولا علم

عندهم من أمرها (بل هم في شك منها) أي من وقوعها (بل هم منها عموت) عمى قلب وبصيرة (أنا نخرجون) من قبورنا أحياء (لقد وعدنا هذا نحن) على لسانك (و) وعد (أباؤنا) على لسان من سبقك من الرسل (إن هذا) ما هذا الذي تقوله من أمر البعث والحساب والجزاء (إلا أساطير) أكاذيب (ولا تحزن عليهم) أي على عدم إيمانهم (ولا تكن في ضيق مما يمكرون) ويكيدون لك ؛ فستنصرك عليهم (ويقولون متى هذا الوعد) بالعذاب ، أو بالقيامة (ردف لكم) قرب منكم (بعض الذي تستعجلون) وقد جاءهم بعض العذاب الموعود يوم بدر ، وباقيه سيأتيهم في قبورهم ، ويوم القيامة عند بعثهم (ما تكن) تخفي (ومامن غائبة) تغيب عن علمنا ، وعن تصورنا (إلا في كتاب) مكتوب ؛ بمعنى أنه مقضى بها ، ومعلوم لدى ربك أمرها

أَيَانُ يُبْعَثُونَ ﴿٤٦٥﴾ بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٤٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْدَا كُنَّا تَرَبَّاءَ وَآبَاؤُنَا أَنبِيَائُمَا لَمُخْرَجُونَ ﴿٤٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٤٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٤٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٤٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٤٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٤٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَبَقِيصٌ عَلَىٰ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ

(إن ربك يقضى بينهم بحكمه) يوم القيامة (فتوكل على الله) وحده؛ ولا تحض أحداً (إنك على الحق المبين) الدين الواضح المنجى (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء) لما كانوا لا يسمعون ما يستمعون : شبهوا بالموتى؛ لأن حالهم كحالهم، وشبهوا أيضاً بالصم والعمى؛ لأنهم لا يفتنون بما يسمعون من الحق، ولا بما يرون من الآيات! (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع) ما تسمع سماع قبول وتفهم (إلا من يؤمن بآياتنا) القرآن (فهم مسلمون) مخلصون؛ لأنهم تقضوا أسماءهم لسماح القرآن، وقلوبهم لفهمه (وإذا وقع القول عليهم) أى وقع الغضب، وحق العذاب : وتثذ

الحسن العشر

٤٦٦

لا تقبل توبتهم، ولا يفيد استغفارهم. وقد أجمع أهل العلم على أن وقوع القول - المعنى في هذه الآية - لا يكون إلا عند انقضاء الأمر بالمعروف، والتهى عن المنكر (أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم) كلاماً مفهوماً؛ وحينئذ لا يقبل استغفار مستغفر، ولا إيمان طالب. قال صلى الله تعالى عليه وسلم «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» وقيل «تكلمهم» أى تجرهم؛ تؤيده قراءة ابن عباس، والحسن، وغيرها «تكلمهم» من الكلم؛ وهو الجرح.

وقد اختلفوا في هيئة الدابة، وصفها، ووقت طلوعها، ومن أين تطلع؛ وتكلموا كلاماً أغرب من الهيال، وأشبه بالهال؛ ولا حاجة بنا إلى لزيادة لأنه بالأساطير أشبه. وقد قيل: إنها فصيلة ناقة صالح. وقيل: إنها دابة لها لحية طويلة. وقيل: إنها إنسان كامل عاقل؛ يكلم الناس بالقول الصحيح، والكلام الفصيح، والمتنطق بالبيع، والحجة القاطمة. وتطلع الدابة - كيفما كان شكلها وصفها - قبيل القيامة. وقيل: إنها تخرج من مكة؛ فلا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب:

أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٦٧﴾ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٦٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٤٦٩﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٤٧٠﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أُمَّدِيرِينَ ﴿٤٧١﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٤٧٢﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٤٧٣﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّنْ يَّكْذِبٍ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٤٧٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلَيَّا أَمَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٧٥﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٤٧٦﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ

فتسمع على جبين المؤمن؛ فصير وضيقاً منيراً، وتخطم الكافر والمنافق؛ فيكون وجهه كاللحم مسوداً! وسئل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: هل «تكلمهم» أو «تكلمهم»؟ فقال: من والله تكلمهم، وتكلمهم: تكلم المؤمن، وتكلم الكافر والفاجر؛ وتقول لهم (إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) وعلى قراءة الفتح يكون المعنى «بأن الناس» وبها قرأ ابن مسعود (فوجاً) جماعة (يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم؛ حتى يجتمعوا؛ ثم يساقون إلى موضع الحساب (ووقع القول) حق العذاب (ألم يروا أننا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) من السكون. وهو الهدوء، والراحة، والطمانينة (والنهار مبصراً) مضياً؛ يبصر فيه الإنسان كل شيء، ويتقن كل مصنوع

(إن في ذلك آيات) لظلال وعبر (ويوم ينفخ في الصور) وهو القرن : ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام ، بأمر ربه تعالى (إلا من شاء الله) ألا يفرعه . وهم الشهداء : لأنهم «أحياء عند ربهم يرزقون» والفرع إنما يصل إلى من حي ، والأنبياء : لأن لهم الشهادة مع النبوة . وقيل : هم الملائكة . ويدخل من جملة هؤلاء : المؤمنون الذين عناهم الله تعالى

بقوله «وهم من فرغ يومئذ آمنون» (وكل أتوه داخرين) صاغرين منقادين (جامدة) واقفة لا تتحرك (صنع الله الذي أتقن كل شيء) فانظر - يارعاك الله - إلى النملة في صغر جنتها ، ولطافة هيئتها : لا تكاد تتال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك الفكر ! ولو تأملت ما في بطنها من مجاري أسكلها ، ومسالك أمعائها ، وما في رأسها من أعين وأذان ، وأداة ذوق وشم ولس . لو تأملت ذلك لفضيت من خلقها عجباً ، ولقيت من وصفها تعباً ! وهي مع هذا الضعف والصر : تشكر في رزقها ، وتنقل الحبة إلى جحرها ، وتجمع في رعايتها لشئها ، وفي حرها لبردها !

وانظر أيضاً إلى النحلة في دقة خلقها ، وجمال صنعتها ، وعظم منفعتها : تأكل من ثمار الأشجار ، وورق النبات والأزهار ، وتخرج لنا رحيقاً مختماً بحام السمك ، من صنع ذى الجلال ! ومنه تتخذ غذاء لذيذاً ، وشراباً صافياً ، ودواء شافياً . كل ذلك بتقدير العزيز الرحيم ، وتدبير الحكيم العليم ! «صنع الله الذي أتقن كل شيء» (من جاء بالحسنة فله من الثواب الجزيل ، والأجر الجليل (خير منها وهم من فرغ يومئذ آمنون) وبذلك يسلم المؤمنون المحسنون من أهوال

القيامة ، وينجون من الفرع الأكبر ، ويكونون من الستينين ، بقول أصدق القائلين «ففرع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله» (فكبت) ألقيت (هذه البلدة) مكة شرفها الله تعالى (حرماً) جعلها حرماً آمناً (سبيريكم آياته) في أنفسكم ، وفي غيركم ، و«في الآفاق» (فتعرفونها) تعلمونها علم اليقين «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله»

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٦٧﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مِنَ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتُوهُ دَٰخِرِينَ ﴿٤٦٨﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَٰمِدَةً وَهِيَ ثَمْرٌ مِّمَّا السَّحَابُ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا تَفْعَلُونَ ﴿٤٦٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَٰمِنُونَ ﴿٤٧٠﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٧١﴾ إِنَّمَّا أَمَرْتُ أَنْ عَبُدُ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٧٢﴾ وَإِنْ أَتَلَوْا الْقُرْءَانَ فَكُنْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٤٧٣﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَرِيرَةً وَآبِيَةً فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِمُضِلِّ

عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾

(٢٨) سُورَةُ الْقَصَصِ مَكْتَبَةٌ

إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ مدنية وآية ٨٥
في المحقة أثناء الهجرة وأبانها ٨٨ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ نَبَأُكَ أَيُّ الْكُتُبِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ تَتْلُو
عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ
طَائِفَةً مِنْهُمْ يذِيعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُقْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾
وَنَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ

(سورة القصص)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم) انظر آية ١ من سورة البقرة (تلو عليك من نبأ موسى) خبره (بالحق) بالصدق الذي لا مهرب فيه؛ لا كقصص القضاة، وأساطير الأولين (إن فرعون علا في الأرض) طغى وتكبر، وجاوز الحق. و «فرعون»: لقب لملوك مصر السابقين. قيل: إن فرعون موسى: هو منفتح الأول، ابن رمسيس الثاني (وجعل أهلها شيعاً) أي فرقا. وهذا شأن الملوك المستبدين: يفرقون بين الأمة، ويجعلونها شيعاً وأحزاباً (ويستحي نساءهم) أي يترك البنات أحياء للخدمة، أو يفعل بهن ما يخل بالحياء (وريد أن نمن) نتفضل ونعم (على الذين استضعفوا في الأرض) وظلموا، وغلبوا على أمرهم (ونجعلهم أئمة) يهتدى بهم في الخير، ويقتدى بهم في الدين (ونجعلهم الوارثين)

أَرْضِيهِ

للحكم والملك؛ بعد فرعون (ونمكن لهم) نجعل لهم مكانة (في الأرض) أرض مصر والشام (ورى فرعون وهامان) وزيره ومستشاره (وجنودهما منهم) أي من «الذين استضعفوا في الأرض» وعلى رأسهم موسى وهرون (ما كانوا يحذرون) أي ما كانوا يخافون ويتوقعون: وهو القتل، وذهاب الملك. وقد كان لفرعون منجم؛ رأى له أن سيكون موته وذهاب ملكه على يد طفل من بني إسرائيل. فامر عدو الله بقتل كل ولد يولد من بني إسرائيل. وذلك معنى قوله تعالى «يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم» (وأوحينا إلى أم موسى) وحى منام، أو لإلهام. وقيل: وحى لإعلام: بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام

(فألقه في اليم) البحر (ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) قد جمع الله تعالى في هذه الآية بين أمسين ، ونهيين ، وخبرين ، وبشارتين ! وقد وضعت في صندوق وألقت به في اليم - كما أوحى إليها - (بالقطعة آل فرعون) وم أعوانه وشيعته (ليكون لهم) في عاقبة الأضر (عدوا) يسمي في هلاكهم؛ بسبب كفرهم (وحزنا) سبب حزن لهم ،

وغم عليهم (وقالت امرأة فرعون) لفرعون حين خشيت فتكهم بموسى ؛ كما يفتك بسائر أبناء بني إسرائيل (قرة عين لي ولك) أى سبب سرور وسعادة لنا (عسى أن ينفعنا) في الخدمة (أو نتخذها ولدا) وكانت عاقراً لا تلد (وهم لا يشعرون) أنه عليه السلام سيكون مصدر حزنهم وشقاؤهم؛ بل ومصدر فناءهم ! (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) من العقل والتفكير؛ لفرط جزعها وهما : حين سمعت بالقطعة آل فرعون له (إن كادت لتبدي به) أى لتظهر أمر موسى ، وأنه ابنها . قيل : لأنها لما سمعت بوقوعه في يد فرعون ؛ كادت تصيح : وإبناه ! (لولا أن ربطنا على قلبها) سكتها بالصبر والطمأنينة ؛ وذكرناها بوعدا السابق الصادق : «ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين» وقد صدق الله تعالى وعده ، وأعز جنده ! (وقالت) أم موسى (لأخته قصية) أى اتبى أثره ، وانظري خبره (عن جنب) عن بعد . قال تعالى «والجار جنب» أى البعيد ؛ ومنه الأجنبي . وقيل : عن جانب . أى من ناحية الجنب . وقيل : عن شوق ؛ وهى لغة لقبيلة من معد يقال لها جذام (وحرمنا عليه المراضع) جعلناه يرفض التقام ثدى المراضع اللاتي

أخضروهن لإرضاعه (فقال) لهم أخته (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه) يقومون بكفالتة ، وتربيته ، وإرضاعه (لكم وهم له ناصرون) حافظون محبون (فرددناه إلى أمه) كما وعدناها : «إنا رادوه إليك» (كى ترضعها) بقره (ولا تحزني) لفقده وفراقه (ولتعلم أن وعد الله) الذى وعدها إياه (حق) واقع لا محالة

أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٦﴾
فَالْقِطْعَةُ آلَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَّتْنِ وَجُرُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٦٧﴾ وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا بَشِيرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٩﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٠﴾ * وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿٧١﴾ فَرُدُّدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَى تَقْرُبَهَا وَلَا نَحْزَنُ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلِنُكَفِّرَ عَنْ كُفْرِهِمْ لَا يَعْلمُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَمَّا بَلَغَ

(ولما بلغ) موسى (أشده واستوى) أى بلغ نهاية القوة ، وتعام العقل والاعتدال ؛ وهو ما بين ثمان عشرة إلى ثلاثين ، وهو أيضاً بلوغ الحلم (آتيناه حكماً) حكمة في فهم الأمور (وعلماً) فقهاً في الدين ؛ وذلك قبل أن يعثه الله تعالى نبياً (ودخل) موسى (المدينة) مدينة فرعون ؛ وهى منف ، أو منفيس ؛ وهى مكان بلدنا البدرشين وميت رهينة ؛ بمحافظة الجيزة ، وكانت هذه المدينة عاصمة ملك فرعون ؛

الجزء العشرون

٤٧٠

وفيها قصوره ومعاينه (هذا من شيعته) أتباعه وأنصاره (وهذا من عدوه) من أتباع فرعون (فكره موسى) ضربه بجميع كفه «لكمه» (قال هذا من عمل الشيطان) أى إن هذا التسرع في القتل من عمل الشيطان ووسوسته . ومن هنا نعلم أن التسرع في الحكم على الأشياء : مضيق للتدبر والحكمة ، وموجب للأسى والندم ؛ وهو من عمل الشيطان وتحريضه ! وقد حدث ذلك لموسى قبل بعثته ؛ أما بعد النبوة : فالشيطان محجوب عن الأنبياء ، ممنوع من إغوائهم والوسوسة إليهم ؛ ألا ترى لى قول الحكيم العليم « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » وقول العيين « ولأغويهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » (قال رب إني ظلمت قسى) بارتكاب القتل (قال رب بما أنعمت على) أى بحق لأنعامك على بانيائى ، واصطفايى (فلن أكون ظهيراً) معنياً (للجبرين) الكافرين (فأصبح في المدينة خائفاً) أن يؤخذ فيمن قتله بالأس (يرتقب) يتوقع المكروه (فاذا) الرجل (الذى استنصره) طلب نصرته ومعوته (بالأس) ونصره بقتل عدوه (يستصرخه) يستغث به على رجل قبلى آخر يقاتله (لنوى) زال (مبين) بين الضلال ؛ لما فعلته بالأس ، وتفعله اليوم (فلما أراد) موسى (أن يبطش

أَشَدُّمُ وَأَسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٧٠﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنَفَّهُ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالِ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿٤٧١﴾ قَالِ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٧٢﴾ قَالِ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٧٣﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالِ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿٤٧٤﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَنِي نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ

الْمُضْلِمِينَ ﴿٤٧٥﴾

بالذى هو عدو لهما) أى عدو لموسى وللمستغث به (قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأس) القاتل لذلك هو القبلى ؛ وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن القاتل : هو الإسرائيلى - المستصرخ بموسى - لما رأى من غضب موسى عليه السلام ، وقوله له «إنك لغوى مبين» وهو لا يتفق وسياق النظم الكريم ! ولقوله بعد ذلك لموسى (إت تريد) ما تريد (إلا أن تكون جباراً في الأرض) وهذا القول لا يقوله إلا الأعداء الأداة ؛ خصوصاً والقتل السابق قد حصل دفعا عن الإسرائيلى ، وانتماعاً له

(وجاء رجل) مؤمن (من أقصى المدينة) آخرها ؛ بالنسبة لمكان موسى (قال ياموسى إن السلام) قوم فرعون (ياأمرون بك) يتشاورون في أمرك (ليقتلوك فأخرج) من المدينة (فخرج منها خائفا يترقب) يتوقع لحوق أعدائه به ، أو « يترقب » نصرة الله تعالى له (ولما توجه تلقاء) ناحية (مدين) هي قرية شبيب عليه السلام ؛ وهي خارجة عن حكم فرعون (سواء السبيل) أى الطريق الصحيح المستوى ؛

٤٧١

سورة القصص

الموصل للنجاة والخير ! (ولما ورد ماء مدین) وكانت بئراً يستقون منها (وجد عليه أمة) جماعة (ووجد من دونهم) أى سوامم ؛ بعيداً عن الذين يستقون (امرأتین تدودان) تمنعات أغنامهما عن ورود الماء (قال ما خطبكما) ما شأنكما ؟ وما الذى دعاكما الى الاعتماد عن الماء ؛ مع حاجتكما اليه ؟ (قالنا لا نسق) ولا نزاحم ؛ لأن المزاحمة تقتضى الاختلاط بالرجال وملاحقتهم ، وهو أمر ينقص من قدر المرأة ، ويذهب بجياها ؛ بل ننتظر في مكاننا هذا البعيد عن الماء (حتى يصدر الرعاء) أى حتى يرجع الرعاء بعد سقيهم ؛ وما ألجانا الى ذلك إلا انعدام وجود الرجال ، الذين يقومون بالأعمال في أسرتنا (وأبونا شيخ كبير) لا يقوى على السقى والسقى . فزاحم موسى ، وأخذ غنمهما (فسق لهما ثم) حلت به متاعب الأسفار ، وأدركه تعب السقى والسقى ؛ فطلب الراحة لنفسه ؛ و (تولى الى الظل) ليرتاح مما لاقاه من المشاق ؛ التى لا يحتملها إلا الأنبياء ؛ وخواص الأولياء والأصفياء ؛ وأحس بالجوع الذى يذيب الجسد ، ويفرى الكبد ! (فقال) مخاطباً موله ؛ الذى خلقه فسواه ، وكلاءه ورعاها ! (رب انى لما أنزلت

الْمُضْلِمِينَ ﴿٤٧١﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى
قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَا أُمْمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ
إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٤٧٢﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ
قَالَ رَبِّ اجْنُبْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧٣﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ
مَدْيَنُ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٤٧٤﴾
وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ
وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا
قَالْنَا لَا نَتَّقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٤٧٥﴾
فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ
إِلَىٰ مِنِّي خَيْرٌ فَصَبِّرْ ﴿٤٧٦﴾ فَجَاءَهُهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ
أَسْنَانِهَا قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ
لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ
نَجَّوْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧٧﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ

الى من خير) طعام (فقير) محتاج . وقد قال « لما أنزلت » ولم يقل : لما تنزل ؛ لتأكده من استجابة ربه له ولتحققه من نزول الخير اليه (فلما جاءه) أى جاء موسى شعبياً عليهما الصلاة والسلام (وقص عليه القصص) قصته مع فرعون ، وهروبه من مصر (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) بوصولك الى «مدین» وهي ليست في ملك فرعون ، وليست خاضعة لحكمه

(قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين) يؤخذ من هذه الآية: أن العاقل الحكيم، يحطب لبناته صاحب الخلق الكريم، حيث لانهمة المادة؛ بل يهيمه القوة على العمل والقدرة على الكسب؛ لثلا يكون عالة على غيره (على أن تأجرني) أن تكون أجراً لي (ثمان حجيج) سنين (قال ذلك) الأمر (بيني وبينك أيما الأجلين) الثمان أو العشر (قضيت) مهراً لزوجتي (فلاعدوان على) أي فلا أكون ممتدياً، أو لا يمتدى على يطلب الزيادة (فلسا قضى موسى الأجل) الأكل، والآت. وقيل: قضى عشراً وعشراً؛ ومن أوفى في الأداء، من الأنبياء؟! (وسار بأهله) بامرأته نحو مصر؛ بعد أن قضى بمدين المسدة المسقطه للجريمة؛ وكانت تسقط بعض عشر سنوات في شريعة فرعون؛ وهي جريمة قتل القبطي (آنس) أبصر (من جانب الطور) الجبل (أو جذوة) قطعة متقدمة (تصلون) تستدثون (فلسا أتاها) أتى موسى النار. وقيل: أتى الشجرة الآتي ذكرها (نودي من شاطيء) جانب (الوادي الأيمن) بالنسبة لموسى (من الشجرة) التي أوجدها الله تعالى في هذا المكان، البعيد عن العمران والسكان، الخال من الماء والنبات؛ ونودي بكلام مقدس: لا تحيط به اللغات، ولا تدرك الصفات، ولا يشابه الحروف والأصوات؛ ولا يشاكل النغاث والبارات؛ من لدت باسط الأرض ورافع السموات «نودي» (أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين. وأن ألقى عصاك) لأريك من بدائع قدرتي، وعجيب صنئي. فأتاها فإذا بالحياة تدب فيها بأمر باعث الحياة، وإذا بها تنتهي وتتلوى؛ وقد زايها الجود الملتصق بطبيعتها (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية صغيرة كثيرة الحركة (ولي مدبراً) رجوع مسرعاً من حيث أتى (ولم يعقب) لم يرجع

٤٧٢

الجزء المشروء

أَسْتَفِرُّهُ ۖ إِنْ خَيْرٍ مِّنْ أَسْتَفِرَّتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٦٧﴾
 قَالَ إِنْ أَرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ
 تَأْجُرَنِي تَمَنِّي حَجَّجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا
 أَرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ
 الصَّالِحِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ
 قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٩﴾
 * فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ
 جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
 لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ
 تَصْطَلُونَ ﴿٧٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ
 فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسْ إِيَّيَ أَنَا اللَّهُ
 رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
 جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعَقِّبٌ ۖ يَمْسِكُ أَخْيَلَ وَلَا يُخَفِّ

إِنَّكَ

إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٤٧٣﴾ أَسْأَلُكَ بِدَعْوَى جِبِّكَ تَخْرُجُ
 بِيَضَاءً مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ
 فَذَلِكَ بَرَهْنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا
 قَوْمًا فٰسِقِينَ ﴿٤٧٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
 فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٤٧٥﴾ وَأَيْحَىٰ هٰرُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي
 لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ
 يُكَذِّبُونِ ﴿٤٧٦﴾ قَالَ سَنُنَادُّكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ
 سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِآيٰتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ
 أَغْلِبُونَ ﴿٤٧٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيٰتِنَا بَيِّنٰتٍ
 قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي ءَابَآئِنَا
 الْأَوَّلِينَ ﴿٤٧٨﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ
 مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عٰقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الظَّالِمُونَ ﴿٤٧٩﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم

(اسلك) أدخل (يدك في جيبك) الجيب ؛
 فتحة الثوب مما يلي العنق (تخرج بيضاء من
 غير سوء) أى من غير مرض ؛ كبرس ونحوه ؛
 بل كضوء الشمس (واضمم إليك جناحك من
 الرهب) أى من أجل الرهب ؛ وهو الخوف .
 المعنى : اضمم يدك إلى صدرك : ينهب ما بك
 من خوف وفرق من الحية ؛ ولأت موسى
 خشى أن يضم يده إليه ؛ لما رأى من إضاعتها
 وتغيرها (فذاك) أى تحرك العصا ، وإضاعة
 اليد (برهانان) معجزتان (من ربك) لتذهب
 بهما (إلى فرعون وملئه) تأييداً لنبوته ،
 وتصديقاً لرسالتك (ردءاً) عوناً (بصدقني)
 أى يكون - بسبب فصاحته ، وطلاقة لسانه -
 سبباً في تصديقي (ونجعل لك سلطاناً)
 غلبة وتسلطاً على الأعداء (فلا يصلون إليكما)
 بسوء (بآياتنا) التي نعدك بها (أنتما ومن
 اتبعكما) من المؤمنين (الغالبون) لأعداء الله
 (فلما جاءهم موسى بآياتنا) معجزاتنا (بينات)
 واضحات ظاهرات ؛ لا ينكرها إلا من انطمست
 بصيرته ، وعمى قلبه ! (قالوا) أى فرعون
 وشيعته (ما هذا) الذي جئتنا به ؛ من انقلاب
 العصا حية ، وما انبعث من الضوء في يدك ؛

إن هذا (إلا سحر مفترى) مختلق (وما سمعنا بهذا) الذي تزعمه : من وجود إله واحد (في آياتنا الأولين)
 المتقدمين (وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) ولم يختلق ، ولم يفتر (ومن تكون له عاقبة الدار)
 أى العاقبة المحمودة يوم القيامة (وقال فرعون) لقومه ؛ بعد أن أخرسه موسى بحججه ومعجزاته

مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَهْتَمُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي
 صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَيْكَ إِلَهَ مُوسَى وَإِنِّي لَأُظَنُّ مِنْ
 الْكٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ لَابْنَا لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْتُهُ
 وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ
 الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
 وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
 مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى
 بَصِيرًا لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾
 وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا
 كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ
 عَلَيْهِمُ الْعَمْرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيلًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ

عَائِدَتِنَا

المنزل على موسى «بصائر» يتبصر بها في شئون الدين والدنيا (وما كنت) يا محمد (بجانب الغربي) أي
 بجانب الجبل الغربي؛ الذي كان فيه ميقات موسى عليه السلام؛ حين كله ربه تعالى (وما كنت من الشاهدين)
 المشاهدين لتلك (قرونًا) أممًا (وما كنت تأويلًا) مقبلاً (في أهل مدين) قوم شعيب عليه السلام

«يأبها السلا» ما علمت لكم من لاه غيري)
 وأراد أن يوم قومه بأنه ذو بطش شديد
 وقوة، وأن لاه موسى في تناول يده، وغير
 بعيد عليه، وأن في إمكانه الصعود إليه ومقابلته
 ومقاتلته؛ فقال لوزيره وشريكه في الكفر
 (فأوقد لي ياهمان على الطين) ومراده من
 ذلك: صنع لبنات من الفخار؛ مما يتخذ للبناء
 (فاجعل لي) من هذه اللبنيات (صرحاً) بناء
 عالياً (لعل أطلع) أصدع وأنظر (إلى لاه موسى)
 وأقف على حاله (واستكبر) اللعين، وتعالى
 عن الإيمان (وظنوا) تأكدوا (أنهم لابنا
 لا يرجعون) بالبعث يوم القيامة. (فنبذناهم في
 اليم) طرحناهم في البحر. قيل: إنه بحر القلزم؛
 وهي بلدة على ساحل البحر الأحمر، بين مصر
 والحجاز (وجعلناهم أمة) قادة (يدعون)
 الناس (إلى) الكفر؛ والكفر موصل إلى
 (النار) حتماً (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة)
 طرداً، وإبعاداً، وهلاكاً (ويوم القيامة هم
 من المقبوحين) المطرودين المبعدين (ولقد آتينا
 موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما أهلكنا
 القرون الأولى) الأمم المتقدمة؛ كقوم نوح،
 وعاد، وثمود، وغيرهم (بصائر) أي الكتاب

ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٦﴾ وَمَا كُنْتَ بِمُحَاجِبِ الطُّورِ
 إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَنْتُمْ مِنْ
 نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ
 مُصِيبَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ
 إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾
 فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْتِيَ مِثْلَ
 مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ
 قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ
 فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٠﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ
 بَدِيعُ أَمْوَءِهِمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ
 هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾
 * وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾

(ولكننا كنا مرسلين) لك يا محمد بهذه
 القصص ، وهذه الأنباء ؛ التي تخفي عليك ؛
 لولا أن أنزلناها إليك ؛ لتعلمهم بها : فتكون
 دليلا على صدقك ، وصحة رسالتك ! (الطور)
 الجبل (إذ نادينا) موسى ، وحملناه الرسالة
 (ولكن) أرسلناك لقومك (رحمة من ربك
 لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير) نبي ينذرم بطش
 ربهم وعقابه ، ويرغبهم في رحمة ونوايه !
 (ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت
 أيديهم) من الكفر والمعاصي (فيقولوا ربنا
 لولا) هلا (أرسلت إلينا رسولا) يهدينا إلى
 معرفتك ، ويرشدنا إلى عبادتك ؟ ! (فتتبع
 آياتك) المنزلة عليه (فلما جاءهم الحق) محمد عليه
 الصلاة والسلام (قالوا لولا) هلا (أوتي)
 من المعجزات (مثل ما أوتي موسى) ونسوا
 أنهم - من قبل - كفروا بموسى وحاربه ،
 وسخروا بمعجزاته واستهزأوا بها (قالوا
 سحران تظاهرا) أي تعاونا . والمراد بهما :
 التوراة والقرآن ، أو هما موسى ومحمد ؛ على
 قراءة من قرأ «سحران تظاهرا» (وقالوا
 لانا بكل) من التوراة والقرآن ، أو موسى
 ومحمد (كافرون) وقراءة «سحران» أصح

وأوضح ؛ لقوله تعالى (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) أي أكثر هداية من التوراة والقرآن
 (ومن أضل) أي لا أحد أضل (من اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) بل يزيدم
 ضلالا على ضلالهم «ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء» (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) (ولقد
 وصلنا) أي أوصلنا ، وبيننا ؛ ووصل الشيء : لأمه

(الذين آتيناكم الكتاب) وهم اليهود والنصارى ؛ وكتابتهم: التوراة والإنجيل (من قبله) من قبل القرآن ؛ والمراد بهم مؤمنوا أهل الكتاب (م به) أى بالقرآن (يؤمنون . وإذا يتلى عليهم) القرآن (إنا كنا من

قبله) أى قبل نزول القرآن (مسلمين) مؤمنين بالله ؛ لاتباعنا ما نزل علينا من الكتاب (أولئك يؤتون أجرهم) ينالون جزاءهم وثوابهم (مرتين بما صبروا) على الطاعات ، وعن المعاصى ؛ ولإيمانهم أولاً بكتابتهم ورسولهم ، ولإيمانهم آخراً بالقرآن ومن أنزل إليه (ويدرون بالحسنة السيئة) أى يدفون بالطاعة المصيبة ، أو يدفون الأذى بالمعروف والحلم (الغنى) الباطل (وقالوا لنا أعمالنا) فتشابه عليها (ولكم أعمالكم) فتؤخذون بها (لا يبتغي الجاهلين) لا يريد مصاحبتهم ومخالطتهم (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) هدايته (وهو أعلم بالمتدين) فيزيدهم «والذين اهتموا زادهم هدى» (تخطف من أرضنا) أى يماربنا الناس ويخرجونا من أرضنا ؛ وهذا قول باطل مردود عليه بقوله تعالى (أولم تكن لهم حرماً آمناً) يأمنون فيه من الإعتداء والقتل ، والإغارة ؛ الواقعة من بعض العرب على بعض (يجبى إليه) أى يجلب ويجمع (رزقاً من لدنا) من عندنا ؛ لاجتهد منهم ، أو مشقة عليهم : يزرع غيرهم فيأكلون ، وينسج فيلبسون ! (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أى تنكرت لما اختصها الله تعالى به من النعم ؛ فلم تشكر عليها (فتلك مساكنهم) خالية خاوية (لم تسكن من بعدهم) لما فيها من وحشة وخراب ، وما يبروها من ظلمة واكتئاب (إلا قليلاً) أى إلا سكتنا قليلاً : يحط بها المسافرون - للضرورة - يوماً أو بعض يوم

الجزء العشرون

٤٧٦

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾
وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ ءِتَىٰ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا
إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ
مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا النَّغَاةَ عَرَضُوا عَلَيْهَا
وَقَالُوا لَبَّآ أَعْمَلْنَا وَلَكِنَّا لَمَنكُرٌ سَلَّمٌ عَلَيْكَ لَا بِنْتِنِي
الْجَاهِلِينَ ﴿٢٣﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَالُوا إِن
تُتَّبِعِ الْمَدَىٰ مَعَكَ تَتَخَطَّفُ مِنَّا أَرْضُنَا أَوْ لَوْ تَمَكَّنَّا لَهُمْ
حَرَمًا ءَأَمَّا يُجْعَلُ إِلَيْهِ تَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِّن لَّدُنَّا
وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ وَكَرَّ أَهْلُكَا مِنْ قَرْيَةٍ
بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فِتْنًا مَسْكَنُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الذَّوْرَيْنِ ﴿٢٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مَهْلِكًا

القرئ

(إلا قليلاً) أى إلا سكتنا قليلاً : يحط بها المسافرون - للضرورة - يوماً أو بعض يوم

(في أمها رسولا) أى بيعت في عاصمتها ،
والقرية العظيمة فيها (إلا وأهلها ظالمون)
كافرون (وما عند الله) في الآخرة : من
جان ، وفاكهة ورمان ، وحور حسان (خير
وأبقى) من متاع الدنيا الزائل ، ومجدها الزائف
(أقن وعدناه وعداً حسناً) بالنعيم الدائم في
الجنة (فهو لاقبه) حتماً ؛ ومن أصدق وعداً
من الله !؟ (كن متعناه متاع الحياة الدنيا)
فشغله الحال ، عن المال ، وأسأه التدبير ،
عن الصبر (ثم هو يوم القيامة من المحضرين)
في النار (قال الذين حق عليهم القول) أى
وجب عليهم العذاب (أغويتنا) أضللتنا (تبرأنا
إليك) منهم (وقيل ادعوا شركاءكم) أى
ادعوا الأصنام التى أشركتموها مع الله تعالى
في العبادة ؛ ليكشفوا عنكم ما بكم من ضيق ،
وليدفعوا عنكم ما أنتم فيه من عذاب (فدعوهم
فلم يستجيبوا لهم) وكيف يستجيب من لا يجب
أو كيف ينجى من العذاب من هو واقع في
العذاب !؟ (فعميت عليهم الأنباء) أى خفيت
ولم يدروا بماذا يحيون

الْقُرَى حَتَّىٰ بَيَّعَتْ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ أَيْنَتْنَا
وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا أَوْتِيتُمْ
مِنْ مَنِّىْ وَفُتِنَتْ الْخَيْرَةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿٤٨﴾ أَقْنِ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا
فَهُوَ لَقِيهِ كَمَنْ مَتَعْنَاهُ مَتَاعَ الْخَيْرَةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٤٩﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ
شُرَكَائِى الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا
تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٥١﴾ وَقِيلَ ادْعُوا
شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ
لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا
أَجَبْتُمْ الرَّسُولِينَ ﴿٥٣﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ
فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ

(وربك يخلق ما يشاء) خاقته (ويختار) ما يشاء اختياره (ما كان لهم الخيرة) أى ما كان لأحدهم أن يختار نفسه ؛ لأنه تعالى صاحب الملك ، وخالقه ، وحاكمه ؛ وهو وحده صاحب الخيرة فيه ؛ ويجوز أن تكون «ما» بمعنى الذى ؛ أى «ويختار» الذى فيه «الخيرة» لهم والمصلحة ؛ وهذا واضح ملموس : فقد يختار الإنسان ما يضره ، ويساق رغم أنه إلى ما يضره ؛ وهذه خيرته فى خلقته . وكأ أنه تعالى اختار لما خلق ؛ فقد خلق ما اختار :

الجزء العشرون

٤٧٨

خلق تعالى أصنافاً متعددة ، وأجناساً شتى ، وأماً متباينة ؛ حسباً تقتضيه المصلحة ، وتستوجبه الحكمة : ملائكة وشياطين ، وإنساً وجناً ، ووحشاً وطيراً ، وبحاراً وأنهاراً ، وجبالاً ووهاداً ، ونهاراً وأزهاراً ؛ إلى مالا نهاية لحده ، ولا حد لنتهاه ؛ وليس الطاوس الجبل بأكرم عليه تعالى من الفراخ الذليل ، ولا الهدهد بأعز لديه من الحداة ، ولا الحمل بأحب إليه من الذئب .

وكذلك خزنة النار - وهم من هم فى لازلال العذاب وإحلال النعمة - فاتهم ليسوا بدون خزنة الجنة ؛ وهم من هم فى إسباغ السعادة وإحلال النعمة !

وكذلك ملك الموت - الذى يجلب الخزن ويأتى بالفناء - فإنه ليس بدون ملك الأرزاق الذى يأتى بالخصب والرخاء .

وجبريل الذى ينزل بالعذاب ؛ ليس بدون ميكائيل الذى ينزل بالرحمة ! فالكل مخلوق له تعالى ، دال على وحدانيته . والكل مخلوق بإرادته ومشيئته ، وتدييره وحكمته ! وهو وحده «يخلق ما يشاء ويختار» (انظر آية ١٠٥ من سورة يوسف) (سبحان الله) تزه وتقدس (وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم به غيره (انظر آية ١ من سورة

صَلِّحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿١٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ۖ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۚ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ مِنَ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضْيَاءٍ ۗ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ مِنَ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ ۗ أَفَلَا تَتَّبِعُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَوْمَ يَبْدَأُ بِهِمُ يَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٤﴾ وَزَعَمْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ۖ فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا

أَنْ

الإسراء) (وربك يعلم ما تكن صدورهم) ماتضرره وتخفيه قلوبهم (له الحمد فى الأولى) فى الدنيا (و) له الحمد فى (الآخرة) وهو قول المؤمنين الناجين يوم القيامة «الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن . الحمد لله الذى صدقنا وعده . الحمد لله رب العالمين» (سزمداً) دائماً (تسكنون) تستريحون وتنامون (لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) فى النهار (وزرعنا) أخرجنا (من كل أمة شهيداً) يشهد عليهم ولهم بما قالوا ، وما فعلوا (فقلنا) للمشركين (هاتوا برهانكم) على صحة معبوداتكم

(فعلوا) وقتذاك (أن الحق لله) وحده ، وأن مساواه هو الباطل (وضل) غاب (عندهم ما كانوا يفترون) يختلفون من الآلهة والأصنام (إن قارون كان من قوم موسى) ممن آمن به . وكان ابن عمته ، وابن خالته (فبقي عليهم) ظلمهم وتكبر وتبجح فيهم ؛ وأعجب بماله وغناه (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه) المفاتيح : جمع مفتاح . والمفتاح : هو المفتاح . والمفتاح جمعه مفاتيح . وقيل : المراد بالمفاتيح : الأوعية . فيكون المعنى : ما إن خزائنه ، وصناديق كنوزه وأمواله (لتنوء بالصعبة) لتثقل بالجماعة (أولى القوة) أصحاب القوة والشدة (إن الله لا يحب الفرحين) أى الفرحين :

٤٧٩

سورة القصص

فرح أشد وبطر ؛ أما من من الله تعالى عليه بنعمة : فاطمأن لإيها ؛ اطمئنان الواثق بربه ، وفرح بها : فهو ممن أحبه مولاه ؛ فرضى عنه وأرضاه ؛ (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى اطلب الآخرة فيما آتاك الله من الثروة والغنى ؛ بأن تصدق ، وتصل الرحم ؛ ولا تنس أن تبقى لنفسك شيئاً يقيه العوز ، ويعنك من لرافقة ماء وجهك (وأحسن) لى الناس ؛ ولو أساءوا (كما أحسن الله إليك) رغم إساءتك (ولا تبغ الفساد فى الأرض) بالمعاصى (قال إنما أوتيته على علم عندى) أى لأنما حصلت على هذا المال بسبب علمى بوجوه المكاسب ، وضروب الاتجار . وقيل : كان يشتغل بالكيمياء ؛ وهى تحويل بعض المعادن الحسيسة لى معادن نفيسة - كالذهب - وذلك بواسطة إضافة عناصر أخرى لإيها . وقد شغف الكثيرون بذلك العلم ؛ وقضوا أعمارهم ، وأفنوا أموالهم فى ذلك السبيل ؛ فلم يحظوا بطائل ؛ وحذر كثير من الألباء من ولوج هذا الباب ؛ فحذار - أيها المؤمن اللبيب - أن تحاول ما يعكر صفو حياتك ، ويشغلك عن عبادتك ؛ وانصرف عما لا يفيدك ، لى ما يفيدك ! (من القرون) الأمم (وأكثر

أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٤٧٩﴾ * إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوتُوا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٤٨٠﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِينِ ﴿٤٨١﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَكَثُرَ جَمْعًا وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٨٢﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُمْ لَدُوٌّ حَظِيظٌ عَظِيمٌ ﴿٤٨٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَذُّنَا اللَّهُ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ

جماً) للمال (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) أى لا يسألون سؤال استعجاب «ولا هم يستعجبون» بل يسألون سؤال حساب وعقاب «فوربك لنسألنهم أجمعين» وقيل : لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم : لظهورها وكثرتها ؛ بل يدخلون النار بغير حساب ؛ كما يدخل خيار المؤمنين الجنة بغير حساب (نفرج) قارون (على قومه فى زينته) أى فى أهفته : لابساً فاخر الثياب ، راكباً فاره المراكب (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) وليس لهم نصيب فى الآخرة (يأليت لنا مثل ما أوتى قارون) من الجاه والمال (إنه لدو حظ عظيم) نصيب كبير فى الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم) الدين ، والمعرفة ، والحقيقة (ويلكم) أى الويل لكم . والويل : حلول الشر (ثواب الله) جزاؤه فى الآخرة (خير) من الدنيا وما فيها ، ومن فيها (لن آمن) بالله

(وعمل صالحاً) في دينه (ولا يلقاها) أي لا يؤتي الجنة ، ولا يدخلها ؛ أو لا يوفق للأعمال الصالحة (إلا الصابرون) على الطاعات ، وعن المصاحبي (نحسبنا به) أي بقارون (وبداره) بما فيها من كنوز ، وأموال ؛ لم تنف عنه كثرتها ووفرتها ؛ وأهلكه الله تعالى ، وأذهب ماله ، وزينته ، وجاهه ؛ ولم يبق له في

الجزء العشرون

٤٨٠

الدينا سوسى الخزي واللعة ، وفي الآخرة الجحيم والذاب الإليم (فما كان له من ثمة) جماعة ، أو عصابة (ينصرونه من دون الله) يمتنون عنه الهلاك الذي قدره له (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) وكانوا يقولون «يأليت لنا مثل ما أوتي قارون» أصبحوا يقولون (وى كأن الله) وى : كلمة يقولها النادم لأظهار ندمه (يسبط الرزق لمن يشاء من عباده) بإرادته (ويقدر) يقبض ويضيق عمن يشاء بحكمته ا وليس البسط دليلاً على رضاه ، ولا القبض دليلاً على سخطه (لولا أن من الله علينا) بالإيمان والصبر (لحسف بنا) الأرض ؛ كما خسف بقارون (وى كأنه لا يفلح الكافرون) الذين كفروا بأنهم الله ؛ فلم يشكروها . وقتلوا من زوال الشدة ؛ فلم يصبروا عليها (الذين لا يريدون علواً) بقباً وكبراً (ولا فساداً) بارتكاب المعاصي . لأن الطاعة والإحسان : هما الوضع الصحيح الذي يقتضيه النظام الكوني ، وتلتزمه الفطر السليمة . أما المعصية والإساءة : فهما خروج عن الطاعة ، وفساد للنظام . والمعصية : فساد «وإنه لا يجب الفساد» والمعاصي : مفسد «وإنه لا يجب الفساد» (والمعاقبة) في الدنيا والآخرة (للمتقين) الذين «يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب» (إلا ما كانوا يعملون) أي جزاءه وعقوبته (إن

وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٤٨٠﴾ فَحَسَنَّا بِهِ
وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ قَدْ كُنَّا لَهُ مِنْ فَتْنِهِ بِنَصْرِ اللَّهِ
دُونَ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٤٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ
تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَسُبُّوا اللَّهَ يَسُبُّوا
رِزْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَسُبَّ اللَّهَ يَكْفُرْ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الَّذِينَ
كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا وَكَانَ اللَّهُ قَدِيرًا ﴿٤٨٢﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ
الْجَنَّاتِ الَّتِي فِيهَا جَارِيَةٌ سَائِلَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رَسَّوْا فِيهَا رَسًّا نُزِّلَتْ لَهُمْ مِنْهَا
مَاءٌ حَارٌّ كَالْحَمِيمِ وَفِيهَا مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخْلِ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ
الْجَنَّاتِ الَّتِي فِيهَا جَارِيَةٌ سَائِلَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رَسَّوْا فِيهَا رَسًّا نُزِّلَتْ لَهُمْ مِنْهَا
مَاءٌ حَارٌّ كَالْحَمِيمِ وَفِيهَا مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخْلِ

ظهيراً

الذي فرض عليك القرآن) أي أنزله إليك ، وكلفك بتبليغه والعمل به (لرادك إلى معاد) إلى عود . أي لمعبدك بعد الموت ، أو لرادك إلى مكة ؛ بعد أن أخرجوك منها . وكانت عودته - عليه الصلاة والسلام - يوم الفتح (وما كنت ترجو) تأمل قبل أن نهبك النبوة (أن يلقى إليك الكتاب) أن ينزل عليك القرآن (إلا رحمة من ربك) ولكن الله تعالى أنزله إليك : رحمة منه تعالى بك وبالناس ا

ظَهْرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ
بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَعْذُ بِكَ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٤٩﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٥٠﴾

(٢٩) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ مَكِّيَّةٌ
الْأَمْرُ مِنْ آيَةِ ١١ إِلَى آيَةِ ١١ فَدَسَّسَتْ
وَأَمَّا ٦٩ نَزَلَتْ بَعْدَ الرَّسْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ أَحْبَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا
وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٢﴾
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ

(فلا تكون ظهراً للكافرين) أى معيّن لهم . والحطاب للرسول عليه الصلاة والسلام - فى هذا وأمثاله -
وهو أبعد المخلوقين عن مظاهر الكافرين ا
والمراد به أمته «لا يتخذ المؤمنون الكافرين
أولياء من دون المؤمنين» (ولا يصدنك)
لا ينعونك (عن آيات الله) عن تبليغها (كل
شئ) سواه تعالى (هالك إلا وجهه) أى
إلا الأعمال الصالحة التى قصد بها وجهه تعالى ؛
فهى باقية : يثاب عليها ، ويسعد بها فى الدنيا
وفى الآخرة ا أو «كل شئ هالك» إلا ذاته
العالية ؛ فهى منزّهة عن الهلاك والفناء (له
الحكم) القضاء النافذ فى الدنيا والآخرة ا

(سورة العنكبوت)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(وهم لا يفقهون) أى لا يمتحنون ويختبرون بما
يتبين به حقيقة إيمانهم . وذلك بنقص الأموال،
وموت الأولاد ، والفحط ، وغير ذلك . وكما
يكون الامتحان والاختبار بالفقر ، والمرض ،
والموت ، والجدب ؛ فإنه يكون أيضاً بالغنى
والعافية . وكما يكون الابتلاء بالضراء ،
يكون بالنعاء والسراء ، وقد قتن سليمان عليه
السلام بكليهما . قال تعالى «ولقد فتنا سليمان
وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب» (أن يسبقونا) يفوتونا ؛ فلا نستطيع لإدراكهم ومعاقبتهم

مَا يَحْكُمُونَ ﴿١﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ
لَكَ وَيَوْمَ اللَّهُمَّ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ
لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرَّ جَعَلَكَ فَنِيْتِكُمْ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ
فِي الصَّلٰحِينَ ﴿٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ
فَإِذَا أُذِنَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَمَا كَذَّبَ اللَّهُ وَلَئِنْ
جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ
اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنٰفِقِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ

(من كان يرجو لقاء الله) ومثوبته في الآخرة
(فإن أجل الله) الذي أجله وقته لهذا اليوم
الموعود (لأن) لا ريب فيه (وهو السميع)
لكل ما يقال (العليم) بكل ما يفعل؛ فيجازى
عليه (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) أى
لنفسها؛ لأن في الجهاد: حماية الأهل والوطن،
ودفع العدو الغاشم، وإعلاء الدين، ودخول
الجنة (لنكفرن عنهم سيئاتهم) لنحونها عنهم
(ووصينا الإنسان بوالديه حسناً) أى أمرناه
بالإحسان إليهما (انظر آية ٢٣ من سورة
الإسراء) (وإن جاهدك لتشرك بي) في العبادة
(مالميس لك به علم) فقد علمت أن المعبود
بحق هو الله تعالى وحده (فلا تطعهما) إذ
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق! وهى الحالة
الوحيدة التى يجوز فيها مخالفة الوالدين
وعصيانهما؛ إذا ما أكرها ابنيهما على الإشراك
بالله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين) أى لنحشرنهم مع الأولياء
والأنبياء (فإذا أذن في الله) أى بسبب إيمانه
بالله تعالى (جعل فتنة الناس) أى لإذابتهم له
(كذاب الله) المتوقع للعصاة؛ فاضطر بسبب
ضعف إيمانه، وفساد عقيدته؛ إلى الخوف

آمناً

من الناس، والتزلف إليهم (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) من إيمان، أو شرك، أو نفاق
(وليعلمن الله الذين آمنوا) بقلوبهم (وليعلمن المنافقين) الذين أظهروا الإيمان، وأبطنوا الفس والخذاع

ءَامِنُوا أَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِمُحْمِلِينَ
 مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ؕ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٧﴾ وَلِيَحْمِلَنَّ
 أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلِيَسْطَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا
 كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ؕ فَلَبِثَ
 فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ
 ظَالِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً
 لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ
 ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ
 الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ
 تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا
 أَن يَبْلُغَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ

(اتبعوا سبيلنا) ديننا (ولنحمل خطاياكم)
 في اتباعنا

(وليحملن) القائلون «اتبعوا سبيلنا»

(أثقالهم) أوزارهم ؛ بكفرهم (وأثقالا مع
 أثقالهم) أى أوزاراً مع أوزارهم ؛ وهى ذنوب
 من اتبعهم واستن بسنتهم السيئة ؛ من العصاة
 والكافرين (انظر آية ٢٩ من سورة المائدة)

(وجعلناها آية) أى جعلنا السفينة علامة على
 قدرتنا ووحدانيتنا . أو وجعلنا هذه القصة
 عبرة لمن يعتبر ، وعظة لمن يتعظ

(أوثاناً) أصناماً (وتخلقون) أى تتحنون
 (إفكاً) كذباً . والمعنى: إنما تعبدون أصناماً
 تتحنونها بأيديكم (لا يملكون لكم رزقاً)
 أى لا يستطيعون رزقكم ، ولا أنفسهم
 يرزقون (فابتغوا) اطلبوا (عند الله الرزق)
 فهو وحده «الرزاق ذو القوة المتين»
 (واعبدوه) حق عبادته (واشكروا له)
 أنعمه عليكم (إليه ترجعون) فيجزىكم على
 شكركم «وسيجزى الله الشاكرين» (أولم
 يروا) رؤية روية وتفكر (كيف يبدي
 الله الخلق) يبدأه من غير مثال سبق

اَخْلَقَ ثُمَّ يُعَلِّمُهُ ۚ اِنَّ ذٰلِكَ عَلَىٰ اللّٰهِ يَسِيْرٌ ﴿١٥﴾ قُلْ سِيرُوْا
 فِي الْاَرْضِ فَانظُرُوْا كَيْفَ بَدَا الْاَخْلَاقَ ثُمَّ اِلَيْهِ يُنۡشَاةُ
 الْاٰلِهَةُ ۗ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴿١٦﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَّشَاءُ
 وَيَرْحَمُ مَنْ يَّشَاءُ ۗ وَاِلَيْهِ تُقْلَبُوْنَ ﴿١٧﴾ وَمَا اَنْتُمْ بِمُعۡجِزِيْنَ
 فِي الْاَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ ۗ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ
 وَلَا نَصِيْرٍ ﴿١٨﴾ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيٰتِ اللّٰهِ وَلِقَايَةِ
 اٰوَّلِيْكَ يَسۡتَوُوْنَ مِنْ رَّحْمٰتِيْ ۗ وَاَوَّلِيْكَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿١٩﴾
 فَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِيۡهٖ ۗ اِلَّا اَنْ قَالُوْا اَقْتُلُوْهُ اَوْ حَرِّقُوْهُ فَاَنجَلُوْهُ
 اللّٰهُ مِنَ النَّارِ ۗ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ ﴿٢٠﴾
 وَقَالَ اِمَّا اَلْحَدِيْثُ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اَوْ تَنۡسَا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
 فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمۡ بِبَعْضٍ
 وَيَلۡمِزُ بَعْضُكُمۡ بَعْضًا ۗ وَمَا وَّلِيْكَ النَّارُ وَمَا لَكَ مِنْ
 نَّصِيْرِيْنَ ﴿٢١﴾ * قَالَمَنْ لَّهُ لُوْطٌ وَقَالَ اِنِّيْ مُهَاجِرٌ

(ثم يعيده) يوم القيامة كما بدأه «وهو أهون عليه» (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أى يبيد الخلق مرة أخرى ، ويبعثهم يوم القيامة ؛ وحينئذ (يعذب من يشاء) تمذيه ؛ وهومن مات على الكفر ، أو أصر على الفسق ؛ ولم يؤمن بربه ، أو يتب من ذنبه (ورحم من يشاء) رحمة ؛ ممن آمن به ، وتاب عما فرط منه ، وابتعد عن محارمه (وإليه تقلابون) ترجعون (وما أنتم بمعجزين) أى فائتين الله تعالى ، وناجين من عذابه : مهما كنتم ، وأين كنتم ؛ فإنه مترككم (ومالكم من دون الله) غيره (من ولي) يمنعكم منه (ولا نصير) ينصركم عليه (والذين كفروا بآيات الله) القرآن الكريم (ولقائه) أى كفروا بالبعث والقيامة (أولئك يستوون من رحمتي) هم ؛ حين يرون العذاب «وتقطعت بهم الأسباب» (فما كان جواب قومه) أى جواب قوم إبراهيم على دعوته لهم لمبادة الله تعالى ، وترك عبادة الأوثان (إن في ذلك) الإنجاء من النار (آيات) عبر ومعجزات ؛ إذ جعل الله النار برداً وسلاماً عليه (أوثاناً) أسناماً (مودة بينكم) أى جعلتم عبادة الأوثان سبباً للمودة فيما بينكم (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) يتبرأ القادة من الأتباع (ويلعن بعضكم بعضاً) يلعن الأتباع قاداتهم (فأمن له لوط) أى آمن إبراهيم ، وصدق برسالته ؛ وهو ابن أخيه (وقال إن مهاجر لى ربي) أى منتقل من جانبك إلى طاعة الله تعالى . وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن القائل : هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؛ وأنه هاجر من سواد العراق إلى الشام . وقيل : إن القائل هو لوط عليه السلام

إلى

سبباً للمودة فيما بينكم (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) يتبرأ القادة من الأتباع (ويلعن بعضكم بعضاً) يلعن الأتباع قاداتهم (فأمن له لوط) أى آمن إبراهيم ، وصدق برسالته ؛ وهو ابن أخيه (وقال إن مهاجر لى ربي) أى منتقل من جانبك إلى طاعة الله تعالى . وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن القائل : هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؛ وأنه هاجر من سواد العراق إلى الشام . وقيل : إن القائل هو لوط عليه السلام

(وهبنا له) أى لإبراهيم (اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته) أى ذرية إبراهيم (النبوة) فكل الأنبياء بعد

إبراهيم من ذريته (والكتاب) اسم جنس ؛

بمعنى الكتب . أى وجعلنا نزول الكتب في

الأنبياء من ذريته أيضاً : كالتوراة لموسى ،

والإنجيل لعيسى ، والزبور لداود (وآتيناه

أجره في الدنيا) وهو الثناء الحسن في كل

أهل الأديان ، وبين سائر الملل (ولو طأ إذ

قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة) وهى إتيان

الذكران «الواط» (ماسبقكم بها) أى بهذه

الفاحشة ؛ وقد كانوا - لعنهم الله تعالى -

أول من ابتدئها ، واقتدوها (وتقطعون

السبيل) الطريق ؛ لأن كل من صر ؛ كان عرضة

لانتهاك عرضه (في نادبكم) في مجلسكم وجمتمعكم

(المنكر) هو ما ينكره الفرع والعرف

والذوق ؛ وقد كانوا يفلتون الفاحشة ببعضهم

نهاراً جهاراً (اثمتنا بعذاب الله) الذى أوعدتنا

بنزوله (إن كنت من الصادقين) فيما تقوله

(ولما جاءت رسلنا) ملائكتنا إلى (إبراهيم

بالبشرى) بالبشارة بالولد ؛ أو بإهلاك أعدائه

(قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية) قرية

لوط عليه السلام (قال) إبراهيم لرسول ربه

(إن فيها) أى إن في القرية التى أمرت بإهلاك

أهلها (لوطاً) وهو جدير بالحفظ ، قين

بالنجاهة (قالوا نحن أعلم بمن فيها) من الظالمين

فنهلكهم ، ومن المؤمنين فننجبهم ؛ و(لنجبنا

وأهله) وهم من آمن معه (إلا امرأته كانت

من النابرين) الباقيين في العذاب (سىء بهم) ساءه مجيؤهم ؛ خشية الفضيحة بسببهم (وضاق بهم ذرعا)

أى ضاق صدره من أجلمهم ؛ وقد كانوا حسان الوجوه ؛ فغشى قومه عليهم كعادتهم . فلما رأى

الملائكة خوفه وحزنه : قاموا بتسليته

إِن رَّبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٥﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ

ويعقوبَ وجعلنا في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَ وَوَهَبْنَا لَهُ

أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٦﴾

وَلَوْ طَأ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ

بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾ أَلَيْسَ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ

وَتَقَطُّونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ

جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اثْمَتْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن

كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ

الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٩﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى

قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنِ أَهْلُهَا كَانُوا

ظَالِمِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا

لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَةً كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦١﴾

وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا

وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَ وَأَمَّا أَنْتَ
 كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿١٧٠﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ الْقُرْيَةِ
 رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٧١﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا
 مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِن مَدِينٍ آخَرَهُمْ
 شَعْبِيًّا قَالِ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ
 وَلَا تَعْبُدُوا فِي الْأَرْضِ مُشْرِكِينَ ﴿١٧٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمْ
 الرِّجْزَ فَاصْبِرُوا فِي دَارِهِمْ جُنُودًا ﴿١٧٤﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا
 وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
 أَتَمَلَّهْمُ فَصَدَّهْمُ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿١٧٥﴾
 وَقُتْرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ
 فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿١٧٦﴾ فَكَلَّا
 أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَنُنَزَّلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن
 أَخَذَهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن

أَعْرَقْنَا

المكذبين والمستكبرين من قبلهم ومن بعدهم
 (فكلا أخذنا) أهلكننا (بذنبه) الذي ارتكبه بفعله واختياره (فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً) كقوم لوط ؛
 والحاصب: الريح ترمى بالحصى ؛ وهي الحصى الصغار (ومنهم من أخذته الصيحة) كشمود وأهل مدين .
 والصيحة: العذاب ؛ أو من مقدمة لكل عذاب (ومنهم من خسفنا به الأرض) كقارون

(وقالوا لا تخف) من شيء (ولا تحزن) على
 شيء (إننا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً)
 عذاباً (ولقد تركنا منها آية بيّنة) أي تركنا
 من القرية دلالة واضحة ؛ على ما حل بها من
 الحراب والدمار ؛ وهي آثارها وأطلالها البالية
 (وارجوا اليوم الآخر) يوم القيامة ، وما فيه
 من أهوال (ولا تشوا) العنى : أشد الفساد
 (فأخذتهم الرجة) الزلزلة الشديدة (جائعين)
 باركين على الركب ميتين (وعاداً) قوم هود
 (وثمود) قوم صالح (وقد تبين لكم من
 مساكنهم) ما حل بهم من دمار واستتصال ؛
 وكانوا يرونها في أسفارهم نحو اليمن (فصددم
 عن السبيل) منهم عن الإيمان (وكانوا
 مستبصرين) أي ذوى عقول وإدراك وتميز ؛
 لكنهم لم يؤمنوا ؛ فكان كفرهم أشد من
 كفر غيرهم ؛ وذلك كقوله تعالى «وأضلّه الله
 على علم» (وقارون) من قوم موسى ؛ وقد
 مضى ذكره في سورة القصص (وهامان)
 وزير فرعون (بالبينات) بالحجج الواضحات
 الظاهرات (وما كانوا سابقين) أي فائتين ،
 وفاجين من العذاب ؛ بل أهلكنهم كما أهلكننا

أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿١٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ أَخْتَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ
كَقَتْلِ الْعَنْكَبُوتِ إِذْ حَمَدَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ
الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢﴾ وَتِلْكَ
الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿١٣﴾
خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ أَتَى مَا أُرْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾ * وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ وَلَا بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْنَا لِنُهْتَمِ
وَالنَّهْكَرُ وَحْدَ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا

(ومنهم من أعرفنا) كقوم نوح (وما كان
الله ليظلمهم) ليعاقبهم بغير ذنب آتوه (ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون) بارتكاب الذنوب ،
وتعريضها للعقاب (أولياء) نصراء ؛ والقصود
بها الأصنام (وإن أوهن البيوت) أضعفها
(إن الله يعلم ما يدعون) يبدون (من دونه)
غيره (من شيء) أى لانهم لا يبدون شيئاً
يذكر بين الأشياء ؛ وأن معبوداتهم: لا ترفع
لدى درجة الوجود ؛ فإياك إذا قيست بالواجد
لكل موجودا (وتلك الأمثال) النكوت ،
والبعوضة ، وما شابههما (نضربها) نسوقها
(وما يعقلها) ما يفهمها ويتدبرها (إلا العالمون)
المتدبرون (آية) دالة على قدرة الله تعالى
ووحدانيته (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر) عن الحسن رضى الله تعالى عنه ؛
من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر: فليست
صلاته بصلاة ا (ولذكر الله أكبر) المراد
بالذكر : التذكر . أى ولتذكر الله تعالى
وخشيته ، والإسراع فى مرضاته ، والابتعاد
عن محرمانه : أكبر من سائر العبادات ؛ إذ
أن العبادات وسيلة لمعرفة الله تعالى وخشيته ؛
واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ا وعن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما : ولذكر الله إياكم برحمة : أكبر من ذكركم إياه بطاعته! (والله يعلم ما تصنعون)
فيجازيكم عليه ، ويؤاخذكم به (إلا الذين ظلموا منهم) بأن آذوكم وقاتلوكم ؛ فأغلظوا عليهم ، ونكلوا بهم
(وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا و) الذى (أنزل إليكم) من الكتب

المطلون) أى لو كنت تتلو الكتب المتقدمة
 - قبل نزول القرآن - وتكتب يمينك ما نزل
 عليك : لشك المطلون في رسالتك ، وحق لهم
 أن يفكوا وقتذاك . ولكم أى لم تقرأ
 كتاباً ، ولم تحط بحد سطرأ ؛ فلم إذن الشك
 والارتياب ؟ ! (وما يجحد بأياتنا) بعد
 وضوحها ، وإحاطتها بسياج منيع يبعد بها عن
 الصهات (إلا الظالمون) الكافرون (وظلوا)
 لولا أنزل عليه آيات من ربه) أى هلا أنزل
 عليه آيات من ربه : مثل ناقة صالح ، وعصا
 موسى ، ومائدة عيسى ؛ عليهم السلام (أولم
 يكفهم من الآيات الدالة على صدقك) أنا أنزلنا
 عليك الكتاب بتلى عليهم) أى أولم يكفهم
 من الآيات للمجزات: هذا القرآن الذى أنزلناه
 عليك «وما كنت تتلو من قبله من كتاب
 ولا تحطه يمينك» لأنك أى ؟ وهذا القرآن
 - الذى جئت به - أعجز الفصحاء والبلغاء ؛
 وفيه رحمة ، وهدى ، وشفاء للمؤمنين ، وقد
 أحل لهم الطيبات ، وحرم عليهم الجاثث ؛
 ولم يستطيعوا - رغم قوة حججهم ، وبلاغة
 عارضتهم - أن يأتوا بمثله سورة منه ؛ وهو
 معجزة للمجزات أبد الأبدين ، ودهى الداهرين ما
 (والذين آمنوا بالباطل) وهو كل معبود سوى
 الله تعالى «ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون
 من دونه هو الباطل» (ويستعجلونك بالعداب)

(وما كنت تتلو) تقرأ (من قبله) أى قبل نزول القرآن (من كتاب) أى مكتوب (ولا تحطه يمينك)
 لأنك أى : لا تقرأ ولا تكتب ؛ وهى معجزة لك ؛ دالة على صدقك . ولو كنت تكتب وتقرأ (إذا لارتاب

إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَأَلَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ
 بِهِ ۖ وَمَنْ هُنَّوَلَاءَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا
 الْكَافِرُونَ ﴿٤٨٨﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا
 تَحْطُو بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَرْتَابَ الْمَطْلُونَ ﴿٤٨٩﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ
 بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
 إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ
 قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩١﴾ أَوَلَمْ
 يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ إِن فِي ذَلِكَ
 رَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٩٢﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيِّنًا
 وَيُنذِرًا ۚ مَن يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٤٩٣﴾
 وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لِّجَنَاتِهِمْ
 الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٩٤﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ

بِالْعَذَابِ

بقولهم «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» (ولولا
 أجل) وقت (مسمى) ضربناه لنزول العذاب بهم (لجاءهم العذاب) حين استعجلوا به (وليأتينهم بغتة) فجأة

(يوم يشام) يعطيهم (ويقول) أى يقول لهم ربهم على لسان ملائكته - لأنهم محجوبون عن التلذذ بخطاب العزيز الكريم - (ذوقوا ما كنتم تعملون) أى جزاءه (بإعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة) فإذا أوديتم فى بلدة؛ فهاجروا منها إلى غيرها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئتهم) لنزولهم (من الجنة غرفاً)

الغرف: أعالى الجنة (خالدين فيها) أبداً؛ خلوداً لأنها له (الذين صبروا) على الطاعات، وعن المعاصى (وكان من دابة) أى وكم من دابة. والدابة: كل ما يدب على وجه الأرض؛ من إنسان، أو حيوان، أو طير، أو حشرة، أو نحوه (لا تحمل رزقها) أى لا تستطيع الحصول عليه، ولا تدخره (الله يرزقها وإياكم وهو السميع) لأقوالكم ودعائكم (العليم) بأفعالكم وضمائرهم!

والعجب كل العجب: أن تضرب الصخرة؛ فتنشق عن حشرة: لا تدرى حين تلقاها، من أين يرزقها مولاه، وعلى أى شيء أنشأها وربها! وهى إن لم تعبد القوت؛ فليس لها حتماً سوى الموت! وتعبد الإنسان - صاحب الحول والطول، والحيلة والدهاء والتدبير - دائب الكد، متواصل السعى؛ فلا يدرك - بكده وجهده - غير لقمته، ولا يبلغ من حياته سوى الكفاف، أو ما هو دون الكفاف! وتعبد آخر متربعا فى عقر داره؛ يحمل إليه فاخر الملبس، ونفيس المأكل والمشرب؛ بما يفيض عن حاجته، ويزيد عن طلبته؛ ليسجل تعالى على مخلوقاته: أنه الرازق بلا سبب، العطي بلا طلب الرزق «السميع العليم» الذى تكفل بما خلق؛ وساق لكل ما أراده تعالى له، لا ما أراده هو لنفسه؛ فتعالى المدبر الحكيم، الرزاق الكريم (فأنى يؤفكون)

فكيف يصرفون عن الإيمان، بعد اعترافهم (الله يبسط الرزق) يوسعه من غير سبب (لن يشاء من عباده) من غير طلب (ويقدر له) ويضيق عليه؛ بعد التوسعة: ابتلاء له، أو انتقاما منه

بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٣٠﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾ يَنْجَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٣٢﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ لِيَسْأَلَنَّ جَعُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٥﴾ وَكَانَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَرَجَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٧﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا

(بل أكثرهم لا يعقلون) إذ يترفون بخلقته ، ويكفرون بوجدانيته ! (وما هذه الحياة الدنيا) وما فيها من زخرف وبهجة (إلا هو ولعب) لا بقاء له ، ولا ثمرة فيه (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان) أى هى الحياة الحقيقية : الدائمة النعيم ، الباقية السرور والحبور ؛ الجديرة بأن تسمى حياة (فإذا ركبوا فى الفلك) فى

السفن ؛ وهاج عليهم البحر العجاج ، وتلاطمت بهم الأمواج ؛ وظنوا الأمر ب من الله إلا إليه (دعوا الله مخلصين له الدين) أى صادقين فى نيتهم ، محبتين فى دعوتهم : فاستجاب ربهم لدعائهم ؛ وهو تعالى دائم الاستجابة لمن دعاه ، ولو كان عبداً سوأه ! فتعالى الملك العظيم ، البر التواب الرحيم ! (فلسا نجحتم إلى البر) وأنمو الهلاك والإغراق (إذا هم يشركون) بمولاهم ، ويكفرون بمن أنجهم (ليكفروا بما آتيناكم) من نعمة الإثراء والانباء (وليتمتوا) بالدنيا وما فيها من نعيم زائل ؛ ما هو «إلا هو ولعب» (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم ، ومقبة كفرهم ! (أولم يروا أننا جعلنا حرماً آمننا ونخطف الناس من حوهم) أى جعلنا بلدكم حرماً يأمن داخله ؛ فى حين أن الناس تتخطف من حوهم بالقتل ، والسلب ، والسبي (أقبالباطل) الأصنام ، وكل ما عدا الله (يؤمنون وبنعمة الله) الاسلام ، ومجد عليه الصلاة والسلام (يكفرون) فياغياً لهم : اشتروا دنياهم بأخرتهم ، وشقاءهم بسعادتهم ؛ فتعساً لهم ! (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (من افترى) اختلق (على الله كذباً) بأن نسب له الشرك والولد (أو كذب بالحق) القرآن والاسلام (مثنوى) ماوى (والذين جاهدوا فينا) أى جاهدوا من أجلنا . والجهاد

الجزء الثانى والثمرون

٤٩٠

لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِّ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣٦﴾
 وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعْوَابٌ وَقَلْبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
 لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوَكَّاوُا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٧﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكَ
 دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْتَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ
 يُشْرِكُونَ ﴿١٣٨﴾ لِيُكْفِرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَيَتَمَتَّعُوا بِمَا
 يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَنَخْطِفُ النَّاسَ
 مِنْ حَرَمِهِمْ أَنْ يَنْبَغِلُوا يَتَزَمَّرُونَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ يَكْفُرُونَ ﴿١٤٠﴾
 وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا
 جَاءَهُ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ لِيُكْفِرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَالَّذِينَ
 جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ لِسَبِيلِنا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤١﴾

سورة

يطلق على مجاهدة النفس والشيطان ، وأعداء الدين (لتهديهم سبيلنا) أى لتهديهم إلى سبيل الخير والتوفيق .
 أو والذين جاهدوا فيما علموا ؛ لتهديهم إلى ما لم يعلموا ؛ لأن من عمل بما علم : أعطاه الله علم ما لم يعلم
 (وإن الله لمع المحسنين) بالمون ، والنصر ، والحفظ ، والهداية !

(سورة الروم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (غلبت الروم) غلبتها الفرس : ففرح كفار مكة بذلك ؛ لأن الفرس كانوا يعبدون الأصنام مثلهم (في أدنى الأرض) أقربها إلى فارس ، وإلى بلاد العرب . قيل : كانت موقفهم

بالشام (وم) أي الروم (من بعد غلبهم) أي بعد غلبة فارس لهم (سيفلون في بضع سنين) البضع : ما بين الثلاث إلى التسع . وقد التقى الجيشتات في السنة السابعة من اللقاء الأول ؛ وغلبت الروم فارس : مصداقاً لقول العزيز الكريم (لله الأمر من قبل ومن بعد) فهو وحده الذي قدر هزيمة الروم «من قبل» وقضى بنصرتهم «من بعد» (ويومئذ) يوم نصره الروم على الفرس (يفرح المؤمنون) لأن الروم أهل كتاب ؛ فهم بالمؤمنين أشبه ، وإلى قلوبهم أقرب . أما الفرس فقد كانوا من عبدة الأوثان ككفار مكة (ينصر من يشاء نصره - ولو كان ضعيفاً - ويكبت من يشاء كفته - ولو كان قويا - «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم» (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) أي يعلم الكفار ما يحتاجون إليه في الدنيا من أمور المعاش : كالزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، ونحو ذلك . ولا يزالون حتى الآن متقدمين في شتى العلوم والفنون - مصداقاً لهذه الآية الكريمة - فقد تقدموا تقدماً كبيراً في استخدام القوى الكهربائية ، والطاقة الذرية ، وفنون الطيران واللاسلكي ، والميكانيكا ، وغيرها (وم عن الآخرة) وما يوصل إليها : من قول وعمل (هم غافلون) فلا يؤمنون بمخالقهم ، ولا يدينون

بrazقهم (أولم يتفكروا في أنفسهم) كيف أنشأناهم وأبدعنا صورهم ؟ وكيف سويتناهم وخلقنا عقولهم ؟ وكيف هديناهم إلى ما يصلحهم ؟ أو «أولم يتفكروا» فيما بينهم وبين «أنفسهم» (ما خلق الله السموات وما فيها من كواكب وأملاك ، وأنجم وأفلاك ، ومخلوقات حية ؛ لا يحصيها ، ولا يعلمها إلا خالقها ومبدعها (و) ما خلق الله (الأرض) وما فيها من بحار وأنهار ، وجبال وأشجار ، ونبات وحيوان (وما بينهما) مما لا يعد ولا يحسد (إلا بالحق) إلا لإقامة الحق والعدل (وأجل مسمى) أي وبقاؤها لأجل مسمى (ولأن كثيراً من الناس) رغم هذه الدلالات الواضحات على قدرة الله تعالى ووحدانته (بلقاء ربهم لكافرون) لا يؤمنون بالبعث والحساب

سورة الروم

٤٩١

(٢٠) سورة الروم مكية
الإبسية ١٧ مدنية
نزلت بعد الأنشقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلَمْ يَغْلِبَ اَلرُّومُ ۙ فِى اَدْنٰى اَلْاَرْضِ ۙ وَهُمْ
مِنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيٰقِلُونَ ۙ فِىۤ بَضْعِ سِنِيۡنَ ۙ لِلّٰهِ اَلْاَمْرُ
مِنۢ قَبْلِ وَّمِنۢ بَعْدِ ۙ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۙ يَنْصُرُهُمُ
اللّٰهُ يَنْصُرُ مَنۢ يَّشَآءُ ۙ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۙ وَعَدَّ اللّٰهُ
لَا يَخْلِفُ اللّٰهُ وَعَدَّهُ وَلٰكِنۡ اَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۙ
يَعْلَمُونَ ظٰلِمًا مِّنۡ الْحَيٰذَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْاٰخِرَةِ هُمْ
غٰفِلُونَ ۙ اَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوْا فِىۤ اَنْفُسِهِمْ ۙ مَا خَلَقَ اللّٰهُ
السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَاۗ اِلَّا بِالْحَقِّ ۙ وَاَجَلَ مَسْمٰى
وَاِنَّ كَثِيْرًا مِّنۡ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ۙ اَوَلَمْ

يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من
 قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الأرض وعمروها
 أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله
 ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿١٦﴾ ثم كان عقبة
 الذين أسفوا السوائى أن كذبوا بآيات الله وكانوا
 بها يستزفون ﴿١٧﴾ الله يبدا الخلق ثم يعيده ثم إليه
 ترجعون ﴿١٨﴾ ويوم تقوم الساعة يبليس المجرمون ﴿١٩﴾
 ولديكن لهم من فركا بهم شفعتوا وكانوا بشركا بهم
 كافرين ﴿٢٠﴾ ويوم تقوم الساعة يومئذ ينشقرون ﴿٢١﴾
 فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة
 مجرون ﴿٢٢﴾ واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاي
 الآخرة فأولئك في العذاب محضون ﴿٢٣﴾ فسبحن
 الله حين تمسون وحين تصبحون ﴿٢٤﴾ وله الحمد

(اولم يسروا في الأرض فينظروا كيف
 كان عقبة الذين من قبلهم) من المكذبين ؛
 بسبب تكذيبهم ؛ وقد (كانوا أشد منهم قوة)
 وماحل بهم : كعاد وعمود (وأناروا الأرض)
 خرثوها للزرع ، وجفروها لاستخراج الفلزات
 والمعادن (وعمروها) بالتجارة والبناء (أكثر
 مما عمروها) أى أكثر مما عمرها الكفار
 الماصرون (جاءت رسلهم بالبينات) بالهجج
 الواضحات ؛ فلم يؤمنوا ، وكذبوا رسلهم
 وأذوم : فأهلكهم الله تعالى واستأصلهم (فا
 كان الله ليظلمهم) بهذا الإهلاك (ولكن
 كانوا أنفسهم يظلمون) بتكذيبهم الرسل (ثم
 كان عقبة الذين أساءوا السوائى) أى العذاب
 الأسوأ ؛ كما أن عقبة الذين أحسنوا الحسى ا
 (أن) بسبب أن (الله يبدا الخلق) ينشؤه
 ابتداء ؛ من غير مثال سبق (ثم يعيده) يحيه
 للبعث والحساب يوم القيامة (ثم إليه ترجعون)
 جميعاً : مسلمكم وكافركم (ويوم تقوم الساعة
 يبليس المجرمون) يأسسون ويتعبرون .
 والإبلاس : الحزن والانكسار . وقيل : هو
 انقطاع الحجة (شركائهم) آلهتهم اللاتى
 أشركوا بعبادتها مع الله تعالى ؛ وهى الأصنام
 (ينشقرون) المؤمن فى الجنة ، والكافر فى النار (يجرون) يتهللون فرحاً وسروراً

(وعشياً) وقت العشاء (وحين تظهرون) وقت الظهر . والمراد : ليلاً ونهاراً (يخرج الحي من الميت) يخرج الدباجة - وهي حية - من البيضة - وهي ميتة - ويخرج الإنسان - وهو حي - من المني - وهو ميت في ظاهره - (ويخرج الميت من الحي) يخرج البيضة من الدباجة ، ويخرج الحي من الإنسان والحيوان .

وقد ورد في الحديث الشريف : «يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن» وذلك لأن الإيعان: هو الحياة الحقيقية التي يعتد بها ، وقد شبه الله تعالى الكفار بالمولق في غير موضع من كتابه الكريم

(انظر آية ٢٧ من سورة آل عمران) (ويحيي

الأرض بعد موتها) ينبتها بعد جديدها (وكذلك

تخرجون) أي وكما يخرج النبات من الأرض

- بعد جديدها - بقدرة الله تعالى : تبشون من

القبور - بعد موتكم - بإرادته تعالى (ومن

آياته) علامات قدرته وربوبيته (أن خلقكم)

أي خلق أبائكم وأصلكم : آدم عليه السلام

(تنتشرون) في الأرض ، وتتصرفون فيما فيه

معاشكم ومنفعتكم (ومن آياته أن خلق لكم

من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا) لتطمئنون (لإيها)

وترتاحوا (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي

جعل بينكم التواد والترحم ؛ بسبب الزواج

وقيل : «مودة» بالثبابة «ورحمة» بالجزوز .

ولا يخفى ما به الله تعالى بين الأزواج : من

الشفقة والحنان ؛ وما أوجه على كلا الزوجين

من المودة ، والتفاني في الإخلاص والمحبة !

وهذا لا يتناق مع ما يحدث من الشقاق بين

الطبقة الدنيا ، وذوى النفوس الوضيعة ؛ مما

ينشأ من ضعف الأخلاق ، وفساد البيئة ، ونقص

التربية . وكثيراً ما يكون ذلك سبباً في هدم

بعض النواميس الطبيعية : فقد يقتل الابن أمه

- وهو أحب الناس لديها - والأب ابنه - وهو

قرة عينه في الحياة - وما سبب ذلك لإفساد

الطباع ، والانصراف عن الدين الخفيف :

الأمر بكل خير ، الناهي عن كل شر ! والآية

الكريمة تشير إلى أن الواجب على الزوجين : أن تسود بينهما المودة والحنان ، والرحمة والإحسان ! كيف

لا وها شركاء البساء والنماء ، والضراء والسراء ! (ومن آياته) تعالى أيضاً (خلق السموات والأرض)

وما فيها ، ومن فيها (واختلاف ألستكم) لغاتكم (وألوانكم) فهذا أبيض ، وهذا أسود ، وهذا أحمر ،

وهذا أصفر ؛ بغير تفریق بين كل منهم في الفقد والفضل ؛ اللهم إلا بالعلم والتقوى : فالعالم الأسود المتق

ربه: خير من الجاهل الأبيض المفرط في حقوق مولاه «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» ومن عجب أن كثيراً من

الأمم الغربية - التي تزعم المدنية الزائفة - اتخذت التفریق العنصري ديدناً وشعاراً : فهم يقتلون الملونين

بأوهى الأسباب ؛ بل بلا سبب أصلاً ؛ ولا يثارون لهم من يعتدى عليهم من أبناء جلدتهم . وقد فاتهم =

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٧﴾

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ﴿١٨﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ

أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ ﴿١٩﴾

وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا

إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَةَ وَاللُّغَةَ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ مَتَاعُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

وَاتِّبَاعُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا

وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ

= أن جميع الكائنات البشرية أخوة ، وأن وراء هذه الألوان المتعددة روحاً واحدة لا لون لها ؛ وأن لها واحداً هو الذي خلقهم جميعاً ، وأودع في كل منهم سره ونوره ؛ وأرعى على روح كل واحد منهم ستاراً كسيفاً ؛ هو الجسد ؛ وهذا الستار يكون في صقع أبيض ، وفي آخر أسود ؛ وفي صقع أحمر ، وفي آخر أصفر . ومن آياته تعالى النباتات : اختلاف اللغات ؛ وقد بلغ عددها في بعض الأصناف عشرات المئات . وقد قام كثير من الباحثين بمصر اللغات العالمية وإحصائها ؛ فزاد ما أحصوه على الثلاثة آلاف ، ولم يبلغوا بعد غايتها ونهايتها .

الجزء الحادى والعشرون

٤٩٤

وتستوى اللغات جميعاً في وحدة المقصد ؛ وهو الإبانة . ولا فضل لإحداها على الأخرى إلا بالسهولة ، ويسر تناول . وقد شرف الله تعالى اللغة العربية بنزول القرآن بها ؛ وذلك بسبب حاجة الأمة العربية للهداية ؛ ولا يستطيع إنسان - بالغاً ما بلغ من رجحان العقل أو قصائه - أن يزعم أن اللغة العربية - التي نزل بها القرآن - هي اللغة التي يتخاطب بها ملائكة الرحمن في سمواته ، وأنها لغة الله تعالى التي لا يصدر أوامره إلا بها . ألم ينزل بها كتابه ؛ وهو كلامه العزيز ، وقرآنه الكريم؟! والواقع أن اللغات جميعاً - عربيها وعجميها - مخلوقة لله تعالى ، وهي إحدى آياته البينات «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم» .

وليس من فضل لغة من اللغات على صاحبها ؛ سوى الإبانة التي لم تخلق اللغة إلا لتكون أداة لها .

وكما أوحى ربك إلى الإنسان ؛ أوحى أيضاً إلى الحيوان «وأوحى ربك إلى النحل» ونتيجة الوحي في الحالتين ؛ هي وصول العلم بالوحي به إلى الوحي إليه - مع اختلاف الوسائل - وكذلك كان وحيه تعالى إلى كثير

من خلقه «وأوحينا إلى أم موسى» فلم يقل إنسان ؛ أنه تعالى أوحى إليها عن طريق جبريل عليه السلام ؛ وإنما كان عن طريق الكشف عما يجب أن يتبع ، أو عما فيه الصالح العام للجمع الإنساني .

ومن ذا الذي يستطيع أن يبيح أن ما نراه من صنوف المخترعات ، وشتى الفنون ؛ إنما كان عن طريق الوحي ، والتوجيه ، والتعليم الإلهي «علم الإنسان ما لم يعلم» .

وإلا فأين جهد العقل الإنساني من الكهرباء ؛ وهو لم يعلم - حتى الآن - كتبها ، ولم يكشف سرها ؛ وأين جهد العقل البشري من الرادار ، والتليفزيون ، والذرة ، وما شاكل ذلك ؟

إن الإنسان يتوهم أن جميع ذلك كان وليد الصدفة الحضة ؛ ولكن هذه الصدفة التي يزعمونها ؛ =

أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۗ ثُمَّ إِذَا دَعَا نَادٍ دَعْوَةً
مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿١٥٠﴾ وَلَمْ يَمْنُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْرٍ قُنُوتُونَ ﴿١٥١﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۗ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٥٢﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ
أَنْفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِن مَّشْرَكَ
فِي مَا رَزَقْتَكُمْ قَاتِمٍ فِيهِ سَوَاءٌ مَّا خَفَوْنَهُمْ كَيْفَ تَنْفِكُ أَنْفُسَكُمْ
كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٥٣﴾ بَلِ اتَّبَعَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ
وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿١٥٤﴾ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيَّا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥٥﴾

المشركين ﴿١٥٥﴾

من خلقه «وأوحينا إلى أم موسى» فلم يقل إنسان ؛ أنه تعالى أوحى إليها عن طريق جبريل عليه السلام ؛ وإنما كان عن طريق الكشف عما يجب أن يتبع ، أو عما فيه الصالح العام للجمع الإنساني .

ومن ذا الذي يستطيع أن يبيح أن ما نراه من صنوف المخترعات ، وشتى الفنون ؛ إنما كان عن طريق الوحي ، والتوجيه ، والتعليم الإلهي «علم الإنسان ما لم يعلم» .

وإلا فأين جهد العقل الإنساني من الكهرباء ؛ وهو لم يعلم - حتى الآن - كتبها ، ولم يكشف سرها ؛ وأين جهد العقل البشري من الرادار ، والتليفزيون ، والذرة ، وما شاكل ذلك ؟

إن الإنسان يتوهم أن جميع ذلك كان وليد الصدفة الحضة ؛ ولكن هذه الصدفة التي يزعمونها ؛ =

== إن هي إلا وحى خالص من لدن حكيم عليم ! (انظر آية هـ من سورة العلق).

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

(كل له فاتون) متقادون (وهو أهون عليه) أى ان إعادة الخلق : أهون عليه من بدئه (هل لكم مما ملكت أيمانكم) عبيدكم (من شركاء فيما رزقناكم) أى هل يرضى أحدكم أن يكون مملوكه شريكاً له في ماله الذى رزقه الله تعالى ؟ فإذا لم يكن ذلك كذلك ؛ فكيف ترضون لله شريكاً : هو فى الأصل مخلوق ،

سورة الروم ٤٩٥

المشركين ﴿٤٩٥﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا سِحْماً
كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ ﴿٤٩٦﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ
دَخَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقْتَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا
فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٤٩٧﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ
فَقَسَمُوا لَئِنْ قَسَمْنَا لَهُمُ الْوَسْطَىٰ فَهِيَ تَكْذُوبٌ ۗ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا
فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٤٩٨﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٤٩٩﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠٠﴾ فَفَعَلَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ
السَّبِيلِ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلَىٰ لَهُمْ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٠١﴾ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَيْلٍ يَبْرِوَأِ أَمْوَالِ النَّاسِ
فَلَا يَبْرِوَأُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ

وملوك لله ؟ (فأتتم فيه سواء) أى أتم وعبيدكم سواء فى الرزق ؛ ومع ذلك لا ترضونهم شركاء فيه ؛ ورضيتم لله شركاء فى خلقه وملكوه ، من عبيده وصنع يده ! (تخافونهم كيف تخافونكم) أن تخافون أن يرضى عبيدكم ولماؤكم ؛ وكيف أن يرث بعضكم بعضاً . فإذا كنتم تخافونهم على أموالكم - وأتم وهم فيها سواء - فكيف ترضون أن يشرك الله تعالى فى ملكه : ما تصنعونه بأيديكم ؛ وأتم صنع يده ، وفقراء رحمة ؟ ! (فأتتم وجهك للدين) أى أقبل عليه باهتمام (حنيفاً) مسلماً ، مثلاً إليه (فطرة الله) خلقته ودينه (التي فطر الناس عليها) أعدهم لقبولها ، وأهلهم لقبولها وألزمهم بها ؛ بما أودعه فيهم من عقل وتمييز (ذلك الدين القيم) المستقيم ، الواضح ، المقبول ، المقبول ؛ الذى تستسيغه وتقبله الفطر السليمة (منيبين إليه) راجعين إليه : مؤتمرين بأوامره ، متبينين عن نواهيها (وكانوا سحماً) فرقا (كل حزب) كل فرقة ، وجماعة (بما لديهم) من الآراء الباطلة ، والعقائد الفاسدة (فرحون) مسرورون ؛ لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث وراء الحقائق ، والسعى إلى معرفة الخير الموصول إلى رضا الرحمن ورحيب الجنان ! (وإذا مس الناس ضرراً) شدة ، وفقر ، ومرض (دعوا ربهم منيبين إليه) راجعين إلى طاعته (ثم إذا

أذاقهم منه رحمة) سعة ، ورخاء ، وحمية (إذا فريق منهم برههم يشركون) أى يشركون غيره معه فى العبادة : مخلوقهم فيعبدون غيره ، ويرزقهم فيشكرون سواه ! وللشرك مظاهر شتى لا حصر لها فليس مقصوداً على عبادة غير الله بحسب : فلو اتصر محارب على عدوه ، وظن أن نصرته من قوته : فقد أشرك بمن أعانه وأخذ بنصرته . ولو أترى تاجر ، وظن أن ذلك بفطنته : فقد أشرك برازقه . وإذا برع صانع فى صنعه ، وظن أن ذلك بمذقه ومهارته : فقد أشرك بعمله وموقفه ! فاحذر - هداك الله - الشرك الخفى ؛ فقد أهلك من كان قبلكم قال تعالى «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» ومن قبل قال فارون «إنما أوتيته على علم عندى» (ليكفروا بما آتيناكم) من الخيرات والبركات : فن مال وفير ، ورزق كثير ؛ إلى سرور =

== وحبور، وصحة وقوة، وبين وبنات. (تمتعوا فسوف تعلمون) عاقبة تتمتعكم، وعدم شكركم. ١. (أم أنزلنا عليهم سلطاناً) حجة؛ وكتاباً (فهو) أي الكتاب (يتكلم) كلام دلالة؛ لا كلام نطق (بما كانوا به يشركون) أي بصحة شركهم (وإن تصبهم سيئة) شدة وضيق (بما قدمت) بسبب ما قدمت (أيديهم) من ذنوب وآثام (إذا هم يقتلون) يأسون من رحمة الله تعالى ومعوته (ويقدر) ويضيق (إت في ذلك) البسط والتضييق (آيات) لعبر، وعظات، ودلالات؛ تدل على وجود الخالق الرازق؛ الذي «يرزق من يشاء

الجزء الحادى والعشرون

بغير حساب» وبغير سبب ظاهر، ويضيق على من يشاء بغير سبب؛ ومع توافر أسباب الرزق والسعة. فهو تعالى وحده يختص من يريد بما يريد «له الخلق والأمر» فإذا كنت يامن هداك الله؛ ترغب في فضل الله (فأت ذا القرنى) حقه والمسكين وابن السبيل) وهو المسافر المنقطع. وقد عرفنا الله تعالى بذلك: أن لدى القرنى، والمسكين، وابن السبيل حقوقاً ثابتة في أموالنا؛ يجب بنها لهم، وأداؤها إليهم. وأن هذه الحقوق ليست تفضلاً منا عليهم؛ بل هي فرض واجب الأداء والوفاء، وأوامر واجبة النفاذ؛ أصدرها من ملك الخلق والرزق، والثواب والقاب (وما آتيتم) أعطيتم أحداً (من رباً) أي من شيء تطلبون زيادته؛ كأن تهبوا هبة أو تهديوا هدية؛ لا بقصد الهبة، ولا بقصد الإهداء؛ بل بقصد الزيادة والتفاخر، والتكاثر (ليرو) ليزيد (في أموال الناس) فيردونه إليكم مضاعفاً؛ فإن هذا الصل إذا جاز أن يربو عند الناس (فلا يربو عند الله) لأنه لم يقصد به وجهه الكريم! فليس لكم عليه من أجر، ولا ثواب. وهو كقوله تعالى «ولا تمنن تستكثر» (وما آتيتم) أعطيتم وأقمتم (من زكاة تردون) بها (وجه الله) مرضاته وثوابه (فأولئك هم المضعفون) الذين يضاعفون ثواب

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٤٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن دَلِكُمْ مَن شِئْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيَلْبِثَهُمْ بِهِمْ بَعْضُ الَّذِي وَعَدُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ ﴿٥٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٥٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ؕ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٥٥﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ

وَلَعَلَّكُمْ

حسانتهم؛ فيرضيهم ربهم ويرضى عنهم (هل من شركائكم) الذين تعبدونهم (من يفعل من ذلك من شيء) أي هل من شركائكم من يستطيع أن يبسط الرزق لأحد، أو أن يقدره على أحد؛ أو أن يكشف الضر عن أحد، أو أن يلحقه بأحد؛ أو أن يخلق، أو يرزق؛ أو أن يحيي أو يميت؛ (ظهر الفساد) المراد بظهور الفساد: ظهور المعاصي؛ وظهوره: ظهور آثاره وعواقبه (في البر) بالجدب، وتقش الثمرات، وذهاب البركة! (والبحر) بقله ماء المطر، المستمد منه، أو بقله الأسماك التي تصاد منه، أو بكثرة طفيانها بالفيضان والإغراق (بما كسبت أيدي الناس) من المعاصي (ليذيقهم) ربهم (بعض الذي عملوا) أي جزاءه (لعلهم يرجعون) عن معاصيهم؛ فتعود إليهم أرزاقهم، وتتوافر خيراتهم ومكاسبهم، ويرضى عنهم ربهم! ==

== (فأتم وجهك) اقصد واتجه بكليتك (لدين القيم) الإسلام؛ فذلك وحده سبب كل خير ويسرا (من قبل أن يأتي يوم) هو يوم القيامة (لا مرد له من الله) لادافع له، ولامانع (يومئذ يصدعون) أى يتفرقون «فريق في الجنة وفريق في السعير» (ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمدون) أى يسوون لأنفسهم مقر راحتهم في الدنيا، ونعيمهم الدائم في الآخرة! (الرياح مبشرات) بالمر؛ الذى هو سبب الإنبات والرزق (وليزيقكم من رحمته) خصبه وسعته (ولتجرى الفلك) السفن (بأمره) بإرادته، وموعوته، وحفظه (ولتبتغوا من فضله) تطلبوا الرزق بالتجارة (والكسب؛ عن طريق الأسفار، في البحار

٤٩٧

مسورة الزوم

(غشاءوم بالبنات) بالمحج الواضحات
الظاهرات (ويجمله كسفاً) قطعاً (فترى الودق)
المطر (يخرج من خلاله) أى من خلال السحاب؛
وهو وسطه (فاذا أصاب به) أى بالمر
(لبسين) آيسين (فانظر لى آثار رحمة الله)
بعباده، وشفقته بخليقته (كيف يحيى الأرض)
بالماء، والنبات، والأقوات (بعد موتها)
جديها وييسها (إن ذلك) الإله؛ المرسل
الرياح، الثير السحاب، النزول الماء على من
يشاء، المحي به الأرض بعد موتها «إن ذلك»
القوى القادر (لحي الموتى) من قبورها، وبعثها
من أجدانها، ومحاسبها على أعمالها! (فأروه
مضفراً) أى الريح، أو الزرع، أو السحاب.
وذلك لأن اصفرار السحاب: يدل على عدم
وجود الماء فيه، واصفرار الريح: على أنها
لا تلقح السحاب، واصفرار الزرع: على بيسه
وعدم نمائه (ظلووا) لمكثوا (من بعده) أى
من بعد الاصفرار، وبأسهم من الإمطار
(يكفرون) يمجدون أنهم الله تعالى السابقة
عليهم، ورحمته الواصلة إليهم (فإنك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم الدعاء) أى لا تستطيع

إسماع موتى القلوب، ولاصم العقول. وشبههم تعالى بالموتى والصم؛ لأن حالهم كحالهم في عدم الانتفاع بالسماع

وَلَمَّا كَرِهَ لَكُمْ شِكْرُونَ ﴿٤٩٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ لِجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنكَبْتُمْ مِنْهَا الْبُكْبَاءَ أَجْرُمُوا ﴿٤٩٨﴾ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٩٩﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَنبِهُ بِحَبَابِهَا قَيْبُطَهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ ﴿٥٠٠﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَّسِينَ ﴿٥٠١﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠٢﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥٠٣﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ ﴿٥٠٤﴾ وَمَا أَنْتَ بِبَدِ الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ الْأَمَانَ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٠٥﴾

(الله الذي خلقكم من ضعف) أى من شيء ضعيف ؛ لا قوة له : وهو المنى . أو أريد به الطفولة ؛ وهي ممكن الضعف (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وهو سن الشباب والقوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفاً) وهو الهرم والشيخوخة (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) الكافرون ؛ أنهم (مالئوا) مكتوا في الدنيا أو في القبور (كذلك كانوا يؤفكون) أى «كذلك» كما صرفوا عن حقيقة لبثهم في الدنيا أو في القبور ؛ كانوا يصرفون عن الحق في الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم) الملائكة (والإيمان) وهم الأنبياء (لقد لبثتم في كتاب الله) أى فيما كتبه الله تعالى في سابق علمه وتقديره (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا) الكفار (معزرتهم) اعتذارهم عما سلف منهم في الدنيا (ولا هم يستعتبون) يعاتبون ؛ لأن العتاب ، لا يكون إلا بين الأحياء . والاستعتاب أيضاً : الاسترضاء (ولئن جئتهم بآية) معجزة مما يترحون ؛ كالصاع ، واليد ، والناقطة ، والمائدة ، وأشياء ذلك (ليقولن الذين كفروا) وهم الذين يترحون الآيات والمعجزات ؛ كقولهم «فأت بآية إن كنت من الصادقين ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون» فإذا جاءهم رسولهم بآية قالوا (إن أنتم إلا مبطلون) كاذبون ، ساحرون (كذلك) كما طبع الله تعالى على قلوب هؤلاء حتى أدخلوا النار بأعمالهم (يطبع الله) يحتم ويغشى (على قلوب الذين لا يعلمون) أى الذين لا يلقون بهم لأدلة التوحيد ، وبراهين الربوبية (فأصبر) على أذام (إن وعد الله) بنصره وخذلانهم (حق) لا مراء فيه (ولا يستخفك) أى لا يحملك على الخفة ، والقلق ، والجزع : قولهم لكم «إن أنتم إلا مبطلون» .

* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِبْهَهُ يَتَحَفَّى مَائِسَاءً وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٤٩٨﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِئُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٤٩٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَكُمْ يَوْمَ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٠٠﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٠١﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتُم بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ ﴿٥٠٢﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٠٣﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠٤﴾

(حق) لا مراء فيه (ولا يستخفك) أى لا يحملك على الخفة ، والقلق ، والجزع : قولهم لكم «إن أنتم إلا مبطلون» .

(٣١) سُورَةُ لُقْمَانَ مَكِّيَّةٌ
 إِلَّا الْآيَاتِ ٢٧ وَ ٢٨ وَ ٢٩ فَدَنِيَّةٌ
 وَأَمَّا ٣٤ نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِضَافَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّمَا تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى
 وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى
 مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ
 مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝
 وَإِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَذْيَبْنَا وَلَّا مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَنْ نَسْمَعَهَا كَانَ
 فِي أذْنَيْهِ وَقَرًّا فَنَبِّئْهُ بِعَذَابِ الْيَمِّ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا

(سورة لقمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) (انظر آية ١ من سورة البقرة) .

(أولئك) المقيمون الصلاة ، المؤتون الزكاة ،
 الموقنون بقاء الله (على هدى من ربهم) فتحوا
 آذانهم لكلامه ؛ ففهم بإنعامه ، وأطاعوا
 رسله ؛ فهداهم سبيله (وأولئك هم المفلحون)
 الفائزون في الآخرة بالنعم الأكبر ، والخير
 الأوفر (ومن الناس من يشتري لهو الحديث)
 أى مايلهى من الحديث (ليضل عن سبيل الله)
 طريق الإسلام (كان في أذنيه وقراً) صما

(رواسي) جبلا شوامخ (أن تميد) لثلا تميل الأرض (بكم) وتضطرب (وبث) فرق ونشر (فأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) حسن ، عظيم ، بهيج (هذا خلق الله) خلق الجنان ومن أهلهم لسكنائها ، والجحيم ومن أعدم لظاها ، وخلق السموات وما فيها ومن فيها ، والأرض وما فوقها وما تحتها ، والجبال لتقيها وتحفظها ، والإنسان ، والدواب لتسكنها وتتم بجزائرها وبركاتها ، وأنزل من السماء ماءً ليصلحها ويخصبها ، وأنتع من فيها ؛ امتحاناً لهم ، واختباراً لإيمانهم ! «هذا» جميعه «خلق الله» (فأروني) أيها المكذبون الضالون (ماذا خلق الذين)

الجزء الحادى والعشرون

٥٠٠

تعبونهم (من دونه) غيره تعالى (بل الظالمون) الكافرون الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب ، وحرمانها من الثواب (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهى العلم ، والإصابة فى الرأى ، وتحرى الحق ، و «لقمان» قيل : إنه كان عبداً حبشياً . وقيل : إنه من أولاد آزر . وقيل : إنه عاش ألف سنة : وأدركه نبي الله داود ، وأخذ عنه العلم . وقد كان يقضى ويفى قبل بعثته ؛ فلما بث قطع القضاء والفتيا ؛ فسئل فى ذلك . فقال : ألا أكنفى إذ كفت . وقال بعضهم بنبوته . والجمهور على أنه كان حكيماً ولياً ، ولم يكن نبياً ؛ ولقد أحب لقمان ربه فأحبه ؛ وآتاه «الحكمة» وعلمه ما لم يكن يعلم ! (أن اشكر الله) وشكر الله تعالى : أساس الإيمان ، ورأس الحكمة (ومن يشكر فأنا بشكر لنفسه) لأن ثواب شكره تأيد عليها (ومن كفر) فلم يشكر أنهم الله تعالى عليه (فان الله غنى) عن عبادته ، وعن شكره «ومن كفر فان الله غنى عن العالمين» (حميد) محمود فى صنعه ، مستوجب الحمد والشكر ؛ فإنا من نعمة إلا هو - جل شأنه - مسديها . وما من خير إلا هو - عز سلطانه - باعته . وما من مخلوق إلا تحوطه من الله تعالى أنهم لا يدرك مداها ، ولا تعلم خوافيها :

وَعَدَّ اللَّهُ حَسَنًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠١﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَيَعْرِى عَمَدَ تَرَوْنَهَا وَالَّذِى فِي الْأَرْضِ نَرُوبِى أَنْ تَعْبُدَ بِكُرْ
 وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
 فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠٢﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِى مَاذَا
 خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٠٣﴾
 وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ
 فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٠٤﴾
 وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ
 إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
 إِحْسَانًا وَهَنَاءَ عَلَى وَهْنٍ وَفَصْلًا فِي عَمَتَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي
 وَبِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ
 بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا
 مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ
 فَأُنَبِّئُكُمْ

فَأُنَبِّئُكُمْ

فكم لله من لطف خلقه يصدق خفاه عن فهم الذكى ا

وقد أبان الله تعالى لنا حكمة لقمان ، وأن جامعها شكر العزيز المنان : «أن اشكر الله» وأن أغش الظلم وأعظمه : الشرك بالله (يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) وأن خير ما يرضيه تعالى : طاعة الوالدين وبرهما ، والمحبب عليهما ، وشكرهما «أن اشكر لى ولوالديك» (ووصينا الإنسان بوالديه) والوصية : أرق مهنية من الأمر ؛ ألا ترى لى قول الرحيم الرحمن - بعد أن أمر ونهى فى محكم القرآن - «ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون . ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون» (انظر آيتى ١٥١ و ١٥٢ من سورة الأنعام) (حلتته أمه وهنأ على وهن) أى ضعفاً على ضعف (وفصالة) فطامه (أن اشكر لى ولوالديك) الشكر لله تعالى : =

== على نعمه ؛ وأجلها وأفضلها : نعمة الإيمان « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » والشكر للوالدين : على حبهما ، وتضحيتهما ، وتربيتهما ، ونصحهما ! وقد قرن تعالى شكر الوالدين بشكره : ليشعرا بمزيد الاهتمام لهما ، والعناية بهما (انظر آية ٢٣ من سورة الإسراء) (وإن جاهداك فانالك على أن تمرك بنى ما ليس لك به علم) أى على أن تعبد ما يعبدان من آلهة لا أصل لها ولا حقيقة لأمرها (فلا تطعها) على الشرك . وهو الأمر الوحيد الذى يستوجب عصيانها ومخالفتها ؛ ولكنه لا يستوجب نبذها ، أو محاربتها ؛ كسائر الكفار والمشركين ؛ فقد قال تعالى (وصاحبها فى الدنيا معروفا) أى بالمعروف الواجب لهما : من بر ، وصلة ، ومعونة . وقد أفنى الأكثرون على وجوب معاوتتهما فى الذهاب إلى الكنيسة متى طلبا ذلك (وانتج سبيل من أناب) رجع (إلى) فى دينه ، وأمره ، واستعانه ، وتوكله (فأنيتكم بما كنتم تعملون) فى الدنيا من عمل ؛ فأجازكم عليه : ثواباً ، أو عقاباً (يابنى لها) أى الحصلة السيئة ، والفعله الذميمة (إن تك مثقال) وزن (حبة من خردل) التمثيل بحبة الخردل : مبالغة فى الصغر؛ لأن حبة الخردل ؛ من أصغر الحبوب (فتكن) هذه الحبة من الخردل مستكنة (فى صخرة) فلا ترى لدى عينين (أو) تكن ضائعة (فى السموات) على سعتها (أو فى الأرض) على رحبها ؛ فإنها لا تخفى على ربها ؛ بل (يات بها الله) الذى « يخرج الحبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون » (إن الله لطيف بعباده (خير) بأحوالهم (يابنى أتم الصلاة) فى أوقاتها . والصلاة لله تعالى : فرضت فى سائر الشرائع المتقدمة ؛ مع اختلاف بسيط فى طرق أدائها ؛ مع اتحادها جميعاً فى الخضوع له تعالى ، والاتجاه إليه ، والإقرار بوحدانيته ! (وأمر بالمعروف) وهو كل ما يقره الشرع ويرتضيه ، ويأمر به (وإنه عن المنكر) وهو كل ما ينكره الشرع ، وتأباه المروءة ، وتنبو عنه الأذواق السليمة ! (واصبر على ما أصابك) أى ما يصيبك فى هذه الحياة من شدائد وبلايا ، وما تلقاه من أذى عند الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وما يصيبك عند كبح الجماع ، عن غير المباح ! (إن ذلك) الصبر (من عزم الأمور) أى معزوماتها ؛ التى يجب التمسك بها . أو «إن ذلك» الذى وصيتك به جميعاً : من إلمة الصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والاصبر على المكروه (ولا تصعر خدك للناس) أى لا تعرض عنهم تكبراً . والصر - بفتح العين - ميل الوجه (واقصد فى مشيك) القصد : التوسط . أى لا تسرع فى المشى ؛ فيذهب بهاؤك ، ولا تنبأط ؛ فتبدو خيلاً (واصبر عليكم نعمه) =

فَأَنْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٠﴾ يَبْنِيْ لَهَا إِنْ تَكَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ
أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٥١﴾
يَبْنِيْ أَمِمَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَاصِرٌ عَلَيَّ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٥٢﴾
وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٥٣﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ
الْحَمِيرِ ﴿٥٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ تَحْرَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُّجَادِلُ فِي اللَّهِ يَغْيِرُ عَلَيْهِ وَلَا هُدَىٰ وَلَا
كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا
بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ

ما يقره الشرع ويرتضيه ، ويأمر به (وإنه عن المنكر) وهو كل ما ينكره الشرع ، وتأباه المروءة ، وتنبو عنه الأذواق السليمة ! (واصبر على ما أصابك) أى ما يصيبك فى هذه الحياة من شدائد وبلايا ، وما تلقاه من أذى عند الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وما يصيبك عند كبح الجماع ، عن غير المباح ! (إن ذلك) الصبر (من عزم الأمور) أى معزوماتها ؛ التى يجب التمسك بها . أو «إن ذلك» الذى وصيتك به جميعاً : من إلمة الصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والاصبر على المكروه (ولا تصعر خدك للناس) أى لا تعرض عنهم تكبراً . والصر - بفتح العين - ميل الوجه (واقصد فى مشيك) القصد : التوسط . أى لا تسرع فى المشى ؛ فيذهب بهاؤك ، ولا تنبأط ؛ فتبدو خيلاً (واصبر عليكم نعمه) =

== أعما ووسعها (ظاهرة وباطنة) الظاهرة : حسن الخلق واستواء الأعضاء . والباطنة : حسن الخلق ،
والذكاء ، والعلم ، والمعرفة . أو الظاهرة لك : كالغنى ، والعافية ، والإيمان . والباطنة عنك : كالإنجاء
من المكروه ، ودفع الأرزاء والأسواء ؛ من حيث لا تدري ولا تحسب . ونعم الله تعالى الغنية : أكثر
من أن تحصى ، وأعظم من أن تستقصى ! فلو علمت أيها الإنسان ، أن الحنان اللتان : يسلك من بين يديك
ومن خلفك من يكلؤك بإرادته ، ويحفظك بمشيئته ؛ لما وسعك إلا التمسك بطاعته ، والتزلف إليه ! واذكر

الجزء الحادى والعشرون

٥٠٢

قوله تعالى «له معقبات من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه من أمر الله» وقوله العزيز الجليل «فأله
خير حافظا وهو أرحم الراحمين» (ومن يسلم
وجهه إلى الله) أى يقبل على طاعته ، وينقاد
لأوامره (وهو محسن) فى عمله (فقد استمسك
بالعروة الوثقى) بالحبل المتين الوثيق ؛ الذى
لا انقطاع له ؛ وهو دين الله المستقيم : الذى
من تمسك به فاز ونجا ، ونال الدرجات العلى !
(إلينا مرجعهم) هؤلاء الكفار (فنتنهم بما
عملوا) ونجزيم عليهم : جعيا ، وعذابا أليما !
(إن الله علم بذات الصدور) بمكنوناتها
(نمتهم قليلا) فى الدنيا ؛ لأن زمنها قصير وإن
طال (ثم نضرم) نلجئهم (إلى عذاب غليظ)
قاس ، شديد (إن الله هو الغنى) عن خلقه
(الحمد) مستوجب الحمد : الحمدود فى صنعه
(ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام) أى لو
أن سائر شجر الأرض ؛ تحولت فروعها وأغصانه
إلى أقلام يكتب بها (والبحر) الذى لا يحده
حده ، ولا يبلغ أمده (بعده من بعده سبعة
أبحر) تأنله فى العمق ، والسعة ، والعظم ؛
وصارت مياه هذه البحار بجمعة مدادا ؛
تستمد منه هذه الأقلام ، وتكتب كلمات الله
تعالى : لنفدت هذه الأبحر ، ونضب ماؤها ؛
(ما نفدت كلمات الله) وليس المراد بالكلمات
فى هذا المقام : الكلام المكون بالنطق ،

يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ الْعِيسَىٰ ﴿٥٠١﴾ * وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ
إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مَحْسِنٌ قَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَىٰ
اللَّهِ عِنَقَةُ الْأُمُورِ ﴿٥٠٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُ
هٖ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الْصُدُورِ ﴿٥٠٣﴾ نَمَتَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْرِبُهم إِلَىٰ عَذَابِ
غَلِيظٍ ﴿٥٠٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٠٥﴾
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَمِيدُ ﴿٥٠٦﴾ وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمُ وَالْبَحْرِ
يُدْمَهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ بَحْرِ مَافِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٠٧﴾ مَا خَلَقْنَا وَلَا بَعَثْنَا إِلَّا نَفْسًا
وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٥٠٨﴾ الرَّ تَرَأَىٰ اللَّهُ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ
فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا

بِحُرَّتِهِ

وهى النعم الجزيلة ، والمان العظيمة ، والصفات الباهرة ،
والآيات الظاهرة ؛ فان كلامنا من هذه لو وقف عليه إنسان صافى الذهن ، صحيح الفكرة ، طلق اللسان واضح
البيان ؛ لما وسعته أشجار الأرض أقلاما ، وبحورها مدادا ولو تضاعفت هذه الأشجار ، وتلك البحار ؛
أضافا مضاعفة ! (انظر آية ١٠٩ من سورة الكهف) (إن الله مريب) فى ملكه ؛ غالب لا يقلب (حكيم)
لا يخرج شئ عن علمه وحكمته (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أى يدخل الليل
فى النهار ، والنهار فى الليل ؛ وذلك بزيادة الليل شتاءً ونقصه صيفا

(كل) من الشمس والقمر (يجرى) في فلكه بأمر ربه تعالى (لئلا أجل مسمى) هو انتهاء الدنيا ، وقيام الساعة (ذلك) النظام الدقيق الحكم (بأن الله هو) الإله (الحق) القادر ؛ واجب الوجود ، والموجد لكل موجود (وأن ما يدعون) ما يعدون (من دونه) غيره (الباطل) الزائل ؛ الذي لا أصل له ، ولا برهان عليه (وأن الله هو العلي) المتعالى عن صفات المخلوقين ؛ بالبقاء ، والقدرة ؛ المتعالى عليهم بالغلبة والقهر (الكبير) العظيم ؛ الذي لا يماثله شيء (ألم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمة الله) بالأرزاق والتجارات (ليريك من آياته) دلائل قدرته ؛

٥٠٣

سورة لقمان

من حل الماء للفلك ، والحفظ من مهالك البحر ، والهداية إلى مسالكه ، والتوفيق إلى أسباب الكسب ؛ فقد يقوم تاجران - في وقت واحد - بتجارة متجانسة ؛ فيعود أحدهما بالمال الكثير ، والرخ الوفير ، ويعود الآخر بالحسارة والحرمان . وقد يرغ الغني ، ويخسر الذكي (لكل صبار) كثير الصبر (شكور) كثير الشكر. (وإذا غشيهم) غطاهم (موج) شديد (كالظلال) الظل : جمع ظلة ؛ وهي كل ما أظلك من جبل ، أو سحاب (دعوا الله مخلصين له الدين) أى متوجهين بقلوبهم إليه مؤمنين حق الإيمان به (فمنهم مقتصد) أى باق على الإيمان ، أو هو بين بين : بين الكفر والإيمان ، وقيل : مظهر للإيمان ، مبطن للكفر ؛ والأول أولى . والمعنى : فمنهم باق على إيمانه وإخلاصه الذى بدا منه وقت شدته ، ومنهم من رجع إلى أصله ، وعاد إلى كفره (خثار) غدار (كفور) شديد الكفر (واخشوا يوماً) هو يوم القيامة (لا يجزى) لا يفي (والد عن ولده) أى لا يتحمل والد العقوبة عن ولده ، ولا مولود العقوبة عن والده ؛ بل يجزى كل منهما بما فعل واكتسب « كل امرئ بما كسب رهين » وذكر تعالى الوالد

يَجْرِي لَكَ أَجَلٌ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠٠﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ
 وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٠١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَلَكَ تَجْرَى
 فِي الْبَحْرِ يَبْعَثُ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٠٢﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُمِ
 دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمْ يَنْجِبْهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَنَهُمُ
 مَّقْتَصِدٌ وَمَا يَجِدُ بِغَايَتِنَا إِلَّا كُلَّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿١٠٣﴾ يَأْتِيهَا
 النَّاسُ أَتَقُولُ رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزَى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ
 وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ الْوَالِدِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا
 تَقْرَنُكَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَنُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُودُ ﴿١٠٤﴾ إِنْ اللَّهُ
 عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ
 وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ
 أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٠٥﴾

والولد ؛ لأن الوالد محط الحب والفداء ، والمولود محط الرحمة والرزاء ؛ فإذا كانا لا يفي أحدهما عن الآخر شيئاً ؛ فبالنسبة للأبعد يفر الفناء (إن وعد الله) بالبعث والجزاء (حق) ليس فيه صماء (ولا يفرنكم بالله الغرور) الشيطان (إن الله عنده علم الساعة) كيف تقوم ، ومتى تقوم ؟ (ويُنزل الغيث) المطر ؛ وسُمي المطر غيثاً ؛ لأنه يغيث الناس من الجوع والفقر ؛ ولذا سُمي الكلاء غيثاً ؛ لأنه يغيث المشاة (ويعلم ما في الأرحام) من الأجنة : ذكراً أو أنثى ؟ حياً أو ميتاً ؟ شقيماً أو سعيداً ؟ (وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً) من خير أو شر (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) فقد يسافر مسافر إلى الصين بلا سبب ؛ فتعاجله المنية ؛ وقد يمجن حينه وهو في ذروة قوته ، ووافر صحته ؛ وقد يسافر ليبراً من علة ؛ فيأتيه الموت لساعته ؛

== وهذه الأمور الخمسة اخص بمقرتها العليم الخبير ! وقد يقال : إن علماء الفلك ، والأرصاد الجوية ؛ قد أصبحوا - بواسطة علمهم وآلاتهم - يطمون متى تهب الرياح ؟ ومتى تنزل الأمطار ؟ وهو قول لا يعتد به ، ولا يلتفت إليه ؛ فكيف من مرة وعدوا بالحصب : فخل الجذب ، وأوعدوا بالبلاء : فعم الرخاء . وم من مرة حذروا من البرد : فجاء الحر ، ومن الحر : فجاء القرا وقولهم لا يعدوا التخمين والظن « وإن الظن لا يضي من الحق شيئاً » أما اليقين : فلا يطمه سوى رب العالمين !

(سورة السجدة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) انظر آية ١ من سورة البقرة (لاربي) لا شك (أم يقولون افتراه) أي اخلق محمد هذا القرآن (لنتنذر قوماً ما أتاكم من نذير من قبلك) وهم قريش خاصة ، أو العرب كافة . وبذلك تكون من أهل الفترة؛ قبل بثته عليه الصلاة والسلام . قال تعالى : «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» وقد كانوا مكلفين باتباع ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام ؛ وذلك مصداق قوله جل شأنه «وإن من أمة إلا خلا فيها نذير» لكنهم تحولوا إلى عبادة الأصنام ؛ التي أحدثها فيهم عمرو الخزاعي لعنه الله تعالى ! (ثم استوى على العرش) استواء يليق به تعالى ، وليس كاستواء المخلوقين ؛ لأن الديان يتقدس عن المكان ، وتعالى المبود عن المحدود (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) مدة بقاء الدنيا . وتديبر الأمر : أمره تعالى بما يصلح البلاد والعباد : من نزول أمطار ، ونمو أشجار ، وازدهار أعمار ، وجريان أنهار ، وإماتة أحياء ، وإحياء أموات . فتعالى الخالق المصور ، الرازق المدبر ! (ثم يرجع إليه) أي يصعد إليه ذلك الأمر ، وتأنجه ليفصل

الجزء الحادى والعشرون

٥٠٤

(٣٢) سُورَةُ الشُّجَرِ مَكِّيَّةٌ
الْأُولَى آيَةٌ ١٦ إِلَى آيَةِ ٢٠ قُدْنِيَّةٌ
وَالْآخِرَةُ ٣٠ تَرْتَلُّ بِعَدَدِ الْمَلَكُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ لَأُرَبِّبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
لَيُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَنْتُمْ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٢﴾ قِيلَ لَهُمْ يَبْدُونَ ﴿٣﴾
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ
إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ
سَنَةٍ تِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ

خَلَقَ

فيه : لقد أمر تعالى بنعمة لبعض عباده ؛ هل شكروها ، أم كفروها ؟ وأمر لبعض عباده ببلاء ؛ هل صبروا على بلوائهم . أم تقطوا من رحمة مولاهم ؟ ووسع على بعض عباده في الرزق ؛ هل أعطوا منه الفقير ، أم بخلوا وعندم الكثير ؟ وضيع على بعضهم ؛ فهل لجأوا له بالطلب ، وجأوا إليه بالدعاء ، أم يشوا من روح الله ؟ ولا «يأس من روح الله إلا القوم الكافرون» فتصعد إليه تعالى أوامره ومأم فيها - وهو جل شأنه أعلم بها من فاعلها وحاملها - وذلك (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) وهو يوم القيامة (ذلك) الإله القادر القاهر ، رب الأرباب ، ومزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وخالق السموات والأرضين ؛ وما بينهما من حيوان وطير ومجاد وأدميين ، وغيرهم من المخلوقين «ذلك» هو مدبر الأمر =

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ﴿١﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُمْ مِنْ سُلَالَةٍ
 مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ
 لَكَ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٣﴾
 وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَأَنَّا لِنُحْيِي خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤﴾ بَلْ هُمْ
 يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ كَنَفِرُونَ ﴿٥﴾ * قُلْ يَتَوَفَّكُم مَلَكُ الْمَوْتِ
 الَّذِي يُكَلِّمُ بِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَرْتَجُونَ ﴿٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذِ
 الْمُجْرِمُونَ نَاكِسَ أُرُؤِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
 فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿٧﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا
 كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَنُحْيِيهَا وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
 مِنَ الْإِنْسَانِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ
 يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ بِمَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا يُرْمِىُ بِهَا يُهَيِّئُهَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا لَمَعُوا
 فِيهَا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠﴾ * تَجَنَّبَا

== (عالم الغيب والشهادة) رب العالمين (الذي أحسن كل شيء خلقه) أى أحسن خلق كل شيء خلقه .
 فلو تصورت مثلاً أن للفيل مثل رأس الجمل ، أو للجمل مثل رأس الأسد ، أو للإنسان مثل رأس الحمار :
 لوجدت في ذلك خلا عظيمًا ، وقصاً كبيراً ؛ وعدم تناسب في الخلقة ، وانعدام الانسجام بين الأعضاء مع
 حاجة المخلوق إليها على حالتها ؛ بالنسبة لبيته ورجته ؛ لأنك لو علمت أن طول عنق الجمل وشق شفته :
 سببه حاجة الناس إليه في الأسفار الطويلة ، وحاجته هو إلى تناول الكلال أثناء سيره . وأن الفيل لولا
 خرطوم الطويل : لما استطاع أن يبرك بجسمه
 الثقيل ليتناول طعامه وشرا به . وهكذا سائر
 المخلوقات من شتى الصور والأجناس ؛ حتى
 الجمادات فقد اختصها الله تعالى بأشكال جذابة
 يسرح البصر في محاسنها ، وألوان خلابة يتوه
 الفكر في مفاتها ! فإنك لو تأملت ذلك ،
 وتدبرت ما هناك : لتيقنت أنه ليس في مقدور
 البشر ، وأنه «صنع الله الذي أتقن كل
 شيء . فتبارك الله أحسن الخالقين» (وبدأ
 خلق الإنسان من طين) وهو آدم عليه
 السلام (ثم جعل نسله من سلاله) خلاصة ؛
 وهي المني . «والسلالة» : ما انسل من الشيء ؛
 سمي به المني : لأنه ينسل من سائر البدن ، أو
 هو ينسل من النخاع «يخرج من بين الصلب
 والترائب» (من ماء مهين) ضعيف : لا قوة
 فيه ، ولا أثر له بنفسه : وهو النطفة (ثم
 سواه) جعله مستوى الأعضاء ، تام الخلقة ،
 جميل الصورة (ونفخ فيه من روحه) المملوكة
 له تعالى ؛ والتي لا يستطيع مخلوق أن يهبها
 (وجعل لكم السمع) الذي به تسمعون ،
 وغنه تسألون (والأبصار) التي بها تبصرون ،
 وغنها تحاسبون (والأفئدة) التي بها تفكرون ،
 وبواسطتها تهتدون . وكل هؤلاء جعلها الله
 تعالى أداة لتلقى الإيمان ، وقبول الهداية ؛
 والإنسان عن جيبها مؤاخذ مشغول ! الأ ترى

إلى قول العزيز الجليل «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشغولاً» (وقالوا أئنما ضللنا في
 الأرض) أى إذا متنا وصرنا حطاماً ورفاتاً ، واختلطنا بتراب الأرض ، وضاعت معالم أجسامنا (أئنما لنى خلق
 جديد) أى نخلق خلقاً جديداً بعد هذا ؟ (قل) لهم يا محمد : نعم (يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم) أى
 كلف بقبض أرواحكم (ثم) تبصرون ، و (إلى ربكم ترجعون) يوم القيامة ، فيعاقبكم بذنوبكم ، ويعذبكم على
 كفركم (ولو ترى إذ المجرمون) الكافرون ، النكرون للبعث : حين يعنون (ناكسوا رؤسهم) مطأطئوها
 من الذل والخزى والهوان ؛ ويقولون (ربنا أبصرنا) بأعيننا البعث الذى كنا به نكذب (وسمعنا) الحق
 الذى كنا له ننكر (فارجعنا) إلى الدنيا (نعمل) عملاً (صالحاً) كما أمرت (إننا) الآن ، بعد ظهور =

== البرهان (موتنون) بصحة ألوهيتك ، وصدق رسلك (ولو شئنا لآتينا كل نفس) من هذه الأنفس (هداها) في دنياها ؛ على سبيل القسر والإلجاء . أو «ولو شئنا لآتينا كل نفس» تطلب الرجعة إلى الدنيا «هداها» ورددناها إلى الدنيا (ولكن حق) وجب (القول مني لأملأن جهنم من الجنة) كفرة الجن وعصاتهم (والناس أجمعين) الذين كفروا بي ؛ بعد ظهور آياتي ، وكذبوا رسلي ؛ بعد إبداء معجزاتهم ، وتوالى براهين صدقهم ! فكيف نردم «ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه» (فذوقوا) العذاب (بما نسيتم)

الجزء الحادى والعشرون

٥٠٦

بسبب نسيانكم (لقاء يومكم هذا) وإنكاركم للبعث والحساب ، والثواب والعقاب (إنا نسيتكم) أى تركناكم كالنسيين (وذوقوا عذاب الخلد) الدائم ؛ الذى لا انقطاع له (إنما يؤمن بآياتنا) ويصدق برسالاتنا (الذين إذا ذكروا بها) أى تليت عليهم (خروا سجداً) لله (وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) عن طاعته ، وعن عبادته (تتجافى) تتجنى وتتباعد (جنوبهم عن المضاجع) أى ان نومهم قليل ، وسهرهم طويل ؛ لانقطاعهم إلى الله تعالى ، وحرصهم على عبادته ! (يدعون ربهم خوفاً) من غضبه وعقوبته (وطمعاً) في رحمة وجنته ! (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً) كافرأ (أما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلمه جنة المأوى) التى يأوى إليها كل مؤمن (نزلاً) النزول : ما بعد النزول الضيف وتكرمه (وأما الذين فسقوا) كفروا وكذبوا (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) أى الأقرب ؛ وهو عذاب الدنيا : بالقتل ، والأسر ، والحزى (دون العذاب الأكبر) أى قبل عذاب الآخرة ، أو أقل من عذابها (لعلهم يرجعون) إلى ربهم ، ويتوبون عن كفرهم (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (من ذكر آيات ربه) وعظ بها (ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة) (فلا تكن في صرية) شك (من لقاءه) أى من لقاء موسى ؛

وَجَنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٠٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيَنَ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٠٧﴾ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿٥٠٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْلُوءِ ﴿٥٠٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٥١٠﴾ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥١١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٥١٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥١٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً مُبْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا

يَعَابَتَا

وقد لقيه ليلة الإسراء : عند العروج به إلى السماء . وقيل : «من لقاءه» أى من تلقى موسى الكتاب . وقيل : من لقاء مالفية موسى من تكذيب وإلحاد ؛ مثل مالاقيت أت من تكذيب قومك وإلحادهم (وجعلنا منهم) أى ممن آمن بموسى من بنى إسرائيل (أمة يهدون) الناس (بأمرنا) بأوامرنا وشرائعنا التى بيناها لهم فى التوراة (لما صبروا) على الطاعات ، وعن المعاصى ؛ جعل الله تعالى جزاء الصبر : إمامة الناس

عَايِنَتْنَا يُوقِنُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢﴾ أَوْلَىٰ يَهْدِيَهُمْ لَكُرْ
أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿١٣﴾ أَوْلَىٰ يَرَوْنَا
نَسُوقَ الْمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ
مِنْهُ أَنْعَمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿١٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى
هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ
لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦﴾
فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿١٧﴾

(٢٣) سُورَةُ الْأَحْزَابِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيُّهَا ٧٣ نَزَلَتْ بَعْدَ أَنْ عَمِلَ لَكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِنَايِبِ النَّبِيِّ أَتَى اللَّهُ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ

(أولم يهد لهم) أولم يتبين لهم (كم أهلكنا
من قبلهم من القرون) الأمم (عشون في
مساكنهم) ويرون ما حل بها من خراب
ودمار (إن في ذلك) الإهلاك (آيات) ليعبراً
ودلالات على قهرتنا ، وبطشنا بمن يكفر بنا
(أولم يروا) أيضاً (أناسوق الماء إلى الأرض
الجرز) اليابسة ، التي لا نبات بها (فنخرج به
زرعاً تأكل منه أنعامهم) بها عنهم (وأقسامهم)
أى يأكلون هم من ذلك الزرع أيضاً
(ويقولون متى هذا الفتح) أى متى هذا الفصل
في الحكومة ؟ الذي تعدنا به ؟ وهو يوم القيامة .
وقيل «الفتح» النصر الموعود : يوم بدر ،
أو يوم فتح مكة (قل يوم الفتح لا ينفع الذين
كفروا لإيمانهم ولا هم ينظرون) يمهلون ، أو
يؤجلون (فأعرض عنهم وانتظر) نزول العذاب
الموعود بهم (لأنهم منتظرون) بك الدوائر

(سورة الأحزاب)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي اتق الله) الخطاب للرسول

صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؟ والمراد به

أمته : إذ ليس في البشر جميعاً أتق منه لمولاه !

عليه صلوات الله تعالى وتسلياته ، أمدنا الله تعالى بنفحة منه ؟ تقربنا إليه ، وتدنيننا من رحمة !

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا حَكِيمًا ۝ وَأَتَّبِعْ مَا يوحىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَاَحْسَبُوا فِي الذِّمِّ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا آبَاءَهُمْ فَبِمَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ غَوًورًا رَحِيمًا ۝ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۚ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ۚ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا لِمَنْ أَوْلَىٰ بِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ

مَسْطُورًا ۝

الحرمة والإجلال والتكرمة (وأولوا الأرحام) ذوا القربات (بعضهم أولى ببعض) في التورث؛ كما أمر الله تعالى، وفرض في كتابه (من المؤمنين والمهاجرين) وقد كانوا يتوارثون - في بدء الإسلام - بالإيمان والهجرة؛ فنسخ بتورث ذوى الأرحام (إلا أنت تفعلوا لمن أولياكم معروفا) أى إلا أن تهجروا لأقربائكم الأبعد، أو لميادكم، أو توصوا لهم بشيء؛ لا أن يرثوا فيكم؛ فأقرباؤكم - من ذوى الأرحام - أولى بالبراث وأحق

(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) أى لا يجمع الكفر والإيمان، والضلال والهدى، والمعصية والطاعة؛ في قلب واحد. وما دام الإنسان بقلب واحد - لا يتسع إلا لشيء واحد - فلا يكون إلا مؤمناً أو كافراً، ضالاً أو مهتدياً، عاصياً أو طائعاً. ولا طاقة لإنسان أن يجمع بين الضدين؛ فاجعل الله لرجل من قلبين (وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم) كان الرجل في الجاهلية إذا أراد طلاق امرأته؛ قال لها: أنت على كظهر أمى (وما جعل أديعاءكم أبناءكم) نزلت في زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه؛ وقد تبناه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم؛ فكانوا يقولون: زيد ابن محمد (ذلكم قولكم بأفواهكم والله تعالى يقول الحق) ويقضى به (وهو يهدى السبيل) الطريق القويم؛ المؤدى لكل خير (ادعواهم لأبائهم) أى انسابهم لهم (هو أقسط) أعدل (ومواليكم) أقرباؤكم (وليس عليكم جناح) إثم (النبي أولى) أحق (بالمؤمنين من أنفسهم) لأنه عليه الصلاة والسلام أب لهم؛ وهو يدعوهم إلى النجاة، وأنفسهم تدعوهم إلى الهلاك (وأزواجه أمهاتهم) في

(وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) عهدهم على الوفاء بما حلوا ، وأن يبشر بعضهم بعض ، ويصدق بعضهم بعضاً (وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) عهداً عظيماً ؛ وما ذاك إلا (ليسأل) الله تعالى (الصادقين عن صدقهم) أى ليسأل الأنبياء عن تبليغهم لأقوامهم ، أو عما أجابهم به قومهم . فانظر يا هذا : إذا كان الأنبياء يسألون ؛ فكيف بمن عداهم من عامة البشر ؟ قال تعالى «فلنسألن الذين أرسلناهم ولنسألن المرسلين» (إذ جاءتمك جنود) وكان ذلك يوم الأحزاب : جاءت قريش ، وغطفان ، وقرظطة ، والنضير ؛ تجمعوا لحرب المؤمنين (فأرسلنا عليهم ريحاً) هى الصبا. قال صلى الله

تعالى عليه وسلم «نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور» أرسل الله تعالى تلك الريح في ليلة شاتية ؛ فأسفت التراب في وجوههم ، وقلعت الأوتاد ، وقطعت الأطناب ؛ فاجت خيل الكافرين بعضها في بعض ، وكبرت الملائكة في جوانب المعسكر ؛ فانهزموا من غير قتال ؛ وذلك قوله تعالى (وجنوداً لم تروها) وهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام (إذ جاءوكم) أى جنود الأعداء (من فوقكم) فوق الوادى ؛ وهو أعلاه (ومن أسفل منكم) بطن الوادى : من المشرق والمغرب (وإذ زاغت) شخصت ومالت (الأبصار) عن رؤية أى شئ ؛ عدا رؤية الأعداء من كل جانب (وبلغت القلوب الحناجر) من شدة الخوف والفرع ؛ وهو ارتفاع القلب - من شدة الحفان - حتى يكاد أن يبلغ الحلقوم ؛ فيعترى الخائف عند ذلك ضيق قد يبلغ حد الاختناق (وتظنون بالله الظنونا) تظنون اليأس من النصر ؛ وقد وعدكموه ؛ ووعدته الحق «إن الله لا يخلف الميعاد» وقيل : الظن هنا بمعنى اليقين ؛ أى تيقن المؤمنون بالنصر ، وتيقن الكافرون بهزيمة المؤمنين (هناك ابتلى المؤمنون) امتحنوا بالصبر على الإيمان (وزلزلوا زلزالاً شديداً) اضطربوا اضطراباً شديداً من شدة الفرع ،

وخوفوا خوفاً بليفاً ؛ ليختبرهم ربهم ، ويعلم - علم ظهور - مبلغ تصديقهم ، ووثوقهم بوعدته (وإذ يقول المنافقون) الذين أظهروا الإيمان ، وأباطنوا الكفران (والذين في قلوبهم مرض) شك وفتاق (ما وعدنا الله ورسوله) بالنصر (إلا غروراً) خداعاً وباطلاً (يا أهل يثرب) يا أهل المدينة . ويثرب : من أسماء مدينة الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه (لا مقام لكم) لا إمامة لكم بيننا (يقولون إن بيوتنا عورة) أى مكشوفة ؛ ينالها العدو لعدم تحصينها

مَسْطُورًا ﴿٥٠٩﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ
وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا
مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٥١٠﴾ لَيْسَ عَلَى الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ
وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٥١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٥١٢﴾
إِذْ جَاءَ وَكُرْمٌ مِنْ قَدِيفٍ وَمِنْ أَسْفَلٍ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَّغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ
الظُّنُونًا ﴿٥١٣﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا
شَدِيدًا ﴿٥١٤﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٥١٥﴾ وَإِذْ قَالَتِ
طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴿٥١٦﴾
وَيَسْتَفْتِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا

(إن يريدون) ما يريدون بزعمهم هذا (إلا فراراً) من الجهاد؛ لكفرهم وجبنهم (ولو دخلت عليهم من أقطارها) من نواحيها. أى لوهوجوا ودخلت عليهم هذه البيوت، واحتلها العدو من أولها إلى آخرها (ثم سئلوا الفتنة لأنوها) أى لو سئلوا الردة إلى الكفر، وحرارة المسلمين؛ لفعلوا (وما تلبثوا بها) أى ما مكثوا بالفتنة، أو بالمدينة (إلا قليلاً) وبعد ذلك يصيبهم الله تعالى بالهلاك، أو بالوت (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أن يقاتلوا الكفار، و (لا يولون الأديبار) لا يهربون من القتال منهزمين (وكان عهد الله) الذى عاهدوه من قبل (مستولاً) أى بسأل الإنسان عن الوفاء به، ويماقب على نقضه (وإذا لا تمتعون) بالحياة (إلا قليلاً) ثم يدرككم الموت، فالبعث، والحساب، فالعقاب (ولا يجدون لهم من دون الله) غيره (قد يعلم الله المعوقين منكم) الذين يعوقون الناس عن الجهاد، وعن نصرته الرسول عليه الصلاة والسلام، وعن الدخول فى الإسلام (ولا يأتون البأس) أى القتال (أشحة عليكم) بالمعاونة (فإذا جاء الحوف) تأزم الموقف، ودارت رحى الحرب (رايتهم ينظرون إليك) أى فى أن توقف القتال (تدور أعينهم) من جبنهم وشدة خوفهم (فإذا ذهب الحوف) بانتصاركم على أعدائكم، واطمأنت قلوبهم على أنفسهم: لم يزدكم ذلك إلا حقناً عليكم، وكرهة لكم؛ و (سلقوكم بألسنة حداد) أى آذوكم ببذاء الكلام (أشحة على الخير) لا ينفقون فى سبيل الله؛ بل فى سبيل الدنيا والحرس عليها. والمعنى أنهم فى الأمن: أشح قوم مالا، وأسطمهم لساناً، وفى الحوف: أجبين قوم حرباً، وأسرعهم هرباً (فأحبط الله أعمالهم) أبطلها

ذَلِكَ

(إن يريدون) ما يريدون بزعمهم هذا (إلا فراراً) من الجهاد؛ لكفرهم وجبنهم (ولو دخلت عليهم من أقطارها) من نواحيها. أى لوهوجوا ودخلت عليهم هذه البيوت، واحتلها العدو من أولها إلى آخرها (ثم سئلوا الفتنة لأنوها) أى لو سئلوا الردة إلى الكفر، وحرارة المسلمين؛ لفعلوا (وما تلبثوا بها) أى ما مكثوا بالفتنة، أو بالمدينة (إلا قليلاً) وبعد ذلك يصيبهم الله تعالى بالهلاك، أو بالوت (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أن يقاتلوا الكفار، و (لا يولون الأديبار) لا يهربون من القتال منهزمين (وكان عهد الله) الذى عاهدوه من قبل (مستولاً) أى بسأل الإنسان عن الوفاء به، ويماقب على نقضه (وإذا لا تمتعون) بالحياة (إلا قليلاً) ثم يدرككم الموت، فالبعث، والحساب، فالعقاب (ولا يجدون لهم من دون الله) غيره (قد يعلم الله المعوقين منكم) الذين يعوقون الناس عن الجهاد، وعن نصرته الرسول عليه الصلاة والسلام، وعن الدخول فى الإسلام (ولا يأتون البأس) أى القتال (أشحة عليكم) بالمعاونة (فإذا جاء الحوف) تأزم الموقف، ودارت رحى الحرب (رايتهم ينظرون إليك) أى فى أن توقف القتال (تدور أعينهم) من جبنهم وشدة خوفهم (فإذا ذهب الحوف) بانتصاركم على أعدائكم، واطمأنت قلوبهم على أنفسهم: لم يزدكم ذلك إلا حقناً عليكم، وكرهة لكم؛ و (سلقوكم بألسنة حداد) أى آذوكم ببذاء الكلام (أشحة على الخير) لا ينفقون فى سبيل الله؛ بل فى سبيل الدنيا والحرس عليها. والمعنى أنهم فى الأمن: أشح قوم مالا، وأسطمهم لساناً، وفى الحوف: أجبين قوم حرباً، وأسرعهم هرباً (فأحبط الله أعمالهم) أبطلها

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٥١﴾ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَرَّ يَدْهَبُوا
 وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَأَنْتَهُمْ يَادُونِ فِي الْأَعْرَابِ
 يَسْعَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا
 قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
 لِمَنْ كَانَ رِجْوَاءَ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴿٥٣﴾
 وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا
 وَتَسْلِيمًا ﴿٥٤﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ
 عَلَيْهِ فَنَهُمُ مِنْ قَضَىٰ نَجْبَةٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
 تَبْدِيلًا ﴿٥٥﴾ لَيَجْزِي اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ
 الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا
 رَحِيمًا ﴿٥٦﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا
 وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٥٧﴾

(يحبسون الأحزاب لم يذهبوا) أى لانهم لجبنهم
 يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا (يادون في
 الأعراب) أى مقيمون في البادية؛ بعيداً عن
 القتال (يسألون عن أنباءكم) وما حل بكم؛
 من غير ممارسة للقتال والنزال (أسوة) قدوة

(ولما رأى المؤمنون الأحزاب) الذين تحزبوا
 وتجمعوا لقتالهم (قالوا) إن (هذا) التجمع
 والتحزب هو (ما وعدنا الله ورسوله) من
 الابتلاء والنصر.

(فنهى من قضى نجبه) أى مات شهيداً (ومنهم
 من ينتظر) أى ينتظر الموت على الشهادة؛
 لأنهم كانوا يعدون الموت في الجهاد فوزاً
 عظيماً؛ وبإله من فوز! (وما بدلوا تبديلاً)
 أى ولم يبدلوا عهدهم الذى عاهدوا الله تعالى
 عليه؛ من الجهاد في سبيله، والموت دون
 رسوله! (ليجزى الله الصادقين) في الإيمان،
 الموفين بالعهد (بصدقهم) أى بجزاء صدقهم

(وأُنزل الذين ظاهروهم) أي عاونوا الأحزاب (من أهل الكتاب) يهود بني قريظة (من صياصيمهم) حصونهم (وأرضاً لم تطأوها) مـي خبير؛ وكل أرض تفتح لك يوم القيامة؛ لم يسبق للمسلمين تملكها (إن كنتن تردن

الجزء الثاني والعشرون

٥١٢

الحياة الدنيا وزينتها) أي السعادة في الدنيا ، وكثرة الأموال (فتعالين أمتعنن) أي أعطكن متعة الطلاق (وأسرحكن) أطلقكن (سراحاً جميلاً) طلاقاً لا ضرار فيه ؛ لأن ما رغبتن فيه من متاع الدنيا ليس عندي (من يأت منكن بفاحشة مبينة) مـي مخالفة الرسول صلوات الله تعالى وتسلياته عليه . وأي فاحشة آيين وأبجج من مخالفته صلى الله تعالى عليه وسلم ، أو العمل على غير إرادته ا (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي يكون ضعف عذاب غيرهن من النساء ؛ لأنهن لسن كسائر النساء ؛ وكما أن حد العبد نصف حد الحر : يكون عذاب الخاصة ضعف عذاب العامة . وقد قيل : حسنات الأبرار ؛ سيئات المقربين ا فإياك بأقرب المقربين ا ولأن إغضاب الرسول عليه الصلاة والسلام ليس كأغضاب أحد من الناس . قال تعالى ولا تجلوا دعاء الرسول ببتكم كدعاء بعضكم بعضاً وقال جل شأنه «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون» (انظر الآيات : من ٢ - ٥ من سورة الحجرات) (ومن يفتن منكن) يطع (فلا تخضعن بالقول) أي لا تكلمن الرجال بقول خاضع لين ؛ كمادة أكثر النساء ؛ وهذا واجب على كل

وَأُنزِلَ الَّذِينَ ظَهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيمِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ فَرَبَقًا تَفْتَنُونَ وَتَأْمُرُونَ فَرَبَقًا ﴿٥١﴾ وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَارْتَضَاءَ لَدُنْهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٢﴾ يَلْبِئُهَا النَّبِيُّ قَوْلًا لَلْأَزْوَاجِ إِنْ كُنْتُنَّ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسْرَحْكُنَّ مَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٥٣﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنَكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ بِنِسَاءِ النَّبِيِّ مِنْ بَاطِنٍ مِنْكُنَّ بِفِتْنَةٍ مَبِينَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٥٥﴾ * وَمَنْ يَفْتِنِ مِنْكُنَّ فَهِيَ ذَٰلِكَ بِمَا عَرَفَتْ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٥٦﴾ بِنِسَاءِ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۗ إِنَّ اتَّقِيْنَ فَلَاحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ

مرض

امرأة تؤمن باقه واليوم الآخر؛ خصوصاً من تعرضت منهن للرئاسة والهداية ، واتصب لها لواء التوجيه والإرشاد ا (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي ريبة وفجور

مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥١﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا
 تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ
 الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
 عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٥٢﴾
 وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
 وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ
 وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ
 وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَّصِدِينَ وَالْمُتَّصِدَاتِ وَالصَّامِينَ
 وَالصَّامَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
 وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
 وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مَوْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ

(ولن قولاً معروفاً) لا يكره النوق والعرف؛
 من غير لين ، ولا خضوع (وقرن في بيوتكن)
 أى اقررن ؛ من القرار . أو هو من الوار ؛
 تؤيده قراءة من قرأ «وقرن» بكسر القاف
 (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) أى
 لا تبرجن مثل تبرج النساء في الجاهلية الأولى.
 والتبرج : التبختر ، وإظهار الزينة والحاسن
 (إنما يريد الله) بهذا الابتلاء ، وهذه
 الأوامر (ليذهب عنكم الرجس) القدر
 والإثم ؛ الذى يقع فيه كثير من الناس (أهل
 البيت) بيت النبوة الزكى الطاهر (وطهروهم)
 من سائر الدنايا (طهيرا) كبراً (واذكرن)
 تذكرن ما اختصن الله تعالى به من فضل على
 نساء العالمين ، و(ما يتلى في بيوتكن من
 آيات الله) كتابه العظيم ، وقرآنه الكريم
 (والحكمة) التى ينطق بها الرسول عليه
 الصلاة والسلام ؛ من الأحاديث (والقاتين)
 المطيعين (والصابرين) على الطاعات والبلايا ،
 وعن المعاصي (والحافظين فروجهم) من الزنا

إلى آخر ما أوردوه من إفك وهتان يتبرأ منه
أحط الفساق؛ فضلا عن أكرم الخلق على
الاطلاق!

وختلاصة القول: ان العرب جرت عاداتهم
الأبترج الرجل امرأة دعيه الذي تبتاه .
فأراد الله تعالى أن يبطل تلك العادة ، ويجعل
لباحة الإسلام مكان حرج الجاهلية : فأوحى
إلى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يزوج
زينب ابنة جحش - بنت عمته - بزید بن حارثة
متبتاه؛ وأن يتزوجها بعد طلاقها منه؛ فخطبها
صلى الله تعالى عليه وسلم لزید: فأبت، وأبى
أخوها عبد الله؛ فزول قوله تعالى «وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً
أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» فلما سمعاها
قالا: رضينا يارسول الله . فزوجها لزید،
وأمرها له؛ فصارت تمشح بأفنها، وتفخر
عليه بنسبها . ونسب معاملته؛ وكان يشكو
ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
- المرة بعد المرة - فكان عليه الصلاة والسلام
- مع علومقامه - يثلبه الحياء؛ فيتند وتمهل،
ولا يعمل في تنفيذ حكم الله تعالى - الذي قضاه
وأطلعه عليه - ويقول لزید «أمسك عليك
زوجك واتق الله» إلى أن غلب أمر الله
تعالى: فأذن لزید في طلاقها؛ بعد أن ذاق معها
الأمهرين! فتزوجها رسول الله صلى الله تعالى

(وإذ تقول للذي أنعم الله عليه) بالإسلام؛ وهو زيد بن حارثة (وأنتم عليه) بالإعتاق (أمسك عليك
زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخفى الناس والله أحق أن تخشاه) لقد تخبط أكثر المفسرين
في تأويل هذه الآية، وذهبوا على غير مذهب، وأبعدوا في اتباع الأقاصيص التي حاكها أعداء الدين في الدين،
وجاروا ما أذاعه اليهود طعنًا في الرسول الكريم، العفيف النظيف؛ عليه أفضل الصلاة وآم التسليم! فقالوا:
إن الرسول الأعظم رأى زينب - وهي في عصمة زيد - فأعجبته وأحبها، ووقعت من قلبه موقعا كبيرا؛

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٥١﴾
وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ
عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْتَلِيهِ
وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ لِيَكُنَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ
فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَعْرُورًا ﴿٥٢﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ
اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
قَدْرًا مُقَدَّرًا ﴿٥٣﴾ الَّذِينَ يُسَلِّتُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيُخْشَوْنَهُ
وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَانَ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٥٤﴾
مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ
وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٥﴾ بَلَّيْنَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٥٦﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

وَأَمِيلًا ﴿٥٧﴾

عليه وسلم؛ طائماً لأمره (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً)
أى دخلوا بهن، وخلا بعضهم إلى بعض . فأين هذا مما خاض فيه الخائضون، وادعاه المطلقون؛ مما لا يرتضيه
الأتقياء، فكيف بسيد الأنبياء؟! وتعالى الله عن أن يرسل رسولا يطمح بعينه إلى حلالل المؤمنين
وأما خشيته صلى الله تعالى عليه وسلم للناس: فذلك استحياء منهم أن يقولوا: تزوج زوجة ابنة، بعد نهي
عن نكاح حلالل الأبناء (وكان أمر الله مفعولا) أى أمره لك، ووحيه إليك بتزوج زينب؛ رغم قولك
لزید «أمسك عليك زوجك» (ما كان على النبي من حرج) لأم (فما فرض الله) أحله (له سنة الله) طريقته
(في الذين خلوا) مضوا من الأنبياء (من قبل) فقد أحل لهم التوسعة في الزواج: كداود، وسليمان، =

= وغيرها ؛ ممن لم تصل إلينا أخبارهم (ما كان عهد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (انظر آية ٤ من سورة القلم) (بكرة) أول النهار (وأصيلاً) آخره (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله تعالى : الرحمة ، ومن الملائكة : الدعاء والاستغفار (ليخرجكم) برحمته (من الظلمات) الكفر (إلى النور) الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً) على من أرسلت إليهم ؛ بل على الناس جميعاً (ومبشراً) من أطاع الله برحمته وحنته (ونذيراً) لمن عصاه بغضبه وناره (وداعياً إلى الله) إلى معرفته وطاعته (بإذنه) بأمره وتقديره (وسراجاً منيراً) جمع الله تعالى - في وصف نبيه الأعظم - بين صفتي الشمس والقمر : قال تعالى «وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً» وفضله عليه الصلاة والسلام على سائر الخلق ؛ لا يقل بحال عن فوائد الشمس ، ونور القمر : فكما أن الشمس تبعث الدفء والحياة في سائر الكائنات ؛ فإنه صلى الله تعالى عليه وسلم قد بعث دفة الإيمان ، في قلوب بني الإنسان ، وبعث الحياة الحقيقية ، والسعادة الأبدية بين المؤمنين ؛ وأثار الدنيا بشريعته وهدايته ! وكما أن السراج المنير يستضاء به ، ويسترشد بواسطته : كذلك الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ فإن من سار على سنته ، واهتدى بطريقته : لا شك واصل إلى أميته ، متمتع في جنته ! وأى سراج وهاج ، وأى قر منير يضيء محمداً في نوره ، أو يحاكيه في هدايته ؟!

صلى الله تعالى وسلم عليه ! جعلنا الله تعالى ممن يستضيء بنوره ، ويستنير بضوئه ، ويسير على سنته ، ويهتدى بهديه ؛ وينضوي تحت لوائه ، ويحشر في زمرة ، ويرتوي من حوضه ! (ودع أذام) أى اترك مقابلة إذائهم لك بمثلها . وهو تعليم من الله تعالى لعباده : بالإحسان إلى من أساء (إذا تكلم المؤمنات) أى عقدتم عليهن (من قبل أن تمسوهن) أى من قبل أن تدخلوا بهن (فتنوهن) قيل : هي منسوخة بقوله تعالى «وإن تلقنوهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم» أى نصف المهر الذى فرضتموه (وسرحوهن سراحاً جميلاً) أى طلقوهن طلاقاً لا ضرار فيه (اللاتى آتيت أجورهن) مهورهن (وما ملكت يمينك) من الإماء (مما آفأ الله عليك) النىء : القنينة ؛ وهما صفة وجورية ؛ أعتقهما وتزوجهما

وَأَصِيلًا ۝ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ يُخَيِّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ وَسَلَّمَ وَآعَدَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝ يَأْتِيهِ النَّبِيُّ إِذَا أُرْسِلْتَكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ وَيُنِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تَطْعِجِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدَاةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنَعُوهُنَّ وَسِرْحُوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا ۝ يَأْتِيهِ النَّبِيُّ إِذَا أَطْلَقْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَأَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ

وَأَصِيلًا ۝ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ يُخَيِّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ وَسَلَّمَ وَآعَدَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝ يَأْتِيهِ النَّبِيُّ إِذَا أُرْسِلْتَكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ وَيُنِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تَطْعِجِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدَاةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنَعُوهُنَّ وَسِرْحُوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا ۝ يَأْتِيهِ النَّبِيُّ إِذَا أَطْلَقْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَأَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ

(إن أراد النبي أن يستنكحها) أى يطلب زواجها (خالصة لك من دون المؤمنين) أى إن الهبة لا تجوز إلا له عليه الصلاة والسلام . فليس لمؤمنة أن تهب نفسها لمؤمن ، وليس له أن يقبل ذلك ؛ إذ أتت الهبة إحدى خصوصيات الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه (قد علمنا ما فرضنا عليهم) أى على المؤمنين (في أزواجهم) من وجوب المهر ، والولي ، والشهود ، وانعدام اللوايح ، وعدم تجاوز الأربع من النسوة (حرج) ضيق ولام فيها فملت (ترجى) تؤخر (وتؤوى إليك) أى تضم إليك (ومن ابتغيت ممن عزلت) أى ومن طلبت الفرائس من أزواجك اللاتي عزلتهن عن القسمة بينهن في البيت . وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم قد خبر بعض أمهات المؤمنين : بين الطلاق ، أو التنازل عن حقوقهن في القسمة : فاخترن التنازل . فأراد الله تعالى أن يعلمه أنه لا حرج عليه في رد من يشاء منهن إلى فراشه (فلا جناح عليك) لا إثم ولا حرج فيما تفعل : من العزل ، والإرجاء ، والإيواء (ذلك أذن) أقرب (أن تقرأ أعينهن) بما قضى به الله تعالى في أمرهن : من الإرجاء ، والإيواء ، والعزل وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم (ورضين بما آتيتهن) من ذلك (والله يعلم ما في قلوبكم) من شات النساء ، والميل إلى بعضهن ، وعدم العدل بينهن ؛ فيجزى كلابقدر نيته (لا يجعل لك النساء من بعد) أى من بعد التسع ، وهن : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة وصفية ، وميمونة ، وزينب بنت جحش ، وجورية (ولا أن تبدل بهن) بتطبيق بعضهن وإحلال غيرهن مكانهن (إلا ما ملكت يمينك) من الإماء ؛ مما كان يخصه عليه الصلاة والسلام من النبي (غير ناظرين إناه) أى غير منتظرين نضجه (فاذا طعمتم) أكلمتم

التي ما جرن معك وأمرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت يمينهم ليحلاً يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً ﴿٥١﴾ * ترجى من نساء منهن وتقوى إليك من نساء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أذن أن تقرأ أعينهن ولا يحزنن ورضين بما آتيتن كهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله طيباً حلماً ﴿٥٢﴾ لا يجعل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء ورقيماً ﴿٥٣﴾ بتأييد الدين وأمرنا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طلعهم غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم

فانتشروا

(فانتشروا) فتفرقوا (ولا) تمكثوا (مستأنسين لحديث) نتناولونه مع بعضكم (إن ذلكم) الدخول بغير استئذان ، وانتظار الطعام ، وحديث بعضكم مع بعض ؛ كل ذلك (كان يؤذى النبي فيستحي منك) فلا يظهر تضرجه ؛ لسمو أخلاقه ، وعظيم استحيائه (وإذا سألتوهن متاعاً) عارية ، أو حاجة (فاسألوهن من وراء حجاب) ولا تتعلموا لرؤيتهن (ذلكم) السؤال من وراء حجاب (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الخواطر المريية ؛ التي تعرض للرجال في أمر النساء ، وللنساء في أمر الرجال . والتي يبثها الشيطان في قلب كل إنسان !

وهذه الآية الكريمة جاءت حاوية لأدق الأخلاق الإنسانية ، وأسمى الآداب الاجتماعية ؛ فكم نرى بعض الثقلاء ، يتظرف بالإيداء ؛ فيقتحم الحرمات ، ويرتكب المحرمات ؛ وهو لاه غافل ، أو متلاه متناقل ! (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) يعمل ما لا يرضاه (ولا أن تتكحوا أزواجه من بعده) لأنهن أمهات لكم ، محرمات عليكم ! (لا جناح عليهن في آياتهن) أى لا إثم على النساء ألا يحتجبن من آياتهن . ولم يذكر تعالى العم والحال ؛ لأنهما يجريان مجرى الوالدين (ولالنساء من أذى ولا يحتجبن عن النساء المؤمنات ؛ أما الكافرات : فيجب الاستتار عنهن كالرجال تماماً ؛ لثلا يصفهن الغير ؛ لعدم أمانتهن ! ومن يجب أن ترى بعض المسلمات يصفن لبعض الرجال : المخدرات من النساء . وهي خصلة ذميمة : بأبهاا الشرع ، وتقع تحت طائفة العقاب الإلهي ؛ فليتقين الله ولا يفضحن بحماره ؛ فيفضحن الله تعالى بين العباد ، وعلى رؤس الأشهاد ! (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) الصلاة من الله تعالى : الرحمة ومن الملائكة : الدعاء والاستغفار ، ومن الأمة : التعظيم والدعاء والإكبار ! وهذا أمر من الله تعالى بالصلاة عليه ؛ صلى الله تعالى عليه وسلم ! وهي تجب

كلما ذكر اسمه الكريم عليه الصلاة والسلام ؛ كما يجب ألا يكتب اسمه إلا مقروناً بها . وقد طعن في كثرة الصلاة عليه بعض الزنادقة الذين لا يعبأ برأيهم ، ولا يبتد بقولهم ، واختصرها بعضهم بوضع «صلم» مكانها ، أو «ص» وهذا نهاية في السفخ ؛ إذ ماعنى وضع هذه الطلاسم والمعيات ؛ إذا لم نرد إثبات الصلاة عليه : صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ وماعنى أن نضع الألقاب الرنانة ، والأسماء الطنانة ، والكنى الضخمة ، والرتب الكبيرة ؛ لأناس غير أهل لبعض ذلك - بل ربما كانوا من وقود النار - ونخل على كبير المرسلين ، وخاتم النبيين ، وإمام المتقين ، وسيد الخلق أجمعين ؛ بكلمة أمرنا الله تعالى بها وأزمننا لها ، وأثابنا عليها ؛ صلى الله تعالى عليه صلاة يرضاها منا ، ويرضى بها عنا ، وسلم تسليماً كثيراً ؛ بعدد كل الكائنات ؛ =

فَاَنْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِنِينَ لِحَدِيثٍ اِنَّ ذٰلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحِي مِنْكُمْ وَاللّٰهُ لَا يَسْتَحِي مِنْ الْحَقِّ وَاِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ ذٰلِكَ اَطْهَرُ لِقُلُوْبِكُمْ وَقُلُوْبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ اَنْ تُؤْذُوْا رَسُوْلَ اللّٰهِ وَلَا اَنْ تَتَكَبَّرُوْا اَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ اَبَدًا اِنَّ ذٰلِكَ كَانَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظِيْمًا ۝۱۷ اِنْ تَبَدَّوْا شَيْعًا اَوْ حَفْوَةً فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ يَكْتُبُ لِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝۱۸ لَا جَنَاحَ عَلَيْنَ فِىْ ءَاْبَآئِنَ وَلَا اَبْنَآئِنَ وَلَا اِخْوَانِنَ وَلَا اِخْوَاتِنَ وَلَا اَبْنَآءِ اِخْوَانِنَ وَلَا اَبْنَآءِ اِخْوَاتِنَ وَلَا اَبْنَآءِ اِخْوَاتِنَ وَلَا اَبْنَآءِ اِخْوَانِنَ وَلَا اَبْنَآءِ اِخْوَاتِنَ ۝۱۹ وَاَقْرَبِيْنَ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝۲۰ اِنَّ اللّٰهَ وَمَلَآئِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلٰى النَّبِيِّ يَاۤٓيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا صَلُّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوْا تَسْلِيْمًا ۝۲۱ اِنَّ الَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ فِى الدُّنْيَا وَالْآٰخِرَةِ وَاَعَدَّ لَهْمُ عَذَابًا مُّهِمًا ۝۲۲

== رغم أقب الملحدين والكافرين !

ومن أعجب العجب قول القائلين : إن الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة في العمرة واحدة . مع أن نص الآية يقتضى التكثير «صلاوا عليه وسلموا تسليما» والجمهور على أنها واجبة عند ذكر اسمه العريف !

الجزء الثاني والعشرون

٥١٨

هذا ولا يصح لإفراد غير الأنبياء بالصلاة . وإنما يصلى على غيرهم بالتبعية ؛ كقولهم صلى الله على النبي وآله وصحبه !

(إن الذين يؤذون الله) بالكفر، ونسبة الولد والفريك إليه ، ووصفه بحالا يليق به ! والمراد بالإذاية هنا : عملها ؛ لا وصولها (و) يؤذون (رسوله) بالظن والتكذيب (لنهم الله) طردهم من رحمته (في الدنيا) بالتخل عن توفيقهم وهدايتهم (و) في (الآخرة) بما أعمده لهم من العذاب الأليم المقيم (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات) برميهم بما ليس فيهم ، واختلاق الجرائم عليهم (بغير ما اكتسبوا) بغير ما عملوا (فقد احتلوا بهتاناً) البهتان : أسوأ الكذب (يدنين) يقربن ، ويرخين (عليهم من جلايبهن) جمع جلباب ؛ وهو الثوب يستر جميع البدن ، أو هو الملادة التي تشتمل بها المرأة (ذلك أدنى أن يعرفن) أى ذلك أقرب أت يعرفن بأنهن حرائر محصنات (فلا يؤذين) فلا يؤذيهن أحد . وقد كانت عادة الإماء ، والفير المحصنات : كشف الوجوه . (والذين في قلوبهم مرض) فسق وجور ؛ بدليل قوله تعالى : «فيطمع الذى في قلبه مرض» (والرجفون) هم أناس من المنافقين كانوا يذيعون أخباراً سيئة عن سرايا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لنفرينك بهم)

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهِنَّ وَإِنَّمَا مَيْبِنَا ﴿٥١٨﴾ يَتَأَيَّبُ النَّبِيُّ قُلُوبَهُمْ لَأَرْوِّجَنَّكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴿٥١٩﴾ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٢٠﴾ * لَئِنْ لَرَيْتَهُ أَلْمَنِفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢١﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقْفُوا أَخْذُوا وَأُقْتَلُوا قَتِيلًا ﴿٥٢٢﴾ سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَإِنَّ نَحْمَدُ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٥٢٣﴾ بِسْأَلِكَ النَّاسِ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٥٢٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٥٢٥﴾ خَلَدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ فِيهَا وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا ﴿٥٢٦﴾ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا

أَطْمَأَنَّ

لنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها) أى في المدينة (إلا قليلا) إلا مدة قليلة ؛ ثم يستأصلهم الله تعالى بذنوبهم (ملمعونين) مطرودين (أينما تقفوا) أينما وجدوا (سنة الله) عادته وطريقته (في الذين خلوا) مضوا (بسألك الناس عن الساعة) القيامة ؛ ومتى وكيف تقوم ؟

أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿١﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا
 سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٢﴾ رَبَّنَا آتِنَا
 ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُومِ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٣﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ
 بِمَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
 أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ
 مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧﴾
 لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
 وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٨﴾

(وقالوا) أى الكفار؛ حيناً رأوا العذاب المحيط بهم، والمعد لهم (ربنا آتتهم ضعفين) مثلين (من العذاب) فى جهنم (والعنهم) عذبهم (لعناً كبيراً) عذاباً كثيراً متواصلاً. وأصل اللعن: الطرد والإبعاد. ومن لوازم الطرد والابعاد: الغضب؛ الذى من لوازمه العذاب (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آدوا موسى) بأن رموه بالسحر والجنون (فبراه الله عما قالوا) وأثبت تعالى أن ماجاه به موسى آيات بينات، ومعجزات ظاهرات؛ لا تمت للسحر والجنون بسبب. وقد ذهب أكثر المفسرين لى أن الإيداء المقصود هنا: أنهم رموه بأنه آدر. ويدفع هذا المعنى السقيم: قوله تعالى (وكان عند الله وجيهاً) أى نبيا كريماً، ورسولاً عظيماً؛ عليه وعلى نبينا صلوات الله تعالى وسلامه! (إنا عرضنا الأمانة) هى الشهوة المركبة فى الإنسان، أو التكليف الذى تم جميع وظائف الدين؛ من أوامره، ونواه؛ أهمها: ضبط جراح النفس، والصبر على الطاعات، وعن المعاصى والشهوات! (وأشفقن منها) وخفن من حملها (لأنه كان ظلوماً لنفسه؛ لأنه لم يراع ما حمل: فمضى نفسه

للعقاب (جهولاً) بحقيقة ربه؛ إذ لو علم حقيقته، وقدره: لما وسعه إلا التمسك بطاعته، والابتعاد عن معصيته! وهذا العرض، والإيداء: هو من قبيل الأمثال، ولسال الحال؛ كقوله تعالى «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله»

(٣٤) سُورَةٌ مِّنْ مَّكِّيَّةٍ
الْأَبْرَاقِ فَذُكِّرَتْ
وَأَيُّهَا هِيَ نَزَلَتْ بَعْدَ لَقَاءِ

(سورة سبأ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ
مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا

(يعلم ما يليح) يدخل (في الأرض) من
ماء ، وكنوز ، ودقائق ، وأموات (وما يخرج
منها) من نبات وأقوات (وما ينزل من
السماء) من ماء ، وأرزاق ، وبركات ،
وخيرات ، وصواعق ، وسيول (وما يرجع
فيها) أي وما يصعد إليها من أعمال العباد ،
ومن ملائكته تعالى ؛ الذين ينزلون منها ،
ويخرجون إليها ؛ بأمره جل شأنه (وقال
الذين كفروا لا تأتينا الساعة) أي لا تقوم
القيامة (عالم الغيب) كل ما غاب عن العلم
والفهم (لا يعزب) لا يغيب (مِثْقَال) وزن
(ذرة) أصغر نملة تدرؤها الرياح ؛ وهو
مثال في نهاية الدقة والصغر (إلا في كتاب
مبين) بين ؛ وهو اللوح المحفوظ : كتب فيه
تعالى ما خلق وما يخلق ، وما رزق وما يرزق ،
وما دق ، وما جل ، وما عظم ، وما حقر ،

ومن كفر ومن آمن ، ومن عصى ومن أطاع ؛ حتى قيام الساعة ؛ و«يجمع الله ما يشاء ويثبت وعنده
أم الكتاب» ذلك (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بإيمانهم وعملهم (والذين سعوا) بالرد والظعن

فِي ءَايَاتِنَا مُعْجَزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ
 رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ وَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ
 إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ
 الْحَمِيدِ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكَّرُ عَلَى رَجُلٍ
 يَبْتَئِشُكُمُ إِذَا مَرَّ قَمْتُمْ كُلُّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُم لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٢﴾
 أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿١٣﴾ أَقَلَّمُ بِرُوحِي إِلَى
 مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَسُوا
 نَحْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْفِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ
 إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَدِيدٍ ﴿١٤﴾ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
 دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّوَلُّ لَهُ
 الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ أَعْمَلُ سَبِيحَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا
 صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦﴾ وَاسْلِمَنَّ الرِّيحُ

(في آياتنا) قرأنا الذي أنزلناه على محمد (معجزين) مغالين لنا ، ظانين أنهم سينجون من عذابنا ، مقدرين
 ألا بعث ، ولا ثواب ، ولا عقاب (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) الرجز: أسوأ العذاب (ورى الذين
 أوتوا العلم) وهم مؤمنو أهل الكتاب ؛ أن
 (الذي أنزل إليك من ربك) القرآن (هو الحق
 و) هو (يهدي إلى صراط) طريق (العزير)
 الغالب الذي لا يقبل (الحميد) المحمود في كل
 أفعاله (وقال الذين كفروا هل ندلكم على
 رجل) يعنون به محمدا صلى الله عليه وسلم
 (ينبشكم) يخبركم أنكم (إذا) تمم و (مرقتم
 كل ممزق) فرقتم في قبوركم كل تقريق (إنكم
 لفي خلق جديد) أى ستخلقون يوم القيامة
 من جديد (أفترى) استفهام ؛ أى هل افترى
 بقوله هذا (على الله كذبا أم به جنه) جنون ؛
 فهو يهرف بما لا يعرف ا قال تعالى رداً على
 إفكهم وضلالمهم (بل الذين لا يؤمنون
 بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) عن الحق
 في الدنيا (أو نسقط عليهم كسفاً قطعاً) (إن
 في ذلك لآية) برهانا (لكل عبد منيب) راجع
 إلى الله بكنيته (ياجبال أوبي معه) أى رجعى
 التسبيح معه (والطير) أيضاً يسبح معه . قال
 تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن
 لا تفقهون تسبيحهم » (وأنا له الحميد)
 جطناه لينا كالطين المعجون ، أو وقناه إلى
 لإلآته بواسطة الصهر ، وعلماه طرق صناعته ،
 وتشكيله كما يريد (أن اعمل سابقات)
 دروعا تامة ؛ تطفى سائر البدن (وقدر في
 السرد) أى في نسج الدروع . يقال لصانعا :
 سراد . ومعنى « وقدر » أى اجعل حلقاتها منسقة متناسبة (واعملوا صالحا) الخطاب لآل داود ، وأمه ؛
 ويشمل الصلاح المأمور به ؛ صلاح الأعمال والأفعال ؛ من العبادات والصناعات (و) سخرنا (لسليمان
 الريح) « تجرى بأمره رخاء حيث أصاب »

(غدوها شهر ورواحها شهر) أى جريها بالعداء مسيرة شهر ، وكذلك جريها بالمشى (وأسلنا له عين القطر) أى معدت النحاس : أذناه له ، أو وقتناه لطرق صهره ، والانتفاع بصناعاته ؛ كما وقتناه لصهر الحديد . والرأى الأول أولى ؛ ليتفق مع المعجزة : فإلانة الحديد ؛ وإذابة النحاس ؛ بغير ملين ، أو مذيب

المجزئ الثاني والعشرون

٥٢٢

طبيعى : أدى إلى الإعجاز ، وتفيه القلوب ، ولفظ الأظفار (ومن يرغ) يعدل ويحد (محارب) مساجد ، أو مساكن (وجفان كالجواب) الجفان : جمع جفنة ؛ وهى القصعة الكبيرة . والجوانى : جمع جانية ؛ وهى الخوض الضخم (اعملوا آل داود) عملاً صالحاً (شكراً) لله على ما آتاكم (وقليل من عبادى الشكور) (انظر آية ٢٤ من سورة ص) (دابة الأرض) هى الأرضة (تأكل منسأته) عصاه . وقدمات عليه السلام وهو ممسك بها ؛ وظل على ذلك الحال ؛ لى أن جاءت الأرض فأكلت من العصا حتى كسرتها ؛ وسقط جسده عليه السلام إلى الأرض (فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب ويؤخذ من ذلك أن أجساد الأنبياء عليهم السلام لا تبلى ، ولا تأكلها الأرض ؛ شأن كل الأجساد (لقد كان لسبأ) قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم . وقيل : مدينة ؛ وهى التى منها بلقيس (جنتان) لم يرد تعالى بالجنتين : جنتين اثنتين غسب ؛ بل أراد أن بلادهم كلها أشجار ونمار وبساتين . وإنما التثنية فى أنها يمنة ويسرة ؛ يؤيده قوله تعالى (عن يمين وشمال) أى حيثما سرت وجدت «جنتان عن يمين وشمال» (فأعرضوا) عن عبادة الله تعالى وطاعته (فأرسلنا عليهم سيل العرم) المطر

غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن
 ألحن من يعمل بين يديه ياذن ربه . ومن يرغ منهم
 عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ﴿١٧﴾ يعملون له
 ما يشاء من محرب وتكديل وجفان كالجواب وقدور
 رأيت أعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى
 الشكور ﴿١٨﴾ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على
 موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت
 الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب
 ألهمين ﴿١٩﴾ لقد كان لسبأ فى منسأهم آية جنتان
 عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم وأشكروا لله بلدة
 طيبة ورب غفور ﴿٢٠﴾ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل
 العرم وهدلنهم بمنزلاتهم جنتين ذواتى أكل تعط وأنلى
 وفى من سدر قليل ﴿٢١﴾ ذلك جزيتهم بما كفروا

وقل

الشديد ؛ الذى يحطم كل ما يعترضه من أبنية ، وأودية . و «العرم» السود التى تبنى لتجوز المياه (ذواتى أكل خط) أى تمر مر ، بشع - وقيل : هو كل شجر ذى شوك (وأثل) شجر طويل لا تمر له (وشىء من سدر) وهو شجر برى ؛ له تمر كالنبق ؛ غير أنه مر الطعم ، سام لا يؤكل (ذلك) التبديل الذى بدلناهم به : التلف بعد الترف ، والمر بعد الحلو ، والداد بعد الشفاء (جزيناهم بما كفروا) أى بسبب كفرهم

(وهل نجازي) بالشكر بعد الخير ، وبالعقاب بعد الثواب (إلا الكفور) الذي أعرض عنا ، ولم يقم بواجب شكرنا (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) وهي الشام: باركنا فيها بالماء والشجر ، والزهر والتمر (قرى ظاهرة) متتابعة ؛ لانتهاى من قرية حتى تبدو لك أخرى ؛ ليستبين الفرق بين رضا الله تعالى وغضبه ، وبين نعمته وبقائه (وقدرنا فيها) أى في هذه القرى (السير) فلا يكاد السائر يقبل في قرية ؛ حتى يبيت في أخرى ؛ فلا يحتاج إلى مزيد من الأمن والازد ؛ وهذا معنى قوله جل شأنه (سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين)

من الحسوف والفرج ، والجوع والعطش ؛ فأطفئهم الراحة ، وأبطرتهم النعمة ، وزغ الشيطان في نفوسهم ، وتحرك الكفر الكامن في قلوبهم (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) ملوا الراحة ، وطلبوا الكد والتعب (وظلموا أنفسهم) بحرمانها من الثواب ، وتعريضها للعقاب (فجئناهم أحاديث) يتحدث الناس بما حل بهم ، ويعجبون من أحوالهم (ومزقناهم كل ممزق) فرقناهم في البلاد كل التفريق ، وصيرناهم مضرباً للثلث ؛ يقال : تفرقوا أيدي سبا ، وذهبوا أيدي سبا (إن في ذلك لآيات) عظات (لكل صابر) كثير الصبر عن المعاصي وعلى الطاعات (شكور) كثير الشكر لله تعالى على نعمه ؛ (وما كان له) أى لإبليس (من سلطان) تسلط عليهم ؛ ولكنهم «نساء الله فأنساهم أنفسهم» وما كان تسلط لإبليس عليهم (إلا لنعلم) علم ظهور (من يؤمن بالآخرة) ويعمل لها ؛ فلا يبالى بالشياطين ووسوسته ، ولا يعابى بالنفس وهو اجسبا :

وخالف النفس والشيطان واعصها

وإت هما محضاك النصح فاتهم (من هو منها في شك) فليس بمستيقن حساباً ، ولا ثواباً ولا عقاباً ؛ فإذا بدت له فرصة كسب - من أى طريق - انتهزها ،

وإذا لاحت له بارقة لذة انغمس فيها ، وإذا لوح له لإبليس بما يسره اليوم ويضره غداً بادر إلى إجابته وطاعته ؛ فأى شك في الآخرة أكبر من هذا الشك ؟ بل وأى كفر بالله أشد من هذا الكفر ؟! (وربك على كل شىء حفيظ) رقيب وعليم (قل ادعوا الذين زعمتم) ألوهيتهم ، وعبدوهم (من دون الله) اطلبوا منهم أن يدفعوا عنكم ضرراً أو أن يلحقوا بكم خيراً فانهم لن يستجيبوا لكم ؛ لأنهم (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) أى لا يملكون وزن نملة صغيرة في ملك الله الكبير (وماله) جل شأنه (منهم) أى من هذه الآلهة (من ظهري) من معين ؛ بل هو وحده المعين الذي لا يمان عليه ، الغيث الذي لا يمان عليه ؛ (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) بها ، وارتضاه شقيعاً فيمن أراد بفضله أن ينصحه =

وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكُفُورَ ﴿٥٢٣﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴿٥٢٤﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِد بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلُّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥٢٥﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢٦﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْآخِرَةِ مَن هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٢٧﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٥٢٨﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ

= رفته ، وبغزو عن ذنوبهم ؛ لسابقة خير أتوها ، ويدبر أسدوها (حتى إذا فرغ عن قلوبهم) أى كشف الفزع ، وزال عن قلوب الشافعين والمشفوع فيهم الرب ؛ بالإذن في الشفاعة ، أو بقبولها من الشافعين في المشفوع لهم (قالوا) أى قال الشفعاء لمضهم ، أو قال الأنبياء - وهم الذين يأذن الله تعالى لهم بالشفاعة - للملائكة الذين يبلغون أمر ربهم ؛ قالوا لهم (ماذا قال ربكم) في شأن شفاعتنا للعصاة من أمنا ؟ (قالوا) قال (الحق) الذى ارتضاه وكتبه على نفسه «كتب ربكم على نفسه الرحمة» وقد أذن بكرمه وفضله لكم في

الجزء الثانى والمشروع

٥٢٤

الشفاعة (وهو العلى) المتعالى فوق خلقه بالقهر (الكبير) العظيم ؛ الذى كل شيء - مهما عظم - دونه ! (إنا أو إياكم) أى ونحن أو أتم (لعل هدى) من الله (أو في ضلال مبین) أى تظن هذا من الله تعالى بسبيده ؟ وأى منطق تشرتب له الأعناق ، وتتخلع له القلوب ؟! يأمر الله تعالى أهدي الهداة ؛ بأن يخاطب أعنى العتاة ، وأعصى العصاة ؛ بقوله : إن الخلاف بيننا لا يعدو لحدى اثنتين : إما أن أكون أنا على هدى ، أو في ضلال مبین ؛ وأتم كذلك . فإذا ماتبصر المخاطب في هذا الجدل الرقيق الرفيق ؛ الذى إن دل على شيء ؛ فإنما يدل على الحقيقة المجردة من كل زيف ، والقوة المجردة من كل قسوة ، واطمئنان الوائق ، ووثوق المطمئن . وإذا ما تدبر المخاطب المعاند أنه لا أحد يرزقه من السموات والأرض سوى الله تعالى ، وأن معبوده المزعوم لا يخلق شيئاً ؛ بل يخلقه العابد له بيديه ، وأنه لا يعك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وأنت الذى يخاطبه يسأله المنطق لا القوة ، وتؤيده البراهين والآيات ؛ لا الأكاذيب والترهات ؛ وأنه - ولا شك - مرسل من عند الله الحق ؛ ليخرجه من الظلمات إلى النور ، وينجيه من عذاب السعيرا إذا تدبر المخاطب كل ذلك : علم أنه على ضلال

الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٥٢﴾ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٣﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُبْرِئْنَا وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا نَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا وَالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتْحُ الْعَلِيمُ ﴿٥٥﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَنْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ لَكُمْ يَوْمَ لَا تَسْتَعْتِرُونَ عَنْهُ سَاعَةٌ وَلَا تَسْتَفْتِمُونُ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا

مُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾

وأى ضلال ؛ وأن الرسول على هدى وأى هدى ! (قل) لهم يا محمد (يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا) أى يحكم (شركاء) في العبادة (كلا) ردع لهم عن اتخاذ الشركاء للملك الحق ! (ويقولون متى هذا الوعد) بالقيامة والبعث ، والثواب والعقاب (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن) ولن نصدق أنه منزل من عند الله (ولا) نؤمن (بالذى بين يديه) أى ما تقدمه من الكتب ؛ كالتوراة والإنجيل (ولو ترى) يا محمد (إذ الظالمون موقوفون) أى محبسون (يقول الذين استضعفوا) الأتباع والضعفاء (للذين استكبروا) السادة والرؤساء (لولا أنتم) وإضلالكم لنا (لكنا مؤمنين) وفي عداد التاجين

مُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ
 أَنَحْنُ صَدَدْنَا عَنْ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَهُمْ بَلْ كُنْتُمْ
 مُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
 بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ
 وَنَجْعَلَ لَهُمْ أَدْنًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ
 وَجَعَلْنَا الْأَعْتَلَّ فِي أَغْشَاكِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجِيرُونَ
 إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ
 نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾
 وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٢٠﴾
 قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا
 أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ لِّضَعْفِ مَا عَمِلُوا وَهُمْ

(أنحن صددناكم) منعناكم (عن الهدى) الإيمان ، أو القرآن ، أو هماماً ؛ وهو استفهام إنكارى .

أى لم نصدكم عن الهدى ، ولم نكرهكم على
 الكفر (بل مكر الليل والنهار) أصل المكر:
 الاحتيال والحديعة . أى بل مكركم بنا ليلا
 ونهاراً ، أو كفركم أمامنا ليلا ونهاراً ؛ هو
 الذى صدنا ومنعنا عن الهدى ؛ وذلك لأن
 العمل الظاهر : فيه معنى الأمر بعنقه ؛ فمن
 يكفر : يكن قدوة لغيره فى الكفر ، ومن
 يفسق يكن قدوة لغيره فى الفسق (أنداداً)
 أمثالا وأشباهاً (وأسروا الندامة) أى
 أظروها ؛ وهو من الأضداد : يكون بمعنى
 الإخفاء والإبداء . أو هو مشتق من الأسارى ؛
 وهى محاسن الوجه ، والحندان ؛ أى بدت الندامة
 وظهرت على أسارىهم ؛ بما يترى وجوههم
 من الاقباض والأسى والحزن ا (مترفوها)
 رؤساؤها ومنتعموها (وقالوا) أى الكفار
 المترفون المنتعمون (نحن أكثر أموالاً وأولاداً)
 من المؤمنين الفقراء (وما نحن بمعذبين) توها
 منهم أت الأموال والأولاد هى منجاة لهم
 فى الآخرة ؛ كما كانت منجاة لهم فى الدنيا (قل
 إن ربى يبسط الرزق) فى الدنيا (لمن يشاء)
 من عباده: كافراً كان أو مؤمناً ، طامئاً أو
 عاصياً ؛ وكثيراً ما يعطى من يفيض ، وينبع
 من أحب (ويقدر) ويقض عنمن يشاء .
 وقد رد الله تعالى على هؤلاء المحتجين بشانهم ،
 المحتجين عن مولايم ؛ بقوله (وما أموالكم

ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى) الزلفى : القربى والمزلة . أى تقرّبكم عندنا منزلة (إلا من آمن وعمل
 صالحاً) أى إلا الإيمان والعمل الصالح ؛ فهما وحدهما مقياس القرب ، من حضرة الرب (فأولئك) المؤمنون
 الصالحون (لهم جزاء الضعف) أى نضاعف لهم جزاء حسناتهم

فِي الْفُرْقَاتِ أَمَلِي الْجَنَّةِ (آمِنُونَ) مِنْ
 الْعَذَابِ ، وَمَنْ انْقَطَعَ النَّعِيمُ (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا
 مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنْ
 رَبِّي يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَيَقْدِرُ لَهُ
 وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٧﴾
 وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتَوْلَاءَ إِنَّا كُنَّا
 كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ
 بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴿٥٩﴾
 فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ
 لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا
 تُكَذِّبُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا نَسِلْتُمْ عَلَيْهِم بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا
 مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُصَدِّقَكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ
 ءَابَاءُؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ مِمَّنْ قَدْ بَدَّلَ اللَّهُ دِينَهُمْ
 كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦١﴾

(وعم في الفرقات) أمالي الجنة (آمِنُونَ) من
 العذاب ، ومن انقطاع النعيم (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
 آيَاتِنَا) القرآن : يسعون في إبطاله ، وإنكاره ،
 والظن فيه (معجزين) مخالفين لنا ، ناسين
 الجزأ لنا (ويقدر) ويقبض (وما أنفقتم من
 شيء فهو يخلفه) أي ما أنفقتم في سيئه تعالى ،
 ومن أجل مرضاته ؟ فانه جل شأنه يموضه
 لكم ، ويرزقكم أضعافه . وقد ورد أن ملكا
 في السماء يدعو «اللهم أعط منقذاً خلفاً» ومسكا
 تلقاً» (وهو خير الرازقين) لأن المخلوق يرزق
 الآخر لحاجة منه إليه ، أو لرغبة يتغنيها عنده .
 أما «خير الرازقين» فيرزق بلا حاجة ، ويعطى
 بلا مقابل ا (قَالُوا سُبْحَانَكَ) تعاليت وتقدسست،
 وتعاليت عن المثل ، والشبيه ، والنظير (أنت
 ولينا) خالقنا ، ومعبودنا ، وكافينا ؛ الذي
 نخلص له في العبادة ؛ فكيف نرتضى أن نعبد
 من دونك ؟ (بل كانوا يعبدون الجن)
 الشياطين الذين كانوا يفتنونهم بعبادتنا ، وعبادة
 غيرنا (وقول للذين ظلموا) كفروا (وإذا
 تبلى عليهم آياتنا بينات) ظاهرات واخفات
 (قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصْدِقَكُمْ
 عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ) من الأصنام والأوثان
 (وقالوا ما هذا) القرآن (إلا إنك مفترى) كذب مخلق

(وكذب الذين من قبلهم) من الأمم المتقدمة مثل تكذيبهم (وما بلغوا معشار ما آتيناكم) أى وما بلغ أهل مكة عشر ما أوتى الأولون من طول الأعمار ، وقوة الأجسام ، وكثرة الأموال والأولاد . وقيل : المعشار : عشر

العشر ، أو هو عشر عشر العشر ؛ فيكون جزءاً من ألف . ولعله المراد : لأنه أريد به المبالغة في التقليل . وقد يكون المعنى : وما بلغ المكذبين الذين من قبلهم معشار ما آتيناكم من العلم والبيان ، والحجة والبرهان ؛ فهم أولى الأمم بالإيمان ، وأجدرهم بالإيقان (فكذبوا رسلي) أى كذبت الأمم السابقة رسلي ؛ كما كذبت قومك (فكيف كان تكبير) التكبير : تغيير المنكر ؛ أى فكيف كان تغييرى لمنكرهم ، واستئصال وتميمى لهم ؟ (قل إنما أعظكم بواحدة) أى أنصحكم بكلمة واحدة : هى جامع الفضائل كلها ، وأساس الإيمان واليقين والتوحيد (أن تقوموا لله) لعبادته (مثنى) جماعات (وفرادى) أى مجتمعين ومتفرقين (ثم تنفكروا) فيما قلتموه ، وترجعوا عما همتمتموه (ما يصاحبكم من جنه) جنون (إن هو) ما هو (إلا نذير لكم بين يدي) قدام (عذاب شديد) هو عذاب الآخرة . قال صلى الله تعالى عليه وسلم «بعثت بين يدي الساعة» (قل ما سألتكم من أجر) على التبليغ (فهو لكم) المعنى : «لا أسألكم عليه أجراً» والأجر الذى سألتكموه : هو لكم ؛ لأن نفعه عائد عليكم «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى» (وهو على كل شىء شهيد) عالم به ، ومطلع عليه (قل إن ربي يقذف بالحق) أى

يلقيه وينزله إلى أنبيائه (قل جاء الحق) الإسلام (وما يهدى الباطل) الكفر (وما يعيد) أى متى جاء الحق ؛ فأى شىء بقى للباطل يبيدوه أو يعيده ؟ (ولو ترى إذ فرعوا) عند البعث (فلا فوات) فلا مهرب

وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿١١﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٢﴾ * قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْفَىٰ وَقُرَدَىٰ ثُمَّ تَنفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿١٣﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمِ الْغُيُوبِ ﴿١٥﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿١٦﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَمَا مَتَّأِضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُرْحِمِي إِلَّا رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿١٨﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمْ

التَّائِشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ
وَيَقْدِفُونَ بِالْقَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٢٨﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ
كَانُوا فِي شَكِّ مَرِيضٍ ﴿٢٩﴾

(٣٥) سُورَةُ فَاطِرٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٤٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الْفِرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ
رُسُلًا أُولِي أُنْجُحَةٍ مَنخِي وَتَلَكَّتْ وَرَبَّعَ بَرِيدٌ فِي الْخَلْقِ
مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ
لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتْلِيهَا النَّاسُ

أَذْكُرُوا

في خلق ملائكته ، أو يزيد في أجنحتهم ؟ فقد رأى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام - على صورته - سادا ما بين الأفق . وقيل : إن إسرافيل عليه السلام له اثنا عشر ألف جناح . والزيادة في الخلق : تشمل كل خلق خلقهم الله تعالى . فقد خلق تعالى الإنسان ؛ والزيادة في خلقه : اعتداله وحسنه وجماله . وخلق العينان ؛ والزيادة في خلقهما : حورهما . وخلق الصوت والزيادة في خلقه : ملائحته وحلاوته . وخلق الخط ؛ والزيادة في خلقه : وضوحه وحسنه . وخلق الشعر ؛ والزيادة في خلقه : لإرساله وتهدله ونومته (ما يفتح الله للناس من رحمة) رزق ، أو مطر ، أو صحة ، أو ما شاكل ذلك

(وأتى لهم التناوش) التناول . أى وكيف لهم تناول الإيمان بعد فوات وقته (ويقدفون بالقيب) أى وقد كانوا يتكهنون بالقيب ؛ ويقولون : لا بئس ، ولا حساب (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) أى حيل بينهم وبين النجاة من العذاب الذى هم فيه ، أو حيل بينهم وبين ما يشتهون في الدنيا: من مال ، وأهل ، وولد ، أو حيل بينهم وبين ما يشتهونه : من الإيمان وقبوله منهم (كما فعل بأشباعهم) أشباعهم من الأمم السابقة .

(سورة فاطر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فاطر السموات والأرض) خالقهما ابتداء من غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) لى الأنبياء بكلامه وهدايته ، ورسلا لى الناس بنقته ورحمته وهم من خاصة خلق الله تعالى . ومن خواصهم : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل . ولا حصر لهم عدداً ولا إحاطة بهم وصفاً (أول أجنحة) ذوى أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) أى لأن لبعضهم جناحان ، وبعضهم ثلاثة ، وبعضهم أربعة (يزيد) تعالى (في الخلق ما يشاء) أى يزيد

اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۗ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
 مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ فَأَنْتُمْ تُؤْفِكُونَ ﴿١﴾
 وَإِنْ يَكْفُرْ بِكَ فَكُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ۗ وَإِلَى اللَّهِ
 تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢﴾ يَتَّبِعُهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا
 تَعْرُكُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣﴾
 إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرًا وَعَدُوًّا ۗ وَإِنَّمَا يُدْعُوا بِحُزْبِهِ
 لِيَكُونُوا مِنْ أَجْحِبِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ
 شَدِيدٌ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
 وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٥﴾ أَفَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ۗ قَرَأَهُ حَسَنًا
 فَإِنِ اللَّهُ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ فَلَا تَذْهَبُ
 نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٦﴾
 وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ
 فَأَحْيَيْنَاهُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٧﴾

(يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) فاعبدوه واشكروا له ا (هل من خلق غير الله يرزقكم
 من السماء) بما ينزله من أمطار ، ويجريه من
 أنهار (و) من (الأرض) بما يخرجها من
 نبات وأقوات ، وثمار وأزهار (لا إله) يعبد
 (إلا هو) له الحمد ، وله الشكر ، وله الثناء
 الجميل ا (فأنتي تؤفكون) فكيف تصرفون
 عن عبادته ؛ وأنتم لا ترزقون إلا بسببه ، ولا
 تتعمون إلا بسببه ا (ولا يغرنكم بالله الغرور)
 الشيطان (إنما يدعو حزبه) أتباعه وأولياءه
 (ليكونوا من أجحب السعير) بسبب طاعتهم
 له ، واتهامهم في كفرهم ومعاصيهم (أفمن زين
 له سوء عمله) زينه له شيطانه ، ورغبتة فيه
 نفسه (فراه حسنا) وهو في الحقيقة أقبح من
 القبح ، وأسوأ من السوء ا والجواب محذوف
 تقديره «أفمن زين له سوء عمله فراه حسنا»
 كمن هدى إلى الصراط المستقيم؟ «لا يستون»
 (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء)
 يضل من يشاء لإضلاله ؛ بسبب انصرافه عن
 آيات ربه ؛ بعد أن جاءت به بينات محكمات ،
 وبعد أن أدخلها الله تعالى في لبه ، وسلكها
 في قلبه ا ولانفس قول الحكيم العليم «فلما
 زاغوا أزاغ الله قلوبهم» وقوله جل شأنه
 «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» (انظر آية ٢٠٠
 من سورة الشعراء) (فلا تذهب نفسك عليهم
 حسرات) أي لا تقتل نفسك عليهم غما وحسرة
 (فسقناه إلى بلد ميت) مجدب ؛ لا نبات فيه
 (فأحيينا به الأرض) أي أحيينا الأرض بالمطر المستكن في السحاب ؛ فأنبئت بعد جدبها (كذلك النشور)
 أي مثل إحيائنا للأرض الميتة : كذلك يكون بشكم وإحياءكم

(من كان يريد العزة لله العزة جميعاً) في الدنيا والآخرة؛ فلا تتال بالمال، ولا بالولد، ولا بالجاه؛ وإنما تتال بطاعة الله تعالى؛ فمن أرادها فليصل عملاً صالحاً يؤمله لنيلها (إليه) تعالى (يصعد الكلم الطيب) وهو كل كلام يتقرب به إلى الله تعالى؛ ويدخل فيه قوله تعالى «وقولوا للناس حسناً» فكل قول حسن؛ هو من الكلم الطيب. وكذلك قوله جل شأنه «وقولوا لهم قولاً معروفاً» و«الكلم الطيب» من أسباب العزة عند الله، وعند الناس؛ وصعود الكلم الطيب إليه تعالى: معناه أنه جل شأنه يعلمه، ويسرع الجزاء عليه،

ويحسن إلى صاحبه! (والعمل الصالح) العبادة الحاصلة (يرفضه) أي والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب؛ فقد يكون الكلم الطيب رياء، أو مداهنة. أو «والعمل الصالح» يرفع عامله إلى مصاف الأتقياء. وقيل: «والعمل الصالح يرفضه» الكلم الطيب. يؤيده قراءة من قرأ «والعمل الصالح» بالنصب. هذا «والعمل الصالح» غير قاصر على العبادات غيب؛ بل يشمل سائر الأعمال والصنوعات التي يعهد بسلمها إلى الناس. قال صلى الله تعالى عليه وسلم «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» وما من شك أن الأعمال الصالحة المتقنة: ترفع صاحبها عند الله وعند الناس؛ فيزداد بها علواً ورفعة! (والذين يمكرون السيئات) أي المكرات السيئات (ومكر أولئك هو بيور) يفسد ويبطل (والله خلقكم من تراب) أي خلق أصل الإنسان «آدم» من تراب (ثم) خلقكم (من نطفة) منى . (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) (ثم جعلكم أزواجاً) أصنافاً، أو ذكراً وإناثاً (وما يعمر من معمر) المعمر: طويل العمر. أي ما يزداد في عمر طويل المعمر (ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) هو اللوح المحفوظ؛ مكتوب فيه تلك الزيادة، وذلك النقصان.

ويعتمد على ما يستقبله من عمره، والنقصان: ما يستدبره منه. وقصان الأعمار وزيادتها: أمر مسلم به، مقطوع بوقوعه: فالإحسان، وبر الوالدين، والصدقة، وصلة الرحم؛ فهي - فضلاً عن أنها مرضاة للرب - تطيل الأجل، وتريد القوة، وتسمى الصحة، وتضفي السعادة؛ قال صلى الله تعالى عليه وسلم «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره - فليصل رحمه» وقد ورد أنه مكتوب في اللوح المحفوظ: عمر فلان كذا؛ فإن وصل رحمه: زيد في عمره كذا! (إن ذلك) النقصان والزيادة (على الله يسير) حين لا يبق عليه (وما يستوى البحران) الملح والمذب (هذا عذب فرات) شديد العذوبة والحلاوة (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة (ومن كل) منهما (تأكلون لحماً طرياً) هو السمك (وتستخرجون حليه تلبسونها) هي اللؤلؤ والمرجان (وترى النلك) =

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ لِلَّهِ الْعِزَّةَ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبُورُ
 وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مَعْسِرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
 وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى النُّفُكَ فِيهِ مَوَاحِرٌ لَتَتَّبَعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
 يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتَخْرُ السَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكَ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ

== السفن (فيه مواخر) غمرت السفينة الماء : أى شقته (لتبتقوا من فضله) بالتجارة والكسب (يولج) يدخل (الليل في النهار) ينقصان الليل ، وزيادة النهار (ويولج النهار في الليل) ينقصان النهار ، وزيادة الليل (والذين تدعون) تصدون (من دونه) غيره (لا يملكوت من قطمير) وهو القشرة الرقيقة الملتفة على النواة . وهو مبالغة في القله ، والمقارة . أى أنهم لا يملكون شيئاً مطلقاً

(إن تدعوم) تداوم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يبرأون منكم ، ومن عبادتكم لهم (يا أيها الناس) خطاب لسائر الناس : غنيهم قبل فقيرهم ، وسليمهم قبل سقيمهم ، وقومهم قبل ضعيفهم ؛ يقول لهم ربهم ، وخالقهم ، ومالكهم (أتم) جميعاً (الفقراء) المحتاجون (إلى الله والله) وحده (هو الغني) المستغنى بنفسه عن غيره (الحمد) الحمدود في صفة الفقر : هو الافتقار ؛ وجميع الناس - على اختلاف طبقاتهم ، وتباين أجناسهم - مفتقرون إليه تعالى في كل شئونهم ؛ فالغنى لا يكون إلا بأمره ، والسعادة لا تكون إلا بعيشته ، والسلامة لا تتم إلا بإرادته ، والحاجة دائماً إليه ، والاستقامة دائماً به (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس آئمة لأم نفس أخرى (وإن تدع مثقلة) أى إن تدع نفس مثقلة بالذنوب (إلى حملها) أى إلى حمل حملها الثقيل من الذنوب (لا يحمل منه شئ ولو كانت) المدعو للحمل (ذا قربي) «يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبه وبنيه ؛ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يفنيه» (ومن تركني) تطهر بفعل

الطاعات ، وبرك المعاصي (فإنما يترك نفسه) لأن ثواب ذلك عائد إليه وعليه (وما يستوى الأعمى والبصير) الكافر والمؤمن ، أو الجاهل والعالم (ولا الظلمات ولا النور) الكفر والإيمان ، أو الجهل والعلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (ولا الظل ولا الحرور) الحق والباطل ، أو الجنة والنار (وما يستوى الأحياء ولا الأموات) أى الذين دخلوا في الإسلام ، ومن لم يدخلوا فيه ، ويصح أن يكون جميع ما تقدم على ظاهره (وما أنت بمسمع من في القبور) أى كما أنك لا تسمع الموتى - سكان القبور - فكذلك لا تستطيع إسماع الكفار : موتى القلوب !

إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاكُمْ وَلَا يُسْمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا
لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ
خَبِيرٍ ﴿١١﴾ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ
بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٣﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٤﴾ وَلَا تَزِرُ
وِازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ
مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿١٥﴾ إِنْ مَّا تُنذِرُ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ
رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكْنِي فَإِنَّمَا يَتْرَكَنِي
لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ ﴿١٧﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿١٨﴾ وَلَا الظِّلُّ
وَلَا الْحَرُورُ ﴿١٩﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٢٠﴾
إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ
فِي الْقُبُورِ ﴿٢١﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

(وان من أمة إلا خلا فيها نذير) أى وما من أمة سبقت ؛ إلا مضى فيها رسول ينذرهم سوء عاقبة الكفران ، ومخوفهم وخامة الظلم والطغيان (جاءتهم رسلهم بالبينات) الآيات الواضحات (وبالزبر) الصحف (وبالكتاب المنير) الواضح ؛ كالتوراة والإنجيل (ثم أخذت الذين كفروا) عذبتهم ؛ بسبب تكذيبهم لرسلهم ، وإنكارهم لكتبهم (فكيف كان نكير) إنكارى عليهم ، وتعذيب لهم (فأخرجنا به ثمرات) فاكهة (مختلفاً ألوانها) حكمة التفاح وصفوته ، وبياض العنب وسواده ، واختلاف ألوان الفاكهة

وطعومها ؛ مع سقيها بماء واحد يسقى بماء واحد وفضل بعضها على بعض فى الأكل ، (ومن الجبال جدد بيض وحمر) طرق لونها أبيض ، وأخرى لونها أحمر؛ وهذا مشاهد يعرفه كل من ارتاد الجبال وطرقاتها ، ورأى مفاوزها ومسالكها. وقد رأيت ذلك رأى العين - ورآه الكثيرون - بجبال مكة المشرفة ؛ (وغرايب سود) أى وطرق سوداء حالكة السواد. يقال : أسود غريب . ومنه الغراب لسواده (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك) الاختلاف الظاهر فى الثمرات ، والجبال والطرق (إنما يخشى الله) حق خشيته ، ويعرفه حق معرفته (من عباده العلماء) الذين يملون رحمته وقيمته ، وغفوه وبطشه ، وحلمه وقهره ، ومغفرته وعذابه ؛ ويملون أنه تعالى على كل شىء قدير !

والعلم ؛ هو فى نفسه غاية الغايات ، ونهاية النهايات ؛ ألا ترى أنه يرشدك إلى بارتك ، ويلهيك ما ينجيك ، ويطلق عقلك من عقال الأوهام ، ويقاوم التعصب والتقليد ، وينزه فكرك من القيود ، ويوصلك إلى المعرفة الحاصلة ، والحق المجرد ؛ وكل علم لا يصل بك إلى هذا المستوى ؛ فليس بعلم !

والعلم أيضاً وسيلة سامية ، لغايات بالغة السمو : فبغير العلم لا تستطيع أن تعالج مشاكل الحياة علاجاً سليماً حكماً ، وبغيره لا تستطيع أن تحمى نفسك وتدفع عنها إهانة المؤذنين ، وعدوان المعتدين ! فالعلم إذن يجمع بين الحق والقوة ، والسعادة والسيادة ، والعظمة والسلطان . فبالعلم استطاع الإنسان - فى دفاعه عن نفسه - أن يستعمل اللسان والسنان ، وبالعلم استطاع أن يسخر الماء والهواء ، والبخار والكهرباء ؛ حتى صار الإنسان بعلمه : كمن يضع فى أصبعه خاتم سليمان ، ويجلس على بساطه !

وَالْحَقُّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿١١﴾
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٢﴾
ثُمَّ أَخَذَتِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنزَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴿١٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿١٥﴾
الَّذِينَ يَخْلُونُ بِكُتُبِ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿١٦﴾
لِيُوقِيتَهُمُ اجْرَاهُ مِن رَّبِّهِمْ مِن فَضْلِهِ إِنهٗ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٧﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ

الْحَقُّ

أما رجال السياسة ؛ فهم - رغم غزارة علمهم ، وسعة مداركهم - غير جديرين بشرف الانتساب إلى العلم ؛ لأنهم جعلوه وسيلة للخسران ، لا للعرمان ، وللفناء ، لا للبقاء ؛ ومثلهم فى ذلك كمثل إبليس : =

== حاز علم العلماء ، وسلك سلوك الجهلاء ! (إن الذين يتلون كتاب الله) ويعملون بما فيه (وأقاموا الصلاة) محافظين عليها في أوقاتها (وألقوا) على الفقراء (مما رزقناهم) بفضلنا ؛ لا بكسبهم (سراً وعلانية) من غير من ، ولا أذى ، ولا رياء : يسرون في النافلة «الصدقة» ويعلنون في الفريضة «الزكاة» أو يسرون سراً على الفقير ، وجبراً لحاطره ، ويعلنون ليقنتدى بفعلهم من عدايم . أولئك (يرجون تجارة لن تبور) وهي طلب ثواب الله تعالى ، والنجاة من عقابه

٥٣٣

سورة فاطر

هذا والتجارة معه تعالى من أربع التجارات وأحسنها ، وأعلاها وأعلاها ! (انظر آية ٢٤٥ من سورة البقرة) (مصدقاً لما بين يديه) ما تقدمه من الكتب (اصطفينا) اخترنا (فمنهم ظالم لنفسه) بالكفر ، وتحمل الإثم ، وذلك المعصية (ومنهم مقتصد) وهم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم . أو هم الذين أعطوا الدنيا حقها ، والآخرة حقها (ومنهم سابق بالحيرات) لا يبيى من الدنيا مغنا ، ولا يقرب محرماً !

وهذه الأصناف الثلاثة : هي التي عناها الله تعالى بقوله «وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون أولئك المقربون» فأصحاب الميمنة : هم المعنيون بقوله تعالى «ومنهم مقتصد» وأصحاب المشأمة : هم المعنيون بقوله «فمنهم ظالم لنفسه» والسابقون السابقون : هم المعنيون بقوله جل شأنه «ومنهم سابق بالحيرات» وهم السابقون إلى الحيرات والمكرمات ! (ياذن الله) بأمره وتوفيقه (جنات عدن) أي جنات الإقامة (الذي أحلنا) أنزلنا (دار المقامة) دار الإقامة : وهي الجنة . وسميت بذلك : لأن الإقامة فيها

الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿١٠٠﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿١٠١﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِيَسْمَوْا فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١٠٢﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٠٣﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿١٠٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿١٠٥﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَرُّنَا نَعْمَلْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَ كُلُّ النَّاسِ فَذُقُوا آثارًا

مؤبدة (لا يمسننا فيها نصب) تعب (ولا يمسننا فيها لغوب) إعياء (لا يقضى عليهم فيموتوا) ويستريحوا (ربنا أخرجنا) من النار ، وأعدنا إلى الدنيا (نعلم) فيها عملاً (صالحاً غير الذي كنا نعمل) من قبل . قال تعالى رداً عليهم (أولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر) أي «أولم نعلمكم» في الدنيا الوقت الطويل الذي يتذكر فيه من أراد أن يتذكر ، ويهتدى فيه من أراد أن يهتدى (وجاءكم النذير) محمد عليه الصلاة والسلام . وقيل «النذير» الشيب ، أو موت الأهل والأحباب . والأول أحق بالصواب وأجدر

(إن الله عالم غيب السموات والأرض) ماغاب فيهما عن البصر ، واحتجب عن الوم (إنه علم بذات الصدور) بخفايا القلوب (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) خلائف : جمع خليفة . أى يخلف بعصم بعضاً في ملك الأرض ، والتمتع بغيراتها (فن كفر فعليه كفره) أى عليه إثم كفره وعقوبته ! (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقناً) المقنن : أشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً) خساراً ؛ وأى خسار أشق وأشد من خسار الجنة ونعيمها ؛ وأى خسار آدمي وأنتى من الخلود في جهنم وجحيمها ! (الذين تدهون) تصدون (من دون الله) غيره (أرونى ماذا خلقوا من الأرض) أى أن الله تعالى عالم غيب السموات والأرض ، ومبدعها ، وخالق من فيها ؛ وقد خلقكم تعالى شعوباً متعددة ، وأممأ شتى ، وأجناساً متباينة ؛ ووالى - سبحانه وتعالى - خلقكم وإنشاءكم ؛ فإذا ما انقرضت أمة ؛ أخلق مكانها أمة أخرى ، وإذا ما فني شعب ؛ أخلق مكانه شعباً آخر . وجميع ذلك خلق الله تعالى ؛ فإذا خلق آلهتم في هذه الأرض التى أتم عليها ؛ (أم لهم شرك) شركة مع الله (فى) خلق (السموات أم آتيناكم كتاباً) مكتوباً يؤكد هذه الشركة (فهم على بينة) حجة (منه) أى من هذا الكتاب (بل إن بعد الظالمون بعضهم بعضاً لإفروراً) باطلا (إن أمسكها) مايمسكها (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) غاية اجتهادهم فى الأيمان (فلما جاءهم نذير) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (ملازدم) مجيؤه (إلا نفورا) من الحق ، وانصرافاً عن الإيمان (استكباراً) منهم وعلوا

الظالمين من نصير ﴿١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُقْبًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿١٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنَّ بَعْدَ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا فِرْعَوْنًا ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٩﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِنسَانِ الْأَعْمَىٰ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٢٠﴾ اسْتَكْبَارًا

في بالله جهد أيمانهم) غاية اجتهادهم فى الأيمان (فلما جاءهم نذير) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (ملازدم) مجيؤه (إلا نفورا) من الحق ، وانصرافاً عن الإيمان (استكباراً) منهم وعلوا

(في الأرض ومكر السي) أي ما زادهم بجوؤه
 إلا أن مكروا المكر السي . والمكر :
 الخداع (ولا يحيق) يحيط (فهل ينظرون)
 ما ينظرون (إلا سنة الأولين) أي لا يطرقنا
 مع الأولين : وهي تعذيبهم وقت تكذيبهم ،
 واستئصالهم وقت كفرهم ! (أولم يسروا
 في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
 قبلهم) من المكذبين ، وكيف فعلنا بهم (وكانوا
 أشد منهم قوة) أي أشد من أهل مكة ؛ فما
 أعجزونا ، وما استطاعوا النجاة من انتقامنا
 (وما كان الله ليعجزه) ليفوته (ولو يؤاخذ
 الله الناس بما كسبوا) بما ارتكبوا من المعاصي
 (ماترك على ظهرها) أي ظهر الأرض (من
 دابة) الدابة : كل ما يدب على وجه الأرض ؛
 من إنسان ، أو حيوان ، أو غيرها (ولكن
 يؤخرهم إلى أجل مسمى) هو القيامة (فإذا
 جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً)
 فيجازيهم على ما عملوا .

(سورة يس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يس) هو اسم الرسول الأعظم صلوات
 الله تعالى وسلامه عليه . وقيل : معناه :
 يا لسان ؛ في لغة طي . وقيل معناه : يا سيد
 البشر . وقيل : بل هو اسم من أسمائه تعالى ؛
 لذا منع مالك رضي الله تعالى عنه التسمي به . وهو قسم ؛ يدل عليه عطف القسم الآخر (والقرآن الحكيم)
 المحكم الذي لا يعتريه نقص ، ولا يشوبه تناقض أو بطلان . وجواب القسم :

فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّءِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ
 فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولِينَ فَلَنْ نَحْدِثَ اللَّهُ
 تَبْدِيلًا وَلَنْ نَحْدِثَ اللَّهُ تَحْوِيلًا ﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا
 فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ
 فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿١٨﴾
 وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمْ
 دَابَّةً وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ
 فَانَّهُ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿١٩﴾

(٣٦) سُورَةُ يَسٍ مَكِّيَّةٌ

الْآيَةُ ٥٠ يُدْنِيَةٌ
 وَأَمَّا ٨٣ نَزَلَتْ بِعَدِ الْجَنَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَس ۝ وَانْفِرْ ۝ إِنَّ الْحَكِيمَ ۝ إِنَّكَ لَيَسْ

لذا منع مالك رضي الله تعالى عنه التسمي به . وهو قسم ؛ يدل عليه عطف القسم الآخر (والقرآن الحكيم)
 المحكم الذي لا يعتريه نقص ، ولا يشوبه تناقض أو بطلان . وجواب القسم :

(إنك) يا محمد (لن المرسلين) وإنك (على صراط مستقيم) على طريق الهدى والاستقامة ؛ طريق من تقدمك من الأنبياء . وهو رد على الكافرين القائلين «لست مهسلا» (تنزيل العزيز الرحيم) وهو القرآن (تندرد) به (قوما ما أنذر آباؤهم) أى لم يأت آباءهم قبلك نذير مثلك ؛ بكتاب مثل كتابك (فهم غافلون)

الجزء الثامن والعشرون

٥٣٦

عن خالفهم ، منصورون لى إفكهم وباطلهم .
 أو «ما» بمعنى الذى . أى لتندرد قوماً بالذى
 أنذر به آباؤهم . والأول أولى ؛ لأن أمة
 العرب ظلت فترة طويلة من الزمن ؛ بغير نبي
 يرسل إليهم ، أو كتاب ينزل عليهم .
 يؤيده قوله تعالى «وما آتيناكم من كتب
 يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير»
 (لقد حق القول) وجب العذاب (إنا جعلنا
 فى أعناقهم أغلالا) جمع غل ؛ ويكون الغل
 فى الأعناق ، والقيدى الأيدى (فهم مقمchon)
 مرهقة رؤسهم ؛ لا يستطيعون تحريكها ؛
 لضيق الغل وتعكبه عند أعناقهم . وذلك
 يكون يوم القيامة . وجاء السياق بصيغة الماضى
 «إنا جعلنا» لتحقيق الوقوع . أو هو تشبيه
 على سبيل التمثيل ؛ وذلك لأنهم امتنعوا عن
 الاعتداء ؛ امتناع المفلول ، وأنهم - على ما
 عليه من ذلة الكفر - مشربوا الأعناق ،
 رافعوا الرؤس (فأغشيناهم) أى غطينا على
 أبصارهم ، وجعلنا عليها غشاوة (إنما تندرد
 من اتبع الذكر) أى إنما ينفع إندارك وتقبله
 من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) خافه
 ولم يره ، وصدق بجنته وناره ، وثوابه وعقابه
 (إنا نحن نحي الموتى) للحساب والجزاء
 (ونكتب ما قموا) من عمل : خير أو شر ؛
 فنجازيهم عليه (و) نكتب (آثارهم) ما سنوه

الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٣٦﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٣٧﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ
 الرَّحِيمِ ﴿٥٣٨﴾ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرُوا بِأَبَائِهِمْ فَهُمْ
 غَافِلُونَ ﴿٥٣٩﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤٠﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا
 فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٥٤١﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
 وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٥٤٢﴾
 وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤٣﴾
 إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبِ
 فَغُفِرَ لَهُ بِمَغْفِرَةِ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿٥٤٤﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ
 وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ
 فِي إِمْرٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤٥﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ
 إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٤٦﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا
 فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّمَا إِلَهُكُم مُّرْسَلُونَ ﴿٥٤٧﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ

إلا

من سنة حسنة أو سيئة ؛ فإن الله تعالى يجزيهم عن اتباعها بدمهم ؛ ثواباً أو عقاباً (وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين) هو اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية) انطاكية (إذ جاءها المرسلون) رسل عيسى عليه الصلاة والسلام ؛ بأمر ربه تعالى (فعرزنا) قويتنا الرسالة (ثالث) هو كبير الحوارين (فقالوا) أى قال الرسل الثلاثة (قالوا) أى أصحاب القرية ؛ المرسل إليهم

إِلَّا بَشِّرْ مُتَلَنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ سَمِيٍّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
 تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾
 وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُ نَارَ بَيْتِكَ
 لِنَنْزِلَ فِيهَا نَتَّهَبُوا لَتَرْجُمُنَا وَلِيَسْتَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ آيَاتٍ ﴿١٨﴾
 قَالُوا طَهِّرْ بَيْتَكُمْ فَكَيْفَ بَلَّغْتُمْ بِلِّغَاتِكُمْ مَشْرُوفُونَ ﴿١٩﴾
 وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا
 الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ
 مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَأَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّدِ الرَّحْمَنُ
 يَضِرُّ لِي أَفْعَى سَفَعْتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُفْعِدُونِ ﴿٢٣﴾
 إِنِّي إِذْ أَنَا لِنَارِ مَسْئِلٍ مُسِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَأَمْتُ رَبِّي تَكْوِيماً
 فَاتَّبَعُونِي ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي
 يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

(ما أنتم إلا بشر مثلنا) فإلى الذي يدعو إلى
 اختصاصكم بالرسالة من دوننا (وما أنزل
 الرحمن) عليكم (من شيء) من وجهه (قالوا)
 أي قال أصحاب القرية لرسولهم (إنا نطهرنا)
 نشاء منا (لئن لم تنتهوا) ترجعوا عن دعوتكم
 (قالوا) أي قال الرسل لأهل انطاكية
 (طاهرتم) شوتمكم الذي تزعمونه (معكم) ملصق
 بكم؛ لكفركم باللهكم وعدم انقيادكم لمولاكم
 (انظر آية ١٣١ من سورة الأعراف) (أئن
 ذكرتكم) استفهام. أي أئن وعظمت وخوتم:
 تطيرتم وكفرتم ١٩ (بل أنتم قوم مسرفون)
 في الكفر (ومالي لا أعبد الذي فطرني) أي
 أي شيء يحول بيني وبين عبادة الذي أنشأني
 وخلقني؟ (وليه ترجعون) جميعاً؛ فيحاسبكم
 على عملكم، ويدخلكم النار بكفركم (أأخذ
 من دونه) غيره (آلهة) كما اتخذتم (إن
 يردن الرحمن) أي إن برد أن يلحقني (بضر)
 بمرض، أو فقر، أو آفة (لا تفن عنى)
 لا تنفني (شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون) مما
 أراده الله تعالى (لئن إذا) إن اتخذت لها
 من دون الله (لني ضلال مبين) واضح ظاهر
 (قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون) أي

سيقال له يوم القيامة: «ادخل الجنة» وسيقول يومئذ: «ياليت قومي يعلمون» لأنه لما كان دخوله الجنة
 محققاً مقطوعاً به: ذكرت القصة بصيغة الماضي، كقوله تعالى «أتى أمر الله» و«برزوا لله جميعاً» أو قيل له
 ذلك عند موته؛ فقال «ياليت قومي يعلمون»

(وما أنزلنا على قومه من بعده) أى من بعد موته (من جند من السماء) لقتالهم وإهلاكهم (إن كانت إلا صيحة واحدة) صاحبها عليهم جبريل عليه الصلاة والسلام . والصيحة : العذاب ؛ أو هى مقدمة لكل عذاب (فإذا هم خاملدون) ميتون (الم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون) الأمم (أنهم اليهم لا يرجعون) مورد على من يقول بتناسخ الأرواح ، ورجوعها لى أبدان غير أبدانها (وإن كل لما جميع) وما كل إلا جميع (لدينا محضرون) يوم القيامة ؛ فنعذب من كفر بكفره (وآية لهم) علامة دالة على البعث ،

الجزء الثالث والعشرون

٥٣٨

ويسر الإعادة (الأرض الميتة) الحيدة ، التى لا تنبت (أحييناهما) بالنبات (وأخرجنا منها حياً) كالقمح ، والذرة ، والقول ، والعدس ، وماشا كلها (وجعلنا فيها جنات) بساتين (من نخيل وأعناب) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (ليأكلوا من ثمره) أن ثمر النخيل والأعناب ، ومانتجة البساتين من فاكهة وثمار (وما علمته أيديهم) «ما» نافية . أى «ليأكلوا من ثمره» الذى صنعته لهم بقدرق ، وأسبغته عليهم بفضل ، ولم ينالوه بعمل أيديهم ؛ فكمن أرض خصبة : اختصها الإنسان بالحرث والبذر ، واصطفاها بالسقى والرى ؛ فأصبحت بفضل التفاته لها ، وعنايته بها جديفة محملة ا ويجوز أن تكون «ما» بمعنى التى ؛ أى «ليأكلوا من ثمره» وليأكلوا أيضاً من التى «عملته أيديهم» من شتى الأصناف والأنواع : حلوات وأطعمة ، وأدهان وأدوية ، وغير ذلك ؛ وكله مستخرج من الثمر ، الذى خلقه بارئ البعصر ؛ من حدائق ذات بهجة ، ما كان لهم أن يبتوا شجرها ا «رزقاً للعباد» (سبحان الذى خلق الأزواج) الأصناف والأنواع ؛ باختلاف الألوان ، والطعوم ، والأشكال ، والأحجام (ومن أنفسهم) أى ومن أنفسهم أيضاً خلق تعالى أزواجاً : ذكراناً وإناثاً ، طوالاً وقصاراً

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ ٢٦٦ إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿ ٢٦٧ ﴾ يَحْضَرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَا تُبَيِّهُم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ سِتَّةً مِّن دُونِ ﴿ ٢٦٨ ﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَرَاهِيَةً قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿ ٢٦٩ ﴾ وَإِن كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿ ٢٧٠ ﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا لَّهُمْ يَأْكُلُونَ ﴿ ٢٧١ ﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿ ٢٧٢ ﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿ ٢٧٣ ﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَبَتَّ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ٢٧٤ ﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿ ٢٧٥ ﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ مَّا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ ٢٧٦ ﴾

والقمر

سماناً وجفافاً ، بيضاً وسوداً ، حمراً وصفراً (ومما لا يعلمون) من مخلوقاته تعالى فى البر والبحر ، والأرض والسماء «فتبارك الله أحسن الخالقين» (وآية لهم) علامة دالة على قدرتنا ، وعظمتنا ، ووحدايتنا (الليل نسلخ منه النهار) أى فصله ونزعه منه (والشمس تجرى) فى منازلها (لمستقر لها) وهو أبعد منازلها ؛ ثم تعود لى أذناها . أو المراد بذلك يوم القيامة ؛ حيث يكورها الرحمن ؛ فتسكن عن الجريان ا ورووا عن ابن عباس ، وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما قراءة «والشمس تجرى لامستقر لها» والإجماع على بطلانها ؛ لمخالفتها رسم المصحف الإمام . وشمسنا هذه التى نراها ، والتى تضىء الكون بجهاها : إن هى إلا واحدة من شمس لا يعلم مداها . وهذه الشمس لا تقل عن أربعين مليوناً ؛ حساباً وعداً . ومن هذه الشمس =

ما يزيد في الحجم عن شمسنا هذه أربعين ضعفاً ، ويربو في الضوء والحرارة عن ذلك . وبعض هذه الشمس يرى في الفضاء كالذرة الصغيرة ؛ لبعده عنا بعداً شحيحاً ؛ فقد سجلوا أن الشمري اليابانية - وهي تبدو كأصفر نجم في السماء - تبعد عن الأرض بحوالى اثنين وخمسين بليوناً من الأميال (١) ، وأنه لولا هذا البعد السحيق : لذابت الأرض بما فيها ومن فيها من حرارتها !

وحول هذه الشمس - التي لا تجرد ولا تعد - كواكب كثيرة تدور في فلكها ؛ كما تدور أرضنا هذه في فلك شمسنا ؛ وما يدرينا ما في هذه الشمس ، وهذه الكواكب من مخلوقات ، وما تحتويه من كائنات ؛ لا يعلمها سوى خالقها وبارئها العليم الحكيم !

وشمسنا هذه - رغم ضآلتها وحقارتها بجانب الشمس الأخرى - لو دنت قليلاً من الأرض : لفارت البحار والمحيطات ؛ من شدة الغليان ، ولتبخر ما فيها من مياه ، ولا يصهر أشد أنواع الصخور صلابة . فانظر - يارعاك الله - إلى بديع صنع الله !

(والقمر قدرناه منازل) يتقل فيها (انظر آية ٦١ من سورة الفرقان) (حتى عاد كالعرجون) العرجون: العنق ؛ وهو من التمر كالعنقود من العنب (القديم) حين يجف ويصفر ويتقوس (لألشمس ينبيها) لا يجوز لها ، ولا يمكنها ؛ لما أحاطها الله تعالى به من ضروب الحفظ ، وما سخره لسيرتها من ملائكته وخزنته ؛ فلا ينبيها (أن تدرك القمر) وأنى لها أن تدرك ؛ وقد وضع لها خالقها نظاماً لا يمكنها من إدراك القمر ؛ لو سعت إلى ذلك وأرادته . قال تعالى «والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره» (وكل) من الشمس والقمر (في فلك) خاص به ، لا يتعداه إلى غيره (يسبحون) يسرون في الهواء كسير السابج في الماء (وآية

وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٥٣٩﴾
لَا الشَّمْسُ يَنْبِيئُهَا أَنَّ تَدْرِكُ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ
النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ ﴿٥٤٠﴾ وَآيَةٌ لِّمَنۢ أَنَا حَمَلْنَا
ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ﴿٥٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ
مَا يَرَكِبُونَ ﴿٥٤٢﴾ وَإِن تَسَاءَلْتَهُمْ فَلَاصْرِخَ لَهُمْ وَلَا
هُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٥٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا لِّكٰ حِينِ ﴿٥٤٤﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَرْحَمُونَ ﴿٥٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنۢ آيَةٍ مِّنۢ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا
كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٥٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ انفِقُوا مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ
مِن لَّوْنِسَاءِ اللَّهِ أَنْطَعِمُهُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٤٨﴾
مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٥٤٩﴾

(لهم) علامة أخرى دالة على قدرتنا وحفظنا وكلاءتنا (أنا حملنا ذريتهم) أي ذرية الأمم المتقدمة : صلهم الله تعالى (في الفلك) السفينة . المراد بهم قوم نوح عليه السلام ، أو المراد: ذرية كفار مكة . أو المراد بالذرية: الآباء ؛ وهي من أسماء الأضداد . والمعنى : حمل الله تعالى آباءهم وهم في أصلابهم (المشحون) المملوء ناساً ومعاشاً (فلا صرخ لهم) أي فلا يستطيعون الصرخ ، أو فلا يستجاب لصرخهم (الإرحمة منا) لمن نجيحه (ومتاعاً) تمتعاً له بالحياة (إلى حين) إلى حين انقضاء أجله (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) =

== أى خافوا قدرتنا على تعذيبكم في الدنيا : بالمرض والفقر ، أو القتل والأسر . وفي الآخرة بالجحيم والعذاب الأليم ! أو « ماين أيديكم » ما ظهر لكم « وما خلقكم » ما غاب عنكم (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) وهكذا الكفار في كل زمان ومكان : إذا ضاقت بهم الحيل ، وأغلقت في وجوههم السبل : لجأوا إلى تافه القول ، وفاسد الحجج ، وتلاعبوا بالحقائق تلاعب الصوالج بالأكبر ، ولاكوا بأفواههم الألفاظ الطنانة الجوفاء ؛ فقد تهربوا من إطعام الطعام بقولهم « أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » كما دافعوا

٥٤٠ الجزء الثالث والعشرون

– عن جهلهم ووجهمهم ، وعبادتهم الأحجار التي لا تضر ولا تنفع – بقولهم « ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وكما احتجوا عن كفرهم وتعتهم بالقضاء والقدر « لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا » .

هذا وقد لجأ الناس في آخر الزمان إلى التلاعب بالألفاظ ، والتويه بالأسماء : فسوا الفوضى : حرية . والشيعوية : عدالة اجتماعية . والظلم : عدلا ، والاستبداد : ظلاماً . والشورى : ضعفاً . والرشوة : هدية . والمحابة : صلة رحم . والإهمال : أناة . والتهور : شجاعة . والقسوة : حزماً ! وهكذا فسدت المقاييس ، واختلت المعايير ؛ تبعاً للأهواء الرديئة ! (ويقولون متى هذا الوعد) بالبعث والحساب والعباق (ماينظرون) ما ينتظرون (إلا صيحة واحدة) هي نفخة إسرائيل الأولى ؛ وبها يكون قناء سائر الأحياء (تأخذهم) تهلكهم (وهم يمحضون) يمحضون في البيع والشراء ، والقضاء (ونفخ في الصور) النفخة الثانية ؛ وبها يحيى كل ميت : يحيى بها الله تعالى الأموات ، كما أمات بالأولى الأحياء : يبيدكم – جل شأنه – كما خلقهم أول مرة « كما بدأكم تعودون » (فإذا هم من الأجداث) القبور

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٤﴾
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يَسْلُونَ ﴿٥٥﴾ قَالُوا يَا بَنِيَّ إِنَّا كُنَّا مِن مَّوَدَّنَا هَذَا
مَّا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٦﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا
صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُم بِجَمِيعٍ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٧﴾
فَالْيَوْمَ لَا تَظَلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّا أَخَصَّبْنَا الْجَنَّةَ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ
فَكَهُونٌ ﴿٥٩﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ
مُتَّكِفُونَ ﴿٦٠﴾ لَّهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٦١﴾
سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٦٢﴾ وَأَسْتَوُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا
الْمُجْرِمُونَ ﴿٦٣﴾ * أَلَّا أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ بِبَنِي آدَمَ
أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُرْهُوٌّ مِّنِّي ﴿٦٤﴾ وَأَن
أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ أَضَلُّ مِنْكُمْ

جِيلًا

(يسلون) يخرجون مسرعين (هذا ما وعد الرحمن) بوقوعه (وصدق المرسلون) في إبلاغهم ذلك عن ربهم . وهذا القول رد من الملائكة على سؤال الكافرين « من بعثنا من مرقدنا ؟ » (إن كانت) ما كانت (إلا صيحة واحدة) يضيحها إسرائيل عليه السلام في سائر الأموات : أيها العظام البالية ، والأوصال المتقطعة ، والشعور المتمزقة ؛ إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ! وهذا معنى قوله تعالى « يوم يسعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج » (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل) ما يشغلهم عن التفكير فيما عانوه في الدنيا (فاكهون) متنعمون ومنه سميت الفاكهة : لما يلقاه آكلها من شعور بالنعيم ، وتلذذ بالنعمة ! ومنه الفكاهة ؛ لا تبسط النفس وانسراحها بها (على الأرائك) السرر ، أو الفرش (ولهم ما يدعون) =

ما يمتنون (سلام قولاً من رب رحيم) أى يسمعون صوت الرحيم الرحمن ؟ يقول لهم فى الجنان ، بصوت لا يحيط به الجنان : سلام عليكم ! «ويلقون فيها تحية وسلاماً» (وامتازوا) أى انفردوا عن المؤمنين (أيها الحرمون) الكافرون . ويقال لهم وقتذاك (ألم أعهد إليكم) آسركم (يابنى آدم) على لسان رسل (ألا تعبدوا الشيطان) ولا تطيعوه (إنه لكم عدو مبين) عاهد نفسه على إضلالكم ، وأقسم على لغوائكم «فبغزك لأغويهم أجمعين» (وأن اعبدوني) وحدى ، وأطيعوني (هذا) الاتباع والعبادة (صراط) طريق (ولقد أضل) الشيطان (منكم جلا كثيراً) خلقاً كثيراً (أفلم تكونوا تعقلون) ذلك ؟ حين رأيتم وقوع غيركم فى الضلال (اصلوها) ادخلوها (اليوم نختم على أفواههم) نخرسهم فلا يتكلمون ؛ لأنهم لا ينطقون إلا كذباً ؛ أرايت قولهم «والله ربنا ما كنا مشركين» (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أعينها فى الدنيا (فاستبقوا الصراط) ابتدروا طريق النور والكفر (فأنى بصرون) فكيف يبصرون ؛ بعد أن أعميناهم ؟ ولكننا لعدلنا ورحمتنا : هديناهم الطريق ، وأوضنا لهم السبيل «فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا» قال تعالى «وأما عوفى فهديناهاهم فاستجوا العمى على الهدى» أو المراد «لطمسنا على أعينهم» أعميناها فى الآخرة ؛ كما أخرجنا ألسنتهم «قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً» (ولو نشاء لسخناهم على مكاتهم) أى لسخناهم فى منازلهم ، وفى أمكنتهم ؛ حيث يجترحون المآثم ، ويرتكبون العظام ؛ فحملناهم قرده ، أو خنازير ، أو أحجاراً ؛ كما مسخنا غيرهم (فا استطاعوا) بعد مسخهم (مضياً) فى سيئاتهم (ولا يرجعون) وما استطاعوا رجوعاً عن غيرهم وكفرهم . أولم يستطيعوا ذهاباً ولا مجيئاً (ومن نعمه) نفل عمره (تنكسه فى الخلق) أى تغير حاله :

من قوة إلى ضعف ، ومن شباب إلى هرم ، ومن جمال إلى قبيح (وما علمناه الشعر) أى ما علمنا مجد الشعر ؛ حتى تهيمونه بأنه شاعر ، وأن ما جاء به من جنس الشعر (وما ينبئ له) ما يجوز له أن يكون شاعراً (إن هو) ما هو ؛ أى القرآن الذى أنى به مجد (إلا ذكر) عظة (وقرآن مبين) واضح ، مظهر للأحكام ، ولكل ما يحتاجون إليه (لينذر) به (من كان حياً) ذا قلب ولب (ويحق القول على الكافرين) أى يجب عليهم العذاب الموعود (أولم يروا أننا خلقناهم مما عملت أيدينا) أى مما خلقناه من غير شرك ، ولا معين (أنعاماً) من الإبل ، والبقر ، والغنم (ودللناهم) سخرناها لهم (ولهم فيها منافع) من أصوافها ، وأوبارها ، وأشعارها (ومشارب) من ألبانها

جِلاً كَثِيراً ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾ هَلْئِهِ جَهَنَّمَ
 الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٧﴾ أَصَلُّوْهُا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ
 تَكْفُرُونَ ﴿٦٨﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا
 أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَوْ
 نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى
 يُبْصِرُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا
 اسْتَضَعُوا مِضْباً وَلَا يُرْجِعُونَ ﴿٧١﴾ وَمَنْ نَعْمِرْهُ نَتَكَبَّهُ
 فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا
 يَنْبَغِي لَهُ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٧٣﴾ لِيُنذِرَ
 مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ أَوَلَمْ
 يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا
 مَالِكُونَ ﴿٧٥﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا
 يَأْكُلُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا

من قوة إلى ضعف ، ومن شباب إلى هرم ، ومن جمال إلى قبيح (وما علمناه الشعر) أى ما علمنا مجد الشعر ؛ حتى تهيمونه بأنه شاعر ، وأن ما جاء به من جنس الشعر (وما ينبئ له) ما يجوز له أن يكون شاعراً (إن هو) ما هو ؛ أى القرآن الذى أنى به مجد (إلا ذكر) عظة (وقرآن مبين) واضح ، مظهر للأحكام ، ولكل ما يحتاجون إليه (لينذر) به (من كان حياً) ذا قلب ولب (ويحق القول على الكافرين) أى يجب عليهم العذاب الموعود (أولم يروا أننا خلقناهم مما عملت أيدينا) أى مما خلقناه من غير شرك ، ولا معين (أنعاماً) من الإبل ، والبقر ، والغنم (ودللناهم) سخرناها لهم (ولهم فيها منافع) من أصوافها ، وأوبارها ، وأشعارها (ومشارب) من ألبانها

يَسْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِهْتِمَامًا لَعَلَّهُمْ
 يُنصَرُونَ ﴿٣٨﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ
 مُعَضَّرُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
 وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتُمُ مِنْ
 نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ مَبِينٌ ﴿٤١﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
 وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٤٢﴾
 قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
 عَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا
 أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٤٤﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ
 الْعَلِيمُ ﴿٤٥﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ
 كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٦﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ
 نَجْمٍ وَرَأْسِ تَرْجُمُونَ ﴿٤٧﴾

(واتخذوا) عبدوا (من دون الله) غيره
 (لعلهم ينصرون) يفتنون من عذاب الله تعالى
 بشفاعتها كرمعهم (وهم لهم جند معضرون)
 أي إن آفتهم التي علقوا آمالهم عليها في النصر؟
 ستحضر معهم في النار «إنكم وما تبدون من
 دون الله حسب جهنم» (نطفة) منى . (انظر
 آية ٢١ من سورة الداريات) (فإذا هو حصيم
 مبين) شديد الحصومة لنا (وضرب لنا مثلاً)
 بقوله «من يحيي العظام وهي رميم» (ونسي
 خلقه) أي نسي خلقنا له أول مرة ، ولم يك
 شيئاً (إنما أمره) تعالى (إذا أراد شيئاً
 أن يقول له كن فيكون) هذا تقرب لأفهامها
 والواقع أنه تعالى إذا أراد شيئاً : كان ؟ بغير
 حاجة للفظ «كن» (فسبحان) تنزيه وتقديس
 لله تعالى . (انظر آية ١ من سورة الإسراء)
 (الذي بيده ملكوت) ملك (كل شيء)
 والقدرة عليه . والملكوت : الملك ، والعرز،
 والسلطان (وإليه ترجعون) يوم القيامة ؟
 فيحاسبكم على ما اجترحتم .

(سورة الصافات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والصافات صفاً) الملائكة تصطف في العبادة ، أو تصف أجنحتها . قال تعالى على لسانهم «وإنا لنحن الصافون» أو هم المؤمنون يصطفون للصلاة . وقيل : الطير ؛ لأن في صفها وقبضها ، وإسماكها في الهواء ؛ من آيات الله تعالى ودلائل قدرته ما فيه ا (فالزاجرات زجراً) الملائكة تزجر السحاب وتسوقه بأمر الله تعالى ، أو هم المؤمنون : الزاجرون الناس عن المعاصي ، الأمرون بالمعروف ، الناهون عن المنكر ؛ (فالتاليات ذكراً) الذين يتلون القرآت ؛ من سائر المخلوقات . والتأنيث في الجمع هنا على اعتبار أنه جمع طائفة ، أو جماعة .

٥٤٣

سورة الصافات

(٣٧) سُورَةُ الصَّافَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ١٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَاتِ صَفَاً ① فَأَلْزِمْنَ زَجْرًا ② فَانْتَلِيْنَ
ذِكْرًا ③ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ④ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ⑤ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ
الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ⑥ وَحَفَظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ
مَّارِدٍ ⑦ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ
كُلِّ جَانِبٍ ⑧ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ⑨ إِلَّا مَنْ
خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ⑩ فَاسْتَقْتِفْتُمْ
أَهْمَ أَسَدُ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ
لَّازِبٍ ⑪ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ⑫ وَإِذَا ذُكِرُوا

وقيل في هذه الآيات : إنها في المجاهدين ؛ يصفون للقتال في سبيل الله ، ويزجرون الخيل للجهاد ، ويتلون الذكر طلباً للتصرا أقسم الله تعالى بملأئحته ، وصفوة عباده ، والمجاهدين في سبيله ، والأميرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، المنتظمين لعبادته ، العاكفين على تلاوة كتابه . وجواب القسم (إن للهكم لواحد) لا إله إلا هو ، ولا معبود سواه (رب السموات والأرض) وما فيها (وما بينهما) من مخلوقات ، وبجانب ؛ لا يعلمها ، ولا يحيط بها إلا خالقها (ورب المشارق) جمع مشرق ؛ وذلك لأن الشمس لها في كل يوم مشرق ومغرب ؛ بعدد أيام العام . أو هو مشرق كل نجم ، وكل كوكب . ومشرق الشيء : نوره وطلوعه (إننا زيننا السماء الدنيا) وهي أول سماء تلي الأرض (زينت) وأي زينت ا (الكواكب) جمع كوكب ؛ وهي

النجوم (وحفظاً من كل شيطان مارِد) متعرد ، عنيد ، جبار (لايسمعون) لايسمعون . أى لايستطيعون التسمع (إلى الملائ الأعلى) الملائكة في السماء (ويقذفون) أى الشياطين الذين يحاولون استراق السمع : تقذفهم الملائكة بالصهب (دحوراً) طرداً . والدحور : الطرد والإبعاد . قال تعالى على لسانهم «وإنا لسنأ السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد معاهد للسمع فن يستمع الآن يجد له شهباً رصداً» (ولهم عذاب واسب) دائم ، موجع . من الوصب : وهو المرض الذي يصل إلى القلب (فأتبعه شهاب ثاقب) شعلة من نار تحرقه . والثاقب : النافذ ؛ الذي يثقب . والشهب : هي التي ترى في الأفق ، كأنها كواكب منقضة (فاستقتفتم) أسألهم (أم أشد خلقاً) أعظم خلقة ، وأمتن بنية ، وأشق لإيجاداً =

== (أم من خلقنا) من السموات والأرضين ، وما فيها من كائنات ومخلوقات . والمراد : كل ما عدا
 بنى آدم : من الملائكة ، والجن ، والسموات والأرضين ، والكواكب ، والبروج ، وغير ذلك مما لا يدركه
 الوصف ، ولا يحيط به الوهم (لنا خلقناهم من طين لازب) لازم ؛ أى يلقى باليد (بل محبت) من تكذيبهم
 لك ؛ مع وضوح حجتك (ويسخرون) مما أرسلت به ؛ وهو الحق ا (وإذا ذكروا) وعظوا بالقرآن
 (لا يذكرون) لا يفتنون (وإذا رأوا آية يستسخرون) أى إذا رأوا آية لك ، وعلامة
 على صدقك ؛ كانشقاق القمر ، ونبع الماء ،
 وما أفاضه الله تعالى عليك من بركات شهدتها
 الأرض والسماء ؛ إذا رأوا بعض ذلك : لم
 يكتفوا بالاستهزاء بك ؛ بل يحضون بعضهم
 بالسخرية عليك (وقالوا إن هذا) ما هذا
 الذى أبدته (إلا سحر مبين) ظاهر واضح
 (أو أبأؤنا الأولون) أى هل يبعث أبأؤنا
 الأولون أيضاً ؛ رغم قدمهم وبلاء أجسادهم ؟
 (قل نعم) تبغون أتم وأبأؤكم الأولون (وأتم
 ذاهرون) ذليلون صامرون (فإنما هى زجرة
 واحدة) هى أمر المولى جل وعلا بإحياء الملائق ،
 أو هى نفخة لإسرافيل عليه السلام الثانية
 (فأذا هم ينظرون) أحياء ينظر بعضهم لبعض
 (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) يوم الجزاء
 (وأزواجهم) أى أشباههم ، أو قرنائهم
 من الشياطين (وما كانوا يعبدون من دوت
 الله) أى وأصنامهم التى كانوا يعبدونها
 (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) دلوهم إلى طريق
 جهنم ، أو ادفعوهم إليه (وقفوهم) أى احبسوهم
 (لأنهم مسئولون) عما قدموا ؛ فعدوبون عليه
 (مالك لاتناصرون) أى مالكم لاتنصر
 بعضهم بعضاً الآن ؛ كما كنتم تتناصرون
 فى الدنيا (بل هم اليوم مستسلمون) عاجزون
 أذلاء (قالوا) أى قال الأتباع للتبوعين (إنكم كنتم
 تأتوننا عن اليمين) أى عن طريق القوة والقهر .
 والمعنى : إنكم كنتم تعملوننا على الضلال قسراً وجبراً (سلطان) تسلط وقوة

الجزء الثالث والعشرون

٥٤٤

لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالُوا
 إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ أَوْ مَا مَتَّعْنَاكُمْ أَجْتَابًا وَعَطْمًا
 أَوْ مَا لَعَبْتُمْ أَوْلِيَاءَنَا الْأَوْلُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ نَعَمْ
 وَأَنْتُمْ ذَاهِرُونَ ﴿٢١﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ
 يَنْظُرُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٣﴾ هَذَا
 يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٤﴾ * أَحْشَرُوا
 الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٥﴾ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٦﴾ وَقَفَّوهُمْ لِيَتَسَمَّ
 مَسْئُولُونَ ﴿٢٧﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ
 مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٩﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٣٠﴾
 قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٣١﴾ قَالُوا بَلْ لَرَّ
 تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
 بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿٣٣﴾ لَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا

لَدَائِقُونَ ﴿٣٤﴾

لَذَاقُونَ ﴿١٦﴾ فَأَعْوَبِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّا كُنَّا غُيُوبًا ﴿١٨﴾ فَإِنَّهُمْ
يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢١﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا نَتَارَكُوا وَالْحَمْدُ لِلشَّامِخِ
عَجْتُونَ ﴿٢٢﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٣﴾
إِنَّكُمْ لَذَاقِعُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٢٤﴾ وَمَا تَحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٦﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ
رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٢٧﴾ فَوَازٍ لَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٢٨﴾ فِي جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ﴿٢٩﴾ عَلَى مَرْرٍ مُتَقَبِّلِينَ ﴿٣٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ
مِنْ مَعِينٍ ﴿٣١﴾ بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٣٢﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ
وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿٣٣﴾ وَعِنْدَهُمْ قَلْصِرَاتُ الْطَّرْفِ
عَيْنٌ ﴿٣٤﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٣٥﴾ فَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي

(إنا لذائقون) العذاب ، وهو معنى قوله تعالى «إنكم لذائقوا العذاب الأليم» (فأعوبناكم) أضلناكم (إنا كنا غائبين) ضالين مضلين (ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا) التي نعبدوها وأباؤنا من قبلنا (لشاعر مجنون) يعنون

سيد الفضلاء والعقلاء : محمداً صلى الله تعالى

عليه وسلم ! وما هو بشاعر ولا مجنون ؛ بل

خاتم الأنبياء وخير أهل الأرض والسماء !

«كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون

إلا كذبا !» (بل جاء بالحق) القرآن

(وصدق) من سبقه وتقدمه من (المرسلين)

فلم يكذب بأحدهم ؛ بل صدق بجميعهم (يطاف

عليهم بكأس من معين) خمر يجرى على وجه

الأرض ؛ كأنهار الماء التي ترى بالعين . ولا

تسمى الكأس كأساً ؛ إلا إذا كانت ملاءى ؛

وإلا فهي كوب (بيضاء) صفة للكأس ،

أو صفة للخمر . وقرأ عبد الله «صفراء»

ويؤيد أنها صفة للخمر قوله تعالى (لذة للشاربين)

أى ليست تخمر الدنيا : كربة الطعم ، فاسدة

الرائحة (لا فيها غول) أى لا تقتال العقول

تخمر الدنيا ؛ التي تجعل شاربيها يهرف

بما لا يعرف (ولا هم عنها ينزفون) يسكرون ؛

فيخطون . يقال : نزف الشارب : إذا ذهب

عقله . أو المعنى : ولا هم عنها يصرفون

ويعنون (وعندهم قاصرات الطرف) اللاتي

يقصرن أبصارهن على أزواجهن ، فلا يطمحن

بأعينهن لى غيرهم (عين) جمع عينا ؛ وهى

النجلاء : حساء العين واسمها (كأنهن بيض

مكنون) شبههن بالبيض المكنون فى البيض

والصفاء ؛ وقد جرت عادة العرب فى تشبيه

النساء ؛ بقولهم : بيضات الحدور (فأقبل بعضهم) أى بعض أهل الجنة (على بعض يتساءلون) عما هم

فى الدنيا ؛ وذلك على سبيل المسامحة وقت الشراب (قال قائل منهم إني كان لى قرين) صديق مقارن لى

فى الدنيا

(يقول) لي متعجباً (أنتك لمن المصدقين) أى كان ينكر على تصديقي وإيماني بالبعث (أنا لمدينون) أى أننا لمحاسبون ومجزون؟ (قال) هذا القائل لإخوانه؛ الذين يتكلم معهم، ويذكر لهم أخبار قرينه في الدنيا؛ الذى كان ينكر البعث والجزاء؛ قال (هل أتم مطلعون) أى هل أتم ناظرون معى إلى النار؛ لتنظر حاله وما صار إليه الآن عقوبة على إنكاره

وتكذيبه (فاطلع) فنظر إلى النار هو ومن معه من أهل الجنة (فراه) رأى قرينه (في سواء الجحيم) في وسط النار. (قال) مخاطباً قرينه في النار (تالله) قسم فيه معنى التعجب (إن كنت) فارتب (لتردين) تهلكنى معك ياغوثاك لى (ولولا نعمة ربى) لطفه ورحمته: أن هدانى للإيمان (لكنك من المحضرين) معك في النار (أنا نحن بيمينين) إلا موتنا (الأولى) التى متناها في الدنيا (وما نحن بعمدين) بعد أن تداركتنا نعمة الله تعالى في الدنيا بالإيمان، وفي الآخرة بالنجاة من النيران! وهو استفهام تلذذ، وتحدث بنعمة الله تعالى وتقرير لتأييد الحياة النعمة، وانعدام التعذيب (إن هذا) التمتع الخالد (هو الفوز العظيم) الذى لا يدانيه فوز! (مثل هذا) النعيم الدائم (فليعمل العاملون) في الدنيا (أذلك) النعيم (خير نزلاً) ما يعد لإكرام الضيف (أم شجرة الزقوم) هى من أحببت الشجر المر؛ ويوجد منه بهامة. ينيها الله في الجحيم؛ لتكون طعاماً لأهلها (لأنا جعلناها) أى جعلنا ذكر هذه الشجرة، وأنها «تخرج في أصل الجحيم» (فتنة للظالمين) اختباراً للكافرين؛ حيث قالوا: إن النار تحرق الشجر؛ فكيف تنبت؟ وفاتهم أن الله تعالى هو وحده

قَرِينٌ ❶ يَقُولُ أَوْنَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ❷ أَوْذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْنَا أَوْنَا لَلْمَدِينُونَ ❸ قَالَ هَلْ أُنْتُمْ
مُطَّلِعُونَ ❹ فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ❺ قَالَ
تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتَرْدِينَ ❻ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّ لَكُنْتُ
مِنَ الْمُحْضَرِينَ ❼ أَفَأَنْتُمْ بِمِيمَتَيْنِ ❽ إِلَّا مَوْتَنَا
الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ ❾ إِنَّ هَذَا لَمَوْءُوذٌ
الْعَظِيمُ ❿ لِيَبْلُغَ هَذَا قَلْبِعَلِ الْعَمَلُونَ ⓫ أَذَلِكَ
خَيْرٌ نَزْلاً أَمْ قَبْسَةُ الزُّقُومِ ⓬ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
لِلظَّالِمِينَ ⓭ إِنهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ⓮
طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ⓯ فَإِنَّهُمْ لَكَارُونَ مِنْهَا
فَيَلْقَوْنَ فِيهَا الْبَطُونَ ⓰ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَابًا مِّنْ
حَمِيمٍ ⓱ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ⓲ وَإِنَّهُمْ
أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ⓳ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ

يهرعون ❷

الذى اختص مخلوقاته بما شاء من مزايا؛ وهو جل شأنه، وتمالت قدرته؛ يرفع مزايا الأشياء إن شاء. ألا ترى أنه جل شأنه منع من النار مزية الإحراق؛ وجعلها برداً وسلاماً على إبراهيم حين شاء! (طلعها) ثمرها (كأنه رؤس الشياطين) كرؤس الحيات القيحة المنظر (ثم إن لهم عليها لشواباً من حميم) لخلطها من ماء حار؛ يشوى الوجوه، ويقطع الأمعاء (إنهم ألقوا) وجدوا

(فهم على آثارهم يهرعون) يسرعون (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء أنذروهم عاقبة كفرهم ، ومآل أمرهم (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أى عاقبة المرسل إليهم ؛ حين كذبوا رسلهم ؛ فأهلكناهم (إلا عباد الله المخلصين) الذين آمنوا به ، وصدقوا رساله ؛ فإنهم لم يحسبهم العذاب (وجعلنا ذريته هم الباقين) كان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد : سام : وهو أبو العرب ، وفارس ، والروم . وحام : وهو أبو السودان . ويافث : وهو أبو الترك ، والحزر (١) ، وأجوج ومأجوج (وإن من شيعته) ممن تابعه في الدين (لإبراهيم) الخليل : جد نبينا عليهم الصلاة والسلام (إذ

جاء) لإبراهيم (ربه بقلب سليم) خالص من الشك والعرك (أنفكا آلهة) أى أئبدون إفكا ؟ والإفك : أسوأ الكذب (فاظنكم برب العالمين) إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ؟ أظنون أنه تارككم بغير حساب وعقاب ؟ فانصرفوا عنه ؛ بعد أن دعوه إلى مصابحتهم (فنظر نظرة في النجوم) أى نظر إلى السماء ؛ موها لهم أنه يستطلع أخبار النجوم - وقد كانوا ممن يمتقدون ذلك - والتفت إليهم (فقال لئن سقيم) أى عليل . وكانوا يخشون العدوى ؛ ولذلك وصفهم الله تعالى بقوله (فتولوا عنه مدبرين) أى أسرعوا بالابتعاد عنه .

وعلم التنجيم : علم قديم شائع ذائع . وقد شغف به كثير من المتقدمين ، وأسسا له أسساً ، وبنوا له قواعد ؛ وربطوا بين كل إنسان وما يتفق مع ولادته من طوابع الكواكب واقترانها ، وقالوا بسعادة بعض الكواكب ، ونحوسة بعضها . كما قالوا - تبعاً لذلك - بسعادة بعض المواليد ، وشقاوة البعض الآخر . وما من شك أن هناك رابطة بين أجزاء الكائنات ، وبالتالي بين الكواكب ، وبين الكون الذى نحن فيه . كيف لا ؛ والأرض كوكب من بين هاتيك الكواكب ! أما تعلق الكواكب بسعادة بعض الناس ، وشقاوة

يهرعون ﴿٥٤٧﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ ﴿٥٤٨﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٥٤٩﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُنذَرِينَ ﴿٥٥٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٥٥١﴾ وَلَقَدْ
 نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٥٢﴾ وَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ
 الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٥٥٣﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٥٥٤﴾
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٥٥٥﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي
 الْعَالَمِينَ ﴿٥٥٦﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٥٧﴾ إِنَّهُ
 مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥٨﴾ ثُمَّ أَخَّرْنَا الْآخِرِينَ ﴿٥٥٩﴾
 * وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٥٦٠﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ
 سَلِيمٍ ﴿٥٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٥٦٢﴾
 أَنْفُكَا هَاتِيهُ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ ﴿٥٦٣﴾ قَاظِنُكُمْ رَبِّي
 الْعَالَمِينَ ﴿٥٦٤﴾ فَتَنظَرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٥٦٥﴾ فَقَالَ إِنِّي
 سَقِيمٌ ﴿٥٦٦﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٥٦٧﴾ فَرَاغَ إِلَهُ الْمَلِئِكِمْ

البعض الآخر ؛ فما لا يسلم به الفكر السليم ؛ فكثيراً ما نرى أناساً - لا حصر لهم - يموتون في الحروب ؛ في وقت واحد ، وآخرين يموتون في حرق أو غرق ، وآخرين تحصد المأويته ، وتجتاحهم الطواغيت . فكيف اتفق لجميع هؤلاء الشقاوة والنحوسة ، مع اختلاف طبائعهم ، وتباين أوقات ميلادهم ؛ وكثيراً ما نرى أيضاً الرجل صنو الرجل : في مولده ، وفي معيشته ، وفي دراسته ؛ فيفتريان : هذا في قة السعادة ، وذروة المجد ؛ وذاك في حضيض البؤس ، ودرك الفقر ! (فراغ إلى آلهتهم) مال إليها سرأ وخفية

(ضرباً باليمين) أى ضرباً بالقوة؛ فكسرهما (فأقبلوا إليه بزفون) يسرعون؛ حيناً رأوا ما حل بأنهم (قال أتعبدون ما نتحنون) بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) أى خلقكم، وما تعملونه بأيديكم من الأصنام؛ فكيف تعبدها؟ (وقال إني ذاهب إلى ربي) متجه إليه، ومتوكل عليه؛ فإنه (سيهدين) إلى

معرفة، وإلى سبيل الرشاد (رب هب لي من الصالحين) أى ولدأ من الصالحين (فلما بلغ معه السعي) أى لما بلغ الولد أت يعشى، ويسعى مع أبيه في أشغاله وحوامجه؛ وهو لإسماعيل جد نبينا؛ عليهما الصلاة والسلام، وقيل: هو إسحق. وأيد كلا القولين أقوام، ولكل فريق أدلة ساقها، ومراجع ذكرها؛ ولكن الفؤاد يرتاح إلى أنه لإسماعيل لإسحق؛ يدل عليه قوله تعالى في الآية المقبلة «وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين» صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين (قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك) ورؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: وحى (فلما أسلما) انقادا لأمره تعالى، وإرادته جل شأنه: أسلم الأب ابنه، والابن نفسه! (وتله للجنين) صرعه في الأرض على جبينه، ووضع السكين على حلقه (ونادياه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا) وفعلت ما أوحينا به إليك، وأمرناك به (إن هذا لهوالبلاء المبين) الاختبار البين (وفديناه بذبح عظيم) قيل: نزل له جبريل عليه السلام بكبش عظيم؛ فذبحه مكان ابنه.

والقرآن الكريم لم يورد ما أورده من القصص عبثاً؛ وإنما أورده للذكرى والاعتبار والاستبصار! وقد أراد الله تعالى بإيراد هذه القصة: أن يعلمنا إلى أي مدى يطيع الابن أباه؛ ليرضى مولاه! فالواجب على من أحب الله، وأحبه الله: أن يكون مع والديه كليليت في يد المنسل: هل يستطيع أن يقول له أف لقد برد الماء، أو أف لقد زادت حرارته؟ (وتركنا عليه في الآخرين) في الأمم المتأخرة بعده

فَقَالَ أَلَا تَأْتُونَ ١١ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ١٢ فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ١٣ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ١٤ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ١٥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ١٦ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ١٧ فَرَأَدُوا بِهِ كَيْدًا لِيَجْعَلُنَّهُمُ الْأَسْفَلِينَ ١٨ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ١٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ٢٠ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ٢١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ٢٢ قَالَ يَتَّبِعِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ٢٣ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ٢٤ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَكُفِّرْ بَرَّهِمْ ٢٥ فَذُصِّدَتْ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَّاكَ تَجْرِي ٢٦ الْمُجَسِّنِينَ ٢٧ إِنَّ هَذَا لَمَوْءَابِلَةُ الْعَبْسِيِّ ٢٨ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ٢٩ وَتَرَكَآ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ٣٠

سَلَّمَ

سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٥﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٦﴾
 لِنُكْرِمَنَّا مِن بَنِي آدَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلِيُبَشِّرَنَّا بِهِ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٧﴾
 وَبَشِّرَنَّا بِهِ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٨﴾ وَبَشِّرْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ بِحَقِّهِم مِّن ذُرِّيَّتِهِمَا
 مُحْسِنِينَ وَعَلَىٰ نَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١٣٩﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
 وَهَارُونَ ﴿١٤٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٤١﴾
 وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْفَرُوا أَلَمْ نَكْفُلِكُم مِّنَّا وَآتَيْنَاهُمَا
 الْكِتَابَ الْمُنِيرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ
 الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٤٣﴾ وَزَكَّيْنَاهُمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٤٤﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ
 مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٤٥﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٦﴾
 إِنَّمَا مِن بَنِي آدَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلِيُبَشِّرَنَّا بِهِ الصَّالِحِينَ ﴿١٤٧﴾
 أَلَمْ نَكْفُلِكُم مِّنَّا وَآتَيْنَاهُمَا الْقُرْآنَ لِيَتَّبِعُنَّهُ وَمِنَّا
 جِبَالٌ مِّنَ الْفِجَارِ ﴿١٤٨﴾ أَتَدْعُونَ بَعْضُهُمْ أَلَّا يَكْفُرَ بَدْعًا
 وَبَدْعُهُمْ أَحْسَنَ الْكَلِمَاتِ ﴿١٤٩﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
 آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٥٠﴾ فَكَذَّبُوهُ فَاتَّبَعُوا لِمُحْضَرُونَ ﴿١٥١﴾

(سلام) منا (على إبراهيم) وهو - عليه الصلاة والسلام - يصل على ويسلم كل مؤمن، في كل صلاة؛ تحية مباركة من الله (وباركنا عليه) بتكثير ذريته من المؤمنين، وجعل ملته خير الملل «قل بل ملة إبراهيم حنيفاً» (وعلى إسحق) أى وباركنا أيضاً على ولده إسحق، بأن جعلنا من نسله أكثر الأنبياء (ومن ذريتها محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر: ظلم نفسه؛ بتعريضها للجهنم، والعذاب الأليم! (ولقد مننا على موسى وهرون) بالنبوة (ونجيناها وقومها) من آمن بهما من بني إسرائيل (من الكرب العظيم) استعباد فرعون لهم، وقتله لأبنائهم (وآتيناهما الكتاب المستبين) القوى البيان؛ لما احتواه من أوامر ونواه، وحدود وأحكام، وغيرها. وهو التوراة (وإن إلياس لمن المرسلين) قيل: هو إدريس النبي عليه السلام؛ وبعضه قراءة ابن مسعود «وإن إدريس» مكان «إلياس» وهذه القراءة شاذة لمخالفتها المصحف الامام. و(إلياس) التي؛ غير اليأس: جد نبينا عليه الصلاة والسلام. وصحة اسمه اليأس - بفتح الياء وسكون الهمز - لا «إلياس» كما رواه

الرواة خطأ، ونقله عنهم الناقلون. وسمى باليأس: لأنه أول من ابتلى باليأس - بفتح الهمز - وهو السبل (أندعون) أنددون (بعلا) اسم صنم لهم (فكذبوه فاتبعوا لمحضرون) في النار

(وتركنا عليه في الآخرين) في الأمم المتأخرة بعده (سلام على آل ياسين) أي على إيلياس وقومه المؤمنين (إلا عجوزاً في النابرين) أي الباقين في العذاب ؛ وهي امرأته (ثم دمرنا الآخرين) أهلكناهم (وانكم لتمرون عليهم) أي على منازلهم ، وتشاهدون آثارهم ، وترون آثار ثقتنا وتمديننا (مصعبين) وقت الصبح (وبالليل) أي ترون ذلك في أسفاركم ليلاً ونهاراً (أفلا تعقلون) ذلك ؛ فتعطلون بما حل بهم ؟ (إذ أبق) هرب من قومه ، ومن تعذيبهم وأذام له . وأبق البعد : إذا هرب واستخفى (لئى الفلك المشحون) السفينة الملوثة (فسام) أى فزاحم ؛ ليأخذ له سهماً ونصيباً في ركوب الفلك (فكان من المدحجين) أى فزلق في البحر . وكثيراً ما يحصل هذا عند التزاحم على الركوب في السفن المشحونة ، وغيرها . يقال : دحضت وجهه : زلقت . ودحضت الحججة : بطلت . أو «فسام» من المسامة . أى ففارع . قيل : لأنه لما ركب في السفينة ؛ وقت بهم في عرض البحر . فقال الملاحون : لا بد أن يكون بيننا عبد أبق من سيده ؛ واقتروا فيها بينهم ، ففرجت القرعة عليه . فقال : أنا الأبق ، وأنتى بنفسه في الماء . وسمى أبقاً ؛ لأنه هرب من قومه قبل أن يأذن له ربه بالانصراف عنهم (فالتقمه الموت) ابتلمه (وهو لم يم) أى واقع في الملامه ، ومستوجب اللوم (فلولا أنه كان من المسبحين) في بطن الموت (للبت) لسكرت (في بطنه إلى يوم يبعثون) لم يقتلناه عليه الصلاة والسلام - حين التقمه الموت - عن قول

«لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» فأجابه الله تعالى بسببها ؛ وقد ورد

الجزء الثالث والعشرون ٥٥٠

إِلْعَابِ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٦﴾ وَرَكَعًا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٦٧﴾
 سَلَّمَ عَلَى آلِ يَأْسِينَ ﴿١٦٨﴾ إِنَّا كَدَّاكَ تَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٩﴾ لَأَمْرٌ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِنَّ
 لَوْلَا لَيْنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِذْ تَجَيْشْتُهُ وَأَمَلَهُ رَاجِعِينَ ﴿١٧٢﴾
 إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ ﴿١٧٣﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٧٤﴾
 وَإِنَّكَ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٧٥﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفْلا
 تَعْقِلُونَ ﴿١٧٦﴾ وَإِنَّ يَوْسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٧﴾ إِذْ أُنْبِيَ إِلَى
 الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٧٨﴾ فَسَامَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٧٩﴾
 فَالتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُبْسِئٌ ﴿١٨٠﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ
 الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٨١﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٨٢﴾
 * فَبَيَّنَّا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٨٣﴾ وَأُنْبَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
 مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٨٤﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٨٥﴾
 فَتَمَنَّوْا فَتَمَنَّوْا لَهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٨٦﴾ فَاسْتَفْتَيْهِمْ زَرِينًا

النبات

أن من قرأها في مهلكة : أجه الله تعالى منها بمنه وفضله ! (فنبذناه) طرناه ؛ كما ينفذ آكل التمر النواة (بالعراء) جبل الله تعالى الموت يقذفه من جوفه ؛ في أرض عراء ؛ لا شجر فيها ولا نبات (وهو سقيم) مريض ؛ مما حل به في بطن الموت ، ومما اعتراه من خشية غضب الله تعالى عليه (وأنبئنا عليه شجرة من يقطين) وهو الدباء «القرع» ويطلق اليقطين على كل شجرة تنبسط على وجه الأرض ، ولا تقوم على ساق (فآمنوا فتمننا إلى حين) أى إلى حين اقتضاء آجالهم

الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٥١﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٢﴾ أَلَا لَهُمْ مِنْ لَدُنْهُمْ أَعْيُنٌ يَأْتُونَ اللَّهَ بِهَا لَوْلَا يُدْعَوْنَ أَنفُسُهُمْ أَفَلَا أُفْكِرُ ﴿١٥٣﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥٤﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥٦﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥٧﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥٩﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦٠﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦١﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦٢﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦٣﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦٤﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦٥﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦٦﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦٧﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦٩﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٧٠﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٧١﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٧٢﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٧٣﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٧٤﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٧٦﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٧٧﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٧٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ كَذِبَةٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٨٠﴾

(فاستفتهم أربك البنات ولهم البنون) وذلك لقولهم : الملائكة بنات الله . أى كيف تنسبون له الولد ؟ وهو تعالى « لم يلد ولم يولد » ؟ ولم تكفوا بذلك ؟ بل نسبتم إليه البنات ، وهن أخس الجنسين - في نظركم - قال تعالى « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » (من لافكهم) كذبهم (أصطفى) أى

هل اختار (مالككم) أى ماذا دعاكم ، وماذا جرى لعقولكم ؟ (كيف تحمكون) هذا الحكم الفاسد (أم لكم) على ذلك الزعم (سلطان مبین) حجة ظاهرة على ما تدفونه (فأتوا بكتابكم) الناطق بصحة دعواكم (إن كنتم صادقين) في زعمكم (وجعلوا) أى المشركون (بينه) تعالى (وبين الجنة) أى الملائكة ؛ وسماوا جناً : لاجتنانهم عن الأبصار ؛ أى اختفائهم . أو أريد بالجنة : الجن (نسباً) وذلك لأن قريشاً زعمت أن الملائكة بنات الله ، وأمهااتهم من بنات الجن . وقيل : « وجعلوا بينه وبين الجنة » أى الشياطين « نسباً » أى مناسبة ؛ حيث أشركوهم به تعالى في استحقاق العبادة . والقول الأول : أولى (ولقد علمت الجنة) أى الملائكة (أنهم) أى قاتلي ذلك (محضرون) في النار ؛ يعذبون فيها على ما قالوا ، وما فعلوا (سجحات الله) تنزهه ، وتقدس ، وتعالى (عما يصفون) من نسبة الشريك والولد إليه (إلا عباد الله المحاصنين) الذين لم يشب لإيمانهم شك أو شرك ؛ فإنهم ناجون (فإنكم وما تعبدون) من الأصنام (ما أنتم عليه) أى على الله (بفاتنين) أحداً . أى بمضلين ، أو غالين (إلا من هو صالح الجحيم) في علمه تعالى ؛ وقد تخلى عنه حفظه وكلاءه ، وبعثت منه نعمته ورحمته ا (وما لنا

إلا له مقام معلوم) لا يتجاوز ، ولا يتعداه ؛ وهو قول الملائكة عليهم السلام ؛ تبرؤاً مما نسب له إلههم المشركون (وإنا لنحن الصافون) أقدامنا في الصلاة ، وفي الطاعة (وإن كانوا ليقولون) أى كفار مكة (لو أن عندنا ذكراً من الأولين) أى لو أن عندنا كتاباً من جنس كتب المتقدمين ؟ فنزل لإيهم خير كتب الله تعالى ، وأوقاما ، وأمداما « القرآن » (فكفروا به فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم .

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ
 الْمَنْصُورُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِنْ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّ
 عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿٣٩﴾ وَأَبْصَرَهُمْ قَسَوفَ يَبْصُرُونَ ﴿٤٠﴾
 أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٤١﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
 صَبَاحُ الْمُسْتَدْرِينَ ﴿٤٢﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿٤٣﴾
 وَأَبْصَرَ قَسَوفَ يَبْصُرُونَ ﴿٤٤﴾ سَبَّحْتَ رَبَّنَا رَبِّ الْعِزَّةِ
 عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٤٥﴾ وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٦﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾

(٣٨) سُورَةٌ مِنْ مَكِّيَّةٍ

وَأَيَاتُهَا ٨٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَسْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ

وَشِقَاقٍ ﴿١﴾

(ولقد سبقت كلمتنا) وعدنا وتقديرنا بالنصر
 (فتول عنهم) أعرض (حتى حين) أي إلى
 أن تؤمر بقتالهم (وأبصرهم) ذكرهم
 بتكذيبهم حين ينزل العذاب بهم (فسوف
 يبصرون) طاقبة ذلك (فإذا نزل) العذاب
 (بساحتهم) بناتهم . والمراد : نزل بهم .
 وتعب العرب عن القوم بالساحة (وتول عنهم)
 أعرض (سبحان ربك) تبارك وتقدس (رب
 العزة) رب العظمة والعلية (عما يصفون)
 بأن له شريكا أو ولداً (وسلام) من الله تعالى
 (على المرسلين) وأنت إمامهم (والحمد لله
 رب العالمين) أن هداك ، وهدى بك ا

(سورة ص)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ص) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
 (والقرآن ذي الذكر) أي ذي البيان والعرف
 (بل الذين كفروا في عزة) واستكبار عن
 الإيمان به

(وشقاق) خلاف ، وأى خلاف ا بل أى شقاق أعظم وأفدح من إعداد الأمم الغريبة للقتال الندية والهيدروجينية ؛ ليحارب بها بعضهم بعضاً ، وفي بعضهم بعضاً ؛ وزعمون أنهم أشياخ عيسى عليه السلام . وعيسى منهم براء ، وهم في الكفر سواء ا فليظن هذا وليعتبر به من أتى السمع وهو شهيد (كم أهلكتنا من قبلهم من قريت) أمة (فنادوا) بالتوبة والاستغفار ، والاستغفارة ؛ عند نزول المذاب بهم (ولات حين مناص) أى ليس الوقت وقت نجاة ، ولا وقت خلاص . و «لات» : ليس . و «مناص» : ملجأ (وانطلق الملا) الأشراف أو الجماعة (منهم)

٥٥٣

سورة ص

حين سمعوا دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى التوحيد : انطلقوا يقولون (امشوا) من مجلس الرسول ؛ الذى يذكر فيه دينه ، وربه ، وكتابه (واصبوا على أهلكم) اثبتوا على عبادتها ؛ ولا تعبوا بدعوته (إن هذا) الذى يقوله محمد ويذمعه (لشئ يراد) بنا ومننا ؛ ويريد به عهد الزعامة والرئاسة علينا (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة) يظنون ملة عيسى عليه السلام . وقد كذبوا في ذلك ؛ فلم تقم ملة عيسى إلا على التوحيد الذى قامت عليه ملة محمد ، وملل سائر الأنبياء ؛ عليهم الصلاة والسلام . وإنما أرادوا به التثليث الذى قالت به النصارى ، وزعمت أنه دين عيسى (إن هذا لا اختلاق) كذب مختلق لا أصل له (أنزل عليه الذكر من بيننا) من القرآن (من بيننا) من دوننا ؛ وهو الضعيف ونحن الأقوياء ، الفقير ونحن الأغنياء ، ولا عصبة له ونحن أولوا العصبة وذووا الحمية . قال تعالى (بل هم في شك من ذكرى) من قرأتى ، وحقيقة نزوله على نبي (بل لما ينوقوا عذاب) لم ينوقوا عذابى ولو ذاقوه لآمنوا وصدقوا (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) فيهبون النبوة لمن شاءوا ، وينزلون الذكر على من أرادوا (فليترقوا في الأسباب) أى فليصعدوا إلى

وَشَقَاقٍ ۝ كَرَّاهَلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا
وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ ۝ وَجَعَلُوا أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ
وَقَالُوا الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ
لِنَا وَاحِدًا إِن هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝ وَانطَلَقُ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى الْمُنْتَكِرِ إِن هَذَا لَشَيْءٌ
يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِن هَذَا إِلَّا
أَخْتِلَاقٌ ۝ أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍ
مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَبْذُوقُوا عَذَابَ ۝ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ
رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الرَّوَّابِ ۝ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝
جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۝ وَثَمُودُ وَقَوْمُ
لُوطٍ وَأَحْزَابٌ لَّيْسَ لَكَ أَوْلِيَاكَ مِنَ الْأَحْزَابِ ۝ إِن كُلَّ

السموات ، ويعنوا الملائكة من النزول على محمد (جند ما هالك) أى أن هؤلاء المكذبين التكبرين : هم جند (مهزوم من الأحزاب) الذين تعزبوا على عداك ، وتجمعوا لمحاربتك (وعاد) قوم هود (وفرعون ذو الأوتاد) سمى بذى الأوتاد : لأنه كان يوتد من يريده تعذيبه بأربعة أوتاد : في يديه ورجليه . أو هو كناية عن ثبوت ملكه ، وقوة سلطانه . أو كناية عن المباني العظيمة الثابتة . أو صاحب الجنود . وتسمى الجنود أوتاداً : لأنها دعائم الملك والقوة والسطوة والسلطان (وثمود) قوم صالح (وأصحاب الأيكة) أى الفيضة ؛ وهى مجتمع الشجر . قيل : هم قوم شعيب عليه السلام (أولئك الأحزاب) أى أولئك الأقوام الذين ذكرتهم لك : هم مثل الأحزاب الذين تعزبوا عليك ؛ وسأجزئهم مثل ماجزئتهم ا

(وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة) مى
 فسخة القيامة عند البعث (مالها من فواق) من
 رجوع ، أو من إمهال قدر فواق الناقة ؛
 وهو ما بين حلبى الحالب (وقالوا ربنا عجل
 لنا قطننا) حطنا من النعم أو العذاب (داود
 ذا الأيد) ذا القوة فى الدين (إنه أواب) رجع
 إلى الله تعالى (يسجن) مع تسيجه ويردد
 مع ترديده (بالعشى) وقت العشاء (والإشراق)
 عند شروق الشمس (والطير محشورة)
 مجموعة من كل ناحية . قيل : كان إذا سبغ :
 رددت الجبال والطير تسيجه (وأتيناها الحكمة)
 النبوة ، وكال العلم . وقيل : الزبور (وفصل
 الخطاب) القضاء الفاصل بين الحق والباطل
 (وهل أتاك) يا محمد (نبأ الخضم إذ تسوروا
 المحراب) أى تسلقوا حائطه . و«المحراب»
 المسجد ، أو العرفة (ولا تشطط) أى ولا
 تتجاوز الحد (واهدنا إلى سواء الصراط)
 إلى الطريق السوى القويم (أكفلتها) أى
 ملكيتها ؛ لأنها كفى ، ومن نصيبى (وعزنى)
 غلبنى (ولان كثيراً من الخطاء) المتركاه الذين
 اختلط بهم

لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ
 فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٥٥﴾ فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ
 وَإِن لَّهُ عِندَنَا لَازِلَتَيْنِ وَحَسَنَ مَقَابٍ ﴿٥٦﴾ يَدَاوُدُ إِنَّا
 جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ
 وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ
 يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ نُسَأَلُ
 الْحَسَابَ ﴿٥٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
 بَطْلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ
 النَّارِ ﴿٥٨﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٥٩﴾
 كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ
 أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٠﴾ وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ

(يبنى) ليجور (بعضهم على بعض) في العائلات . هذا وقد ذهب أكثر المفسرين - في قصة داود عليه السلام - إلى أقاصيص من وضع اليهود والزنادقة : وزعموا أنه عليه السلام رأى زوجة أوريا عريانة - وهو أحد قواده - فتعلق بها ، وأراد أن يتزوجها : فأرسل زوجها إلى القتال - على رأس جيش ليقتل فيتزوجها - فانتصر أوريا ، وعاد سالماً . فأرسله ثانياً وثالثاً ؛ إلى أن قتل ؛ فتزوج داود عليه السلام زوجته التي رآها عريانة وأحبها من قبل ؛ فأرسل الله تعالى ملكين على صورة خصيين ؛ فاحتكما إليه في خصومة وهمية ؛ كما وردت في سياق القرآن الكريم . وهذه القصة فضلاً عن أنها تكفر واضعها ؛ فإنها أيضاً تكفر معتقدها ومصدقها ؛ إذ أنه لا يصح نسبة ذلك لعامة المسلمين ، وجهالة السائق ؛ فبالكبح نحواس الأنبياء ! ولا يجوز بحال صرف هذه القصة عن ظاهرها ؛ فليتدبر ذلك من له عقل سليم ، ودين قويم ! وإنما أوردت هذه القصة وأمثالها للتحذير منها ، والتنبيه على بطلانها . وقد قال على رضى الله تعالى عنه : «من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص : جلده مائة وستين» وهو حد الفرية على الأنبياء عليهم السلام (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإنهم لا يبغون (وقليل ما هم) قال الفضل بن عياض رضى الله تعالى عنه : الزم طرق الهدى ؛ ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ؛ ولا تغتر بكثرة الهالكين ! (وظن داود أنما فتناه) اختبرناه بتلك الزلة . وزلته : أنه حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر ؛ بقوله «لقد ظلمك بسؤال نجحتك إلى نجا» وهي زلة عظيمة بالنسبة

لعموم القضاة ؛ فما بالك بنبي الله داود عليه السلام ! وقد قضت القوانين الوضعية برد القاضى إذا أبدى رأيه أثناء سير الدعوى (ولاتبغ الهوى) أى هوى النفس (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض) أى لو بطل الجزاء ؛ كما يقول الكفار بإنكارهم البعث والحساب ؛ لاستوت أحوال من أصحح وأفسد ، ومن اتقى ونجى ! (أولو الألباب) ذوو العقول (أواب) كثير الرجوع إلى الله تعالى

(الصافات المياد) الخيل السراع (إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) أي آثرت حب الخيل حتى فاتتني صلاة الصبر ، وتوارت الشمس بالحجاب (فطلق مسحاً بالسوق والأعناق) أي فجعل يديه على سوق الخيل وأعناقها . وهي عادة مشاهدة عند المعجبين بالخيل ، اللقننين لها . أما ما ذهب إليه أكثر المفسرين : من أنه عليه السلام طفق يقطع أعناقها وسوقها بالسيف ؛ لأنها ألته عن الصلاة . فهو قول واضح البطلان ؛ وإلا فأني ذنب جنته هذه المعجرات تستحق عليه التثليل والتتمثيل ؟ فضلا عما في ذلك من

الحزب الثالث والعشرون

٥٥٦

تلف الأموال ، ونسبة الأنبياء إلى فعل السفهاء والجهال . وكان في مقدوره أن يخرجها من ملكة إلى الجهاد ؛ وبذلك يتم له التخلص منها ؛ مع قبح هو من أجل القرب إلى الله تعالى . ولم يقل أحد : إن المسح بمعنى القطع . وإلا لكان قوله تعالى «واسعوا برؤوسكم» أي اقلعوا رؤوسكم . وإنما يعيد عن الظاهر : إذا اقتضت القرينة والسياق ذلك : كأن يقول : فطلق مسحاً بالسيف بالسوق والأعناق (ولقد فتننا سليمان) ابتليناه (وألقينا على كرسيه جسداً) أي رزقناه ولداً ميتاً ؛ وحيء به على كرسيه . قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة على مائة امرأة - أو تسع وتسعين - كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله . فقال له صاحبه : إن شاء الله . فلم يقل إن شاء الله فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشقي رجل . والقي نفس محمد بيده لو قال : إن شاء الله : لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون» ولعل سليمان لم يقلها : لأنه لم يتذكرها ، ولم يسمعها من صاحبه الذي وجهه إلى قولها ؛ لأن الأنبياء عليهم السلام : أئمة التوكلين للنبيين ؛ (وأنا) رجوع إلى الله تعالى ، وتاب عن الانشغال عن الصلاة بما عداها ، وعن عدم تقدير مشيئة الله تعالى

إِنَّهُ وَأَوَّابٌ ﴿٥٥٦﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الصَّفِيْنَتُ
 الْمِيَادُ ﴿٥٥٧﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ
 رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحَبَابِ ﴿٥٥٨﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطْفَيْنِ مَسْحًا
 بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٥٥٩﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى
 كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٥٦٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي
 مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٥٦١﴾
 فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٥٦٢﴾
 وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٥٦٣﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ
 فِي الْأَصْفَادِ ﴿٥٦٤﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ
 حِسَابٍ ﴿٥٦٥﴾ وَإِن لَّكَ عِنْدَنَا لُزُومٌ وَحَسَنٌ مَّقَابٍ ﴿٥٦٦﴾
 وَأَذْكُرْ عِبَدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَلَيْسَ مِنِّي الشَّيْطَانُ
 يَضْحَكُ وَعَدَّابٍ ﴿٥٦٧﴾ أَرَكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْفَلٌ
 بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٥٦٨﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْمَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ

رَحْمَةً

في أموره كلها (فسخرنا له الريح تجري بأمره حيث أصاب) أي تجري طيبة لينة حيث أراد (والشياطين كل بناء وغواص) أي وسخرنا الشياطين له : بينوت ما يريد ، ويقوصون في البحر بأمره ؛ لاستخراج القؤلؤ (وآخرين) من الشياطين (مقرنين في الأصفاد) مقيدين في السلاسل والأغلال ؛ إذا أتوا ذنباً ، أو عصوا له امرأة (هذا) الملك الواسع ، والعلم الكبير ، والسخر العظيم (عطاؤنا) الذي أعطيناك ؛ استجابة لدعوتك : «رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» (فامنن) على من شئت ؛ مما أعطيناك من الملك الذي لا حدود له (أو أمسك) لا تعط أحداً (بغير حساب) أي لا تبأسك : لم مننت ؟ ولم أمسكت ؟ أو المراد : «فامنن» على من شئت من الشياطين ؛ بالاطلاق «أو أمسك» دع من شئت =

منهم في قيده وعبوديته . هذا وقد تحبط كثير من المفسرين في تأويل هذه الآية ؛ تحبطاً شنيعاً ، وقال فيه قولاً لا يتفق وجلال القرآن ا فقال قائلهم : إن معنى قوله تعالى «هذا عطاؤنا» إشارة إلى ما أعطاه الله من القوة على الجماع ، وأن «فامنن» مشتقة من المنى . وهو قول بالغ غاية البذاءة ! والأعجب من ذلك أن ينسوه لابن عباس - حبر الأمة ، وترجمان القرآن - وعلم الله تعالى أن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما برىء من هذا القول وأشباهه ! (ولأن له عندنا لزلزلي) قربي (وحسن مآب) حسن مرجع (واذكر

عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب) يتعب ومشقة ؛ وذلك أنه كان يوسوس إليه ، ويعظم في عينيه ما تزل به من الإبتلاء بفقد صحته وفقد ماله وأهله ، وبغريه على الجرع ، وعدم الصبر ! فالتجأ إلى ربه تعالى ليكشف عنه البلاء الذى تسبب في تدخل الشيطان بينه وبين ربه ! (وعذاب) قيل : النصب ، والضر : في الجسد . والعذاب : في الأهل والمال . ونسبة التعب ، والضر ، والعذاب ؛ إلى الشيطان : تأدب في حقه تعالى كقول إبراهيم عليه السلام «وإذا مرضت» ولم يقل : وإذا أمرضنى . وقيل : تسبب الشيطان في تبه وتغذيه : بوسوسته له بأث يسأل ربه البلاء ؛ ليبتحن نفسه ، ويجرب صبره ؛ كما قال العارف بالله : الإمام عمر بن الفارض :

وبما شئت في هواك اخترنى

فاختيارى ما كان فيه رضا كما !

هذا وسؤال البلاء ؛ دون العافية : ذنب يجب الاقلاع عنه ، والاستغفار منه ! فلما فطن أيوب إلى ذلك : لجأ إلى ربه ؛ ليكشف مابه ، أو يوفقه للصبر الجميل (انظر آيتى ٨٣ و ٨٤ من سورة الأنبياء) (أركض برجلك هذا مقتسل بارد وشراب) أى لقد أجيبت

دعوتك ؛ فاضرب برجلك الأرض . فضر بها فنبت عين ماء . فقيل له : «هذا مقتسل بارد وشراب» (لأولى الألباب) لنوى المقول (وخذ بيدك ضغثاً) حزمة صغيرة من حشيش . والضغث : ملاء الكف من قضبان ، أو حشيش ، أو شمارخ (فاضرب به ولا تحت) كان أيوب عليه السلام قد آلى في مرضه أن يضرب امرأته مائة ؛ لما رأى من شدة جزعها وحزنها ، أو لأنها باعت ذؤابتها برغيفين ؛ فأنزل الله تعالى هذه الفتوى . هذا وإن التحايل في الأيمان لا يجوز ؛ وإنما جاز في هذه الحالة ؛ لأنه حلف محققاً ، وهى فعلت ما فعلت محقة . وذلك لأن الشقاء والمرض : ألجأها إلى الفزع والجزع . وألجأها الجوع إلى بيع الشعر ! وقد دفعه إلى الحلف : مزيد ثقته بربه ، وعلمه بأن الجزع منقصة للإيمان ، وأن بيع الشعر - وهو جزء =

رَحْمَةً مِّنَّا وَذَكْرًا لِلَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَخَذَ بِيَدِكَ
ضَغِيثًا فَأَضْرَبَ بِهِ وَلَا تَحْتِثُ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ
الْعَبْدِ ۗ لَهُ أَوَّابٌ ۗ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ ۗ لِمَسَّحَتْ
وَيَقُوبُ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصِيرِ ۗ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ
بِحَالِهِ ذِكْرًا لِلَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ
الْأَخْيَارِ ۗ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ
وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ۗ هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ
مَّغَابٍ ۗ جَنَّاتٍ عِدْنٍ مَّفْتُوحَةٍ لَّهُمْ الْأَبْوَابُ ۗ
مُسْكِبِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۗ
وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۗ هَذَا
مَا تَوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۗ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنَ
نَفَادٍ ۗ هَذَا وَإِن لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَغَابٍ ۗ جَهَنَّمَ
يَصْلَوْنَهَا فَيَسَّسَ الْهَمَاءُ ۗ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ

من الجسم ، وحلية تتعلل بها المرأة - منقصة لتوكل ! (نعم العبد إنه أواب) أى رجاع إلى الله تعالى (أولى الأيدي والأبصار) ذوى القوة في نصرة الدين والتبصر ! (إنا أخلصناهم) أى جملناهم خالصين لنا (بخالصة) من (ذكرى الدار) الآخرة . أى تذكروها والعمل لها (هذا ذكر) لهم ؛ بالثناء الجميل عليهم في الدنيا (لحسن مأب) حسن مرجع في الآخرة (جنات عدن) جنات الإقامة . عدن بالمكان : أقام فيه (يدعون فيها) أى يطلبون في الجنات ؛ فيجابون إلى طلبهم (وعندهم قاصرات الطرف) أى بقصرت أبصارهن على أزواجهن (أتراب) جمع تراب .

الجزء الثالث والعشرون

٥٥٨

أى في سن واحدة ؛ لا تعدو سن الجمال والشباب (ماله من فداد) أى ليس له انقطاع (ميم وغساق) الميم: الماء البالغ نهاية الحرارة والساق: مايسيل من صديداهل النار (وآخر من شكله أزواج) أى وعذاب آخر في الشدة مثل العذاب الأول ؛ وهو أصناف (هذا فوج) جمع (مقتحم) داخل (معكم) في النار ؛ وذلك أن قادة الكفار ورؤساءهم إذا دخلوا النار ، ثم دخلوا بدم الأتباع : قال خزنة جهنم لقادة والرؤساء «هنا فوج مقتحم معكم» فتقول السادة (لا مرحباً بهم) فتقول الملائكة (إنهم صالوا النار) داخلوها معكم (قالوا) أى قال الأتباع للرؤساء (بل أنتم) يامن أضلتمونا وأغويتبونا (لا مرحباً بكم) لأنكم (أنتم قستموه لنا) أى قستم لنا في الدنيا أسباب العذاب التى نطليه الآن ؛ و(قالوا) ربنا من قدم لنا هذا) العذاب ، وسوغ أسبابه في الدنيا ، وحيه إلينا (فزده عذاباً ضففاً في النار) أى عذاباً مضاعفاً فيها(وقالوا) جميعاً لبعضهم بتسائلين (مالنا لا نرى) معنا في النار (رجالاً كنا نعدم من الأشرار) ينعون الفقراء أصحاب عهد عليه الصلاة والسلام ؛ كمار ، وصهيب ، وبلال ، وأمثالهم (اتخذناهم سخرياً) أى كنا نسخرمنهم في الدنيا (أم زاعت

وَعَسَاقٍ ﴿٥٥٨﴾ وَتَاخِرِينَ شَكْلَهُ أَزْوَاجٍ ﴿٥٥٩﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٦٠﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنْسُ الْقَرَارُ ﴿٥٦١﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٥٦٢﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَنَرِي رِجَالًا نَكَّأَتُهُمْ مِنْ الْأَقْتَرَارِ ﴿٥٦٣﴾ اتَّخَذْنَاهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٥٦٤﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٥٦٥﴾ إِنَّهَا أَنَا مُنَادٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ أَلْوَحْدُ الْقَهَّارُ ﴿٥٦٦﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥٦٧﴾ قُلْ هُوَ تَبَوُّؤُا عَظِيمٌ ﴿٥٦٨﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٥٦٩﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّامِئَاتِ إِذْ يُخْتَصِمُونَ ﴿٥٧٠﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا آيَاتٌ أَنَا أَنْذِرُ مُبِينٌ ﴿٥٧١﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٥٧٢﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ

عندهم الأبصار) أى مالت عنهم ؛ فلم يرم في النار معنا . قال الحسن رضى الله تعالى عنه: كل ذلك قد فعلوا : اتخذوهم سخرياً ، وزاغت عنهم أبصارهم في الدنيا محقرة لهم . وقيل : «أم» بمعنى بل (إن ذلك) المذكور (لحق) واقع (تخاصم أهل النار) في النار (قل هو نبأ عظيم) أى ما أنذركم به ؛ من الحساب ، والثواب والعقاب : خبر عظيم القدر ، جليل الخطر ؛ فلا تستهينوا به ، ولا تهزأوا منه (ما كان لى من علم باللامئ الأعلی) بالملائكة (إذ يختصمون) في أمر آدم: وهو قولهم «أجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» وقول إبليس «أنا خير منه» والإخبار بجميع ذلك لا يكون إلا بتأييد إلهى ، ووحى غيبى (إن يوحى إلى) ما يوحى إلى

من

مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٦٦﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ
 كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
 الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ يَا لَيْلَىٰ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا
 خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٦٩﴾
 قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٠﴾
 قَالَ فَانْجِرْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧١﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي يَوْمَ
 يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٢﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٣﴾
 قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٧٤﴾ إِنَّ يَوْمَ الْوَقْتِ
 الْمَعْلُومِ ﴿٧٥﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٦﴾ إِلَّا
 عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَصِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٧٨﴾
 لَا مَلَائِكَةَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٩﴾ قُلْ
 مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّ
 هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٢﴾

(استكبرت) الآن عن أمرى (أم كنت من
 العالمين) التكبرين أصلاً. وقيل: «العالمين» هم
 ملائكة السماء - ولم يؤمروا بالسجود لآدم -
 وإنما أمر بالسجود ملائكة الأرض حسب (قال
 فأخرج منها) أى من الجنة (فإنك رجيم)
 مطرود (لئى يوم الدين) يوم الجزاء؛ وهو
 يوم القيامة (قال رب فأظرفنى) فأمهلىنى (قال
 فبعتك لأغوينهم أجمعين) أقسم اللعين بعة الله
 ليغوين بنى آدم أجمعين (قال الله تعالى (فالحق)
 منى، أو فأنا الحق (والحق أقول) أى ولا أقول
 إلا الحق؛ وإذا قلت فلا راد لقولى، ولا مانع
 لإرادتى. أو «فالحق» ما تقول يا إبليس: من
 أن عبادى المتخلصين: لا القدرة لك على إغوائهم
 ولا سلطان لك عليهم «والحق أقول» من
 إدخالك جهنم أنت ومن تبعك (لأملأن جهنم
 منك) أى من جنسك أيها الشيطان (ومن
 تبعك منهم) أى من الناس الذين أقسمت على
 إغوائهم فاتبعوك (قل) يا محمد لأهل مكة
 (ما أسألكم عليه) أى على التبليغ، أو على
 القرآن (وما أنا من المتكفين) أى المتصنعين،
 المدعين، المرئيين. والتكلف أيضاً: التسف
 والتشكك (ولتعلمن نبأه) أى صدق ما جاء به

القرآن (بعد حين) أى حين تقوم الساعة، ويساق المؤمنون إلى الجنة، والكافرون إلى النار، أو حين موتكم

(٣٩) سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّةٌ

الايات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ فدية
وأبناها ٧٥ ترك بعد تسعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ
إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝
أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ۝ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَيَخْتَرُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا

(سورة الزمر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فاحمد الله مخلصاً له الدين) أى مخلصاً في عبادة ، صادقاً في عبته (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (ألا لله الدين الخالص) الذى لا تشوبه شائبة ، ولا يقصد به غير وجهه تعالى ! وقد ورد في الحديث الشريف أن رجلاً قال : يا رسول الله إنى أتصدق بالشيء ، وأصنع الشيء أريد به وجه الله وثناء الناس . فقال صلى الله تعالى عليه وسلم «والذى نفس محمد بيده لا يقبل الله شيئاً شورك فيه» ثم تلا صلى الله تعالى عليه وسلم «ألا لله الدين الخالص» (زلى) قربى (لاصطفى) لاختر (سبحانه) تزهه وتقدس عن صفات المخلوقين (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) التكور: الكف ، والى . والمعنى : أنه تعالى يدخل أحدهما في الآخر ؛ بنقصان الليل وزيادة النهار ، ونقصان النهار وزيادة الليل . ونظيره : قوله تعالى «يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل»

أو هو تشبيه لجريئتهما ، وأن كلاماً يكر على الآخر : فيجبهه (كل) من الشمس والقمر

يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْبَعِيثُ ۖ خَلَقَكُمْ
 مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۖ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ
 الْأَنْعَامِ مَمْنُونِيَّةَ أَزْوَاجٍ ۖ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا
 مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
 الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِنٌ تُصْرَفُونَ ۖ إِنْ تَشْكُرُوا
 فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ
 تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ لِكُلِّ
 رَيْبٍ مَرْجِعٌكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ
 بِذَاتِ الصُّدُورِ ۗ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا
 رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ۗ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو
 إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ۖ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ
 قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۗ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۖ
 أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ ۗ إِنَّاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَعْرَةَ

(يجري) في فلكه ، ويقوم بما سخره فيه
 ربه ا (لأجل مسمى) هو انتهاء الدنيا ؛ حين
 تنفطر السماء ، وتنتثر الكواكب ، وتبدل
 الأرض غير الأرض (خلقكم من نفس واحدة)
 خلقها تعالى بيده . وهي آدم عليه السلام (ثم
 جعل منها) أى من جنسها (زوجها) حواء
 (وأزل لكم) أى خلق لكم (من الأنعام
 ثمانية أزواج) ذكرًا وأنثى : من الإبل ،
 والبقر ، والغنم ، والماعز (يخلقكم في بطون
 أمهاتكم خلقاً من بعد خلق) أى نطفة ، ثم علقه ،
 ثم مضغه ، ثم إلى تمام التكوين (في ظلمات
 ثلاث) ظلمة الصلب ، وظلمة الرحم ، وظلمة
 البطن (فأني تصرفون) فكيف تصرفون عن
 عبادته تعالى ؛ إلى عبادة غيره ؟ بعد ظهور هذه
 الدلائل ، وببوت هذه الحقائق ؟ ا (ولا يرضى
 لعباده الكفر) وكيف يرضى تعالى بالكفر ،
 وقد نهى عنه ، وأوعده عليه . وأمر بالإيمان ،
 وحث عليه ، ورجب فيه ، ووعد بجزائه ؟
 (وات تشكروا) تؤمنوا (يرضه لكم)
 ويثبتم عليه (ولا تزر وازرة وزر أخرى)
 أى لا تحمل نفس آثمة لأم نفس أخرى .
 والمعنى : أنه لا يؤاخذ أحد بذنب الآخر

(فينبئكم بما كنتم تعملون) فيحاسبكم عليه ، ويجزيكم به (إنه علم بذات الصدور) بما في القلوب (وإذا
 مس الإنسان ضر) مرض وفقر (دعاه ربه منيباً إليه) راجعاً إليه (ثم إذا خوله نعمة) أعطاه لإياها ؛ كرمًا
 وتفضلاً . والمراد بالنعمة : الصحة والفتى (وجعل لله أنداداً) أمثالا ونظراء يعبدونهم (أمن هو قائم) مطيع
 عابد (إناء الليل) ساعاته (يحذر) يخاف (الآخرة) وما فيها من أهوال وجحيم ، وعذاب أليم

(وارجو رحمة ربه) نعمته وحنته (قل هل يستوى الذين يعملون) فيؤمنون ، ورجون رحمة ربهم ، ومخشون عذابه (والذين لا يعملون) فيكفرون ، ويعملون لله أناداً ! (إنما يتذكر أولوا الألباب) ذوو العقول

الجزء الثالث والعشرون

٥٦٢

(للذين أحسنوا في هذه الدنيا) بالإيمان والطاعة (حسنة) الجنة ؛ جزاء لإحسانهم (وأرضاه واسعة) فهاجروا إليها ، وسيروا فيها ؛ إذا خشيت على دينكم ، أو أوديت في أوطانكم (إنما يوفى الصابرون) على الطاعات ، وعن المعاصي (أجرهم) جزاءهم (بغير حساب) أى أجراً كبيراً ، وجزاء عظيماً ؛ لا يوزن بأعمالهم ؛ بل هو عطاء ربك الملك الوهاب ! (قل) لهم يا محمد (إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين) أى صادقاً في العبادة ، موفياً حقها ؛ من الإخلاص والمواظبة . (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (قل إن المحاسنين) هم (الذين خسروا أنفسهم) بغير ضما للمقاب ، وحرمانها من الثواب (و) خسروا (أهلهم) المراد بأهلهم : أزواجهم المدة لهم في الجنة ؛ من المحر المعين . أو خسروا حصة أهلهم ؛ لأنهم كفروا فذهبوا إلى النار ، وأمن أهلهم فذهبوا إلى الجنة . كفروا في النار بكفره ، وآسية زوجه في الجنة بإيمانها (لهم) أى الكفار الذين خسروا أنفسهم وأهلهم ، لهم (من فوقهم ظلل) طبقات (من النار ومن تحتهم ظلل) مثلها (ذلك) المذكور من شأن أهل النار من الكفار (يخوف) الله به عباده (ليؤمنوا به ويطقوه) (والذين اجتنبوا الطاعات) الأوثان ، أو الشيطان ، أو هو كل رأس في الضلال (وأنابوا إلى الله) آمنوا به ، ورجعوا إليه (لهم) للبشرى) بالجنة ونعيمها !

وَرَجُوا رَحْمَةً رَّبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِ الْأَلْبَابِ ۗ قُلْ يَتَّبِعِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَقْرَأُ بَرَكَةً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۗ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۗ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۗ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۗ فاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْغَالِبِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ ۗ لَمْ يَنْفَعِهِمْ ظُلْمٌ مِنْ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِمْ ظُلْمٌ ۗ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ ۗ يَتَّبِعُهُ الْفَاسِقُونَ ۗ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ۗ قَبِيْرٌ

عباد

الذين اجتنبوا الطغوت

(وأولئك هم أولوا الألباب) ذروا العقول (أفن حق عليه) وجبت عليه (كلمة العذاب) وهي قوله تعالى «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» (أفأنت تتفقد من في النار) بدعوتك؟ وقد عرضوا عنها، ولم يؤمنوا بها، واستوجبوا كلمة العذاب! (لكن الذين اتقوا ربهم) فآمنوا به، واتبعوا رسوله (لم غمرف) في الجنة (ثم يهيج) يهيج ذلك الزرع (فتراه

مصفراً) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاماً) متكسراً (إن في ذلك) الإنزال للنساء، وسلوكه بنابيع في الأرض، وإخراج الزرع المختلف الألوان، ثم اصفراره وتكسره «إن في ذلك» جميعه (لذكرى) تذكيراً بقدرة الله تعالى، ووحدانيته؟ وأن القادر على فعل ذلك: قادر على أن يحيي الموتى (لأولى الألباب) لذوى العقول (أفن شرح الله صدره) بسطه (للاسلام) فاتبعه، وأقام حدوده (فهو على نور) هداية (من ربه) أى أهذا المتبع للاسلام، المهتدى بهداية الله تعالى «كمن هو أعمى» (فويل) شدة عذاب (للقاسية قلوبهم) الذين لا يفقهون، ولا يرون النور؟ فويل لهم (من ذكر الله) أى من ترك ذكر الله تعالى؟ فإذا ذكر أمامهم: ازداد كفرهم، وقست قلوبهم! أو المراد بذكر الله: القرآن الكريم. أى فويل للقاسية قلوبهم مما قضاه عليهم القرآن الكريم؛ من عذاب أليم مقيم! (كتاباً متشابهاً) يشبه بعضه بعضاً: في البيان، والحكمة، والإيجاز (مثنى) جمع مثنى؛ أى مردهداً ومكرراً: لا يجل من ترديده وتكراره؛ بل كلما تكرر: ازداد حلاوة وبهاء! وكل هذا واضح محسوس؛ لكل من تدوقه وعرفه! أو تثنى فيه المواعظ والأحكام؛ لترسخ في

فمن القارىء والسامع (تشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) أى كلما سمعوا آيات الوعيد والعذاب: اقتشعرت جلودهم. واقتشعر الجلد لا يكون إلا عند شدة الخوف، وزياد الرعب (ثم تلبث جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) عند ذكر آيات رحمته ومنتته، ومغفرته ونعمته!

عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَهْلُ الْأَلْبَابِ ۝
 أَفَنَحْنُ عَلَيْهِ كَلِمَةَ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُتَفَقَدُ مِنَ فِي النَّارِ ۝
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّيْمَنَةٌ تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَحْتَسِبُ اللَّهُ الْبَيْعَادَ ۝
 الرَّبُّ تَرَىٰ أَنَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنبُوعًا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَ فَبَرَّةٌ مُّصْفَرَةٌ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا
 لِأُولَى الْأَلْبَابِ ۝ أَفَنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝
 اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلْبِثُنْ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ

ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا
لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٤﴾ أَفَنْ يَتَّقِي بِرُوحِهِهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٥﴾
كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ فَذَاتَهُمُ اللَّهُ الْخَزِيصَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ
ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٨﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿٢٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ
وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣١﴾
ثُمَّ لَنْ أَنْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣٢﴾
* قَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ

(أمن يتق بوجهه) أى يتلق به (سوء العذاب)
أشده وأقبحه وأشنعه (وقيل للظالمين)
الكافرين (ذوقوا) عقوبة (ما كنتم تكسبون)
تعملون في الدنيا (فأذالهم الله الخزي) القتل ،
والأسر ، والدل ، والهوان (وللعذاب الآخرة
أكبر) من عذاب الدنيا وأشد (ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل) تقريباً
لقولهم ، وتيسيراً لأفهامهم (قرأنا عربياً) بلغتهم
التي يفهمونها وتفقهونها (غير ذى عوج) أى
مستقيماً ، بريئاً من التناقض ؛ لا ليس فيه ولا إيهام
(ضرب الله مثلاً) للكافر ، الذى يبد آلهة
متعددة كالأنعام ، أو من يبد المال ؛ ويتقيد
بجمعه وحفظه ، أو من يبد هواه (رجلاً فيه
شركاء متشاكسون) متنازعون ومختلفون وهو
كنية عن تحيره في أهوائه ، وتنازع قلبه بين
مطالبه التي يزينها له شيطانه (ورجلاً سلباً)
أى سالماً ، خالصاً من الشرك . وهو مثل
للمؤمن الذى يبد إلهاً واحداً ؛ لا يطبع غيره ،
ولا يتقاد لسواه ؛ فلا المال يطفئه ، ولا الهوى
يقوده ا (إنك) يا محمد (ميت) رغم رفعة
قدرك ، وعلو منزلتك ا (وإنهم ميتون) رغم
انحطاطهم وتفاهمهم ؛ فلا شامة في الموت :

فسيبوت الأعلى والأدنى (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) بأن تحتج عليهم بتبليغك الرسالة ،
ويتنكرون عن علم قبولها بما لا طائل وراءه (فن أظلم) أى لا أحد أظلم (من كذب على الله) بأن نسب
إليه تعالى الشرك والولد (وكذب بالصدق) القرآن

جَاهِدْ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ وَأَلَدَىٰ
 جَاءَ بِالصَّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٧﴾
 لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨﴾
 لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ
 بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
 عَبْدَهُمْ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ؕ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ
 فَأَلَا لَهُمْ مِنْ هَادٍ ﴿٤٠﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَأَلَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٤١﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ؕ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ
 ضُرِّهِ ؕ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ ؕ قُلْ
 حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٤٢﴾ قُلْ يَتَّقُوا
 أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَدِيدٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾

(أليس في جهنم مثوى للكافرين) مأوى لهم
 (والذي جاء بالصدق) النبي صلى الله تعالى عليه
 وسلم : جاء بالقرآن الكريم (و) الذي (صدق
 به) وهم المؤمنون . صدقوا به ، وبما أنزل عليه
 من الصدق ! (ليكفر الله) يحو (عنهم أسوأ
 الذي عملوا) من كفرهم قبل إيمانهم ، وعصيانهم
 قبل توبتهم ! (أليس الله بكاف عبده) حفظاً ،
 ورزقاً ، وعوناً ، وكلاءة ! (ويخوفونك
 بالذين من دونه) بالأصنام ؛ وقد كانت قریش
 تقول للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه :
 إنا نخاف عليك أن تحبلك آلهتنا ، وعلم الله
 تعالى أنهم هم وآلهتهم المحبولون ! (أليس الله
 بعزیز) قوى ، غالب لا يقاب (ذی انتقام) ممن
 يكفر به ، أو يعصيه (قل أفرأيتم ما تدعون)
 تمبدون (من دون الله) غيره (إن أرادني الله
 بضراً) مرض ، أو فقر ، أو أذى (هل هن
 كاشفات ضره) يعنى : هل تستطيع هذه
 الأصنام أن تكشف الضر الذي أراده الله تعالى
 (أو أرادني برحمة) نعمة ، وعافية ، وغنى
 (قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) الذين
 هدام سبعانه للتوكل عليه ، والإجابة إليه !
 (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (قل يا قوم

اعملوا على مكانتكم) على حالتكم التي أنتم عليها ، والعداوة التي تمسكتم فيها

(فن اهتدى فلنفسه) أى فتواب هدايته عائد على نفسه (الله يتوفى الأفس حين موتها) أى يقبضها عند انتهاء آجالها (والتي لم تمت فى منامها) أى ويتوفى الأفس التي لم تمت فى منامها . ومنه قوله تعالى « وهو الذى يتوفاكم بالليل » عن سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه : إن الله تعالى يمسك أرواح الأموات إذا ماتوا ، وأرواح الأحياء إذا ناموا (فيمسك) تعالى روح النفس (التي قضى عليها الموت) فلا تقوم من منامها (ويرسل) النفس (الأخرى) التي لم يقض عليها بالموت فى منامها (إلى أجل مسمى) هو انتهاء عمرها ؛ المكتوب لها فى عالم الأزل . والنوم : هو الموت الأصغر ؛ كما أن الموت : هو النوم الأكبر . قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « كما تتامون فكذلك تموتون ، وكما توقظون فكذلك تبعثون »

الجزء الرابع والعشرون ٥٦٦

ومن عجب أنت ترى الإنسان دائم البحث ، حثيث السعى ؛ وراء ما يجلب له النوم ، ويدفع عنه الأرق ؛ فى حين أن فرائضه لترتد جزءاً ورفقاً حين يذكر أمامه الموت والموت لا يعدو أن يكون يوماً هادئاً مريحاً ؛ يمتاز بكثير عن النوم الذى يسمى إليه ، وينفق الأموال فى اجتلابه ؛ وليس تمت مدعاة للجزع والخوف ؛ ما دام الإنسان ممتلئاً صدره إيماناً بالله ، وقيناً بوجوده ، واطمئناناً لجزائه ؛ ولذا تحدى الله تعالى اليهود - حينما زعموا أنهم أولياؤه وأحبائه - بقوله : « فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » وأجاب عنهم بما فى صدورهم : « ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم » فاحرس - يا من هديت إلى الإيمان والرفقان - على طاعة الله تعالى ، واجتلاب مرضاته ؛ لتتام خير

من يأتيه عذاب يُجزيه ويحل عليه عذاب مُقيم ﴿١﴾
 إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ قَدْ آهَنْتَنِي فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرُحِيمٍ ﴿٢﴾
 اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأُنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾
 أَمْ أَلْمَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَآئِمًّا لِلْمَلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾
 قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۚ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥﴾
 وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَمَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦﴾
 قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِّمِ الْعَلْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ

منام ، وتبعث خير مبعث ، وتلقى خير جزاء ، وأوفر نعم ! (انظر آية ٦٠ من سورة الأنعام) (وإذا ذكر الله وحده اشتمزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى قفرت واقبضت (وإذا ذكر الذين من دونه) الأصنام التي يعبدونها ؛ كالكالات والعرى (قل اللهم فاطر) خالق ومبدع (السموات والأرض) وما فيها ، ومن فيها (عالم الغيب والشهادة) ما غاب ، وما شوهد (أنت تحكم بين عبادك) يوم القيامة ؛ فى اليوم الموعود : الذى أنكروه وكفروا به ، وآمن به المؤمنون ، وعملوا له !

فيه

منام ، وتبعث خير مبعث ، وتلقى خير جزاء ، وأوفر نعم ! (انظر آية ٦٠ من سورة الأنعام) (وإذا ذكر الله وحده اشتمزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى قفرت واقبضت (وإذا ذكر الذين من دونه) الأصنام التي يعبدونها ؛ كالكالات والعرى (قل اللهم فاطر) خالق ومبدع (السموات والأرض) وما فيها ، ومن فيها (عالم الغيب والشهادة) ما غاب ، وما شوهد (أنت تحكم بين عبادك) يوم القيامة ؛ فى اليوم الموعود : الذى أنكروه وكفروا به ، وآمن به المؤمنون ، وعملوا له !

(ولو أن الذين ظلموا) كفروا (مافى الأرض جميعاً) من مال ، وعقار ، وأنعام (ومثله معه لاتفدوا به) أنفسهم (من سوء العذاب) يؤسه وشدته وقسوته ! (وبدا لهم من الله) ظهر لهم من أمره ، وحقيقة وجوده ، وصدق وعده ووعديه (مالم يكونوا يحسبون) يحسبون ، ويظنون . أو أنهم عملوا أعمالاً في الدنيا ؟ وتوهموا أنها حسنة ؛ فإذا هي سيئات . روى عن سفیان الثوري رضى الله تعالى عنه - في هذه الآية - ويل لأهل الرياء ، ويل لأهل الرياء ؛ هذه آيتهم وقصتهم . اللهم باعد بيننا وبين الرياء في أعمالنا

وعبادتنا ، واجعلها خاصة لوجهك الكريم يا كريم ! (وبدا لهم) ظهر (سيئات ما كسبوا) عقاب ما عملوا من الكفر والمعاصي (وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزئون) أى عقاب استهزأهم بمحمد وبكتابه (فإذا مس الإنسان ضرراً) مرض ، أو فقر (ثم إذا حولناه نعمة) أعطيناه غنى وصحة ؛ فضلاً منا (قال) لزيد كفره ، وانعدام شكره (إنما أوتيته على علم) من بوجوه التجارات والمكاسب ، أو على علم من الله باستحقاق لذلك . قال تعالى (بل هي فتنة) أى بل تحويلنا إياه النعمة ؛ إنما هو امتحان له واختبار ؛ لئرى أيشكر أم يكفر ؟ (قد فالها) أى قال مثل هذه القالة (الذين من قبلهم) كفارون ؛ حين قال «إنما أوتيته على علم عندي» (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أى عقوبة هذه السيئات التي ارتكبوها : تخلف بقارون الأرض (والذين ظلموا) أشركوا ، وقالوا مثل هذا القول (من هؤلاء) الموجودين (سيصيبهم) أيضاً (سيئات ما كسبوا) كما أصاب «الذين من قبلهم» (ومأمم بمعجزين) بفاتنين عذابنا (أولم يعلموا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآية ليعلم يؤمنون) * قل يعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب

فِيهِ يَحْتَفُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٥٧﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَالٌ يَكُونُوا يَحْسِبُونَ ﴿٥٨﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرُّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا حَوَلْتَهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ قَدْ فَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمَّا آغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦١﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٦٢﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٣﴾ * قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أُسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

الجاهل ، ويمنع العالم ، ويعطى الحامل ، ويمنع العامل ؛ فهو - جل شأنه ، وتعالى سلطانه - الخالق الرازق ؛ وهو وحده يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ، يتصرف في ملكه كما يريد ؛ لا كما يريد العبيد ! «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» هو الحاكم «لا معقب لحكمه» (إن في ذلك) الإيعاء والمنع ، والبسط والتضييق (آيات) دلالات على وجوده تعالى وقدرته ، وأنه وحده المعطى المانع ، الحافض الزافع ، الضار النافع ! (قل يعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) بارتكاب المعاصي ، واقتحام الذنوب (لا تقنطوا) لا تيأسوا (من رحمة الله) ومغفرته ؛ فالقنوط من رحمة تعالى : كفر ! (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) للتائب المستغفر

(وَأَيُّوَا لِي رَبِّكَ) ارجعوا إلى ساحتہ ، واطلبوا مغفرته (وَأَسْلَمُوا لَهُ) وأخلصوا له العمل والنية (من قبل أن يأتيتكم العذاب بفتنة) نجاة ؛ كما حل بآل فرعون (أن تقول نفس) أي لثلاث تقول نفس مذنبه يوم القيامة :

الجزء الرابع والعشرون

٥٦٨

(يا حسرتنا على ما فرطت) على ما قصرت (في جنب الله) أي في حقہ تعالی ، ولی طاعته (أو تقول) نفس (لو أن الله هداني لكنت من التقيين) ينكرون على الله تعالی هدايته لهم ؛ وقد هدام . ألم يرسل لهم الرسل ، وينزل عليهم الكتب ؟ ألم يخلق لهم العقول التي تميز بين المبيع والبيع ، والسقيم والصحيح ؟ (أو تقول) نفس (حين ترى العذاب) العذاب لها يوم القيامة : (لو أن لي كرة) رجعة إلى الدنيا (بلى) جواب النفي المستكن في المعنى ؛ لأن القائل حين يقول : «لو أن الله هداني» فإنه ينفي هداية الله تعالی له وينكرها ؛ فقليل له جوابا لنفيه للهداية : «بلى» أي نعم قد بين الله تعالی لك طريق الهدى ؛ بحيث صار في مقدورك ، وفي متناول فهمك ؛ و (قد جاءت آياتي) المحكمات البينات (فكذبت) ولم تؤمن (بها واستكبرت) عن اتباع سبيل المؤمنين (وكنت من الكافرين) الضالين عن الرشده والهداية (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بنسبة الصريك والولد إليه (وجوههم مسودة) من غضب الله تعالی وبقته ا (أليس في جهنم مثوى) مأوى (للتكبرين) عن الإيمان (وينجي الله الذين اتقوا بسبب أعمالهم الصالحة ؛ التي أدت إلى فوزهم ونجاتهم . والمغازة : النجاة

بِمِيمًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٦٨﴾ وَأَيُّوَا لِي رَبِّكَ
وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٦٩﴾
وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٧٠﴾ أَنْ تَقُولَ
نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَى مَا فرطتُ فِي جنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ
لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٧١﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ
مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧٢﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي
كُرَّةٌ فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧٣﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ نَكَأً بِآيَتِي
فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٧٤﴾
وَيَوْمَ أَقْبَسْتَهُ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهَهُمْ مُسْوَدَةٌ
الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٥٧٥﴾ وَيُنجِي اللَّهُ الَّذِينَ
اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٧٦﴾ اللَّهُ
خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٥٧٧﴾ لَهُ مُقَابِلُ

الْمَسْمُورَاتِ

(لا يمسهم السوء) العذاب ، أو الحزى (ولا هم يحزنون) بالحرمان من النعيم الذي يريدونه ، والحيز الذي يطلبونه (وهو على كل شيء وكيل) حافظ ، وقائم ، ومتصرف

(له مقاليد السموات والأرض) أى ملكهما ؛ وذلك كقولهم : فلان تول مقاليد الملك . والمقاليد :
المفاتيح . أو هي الخزان ، أو الأبواب (قل أفتير الله تأمروني) تأمروني ؛ وبها قرأ ابن عامر (لئن

أشركت ليحبطن عملك) أى ليطلن (وما

قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوه حق

معرفة ، وما عظموه حق تعظيمه (والأرض

جميعاً قبضته يوم القيامة) أى تحت قبضته

وقهره ، وسيطرته وسلطانه ! (والسموات

مطويات يمينه) أى بقدرته ؛ وقيل : هو على

سبيل الجواز ؛ أى أن السموات على عظمها

وكبرها ؛ فإنها تكون بالنسبة إليه تعالى

كالشيء الصغير الحقيق ، الذى يطوى باليمين .

وهو كناية عن قدرة الله تعالى ، وإحاطته

بجميع مخلوقاته . كما تقول : فلان لا يخرج من

يدى ، ولا ينفك من قبضتى (سبحانه) تزه

وتقدس (ونفخ فى الصور) وهو قرن ينفخ

فيه إسرافيل عليه السلام ؛ بأمر ربه (فصعق)

مات (من فى السموات) من مخلوقات وأملاك

(ومن فى الأرض) من الإنس والجن ،

وغيرها من المخلوقات (إلا من شاء الله) وهم

الشهداء ؛ لأنهم «أحياء» بعد موتهم «عند

ربهم يرزقون» وقيل : هم خواس الملائكة ؛

كجبريل ، وإسرافيل ، وميكائيل ، وعزرائيل ؛

عليهم السلام (وأشرفت الأرض) أضاءت

أرض المحشر (بنور ربها) بعباده وقضائه بين

عباده (ووضع الكتاب) الصحف التى فيها

أعمال بنى آدم ؛ فمنهم أخذ يمينه ، ومنهم

أخذ بشماله (وحى بالنبين) ليسألهم تعالى :

«ماذا أجيتم» (والشهداء) فيشهدون لمن ذب عن دين الله تعالى ، ودافع فى سبيله (ووفيت كل نفس

جزاء) (ما عملت) من خير أو شر (وسيق الذين كفروا) وعصوا الرسول

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ

هُمْ أَخْلَسِرُونَ ﴿٥٦٩﴾ قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ بِعِبَادِ آيَاتِهَا

الْحَلِيلُونَ ﴿٥٧٠﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ

لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٧١﴾

بَلِ اللَّهِ فَاغْبُدْ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٥٧٢﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ

حَقَّ قَدْرِهِ ۗ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ وَتَعَالَىٰ عَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴿٥٧٣﴾ وَيُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ

فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٥٧٤﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ

بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٧٥﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ

مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٥٧٦﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا

إِلَىٰ جَزَاءِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٧٧﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَأْتِلُونَ إِلَيْنَا خُرُوجًا

مِنَ اللَّيْلِ فَسَيُدَّبُونَ أَسْفَلَ نَارٍ لَمَّا جَاءَتْ خُرُوجًا

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَأْتِلُونَ إِلَيْنَا خُرُوجًا

مِنَ النَّهَارِ فَسَيُدَّبُونَ أَسْفَلَ نَارٍ لَمَّا جَاءَتْ خُرُوجًا

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَأْتِلُونَ إِلَيْنَا خُرُوجًا

مِنَ اللَّيْلِ فَسَيُدَّبُونَ أَسْفَلَ نَارٍ لَمَّا جَاءَتْ خُرُوجًا

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَأْتِلُونَ إِلَيْنَا خُرُوجًا

مِنَ النَّهَارِ فَسَيُدَّبُونَ أَسْفَلَ نَارٍ لَمَّا جَاءَتْ خُرُوجًا

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَأْتِلُونَ إِلَيْنَا خُرُوجًا

مِنَ اللَّيْلِ فَسَيُدَّبُونَ أَسْفَلَ نَارٍ لَمَّا جَاءَتْ خُرُوجًا

إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُجْرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَصَحَّتْ أَبُوْبُهَا وَقَالَ
لَهُمْ نَزَرْتُمْهَا الرَّيِّانُكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ
رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ
حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ قِيلَ ادْخُلُوا
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا قَبَسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٧﴾
وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُجْرًا حَتَّىٰ إِذَا
جَاءَهَا وَفُصِّحَتْ أَبُوْبُهَا وَقَالَ لَهُمْ نَزَرْتُمْهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
طِبِّتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ نَبَوًّا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ
نَشَأُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ
مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾

سورة

(إلى جهنم زجراً) أفواجاً وجماعات (قالوا بلى) أى نعم جاءتنا رسل ربنا (ولكن حقت) وجبت (كلمة العذاب) أى كلمة الله تعالى ، المنتضية له ؛ أو من قوله تعالى «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» (قبس مثنوى) مقام (التكبرين) الكافرين (وسيق الذين اتقوا ربهم) خافوا عقابه ، وسعوا إلى رضوانه (إلى الجنة زجراً) أفواجاً وجماعات (وقال لهم خزنتها) حراسها من الملائكة (سلام عليكم طيبتم) من دنس الذنوب والمعاصي ؛ فاستحققت الجنة ، أو «طيبتم» نقساً ؛ بما أوتيتهم من خير عظيم ، ونعيم مقيم ! (فادخلوها خالدين) فيها ، غير خارجين منها «ما دامت السموات والأرض» (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالجنة (وأورثنا الأرض) أى أرض الجنة (تنبؤاً) نسكن (من الجنة حيث نشاء) أى حيث نريد ؛ فلا تثرِب ولا تضيق ، ولا منع ولا حرجاً (وترى الملائكة حافين) محيطين ومعدقين (من حول العرش يسبحون بحمد ربهم) يقدسونه ، ويزهونه عما لا يليق به (وقضى بينهم) أى بين الخلائق جميعاً . وقيل : بين الملائكة ؛ فهم - وإن كانوا كلهم معصومين

من الخطأ والزلل - فإن ثوابهم يكون على حسب تفاضل أعمالهم ؛ فتفاوت بذلك مراتبهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) افتتح تعالى الخلق بالحمد ؛ قال عز من قائل : «الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور» واختتمه أيضاً جل شأنه بالحمد : «وقيل الحمد لله رب العالمين»

(٤٠) سُورَةُ غَافِرٍ مَكِّيَّةٌ

الآيَةُ ٥٦ وَ ٥٧ فَيُنِصَانِ
وَأَوَّلُهَا ٨٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الزُّمَرِ

(سورة غافر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) قيل : اسم من أسمائه تعالى .
وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما :
«الر» و «حم» و «ن» هي حروف الرحمن
متفرقة . وقيل غير ذلك (انظر آية ١ من سورة
البقرة) (غافر الذنب) لمن أفلح عن ذنبه ،
واستغفر ربه (وقابل التوب) ممن تاب وأتاب
(شديد العقاب) لمن عصى ربه ، واستمرأ
ذنبه (ذى الطول) ذى الفضل السابغ ،
والانعام الواسع (لا إله إلا هو) لا معبود
سواه (إليه المصير) فيجزى كلا بما عمل
(فلا يفرح قلبهم في البلاد) أى لا تخدعك
أسفارهم بالتجارات ، والأموال والأولاد ؛
وعودتهم سالمين غامرين ؛ فتظن أنهم بمنجاة
من عذابنا وانتقامنا ؛ فإن مصيرهم جمعاً إلى
النار (والأحزاب) الأمم الذين تجزوا على
أنبيائهم : كعاد ، وثمود ، ومن بعدهما

(ليأخذوه) ليقتلوه (ليدحضوا) ليطلوا (فأخذتهم) فعاقتهم (حقت) وجبت (الذين يحملون العرش)
من الملائكة (ومن حوله) أى حول العرش ؛ من الملائكة أيضاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝
غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۝
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۝ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ مَا يُجِدُ فِي عَابِتِ
اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَفْرَحُ قَلْبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ۝
كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ
كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا لِابْنِطِلٍ لِيَدْحِضُوا
بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَنُكِفَ كَانَ عِقَابِ ۝ وَكَذَلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
النَّارِ ۝ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ

(يسعون بحمد ربهم) أى لا عمل لهم سوى قولهم : سبحان الله وبحمده ا (يستغفرون) يطلبون المغفرة (الذين آمنوا) قائلين في استغفارهم (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً) أى وسعت رحمتك كل شيء ، ووسع علمك كل شيء (فاغفر للذين تابوا)

الجزء الرابع والعشرون

٥٧٢

من ذنوبهم ، وأقلعوا عن كفرهم (واتبعوا سبيلك) الذى ارتضيته لعبادك ؛ وهو دين الإسلام (ربنا وأدخلهم جنات عدن) أى جنات الإقامة ؛ من عدن في المكان : إذا أقام فيه (التي وعدتهم) بها (وقهم السيئات) أى عقوبتها (إن الذين كفروا ينادون لمقت الله) لكم في الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم) وللمت : أشد البض . ومقتهم أنفسهم يوم القيامة : كراهة بعضهم بعضاً ، قال تعالى «ويلن بعضهم بعضاً» وقال جل شأنه «قالوا بل أنتم لامرحباً بكم» (إذ تدعون) في الدنيا (لى الإيمان فكفرون) للمنى : «لمت الله لكم» في الدنيا حين «تدعون لى الإيمان فكفرون» «أكبر من مقتكم أنفسكم» الآن (قالوا ربنا أمتنا اثنتان وأحييتنا اثنتان) في هذا دليل على الإحياء داخل القبر للسؤال ، والإماتة بعده ، والإحياء للبعث ؛ فتصير موتان وحياتان (فاعترفنا بذنوبنا) وكفرنا الآن (فهل لى خروج) من النار ، ورجوع لى الدنيا (من سبيل) «نفعل غير الذى كنا نعمل» فيقال لهم : لاسبيل لى الخروج ألبتة (ذلك) العذاب الذى أتم فيه ، وعدم الاستماع لىكم ، ورفض إخراجكم من النار وإعادتكم لى الدنيا (بأنه) بسبب أنه (إذا

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادون لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ مَقْتِكَ أَنْفُسَكَ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَكُفِرُونَ قَالُوا رَبَّنَا أمتنا اثنتان وأحييتنا اثنتان فاعترفنا بذنوبنا فهل لى خروج من سبيل ذلك ياتيه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير هو الذى يرزقكم من السماء رزقاً

وما

دعى) عبد الله وحده كفرتم (وإن يشرك به) أى يعبد سواه (تؤمنوا) بذلك المعبود الآخر (هو) جل شأنه (الذى يرزقكم من السماء رزقاً) دلائل قدرته ووحدايته (ويوزل لكم من السماء رزقاً) مطراً ؛ لأنه سبب للرزق

(وما يتذكر إلا من ينيب) يرجع إلى الله ، ويقطع عن الكفر والعصيان (فادعوا الله) عبدها أيها المؤمنون (مخلصين له الدين) أي مخلصين له وحده الطاعة والمادة من كل شائبة ؛ فقد علمت ما سيحيق بالكافرين (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (رفيع الدرجات) أي عظيم الصفات ، أوراغ درجات المؤمنين : في الدنيا ، وفي الجنة (ذو العرش) أي ذو الملك : صاحبه ، ومالكة ، وخالقه (يلقي الروح من أمره) أي يلقى الوحي بأمره (على من يشاء من عباده) الذين اصطفاهم لرسالته (لينذر) بما ينزله عليهم (يوم التلاق) يوم القيامة ؛ ففيه يلتقي الأولون والآخرون ، وأهل السموات وأهل الأرضين (يوم هم بارزون) ظاهرون ؛ لا بظواهرهم وأشكالهم غيب ، بل بأعمالهم وخوافيهم (لن الملك اليوم) يقول ذلك الملك الجليل ؛ ويجب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) أو تقول ذلك الملائكة ، وتجب عليه سائر الملائق لأنهم وجنهم ، مؤمنهم وكافرهم (اليوم تجزي كل نفس بما كسبت) بما عملت (وأنذرهم) يا محمد (يوم الآزفة) يوم القيامة ؛ وسميت آزفة: لقربها (إذ القلوب لدى الحناجر كاطنين) أي لاتهم - من شدة فرعهم ورعبهم - تصعد قلوبهم إلى حناجرهم ! (ما للظالمين من حميم) أي صديق مخلص ؛ يدفع عنهم العذاب (يعلم خائنة الأعين) أي استراق النظر إلى ما لا يحل (وما تخفي الصدور) أي ماتكنه من خير وشر ؛ أو يعلم استراق النظر إلى الأجنبية ، وما تخفي الصدور من التفكير في جاهها ، والرغبة في نيلها ؛ في حين لا يعلم نظرتة وفكرته من بخصرتة ؛ والله يعلم بذلك كله (والله يقضي) في الدنيا والآخرة (الحق) الكامل المطلق (والذين يدعون) أي يعبدونهم (من دونه) غيره (لا يقضون بشيء) أصلا ؛ لأنها

وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٦﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٧﴾ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يَلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٩﴾ الْيَوْمَ يُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسَبٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿٢١﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٣﴾

* أَوْلَىٰ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا

جادات لانستطيع القضاء بالحق ولا بالباطل ؛ فكيف تعبد من دون الله وهذا حالها ؟ ! (كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض) فقد كانت لهم المصانع ، والقصور ، والحصون وغير ذلك . وهامى أهرامهم ، ومعابدهم ، ودورهم ، وقبوم ، ونصبهم ، وتمثالهم ؛ كل ذلك يشهد بأنارهم التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم ، والتي لم تصل أخبارها إلى نبيه الصادق عليه الصلاة والسلام ؛ فكانت إحدى معجزاته البينات !

فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ
 مِن وَّاقٍ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
 فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٠٢﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
 وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿١٠٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ
 بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
 وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٠٥﴾
 وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿١٠٦﴾
 وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُكَبِّرٍ
 لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٠٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ
 فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ
 وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ

(فأخذهم الله) أهلكهم (وما كان لهم من
 الله) أى من بطشه وعذابه
 (من واق) حافظ يقيهم بأسه وعذابه

(وسلطان مبين) برهان ظاهر؛ يتسلط على
 الأبصار، والأسماع، والأذهان؛ وهى
 المعجزات الظاهرية (فلمسا جاءهم بالحق من
 عندنا) أى بالكتاب الحق؛ وهو التوراة.
 أو بتوحيد الله تعالى، والأمر بطاعته
 (واستحيوا نساءهم) استبقوهن للخدمة أو
 افطوا بهن ما يحل بالحياء (وما كيد الكافرين
 إلا فى ضلال) خسرات وهلاك (وقال
 فرعون) لقومه (ذرونى) دعونى واتركونى
 (أقتل موسى وليدع ربه) حيثذ لينصره
 منى، ويمنعه من القتل إن كان صادقا.
 (وقال موسى لنى عذت) التجأت واعتصمت
 (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) قيل: ابن
 عمه (يكتم إيمانه) عن فرعون وشيعته؛
 خشية أن يقتلوه (وقد جاءكم بالبينات) الآيات
 الواضحات، والمعجزات الظاهرية (وإن يك
 كاذبا) فيما يقول

(فعلية كذبه) أى عليه وحده إثم كذبه ؛ لا عليكم (وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم) من العذاب

(إن الله لا يهدى من هو مسرف) الإسراف :

تجاوز الحد فى كل شىء (ظاهرين) عالين

(فن ينصرنا من بأس الله) عذابه وبطشه

(قال فرعون) لقومه (ما أرىكم إلا ما أرى)

أى ما أشير عليكم إلا بما ارتضيته لنفسى (وقال

الذى آمن يا قوم لئن أخاف عليكم مثل يوم

الأحزاب) أى مثل اليوم الذى أنزل فيه الله

تعالى العذاب على الأقوام الذين تعزبوا على

أنبيائهم (مثل داب) مثل عادة (قوم نوح

وعاد وثمود والذين من بعدهم) ممن كذبوا

أنبياءهم ؛ فعذبهم الله تعالى عذاباً شديداً فى

الدنيا ، وأخذهم بكفرهم وتكذيبهم (ويا قوم

لئن أخاف عليكم يوم التناد) يوم القيامة .

وسمى بذلك لأنه ينادى فيه على الخلائق :

«واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب...»

ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ... ونادى

أصحاب الأعراف رجلاً ... ونادوا أصحاب

الجنة ... ونادوا يامالك» (مالك من الله من

عاصم) يعصمكم من عذابه (ولقد جاءكم يوسف

من قبل بالبينات) بالحجج القاطعة الظاهرة ؛

كقوله عليه السلام : «أرباب متفرقون خير

أم الله الواحد القهار» (حتى إذا هلك)

مات (كذلك) أى مثل الإضلال الذى وقع

على الكافرين بالأنبياء ، وما أنزل عليهم من

آيات بينات (يضل الله من هو مسرف)

فى الكفر والعصيان (مرتاب) شاك فيما جاءه من المعجزات .

فالكفر ، والارتياب : سابقان للإضلال ؛

وإضلال الله تعالى لا يكون إلا نتيجة للإصرار على الكفر ، والتسك بالكذب ، وطرح تفهم الآيات ،

والنظر فى الدلالات جانبياً ؛ و «كذلك يضل الله الكافرين»

كذبهٓ وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم١٥ إن
الله لا يهدى من هو مسرف كذاب١٦ ينقوم لكم
الملك اليوم ظهيرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس
الله إن جاءنا قال فرعون ما أرىكم إلا ما أرى وما
أهدىكم إلا سبيل الرشاد١٧ وقال الذى آمن ينقوم
لئن أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب١٨ مثل داب قوم
نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلياً
للعباد١٩ وينقوم لئن أخاف عليكم يوم التناد٢٠
يوم تولون مدينين ما لكم من الله من عاصم ومن
يضلل الله فسا له من هاد٢١ ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى
إذا هلك قلتم لن نبعث الله من بعده رسولاً كذلك
يضل الله من هو مسرف مرتاب٢٢ الذين يجادلون فى

(الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان) حجة أو برهان (كبر مقتاً) عظم بفضاً (كذلك) أى مثل ذلك الإضلال الواقع على من كفر وجر (يطبع الله) يحتم وينطق (على كل قلب متكبر جبار) فالتكبر والتعجب : سابقان على طبع الله وخشمه «على كل قلب متكبر جبار» وقد أراد الله تعالى أن يرينا

الجزء الرابع والعشرون

٥٧٦

مثلاً للتكبرين والتعجبين ، المسرفين المرتابين الكاذبين ؛ المستحقين للاضلال والإذلال ، والتنظية والتعمية ؛ وهل بعد تكبر فرعون من تكبر ؟ وهل بعد إسرافه في الكفر من إسراف ؟ (وقال فرعون) لوزره (ياها مان ابن لي صرحاً) قصرأ عالياً (أسباب السموات) أى أبوابها ، أو طرقها ، أو ما يؤدى إليها . ولعل العيين قد طلب من وزيره ما يفعله الآن بعض الملأعين ؛ من عمل صواريخ يزعمون الوصول بها إلى الكواكب والسموات ؛ وهيئات هيئات لما يتوهمون ! (انظر آية ٦١ من بسورة الفرقان) (فأطلع) انظر (ولأن لأظنه) أى أظن موسى (كاذباً) فيما يزعمه : من أن له إلهاً واحداً (وكذلك زين لفرعون سوء عمله) عقوبة له على تماديه في الكفر ، وطرحه ما ظهر له من الآيات والمعجزات وراء ظهره (وصد عن السبيل) منع عن الإيمان ؛ لأنه منع عقله عن التدبر ، وقلبه عن التبصر ؛ وحارب ربه ، وقاتل رسوله ، وقتل مخلوقاته ، وادعى الربوبية ، وقال : « ما علمت لكم من إله غيري » فحق عليه غضب الله تعالى : فأصمته عن الاستماع ، وصدته عن سبيل الإيمان ؛ عقوبة له على غيبه وبغيه ! (وما كيد فرعون إلا في تباب) خسار ، وهلاك (إنما هذه الحياة الدنيا متاع) أى تمتع لا يلبث أن يزول (وإن الآخرة هي دار القرار) دار البقاء والاستقرار (يرزقون فيها بغير حساب) رزقا واسعاً ؛ لا حد له ، ولا انتهاء ! (وياقوم مالك أدعوك إلى النجاة) أى إلى الإيمان ؛ وهو الطريق الموصل إلى النجاة من النيران (وتدعونني إلى النار) أى إلى الكفر الموصل إلى الجحيم ، والعذاب الأليم

ءَايَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَنَ أَنْتُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٥٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُنْ أَبْنِي لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٥٨﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَىٰ آلِهِ مَوْجِيءً وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقْرَأُ آمِنًا أَلَمْ يَكُنْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٦٠﴾ يَقْرَأُ إِنَّمَا هِيَ هِيَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٦١﴾ مَنْ عَمِلْ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرْنَا وَأَنْتُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٢﴾ * وَيَقْرَأُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٦٣﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ

إلى

إلى (إلا في تباب) خسار ، وهلاك (إنما هذه الحياة الدنيا متاع) أى تمتع لا يلبث أن يزول (وإن الآخرة هي دار القرار) دار البقاء والاستقرار (يرزقون فيها بغير حساب) رزقا واسعاً ؛ لا حد له ، ولا انتهاء ! (وياقوم مالك أدعوك إلى النجاة) أى إلى الإيمان ؛ وهو الطريق الموصل إلى النجاة من النيران (وتدعونني إلى النار) أى إلى الكفر الموصل إلى الجحيم ، والعذاب الأليم

(وأنا أدعوك إلى) عبادة (العزير) القادر المتندر ، الخالق الرازق (الفار) الذي يغفر الذنوب جميعاً ، ويغفر عن السيئات (لاجرم) حقاً ، لا محالة (أن ما تدعوني إليه) لأعبده (ليس له دعوة) أى لا يستطيع

استجابة دعوة (في الدنيا) بأن يحفظه أو يكلأه ،

أو يرزق ، أو يشقى (ولا في الآخرة) بأن

يشقى ، أو ينعم ، أو يغفر ، أو يرحم (وأن

مهدنا) مرجعنا جميعاً (إلى الله) فيجزينا على

إيماننا خير الجزاء ، ويعاقبكم على كفركم أشد

العقاب (وأن المسرفين) المتجاوزين الحد

بكفرهم (فستذكرون ما أقول لكم) حين

ترون العذاب بأعينكم ، وتحسونه بمسومكم ؛

حيث لا ينفع الندم ، ولا يجدى الاستغفار

(فوقاه الله سيئات ما مكروا) وقاه تديريهم

لقتله ، ومكرمهم لإيذائه (وحاق) نزل (بال

فرعون سوء العذاب) أشده وأقبحه ؛ وهو

(النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) صباحاً

ومساء . والمراد به استمرار العذاب ؛ وذلك

في الدنيا : يعذبون في قبورهم ؛ وهو دليل على

عذاب القبر ؛ وهو واقع لا محالة بأهل الكفر

والضلال ؛ وقد استعاذ منه سيد الخلق صلوات

الله تعالى وسلامه عليه (ويوم تقوم الساعة)

يقول العزيز الجبار للملائكة (أدخلوا آل

فرعون) هو ومن تبعه (أشد العذاب) في

جهنم وبئس المهادا (وإذ يتحاجون)

يتخاصمون (فيقول الضعفاء) الأنباع (للذين

استكبروا) لرؤسائهم (فهل أأنتم مفنون)

دافنون (عنا نصيباً من النار) جانباً منها

(إن الله قد حكم بين العباد) ولا منقب لحكمه ،

ولا راد لفضائه (بالبينات) بالمعجزات الظاهرات ، والآيات الواضحات (قالوا بلى) نعم جاءتنا رسلنا

(قالوا) أى قال خزنة جهنم للكافرين (فادعوا) ربكم ما شئتم أن تدعوه ؛ فلن يستجيب لكم

إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٥٧﴾ لَاجِرِمَ أَمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ

لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ

وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٥٨﴾ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ

لَكُمْ وَأَقْرُؤُا أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٥٩﴾

فَوَقَّاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا كَمَرُوا وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ

الْعَذَابِ ﴿٦٠﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ

تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٦١﴾

وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعُفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْجُونَ عَنَّا نِصِيًّا مِنَ النَّارِ ﴿٦٢﴾

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدَّ حَكْرَ بَيْنَ

الْعِبَادِ ﴿٦٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا

رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٦٤﴾ قَالُوا أَوْ لَرَّبِّكَ

تَأْتِيكَ رُسُلُكَ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا

(وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) خسار وضياع (ويوم يقوم الأشهاد) الشهداء ؛ وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ وذلك يوم القيامة (ولقد آتينا موسى الهدى) المعجزات التي تهدي من رآها ، والنوراة

الجزء الرابع والعشرون

٥٧٨

التي تهدي من قرأها (وأورثنا بني إسرائيل الكتاب) التوراة (هدى) ليهتدوا بما فيها (وذكرى) تذكرة (لأولي الأبواب) ذوى العقول (فاصبر) يا محمد على أذام (إن وعد الله) بنصر أوليائه ، وكبت أعدائه (حق) واقع لا محرة فيه (واستغفر لذنبك) ليكون استغفارك سنة لأمتك (وسبح بحمد ربك) أى داوم على التسبيح . وأفضل التسبيح : «سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم» وقيل : المراد بالتسبيح : الصلاة ؛ لأنها مشتملة عليه (بالعشى والإبكار) فى المساء والصبح (إن الذين يجادلون فى آيات الله) قرآنه (بغير سلطان أتاهم) بغير حجة ، ولا برهان ؛ على صدق مجادلتهم وم حاجتهم (إن فى صدورهم إلا كبر) أى ما فى صدورهم إلا تكبر عليك ، وطمع أن تملو مرتبتهم على مرتبتك (مامم بيا فيه) أى مامم بيا لى أثر هذا الكبر ؛ وهو الارتفاع والاستعلاء عليك ؛ بل هم فى أسفل سافلين ، فى الدنيا ويوم الدين (فاستعذ بالله) الجأ إليه من مكرم وأذام (إنه هو السميع) لقولك وأقوالهم (البصير) بحالك وحالم (لخلق السموات) وما فيها من الكواكب والمخلوقات (والأرض) وما فيها وما عليها (أكبر من خلق الناس) وإعادتهم للحساب والجزاء يوم القيامة (وما يستوى الأعمى والبصير

والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء) أى كما أنه لا يستوى الأعمى والبصير : فإنه لا يستوى المؤمن والكافر ، والطائع والعاصى (إن الساعة) القيامة (لآتية لا ريب فيها) أى لا شك فى إتيانها

دَعْوَا الْكٰفِرِيْنَ اِلَّا فِى ضَلٰلٍ ﴿٥٧٨﴾ اِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُوْمُ الْاَشْهَادُ ﴿٥٧٩﴾
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّٰلِمِيْنَ مَعٰذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعٰنَةُ وَلَهُمْ
سُوْءُ الدَّارِ ﴿٥٨٠﴾ وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسٰى الْهُدٰى وَاُوْرثْنَا
بَنِيْ اِسْرٰءِيْلَ الْكِتٰبَ ﴿٥٨١﴾ هُدٰى وَذِكْرٰى لِاُولٰٓئِ
الَّذِيْنَ لَا يَصْبِرُوْنَ اِلَّا قَلِيْلًا ﴿٥٨٢﴾ اِنَّا نَسْتَفِيْزُ لَدُنْكَ
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْاِبْكَارِ ﴿٥٨٣﴾ اِنَّا لَنَدَّبُوْنَ
مُجَادِلُوْنَ فِىْ ءَايٰتِ اللّٰهِ بِغَيْرِ سُلْطٰنٍ اٰتٰهُمْ اِنْ فِىْ صُدُوْرِهِمْ
اِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبٰلِغِيْهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللّٰهِ اِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ
الْبَصِيْرُ ﴿٥٨٤﴾ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ اَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ
النَّاسِ وَلٰكِنْ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ ﴿٥٨٥﴾ وَمَا يَسْتَوِي
الْاَعْمٰى وَالْبَصِيْرُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَلَا
الْمُسِيْءُ ﴿٥٨٦﴾ قَلِيْلًا مَّا تَذْكُرُوْنَ ﴿٥٨٧﴾ اِنَّا لَنَسُوْا لآتِيَةً لَّا رَيْبَ

فيها

﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ أى سلوني أعطكم . وقيل : «ادعوني» أى اعبدوني «أستجب لكم» أجب ما تطلبونه من حوائج الدنيا والآخرة !

ولو أن الداعي حين يدعو ربه - القادر القاهر - يكون واثقاً بما عنده ؛ وثوقه بما عند نفسه ؛ لما أبطأت إجابته ، وسعت إليه حاجته ، وكان طلبه رهن إشارته ، ووفق رغبته ! فانظر - هداك الله تعالى ورعاك - لى إبراهيم عليه الصلاة والسلام : يضع أهله وذريته فى مهمة قفر ؛ حيث لا كلاً ولا ماء ، ولا إنس ولا أنيس ؛ فيدعو ربه : واثقاً بما عنده : «ربنا لئنى أسكنت من ذريتى بواد غير

٥٧٩

سورة طه

ذى زرع . . . فاجعل أئمة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات» فهوت إليهم أئمة كثيرة من الناس من سائر الأقطار ؛ وحلت المطعومات والثمار ؛ من كل صوب وحذب ؛ فطمعوا قبل أن يطعمها زارعوها وحاملوها ! أليس هذا من صنع واسع العطاء ، يجب الدعاء ١٤ (انظر آية ١٨٦ من سورة البقرة) (داخرين) أذلاء صاعرين (لنسكنوا فيه) ترأخوا وتناموا (والنهار مبصراً) تبصرون فيه ما تريدون ، وتمسلون فيه ما ترغبون (ذلكم) الخالق للسموات والأرضين ، المالك ليوم الدين ، المستجيب للداعين ، الجاعل الليل سكناً وراحة للنامين ، والنهار مبصراً للمشغلين والعالمين (ذلكم) هو (الله) رب العالمين (خالق كل شيء) مدع الكائنات وما فيها ومن فيها ، وخالق كل ما أحاط به علمكم ، ومالم يحيط به ، وما خطر فى أذهانكم ، ومالم يحظر لكم على بال (لا إله إلا هو) وحده ؛ واجب الوجود ، والعبودية (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عن معرفته ؛ وقد ظهرت لكم الحجج على وحدانيته ؟ وعن عبادته ؛ وقد بانت لكم الدلالات على قدرته ؟ (كذلك) أى كما صرقتم عن الحق الواضح ، وعن معرفته

فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٦﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ
 ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
 سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿١٨٧﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
 آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارُ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
 النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٨٨﴾ ذَلِكَ اللَّهُ
 رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُؤْفَكُونَ ﴿١٨٩﴾
 كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١٩٠﴾ اللَّهُ
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ
 فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ
 فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩١﴾ هُوَ الْحَىُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾
 * قُلْ إِنى نُهيتُ أَنْ أعْبُدَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 لَمَّا جَاءَنِ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِربِّ

تعالى ؛ مع قيام الأدلة والبراهين على ألوهيته (يؤفك) يصرف (الذين كانوا بآيات الله) كتبه ، ودلائل ربوبيته (يجحدون) يجحدون بها ، ولا يلتفتون إليها ، ولا يتدبرونها (الله الذى جعل لكم الأرض قراراً) مستقراً لكم ؛ حال حياتكم ، وبعد مماتكم (والسما بناء) سقفاً ثابتاً ؛ لا يزول ، ولا يحول (ذلكم) الذى جعل الأرض قراراً لكم ، والسما بناء فوقكم «وصوركم فأحسن صوركم» ورزقكم ما عمله يديه ، ولم عمله أيديكم ، وأسبغ عليكم نعمه بفضله لا بسميكم «ذلكم» (الله ربكم فتبارك الله رب العالمين . هو الحى) الباقى على الدوام ، السامع لذاتكم ، المحيى لذاتكم (لا إله إلا هو) ولا معبود سواه (فادعوه) اعبدوه (مخلصين له الدين) صادقين فى عبادته ، لا تشركون فى طاعته ومحبته ! ومن الشرك الخفى : أن تفضل =

== دنياك على دينك ، وأن تحب مالك أكثر من مالك ! (الحمد لله رب العالمين) أن وهبك الإيمان ،
وهماك بالقرآن ، ووفقتك إلى الإحسان ووفاك كيد الشيطان ! (هو الذي خلقكم من تراب) أى خلق أبائكم

الجزء الرابع والعشرون

٥٨٠

آدم منه (ثم من نطفة) منى (ثم من علقه) منى
واحدة الحيوانات الصغيرة التي ثبت وجودها
بالبني . وقيل : العلقه : قطعة دم غليظ (ثم لتبانوا
أشدكم) تكامل قوتكم . وهو من ثلاثين إلى
أربعين سنة . (انظر آية ٢١ من الذاريات
(ومنكم من يتوفى) يستوفى أجله فيموت (من
قبل) أى قبل بلوغ الأشد والشيخوخة (ولتبانوا
أجلا سمي) وقتا معدوداً : هو انتهاء آجالكم
(وللكم تغفلون) دلالات التوحيد التي بسطناها
لكم ، وهياناً أذهانكم لقبولها (فإذا قضى
أمرها) أى أراد فعله وإيجاده (فإنما يقول له
كن فيكون) هو تقرب لأهملنا ؛ والواقع
أنه تعالى إذا أراد شيئاً : كان بغير اختصار للفظ
« كن » (ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات
الله) القرآن (أنى يصرفون) كيف يصرفون
عنها ؛ مع وضوحها وإيجازها (ثم في النار
يسجرون) أى تلاء بهم النار ؛ وهو من سجر
التنور : إذا ملاء بالوقود « وأولئك هم وقود
النار » أو « يسجرون » يوقدون بها (قالوا
ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا (بل لم تكن ندعو
نعبد) كذلك (أى مثل إضلال هؤلاء المكذبين
(يضل الله الكافرين) الماندين لله ، المكذبين
لرسله ، المنكرين لكتبه (ذلكم) العذاب
الذي تمذبه في الآخرة (بما كنتم تفرحون
في الأرض بغير الحق) باللهو والعصيان ؛ وذلك

الْمَلَائِينَ ﴿٥٨٠﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ
لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِنَبْلُغُوا
أَجْلاً مَسْمُومًا وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٨١﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٨٢﴾ أَلَمْ
تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصَرَّفُونَ ﴿٥٨٣﴾
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآلِ كِتَابِنَا وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٥٨٤﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ
يُسْحَبُونَ ﴿٥٨٥﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٥٨٦﴾
ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنَّى كُنْتُمْ تُسْرَكُونَ ﴿٥٨٧﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا
ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَوْ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ
يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٥٨٨﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٥٨٩﴾ ادْخُلُوا

أَبْرَبَ

لأن السارق يفرح بسرقة ، والزاني يفرح بزناه ، والباغي يفرح بغيه ، والظالم يفرح بظلمه . أما الفرح
بالطاعات ، وبما أحله الله : فهو من عموم الباحات ؛ التي يثاب عليها ! (وبما كنتم تفرحون) الفرح :
التوسع في السرور والفرح . ويطلق أيضاً على البطر

أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا قَبَسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٥٦﴾
 قَاصِرِينَ وَإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ
 أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ
 قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ
 عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا
 جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَضَى بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾
 اللَّهُ الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِيُرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا
 تَأْكُلُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَكِنْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً
 فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَاحِ تَحْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَيُرِيكُمْ
 فِي أَنْبِيَاءِهِ فَايُّ آيَاتِ اللَّهِ تُشْكِرُونَ ﴿٦١﴾ أَقَلَّمْ بِسُرُورًا
 فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ قَتَا
 اغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ

(مشوى) مقام (فإما نرينك بعض الذي نعدهم)
 فإن نرينك بعض مانعدهم به من العذاب (فإلينا)
 بعد موتهم (يرجعون) فتعاقبهم بما عملوا ،
 ونأخذهم بما ظلموا (منهم من قصصنا عليك)
 نبأهم في هذا القرآت (وما كان لرسول)
 ما حق ، وما جاز لأى رسول ممن أرسلنا من
 رسلنا (أن يأتى بآية) معجزة من عند نفسه
 (فإذا جاء أمر الله) يوم القيامة (فضى) بين
 الناس (بالحق) المطلق ؛ الذى لا تشوبه شائبة
 (وخسر هنالك) في الآخرة (المبطلون)
 الكافرون (الأنعام) الإبل (ولكم فيها منافع)
 في نسلها ، ووبرها ، وشعرها ، وألبانها
 (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) هي الأسفار
 وحمل الأثقال (وعليها وعلى الفلاح) أى على
 الأنعام في البر ، وعلى السفن في البحر (تحملون)
 فيالها من نعمة لا يحيط بها وصف ، ولا يوفىها
 شكر : ذل لنا ما نركب في البر والبحر ،
 وسخر لنا الحيوان والجماد . اللهم أعنا على
 القيام بواجب شكرك ، ولا تجعل هذه النعم
 استدرجاً لنا ، وامتعاناً لإيماننا ؛ بفضلك
 ومنك يا أرحم الراحمين (ويريكم) الله (آياته)
 الدالة على وحدانيته ، الموصلة إلى جنته !

(ينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الكفار ؛ الذين اتفقنا منهم وأهلكناهم ، وقطعنا دابرهم ؛
 وقد (كانوا أكثر منهم) عدداً (وأشد قوة) وعدة (وآثاراً في الأرض) مما بنوه من قصور ، وآثار ،
 وقبور ، وكنوز (فاغنى) أى لم يغن عنهم ما كانوا يكسبون) يعملون في الدنيا

(فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الظاهرات ، والمجج الواضحات (فرحوا) أى فرح الكفار
 (بما عندهم من العلم) الذنبوى «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا» وقيل : فرح الرسل بما عدوه من ربهم :
 الجزء الرابع والعشرون ٥٨٢

من نصرتهم وخذل الكافرين (وحاق) نزل
 (بهم ما كانوا به يستهزئون) أى حل بهم
 العذاب الذى كانوا يستهزئون به ، وشكروا
 وقوعه (فلمس رأوا بأسنا) شاهدوا عذابنا
 الموعود (قالوا آمنا) حيث لا ينفع الإيمان
 وقتئذ (سنة الله) طريقته وعادته (التي قد
 خلقت) مضت (في عباده) السابقين (وخسر
 هنالك) وقت نزول العذاب (الكافرون)
 خسروا حياتهم الدنيا بلوت ، وحياتهم
 الأخرى بالجهنم !

بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ
 مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٨﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا
 آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّثَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٥٩﴾ فَلَمْ
 يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَبَّ اللَّهُ الَّذِي قَدْ
 خَلَقَ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَاكَ الْكَافِرُونَ ﴿٦٠﴾

(٤١) سورة فضلت مكتبة

وأياها : نزلت بعد غافر

(سورة فصلت)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَسْبُ ١ تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كِتَابٌ
 فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣
 بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤
 وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ وَإِذَا بَيْنَنَا

(حم) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
 (تنزيل) أى هذا القرآن «تنزيل» (من
 الرحمن الرحيم) بعباده : أرسل لهم الرسل ،
 وأنزل عليهم الكتب ، وأحاطهم بكل ما ينجيهم ،
 وهياً لهم أسباب الإيمان واليقين (كتاب)
 هو القرآن (فصلت آياته) بينت ؛ بما احتوته
 من أحكام ، وأوامر ، ونواه (بشيراً) لمن اتبعه
 بالجنة (ونذيراً) لمن خالفه بالنار (فأعرض
 أكثرهم) عن سماع هذا الكتاب وتدبره (فهم لا يسمعون) سماع تدبر (وقالوا قلوبنا في أكِنَّةٍ) أعطية

وقر

أعطية

(وفي آذاننا وقر) صمم (ومن بيننا وبينك حجاب) حائل ومانع ؛ يحول دون اتباعك ، وإعانتنا بما جئت به . ولم يكن ثمت مانع سوى عنادهم واستكبارهم (فاعمل) على دينك (إننا عاملون) على ديننا (فاستقيموا إليه) بالإيمان والطاعة (واستغفروا) عما فرط

منكم ؛ ليصلح دنياكم وآخرتكم (وويل للمشركين . الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) عبر تعال عمن لا يؤتي الزكاة بالمشركين ، وأنه من الكافرين بيوم الدين . لأنه لو آمن بالجزاء ؛ لما بجل بالطاء ؛ فتدبر هذا أيها المؤمن (انظر آيتي ٢٥٤ من سورة البقرة ، و ١٤١ من سورة الأنعام) (غير ممنون) غير مقطوع (قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين) خلقها تعال في يومين ؛ ولو شاء لخلقها في أقل من لحة ؛ وذلك ليعلم خلقه التدبر والأناة (وتجملون له أندادا) شركاء ، ونظراء . والتد : التل (وجعل فيها رواسي) جبالا شامخات (وبارك فيها) بالماء ، والزرع ، والضرع ، والشجر ، والتمر (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها ، ومعايشهم ، وما يصلحهم (ثم استوى إلى السماء) قصد ووجه إرادته وقدرته إليها (وهي دخان) بخار مرتفع كالسحاب ؛ والمراد أنها لم تكن شيئاً مذكوراً (فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) هو على سبيل المجاز ؛ ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان ، وامثالهما ذلك الأمر : أنه تعالى أراد أن يكونها ؛ فلم يمتنع عليه ، ولم يصبر عليه خلقتهما ؛

وكانتا في ذلك كالأمر المطيع ؛ إذا أمره الأمر المطاع (فقضاهن) خلقهن (وزينا السماء الدنيا) السماء الأولى (بمصاييح) كواكب (وحفظاً) أي والكواكب فضلاً عن كونها زينة للسماء ؛ فهي أيضاً معدة لحفظها من الشياطين التي تسترق السمع (ذلك) الخلق ، والترين ، والحفظ (تقدير العزيز) القادر في ملكه ، القاهر في خلقه ، الغالب الذي لا يفلج

وَقَرَّوْ مِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٥٨٣﴾
 قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَوَالِكِ
 وَحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٥٨٤﴾
 الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَنُفَرُونَ ﴿٥٨٥﴾
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
 مَمْنُونٍ ﴿٥٨٦﴾ * قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ
 فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ إِندَادًا ۖ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٨٧﴾
 وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ تَحْتِهَا وَيَبْرُكُ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا
 أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لَيْلٌ ﴿٥٨٨﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ
 إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا
 أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٥٨٩﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ
 سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا
 السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۗ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

(العلم) بخلقه (فإن أعرضوا) عن الإيمان ؛ بعد ظهور بواعث الإيقان (فقل) لهم (أنذرتكم) أى أنذركم وأحذركم (صاعقة مثل صاعقة عاد وممود) أى عذاباً يهلككم ؛ مثل العذاب الذى أهلك عاداً وممود . والصاعقة : نار تنزل من السماء . وعاد : قوم هود . وممود : قوم صالح (إذ جاءتهم الرسل) فأفترتهم بالعذاب ، وحذرتهم من الكفر ؛ كما جنتكم وأفترتكم (جاءتهم الرسل) (من بين أيديهم ومن خلفهم) هو كناية عن كثرة الرسل ، وإحاطتهم بهم من كل مكان . أو المراد : تتابع الرسل عليهم ؛ متقدمين عنهم ومتأخرين . فكذبوهم ، وكفروا بهم (فأرسلنا عليهم رجماً صرصراً) عاصفة ، تصرصر فى هبوبها ؛ أى تصوت ، وهو من الصرصر (فى أيام محسات) مشثومات ؛ لوقوع العذاب فيها . أما سائر الأيام : فلا شؤم فيها ؛ لأنها تولد الشؤم من المعاصى ، وإتيان ما يفضى الله تعالى ، ويستوجب عقابه . (انظر آية ١٣١ من سورة الأعراف)

(ولعذاب الآخرة أخزى) أشد ، وأفدح ، وأفضح (وم لا ينصرون) لا يستطيع أحد أن يمنع وقوعه بهم (وأما مود فهديناهم) أى هديناهم سبل الهداية : بأن جعلنا لهم عقولاً بها يفقهون ، وأذناً بها يسمعون ، وأعيناً بها يبصرون ؛ وأعدناهم بذلك للرؤية ، والاستماع والتفهم ؛ ثم أرسلنا لهم الرسل ، وأبنا لهم طرق الرشء ، وحذرتهم من الوقوع فى شرك الشيطان ، والسقوط فى مهاوى الضلال (فاستجبوا لعنى على الهدى) أى فاختاروا - برغبتهم وميلهم - الكفر على الإيمان (العذاب المون) المهن (عما كانوا يكسبون) عما كانوا يعملون من المعاصى

الجزء الرابع والعشرون

٥٨٤

العلم ﴿١٣١﴾ فَإِن أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَمُؤَدِّ ﴿١٣٢﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ رَأَيْنَا رَبَّنَا لَأَنزَلْنَا بِمَلَكَةٍ فَمَا نَعْلَمُ بِهَذَا كَذِبُونَ ﴿١٣٣﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَّلَ رِوَافٍ إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٣٤﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابِ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٣٥﴾ وَأَمَّا مُؤَدِّ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَجَبُوا لَعَنَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَآخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ عَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣٦﴾ وَجِئْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣٧﴾ وَيَوْمَ نُجْشِرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُرْوَعُونَ ﴿١٣٨﴾

يُرْوَعُونَ ﴿١٣٨﴾

طرق الرشء ، وحذرتهم من الوقوع فى شرك الشيطان ، والسقوط فى مهاوى الضلال (فاستجبوا لعنى على الهدى) أى فاختاروا - برغبتهم وميلهم - الكفر على الإيمان (العذاب المون) المهن (عما كانوا يكسبون) عما كانوا يعملون من المعاصى

(فهم يوزعون) يساقون بكثرة إلى النار؛ بحيث يحبس أولهم على آخرهم (حتى إذا ما جاءوها) أي جاءوا القيامة، أو جاءوا الجحيم (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) يشهد «سمعهم» بما سمع من الضية «وأبصارهم» بما رأيت من الحرام «وجلودهم» بما ارتكبت من زنا؛ لأن المراد بالجلود: الفروج. والتعبير عن الفروج بالجلود: من الكنايات الدقيقة؛ ولا فأى ذنب تأتبه الجلود الحقيقية؛ إذا فسرها على ظاهرها؟ (وما كنتم تستترون) تستخفون من أنفسكم؛ خشيبة (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) وكيف يستخفي الإنسان بذنبه من أعضائه وهي ملتصقة به؟ أو كيف يستخفي بجرمته من جوارحه وهي أدواتها، والسبيل إليها؟ ولكنه لما كان هو المسيطر عليها، الدافع لها، المدير لارتكابها: كانت الإثم محطاً به، والعقاب واقعاً عليه. ولا أدرى كيف يعصى الله تعالى عاصيه، أو كيف يجحده جاحده؟ وهو مطلع عليه، وناظر إليه، وجوارحه يوم القيامة شاهدة عليه؟ وما أحسن قول القائل:

هل يستطيع جحود ذنب واحد

رجل جوارحه عليه شهود؟

(وذلك ظنكم الذي ظنتم بربكم) من أنه لا يراكم، وأنه «لا يعلم كثيراً مما تعملون» (أرداكم) أهلكم، وأوقمكم في النار (فأصبحتم من الخاسرين) وقد كان في استطاعتكم أن تكونوا ضمن الفائزين! (وإن يستعيبوا فاسم من المعتبين) أي وإن يطلبوا الرضا: فاسم من المرضيين. وذلك لأن العتاب من علام الرضا، والعتاب: مخاطبة الإدلال.

كما أن التوبيخ: مخاطبة الإدلال (وقبضنا) سخرنا وسلطنا (قرناه) أخذنا من الشياطين (وحق عليهم القول) وجب عليهم العذاب (في أمم قد خلت) قدمضت (والقوا فيه) أي شوشوا عليه بكلام ساقط؛ لا معنى له، ولا طائل وراءه

يُوزَعُونَ ﴿١٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ
وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ وَقَالُوا
لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٨﴾
وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٠﴾ فَإِنْ يَصْطِرُوا قَالُوا
مَتَىٰ لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢١﴾
* وَقَبِضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدِ خَلَّتْ مِنْ
قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ

لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا
 شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾
 ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ
 بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ تَجْعَلُهُمَا
 تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا
 تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٤٠﴾
 تَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ
 فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٤١﴾ زُلا
 مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا
 إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٣﴾
 وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ

(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) إلى طاعته وعبادته؛ وهو الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه !
 (ادفع بالتي هي أحسن) أي إذا أساء إليك مسيء : فأحسن إليه . أو «ادفع بالتي هي أحسن» : بالصبر
 عند الشدة ، والكظم عند الغضب ، والرفق عند القدرة !

(لكم تفلون) المؤمنين ؛ بهذا اللفظ
 والتشويش (وقال الذين كفروا ربنا أرنا
 الذين أضلنا من الجن والإنس) ها شيطاننا
 الجن والإنس ؛ فإن شيطان الجن يوسوس إلى
 بعض الناس بالمعصية ، ويوسوس إلى بعضهم
 بالإغراء عليها ، والإيقاع فيها ، وكثيراً
 ما يفوق شيطان الإنس شيطان الجن ؛ وهذا
 ظاهر : فإن من شياطين الإنس من يفوق
 يوسوسته وإغرائه شياطين الجن ؛ أعادنا الله
 تعالى منها بمنه ، وحنانا من كيدها بفضله !
 (انظر آية ١١٢ من سورة الأنعام) (إن
 الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) عملوا الصالحات
 وأقاموا على التوحيد ! (تنزل عليهم الملائكة)
 تنزل عليهم عند الموت ؛ فائلين لهم (الأتخافوا
 ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة) ولذلك يرى
 الميت الصالح ضاحكاً عند موته مستبصراً !
 وقيل : هذه البشرية في مواطن ثلاثة : عند
 الموت ، وفي القبر ، وعند البعث (نحن أولياؤكم)
 نصراؤكم . وهو قول المولود عز وجل . أو
 من قول الملائكة التي تنزل عليهم بأمر ربهم
 (ولكم فيها ما تدعون) ما تطلبون ، وما تتمنون
 (نزلاً) العزل : ما يعد للضيف من لآكرام

(فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) أى بسبب إحسانك لمن أساء إليك : يصير الذى بينك وبينه عداوة ؛ كالمصاحب المحب الخالص (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أى وما يلقى ، ووفق إلى هذه الخصلة الحميدة - التى هى مقابلة الإساءة بالإحسان ، والدفع بالتي هى أحسن - إلا أهل الصبر ، الذين لهم عند ربهم حظ عظيم ؛ إذ فازوا بجنته ، وحظوا بعينه «لأن الله مع الصابرين . . . وبشر الصابرين . . . والله يحب الصابرين . . . ولئن صبرتم لهو خير للصابرين» (ولما يترغك من الشيطان ترغ) الترغ : الإغراء . أى فان أغراك الشيطان على

ملا ينبغى ؛ من عدم الدفع بالتي هى أحسن ، ومقابلة الإساءة بأسوأ منها (فاستعذ بالله) الجأ إليه ، واطلب منه تعالى لإنجارك من كيدِه وشره ! فرب شرارة أذكت ناراً ، وكلمة أشعلت حرباً ؛ وكم رأينا من مجازر بشرية ؛ ضاع فيها كثير من الأنفس البريئة ؛ بسبب كلمة بسيطة ؛ كان علاجها شىء من الحلم ، وقليل من الكظم . وذلك من عمل الشيطان القوى المضل ! (ومن آياته) تعالى ؛ الدالة على قدرته ووحدانيته (الليل) وقد جعله لباساً ؛ لتسكنوا فيه (والنهار) مبصراً ؛ لتبتغوا من فضله (والشمس) وقد جعلها ضياءً (والقمر) نوراً . خلق الله تعالى كل ذلك لكم ؛ ليدل به على وجوده، وجوده؛ فاتخذتم منها آلهة تعبدونها (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) فإنهما مخلوقان أمثالكم (واسجدوا لله) العبود ؛ واجب الوجود (الذى) خلقكم ، (وخلقهن) فكيف تعبدون الخلق ، وتقدرون أحسن الخالقين ؟ (فإن استكبروا) عن عبادة الرحمن ، وأصروا على اتباع الشيطان (فالذين عند ربك) من الملائكة عليهم السلام ؛ يعبدونه حق عبادته، (و يسجدون له) بزهونه ويقدمونه (بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون من عبادته تعالى ، وتزبيهِ وتقديسه

« يسجدون الليل والنهار لا يفترون » (ومن آياته) دلائل قدرته وعظمته وسلطانه (أنك ترى الأرض خاشعة) يابسة ؛ لا نبات فيها (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) تحركت بالنبات وانفتحت (إن الذى أحياها) بالإنبات ؛ بعد موتها بالجدب (لحي الموتى) يوم القيامة للحساب والجزاء (لأن الذين يلحدون فى آياتنا) أى يغيرون فى معانيها ، ويميلون بها عن الحق الذى نزلت به . أو «يلحدون فى آياتنا» دلائل قدرتنا ؛ التى قدمناها وسقناها ؛ من أنزال الماء ، وإحياء الأرض . بأن يقولوا : إن نزول الماء ، بواسطة الأنواء ، وطلوع النبات بطبيعة الأشياء (أفئن يلقى فى النار) بسبب كفره وعصيانه ، وإلحاده فى آيات الله تعالى (خير أم من يأتي آمنًا) من العذاب ؛ بسبب إيمانه ، وصالح عمله (اعملوا ما شئتم) هو غاية الإنذار والتهديد

أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٥٨٧﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٥٨٨﴾ وَإِنَّمَا يَتَرَفَعُ مِنَ الشَّيْطَانِ تَرَفٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥٨٩﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٥٩٠﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٥٩١﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٩٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا

(إن الذين كفروا بالذكر) القرآن (وإنه لكتاب عزيز) منبع ، جليل ؛ لا يعتره لغو ، أو تناقض (ما يقال لك) يا محمد ؛ من الطعن ، والسب ، والتكذيب (إلاما قد قيل) مثله (لرسل) الذين أرسلناهم (من قبلك) كنعان ، ولوط ، وإبراهيم ؛ عليهم السلام (إن ربك لدون مغفرة) لمن تاب وآمن (وذو عقاب أليم) لمن كفر وجحرا ! (ولو جئناهم قرآنا أعجمياً) الأعمية : هي كل لغة تخالف اللغة العربية (لقلوا) محجبين على

ذلك (لولا فصلت آياته) هلا بينت بالعربية حتى فهمها (أعجمي وعربي) أى أقرأت أعجمي ، يرسل إلى عربي ؟ (قل هو للذين آمنوا هدى) يهديهم إلى طريق البر والخير ، ويوصلهم إلى الرحمة ، والنعمة ، والمغفرة ، والعيم القيم (وشفاء) لهما في الصدور ! وأقسم بكل عين غموس : أن القرآن الكريم كم أذهب أسقاماً ، وأزال آلاماً ، وشفى صدوراً ، وأبرأ جسوماً ! وليس ينقص من قدره ، ولا يفاض من فضله : أن يتخذة أناس أداة للتكسب والاحتياال . وقد ورد أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يرقون اللدنيغ بأمر الكتاب : فيبرأ لوقتة ، ويقوم لساعته . وقد أقر الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك . فأتمم به من هدى ، وأكرم به من شفاء ! وهو فضلاً عن شفاة الأقسام والأوجاع ؛ فإنه يشفى كل من آمن به ؛ من الشك والريب (والذين لا يؤمنون) هو (ق آذانهم وقر) صمم (وهو عليهم عمى) يطمس قلوبهم ، ويعمي أبصارهم ويصارم (أولئك) الذين لم يؤمنوا بالقرآن ؛ وأصوا أسمعهم عن تلقيه ، وأعينهم عن رؤية ما فيه ، وقلوبهم عن فهم معانيه (ينادون) يوم القيامة (من مكان بعيد) ينادون بأسول الصفات ، وأقبح السمات : فضيحة لهم ، ولزراء بهم ، وتقيحاً لأفعالهم . أو هو تشبيه

تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكِنْتُبٌ عَرِيزُونَ ﴿٥٩﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٦٠﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُونِ مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦١﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٦٣﴾ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِمَآ وَمَا رَبُّكَ بِظَلِيمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٦٤﴾ * إِلَيْهِ رُجُوعُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ تَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ

أنتى

لعدم استماعهم للنصح في الدنيا ؛ كمن ينادى من مكان بعيد ؛ فلا يسمع النداء (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) كما اختلف في القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الجزاء والعقاب إلى يوم القيامة (لفضى بينهم) في الدنيا (ولأنهم لفي شك منه) أى في شك من القرآن (مريب) موقع في الرية (إليه) تعالى وحده (يرد) يرجع ؛ لا إلى أحد من خلقه (علم الساعة) معرفة القيامة ، ومعنى تقوم ؟ (وما تخرج من تمرات من أكمامها) أوعيتها ؛ قيل أن تنشق عن الثمرة

(ويوم يناديهم) أي ينادى المشركين ؛ قالوا لهم (أين شركائكم) الذين أشركتموهم معي في العبادة (قالوا آذنانك) أي أذنك (ما منا من شهيد) أي ما منا من أحد يشهد ، أو يقول : إن لك شركاء ؛ بعد أن عاينا ما عاينا . أو ما منا من أحد يشاهدكم الآت ويراهم ؛ حيث لانهم ضلوا عنهم (وضل عنهم) غاب (ما كانوا يدعون) يعبدون من الأصنام (وظنوا) تيقنوا أنهم (ما لهم من محيص) مهرب من العذاب (لا يسأم الإنسان) لا يمل (من دعاء الخير) من طلب المال والفاية (وإن مسه الشر) الفقر ، أو المرض (فيؤس قنوط) من رحمة الله تعالى ! واليأس والقنوط : ككفر (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي) أي لئن أذقناه عافية من بعد سقم ، أو غنى من بعد فقر ؛ ليقولن : هذا لي . أي هذا من حق ؛ استوجبه بقواي وصلاحي ، أو بقوتي واجتهادي . وهو في عداد المتكبرين ، وفي مقدمة المرائين (وما أظن) أن (الساعة فاعمة) كما زعم محمد (ولئن قامت كما يقول ، ورجعت إلى ربّي) يوم القيامة (إن لي عنده للحسنى) للجنة ؛ وهي الجزاء الحسن . وذلك لأن الكافر والمرائي يريان أنها أول الناس في الحياة الدنيا بالنعمة ، وأحقهم بالفاية ، وأنها أجدر الناس في الآخرة بالثواب والنعيم (ولإذا أنعمنا على الإنسان) بسعة وغنى (أعرض) عن الشكر والعبادة (ونأى بجانبه) تباعد عن فعل الخير (ولإذا مسه الشر) الفقر ، أو المرض (فدو دعاء مريض) أي دعاء كثير (قل أرايتم إن كان هذا القرآن (من عند الله) كما يقول محمد (ثم كفرتم به) كمالكم الآن (من أضل) أي لا أحد أضل (من هو في شقاق) خلاف في شأن القرآن وصحته (بيد) عن الحق والإيمان (سنريهم آياتنا) دلائل وحدانيتنا

وقدرتنا (في الآفاق) أقطار السموات ؛ وما فيها من كواكب وبروج ، وأنجم وأفلاك . وأقطار الأرض ؛ وما فيها من جبال وبحار ، ونبات وأشجار ، ومعادن وجواهر ، وغير ذلك (و سنريهم أيضاً آياتنا في أنفسهم) من بديع الصنعة ، ومزيد الحكمة ؛ وكيف أنشأناهم من ماء مهين ؛ فكانوا بشرأ وصهراً ! أو «سنريهم آياتنا في الآفاق» بفتح البلاد للمسلمين «وفي أنفسهم» بفتح مكة . أو آيات الآفاق : خراب ديار الأمم السابقة المكذبة ، وآيات النفس : الأمراض والبلايا (حتى يتبين لهم أنه الحق) أي القرآن ، أو الإسلام ، أو أن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم هو الرسول الحق (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) لهم أنه الحق ^١ أولم يكف بربك أنه على كل شيء

أنتى ولا تضع إلا بعبيده ويوم يناديهم أين شركاؤى
قالوا أذنتك ما منا من شهيد ^{١٧} وصل عنهم ما كانوا
يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص ^{١٨} لا يسقم
الإنسن من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤس
قنوط ^{١٩} ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته
ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت
إلى ربى إن لي عندم للحسنى فلننبتن الذين كفروا
بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ^{٢٠} وإذا
أنعمنا على الإنسان أعرض وظا بجانبه وإذا مسه
الشر فلدو دعاء مريض ^{٢١} قل أرايتم إن كان من
عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق
بيد ^{٢٢} سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى
يتبين لهم أنه الحق ^{٢٣} أولم يكف بربك أنه على كل

شيء شهيد ^{٢٤} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٢٥} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٢٦} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٢٧} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٢٨} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٢٩} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٣٠} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٣١} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٣٢} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٣٣} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٣٤} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٣٥} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٣٦} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٣٧} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٣٨} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٣٩} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٤٠} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٤١} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٤٢} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٤٣} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٤٤} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٤٥} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٤٦} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٤٧} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٤٨} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٤٩} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٥٠} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٥١} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٥٢} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٥٣} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٥٤} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٥٥} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٥٦} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٥٧} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٥٨} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٥٩} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٦٠} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٦١} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٦٢} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٦٣} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٦٤} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٦٥} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٦٦} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٦٧} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٦٨} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٦٩} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٧٠} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٧١} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٧٢} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٧٣} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٧٤} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٧٥} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٧٦} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٧٧} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٧٨} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٧٩} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٨٠} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٨١} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٨٢} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٨٣} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٨٤} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٨٥} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٨٦} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٨٧} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٨٨} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٨٩} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٩٠} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٩١} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٩٢} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٩٣} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٩٤} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٩٥} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٩٦} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٩٧} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٩٨} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{٩٩} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ^{١٠٠} أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد

شَيْءٍ وَشَيْءٍ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ
أَلَا إِنَّهُم بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝

(٤٢) سُورَةُ الشُّورَى مَكِّيَّةٌ
أَلَا الْآيَاتُ ٢٢ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٠ ٢٧ فَذُنُوبُهُ
وَأَيُّهَا ٥٢ نَزَلَتْ بَعْدَ فَضْلَتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ۝ عَسَىٰ ۝ كَذٰلِكَ يُرْوٰى اِلَيْكَ وَاِلٰى الَّذِيْنَ
مِن قَبْلِكَ اَللّٰهُ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ۝ لَهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ
وَمَا فِى الْاَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيْمُ ۝ نَكَدَ السَّمٰوٰتِ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ بِسُحُوْنٍ يَّحْمَدُوْنَ رَبَّهِنَّ
وَيَسْتَغْفِرُوْنَ لِمَنْ فِى الْاَرْضِ اَلَا اِنَّ اَللّٰهَ هُوَ الْغَفُوْرُ
الرَّحِيْمُ ۝ وَالَّذِيْنَ اَتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِهٖ اَوْلِيَاءَ اَللّٰهُ خَفِيْظٌ
عَلَيْهِمْ وَمَا اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرٰكِبٍ ۝ وَكَذٰلِكَ اَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ

و (أنه على كل شيء شهيد) مشاهد وعالم ،
وجاز عليه (ألا إنهم في مرية) في شك (من)
لقاء ربهم) ونوابه وعقابه ؛ يوم القيامة
(ألا إنه بكل شيء محيط) قدرة وعلماً .

(سورة الشورى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم - عسق) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(كذلك) أى مثل ما أوحينا لك كثير من
سبقك من الأنبياء (تكاد السموات يفتطرن
من فوقهن) أى يتشققن من ظلم العباد ،
وإدعائهم أن لله شريكاً وولداً (ويستغفرون
لمن في الأرض) من عصاة المؤمنين ؛
أما الكافرين فلا شفاعة لهم ، ولا استغفار
يقبل بشأنهم (إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن
ينفع الله لهم) (من دونه) غيره تعالى
(أولياء) يعبدونهم ويوالونهم (الله حفيظ
عليهم) أى حافظ لما يقولون ، وما يعملون ؛
فحاسبهم عليه

إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا تَنْذِرُ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا
 وَتُنذِرُ يَوْمَ الْجَمْعِ لَأَرْبَبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ
 فِي السَّعِيرِ ﴿٥٩١﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ
 يَدْخُلُ مِنَ الْبَيْتِ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَدِيِّ
 وَلَا نَصِيرٍ ﴿٥٩٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالَهُ هُوَ
 الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٩٣﴾
 وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ
 رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٥٩٤﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ
 أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ فِيهِ لِيَسَّ كَيْفِيَّةَ شَيْءٍ وَهُوَ السَّمِيعُ
 الْبَصِيرُ ﴿٥٩٥﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَنْسُطُ
 الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥٩٦﴾
 * شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا

(تنذر أم القرى) مكة ؛ لأنها أشرف البقاع ، ومنها انتشر الدين (ومن حولها) يشمل سائر
 الأرض ، وجميع الناس (وتنذر يوم الجمع) (وتنذر يوم الجمع) لأن
 أي تنذر بيوم الجمع ؛ وهو يوم القيامة ؛ لأن
 الخلائق تجتمع فيه للحساب والجزاء (لا ريب
 فيه) لا شك في حدوده وبعثه ؛ ويومئذ
 يكون الناس (فريق في الجنة) وهم المؤمنون
 (وفريق في السعير) وهم الكافرون (ولو شاء
 الله لجعلهم أمة واحدة) على دين واحد ؛ وهو
 الإسلام (ولكن يدخل من يشاء في رحمته)
 في جنته ونعمته ؛ لإيمانه بربه ، واستجابته
 لرسله (والظالمون) الكافرون (ما لهم من
 ولي) ينفعهم (ولا نصير) ينصرهم من الله
 ويدفع عنهم عذابه (أم اتخذوا) أي بل
 اتخذوا (من دونه) غيره (أولياء) وهم
 الأصنام (فإنه هو الولي) الحق ؛ الذي يهدي
 من يتولاه في دينه ، وينجي في أخراه
 (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله)
 أي إلى ما أنزل الله في كتابه ؛ من الصرائع
 والأحكام (ذلكم الله ربى عليه توكلت) في
 سائر أمورى (انظر آية ٨١ من سورة
 النساء) (وليه أُنِيب) أرجع في أمورى كلها
 (فاطر السموات والأرض) خالقها من غير
 مثال سبق (جعل لكم من أنفسكم أزواجا)
 لتسكنوا لايها (و) جعل (من الأنعام أزواجا)
 ذكرانا وإناثا ؛ لحفظ نسلها ، وتعام نفعها لكم
 (ينزركم فيه) يخلقكم ويكثركم ؛ بواسطة
 التزاوج (له مقاليد السموات والأرض) أي ملكهما . والمقاليد : المفاتيح ، أو الأبواب ، أو الخزائن
 (ويقدر) ويضيق (شرع) بين وأظهر (ما وصى به نوحا) ما شرعه لنوح عليه السلام ؛ وهو أول
 الأنبياء شريعة

(أن أقيموا الدين لله وحده (ولا تفرقوا) لا تختلفوا (كبر) عظم ، وشق (الله يجتبي) يختار (إليه) إلى معرفته ، وإلى دينه ، وإلى توحيده (ويهدى إليه من ينب) من يرجع إليه ، ويقبل على طاعته ، ويستمع إلى كلامه (وما تفرقوا) أي ما تفرق الناس في الدين ؛ فأمن بعضهم ، وكفر البعض الآخر (إلا من بعد ما جاءهم) جياً (العلم) بالله تعالى ، وبحقيقة

توحيده ، وصحة دينه ، وصدق رسله . وهو علم مسقط للمعذرة ، موجب للتكليف ؛ وإنما كان كفر الكافرين (بنيأ بينهم) ظلاماً واستلاء ، وطلباً للثألة . أو المراد بـ «العلم» الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه . قال تعالى : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » (انظر آية ٨٩ من سورة البقرة) (ولو لا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب (إلى أجل مسمى) وقت معلوم ؛ وهو يوم القيامة (لقضى بينهم) بتعذيب المكذبين ، وإهلاكهم في الدنيا (وإن الذين أورتوا الكتاب) أي نزل إليهم ، وورثوا علمه ؛ وهم اليهود والنصارى (لن يشك منه) من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (فذلك) الدين القيم والإله الواحد (فادع) الناس (ولا تتبع أهواءهم) لا ترضواهم الضغائن (وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب) علي ، وعلى الرسل السابقين (وأمرت لأعدل بينكم) في الحكم - إذا تخاصمت - وفي قسمة الثنأم ، وفي كل ما تختصمون إلى فيه (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي نحن نؤاخذ بأعمالنا ، وأنتم تؤاخذون بأعمالكم ؛ لا يؤاخذ أحدنا بعمل الآخر (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا حجة قائمة تمنعجون بها علينا ؛ وإنما هو عناد ومكابرة (الله يجمع بيننا) وبينكم يوم

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٠١﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنِعْمِ رَبِّهِمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِفُوا كَتَبَتْ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَفْسِكِ مِنْهُ مِزْجٌ ۖ فَلَذَلِكَ فَادَعُ ۖ وَسَأَسْفِهَمُ كَمَا أَمَرْتُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٠٢﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ جَحْتُهُمْ دَاخِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٣﴾

القيامة (وإليه المصير) فيئيب الطامع ، ويأخذ العاصي (والذين يحاجون) يحاصمون (من بعد ما استجيب له) أي بعد ما استجاب له الناس ، ودخلوا في دين الله تعالى أفواجا . أو من بعد ما قامت الحجج الظاهرة ، والبراهين القاطعة ؛ على وجوده تعالى ووحدانيته وبذلك وجبت الاستجابة له ؛ والإيمان به ! (جحتم داحضة) باطلة ساقطة

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
 لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿٥٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
 أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُبَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٥٨﴾
 اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ
 الْعَزِيزُ ﴿٥٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي
 حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ
 فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٦٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ
 مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
 حِندٌ رِيبِيَّةٌ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي

(الحق) بالصدق ، وأنزل (الميزان) أقام
 العدل ، وأمر به ؛ لأن الميزان: آلة الإنصاف
 والعدل . وربما أريد بالميزان : العقل ؛ لأن
 به توزن الأمور ، ويفرق بين الخير والشر ،
 والحق والباطل (مشفقون) خائفون (بمارون)
 يجادلون (الله لطيف بعباده) بالخاص من
 والطائع ، والكافر والمؤمن ؛ يرزق كلا
 النوعين ، ويمتص كلا الصنفين : لطف بأوليائه
 حتى عرفوه ؛ ولو لطف بأعدائه لما جحدوه!
 وإنما كان لطفه بهم من ناحية الرزق والحفظ
 (وهو القوى) على صراده (العزيم) الغالب
 الذي لا يغلب (من كان يريد حرت الآخرة)
 أى نوابها . لما كان العامل في هذه الدنيا
 كالزارع الذي خدم الأرض وسقاها : جعل
 جزاؤه ونوابه على عمله في الآخرة كالحرث
 (أم لهم) أى للمشركين (شركاء) آلهة
 (شرعوا لهم من الدين) ما لم يأذن به الله
 كالشرك ، ونسبة الولد إليه تعالى (ولولا كلمة
 الفصل) أى القضاء السابق بتأخير الجزاء ليوم
 القيامة (لفضى بينهم) بالقوة التي يستحقونها
 (ولان الظالمين) الكافرين (مشفقين) خائفين
 (بما كسبوا) من جزاء ما عملوا من المعاصي
 (وهو واقع بهم) أى نازل بهم العذاب ، الذي هو جزاء ما كسبوا

(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) أى لا أسألكم على التبليغ أجراً ؛ إلا أن تودوا قراباتهم ،
وتصلوا أرحامكم . وقيل : المراد بالقرابة : قرابة الرسول عليه الصلاة والسلام . وهو محدود ؛ لأن مودة
قرابة الرسول - ولو أنها فرض على كل مؤمن - فإنها تعتبر أجراً على التبليغ ، وسياق القرآن الكريم
يناق ذلك في سائر مواضعه . وقيل : «إلا المودة في القربى» . أى إلا أن تودوني وتكفوا عن لإذائتي ؛

لقرابتى منكم (ومن يقترف بكتسب حسنة)
طاعة (تزد له فيها) في أجرها (حسناً)
أى نضاعفها له (فإن يشأ الله يحتم على قلبك)
أى يربط عليه بالصبر على أذام ، وتكذيبهم
لك (إنه عليهم بذات الصدور) بمكنونات
القلوب (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده)
توبة العبد : هو أن يندم على ما ارتكبه من
الذنوب ، ويبيد ما فاته من الفرائض ، ويرد
ما اكتسبه من المظالم (ويستجيب الذين آمنوا
وعملوا الصالحات) أى يجيبهم الله تعالى إلى
ما يسألونه . واستجاب ، وأجاب بمعنى (وزيديم)
فوق مطلوبهم (ولو بسط الله الرزق لمياده
لبغوا في الأرض) أى لو أغنمناهم : لاستكبروا
وظلموا (ولكن ينزل الرزق بقدر) بتقدير
(ما يشاء) فيبسطه لأناس : يستحقون البسط ،
أولاً يستحقونه ؛ جديرون بالاكرام ، أو غير
جديرين به . ويقبضه عن أناس : يستوجبون
القبض ، أولاً يستوجبونه ؛ جديرون بالامتهان ،
أو غير جديرين به . وفي كلا الحالين : هو
الحكيم العليم ؛ الذى يعلم ما يصلح عباده ،
ومالا يصلحهم . جاء في الحديث القدسي : «إن
من عبادى من إذا أغنيته لفسد حاله ، ومنهم
من إذا أفقرته لفسد حاله» (إنه بعباده خير)
بما يصلحهم (بصير) بمجاهتهم ؛ أكثر من
إبصارهم لها ! (وهو الذى ينزل الغيث) المطر

يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن
يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٥٩٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن
بَشَّرَ اللَّهُ بِحَسَنَةٍ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ
الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥٩٥﴾ وَهُوَ
الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٩٦﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٥٩٧﴾ وَلَوْ سَئَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ
لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنزِّلُ قَدِيرًا مَّا يَسْأَلُونَ ۗ إِنَّهُ
بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٥٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنزِّلُ الْغَيْثَ مِن
بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۗ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٥٩٩﴾

ومِن

(من بعد ما قنطوا) أى من بعد بأسهم وقنوطهم من نزوله . وسمى المطر غيثاً : لأنه يغيث الناس من
الفقر والجوع . ولذا سمي الكلاً غيثاً : لأنه يغيث المشاية (وينشر رحمته) يبسط رزقه بالإنبات ؛
الذى هو نتيجة للمطر (وهو الولي) الذى ينصر أوليائه ، ويواليهم (الحميد) المحمود على أى حال :
في السراء والضراء ، والنعماء والبأساء !

(وما بث) فرق ، ونشر (فيهما) أى فى السموات والأرض (من دابة) الدابة : كل ما يدب على وجه الأرض: من لسان ، وحيوان ، وطائر ، ونحو ذلك . وقد يقال: هذا بالنسبة لما يدب على وجه الأرض؛ فما الذى يدب فى السموات ؟ والجواب على ذلك : إن كل ما علاك ؛ فهو سماء : فالكوكب ، والأنجيم ، والأفلاك : سموات ؛ والذى يدب فيها : هو ما يدب على أرض تلك السموات من سكان وأملاك ، لا يعلمها سوى بارئها سبحانه وتعالى ! (وما أصابكم من مصيبة) بلية ، وشدة ؛ فى المال ، أو فى الأهل ، أو فى

الجسم (فما كسبت أيديكم) من المعاصي (ويصفو عن كثير) ولولا عفوه تعالى ؛ لأحاط بكم البلاء من كل جانب ، ولحلت بكم الأرزاء من كل صوب ! (وما أنتم بمعجزين) بفائتين ، أو بغالين (وما لكم من دون الله) غيره (ومن آياته) الدالة على قدرته (الجوارى فى البحر كالأعلام) السفن التى تجرى فى البحر كالجبال (إن يشأ) تعالى (يسكن الریح) التى تدفع السفن ، أو يمنع خاصية الماء فى حملها؛ فيتخطى عما على ظهره (فيظللن رواكد) ثوابت لا تجرى (على ظهره) أو غرق فى قعره ! وهو أمر مشاهد محسوس ؛ فقد تكون سفينة من أضخم البواخر، وأقوى المواخر: فيدرکها أمر الجيار القهار ؛ فتنهار فى قعر البحار : بغير سبب ظاهر سوى إرادته ، ولا علة غير مشيئته ! وكيف تقوى على السير ؛ وقد تخلى عن حفظها القدير الحكيم !؟ وقد تكون سفينة أخرى من أخس المراكب ، وأحقر القوارب : تسير فى خضم الأمواج ، وسط العجاج ؛ كالسهم المارق ، وكالسيل الدافق ؛ وماذاك إلا يحفظ الحفيظ العليم ، الرحمن الرحيم ! (إن فى ذلك لآيات) دلالات على قدرته تعالى (لكل صبار) كثير الصبر على الطاعة ، وعن المصيبة ، وعلى البلاء الذى يقدره الله تعالى (شكور) كثير الشكر على ما يوليه المولى من

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلِيمٌ جَمِيعٌ إِذَا يَسَأُ قَدِيرٌ ﴿٥٩٥﴾ وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مَّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٥٩٦﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٥٩٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٥٩٨﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥٩٩﴾ أَوْ يُوقِنَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٦٠٠﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجْمَلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَخْرِجٍ ﴿٦٠١﴾ قَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَسَنَعُ الْحَيْزَةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٠٢﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٦٠٣﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا

فضله وأنعمه ! (أو يوقنن) يهلكن بالإغراق (بما كسبوا) بما عملوا من الذنوب (ماهم من محيص) من مهرب (فما أوتيتم من شيء) نعمة فى هذه الحياة (فتتاح الحياة الدنيا) الزائل القانى (وما عند الله) من نعيم الآخرة (غير) من متاع الحياة الدنيا (وأبقى) لأنه دائم ؛ لا انقطاع له أبداً (والذين يجتنبون كباثر الإثم) كباثر الذنوب (والفواحش) الذنوب الفاحشة : كالزنا ، والقتل . أو هى كل موجبات الحدود (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) أى إذا أغضبهم أحد : عفوا عنه ، وتجاوزوا عن ذنبه

(وأمرهم شورى بينهم) وصف تعالى المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم ؛ ليندل على أن أرقى النظم وأسماءها : هي النظم الديمقراطية ، وأن الاستبداد ، في الحكومات : ليس من نظام الدين ، ولا من شأن المؤمنين ؛ وأن الدول التي تسير بالنظم البرلمانية : هي أولى الحكومات بالتقدير والإكبار ؛ وقد در القائل :

أقرن برأيك رأي غيرك واستشر
للمرء امرأة تريه وجهه
فالخ لا يخفى على اثنين
ويرى قفاه بجمع صحابيين

الجزء الخامس والعشرون

٥٩٦

(وما رزقناهم ينفقون) يتصدقون ، وينفقون ابتغاء وجهه تعالى (والذين إذا أصابهم البغي وقع عليهم الظلم (ثم ينتصرون) ينتقمون ممن ظلمهم: غير متجاوزين الحد ، ولا مسرفين في الانتقام (وجزاء سيئة سيئة مثلها) لما قال سبحانه وتعالى «وإذا ما غضبوا هم ينفقون» وكانت الآية مطلقة : آمرة بالفقران من غير قيد ولا شرط ؛ وربما تعالى الأخذ بها ؛ فصار ذليلاً ، مهاناً ، حياناً ؛ ينال منه عدوه ؛ فلا يحرك ساكناً ؛ فهون نفسه عليه . ولقد دعا قال الشاعر :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها

هواناً بها ؛ كانت على الناس أهواناً

لذا ألحقها تعالى بهذه الآية : «وجزاء سيئة سيئة مثلها» من غير بغي ، ولا إسراف (فمن عفا) عمن ظلمه : خشية استفحال الضرر ، وكبحاً لجناح الشر ، ورجاء أن يعود الباغى عن بغيه ، والظالم عن ظلمه (وأصلح) قلبه ومعاملته ؛ فإذا اتقى بينه وبينه عداوة كأنه ولي حميم (فأجره) جزاء عفوه وحلمه (على الله) يكافئه عليه في الدنيا والآخرة (ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) أي لأن من أخذ حقه ممن ظلمه ، وعاقب بمثل ما عوقب به : ليس لأحد عليه من سبيل لما قبته ، أو

لربهم وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم وبما رزقناهم ينفقون ﴿٥٩﴾ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴿٦٠﴾ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ﴿٦١﴾ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴿٦٢﴾ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغيرون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴿٦٣﴾ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴿٦٤﴾ ومن يضلل الله فلا هادي له ومن ولي من بعده وتری الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل لك مرد من سبيل ﴿٦٥﴾ وترثهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن آخسرین الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة

آل

معانيته ؛ وبعد ذلك غلب الحلم الفجار : العفو ، والحلم ، والصبر ، والتفرة ؛ قال تعالى (ولن صبر) على أذى الغير ؛ فلم ينتصر لنفسه ، ولم يوسع دائرة الشر ، وبذلك نيران العداوة والبغضاء (وغفر) تجاوز عن ذنب من أذنب في حقه ؛ واستبدل عداوته حبا ، وبمده قرباً ؛ (إن ذلك) الصبر ، والحلم ، والفقران (لن عزم الأمور) أي من الأمور المستحبة ، المؤدية إلى الخير دائماً ؛ (وترى الظالمين) يوم القيامة (لما رأوا العذاب) المد لهم (يقولون هل لك مرد) رجوع إلى الدنيا (من سبيل) يطلبون الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا «ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه» (وترام يرضون عليها) أي على النار (خاشعين) خاضعين ذليلين ؛ من شدة الهول والرعب (ينظرون) إلى النار (من طرف خفي) ذليل ؛ كما ينظر المحكوم عليه إلى سيف =

= الجلاء (إن الماسرين) حقاً: هم (الذين خسروا أنفسهم) بوقوعها في الجحيم، والعذاب الأليم (و) خسروا (أهلهم) وذلك لأن أهلهم إذا كانوا صلحاء: فهم في الجنة، وإذا كانوا غير صلحاء: فهم في النار؛ فلا انتفاع بهم في كلا الحالتين. وأخسروا أهلهم من المحور العين (استجيبوا لربكم) أجيئوه لمادعائكم إليه (وما لكم من نكير) من إنكار؛ أي لا تقدرون أن تتكروا شيئاً مما اقترفتوه؛

إذ أن سمعكم، وأبصاركم، وأيديكم، وأرجلكم وجلودكم؛ ستشهد عليكم بما كنتم (فا أرسلناك عليهم حفياً) تحفظ أعمالهم، وتزمرهم بما لا يريدون (رحمة) نعمة، وغنى وحة (وإن تصبهم سيئاً) بلاء، وفقر، ومرض (بما قدمت أيديهم) أي بسبب معاصيهم (فإن الإنسان كفور) يؤس قنوط: بعدد معاصيه، وينسى أنعم الله تعالى عليه «إذامسه الشر جزوعاً، وإذامسه الخير منوعاً» (لله ملك السموات والأرض) وما فيها؛ خلقاً، وملكا، وعبيداً (يخلق ما يشاء) هو؛ لا ما يشاؤه الناس (يهب) بفضله (لن يشاء) أن يهب له (إنانا) ويهب لمن يشاء الذكور حسب حاجة الكون والبشرية؛ لا وفق هوى الوالدين؛ وذلك بالقدر الذي يكفل عمار الدنيا، وحفظ النوع الإنساني (أو يزوجهم ذكراناً وإنانا) أو يهب لمن يشاء الصنفين: ذكراناً وإنانا (ويجعل من يشاء عقيماً) لا نسل له (إنه علم) بما يجب أن يكون (قدير) على كل شيء يريد (وما كان لبشر) أي وما صح لأحد من البشر (أن يكلمه الله إلا وحياً) إلهاماً، أو رؤياً في المنام؛ لأنها وحى. قال تعالى «وأوحى ربك إلى النحل... وأوحينا

إِلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٩﴾ وَمَا كَانَ لِمَنْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَبْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٦٠﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٦١﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ مِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٦٢﴾ لِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ كُورٌ ﴿٦٣﴾ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْتِنَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٦٤﴾ * وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ

إلى أم موسى» (أو من وراء حجاب) كتكليم موسى عليه السلام: سماع بدون رؤية. والمقصود بالحجاب: حجب السامع، لا التكلّم. تعالى الله عن أن يحجبه حاجب، أو يستره ساتر! (أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه) الرسول: هو جبريل عليه الصلاة والسلام؛ لأنه رسول الله تعالى إلى أنبيائه (انظر آية ٢٢ من سورة الروم)

(إنه على) عظيم ، متعال عن صفات المخلوقين (حكيم) في صنعه : لا يعمل إلا ما تقتضيه المصلحة ، وتستوجب الحاجة (وكذلك أوحينا إليك روحاً) هو القرآن الكريم ؛ إذ فيه حياة القلوب من موت الجهل ؛ بل هو روح الأرواح ! أو المراد بالروح : جبريل عليه الصلاة والسلام (من أمرنا) أى بأمرنا الذى نوحى إليك ؛ و (ما كنت تدري) من قبل أن نوحى إليك (ما) هو (الكتاب ولا) ماهو (الإيمان) والمقصود بالإيمان الذى لم يكن يدريه محمد بن عبد الله ؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه - وقد اختاره الله تعالى لهداية العالمين ؛ وهو فى أصلاب آبائه وأجداده -

الجزء الخامس والعشرون

٥٩٨

لئما أريد به شرائع الإيمان ، وأحكامه ، ومعامله . وقد تعاضدت الأخبار والآثار على تنزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن النقائص منذ ولدوا ، ونشأتهم على التوحيد منذ درجوا ، وإحاطتهم بأنواع المن واللطائف ، وإشراق أتوار المعارف ؛ وليس عهد بأقل شأناً من يحيى - وقد أوتى الحكم صبياً - ومن عيسى - وقد أوتى الكتاب وجعل نبياً فى مهده - ولا من إبراهيم - وقد أوتى رشده من قبل - صلوات الله تعالى وسلامه على سائر أنبيائه ورسله ؛ أو المعنى : « ما كنت تدري ما الكتاب » لولا الرسالة « ولا الإيمان » لولا الهداية ؛ (ولكن جعلناه) أى القرآن (نوراً) ينير القلوب والنفوس ، ويجلو الأبصار والبصائر ، ويشرح الصدور ؛ فهو نور النور ؛ (تهدى به من نشاء من عبادنا) الذين اتقادوا لأمرنا ، واستمعوا لكلامنا :

رب إن الهدى هداك وآيا

تك نور تهدى بها من نشاء

(وانك تهدى) بما به هدى ، وترشد إلى ما به رشدت (إلى صراط) طريق (مستقيم) واضح ، بين الاستقامة (صراط الله) دينه القويم ؛ (ألا إلى الله تصير الأمور) ترجع :

فيقضى فيها بما يشاء ، ويحكم فيها بما يريد «ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين»

(سورة الزخرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (والكتاب المبين) الواضح (فى أم الكتاب) اللوح المحفوظ (لدينا) عندنا (لعل) عال على سائر الكتب (حكيم) محكم ؛ ذو حكمة بالغة (أفضرب عنكم الذكر صفحاً) أن كنتم قوماً مسرفين) أى أنتمسك عنكم نزول القرآن إمساكاً ؛ لأنكم قوم مسرفون فى الكفر وارتكاب المعاصى

عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۗ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُن فِي الْأَسْمَانِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

(٥٣) سُورَةُ الزَّخْرَفِ مَكْتُمًا

الآية ٥٤ هـ منسوبة
وآيات ٨٩ نزلت بعد الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ۖ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٥١﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا
عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِنَّكَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٥٣﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكَ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ

قوماً

قَوْمًا مُّشْرِكِينَ ﴿٥٠﴾ وَكَرَّزْنَا مِنْ نَجِيِّ فِي الْأُولِينَ ﴿٥١﴾
 وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَهْلَكْنَا
 أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأُولِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
 مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ
 الْعَلِيمُ ﴿٥٤﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ
 لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٥﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْزَلْنَا بِهِ بَلَدَةً مِثْلَ كَذَلِكَ
 تُخْرَجُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ
 الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿٥٧﴾ لَنْتَسُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ
 ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ
 الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ
 رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿٥٩﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا
 الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ أَمْ أَخَذْنَا مِمَّا خَلَقُوا بَنَاتٍ

(ومضى مثل الأولين) أى سلف فى القرآن
 ذكر الأمم السابقة ، وما حل بها من التعذيب
 والتنكيل ؛ جزاء كفرهم وتكذيبهم (الذى
 جعل لكم الأرض مهدياً) فراشاً ؛ كالهدى الذى
 هو فراش الصبي (وجعل لكم فيها سبلاً)
 طرقاً فيها تمشون ، وطرقاً منها تتعششون
 (والذى نزل من السماء ماء بقدر) بتقدير :
 بقدر حاجتكم إليه ؛ ولم ينزله كثيراً فيغرق ،
 ولا قليلاً فيجفط « وكل شئ عنده بمقدار »
 (فأنزلنا به) أي نزلنا به . ومنه قوله تعالى
 « كذلك النشور » أى الأحياء (بلدة ميثاً)
 جدية ؛ لا نبات فيها (كذلك) أى مثل إخراج
 النبات من الأرض الجديدة (تخرجون) من
 قبوركم يوم القيامة (والذى خلق الأزواج كلها)
 الأصناف كلها (من الفلك) السفن (والأنعام)
 الإبل (لنستوا على ظهوره) أى ظهور السفن
 والأنعام (ثم تذكروا) تذكروا (نعمة ربكم)
 عليكم ؛ بتسخير الفلك والأنعام ؛ لزيد تفهم
 وراحتكم (وما كنا له مقرنين) أى مطبقين
 (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) لراجعون إليه ؛
 فجازينا على شكرنا ، أو كفرنا (وجعلوا له
 من عباده جزءاً) بقولهم : عيسى ابن الله ،
 والملائكة بنات الله . لأن الولد جزء من الوالد ؛ وهم من عبيده ، لا من أبنائه (إن الإنسان لكفور
 مبين) بين الكفر

(وأصفاكم بالبين) أى اختصكم بهم (وإذا يفر أحدهم بما ضرب الرحمن مثلا) أى إذا يفر بالأشئ؛ لأنهم كانوا يقولون: لللائكة بنات الله (ظل) دام (وجبه مسوداً) من الحزن والحسرة (وهو كظيم) ممتلئ غيظاً وعماً (أومن ينشأ في الحلية وهو في الحصام غير ميين) أى أو ينسب للرحمن من الولد من هذه صفة؟ وهو أنه «ينشأ» أى يتربى «في الحلية» أى في الترف والزينة؛ وإذا احتاج إلى تقرير دعوى، أو لإقامة حجة: كان «في الحصام غير ميين» أى غير قادر؛ لضعف حجته، وخطأ رأيه. وذلك أنهم نسبوا إليه سبحانه الولد؛ مع نسبة أخس النوعين - في نظرهم - وهو البنات؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (أشهدوا) أحضروا (خلقهم) أى خلق اللائكة؛ فملأوا أنهم إنانا كما يزعمون. أو هو من الشهادة، لا المشاهدة (سكتب) في صحائف أعمالهم (شهادتهم ويسألون) عنها يوم القيامة، ومحاسبون عليها (وقالوا) كفرة، وعناداً، ولجاجاً (لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى لو أراد الله أن يمنعنا عبادة اللائكة لمننا. ومى كلمة حق أريد بها باطل؛ إذ أن الله تعالى لو شاء أن يؤمن الناس جميعاً لآمنوا، ولو يشاء الله لهدى الناس جميعاً وإنما يكون ذلك الإيمان، وتلك الهداية على سبيل السر والإلجاء. وقد هدى الله تعالى الناس جميعاً بخلق العقول والأئدة، وبصت الرسل، وإتزال الكتب؛ ففهم من استجاب لداعى مولاه: فجاها واجتباها، ومنهم من استجب النواية على الهداية، واختار الكفر على الإيمان؛ فاستوجب الحرمان والنيران! قال تعالى «وأما محمد فهديناهم فاستجوا العمى على الهدى» (ما لهم بذلك من علم) أى ما لهم من علم بمشيئة الله تعالى وإرادته؛ حتى يتبعوها، ويحتجوا بوقوعها (إن هم إلا يخرون) يكذبون (أم آتيناهم كتاباً من قبله) أى قبل القرآن؛ قلنا فيه بعبادة اللائكة، أو بينا فيه

الجزء الخامس والعشرون ٦٥٥

وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَيْنِ ۝ وَإِذَا يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ
لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مَسْوُودًا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝
أَوْ مِنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْحَصَامِ غَيْرُ مِيِينٍ ۝
وَجَعَلُوا لِلطَّيِّبَةِ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَنشَدُوا
خَلْقَهُمْ سَكَّتِبَ شَهَادَتِهِمْ وَيَسْأَلُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْ
شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاكُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ
مُتَسَمِّكُونَ ۝ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ
وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ۝ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا
آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ۝
قُلْ أَوَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ آيَاتٍ يَوْمَ جَدَمٍ عَلَيْهِ آيَةٌ كُرْ
قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۝ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ

فَانظُرْ

مشتقنا لذلك (فهم به مستسكون) أى بهذا الكتاب (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) على دين . والأمة: الطريقة التي تصد، ومنه الأمام (وكذلك) مثل الذي حدث من قومك؛ من احتجاجهم بهذه الحجج الواهية الواهنة: احتج الأمم السابقة على رسلهم؛ و (ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير) ينفرها غضب الله تعالى، ويخوفها عقابه (إلا قال مترفوها) متبعوها، مثل قول هؤلاء (إنا وجدنا آباءنا على أمة) ملة وطريقة (قل) لهم يا محمد مقنماً ومتلطفاً (أولو جشكم بأهدى) بدين أهدى (مما وجدتم عليه آباءكم) وهنا يظهر عنادهم، وتوضيح نواياهم وخفاياهم؛ ويقولون: (إنا بما أرسلتم به) أنت ومن سبقك من الأنبياء (كافرون) لا تؤمن به؛ ولو ظهرت صحتة، وبانت هدايته؛ وأصروا على عبادة الأصنام، =

دون الملك العلام؛ فهل بعد هذا يجوز لئلمهم أن يقول: «لو شاء الرحمن ما عبدناهم» لقد بطلت حجته، وسقطت معذرتهم؛ واستوجبوا الجحيم؛ والعذاب الأليم! (فانتقمنا منهم) بالفحط، والمرض، والفقر، والذل، والاستئصال (إني براء) أي برىء (إلا الذي فطرني) خلقتني (فإنه سيهدين) إلى معرفته ودينه (وجعلها كلمة) أي كلمة التوحيد؛ يدل عليها قوله عليه الصلاة والسلام «إني ذاهب إلى ربي سيهدين» (باقية في عقبه) أي في ذريته؛ فلا يزال فيهم من يعبد الله تعالى، ويدعو إلى توحيدهم (الملم) أي لعل أهل مكة حين يسمعون توحيد إبراهيم (يرجعون)

إلى الدين الحق الذي استمسك به جدم إبراهيم (بل تمت هؤلاء) الكفار (و) تمت (آبائهم) من قبلهم؛ ولم أحاطلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) من عندنا؛ وهو القرآن (ورسول) هو سيد الرسل محمد عليه الصلاة والسلام (مين) مظهر لديننا، وشريعتنا، وأحكامنا. وقرأ قتادة والأعمش، وغيرهما: «بل تمت» بناء الخطاب على معنى أن القائل لذلك: إبراهيم عليه السلام؛ أو هو من مناجاة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم. وقرأ الأعمش: «بل متنا» بنون المظلة. والأول: هو أولى الأقوال (ولما جاءهم الحق) القرآن، وما صاحبه من معجزات، وإرهاصات (قالوا هذا سحر ولانا به كافرون) يكفرون بمن خلق، ويمبدون من خلق، ويكفرون بالآيات البينات، ويؤمنون بالأباطيل والثرهات! (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يعنون بالقريتين: مكة والطائف. وبالعظيم: الذي يكون له مال، ومنصب، وجاء. وقد فاتهم أن العظيم: هو الذي يكون عند الله تعالى عظيماً؛ أما المال، والجاه، والنصب؛ فهي عظيمة يبتغيها الجاهلون، ويقدرها الفاسقون! ومقياس العظمة الحقيقية عند الله تعالى، وعند العقلاء: عظمة النفس،

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٣٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٨﴾ بَلْ تَمَّتْ هَؤُلَاءُ وَعَاقِبَةُهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٣٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٤١﴾ لَعَمْرُؤُا يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّيْسِرَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيَبْسُؤَنَّهُمْ سُبْحَانَ فَضْةٍ وَمَعَارِجٍ طَلِيحًا يظهرون ﴿٤٣﴾ وَلِيُبَيِّنَ لَهُمُ آيَاتِهِ وَمَعْرَاجَ عَلَيْهَا

وسمو الروح، وعلو الهمة! ومن أعظم نفساً، وأسمى روحاً، وأعلى همة؛ من محمد بن عبد الله: خاتم رسل الله؟ عليه الصلاة والسلام! وقد قال تعالى: «ردأ على من اقترح نزول القرآن على رجل من القريتين عظيم» (أم يقسمون رحمة ربك) فيطون النبوة والرسالة لمن يشاءون دون من أشاء، وينزلون القرآن على من يحبون؛ دون من أحب؟! (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) فجعلنا بعضهم أغنياء، وبعضهم فقراء (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) لا كما تنادى بعض المبادئ الهدامة؛ بما يبتوونه من سموم فكرية، وما يدعوون إليه من ظلم؛ في ظاهرها البر والحيرة، وفي باطنها الإثم والشر! كالنظام الشيوعي، والنظم الأخرى التي تستوردها بعض الأمم من البلاد التي لا تدين بالإسلام، بل ولا تدين بأى دين سماوى؛ بل تقول =

== بالتعطيل ، وألا إله في الكون أصلاً ! والدين الإسلامي - في مظهره وجوهه - ليس في حاجة إلى نظام أو منظمين ؛ فقد نظم خالق الكون ومدبره ، وهو وحده العالم بما يصلح عباده ويكفل إسعادهم . وهو جل شأنه بامتحانه لهم بضروب من التقى والفقر ، والسعة والضيقة : إنما يؤهلهم بهذا الاختبار إلى حياة أخرى دائمة السعادة والخير لمن أحسن ، والشقاء والبؤس لمن أساء ! « ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون » « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً » « ورفع بعضكم فوق بعض درجات لنبلوكم فيما آتاكم » ، فالابتلاء والاختبار : أساس عظيم في تقدير استحقاق من يدخل الجنة؟ من يدخل النار . فإذا ما تعادلت الاحتياجات ، وتساوت الأقدار - كما يزعم الشيوعيون ومن يدور في فلکهم - فقد سقط الامتحان الذي أراده الله تعالى لعباده ، وأعدم لاجتيازه ! وتتطوى هذه النظم التي يزعمونها على ظلم فادح لكلا النوعين ؛ فقد أصبح التقى فقيراً ؛ وهو قبل ذلك مكلف بالشكر على ما آتاه الله ، والاتفاق منه ! وأضحى الفقير مرذولاً ؛ وقد كان قبل ذلك مكلفاً بالصبر على فقره ، مشكوراً ما جوراً عليه ! وما حاجة الفقراء إلى النظم البشريّة ؛ وقد صيرهم الله تعالى جميعاً أغنياء بنظمه الحكمة الربانية ! فإذا ما فسد نظام المسلمين ؛ بالبخل ، والشح ، والانصراف عن الله تعالى وأوامره : فليس ذلك عيباً في الدين ، وإنما هو عيب القامعين بالأمر فيهم !

لقد رتب الدين الحنيف حقوقاً للفقراء ؛ حتى صيرهم أغنيى من الأغنياء : لقد جعل إطعامهم قرينى تقرب إلى مغفرته ، والإحسان إليهم حسنى تدنى من رحمة !

ولو ان إنساناً تخير ملة

ما اختار لإدينك الفقراء !

أما هذه النظم التي يدعون إليها ،

ومحاربون من أجلها : فظاهرهما الرحمة ، وباطنها من قبله العذاب ! يقولون بالمساواة ؛ وأين المساواة ؟ وبشروع المال بين السادة والعبيد ؛ وأين ما يزعمون ؟ ! لقد جعلت بعض الدول نظاماً خاصاً : يفرق بين الإنسان وأخيه الإنسان - بسبب اللون - وقد خلقهم الله تعالى من أب واحد ، وأم واحدة . وقد يكون الفضول أفضل من الفاضل « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » لقد ظلموا الناس وقالوا : إنه العدل . وأجاجعهم وقالوا : إنه الشيع . وأفقروهم وقالوا : إنه التقى !

لقد أفقروا الأغنياء ، ولم يستطيعوا أن يعلموا الفقراء ! وجميع ذلك بأنظمة نظموها ، وشرائع شرعوها . ولكن هلم معى - يرحمك الله - إلى شرعة الله ، ودين الله ، وهدى الله ؛ يقول الله تعالى : « ليس البر ==

يَتَكْفُرُونَ ﴿١٥١﴾ وَذُرْفُوا وَإِن كَلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَنَعَ الْحَيَوةِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٥٢﴾ وَمِن بَعَثَ عَنْ
ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَوَهَّوْهُ قَرِينًا ﴿١٥٣﴾ وَإِنَّهُمْ
لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿١٥٤﴾
حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ بَلِّغْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ
فَيَسِّرُ الْفَرَسَ ﴿١٥٥﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتَ
أَنْتَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿١٥٦﴾ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الْأَهْمَّ
أَوْ تَهْدِي الْعُمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٥٧﴾ فَإِنَّمَا
تَهْدِي بِنَايَا نَبِيٍّ مُّتَّقِمُونَ ﴿١٥٨﴾ أَوْ يُرْسِكَ الَّذِي
وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿١٥٩﴾ فَاسْتَسْبِكْ بِاللَّيْلِ
أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّا كَلَّمْنَا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَدَرِكٌ
لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿١٦١﴾ وَسَطَّلْنَا مِنْ أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً

== أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين فجعل تعالى إيتاء المال
للفقراء : من أفضل العبادات والقربات ! .

ووقف تعالى خيره وبره على المنفقين ؛ فقال جل شأنه ، وعلت حكمته : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا
بما تحبون » . كما وقف رحمة على من يسارع في العطاء ؛ فقال سبحانه : « ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها
لذين يتقون ويؤتون الزكاة » .

سورة الزمرف

٦٠٣

وقد أباح الدين مقاتلة مانعي الزكاة ،
وأخذها منهم قسراً وجبراً بأمر الله ! وقد
كانوا في صدر الإسلام يجنون عن الفقير
وال محتاج ؛ ويشكرونه حينما يقبل صدقتهم ،
ويعتبرونه صاحب الفضل عليهم ؛ لا هم أصحاب
الفضل عليه ؛ كيف لا وهو التسبب في رضا
الرب سبحانه وتعالى عنهم وفي دخولهم الجنة !
هذا ولم يحل فقر الفقراء دون توليهم أرقى
المناصب في الدولة ؛ بل كان الفقر مؤهلاً ضمن
المؤهلات لولاية الحكم ، والقضاء ، وماشاكلهما
من كبرى المناصب ؛ وذلك لأن الفصل في جميع
ذلك : التقى لا النقي ، والورع لا الطمع ! هذا
في حين أن المناصب في الدول ذوات المبادئ
الجوفاء الطناتة ؛ لا يليها إلا الذين أطمعهم النقي ،
وأصمهم الترف ، وأعماهم الجشع والطمع ؛ فلم
يتركوا لقمة لجائع ، ولا مزقة لعار ؛ وبعد كل
هذا ينادون بالعدل ، والمساواة ، ورحم الله
تعالى العدل والمساواة !

هذا وقد اختلف كثير من الناس في النقي
الشاكر ، والفقير الصابر : أيهما أفضل من
الآخر ؟ وقد فضل بعضهم النقي الشاكر عن
الفقير الصابر ؛ وذلك لأنه ابتلى بالنقي فشكركم
نعمة ربه ، وقام بما يجب عليه حيالها ؛ ومن

أول الواجبات عليه : رعاية الفقير ، والمحتاج . وبذلك يكون أنفق ما وهبه الله في حدود ما أمر به الله ، وآتى
المال على حبه ، وأطعم الطعام في سبيله .

فإذا قلنا بما قال به بعض الفرج - من شيوع المال واشترائه - فقد حاولنا القضاء على النظام
الكوني الذي رسمه الله تعالى لعباده ، وامتحنهم به !

وقد اقتبسوا معنى الاشتراكية : من اشتراك الجميع في المال . ولكنهم لم يحققوا مذهبوا إليه ،
ولا ما أحاطوا به مذاهبهم الباطلة من سباج التمويه والتضليل ! وهما ذى البلاد التي اعتنقت مثل هذه المبادئ .
وقد قضى عليها الفقر ، وأطاح بها الجوع والحرمان . بعكس بلادنا التي تطورت إلى الاشتراكية الإسلامية . =

يُعْبُدُونَ ﴿٦٠٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيهِ ۖ قَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٠٤﴾ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٦٠٥﴾ وَمَا يُرِيدُ
مِنْ آيَةِ إِلَهِهِ أَكْبَرُ مِنْ أَلْحِيَا وَأَخَذْتَهُمْ بِالْعُنَادِبِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٠٦﴾ وَقَالُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ادْعُوا
لَنَا رَبَّكَ
بِمَا عٰهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَنُكْفِرُونَ ﴿٦٠٧﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمْ الْعُقَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٦٠٨﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ
فِي قَوْمِهِ ۖ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ
تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٦٠٩﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هٰذَا
الَّذِي هُوَ مِيمٌ وَلَا يَكَادُ يَسِينُ ﴿٦١٠﴾ فَلَوْلَا أَنِّي عَلَيْهِ
أَسْرُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلٰٓئِكَةُ مُقَرَّرِينَ ﴿٦١١﴾
فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ ۖ فَاطَاعُوهُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٦١٢﴾
فَلَمَّا ۖ أَسْفَوْنَا ۖ أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦١٣﴾

== أما الإسلام : فهو مؤسس الاشتراكية الصحيحة ، والشيعوية السليمة . ففنى الاشتراكية : شركة
 الفقير مع الثنى فيما آناه الله من مال ، أو عقار ، أو زرع ، أو ضرع . وقد عقد الله تعالى بينهما عقداً
 لا تنفصم مراه : فضمن لمن وفى به الجنة والثواب الجزيل ، وأوعد من قرض العقد ، ونكث العهد
 باللعناب الأليم ، والشقاء المقيم ! هذا وقد حدد فى هذا العقد ما لكل طرف منها من حقوق ، وما عليه
 من واجبات . ومعنى الشيوعية : شيوع المال بين بنى الإنسان ؛ فلا يوجد أحد يشتكى الفقر والحرمان
 ولئلا يكون المال دولة بين الأغنياء ! وقد

الجزء الخامس والعشرون

٦٠٤

كفل الله تعالى للفقير حقاً يحارب الثنى من
 أجلها ، ويقال عليها . ولكن هذه الحقوق
 محدودة بمحدود رسمها خالق الدنيا ، ورازق
 الخلق ؛ بحيث لا يفتقر الثنى ، ولا يجوع الفقير .
 وبحيث يصح امتحان الله تعالى لعباده - الذى
 ما خلقهم إلا من أجله - فيجزى غنياً شكر ،
 وفقيراً صبراً ، وما خلقت الجن والإنس إلا
 ليعبدون .

وما هى ذى الدول الأجنبية - وقد تباينت
 أمواؤها ، وعظمت أداؤها - قد انقسمت
 لك قسمين ، أو قل معسكرين : شيوعى ،
 ورأسمالى ؛ وكلاهما ضل السبيل ، وحاد عن
 جادة الطريق ؛ فأولاهما قتله الجموع ، وثانيهما
 قتله الشعب ، وكلاهما يسير فى حياته على غير هدى !
 وذلك لأن «هدى الله هو الهدى» فاتبع
 - هديت وكفيت - هدى الله ، واجتنب هدى
 الشيطان «إنه عدو مبين» .

هذا وقد قبض الله تعالى لهذه الأمة من
 أمورها من كبوتها ، وأقالها من عترتها ، ونظم
 لها النظم والقوانين ؛ التى لا تخرج عما أراذه رب
 العالمين : فأخذ من الأغنياء حق الفقراء ؛
 فجزى الله تعالى كل من نافع عن الدين ، ولم
 يخرج عن تعاليم القرآن ، التى جعلها الله
 تعالى صالحة لكل زمان ومكان !

بَعَلْتَنَّهُمْ سَلْماً وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا * وَلَمَّا ضُرِبَ
 آيُن مَّرِيْمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٦٧﴾ وَقَالُوا
 يَا هَلُمَّنَا خَيْرًا مِّمَّ هُوَ مَضْرُوبُهُ لَكَ الْإِجْدَالُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
 نَّصِصُونَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ
 مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٦٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لِبَنِيكَ
 فِي الْأَرْضِ يَحْتَفُونَ ﴿٧٠﴾ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ السَّاعَةَ فَلَا تَمْتَرْنَ
 بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطَ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ
 الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٧٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى
 بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ
 الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٧٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ
 رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطَ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٤﴾
 فَاتَّخَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ
 عَذَابِ عَرَمِ الْإِيمِ ﴿٧٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ

بَعَثَهُ

وأساس النظام الإلهي فى تفاوت الدرجات (ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) من التصغير ؛ لامن السخرية ؛
 أى يسخر الثنى الفقير من مصالحه التى تعود على المجتمع كله - غنيه وفقيره - بالحيد العميم ! (ورحة ربك) مغفرتة
 وجنته لمن يتصدق (خير مما يجمعون) من الأموال ؛ ويضلون بها (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) على
 الكفر (لجئنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سققاً من فضة) وذلك لحقارة الدنيا عند الله تعالى وأن بسط الرزق
 لبعض من فيها : لا يدل على هدايته . وتضييقه على بعضهم : لا يدل على غوايته !

فلو كانت الدنيا جزاءً أحسن

لقد جاع فيها الأنبياء كرامة

=

إذا لم يكن فيها معاش لظالم

وقد شبت فيها بطون البهائم

بَعْتَهُ وَهُمْ لَا يُسْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ الْأَخْلَافَ بِمِثْلِ بَعْضِهِمْ
 لِيَبْغِضَ عَدُوًّا لِالْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ يَنْبَغِدَ لِأَخْوَفٍ عَلَيْكَ
 الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا
 مُسْلِمِينَ ﴿٦٨﴾ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٩﴾
 يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا
 مَا شِئْتُمُ الْإِنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا تَخْلَدُونَ ﴿٧٠﴾
 وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾
 لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ إِنَّ الْمَعْرُومِينَ
 فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ تَخْلَدُونَ ﴿٧٣﴾ لَا يُغْتَرَّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ
 مُبْسُوتُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾
 وَنَادَىٰ بِنِسْكَكَ لِيَقْبِضَ عَلَيْكَ رَبُّكَ قَالِ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٦﴾
 لَقَدْ حَقَّ عَلَىٰكُمْ الْبَلَاءُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ لِقَعَتِكُمْ كَذِبُونَ ﴿٧٧﴾
 أَمْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرَمُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ

== (ومعارج) ومساعد (عليها يظهرون) يصعدون (وزخرفا) الزخرف : الذهب ، أو هو الزينة
 (وات كل ذلك) النعيم الزائل ، والمتاع الفاني (لا) إلا (متاع الحياة الدنيا) قليل ثم يزول ؛ مشوب
 بالتنعيم ، عاط بالأكدار (والآخرة) وما فيها من نعيم مقيم ، و «جنة عالية ، قطوفها دائية» (عند ربك)
 في رحابه ؛ أعدما (المتقين) من أحبباها (ومن يبش) يفعل (عن ذكر الرحمن) ويعرض متعاميا عن داعي
 الإيمان (قبض) تسخر ، ونسلط (له شيطاناً فهو له قرين) مقارن ، وملزم له ؛ لا يفتأ يزبن له القبيح ،
 ويقبح له المليلح ؛ حتى يورده موارد الهلاك
 والتلف ا وذلك بسبب غفلته ، وتعاميه عن
 ذكر ربه (ولهم) أى الشياطين القرناء
 (ليصدونهم) ليمنعون الفاسقين المتعامين (عن
 السبيل) عن طريق الهدى (حتى إذا جاءنا)
 ذلك الغافل المتعامى ، يوم القيامة (قال) لقرينه
 الذى صده عن السبيل (فبئس القرين) أنت ؛
 إذ أوردتني موارد الختوف ا (أفأنت) يا محمد
 (تسمع الصم أو تهدى العمى) أى كما أنك
 لا تستطيع إسماع الأصم ، أو هداية الأعمى ؛
 فكذلك لا تستطيع إسماع الكافر ، أو هدايته
 وكيف تهدى من أصم أذنيه عن استماع النصح ،
 وأعمى قلبه عن رؤية الحق (و) لا تستطيع
 أن تهدى (من كان في ضلال مبين) بين ظاهر
 (فإما) فإن (ندهين بك) أى تتوفيك قبل
 تعذيبهم (فإنا منهم منتقمون) في الدنيا (أو
 نرينك الذى وعدناهم) به من العذاب
 (فاستمسك بالذى أوصى إليك) من القرآن
 (لأنك على صراط مستقيم) طريق قوم (ولأنه)
 أى القرآن (لذكر لك ولقومك) أى شرف
 عظيم لك ولهم (وسوف تسألون) عن مدى
 تمسككم به ، ونشركم له (واسأل من أرسلنا
 من قبلك من رسلنا) أى أسأل أمم الأنبياء
 الذين أرسلناهم من قبلك . يؤده قراءة ابن
 مسعود «واسأل الذى أرسلنا لإليهم قبلك

رسلنا» وقيل : واسأل رسلنا - حين تلقاهم - ليلة المراج - وقد التقي عليه الصلاة والسلام بكثير منهم ؛
 كما ورد في كثير من الأحاديث (أجعلنا من دون الرحمن) غيره (فلما جاءهم آياتنا إذا هم منها يضحكون)
 يسخرون منها ، ويستهزئون بها (وما نريهم من آية) معجزة (إلا هم أكبر من أختها) في الدلالة على
 صدق موسى ، ووحدانية مرسله . أو المراد بالآية : آية العذاب ؛ فقد ابتلوا بالطوفان ، والجراد ، والقمل ،
 والضفادع ، والدم (انظر آية ١٣٣ من سورة الأعراف) (وأخذناهم بالعذاب لعلمهم يرجعون) عن
 كفرهم وتكذيبهم . ومن عجب أنهم - رغم نزول العذاب بهم ، وتنويعه وتكرره عليهم - لم يؤمنوا ، ولم
 يرتدعوا ، ولم يقولوا في محنتهم وشدهم : يا أيها النبي ، أو يا أيها الرسول ، أو يا أيها الصادق ؛ بل قالوا =

= (يا أيها الساحر) وقيل : معنى الساحر عندهم : العالم ؛ يؤيده قول فرعون «أئتوني بكل ساحر عليم» (ادع لنا ربك بما عهد عندك) من كشف العذاب عنا ؛ إن آمننا (إذا هم ينكتون) ينقضون عهدهم ، ويصرون على كفرهم (أم) بل (أنا خير من هذا) إشارة إلى موسى عليه السلام (الذي هو مهين) ضعيف ، حقير (ولا يكاد بين) لا يكاد يظهر الكلام : للثقة في لسانه ؛ جعلته يستعين - فيما يقول - بأخيه هرون : «وأخي هرون هو أفصح مني لساناً» (فلولا) فهلا (أنتي عليه) ألبس كما يلبس السادة والعظماء (أسورة) جمع سوار ؛ وقد كان العطاء فيهم يلبسونها (مقترنين) متتابعين ؛ يشهدون بصدقه (فاستخف) استجمل فرعون (قومه) أي استقل فرعون جهل قومه ، وضعفهم ؛ فقال لهم : «أنا ربكم الأعلى» (فأطاعوه) وعبدوه من دون الله تعالى (لأنهم كانوا قوماً فاسقين) عاصين كافرين (فلما أسفونا) أغضبونا (فجلناهم سلفاً) أي أهلكناهم ؛ فجلناهم سابقين ؛ بعد أن كانوا حاضرين (و) جلناهم (مثلاً) عظة (للآخرين) لمن يأتي بعدهم (ولما ضرب) عيسى (ابن مريم مثلاً) في قوله تعالى «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب» (إذا قومك منه) أي من هذا المثل (يصدون) يضجون . وقد قال المشركون وقتذاك : إنا يريد محمد أن نبده ؛ كما هبذ النصارى عيسى (وقالوا) أيضاً (الآلهتنا) أئساننا التي نعبدها (خير أم هو) ينون عيسى عليه السلام . قال تعالى رداً عليهم (ما ضربوه لك) أي ما ضربوا لك هذا المثل (إلا جدلاً) مجادلة ؛ لا أثر للمنطق والتعلل فيها (بل هم قوم خصمون) شديدو الخصومة (إن هو) أي ما عيسى (إلا عبد) من عبادنا (أنعمنا عليه) بالاصطفاء والنبوة (وجملناه مثلاً) آية (لبنى إسرائيل) يستدل بها على وجود الخالق تعالى وقدرته : لخلقته من غير

الجزء الخامس والعشرون

٦٠٦

مِرْهُمُ وَيَجْزِيهِمْ بِلَىٰ وَرُمَّنًا لِيَوْمِ يَكْتُمُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ
 إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴿٦١﴾ سُبْحٰنَ
 رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٦٢﴾
 فَذَرَهُمْ يَمْشَوْنَ وَيَلْعَبُونَ حَتَّىٰ يَلْفِقُوا يُومَهُمُ الَّذِي
 يُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ
 إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٦٤﴾ وَبَارَكَ الَّذِي لَكَ مُلْكُ
 السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ
 الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَئِن
 سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦٧﴾
 وَقِيلِهِ يَرْبِّ إِن هٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٨﴾ فَاصْفَحْ
 عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَرَفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾

سورة

أب ، واستطاعته - بأمر ربه - أن يبرئ الأكمة والأبرص ، وأن يحيي الموتى بإذنه تعالى (ولو نشاء لجلنا منكم) أي لجلنا بضعفكم (ملائكة) لأنى خالق النوعين ، وبيد الصنفين (يخلفون) أى يخلف بعضهم بعضاً فيما بينكم ، أو يخلفونكم أتم (وإنه) أى عيسى عليه السلام (لعلم الساعة) أى دليل عليها ؛ حين ينزل قبيل القيامة ؛ كما ورد في الأحاديث . أو الإشارة إلى القرآن الكريم ؛ وما فيه من صفات القيامة وأهوالها ، وما يعقب ذلك من نعيم مقيم ، وعذاب أليم ! (فلا تمترن بها) من المرية ؛ أى لا تشكون في وقوعها (هذا) الذى أعددكم إليه (صراط) طريق (ولما جاء عيسى بالبينات) المعجزات الظاهرات (قال قد جشتم بالحكمة) بالنبوة ، والمعرفة ، والشرائع (فاختلف الأحزاب من بينهم) في شأنه . فن قائل : إنه الله . =

= ومن قائل : إنه ابنه . ومن قائل : نالت ثلاثة . ومنهم من قال : هو ابن زنا (فويل للذين ظلموا) كفروا (هل ينظرون) ما ينتظرون (بفتة) فجأة (الأخلاء) أى الأصدقاء فى الدنيا ؛ المهتمون فيها على الكفر والمعاصى ، المكبون على الآثام (يومئذ) أى يوم القيامة يكون (بعضهم) رغم المحبة والصدقة فى الدنيا (لبعض عدو إلا للثقين) الذين تحابوا فى الله ، واجتمعوا على عبادته ومرضاته ؛ فانهم سعداء بحبهم وصدقهم ؛ يقال لهم (بإعجاب لا خوف عليكم اليوم ولا أتم تحزنون) فقد انقطع الخوف ، وزال الحزن ؛ ولم يبق لكم سوى الأمن والسرور (ادخلوا

الجنة أتم وأزواجكم تحبون) تسرون ؛ وهو من الجبور (يطاف عليهم بصحاف) بأطباق (وفىها) أى فى الجنة أوفى الصحاف والأكواب (إن المجرمين) الكافرين (لا يفتقر عنهم) لا يخفف العذاب عنهم (مبلسون) آيسون من النجاة ، والعمو ، والرحمة (وما ظلمناهم) بتعذيبهم ، وتخليدكم فى النار (ولكن كانوا هم الظالمين) لأنفسهم ؛ بتعريضها للعقاب ، وتمسكهم بالكفر والعناد (ونادوا) الكفار (يامالك) وهو خازن النار (ليقض علينا ربك) أى ليمتنا لنسرح . وهو من قضى عليه : إذا أماته (قال) الحازن لهم : لا تفكروا فى الخلاص ، فلات حين مناس (إنكم ما كاثون) باقون فى العذاب أبدا الدهر (أم أبرموا) أحكموا (أمرأ) فى كيد محمد (فإنما مبرمون) محكمون أمرأ فى كيدهم وإهلاكهم (ونجوأم) ما يتحدثون به فيما بينهم ، ومخفونه عن غيرهم (ورسلنا لديهم يكتبون) هم الحفظة : يكتبون ما يفعلونه ، وما ينطقون به (قل) لهم يا محمد (إن كات للرحمن ولد) كما يزعمون (فأنا أول العابدين) لهذا الولد (سبحات رب السموات والأرض) تنزيها ، وتقديسا له (رب العرش) مالك الملك (عما يصفون) يقولون من الكذب ؛ بنسبة الولد ، والشريك إليه

(٤٤) سُوْرَةُ الدِّخَانِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ٩٥ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّحْرِفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَدَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَأَرْسَلْنَا يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝

(فترم) دعمهم (ينحوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) أى يوم عذابهم ، والانتقام منهم ؛ وهو يوم القيامة (وهو الذى فى السماء له) يعبد ، ويطاع ، ويتقى (وفى الأرض لله) واجب العبودية ، واجب الطاعة (وهو الحكيم) فى صنعه (العليم) مخلقه ، البصير بمصالحهم (وتبارك) قدس وتعالى الله (الذى له ملك السموات والأرض) وما فيها (وما بينهما) من مخلوقات (وعنده علم الساعة) أى وقت قيامها ، وكيفيته ، وحالته (ولا يملك الذين يدعون) يعبدون (من دونه) غيره (الشفاعة) لعابديهم ؛ كما زعموا أنهم شفاعؤم عند الله (إلا من شهد بالحق) آمن بالله ، وشهد ألا إله إلا الله ؛ فهؤلاء يشفعون لغيرهم (وهم يعلمون) بقلوبهم صدق ما قالوه بألسنتهم . والمراد بهم : عيسى ، =

= وعزير ، والملائكة (ولئن سألتهم) أى لئن سألت هؤلاء العبودين (من خلقهم ليقولن الله) هو خالقهم (فأنى يصرفون) فكيف يصرفون عن عبادة الله تعالى إلى عبادة غيره ؟ بعد اعتراف المعبودين ؛ بخلق رب العالمين لهم ؟ أو ولئن سألت العابدن لغير الله : «من خلقهم ليقولن الله» فكيف يصرفون عن عبادته ، مع اعترافهم بخلقته ١٩ (وقيله) أى قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم (وقل سلام) وذلك قبل الأمر بتعاليمهم (فسوف يعلمون) تهديد شديد ، ووعد للمشركين

الجزء الخامس والعشرون

٦٠٨

(سورة الدخان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) هى ليلة القدر ؟ نزل فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحسب الحاجة ؛ وهذا لا يتناق مع قوله تعالى «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن» لأن ليلة القدر تكون في هذا الشهر (إنا كنا منذرين) بالقرآن ، ونخوفين به (فيها يفرق كل أمر حكيم) أى في ليلة القدر يفصل كل أمر عظيم ؛ من أرزاق العباد ، وآجالهم (أمرأ من عندنا) أى هذا الإنزال ، وهذا الإنفار وهذا الفصل في الأرزاق والأعمار ؛ بأمرنا ولإرادتنا (إنا كنا مرسلين) الرسل (رحمة من ربك) بعباده (إنه هو السميع) لأقوالهم (العليم) بأفعالهم (بل هم في شك) من البعث والحساب ، والجزاء (فارتقب) انتظر (يوم تأتى السماء بدخان مبين) هو قبيل القيامة . وقيل : إن قريشاً لما بالغت في عصيان الرسول وإذابته ؛ دعا عليهم وقال : «اللهم اشد وطأناك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف ؛ وكان الرجل

أَن لَّمْ يَذْكُرْ وَيَدَّ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۖ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلُ نَحْنِ ۗ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۗ إِنَّا نَسْكُرُ عَابِدُونَ ۗ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۗ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۗ أَنْ أَدَّوْا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ إِنِّي لَكَرُّ رَسُولٌ أَمِينٌ ۗ وَأَنْ لَا تَعْبُدُوا عَلَىٰ اللَّهِ إِلَهَ إِلَّا أَنِّي أَنبِئُكُمْ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ۗ وَإِنِّي عَلَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجِعُونَ ۗ وَإِن لَّمْ تَقْرَأُوا لِي فَاغْتَرَابُوا ۗ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَّلَاهُ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۗ فَاتَّسِرْ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّشْتَبِعُونَ ۗ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ۗ كَرَّ تَرَكُوا مِنْ جَنَّةٍ وَعَصِيُونَ ۗ وَزُرُوعٌ وَمَقَامِرٌ كَثِيرَةٌ ۗ وَنَعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَنكَبُونِ ۗ كَذٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۗ قَسَابَكْتَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ

وما

يحدث أخاه فيسمع صوته ولا يراه ؛ لشدة الدخان المنتشر بين السماء والأرض (يفشى الناس) يشلمهم ويفظلمهم (أنى لهم الذكري) أى كيف ينفعهم التذكر والإيمان عند نزول العذاب (ثم تولوا) أمرضوا (عنه وقالوا معلم) أى يعلمه القرآن بشر مثله وليس من عند الله . قال تعالى «ولقد نعم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر» (إنا كاشفوا العذاب) عنكم (قليلًا) لعلكم ترجعون عن غيركم وبغيركم (إنكم عابدون) إلى ما كنتم عليه من الكفر (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة ، أو يوم بدر (إنا منتقمون) منكم (ولقد فتنا) بلونا واختبرنا (أن أدوا إلى عبادة الله) أى أرسلوا عباد الله - الذين خلقهم أحراراً - وأطلقهم من الأسر والعذاب أو «أدوا إلى» ياعباد الله أسمعكم وأذهانكم (إنى لكم رسول أمين . وأن لا تعولوا على الله) =

وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ
 الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٧﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنْ
 السُّفْرِينِ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمِ عَلِيِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾
 وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٢٠﴾ إِنَّ
 هَذَا لَوَاقِعٌ لِقَوْلِهِمْ ﴿٢١﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
 بِمُنشَرِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَتَوْا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ أُمُّ
 خَيْرٍ أُمَّ قَوْمٍ تُبِيعُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ
 كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا
 بَيْنَهُمَا الْعِيبَ ﴿٢٥﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٧﴾
 يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٢٨﴾
 إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢٩﴾ إِنَّ
 شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴿٣٠﴾ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴿٣١﴾ كَأَمْهَلِ يُغْلَىٰ

= لا تستكبروا عليه (إني آتيتكم بسطان مبین) بحجة واضحة (وإني عذت بربي) التجأت إليه ، واحتزرت
 به من (أن ترجون) بالحجارة (فاعزلون) فاجتنبوني ، ولا تؤذوني (فأسر بعبادي) الإسراء : السير ليلا
 (إنكم متعبون) يتعبكم فرعون وقومه (واترك البحر رهوا) ساكناً ، أو طريقاً سهلاً ، أو يسيراً (ونعمة)
 متعة (فاكبين) متنعمين (كذلك) شأنى مع من عصانى ، ومن أريد إهلاكه (وأورتناها) أى أورتنا نلكم
 الجنات والعيون ، وهاتيك الزروع والمقام الكريم ، وهذه النعمة التى كانوا يفتخرون بها (وأورتناها)

(قوماً آخرين) غيرهم ؛ لهم بنعمة ربهم
 لا يكفرون (فا بكت عليهم السماء والأرض)
 كناية إلى أنهم هلكوا فلم يجزع عليهم أحد ،
 ولم يحس بنقصانهم . أو هو على الحقيقة ؛
 فقد ورد أن المؤمن إذا مات : بكى عليه
 مصلاه ، وحزنت عليه ملائكة السماء
 (وما كانوا منظرين) مؤجلين للتوبة (إنه)
 كان طالياً من المسرفين) متكبراً ، مسرفاً
 في الكفر (ولقد اخترناهم) أى اخترنا بني
 إسرائيل (على علم) منا بحالهم ، وجدارتهم
 لهذا الاختيار ؛ فقد بعث من بينهم كثير من
 الأنبياء (على العالمين) أى على عالمي زمانهم ؛
 فلا ينصب الاختيار على الأمة المحمدية ؛ لقوله
 جل شأنه «كنتم خير أمة أخرجت للناس»
 وذهب بعضهم إلى أن الاختيار على كل العالمين
 ويكون قوله جل شأنه «كنتم خير أمة» أى
 بعد بني إسرائيل . وهو قول لا يعتد به ؛ فقد
 تصافت الآيات ، ودل سياق القرآن على أن
 جداً صلى الله تعالى عليه وسلم خير الأنبياء ،
 وأتمه خير الأمم ا (وآتيناهم من الآيات)
 المعجزات التى جاء بها موسى عليه السلام
 (ما فيه بلاء) اختبار وامتحان (إن هؤلاء)
 يعنى كفار قريش (ليقولون) لجهلهم ، ومزيد
 كفرهم (إن هي) ما هي (إلا موتنا الأولى)
 التى نموتها في الدنيا (وما نحن بمنشرين)

بمنشرين (فأتوا بآبائنا) أحيوهم لنا (إن كنتم صادقين) فيما قولونه عن البعث . قال تعالى ، رداً عليهم
 (أُمُّ خَيْرٍ أُمَّ قَوْمٍ تُبِيعُ) وهو أحد ملوك اليمن ، كان يملك اليمن ، والشعر ، وحضرموت . ويقال لكل من
 ملك اليمن «تبع» وسوا التابعه ؛ وقد كان «قوم تبع» في غاية من الرخاء والنعمة ، والقوة والمنة ؛
 فأهلكهم الله تعالى بسقمهم وكفرهم (والذين من قبلهم) من الأمم الجاحدة الكافرة (ما خلقناهم إلا بالحق)
 أى لإقامة الحق وإظهاره فيهما ؛ من توحيد الله تعالى ، والتراتم طاعته «وما خلقت الجن والإنس
 إلا ليعبدون» (إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) أى إن يوم القيامة - الذى يفصل فيه بين الخلائق - موعدهم
 جميعاً (يوم لا يغني) لا يفتع ، ولا يدفع (مولى عن مولى) المولى : صاحب ، والصديق ، والقريب ؛ أى =

= يوم لا يدفع القريب عن قريبه ، والصديق عن صديقه ، والصاحب عن صاحبه (شيئاً) من العذاب (ولا هم ينصرون) من الله تعالى (إلا من رحم الله) من المؤمنين ؛ فيشفعون لغيرهم ، ويشفع غيرهم لهم (إنه) تعالى (هو العزيز) بإتقانه من أعدائه (الرحيم) بعباده وأوليائه (إن شجرة الزقوم) هي شجرة قيل : إنها تثبت في قعر جهنم (طعام الأئمة) الكثير الآثام (كالهلل) وهو عكر الزيت ، أو النحاس المذاب (كغلي الحميم) كغلي الماء الحار (فاعتله) فقودوه بظلمة وعنف (إلى سواء الجحيم)

الجزء الخامس والعشرون

٦١٠

وسطها ؛ وقولوا له (ذق إنك أنت العزيز الكريم) يقال له ذلك : استهزاء به ، وتشفيأ فيه ! أو المراد : ذق هذا العذاب المهلك المذل ؛ إنك كنت في الدنيا العزيز الكريم (إن هذا) العذاب الذي تصلونه ؛ هو (ما كنتم به تمترون) أي ما كنتم فيه تشكون (إن المتقين في مقام أمين) يؤمن فيه الخوف ، والعذاب ، والحزى ، والهوان (في جنات) بساتين (وعيون) أنهار جارية ؛ ترى رأى العين (يلبسون من سندس) وهو ما رق من الديباج (واستبرق) ما غلظ منه (مقابلين) يدور بهم مجلسهم ؛ يتحدثون متسامرين ، ويتضحكون مستبشرين ! (وزوجناهم بحور عين) الحور : جمع حوراء ؛ وهي شديدة سواد العين ، مع شدة بياضها . والعين : جمع عيناء ؛ وهي الواسعة العينين .

هذا وقد أورد بعض المفسرين في أوصاف الحور العين ما تعافه العقول ، ومجده الأذواق والأسماع ؛ فقد رويوا أنهم مخلوقات من ياقوت ومرجان ، وأنه يرى مخ سوقهن ؛ إلى غير ذلك من الأوصاف السمجة ؛ التي هي في الواقع حط من قدرهن ، وتنقيص من شأنهن ؛ والحقيقة أنهم كأحسن ما تكون النساء : جالا ، وصفاء ، وطهارة ؛ وليس فوق هذا مطمع لاطماع ، ولا زيادة لمستزيد !

فِي الْبَطْرُونِ ٦١٠ كَفَلِي الْحَمِيمِ ٦١١ خُدُوهُ فَأَعْتَلُوهُ لَأَنَّ
سَوَاءَ الْجَحِيمِ ٦١٢ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ
الْحَمِيمِ ٦١٣ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ٦١٤ إِنَّ
هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ٦١٥ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامِ
أَمِينٍ ٦١٦ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٦١٧ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ٦١٨ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ
بِحُورٍ عِينٍ ٦١٩ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ غَايِبِينَ ٦٢٠
لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ ٦٢١ فَضَلَّامٍ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْعَزِيزُ
الْعَظِيمُ ٦٢٢ فَإِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ بِلِلسَانِكَ لِغَلْبِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ ٦٢٣
فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ٦٢٤

سورة

وليس معنى ذلك أنهم كسائر نساء الدنيا - فهنا ما لا يجوز أن يقال - بل المراد أنهم من نوعين ؛ مع الفارق العظيم ؛ لأن الجنة فيها ما لا عين رأت ، ولا أذت سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؛ وهذا الذي حدا بطائفة من ضعاف العقول والأحلام إلى وصف ما في الجنة بما لا يصح أن يوصف به (يدعون فيها) يطلبون في الجنة (بكل فاكهة) يريدونها (أمين) من الموت ، والمرض ، ومن فساد النعم الذي هم فيه ، و (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) التي أدركتهم في الدنيا (فإنما يسرناه) أي يسرنا القرآن ، وسهلنا تناوله (بلسانك) العربي ؛ الذي هو لسانهم ولقنهم (لهم يتذكرون) يتظنون فيؤمنون (فارتقب إنهم مرتقبون) فانظر ما يحل بهم من العذاب ؛ لأنهم منتظرون ما يحل بك من الدوائر

(سورة الجاثية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (تنزيل الكتاب) القرآن (من الله العزيز) في ملكه

(الحكيم) في صنعه (إن في) خلق (السموات

والأرض) وما فيها (آيات) علامات دالة

على وحدانية الله تعالى ، وقدرته (وفي

خلقكم) أيضاً : آية ، وأى آية ! (انظر آية

٢١ من سورة الناريات) (وما يث من

دابة) البت : النسر ، والتفريق في الأرض ؛

أى إن جميع ذلك (آيات لقوم يوقنون)

بالمعنى : لأن من قدر على خلق السموات

والأرض ، وما فيها ، ومن فيها ، وصوركم ،

فأحسن صوركم ، وفرق في الأرض - بقدرته -

من أنواع الدواب ، وأصناف البهائم ؛ ما فيه

خيركم ومصالحكم : قادر على أن يعيد خلقكم

كما بدأكم ، ويعثكم للحساب والجزاء يوم القيامة

(و) في (اختلاف الليل والنهار) بالزيادة

والنقصان ، والذهب والفضة (وما أنزل الله

من السماء من رزق) مطر. وسمى رزقاً ؛ لأنه

سبب له (فأحيا به الأرض بعد موتها) جذبها

(وتصريف الرياح) تظليلها : صرة جنوباً ،

وصرة شمالاً ، وباردة تارة ، وحارة أخرى ؛

كل ذلك حسب حاجات الإنسان ، وغذائه

وكسائه . وفي جميع ذلك (آيات) بينات

(لقوم يعقلون) الدليل والبرهان ، ويتدبرون

الحقائق مجردة عن العناد والهوى (تلك) الآيات

المذكورة (آيات الله) الدالة على وجوده ،

المتينة لقدرته ، المؤيدة لوحدانيته (تتلوها عليك)

يا محمد (بالحق) أى بالصدق الذى لا يلبسه شك ، أو بطلان ؛ فإذا لم يؤمنوا به (فبأى حديث بعد)

حديث (الله و) بعد (آياته) البينات (يؤمنون) «فإذا بعد الحق إلا الضلال» (ويل) عذاب شديد

(لكل أفاك أنيم) كذاب ، كثير الآثام (ثم بصر) على كفره

سورة الجاثية

٦١١

(٤٥) سُورَةُ الْجَاثِيَةِ مَكِّيَّةٌ
الْآيَةُ ١٤ فِدْيَةٌ
وآيَاتُهَا ٣٧ نَزَلَتْ بَعْدَ الدُّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝
إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝
وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝
وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ
آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ
بِالْحَقِّ قِيَامِي حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ ۚ يَوْمُنُونَ ۝
وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ آيَاتُ اللَّهِ تُنْزِلُ
عَلَيْهِ ثُمَّ يَصُرْ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرُهُ يَعْذَابِ

(وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً) كقول بعضهم في الزقوم : إنه الزبد والتمر . وفي خزنة جهنم : إن كانوا تسعة عشر - كما يقول محمد في قرآنه - فأبنا ألقام وحدي (من ورائهم) أي من وراء حياتهم في الدنيا ، ووراء ما هم فيه من التمزز والتكبر ؛ ووراء

جميع ذلك (جهنم) يصلونها وبئس المصير ! (ولا يعني) لا يفتع ، ولا يدفع (عنهم) العذاب (ما كسبوا) في الدنيا من المال والفعال (ولا) يعني عنهم (ما اتخذوا) عبدوا (من دون الله) غيره (أولياء) من الأصنام (هذا) القرآن (هدى) من الضلال (والذين كفروا بآيات ربهم) الدالة على ربوبيته ووحديته (لهم عذاب من رجز) الرجز : أشد العذاب (لنجرى الفلك) السفن (فيه بأسره) يارادته ، وحفظه ، وكلاءته (وليتنبهوا) تطلبوا (من فضله) رزقه ؛ يحمل التجارات ، والتقلب في البلاد (وسخر لكم ما في السموات) من شمس وأقمار وأنجمة وهواء وماء وغير ذلك (وما في الأرض) من دواب وأشجار ، ونبات وأنهار ، وغير ذلك. سخر ذلك (جميعاً منه) يارادته وقدرته ؛ لا يارادتم أتم وقدرتم (إن في ذلك لآيات) دلالات على قدرته ووحديته (قل للذين آمنوا يفتخروا) يفتخروا ويتجاوزوا (الذين لا يرجون أيام الله) أي لا يخافون بأسه وتقمته ، أو لا يرجون نوابه ، ولا يخشون عقابه (ليجزى الله) يوماً (بما كانوا يكسبون) من الإحسان والنفقات . قيل : نزلت قبل نزول الأمر بالقتال . وقيل : بل

الجزء الخامس والعشرون

٦١٢

اليسير ﴿١٠﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُوًا
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١١﴾ مَن ذَرَأْتُم مَّحْتَبًا وَلَا
يَعْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ
أَوْلِيَاءَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْحِ أَلِيمٍ ﴿١٣﴾
* اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِيَجْرِيَ أَلْفَاكٌ فِيهِ يَأْتِرُهُ
وَلِيَتَنَبَّهُوا مِنْ فَضْلِهِ وَأَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَخَسَّرَ
لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَهُ لَئِن
فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ قُلِ الَّذِينَ آمَنُوا
يَغْفِرُوا لَلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ، وَمَن أَسَاءَ
فَعَلَيْهَا ثُمَّ لِك رِيحُ تَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّن

الطَّيِّبَاتِ

هي عامة ؛ فانظر - يارعاك الله وهداك - لك دين يأمر بالعبودية عن أعدائه والصبر على أذامه ، والفران لنوهم ، ويحث على الإحسان إليهم ! (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب) التوراة (والحكمة) الشرائع المنزلة عليهم ، والتي يحكمون بها بين الناس (والنبوة) أكثر ما بث الله تعالى من الأنبياء في بني إسرائيل : من وقت يوسف ، لك زمن عيسى عليها السلام

الطَّيِّبَاتِ وَقَضَلْنَهُمْ عَلَى الْعَمَلِينَ ﴿١٧٦﴾ وَآتَيْنَاهُم
 بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ مَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
 الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ
 الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٨﴾
 إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ
 أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٧٩﴾ هَذَا بَصَلُّهُ لِلنَّاسِ
 وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٨٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ
 اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْسَبًا وَمَنَّهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٨١﴾
 وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَئِن لَّجَزَىٰ كُلُّ
 نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ
 لِلنَّهْرِ هَوْنَهُ وَاضْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ

(ورزقناهم من الطيبات) أى الحلال من الأقوات ، أو هو المن والسلوى (وآتيناهم بينات من الأمر)
 الصرائع التي تحل الحلال ، وتحرم الحرام . أو هو أمر الرسول - صلوات الله تعالى وسلامه عليه - وعلام بعبثه ،
 ودلائل نبوته ا (فاختلفوا) في أمر دينهم
 (إلا من بعد ما جاءهم العلم) ببعثة محمد عليه الصلاة
 والسلام (بعثاً بينهم) حسداً منهم ، وطلباً
 للرياسة؛ فقتلوا أنبياءهم، وأنكروا شرائعهم ،
 وحاربوا ربهم (إن ربك يقضى بينهم) يحكم
 ويفصل ؛ فيعاقب العاصي ، ويثيب الطائع (ثم
 جعلناك) يا محمد (على شريعة من الأمر)
 الشريعة : الذهب والملة ؛ وهي ما شرعه الله
 تعالى لعباده . أى جعلناك على منهاج واضح من
 الدين (لأنهم لن يغنوا) لن يدفعوا (عناك من
 الله) من عذابه ؛ إن أراد أن ينزله بغير خلقه
 وأقرهم منه ا (هذا) القرأت (بصائر
 للناس) البصائر : جمع بصيرة ؛ وهو ما يبصر
 بالقلب . ولما كان القرآن وسيلة لإبصار
 الهدى والرشاد ، وكان القلب عملاً للإبصار
 الحقيقي : سماه تعالى بصائر . كما سماه روحاً ،
 وحياة ، وشفاء (اجترحوا) اكتسبوا (أن
 نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء
 محياهم ومماتهم) لا ؛ فإنها يختلفات تمام
 الاختلاف : فالؤمن يحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ،
 والكافر يحيا كافراً ويموت كافراً ؛ ففتان
 بين الإثنين ، وشتان بين المآلين ا (بما
 كسبت) عملت من خير أو شر (أفرايت من
 اتخذ ليله هواه) أى أطاع هواه في كل ما أمره
 به ؛ فكان في طاعته العمياء كالعابده (انظر

آية ١٧٦ من سورة الأعراف) (وأضله الله على علم) منه تعالى ؛ بأنه من أهل الضلال قيل أن يخلق .
 أو أضله على علم من الضال بفساد ما يعبد من أصنام ، وما يحيط به من أوام (وختم على سمعه وقلبه) أصمه
 عن سماع الوعظ ، وجعل قلبه لا يقبل الحق

وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاةً فَن يَبْصُرُ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَالِي إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا
 وَمَا يَهْدِيَنَا إِلَّا النُّجُومُ وَمَا لَنَا بِالنَّجْمِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
 إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذَا نَقَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَرْضٍ
 أُخْرَىٰ سَأَلُوا عَنْ أَمْثَلِ ذُنُوبِهِمْ بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 فَهُمْ فِي سَفَاهَةٍ ﴿٦٣﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
 وَرُؤسُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ زُجُوجًا يُجْرُونَ ﴿٦٤﴾ لِيُحْشَرُوا
 إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ أَفَلَا يُحْشَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِذَا نَادَىٰ
 السَّمْعُونِيُّ إِنَّ أُمَّةً جَائِيَةً عَلَيْكُمْ فَلْيَنْتَظِرُوا
 إِنَّكُمْ بِأَعْيُنِنَا فَلْيُصْبِرُوا إِنَّ صَبْرًا لَمَبْرُورًا ﴿٦٦﴾
 وَإِذَا نَادَىٰ السَّمْعُونِيُّ إِنَّ أُمَّةً جَائِيَةً عَلَيْكُمْ فَلْيَنْتَظِرُوا
 إِنَّكُمْ بِأَعْيُنِنَا فَلْيُصْبِرُوا إِنَّ صَبْرًا لَمَبْرُورًا ﴿٦٧﴾
 وَإِذَا نَادَىٰ السَّمْعُونِيُّ إِنَّ أُمَّةً جَائِيَةً عَلَيْكُمْ فَلْيَنْتَظِرُوا
 إِنَّكُمْ بِأَعْيُنِنَا فَلْيُصْبِرُوا إِنَّ صَبْرًا لَمَبْرُورًا ﴿٦٨﴾

أَقْلَمُ

بركة على الركب ؟ من فرط النمل والهوان (كل أمة تدعى إلى كتابها) إلى صحائف أعمالها (هذا كتابنا)
 التي كتبتها الحفظة (ينطق) يشهد بما فيه (عليكم بالحق) الذي كان منكم (إنا كنا) في الدنيا (نستنسخ
 ما كنتم تعملون) أي كنا فأمر الملائكة بكتابة أعمالكم (في رحمتي) في جنتي ومغفرة ا

(وجعل على بصره غشاوة) غطاء ؛ فلا يرى
 الحق (فمن يهديه) إذن (من بعد الله أفلا
 تذكرون) تذكرون ذلك وتفقهونه (وقالوا
 ما لي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا
 إلا الدهر) أنكروا البعث ؛ وهو أشد أنواع
 الكفر ا وقد وجد في هذا العصر من يدين
 بهذا الدين ، ويدعو لهذا الذهب ؛ فلهذا الحزى
 والويل ا يوم يقال لهم « اليوم نسألكم كما نسئتم
 لقاء يومكم هذا وما أوتاكم النار وما لكم من
 ناصرين » (انظر مجت « التطليل » بأخر
 الكتاب) (إن تم) ما هم (إلا يظنون) ظناً
 فاسداً ، لا على وجه العلم والتأكد (وإذا
 تلى عليهم آياتنا) من القرآن ؛ الدالة على
 قدرتنا على بنهم وإعادتهم (ما كان حجهم)
 حيال ذلك (إلا أن قالوا) معارضين مناوئين
 (امثوا بآياتنا) السابقين أحياء (إن كنتم
 صادقين) فيما تزعمونه من بئتنا بعد موتنا (قل
 الله يجزيكم) ابتداء (ثم يجزيكم) عند انتهاء
 آجالكم (ثم يجمعكم إلى يوم القيامة) أحياء
 كما كنتم في الدنيا (لاربي) لاشك (فيه)
 في يوم القيامة (يومئذ يحسر المطلقون)
 الكافرون (وترى كل أمة جانية) مجتمعة ،

أَفَلَمْ تَكُنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ نُنَادِيْ عَلَيْهِمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
 مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ وَاعْبُدُوا لِلَّهِ حَتَّىٰ وَالسَّاعَةِ لِأُرِيْبَ
 فِيهَا فَلْتُمْ مَادِدِيًّا مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَّرُ إِلَّا نُنظَّرُ وَمَا نَحْنُ
 بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا لَهُمْ سِيقَاتٌ مَّا مَعَلَمُوا وَحَاقَ بِهِمْ
 مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَخُ كَمَا
 نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ
 نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِأَنكُم كَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ هُرُوفًا
 وَعَرَسْتُمْ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ
 يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَاللَّهُ أَحْمَدُ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

(أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) أى يقال لهم ذلك
 (فاستكبرتم) عن سماعها ، وعن فهمها
 (والساعة لارب فيها) أى والقيامة لاشك
 فى وقوعها (وبدا لهم سيئات ماعلموا) أى
 ظهر لهم جزاء السيئات التى عملوها ؟ وهو
 العذاب المعلوم (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون)
 أى نزل بهم اثم استهزائهم بكتبهم ، ورسولهم
 (وقيل) لهم (اليوم نناسم) من رحمتنا
 ومغفرتنا (كما نسيتم) وأغفتم (لقاء يومكم
 هذا) فلم تصدقوا به، ولم تعملوا له (وغررتكم)
 خدعتكم (الحياة الدنيا) بلهوها وزخرفها ؟
 فتمسكتم بها ، وحرصتم عليها (فاليوم لا يخرجون
 منها) أى لا يخرجون من الجحيم ؛ بل يخلدون
 فيه (ولا هم يستعذبون) أى لا يسترضون ؛ لأن
 الاستعذاب : الاسترضاء ، والإعتاب : لزالة
 الشكوى . أو هو من العتاب أى ولاهم
 يعاتبون : لأن العتاب من علامات الرضا ؟
 وهو مخاطبة الإدلال ، ومذاكرة الوجدان ؟
 وليس تمت إدلال ، بل إدلال . ولا وجدان
 بل خذلان . وكيف يكون إدلال ووجدان ،
 وقد فعلوا كل موجبات الغضب والحرمات
 (فله الحمد) على عدله ، والشكر على فضله
 (وله الكبرياء) العظمة والجلال ، والبقاء والسطان ا (وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه ا

(٤٦) سُورَةُ الْاِحْقَافِ مَكِّيَّةٌ
اِلَّا الْاَيَاتِ ١٠ وَ ١٥ وَ ٢٥ مُدْتَنِيَّةٌ
وَ اَيُّهَا ٣٥ نزلت بعد الحاقة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝
مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ
وَاَجَلٍ مُّسَمًّى ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا اُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ۝
قُلْ اَرَاةَ يَتَمَنَّوْنَ اَنْ يَدْعُوْنَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اُرْوِي مَاذَا خَلَقُوا مِنْ
الْاَرْضِ اَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ اَنْتَوْنِ يَكْتُمِبْنَ مِنْ
قَبْلِ هٰذَا اَوْ اَنْشُرْنَ مِنْ عَلِيمٍ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝ وَمَنْ
اَضَلَّ مِمَّنْ يَدْعُوْنَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ اِلٰى
يَوْمِ الْقِيٰمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَاؤِهِمْ غٰفِلُوْنَ ۝ وَاِذَا حُشِرَ
النَّاسُ كَانُوْا لَهُمْ اَعْدَاۗءٌ وَكَانُوْا بِعِبَادَتِهِمْ كٰفِرِيْنَ ۝

وَ اِذَا

(سورة الأحقاف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) (انظر آية ١ من سورة البقرة)
(ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أى لإقامة الحق ، وبسط العدل
(وأجل مسمى) هو يوم القيامة : تنهى فيه
السموات والأرض وما بينهما (قل) أرايتم
ما تدعون (تعبدون) (من دون الله) غيره
(أم لهم شرك) مشاركة (انتونى بكتابتها)
منزل (من قبل هذا) القرآن (أو أنارة)
بقية (من علم) يدل على صحة ما تعبدون ،
وما تزعمون (ومن أضل ممن يدعو) يصد
(من لا يستجيب له) لا يجيبه إلى شيء يسأله؟
وم الأصنام (وم عن دعائهم) عن عبادتهم
(غافلون) لأنهم جاد لا يعقل ، ولا يحس إن
عبدته وعظمته ، أو أهنته وحطته ا (وإذا
حشر الناس) أى جمعوا للحساب والجزاء يوم
القيامة (كانوا لهم أعداء) أى كانت الأصنام
أعداء لعابديها

وَإِذَا نَسَخَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَعَنَى
لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سَخِرْتُمْ مِنْهُ ۗ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ
إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا
تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ۝ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ
مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ وَمَا أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ
فَقَامَنَّ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا
إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ۝
وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ
مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُبَشِّرَ

(أم يقولون افتراه) أى اختلق القرآن (هو
أعلم بما تفيضون فيه) أى بما تقولونه من
الظن في القرآن (قل ما كنت بدعا من
الرسول) أى لم أكن أولهم ؛ فقد سبقني
الكثير منهم : موسى ، وعيسى ، وإبراهيم
(قل أرايتم إن كان) هذا القرآن (من عند
الله) كما أقول (وكفرتم به) فإذا يكون
حالك يوم القيامة؟ (وشهد شاهد من بني
إسرائيل) هو عبد الله بن سلام (على مثله)
على التوراة - التي هي مثل القرآن في نسبتها
للى الله تعالى - بأن فيها ذكر الرسول صلى
الله تعالى عليه وسلم ، وصفته ، وأنبأ بعثته!
(فأمن) هو بالقرآن (واستكبرتم) عن
الإيمان به (وقال الذين كفروا) اليهود
(الذين آمنوا) منهم ؛ كعبد الله بن سلام
وأضرابه (لو كان) هذا الدين (خيرا ما سبقونا
إليه) أى ما سبقنا إليه الفقراء والرعايا ؛
كبلال ، وصهيب ، وعمار (وإذ لم يهتدوا به)
أى بالقرآن (فسيقولون هذا إنك قديم) أى
كذب . وذلك كقولهم «أساطير الأولين»
والإنك : أسوأ الكذب وأخشفه (ومن قبله)
أى قبل القرآن (كتاب موسى) التوراة

(إماما) أى قدوة يؤتم به في دين الله تعالى وشرائعه (ورحمة) للمؤمنين ؛ لأنه ينقلهم من الظلمات لى
النور (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لما سبقه من الكتب (لينذر الذين ظلموا) كفروا ؛ بالعذاب الأليم

لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا
فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧﴾ أَوْلَيْكَ أَهْتَبُ
الْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا جِزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾
وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا
وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَوَصَّاهُ اللَّهُ فِي شَهْرٍ حَافِلٍ إِذَا
بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٩﴾ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عِبَادَهُمْ أَحْسَنَ
مَا عَمِلُوا وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَهْتَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ
الضَّادِقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالَتِهِ
أَفْ لَكُمْ مَا أَعْدَانِي أَنْ أُتْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ
قَبْلِي وَمَا يَسْتَفْتِينِ اللَّهُ بِرَبِّكَ ءَأَمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

فَيَقُولُ

(وبشرى المحسنين) المؤمنين بالنعيم المقيم
(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أقاموا
على الطاعة، وجانبوا المصيبة (ووصينا الإنسان
بوالديه إحساناً) أى أمرناه أمراً جازماً
بالإحسان لوالديه (حملته أمه كرهاً) أى ذات
كره. والمراد به: الشفقة أثناء الحمل
(ووضعت كرهاً) أى تبب ومشقة أثناء
الوضع (وحمله وفصاله) أى مدة حمله وإرضاعه
حتى ينظم (حتى إذا بلغ أشده) استكمل
قوته وعقله. وبلوغ الأشد: بين ثمانى عشرة
إلى ثلاثين؛ وهو أيضاً بلوغ الحلم. وهو مثل
ضربه الله تعالى للمؤمن المصدق (قال رب
أوزعني) ألهني (وأن أعمل) عملاً صالحاً
ترضاه (وهو اتباع أوامره تعالى، واجتناب
نواهيه (وأصلح لي في ذريتي) أى هبني ذرية
مؤمنة؛ وهو كقول إبراهيم عليه الصلاة
والسلام «رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي»
(إنى تبنت إليك) مما جنبت في سابق آياتي
(والذى قال لوالديه أف لكما) أف: كلمة
تضجر؛ وقد نزلت هذه الآية في الكافر العاق
لوالديه، المكذب بالبعث (أعدائي أت
أخرج) أى أخرج من الأرض بعد الموت،
وأبعث (وقد خلت) مضت (القرون) الأمم (وما يستفتيان الله) أى يطلبان من الله تعالى النouth؛ ليرجع
إليهما عن غيه وبغيه، ويرده عن كفره؛ ويقولان له (ويلك آمن) أى الويل لك؛ آمن بالله وبالبعث
(إن وعد الله) بالقيامه بالبعث، والحساب والجزاء (حق) واقع؛ لا مهراء فيه

فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٧﴾ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ
 حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ
 الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ ﴿٧٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ
 مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾
 وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ لَكُمْ طَبِيبٌ لَكُمْ
 فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ
 الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
 وَمِمَّا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٨٠﴾ * وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ
 قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن
 خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
 يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٨١﴾ قَالُوا اجْعَلْنَا لِنَافِكًا عَنِ الْمَيْمِنَا فَأَتَيْنَا
 بِمَا تَعِدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ
 عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرْتِكُمْ قَوْمًا

(فيقول) لها (ما هذا) الذي تقولانه (إلا أساطير
 الأولين) أكاذيبهم (أولئك الذين حق عليهم
 القول) وجب عليهم العذاب (في أمر قد خلت)
 قد مضت (من قبلهم من الجن والإنس)
 الكافرين (ولكل) من جنس المؤمن والكافر
 (درجات) فدرجات المؤمنين في الجنة ،
 ودرجات الكافرين في النار . والجنة درجات
 والجحيم درجات (مما عملوا) أي إن أعمالهم
 هي التي أوصلت كلا منهم إلى درجته التي
 يستحقها (وليوفيهم) الله تعالى (أعمالهم) أي
 جزاءها (ويوم يمرض الذين كفروا على النار)
 ليدخلوها ؛ يقال لهم حينئذ (أذهبتم طياتكم)
 الباقية ؛ بانصرافكم عن الإيمان ، واشتغالكم
 باللذات والشهوات . أو «أذهبتم طياتكم»
 أذهبتم أعمالكم الطيبة؛ التي عملتموها في الدنيا؛
 كالصدقة ، وصلة الرحم ، وأمثالها (في حياتكم
 الدنيا واستمتعتم بها) تمتعتم بما يقابلها ؛ من
 صحة وسعة ؛ وأصبح لامقابل لها في الآخرة ؛
 وقد أوفاكم الله تعالى - لسعة فضله وكرمه -
 أجوركم عليها في دنياكم ؛ فلم يبق لكم سوى
 الجحيم ، والعذاب الأليم (فالיום تجزون) على
 ما كسبتم من الكفر (عذاب الهون) الهوان .

وقرىء به (بما كنتم تستكبرون) تستكبرون (واذكر أخا عاد) هو هود عليه السلام (بالأحقاف) هو واد
 باليمن ؛ وبه منازلهم (وقد خلت النذر) مضت الرسل (من بين يديه) من قبله (ومن خلفه) من بعده .
 وقرىء شاذاً : « من قبله ومن بعده » ولولا ذلك ؛ لجاز العكس . (لنأفكنا) لتصرفنا (فأتنا بما تعدنا)
 من العذاب (قال إنما العلم) بوقت نزول العذاب (عند الله) فهو وحده ينزله متى شاء

(فلما رأوه) الضمير للعذاب (طارضاً) العارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء (مستقبل أوديتهم) أي متجهاً إليها (قالوا هذا عارض) سحاب (مطرنا) بعد عجل ، ومخضبنا بعد جذب . فقيل لهم : لا . ليس الأمر كما توهمتم (بل هو ما استجلبتم به) من العذاب ؛ وما هو إلا (ريح) عاتية (فيها عذاب أليم) قيل : القائل لذلك هود عليه السلام ؛ يؤيده قراءة من قرأ «قال هود بل هو ما استجلبتم به» (تدمر) تهلك (كل شيء) صرت عليه (بأسر ربها) بقدرته وإرادته (فأصبحوا) بعد نزول العذاب بهم هلكت (لا يرى إلا

الجزء السادس والعشرون

٦٢٠

مساكنهم) لتدل على ما حل بساحتهم . وذهب بعض الصوفية إلى أن المراد بمساكنهم : أجسادهم ؛ بعد أن خلت من أرواحهم (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) المكاة : المنزلة والتكن . أي ولقد مكناهم فيما لم نمكنكم فيه أو «ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه» لفجرتم أكثر من فجوركم ، ولطفتم أكثر من لطفناكم (وجعلنا لهم سمعاً) كسمعكم (وأبصاراً) كأبصاركم (وأفئدة) قلوباً كقلوبكم ، وعقولا كعقولكم (فأغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ أنهم قد أصموا أسمعهم عن الاستماع إلى الهدى ، وأعموا أبصارهم عن رؤية الحق ، وأففلوا قلوبهم عن فهم الإيمان ؛ و (كانوا يجحدون آيات الله) ينكرون حجة البينات ، ودلائل قدرته الظاهرات (وحاق) نزل (بهم) ما كانوا به يستهزئون) وهو العذاب الذي كانوا ينكرون حدوثه (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) أي أهلكنا أهلها : كعاد وعمود ، وقوم لوط ، ونحوهم ؛ مما كان يجاور بلاد الحجاز ، وأخبارهم متواترة ذائعة عندهم (وصرفنا الآيات) بينا الحجج والمطات والدلالات ، وكررها عليهم (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (فلولا) فهلا (نصرهم) أي دفع العذاب عن أهل هذه القرى المهلكة (الذين اتخذوا من

تَجْهَلُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرِنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنَتُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصُرًا وَأَفئِدَةً لِّمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفئِدَتَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٦﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ

مُنذِرِينَ ﴿٦٨﴾

دون الله) غيره (قرباناً آلهة) معه ؛ وهم الأصنام ؛ لأنهم كانوا يقولون : «ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» (بل ضلوا عنهم) غابوا عنهم ، وعن نصرتهم ؛ عند نزول العذاب (وذلك إنكم) كذبهم . والإفك : أسوأ الكذب (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن) أهلكناهم إليك . والنفر : مادوت العشرة . وكانوا من جن نصيبين باليمن - وهي قاعدة ديار ربيعة - أو جن نينوى (فلما حضروه) أي حضروا مجلس الرسول وقت تلاوة القرآن (قالوا) لبعضهم (أنصتوا) استكوا ؛ لنستمع لما يتلى وتفهيمه (فلما قضى) أي فرغ الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه من القراءة (ولوا) انصرفوا مسرعين

مُنذِرِينَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ
 بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى
 طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٣﴾ يَنْقُومَنَا أَجْبِرُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا
 بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٤﴾
 وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ
 لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٥﴾
 أُولَئِكَ رَوَّاءُ أَنْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَهُ
 يَمَعُ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَجْحَى الْمَوْتِ بَلَى لَهُمْ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى
 النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا
 الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَئِكَ
 الْعَازِمِينَ مِنَ الرَّسُولِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ
 مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ
 إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٨﴾

(إلى قومهم منفرين) مخوفين لهم بالعذاب الذي سمعوه ، والذي أعده الله تعالى لمن يكفر به ، ولا يصدق بكتابه . قالوا القومهم (إنا سمعنا كتاباً) ينون القرآن الكريم (أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه) لما تقدمه من الكتب ؛ كالنوراة والإنجيل (يهدي إلى الحق) الواضح (وإلى طريق مستقيم) لا عوج فيه . وهل أقوم من الإسلام ، وأهدى من الإيمان ؟ (يا قومنا أجبوا داعي الله) رسوله الذي يدعو إليه ، وإلى دينه القويم (يغفر لكم من ذنوبكم) التي اقترفتوها قبل إيمانكم ؛ لأن الإيمان يجب ما قبله (ويجركم من عذاب أليم) ذهب كثيرون إلى أن الجن ثوابهم : أن يجاروا من النار ، ثم يقال لهم : كونوا تراباً ؛ فيكونوه ؛ كالبهائم تماماً . وذهب آخرون إلى أنهم كما يعاقبون على سيئاتهم : يثابون على حسناتهم . وهذا القول أولى بالصواب وأجدر بالعدالة الإلهية ؛ قال تعالى «ولكل درجات مما عملوا» بعد مخاطبته للجن والإنس بقوله «يا معشر الجن والإنس» (فليس بمعجز في الأرض) أي لن يعجز الله بالهرب من بطشه وعقوبته (وليس له من دونه) غيره (أولياء) أنصار يمنعونه عذاب الله تعالى ، أو يدفعون عنه عقابه (أولئك) الذين لم يجيبوا داعي الله (في ضلال بعيد) الضلال : ضد الهدى . ويطلق أيضاً على الحيرة ، والموت (ولم يبي بخلقين) أي لم يصب ، ولم يعجز (بلى) أي نعم هو قادر على بث الموت وإحيائهم (أليس هذا بالحق) أي يقال لهم : أليس هذا العذاب هو الحق الذي تستحقونه ، وقد استوجبتموه بكفركم ، وقد جشاكم في الدنيا بأنيابهم ؛ فلم تؤمنوا بوقوعه (فاصبر) يا محمد على أذى قومك (كما صبر أولوا العزم) ذوو الجهد والثبات والصبر (من الرسل) الذين تقدموك (ولا تستعجل لهم) أي لا تستعجل العذاب لقومك (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من العذاب يوم القيامة (لم يلبثوا) في الدنيا ، أو في القبور (إلا ساعة من نهار) وذلك لشدة ما يلقون من هول القيامة ا (بلاغ) أي هذا القرآن «بلاغ» من الله تعالى إليك

(سورة محمد عليه الصلاة والسلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصدوا) منعوا وصرفوا (عن سبيل الله) دينه (أضل أعمالهم) أحبطها وأبطلها؛ وذلك كإطعام

الجزء السادس والعشرون

٦٢٢

الطعام ، ولين الكلام ، وصلة الأرحام ، وبر الأيتام ؛ فلا يجنون ثواباً لذلك في الآخرة ؛ لأن الله تعالى مجل لهم جزاء أعمالهم في الدنيا (كفر عنهم) غفر لهم ذنوبهم ، ومحا (سيئاتهم) في الآخرة (وأصلح بهم) في الدنيا ؛ فتجد المؤمن - وقد نلغ بالفقر ، وتسربل بالمصائب - هائئ البال ، قرر العين ، مطمئن القلب ، ساكن النفس ؛ (ذلك) الإضلال والإحباط ، والتكفير والإصلاح (بأن) بسبب أن (الذين كفروا اتبعوا الباطل) ولم يجيبوا داعي الله ؛ فاستحقوا الإضلال (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) فاستوجبوا تكفير ذنوبهم ، وإصلاح بهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) فالكافر يحيط عمله ، والمؤمن يفر زله (فاذا لقيتم الذين كفروا) في ساحة القتال (فضرب الرقاب) أي فاضربوا رقابهم واقتلوا (حتى إذا اختنموا) أكثرتم فيهم القتل . والإيمان : المبالغة في الجراحة والتوهين (فشدوا الوثاق) أي فأسروهم . قال تعالى «ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض» أي حتى يبالغ في النيل من أعداء الله والبطش بهم ؛ ليشرد بهم من خلفهم ، وليكونوا عبرة لغيرهم ! (فإما منا بعد) أي فيما أن تنوا على الأسرى بالاطلاق ؛ فتكون لكم يد عليهم ، وجبل في أعناقهم (وإما فداء) وإما أن تأخذوا منهم الفدية (حتى تضع الحرب أوزارها) أي تضع أبقالها ؛ من السلاح وغيره ؛ بأن يسلم الكفار ، أو يدخلوا في العهد (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أي لأهلكهم بغير قتال (ولكن) جعل عقوبتهم في القتال (ليبلوا) ليختبر (بعضكم ببعض) ليعلم المجاهدين والصابرين

(٤٧) سورة محمد عليه الصلاة والسلام

إلا آية ١٣ فنزلت في الطريق أثناء الهجرة وأياها ٢٨ نزلت بعد الحديدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿١﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى
رَسُولِهِمْ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ
بِهِمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ
الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا ائْتَمَتُوهُمْ فُشِدُوا الْوَرِثَاقَ فَمَا مَنَّ
بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا فُتِنُوا فَمَا فُتِنُوا بِأَنْفُسِهِمْ وَالَّذِينَ
يَبْغُوا لِيَأْخُذُوا بِأَنْفُسِهِمْ وَالَّذِينَ يَبْغُوا لِيَأْخُذُوا بِأَنْفُسِهِمْ

وَالَّذِينَ

وَالَّذِينَ يَبْغُوا لِيَأْخُذُوا بِأَنْفُسِهِمْ وَالَّذِينَ يَبْغُوا لِيَأْخُذُوا بِأَنْفُسِهِمْ

وَالَّذِينَ قَبِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿١٠﴾
 سَبِيلِهِمْ وَيُضِلُّهُم بِأَلْسِنَتِهِمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا
 لَهُمْ ﴿١١﴾ بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَصَرُّوا لِلَّهِ يَصْرُكُرْ
 وَيَبْنِيَتْ أقدامِكُمْ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا قَتَمُوا لَهُمْ وَأَضَلَّ
 أَعْمَلَهُمْ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ
 أَعْمَلَهُمْ ﴿١٤﴾ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١٦﴾ إِنْ اللَّهُ يُدْخِلُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
 الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ ﴿١٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ
 أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَنْزَلْنَاكَ عَلَيْهَا فَلَمَّا

(ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أى التى عرفها لهم،
 ويشترم بها فى الدنيا على لسان رسله (بألسنتها)
 الذين آمنوا إن تصروا لله) أى تصروا دينه
 ورسله وتعاليمه . ومن نصره الله تعالى : إقامة
 الحق ، وعدم كتمان الشهادة ، والأمر
 بالمعروف ، والنهى عن المنكر (ينصركم) على
 أعدائكم ، وعلى أنفسكم ، وعلى الشيطان الرجيم
 (ويثبت أقدامكم) عند مجاهدة العدو، ومجاهدة
 النفس (والذين كفروا قتموا لهم) أى هلاك
 وخيبة (ذلك) الهلاك والحية (بأنهم) بسبب
 أنهم (كرهوا ما أنزل الله) كرهوا القرآن ،
 وما اشتمل عليه من شرائع وتكاليف، وأوامر
 ونواه (فأحبط أعمالهم) أبطلها (كيف كان
 عاقبة الذين من قبلهم) من الكفار (دمر الله
 عليهم) أى أهلكتهم هلاك استتصال (وللكافرين
 أمثالها) أى أمثال عاقبة من قبلهم من العذاب
 والتدمير (ذلك) الإحباط والتدمير (بأن)
 بسبب أن (الله مولى الذين آمنوا) وليهم
 وناصرهم، وحافظهم، وكافلهم؛ لأنهم يتوكلون
 عليه ، وينيبون إليه (وأن الكافرين لا مولى
 لهم) ينصروهم ، أو يحفظهم ؛ لأنهم نسوا الله

فأنساهم أنفسهم ، ووكلمهم إليها وليل شياطينهم (والذين كفروا يتمتعون) فى الدنيا (ويأكلون كما تأكل
 الأنعام) التى تأكل وهى غير عابثة بما قتها ، ولا حاسبة لما لها حساباً . وما لها النحر والذبح والمهاة (والنار
 مشوى لهم) أى منزل ومقام ومصير (وكأين من قرية) وكمن قرية . والمراد بالقرية أهلها (من قريتك) مكة

(أمن كانت على بينة) حجة واضحة، وبرهان ظاهر. وهو المؤمن (كمن زين) زينت (له) نفسه وشيطانه (سوء عمله) وهو الكافر (وأتبعوا أهواءهم) ولم يقبوا ربهم (من ماء غير آسن) غير متغير الطعم، أو الرائحة، أو اللون؛ كما الدنيا (وأنتار من خمر لذة للشاربين) أي ليست تحمر الدنيا: رديئة الطعم، شنيعة الرائحة (وأنتار من غسل مصفى) لا تشوبه شائبة. قد يقول قائل: وما لذة تناول العسل لمن لا يتقبله في الدنيا؛ أو لا يطبق إلا كثار منه؟ والجواب على ذلك: أن الله تعالى ساق لعباده في جنته كل ما تشبهه الأنفس وتلذ الأعين؛ وقد تصاف بعض النفوس ما يشتهي، وتنادى بعض الصيون بما يتلذذ به

الجزء السادس والعشرون

٦٢٤

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم وحينما تشتق النفوس من أمراضها، والأعين من أرمادها؛ فإنها تعود إلى طبيعتها السليمة: فقتتهى ما يشتهي، وتلذذ بما يتلذذ منه. والصل من أفضل أنواع الحلوى: مذاقها ولونها، وريحها، وقصا (ومغفرة من ربهم) والمغفرة خير من سائر النعم؛ وهذا مثل المؤمن وما يلقاه من كرم مولاه؛ أما مثل الكافر (كمن هو خالد في النار) أي أمن هو خالد في النعيم المقيم؛ كمن هو خالد في العذاب الأليم؟ (وسقوا ماء حيميا) بالإنهاية الحرارة (ومنهم) أي من الكفار والناقضين (من يستمع إليك) حين تقرأ القرآن، أو تخطب للجمعة، أو تعظ المؤمنين (قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ومن آمن من أهل الكتاب (ماذا قال آتفا) أي ماذا قال الآن (طبع الله على قلوبهم) غطاهما عقوبة لهم؛

نَاصِرَهُمْ ﴿١٦﴾ أَمَّنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوْرَةُ عَمَلِهِ وَأَتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٧﴾ مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّيِّنٍ لَّا يَتَّخِرُ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَن هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٨﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِن عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفَا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَوَسَّعَتْهُمْ نِعْمَتُهُمْ ﴿٢٠﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿٢١﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرِ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

وَاللَّهُ

فلا تسمع ولا تسمى (والذين اهتدوا) بهداية الله ورسوله وكتابه (زادهم هدى وآتاهم تقواهم) أي آتاهم جزاء تقواهم؛ أو ألهمهم من الأعمال ما يتقون به غضبه وناره (فهل ينظرون) ما ينظرون (إلا الساعة) القيامة (بغتة) فجأة (أشراطها) علاماتها (فأنى لهم) فكيف لهم (إذا جاءتهم) الساعة (ذكرهم) تذكروهم. أي لا ينعف تذكروهم ولا يعانهم بعد مجيء الساعة، أو مجيء أشراطها؛ حيث لا يقبل اعتذار، ولا استغفار (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) إشارة إلى أن العمل يكون بعد العلم؛ كما في قوله جل شأنه «اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو» وقال بعد ذلك «سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة»

(والله يعلم متقلبكم) سيركم وسعيكم في معاشكم ومتاجركم (ومثواكم) مأواكم إلى مضاجعكم بالليل . أو «متقلبكم» أعمالكم في الدنيا «ومثواكم» جزاءكم في الآخرة . والمعنى أنه عالم بجميع أحوالكم ، لا يخفى عليه تعالى شيء منها (لولا) هلا (حكمة) أى غير متشابهة ؛ بل واضحة لا تحتمل التأويل . وقيل : كل سورة نزل فيها القتال فهي حكمة لم ينسخ منها شيء . وذلك لأن القتال ناسخ للصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة (رأيت الذين غير منسوخ إلى يوم القيامة) رأيت الذين

سورة ٦٢٥

في قلوبهم مرض) شك ؛ وهم المنافقون (ينظرون إليك) لشدة جنهم، وسرمد خوفهم (نظر المشى عليه من الموت) وذلك لأن الميت يشخص بصره كالمدعور (فأولى لهم) تهديد ووعيد . أو المعنى : خير لهم (طاعة) لك (وقول معروف) للؤمنين (فيذا عزم الأمر) أى فرض القتال ووجب (فلو صدقوا الله) وجاهدوا في سبيله . واتبعوا أوامره (لكان خيراً لهم) من القعود عن الجهاد ، والنكوص والنفاق ؛ لأن نتيجة الجهاد : الاستشهاد - وهو الفوز الأكبر - أو الظفر والنفيسة (فهل عسيتم) أى فلعلمكم (إن توليتم) الأمر والحكم ، أو «إن توليتم» بمعنى أمرتكم عن الإيمان والطاعة (أن تفسدوا في الأرض) بالعصيان ، والقتل ، والظلم ، وأخذ الرشوة (وتقطعوا أرحامكم) تعادوا أهليكم ولا تبرؤم (أو تلك) الذين تاموا عن الحق ، وأفسدوا في الأرض : هم (الذين لعنهم الله) طردكم من رحمته (فأصمهم) عن استماع الهدى (وأعمى أبصارهم) عن الصراط المستقيم (أفلا يتدبرون القرآن) فيعرفون ما فيه (أم على قلوب أقفالها) أم قلوبهم مقفلة لا يدخلها الهدى ، ولا يصل إليها الذكر (سول) زين (وأملئ لهم) أى مد لهم في الآمال والأمانى ، أو أملئ لهم

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوَكُمُ ﴿٦٢٥﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْنَمِ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٦٢٦﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٦٢٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٦٢٨﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالٌ ﴿٦٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْنٌ لَهُمْ ﴿٦٣٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٦٣١﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

الشیطان الكفر والفسوق والعصیان (ذلك) الإضلال الواقع عليهم (بأنهم) بسبب أنهم (قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) أى للمشركين ؛ لأنهم كرهوا القرآن الكريم ، وكرهوا الاستماع إليه . قالوا لهم (سنطيعكم في بعض الأمر) أى في عداوة الرسول ، وتثييط الناس عن الجهاد معه (والله يعلم إسرارهم) ما أسروه من ذلك فيما بينهم (فكيف) بهم (إذا توفتهم الملائكة) يعنى إذا لم يصبهم العذاب في الدنيا ؛ فإن الموت لاحق بهم لامحالة . فكيف يكون حالهم عند الموت ، والملائكة (يضربون وجوههم وأدبارهم) ظهورهم . والمراد أن العذاب ينزل حينذاك على سائر أعضائهم

وَأَذْبَرَهُمْ ﴿٧٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَحَسَّطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا
 رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٧٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
 مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْفَانَهُمْ ﴿٧٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ
 لَأَرَيْنَهُمْ قُلُوبَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسْمِعِهِمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ
 الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٨٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكَ حَتَّى نَعْلَمَ
 الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكَ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكَ أَخْبَارَكَ ﴿٨١﴾ إِنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ
 بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ
 أَعْمَالُهُمْ ﴿٨٢﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْغُلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٨٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ
 يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٨٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ
 الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْزُكَ أَعْمَالَكُمْ ﴿٨٥﴾ إِنَّمَا

ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله (وكرهوا رضوانه) أي كرهوا العمل بما
 يرضيه (فأحبط) أبطل (مرض) شك وفاق
 (يخرج الله أضفانهم) يظهر أحقادهم على
 الرسول وعلى المؤمنين (ولو نشاء لأريناكم)
 على حقيقتهم (لعرقتهم) عرفت سرائهم ، كما
 عرفت ظواهرهم (بسميع) بعلامتهم (في لحن
 القول) فغواه ومناه (والله يعلم أعمالكم)
 ما خفي منها وما ظهر ، وما أريد به وجهه
 الكريم ، وما أريد به الفخر والمسارة
 (ونبلونكم) لنختبرنكم بالقتال (ونبلوا أخباركم)
 نعلم ونظهر أسراركم ، وخفايا قلوبكم (وصدوا)
 منحوا الناس (عن سبيل الله) دينه (وشاقوا)
 خاسموا وخالفوا (من بعد ما تبين لهم الهدى)
 ظهرت شواهد ، وبانت دلائله ؛ وهل بعد
 لإرسال الرسل بالمعجزات ، والكتب بالبينات ،
 وإنزال الآيات تلو الآيات . هل بعد جميع ذلك
 تحتاج معرفة الله تعالى لى تبيان أو برهان ؟ !
 (وسيجط) يبطل (ولا تبطلوا أعمالكم)
 بالمعاصي ، والفتاق ، والرياء (وصدوا عن
 سبيل الله) عن دينه ، والجهد في سبيله (فلا
 تهنوا) تملوا وتجننوا (وتدعوا إلى السلم) إلى
 الصلح بعد بدء القتال (وأتم الأعلون) الغالبون (ولن يترك أعمالكم) أي ولن ينقصكم أجر أعمالكم

(إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) فلا يحرم العاقل عليها ، ولا يعيب لئبها ؛ ولا بأس على فقدها . إنما يكون الحرص على الآخرة وما فيها من أجر كبير غير ممنون! (ولا يسألكم أموالكم) جميعها ؛ بل زكاتها فقط .

«ولا يسألكم أموالكم» أنتم ؛ بل ماله هو الذي خلفكم عليه (إن يسألكموها) جياً (فيضكم) أى يجهدكم ويطلب ما يثقل عليكم (ويخرج أضغانكم) أى ويظهر أحقادكم على الإسلام والمسلمين (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) أى فإنما يبخل عن نفسه بحرمانها من جزاء الطاء ، ومن الأجر العظيم المدد للسنفين (والله الغني) عنكم (وأتم الفقراء) إليه (وإن تولوا) تعرضوا (يستبدل) الله تعالى (قوماً غيركم) يستخلفهم في أرضه (ثم لا يكونوا أمثالكم) في الكفر ، والجحود ، والبخل ؛ بل يكونون مؤمنين ، طائعين ، منفقين ، مسرعين في إجابة داعي الله !

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوًى وَإِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۗ إِنَّ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخِضْكُمْ تَبَخُلُوهَا وَيُخْرِجْ أَوْضَاعَكُمْ ۗ هَٰئِلًا مِّنْ هَٰؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ ۗ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۗ وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ۗ

(٤٨) سُورَةُ الْفَتْحِ مَلَائِكَةٌ نَزَلَتْ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ الْإِصْرِافِ مَرَّاتٍ ثَلَاثِينَ وَأَيَّاهَا ٢٩ نَزَلَتْ بِعَدْلِ الْحَقِّقَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۗ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا

(سورة الفتح)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إننا فتحنا لك فتحاً مبيناً) هو فتح مكة ، وقيل الحديبية . وقيل : خير (ليغفر لك الله) بسبب جهادك الكفار (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) خطاب للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ والمراد به أمته . لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الذنوب حتا بعد النبوة ، مطهر منها ، بعيد عنها قبل النبوة (ويتم نعمته عليك) بتوالى الفتوح وإخضاع

من تيجر ، وطاعة من استكبر (ويهديك صراطاً مستقيماً) يقتك على الهدى ؛ إلى أن يقبضك عليه

(وينصرك الله نصراً عزيزاً) كبيراً عظيماً ؛ لا ذل بعده ا (هو الذي أنزل السكينة) الطمأنينة (وثة جنود السموات) من الملائكة (والأرض) من الإنس والجن (وكان الله علياً) بخلقها (حكيماً) في صنعها (ليدخل المؤمن والمؤمنات جنات) أي إن أنزل السكينة :

الجزء السادس والعشرون ٦٢٨

سبب في ازدياد الإيمان . وازدياد الإيمان : سبب في دخول الجنان ا (ويكفر) يمحو (وكان ذلك) الدخول في الجنان . والقرب من الرحمن ، وتكفير السيئات ، وجزاء الحسنات (فوزاً عظيماً) ظفراً بكل مطلوب ، ونجاة من كل مرهوب (ويغيب المنافقين) أي « أنزل السكينة في قلوب المؤمنين » ليزيدهم ثباتاً وإقداماً ، و « ليزدادوا إيماناً » بمصابرتهم على الجهاد ، ومزيد يقينهم ، واتصارهم لله ورسوله ؛ وليغيب المنافقين بالذل ، والأسر ، والقتل ؛ في الدنيا . وبالجهنم ، والمذاب الأليم في الآخرة ؛ بسبب هتافهم وكفرهم ا (الظانين باقة ظن السوء) وذلك أنهم ظنوا أن الله تعالى لن ينصر محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم كما وعده ، ولن يدخله مكة ظافراً (عليهم دائرة السوء) الخزي والمذاب (إنا أرسلناك شاهداً على أمتك ؛ بل على سائر الأمم (ومبشراً) من أطاعك وآمن بالجنة (وتذيراً) لمن عصاك بالنار (وتعزروه) تصروه . وقرئ « وتعزروه » (وتوقروه) تحمزه . والتوقير: نهاية الاجلال والاحترام (وتسبحوه) الضمير في التعزير ، والتوقير ؛ للرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليه . والتسبح لله تعالى . وقيل : الضمير في الكل لله جل شأنه (بكرة وأصيلاً) صباحاً ومساءً . والبكرة : التكبير . « وسبح محمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب »

مُسْتَقِيمًا ١ وَيُنصِرْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ٢ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ٣ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ٤ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٥ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ٦ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قُرْآنًا عَظِيمًا ٧ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ ٨ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ ٩ وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم وَلَعْنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ١٠ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ١١ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ١٢ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَتَذِيرًا ١٣ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ١٤ وَتَعَزَّوهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ١٥ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ بِهِ

الله

الله : وهو كقوله تعالى

(يد الله فوق أيديهم) يريد تعالى أن يد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم التي تملو أيدي المبايعين : هي يد الله ؛ لأن الله تعالى منزه عن الجوارح ، وعن صفات الأجسام . والمعنى : أن من بايع الرسول فقد بايع الله ؛ كقوله تعالى « من بايع الرسول فقد أطاع الله » أو يكون المعنى : يد الله في العطاء ، فوق أيديهم في الوفاء . ويده في المنة ، فوق أيديهم في الطاعة .

وقد ذهب المحسنة - أخرجهم الله تعالى - إلى أن لله جل شأنه من الجوارح : ما للإنسان . وأن كل ما في القرآن من صفاته تعالى : على ظاهرها :

٦٢٩

سورة الفتح

كالبصير ، والرجل ، والعين ، والإذن ، والقيام ، والجلوس ، والمشى ، وغير ذلك . وهو قول أجمع السلف الصالح على بطلانه ، وفساده . وزى تكفير فآله : لاستهاته بقدر مولاه سبحانه وتعالى ! « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ا » (فن نكت) نقض البيعة (فإنما ينكت على نفسه) لأن إثم نقضه يعود عليه ، ويعاقب بسببه (سيقول المخلفون من الأعراب) وهم الذين تخلفوا عن الجهاد (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) أى لم تشظهم الأموال والأهل ؛ بل شغلهم الجبن والخوف ، ولم يطلبوا الاستغفار ، رغبة في الاعتذار ؛ بل أرادوا به النفاق ، وهم كاذبون في استغفارهم ، كافرون في قرارة نفوسهم (إن أراد بكم ضراً) فهل يستطيع أحد أن يذفعه ؟ (أو أراد بكم نقماً) فهل يستطيع أحد أن يمنعه ؟ (بل ظننتم أن لن ينقلب) لن يرجع (الرسول والمؤمنون) من القتال (إلى أهلهم أبداً) بل لأنهم يستأصلون بالقتل والتشريد (وظننتم) بالله (ظن السوء) وأنه لن ينصر رسله (وكنتم قوماً بوراً) أى هلكي (فإننا أعددنا وهياتنا) (ولله ملك السموات والأرض)

أَللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَتَ فَمَا يَبْنُكَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ
وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ ۖ اللَّهُ فَمَنْ يَزِيهِ ۗ أَجْرًا عَظِيمًا ۝
سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا
وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
قُلْ مَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ
أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ بَلْ
ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ
أَبَدًا وَزَيَّرْتُمْ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ
قَوْمًا بُورًا ۝ وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۝ وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ۝ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَفَازٍ
لِتَأْخُذُوا ذُرُوعًا وَنُقَيْمًا ۖ قُلْ لَنْ يَبِيدُوا بِكُمْ
وَأَنْتُمْ سَاهُونَ ۝

وما فيها ، ومن فيها (يفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) أى لأنه تعالى غني عن عباده ؛ يتيب من آمن ، ويعذب من كفر « ويعفو عن السيئات » (سيقول المخلفون) الذين تخلفوا عن الجهاد لنفاهم (إذا انطلقتم) في جهادكم (إلى مفازم لتأخذوها) هي مفازم خير (ذرونا) دعونا (ننصركم) في أخذ هذه المفازم (يريدون أن يبذلوا كلام الله) وعده لأهل المدينة ؛ وقد وعدهم غنائم خير خاصة ؛ عوضاً عن فتح مكة ؛ إذ رجعوا من المدينة على صلح ، ولم يفوزوا منها بنصيب . وقيل : « يبذلوا كلام الله » يفبروه ؛ وقد قال : « فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا »

(فسيقولون بل تحسدوننا) أى لم يقل الله ذلك ؛ بل تحسدوننا أن نصيب معكم من الغنائم ؛ وقد أراد الله تعالى أن يعطي المنافقين فرصة أخيرة تؤمنهم عذابه ، وتجنّبهم غضبه ، وتدينهم من رحمته : فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام (قل للمخلفين) الذين تخلفوا عن الجهاد (ستدعون لى) عبارة (قوم أول بأس شديد) أصحاب قوة عظيمة . قيل : هم بنو حنيفة . وقيل : فارس والروم (فقاتلونهم) فقتلواهم وتأسروهم (أو يسلمون) فتمسكوا عن قتالهم وأسروهم ، ويكون لهم ما للسلمين : من تكريم وإعظام (فإن تطيعوا) الله والرسول في جهادهم حال كفرهم ، وتكريمهم حال إسلامهم (يؤتكم الله أجراً حسناً) النصر والفتية في الدنيا . والجنة وحسن الثواب في الآخرة (وإن تولوا) تعرضوا عن الجهاد (كما توليت من قبل) وتخلفتم (بعدكم) الله (عذاباً أليماً) في الدنيا بالذلة والمهانة ، وفي الآخرة بالجحيم ، والعذاب الأليم (ليس على الأعمى حرج) في التخلف عن الجهاد ؛ لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها (ولا على المريض) الذى لا يستطيع الجهاد لمرضه (حرج) أيضاً في التخلف . هذا ولا يسمى الصداع ، أو الحكة ، أو ما شابههما ، مرض يعوق عن الفريضة العظمى : التى ترفع الرأس ، وتحفظ النفوس ، وتصون الديار ، وتحمي الدمار ؛ وإنما المرض العائق ، العاصى للتخلف : هو ما يمكن الخصم من النيل منك ، ويمنعك من الدفاع عن نفسك : كالعمى ، والرج ، والمرض الذى يزيد الجهاد في وطأته ، ويؤدي إلى التهلكة (ومن يطع الله ورسوله) ويجاهد في سبيله : يؤته في الدنيا عزة ورفعة ، و (يدخله) في الآخرة (جنات تجري من تحتها الأنهار) «نزلاً من غفور رحيم» (ومن يتول) يعرض عن الجهاد ؛ فله جهنم ويثس المهاد ا (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك) يباهدونك بالمدينية : على الجهاد ، ويند

٦٣٠

الجزء السادس والعشرون

قُلْ لَنْ نُبْعِدَكَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ فَيَقُولُونَ
بَلْ نَحْسَدُونَكَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٣٠﴾ قُلْ
لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّونَ لِي قَوْمَ أُولِي الْأَبْسِ
شَدِيدٍ تَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ
أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يَعْذِبُكَ اللَّهُ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿٦٣١﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ
حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يَطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٦٣٢﴾ * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ
يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ
السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٦٣٣﴾ وَمَعَانٍ كَثِيرَةً
يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٦٣٤﴾ وَعَدَدَكُمْ اللَّهُ
مَعَانٍ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَمَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ

النَّاسِ

النفوس والنفس ؛ في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ، وبسط دينه ، ونصرة نبيه (تحت الشجرة) هى سمرة كانوا يستظلون بها وقتذاك . وقد قطعها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ؛ حين رأى - بعد رفع الرسول عليه الصلاة والسلام - طواف المسلمين بها ، وتعظيمهم لها ؛ وهم حديثو عهد بالجاهلية وعبادة الأصنام (فعلم) الله تعالى (ما في قلوبهم) من الإيمان ، والصدق ، والوفاء (فأنزل السكينة) الطمأنينة (وأثابهم) جازاهم (فتحاً قريباً) نصراً عاجلاً ؛ اطمأنت به قلوبهم : وهو فتح خبير ؛ عند انصرافهم من المدينة (ومعانٍ كثيرة يأخذونها) بعد ذلك ؛ من فارس والروم . أو من مقام خبير ؛ وقد غنموا منها أموالاً وعقاراً ، وعتاداً . و (وعدكم الله) أيضاً (معام كثيرة تأخذونها) غير هذه المعان (فمجل لكم هذه) لتطمئن قلوبكم

(وكف أيدي الناس عنكم) بأن كذف في قلوب اليهود الرعب؛ فلم يحاربوكم، ولم يمسوا أموالكم ولا أهليكم بالمدينة عند خروجكم إلى خيبر والحديبية (ولتكون) هذه الفاتح المعجزة (آية) علامة (للمؤمنين) على صدق وعد الله تعالى؛ ولعلموا أن الله تعالى قد حرسهم في مشهدهم ومفيهم (ويهديكم صراطاً مستقيماً) هو طريق الطاعة الموصل إلى مرضاته تعالى (وأخرى) أي ومقام أخرى (لم تقدروا عليها) أي ما كان لكم أن تقدروا عليها؛ لولا نصره تعالى ومعوته؛ وهي مقام هوازن - وقيل: فارس والروم؛ أوهما معاً (قد أحاط الله بها) أي علم وقدر أنها ستكون لكم،

وأقدركم عليها بفضلها لا بقوتكم (ولو فاتكم الذين كفروا) بالحديبية؛ ولم يصلحوا (لولا الأدبار) لأن الله تعالى قد قضى بنصرتكم عليهم: محاربين أو مسلمين (سنة الله) أي سن الله تعالى سنة وطريقة؛ وهي إعزاز المؤمنين، وإذلال الكافرين (التي قد خلت) قد مضت (وهو الذي كف أيديهم عنكم) فلم يقاتلوكم (وأيديكم عنهم) فلم تقاتلواهم (بيطن مكة) بالحديبية (من بعد أن أظفركم عليهم) قيل: هبط ثمانون رجلاً؛ من أهل مكة؛ شاكي السلاح؛ يريدون غرة المؤمنين والفتك بهم. فرآهم للمؤمنون، وأمسكهم بالأيدي. وبعد ذلك أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بإخلاء سبيلهم؛ وسموا بذلك العتقاء؛ لأنه عليه الصلاة والسلام أعتقهم من القتل؛ وكان من بينهم معاوية وأبوه (م الذين كفروا) يعني قريشاً (وصدوكم) منعوكم (عن) بلوغ (المسجد الحرام) عام الحديبية؛ وقد أحرم المؤمنون بعرة (والهدى) هو ما يهتدي إلى الحرم من البدن (مككوا) عبوساً بفعل المشركين (أن يبلغ محله) مكانه الذي ينحر فيه عادة؛ وهو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) موجودون بمكة مع المشركين؛ وهم المستضعفون (لم تعلموهم) لم تعرفوهم،

أولم تعلموا إيمانهم (أن تطؤوهم) تقاتلوهم خطأ مع الكفار (معرفة) لأم وعيب. أي لولا ذلك؛ لأذن الله لكم في دخول مكة، والفتك بمن فيها. ولعل المراد «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات» في أصلاب هؤلاء الكفار «لم تعلموهم» والله تعالى يعلمهم «أن تطؤوهم» يقتل من هم في أصلابهم «بغير علم» منكم بما فعلتم. لولا ذلك لأذن الله تعالى لكم في قتلهم؛ وذلك (ليدخل الله في رحمة من يشاء) من هؤلاء الذراري المؤمنين (لو تزيلوا) تفرقوا، وتميزوا عن الكفار، وخرجوا من أصلابهم إلى عالم الظهور (لعذبنا الذين كفروا منهم) من أهل مكة، وأجنا لكم فتحها وقتال من فيها (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية) الكبر والأفة، والغلاظة والعصية

سورة التتسع

٢٦١

الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً ١ وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً ٢ ولوقفتلكم الذين كفروا أولوا الأديب ثم لا يجذون ولياً ولا نصيراً ٣ سنة الله التي قد خلت من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلاً ٤ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بيطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً ٥ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله ٦ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطعوهم فتصيبكم منهم مرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ٧ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم

(حجة الجاهلية) وهي أنهم قالوا: لقد قتلوا أبناءنا وإخواننا؛ ثم يدخلون علينا في منازلنا؟ واللات والعزى لا يدخلنها أبداً! (فأنزل الله سكينته) طمأنينته (وأزهمهم كلمة التقوى) هي: لا إله إلا الله، محمد رسول الله! وأضيف إلى التقوى: لأنها سببها (وكانوا أحق بها) أحق بكلمة التقوى؛ لأنهم سمعوا واتبعوها؛ فكانوا أحق بها من كفار مكة؛ الذين أصموا آذانهم عن استماعها، وقلوبهم عن قبولها (وأهلها) أي وكانوا أهل هذه الكلمة؛ المستوجبين لفضلها، الحائزين لصفها! (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) رأى

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام - عام الحديبية - أنه يدخل مكة هو وأصحابه: علقين ومقصرين؛ فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا. وقد تحققت الرؤيا بفتح مكة (انظر آية ٦٠ من سورة الإسراء) (لاتخافون) من أحد (فعل ما لم تعلموا) أي فلم من تأخير دخولكم مكة؛ ما لم تعلموه من الخير لكم، والصلاح لأحوالكم! (جعل من دون ذلك فتحاً قريباً) أي جعل من قبل فتح مكة فتحاً قريباً عاجلاً؛ هو فتح خيبر (ليظهره) أي ليعلي الإسلام (على الدين كله) على سائر الأديان (محمد رسول الله) لدينا؛ فضلا من الله علينا! (انظر آية ٤ من سورة القلم) (والذين معه) من المؤمنين (أشداء) غلاظ أقوياء (على الكفار) وليست اللطافة والشدة من صفاتهم؛ بل هم (رحماء بينهم) يرحم كبيرهم صغيرهم، ويوقر صغيرهم كبيرهم (سيامهم) علامتهم (في وجوههم من أثر السجود) هو نور الإيمان يلمع في وجه المصل؛ فتراه كالبرق ليلة التمام - رغم رقة حاله، ورناتيه هيأته - فترى الزنجي الأسود - رغم فقره وقبحه - يتلألأ وجهه ضياء، ويزداد حسناً وبهاء؛ لملازمته الصلاة، وتقلبه لمولاه! وترى الماضي - رغم وجاهته وغناه - على وجهه غبرة، ترهقها قرة! وماذا لا لتركه

الْحَمِيَّةَ حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سُكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَزْهَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٦٠﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؕ لَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ مُخْلِقِينَ رُءُوسًا وَمَقْصِرِينَ لَا يُخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٦١﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَانَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٦٢﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَصِيْقَهُ

الجماعة، وانصرافه عن الطاعة. ولا وجه لمن يقول: إن أثر السجود هو النكته السوداء التي تحدث في وجوه البعض من أثر السجود على الحصى ونحوه؛ فمثل ذلك قد يحدث لكثير ممن يلازمون الصلاة، ويفرطون في جنب الله! فكلم من مصل لا يأمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر! ولم من مصل يبلغ في أعراض المؤمنين، ولا يتقى رب العالمين! وكل هؤلاء لهم في جباههم من آثار السجود كركبة البعير أو أشد؛ وهم أبعد الناس عن مغفرة الله، وعن جنة الله! (ذلك مثلهم) أي ذلك الوصف المذكور صفتهم (في التوراة ومثلهم) صفتهم (في الإنجيل) كزرع أخرج شطأه فراخه وورقه. يقال: أشطأ الزرع: إذا أفرخ (فأزره) قواه وأعانه (فاستغلاظ) غلظ وقوى (فاستوى على سوقه) استقام على أصوله. وهذا مثل ضربه الله =

تعالى للإيمان ؛ حيث بدأ ضعيفاً ، ثم قوى . عن عكرمة «أخرج شطأه» أبي بكر «فأزره» يعمر
 «فاستلفظ» عثمان «فاستوى على سوقه» بعل ؛ رضوان الله تعالى عليهم . (يعجب) هذا الزرع (الزراع)
 وهم أصحاب محمد؛ الذين نصروا الدين ونشروه ،
 وأيدوا دعوة الله باللسان واللسان (ليغبط) الله
 تعالى (بهم الكفار) ويكبتهم

بِسْمِ الْكُفَّارِ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٩﴾

(٤٩) سُورَةُ الْحَجَرَاتِ مَلَائِكَةُ
 وَأَيَّاهَا ١٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَجَادِلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَبِيحٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
 بِالْقَوْلِ يُجْهَرُ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ
 لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَفُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ
 اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ

(سورة الحجرات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي
 الله ورسوله) أى لا تقدموا قولاً من الأقوال ،
 أو عملاً من الأعمال؛ بغير موافقة ذلك لما أَرادَه
 الله تعالى ورسوله أو لا تتقدموا في العبادات
 عن مواقيتها المحددة لها (ولا تجهروا له بالقول)
 أى لا تخاطبوه (تجهر بعضهم لبعض) كخاطبة
 بعضهم بعضاً (أن تحبط أعمالكم) أى لكلا
 تبطل أعمالكم . وفي هذا ما فيه من الحث على
 توقير العلماء - الذين هم ورثة الأنبياء - وتعظيم
 الأتقياء والصلحاء ؛ أسوة بتوقير سيد الأنبياء ؛
 (يفضون أصواتهم) يخفضونها تعظيماً لرسول
 الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وفي هذه
 الآيات من علو شأن الرسول عليه الصلاة

والسلام مالا يخفى ؛ وقد أجمع العلماء - قياساً على ذلك - على أنه لا يجوز رفع الصوت عند تلاوة حديثه
 الشريف ، ولا عند قبره العظيم ؛ (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم) اختبرها (للتقوى) وأخلصها : طهرهم
 من كل قبيح ، وهياهم لكل ملبح ، وأسكن قلوبهم عبته وخشيته ؛ (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات
 أكثرهم لا يعقلون) لا يفهمون عظيم قدرك، وكبير مقامك ؛

(ولو أنهم صبروا) بغير مناداة لك (حتى تخرج إليهم) من غير لزجاج . وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام ليس كسائر البشر؛ فربما كان ينزل عليه الوحي وقت نداءهم له ، أو كان يناجي مولاه ويستغفر لأمته ؛ وفي هذا من الخير العام ما لا يخفى ؛ فضلا عما في المناداة من سوء الأدب ، وعدم الجمالة (انظر آية ٣٠

من سورة الأحزاب) (إث جاءكم فاسق بنية فتبينوا) أى فتبينوا من قوله ؛ وتبينوا صوابه من خطئه . والفاسق : العاصي . والعصيان : يشمل الكذب ، والفيء ، والنميمة (أن تصيبوا قوما بجهالة) أى لتلا تصيبوا قوما وأنتم تجهلون حقيقة أمرهم (لا يطيعكم في كثير من الأمور لعتم) أى لو يسمع وشاياتكم ويصغى لإرادتكم ؛ لو قسم في الجهد والملاك . والعت : الإم ، والمشقة ، والملاك (ولكن الله) لمزيد كرمه ، وعميم فضله (حب إليكم الإيمان) فاهتفتموه (وزينه في قلوبكم) فتمسكتم به (وكره إليكم الكفر) فارتبتموه (والفسوق) فاجتنبتموه (والعصيان) فلم تقر به (أولئك) الذين حب إليهم الإيمان ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان (هم الراشدون) العقلاء ، الأذكىاء ؛ لأنهم قبلوا الإيمان : غيبه الله إليهم ، وزينه في قلوبهم . واتبعوا مرضات الله : فباعد بينهم وبين معاصيه ؛ (فضلا من الله) اختصاصهم به (ونعمة) منه تعالى أسفها عليهم (فإن بقت إحداهما على الأخرى) بأن ظلمتها ، وتقضت الصلح ، أو أبته (حتى توفى) ترجع (إلى أمر الله) إلى الحق الذى أمر به الله ، وإلى الصلح الذى دعيت إليه (فإن فاءت) رجعت إلى أمر الله ، وقبلت الصلح الذى فرضته عليها جماعة المسلمين

أَلْحَجَرْتِ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيءٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٣﴾ وَاعْلَمُوا أَن فَيْكُرَ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأُمْرِ لَعَسْتَمْ وَلَكِنِ اللَّهُ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٤﴾ فَضَلَّأَمِّنَ اللَّهُ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِن طَافَ بِقَتَانٍ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبَغَتْ حَتَّى تَأْتِيَ إِلَى اللَّهِ أَمْرًا فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنِ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٦﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ

أَخْرَجَكَ

وتوقفت عن فيها واعتدائها (فأصلحوا بينهما بالعدل) الذى يرتضيه الله تعالى (وأقسطوا) واعدلوا في كل أموركم (إنما المؤمنون) جميعاً (إخوة) لا يصح أن تقوم بينهم عداوة ، ولا أن ينتصب بينهم قتال ، ولا يجوز أن يكون بينهم تباعد ؛ فكيف يختصمون ؟ بل كيف يقتلون ؟ وإذا اختصموا أو اقتتلوا ؛ فكيف تتركونهم على هذه الحال ؟ !

(فأصلحو بين أخويكم) والسعي في الصلح : واجب على كل مسلم يمكنه السعي فيه ؛ وهو يبلغ حد الفريضة ، وتركه يبلغ حد الكبيرة ا وتاركة - مع القدرة على القيام به - عاص مولاة ، آثم في حق الرواة والإنسانية ، وليس من حقه أن ينسب للأمة المحمدية ؛ بل للأسرة الأدمية ا (يأبها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم) قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره» أى لأجاب سؤاله . والسخرية بالغير من أخط الأخلاق ، وهى موجبة للمقت وغضب الرب ؛ عافانا الله تعالى من غضبه وعذابه ا ((ولا تلهؤوا أنفسكم))

أى لا تطنعوا فى إخوانكم فى الدين ؛ وعبر بذلك لأن سائر المؤمنين كنفس واحدة . واللز : العيب . وأصله الإشارة بالعين ونحوها (ولا تنازروا بالألقاب) التبز : اللقب . أى لا يدع بعضهم بعضاً بالألقاب الذى يكرهه (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) كانوا يعيرون من كان فاسقاً فى الجاهلية بمناذاتهم له : يا فاسق . فزلت (ومن لم يقب) عن اللز والتناز (يأبها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن) السىء بالناس (إن بعض الظن لثم) ليس المراد بالظن عن الظن : الظن العابر؛ الموجب للحيلة والحذر . والذى عناه الشاعر بقوله :

لا يكن ظنك إلا سيئاً

إن سوء الظن من أقوى الفطن

وإنما نهى تعالى عن الظن الذى عليه الشيطان وينميه حتى يصيره حقيقة واقعة: كمن يظن أن فلاناً يكرهه ويبغى الكيد له ؛ فيسرع هوالى بغضه والكيد له . وقد يكون بريئاً من البغض ، بعيداً عن الكيد . وكمن يظن فيمن آتى لزيارته أنه إنما آتى لقتله؛ فيعمل بهذا الظن كأنه حقيقة واقعة . وربما كان هذا الزائر قد جاء للاعتذار عن هفوة ارتكبها ، أو للاستغفار من ذنب آتاه . لذلك نهانا الشارع

الحكيم عن العمل بالظن ؛ لما يترتب عليه من نتائج سيئة ، وعواقب وخيمة . وكذلك نهينا فى الأحكام عن الأخذ بالظن : فإذا ما قضى قاض ، أو حكم حاكم بما ينحط إلى مرتبة الظن ، ولا يرتقى إلى مرتبة اليقين : فهو ظالم آثم ! فليحذر الذين ولائم الله تعالى أمور العباد من الوقوع فى هذه المخاطر ، والانزلاق فى هذه المهالك ا قال صلى الله تعالى عليه وسلم (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) ولم يكن النهى عن نفس الظن المعلوم ؛ لأنه خواطر لا يملك الإنسان منعها ، ولا يستطيع دفعها . والأمر والنهى لا يوردان إلا بتكليف المستطاع من الأمور (ولا تجسسوا) أى لا تنتهبوا عورات المسلمين ومعابهم (ولا يقتب بعضهم بعضاً) الفية : أن تذكر أخاك بما يكره . وفى الحديث : «إذا ذكرت أخاك بما هو فيه فقد اغتبتبه ، وإذا ذكرتته بما ليس فيه =

أَخْوِيكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا
مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ
وَلَا تَلْبِسُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ
الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّرَبِّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا
مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ
بَعْضُكُم بَعْضًا يَجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾ * قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلُودٌ تَقُولُونَ
وَلَكِن قَوْلُوا أَسَلْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ
وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا

= فقد بهته (أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) شبه تعالى الفية بأكل لحم الأخ - حال كونه ميتاً - وإذا كان الإنسان يكره أن يأكل لحم الإنسان؛ فضلا عن كونه أماً، وكونه ميتاً؛ وجب عليه أن يكره الفية بمثل هذه الكراهة .

ولا يفوتني - بمناسبة هذه الآية الكريمة - أن أقرر أن الفية الآن منتشرة بحيث لا يخلو منها مجلس ، وقد أصبح الناس لا يشعرون بقبحها ، ولا يحسون بأثمها ، وأنها كبيرة - بل ومن أكبر الكبائر -

الجزء السادس والعشرون

١٣٦

فليتحاش ذلك من يرجو رحمة ربه ، وليستغفر لذنبه ! (لتعارفوا) لتتعارفوا وتتعاونوا ، وتتعابوا. (انظر آية ٨ من سورة النساء) (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) لم يقل تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، أو أفضلكم نسباً وحسباً ، أو أعلمكم ؛ بل قال «أتقاكم» قال تعالى «فإذا قفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» (انظر آتي ٨٨ من سورة الحجر . و ٢٢ من سورة الروم) (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) ولم يدخل (لايتكم) لا ينقصكم (من) جزاء (أعمالكم) التي عملتموها (إنما المؤمنون) حقاً ؛ هم (الذين آمنوا بالله ورسوله) إيماناً يقينياً (ثم لم يرتابوا) لم يشكوا (قل أعملون الله بدينكم) أي تخبرونه بتصديق قلوبكم (يعنون عليك أن أسلموا) بغير قتال ؛ بخلاف غيرهم الذي لم يسلم إلا بعد محاربه (قل لا تنموا على إسلامكم) لأن فائدته عائدة إليكم وعليكم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) وأنجاهم من الكفران (إن كنتم صادقين) في قولكم : آمنا (إن الله يعلم غيب السموات والأرض) أي ما غاب فيهما عن العيان . والعالم بما يغيب : أعلم وأخبر بما يظهر .

إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ أَعْمَلُونَ لِلَّهِ يَدِينَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

(٥٠) سُورَةُ ق مَكِّيَّةٌ

الآيَةُ ٢٨ قَدْ نُسِخَتْ

وَأَافَاهُ؛ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمُرْسَلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلِ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ

(سورة ق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ق) (انظر آية ١ من سورة البقرة) (والقرآن المجيد) الكريم العظيم ؛ ذى المجد والشرف ! أقسم تعالى بالقرآن المجيد أنه أنزله على رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ؛ فأندبرهم به فلم يؤمنوا ، وأكد لهم البعث فلم يصدقوا (بل عجبوا) حيث لا يجب (أن جاءهم منذر منهم) أي من أنفسهم ومن جنسهم

مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا نَجْمٌ مِّنْ جَبَبٍ ۗ أَوْ ذَا مَنَّا
 وَكَأَنَّ تَرَابًا ۗ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ
 الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۗ بَلْ كَذَّبُوا
 بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيعٍ ۗ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا
 إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ
 فُرُوجٍ ۗ وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
 وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۗ تَبَصَّرَةٌ وَدِ كَرَىٰ لِكُلِّ
 عَيْدٍ مُنِيبٍ ۗ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا
 بِهِ جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۗ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا
 طَلَعَ نَضِيدٌ ۗ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا
 كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۗ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ
 الرَّسِّ وَثَمُودُ ۗ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۗ
 وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۗ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ

(فقال الكافرون هذا) الذي يقوله محمد من أمر البعث (شيء عجيب) لا يعقل (أنا متنا) ودفنا في قبورنا
 (وكننا) صرنا (ترابا) وعظاما : أنحيا بعد ذلك ، ونمود من جديد كما كنا ؟ ! (ذلك رجع بعيد) أى ذلك
 الرجوع والإحياء أمر مستبعد (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أى ما تأكله من لحومهم ، وتبليه من أجسادهم
 (وعندنا كتاب حفيظ) هو اللوح المحفوظ ؛ يحفظ ما عملوا وما هم عاملون ، وما قالوا وما هم قائلون . ولم يكن

الأمر قاصراً على العجب من بعثة محمد
 حسب (بل) كان ينصب على ما هو أخش
 وأقبح ؛ لقد (كذبوا بالحق) القرآن
 وما اشتمل عليه من الحق (لما جاءهم) على لسان
 محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (فهم في أمر
 صعب) أى أمر مضطرب ؛ فتارة يقولون عن
 القرآن : «أساطير الأولين» وتارة يقولون :
 «لما يعلمه بشر» وتارة يقولون عن سيد
 البشر : إنه ساحر ، إنه شاعر . وما هو ساحر
 ولا شاعر ! (أفلم ينظروا) هؤلاء الجهلاء
 (إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) بغير عمد
 (وزيناها) بالكواكب (وما لها من فروج)
 شقوق تقيها (والأرض مددناها) بسطناها ،
 ومهدناها للسير عليها ، والارتفاع بها (وألقينا
 فيها رواسي) جبالاً ثوابت ؛ لتلاطم بهم
 (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) من كل
 صنف حسن اللون ، والنظر ، والمخبر (تبصرة)
 أى جعلنا ذلك تبصرة لكم (وذكري)
 تذكيراً بقدرة ربكم (لكل عبد منيب) راجع
 إلى ربه في كل أمره (فأنبتنا به جنات وحب
 الحصيد) أى بساتين وفواكه ، والحب الذى
 يحصد : كالحنطة ، والشعير ، وما شاكلهما
 (والنخل باسقات) أى طوالا . وبسق النخل :
 طال (لها طلع نضيد) متراكم ؛ بعضه فوق بعض
 (وأحيينا به) أى بالماء (بلدة ميتاً) مجدية ؛

لا نبات فيها ولا زرع (كذلك الخروج) أى مثل إحيائنا الأرض بالنبات : نحي الموتى ، ونخرجهم بعد فناء
 رسومهم ، وبلاء أجسادهم (وأصحاب الرس) الرس : البئر المطوية بالحجارة . وهو اسم بئر ؛ كانوا حولها وقت
 نزول العذاب بهم . وقيل : هم أصحاب الأخدود (وثمود) قوم صالح عليه السلام (وعاد) قوم هود عليه
 السلام (وأصحاب الأيكة) ومي النيسة : مجتمع الشجر ؛ وهم قوم شعيب عليه السلام (وقوم تبع) هو ملك
 باليمن : أسلم ودعا قومه للإسلام فكذبوه . و«تبع» اسم لكل من ملك اليمن ؛ وسوا التابعية (كل) من
 هؤلاء الأمم المذكورة (كذب الرسل) التى أرسلناها (حق) وجب

(وعيد) عناب الذي أوعدهم به (أضينا) أفجزنا . يقال : عي بالأمر : إذا لم يهتد لوجه عمله (بالخلق الأول) خلقهم أول مرة (بل هم في ليس) شك (من خلق جديد) وهو البعث (ونعلم ما توسوس به نفسه) أي نعلم خواطره وهو أوحاه . لأنه تعالى «يعلم السر وأخفى» (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)

الجزء السادس والعشرون

٦٣٨

هو مثل لشدة القرب . والوريدان : عرقان

في باطن الصق : يموت الانسان والحيوان بقطع أحدهما (إذ يتلقى المتلقيان) هما المكان الملازمان لكل انسان ؛ لكتابة ما يصدر عنه من خير أو شر (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي فاعدان ؛ أحدهما عن يمينه ، والآخر عن شماله (ما يلفظ) ما ينطق (رقيب) مراقب لأقواله وأفعاله (عتيد) حاضر (وجاءت سكرة الموت) أي شدته وعمرته ؛ وهي الفراغة (بالحق) أي جاءت بسعادة الميت أو بشقاوته . فقد ورد أنه في هذه الحال يرى مقعده من الجنة ، أو من النار . أو «جاءت سكرة الموت بالحق» أي جاءت بأمر الله تعالى ، وسلطانه ، وقهره ، وجبروته ا (ذاك) الموت (ما كنت منه تحيد) تهرب من ملاقاته ؛ لشعور عقلك الباطن بما أعد لك من عقاب ا (وتخ في الصور) القرن ؛ وهي فتحة البعث (ذلك يوم الوعيد) الكفار بالعذاب (وجاءت كل نفس) مؤمنة أو كافرة (معها سابق وشهيد) هما ملكان : أحدهما يسوقه إلى المحشر ، والآخر يشهد عليه بما فعل . ويقال للكافر وقتذاك (لقد كنت في غفلة) في الدنيا (من هذا) العذاب النازل بك اليوم (فكشفتنا عنك غطاءك) أزلنا غفلتك ، وأريناك عياناً ما كنت تنكره وتكذب به

وَعِيدٌ ١١١ أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ١١٢ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ١١٣ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسَ بِهِ نَفْسَهُ ١١٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ١١٥ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ١١٦ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١١٧ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ١١٨ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ١١٩ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ١٢٠ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ١٢١ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ١٢٢ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ١٢٣ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٍ ١٢٤ أَلْقِيَافِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كِفَارٌ عَتِيدٍ ١٢٥ مَنَاجِعَ لِلْحَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيدٍ ١٢٦ الَّذِي جَعَلْنَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ١٢٧ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعْتَهُمُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ

بِعِيدٍ

(فبصرك اليوم حديد) من الحدة ؛ أي قوى : تشاهد به اليوم ما خفي عليك بالأمس ؛ من البعث والحساب (وقال قرينه) أي شيطانه المقارن له في الدنيا . أو المراد بقرينه : الملك الذي يسوقه إلى المحشر (هذا ما لدى عتيد) أي هذا الذي عندي حاضر ومهيأ للنار (ألقيا في جهنم) يقول ذلك رب العزة ؛ مخاطباً السابق والشهيد (معتد مرهب) ظالم ، شك في الله وفي دينه (قال قرينه) الشيطان المقارن له في الدنيا ؛ يقول متبرئاً من إضلاله وإغوائه (ربنا ما أطعته) بنفسى (ولكن كان في ضلال بعيد) وذلك كقوله تعالى «إن كيد الشيطان كان ضعيفاً»

(وقد قدمت إليكم) في الدنيا؛ في كتيب، وعلى لسان رسلي (بالوعيد) بالعباد الذي ترونه الآن؛ وقد

أنكرتموه وكذبتم به في الدنيا (ما يبدل القول لدى) أي لا يبدل قول الذي قلته على لسان رسلي؛ من إدخال المؤمنين الجنة، والكافرين النار (وما أنا بظلام للعبيد) حين أحاسبهم على ما جنوه، وأعاقبهم على ما ارتكبوه؛ بل هم الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها لفضي وعذابي! (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) هو على طريق المجازة: كناية عن سعتها، وأنها تسع سائر الكفار رغم كثرتهم (وأزلفت) قربت، وأعدت، وهيئت (أواب) رجاء؛ كثير الذكركه تعالى (حفيظ) حافظ لحدود الله تعالى (ذلك يوم المخلود) الدائم؛ الذي لا موت بعده (لهم ما يشاءون فيها) أي في الجنة (ولدينا مزيد) من الخير؛ فوق ما يشاءون، وما يطلبون (وكم أهلكتنا قبلهم) أي قبل قريش (من قرن) أمة (فنبقوا في البلاد) فنشوا فيها عن سبب يمنعهم من الموت (هل من محيص) هل من مهرب من الموت؟ ومثل هؤلاء كثر من يعيشون - في زمننا هذا - عن إطالة أعمارهم، وبقاء شبابهم. ولا ندرى ماذا يكون بعد بقاء الشباب، وإطالة العمر؟ أيبكون البقاء حيث لا بقاء، والمخلود حيث لا مخلود؟! وماذا ينفع المخلود في الدنيا؛ إذا لم تكن طريقاً للأخرة، وسبيلاً موصلاً إلى مرضاة الله تعالى! (لمن كان له قلب) واع

للإيمان؛ لأن من لا يبي الإيمان؛ كمن لا قلب له (أو ألقى السم) أي أصنى إلى المواظ وأستمع لها، وعمل بها (وهو شهيد) حاضر بقلبه (وما مسنا من لغوب) إعياء

بِعِيدِ ﴿٦٣٩﴾ قَالَ لَا تَحْتَسِبُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٦٤٠﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٦٤١﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٦٤٢﴾ وَأَزْلَفْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرِ بَعِيدٍ ﴿٦٤٣﴾ هَذَا مَا نُوْعِدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٦٤٤﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنََ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٦٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمَ تَخْلُودُونَ ﴿٦٤٦﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٦٤٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٦٤٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٦٤٩﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٦٥٠﴾ قَاصِرٌ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٦٥١﴾

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبِرَ السُّجُودَ ﴿٤٥﴾ وَاسْمِعْ يَوْمَ
يُنَادِ الْمُنَادُ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤٦﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ
بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٧﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُمِيتُ
وَالْيُنَا الْمَاصِرِ ﴿٤٨﴾ يَوْمَ نَسْفَقُ الْأَرْضَ جَمِيعًا
ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَا سَبِّحُ ﴿٤٩﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا
أَنْتَ عَلَيْهِم بِمُجِبِّرٌ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَيَعْبُدُ ﴿٥٠﴾

(٥١) سُورَةُ الذَّارِيَاتِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّاهَا ٦٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَحْقَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ
يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمَقْمِصَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْ قَعُوا ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ ذَاتِ

الْحَبِيبِ ﴿٧﴾

(وأدبار السجود) أى عقب الصلوات (يوم
يسمعون الصيحة) يصيحها فيهم إسرافيل عليه
السلام (انظر آية ٥٣ من سورة يس) (ذلك
يوم الخروج) يوم البعث (يوم تشقق الأرض
فمنهم سرافاً) يوم تتصدع الأرض ؛ فتخرج
الموتى مسرعين (وما أنت عليهم مجبار) تجبرهم
على الإيمان قسراً (فذكر بالقرآن من يخاف
وعبد) من يخشى عذابي

(سورة الذاريات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والذاريات ذرؤاً) الرياح تندو كل
شئ تمربه ؛ كرمل وتراب ونحوهما ؛ أى
تفرقه وتبدده . وقيل : «الذاريات» النساء
الولود ؛ لأنهن يفرين الأولاد (فالحميلات
وقراً) السحب تحمل الماء . وقيل : هي
السفن الموقرة بالناس وأمتعتهم وتجاراتهم ،
أو هي الحوامل من سائر النساء والحيوانات
(فالجاريات يسراً) السفن تجرى ميسرة بإذن الله ؛ تحمل المتاجر ليسر الخلق ورحمتهم . أو هي السحب ؛
تجرى وتسير ؛ إلى حيث أراد الله تعالى . أو هي الكواكب التي تجرى في منازلها (فالقصمات أمراً) الملائكة
التي تقسم الأرزاق بأمر الله تعالى . وقيل : الرياح ؛ لأنها تقسم الماء بتصرف السحاب (إن ما توعدون)
من البعث والحساب والجزاء (لصادق) واقع لا محالة (وإن الذين لواقع) الذين : الجزاء على الأعمال

(الحبك) طرائق النجوم (إنكم لني قول مختلف) هو قولهم في الرسول عليه الصلاة والسلام : ساحر ، وشاعر ، ومجنون (يؤفك عنه من أفك) يصرف عنه من صرف (قتل الحراصون) الكذابون المقترون ؛ ويصح أن يطلق على المنجمين (الذين هم في غمرة) في جهل يغمرهم (أيان يوم الدين) متى يوم الجزاء (يفتنون) يجرقون ويعذبون (ذوقوا فتنتكم) عذابكم الذي تستحقونه (مايجمعون) ماينامون (وفي أموالهم حق) نصيب وافر ؛ يرون إعطاءه حقاً من الحقوق في أعناقهم (اللسائل) الذي يطلب من الناس (والمحرورم) الذي لا يسأل الناس تعففاً (وفي الأرض آيات للموقنين) آيات دالة على قدرته تعالى ، ووحدانيته (وفي أنفسكم) آيات أيضاً (أفلا تبصرون) هذه الآيات ؛ فتعتبرون بها ، وتدينون بمخالفها وموجدها ؛ فإنكم لو تأملتم ماينبته الأرض من النبات ، وفكرتم فيما تخرجه من الأقوات ؛ تضعون الحبة فيخرج لكم منها المئات ، وتضعون البذرة فينشئ لكم منها البساتين والجنات ؛ إلى غير ذلك من اختلاف الطوم والألوان ، والهيئات ؛ لو تأملتم ذلك بعين الفكرة والتبصرة ؛ لما وسمعكم إلا أن تقولوا : وفي الأرض آيات وأى آيات !

الْحَبِيبِ ﴿٧﴾ إِنَّا كَرَّرْنَا قَوْلَ مَخْلُوفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ
مَنْ أَفَكَ ﴿٩﴾ قَتَلَ الْحَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ
سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى
النَّارِ يُقْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فَتَنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ
بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾
يُغِذُّونَ مَا يَشَاءُونَ مِنْهُمْ لِيَتَذَكَّرُوا إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ
مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ النَّاسِ مَا يَجْعَلُونَ ﴿١٧﴾
وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ
وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾
وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تَوْعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ لَحَقُّ
مِثْلِ مَا أَنْتُمْ تَنْطُرُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَنْتُمْ حَدِيثٌ ضَلِيفٌ
لِّبَرِّهِنَّ الْمُكْرِمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ

ولو تأملتم في أنفسكم لوجدتم العجب العجاب ؛ انظروا مثلا كيف أنشأكم الله تعالى ابتداء من طين ، ثم كيف خلقكم من نطفة في قرار مكين ! بل انظروا إلى النطفة نفسها ، وكيف يتكون منها الجنين ؛ الذي لا يتكون إلا من الاتحاد الذي يتم بين جرثومة الذكر وبويضة الأنثى ، وبذلك تتكون خلية ؛ يحدث انقسام بينها إلى خليتين ، ثم انقسام آخر لكل من الخليتين ، ثم آخر للمنقسمين ، وآخر وآخر ؛ وهكذا دواليك ؛ إلى أن يصل العدد إلى أربعين جيلا من الخلايا ؛ حتى يزيد مجموع الخلايا - التي يتكون منها الإنسان الواحد - عن سكان الكرة الأرضية بأكثر من ألف

مرة . وكل خلية من هذه الخلايا تعيش بعزل عن الأخريات ؛ وكل منها بمثابة مصنع للنتاج ؛ فبها ما ينتج الشعر ، ومنها ما ينتج الأظافر ، ومنها ما ينتج العظام ، ومنها ما ينتج الدم ، وهكذا . ومتى فضجت هذه الخلايا ، واكتملت نموها ؛ تخصص كل منها في تكوين نوع واحد من الأنسجة والأعضاء . هذا وقد أصبح من السهل جداً - تحت المجهر - التفريق بين الخلايا المكونة للكبد ، والخلايا المكونة للكلى ؛ بالرغم من أن مهمة العضوين تكاد تكون واحدة ؛ هي الاشتراك في عملية التغيرات الكيميائية في الجسم .

ومن هذه الخلايا ماينتج الجهاز العصبي ؛ الذي يتوقف عليه لإصال الرسائل من الحواس والأعضاء المختلفة إلى المخ ؛ ومن المخ تنتقل الرسائل - التي هي بمثابة أوامر وأحكام - إلى العضل والأطراف ؛ التي تتحرك =

== بموجبها - تبعاً للظروف المحيطة بالإنسان - أو إلى الندد الجمّة ؛ فنفرض سائلاً معيناً - وفقاً للحالة التي يجابهها الشخص - كالدموع ، والمصاب ، والادريتاين .

مثال ذلك : إذا أبصر إنسان لصاً أمامه بيده خنجر : فإن الجهاز العصبي يوجه إلى المخ إشارة بذلك الخطر المهدق ؛ فتتلقى الجوارح من المخ إشارة بما يجب اتباعه . وقد يشير المخ - تبعاً لسلوك الشخصى للإنسان - بالفرار من اللص ، أو بالمجموع عليه وانتزاع الخنجر من يده ، أو بمبادرته بطلقة من مسدس ، أو ضربة من عصا ونحوهما . على أن الزمن

الجزء السابع والعشرون

٦٤٢

الذي تستغرقه هذه الرسائل - الناهية والآية - يدق على أى آلة أو أداة لاسلكية أو الكترونية ؛ وفي الوقت ذاته لا يتجاوز جزء من مائة من الثانية .

فعلاقة الحواس بالمخ علاقة ثابتة ما نبت الوعى والإدراك ؛ الذى يتفرع منها التمييز ، والتصوير ، والتذكر ، والتعليل ، والطموح ، وإدراك الهدف .

ولا يخفى ما فى خلقه المخ من أعاجيب وغرائب ؛ فنأعجب الأعاجيب : اختزان العلوم والمعارف ، والمدارك ، والمحفوظات ؛ واستخراج ما يراد من ذلك من سجلاتها المرتبة المبونة فى ظرف قد لا يتجاوز ارتداد الطرف ؛ بوساطة ذنبيات يعجز اللسان عن وصفها ، ويضيق الجنان عن الإحاطة بها !

هنا وقد دل الفحص المجهرى على أن عدد الحيوط العصبية فى المخ يتجاوز عشرة آلاف مليون . كل واحد منها تدب فيه الحياة ، ويحمل وظيفة عضوية يؤدى بها على أكل وجهه ؛ وعلى هذا المتوال تؤدى أجسامنا - بما احتوت من أعضاء - وظائفها ذات الأهداف المتباينة ؛ بغير وعى منها ، الأمر الذى يدل دلالة قطعية على أن هناك إرادة عليا تسيرها وتوجهها !

سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٤٢﴾ فَرَأَى إِلَىٰ أَهْلِهِ بِحَآءٍ يَمْعَلِ
 سَمِينٍ ﴿٦٤٣﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَىٰ سَيْمٍ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٦٤٤﴾ فَأَوْجَسَ
 مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلَيْهِ ﴿٦٤٥﴾
 فَأَقْبَلَتْ أَمْرًا فِي صِرَةٍ فَصَعَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ
 عَقِيمٌ ﴿٦٤٦﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ
 الْعَلِيمُ ﴿٦٤٧﴾ * قَالَ فَآخِطْبِكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٤٨﴾
 قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ عَجْرَمٍ ﴿٦٤٩﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ
 حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴿٦٥٠﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٦٥١﴾
 فَأَتَرَجَمْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥٢﴾ فَآوَجَدْنَا فِيهَا
 غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٥٣﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ
 يَحْفَاؤُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٦٥٤﴾ وَفِي مَوْسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ
 فِرْعَوْنَ سُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٦٥٥﴾ فَتَوَلَّىٰ رُكْبَتَهُ وَقَالَ سِحْرٌ
 أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٦٥٦﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ

مُطْمَئِنِّ

ولو لم يكن فى بديع صنع الإنسان : سوى أنه يأكل الطعام ، ويشرب الشراب ؛ فى مدخل واحد ؛ ثم يخرج كلاهما من مخرج منفصل عن الآخر ؛ لكننى ذلك عجبا ؛ وناهيك بما يفعله الجسم بالطعام والشراب حين يهضمهما ، وياخذ أطايبهما ؛ ثم يلقي بنفاياتهما ؛ بعد أن يستنفد وقوده ، ويأخذ حاجته ، ويستوعب كفايته «فتبارك الله أحسن الخالقين» .

ولو تألمت فى حواسكم : لوجدتم أعجب العجب ؛ أنظروا مثلا إلى حاسة اللمس ؛ وكيف أنكم تستطيعون بها الفرق بين الناعم والحشن ، والبارد والحار ، واللين والرخو . وانظروا أيضاً إلى حاسة الشم ؛ وكيف تستطيعون بواسطتها معرفة ذك الرائحة من رديتها ، وطيب النكهة من فاسدها .

= وانظروا أيضا إلى حاسة الذوق ، وكيف تستدلون بواسطتها إلى تدوق الأصناف والطعوم ، ومعرفة الحلو والحامض ، والمر ، والمالح .

وكذلك البصر ؛ وانطباع اليراث عليه ، وانعكاسها على صفحة المخ لتترك أثرها .

وكذلك السمع ؛ وانقلاب السموات إلى مفهومات ، وانطباع هذه المفهومات في حافظة المخ ؛ لتزودكم به ، وقت حاجتكم إليه . وهكذا سائر الأعضاء بما وهبها الله تعالى من مزايا يضيق الحاطر عن حصر فوائدها ومنافعها !

سورة الناريات

٦٤٣

فإذا ما فكر الإنسان في خلقه نفسه ، ودقة حواسه ، وتأمل هذه الآلات والأدوات ؛ التي صاغها الخلاق العليم ، وبرأها المدير الحكيم ! وهل يستطيع الإنسان - بما أوتي من علم ومال ، وجاه وسلطان - أن يستميش عن أحدها لو سلبها ، أو أن يردما بعد تلفها ، أو أن يفهم كنهها ، ويعرف سر تركيبها ! حقا لو تأمل الإنسان بعض ذلك ؛ لما وسعه إلا أن يقول : «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» (وفى السماء رزقكم) في الدنيا . أى إن رزقكم مقدر في السماء ، مسجل في اللوح المحفوظ ؛ يسمى إليكم ؛ قبل أن تسعون إليه ، وبجري وراءكم ؛ قبل أن تكدون في تحصيله . وربما أريد بالرزق : الطر ؛ لأنه سبب له ، ويأتى الرخاء والحصب بواسطته (وما توعدون) به في الآخرة ؛ من نعيم مقيم للطائع ، وعذاب أليم للعاصي . وقيل : أريد بما توعدون : الجنة . وأنها فوق السماء السابعة ؛ تحت عرش الرحمن (فوزب السماء والأرض لأنه) أى رزقكم المقدر لكم ، وما توعدون به في كتب الله المنزلة ، وعلى السنة رسله الرسالة (الحق) ثابت واقع (مثل ما أنكم تتفقون) أى كما أنكم - أيها المخاطبون المكلفون - قد تميزتم

مُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۝
مَا تَدْرِمُنَّ شَيْءًا آتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَأَرْمِمْ ۝
وَفِي نُوحٍ إِذْ قِيلَ لَهُمُ امْكُتُوا حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنَّا ۝ فَتَوَخَّاهُمْ
أَمْرًا رِيئِسًا فَاحْتَزَمْتَهُمُ الصَّخِيفَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝
فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِبَالِهِ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ
مِّن قَبْلُ لَهُمْ كَانُوا أَقْوَمًا فَتَسْقِينَ ۝ وَالسَّمَاءَ بَيْنَيْنَا
بِأَيْدِينَا وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ
الْمُهَيِّدُونَ ۝ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ۝ فَبَرَأ إِلَى اللَّهِ إِلَىٰ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۝ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝
كَذَٰلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ
أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَٰغُونَ ۝
فَقَوْلَ عَنَّهُمْ فَمَا آتَىٰ بِمَلُومٍ ۝ وَذَكَرْنَا لَكَ كَرِئِي

عن سائر الحيوانات بالنطق ؛ فكذلك تميز كلامه تعالى ، ووعده ووعيده ؛ بالصدق والحق !

(قوم منكرون) أى أنكروهم ولا أعرفهم (فراخ لى أهله) ذهب إليهم خفية (فأوجس) أضمر (في صرة) في صيحة ؛ تعجباً لما سمعت (فصكت وجهها) ضربت وجهها بأصابع يديها : فعل المتعجب (وقالت) كيف ألد وأنا (بمجز) كبيرة السن ؛ لا تحمل عادة ؛ فضلا عن أنى (عقيم) لم ألد في شبان ؛ فكيف في شيخوختي وبأسى ١٩ (قال) ابراهيم لضيفه (فما خطبكم) ما شأنكم ، وما طلبكم ؟ (الى قوم مجرمين) قوم لوط (مسومة) معلة ؛ على كل واحد منها اسم من يهلك به (السرقرين) للكافرين (فأخرجنا من كان فيها) أى من كاز في قرى قوم لوط (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) هويت لوط عليه السلام . =

== قيل: هو وابنتاه (وتركنا فيها) أى فى القرى بعد تحريمها (آية) علامة تدل على إهلاكهم ، وماضله الله تعالى بهم ؛ ليمظظ المعظ ، ويذكر التذكرة! (بسلطان مبین) بحجة ظاهرة (فتولى بركنه) أى بمايركن إليه ؛ من جند ومال (فنبذناهم) طرحنام (فى البئر) فى البحر (وهو مليم) فاعل ما يلام عليه (وفى عاد) قوم هود (الريح العقيم) التى لا فائدة فيها ؛ من سحاب ومطر ونحوهما . وفى الدبور؛ وسيت عقيم: لأنها لا تلتحق الأشجار ، ولا تنضج الثمار (ما تترك) (لا جعلته كالريم) وهو كل ما يلبى وتفتت (وفى نوح) قوم صالح (إذ قيل لهم تتعوا) بما وهبكم

الجزء السابع والعشرون

٦٤٤

الله تعالى من سعة ورزق (حتى حين) إلى اقتضاء آجالكم (فتعوا) استكبروا (فأخذتهم الصاعقة) وهى نار تنزل من السماء (وم ينظرون) إليها ، وينتظرون خيرها ؛ وأنام العذاب من حيث لا يشعرون ! (بأيد) بقوة (وإنا لموسعون) لتفادوت ؛ والوسع : الطاقة (ومن كل شىء خلقنا زوجين) ذكرأ وأنى . وعن الحسن رضى الله تعالى عنه : السماء والأرض ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والبر والبحر ، والموت والحياة . وقال : كل اثنين منها زوج ؛ والله تعالى فرد لا مثل له ! (فقرؤا إلى الله) أى الجأوا إليه ليخلصكم من أضرار الذنوب (تواصوا به) أى أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول . وهو قولهم : «ساحر أو مجنون» (بل هم قوم طاغون) يعنى أنهم لم يتواصوا بهذا القول ؛ بل العلة واحدة : وهى أنهم قوم طاغون (فتول) أعرض (عنهم فأنت بلوم) حيث بلغت الرسالة التى كلفت بها (وذكر) عظ بالقرآن (فإن الذكرى تنفع المؤمنين) لأن من يوصف بالإيمان : أولى به أن يتصف بالإسفاء للذكرى ، وتهم العظة ؛ شأن سائر العقلاء . أما غير المؤمن : فقد غطى قلبه عن فهم الحقيقة ، وأعمى عينه عن رؤية الهدى ،

تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝
فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ۝ قَوْلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝

(٥٢) سُورَةُ الطُّورِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّاهَا ٤٩ نَزَلَتْ بَعْدَ الشُّجُرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ۝ وَكُنِبِ مَسْطُورِ ۝ فِي رِقِّ مَشْهُورِ ۝
وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَّالَهُ مِنْ

دافع ①

وأص سمه عن داعى الله ؛ فلا تنفقه الذكرى . فتعال معى يا أئى المؤمن تتعاهد على الأنسرق ، ولا تقتل ، ولا تزنى ، ولا تقتب ، ولا تكذب ، ولا ترتكب إثمأ يلحق بنا أو بغيرنا الضرر ؛ وأنا الكفيل لك بثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ! قال تعالى «من عمل صالحاً من ذكر أو أنى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) أى إلا ليكونوا عباداً لى (ما أريد منهم من رزق) بل أنا المتكفل بأرزاقهم (وما أريد أن يطعمون) بل أنا الكفيل بإطعامهم ! (فإن للذين ظلموا) أنفسهم بالكفر (ذنوباً) نصيباً من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) أى مثل نصيب أصحابهم ونظراتهم فى الكفر ؛ من القرون الماضية ؛ وقد أهللكهم الله تعالى وأبادهم . =

(سورة الطور)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور) هو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام (وكتاب مسطور) هو التوراة ، أو القرآن ؛ وقيل : إنه اللوح المحفوظ (في رق منشور) هو الصحيفة المفتوحة ، التي لا تختم عليها (والبيت المعمور) هو بيت في السماء السابعة ؛ حيا ل الكعبة . وقيل : هي الكعبة نفسها ؛ لكونها معمورة دائماً بالحجاج . ومن المشاهد أن الطواف بها لا ينقطع ليلاً ونهاراً ، صيفاً وشتاء ، صبحاً ومساءً ؛ زادها الله تعالى تشرiffاً وتطيئاً (والسقف المرفوع) السماء (والبحر المسجور) المملوء . وجميع ما تقدم : قسم ، وجوابه : (إن عذاب ربك لواقع) أي لنازل بمستحقه من المكذبين (ماله من دافع) يدفعه عنهم (يوم تمور السماء موراً) تتحرك وتدور وتضطرب ؛ يوم القيامة (وتسير الجبال سيراً) في الهواء ؛ كسير السحاب ؛ لأنها تصير هباءً منثوراً (الذين هم) في الدنيا (في خوض) باطل (يلعبون) غير عابثين بما ينتظروهم (يوم يدعون) يدفون بيف (أفسح هذا) يعني : كنتم تقولون عن معجزات الأنبياء : إنها سحر وأفسح هذا أيضاً كما كنتم تدعون ؟ (أم أتم لا تبصرون) النار ، وتحسون بلهها ؛ الذي يجعلها حقيقة واقعة (اصلوها) ادخلوها (فاصبوا) على حرها وألمها (أو لا تصبروا) أي إن صبركم وجزعكم (سواء عليكم) لأنكم لم تؤمنوا حين دعوناكم للإيمان (إنما تجزون) عقوبة (ما كنتم تعملون) في الدنيا (فاكهين) متلذذين . وسيت الفاكهة فاكهة : للتلذذ بتناولها (وزوجناهم بحور عين) حسات العين (انظر آية ٤٤ من سورة الدخان) (وما ألتناهم من عملهم) أي وما نقصناهم من ثواب عملهم (كل امرئ بما كسب) بما عمل من خير أو شر (رهين) مرهون : يثاب على الخير ، ويعاقب على الشر (يتنازعون فيها كأساً) أي يتعاطون خمراً لذة للشاربين : يتناول هذا الكأس من يد هذا ، وهذا من يد هذا . أو يتخاطفون من بعضهم كما يتخاطف الأصدقاء والأحباء في الدنيا لذيذ الطعام والمشرب !

٦٤٥

سورة الطور

دَافِعٌ ١٤ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَورًا ١٥ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ
سِيرًا ١٦ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٧ الَّذِينَ هُمْ فِي
خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٨ يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًا ١٩
هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ٢٠ أَفَسِحْرُ هَذَا
أَمْ أَنْتُمْ لَاتَبْصِرُونَ ٢١ أَصْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا
سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْجِزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٢٢ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّةٍ وَيَعْبُدُونَ ٢٣ فَكَيْفَ يَمَاءُ أَنَّهُمْ
رَبِّهِمْ وَوَقَّهْمُ رَبَّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٢٤ كُلُّوْا وَأَشْرَبُوا
هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٢٥ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ
وَزَوْجَتُهُمْ يَحُورِعِينَ ٢٦ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ
ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّمْنَا يَوْمَ ذُرِّيَّتِهِمْ وَمَا التَّنْثَهُمْ مِنْ
عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَكُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَبِّهِمْ ٢٧
وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفِكَهٍ وَحَمِيمٍ مَّا يَشْتَهُونَ ٢٨ يَنْتَظِرُونَ

فِيهَا كَأَسَا لَتَعْرِفِيهَا وَلَا تَأْنِيهِ ﴿١٦﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
 غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿١٧﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا
 مُشْفِقِينَ ﴿١٩﴾ فَمَنْ آتَاهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٠﴾
 إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْوَالِي الرَّحِيمُ ﴿٢١﴾ فَذَكَرَ
 قَاتُ أَنْتِ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ يَكَاهِنُ وَلَا تَجْنُونِ ﴿٢٢﴾ أَمْ
 يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْأَمْنُونِ ﴿٢٣﴾ قُلْ
 تَرَبَّصُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَرِبِينَ ﴿٢٤﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
 أَنْ يَكْفُرُوا بِإِلَهِهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٥﴾ أَمْ يَقُولُونَ
 تَقْوَلُهُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٦﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلَهُ إِنْ
 كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٢٧﴾ أَمْ خَلِقُوا مِنَ الْأَرْضِ وَالْأَرْضُ بَلْ
 لَا يَوْمِنُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ

الْمُصِطْرُونَ ﴿٢٩﴾

الطبعيون (أم هم الخالقون) للأشياء ولأنفسهم فيخصون من شاءوا بما شاءوا !

(لا لتو فيها ولا تأنيه) أي لا تحمل شاربها على اللغو والسباب ، ولا على ارتكاب الجرائم والآثام ؛ كشأن غير الدنيا (ويطوف عليهم) للخدمة (غلمان لهم كأنهم) لفرط جلالهم (لؤلؤ مكنون) عزيز مصون (مشفقين) خائفين من عذاب الله تعالى (ووقانا عذاب السموم) عذاب النار ؛ لأنها تتخلل المسام (إننا كنا من قبل ندعوه) نعبده (إنه هو البر) المحسن للحسن والسيء ، المصلح للمؤمن والكافر ، الحافظ للطائع والمعاصي (فذكر) يا محمد بالقرآن (فأنت بنعمة ربك بكا من ولا تجنون) أي أنت بفضل الله تعالى عليك لست بكا من ، ولا بجنوت ؛ كما يدعون (تربص به رب المنون) تنتظر له نواب الزمن (قل تربصوا فإن معكم من المنتصبين) أي انتظروا هلاك ؛ فإن منتظر هلاككم . ومآل إلى الجنة ، ومآل إلى النار (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) القول ، وهذا الفعل (أم) بل (هم قوم طاغون) كافرون (أم يقولون تقوله) اختلقه (فليأتوا بحديث مثله) أي بقرآن مختلف مثل هذا القرآن (أم خلقوا من غير شيء) أي من غير خالق خلقهم ؛ كما يقول الطبعيون (أم هم الخالقون) للأشياء ولأنفسهم فيخصون من شاءوا بما شاءوا !

الْمُصِطْرُونَ ﴿٦٧﴾ أَمْ لَمْ سَلِّمْ سَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ
 مُسْتَعِمَّهُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُلُّ
 الْبَنُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ آيٰرًا فَهُمْ مِنْ مَفْرَقٍ مَثَلُونَ ﴿٧٠﴾
 أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ﴿٧٢﴾
 فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٧٣﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهٌ غَيْرُ اللَّهِ
 سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٤﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ
 سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٧٥﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا
 يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٧٦﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ
 كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
 عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلٰكِنَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ وَأَصْبِرْ
 لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿٧٩﴾ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ
 تَقُومُ ﴿٨٠﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٨١﴾

(أم هم المصيطرون) المتسلطون على الكون ،
 الوجهون للأمر ؛ وفق رغبتهم ومشيئتهم
 (أم لهم سلم) يصعدون عليه ، و (يستمنون
 فيه) كلام الملائكة ، وتذير الأرض من
 السماء ؛ وإن زعموا هذا (فليأت مستعهم)
 الذي سمع من السماء (بسلطان مبین) بحجة
 واضحة تدل على صعوده إلى السماء واستماعه
 (أم له) تعالى (البنات) ذلك بأنهم قالوا :
 الملائكة بنات الله (أم عندهم الغيب) ما غاب
 علمه عن الأنظار والأفهام (فهم يكتُمون) منه ،
 ويخبرون الناس به (أم يريدون كيداً) بك ؛
 كما اتفقوا في دار الندوة على إهلاكك (فالذين
 كفروا هم المكيدون) أى الواقع بهم الكيد
 والهلاك (أم لهم إله غير الله) بينهم ورزقهم ،
 ويمنعهم منه (سبحان الله) تنزهه ، وتعالى ،
 وتقدس (عما يشركون) به من الآلهة (وإن
 يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب
 ماركوم) يريد أنهم قالوا لك تمجيزاً : « أو
 تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، ولو أسقطتها
 كسفاً - كما طلبوا - لقالوا : ليس هذا من
 السماء ؛ بل هو سحاب متراكم (فذرهم)
 أتركهم ودعهم (حتى يلاقوا يومهم الذي فيه
 يصمقون) يموتون ؛ ثم يعذبون (وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك) قبل يوم القيامة ؛ وهو عذاب القبر
 (واصبر لحكم ربك) بإيمانهم ؛ ولا يضيق صدرك بمكرهم (فإنك بأعيننا) أى بحفظنا وكلاءتنا ، وتحت
 رعايتنا . وكذا «فاصنع الفلك بأعيننا» (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من النوم ، أو «حين تقوم» إلى
 الصلاة (وإدبار النجوم) حين تغرب : وقت صلاة الفجر .

(سورة النجم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم إذا هوى) إذا انثرت وسقط يوم القيامة ، وهوى من مقره . قال تعالى « وإذا النجوم انثرت » أو « هوى » بمعنى غاب وهو قسم ؛ جوابه (ماضل صاحبكم وماغوى) أى ماضل مجد ، وماغوى كما تدعون .

الجزء السابع والعشرون

والنبي : الجهل مع اعتقاد فاسد؛ وهو ضد الرشيد (وما ينطق) بما ينطق به (عن الهوى) أى عن هوى في نفسه (إن هو) أى إن الذى ينطق به من القرآن؛ ما هو (إلا وحى يوحى) إليه من ربه (علمه) إياه ، ولقنه له (شديد القوى) جبريل عليه الصلاة والسلام (ذو مرة) ذو قوة ، وبأس، وشدة (فاستوى) أى استقر واستقام على صورته الحقيقية ؛ لا كما كان ينزل بالوحى (وهو بالأفق الأعلى) الأفق: الناحية ، أو هو ما يظهر من نواحي الفلك . وقد ورد أن جبريل عليه الصلاة والسلام ظهر للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ناحية الشمس - عند مطلعها - على صورته الحقيقية التى أوجده الله تعالى عليها ؛ ساداً الأفق ما بين المشرق والمغرب . وكان النبي عليه الصلاة والسلام بفار حراء ؛ فخر مشياً عليه من عظم ما رأى من يدبغ صنع ربه ا (ثم دنا) قرب جبريل عليه السلام من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (فتنزل) جبريل في الهواء . ومنه تبدلت التمرة (فكان) جبريل من النبي (قاب) قدر (قوسين أو أدنى) أو أقل من مقدار قوسين . وقد جرت عادة العرب في التقدير بالقوس ، والرمح ، والسوط . أو أريد بالقاب: قاب القوس . وهو ما بين القبض والسية . ولكل قوس قابان . وقيل: أريد بقاب قوسين:

سُورَةُ النَّجْمِ مَكِّيَّةٌ
الْآيَةُ ٢٢ فَدُنِيَ
وَأَيُّهَا ٦٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَاضِلٌ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَىٰ ②
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④
عَلِمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ⑥ وَهُوَ
بِالْأَفْقِ الْأَعْلَىٰ ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑧ فَكَانَ قَابَ
قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ⑪ أَفَتُمَدَّنُوهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ⑫
وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ⑭
عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ⑮ إِذْ يَخْشَى السِّدْرَةَ مَا يَشْئَىٰ ⑯
مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ

الْكَبْرَىٰ ⑱

فاني قوس ؛ فسبق في القرآن على طريقة القلب « فأوحى إلى عبده ما أوحى » أى « فأوحى » الله تعالى « إلى عبده » مجد عليه السلام ؛ بواسطة جبريل « ما أوحى » وقيل : « فأوحى » الله تعالى « إلى عبده » جبريل « ما أوحى » به جبريل إلى مجد صلى الله تعالى عليه وسلم (ما كذب الفؤاد) أى فؤاد مجد صلى الله تعالى عليه وسلم (ما رأى) أى لم يكن متروها لما رآه ، أو مخدوعاً فيه ؛ بل كانت رؤيته لجبريل عليه السلام حقيقة واقعة . ولد ظهر جبريل بصورته لمحمد عليه الصلاة والسلام ؛ ليتأكد لديه أنه هو بنفسه الذى يأتيه بالوحى من ربه على صورة دحية الكلبي ؛ تأليفاً لقلبه ؛ فقد رآه وعرفه ، وأوحى إليه بما كلف به من مولاه (أقمارونه) أنتجادلوت محمداً وتكذبونه (على ما يرى) مماينة بنفسه (ولقد رآه نزلة أخرى) =

الْكُبْرَى ۝ أفرءَ يَمَّ آلَتِ وَاعْرَضَى ۝ وَمَنَّةٌ
 أَنَالَةَ الْأُخْرَى ۝ أَلَكُرُّ الذُّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ۝ تِلْكَ
 إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا
 أَنْتُمْ وَعِبَاءُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَشِيعُونَ
 إِلَّا الظَّنُّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ
 رَبِّهِمْ الْهُدَى ۝ أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ۝ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ
 وَالْأُولَى ۝ * وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي
 شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَيَرْضَى ۝ إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونُ
 الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى ۝ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ
 إِنْ يَشِيعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ
 شَيْئًا ۝ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَا يُرِدُ
 إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ

= أى رأى محمد جبريل مرة أخرى . وأخطأ من قال : إن محمداً رأى ربه . قال تعالى «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب» ومحمد عليه الصلاة والسلام : من البشر ، ولو أنه سيدهم وإمامهم ؛ وليس كسائرهم . وعن عائشة رضى الله تعالى عنها : «من قال : إن محمداً رأى ربه فقد أعظم القرية» (عند سدره المنتهى) الجمهور على أنها شجرة نبق في السماء السابعة ، عن يمين العرش ؛ يسير في ظلها الراكب كذا من الأعوام . والذى أراه أن السدرة ليست كما يقولون ، أو يروون «وما يلطم تأويله لإلا الله»

وقد يكون المراد بسدره المنتهى : الظل الذى تنفخ إليه الأرواح ؛ لترتاح من حر الحياة اللافح ، والواحة التى يستريح إليها التعب المسكود ؛ بعد أن لاقى في حياته الدنيا مالا ، وكابد في بيدها المحرقة ما كابد ولذا أعقب الله تعالى ذكر السدرة بقوله جل شأنه (عندها جنة المأوى) والجنة : البستان ، والشجر الكثير ، الذى يأوى إليه الناس للراحة . وأريد بالجنة : «جنة الخلد التى وعد المتقون» (إذ يفتى السدرة ما يفتى) هو تعظيم لما يشأها من الخلائق ؛ الدالة على عظمة الخالق ! أو هو لما يشأها من البهاء والجمال ، والنسور والجلال ! (ما زاغ البصر وما طغى) أى لم يتجاوز الحد ؛ ويطمح لى رؤية ما لا تجوز رؤيته ، ولا يمكن الإحاطة به «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» (أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) هى أسماء آلهة كانوا يعبدونها (انظر آية ٥٢ من سورة الحج) (ألكم الذكر) الذى تطلبونه وتمنونه من البنين (وله الأنثى) التى تعافونها وتكرهونها . وذلك لأنهم كانوا يقولون : الملائكة بنات الله (تلك إذا قسمة ضيزى) أى قسمة جائرة (لقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول العظيم ، والقرآن الكريم (فته الآخرة والأولى) الدنيا والآخرة ؛ يفعل فيها

وبأهلها ما شاء ! (وكم من ملك في السموات) مقرب إلى الله ، طائع لمولاه (لا تغنى) لا تنفع (شفاعتهم) في أحد العصاة (إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء) تشفيعه ، أو «لن يشاء» إنجاهه (ويرضى) عنه (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) حيث قالوا : الملائكة بنات الله (ذلك مبلغهم من العلم) أى نهاية علمهم : أن أعرضوا عن الإيمان ، وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة

(الذين يجنبون كبار الإثم والفواحش) الكبار: كل ما أوعد الله تعالى عليه بالنار . والفواحش: ما شرع فيه الحد (إلا اللطم) وهو صغار الذنوب ؛ كالنظر إلى الأجنبية ، والنوم من القول ، أو «اللطم» : ما يلطم بالإنسان من الذنوب بغاة ؛ من غير روية أو قصد (وإذ أنتم أجنة) جمع جنين وهو الولد في بطن أمه (فلا تزكوا أنفسكم) لا تمدحوها مجبين بها (هو أعلم بمن اتقى) فيزكيه بفضلها ، ويعليه بكرمه ! (أفرأيت الذي تولى) كفر بعد إيمانه . قيل : هو الوليد بن المغيرة ؛ وكان قد اتبع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ فغيره بعض الكفار ، فقال له الوليد : إنى اتبعت محمداً خشية عذاب الله ؛ فظنن له إن هو أعطاه شيئاً من ماله ، ورجع إلى كفره ؛ تحمل عنه عذاب الله . فارتد الوليد ، وأعطاه بعض الذي وعدموشع بالباقي ؛ وذلك معنى قوله تعالى (وأعطى قليلاً وأكدي) أى ومنع باقى عطائه (أم لم ينبا بما في صحف موسى) التوراة (و) صحف (إبراهيم الذي وفى) أى وفى بكل ما يوجب الإسلام : من إيمان بيقين بالله ، ومعرفة حقيقة له تعالى ؛ من غير تقليد . قيل : كان يقول كلما أصبح وأمسى «سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون» (الآنزر وآنزة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس إثم نفس أخرى . وقد ورد هذا المعنى في سائر الكتب السماوية ؛ ومنها صحف موسى وإبراهيم (وأن ليس للإنسان إلا ما سقى) أى لا نواب سقيه هو بنفسه لنفسه ؛ أما عمل غيره له فلا . ولا ينافى ذلك الحديث الصحيح ؛ عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام «إذا مات ابن آدم اقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له» وذلك لأن الصدقة الجارية : من

٦٥٠

الجزء السابع والعشرون

رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ . وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
 أَعْتَدَى ﴿٦٥﴾ وَرَبِّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَفْتَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
 بِالْحَسَنَى ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ
 إِلَّا اللَّطَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِتَكَرُّرِ إِذْ
 أَنْشَأْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
 فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتَ
 الَّذِي تَوَلَّى ﴿٦٨﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٦٩﴾ أَعِنْدَهُمْ عِلْمُ
 الْغَيْبِ فَهُمْ يَرَوْنَهُمْ أَمْ لَمْ يَنبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٧٠﴾
 وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٧١﴾ أَلَا تَرَى وَايَةَ زُرَّارٍ فِي أَوْتَارٍ ﴿٧٢﴾
 وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٧٣﴾ وَأَنْ سَعْيُهُمْ لَنْ يَكْفُرَهُ
 بَلِ ابْنُ أَخِي لَسِيغٌ إِلَيْكَ يَوْمَكَ ﴿٧٤﴾ وَأَنْ لَكَ رَبِّكَ
 الْمُنْتَهَى ﴿٧٥﴾ وَأَنْتُمْ هُمْ أَهْلُكُمْ وَأَبْكَانُ ﴿٧٦﴾ وَأَنْتُمْ هُمْ أُمَّاتُ

وَأَجَابَ ﴿٧٧﴾

عمله ، والعلم المنتفع به : من سعيه ، والولد الصالح : ثمرة تنشئته وتأديبه وتهذيبه (وأن سعيه) عمله في الدنيا (سوف يرى) يتكشف ، ويجزى عليه في الآخرة (وأنه هو) جل شأنه (أضحك وأبكى) خلق الضحك والبكاء ، والسرور والحزن ؛ فخلق أسبابهما : فقد يضحك الضاحك ؛ وأسباب البؤس والشقاء تكتشفه من كل صوب وحذب . ويبكي الباكي وأسباب النعمى والسرور تحيط به من كل جانب . فهو جل شأنه باعث نعمة السرور لأناس ليعوض عليهم بعض مافاتهم من أنهم ، وهو عز سلطانه منزل نعمة الحزن على أناس جزاء ما فرطوا في جنبه ، وأفرطوا في ارتكاب محارمه !

(وأنه خلق الزوجين) الصنفين (الذكر والأنثى) من الإنسان والحيوان (من نطفة إذا تمخى) أى من منى حين يبنى - أى يصب - فى الرحم (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) (وأن عليه النشأة الأخرى) الإحياء ،

ويست الخلاق يوم القيامة (وأنه هو أغنى

وأغنى) أى أغنى وأقفر . وهذا المعنى متفق مع

قوله تعالى «أضحك وأبكى» و«أمات وأحيا»

ويقال أيضاً : أفناه الله تمالى ؛ إذا أرضاه .

وقد تجمد مع الفقر الرضا ، ومع الغنى الطمع .

أولعنى : أنه تعالى أغنى بلسال ، وأغنى بالأشياء

التي تتخذ للاقتناء والزينة ؛ لنفسها (وأنه

هورب الشمرى) الشمرى : كوكب كانت

تعده العرب فى الجاهلية (وأنه أهلك عاداً

الأولى) وهى قوم عاد بن لرم ، وهى غير عاد

الأخرى : قوم هود (وهمود) قوم صالح

(والمؤتفة أهوى) المؤتفة : قري قوم لوط ؛

رفعها جبريل عليه الصلاة والسلام إلى السماء ،

وألقاها ؛ فهوت إلى الأرض . وسميت مؤتفة :

لأنها انضفكت بأهلها ؛ أى اقلبت بهم ، وصار

عليها سافلها (فغشاها ماغشى) غطاها من

العذاب والإهلاك ماغطى ، وشملها من التدمير

ماشملها ! (فبأى آلاء ربك) أى فبأى نعمة

من نعم ربك أيها الإنسان (تتبارى) تتشكك

وتتجادل وقد أتجك مما أصاب به من كان

قبلك من الأمم (هذا نذير من النذر الأولى)

أى عمد عليه الصلاة والسلام : نذير من جنس

النذر الأولى ؛ التي أنذر بها من كان قبلكم

فكذبوهم ؛ فأخذهم العذاب . فلا تكذبوه

لئلا يجعل بكم ما حل بالكاذبين من قبلكم

(أزفت الآزفة) دنت القيامة ، وقرب حينها (ليس لها من دون الله) غيره (كاشفة) تكشف ما فيها من

العذاب والأهوال (أفمن هذا الحديث) القرآن (تعجبون) وتسخرون (وتضحكون) على ما فيه من الوعيد

لأمثالكم (ولا تبكون) وهو الأجدر بحالكم (وأنتم سامدون) غافلون لاهون (فاسجدوا لله) وحده

(واعبدوا) إياه ؛ ولا تسجدوا للأصنام ، ولا تعبدوها

وَأَحْيَا ۝ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۝

مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ۝ وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشْأَةَ الْآخِرَى ۝

وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ۝ وَأَنَّهُ هَوْرُبٌ الشَّعْرَى ۝

وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ۝ وَثَمُودًا قَوْمَ آدَانَ ۝

وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَى ۝

وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ۝ فَغَشَّاهَا مَاغَشَّى ۝ فَبِأَى آءِ

رَبِّكَ تَتَمَارَى ۝ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى ۝

أَزْفَتِ الْآزِفَةُ ۝ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝

أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ

وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ۝ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ

وَاعْبُدُوا ۝ ﴿٦٥١﴾

(٥٤) سُورَةُ الْقَمَرِ مَكْتَبَةٌ
إِلَّا الْآيَاتُ ٤٤ وَه٤ وَ٤٦ فَذُنُوبُهُ
وَأَيَاتُنَا ٥٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنسَى الْقَمَرُ ① وَإِنْ رَوَا آيَةً يُعْرَضُوا
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ ② وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
وَكُلُّ أُمَّرٍ مُسْتَعْتَبٌ ③ وَتَقَدَّ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ
مَا فِيهِ مَرْدَجٌ ④ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَا تُغْنِ السُّنُورُ ⑤
فَتَنُورُ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نَكْرًا ⑥ خُشَعًا
أَبْصَرُهُمْ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَبِهٌ ⑦
مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسَّرَ ⑧
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ
وَازْدَجَرٌ ⑨ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ⑩ فَفَتَحْنَا

أَبْرَبَ

(حكمة بالغة) يجب أن يتعظ بها سامعها ، وأن يفهمها قارئها (فا تنن) فا تنفع فيهم (النذر) الرسل ؛ الذين ينذرونهم عاقبة كفرهم ، ومقبة طغيانهم (فتول) أعرض (عنهم) ولا تجادلهم (يوم يدع الداع إلى شيء نكر) أي إلى شيء تنكره نفوسهم ؛ لأنهم لم يهدوه ، ولم يألفوه . وذلك يوم القيامة : حينما يدعون إلى الحساب فالعذاب (خضعاً أبصارهم) خضعوا الأبصار: كناية عن الذلة (يخرجون من الأجداث) القبور (مهطعين) مسرعين ، مادي أعناقهم (وقالوا مجنون وازدجر) أي مجنون عولج بالسب والضرب ؛ حتى رجع إلى عقله ، وثاب إلى رشده

(سورة القمر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أقربت الساعة) القيامة (وانشق القمر)

نصفين . قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : رأيت حراء بين فلقي القمر . وقيل : معناه سينشق القمر يوم القيامة ، وأخذ بهذا المعنى بعض المتأخرين ؛ الذين لا يعبأ بقولهم ، ولا يعتد برأيهم . والجمهور على القول الأول ، ويؤيده ما جاء في الصحيحين ، وقراءة من قرأ «وقد انشق القمر» ويؤيده أيضاً ما بعده : (وإن روا آية) معجزة للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه (يعرضوا) عنها ، ولا يلتفتوا إليها (ويقولوا سحر مستعبر) أي سحر قوى حكيم (وكل أمر) من الخير ، أو الشر (مستقر) أي كائن في وقته بإرادته تعالى ، ومعلوم في اللوح المحفوظ (ما فيه مردجر) أي ما يصح أن يزجر به قارئه ، ويتعظ به سامعه . وهذه الأنباء التي جاءتهم

(ماء منهر) منصب انصباباً شديداً (فالتقى الماء على أمر قد قدر) أى التقى المائان : ماء السماء الذى نزل من السحاب ، وماء الأرض الذى نبع من التنور ؛ على أمر قد قدره الله تعالى : وهو لإغراق قوم نوح عن آخرهم . وقرئ «فالتقى المائان» (وحملناه) أى حملنا نوحاً ومن آمن معه (على ذات ألواح ودرر) يعنى السفينة . والدرر: جمع دسار ؛ وهو المسار (تجرى بأعيننا) أى يحفظنا وكلاءتنا (جزاء لمن كان كافر) وهو نوح عليه السلام ؛ لأنه مكفور به (ولقد تركناها) أى السفينة ؛ والمراد به جنسها . قال تعالى «ولتجرى الفلك بأمره» (آية) علامة على

قدرتنا . وقيل : المراد به سفينة نوح نفسها ؛ فقد تركت على الجودي ، ورأها بعض أوائل هذه الأمة . هذا ولا يزال حتى الآن بعض الباحثين والفقهاء يبحثون عنها فى مظلات وجودها . وزعم بعضهم أنه رأها فعلا مظناة بالثلوج ؛ والله أعلم بحلقه وأحكامه (فهل من مدكر) متذكر ، منعظ (فكيف كان عذابي) الذى أنزلته بقوم نوح جزاء كفرهم بى ، وتكذيبهم لرسولى (و) كيف كان (نذر) أى إنذارى لهم قبل نزول العذاب بهم (ولقد يسرنا) سهلنا (القرآن للذكر) للاعطاء به ، والتذكر بما فيه (كذبت عاد) قوم هود (لإنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً) شديدة البرودة ، شديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) دائم الشر (تزع الناس) من أما كتبهم ؛ فتدبرهم على الأرض ؛ فتبين رقابهم من جسومهم (كأنهم أعمار نخل منقر) منقلع ، ساقط على الأرض ؛ وذلك لظولهم ، وأثمهم لا حراك بهم (كذبت ثمود) قوم صالح (بالنذر) بالرسول ؛ لأن من كذب رسولا واحداً : فكجأ بما كذب رسل الله جميعاً . أو المراد بالنذر : الأمور التى أنذرهم بوقوعها فيهم صالح عليه السلام (لإنا إذا لى ضلال وسر) أى نحن إذا اتبعناه : كنا فى ضلال

أَبْوَابِ السَّمَاءِ بِمَا هُمْ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا الْأَرْضَ
عِيُونًا فَالتَّقَى الْمَاءِ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قَدِرُ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى
ذَاتِ الْأَرْجِ وَدُرِّ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ﴿١٥﴾
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْفُرْعَانَ
لِلَّذِكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادَ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ
نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَزْعُ النَّاسُ كَانْتِهِمْ أَعْجَازَ نَخْلٍ
مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسْرْنَا
الْفُرْعَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِالنُّذْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَاحِدًا تَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَبِ
ضَلَّلْنَا وَسَعِرُ ﴿٢٤﴾ أَهْلَقْنَا الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ
كَذَّابٌ أَشْرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرُ ﴿٢٦﴾

وفى سعر ؛ كما يقول على مخالفيه . والسعر : الجنون (ألقى الذكر) الوحى (عليه من بيننا) ونحن لا نسمع بذلك ، وليس بأفضلنا (بل هو كذاب أشر) أى بطر متكبر ؛ حمله تكبره على أن يتعاطف علينا بادعائه النبوة . قال تعالى ردأ عليهم ، وتهديداً لهم : (سيعلمون غداً) يوم القيامة ؛ حين يرون العذاب (من الكذاب الأشر) فيهم صالح - حين يأتي تحف به الهابة وتحيط به الأنوار - أم هم حين يأتون بيجرون أذيال الخزي والحية ؛ تسوقهم ملائكة العذاب نحو الحساب ؟

(إنا مرسلوا الناقة فتنة) ابتلاء (لهم) وامتنعنا (فارتقيهم واصطبر) انتظروهم ياصالح ، واصبر على

الجزء السابع والعشرون

٦٥٤

أدام (ونبتهم أن الباء قسمة بينهم كل شرب محتضى) لهم يوم يستقون فيه ، ولناقة يوم تمرب فيه (فنادوا أصحابهم) واحداً منهم ليقتل الناقة . قيل : اسمه قدار (فتعاطى فمقر) فتناول السيف ؛ فقتل به الناقة ؛ فاستوجبوا على أنفسهم العذاب الموعود (إنا أرسلنا عليهم صبيحة واحدة) صاحبها بهم جبريل عليه السلام والصبيحة : العذاب ، أو هي مقدمة لكل عذاب (فكانوا كهشيم المحظن) الهشيم : الشجر اليابس التهشم ، التكسر . والمحظن : الذي يجعل لفته حظيرة من الهشيم (حاصباً) ريحاً تحصمهم - أى ترميمهم - بالحجارة (إلا آل لوط) ابتناه ، ومن آمن معه (نجيناهم بسحر) وقت الصبح ؛ حين أنزل الله تعالى العذاب بقوم لوط (بطشتنا) أخذناهم بالعذاب (فماروا) فكذبوا (ولقد راودوه عن ضيفه) بأن طلبوا منه تسليم الملائكة - حيناً نزلوا عليه في صورة الأضياف - ليأتوا بهم الفاحشة (فطمسنا أعينهم) أعميناها (بكرة) أى باكراً من التكبير (عذاب مستقر) دائم ، متصل بعذاب القيامة : يصاحبهم حتى يسلمهم للموت ، والموت يسلمهم لعذاب القبر ، وعذاب القبر يصحبهم إلى يوم القيامة ؛ حتى يروا العذاب الأكبر ؛ ثمود . باقة تعالى من غضبه وعذابه (ولقد جاء آل فرعون) هو وقومه معه

(النذر) جمع نذير . أى جاءهم الانتذار معاداً متكرراً بالعذاب المتوقع (كذبوا بآياتنا كلها) وهي الآيات التسع ؛ التي أوتيتها موسى (فأخذناهم) بالعذاب الموعود

خبرته

إِنَّا مَرَّسَلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقَيْهِمْ وَاصْطَبِرْ ۗ
وَنَبِّئِهِمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلٌّ شَرِبَ مَحْتَضِرٌ ۗ
فَنَادَوْا صَاحِبِهِمْ فَتَعَاطَى فَقَعَّرْ ۗ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنَذِيرِي ۗ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَبِيحَةً وَرَحْدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ
الْبُهْمِظِيرِ ۗ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ
مُدَكِّرٍ ۗ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذِيرِ ۗ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ لَمَّجَيْنَهُمْ بِسِحْرٍ ۗ نِعْمَةٌ
مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۗ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ
بَطْشَتْنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذِيرِ ۗ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ
فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِي ۗ وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ
بُكْرَةَ عَذَابٍ مُّسْتَقَرًّا ۗ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِي ۗ وَلَقَدْ
يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۗ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ
فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ۗ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ

عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴿٦٦﴾ أَكْفَرُكُمْ خَبِيرٌ مِنْ أُولِيكُمْ أَمْ لَكُمْ
 بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٦٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ بِجَمِيعٍ مُنْتَصِرُونَ ﴿٦٨﴾
 سَيَهَيِّمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبِيرَ ﴿٦٩﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ
 وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿٧٠﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ
 وَسَعِيرٍ ﴿٧١﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا
 مَسَّ سَقَرَ ﴿٧٢﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٧٣﴾ وَمَا أَمْرُنَا
 إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا شَيْعَاكُمْ
 فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٧٥﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٧٦﴾
 وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٧٧﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
 وَنَهْرٍ ﴿٧٨﴾ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٧٩﴾

(أخذ عزيز) قوى (مقتدر) تام القدرة؛ لا يجزه شيء، ولا يفر من عذابه مذب (أكفاركم) يأهل مكة (خير من أوليكم) المذكورين؛ فندعمهم في طغيانهم وكفرهم، ولا نعدبهم (أم لكم براءة في الزبُر) في الكتب. أي نزل لكم الأمان في الكتب المتقدمة (أم يقولون نحن جميع منتصر) أي نحن جمع كبير؛ سنتنصر لكثرتنا وقوتنا (سيهزم الجمع) الكبير (ويولون الدبر) فهزموا - على جمعهم وكثرتهم - شر هزيمة يوم بدر، ونصر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين - رغم قتلهم - وتحقق وعيده تعالى في أعدائه، ووعده لأوليائه!

وليست هذه الهزيمة هي كل ما ينتظرهم من العذاب والحزى (بل الساعة) القيامة (موعدكم والساعة أدهى وأمر) أي والقيامة وما فيها من الشدة والعذاب: «أدهى وأمر» مما نالهم في الدنيا من خزي الانهزام، وذل القتل والانكسار (إن المجرمين) الكافرين (في ضلال) هلاك؛ في الدنيا بالقتل والهزيمة (وسمر) نار مستعرة في الآخرة (ذوقوا مس سقر) إصابة جهنم (إننا كل شيء خلقناه بقدر) أي بتقدير: محكم، مستوف فيه مقتضى الحكمة والمنفعة. وقيل: المعنى: مقدر. وذهب كثيرون إلى أن هذه الآية دليل على أن السيئة مقدره: فالقتل بقدر، والزنا بقدر، وشرب الخمر بقدر، والسرقه بقدر. وأن جميع ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، قبل خلق النفوس. وهو كلام يؤدي إلى نسبة الظلم إلى الله تعالى؛ وهو أعدل العادلين، وأحكم الحاكمين! أما كتابة الأعمال، وما كان وما يكون في اللوح المحفوظ: فأمر مسلم به، وأما التقدير الذي يشبه الإلزام فكلأ وألف صفة كلا! ولكن الله تعالى جلت قدرته؛ لسعة علمه ومعرفته: علم بعمل خلقه؛ فكتبه قبل أن يعملوه، ولم يلزمهم به. وهو جل شأنه، وتعالى سطاته لا يهدى الفاسقين،

ولا يهدى الظالمين، ولا يهدى الكافرين، ولا يهدى من هو مسرف كذاب، ولا من هو كاذب حرثاب! وإنما يهدى تعالى من أناب: يهديه إلى الرشده، وإلى الحق، وإلى سواء السبيل!

وإلا إذا قلنا بما يقولون؛ فعلام شرعت الشرائع، وقتت القوانين، وأرسلت الرسل، ونزلت الكتب؛ ولماذا تقص من المذنب؛ ولا ذنب له؟ ومن المجرم؛ ولا جرم عليه؟!

ولماذا يرجع الزاني؛ وقد أكره على الزنا؛ ويقطع السارق؛ وقد ألزم بالسرقه؛ ويقتل القاتل؛ وقد فرض عليه القتل؟

ولماذا تقوم المحاكم لفض المظالم؟ وأي مظالم يدفعونها؛ ودفعها هو عين الظلم؛ إذ كيف يقتل =

القائل ؟ وقد قتل بقدر ؟ أو كيف يرحم الزاني ؟ وقد زنا بقدر ؟ أو كيف يقطع السارق ؟ وقد سرق بقدر ؟ أو كيف يحد شارب الخمر ؟ وقد شربها بقدر ؟

ألم يقدر الله تعالى - كما يقولون - ذلك القتل ، وذلك الزنا ، وذلك السكر ، وتلك السرقة ؟ وأين من يزعم أنه يستطيع أن يخرج عما قدره الله تعالى ورسمه لعباده ؟

وأخيراً يحق لنا أن نسأل هؤلاء القائلين بهذا الرأي الفاسد : لم خلق الله تعالى جنه وناره ؟

الجزء السابع والعشرون

وقد أطاعه من أطاعه بقدر ، وعصاه من عصاه بقدر ؟ أكره هذا على الطاعة ، وأكره ذلك على العصية ! (وما أمرنا) لشيء إذا أردناه (إلا مرة واحدة) فيكون في سرعة حدوته (كلج بالصر) وهو قول «كن» وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» (ولقد أهلكنا أشياءكم) أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية (وكل شيء فطوه) من خير ، أو شر (في الزبر) في الكتب التي تكبتها المغظة (وكل صغير وكبير) من ذنوبهم وأعمالهم (مستطر) مسطور : مكتوب (إن المتقين في جنات) يساتين (ونهر) «أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى» (في مقعد صدق) مكان صدق قد وعدوه في الدنيا ، وحققه الله تعالى لهم في الآخرة (عند ملك مقدر) قادر على إفاضة هذا النعم الكامل على أوليائه !

(سورة الرحمن)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرحمن علم القرآن) لما كانت هذه السورة الكريمة حاوية لزيد أنعمه تعالى على عباده : بدأ بذكر النعمة الكبرى ، والمنة

(٥٥) سُوْرَةُ الرَّحْمٰنِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٧٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الرَّحْمٰنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الرَّحْمٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝
وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ
الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا
لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَكِيهَةٌ وَالنَّعْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝
وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا
تُكذِّبَانِ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝
وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ۝ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا

تُكذِّبَانِ ۝

العظمى : وهي تعلم القرآن . وأى نعمة تدانى علمه وتعلمه ، وفهمه وتفهمه ؟ فأحرص أيها المؤمن اللبيب على حفظ كتاب الله تعالى وتلاوته ، والحرص بما فيه من أواصر ونواه ؛ تسعدك في دنياك ، وتقربك من مولاك ، وتسرك في مشواك ، وتتجك في أخراك ! (خلق الإنسان) فسواه فعده (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) (علمه البيان) ألهمه النطق ؛ الذي به يستطيع أن يبين عن رغائبه ومقاصده (الشمس والقمر بحسبان) بحسب ما معلوم : يجران في بروجها ، ويتنقلان في منازلها . والحسبان : قطب الرمح . أي يدوران في مثل القطب (والنجم والشجر يسجدان) أي يتقادان للرحمن فيما يريد منهما : هذا بالتنقل في البروج ، وذلك بإتناء الثمر ، نعمة للبصر . وقيل «النجم» : كل مالا ساق له من الشجر (ووضع الميزان) الذي توزن به =

= الأشياء (ألا تطغوا) لئلا تطغوا (بالقسط) بالعدل (ولا تخسروا الميزان) لا تنقصوا الموزون ؛ عند ما تبيعون ، ولا تزيبوه عند ما تشترون . قال تعالى : «ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون» (والنخل ذات الأكام) الأكام : أوعية التمر . والمراد به هنا : اللبف والسعف (والحب ذو الصف والريحان) الصف : اللبن ؛ لأن الریح تصف به . والريحان : الرزق ، وهو يطلق على الثمر ، وكل ما يتلذذ به من الفاكهة . أو هو كل أصناف المشومات : كالورد ، والقل ، والزرج ، والياسمين ؛ وما شاكلها (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الآلاء : النعم . أى فبأى نعم ربكما أيها الإنس والجن تكذبان ؟ ! (صلصال) طين يابس (وخلق الجنان من مارج) المارج : اللب الصافي (رب المشرقين ورب المغربين) مشرق الشتاء ، ومشرق الصيف ، ومغربيهما . أو «المشرقين» مشرق الشمس والقمر . و«المغربين» مغربيهما (مرج البحرين) أى خطهما فى مرمى العين ؛ لا يحول بينهما سوى قدرته تعالى (بينهما برزخ) حاجز من القدرة الإلهية (لا يبغيان) لا يبنى أحدهما على الآخر ؛ فيمتزج به ، ويختلط العذب الفرات ، بالملح الأجاج (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) أى من أحدهما ، لأنهما لا يخرجان إلا من البحار خاصة ؛ لا من الأنهار (وله الجوار المنشق) (وله الجوار) السفن الجارية فى البحر (كالأعلام) كالجبال فى العظم (ويبقى وجه ربك) ذاته الطيبة (ذو الجلال) القدرة والعظمة (والإكرام) يكرم عباده المؤمنين بما أعده لهم من نعم مقيم 1 (يسأله من فى السموات والأرض) أى يقتدر إليه كل من فيهن ، ويطلب منه الحفظ ، والعون ، والرزق (كل يوم هو فى شان) يفقر ذنباً ، ويفرح كرباً ، ويشقى سقياً ، ويسقم سليماً ، ويمز ذليلاً ، ويذل عزيزاً ، ويعنى فقيراً ، ويفقر غنياً ، ويرفع

تُكذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾
 فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ
 يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ
 رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾
 فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَ لَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَقَاتُ
 فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٢٥﴾
 كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
 وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٢٨﴾
 يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي
 شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَفَرُ
 لَكَرَاهِيَةِ التَّقْلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٣٢﴾
 يَمَعَشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ
 أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا

قوماً ، ويضع آخرين (سفرغ لكم أيها الثقلان) أى سنتهى الدنيا ، ولا يبقى إلا حسابكم ومجازاتكم ؛ وهو وعيد وتهديد ، و«الثقلان» الإنس والجن (بامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات) الأقطار: جمع قطر ؛ وهو الناحية . أى إن استطعتم أن تنفذوا من نواحي السموات (والأرض) وتخرجوا ممارسه الله تعالى لكم ، وحدده لوجودكم ومعيشتكم (فانفذوا) من أقطارها

(لا تغفون إلا سلطان) لا تقفرون على النفوذ إلا بقوة ، وغلبة ، وقهر ؛ وآتى لكم ذلك ؟! وهذا على سبيل التعجيز والتعدي ؛ يدل عليه ما بعده (يرسل عليكم) إذا حاولت ذلك (شواظ) لهب ، لا دخان له (من نار ونحاس) مذهب (فلاتنصرون) فلاتبتلنن مأربكما ؛ من ورود هذا المورد ، وركوب هذا المركب !

الجزء السابع والعشرون

٦٥٨

(انظر آية ٦١ من سورة الفرقان) فكانت وردة) أى صارت كالوردة ؛ فى تشعب أوراقها وسهولة انتقالها ، أو صارت كالون الوردية فى الأحرار (كالدمع) أى كالأديم الأحمر (فيومئذ) يوم القيامة (لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) لأن للذنب علامات تدل على ذنبه : كسواداد الوجوه وزرقتها ؛ يؤيده قوله تعالى (يعرف المجرمون بسيماهم) أى بهيئاتهم وعلاماتهم . ويصح أن يكون ماجاء فى مواضع آخر من التذليل ؛ من أنهم يسألون عن أعمالهم : معناه أنهم يحاسبون عليها ، ويجزون بها (فيؤخذ بالنواصي) جمع ناصية ؛ وهى شعر مقدم الرأس (والأقدام) يجر الكافرون من نواصيهم : إذلالهم ، ومن أقدامهم : ليسحبوا على وجوههم إلى النار ! (يطوفون بينها وبين حميم آن) ماء بالغ غاية الحرارة (ولن خاف مقام ربه) أى القيام بين يديه يوم القيامة . قال تعالى «يوم يقوم الناس لرب العالمين» ومن خاف مقام ربه : لم يقتل ، ولم يزن ، ولم يشترق ، ولم يسكر ، ولم يقتب ، ولم يقل زوراً ! فهذا له (جنتان) بستانان . قيل : هما للسابقين . قال تعالى «والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم» (ذواتا أفنان) جمع فنان ؛ أى أغصان . وخص الأفنان بالذكر ؛ لأنها هى التى تورق وتثمر . أو «أفنان» جمع فن . أى ذواتا ألوان وأجناس وأصناف من الفاكهة ؛ المختلفة الألوان والطعوم (فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفات : حلو وحامض ، ورطب ويابس ، وأحر وأصفر

بِسُلْطَنِي ﴿٦٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٦٦﴾ يَرْسَلُ عَلَيْكَ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْصَرِنِ ﴿٦٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٦٨﴾ فَإِذَا أَنْشَقَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّمَعِانِ ﴿٦٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٧٠﴾ فَيَوْمِئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٧١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٧٢﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٧٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٧٤﴾ هُنَالِكَ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٥﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٧٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٧٧﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ءَانٍ ﴿٧٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٧٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ يُعْرِضُونَ عَنْكَ آلَآءَهُمْ سَوَاءً لَكَ مِنْهُمُ الْحَزَنُ ﴿٨٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٨١﴾ فَيَوْمَئِذٍ يُعْرِضُونَ عَنْكَ آلَآءَهُمْ سَوَاءً لَكَ مِنْهُمُ الْحَزَنُ ﴿٨٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٨٣﴾ فَيَوْمَئِذٍ يُعْرِضُونَ عَنْكَ آلَآءَهُمْ سَوَاءً لَكَ مِنْهُمُ الْحَزَنُ ﴿٨٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٨٥﴾ فَيَوْمَئِذٍ يُعْرِضُونَ عَنْكَ آلَآءَهُمْ سَوَاءً لَكَ مِنْهُمُ الْحَزَنُ ﴿٨٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٨٧﴾ فَيَوْمَئِذٍ يُعْرِضُونَ عَنْكَ آلَآءَهُمْ سَوَاءً لَكَ مِنْهُمُ الْحَزَنُ ﴿٨٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٨٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ يُعْرِضُونَ عَنْكَ آلَآءَهُمْ سَوَاءً لَكَ مِنْهُمُ الْحَزَنُ ﴿٩٠﴾

فَيَأْتِي

ذواتا ألوان وأجناس وأصناف من الفاكهة ؛ المختلفة الألوان والطعوم (فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفات : حلو وحامض ، ورطب ويابس ، وأحر وأصفر

(استبرق) هو ما غلظ من الحرير (وجنى الجنة) ثمرها (دات) قريب : يناله القائم ، والقاعد ، والمضطجع . سهل التناول : لا يحول دونه بعد ، ولا شوك ، ولا يحتاج إلى صعود نخلها لاجتناء ثمرها ،

ولا معالجة شجرها لاجتناء ثمرها (فيهن

فاصرات الطرف) أى اللاتي يقصرن بصرهن

على أزواجهن (لم يطمئن) لم يطمئن .

والطمت : افتضاض البكر (كأنهن الياقوت

والمرجان) لما كان الياقوت والمرجان : من

أنفس حلى العرب فى ذلك العهد : شبههن

بهما . ولاصحة لما ذهب إليه بعض المفسرين من

وصف الحور العين : بأن أعينها من ياقوت ،

وأرجلها من زبرجد ، وجسمها من عنبر وأنها

من الصفاء بحيث يرى مخ سوقها ؛ إلى غير ذلك

مما لا يتفق والحقيقة ؛ وهومن المغالة المنومة .

فلو تصور إنسان امرأة على هذه الصورة ،

وتلك الصفة : لكانت محمل اقتنائه ،

لاموضع متعته ولذته ؛ (هل جزاء الإحسان)

فى الدنيا بطاعة الله (لا الإحسان) فى الآخرة

بالتعميم المقيم ؟ وأين إحسان المخلوق ؛ من إحسان

المخلوق النعم المتفضل ؟ (ومن دونها) أى

من دون هاتين الجنة اللتين وصفهما الله تعالى

بأنهما لمن خاف مقامه : دونهما فى العظم ،

والمقام ، والدرجة ؛ وهما لأصحاب اليمين من

المتقين . قال تعالى «وأصحاب اليمين ما أصحاب

اليمين : فى سدر مخضود ، وطلح منضود ،

وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ؛

لا مقطوعة ولا ممنوعة» (سداهات) (سداهات)

خضراوان ؛ من وفرة الرى والعناية الربانية

(نضاختان) فوارتان بالماء لا تنقطعان (فيهن خيرات) مخففة من خيرات ؛ بتشديد الياء . وبها قرئ أيضاً

وهن الحور (حسان) أى حسان الخلق والمخلق (حور مقصورات) حور : جمع حوراء ؛ وهى شديدة بياض

العين وسوادها (انظر آية ٤٤ من سورة الدخان) و «مقصورات» أى مخدرات ؛ قصرن فى خدورهن

فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٦٥٩﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ

بَطَانِيهَا مِنْ أَسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٦٦٠﴾ فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ

رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٦٦١﴾ فِيهِنَّ قَصْرَاتٌ أَعْرَفٌ لَا يَطْمَئِنُّنَّ

إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٦٦٢﴾ فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٦٦٣﴾

كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٦٦٤﴾ فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَبِّكَ

تَكْذِبَانَ ﴿٦٦٥﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٦٦﴾

فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٦٦٧﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ ﴿٦٦٨﴾

فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٦٦٩﴾ مُدَاهِمَاتٍ ﴿٦٧٠﴾ فَيَأْتِيءُ

الْآلَاءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٦٧١﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٧٢﴾

فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٦٧٣﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ

وَرُمَّانٌ ﴿٦٧٤﴾ فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٦٧٥﴾ فِيهِنَّ

خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٦٧٦﴾ فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٦٧٧﴾

حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْغِيَامِ ﴿٦٧٨﴾ فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَبِّكَ

تَكْذِبَانَ ﴿٦٧٩﴾

تَكْذِبَانِ ﴿٧٦﴾ لَرِيعَتَيْنِ إِنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانَتْ
فِيَّيْهِمَا الْآوْرِيكََا تَكْذِبَانِ ﴿٧٧﴾ مَكِينٍ عَلَى رَقْرِفٍ خَضِرٍ
وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٨﴾ فَيُتِيءُ الْآوْرِيكََا تَكْذِبَانِ ﴿٧٩﴾
تَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٠﴾

(٥٦) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ مَكْتُمًا

الآ آي ٨١ و ٨٢ فَدُنِيَانِ
وَأَيَّامًا ٩٦ نَزَلَتْ بَعْدَ طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ
رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَسَبَّتِ الْجِبَالُ
بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا
ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾
وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيْفُونَ

السَّيْفُونَ ﴿١٠﴾

شديدًا ، واضطربت واهتزت (وبست الجبال) أي ففتت (فكانت هباء منبثًا) غبارًا منتثرًا (وكنتم أزواجًا) أصنافًا (فأصحاب الميمنة) وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم (ما أصحاب الميمنة) فجميع لحاهم ؛ وتظيم لشأنهم ؛ في دخولهم الجنة ، ومزيد تتمهم فيها ا (وأصحاب المشأمة) وهم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم (ما أصحاب المشأمة) فجميع لحاهم أيضاً ؛ من دخولهم النار وما يلقون فيها من البؤس والشقاء والبلاء ا (والسابقون) لى الحيرات والحسنات : هم (السابقون) لى النعم والجنت . أو هو تأكيد لتظيم شأنهم (انظر آي ٣٢ من سورة فاطر ، و ٤٦ من سورة الرحمن) .

(لم يطشهن) لم يطأهن . والطمث : اقتضاض البكر (متكئين على رقرف) الرقرف : الوسائد والفرش . وما إليها (وعبقرى) هو نسبة إلى «عبر» تزعم العرب أنه اسم بلد الجن ؛ وينسبون إليه كل ما كان يدع الصنع . والمقصود به هنا : الديباج ، والطنافس (تبارك اسم ربك) تعالى ذكره ، وتقدس اسمه (ذو الجلال) ذو العظمة (والإكرام) أي لانه تعالى واجب التكريم من سائر مخلوقاته ، أو هو جل شأنه المختص بإكرام أوليائه وأحبابه !

(سورة الواقعة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا وقعت الواقعة) قامت القيامة . وسميت واقعة : لتأكيد وقوعها (ليس لوقعتها كاذبة) أي لا شك ولا ريب في وقوعها ؛ أو لا يكون حين وقوعها نفس تكذب بها . وكيف يحصل لها تكذيب وقد صارت حقيقة واقعة محسوسة ملموسة ؟ ا (خافضة رافعة) تخفض الكافرين ، وترفع المؤمنين : خفضت أقواماً - كانوا في الدنيا أعزاء - إلى عذاب الله وقتته ، ورفعت أقواماً - كانوا في الدنيا أذلاء - إلى جنة الله ورحمته (إذا رجت الأرض رجًا) زلزلت زلزلا

(ثله من الأولين) أى جماعة كثيرة من متقدمى هذه الأمة ؛ ملازمتهم الصلاح ، واستمساكهم بالقوى (وقليل من الآخرين) من متأخرى هذه الأمة . وقيل : «من الأولين» من الأمم الماضية ، و«من الآخرين» من هذه الأمة (على سرور موضونة) مرصعة باللؤلؤ والجواهر (متكئين عليها متقابلين) ينظر بعضهم إلى بعض ، ويدورون فى مقاعدهم بحيث لا تبدو أفتيتهم . وهذا مظهر من مظاهر الظلمة التى نجدها فى عطاء الدنيا: حيث يجلسون على مكاتبهم فى مقاعدهم التى

تدور بهم حيث شاءوا ؛ فىواجه بوجهه من يريد محادثته من جلسائه (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان مخلدون) لا يهرمون أبداً . وقد ذهب بعض الفساق إلى أن هؤلاء الولدان للخدمة والواط أيضاً . وهو قول يضم إلى فساده ؛ سوء خلق قائله ، وانعدام ذوقه ؛ فليحذر المؤمن من مكائد شياطين الإنس والجن ؛ وقد أسهنا فى الرد على هذه الزاعم وأمثالها فى تفسيرنا الكبير (وكأس من معين) خر من عيون تجرى على وجه الأرض ؛ ترى بالمعين . قال تعالى «وأنتار من خر لذة للشاريين» (لا يصدعون عنها) أى لا يحصل لهم صداع بسببها ؛ تكسر الدنيا (ولا يترفون) أى لا يذهب عقلهم ؛ من ترف الرجل : إذا ذهب عقله من السكر . وقيل : من أترف القوم : إذا فقد شرايهم (وحور عين) الحور: جمع حوراء؛ وهى شديدة بياض العين وسوادها. والعين : جمع عينا ؛ وهى الواسعة العين (انظر آية ٤٤ من سورة الدخان). (جزاء) بما كانوا يعملون) فى الدنيا من صالح الأعمال (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً) أى لا يسمعون قولاً باطلاً ، ولا هذياناً ، ولا سباباً ؛ مما يستوجب الإثم (إلا قتيلاً) قولاً (سلاماً سلاماً) تسليماً عليهم من الملائكة ، ومن إخوانهم

السَّمِيعُونَ ﴿١٥﴾ أَوْلَيْكَ الْمَقَرَّبُونَ ﴿١٦﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٧﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٩﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿٢٠﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُنْقَلِبِينَ ﴿٢١﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿٢٢﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبْرَيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿٢٣﴾ لَا يَصَدُّوعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿٢٤﴾ وَفَلَكَهِيَ تَمَامًا يَتَخَبَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَحْمٍ طَيْرٍ تَمَامًا يَسْتَهْوُونَ ﴿٢٦﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٧﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٨﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كَأْتِيًا ﴿٣٠﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٣١﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٣٢﴾ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٣٣﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٣٤﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٣٥﴾ وَظِلِّ تَمْدُودٍ ﴿٣٦﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣٧﴾ وَفَلَكَهِيَ كَثِيرَةٌ ﴿٣٨﴾ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ ﴿٣٩﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنْسَاءً ﴿٤١﴾ جَعَلْنَهُنَّ

المؤمنين (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) وهم الذين أتوا كتبهم بأيمانهم (انظر آية ٦٢ من سورة الرحمن) (فى سدر مخضود) السدر : شجر النبق . والمخضود : الذى لا شوك فيه (وطلح منضود) هو شجر الموز . و«منضود» أى مرصوص (وظل تمدود) دائم . قال تعالى فى وصف الجنة : «أكلها دائم وظلها» وجاء فى الحديث الشريف : «إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها» (وفرش مرفوعة) أى عالية . أو أريد بالفرش : النساء ؛ وقد جرت عادة العرب بتسمية المرأة بالفراش ؛ ويؤيده ما بعده . و«مرفوعة» أى مرفوعة فوق الأرائك . قال تعالى «هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك»

(فخلناهنم أبكاراً) دائمى البكارة ؛ كذا أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً (مربا) جمع عرب ؛ وهى المتجبة

الى زوجها (أتراباً) أى مستويات فى السن (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) وهم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم (فى سموم) حر نار ينفذ فى المسام (وحميم) ماء بالغ نهاية الحرارة (وظل من محوم) دخان أسود (لا بارد ولا كرم) المراد : نقى صفات الظل المعتاد ؛ وهى البرودة والكرم ؛ بأن يخلص كل من يأوى إليه من أذى الحر (لهم كانوا قبل ذلك) فى الدنيا (مترفين) منعين (الحنت العظيم) الذنب العظيم ؛ وهو الشرك ؛ وأى حنت أعظم من قولهم (أثنا متنا وكنا) فى قبورنا (تراباً) وعظاماً أننا لبعوثون) أى هل يحيا بعد ذلك ، ونبت كما يزعم محمد (أواباؤنا الأولون) أى أويست آبابؤنا الأولون أيضاً ، بعد أن بليت أجسامهم ، وفتنت عظامهم (الى ميقات) الى وقت (يوم معلوم) هو يوم القيامة (من شجر من زقوم) هو شجر ينبت فى أصل الجحيم (فشاربون عليه من الحميم) أى أنهم إذا عطشوا - بعد أكل الزقوم - فلا يشربون إلا من الحميم وهو الماء البالغ نهاية الحرارة (فشاربون شرب الحميم) الإبل الطلائ (هنا ترهم يوم الدين) الغزل : ما يعد لإكرام الضيف أى هذا هو الضيف اللمد لإكرامهم يوم القيامة (فلولا تصدقون) فلها تصدقون (أفرايتم ماتمنون) تزيقون فى أرحام نسائك.

أَبْكَارًا ① عَرَبًا أَتْرَابًا ② لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ③ ثَلَاثَةٌ ④ مِنَ الْأُولَى ⑤ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ⑥ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ⑦ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ⑧ وَظِلٌّ مِنْ مَحْمُومٍ ⑨ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ⑩ لَهُمْ مِنْ أَدَى الْحَرِّ (لَهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ) فِي الدُّنْيَا (مُتَرَفِينَ) مُنْعَبِينَ (الْحَنْتَ الْعَظِيمَ) الذَّنْبَ الْعَظِيمَ ؛ وَهُوَ الشِّرْكَ ؛ وَأَى حَنْتَ أَعْظَمَ مِنْ قَوْلِهِمْ (أَثْنَا مَتْنَا وَكُنَّا) فِي قُبُورِنَا (تَرَابًا) وَعِظَامًا أَنَا لِبَعُوثُونَ) أَي هَلْ يَحْيَا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَنَبَتُ كَمَا يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ (أَوَابَاؤُنَا الْأُولَى) أَي أُوَيْسَتْ آبَاؤُنَا الْأُولَى أَيْضًا ، بَعْدَ أَنْ بَلِيَتْ أَجْسَامُهُمْ ، وَفَتِنَتْ عِظَامُهُمْ (إِلَى مِيقَاتٍ) إِلَى وَقْتِ (يَوْمٍ مَعْلُومٍ) هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ) هُوَ شَجَرٌ يَنْبُتُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ) أَي أَنَّهُمْ إِذَا عَطَشُوا - بَعْدَ أَكْلِ الزُّقُومِ - فَلَا يَشْرَبُونَ إِلَّا مِنَ الْحَمِيمِ وَهُوَ الْمَاءُ الْبَالِغُ نَهَائِهِ الْحَرَارَةَ (فَشَارِبُونَ شَرِبَ الْحَمِيمِ) الْإِبِلُ الطَّلَائِشُ (هُنَا تَرَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) الْغَزْلُ : مَا يَبْدُ لِإِكْرَامِ الضَّيْفِ أَي هَذَا هُوَ الضَّيْفُ الْمَدَى لِإِكْرَامِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ) فَلَهَا تُصَدِّقُونَ (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ) تَزِيقُونَ فِي أَرْحَامِ نَسَائِكُمْ.

عَاتِمًا

يعنى إذا كنتم لا تؤمنون بأن الله تعالى هو خالقكم من ماء نهن ، وتمتقدون أن خلقكم أتى على مقتضى الطبيعة البشرية : تمنون فتجنون . إذا اعتقدتم هنا ؛ فما قولكم فى اللى المنسب فى خلقكم

(أنتم تخلقونه) بأقسامكم ، وتصنعون ما فيه من الحيوانات والجرائيم التي يتكون منها الجنين (أم نحن الخالقون) له ، الدبرون لأناره ؟ ألا ترون أن كثيراً منكم يمتنون فلا ينتجون ، ويحاولون لمجد الولد من مظاهر الطبيعة فلا يستطيعون ؛ إلا إذا أراد خالق الخلق أجمعين «فتبارك الله أحسن الخالقين» يقول تعالى «يبب لمن يشاء إنا أنأ وييب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراً وإنا أنأ وييجمل من يشاء عقيماً» فتبارك الله رب العالمين (نحن قدرنا بينكم الموت) بميقات معلوم ؛ فجلناه لبعضكم وأخرناه عن البعض الآخر إلى أجل مسمى (وما نحن بمسبوقين) أى بما جزين (على أن

نبدل أمثالكم) نخلق غيركم - من جنسكم - بعد مهلككم (وننشككم) نشأة أخرى (فيا لاتعلمون) أتى خلق شئنا ، وأى نشأة أردنا . يؤخذ من هذه الآية أن الإنسان قد يخلق بعد موته في خلق أدناً من خلقته ، وأحط من طبيعته ؛ تأديباً له وتعميماً ؛ كما أنه يجوز أن يخلق في خلق أعلا من خلقه ، وأشرف من جنسه ؛ تعظيماً له وتكريماً ؛ وهذا القول يعارضه الأكثرون ؛ فخرزا من القول بتناسخ الأرواح (ولقد علمت النشأة الأولى) وهى خلق آدم من طين ؛ لا تمت إلى الحياة بأى سبب (فلولا تذكرون) فهلا تتذكرون ذلك ؛ فتعرفون قدرة الخالق ١٩ (لو نشاء لطمناه حطاماً) هشياً متكسراً (فظلمت تشكبون) تجبون ، أو تتندمون على تكبير فيه ؛ وتقولون (إنا لمرمون) أى للمرمون غرامة ما أنفقنا ، أو لمهلكون هلاك رزقنا ، وتلف قوتنا . من الغرام ؛ وهو الهلاك (بل نحن محرومون) من ثمرة كدنا وعملنا (من الزمن) السحاب (أجاجاً) ملحاً ؛ فلم تنتفعوا منه بشرب ، ولا غرس ، ولا زرع (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون (أفرايم النار التي تورون) توقدون من الشجر الأخضر (نحن جعلناها تذكرة) تذكرة لئلا نرجعهم ، أو تذكرة لقدرتنا وعظمتنا!

(ومتاعاً) منفعة (المعقون) للمسافرين . أو «المعقون» أى الخالية بطونهم . يقال: أقوى - من الأضداد - إذا افتقر ، أو استغنى . لقد عدد سبحانه وتعالى النعم على عباده : فبدأ بذكر خلق الإنسان ؛ فقال «أفرايم ما تمنون» ثم نبي بما به قوامه ومعيشته ؛ وهو الزرع : فقال «أفرايم ما تحرون» ثم بما به حياته ؛ وهو الماء : فقال «أفرايم الماء الذى تشربون» ثم بما به يسطلى ، ويصنع طعامه ، وبما به يصنع سلاحه ؛ الذى به يدفع الفوائل عن نفسه ، ويحفظ حياته ووطنه ؛ وهى النار : فقال «أفرايم النار التي تورون» فباله من منعم ، وباله من متفضل ؛ وله الحمد حتى يرضى ا (فسج باسم ربك العظيم) نزهه عما يقولون ! (فلا أقسم بمواقع النجوم) قالوا : إن «لا» زائدة . أى «أقسم بمواقع النجوم» وهى مطالع النجوم =

أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ وَأَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿١٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ
الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٢٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ
وَنُنشِئَ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ
الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَحَّرْتُونَ ﴿٢٣﴾
أَنْتُمْ تَرَعُونَهُ أَتَمَّنُّوا الزَّرْعُونَ ﴿٢٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطَمًا فَظَلَمْتُمْ تَفْكَهُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّا لَمَعْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ
نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٢٨﴾
أَنْتُمْ أَتْرَلْتُمُوهُ مِنَ الزَّنَنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٢٩﴾ لَوْ نَشَاءُ
جَعَلْنَاهُ أَسْفًا فَلَوَلَا تَشْكُرُونَ ﴿٣٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي
تُورُونَ ﴿٣١﴾ أَنْتُمْ أَنْسَأْتُمْ خُبْرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٣٢﴾
نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَنَسْأًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٣﴾ فَسَجَّ بِاسْمِ
رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٣٤﴾ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٣٥﴾
وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٣٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٣٧﴾

== ومساقطها ، أو منازلها ، أو وقوعها وانتثارها عند قيام الساعة . قال تعالى « وإذا الكواكب انثرت »
 أو أريد « بمواقع الجيوم » : منازل القرآن الكريم ؛ لأنه نزل منجماً : أى مفرقاً . وقيل : المراد به عجم
 القرآن (إنه لقرآن كريم) عزيز جليل (في كتاب مكنون) مصون ؛ وهو اللوح المحفوظ . وقد ذهب
 بعضهم إلى أنه المصحف (لا يسه إلا المطهرون) الملائكة عليهم السلام بأمر ربهم . ولا حجة لمن يقول :
 بتعظيم مس المصحف لغير المسلم ، ولغير المتوضى ؛ اللهم إلا إذا كان بقصد امتنانه ؛ وحينئذ لا يكون حراماً
 بل كفر يقتل فاعله ! وقد نزل القرآن - حينما
 نزل - للناس أجمعين - كافرهم ومؤمنهم ،
 طائهم وعاصيهم - فكيف نحرّم مسه على
 أناس أنزل إليهم ، وأريد به هدايتهم ؟ !
 (تنزيل من رب العالمين) نزل به الروح
 الأمين ، على قلب محمد لينزل به الخلق أجمعين !
 والقرآن الكريم - ولو أنه نزل بلسان
 العرب ولقمتهم - غير أنه لا يساويه قول مهما
 علا ، ولا كلام مهما سما ؛ لأنه قول المنزه عن
 المثال والشبيه ، المتعالى عن الصفات والأعداد !
 وحسب القرآن جلالة ومجداً : أن الأربعة
 عشر قرناً التي صرت عليه لم تستطع أن تذهب
 بهاء أسلوبه الذي لا يزال غصاً كان عهده
 بالسمع أمس ! وإن الإنسان ليقراً كلام أحب
 الناس إليه ؛ فيجبه بالتكرار ، ويعافه على
 مر الأيام . أما القرآن الكريم فكلما زده
 تلاوة : لزداد حلاوة ! وكلما زده عناية :
 ازداد لك رعاية ! وإذا استمسكت به :
 استمسك بك ؛ حتى يسلك إلى منزله تعالى
 فيعطيك من نعمته حتى يكفيك ، ويفيض عليك
 من كرمه حتى يرضيك !

فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٦٦٤﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٦٦٥﴾
 تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦٦﴾ أَفَيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ
 مُذْهِبُونَ ﴿٦٦٧﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٦٦٨﴾
 فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٦٦٩﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٦٧٠﴾
 وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٦٧١﴾
 فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٦٧٢﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٦٧٣﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٦٧٤﴾ فَارْوْحْ
 وَرِيحَانَ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٦٧٥﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
 النَّيْمِ ﴿٦٧٦﴾ فَسَلِّمْ أَلَيْكَ مِنَ أَصْحَابِ النَّيْمِ ﴿٦٧٧﴾ وَأَمَّا إِنْ
 كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٦٧٨﴾ فَتَلَّ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧٩﴾
 وَتَضَلَّ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٨٠﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوَّاحٌ لِلْبَيْتِ ﴿٦٨١﴾
 فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٦٨٢﴾

ومن أعجب العجب : أن يمن الإنسان
 إلى استماع القرآن ، ويطرب لتلاوته ؛ ولو لم
 يفهم معناه ، أو تبلغ ألفاظه أذنيه ! أدام الله
 تعالى علينا نعمة القرآن ، وزادنا له حباً ، وبه تمسكا !

(أفيهذا الحديث أنتم مذهبون) أى أهبذا القرآن أنتم متهاونون مكذبون ؟ يقال : دهن الرجل ؛ إذا
 نافق . والمداهن : المظهر خلاف ما يظن (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أى وتجعلون شكر رزقكم :
 أنكم تكذبون برازقكم وخالفكم (فلولا) فهلا (إذا بلغت) الروح (الحلقوم) عند الموت . والحلقوم : تمر
 الطعام والشراب (فلولا إن كنتم غير مدينين) فهلا إن كنتم غير مريويين ؛ تدينون لإله ، أو غير محاسنين ،
 ولا مجزيين ؛ ولكم قدرة على البقاء والإبقاء ؛ بغير استعانة بمخاليق الأرض والسماء : المحي المعبت ، المبتى المعبد
 (ترجعونها) أى ترجعون تلك الروح التي بلغت الحلقوم إلى البدن (إن كنتم صادقين) فيما ترجعونها ==

سورة

= (فأما إن كان) الميت (من المقربين) الذين قربهم الله تعالى منه ؛ لإيمانهم وطاعتهم (فروح) أى فله استراحة ، أو فله رحمة ومغفرة (وريحان) رزق حسن ، طيب هنيء . أو المراد به : كل ماله رائحة من الزهور والمشمومات : تتلقاه به الملائكة عند موته ؛ كما يتلقى العروس في الدنيا يوم عرسه ! (وأما إن كان من أصحاب اليمين) الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم ، أو الذين يؤخذ بأيمانهم لى الجنة ؛ كما يأخذ الصديق يمين صديقه ، والحبيب يمين حبيه (فسلام لك) أى سلامة من العذاب ، أو سلام لك من مولاك جل شأنه ! (من أصحاب اليمين) أى سلام لك لأنك «من أصحاب اليمين» (وأما إن كان من المكذبين) الذين كذبوا الرسول والقرآن (الضالين) الذين ضلوا سواء السبيل ، وعصوا الرب الجليل (فذل) موضع نزولهم . والذل : ما يعد لتكرمة الضيف (من جيم) ماء بالغ غاية الحرارة . فإذا كان لإكرامهم بالحميم ؛ فكيف يكون تعذيبهم وامتهانهم ؟ (وات) (وتصلية جيم) أى إدخال في جهنم (وات) هذا) التنعيم والتعذيب (لهو حق اليقين) أى الحق الواجب الحدوث ، التيقن الوقوع .

سورة الحديد ١٦٥

(٥٧) سُوْرَةُ الْحَدِيدِ مَلَانِيْرِيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا ٢٩ نَزَلَتْ بِعَدَلٍ نَزَلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى
الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا
يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلِلَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ

(سورة الحديد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات والأرض) أى
إن كل من عدها من مخلوقاته : يحمله ويظلمه ،
ويسبح بحمده ؛ حتى الجماد والوحش والطيور ؛
فإنها جميعاً تسبح بحمده «وات من شيء إلا
يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم»
(هو الأول) قبل كل شيء ؛ بلا بداية
(والآخر) بعد كل شيء ؛ بلا نهاية (والظاهر)
بالأدلة والبراهين الدالة عليه :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

(والباطن) لكونه تعالى غير مدرك بالحواس ؛

ولو أنه ظاهر في مخلوقاته وآثاره (ثم استوى على العرش) استواء يليق به ؛ لا كاستواء المخلوقين ؛ لأن
الديان يتقدس عن المكان ، وتعالى المعبود عن الحدود ! (يعلم ما يلاج في الأرض) ما يدخل فيها : من البذر ،
والقطر ، والموتى (وما يخرج منها) من النبات ، والمعادن ، وغيرها (وما ينزل من السماء) من الملائكة ،
والغيث ، والشهب ، وغيرها (وما يعرج فيها) من الأعمال والدعوات «إليه يصعد الكلم الطيب» (وهو
معكم) بحفظه وكلايته (له ملك السموات والأرض) يتصرف فيهما كيف شاء (وللى الله) وحده (ترجع
الأمور) فيقضى فيها بما أراد ؛ لا راد لقضائه ! (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) يدخل أحدهما
في الآخر ؛ بنقصان هذا وزيادة ذلك

(وهو علم بنات الصدور) بخوافها وما فيها (وأفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعني إن الأموال التي في أيديكم : إنما هي أموال الله تعالى ؛ استخلفكم عليها ؛ فإن أحسنت التصرف فيها ، وأديتم زكاتها ، وأقمت في سبيله : نمت أموالكم ، وزادت حسناتكم .

الجزء السابع والعشرون

٦٦٦

وإن أسأتم التصرف ، وأدرجكم الشح المردى ، ومنعم ذوى الحاجات حاجتهم ، وأرباب الحقوق حقوقهم : استوجبتم النيران ، وحل بواديك الحمرانها (ومالكم لا تؤمنون بالله) لا تقرون بوحديته وربوبيته (والرسول يدعوكم لتؤمنوا برسبكم) وارشدهم إلى معرفته بالحجج القاطعة ، والبراهين الدامغة ؛ فليس لكم عنبر بعد ذلك (وقد أخذ) الله (ميثاقكم) في صلب آدم ؛ حين قال «ألسنت برسبكم» وقلتم «بلى» (انظر آية ١٧٢ من سورة الأعراف) (هو الذي ينزل على عبده) عهد (آيات بينات) محكمات ، واضحات (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) من الكفر إلى الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (لا يستوى منكم من أتقى من قبل الفتح) أى فتح مكة ، ورفضة الإسلام ، وانتصار المسلمين . أو هو فتح الحديدية (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) فى الدنيا . (انظر آية ٢٤٥ من سورة البقرة) (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات فى الجنة) (يسعى نورهم بين أيديهم) أمامهم . والمراد بذلك : أن وجوه المؤمنين تصير مضيئة كضوء القمر فى سواد الليل ؛ تكريماً لهم وتكريفاً ؛ ويؤيده ما بعده «انظرونا تفتبس من نوركم» وحقاً إن للمؤمن نورا يراه كل من أنار الله تعالى بصيرته فى هذه الحياة الدنيا ؛ فكيف بيوم القيامة : يوم الجزاء والوفاء !

وَيُورِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٧٢﴾
 ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ
 فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٧٣﴾ وَمَا لَكُمْ
 لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرِسْبِكُمْ وَقَدْ
 أَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقَكُمْ إِذْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَى
 عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
 وَإِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفٍ رَّحِيمٌ ﴿١٧٥﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا
 فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلِلّهِ مِيرَاتُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لَا يَسْتَوِى
 مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ اُولٰٓئِكَ اَعْظَمُ
 دَرَجَةً مِّنَ الَّذِىنَ اَنْفَقُوْا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوْا وَاَكْلًا وَعَدَّ اللّهُ
 الْحَسَنٰى وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ ﴿١٧٦﴾ مَن ذَا الَّذِى
 يَقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهٗ لَهُ وَلَهُ اَجْرٌ كَرِيْمٌ ﴿١٧٧﴾
 يَوْمَ تَرٰى الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ يَسْعٰى نُورُهُمْ بَيْنَ

أيديهم

أَيْدِيهِمْ وَأَيْمَانِهِمْ يُشْرِكُوا الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٧﴾ يَوْمَ
 يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا
 نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
 فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ
 مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٨﴾ يُنَادُوهُمْ آتُوا كُنْ مَعَكُمْ قَالُوا
 بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ
 الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٩﴾
 فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ
 النَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَلَمْ يَأْنِ
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ
 الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
 فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

(وبأيديهم) أى بصير النور أمامهم وحواليهم ؟ ويقال لهم (بشراكم اليوم جنات) تدخلونها (يوم يقول المنافقون والمنافقات) وهم في العذاب والظلمات (الذين آمنوا انظرونا) أى انظروا إلينا (تقتبس) تأخذ وتستمد (من نوركم) فقد أعمانا ما نحن فيه من الظلمات ! (قيل) أى قالت لهم الملائكة (ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) أى ارجعوا إلى أعمالكم التى عملتموها في الدنيا : هل تجدون فيها ما يؤهلكم للاستمتاع بهذا النور الذى يشع من المؤمنين وعليهم ؟ (فضرب بينهم) أى بين المؤمنين والمنافقين (بسور) هو سور الأعراف (باطنه فيه الرحمة) أى باطن السور فيه المؤمنون والجنة (وظاهره من قبله) من جهته (العذاب) الكفار والنار (ينادونهم) أى ينادى المنافقون المؤمنين ؟ قائلين لهم (ألم تكن معكم) في الدنيا : نصلى مثلما تصلون ، ونصوم مثلما تصومون ، ونهج مثلما نهجوت ؟ (قالوا) أى قال المؤمنون للمنافقين (بلى) كنتم تصدون معنا كما كنا نعبد ، وتشهدون كما كنا نشهد (ولكنكم فتنتم أنفسكم) أهلكتموها بالنفاق ، وأوقعتموها في العذاب (وتربصتم) انتظرتم بالمؤمنين الدوائر (وارتبتهم) شككتهم في أمر التوحيد (وغررتكم) خدعتكم (الأماني) الأطماع الكاذبة ؟ فلم تجاهدوا مع المجاهدين ، ولم تتفقوا مع المنافقين (حتى جاء أمر الله) الموت (وغرركم بالله الغرور) الشيطان (هو مولاكم) أى أولى بكم (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم) أى ألم يجيئ الأوان الذى فيه تخشع قلوب المؤمنين (لذكر الله وما نزل من الحق) (ولما نزل من الحق) القرآن (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) وهم اليهود والنصارى (فطال عليهم الأمد) الأجل أو طال الزمن بين نزول الكتب إليهم ، ونزول الرسل بعد ذلك (فقس قلوبهم) وكفروا بما آمنوا به ، وتكفروا لكتبهم وشوهوها وحرفوها

(اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها) أي كما أنه تعالى يحيي الأرض بعد موتها؛ كذلك ذكره تعالى يحيي القلوب بعد قساوتها (وأقرضوا الله) أي واؤذين أقرضوا الله . والمقرض: هو الذي يبذل المال في الحياة الدنيا؛ رجاؤه نواب الآخرة (يضاعف لهم) الثواب والأجر (وأولئك هم الصديقون) الذين سبقوا إلى التصديق . لأن التصديق لا يكون باللسان؛ بل بالجنات! وهم آمنوا، وصدقوا، وأتقوا! يقول أصدق القائلين، وأحكم الحاكمين، وأكرم الأكرمين: «إن المصدقين والمصدقات» الذين آمنوا بي

الجزء السابع والعشرون

٦٦٨

وبرسلي «وأقرضوا الله قرضاً حسناً» أتقوا في سبيله تعالى؛ من غير رياء، ولا من، ولا أدنى «وأولئك هم الصديقون» (و) أولئك هم (الشهداء) أي في درجة الشهداء: في النعم والقرب (عند ربهم) في روضات الجنات (لهم أجرهم) الذي أعده الله تعالى لهم (ونورهم) الذي يمسى بين أيديهم وبأيمانهم . أو المعنى: «وأولئك» الذين مر ذكرهم «هم الصديقون» وانتهى القول عند ذلك «والشهداء عند ربهم» خبر جديد عن نوع آخر من خواص المؤمنين: وهم الشهداء (اعلموا إنما الحياة الدنيا) أي متاعها المعجل لكم: ما هو إلا (لعب) تلمونه (وهو) تلهون به (وزينة) تترينون بها (وتفاخر بينكم وتكافر في الأموال والأولاد) يفخر بعضهم على بعض، ويسابق بعضهم بعضاً؛ بالأموال، والجاه، والأولاد. وذلك التفاخر والتكافر، والهوى واللعب والزينة: مثله (كمثل غيث) مطر نزل على الأرض فازدهرت وأنبت؛ وقد (أعجب الكفار) الزراع (نباته) أي نبات ذلك الغيث . وسمى المطر غيثاً: لأنه يفيث الناس من الجوع والفاقة؛ ولذا سمي الكلاً غيثاً: لأنه يفيث المشاشية (ثم يهيج) أي يهيج (فتراه مصفراً) بعد خضرته (ثم يكون حطاماً) يابساً متكسراً . شبه تعالى حال

فَسَقُونَ ﴿٦٦٨﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٦٩﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٦٧٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٦٧١﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ مُنْقَرٍ ﴿٦٧٢﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ

الله

الدنيا، وسرعة انقضاءها؛ مع قلة جدواها: بالنبات الذي يعجب الزراع لاستوائه وقوته وجماله؛ وبعد ذلك يكون حطاماً، ويدركه الفناء . وكذلك حال الدنيا: «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً غطناها حصيداً كأن لم تنف بالأمس» (وفي الآخرة عذاب شديد) للكفار؛ الذين ركبوا إلى هو الدنيا ولعبها، وزينتها والتفاخر فيها (ومغفرة من الله ورضوان) لمن آمن بالله، وصدق برسله (وما الحياة الدنيا) وما فيها من تمتع وزخرف (إلا متاع الفرور) أي إلا متاع مزيف؛ لا أثر له . ورجل فرور: مخدوع (سابقوا) بالأعمال الصالحة (عرضها كعرض السموات والأرض) إشارة إلى أنه لا حد لها في العظم، وأنهما من السعة بالقدر الذي لا يعرف مدها، ولا يوصل إلى منتهاه

(ما أصاب من مصيبة في الأرض) من الجذب ، وآفات الزرع والثمار (ولا في أنفسكم) من الأمراض والأوصاب والملوث (إلا في كتاب) هو اللوح المحفوظ . ما أصابنا : لم يكن ليخطئنا ، وما أخطأنا : لم يكن ليصيبنا ! (انظر آية ١٥٦ من سورة البقرة) (من قبل أن نبرأها) أى من قبل أن نخلق الأنفس (إن) معرفة (ذلك على الله يسير) هين ؛ لا يصعب ولا يشق عليه أن يعلم ما كان ، وما سيكون ، وما هو كائن (لكيلا تأسوا) من الأسى : وهو الحزن . أى أعلمكم الله تعالى بذلك لئلا تحزنوا (على ما فاتكم) في الدنيا من رخ (ولا تفرحوا بما آتاكم) الله تعالى منها .

هذا ومن المعلوم أنه بامن أحد يعقل :
 إلا ويجزن على مايقوته ، ويفرح بما يأتيه .
 ولكن المراد من الآية الكريمة : ألا يجزن
 حزناً مذعباً للتوابع ، ولا يفرح فرحاً موجباً
 للعقاب ! ولكن من أصابته مصيبة فجعل منها
 صبراً ، ومن أصابه خير فجعل منه شكراً :
 كان جزاؤه الجنة! (وإنه لا يجب كل محتمل)
 متكبر بما أوتي من الدنيا (فخور) به على الناس
 (الذين يبخلون) بما آتاهم الله من فضله (و)
 لا يكفون بيبخلهم الذى أهلكتهم وأرداهم ؛
 بل (بأمرؤن الناس بالبخل) وهذا مشاهد
 فيمن أعمى الله تعالى بصائرهم ، وقضى عليهم
 بالحرمان من لذة السخاء ، وفرحة الإعطاء ،
 وكتب لهم الفقاء . فهم في شقاء دائم في دنياهم ،
 وعذاب واصل في أخراهم ! (ومن يقول)
 يعرض عن الاثاق (بالبينات) الحجج الواضحات
 (والميزان) التى يوزن به . قيل : إن جبريل
 عليه الصلاة والسلام نزل بالميزان فدفعه إلى
 نوح عليه السلام ؛ وقال له : مر قومك يزنون
 به . ويجوز أن يراد بالميزان : القانون الذى
 يحكم به بين الناس (ليقوم الناس بالقسط)
 بالعدل (وأنزلنا الحديد) أظهرناه ؛ وذلك
 لأن من معاني الإنزال : الإظهار ؛ يدل على
 ذلك إزال القرآن «وبالحق أنزلناه وبالحق

اللَّهُ يُؤْتِيهِ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾
 مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا
 فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٦٧﴾
 لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ
 وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ
 وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
 الْحَمِيدُ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا
 مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا
 الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ
 مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٠﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ
 وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٧١﴾
 ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى عَائِثٍ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

نزل ، وهو بمعنى إظهاره : إذ أن القرآن الكريم قديم - صفة الموصوف بالقدم - ونزوله : إظهاره للناس
 (فيه بأس) قوة (ومنافع للناس) وأى منافع! فقد صار الحديد من أزم لوازم الحياة ، ولأحدى الضرورات
 التى لا يستطيع أمة من الأمم أن تبنى نهضتها وجمدها بما عداها : إذ منه تصنع القطارات والطائرات ، والسفن
 العظيمة التى تجوب المحيطات ؛ وبغيره لا تكون الأسلحة على اختلاف درجاتها وأنواعها : من مدافع ودبابات
 وصواريخ وناسفات (و) ذلك (ليعلم الله) علم ظهور للمخلوقات (من ينصره و) ينصر (رسله بالغيب)
 حال كونه تعالى غائباً عن بصره ، حاضرأ فى بصيرته : ينصره ولا يبصره !
 وهذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على أمة سيد الخلق محمد عليه الصلاة والسلام ؛ فقد آمننا بالله =

== ورسله بالنيب ، ونصرنا الله تعالى - باعلاء دينه ، والدعوة إلى توحيده - وتصرنا رسله بالإيمان بهم جميعاً . وكل فلك من غير أن ترى ربنا ، أو نطلب رؤيته بأعيننا ؟ ومن غير أن ترى رسله تعالى بهم أو نسمع دعوتهم ، ونشهد معجزاتهم ؟ فاستحققتنا بذلك أن نكون خير أمة أخرجت للناس ؛ فله الحمد على ما أنعم ، والفكر على ما به تفضل ! (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم) إلى الناس (وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) اسم جنس ؛ أريد به التوراة والإنجيل ، والزرور ، والقرآن ؛ وهي في ذرية إبراهيم وحده (فمنهم) أي من المرسل إليهم (مهتد) إلى طريق الحق ،

الجزء السابع والعشرون

٦٧٠

مؤمن بالله ورسله (وكثير منهم فأسقون) كافرون (ثم قفينا) أتبعنا (على آثارهم) أي على آثار نوح وإبراهيم ومن أرسلنا إليهم (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) أي اتبعوا عيسى وآمنوا به ، وكانوا على شرعته ومنهاجه (رأفة ورحمة) وما صفناك بمن الله تعالى بهما على من ارتضى من عباده ، وجعله أهلاً لكرامته وجمته (ورهبانية اتبعوها) أي اخترعوها ؛ وهي أنهم كانوا يهجرون النساء ، وكثيراً من المطاعم والملابس ؛ بقصد التجرد من اللذات والشهوات ، والفرغ للمادة (ما كتبناها) ما فرضناها (عليهم) ولم يضلوا (إلا ابتغاء رضوان الله) فاصدين بها وجهه الكريم ؛ لكن من آى بدم ، وأراد السير على نهجهم : انتظم في سلك الرهبانية ؛ فاصداً بذلك الصوالح الدينية ؛ لتلك وصفهم الله تعالى بقوله (فازرعوها حتى رأيتموها) كالذين سبقوم إليها ، وفرضوها على أنفسهم ؛ ابتغاء ثواب الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) خافوه واخشوا غضبه وعقابه (وآمنوا برسوله) أي اتبعوا على إيمانكم به (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) والمراد بالكفلين: كثرة الثواب ، وعظم الأجر (ويجعل لكم نوراً تمشون به) المراد بالنور هنا : العقل ؛ لأنه كالنور الذي

وَأَتَيْنَهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً
وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ
رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَنْ رَعَاهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنَ
رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٨﴾ لَيْتَ أَلَّ يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ
عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٩﴾

(٥٨) سورة المجادلة آيات ٢٢

وآياتها ٢٢ نزلت بعد المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي

إِلَى

يهتدى به: يرى الإنسان به الصواب فيتمه ، والخطأ فيجتنبه ؛ كما أن النور يتجنب به الإنسان المهاوى والمزائق والمهالك (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور) كثير الغفرة لمن تاب (رحيم) بعباده ؛ أرحم بهم من أمهاتهم ! (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله) أي خشية أن يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على نيل شيء من فضل الله - لو أسلموا - مثل ما نلتهموه أتم باسلامكم ، واستوجبتهموه ، بتقواكم وإيمانكم (وأن الفضل بيد الله) كلام مستأنف ؛ أي اعلموا أيها المخاطبون أن الفضل بيد الله ، لا بيد غيره ؛ ولا طريق لنيله إلا بالترام الطاعة ، واجتناب المعصية ، وتحري مرضاته تعالى ! (يؤتيه من يشاء) والله ذو الفضل العظيم) وقيل : الضمير في «ألا يقدرون» للذين آمنوا : الذين منحهم الله تعالى رفقته =

وفضله ؛ وآتام كفلين من رحته ، وجعل لهم نوراً يشون به في الدنيا والآخرة ، وغفر لهم ذنوبهم ، وآتام تقواهم ا و«للا يعلم» أى ليعلم ، و«لا» زائدة ، ويؤيد ذلك : قراءة من قرأ «ليعلم» و«لكن يعلم» وما قلناه أولاً هو أقرب إلى الصواب ، وأجدد بالفهم ؛ ولم يسبقنا أحد إليه .

(سورة المجادلة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سورة المجادلة

٦٧١

(قد سمع الله قول التي تجادل في) شأن

(زوجها) هي خولة بنت ثعلبة ، امرأة أوس

ابن الصامت ؛ وقد كانت راودها فأبت ،

فغضب منها وظهرها ؛ فأنت رسول الله صلى

الله تعالى عليه وسلم ، وقالت له : إن لى منه

صنية صفاراً ، إن ضممتهم إليه ضاعوا ، وإن

ضممتهم إلى جاعوا . فقال لها : حرمت عليه .

فقال : يا رسول الله إنه ما ذكر طلاقاً ، وهو

أبو ولدى ، وأحب الناس لى . فقال عليه الصلاة

والسلام : حرمت عليه . فقالت : أشكو

لى الله فافق ووجدى ! فزلت هذه الآيات

(الذين يظاهرون منكم) المظاهرة : أن يقول

الرجل لامرأته : أنت على كظهر أمى . فتبين

منه (ولهم ليقولون منكرأ من القول) تنكره

القول ؛ إذ ليست الأزواج بأمهات (وزوراً)

باطلا وكذبا (ثم يعودون لما قالوا) أى

يعودون لما حرموه على أنفسهم ؛ مما أحله

الله تعالى لهم . أو «يعودون» عما قالوه من

الظهار ، ويرغبون في إعادة أزواجهم لايهم

(فتحرر رقية) أى أن يعتق عبداً مملوكاً ؛

عقوبة له على تحريم ما أحله الله تعالى (انظر آية

١٧٧ من سورة البقرة) (من قبل أن يتاسا)

أى يعتق قبل أن يمس زوجته ؛ بل تظل

كالمطلقة (ذلك توعلظون به) أى تمتظون

به ، وتتأدبون ؛ فلاتعودون إلى الظهار (فن

لم يجحد) أى لم يكن في ملكه عبيد أرفاء ، ولم يكن

عنده مال يشتري به ويعتق (فصيام شهرين متتابعين)

بحيث إنه إذا أفطر أثناءهما - ولو في اليوم الأخير -

وجب عليه إعادة صوم الشهرين ابتداء (فن لم يستطع)

الصيام ؛ لمرض ، أو كبر ، أو مشقة (فاطعام ستين

مسكيناً) من أوسط ما يطعم أهله ؛ بعمط لإشباعهم

طول يومهم ؛ وذلك الاعتاق ، والصيام ، والإطعام (لتؤمنوا بالله ورسوله) فلا أدل على الإيمان من الطاعة

والنزول على أمره تعالى (إن الذين يجادون) يعادون (كتبوا) أذلوا وأخزوا ، وردوا بفضظهم (كما كتبت

الذين من قبلهم) من كفار الأمم السابقة : الذين عصوا رسلهم ، وعادوهم وآذوهم (فنبئهم بما عملوا)

إلى الله والله بسمع محاور كما إن الله يسمع بصير
الذين يظهرون منكم من نسائهم ما هن أمهنتهم
إن أمهنتهم إلا اللئى ولدتهم وإنهم ليقولون منكرأ
من القول وزوراً وإن الله لعفو عفور ١ والذين
يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرر رقية
من قبل أن يتاسأ ذلك توعلظون به والله بما
تعملون خبير ٢ فن لم يجحد فصيام شهرين متتابعين
من قبل أن يتاسأ فن لم يستطع فاطعام ستين
مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله
وللكافرين عذاب أليم ٣ إن الذين يجادون الله
ورسوله كفتوا كما كتبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا
آياتنا بينت ولكافرين عذاب مهين ٤ يوم
يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله

لم يكن فى ملكه عبيد أرفاء ، ولم يكن

عنده مال يشتري به ويعتق (فصيام شهرين متتابعين)

بحيث إنه إذا أفطر أثناءهما - ولو فى اليوم الأخير -

وجب عليه إعادة صوم الشهرين ابتداء (فن لم يستطع)

الصيام ؛ لمرض ، أو كبر ، أو مشقة (فاطعام ستين

مسكيناً) من أوسط ما يطعم أهله ؛ بعمط لإشباعهم

طول يومهم ؛ وذلك الاعتاق ، والصيام ، والإطعام (لتؤمنوا بالله ورسوله) فلا أدل على الإيمان من الطاعة

والنزول على أمره تعالى (إن الذين يجادون) يعادون (كتبوا) أذلوا وأخزوا ، وردوا بفضظهم (كما كتبت

الذين من قبلهم) من كفار الأمم السابقة : الذين عصوا رسلهم ، وعادوهم وآذوهم (فنبئهم بما عملوا)

من سوء (أحصاه الله) عليهم ، وكتبه فى صحائف أعمالهم

(ونسوه واثق على كل شيء) يحدث (شهيد) مشاهد له ، وعالم به (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) النجوى: المسارة . والمعنى أنه تعالى حاضر معهم ، مطلع على أحوالهم وأعمالهم ، ومانعهم من أفتنتهم (ولا أذن) أقل (من ذلك) من الثلاثة (ولا أكثر)

الجزء الثامن والعشرون ٦٧٢

وَسُوهُ ۗ وَآثَقَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَشَهِدُ ۗ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى
ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا يَحِطُّ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٧٢﴾ أَلَمْ
تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ
وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا
جَاءَهُمْ حُجُوكُ حُجُوكُ بِمَا نَهَيْتُمْ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ
لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبِهِمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا
فَيَنْسُوْنَ الْمَصِيرُ ﴿٦٧٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ
فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّوْا
بِالْبَيِّنَاتِ وَالنَّفْوَىٰ وَأَنْتُمْ قَرَأْتُمْ اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٧٤﴾
إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا

وليس

وهم الذين لم يستمعوا للنجوى ؛ بل رأوا المتناجين فظنوا أنها ضدم . وقيل : كانت الرجل يأتي الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ فيسأله حاجه ؛ فكان لإبليس العين يوسوس إليهم : أنه ناجي الرسول بشأن شدة الأعداء ، وكثرة جمعهم ؛ فيحزن المؤمنون لذلك

من الحسة ؛ ولو بلغوا آلاف الآلاف (إلا هو معهم أينما كانوا) في أقطار السموات ، أو في أعماق المحيطات (عن النجوى) عن المسارة (وإذا جاءوك) ودخلوا عليك (حجوك بما لم يحبك به الله) كانوا يقولون للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : السام عليك ؛ مكان السلام عليك . والسام : الموت (ويقولون في أنفسهم لولا يعضدنا الله) أى هلا يعذبنا (حسبهم جهنم) أى كافيتهم (يصلونها) يدخلونها (إذا تناجيت) تساررتم (وتناجوا بالبر) يعنى لا تكون مسارعتكم إلا بقصد البر بالناس (والنجوى) خشية الله تعالى ؛ ومى تشمل كل خير ويراقب تعالى «وترودا فإن خير الزاد التقوى» «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب» «ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا» (واقفوا الله) خافوه ، واخشوا عذابه ، واعملوا ما يرضيه (الذى إليه تحشرون) يجمعون يوم القيامة ؛ فيحاسبكم على ما فعلتم من سوء ، ويمجزكم على ما قدمتم من خير (إنما النجوى) المسارة بالإثم والمعصية ؛ كأن يناجى إنسان إنسانا على إذابة آخر ، أو يناجيه على ارتكاب محرم ؛ فكل هذا (من الشيطان) يؤمر به لئلا يحزن الإنسان (ليحزن الذين آمنوا)

وَلَيْسَ بِضَارِمٍ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا
 فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ
 اسْتَرُوا فَأَسْتَرُوا وَرِيعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا
 الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَكَلِمَةً بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىكُمْ
 صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ وَأَشْفَقْتُمْ أَن تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىكُمْ
 صَدَقَةٌ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
 تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِّبِ
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ

(وليس بضارم) أى ليس الشيطان بضار أحد من المؤمنين ، أو من التناجى ضدهم (وعلى الله وحده
 فليتوكل المؤمنون) فى سائر أمورهم وأحوالهم ؛ فهو جل شأنه لاشك فاصرم ومعينهم (انظر آية ٨١ من
 سورة النساء) (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فانسحوا يفسح الله لكم) والتفسح فى
 المجالس من أكرم الحلال الإسلامية والمخلق الانسانية ؛ فيجب على كل مؤمن أن يفسح لأخيه الذى يريد الجلوس ،
 أو الصلاة ؛ ولو لم يقل بلسانه (وإذا قيل انشروا فانشروا) أى إذا قيل : انهضوا وانصرفوا ، فانصرفوا :

ولا ينتظرن أحدكم أن يقال له ذلك فى مجلس
 من المجالس ؛ بل عليه أن يراعى حالة الجالسين
 إليه ، وأنسبهم به ؛ فإذا ما افتقد رعايتهم له ،
 واهتمامهم بأمره : انصرف مشكورا ماجورا ؛
 قبل أن تنجحه الأسماع ، وتصفاه الأبصار ؛
 وهذا هو الأدب الربانى ، والمخلق القرآنى ؛
 فاستمسك به أيها المؤمن : تنش سائلا من
 البغض ، آمنا من الحقد ! وقيل : كان ذلك فى
 مجالس الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة
 والأولى أنها عامة (يرفع الله الذين آمنوا منكم)
 وعملوا بطاعة الله تعالى ، وأمر رسوله عليه
 الصلاة والسلام (والذين أوتوا العلم درجات)
 كل بقدر عمله بعلمه . فثم من يعلم ولا يعمل ،
 ومنهم من يعلم ويعمل ؛ ولكنه فاسد الذوق ،
 بليد الإحساس ؛ يأتى سائر المكروهات ،
 ويرتكب سائر المحرمات : فتراه يتنجس من
 بجانبه بلا سبب ، ويجلس مكان أربعة رجال
 بسبب عنجبيته ، ولا يفسح المكان إذا ضاق
 بمن فيه ، ولا يقوم من مجلسه - رغم بغض
 الجالسين له - حتى يكون عليهم كاطاعون ؛
 بل وشر من الطاعون ! فإذا أفاد علمه بجانبه هذا
 الإحساس البارد ، والذوق السمج ؟ ! (والله
 بما تعملون) من خير أو شر (خير) فيجازيكم
 عليه ؛ إن خيرا نفي ، وإن شرا فشر (يا أيها
 الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول) أردتم محادثته

سرا ؛ لأمرهم بيهكم (فقدما بين يدي نجاكم صدقة) هوحت على التصديق ؛ عند طلب الحاجة من الله تعالى ،
 أو من رسوله عليه الصلاة والسلام . وذلك كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : «داووا مرضاكم بالصدقة»
 وهي نعم الدواء عن تجربة ! (فإن لم تجدوا) ماتصدقون به عند مناجاة الرسول ، أو عند الداء (فإن الله
 غفور) لكم (رحيم) بكم (ألم تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا) صادقوم ، واتخذوهم أولياء . والمراد بالقوم :
 بعض اليهود لعنهم الله تعالى (مام منكم ولا منهم) أى ليسوا من المؤمنين ، ولا من اليهود ؛ بل هم منافقون

(اتخذوا أيمانهم جنة) سزاً ووقاية لثقاتهم ؛ يحلفون لك لتصدقهم ، وما هم بصادقين (فصدوا) بتوليهم اليهود (عن سبيل الله) عن دينه ؛ فهو لاء (ان تغني) لن تدفع (عنهم أموالهم) التي يجمعونها (ولا أولادهم) الذين يمترون بهم (من الله) من عقوبته وعذابه (فيحلفون له) في الآخرة كذبا . قال تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين « (كما يحلفون لكم) الآن في الدنيا (ويحسبون أنهم) بحلفهم هذا (على شيء) بأن يتفهم حلفهم في الآخرة ؛ ويتخذونه «جنة» كما اتخذوه في الدنيا (ألا) لهم هم الكاذبون) في الدنيا والآخرة ! (استحوذ) استولى (فأنساهم ذكر الله) تذكروه ، والعمل بأوامره (بمجادون) يصادون (أولئك في الأذلين) المفلوطين ، العذيين يوم القيامة (كتب الله قضي) وخط في أم الكتاب ، وقال ؛ وقوله الحق (لأغلبن) الكافرين (أنا ورسلي) بالحجة ، والسيف ؛ وذلك لأن القوة للكافرين والمنافقين «وقه العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يلطون» (لا يمجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون) يتحسبون لى (من حاد الله ورسوله) عاداهما ، وخالف أمر الله ونهيه (ولو كانوا) هؤلاء المحادون المعاندون (آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) بل يضعون مكان الود البغض ، ومكان الحب الحرب .

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٧٤﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦٧٥﴾ لَنْ نَغْنِيَّ عَنْهُمْ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٧٦﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً
فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ
أَلَّا يَأْتِيَهُمُ الْكُذِبُ ﴿٦٧٧﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ بَأْسًا فِي الْأَذِلَّةِ ﴿٦٧٩﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ
أَنَا وَرَسُولِي إِنْ لَمْ يَكُنْ قُوَىٰ عَزِيزًا ﴿٦٨٠﴾ لَا يُجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنَّا

وَيُدْخِلُهُمْ

ربه ، وتابع توجيهه ونصحه ؛ فلم يتخذ من الكافرين والفاجرين أولياء ، أو أحماء ؛ فهو لاء (كتب) الله تعالى (في قلوبهم الإيمان) جزاء بفضهم لن يكره ، وجهم لن يحب ا فواجب المؤمن أن يحب في الله ، ويفض في الله ! (وأيدهم بروح منه) بقوة منه . وقيل : الضير في «منه» راجع للإيمان ؛ أي وأيدهم بروح من الإيمان ؛ فازدادوا إيماناً وقيناً ، والإيمان في ذاته : روح القلوب وحياتها !

نق تعالى الإيمان عن يواد الكفار
«ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو
عشيرتهم» ويقاس على ذلك العصاة والفسقة .
وهل بعد مخالفة الله تعالى ورسوله ،
ومجاهرتهم بالعصيان من عادة ؟ ! فليدبر
هذا من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد !
(أولئك) إشارة لى من استمع لكلام

(رضى الله عنهم ورضوا عنه) أرقى المراتب التي يسمى لايها المؤمنون ، ويمجد في نيلها المتقون أن يرضى الله تعالى عنهم ، ويرضيهم عنه ، اللهم ارض عنا وأرضنا ؛ بقدرتك علينا ، وحاجتنا إليك ؛ يارب العالمين ، يامالك يوم الدين ، يا الله ، يا الله ، يا الله ! (أولئك) الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، وأدخلهم جنته ، ورضى عنهم وأرضاهم «أولئك» (حزب الله) أحبابه وأنصاره : اتبعوا أوامره ، واجتنبوا نواهيه ؛ فكانوا موطناً لحبه ، وأهلاً لحزبه (الآن حزب الله هم المفلحون) الفائزون في الدنيا والآخرة . (انظر آية ٤٤ من سورة المائدة) .

سورة الحشر

٦٧٥

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٧﴾

(٥٩) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَأَيُّهَا ٢٤ نَزَلَتْ بَعْدَ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أُنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسُكِّرَ بِهِ نَبَاتٍ لَبِيبًا حُمْرًا أَحْمَرًا وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِهِ إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٢﴾ وَذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا لَبَنًا عَذْبًا فَمَا يَمْنَعُ الْكَافِرِينَ إِذْ يَقُولُونَ حَسْبُنَا اللَّهُ بَدَأَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ كَذَبًّا ﴿٣﴾ وَنَحْنُ نَحْمِلُ صَوْلَاتِهِمْ هُمْ يُقْبَلُونَ ﴿٤﴾ وَإِذْ أَخْرَجْنَا الْمُوسَى وَهَارُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْنَا لَهُمَا خُذَا هَاتِهِمَا نَحْنُ مَعَكُمْ وَلَا يَأْتِيَنَّكُمُ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَدِيثِ الْهُمْ شُرَكَاءُ الْكَاذِبِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ أَخْرَجْنَا آلَ فِرْعَوْنَ مِنْ دِيَارِهِمْ فَأَجْرَحْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِحَيْثُ يَخْسَعُونَ لِكُلِّ فَتْنَةٍ وَأَخْرَجْنَا آلَ لُوطٍ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخْرَجْنَا آلَ عَادَ مِنْ دِيَارِهِمْ فَجَاءَهُمُ الْمَوْتُ وَنَحْنُ نَحْمِلُ صَوْلَاتِهِمْ هُمْ يُقْبَلُونَ ﴿٧﴾ وَإِذْ أَخْرَجْنَا آلَ عَادَ مِنْ دِيَارِهِمْ فَجَاءَهُمُ الْمَوْتُ وَنَحْنُ نَحْمِلُ صَوْلَاتِهِمْ هُمْ يُقْبَلُونَ ﴿٨﴾ وَإِذْ أَخْرَجْنَا آلَ عَادَ مِنْ دِيَارِهِمْ فَجَاءَهُمُ الْمَوْتُ وَنَحْنُ نَحْمِلُ صَوْلَاتِهِمْ هُمْ يُقْبَلُونَ ﴿٩﴾

(سورة الحشر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله) نزهه وقدهه (ما في السموات) من أملاك ومخلوقات (وما في الأرض) من لانس وجن ، وحش وطير «وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» (من أهل الكتاب) اليهود (من ديارهم لأول الحشر) هم بنو النضير : أخرجهم المسلمون من ديارهم ؛ حينما تقضوا عهدهم ؛ وكان ذلك أول حشرهم إلى الشام . وقيل : إن آخر حشرهم : إجلاء عمر رضى الله تعالى عنه لهم . أو هو حشر يوم القيامة .

هذا وقد يكون الحشر الثاني : هو خروجهم

من فلسطين - يعون الله تعالى وقدرته - بعد أن تملكوها ، وشنتوا أهلها في البرارى والقفار ، وسفكوا دماءهم ، وقتلوا أطفالهم ، وفضحوا نساءهم ا (يجربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) كانت النضير - قبل إجلائهم عن ديارهم - يجربونها ؛ لثلاث يتنقم المسلمون بها ، وقد خرب المسلمون باقيا بالسلب والمغانم

وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَمَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا
 وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٢٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ ۗ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١﴾
 مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمْهَا قَائِمَةً عَلَى أَوْرُهَا فَيَاذَنْ
 اللَّهُ وَبِخَيْرِ النَّصِيفِينَ ﴿٢٢﴾ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ
 مِنْهُمْ قَسًا أَوْ جَفَمًا عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٣﴾
 مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ
 وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
 كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَمَا يَسْكُرُ الرُّسُلُ
 فَعِظُوهُمْ وَمَا يَنْهَكُهُمْ عَنْهُ فَأَنْهَوْهُمْ وَأَنْقَرُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ ﴿٢٤﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَنْجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ
 دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا

(الجللاء) الخروج من الوطن (لعذبهم في الدنيا)
 ولكنه تعالى اكتفى بما حل بهم من خزي
 خروجهم من وطنهم ، وذلة مفارقتهم لبيوتهم
 (ذلك) الخزي في الدنيا ، وعذاب النار في
 الآخرة (بأنهم شاقوا) خالفوا وعادوا
 (ما قطعتم من لينة) نخلة (فياذن الله) بأمره
 وقضائه ؛ قمة منه تعالى (وما آفاء) الغنيمة :
 الفتيمة
 (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) أي
 لم تسبوا إليه خيلكم ، ولا ركابكم

(كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أي
 حتى لا يكون الغنى دولة بين الأغنياء منكم
 خاصة . والمراد : حتى لا تتداوله الأغنياء
 منكم ، وتتكرر به ؛ مع حاجة الفقراء إليه ،
 واضطرارهم له

(والذين تبوأوا الدار) أى توطنوا المدينة (والإيمان) أى تمسكوا به وألقوه كما يألف الإنسان داره ووطنه؛ وم الأنصار رضى الله تعالى عنهم (من قبلهم) يعنى من قبل المهاجرين (محبون من هاجر إليهم) وقد بلغ بهم الحب أن تأخوا معهم ، وقاسموهم أموالهم . وقد بلغ من شدة حبهم ، ومزيد تقائهم : أن كان الأنصارى ينزل لأخيه المهاجر عن إحدى زوجتيه - أيتهما شاء - ويزوجها له (ولا يجدون فى صدورهم حاجة) كدأ ، أو حقدأ على المهاجرين (مما أوتوا) أى بسبب ما أوتوه من النية والثناء . وقد كان صلى

الله تعالى عليه وسلم يعطى المهاجرين ويمنع الأنصار ؛ وهم أحب إليه منهم (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الحصاصه : الفقر والحاجة ؛ وقد نزلت هذه الآية فى الأنصار لأنهم آثروا المهاجرين بكل ما فى أيديهم ؛ رغم افتقارهم وحاجتهم إليه . وقيل : ذهب أحد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم - بعد انتهاء إحدى المواقع - يبحث عن أخيه القتيل ؛ وفى يده كوز فيه ماء ليسقيه إن كان به رمق ؛ فوجده يجتصر ، فناوله الكوز ، وبعد أن رفعه إلى فيه سمع بجواره أبن جريح آخر ؛ فأشار إلى أخيه أن يسقيه قبله ؛ فذهب إليه فوجده قد أسلم الروح ؛ فعاد إلى أخيه فوجده قد لفظ النفس الأخير ؛ فنزلت هذه الآية . وسأل شاب من أهل بلخ أبا زيد : ما الزهد عندكم ؟ قال : إذا وجدنا شكرنا ، وإذا فقدنا صبرنا . فقال البلخى : هكذا عندنا كلاب بلخ ؛ يلنحن إذا فقدنا شكرنا ، وإذا وجدنا آثرنا ! (ومن يوق شح نفسه) الشيخ : اللؤم ، وأن تكون النفس ككرة ، حريصة على المنع . وأما البخل : فهو المنع نفسه (والذين جاءوا من بعدهم) أى من بعد الذين تبوأوا الدار والإيمان من الأنصار . والمقصود بهم المهاجرون (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا) من الأنصار (الذين سبقونا بالإيمان) فقد آمنوا بالرسول صلى الله

وَيَضُرُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَيْكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١﴾
 وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفَهُ فَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَئِنَّ الْأَدْبَرُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿٥﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً

تعالى عليه وسلم ، وابتنوا الساجد ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ؛ قبل أن يحضروا إليهم (ألم تر إلى الذين نافقوا) هم عبد الله بن أبى ابن سلول (١) وأصحابه (يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم بنو النضير ؛ يقولون لهم تقوية لقلوبهم ، وإثارة لهم ضد المؤمنين (لئن غلبكم المؤمنون ، و(أخرجتم) من دياركم (لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا) بالامتناع عن معونتهم (وإن قوتلتم) أى قاتلكم المؤمنون (لنصرنكم) عليهم (والله يشهد) يعلم (لأنهم لكاذبون) وإنما أرادوا بذلك إثارتهم وتحمسهم ضد المؤمنين =

(١) سلول : أم كبير المنافقين : عبد الله بن أبى .

== (لئن أخرجوا) أى لئن أخرج المؤمنون بنو النضير (ولئن قوتلوا) أى قاتلهم المؤمنون (لا ينصرونهم) لأن من صفات المنافق: الجبن؛ فهم جناب. والكذب؛ فهم كاذبون (ولئن نصرهم) ساعدوهم فرضاً، وصدقوا في عودهم (ليون الأديار) معهم: المنافقون وبنو النضير جميعاً؛ فقد كتب الله النصر لعباده، والخذلان لأعدائهم؛ فلا يجدى القوة، ولا يجدى الإقدام؛ فإنا بك وهم ضغاة أذلاء جناباً (لأنتم) أيها المؤمنون (أشد رهبة في صدورهم من الله) وذلك لأنهم يؤمنون بقوتكم وبطشكم، ولا يؤمنون بطش الله تعالى وقوته. فإيمانهم في هذه الحال كإيمان

الجهنم: لا تؤمن إلا بما لم يسمع أو عصى

٦٧٨

ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ولو فقهوا لآمنوا بالله، وأطاعوا رسوله، وأنجوا أنفسهم من غضبه وعقابه

بعد أن وصف الله تعالى حال اليهود والمنافقين، وبلغ إيمانهم به: أراد جل شأنه أن يصف مبلغ شجاعتهم وإقدامهم؛ فقال عز من قائل: إنهم لو أرادوا قتالكم؛ فإنهم (لا يقاتلونكم جميعاً) مجتمعين (إلا) إن كانوا (في قرى محصنة) يأمنون فيها بطشكم (أو من وراء جدر) حواط تقيهم بأسكم وسهامكم (بأسهم) بطشهم وشدتهم (بينهم شديد) أى هم شديدو العداوة لبعضهم (عصبيهم جميعاً) متحدين، ذوى ألفة (وقلوبهم شتى) متفرقة؛ لا ألفة بينهم ولا مودة (كمثل الذين من قبلهم) كفار بدر (ذاقوا وبال أمرهم) أى ذاقوا الهلاك، الذى هو عاقبة كفرهم. مثل المنافقين واليهود (كمثل الشيطان إذ قال للانسان) موسوساً إليه (اكفر فلما) أطاعه و(كفر قال لى برىء منك) فكذلك المنافقون. قالوا لليهود: «لئن أخرجتم لتخرجن معكم... وإذ قوتلتم لتنصرنكم» فلما جد الجدد: تخلوا عنهم وأسلموهم للتهلكة، وصدق فيهم قول الحكيم

فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَٰلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٧٨﴾
لَّا يَفْقَهُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ
جَدْرٍ بِأَسْمِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ مَّحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى
ذَٰلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٧٩﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَمْ يَعْلَمُوا ﴿٦٨٠﴾ كَمَثَلِ
الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي
بِرَبِّي مُبْرئٌ وَإِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨١﴾ فَكَانَ
عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ
الْعَاطِلِينَ ﴿٦٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرَ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿٦٨٣﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ
أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٨٤﴾ لَا يَسْتَوِي أَحْسَبُ
النَّارِ وَأَحْسَبُ الْجَنَّةِ أَحْسَبُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَازِرُونَ ﴿٦٨٥﴾

تو

العلي «وإله يصهد لهم لكاذبون» (فكان عاقبتهم) أى عاقبة الشيطان ومن أطاعه، والأمر بالكفر والفاعل له، والمنافقين واليهود (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى ما قدمت من الأعمال الصالحة - في دنياها - ليوم القيامة (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا ذكره وتذكره، وخشيته ومراقبته (فأنساهم أنفسهم) أنساهم الإيمان والعمل الصالح الذى ينفعهم في معادهم، أو أراهم يوم القيامة من الأحوال ما أنساهم أنفسهم

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنا خاشعاً متصدعاً من خشية الله) أن لو جعلنا للجبل تمييزاً كما جعلنا لكم ، وأنزلنا عليه هذا القرآن ؛ بوعده ووعيد : لحشع وخضع ، واستكان وتشقق ؛ خوفاً من الله تعالى ومهابة له ، واعتراضاً بوجوده وقدرته ! أو أريد بالجبل كما هو ، وأنه - كسائر الجمادات - كائن يسبح دائماً بحمد الله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وأنه لو ألقى عليه القرآن : لما وسعه إلا الحشوع ، ولما كان من شأنه إلا التصدع من خشية الله تعالى .

أو هو كقول القائل للسامع المائد :

لقد قلت لك قولاً يفهمه الحمار ، ومن المعلوم أن الحمار لن يفهم ؛ ولكنه دليل على قوة الحجة ، وأنها مفهومة مفهومة ! ولكن السامعين لها كانوا أخط من البهائم ، وأخس من السوامم ، وأحم من الجمادات !

(عالم الغيب) ما غاب عن الأنظار ،

ودق على الأسماع « فإنه يعلم السر وأخفى »

(والشهادة) ما شوهد وبان للعيان . لأن

من يعلم ما غاب ؛ فإنه لما ظهر أعلم (الملك)

الذي لا يزول ملكه (القدوس) المنزه عن

كل قبيح . ومن تسبيح الملائكة له سبحانه :

«سبح قدوس ، رب الملائكة والروح»

جل شأنه ، وعز سلطانه ! (السلام) الذي

سلم الخلق من ظلمه ، وعم الكون عدله ،

وسلم كل من لجأ إليه واحتوى به . وهو

الاسم الكريم الذي تدعو به الأنبياء يوم

القيامة : يا سلام ، يا سلام ، يا سلام ! سلمنا

الله تعالى من غضبه . ووفانا عقوبته ، وأدخلنا

جنته ؛ بحزمة أسمائه ! (المؤمن) واهب

الأمن ؛ الذي يأمن عذابه من أطاعه (المهيمن)

الرقيب ، الحافظ لكل شيء (العزيز) الغالب ؛

الذي لا يفلج ، ولا يتاله ذل (الجار) العالي

العظيم ؛ الذي يذل له من دونه ؛ والسكك دونه

(التكبر) ذو العظمة والكبرياء (سبحان

الله) تنزه وتعالى وتقدس ؛ من هذه أسماؤه وتلك صفاته ! (البارئ) الموجد للأشياء ؛ برقة من النفس

والنفاوت (له الأسماء الحسنى) (انظر آيتي ١٨٠ من سورة الأعراف و ١١٠ من سورة الإسراء) (يسبح له)

بزمه ويقدهس .

هنا وقد ختمت هذه السورة المباركة بمثل ما بدئت به : فقد كان بدؤها «سبح لله» بصيغة الماضي ،

وختمها «يسبح له» تعالى ؛ بصيغة المضارع . فتعالى من سبح له كل مخلوق ، وسبجت له سائر الأشياء ! =

لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّصَدِّعًا
مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٧٩﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨٠﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨١﴾ هُوَ اللَّهُ
الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٨٢﴾

(٦٧٩) سُورَةُ النَّحْسِ مَثَلًا
وَأَيَّهَا ١٣ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَجْرَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُنَادِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ

(بأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) أى لا تتخذوا الكفار - الذين هم أعدائى : فلا يؤمنون بى ، وأعداؤكم : فيسعون فى إيصال الأذى بكم - أولياء توالونهم ؟ وتتخذون منهم أصدقاء وأحباء (تلقون إليهم بالمودة) بالحب، ومظاهر الاحترام . وكيف يكون هذا حالكم معهم (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) الإسلام والقرآن . ولم يكتفوا بكفرهم وتكذيبهم ؟ بل بلغ من إيمانهم أنهم (يخرجون الرسول وولايكم) من مكة (أن تؤمنوا بالله ربكم) أى لأنكم تؤمنون بالله ربكم (إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) فاحذروا ذلك ؛ إذ أن خطر المنافق فى الحرب : أبلغ من خطره فى السلم (تسرون إليهم بالمودة) وهذا غير لائق بالمؤمنين «ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء» (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) لا تخفى منكم خافية (ومن يفعله منكم) أى يوالى العصاة ، والكافرين ، والمنافقين ، ويوادم (فقد ضل سواها السبيل) خطأ طريق الحق والصواب ؛ لأنهم (إن يتفقواكم) أى إن يمدوكم ويظفروا بكم (يكونوا لكم

تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم ترحمتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكراً فقد ضل سواها السبيل ١٠ إن يتفقواكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم والسنة بالسوء وودوا لو تكفروا ١١ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ١٢ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا نرى نبياً وآمناً وما نعبدون من دون الله كفرننا بكم وبداننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ١٣ إنا قول إبراهيم لأبيه لأبيه أستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء و

أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم) بالقتال (وألستهم) بالإيذاء (لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم لهم (ولا أولادكم) المشركون ؛ و (قد كانت لكم أسوة) قدوة (حسنة فى إبراهيم) إذ تبرأ من أبيه حين أبى الإيمان

رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾
 رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ
 أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ
 حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ
 فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣﴾ * عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
 بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ
 عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤﴾ لَا يَنْسِكُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا
 فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِّنْ دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا
 إِلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يَجِبُ الْمَقْسِطَ ﴿٥﴾ إِنَّمَا يَنْسِكُ
 اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِّنْ دِينِكُمْ
 وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ
 هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ
 الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ ۗ إِنَّهُنَّ عَلِمْنَ بِأَعْيُنِنَّ

(ربنا عليك توكلنا) فاكفنا هم الدنيا (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (وإليك أنبأنا) رجعنا وأقبلنا (ربنا) لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أى لا تسلطهم علينا؛ فيفتنونا بمذاب لا نطقه (ومن يتول) يعرض عن الإيمان (فإن الله هو الغني) عن العالمين (الحميد) المحمود في كل حال (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة) بانضمامهم الى زميركم ، واعتناقهم دينكم؛ فلا تحتاجون بعدها للوقوف في لثم

موالاة الكافرين ، وإلقاء المودة لهم (والله قدير) على ذلك؛ وقد أسلم خلق كثير من المشركين؛ فصاروا لهم أولياء ونصراء (والله غفور) لما سبق منكم قبل النهي (رحيم) بك؛ لا يعاقبكم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلواكم في الدين ولم يخرجواكم من دياركم) يرينا الله تعالى أنه يجب علينا : حسن المعاملة ، وطيب المعاشرة ؛ مع سائر الأجانب الذين لم يقاتلونا ، ولم يخرجونا من ديارنا ، أو يحتلوا أوطاننا . أما الذين يمتدون على ديننا أو بلادنا : فلزأماً علينا معاداتهم ومقاتلتهم (أن تبرؤم) أن تكرموا الذين لم يقاتلواكم ، ولم يعتدوا عليكم؛ وأن تحسنوا إليهم تولا وفعلا (وتقسطوا إليهم) تعدلوا بينهم ولا تظلموهم (إنما ينهاكم الله عن موالاة ومصاحبة (الذين) أضروا لكم العداوة ، و(قاتلواكم في الدين) أى بسبب الدين ومن أجله (وأخرجواكم من دياركم) من مكة (وظاهرها) عاونوا أعداءكم (على إخراجكم) فهؤلاء هم الذين ينهاكم ربكم (أن تولوهم) أى تتخذوهم أولياء وأصدقاء (ومن يتولهم) ينصرهم ، أو ينتصر بهم؛ بعد ظهور نياتهم ، وإبداء سيئاتهم (فأولئك هم الظالمون) الكافرون (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) أى نساء الكفار؛ مهاجرات إليكم، راغبات في دينكم (فامتحنوهن)

اختبروهن في إيمانهن . روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول للتي يريد أن يمتحنها : « بالله الذى لا إله الا هو: ماخرجت من بعض زوج؟ بالله ماخرجت رغبة عن أرض الى أرض؟ بالله ماخرجت التماس دنيا؟ بالله ماخرجت لإحباب الله ورسوله؟ » وهذا هو الامتحان الذى أمر به الله تعالى ، وبقضه رسوله عليه الصلاة والسلام؛ ولكم ظاهر قولهن ، و (الله أعلم بإيمانهن) فإن كن صادقات : فهن ناجيات ، وإن كن كاذبات : فهن معذبات

(فإن) أدين امتعانهن ، و (علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى) أزواجهن (الكفار لا هن حل لهم) لأنهن حرمن عليهم بالإيمان (ولا هم يحلون لهن) لأنهم كفرون (وأنتم ما ألقوا) أى أعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا من المهور . وذلك لأن المهر : مقابل الاستمتاع ، وقد زال الاستمتاع ببينوتها منه بسبب إسلامها ؛ وليس بسبب طلاقها (ولا جناح عليكم) لآئمه ولا حرج (أن تنكحوهن) تزوجوهن بعد ذلك (إذا آتيتوهن أجورهن) أى مهورهن .

الجزء الثامن والعشرون ٦٨٢

وقد شرط تعالى إيتاء المهر في نكاحهن : إيتاءاً بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر (ولا تمسكوا بهن الكوافر) أى اللاتي ارتددن ولحقن بالكفار (واسألوا) اطلبوا (ما أنفقتم) من المهر (وإن فاتكم شيء من أزواجكم) اللاتي لحقن بأهلهم من (الكفار فعاتبتن) أى فأردتم القصاص (فأتوا الذين ذهب أزواجهن) أى أعطوهم (مثل ما ألقوا) من المهور على أزواجهن . وذلك من مهور من لحقن بكن من المؤمنات اللاتي كن متزوجات من الكفار ؛ وبذلك تحصل القاصة التي أمر بها الله تعالى ، وقرأها القوانين الوضعية (واتقوا الله) فلا تجوروا في ذلك ؛ بل مثل بمثل (بأبيها النبي إذا جاءك المؤمنات ببايعتك) بعامدتك : فعامدتهن (على ألا يشركن بالله شيئاً) قد يكون المراد بالإشراك هنا : الإفراط في الحرص على المال ، والإفراط في حب النفس والأولاد والجبن ؛ لأن الله تعالى وصفهن أولاً بالمؤمنات «إذا جاءك المؤمنات» فوجب أن ينصرف الشرك عن عبادة معاد الله تعالى ؛ إلى ما يبلغ حبه والحرص عليه حد العبادة (ولا يقتلن أولادهن) لم يردأت أما قتلت وليدها في الجمالية ؛ وإنما كان يقوم بذلك الرجال دونهن ؛ بطريق الواد خشية العار ، والقتل خشية

فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَمِّنَ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لهنَّ وَأَنْتُمْ مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تَمَسُّوهُنَّ بِعَصَمِ الْكُوفَرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَنْفِقُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حِكْمٌ مِنَ اللَّهِ لِيُنْذِرَ الْكُفَّارَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ فَاتَكُمْ مِثْرٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاتِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَتَقُوا اللَّهَ الْغَيْبِ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيَعُكَ عَلَيَّ أَنْ لَا يُسْرِكَنَّ اللَّهُ شَيْئاً وَلَا يُسْرِفْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِيهْتِنٍ يُفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِبْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ

الإملاق . وقد كان ذلك يتم برضاهن ؛ فكان شريكات في الإثم . قال صل الله تعالى عليه وسلم : «إذا قتل إنسان في المشرق ، ورضى عن ذلك إنسان في المغرب : كان شريكاً في دمه» (ولا يأتين بيهتان) بكذب وزور (يفترينه بين أيديهن) وهو ما أخذته المرأة ليقطع ؛ وزعمت لزوجها أنه ولدها منه (و) بين (أرجلهن) وهو ما ولده المرأة من زنى (بأبيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً) لا تصادقوهم ، ولا تتخذوا منهم خلاء وأحباباً

الله

(قد يشؤوا من الآخرة) أى أنكروا البعث ، ويشؤوا من الإعادة يوم القيامة ، أو يشؤوا من الأجر والثواب ؛ لأنهم لا إيمان لهم يجوزون عليه ، ولا عمل صالح يثابون بسببه (كما يئس الكفار) الأحياء (من أصحاب القبور) أن يعودوا إليهم مرة ثانية .
أو « كما يئس الكفار » الذين هم فى القبور ؛ أن يرجعوا إلى الدنيا ، أو يأسهم من ثواب الآخرة ؛ لا تقطاع عملهم بموتهم .

سورة الصف

٦٨٣

اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئُوسُ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِئْسَ الْكُفَّارِينَ
أَتْخَبُ الْقُبُورِ ﴿٦٨٣﴾

(٦٨٣) سُورَةُ الصَّفِّ مَلَانِيئَةً
وَأَيَّاهَا ١٤ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّعَابِئِ

(سورة الصف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله) نزهه وقدهه (ما فى السموات) أى من فيها من الملائكة ، والكواكب والأفلاك ؛ مما أحاط به علمنا ، وما لم يحط به (وما فى الأرض) من لانس وجن ، ووحش وطير ، وهواء وماء ، ونبات وجماد « وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » (وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (بأيها الذين آمنوا) لم تقولون مالا تفعلون) وهو أن يأمر الانسان أخاه بالمعروف ولا ياتمر به ، وينهاه عن المنكر ولا ينتهى عنه ؛ وقد عناه الشاعر بقوله :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِرَبِّ قَوْلُونَ مَا لَا
تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ
صَفًّا كَأَنَّهُمْ بَيْنَ مَرْمُوسٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى
لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِذْ لَمْ يَكُن لَكُمْ بِلَاغٌ وَلَا يَكُن لَكُمْ مِنْهُ قَوْلٌ وَلَا يَكُن لَكُمْ مِنْهُ

عار عليك إذا فعلت عظيم
كما يصح به وأنت سقيم

لا تنه عن خلق وتأتى مثله
تصف الدواء لدى السقام ، وذى الضنا

(كبر مقتا) كبر : عظم . والمقت : أشد البغض (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً) مصطفين ، متساندين ، متعاونين ، مقدمين على لقاء العدو (كأنهم) لإقدامهم وتمسكهم (بينان مرموص) لا ينهار ؛ لشدة واستوائه (وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونى) بالكذب والمعاودة (وقد تعلمون) بما قدمت لكم من البراهين (أنى رسول الله إليكم) لا شك فى رسالتي ؛ بعد وضوح صدق ، وقيام معجزاتي (فلما زاغوا) مالوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) صرفها عن الحق ، وأمالها عن الهداية ؛ عقوبة لهم على زيفهم ، وعدم إيمانهم

(مصداق لما بين يدي من التوراة) أى مصداق لما تقدمنى من الأنبياء ، والكتب التى جاءوا بها (ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) هو إمام الرسل : نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ وهو محمد ، وأحمد ، ومحمود ، وحامد ؛ وله عليه الصلاة والسلام من الأسماء مائتا اسم وواحد ؛ منها : الطاهر ، المطهر ،

الحزب الثامن والعشرون

٦٨٤

الطيب ، رسول الرحمة ، المبرر ، المزل ، حبيب الله ، صنى الله ، نجى الله ، كلم الله ، المحيى ، المنجى ، البشير ، النذير ، النور ، السراج المنير ، البشمرى ، القوث ، الفيث ، نعمة الله ، صراط الله ، سيف الله ، المختار ، الشفع ، المشفع . وهى مدونة بكتب الحديث والسير ؛ مزينة بها حوائط مسجده الشريف بالمدينة النورة . (انظر آية ١٥٧ من سورة الأعراف) (فلما جاءهم) أحد عليه الصلاة والسلام ؛ الذى يمشروا به . وقيل : الضمير فى «جاءهم» عائد لى عيسى عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه المحدث عنه (بالبينات) بالحجج الظاهرات ، والآيات الواضحات : كفروا به و (قالوا هذا سحر مبين) واضح بين (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (من افترى) اختلق (على الله الكذب) بأن كذب بآياته وبرسوله (وهو يدعى لى الإسلام) الذى ينجيه من الضلالة والجهالة ، ويخلصه من ظلمات الكفر (وأنه لا يهدى) لى دينه (القوم الظالمين) الذين يدفعون المعجزات بالتكذيب ، والآيات بالإنكار (يريدون ليطفتوا نور الله) ليطفئوا نور الله (أى ليطلوا نور الحق الذى جاء به محمد ؛ بما يقولونه بأفواههم) من أنه ساحر ، وأن ما جاء به سحر (ودين الحق) الإسلام ؛ الذى هو حق كله (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) اسم

الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٨٤﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦٨٥﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨٦﴾ لِيُظْهِرُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَامِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٦٨٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٦٨٨﴾ يَتَأَيَّسُ الدِّينَ ءَأَمْسُوا هَلْ أَدْلَكُمْ عَلَىٰ بَحْرٍ مِّنْ تَنجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْعَذَابِ ﴿٦٨٩﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٩٠﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي

جنس ؛ أى ليظهره على سائر الأديان (بأبيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) لما كان الله تعالى بمنه وكرمه يثيب على الإيمان والعمل الصالح ؛ شبه هذا الثواب ، والنجاة من العذاب بالتجارة ؛ فن قدم عملاً صالحاً : لى جزاء راجحاً ، ومن قدم إحساناً : لى جنانا ، ومن أرضى مولاه : أرضاه ربه وكرمه ونعمه ؛ فلا تجارة أتمجج من هذه التجارة ، ولا فوز أربح من هذا الفوز ؛ (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) ما يصلحكم ، وما ينجيكم

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ
 ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦١﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ
 وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ
 أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَقَامَتِ
 طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿٦٣﴾

(٦٢) سُورَةُ الْجُمُعَةِ مَلَائِكَةٌ

وَأَيَّاهَا ١١ نَزَلَتْ بَعْدَ الصَّفِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ
 الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا

(في جنات عدن) جنات الإقامة؛ من عدن
 بالمكان: إذا أقام فيه (وأخرى تحبونها نصر
 من الله وفتح قريب) أي وعن عليكم بمصلحة
 أخرى تحبونها؛ وهي النصر، والفتح القريب
 (وبشر المؤمنين) يا محمد - في الدنيا - بالنصر
 والفتح القريب، وفي الآخرة بما لا عين رأت
 ولا أذن سمعت «ذلك هو الفوز العظيم» (قال
 الحواريون) وهم أنصار عيسى عليه السلام،
 وحواري الرجل: خاصته وأنصاره (فأصبحوا
 ظاهرين) غالبين.

(سورة الجمعة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) أي
 يقدهس، ويترزه كل شيء فيهما: من ملك،
 وإنس، وجن، وحيوان، ونبات، ومجاد.
 (انظر آية ٤٤ من سورة الإسراء) (الملك)
 المالك؛ الذي لا ملك سواه، ولا سلطان
 لمن عداه، ولا سعادة لمن عداه (القدوس)

المتزه عن النقائص (العزیز) الغالب الذي لا يظف (الحكيم) في صنعه (هو الذي بعث في الأميين) الذين
 لا يقرأون؛ لأن أمة العرب كانوا لا يقرأون ولا يكتبون من بين سائر الأمم. وقيل: «الأميين» نسبة
 إلى أم القرى مكة زادها الله تعالى شرفاً (رسولا منهم) أي من بني جلدتهم، ومن جنسهم، أمياً مثلهم:
 وهو محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام!

(يتلو عليهم آياته) الميزة من لدنه؛ بواسطة ملائكته عليهم السلام (وزركيهم) يطهرهم من دنس الشرك، وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) الأحكام، وما يليق بنوى الأفيام (وإن كانوا من قبل) إرساله إليهم (لنضلال ميين) فقد كانوا يشدون بناتهم خشية الإملاق؛ ففرهم أن خالقم قد تكفل بأرزاقهم «فمن نرزقمه وإياكم» وكانوا يرثون النساء ويضلوهن؛ فنهام عن ذلك، وأمرهم

بأكرامهن «لايجل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن» وكانوا يصنعون أصنامهم بأيديهم، ثم يعبدونها. فقبج عملهم، وسفه أخلامهم «أتعبدون ما تصحون والله خلقكم وما تعملون» «أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً» «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» (وأخرن منهم) أى ويعلم آخرن منهم؛ وهم سائر الأمة من بعده؛ فهو عليه الصلاة والسلام المعلم الأول لأمته لى يوم القيامة، والله در القائل:

لم يوفق موفق قط إلا

جاءه عن طريقه التوفيق!

(لما) لم (يلحقوا بهم) فى السابقة والفضل ا وهل يستوى من تمتع بصحبة الرسول، وفاز بطلته؛ بمن لم يره؟ والمعنى: لم يلحقوا بهم، وسيلحقون بهم فى الجنة، أو سيلحقون بهم إذا اهتدوا بهديهم، وساروا على طريقهم (ذلك) الفضل الذى أسبغه الله تعالى على من فاز بصحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورؤيته؛ فذلك (فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يخص به من شاء من عباده (مثل الذين حملوا التوراة) أى كلفوا علمها والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) لم يعملوا بما كلفوا به (كمثل الحمار) الذى لا يفهم شيئاً (يحمل أسفاراً) إذا حمل كتباً عظماً؛ فلا

مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَزَكَّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لِي ضَلَّالِي مُبِينٍ ۝ وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا أَلَمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَا تَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ قُلْ إِنْ أَلَمَوْتِ الَّذِي تَهْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ

الله

ينتفع بما فى هذه الكتب؛ فكذلك هؤلاء اليهود «حملوا التوراة» فكانوا «كمثل الحمار» إذا حمل أسفاراً (قل) يا محمد لليهود (ياأيها الذين هادوا إن زعمتهم أنكم أولياء لله) أحياء له تعالى (فتمنوا الموت) أى إن كنتم أولياء الله وأجابه - كما زعمون - فتمنوا على الله أن يميتكم، وينقلكم إلى جواره فى دار كرامته (ولا يتمنونه أبداً) لأن الكافر والعاصى لا يتمنيان الموت (بما قدمت أيديهم) من الكفر والمعاصى؛ لما ينتظروهم من العقاب على ما قدمت أيديهم (انظر آية ٢٤، من سورة الزمر) (فينبئكم بما كنتم تعملون) فى الدنيا؛ فيجازيكم عليه (إذا نودى للصلاة) إذا أذن لها (من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) فى المساجد (انظر آية ٢٧ من سورة الحج)

(وفدوا البيع) أتركوا التجارة الحاسرة ، واسموا إلى التجارة الرابحة (إذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) امشوا فيها ؛ وهو أمر لإباحة ، لا أمر لإلزام (وابتغوا من فضل الله) رزقه ؛ بالسي في مصالحكم ، أو أريد بفضل الله : العلم (اقضوا) تفرقوا من عندك ، وعن الاستماع إلى نصحك (إليها) أى إلى التجارة أو اللهو (وتركوا قائماً) وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يخطب يوم الجمعة ؛ فقدم دحية بن خليفة بتجارة من الشام ؛ فقاموا إليه وتركوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قائماً وحده ؛ ولم يبق معه غير اثني عشر رجلاً من صحابته عليه الصلاة والسلام

(قل ما عند الله) من الأجر والثواب (خير) مما انصرفتم إليه (من اللهو ومن التجارة) لأن الصلاة : مرضات لله ، والله جل شأنه يملك الدنيا والآخرة ، وملك خزائن الأرض والسماوات . فإن شاء أبكاكم ، وإن شاء أضحككم «وهو الذى أضحك وأبكى» وإن شاء أعطاكم ، وإن شاء منعكم «إن ربك يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر» (والله خير الرازقين) ولا رازق سواه أصلاً وإن قيل : فلان يرزق عياله ؛ فقد أريد أنه يسمى عليهم من فضل الله !

اللَّهُ وَدَرُوا السَّبِيحَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾
 فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ مِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

(٦٣) سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ مَلَكُوتِي
 وَأَيَّاهَا ١١ نَزَلَتْ بَعْدَ الْجَنَّةِ

(سورة المنافقون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا جاءك المنافقون) يا محمد (قلوا) تفافاً ورياءً (نشهد أنك لرسول الله) «يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم» (والله يعلم أنك لرسوله) شهد المنافقون بذلك أو لم يشهدوا (واقد) يشهد إن المنافقين لكاذبون) فيها يقولون (اتخذوا أيمانهم جنة) أى اتخذوا شهادتهم للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالرسالة : وقاية لهم من القتل والأسر (انظر آية ١٦ من سورة المجادلة) (فصدوا) منوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا

الناس (عن سبيل الله) دينه القويم (لأنهم ساء ما كانوا يعملون) من ففاقهم وكذبهم . وقد لحقهم السوء - في حياتهم - بانكشاف سترهم ، وانفضاح أمرهم ، وسيلحقتهم - بعد موتهم - فيا يلقونه من العذاب في قبورهم ، وفي الجحيم بعد بعثهم ! (ذلك) السوء الذى وقع منهم (بأنهم) بسبب أنهم (آمنوا) أى نطقوا بكلمة العهادة ؛ كسائر من يدخل في الإيمان

(ثم كفروا) ظهر كفرهم بما أبدوه من نفاقهم . أو قالوا كلمة الإيمان للمؤمنين « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون » (فطبع الله على قلوبهم) غطى عليها ؛ فلا تقبل الإيمان ؛ بسبب نفاقهم ، وكفرهم بعد إيمانهم . فالتطبع على قلوبهم : كان عقوبة لهم ؛ لأن كفرهم سابق على طبع الله تعالى وتغطيته على قلوبهم ؛ و« كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين »

الجزء الثامن والعشرون

٦٨٨

(وإذا رأيتمهم) أي إذا رأيتم هؤلاء المنافقين (تعجبك أجسامهم) لأنهم أصحاء أقوياء (وإن يقولوا نسمع لقلوبهم) لأنهم بلفضاء فصحاء (كانهم) لخلوهم من الفائدة، وحرمانهم من النفع (خشب مسندة) لأنهم أجرام خالية من الإيمان (يحبسون كل صيحة عليهم) لأنهم جبناء (هم المدو) حقيقة (فاحذرهم) لأنهم يشيعون الذعر في صفوف الجنود ؛ أكثر مما يشيعه الأعداء المحاربون (قاتلهم الله) لنهم وطردهم من رحته (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق مع وضوحه ؟ ! (لوا رؤسهم) تكبراً (ورأيتمهم يصدون) يمرضون (ومم مستكبرون) عن الإيمان (هم الذين يقولون) للاغنياء (لا تنفقوا على من عند رسول الله) من فقراء المؤمنين ؛ الذين يمتنون إليهم بالرحم والقرابات (حتى ينفصوا) يفرقوا عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه (ولته) وحده (خزائن السموات والأرض) يطلى منها من شاء ، ويعنع من شاء (ولكن المنافقين) لمسى قلوبهم (لا يفتقون) هذه الحقيقة البديهية ؛ ومن غفلتهم أيضاً أنهم (يقولون لئن رجعنا من غزوة بني المصطلق) ليخرجن الأعز) الأعظم ، والأقوى ؛ ينعون بذلك أنفسهم ؛ لنفام وتكبرهم (منها) أي من المدينة (الأذل)

ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٨٨﴾
 * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ يَخْسِرُونَ كُلٌّ صِجَّةٌ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعُدُو فَاحْذَرَهُمْ قَتَلْتُمُ اللَّهَ أَنْ يَؤُوكُونَ ﴿٦٨٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا اسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوَّارًا وَرُسُومًا وَإِذْ يَنْصُرُونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٦٩٠﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَآيَدِي الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٩١﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلَهُ خِزَايِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٩٢﴾ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلَهُ الْعِزَّةُ لِرَسُولِهِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ

لا

الأضعف . عنوا بذلك المؤمنين ؛ لفقرهم وتواضعهم (ولته) وحده (العزة) الغلبة والقوة ؛ يهبهما لمن شاء من عباده (ورسلوه) أيضاً العزة ؛ يضيفها على أتباعه (وللمؤمنين) وليست لكم ؛ لأن العزة لا تكون إلا لله وبالله ؛ وأنتم عنه بعباد !

(يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم) لا تشغلكم (أموالكم) وجمعها والحرس عليها (ولا أولادكم) وفرط الرغبة في إيسادهم ؛ مضحين في سبيل ذلك بأوسر ربكم ، وبما فرضه عليكم من الإنفاق والبذل ؛ ناسين وعده بالاختلاف والأجر ؛ فلا يلهمكم الانشغال بذلك (عن ذكر الله) تذكره ، وخشيته ؛ وإطعام الفقير في سبيله ، وإنفاق المال على حبه ! (ومن يفعل ذلك) فيتلهى بجمع المال ، وحفظه للعيال (فأولئك هم الخاسرون) لأموالهم ولآخرتهم ؛ بل ولأولادهم أيضاً فكم قدر رأينا من أبناء الأغنياء ، من أضع ما جمعه الآباء ؛ فيما يفضب

الله تعالى من اللذات والشهوات . وبعد ذلك صاروا عالة على المجتمع : يتكفون الناس ، ولا يجدون قوت يومهم ! وما ذاك إلا من سوء نيات آبائهم ، وبعدهم عن مرضات ربهم ! وكم قد رأينا من أبناء الفقراء : من أضحوا - بين عشية وضحاها - سادة ؛ بل قادة ! وما ذاك إلا من اتباع آبائهم لدينهم ، واستماعهم لنصح ربهم ! وتذكر هداك الله قول الحكيم العليم « وكان أبوها صالحاً فاحرس - كفيت ووقيت - على لإرضاء مولاك ؛ فيقبك الضر والفقر ، ويحفظ عليك دينك وبدنك وعمالك ؛ ويقبهم المسئلة من بعدك ، ويحسن ذنباك وآخرتك ! فيساعدك من جعل ماله ذخرأ له عند ربه ، وجعل الله تعالى ذخرأ لولده من بعده ! (وأفقوا بما رزقكم) كما أمركم (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) أي أسبابه ومقدماته (فيقول رب لولا) هلا (أخرتني لى أجل قريب فأصدق) كما أمرت (وأكن من الصالحين) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: ما قصر أحد في الزكاة والحج ، إلا سأل الرجعة عند الموت . فعوذ بالله تعالى من ذلك ! (والله خير بما تعملون) من خير أو شر ؛ فيجزىكم عليه .

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُمُوا أَمْوَالَكُمْ
وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٦٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْتُمْ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٠﴾
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

(٦٤) سُورَةُ التَّبَايِنِ مَلَائِكَةٌ
وَأَيَّاهَا ١٨ نَزَلَتْ بَعْدَ التَّحْوِيمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ
وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي

(سورة التباين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(بسم لله ما في السموات وما في الأرض) أى كل شىء فيها : من ملك ، وإنسان ، وحيوان ، وجماد (انظر آية ٤٤ من سورة الإسراء) له) وحده (الملك) والملكوت ، وهو وحده المنتصرف فيه ؛ لا شريك له (وله الحمد) على كل حال (هو الذى خلقكم) من نفس واحدة

(فمنك كافر) بخالقه ، منكر لرازقه (ومنكم مؤمن) به ، موحد له (وا لله بما تعملون بصير) فعاقبكم على الكفران ، ومثيبيكم على الإيمان .

وقد ذهب قوم - غفر الله تعالى لهم - إلى أن الله تعالى خلق هذا كافراً ، وخلق هذا مؤمناً ؛ وبذلك يكون - أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين - قد أزم الكافر بالكفر ، وأزم المؤمن بالإيمان ؛ وهذا المعنى - رغم فساده وإفساده - فإنه يتناقض مع قول العزيز الجليل «وا لله بما تعملون بصير» فأذع - أيها المؤمن اليبس - فساد هذا المعنى ، وقبحه ، وتمسك

الجزء الثامن والعشرون ٦٩٠

بما نقول : تحط بالقبول أو تذكر قول الحميد المجيد «وما أنا بظلام للصيد» وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

قال علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه : «أظن أن الذى نهاك دهاك ؛ إنما دهاك أسفلك وأعلاك ؛ وربك برىء من ذلك ؛ وإذا كانت العصية حتماً ؛ فالعقوبة عليها ظلاماً ؛ (وصورك فأحسن صورك) لا يستطيع إنسان - بالفا ما بلغ من الكفر والعدا - أن يرى في تصوير الآدمى قصاً أو اعوجاجاً ؛ وإن الإنسان لو تأمل في يده - مثلاً - ورأى أنها كيف تقسم إلى خمسة أصابع ، وكيف أن كل أصبع من هذه الأصابع ينقسم إلى عدة مفاصل ؛ لما وسعه إلا أن يقول : تبارك الله أحسن الخالقين ؛ وأين اليد وحسنا ؛ من الوجه ودقة تصويره ، وبديع تنسيقه ؛ حقاً إن دقة هذا الصنع ، وإحكام هذا الوضع ؛ ليفسدها لمبدعهاما بالقدر والوحدانية والربوبية . فنعم الخالق ، ونعم المصور (وليه المصير) المرجع ؛ فييب الطامع ، ويمذب العاصي (وا لله عليم بذات الصدور) بما في القلوب (فذاقوا وبال أمرهم) الوبال : الهلاك . أى ذاقوا الهلاك ؛ الذى هو عاقبة بشيم ، وعقوبة كفرهم (بالبينات) بالمجزات الواضحات ، والآيات

خَلَقَكُمْ فَنُكِرْتُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٦٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٧٠﴾ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۗ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧١﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٢﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَعَالُوا
أَبْشَرِيهِدُونَ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ۗ وَاسْتَحْفَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ
غَمِيدٌ ﴿٧٣﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ
بِأَنْزِلِ الرَّيِّ لِيُعَذِّبَهُمْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَنْزِلِ الرَّيِّ
لِيُعَذِّبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِلْجَمْعِ
ذَلِكَ يَوْمَ النَّعْتَانِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا

يُكْفَرُ

الظاهرات (فقالوا أبشر يهدونا) بالعجب ؛ ينكرون رسالة البصر ، ويؤمنون برؤية الحجر (فكفروا) بالمجزات والآيات (وتولوا) انصرفوا عن الإيمان (واستحفى الله) عنهم وعن إيمانهم (والله غنى) عن سائر مخلوقات . (حميد) محمود في كل أفعاله (زعم الذين كفروا أن يعثوا) يبادوا للحساب والجزاء يوم القيامة (ثم لننذون بما علمتم) أى تجزون عليه ؛ إن كان خيراً فخير ، وإن كان شراً فشر (والنور الذى أنزلنا) هو القرآن الكريم ؛ وهذا الاسم من أجل أسمائه ؛ إذ أن النور : يستضاء به في الظلمات ، والقرآن الكريم : ينير القلوب ، ويمحو الشبهات ، ويهدي إلى الجنات ؛ (ذلك يوم النعنان) أى يوم غيب الكافر ، وضغفه ، وخسارته ، وحسرتة . أو هو يوم التناسي : أى نسيان الكافر من الرحمة والنعمة . والتعنان =

يطلق على التناسي ، والحسران ، والضعف . وأصل الفتن : النقص في الثمن ، أو رداءة المبيع في البيع . ولما كان الكافر لا يجزى عن أعماله الصالحة التي عملها في الدنيا «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً» كان مثله كمثل الثبوت (يكفر) يبع (ما أصاب) الإنسان (من مصيبة) في المال أو النفس (إلا بإذن الله) بإرادته وتقديره (انظر آية ١٥٦ من سورة البقرة) (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) جزاء على إيمانه . وهكذا ربك يجزي دائماً الإحسان بالإحسان : يزيد من آمن إيماناً ، ومن اهتدى هداية «والذين اهتدوا زادهم هدى» أما من ضل وغوى ؛

فإنه تعالى يزيده ضلالاً على ضلاله ، وخبالاً على خباله : «في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً» (فإن توليت) أعرضتم عن الإيمان والطاعة (الله لا إله إلا هو) لا إله بعد سواه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) قرن تعالى التوكل عليه بكلمة التوحيد : لأن الإيمان بغير توكل لا أثر له ؛ إذ أن كلمة التوحيد : إيمان باللسان ، والتوكل : إيمان بالقلب ، ووثوق بوجوده تعالى وقدرته! (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) وهو ما يبدو كثيراً من نشوز بعض الأزواج وجهلن ، وعقوق بعض الأولاد وطمسهم (فاحذروهم) أي فاحذروا عدواتهم . والحذر : الاحتراز ، والاستعداد ، والتأهب . والاحتراز من الأعداء : دفعهم ، والتأهب للقائهم وقاتلهم . أما الحذر والاحتراز من الأحياء : فهو لازمة أسباب العداة . كيف لا ؛ والزوج : قد أوصى بها الرب ، وهي الصاحب بالجنب . وقد أمرنا ببسط المودة لها ، والرحمة بها ! أما الأولاد : فهم فلدات الأكباد ؛ وزينة الحياة الدنيا وقد أمرنا لها ، وهدانا إلى دفع أعدائنا بالإحسان : «ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم» فن باب أولى يكون دفع الأزواج والأبناء ؛ وهم

يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَلْبَابِ ﴿٢﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَدِدْ قَلْبَهُ وَأَلَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٤﴾
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾
يَتَّيِبُوا لِلَّهِ أَسْمَاءً إِنْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدَاؤًا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ

من خير الأحياء ا فوجب ألا يكون دفع عدواتهم ، والحذر منهم : إلا بالإحسان إليهم ، ومزيد برهم والطف عليهم ؛ فينقلب بفضلهم محبة ، وعداوتهم مودة ! يدل على ذلك قول الحكيم العليم (وان تغفوا) عنهم (وتصفحوا) عن عدواتهم (وتغفروا) ذنوبهم (فإن الله غفور) لكم ولهم (رحيم) بكم وبهم ! هذا وقد سار جل الناس ، وأغلب المفسرين على وتيرة واحدة في فهم هذه الآية بأوسع معاني العداة : حتى لقد زعم بعض المفسرين أن «من» بيانية ، لا تبعية ؛ فتبطلت الحواطر ، وحل الإزعاج مكات الطمأنينة ؛ ونظر كل والد إلى أولاده بين الارتباب ، وكل زوج إلى زوجته بين التوجس والاحتياط ! ألم يقل الله تعالى : «إن من أولادكم وأزواجكم عدواً لكم فاحذروهم» ألم تر بعض شرار الأبناء يقتلون =

= آباءهم ، وبعض الفاجرات يكفثن لأزواجهن ؟ بما يصل إلى حد الإيقاع بهم ظلماً ، أو دس السم في طعامهم ؟ أم يناد نوح ابنه للنجاة ؟ فأبى إلا اتباع الطغاة ؟ وامرأة نوح ، وامرأة لوط ؟ ألم تكونا من أعداء زوجيهما وأعداء الله ؟

كل هذا ساعد على فهم هذه الآية ذلك الفهم الخاطيء ؛ الذي لا يجتمه كتاب الله تعالى ولا يرتضيه سبحانه لغمانى كلامه المجيد ! فقد أنزل تعالى كتابه لتهدى النفوس لا لتزعج ، ولتطمئن القلوب لا لترتاع ! والشكر كما يأتي من شرار الأبناء : فقد يأتي من شرار الآباء ! وكما يأتي من شرار الزوجات : فإنه قد يأتي من شرار الأمهات !

٦٩٢ الجزء الثامن والعشرون

يُوقِّعُ نَفْسَهُ فَأُوثِّقُكُ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾
تَقْرُؤُاَ اللّٰهَ قَرَضًا حَسَنًا يُضْعِفُهُ لَكُرْهُ وَيَغْفِرْ لَكَ وَاللّٰهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿٧٠﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٧١﴾

(٦٥) سُورَةُ الطَّلَاقِ مَلَائِكَةً

وَأَيَّاهَا ١٣ نَزَلَتْ بِعَدَلِ الْإِنْسَانِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ اِذَا خَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ
وَاحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللّٰهَ رَبَّكُمۡ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ
بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجُنَّ اِلَّا اَنْ يَّاتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ وَتِلْكَ
حُدُودُ اللّٰهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ
لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللّٰهُ يَجْعَلُ بَعْدَ ذٰلِكَ اٰمْرًا ﴿٦٩﴾ فَاِذَا بَلَغَ

أَجَلُهُنَّ

فهل معنى ذلك أن قربان الزوجة لثم ؟ لأنه من الجهوات ؟ وحب البين جرم ؟ لأنه مما زينه الشيطان ؟ ! وإنما أراد الله تعالى بهذه الآية الشريفة : أن من الأولاد والأزواج من يفعل بكم ما يفعله الأعداء : من تعويقكم عن الذكر والطاعات ! أليس الولد مجنونة مجذولة كما يقولون ؟ وأى جرم أشد من الجبن ، وأى لثم أخطر من البخل ؟

وقد أريد بهذه الآية الكريمة : الاحتيال من الانشغال عن الطاعات بالمذات ، والحذر من الاشتغال بحب الأولاد عن حب الله تعالى والحرس على العبادات ! وأى عدو أعدى من المخلوق الذى يشغل عن الخالق ، والمرزوق الذى يصرف عن الرزاق !

== وكن وسطاً في حبك ، وسطاً في ميلك ! هداك الله تعالى ! إلى صراطه المستقيم !

ومن قبل زعم المفسرورث أن سليمان - وهو من خيرة الأنبياء - قتل بضعة آلاف من الميل لأنها عطلته عن صلاة العصر ؛ عند قوله تعالى « فطلق مسعياً بالسوق والأعناق » وهي فرية على سليمان عليه السلام اقتراها اليهود الأفاكون الملاحين !

وهذا لا يمنع من وقوع بعض الهنات ، من الأبناء والزوجات ؛ وهو الذي أشار إليه المولى جل وعلا

بقوله « وإن تغفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم » .

٦٩٣

صورة الطلاق

وقد أشار المولى الكريم إلى المعنى الذي

أشرفنا إليه آتفاً وعضدناه بشئ المحجج والآيات

بقوله عز وجل « إنما أموالكم وأولادكم فتنة »

أى بلاء ومحنة ؛ يوقعونكم في الإثم من حيث

لا تشعرون « فاتقوا الله » خافوه ، واعملوا

بأوامره « واسمعوا » نصح القرآن (وأطيعوا)

داعي الرحمن « وأتقوا خيراً لأنفسكم » وأى

خير ينال الإنسان : أسمى من الإحسان ؟ وأى

خير يحتمسه المؤمن عند ربه : أفضل من

الإفلاق ؟ ! فأفحق أيها المؤمن - جهد طاقتك ،

ووسع مالك - فذلك خير لك في دينك ،

وسعادة دائمة لك في أخراك ! « وما أنفقتم

من شيء فهو يخلفه وهو خير الزايقين » (ومن

يوق شح نفسه) الشح : اللؤم ، وأن تكون

النفس ككرة حريصة على المنع . أما البخل :

فهو المنع نفسه . والمراد هنا : يبخل النفس

بالزكاة والصدقة ، بدليل قوله تعالى (إن

تقرضوا الله قرضاً حسناً) عبر تعالى عن المتصدق

بالمقرض ؛ وذلك لإنباتاً لحقه في الوفاء له بالأجر .

وجعل تعالى نفسه مقرضاً ؛ ليطمئن المقرض إلى

رد ما بذله إليه . لأنه كلما كان الملتزم ملبثاً :

كان الوفاء محققاً ؛ فما بالك والمقرض ملك

المالوك ، وأغنى الأغنياء ؛ وقد وعد بالوفاء

وفوق الوفاء ؛ فقال تعالى (يضاعفه لكم) وينميه (ويفزر لكم) ذنوبكم ؛ زيادة على مضاعفة أجوركم !

ومن ذلك نعلم أن الصدقة : ترضى الرب ، وتحو الذنب « إن الحسنات يذهبن السيئات » (والله شكور)

كثير المجازاة على الطاعات (حلیم) يفوق عن السيئات (عالم النيب والشهادة) ماخو ، وما ظهر ؛ وهو

(العزيز) في ملكه : يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء (الحكيم) في صنعه !

(سورة الطلاق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فطلقوهن لعدتهن) أى مستقبليات لها . والمراد ألا تطلق المرأة إلا في طهر لم تجامع فيه ، ثم تخل ==

== حتى تنقضى عدتها (وأحصوا العدة) اضبطوها ؟ فلا تزيدوا عليها ، ولا تنقصوا منها (لا تخرجوهن من بيوتهن) حتى تنقضى عدتهن (ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) هي الزنا : تخرج من بيتها لمخفها ؛ تخرج لترجم ؛ إذ ما فائدة إحصاء العدة مع زناها ؟ فربما علقت من الزاني بها (وتلك) الأوامر هي (حدود الله) التي لا يجوز تجاوزها (ومن يمتد حدود الله فقد ظلم نفسه) بتعريضها للعقاب (لاتدرى) أيها المطلق (لعل الله يحدث بعد ذلك) الطلاق (أمراً) أي لعل الله - وهو مقاب القلوب - يقلب قلبك من بعضها إلى محبتها ، ومن طلاقها إلى رجعتها ؛

الجزء الثامن والعشرون

٦٩٤

فتراجعها وهي في بيتك ، وتحت كنفك (إذا بلغن أجلهن) أي قاربن انقضاء عدتهن (فأسكوهن) راجوهن ؛ إذ أردتم (بمعروف) بغير قصد إلحاق الضرر بهن بتلك المراجعة (وأشهدوا ذوى عدل منكم) على المراجعة ، أو الطلاق . هذا وقد أجمع الفقهاء على وقوع الطلاق بمجرد إرادته والنطق به . وقد جرى العمل على ذلك في صدر الإسلام ؛ وبذلك يكون المراد بالإشهاد : الإشهاد على المراجعة دون الطلاق . وقد خالف الشيعة الإجماع ، وزعموا أن الطلاق بدون إشهاد : لنعو ، لا يقع ، ولا يمتد به . وقد رأى بعض مفكرى هذا العصر : منع وقوع الطلاق إلا أمام القاضي ؛ وهو رأى فاسد يأباه صريح القرآن ، وما سار عليه السلف الصالح من الأمة ؛ فالطلاق يقع - بلا قيد ولا شرط - متى رغب الزوج في لبقاعه ؛ ولا تستطيع قوة على ظهر الأرض منعه من هذا الحق الذى جماله الله تعالى متنفساً للزوجين (انظر محبت الطلاق بآخر الكتاب) (وأقيموا الشهادة لله) أى أدوا الشهادة لوجهه تعالى ؛ لا من أجل المطلق أو المطلقة (ذلكم يوعظ به) أى تلك الأحكام يعظ بها وينتفع (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) القيامة ، وما فيها من حساب وجزاء

فَلَنْ أَرْضَعَن لَكَ فِقَاتُوهُنَّ أَجُورُهُنَّ وَأَعْمُرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاَسَرْتُم فَاَسْرِعْ لَهُ أُخْرَى ۝ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرْ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفِلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتْنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نَّكَرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَابُهُ أَمْرِيهَا خُسرًا ۝ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ

رِزْقًا

(ومن يتق الله) في أموره (يجعل له مخرجاً) من كرب الدنيا والآخرة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) أى من حيث لا يخطر بباله . أو المراد «ومن يتق الله» في معاملة أزواجه ، ويتبع ما أمره الله تعالى به ؛ في طلاقهن ، أو إمسأكن «يجعل له مخرجاً» بأث يقيم له أحوالها إذا أمسكها ، أو يبده خيراً منها إذا طلقها «ويرزقه» مهراً وثقة «من حيث لا يحتسب» عن الصادق المصدوق صلوات الله تعالى وسلامه عليه «إني لأعرف آية لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتمهم ؛ ومي : ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب» (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كانه . قال صلى الله تعالى عليه وسلم «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خاصاً وتروح بطاناً» (انظر آية ٨١ من سورة النساء) ==

== (إن الله بالغ أمره) منفذ أمره وممراده (قد جعل الله لكل شيء) شرعه ؛ كالطلاق ، والعدة ونحوهما (قدراً) زمناً لازماً ؛ لا يجوز قصاصه (واللأني يئسن من المحيض) لكبر سنهن (إت ارتبتم) أى إن شككم في عدتهن ، أو إن شككم فيما ينزل منهن : أهو حيض ، أم استحاضة ؟ (واللأني لم يحضن) لصغرهن ؛ فعدتهن ثلاثة أشهر أيضاً (وأولات الأحمال) النساء الحوامل (أجلهن) انتهاء عدتهن (أن يضمن حملهن) أن يلدن؛ ولو بعد الطلاق بدقائق معدودات (ومن يتق الله) في أموره كلها (يجعل له من أمره يسراً) فيكون عليه كل شيء أرادته : زواجا ، أو طلاقا ، أو غير ذلك (ومن يتق الله يكفر) يمح (ويطمئنه له أجراً) في الآخرة (أسكنوهن من حيث سكنتم) أى مثل سكنكم ، أو مكاناً من نفس مسكنكم (من وجدكم) أى وسعكم ، وقدر طاقتكم (ولا تضاروهن) في السكن (لتضيقوا عليهن) وليفتدين أنفسهن منكم (فأتوهن أجورهن) أى أنفقوا عليهن مدة الرضاع (وأتوهن ما بينكم معروف) أى ليكن أمركم بينكم بالمعروف : في شأن النساء ، وإرضاع الأولاد ؛ فلا يأمر أحدكم بظلم المرضع المطلقة ، وهضم حقوقها ، والنيل منها ؛ ومن كان متكلماً فليقل خيراً أو ليصمت . أو هو

رِزْقًا ۗ وَاللَّهُ الْبَدِيءُ خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بِبَيْنِهِنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ

(٦٦) سُورَةُ الرَّحْمِ مَلَانِي
وَأَيُّهَا ١٢ نَزَلَتْ بِعَدْلِ الْجَبْرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ رَحِيمٌ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَعِي مَرْضَاتٍ
أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ
تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝
وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِكْرَامًا مِنْ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَا تَبَأَتْ
بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ

نفساً إلا ما آتاهما) أى ما أعطاهما من الرزق (سيجعل الله بعد عسر يسراً) هو وعد من الله تعالى بالتيسير على من أفق قدر طاقته ووسعه . كأن سألنا سأل : ذاك الموسع عليه قد أفق من سعته ؛ فما بال من ضيق عليه يؤمر بالإنفاق ؟ فجماعت الإجابة على هذا السؤال ، من لدن ذى الجلال : إن الإنفاق ما هو إلا علاج للاملاق «سيجعل الله بعد عسر يسراً» «ومن أصدق من الله قيلاً» (انظر الآيات ٢٦٦ - ٢٧٤ من سورة البقرة) (وكان من قرية) وكمن قرية (عتت) تمردت (وعذبتها عذاباً نكراً) منكراً عظيماً (فذاقت وبال أمرها) أى ذافت الهلاك ؛ الذى هو عاقبة أمرها (وكان عاقبة أمرها خسراً) أى خسراً عظيماً (يا أولى الأبواب) يا ذوى العقول (قد أنزل الله إليكم ذكراً) هو القرآن الكريم (رسولاً) أى =

== وأرسل إليكم رسولا . ويجوز أن يكون المعنى « قد أنزل الله إليكم ذكراً ، أى شرفاً عظيماً : «رسولا» من لدنه (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) من الكفر إلى الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم (انظر آية ١٧ من سورة البقرة) (قد أحسن الله له رزقاً) في الجنة « فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » (ينزل الأمر) بالوحى والأرزاق ، والإحياء والإفناء (بينهن) أى بين السموات والأرض ١

الجزء الثامن والعشرون

٦٩٦

(سورة التحريم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)

قيل : لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم شرب عسلاً عند زينب بنت جحش ؛ فأدرك أمهات المؤمنين - من الفيرة - ما يدرك سائر النساء من البصرة فتواطأت عائشة وحفصة على أن يقولا له : إنا نسمع منك ريح المغافير - وهو صنع كرهه الرائحة ينش به الصل - فلما سمع منها ذلك : حرم العسل على نفسه ؛ فنزلت هذه الآية . وقيل : حرم على نفسه مارية أم ولده إبراهيم مرضات لحفصة (قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم) أى شرع لكم ما تتحللون به من إيمانكم ؛ وهو الكفارة (واقه مولاكم) يتولاكم برعايته وتدييره وإرشاده (ولذا أسر النبي إلى بعض أزواجه) حفصة (حديثاً) هو تحريم الصل ؛ أو مارية القبطية (فلما نبات به) أى أخبرت بهذا الحديث عائشة رضى الله تعالى عنها (وأظهره الله عليه) أى أطلعه على هذا الإنباء (عرف) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حفصة (بعضه) عرف بعض الذى أفضته من سره عليه الصلاة والسلام (وأمرض عن بعض) فلم يعرفها أنه قد اطلع عليه . وقيل «عرف» بمعنى عاتب ، وآخذ (إث تتوبا

أَلْعَيْبِرُ ۝ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَإِنْ تَطَّهَّرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۝ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَيِّلَهُ ۚ أَرْوَاجاً خَيْرًا مِنْكَ مَسَلْتِ مَوْتَيْتَ قَتَيْتِ تَبَيَّتِ عَيْدَتِ سَبَّحْتِ تَبَيَّتِ وَأَبْكَرَا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَوُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا إِنجَزُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكَ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكَ سَيِّئَاتِكَ وَيُدْخِلَكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ

يَقْرَأُونَ

إلى الله) قيل : المعنى : هلا تتوبا إلى الله (فقد صفت قلوبكما) أى إيمانت إلى ما كرهه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ من اجتناب العسل ، أو تحريم مارية (وإن تطاهرا عليه) أى تتوانا على إيدائه ، وحب ما يكرهه (فإن الله هو مولاؤه) أى وليه وناصره (وجبريل) أيضاً (وصالح المؤمنين) أى والصالحون من المؤمنين (والملائكة بعد ذلك ظهير) أى والملائكة - على كثرتهم وقوتهم - بعد نصر الله تعالى له أعواناً (عسى ربه إن طلقكن) بسبب ما بدأ منكن (أن يبيلهن أزواجاً خيراً منكن) لا يظهرون عليه ، ولا يتأمرن ، ولا يفتشين سره لغيره (مسلمات مؤمنات فانتات) مطيعات (سالمات) سالمات والسامح : الصائم الملازم للساجد (نبات وأبكاراً) حسباً يريد ، وكيفاً شاء (انظر آية ١٢٥ من سورة البقرة) (يا أيها الذين

يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ نَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ
كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَفَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا
عَنَّهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٢﴾
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ
رَبِّ ابْنِ لِىْ عِنْدَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِىْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ
وَنَجِّنِىْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ
الَّتِى أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ
بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنِيَّهٖ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٤﴾

= آمنوا لولا أنفسكم وأهلكم ناراً) أى عملوا الأعمال الصالحة ، واثمروا بالأوامر ، واجتنبوا النواهي ، وأمرنا أهلكم بها ، وأرهموم الطاعة والعبادة ؛ لتتقوا بذلك النار ؛ التى (وقودها الناس) الكافرون والمخالفون (والحجارة) وذلك لأن جهنم من قوتها وشدهتها : تذيب الحجارة (عليها ملائكة) ثم خزنتها عليهم السلام ؛ وعدتهم تسعة عشر (غلاظ) على أهل النار (شداد) أقوياء ؛ لا ينضمهم مانع ، ولا يدفعهم دافع (لا يعصون الله ما أمرهم) بمن البطش والتنكيل

بالكافرين ! (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) أى توبة صادقة خالصة . والتوبة النصوح : أن يتوب عن الذنب ؛ فلا يعود إليه . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : هى الاستغفار باللسان ، والندم بالجنات ، والإقلاع بالأركان (عسى ربكم) إن تبتهم (أن يكفر) يعجو (نورم) يسمى بين أيديهم) أمامهم (وأياماتهم) حوالبهم (انظر آية ١٢ من سورة الحديد) يقولون ربنا آثم لنا نورنا) يادخلنا الجنة (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف واللسان (والمنافقين) بالحجة والبيان (واغلظ عليهم) شدد عليهم بالحدود (كانتا تحت عبدین من عبادنا صالحین فخاتهما) فى الدين والمعاشرة ؛ فقد كانت امرأة نوح تقول لقومه : إنه مجنون وكانت امرأة لوط تدعو قومه إلى إذا به أضيافه (انظر آية ٤٦ من سورة هود) (فلم يغنيا) أى لم يدفع نوح و لوط (عنهما من الله) من عذابه (شيئاً) ولم ينفعهما أن كان زوجها من الأنبياء ، ومن خيرة خلق الله تعالى ، وأقربهم لديه (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها) حفظته (فنفخنا فيه) أى نفخ جبريل فى فرجها بأمرنا (من روحنا) المخلوقة لنا ؛ قال تعالى «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي» يهبها لمن يشاء إحياءه . أو

المراد : نفخنا فى فرجها بواسطة روحنا ؛ الذى هو جبريل . وقد تأول قوم الفرج هنا : بالحرق ، أو الفتق فى درع مريم ؛ وهو ليس بشئ . وإنما الجأهم إلى هذا التأويل : خشية أن يقول قائل : إنما كانت ولادتها لئيسى عن الطريق المهود لسائر من يولد من البشر (وصدقت) آمنت (بكلمات ربها) شرائعه ، وأحكامه ، وأوامره ، ونوحيه . أو المراد «بكلمات ربها» عيسى عليه السلام ؛ لأنه كلمة الله ؛ يؤيده قراءة من قرأ «بكلمة ربها» (وكتبه) أى وآمنت بكتبه . يعنى التوراة والإنجيل ، وما أنزل من قبل (وكانت من القانتين) المطيعين العابدين .

(سورة الملك)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك) تعال وتقدس عن صفات المخلوقين (الذي بيده) أى تحت تصرفه ، وطوع إرادته ، وروهن مشيئته

البقرة التاسع والعشرون

٦٩٨

(الملك) السلطان والقدرة (الذى خلق الموت) فى الدنيا (والحياة) فى الآخرة ؛ أو خلقهما فى الدنيا ؛ لأن إيجاد الحياة فى النطفة : إحياء لما يتخلق منها (ليلوكم) ليختبركم ويمتحنكم (أيكم أحسن عملاً) فيجزيه فى الدنيا ، ويحييه فيها حياة طيبة ، ويكرمه فى الأخرى وينعمه (وهو العزيز) القادر على الإكرام ، وعلى الانتقام (الغفور) لمن تاب وأناب (الذى خلق سبع سموات طباقاً) مطابقة ؛ بعضها فوق بعض (ما ترى فى خلق الرحمن) أى فى مخلوقاته : صغيرها وكبيرها ، حقيرها وجليلها ، قيسها وخسيسها (من تفاوت) التفاوت : عدم التناسب والتناسق (فارجع البصر) أى رده إلى مصنوعات الله تعالى (هل ترى من فطور) أى هل ترى من عيب أو خلل . والفطر : الشق (ثم ارجع البصر) عاوده (كرتين) مرة بعد مرة ، وكرة بعد كرة (ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حير) أى يرجع إليك بصرك ذليلاً حسراً . والمعنى : أن بصرك لن يرى عيباً ولا خلا ؛ مهما بحث وقلب عن عيب أو خلل ! (ولقد زينا السماء الدنيا) السماء الأولى ، القريبة من الأرض (بمصابيح) بكواكب ؛ هى منها بمثابة المصابيح المضيئة ؛ وهى النجوم (وجعلناها) أى جعلنا هذه النجوم - فضلاً عن كونها مصابيح تضيء لكم - (رجوماً للشياطين) بأن ينقل شهاب من النجم - السمع (وأعدنا لهم) أى أعددنا للشياطين

(٦٧) سُورَةُ الْمَلِكِ مَكْتُمَةٌ
وَأَيُّهَا ٣٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ①
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ② الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا
مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ
تَرَى مِن فُطُورٍ ③ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ
إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ④ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا
لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ⑤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ
جَهَنَّمَ أَوْسَعُ لِمَنْ أَلْفَأُ فِيهَا سَمْعًا لَهَا

شَيْعًا

كالفيس من النار - فيحق الشيطان الصاعد لاستراق السمع (وأعدنا لهم) أى أعددنا للشياطين

شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى
 فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُنَا آلَ بَابِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى
 قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ
 أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
 نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ
 فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
 بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسْرَأُ قَوْلُكَ أَوْ
 أَجْهَرُ وَإِيَّاهُ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ
 خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 الْأَرْضَ ذُلُولًا فَانْشَبُوا فِي مَنَازِكِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ
 وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنْتُمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ
 الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَنْ
 يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ

(سمعوا لها شهيقاً وهي تفور) أى سمعوا لها
 صوتاً منكراً ، وهي تغلي بهم (تكاد تميز من
 الغيظ) جعلت كالفتاة ؛ استعارة لشدة
 غليانها بهم ، وإيلامها لهم (كلما ألقى فيها فوج)
 جماعة (سألهم خزنتها) الملائكة الموكلون بها
 (ألم يأتيكم نذير) رسول ينذركم ما أنتم عليه
 الآن من العذاب (فسحقاً لأصحاب السعير) فبعدا
 لهم عن رحمة الله (إن الذين يخشون ربهم بالغيب)
 يخافونه قبل معاينة العذاب ، ويؤمنون به من
 غير أن يروونه (إنه عليم بذات الصدور)
 بخفايا القلوب ؛ لأنها من خلقته تعالى ، ويعلم
 ما تهجس به (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف)
 بعباده (الخبير) بخلقه (هو الذى جعل لكم
 الأرض ذلولا) لينة ، سهلة ، مذللة (فانشأوا
 فى منازلها) فى جوانبها وتواحيها ؛ طلباً
 للرزق (وكلوا من رزقه) الذى يرزقكم به
 (واليه النشور) مرجعكم بعد بعثكم (أأمتم)
 إن عصيتهم (من فى السماء) «هو الذى فى
 السماء إله وفى الأرض إله وهو الحكيم العليم»
 (أن يخسف بكم الأرض) بعد أن جعلها لكم
 ذلولا ، تمشون فى منازلها ، وتأكلون من
 رزقه : يخسفها بكم - لكفرانكم بتلك النعم -

كما خسفها بقارون (فإذا بها) بعد استقرارها (تمور) تضطرب وتتحرك ، ثم تنقلب بكم ؛ فتدفنكم فى
 جوفها (خاصباً) حجارة من السماء ، أو ريحاً ترمى بالحصى ؛ وهى الحصى (فستعلمون) وقتذاك (كيف نذير)
 أى كيف كان إنذارى لهم بالعذاب ، وكيف تحقق ذلك الآت !

(ولقد كذب الذين من قبلهم) من الأمم السابقة (فكيف كان تكبير) أى كيف إنكارى لهم على هذا التكذيب ؛ يا نزال العذاب بهم ، وإهلاكم (أولم يروا) من دلائل قدرتى ووحدايتى (إلى الطير فوقهم) فى جو السماء (صافات) باسطات أجنحتهن (ويقبضن) يضممنها إذا ضربن بها جنوبهن (ما يمكن) حال طيرانهن فى الهواء (إلا الرحمن) لأنه تعالى مسخر الهواء ؛ ولو شاء لأسكس ؛ فلا يجدى الطائر طيرانه ، ولم تفده أجنحته ؛ مهما قبضها أو بسطها ؛ وكيف لا يمكس الطير حال طيرانه ؛ من يمكس الفسلك حال دورانه ، ويمكس السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ا (أمن هذا الذى هو جند لكم) يعنى إذا علمت أنه تعالى قادر على أن يمخس بكم الأرض فيهلككم ، وأن يرسل عليكم حاصباً فيفتنكم ؛ فمن هذا الذى هو جند لكم : تاجأون إليه ، وتحنون به ؛ (أمن هذا الذى يرزقكم إن أسك) الله تعالى عنكم (رزقه) الجواب : لأحد. ولكن الكافرين لا يسمعون ، ولا يعقلون (بل لجوا) تادوا (فى عتو) عناد واستكبار (وقور) من الإيمان ، واتباع الطريق السوى (أمن يمشى مكباً على وجهه) ساقطاً على وجهه ؛ يتعثر فى كل خطوة ؛ لما هو فيه من الظلام . وهو مثل ضربه الله تعالى للكافر . أى أهذا الذى يمشى مكباً على وجهه ؛ يتعثر فيظلمات الكفر والجبل (أهدى أمن يمشى سوياً) مستوياً معتدلاً ؛ يرى بنور الله ، ونور الإيمان (على صراط) طريق (مستقيم) وهو الإسلام . وهو مثل ضربه الله تعالى للمؤمن . فالكافر «يمشى مكباً على وجهه» والمؤمن «يمشى سوياً على صراط مستقيم» (قل هو الذى أنشأكم) من لاشئ ، ومن غير مثال سبق (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) خص الله تعالى بالذكر هذه الحواس ؛ لأنها مناط العلم ، وأداة التفهم (ذراكم) خلقكم

كذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ تَكْبِيرُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَيْتَ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسُكُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ أَنَّهُ يَكْفُلُ شَيْئاً بِصَبْرِ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكَ يَنْصُرُكَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ إِنْ أَسْكَبْتَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَبَعَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

أَمَلَكْتَنِي

(وإليه محشرون) يوم القيامة ؛ للحساب والجزاء (ويقولون متى هذا الوعد) أى متى يكون الحشر والجزاء الذى تمدنا به ؟ (قل إنما العلم عند الله) «إليه يرد علم الساعة» (وإنما أنا نذير) أى منذر بوقوعها ، وما يحدث فيها (مبين) بين الإندثار ، واضح «فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ا» (فلما رأوه) أى الحساب والمقاب يوم القيامة (زلفه) قريباً . والزلفة والزلفى : القربى والمنزلة (سبعت وجوه الذين كفروا) أى ساءها رؤية العذاب ؛ فاسودت وعلتها الكآبة ، وغشيتها القفرة (وقيل هذا الذى كنتم به تدعون) أى تدكرون ربكم وتطلبون منه أن يجعله لكم . وقرئ «تدعون» من الدعاء ؛ أى تطلبون . قال تعالى «وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» =

(قل هو الرحمن آمننا به وعليه نولكننا) قرت تعالى التوكل عليه ؛ بالإيمان به . والتوكل على الله تعالى : من موجبات رحمته ، وعزائم مغفرته ! (انظر آية ٨١ من سورة النساء) (قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً) أى غائراً ، ذاهباً في الأرض (فإن يأتيكم بماء معين) جار ، تراه العين ؛ يصل إليه من أراده .

(سورة القلم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سورة القلم

٧٠١

(ت) قيل : إنه إشارة لك الدواة ، وما بعدها القلم (والقلم) وما بعده الكتابة (وما يسطرون) أما ما قيل من إن «ت» اسم للحوت ، الذى يحمل الثور ، الذى يحمل الأرض فهو قول بآدى التعريف ، واضح التصحيف . ولعل المراد بالقلم : القلم الذى تكتب به الملائكة وما يسطرونه - بأمر الله تعالى - من أرزاق العباد وآجالهم . وفي القسم بالقلم والكتابة : إعلاء لشأن الكاتبين ، ودعوة إلى تعلم الكتابة ومحاربة الأمية . وحسبك دليلاً على شرف القلم : أنه يقيم الدول ويقعدها ، ويزلزل الممالك ويوطدها . وما تقدم قسم : جوابه (ما أنت بشعمة ربك بمنحون) أى ما أنت يا محمد - وقد أكرم ربك عليك بالنبوة والرياسة العامة - بمنحون كما يدعون (وإن لك لأجراً غير ممنون) لشواهاً غير مقطوع (وإنك لعلى خلق عظيم) ياله من شرف رفيع ، وقدر منيع ؛ لم يخطر على قلب بشر ، ولم يطمح لإدراكه إنسان ، ولم يدرك شأوه مخلوق : رب العزة يصف محمد بن عبد الله بأنه على خلق عظيم ! فأى فضل شمل الله تعالى به نبيه ! وأى مقام رفع إليه عبده ، ورسوله ، وصفيه وخليفه ! ؟

وقد كان من خلقه صلى الله تعالى عليه

وسلم : العلم ، الحلم ، والعدل ، والصبر ،

والشكر ، والزهد ، والصفو ، والتواضع ، والعفة ، والجود ، والشجاعة ، والحياء ، والبروة ، والرحمة ، والوفاء ، وحسن الأدب والمعاشرة ؛ إلى ما لا حاد له من الأخلاق المرضية ، والحلال العلية ؛ التى اختصه بها خالقه جل شأنه !

وحقا إن السادحين مهما وصفوا وبالغوا في مدح الرسول ؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ فلن يصلوا إلى بعض ما بلغه من شرف مدح الله تعالى له ؛ والله در القائل :

باصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له أغلاق

أبروم مخلوق تناءك بعد ما أننى على أخلاقك الملاق ؟

أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْرَاحِنَا فَمَنْ يُبِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٦٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٧٠﴾

(٦٨) سُورَةُ الْقَلَمِ مَكِّيَّةٌ مِنَ الْأَنْبَاءِ وَالْقَلَمُ آيَةُ ٢٢ وَرَأْيَةُ ٤٨ وَالْقَلَمُ آيَةُ ٥٠ فَتَنِيَةٌ وَأَمَّا ٧٠ نَزَلَتْ بِحَدِّ الْعَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَنْصَبُ وَيَصْبُرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيْبُكَ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾

وهو عليه الصلاة والسلام: خاتم المرسلين وإمامهم ، وشفيح المؤمنين ورائدكم ؛ سيد ولد آدم ولاغفرا
وقد وقف غلاة الكافرين ؛ حيال عظمته مشوهين ، ووصفه ألد أعدائه ومقاتلوه بالصادق الأمين ؛
صلى الله تعالى وسلم عليه : صلاة تبلغنا رضاه ، وتجعلنا أهلاً لشفاعته ومحبته !

هذا وقد مدحه كثير من كتاب القرب والفرجة بمدائح لم يصل إليها مادحوه من المسلمين . وإليك
شذرات مما قاله فيه أساطين كتاب القرب :

الجزء التاسع والعشرون

٧٠٢

قال «برناردشو» الفيلسوف الانكليزي
الكبير : اني أعتقد أن رجلاً كمحمد ؛ لو
تسلم اليوم زملم الحكم المطلق في العالم بأسره :
لم النجاح في حكمه ، ولقاده إلى الجحيم ، ولحل
مشاكله على وجه يحقق للعالم السلام والسعادة
المنشودة !

وقال «لامرتين» شاعر فرنسا الكبير:
إن حياة محمد ، وقوة تأمله وتفكيره ، وجهاده ،
ووثيقته على خرافات أمته وجاهلية شعبه ،
وشهامته ، وجرأته ، وبسالته ، وثنائه ثلاثة
عشر عاماً ؛ يدمو دعوته في وسط أعدائه ؛
وتقابلة سخرية الساخرين ، وهزء المازيئين ،
وحرابه - التي كان جيشه فيها أقل من عدوه
عدة وعدداً - ووثوقه بالنجاح ، وإيمانه
بالظفر ، وإعلاء كلمته ، ونجواه التي لا تنقطع
مع الله ، وقبض الله لياحه إلى جواره ؛ مع نجاح
دينه بعد موته : كل ذلك أدلة على أنه لم يكن
يضر خداعاً ، أو يعيب على باطل ومين !

وقال «ميور» الكاتب الانكليزي
الكبير : لقد امتاز محمد بوضوح كلامه ،
ويسر دينه ؛ وقد أم - في حياته - من الأعمال
ما يدهش العقول ؛ ولم يهد التاريخ مصلحاً
أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ، ورفع شأن
الفضيلة ، في زمن قصير ؛ كما فعل محمد !

وَدَّوْا لَو تَدَّهِنُ فَيَدْمِنُونَ ① وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاظٍ
مُهَيِّنٍ ② هَازٍ مَشَاءٍ بَجِيمٍ ③ مَنَاعَ النَّخْرِ مُعْتَدٍ
أَيْمٍ ④ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ⑤ أَنْ كَانَ
ذَا مَالٍ وَبَيْنَ ⑥ إِذَا تَسَاءَلْنَا عَلَيْهِ فَأَيْتَنَّا قَالَ أَكْطِيرُ
الْأَوَّلِينَ ⑦ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ⑧ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا
بَلَوْنَا أَجْنَبَ الْجَنَّةِ إِذْ أَتَمُوا الْبَصِيرَ مِنْهَا مُصْحِحِينَ ⑨
وَلَا يَسْتَنْوُونَ ⑩ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ
وَهُمْ نَائِمُونَ ⑪ فَاصْبَحْتَ كَالصَّرِيمِ ⑫ فَتَنَادُوا
مُصْحِحِينَ ⑬ أَنْ اْعْبُدُوا عَلَى حَرْبِكَ إِنْ كُنْتُمْ
صَّارِمِينَ ⑭ فَانظُرُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ⑮ أَنْ
لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ⑯ وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ
قَلْبَرِينَ ⑰ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَّالُونَ ⑱ بَلْ
نَحْنُ مَجْرُمُونَ ⑲ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْأَقْلَ لَكَ لَوْلَا

تَسْبِحُونَ ⑳

وقال «إدوار جيسون» الكاتب الروسي الكبير: إن دين محمد خال من الفنون والشكوك ؛ لأنه ينهى
عن عبادة الكواكب والأصنام ؛ وهو دين أكبر من أن تدرك أسرارها عقولنا الحالية !

وقال «توماس كارليل» الفيلسوف الانكليزي الشهير : ليس من المعقول أن تكون رسالة محمد - التي
عاش فيها ومات عليها هؤلاء الملايين من المسلمين خلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن - أكذوبة كاذب ،
أو خدعة مخادع ! أ رأيت رجلاً مدعياً ؛ يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب ؛ مع جعله بخصائص البناء ؟
أما محمد فقد بنى بيتاً بقيت دعائمه اثني عشر قرناً ، وسكنه الملايين من الأتقياء ! لقد كان متقشفاً في مسكنه ، =

== وما أكله ، وملبسه ؛ وربما تابعت الأيام - بل الشهور - ولم توقد بداره ناراً ، وكان دائب السى لنفس دين الله ليلاً ونهاراً ؛ غير طامع في مرتبة ، ولا طامح إلى سلطان ، أو متطلع إلى صيت أو شهرة ؛ ولم يكن ذليلاً ، ولا متكبراً ؛ فهو قائم في ثوبه الرقع : يخاطب قياصرة الروم ، وأكاسرة العمم ؛ بقوله المبين ويرشدهم إلى ما يجب عليهم ؛ وقد كان مجد صادقاً ؛ ما في ذلك رب ! هذا الذى خلق من الصحراء القاحلة : دولة وشعباً ، وأمة ؛ لأنه لم يمارس معجزة ، ولم يدع أنه قادر على إتيانها ؛ ولكن حياته ذاتها : كانت معجزة تفوق كل المعجزات !

سورة القلم

٧٠٣

وكيف يستطيع الواصف أن يصف أخلاق من آذاه قومه بأقسى ضروب الإيذاء ، وابتلوه بأشنع أنواع الابتلاء ؛ فلم يقابل أذامم بالدعاء عليهم ؛ بل بالدعاء لهم : « اللهم اهد قولى فانهم لا يعلمون » وقد دعياً أصيب نوح عليه السلام ببعض ما أصيب به محمد ، فقال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » فتبارك من خصنا ببعثته ، وشرفنا برسائه ! (انظر آية ١٩٩ من سورة الأعراف) (فستصبر ويبصرون) أى فسترى ما وعدناك به من النعيم المقيم ، وبرون ما أوعدناهم به من العذاب الأليم (بأيكم المقتون) أى وستوضح يومذاك أيكم الذى قتن بالجنون : أنت كما يفترون ، أم هم بكفرهم وانصرافهم عن الهدى ؟ (ودوا لو تدهن فيدهنون) أى ودوا لو تلبن لهم ؛ فيلبنون لك . وهو من المدهانة ؛ التى هى المصانعة . وأدهن : غش . أو المراد : ودوا لو تهاون فيتهاونون (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف (مهين) حقير . ومن العجب أن كل من يكتر الحلف : يستهان ويستحقق ! (هاز) عياب للناس ، طعان فيهم (مشاء بنميم) يسمى بين الناس بالفساد والتمية (مناع الخير) بخيل ، أو مناع للناس من الإيمان ؛ الذى هو الخير كل الخير ! (معتد) عليهم بهذا المنع ،

والإيذاء (أنيب) ظالم ، كثير الآثام (عتل) جاف (زيم) أى ابن زنى . قيل : نزلت هذه الآيات في الوليد ابن المغيرة ؛ وقد كان دعياً في قريش . قال الشاعر :

زيم ليس يعرف من أبوه

(أن كان ذا مال وبنين) أى لا تطع من هذا شأنه ؛ لكونه ذا مال وبنين . ومن هنا يعلم أنه لاعبرة ، ولا اعتداد بالمال والنبي ؛ بل الاعتداد بالإيمان ، وحسن الخلق ! (إذا تتلى عليه آياتنا) القرآن (قال أساطير) أكاذيب (الأولين) السابقين (سنسمه على الخرطوم) أى سنكويه بالنار يوم القيامة ، على ألقه ؛ زيادة في مهائنه . وقيل : خطم بالسيف يوم بدر ؛ فصارت سمة على ألقه إلى أن مات (إنا بلوناهم) أى أهل مكة ==

سُحُورٌ ﴿٣٨﴾ قَالُوا سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظٰلِمِيْنَ ﴿٣٩﴾
فَاتَّقِلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَامِؤْنَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا يٰرَبِّنَا إِنَّا
إِنَّا كُنَّا ظٰلِمِيْنَ ﴿٤١﴾ عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يُّبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا
إِلَىٰ رَبِّنَا رٰغِبُونَ ﴿٤٢﴾ كَذٰلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ
أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّتِ النَّعِيْمِ ﴿٤٤﴾ أَفَتَجْمَلُ الْمُسْلِمِيْنَ كَالْمُجْرِمِيْنَ ﴿٤٥﴾
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتٰبٌ فِيهِ
تَدْرُسُونَ ﴿٤٧﴾ إِنْ لَكُم بِهِ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٤٨﴾ أَمْ لَكُمْ آيٰتُنُ
عَلَيْنَا بَلٰغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٤٩﴾
سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذٰلِكَ زَعِيْمٌ ﴿٥٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا
بِشُرَكَآئِهِمْ إِنْ كَانُوا صٰدِقِيْنَ ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَكْتَشِفُ عَن
سَاقٍ وَيَدْعُوْنَ إِلَى السُّجُوْدِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٥٢﴾ خَشَعَةٌ
أَبْصَرُهُمْ تَرَهَقُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُوْدِ

امتحنهم بالقطط ، والجوع ؛ استجابة لدعوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم بقوله : « اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها سنين كسنى يوسف » (كما بلونا أصحاب الجنة) الجنة : البستان . وهم قوم كان لهم بستان بقرية يقال لها ضروان ؛ بالقرب من صنعاء . وقيل : كانت بالحبيشة . وقيل : هي الطائف ؛ التي هي بلاد تقيف بالحجاز (إذ أنسووا) حلفوا (ليصيرنهما مصبحين) ليقتلن ثمرها وقت الصبح (ولا يستنون) أى ولم يقولوا : إن شاء الله قال تعالى « ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله »

الجزء التاسع والعشرون

٧٠٤

(طاف عليها طائف من ربك) أنزل عليها المنتقم الجبار آفة سماوية فأحرقت أشجارها ، وأتلفت ثمارها ! وكان ذلك ليلاً ؛ لأن الطائف : لا يكون إلا ليلاً . قيل : نزلت عليها شهب من السماء فأحرقتها (فأصبحت كالصرم) أى كالليل الظلم ، أو كالشيء المصروم ؛ وهو المخلوع . قيل : كانت جنتهم هذه بمدينة الطائف ؛ ولما سميت الطائف (فتنادوا) نادى بعضهم على بعض (أن اغدوا) بكروا (صارمين) فاطمين للشر . وصرم الشيء : قطعه (فاطلقوا) لى جنتهم (وهم يتخافتون) يتهاشون سرّاً ؛ خشية أن يسمعه فقير ؛ فيطلب منهم شيئاً (ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) مخفون بعضهم بأن لا يدخل عليهم في بستانهم مسكين ؛ لئلا يطالبهم بصدقة من ثمارهم (وغدوا على حرد فادرن) أى بكروا ؛ فاصدين بستانهم بسرعة - قبل أن يفجأهم التهاير بضوئه فترام الناس - ظانين أنهم فادرون على جنى ثماره (فلما رأوها) رأوا جنتهم ، وما حل بها (قالوا لانا لصالون) أى ضلنا جنتنا ، وقصدنا غيرها ؛ فليس هذا شأنها . ولما تأملوها جيداً ، وتحققوا من أنها جنتهم ؛ قالوا (بل نحن محرومون) حرماناً ثمرة كدنا وجهدنا طوال طماننا ، وخسرنا ثمارنا ! (قال أوسطهم) أعدهم

سورة

وأخيرهم - وكان معارضاً لهم - ولم يكن مرتضياً حرمان المساكين (ألم أقل لكم لولا) أى هلا (تسجون) ربكم ، وتشكرونه على نعمته التي اختصكم بها ؛ ولكنكم عصيتموه ؛ فاستوجبتم ما حل بكم ! (قالوا سبحان ربنا) قدس ، وتعالى ، وتزه ! (إنا كنا طاغين) تمنع الفقراء ، وعدم التوكل على الله وتقديم مشيئته ؛ وهذه القصة أوردتها الحكيم المتعال : ليعلمنا أن مصير الشحيح ، ومانع الزكاة إلى التلف حتماً : إن لم يكن بتلف ماله ، فيتلف أجره وفساد حاله ! وأنه إن ضن بما يستوجب رضاء الله : هلك ماله مصحوباً بنضب الله ! (كذلك العذاب) أى مثل إهلاكنا لجنة هؤلاء ؛ نستطيع أن نهلك المكذبين أنفسهم ، أو كذلك نغذب من نريد تعذيبه : بابتلائه في أمواله مثل هذا الابتلاء ! وكما قدر رأينا من يشح بالانفاق : =

فيحتل في ماله بما ينهيه ، أو في عياله بما يرهقه ! فليثق الله من يؤمن بالله ! (مالك كيف تحكون) تعجب منهم ؛ حيث لهم يسون الطبع بالمعاصي ، والمؤمن بالكافر (أم لكم كتاب) منزل من السماء (فيه تدرسون) تقرأون (إن لكم فيه لما تخفون) أي لكم في هذا الكتاب ما تختارون (أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكون) أي أم أخذتم علينا العهد والميثاق ؛ أن لكم الذي تردونه وتحكون به (سلمهم أيهم بذلك زعيم) كفيل (أم لهم شركاء) فيما يزعمونه (فليأتوا بشركائهم)

ليذوقوا معهم ما أعد لهم من العذاب . وقد يراد بالشركاء : شركاء الله تعالى في الملك (يوم يكشف عن ساق) هو كناية عن صعوبة الأمر وشدته ، وذلك كقوله تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك» كناية عن البخل ؛ وليس تمت يد ولا غل . والعرب تقول : كشفت الحرب عن ساقها: إذا حى وطيسها ، واشتد طيبها . ومن أخش ما قاله بعض المفسرين في تأويل ذلك : أن الرحمن يكشف يومئذ عن ساقه . تعالى الله عما يقولون ، وجل عن صفات المخلوقين ! (ترهقهم) تفشام (فترني) ومن يكذب بهذا الحديث) هو منتهى الوعيد (سنستدرجهم من حيث لا يعلون) بأن نمد في أعمارهم ، ونوسع في أرزاقهم : حتى يزدادوا كفراً على كفرهم ، وطفياناً على طغيانهم (وأملئ لهم) أمهلهم (إن كيدي متين) قوى شديد (ولا تكن كصاحب الحوت) وهو يونس بن متى عليه السلام (إذ نادى) ربه ؛ وهو في بطن الحوت : «لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» (وهو مكظوم) مملوء غظاً على أمته وعماً مما نزل به (لولا أن تداركه نعمته) رحمة (من ربه) فنى عن ذنبه ! وقد كان غضب على قومه وتجل تعذيبهم وفارقهم ؛ من قبل أن يؤمر بذلك (لنبد بالعرء) لطرح بالخلاء (وهو مذموم)

مذنب وملوم (فاجتبه) اختاره (ربه فجعله من الصالحين) المرسلين ، العاملين بما أمرهم ربه ، المنتهين عما نهاهم عنه (ليزلفونك بأبصارهم) ليزيلونك عن مكانك ؛ لشدة نظرم إليك شراً .

(سورة الحاقة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) القيامة ؛ سميت بذلك : لأن الأمور تحق فيها وتستقر ، ولأنها يوم الحق (ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة) تنظيم لأمرها ، وتهويل لثأنها (كذبت ثمود) قوم صالح عليه السلام (وعاد) قوم هود =

سورة الحاقة ٧٠٥

(٦٩) سُبْحَانَ الْحَاقَّةِ الْمَكِّيَّةِ
وَأَيَّاهَا ٥٢ نَزَلَتْ بِعَدْلِ الْمَلِكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣
كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا
بِالطَّاعِنَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦
سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَيِّينَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ
فِيهَا صُرَعَى كَأَنَّهُمْ انْحَارَ تَحْلِ خَاوِيَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ
مِنْ بَاقِيَةٍ ٨ وَجَاءَ فِرْعَوْنٌ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ
بِالْمُحَاطَةِ ٩ فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً
رَآيَةً ١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِفْرًا فِي الْجَارِيَةِ ١١
لِنَجْعَلَهَا لِكَرْتِدْكَرَةً وَتَعْيِبَا أذُنَ وَعِيَةٍ ١٢ فإِذَا نَفِخَ

عليه السلام (بالقارعة) القيامة ؛ لأنها تخرج الناس بهولها وتزعجها (بالطاغية) قيل : هي الرجة . أو الصيحة ؛ التي طفت عليهم فأهلكتهم جميعاً (بريح صرصر عاتية) هي الدبور . وصرصر : أي شديدة الصوت (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام) متتابعة ؛ حتى أتت عن آخرهم (انظر آية ١٣١ من سورة الأعراف) (حسوماً) حسمت آجالهم ؛ أي قطعتها . وقيل : متتابعة (كأنهم أمجاز نخل خاوية) أي أصول نخل ساقطة (وجاء فرعون ومن قبله) من الأمم الكافرة التي تقدمته ، أو جاء فرعون وأتباعه ؛ يؤيده قراءة من قرأ «ومن قبله» بكسر القاف وفتح الباء

الجزء التاسع والعشرون

٧٠٦

(والمؤشكات) ترى قوم لوط ؛ وسميت بذلك ؛ لأنها اتفكت بهم ؛ أي انقلبت (بالخائفة) أي بالخاطئة الشائت ؛ وهو الكفر (فأخذهم) ربهم : غضبهم وأهلكهم (أخذة رابية) شديدة (إنما طمى الماء) فاض وزاد ؛ واقلب نفعه الكثير ، إلى ضرر كبير ، وشر مستطير : يوم الطوفان (حملناكم في الجارية) السفينة التي تجرى على وجه الماء (لنجعلها) أي لنجعل هذه القلعة ؛ التي هي إنجاء المؤمنين ، وإعراق الكافرين . أو لنجعل هذه السفينة (لكم تذكرة) عبرة وموعظة (وتعيبها) تحفظها وتقهبها (أذن واعية) أي مصيبة ؛ تسمع ما يقال ، فتنتقله إلى الذهن . ففيه (فإذا فتح في الصور) وهو القرن ؛ ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام النخعة الثانية ؛ للفصل بين الحلائق (فدكتنا) أي دقتنا وكسرتنا (فيومئذ وقت الواقعة) أي قامت القيامة (واهية) ساقطة واهنة (والملك) يعني الملكة عليهم السلام (على أرجائها) أي على جوانب السماء (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) هو تمثيل لظلمته تعالى ؛ مثلاً هو مشاهد من أحوال الملوك والسلطين يوم خروجهم على الناس ؛ لكون ذلك أقصى ما يتصور من الجلال والظمة ؛ وإلا فثبوتنه سبحانه وتعالى أجل من أن تدركها لإشارة ، أو تحيط بها عبارة ، أو يتسع لها فهم ا (فأما من أوتي كتابه) أي كتاب أعماله (بيمينه) وهو المؤمن الصالح ، الذي رجحت حسناته على سيئاته (فيقول) لنوبه وأهله - مفتخراً - أو يقول للملائكة (هاؤم) أي خنوا وتعالوا (إني ظننت) علمت وتأكدت أن وعد الله حق ، وأن القيامة قائمة ، و (إني ملأت حسابه) جزاء ما عملت في الدنيا (فطوفنا دانية) ثمأرها قرية لمردها (بما أسلفتم) بما قمتم (في الأيام الخالية) الماضية في الدنيا (وأما من أوتي كتابه بشماله) وهو الكافر (فيقول) يا ليتني لم أوت كتابي لما يرى فيه من الباطح والفضاح (باليها كانت القاضية) أي باليت الموت الأولى كانت القاضية ؛ فلم أبت ، ولم أحاسب (ما أغنى) ما نفع ، وما دفع (عني ماليه) =

فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿٧٠٦﴾ وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
فَدَكَّادَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿٧٠٧﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿٧٠٨﴾
وَأَسْقَتِ السَّمَاءَ فَيْسَ يَوْمِئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿٧٠٩﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى
أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿٧١٠﴾
يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿٧١١﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ أَمَرْتُ أَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ ﴿٧١٢﴾
ظَنَنْتُ أَنِّي مَلَأْتِي حِسَابِيهِ ﴿٧١٣﴾ فَهَوِيَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧١٤﴾
فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٧١٥﴾ فَطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٧١٦﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٧١٧﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ ﴿٧١٨﴾
وَلَدَرًا مَاحِيَةً ﴿٧١٩﴾ يَلْبِثُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٧٢٠﴾
مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ﴿٧٢١﴾ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ﴿٧٢٢﴾
خُدُّوهُ فَعَلُّوهُ ﴿٧٢٣﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٧٢٤﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ﴿٧٢٥﴾

ذرعها

سبحانه وتعالى أجل من أن تدركها لإشارة ، أو تحيط بها عبارة ، أو يتسع لها فهم ا (فأما من أوتي كتابه) أي كتاب أعماله (بيمينه) وهو المؤمن الصالح ، الذي رجحت حسناته على سيئاته (فيقول) لنوبه وأهله - مفتخراً - أو يقول للملائكة (هاؤم) أي خنوا وتعالوا (إني ظننت) علمت وتأكدت أن وعد الله حق ، وأن القيامة قائمة ، و (إني ملأت حسابه) جزاء ما عملت في الدنيا (فطوفنا دانية) ثمأرها قرية لمردها (بما أسلفتم) بما قمتم (في الأيام الخالية) الماضية في الدنيا (وأما من أوتي كتابه بشماله) وهو الكافر (فيقول) يا ليتني لم أوت كتابي لما يرى فيه من الباطح والفضاح (باليها كانت القاضية) أي باليت الموت الأولى كانت القاضية ؛ فلم أبت ، ولم أحاسب (ما أغنى) ما نفع ، وما دفع (عني ماليه) =

== الذى جمعه فى الدنيا ، ولم تصدق منه ، وكنت أنظر وأتصال به (هلك) ذهب ومضى واعى (هى سلطانيه) قوتى وحيى ، وعزى وهيبى ؛ فيقال للائكة العذاب (خذوه فقلوه) وهو قول الله تعالى لخرقة جهنم ، أو قول بعضهم لبعض بأمر ربهم (ثم الجحيم صلوه) أدخلوه (ذرعها) طولها (فاسلكوه) فأدخلوه (فليس له اليوم ههنا حيم) صديق يدفع عنه

العذاب (ولا طعام إلا من غسلين) غسالة أهل النار ، وما يسيل منهم من الصديد (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) أقسم تعالى بالمشاهدات والمغيبات ، أو بالدنيا والآخرة ، أو بالأجسام والأرواح ، أو بالإنس والجن ، أو بالنعم الظاهرة والباطنة ، أو بالخلق والخالق (إنه) أى القرآن (لقول رسول كريم) هو محمد عليه الصلاة والسلام ؛ عن رب العزة جل شأنه وعز سلطانه ! (وما هو بقول شاعر) كما تقفرون (ولا يقول كاهن) كما تزعمون . والكاهن : العراف الذى يتكهن بالغيب (قليلاً ما تدكرون) تتعظون وتعتبرون (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) أى لو افترى علينا محمد كما تهمونه (لأخذنا منه باليمين) أى لأخذناه بالقوة والشدة (ثم لقطعنا منه الوتين) الوتين : نياط القلب ؛ وهو عرق فيه ؛ إذا انقطع : مات صاحبه . وهو تصور لإهلاكه بأفضع ما يفعله الملوك : يؤخذ بالشدة والقسوة ؛ ثم تقطع رأسه (فا منكم من أحد عنه حاجزين) أى فى هذه الحال لا يستطيع أحد أن يمنع عنه عذابنا وتكليفنا ! (وإنه) أى القرآن (لتذكرة) لعظة (وإنه) أى التكذيب بالقرآن ، أو الإشارة إلى القرآن نفسه (لحسرة) وندامة يوم القيامة (على

ذَرَعَهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿١﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٤﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ
غَسْلِيلٍ ﴿٥﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٦﴾ فَلَا أَقْسِمُ
بِمَا تَبْصُرُونَ ﴿٧﴾ وَمَا لَا تَبْصُرُونَ ﴿٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ ﴿٩﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾
وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ ﴿١١﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿١٣﴾
لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿١٤﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿١٥﴾
فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنَّهُ لَتَذَكُّرَةٌ
لِّلْمُنْفِقِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّهُ
لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٢٠﴾
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

الكافرين) حين يروى ما أعدده الله تعالى لمن صدق به من النعم المقيم ، ولن كذب به من العذاب الأليم (وإنه) أى القرآن ، أو العذاب (لحق اليقين) أى للحق من ربك يقيناً (فسبح) تزه وقس (باسم ربك العظيم) الذى يصغر كل عظيم أمامه !

(سورة المارج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل بمذاب واقع) هو الضر بن الحارث ؛ حيث قال مستهزئاً « اللهم إن كان هذا هو

الجزء التاسع والعشرون

٧٠٨

(٧٠) سُورَةُ الْمَجَارِحِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ٤٤ نَزَلَتْ بَعْدَ الْجَاهِلِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِمَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِكَثْفَرِينٍ لَيْسَ لَهُ
دَافِعٌ ② مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③ تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ
وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ مِائِينَ أَلْفِ سَنَةٍ ④
فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ⑤ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ⑥ وَرَأَوْهُ
قَرِيبًا ⑦ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ⑧ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ⑨ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ⑩
يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْزَمِ لَوْ يَفْتَنِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ يُسْأَلُ
بَيْنِيهِ ⑪ وَصَلَاتِهِ وَأَنْجِيهِ ⑫ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي
تُؤْتِيهِ ⑬ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ⑭ كَلَّا إِنَّهَا

لَقُلٌّ ⑮

يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْجِيهِ» (وصاحبتة) زوجته (وفصيلته) عشيرته (التي تؤويه) تضمه وتكفؤه (ثم ينجيته) ذلك الاقتداء (كلا) لن يكون شيء مما أَرَادَهُ

الحق من عندك فأاطر علينا حجارة من السماء أو اثنتا بمذاب أليم» (من الله ذي المعارج) السماوات التي تخرج منها وإليها الملائكة ، أو هي المصاعد التي تصعد بها الملائكة لتلقى أوامر ربها (تخرج الملائكة والروح) أي تصعد الملائكة وأرواح الخلائق، أو «الروح» جبريل عليه السلام (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) هو بيان لفظة ارتفاع تلك المعارج ؛ على منهاج التمثيل والتخييل ؛ أي لهم يصعدون في اليوم الواحد : مالا يستطيع بلوغه في خمسين ألف سنة . أو هو يوم القيامة يراه الكافر - لكثرة عذابه وشدة بلائه - كخمسين ألف سنة (فاصبر) يا محمد على أذى قومك (صبرا جميلا) لا يجزع فيه ، ولا تضجر منه (إنهم يرونه) أي يوم القيامة (بعيدا) أي مستحيلا (وراه قريبا) واقفا لاجتماع (يوم تكون السماء كالمهل) كالصنف المذاب أو كدردي الزيت ، أو كالظفران (وتكون الجبال كالعِهْن) أي كالصوف النفوس (ولا يسأل حميم حميما) أي لا يطلب صاحب من صاحبه شيئا ؛ وإن طلب فلا يجاب ؛ لانفعال كل واحد بما هو فيه . والحميم : القريب والصديق (يبصرونهم) أي يبصر القريب قربه ، والصديق صديقه ، لكنه لا يستطيع أن يسأله شفاعة أو أصرا من الأمور «لكل امرئ منهم يومئذ شأنٌ يُنْجِيهِ» (وصاحبتة) زوجته (وفصيلته) عشيرته (التي تؤويه) تضمه وتكفؤه (ثم ينجيته) ذلك الاقتداء (كلا) لن يكون شيء مما أَرَادَهُ

(لأنها لظى) لظى : علم للنار ؛ من اللظى : وهو الهيب (نزاعة للشوى) والشوى : جلدة الرأس ؛ تحترق وتمود ثانية . وخصها بالذكر لأنها أشد الجسم حساسية وتأثراً بالنار (تدعو) أى تتأذى النار وتأخذ (من أدر) عن سماع القرآن (وتولى) عن الإيمان (وجمع) المال (فأوى) أسكه فلم ينفق منه حيث أمره الله تعالى . أو «فأوى» أى جملة محفوظاً في وعائه ؛ فلم يخرج منه شيئاً . أو هو من الوعى ؛ أى جمعه وحفظه . ومن عجب أن يجمع الإنسان خشية العدم ؛ وهو في نفس الوقت يسلم نفسه للعدم . قال الشاعر :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله
خافة فقر فالذي فعل الفقر

(إن الإنسان خلق هلوعاً) الملهع : سرعة الجزع ويفسره ما بعده (إذا مسه الشر) الفقر (وإذا مسه الخير) الغنى (إلا المصلين) المؤمنين؛ فإنهم بخلاف ذلك : لا يجزعون بل يصبرون ، ولا يمتنون بل ينفقون (الذين هم على صلاتهم دائمون) المقصود بالدوام هنا : الذى لا يتخلله انقطاع . جعلنا الله تعالى ممن يداوم على طاعته ، ويحافظ على مرضاته ا (والذين يصدقون بيوم الدين) يوم الجزاء ؛ وهو يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون (إن عذاب ربهم غير مأمون) لا يأمنه العاصى ، ولا الطائع . جاء في الحديث الشريف ، عن الصادق الصدوق ؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه «إن منكم من يعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها ذراع؛ فإذا هو من أهل النار ! وإن منكم من يعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها ذراع؛ فإذا هو من أهل الجنة !» فلا بد للمؤمن أن يكون في خشية دائمة من ربه ، وهذه الخشية يجب ألا تكون مصحوبة بالحب والأمل ، فإنه جل شأنه عند ظن عبده به :

إن كان خيراً غير ، وإن كانت شرّاً فشر (والذين هم لفروجهم حافظون) فلا يزنون (فمن ابتغى وراء ذلك) طلب غير الذى أحله الله تعالى (فأولئك هم العادون) المعتدون على حرمانه . (انظر آية ٧ من سورة المؤمنون) (والذين هم بشهاداتهم قانعون) قال تعالى «ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه» وقال جل شأنه «وأقيموا الشهادة لله» وقال عز من قائل «كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين» (قال الذين كفروا بل نكح

لَظَى ١٥ نَزَاعَةَ لِشَوَى ١٦ تَدْعُوا مِنْ أَدْرٍ وَتَوَلَّى ١٧
وَجَمَعَ فَأَوْعَى ١٨ * إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِيقٌ هَلُوعًا ١٩
إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ٢١
إِلَّا الْمُصَلِّينَ ٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ٢٣
وَالَّذِينَ فِي أُمُورِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ٢٤ لِّسَالِبٍ وَالْمَحْرُومِ ٢٥
وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ٢٦ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ
رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ٢٨
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنْ ابْتَغَىٰ
وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٣١ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٣٢ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ
قَانِعُونَ ٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٣٤
أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ٣٥ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

(مطعين) مسرعين ؛ أو داعى النظر إليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) جهات ، أو فرقا شتى . أصلها عزة ؛ وهي الفرقة . فالتين استهزاء بال مؤمنين : لئن دخل هؤلاء الجنة ؛ لندخلتها قبلهم ، فنحن أحق بها منهم ؛ لنسبنا وغنانا . قال تعالى رداً عليهم (أيطع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم . كلا) لن يدخلها أحد منهم ، ولن يشم ريحها (إنا خلقناهم مما يملون) أى من نطفة ، ثم من علقه ، ثم من مضغه ؛ فليس لهم فضل على غيرهم يستوجبون به الجنة ؛ وإنما الفضل بالأعمال والتقوى . فن اتق دخل الجنة ، ومن عصى دخل النار

الجزء التاسع والعشرون

(فلا أقسم أى أقسم (رب المشرق والمغرب) مشارق الشمس والقمر وسائر الكواكب ، ومغاربها . وسر القسم بها : لفت النظر لعظمتها وعظمة خالقها وموجدها ، وتمهيد لذكر قدرته تعالى على كل شيء (إنا لقادرون على أن) نهلكهم ، و(نبدل) خلقاً آخر (خيراً منهم) إيماناً وتصديقاً وطاعة (وما نحن بمسبوقين) بما جزين عن أن نفضل ذلك ، أو «بمسبوقين» لى هذا المخلق والتبديل ؛ بأن سبقنا أحد إليه (فذرهم) دعهم في كفرهم وباطلهم (حتى يلاقوا يومهم) يوم القيامة (الذى يوعدون) فيه بالذاب (يوم يخرجون) للبعث (من الأجدات) القبور (سراعا) مسرعين (كانهم) إلى نصب) النصب ؛ هو كل ما نصب ، وعبد من دون الله تعالى (يوفضون) يسرعون (ترهقهم) تضام

(سورة نوح)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك) بالذاب الموعود على التكذيب . ونوح : هو أبو اليسر الثاني ، ومن أولى الزم . وأبناؤه : سام ، وحام ، وياث .

قَبَلَكْ مُطْعِينٌ ﴿٦٩﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عَزِيمِينَ ﴿٧٠﴾
 أَيَطْعَمُ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٧١﴾ كَلَّا
 إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾ فَلَا أَقْسَمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ
 وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَلْقَادِرُونَ ﴿٧٣﴾ عَلَيَّ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرَ امْرَأَتِهِمْ وَمَا
 كُنَّا بِمَسْبُوقِينَ ﴿٧٤﴾ فَذَرْنَهُمْ يَمُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا
 يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٧٥﴾ يَوْمَ يُمَجَّرُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ
 سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٧٦﴾ خَشَعَةَ الْأَصْفَادِ
 تَرَهَقْنَاهُمْ ذَلَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٧٧﴾

(٧١) سُبْحَانَ نوح مَكِّيَّة

وَأَيَّهَا ٢٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَخْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ تَبَارَكُ إِنَّهُ أَنْذَرَ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ

يَأْتِيَهُمْ

يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ إِلَى لَكَرٍ نَذِيرٌ
مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْفُسَهُ وَأَطِيعُونَ ﴿٣﴾ يَغْفِرُ
لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْتِيكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ
اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُنْتُ دَعْوَتَهُمْ لِنُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغِرَهُمْ
فِي أَذَانِهِمْ وَأَسْتَفْشَرُوا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا
أَسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ
لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾
وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ
لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ
خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ

(ويؤخركم إلى أجل مسمى) هو يوم القيامة ،
أو هو الموت (فلم يزدكم دعائي) لهم بالإيمان
(إلا فراراً) من الحق ، ومن الإيمان
(وإني كلما دعوتهم) إلى معرفتك (لتغفر لهم)
ذنوبهم السابقة (جعلوا) وضوا (أصابعهم في
أذنانهم) ليحولوا بين استماعها لفظاني وكلامي
(واستفشروا نياهم) تقطوا بها ، ليجبوا
بصرهم عن رؤيتي (وأصروا) على كفرهم
(واستكبروا) عن الإيمان (ثم إنني دعوتهم
جهاراً) ظاهراً في غير خفاء (ثم إنني أعلنت
لهم) بأعلى صوتي ، وصحت فيهم مجتمعين بالذي
أمرتني به (وأسررت لهم إسراراً) حاولت
نصحتهم في السرياني ؛ فقد يكون ذلك أدي
لاقتناعهم (يرسل السماء عليكم مدراراً)
بالمطر (انظر آية ٥٢ من سورة هود)
(ويجعل لكم جنات) بسائين في الدنيا
(ويجعل لكم أنهاراً) جارية : تسقون منها
وتستقون . أو أريد بذلك جنات القيامة ،
وما فيها من أنهار ونعيم مقيم (مالكم لا ترجون
للَّهِ وَقَارًا) أي مالكم لا تسعون في توفيقه
وتعظيمه (وقد خلقكم أطواراً) خلقكم أولاً
طفلاً ، ثم علقاً ، ثم مضغاً ، ثم عظاماً ولحمًا ،
ثم إلساناً كاملاً ، ناطقاً ، سمياً بصيراً (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً) بعضها فوق بعض

(والله أنبتكم من الأرض نباتاً) بخلق أيك آدم منها (ثم يعيدكم فيها) بعد موتكم (ويخرجكم) منها (إخراجاً) عند بئسكم (والله جعل لكم الأرض بساطاً) منبسطة كاللبساط (سبلاً فجاجاً) طرقاً واسعة ، أوطراً مختلفة (قال نوح) عندما رأى إصرار قومه على الكفر ، وعزوفهم عن الإيمان ، وتمسكهم بمادة الأصنام (رب إنهم عصوني) واستهانوا برسالي وشريعتك (واتبعوا من لم يزد به ماله وولده لإخساراً) لإطفيافاً وكفراً ؛ وهم الأغنياء (ومكروا مكراً كبيراً) مكراً عظيماً كبيراً (وقالوا) أى قال السادة والأغنياء ؛ للضعفاء والفقراء (لا تدرن) لا تتركن (آلهتكم) التي تعبدونها (ولا تدرن وداً) ولا سواها ولا يعوث ويعوق ونسراً) هى أسماء أصنام كانوا يعبدونها ؛ وكان «وداً» على صورة رجل ، و «سواها» على صورة امرأة «ويعوث» على صورة أسد «ويعوق» على صورة فرس «ونسراً» على صورة نسر .

الجزء التاسع والعشرون

٧١٢

سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ
النَّجْمَ سِرَاجًا ۝ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَاللَّهُ
جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا ۝ لَتَسْكُنُوا مِنْهَا سُبُلًا
فِجَاجًا ۝ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مِنْ
تَرَبُّدِهِ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ۝ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا
كَبِيرًا ۝ وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ ۝ الْهِنْتِكِرَ ۝ وَلَا تَدْرُنَّ وِدَاً وَلَا
سُوعَاً وَلَا يُعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا
وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۝ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ
أَعْرَفُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمَّ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَنْصَارًا ۝ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ
الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْتَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ
وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا ۝ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ

وَلِمَنْ

الإيمان ، ويعتذبهم . يقال : أضله : إذا أضاعه وأهلكه (ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) رب قائل يقول : ومن أين لنوح أن يظلم بأن قومه لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ؟ والجواب على ذلك : أنه علم ذلك من قوله تعالى «إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن»

وَلَمِن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا
تَزِد الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٧٨﴾

(٧٧) سُبْحَانَ الْجَنِّ مَكْتَبَةً
وَأَيُّهَا ٢٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَعْرَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا
قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ
بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدًّا رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً
وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾
وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾
وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعْبُودُونَ رِجَالًا مِّنَ الْجِنِّ
فَرَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ

(ولا تزد الظالمين) الكافرين (إلا تباراً)
. هلاكاً .

(سورة الجن)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن)
استمعوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ،
وهو يقرأ القرآن في صلاة الفجر (وأنه تعالى
جد ربنا) الجد : العظمة والغنى (ما اتخذ
صاحبة) زوجة (ولا ولداً) كما يزعمون
(وأنه كان يقول سفيهاً) أى جاهلنا . أو
هو إبليس ؛ إذ لاسفيه فوقه (شططاً) كذباً .
والشطط : الغلو في الكفر . وشطت الدار :
بعدت . وصف به قولهم ؛ لبعده عن الصواب .
وهو نسبة صاحبة الولد إلى الله تعالى
(وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال
من الجن) كان الرجل إذا أمسى في واد قفر ،
وأدركه الخوف ؛ قال : أعوذ بسيد هذا
الوادي من سفهاء قومه . يريد بذلك الجن
وكبيرهم ؛ فإذا سمع الجن ذلك استكبروا
(فزادهم رهقاً) أى زاد الإنس الجن لأعما

- باستعادتهم بهم - لأنهم تكبروا وعتوا ؛ وقالوا : سدننا الإنس والجن . ويجوز أن يكون المعنى : فزاد
الجن الإنس رهقاً ؛ بأن أغروهم وأضلوم . هذا ولا يجوز الاستعادة بغير الله تعالى ؛ فهو وحده القادر على
الحفظ ، الفاهر فوق عباده ، السميع ، البصير ، العليم ! وعن الصادق المصدوق صلوات الله تعالى وسلامه
عليه : «إذا أصاب أحداً منكم وحشة ، أو نزل بأرض مجنة ؛ فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات ؛ التي
لا يجاوزهن بر ولا فاجر ؛ من شر ما يلج في الأرض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يخرج فيها ،
ومن قنن النهار ، ومن طوارق الليل ؛ لا طارقاً يطرق بخيراً» (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً)
أى ان الجن كانوا ينكرون البعث كانوا كمنكاركم ؛ فلما سمعوا القرآن اهتدوا ؛ فهلا اهتديتم ؟

اللَّهُ أَحَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَا لَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَمِسَةً حَرَسًا
 شَدِيدًا وَشَهَابًا ﴿١٨﴾ وَأَنَا كَمَا نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ قَمِنَ
 يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿١٩﴾ وَأَنَا لَا تَدْرِي
 أَشَرُّ أَيْدِي يَمِينٍ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿٢٠﴾
 وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ
 قَدْدًا ﴿٢١﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَّعِجَزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن
 نَّعِجَزَهُ هَرَبًا ﴿٢٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَأَسْنَاهُ قَمِنَ
 يُؤْمِنُ رَبِّيهِ فَلَا يَخَافُ بَحْثًا وَلَا رَهَقًا ﴿٢٣﴾ وَأَنَا مِنَّا
 الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ قَمِنَ أَسْلَمَ فَأَوْلِيكَ تَحْمُرُونَ
 رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَأَمَا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿٢٥﴾
 وَالْوَالِدُ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿٢٦﴾
 لِنَقْتَنِمَنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّيهِ سَلَسَلْنَا عَذَابًا
 صَعْدًا ﴿٢٧﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿٢٨﴾

وأمر

(وأنا لسنا السماء) تحسنا الطريق إليها
 كمادتنا . والمراد : طلبناها (فوجدناها ملتمس
 حرساً شديداً) من اللاتكة ؛ يمنع كل
 من يقرب منها (وشهباً) أى وملتمس نجوماً
 محرقة ؛ تحرق كل من اقرب من السماء .
 وهذا على خلاف العادة : قبل بعثه صلى الله
 تعالى عليه وسلم (وأنا كنا) قبل ذلك (قمعد
 منها) أى قمعد بقرب السماء (مقعد للسمع)
 فسمع بعض ما يدور فيها ، وما يصدر من
 الأوامر ؛ أما الآن (قمن يستمع) أى من
 يحاول الاستماع من السماء (يجد له شهاباً
 رصداً) شهاباً ينتظره بالمرصاد (وأنا منا
 الصالحون) المؤمنون الطائعون (ومنا دون
 ذلك) الكافرون الماصون (كنا طرائق
 قديداً) مناهب متفرقة ، وأديانا مختلفة ،
 وأهواء متباينة (وأنا ظننا) تأكدنا (أن لن
 نعجز الله في الأرض) أى لن قوته ، ولن
 نتجو من عقوبته إذا أراد (وأنا لما سمعنا
 الهدى القرآن) (فلا يخاف بحساً) قصصاً
 من ثوابه (ولا رهقاً) أى ولا يخاف إزعاجاً ،
 ولا ترهقه ذلة (ومنا القاسطون) الكافرون ،
 الجائرون . قسط : جار . وأقسط : عدل

(وألو استقاموا على الطريقة) المثل ؛ ومى الإيمان بالله تعالى (لأسقيناهم ماء غدقا) أى كثيراً من الإغداق .
 والمراد بذلك سمة الرزق ؛ حيث إن الماء سبب للنضوب والرخاء (لنقتنمهم فيه) لنخبرهم : أيشكرون أم
 يكفرون ؟ (يسلكه) يدخله (عذاباً صعداً) شاقاً (وأن المساجد لله) المساجد : موضع السجود (فلا
 تدعوا) لا تبدوا

(وأنه لما قام عبد الله) محمد عليه الصلاة والسلام (يدعوه) أى يدعوه به (كادوا) أى كاد الجن (بكونون عليه لبدأ) جماعات ؛ لاستماع القرآن ، والاتصاف به . أو كاد الشركون يجمعون على تسفيهه والاستهزاء به و«لبدأ» جمع لبدء ؛ وهو ما نلبد بعضه فوق بعض (قل إنى لا أملك لكم) من الله (ضراً ولا رشداً) أى ولا رقماً . (ولن أجد من دونه) غيره (ملتجداً) ملجأ ؛ لأن الملتجذ : اسم الموضع (إلا بلاغاً) أى لا أملك إلا لإبلاغكم ما أوحى لى (حتى إذا راوا ما يوعدون) من العذاب يوم القيامة (فسيعلمون) يومئذ (من) منا (أضعف ناصر أو أقل عدداً) أقل أعواناً من الآخر : نحن أم هم ؟ (قل إنى لا أدرى) ما أدرى (أقرب ما توعدون) به من العذاب (أم يجعل له ربي أمداً) أجلاً .

والأمد لا يطلق إلا على المدة الطويلة (علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً) إلا من ارتضى من رسول) فإنه يظهره على ما شاء من ذلك . والغيب هنا : الوحي ؛ فيظهره عليه ؛ بما يوحى إليه من غيبه . أى لا يطلع على غيبه أحداً ؛ إلا بعض الرسل الذين يرتضيه ؛ فإنه يطلعهم على بعض غيبه الذى يكون متعلقاً برسالاتهم ؛ ليكون معجزة لهم لدى أقوامهم (انظر آية ٤٤ من سورة آل عمران) (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) أى يرسل أمام الرسول الذى يطلعه على الغيب وخلفه حرساً من الملائكة : يحوطونه من كل جانب ؛ يحرسونه من تعرض الشياطين ؛ لئلا يتشبهوا له فى صورة الملك الموحى ، ويحفظونه ؛ حتى يبلغ إليه ، ما أمر بتبليغه إلى الناس ، و«ليعلم» الله تعالى علم ظهور - لأنه تعالى يعلم ما كان ، وما يكون ، وما هو كائن - ويصير هذا العلم حجة على الخلق الذين يتكرون بحجى الرسل إليهم ، وحجى الملائكة إلى الرسل ؛ وهو كقوله تعالى

وَأَنذَرْنَا قَامَ عَبْدَ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿١٦﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿١٧﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَجِدًا ﴿١٨﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أضعفُ ناصراً وَاقلُ عدداً ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبَ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ لِيَجْعَلَ لِرَبِّي أَمْدًا ﴿٢١﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٣﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

«وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب» وهو أعلم بهم قبل خلقهم «ليعلم» (أن قد أبلغوا) أى أبلغ ملائكته إلى رسله (رسالات ربهم) أو ليعلم الرسول أنه قد أبلغ الملائكة رسالات ربهم بلا تحريف ، ولا تغيير . أو ليعلم محمد أن الملائكة «قد أبلغوا رسالات ربهم» لمن تقدمه من الأنبياء ، مثل تبليغهم له (وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً) أى أحاط الله تعالى بما لدى الرسل ، والمرسل إليهم ، والملائكة ، والرصد ؛ وعلم ما يخفون وما يكتمون ا

(سورة المزمل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(بأيها المزمل) المتلف بثيابه ؛ وهو كقوله تعالى «بأيها المدثر» وإنما ناداه تعالى بذلك - تدليلا له - قبل أن يلقى إليه بالأمر الذي يشتم منه رائحة التقصير ؛ وذلك كقوله تعالى «عفا الله عنك لم أذنت لهم» وهو

الجزء التاسع والعشرون

٧١٦

لوم شديد ؛ لو لم يسبق بالتدليل : «عفا الله عنك» لانخس قلب الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ (قم الليل) عابداً ربك ، مضطرباً له ، متبتلاً إليه (إلا قليلاً) من الليل ؛ فاجعله لحاجتك وراحتك ؛ وليكن هذا القليل (نصفه) أى نصف الليل (أو اقص منه قليلاً) أى من ذلك النصف المحمول لراحتك (أو زد عليه) قليلاً أيضاً ؛ وبذلك يكون المطلوب من سيد الخلق ؛ ألا يزيد القيام عن الثلثين ، ولا ينقص عن الثلث (ورتل القرآن) أى اقرأه بتؤدة وتمهل ، وتبين ، وتفهم . وقد زعم بعض القراء - أنابهم الله تعالى - أن معنى ذلك ما يتبعونه من غنى بلغ مبلغ طين الدباب ، ومد تجاوز حد الصواب ، وتسهيل بلغ حد الثقل ، وسكنات فيها كثير من الهنات ؛ إلى غير ذلك من إذغام واشمام ، وإخفاء واستعلاء ، وإمالة وإشالة . وقد ردنا على هذه المزاعم في كتابنا «الفرقان» (إنا سنلقى) سنزل (عليك قولاً قليلاً) هو القرآن الكريم ؛ لما فيه من الأوامر والنواهي ؛ التي هي - في نفسها - تكاليف شاقة ؛ ثقيلة على المكلفين . أو «قولاً قليلاً» على الكافرين . أو المراد : إنه كلام موزون راجح ؛ ليس بالسفاسف ، ولا بالهذر ، ولا بالالتو (إن ناشئة الليل) قيامه للعبادة ، وقراءة القرآن فيه (هي أشد

(٧٣) سُورَةُ الْمَزْمَلِ مَكْتَبَةٌ

إِلَّا آيَاتِ ١٠ وَ ١١ وَ ٢٠ فَدُسْتُهَا
وَأَيُّهَا ٢٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْقَامِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ① قِمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نِصْفَهُ
أَوْ أَنْقِصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِلِ الْقُرْآنَ
تَرْتِيلًا ④ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤ إِنَّ نَاشِئَةَ
الْأَيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑥ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ
سَبْعًا طَوِيلًا ⑦ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ
تَتَيَقَّلًا ⑧ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَاتَّخِذْهُ وَجَدًا ⑨ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَجْرُهُمْ جَهَنَّمُ
جَمِيلًا ⑩ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ
قَلِيلًا ⑪ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ⑫ وَطَعَامًا ذَا

غَضَّةٍ

وطأ) أى أعظم أثراً ، وأجزل قمأ ؛ لحضور الذهن ، وموافقة السمع للقلب . أو إنها أثقل على المصلئ من صلاة النهار . وما بعده يؤيد المعنى الأول (وأقوم قِيلاً) أى أسد مقالا ، وأثبت قراءة ؛ لهدوء الأصوات ، وانقطاع الحركات (إن لك في النهار سبعا طويلا) تصرفا لماشك ، وقلبا في مهانتك ؛ فلا تستطيع أن تتصرف للعبادة تفرغا تاما كما سبلا ؛ فليكن بها بالليل (وتبتل إليه تبتيلا) أى انقطع لى عبادته ، ولا يشغل قلبك سواه ؛ فإذا ما عملت عملا ظاهره طلب الدنيا ؛ فليكن باطنه مرضات الرب سبحانه ، والتقرب إليه ؛ والتبتل ؛ رفض الدنيا ، والتماس الآخرة . وقد كان الحبيب المحبوب صلوات الله تعالى وسلامه عليه لا يعمل عملا دنيويا إلا كان مقصده منه إرضاء مولاه ، والتبتل إليه ، وطلب الزنى منه . وقد كان صلى الله تعالى =

عليه وسلم يدخل ضمن العبادات ما يتخذها الناس للعدلات والشهوات (انظر بحث تعدد الزوجات بأخر الكتاب) (واصبر على ما يقولون) في إذابتهم وسبهم لك ، وطعنهم في دينك (واجرهم مجراً جليلاً) المهجور الجليل : هو المفارقة لإرضاء الله تعالى ، واجتناباً لما يفضيه . وذلك كقوله تعالى «وإذا رأيت الدين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره» (وذرتي والمكذبين) أى دعنى ولايام ؛ فإني أكفيكم . والمراد بالمكذبين : رؤساء قريش وصناديدهم (أولى النعمة) أصحاب النفي والترفة والتنعيم (ومهلهم قليلاً) في هذه الدنيا ؛ وسيلقون

جزاءهم كاملاً من العذاب في الآخرة (لن لدينا أنكلاً) قيوداً ؛ واحدهما : نكل ؛ وهو القيد الثقيل (وطعاماً) في الجحيم ؛ من الزقوم (ذا غصة) ينشب في الحلق ؛ فلا يكاد يساغ (يوم ترجف الأرض) أى تتحرك حركة شديدة، وتزلزل (وكانت الجبال) أى صارت (كثيباً مهيباً) رملاً منتشراً (فأخذناه أخذاً ويلاً) عذبناه عذاباً شديداً وخيباً (يوماً يجعل ولدان شيباً) من هولاء وحشده ؛ وهو يوم القيامة (السماء منفطر به) أى إن السماء - على عظمتها - تنشق وتتصدع بيوم القيامة ؛ فإظنك بغيرها من الخلائق الذين هم دونها في الخلق «أأنتم أشد خلقاً أم السماء» (إن هذه الآيات المخوفة (تذكرة) عبرة وعظة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) طريقاً يوصله إليه تعالى ؛ وهو الإيمان (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى) أقل (من ثلثي الليل و) تقوم (نصفه وثلثه وطاقفة) أى جماعة يقومون أيضاً (من الذين معك) من خيرة المؤمنين (والله يقدر الليل والنهار) بالأوقات والساعات؛ وقد جعل تعالى بعضها للعمل ، وبعضها للعبادة، وبعضها للنوم والراحة (علم أنن تحصوه) أى لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير إلا بشدة ومشقة (فتاب عليكم) بالتخفيف عنكم ، وإسقاط فرض قيام

غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧١﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً ﴿٧٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ
رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿٧٣﴾
فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيسًا ﴿٧٤﴾
فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿٧٥﴾
السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۗ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿٧٦﴾ إِن هَٰذِهِ
تَذَكُّرَةٌ ۖ فَمِنْ شَاءِ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٧٧﴾ * وَإِنَّ رَبَّكَ
يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ
وَطَائِفَةٌ مِّنَ اللَّيْلِ مَعَكَ ۗ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
عَلِمَ أَنَّن مَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ ۖ فَاقْرَأْهُ وَأَمَّا تَيَسَّرَ مِنْ
الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ ۖ وَءَاخِرُونَ
يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَءَاخِرُونَ
يُقْتَبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَأْهُ وَأَمَّا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا

الليل . وترى الكثير من أجهم الله تعالى وأحبه ، وعرفهم بنفسه فعرفوه ، وهداهم إلى بابه فولجوه : يرون قيام الليل فرضاً واجباً ، والتبتل إليه تعالى ضرباً لازماً ؛ فإذا جن عليهم الليل : بان وجدهم ، واشتد شفقهم ، وسالت أدمعهم ، ونشطت للعبادة أعضاؤهم ؛ فترام في الله خاشعين باكين ، وله راكعين ساجدين ! وما ذاك إلا لعناية الله تعالى بهم ، وحبه لهم ! والله در الإمام البوصيرى حيث يقول :

وإذا حلت العناية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

أحلنا الله تعالى دار عنايته ، وألبسنا ثوب هدايته ، وأفاض علينا من رعايته ! (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) ما سهلت عليكم معرفته ، وهان عليكم حفظه ؛ في صلاتكم بالليل (علم أن سيجون منكم مرضى) =

لا يطيقون قيام الليل (وآخرون يضربون في الأرض) يسافرون (يبتغون من فضل الله) يطلبون رزقه ؛ فلا يستطيعون حال سفرهم ، قيام ليالهم (وآخرون) منكم (يقاتلون في سبيل الله) فهل يقومون ليالهم ؛ ويتركون أعداءهم ؟ والقتال في سبيله تعالى خير من قيام الليل وصيام النهار ؛ لأنه من أفضل العبادات ، وأجل الثمرات ! (وأقرضوا الله) أفضقوا مما رزقكم (انظر آية ٢٤٥ من سورة البقرة) (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً) يجب لمن يقرأ هذه الآية ويبخل على الله ، بما آتاه

الجزء التاسع والعشرون

٧١٨

الله ! فاحذر - هديت وكفت - طاقبة البخل اللقيت ؛ فماقتبه في الدنيا الفقر وقد أغناك الله وكفاك ، وماقتبه في الآخرة القل والحرماني

ومن ينفق الساعات في جمع ماله

مخافة فقر ؛ فالذي فعل الفقر !

(سورة المدثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المدثر) التلطف في ثيابه . قيل : إنها أول سورة أنزلت على الرسول : رأى الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه - في أول الأمر - جبريل عليه الصلاة والسلام على هيأته وصورته التي خلقه الله تعالى عليها : فرعب رعباً شديداً ، وذهب إلى أم المؤمنين خديجة رضى الله تعالى عنها . وقال : ذروني ، ذروني ؛ فدفترته خديجة . فنزلت : «يا أيها المدثر» (ثم فأنذر) ثم من نومك فغدر لومك من عذاب الله تعالى (انظر آية ١ من سورة الزمل) (وربك فكبير) أى فظم ؛ وقد يحمل الأمر على تكبير الصلاة (وثيابك فطهر) أى طهر ذاتك وهتك بما يستقرن من الأفعال . يقال : فلان طاهر الثياب ؛ إذا كان تقياً من الغائب ، سالماً من النقامس . أو ثيابك فقصر : لتطهر من عادة الكبر ؛ كشأت

الصلوة وآتوا الزكوة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴿٧٤﴾

(٧٤) سُبْحَانَ الْمَدْثَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ٥٦ نزلت بعد المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾
وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمُنْ
بِتَسْكِينِ رَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٦﴾ فَإِذَا نَفَرْنَا فَنَاقُرْ ﴿٧﴾
فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمَ عَسِيرٍ ﴿٨﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ ﴿٩﴾ ذَرْبِي وَمَنْ حَلَقْتَ وَحِيدًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْتَ لَهُ مَالًا
مَمْدُودًا ﴿١١﴾ وَبَيْنَ يَدَيْهِ تُهْودًا ﴿١٢﴾ وَمَهَّدْتَ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٣﴾

سادات العرب وكبرائتها - في الجاهلية - من جراتياب كبرا ويطرا . أو المراد ظاهر اللفظ : فطهرها بالماء من النجاسات (والرجز) القدر ، أو أريد به الأصنام «والرجز» والرجس : كل مستقرن يجر إلى العذاب والعقاب (ولاتمنن تستكثر) أى لا تعط رغبة في رد ما تطهيه مضاعفاً . وهو أمر مشاهد في زمننا الحاضر ؛ فكيف قد رأينا من يهدى البيضاء منتظراً للدجاجة ، ومن يهدى الدجاجة منتظراً للشاة ، ومن يعطى رغبة في الذكر والنساء العريضة . وقد يكون المعنى : لا تعط العطاء وتستكثره (انظر آية ٣٩ من سورة الروم) (ولربك فاصبر) أى لوجه الله تعالى اصبر على أداءه الفرائض ، وعلى أذى المشركين وكيدهم لك (فإذا قر في الناقور) فتح في الصور (فذلك يومئذ يوم عسير) شديد (على الكافرين) بك ، العاتدين لك =

= (غير يسير) لما بنتاهم فيه من العذب القائم ، يتلوه العذاب الدائم ا (ذرفى ومن خلقت وجيداً) أى دعه لى وحدى فإنى أكفيك ، وأنتقم لك منه ؛ وهو الوليد بن المغيرة . أو ذرفى ومن خلقتى وحدى بلامين ؛ فلا أحتاج لى معين فى إهلاكه ، أو ذرفى ومن خلقتى وحيداً ؛ بلا مال ، ولا ولد (وجعلت له مالا ممدوداً) كثيراً وفيراً (وبين شهوداً) حضوراً معه - يتمتع بقربهن ومشاهدتهن ، ويتمتعون بقربه ومشاهدته - وذلك لاستغنائاه واستغنائهم عن التجارة ومشاق السفر (ومهدت له تمهيداً) أى بسطت له الجاه والرياسة

(ثم يطعم) بعد كفره ومزيد لإيماننا عليه (أن أزيد) أى يرجو أن أزيد فى ماله وولده ؛ من غير شكر لما تقدم من إيماننا (كلا) لن أزيد ، ولن أجمع له بين الكفر والمزيد من النعم (إنه كان لآياتنا عنيداً) أى كان للقرآن جاحداً معانداً (سأرهقه صعوداً) الإرهاق ؛ حل مالا يطاق . أى سأجعل له مكان ما يطعم فيه من الزيادة عقبة شاقة الصمد . وهو مثل لما يلقى من العذاب الصب الأليم (إنه فكر وقدر) أى فكر فى تكذيب القرآن ومثله وقدر ما يقوله من الإفك ، ونسبة الرسول عليه الصلاة والسلام للسرور والجنون (فقتل) لمن وطرد من رحمة الله تعالى (كيف قدر) تعجب من تديبه وتقديره ؛ حيث بلغ غاية الكفر ؛ وهو تكذيب الرسول ، والظعن فيها جاء به (ثم قتل كيف قدر) تكراراً لتأكيد لعنه (ثم نظر) تفكر فى أمر القرآن (ثم عيس وبسر) قطب وجهه ، وزاد فى التقيض والكلوخ (ثم أذبر) عن الحق والإيمان (واستكبر) عن اتباع النبي صلى الله على هذا) ما هذا (إلا سحر يؤثر) يروى عن السحرة (إن هذا) ما هذا القرآن (إلا قول البئس) فاهمه ، أو تعلقه بمن قاله . قال تعالى رداً على قوله وكفره (سأصليه) سأدخله

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿٥٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿٥٦﴾
سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا ﴿٥٧﴾ إِنَّهُ فُكِّرَ وَقَدَّرَ ﴿٥٨﴾ فَنَقُلْ كَيْفَ
قَدَّرَ ﴿٥٩﴾ ثُمَّ قُلْ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٦٠﴾ ثُمَّ نَنْظُرْ ﴿٦١﴾ ثُمَّ عَيْسَ
وَبَسْرَ ﴿٦٢﴾ ثُمَّ أَذْبُرْ وَاسْتَكْبِرْ ﴿٦٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا
مِحْرَبٌ يُؤْثَرُ ﴿٦٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٦٥﴾ سَأَصْلِيهِ
سُقْرَ ﴿٦٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سُقْرٌ ﴿٦٧﴾ لَا نَنْبِيَّ وَلَا نَذْرَ ﴿٦٨﴾
لَوْ آتَاكَ اللَّبَشِيرُ ﴿٦٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٧٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا
أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ
الَّذِينَ آمَنُوا إِيْمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ
مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَـ

(سقر) هو علم لجهنم (وما أدراك ما سقر) تهويل لشأنها (لانتبي ولا نذر) لاتدع شيئاً أتى فيها إلا أحرقتة (لواحة للبشر) البشر ؛ جمع بشرة ؛ وهى ظاهر جلد الإنسان . أى محرقة للجلود ، مسودة لها . والمراد بذلك تبين أنها لتهلكهم فيستريحوا ا (عليها تسعة عشر) ملكا ؛ يلون أمرها (وما جعلنا أصحاب النار) خزنتها (إلا ملائكة) لأنهم فى قوام واستعدادهم خلاف البشر و«لا يمشون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» وقد أمرهم المنتقم الجبار بالأناخذهم راقفة ، ولا رحمة بين عصى الله تعالى (وما جعلنا عدتهم) بتسعة عشر (إلا فتنة) أى ابتلاء واختباراً (انظر آية ١ من سورة الفاتحة) (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى ؛ لأن هذا العدد موجود فى كتبهم «إن هذا لى الصحف الأولى ، صحف =

لإبراهيم وموسى (ولا يرتاب) لا يشك (ويقول الذين في قلوبهم مرض) شك؛ وهم المنافقون (ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى أى شيء أراد الله بهذا العدد؟ (وما يعلم جنود ربك) وعددهم، ومبلغ قوتهم (وما هي) أى وما جهنم وذكرها ووصفها (إلا ذكرى للبشر) عبرة وعظة (كلا والقمر) أقسم تعالى بالقمر؛ لما فيه من النفع العظيم. فيه تتضح المزروعات، وبه يحدث المد والجزر في البحار؛ وبهذا المد والجزر - الذى يحدث كل يوم وليلة - تنفخ الأرض؛ لأن المياه للأرض كالرئة، والهواء كالنفس؛ فإذا ما حدث

الجزء التاسع والعشرون

٧٢٠

الجزر - وهو انحصار الماء عن شواطئ البحار، وارتفاعه في وسطها - كان ذلك بمثابة الزفير. وإذا حصل المد - وهو رجعة المياه إلى الشواطئ، وعودتها إلى مستواها السابق - كان ذلك بمثابة الشهيق؛ وبذلك يتم في الكون والكائنات ما أراد الله لها مبدعها؛ من نمو، ونضج، ومعيشة؛ «صنع الله الذى أتقن كل شيء» (والليل إذ أدر، والصبح إذا أسفر) أى أضاء. أقسم تعالى أيضاً بادبار الليل، وإسفار الصبح؛ لأن فيهما وقت صلاة الفجر؛ وفي هذا الوقت ما فيه من التجليات؛ قال تعالى «إن قرآن الفجر كان منهوذاً» (إنها لإحدى الكبرى) أى إن سقر لأحدى البلايا والدوامى الكبيرة (لمن شاء منكم أن يتقدم) لفعل الخير (أو يتأخر) عنه (كل نفس بما كسبت) من شر (رهينة) أى كل نفس مذنبه مرهونة بذنباها؛ فلا يفك رهنها حتى تؤدى ما عليها من العقوبات. ومنها ما يحبس في النار أبداً الأبدن، ودهر الداهرين (إلا أصحاب اليمين) إلا المسلمين؛ الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون؛ فإنهم (في جنات ينساءلون) فيها بينهم (عن المحرمين) فائلين لهم (ما سلككم في سقر) ما الذى أدخلكم فيها، وجعلكم من سكانها؟ (قالوا) لأنا (لم نك من المصلين) أى لم نك في زمرة المؤمنين بربهم، المصلين له (ولم نك

لَا ذِكْرَ لِّلْبَشَرِ ۗ كَلَّا وَالْقَمَرَ ۗ وَآتَلِي بِإِذْأَبْرٍ ۗ
وَالصَّبْحِ إِذَا اسْفَرَّ ۗ إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبْرَى ۗ نَذِيرًا
لِّلْبَشَرِ ۗ لِمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَتَّقِدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۗ كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۗ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۗ
فِي جَنَّاتٍ يَنسَاؤُنَّ ۗ عَنِ الْمَحْرَمِينَ ۗ مَأْسَلَكِكُمْ
فِي سَفَرٍ ۗ قَالُوا لَرَنكُ مِنَ الْمَصْلِينَ ۗ وَلَرَنكُ نَظِيمٌ
الْمَسْكِينِ ۗ وَكَأَن تَحُوضُ مَعَ انْحَائِيضِينَ ۗ وَكَأَن نَكْذِبُ
يَوْمَ الْيَوْمِ الَّذِينَ ۗ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ۗ فَمَا تَتَفَعَّلُهُ
الشَّافِعِينَ ۗ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ۗ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ
مُسْتَنْفِرَةٌ ۗ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۗ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ
مِّنْهُم أَن يُؤْتَىٰ حِفْظًا مِّنْشَرَةٍ ۗ كَلَّا بَلْ لَّيَجْحَفُونَ الْآخِرَةَ ۗ
كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۗ فَمَن شَاءَ ذَكَّرْهُ ۗ وَمَا يَدْرُونَ
إِلَّا أَن بِنَاءَ اللَّهِ هُوَ أَهْلُ النَّفْقِ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۗ

سورة

نظم المسكين) كما كانوا يطعمون (وكنا نحوض) في الباطل (وكنا نكذب بيوم الدين) يوم الجزاء؛ وهو يوم القيامة (حتى أتانا اليقين) الموت، أو القيامة التي كنا نكذب بها (فألم عن التذكرة) عن تذكرة الله تعالى لهم بهذا القرآن (مرضين) لا يستمعون لها؛ فيتعظون بها. وهم في أمراضهم وتوليهم وانصرافهم عن الحق (كأنهم حمر مستنفرة) وهي الحمر الوحشية، الغير الساتنة؛ التي تجمح وتفر (فرت) من قسورة) أى فرت من الأسد، أو فرت من الرأى للسهام. وقد كانوا يسمونه «قسورة» أو هو القافس. شبه تعالى انصرافهم عن الإيمان، وإدبارهم عن الهدى؛ بالمر المستنفرة؛ إذا رأيت أسداً مفترساً، أو صائداً مقتصاً (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى حيفاً منشرة) أى يريد كل واحد منهم أن يكون =

= نيبا ، ويؤتى صحفاً تنشر وتقرأ على الناس ؛ كصحف الأنبياء . أو يريد كل واحد منهم أن ينزل له كتاباً خاصاً ؛ يراه نازلاً من السماء باسمه (كلا) لن يكون ما يريدون (إنه تذكرة) أى إن القرآن تذكرة بليغة كافية للجميع (فن شاء ذكره) أى من شاء : ذكر القرآن واتمظ به (وما يذكرون) هذا القرآن ، ويتعظون بما فيه (إلا أن يشاء الله) ذلك التذكر ، وهذا الاتماظ . ولن يشاء الله ذلك : إلا إذا التزم الإنسان طاعته ، واجتنب عصيانه ، واتقاه حق تقاته (هو) جل شأنه (أهل التقوى) أهل لأن يتقى ؛ لأنه القوى الجليل ! (وأهل المغفرة) أهل لأن يفر لمن أطاعه واتقاه ؛ لأنه الغفور البر الرحيم !

(سورة القيامة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بيوم القيامة) أى أقسم به . والقسم به: تعظيم لشأنه ، وتأكيد لحجته (ولا أقسم بالنفس اللوامة) أى وأقسم بالنفس التي تلوم صاحبها على عصيانه ، وعلى تقصيره في جنب الله تعالى ؛ وتستغفره بعد ذلك ، وتتوب إليه ، وتنبئ له ! (أيحسب الإنسان) أيظن الكافر (أن نجمع عظامه) بعد تفتتها وفرقتها (بلى قادرين) على جمعها ، و(على أن نسوي بنانه) أى نعيد أصابعه كما كانت في الدنيا . والبنان : أطراف الأصابع ، أو مرمى الأصابع نفسها . وقد ذكرها الله تعالى ؛ لما فيها من دقة الصنع ، وغرابة الوضع . وذلك لأن المخطوط ، والتجاويف الدقيقة التي في باطن أطراف أصابع إنسان : لا تماثلها خطوط أخرى في أصابع إنسان آخر على وجه الأرض . وهي دقة لا تصورها العقل ، ولا يحيط بكنهها اللب ؛ ولذلك يعتمدون على طابع الأصابع في تحقيق الشخصية في سائر أنحاء العالم (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) أى ليدوم على مجوره

(٧٥) سُورَةُ الْقِيَامَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ٤٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْقَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۝
أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَلِيلًا ۝
عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ
أَمَامَهُ ۝ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ فَإِذَا بَرِقَ
الْبَصُرُ ۝ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ ۝ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْعَرُ ۝
كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝
يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝ بَلَىٰ
الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ ۝

فيما بقي أمامه من الزمن ؛ لأن الفجر: الانبعاث في المعاصي . أو المعنى «ليفجر أمامه» من التفجير ؛ أى لينبث وينقب فيما أمامه من المنيبات التي لم يحيط علمه بها ، ولا ضرورة تلجئه إلى مجتها ؛ ويؤيده ما بسده (يسأل أيان يوم القيامة) أى يسأل منكراً معتننا : متى يوم القيامة ؟ (فإذا برق البصر) تحير فزعاً ورجباً ؛ وذلك يكون يوم القيامة (وخسف القمر) ذهب ضوؤه (وجمع الشمس والقمر) أى طلما في مكان واحد . وشأنهما ألا يجتمعا - أو جمع بينهما في الحسف وذهاب الضوء (يقول الإنسان) الكافر (يومئذ أين المفعر) من هذا العذاب (كلا) ردد عن طلب الفرار . أى لا فرار من عذاب الله تعالى ، ولا ملجأ منه إلا إليه (لاوزر) لا ملجأ ، ولا منجأ ، ولا حصن (إلى ربك يومئذ المستقر) مستقر سائر الخلائق ؛ فيحاسبون ويمجازون =

== (بنياً الإنسان) أى يجازى (يومئذ بما قدم) فى الدنيا من عمل: خير أو شر (و) ما (آخر) من هذه الأعمال بعد موته . ذلك لأنه يستن بمن مات - فى الحسنات والسيئات - فيثاب بأجر من عمل بحسناته ، ويجازى بقوة من تبعه فى سيئاته . قال صلوات الله تعالى وسلامه عليه «من سن سنة حسنة : فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» ، ومن سن سنة سيئة: فعليه لعنة الله وألم من عمل بها إلى يوم القيامة» فذلك معنى قوله تعالى «وأخر» أو «بما قدم» من المصيبة «وأخر» من الطاعة . أو يحاسب «بما قدم» من خير

الجزء التاسع والعشرون

٧٢٢

أوشر «وما آخر» منهما ؛ فيعاقب على ما قدم من شر ، وآخر من خير ، ويثاب على ما قدم من خير ، وآخر من شر (بل الإنسان) أى أعضاؤه وجوارحه التى تتكون منها نفسه (على نفسه) على ذاته (بصيرة) مبصرة لما يعمل ويرتكب فى الدنيا ؛ فتكون شاهدة عليه يوم القيامة . أو «بصيرة» بمعنى حجة . أى هو بنفسه على نفسه حجة . وقد جاء فى القرآن الكريم المحجة بمعنى البصيرة ؛ فى غير موضع : قال تعالى «قد جاءكم بصائر من ربكم» «هذا بصائر للناس وهدى ورحمة» (ولو ألقى معاذيره) أى ولو بسط يوم القيامة أعذاره ، وحاول التخلص من ذنوبه ، والتبرؤ منها (لا تحرك به) أى بالقرآن (لسانك لتجلبه) أى لتجلب بقرائه . وقد كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يأخذ فى قراءة القرآن قبل فراغ جبريل منه ؛ خشية أن يثيب عن ذهنه منه شيء (إن علينا جمعه) فى صدرك (وقرأه) وإثبات قراءته على لسانك (فإذا قرأناه) أى قرأه عليك جبريل بأمرنا (ثم إن علينا بيانه) أى يبان ما أشكل عليك فهمه (كلا بل نحون المأجلة) الدنيا ؛ لتاعها الزائل، وزخرفها الباطل (وتترونها) تتركونها وراء ظهوركم (الآخرة) فلا تعملون لها (وجوه يومئذ ناضرة) هى وجوه المؤمنين ؛

لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ١١٠ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
 وَقُرْآنَهُ ١١١ فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ١١٢ ثُمَّ إِنَّ
 عَلَيْنَا لِيَسَّرَهُ ١١٣ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ١١٤
 وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ١١٥ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ١١٦ إِلَّا رِبًّا
 نَاطِرَةٌ ١١٧ وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ١١٨ تَفَٰنٌ أَتٍ
 يَفْعَلُ بِهَا فَاغْرَةٌ ١١٩ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ١٢٠
 وَقِيلَ لَهَا رَاقٍ ١٢١ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ١٢٢ وَالنَّفْسُ
 السَّائِقُ بِالسَّاقِ ١٢٣ إِلَّا رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ١٢٤
 فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ١٢٥ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَتَلَ ١٢٦
 ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ١٢٧ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ١٢٨
 ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ١٢٩ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ
 سُدًى ١٣٠ أَلَيْكَ تَفْعَلُ مَن مَّنَّوْ بِمَنَّىٰ ١٣١ ثُمَّ كَانَ
 عَقَبَةُ خَلَقَ قَسْوَىٰ ١٣٢ بَلْجَعَلْنَا مِنَ الْزَّوْجَيْنِ

الذكر

تكون يومئذ حسنة مضيئة ؛ لأنهم كرهوا الدنيا وابعوها ، وأتقوا ما اتفق الأكثرون على حفظه والحرس عليه ، وأحبوا الآخرة ، وعملوا لها (إلى ربها ناظرة) بلا كيفية ، ولا جهة . وقال جار الله الزمخشري : «ناظرة» أى منتظرة ثواب ربها . وهو قول وجيه من حيث تنزيهه تعالى عن رؤية المخلوقين «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» (ووجوه يومئذ باسرة) كالحة ، شديدة العوس (فاغرة) داهية عظيمة ، تقصم فقار الظهر (كلا) رجع عن إثبات الدنيا على الآخرة (إذا بلغت التراقي) أى إذا بلغت الروح التراقي ؛ وهى العظام المكتنفة لثقرة النحر ؛ وهو كقوله تعالى «فلولا إذا بلغت الحلقوم» (وقيل من راق) أى تقول الملائكة : أياكم يرقى بروحه ؛ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؛ أو قال أهله : من يرقبه ليشفيه ؟ =

= أو هل من طيب ينجيهِ ؟ (وظن أنه الفراق) أى يقين المحتضر أن هذا هو فراق الدنيا (والضقت الساق بالساق) هو مثل للوف الشدة أقصاها ، والكربة مداها أى والتقى آخر يوم من الدنيا - وفيه مافيه من آلام المرض ، وسكرات الموت - بأول يوم من الآخرة - وفيه مافيه من عذاب القبر وأهواله - وهذا مثل للكافر غيب ؛ بدليل قوله تعالى (فلا صدق) بالقرآن (ولاصلى) للرحمن (ثم ذهب إلى أهله) رغم كفره وتكذيبه (يتعطى) يتبختر كبراً وعجباً (أول لك فأول) أى ويل لك ، فويل لك ! أو هو خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ بمعنى :

أنت أولى بالتيه والتبخر - إذا جاز ذلك - حيث إنك رأس النبيين ، وإمام المتقين (يحسب الإنسان أن يترك سدى) أى لا يبعث ، ولا يحاسب (ألم يك نطفة من مني يعنى) أى ألم تخلقه ابتداءً : من مني خلقناه في صلب أبيه وتراتب أمه (ثم كانت علقة) ومي واحدة الحيوانات النوية ؛ التي يتخلق منها الإنسان ، بصنع الرحمن ! (تخلق فسوى) أى خلقه الله تعالى فسواه (انظر آية ٢١ من سورة الذاريات) (جعل منه) أى من الإنسان ، وأومن العلق ، أو من المني (الزوجين) الصنفين (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) أى أليس الفعال لهذه الأشياء ، الخالق لها ؛ بقادر على إعادتها بعد فناءها ، وإحيائها بعد موتها ؟ !

(سورة الإنساق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتى على الإنسان حين من الدهر)

أى قد مضى على الإنسان حين من الدهر .
و«هل» تجيى بمعنى : قد ، وبل ، وأم .
والمراد من الحين : هو مدة لبثه في بطن أمه
أو في صلب أبيه . أو أريد بالإنسان : آدم

عليه السلام . والحين : الزمن السابق على خلقه وإجماده (من نطفة) منى (أمشاج) أخلاط . أى من نطفة الرجل مخلوطة بنطفة المرأة . ومشج بينهما : أى خلط (نبتليه) نخثره بالتكاليف (جعلناه) استعداداً لهذه التكاليف ، وتهيشة له لفهمها وقبولها (سمياً) يسبح فيزجر (بصيراً) يبصر فيعتبرا وبعد استماعه واعتباره ؛ ابتليناه بالتكاليف ؛ بعد أن أبنا له الطريقين «وهديناه للتجدين» وأوحنا له السبل (لنا هديناه السبل) بيننا له طريق الهدى ؛ بأدلة العقل ، والسمع ، والبصر «جعلناه سمياً بصيراً» يختار بنفسه طريقه ؛ الذي يحدد به مستقبله ومصيره ؛ فهو (لما شاكراً) لربه ، مؤمناً به ؛ فيكون من أهل الجنة (ولما كفوراً) بنعمائه ، منكرراً لوجوده ؛ فيكون من أهل النار! وقد اختار بقله ؛ ما ارتضاه لنفسه! (لنا أعتدنا) =

الذَكَرَ وَالْأُنثَى ۝ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ
يُحْيِيَ الْمَوْتَى ۝

(٧٦) سُورَةُ الْإِنْسَانِ مَا تَبَيَّنَتْ
وَأَنبَأَهَا ٣١ نَزَلَتْ بِعَدْلِ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا
مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ
بِعَمَلِهِ سَمِيمًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا
وَأِمَّا كَفُورًا ۝ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَاقًا
وَسَعِيرًا ۝ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَيُسْرُونَ ۝ مَن لَّا يَمَسَّهَا
فَالْكَافِرُونَ ۝ عَيْنًا يَتَمُرَّبُ بِهَا عَبَادُ اللَّهِ بِفَعْرِ وَتَهَا
تَفْعِيرًا ۝ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ

== أعددنا وهياتنا (إن الأبرار) جمع بر ، أو بار ؛ وهم الصادقون في الإيمان (يسمرون) في الجنة (من كأس) لاسمى الكأس كأساً : لا وفيها الشراب ، ولا في كؤوب (كان مزاجها) ما تخرج به (كافوراً) ليس المراد بالكافور : الكافور المعلوم . بل أريد المبالغة في طيب ما يمزج به الخمر ؛ ولأن الكافور : كان عند العرب من أطيب الطيب (عينا يشرب بها عباد الله) أي عينا في الجنة ، طيبة الرائحة «يشرب بها عباد الله» الخمر . أو المراد بالعين نفس الخمر . ويكون معنى : «يشرب بها» أي منها . وقد جاء في اللغة : يشرب بها ، أي يشرب منها . قال جميل :

الجزء التاسع والعشرون

٧٢٤

شرب الزئيف يبرد ماء المخرج

أى من برد ماء المخرج . والزئيف : الذى عطش حتى جف لسانه ، ويست عروقه (يفجرونها) يبرونها حيث شاءوا ؛ وذلك النعم لأنهم كانوا في حياتهم الدنيا (يوفون بالنذر ويحافون يوماً كان شره مستطيراً) طويلاً ، فاشياً ، ممتداً . كان سائلاً سأل : بم استوجبوا هذا النعم ؟ فأجيب : جزاء وفأهم بالنذر ، وخوفهم يوم الحساب ، وإطعامهم الطعام ! (ويطمعون الطعام على جبه) أى رغم جبههم للطعام ، وميلهم إليه ، وحاجتهم له . أو «على جبه» : في سبيل جبه تعالى ، والتقرب إليه (انظر آية ٣٢ من سورة الزخرف) قائلين لمن يطمعونهم (إنما نطمعكم لوجه الله) أى ابتغاء مرضاته ، وطلب ثوابه لم يقولوا ذلك وإنما علمه الله تعالى من ضمائرهم وسرائرهم ؛ فأثني عليهم به (يوماً عبوساً قطيراً) القمطير : الشديد العبوس . وصف تعالى اليوم بصفة أهله من الأشقياء (فوقام الله) بسبب ما قدموه (شر ذلك اليوم) العبوس القمطير (ولقام نضرة) حسناً ، وجمالاً ، وبهجة ، وإضاءة (وسروراً) بملأ وجوههم وقلوبهم (على الأرائك) الأسرة (لا يرون فيها شمساً ولا زمهراً) أى لا حراً

مُسْتَطِيرًا ❶ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْبِهِ مِسْكِينًا
وَيُنَبِّئُهَا وَأَسِيرًا ❷ إِنَّمَا نَطْمَعُكُمْ لِرُوحِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ
مِنْكُمْ جِزَاءً وَلَا شُكْرًا ❸ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا
يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ❹ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ
وَلَقَدْ نَهَى نَضْرَةً وَسُرُورًا ❺ وَجَزَنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا
جَنَّةً وَحَرِيرًا ❻ مُشْكِبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ
فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ❼ وَذَائِبَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا
وَذُلَّتْ قَطُوفُهَا تَذَلِيلًا ❽ وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِغَابِيَةٍ
مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ❾ قَوَارِيرًا مِنْ
فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ❿ وَسُقُوفَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ
مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ⓫ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ⓬
* وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ
لُؤْلُؤًا مَنثورًا ⓭ وَإِذَا رَأَيْتُ ثُمَّ رَأَيْتُ نَعِيمًا وَمُلْكًا

كبيراً

ولا برداً (وذلك قطوفها) أدنيت ، وسهل تناولها ؛ لأنها ليست كقطوف الدنيا : بعيدة المنال ، لا تتال إلا بالاختيال (قوارير من فضة) أى هي جامعة بين صفاء الزجاج ، وبياس الفضة وحسناً (قدروها تقديراً) هو مبالغة في وصف الآنية وقاسمتها . أى إنها مقدره ذات قدر كبير ، وقيمة عظيمة (كان مزاجها زنجيبلاً) أى ما تخرج به كالزنجبيل ؛ في جليل فوائده ، وطيب نكته . وقد كانت العرب تستلذه ، ولا ترى أطيب منه (عيناً فيها تسمى سلسيلاً) أى هذا الزنجبيل عيناً في الجنة «تسمى سلسيلاً» لسلاسة انحدارها في الحلق ، وسهولة مساقها ؛ وهذا عكس زنجبيل الدنيا ؛ فإنه حريف لاذع (ويطوف عليهم ولدان) غلمان للخدمة (مخلدون) لا يموتون (حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) لصفاء ألوانهم ، وفرط جمالهم (وإذا رأيت ثم) =

«م» و«ة» : بمعنى هناك . أى إذا رأيت هناك فى الجنة (رأيت نعماً) عظيماً ؛ لا يحاكيه نعم (وملكاً كبيراً) لا يدهانه ملك (عليهم ثياب سندس) وهو ما رق من الديباج ؛ أى يملو أهل الجنة «ثياب سندس» بمعنى أنهم يلبسونه (وإستبرق) ما غلظ من الديباج (وحلوا أساور من فضة) وفى مكان آخر من القرآن الكريم «من ذهب» فلم أنه سيجمع بين اللتين فى التحلية . أو أريد أن يجمع بين نفاثة الذهب ، وصفاء الفضة وبياضها . ألا ترون لى الذهب الأبيض ؛ وقد علا وغلا عن الذهب الأحمر والأصفر ؟

ولى معدن البلاتين ؛ وقد امتاز عن الذهب بالصفاء ، والفلاء ؛ فقد يبلغ ثلاثة أضعاف الذهب فى الثمن والقدر ؛ مع امتيازه ببياض الفضة (وكان سعيكم مشكوراً) مقبولاً ، مرضياً ، محموداً (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً) البكرة : ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس ، والأصيل ما بين الظهر والمصر . والمراد بترك : المتابعة على ذكره تعالى وتذكره فى كل الأوقات ا وأريد بالذكر : الصلاة . فالبكرة : صلاة الصبح ، والأصيل : الظهر والمصر (ومن الليل فاسجد له) المغرب والعشاء (وسبحه ليلاً طويلاً) أى وسبح فى الليل تسبيحاً كثيراً (إن هؤلاء) المشركين (يحبون العاجلة) الدنيا (وينذرون) يترون (وراءهم) خلف ظهورهم العمل للأخرة (يوماً ثقيلاً) شديداً ؛ وهو يوم القيامة (وشددنا أسرهم) قويناهم ، وأحكامنا ربط مفاسلهم بالأعصاب . أو الأسر : بمعنى الكل . ومنه قولهم : خذه بأسره ؛ أى خذه كله . فيكون معنى «وشددنا أسرهم» قويناهم سائر أعضائهم وأجزاءهم : كل عضو بما يحتاج إليه ؛ من اللحم ، ودم ، وعظم ، وعصب ، وغضروف (إن هذه) السورة ، وما فيها من بدء خلقه الإنسان وتدرجها ، وهدايته السبيل ؛ بواسطة الحواس التى خلقها الله تعالى ، والأعضاء التى

كبيراً ﴿١﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ
وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمْتُمْ رِهْمٌ شَرَابًا طَهُرًا ﴿٢﴾
إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٣﴾
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مَنَّهُمْ ءَأَمَّا أَوْكُورًا ﴿٥﴾ وَأَذْكُرِ اسْمَ
رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٦﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا
طَوِيلًا ﴿٧﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ
يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٨﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا
عَفِيسًا بَدَلْنَا أَمْتَلَاهُمْ تَبَدِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ هُنَالِكَ تَذَكُّرَةٌ
لِمَن شَاءَ اتَّخَذَ لِكُرْبِهِ سَبِيلًا ﴿١٠﴾ وَمَا تَشَاءُ وَلَا
أَن يُشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ يَدْخُلُ مَنْ
يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٢﴾

ركبها فيه ، وما أعد للكافرين من عذاب أليم ، وللمؤمنين من نعم مقيم ، وأمره لرسوله وخيرته من خلقته ؛ بالصبر على أذى الكافرين ، ومواصلة ذكر رب العالمين ، والصلاة له بكرة وأصيلاً ، وتسبيحه ليلاً طويلاً ا إن جميع ذلك (تذكرة) عبرة لمن يعتبر ، وعظة لمن يتعظ (فمن شاء) الجنة ونعيمها (اتخذ لى ربه سبيلاً) طريقاً يرضيه عنه ويوصله إليه ؛ وليس هناك من طريق يوصل لى الله تعالى : سوى اتباع أوامره ، والقيام طاعته ا (وما تشاءون) شيئاً (إلا أن يشاء الله) أن تقبلوه ، ولن يشاء سبحانه وتعالى لكم فعل الخير ؛ إلا إذا أخذتم فى أسبابه ؛ لأنه تعالى لا يشاء لإنسان الإيمان ، وقد أصم سمعه عن استماع الهدى ، وغطى قلبه عن فهم الحجج والآيات والمعجزات ؛ ولن يشاءه جل شأنه لإنسان دخول الجنان ،

وقد أعلن الكفران ، وجاهره بالمصيان ، وطأت بالفساد ، وظلم العباد ؛ وأكل أموالهم ، وحرّم فقيرهم ! وكيف يشاء الله تعالى لإنسان الخير وقد انصرف عنه ؟ أو كيف يريد له الإيمان ، وقد صد عنه ١٩ (إن الله كان عليماً) بحلقه (حكيماً) في صنعه ! تحذير أيها المؤمن أن تقول ما قاله الجاهلون : من أنه تعالى يسلك الكفر في قلوب الكافرين ! فحاشاه تعالى أن يكون من الظالمين ! واذكر قوله جل شأنه «ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك» واعلم أن ما استوجب الحمد : فمن الله ، وما استوجب الاستغفار : فهو منك (انظر آية ٢٠٠ من

سورة الشعراء) (والظالمين) الكافرين .
سماح تعالى ظالمين : لأنهم ظلموا أنفسهم بالكفر ، وعرضوها للذاب .

الجزء التاسع والعشرون

٧٢٦

(سورة المرسلات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات هرباً ، فالماصات عصفاً ، والناشرات نشرأ ، فالفارات فرأ ، فاللقيات ذكرأ) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة ؛ اللاتي أرسلهن بأوامره ، واللاتي عصفن الرياح لتعذيب بعض الكفرة ، واللاتي نشرن الصرائع في الأرض ، وفترقت بين الحق والباطل ، وألقين الذكر لى الأنبياء عليهم السلام . والعرف: ضد النكر . أو هو إقسام من الله تعالى برياح عذاب أرسلهن فصفن . ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ، ففرقن بينه ، فألقين ذكرأ (عذراً أو نشرأ) وهذا الذكر : إما عذراً للمعتزين إلى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند معاهدتهم لآثار نعمة الله تعالى ورحمته في الفيت فيشكرونها ؛ فتخصب أراضيهم ، ويحل الخير بواديهم . وإما إنذاراً للذين يكفرون بها ، وينسبونها

(٧٧) سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ مَكِّيَّةٌ

الآيَةُ ٤٨ فِدْيَتُهُ

وَأَيَّامُنَا ٥٠ نَزَلَتْ بِحَدِّ الْمُهَمَّلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ① فَالْعِصْفَاتِ عَصْفًا ②

وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ③ فَالْفَارَاتِ فَرًّا ④ فَالْمَلْقِيَاتِ

ذِكْرًا ⑤ عَذْرًا أَوْ نَشْرًا ⑥ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ ⑦

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ⑧ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑨

وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِّتْ ⑩ وَإِذَا الرَّسُلُ أُنْتَتْ ⑪ لِأَيِّ

يَوْمٍ أُجِّلَتْ ⑫ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑬ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمٌ

الْفَصْلِ ⑭ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ⑮ أَلَمْ يَنْهَكِ

الْأُولَىٰ ⑯ ثُمَّ نَبَّيْهُمْ الْآخِرِينَ ⑰ كَذَلِكَ نَفْعَلُ

بِالْمُجْرِمِينَ ⑱ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ⑲ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ

مِنْ مَّاءٍ

إلى الأنواء ويقولون : مطرنا بنوء كذا . فتقلب عليهم عذاباً ، وتدع ديارهم بياباً . وجواب القسم (إن ما توعدون) به : من القيامة ، والحساب ، والثواب ، والمقاب (لواقع) لا محالة ! ومن دلائل القيامة (فإذا النجوم طمست) بحيث ، أو ذهب ضوؤها (وإذا السماء فرجت) فتحت وشققت (وإذا الرسل أنتت) أى جعل لها وقت معلوم ؛ يحضرون فيه للمهادة على أمهم (لأى يوم أُجِّلَتْ) سؤال للتحويل والإشادة بشأن ذلك اليوم ، وما يتم فيه من أمور جسام ! فما أظلمه ، وما أهوله ! (ليوم الفصل) الذى يفصل فيه الله تعالى بين الخلاق ؛ فيأخذ للظلم من ظلاله ، وللمحكوم من حاكمه ؛ ويجزى المحسن بإحسانه ، والمسئء بإساءته! (ألم نهلك الأولين) الأمم الماضية ؛ حين كذبوا الرسل ، وجعدوا بالآيات والمعجزات =

= (ثم نبعثهم الآخرين) ممن سلك سبيلهم في التكذيب والكفر (كذلك فعل بالمجرمين) الذين يسرون على سنتهم ، ويطعون طريقهم (ألم نخلقكم من ماء مهين) حقير ؛ وهو النطفة (لجملناه في قرار مكين) هو الرحم (إلى قدر معلوم) توقيت يعلمه الله تعالى ؛ هو مدة الحمل ؛ فإنها تختلف بين الستة أشهر والتسع ؛

عما بعض الحالات الشاذة (فقدنا) جمع ذلك لحكمة عظيمة ؛ لا يعلمها إلا كثرت : فقد يتلف الجنين لو بقي في بطن أمه أكثر من ستة أشهر ، وقد يتلف غيره من الأجنة لو لم يمكث تمام شهوره التسعة ، وقد تتلف الأم لو بقي الجنين أكثر ، أو أقل . فتعالى القدر الحكيم العليم (ألم نجعل الأرض كفاتاً) أي تكفت للناس أحياء على ظهرها ، وأمواتاً في بطنها . والكفت : الجمع والضم (رواسي شاخات) جبلا ثوابت ، طوالا شواقي (ماء قرأنا) عذياً . يقال : فرت الماء ؛ إذا عذب (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون) أي انطلقوا إلى الذي كذبتم به (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) وهو دخان جهنم : يتشعب ثلاث شعب ؛ لظلمه (لا ظليل) أي لا يظل من حر ذلك اليوم (إنها) أي جهنم (ترى بشرى كالقصر) وهو البناء الشامخ العظيم ، أو الحصن ، أو هو الغليظ من الشجر (كأنه جملة) جمع جبل ؛ كحجر وحجارة (صفر) أي سود . جاء في لغة العرب : الأصفر : الأسود (هذا يوم لا ينطقون) فيه بشيء (هذا يوم الفصل) بين الخلائق (فإن كان لكم كيد) حيلة تدفون بها عذابي عنكم وتحولون بين بطشي بكم (فكيدون) فافعلوا هذه الحيلة . وهو

مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿١٧﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٨﴾ إِلَىٰ قَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿١٩﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٢٠﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢١﴾ أَلَّا يَجْمَعِي الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٢﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسِيًّا شَدِخْتِ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً قُرَاتًا ﴿٢٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٦﴾ انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعْبٍ ﴿٢٧﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴿٢٨﴾ إِنَّهَا تَرَىٰ بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٢٩﴾ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفْرٌ ﴿٣٠﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣١﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطَقُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَا يُؤَدُّ لَهُمْ فَيَعْتَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأُولَىٰ ﴿٣٥﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٦﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ الْيَتَّقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ ﴿٣٨﴾ وَفَوَاكِهِ مِمَّا بَسْتَهُونَ ﴿٣٩﴾ كُلُوا

سؤال تجد : لإظهار ضعفهم ، وتبكيهم على ما فعلوه في الدنيا (إن المتقين في ظلال) جمع ظل ؛ والمراد به تكاتف أشجار الجنة ، لأن الجنة ليست فيها شمس فيستظل من حرها (وعيون) جارية

وَأَشْرُوا هَيْبَتَنَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إنا كذلك نجزي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَيَلْ يَوْمئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٦﴾ كَلُوا وَتَمَتَّعُوا
 قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَلْ يَوْمئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٨﴾
 وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿١٩﴾ وَيَلْ يَوْمئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدْتُمْ يَوْمُنُورٍ ﴿٢١﴾

(٣٨) سُورَةُ النَّبَاِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّاهَا نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي
 هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا
 سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ
 أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ

مَبَاتًا ﴿٩﴾

(كلوا وتمتعوا قليلا) في الدنيا ، وهو خطاب
 للكافرين

(فبأي حديث بعده يؤمنون) أي بعد
 القرآن ؛ وما فيه من عبرة ؛ تدعو إلى الاعتبار ،
 وآيات ؛ تدعو إلى الاستبصار !

(سورة النبا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم يتساءلون) أي عن أي شيء
 يتساءلون ؟ (عن النبا العظيم) أي يتساءلون
 عن النبا العظيم ؛ وهو البعث (كلا) ردع
 عن التساؤل ، وعن التكذيب (سيعلمون)
 عاقبة اختلافهم وتكذيبهم ؛ وقال لهم :
 «فوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون»
 (الم نجيل الأرض مهادا) أي فراشا . والمهاد:
 جمع مهد ، وهو فراش الطفل (والجبال
 أوتادا) لتثبت بها الأرض ؛ كما تثبت الخيمة
 بالأوتاد (وخلقناكم أزواجا) أصنافا

(وجعلنا نومكم سباتاً) أى راحة ، أو موتاً ؛ قال تعالى «وهو الذى يتوفاكم بالليل» (وجعلنا الليل لباساً) سترأ يستركم ؛ كما يستر اللباس الجسم عن الأبصار (وجعلنا النهار معاشاً) تقومون فيه لمعاشكم ، أو هو وقت حياة : تبشون فيه من نومكم ؛ الذى هو الموت الصغرى كما في قوله تعالى «وهو الذى جعل لكم الليل لباساً ، والنوم سباتاً ، وجعل النهار نشوراً»

(وبينا فوقكم سباً شدادا) السموات (وجعلنا لكم سراجاً وهاباً) الشمس (وأزلنا من المصبرات) السحب ، وسميت بالمصبرات : لأنها تتحلب بالمطر ، وأعصروا : أمطروا . وقيل : «المصبرات» الريح تمتصر السحاب فينطر ؛ ومنه الإعصار : وهو الريح تثير السحاب (ماء نجاباً) سيلاً ، منصباً بكثرة (وجنت ألفافاً) أى بساتين ملتفة الأشجار (إن يوم الفصل كان ميقاتاً) وقتاً ؛ يثاب فيه المؤمن ، ويعاقب فيه الكافر (يوم ينفخ في الصور) القرن ؛ ينفخ فيه إسرائيل عليه السلام بأمر ربه (فتأتون) من قبوركم إلى الموقف (أفواجاً) جماعات جماعات، وزمراً زمراً (فكانت سراياً) أى لشيء ، وكان مكانها منبسطاً كالذى يرى عليه السراب (إن جهنم كانت مرصاداً) ترصد الكافرين ؛ كمن يترصد لعدوه ليفتك به (لطاغين) الكافرين (مأبأ) مرجحاً ؛ ليس لهم مدخل غيرها فيدخلونها (لابئين فيها أحقاباً) ما كبئين في جهنم دمورا (لا يذوقون فيها برداً) هو ما يبرد به ، أو هو بمعنى النوم ، أو الموت (ولا يذوقون فيها شراباً) يطلق طعام ، وروى غلثم (إلا حمياً) ماء بالغا نهاية الحرارة (وغساقاً) هو ما يسيل من صديد أهل النار (جزاء وفاتاً)

أى موافقاً لأعمالهم السيئة (لأنهم كانوا لا يرجون حساباً) أى لا يخافون محاسبة الله تعالى لهم ؛ على كفرهم وبفهم (وكذبوا بآياتنا) بحججنا وأدلتنا (كذاباً) تكديباً (وكل شيء) فلولوه (أحصىناه كتاباً) أى كناية (فذوقوا) جزاء أعمالكم (فلن تزيدكم لاعدابنا) فوق عذابكم (إن للمتقين مفازاً) فوزاً يعطوهم ، وظفراً بمرغوبهم ؛ وهو الجنة (حدايق وأعناباً) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (وكواعب أنراباً) نواهد مستويات في السن

سُبَاتًا ١٠ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ١١ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ١٢ وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا ١٣ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَابًا ١٤ وَأَزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجَابًا ١٥ لِنَخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ١٦ وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا ١٧ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ١٨ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ١٩ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ٢٠ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ٢١ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ٢٢ لِلطَّاغِينَ مَعَابًا ٢٣ لئِيبِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ٢٤ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ٢٥ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا ٢٦ وَجَزَاءً وَفَاقًا ٢٧ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ٢٨ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ٢٩ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ٣٠ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ٣١ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣٢ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ٣٣ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ٣٤

(وكأسا دهاقا) مترعة ملأى (لا يسمعون فيها نفوا) باطلا وهجراً من القول (ولا كذابا) ولا تكديماً من أحد لأحد ، أو لا يسمعون فيها كذبا (عطاء حساباً) أى تفضلاً على حسب أعمالهم (لا يملكون منه خطاباً) أى لا يستطيع أن يكلمه أحد من خشيته ، وهو بمعنى أنهم لا يملكون الشفاعة إلا بإذنه (يوم يقوم الروح) جبريل عليه السلام . وقيل : «الروح» خلق كالناس وليسوا بالناس (صفاً) مصطفين (ذلك اليوم)

الجزء الثلاثون ١٣٠

هو اليوم (الحق) الذى يكذب به الكافرون (فن شاء) منكم أيها الناس (اتخذ إلى ربه مآباً) أى مرجعاً ؛ بأن يؤمن ويصل الصالحات (إنا أنذرناكم عذاباً قريباً) فى يوم القيامة . وقربه : أن الميت حين يقوم من قبره يظن أنه ما لبث فيه سوى يوم أو بعض يوم «قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم» (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) أى ينظر ثوابه ، أو عقابه ؛ على ما قدم من خير أو شر (ويقول الكافر ياليتنى كنت تراباً) وذلك لأن الله تعالى يحشر الحيوانات يوم القيامة ؛ فيقتص للجهنم من القراء ، وبعد ذلك يصيرها تراباً ؛ فيتمنى الكافر أن لو كان كذلك ! (انظر آية ٣٨ من سورة الأنعام) .

وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذْبًا ۝
 جَرَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝
 يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ
 أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقِّ
 مَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ۝ إِنَّا أَنْذَرْنَاكَ عَذَابًا
 قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ
 يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ۝

(٧٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ
 وَأَيَّاهَا ٤٦ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطًا ۝

وَالسَّجَّاتِ

(سورة النازعات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقاً) الملائكة تنزع أرواح الكفار . وقيل : إن الكافر عند طلوع روحه : يشعر كأنه غريق (والناشطات تشطاً) التى تنشط الروح ؛ أى تفرجها برفق ؛ وهى نفس المؤمن

وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالسَّيِّقَاتِ سَبْقًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ
 أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝
 قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِعَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝ يَقُولُونَ
 أَوَنَّا لِمَرْدُودٍ فِي الْخَافِرَةِ ۝ أَوْ أَكُنَّا عِظْمًا
 تَاجِرَةً ۝ قَالُوا يَا نَحْنُ إِذَا كُنَّا خَاسِرَةً ۝ فَلَمَّا هِيَ زَبْرَةٌ
 وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝ هَلْ أَتَيْتَ حَدِيثَ
 مُوسَى ۝ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝
 أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ لَكِ الْإِلَهِ
 أَن تَزُكِّي ۝ وَأَهْدِيكَ إِلَيَّ رَبِّكَ فَتَنَحَّيَ ۝
 فَارْتَدَّ الْآيَةُ الْكُبْرَى ۝ فَكَذَّبَ وَعَصَى ۝ ثُمَّ
 أَدْبَرَ سَعَى ۝ فَحَشَرَ فَنَادَى ۝ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُ
 الْأَعْلَى ۝ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۝
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَحْتَسِبُ ۝ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم

(والسباحات سبحاً) التي تسبح في مضيها ؛ أي تسرع (فالسابقات سبقاً) التي تسبق إلى أداء ما أمرت به (فالمدبرات أمراً) التي تدبر أمر العباد بما يصلحهم في دينهم ودنياهم ؛ بأمر ربهم (يوم ترجف الراجفة) تتحرك الأرض بشدة ؛ فيموت كل من عليها . وهو عند النفخة الأولى (تتبعها الرادفة) النفخة الثانية ؛

وعندها تمت الحلائق . وقيل : «الرادفة» السماء ؛ لأنها تتبع الأرض في التخریب ؛ فتنتشق ؛ وتنتثر كواكبها (قلوب يومئذ واجفة) مضطربة (أبصارها خاشعة) ذليلة لهول ما ترى (يقولون أئنا لمردودون في الخافرة) أي كانوا يقولون ذلك في الدنيا ، أو ذلك قولهم في الآخرة . يقال : رد إلى حافرته : أي إلى أول أمره . وقيل : يمتنون أئ لو يردوا إلى قبورهم ميتين ، أو يردوا إلى الدنيا ؛ كقوله تعالى حكاية عنهم «فهل إلى صرد من سبيل» (نخرة) بالية (كرة خاسرة) رجعة ذات خسران (فإنما هي زجرة واحدة) أي صيحة واحدة ؛ وهي النفخة الثانية (فإذام بالساهرة) فإذا هم أحياء على وجه الأرض (بالواد المقدس) المطهر المبارك (طوى) اسم للوادي ، أو هو بمعنى مرتين . أي الوادي الذي قدس مرة بعد أخرى . وقيل : «طوى» بمعنى طأ الأرض حافياً (إنه طوى) تجاوز الحد (فقل هل لك إلى أن تزكى) إلى أن تتطهر من الشرك والعصيان (فأراه الآية الكبرى) التي موسى عصاه «فإذا هي حية تسمى» (ثم أدبر يسى) تولى عن موسى ، وسمى في مكابته . أو أدبر مرعوباً ، يسرع في مئيبته (فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى) أي فجمع الجنود والسحرة ونادى فيهم قائلاً : «أنا ربكم الأعلى» (فأخذه الله نكال الآخرة) وهي «أنا ربكم الأعلى» «والأولى» وهي «ما علمت لكم من لاه غيره» أو عاقبه الله عقاب الدنيا والآخرة (إن في ذلك) التنكيل بفرعون ، وبسائر الكافرين (لعبرة) لظة (لن يحشى) الله تعالى ، ويخاف عقابه

(ألم أشد خلقاً أم السماء بناها) أى أخلقكم بعد موتكم أصعب أم بناء السماء ؟ (رفع سمكها) أى أعلى ارتفاعها (وأغطس) أظلم (ليلها وأخرج ضحاها) أبرز ضوء نهارها (والأرض بعد ذلك دحاها) بسطها ، أو جعلها كالسحبة ؛ وهي البيضاء . ويؤيده

المسز: الثلاثون

٧٢٢

ما ذهب إليه الفلكيون ، والجغرافيون ؛ من كربة الأرض ، وانبعاجها كالبيضة (أخرج منها ماءها ومرهاها) فجر منها الميرون ، وأخرج منها الكلال الذى يرمى (متاعا لكم ولأنامكم) أى كل ما ذكر : خلقناه متاعا لكم ولأنامكم (فإذا جاءت الطامة الكبرى) الباهية العظمى ؛ وهي القيامة (يوم يتذكر الإنسان ما سعى) ما عمل فى الدنيا ؛ من خير أو شر (فأما من ظلم) كفر وجفر (وأثر الحياة الدنيا) أى فضل الدنيا الفانية الزائلة ؛ على الآخرة الدائمة الباقية (وأما من خاف مقام ربه) أى قيامه بين يديه لحساب (ونهى النفس عن الهوى) أى نهاها عما تهواه ؛ مما يوقع فى الردى ، ويستوجب العذاب (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) (بسالونك عن الساعة) عن القيامة (أيان مرهاها) متى وقتها ؟ (فيم أنت من ذكرها) أى أين أنت من ذكر الساعة ووقتها ؟ فقد تفرد بعلمها علام القيوم ! (إلى ربك منتهاها) أى منتهى علمها ، وما يكون فيها (إنما أنت منذر من يخشاها) أى إنما أرسلناك لتنذر - من أمواليها - من يخشاها ؛ لا أن تعلمهم بوقتها (كانهم يوم يرون الساعة) أى يوم يرون الساعة (لم يلبثوا) فى الدنيا (إلا عشيبة أو ضحاها)

السماء بينها ١٧٢ رقع سمكها فسويتها ١٧٣ وأغطس ليلها وأنزع ضحها ١٧٤ والأرض بعد ذلك دحاها ١٧٥ أخرج منها ماءها ومرهاها ١٧٦ وأجبال أرضها ١٧٧ متاعا لكم ولأنامكم ١٧٨ فإذا جاءت الطامة الكبرى ١٧٩ يوم يتذكر الإنسان ما سعى ١٨٠ وبرزت الجحيم لمن يرى ١٨١ فأما من ظفنى ١٨٢ وآثر الحيرة الدنيا ١٨٣ فإن الجحيم هي الأموى ١٨٤ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ١٨٥ فإن الجنة هي الأموى ١٨٦ بسطونك عن الساعة أيان مرهاها ١٨٧ فيم أنت من ذكرها ١٨٨ إنا أنتم منذر من يخشاها ١٨٩ كأنهم يوم يرون الساعة ١٩٠ إلا عشيبة أو ضحاها ١٩١

سورة

وحما طرفا النهار ؛ فكأنه تعالى يقول : لم يلبثوا إلا جزءاً من يوم . وهو تعالى القادر على تقصير الأوقات وإطالتها ؛ فقد يرى النائم أنه قد تزوج وأنجب ، وأنه قد مررت عليه من الأحداث ما يستغرق السنين ذوات المدد ؛ وهو لم يزول مضجعه بعد ، وقد لا يتجاوز وقته بضع ثوان ؛ فكذلك الميت حين يبعث يظن أنه لم يلبث فى دنياه وقبره إلا جزءاً من يوم

(عبس وتولى) أى قطب وجهه وأعرض . وهو حكاية عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه (أن جاءه) أى لأن جاءه (الأعمى) وهو عبداً لله بن أم مكتوم : أتى النبي صلى الله عليه وسلم - وعنده

صناديد قريش يدعوهم للإسلام - فقال له :

يا رسول الله علمني مما علمك الله . وصار يكرر ذلك ؛ فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم قطعه لكلامه مع صناديد قريش ؛ فعبس

لذلك ، وأعرض عنه ؛ وذلك لأنه عليه الصلاة

والسلام كان حريصاً على هداية أشرف

قريش ؛ ليهتدى بإسلامهم قومهم (لمه يركب)

يتطهر من دنس الجهل بما يسمعه منك من

الآيات والعظات (أو يذكر) يتعظ (تفتحه

الذكرى) ويؤمن (أما من استغنى) كان غنياً

بالمال ؛ كأشرف قريش (فأنت له تصدى)

تتصدى ، وتعرض ؛ بالإقبال عليه ؛ حرماً

على إيمانه (وما عليك ألا يركب) أى وليس

عليك بأس فى ألا يتطهر بالإسلام ؛ إن عليك

إلا البلاغ (وهو يخشى) الله (فأنت عنه

تلهى) تلهى ، وتعبس ، وتتولى (كلا) أى

لا تعد إلى مثلها من الإعراض عن الفقير ،

والإقبال على النقي (إنها تذكرة) أى إن هذه

الآيات موعظة (فمن شاء) من المؤمنين

(ذكره) تذكر تنزيل الله تعالى ووجهه ،

واستمع إلى أوامره ونهيه ؛ وعلم أن ينال

النصح والإرشاد واجب لمن يطلبه ويسمى

إليه ؛ لالمن بأباه وينصرف عنه (فى صفح

مكرمة) أى إن هذه الآيات منتسخة من اللوح

المحفوظ «فى صفح مكرمة» عند الله ، لا يحسبها

إلا ملائكته المطهرون (مرفوعة) فى السماء ، أو مرفوعة القدر والمزلة (مطهرة) عما ليس من كلام الله

تعالى (بأيدى سفرة) كتبة ؛ وهم ملائكة الرحمن ، الذين انتسخوها - بأمر ربهم - من اللوح المحفوظ

(كرام بررة) كرام عند ربهم ، أتقياء (قتل الإنسان) لمن الكافر (ما أكفره) أى ما أشد كفره ؛

وعلام يكفر ، ولماذا يتكفر ؟ أفلا ينظر (من أى شىء خلقه) الله ؟ أليس (من نطفة) قدرة (خلقته

فقدره) فسواه فعدله ؛ وهبأه لما يصلح له ، ويليق به من الأعضاء والأشكال (انظر آية ٢١ من سورة

التاريات) (ثم السبيل يسره) أى بين له طريق الخير والشر ، أو سهل له الخروج من بطن أمه

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٤٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَحْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ① أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ② وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّه يُرَى ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ④ أَمَّا مَنْ
اسْتَغْنَى ⑤ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ⑥ وَمَا عَلَيْكَ أَلَا
يُرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ⑧ وَهُوَ يَخشى ⑨
فَأَنْتَ عَنْ تَلْهِى ⑩ كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ ⑪ فَمَنْ شَاءَ
ذَكَّرْهُ ⑫ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ⑬ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ⑭
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ⑮ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ⑯ قَبِيلَ الْإِنْسَانِ
مَا أَكْفَرَهُ ⑰ مِنْ أَي شَيْءٍ خَلَقَهُ ⑱ مِنْ نَظْفَةٍ
خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ⑲ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ⑳ ثُمَّ أَمَاتَهُ

(ثم إذا شاء أنشره) أحياء بعد موته ، وقت مشيئته (كلاما يقض ما أمره) أى لم يفعل الكافر ما أمره الله تعالى به من الإيمان ؛ حتى الآن ، و «لما» تفيد النفي إلى الحال ؛ لأن منفيها متوقع الثبوت ؛ بخلاف منى «لم» فإنه يحتمل الاصل والاقطاع ؛ كالم يكن ، ثم كان (فليُنظر الإنسان) نظر تدبر (إلى طعامه) أى فليأمل كيف دبرنا طعامه الذى يأكله

الجزء الثلاثون

٧٢٤

ويحيا به ، وكيف صنفاه ؟ وليُنظر إلى الحبوب وأوعاها ؛ والثمار وطومها ؛ والأزهار وأوتها ؛ ليعلم أن هذا بتقدير منا ، وتفضل من لنا ، وليُنظر كيف «أنا صبينا الماء صبا» من السماء أو الأنهار المتكوّنة من الأمطار (ثم شققنا الأرض شقاً) بالنبات (فأبنتنا فيها حبا) كالحنطة ، والشعير ، وغيرها (وعنبا وقضباً) القصبه : الرطبة ؛ وهو كل نوع الخشب - أى اقتطع - فأكل طريا ، وهو أيضاً ما يسقط من أعلى الصيدان لمزيد فضجه (وزيتونا ونخلا) (انظر آية ٢٦٦ من سورة البقرة) (وحدائق غلباً) ساتين كثيرة الأشجار (وأبا) سرعى لئوابكم ؛ من أبه ؛ إذا أمه ؛ أى قصده (فإذا جاءت الصاخة) صيحة القيامة ؛ لأنها تصخ الأذان ؛ أى تصمها (يوم يفر المرء من) مساعدة (أخيه) ومعاوته والأخ واجب المعاونة والمساعدة في كل وقت ، وفي كل حين (و) من (أمه وأبيه) وربما فرض عليه (وصاحبه) زوجته ؛ وقد كلف بحفظها ورعايتها ، والتب عنها (وبنيه) وهم صنوره ، وقطعة من كبده (لكل امرئ منهم) أخ ، أو أم ، أو أب ، أو زوج ، أو ابنا ؛ لكل واحد منهم في ذلك اليوم (شأن يفتيه) شغل شاغل ، وخطب هائل ؛ بصرفه

فَأَقْرِمُ ۝١١٠ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشُرُهُ ۝١١١ كَلَّامًا يَقْضِ
مَا أَمَرُهُ ۝١١٢ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۝١١٣ أَنَا
صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝١١٤ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝١١٥
فَأَبْنَيْنَا فِيهَا حَبًّا ۝١١٦ وَعَنْبًا وَقَضْبًا ۝١١٧ وَزَيْتُونًا
وَنَخْلًا ۝١١٨ وَحَدَائِقَ غَلْبًا ۝١١٩ وَفَكَهْمًا وَأَبًا ۝١٢٠
مَتَاعًا لَكَرًّا وَلِأَنْتُمْ كَرًّا ۝١٢١ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ ۝١٢٢ يَوْمَ
يُفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝١٢٣ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝١٢٤ وَصَدِيقِيهِ ۝١٢٥
وَبَنِيهِ ۝١٢٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝١٢٧
وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۝١٢٨ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۝١٢٩
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝١٣٠ تَرَهَقَهَا فَتْرَةٌ ۝١٣١
أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ ۝١٣٢

سورة

عن الاهتمام بغيره ، إلى الاهتمام بنفسه . وفي هذا ما فيه من الدلالة على ما يكتنف هذا اليوم العصيب من أحداث تخرج المرء عن صوابه ، وتشغله بما حل به ؛ (وجوه يومئذ مسفرة) مضطربة ؛ وهي وجوه المؤمنين (ضاحكة مستبشرة) بما أعده الله تعالى لها من الثواب والجزاء (ووجوه يومئذ عليها غبرة) كدورة ؛ وهي وجوه الكافرين (ترهقها فترة) تلوها ظلمة وسواد !

(سورة التكوير)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا الشمس كورت) نكست ، وذهب بضوئها (وإذا النجوم انكدرت) انطمس نورها (وإذا الجبال سيرت) انتثرت ، وسيرت في الجو تسيير السحاب (وإذا العشار) وهي الناقة التي آتى على حملها عشرة أشهر ، وشارفت الوضع (عطلت) تركت مهمله ؛ لاشتغال أصحابها بأنفسهم ، أو «عطلت» من الولادة . وقيل : إن العشار السحاب ؛ وتطيلها : عدم إظهارها (وإذا الوحوش حشرت) جمعت ، وبشت للقصاص (انظر آية ٤٠ من سورة النبأ) (وإذا البحار سجرت) غلت مياهها ، أو امتلأت وتفجرت (وإذا النفوس زوجت) أى الأرواح قرنت بأجسادها ، أو إذا النفوس صفت : كل نفس مع من يشاكلها من أجناسها (وإذا الموءودة سئلت) وهي التي دفنت حية . وقد كانت العرب تشد البنات خشية العار والإملاق . روى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بينما كان يجلس مع بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم؛ إذ ضحك قليلا ، ثم بكى ؛ فسأله من حضر عن سبب ضحكه ، وسر بكائه ؟ فقال : لقد كنا في الجاهلية نضم الضم من العجوة ؛ فنعبده أياما ثم نأكله ؛ وهذا ما أضحكى ، أما بكائى فلأنه كانت لى ابنة ؛ فأردت وأدها - كشأنا فى تلك الأيام - فأخذتها مبي وحفرت لها حفرة ؛ فصارت تنفض الحثى كلما تراكم عليها التراب ؛ فلم يشفع لها ذلك دون وأدها ؛ وقد دفنتها حية ؛ وهذا ما أبكاني !

٧٣٥

سورة التكوير

(٨١) سُورَةُ التَّكْوِيْرِ مَكِّيَّةٌ
وآياتها ٢٩ نزلت بعلا مسلا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ٢ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٣
٤ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٥ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٦
٧ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٨ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٩
١٠ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ١١ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ١٢
١٣ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ١٤ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٥
١٦ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١٧ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ١٨
١٩ وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ ٢٠ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُحْضِرَتْ ٢١
٢٢ فَلَا أُنْفِئُ بِالنُّفِيسِ ٢٣ الْجَوَارِ الْكُنُيسِ ٢٤
٢٥ وَالْأَبْلِلُ إِذَا عَمَسَ ٢٦ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ٢٧
٢٨

هذا هو عمر - قبل الإسلام - فانظر

إلى عمر بعد الإسلام ، وكيف خطت الدموع

في وجنيه خطين ؛ لمزيد رفته ، وشدة بكائه ، وكيف أنه حمل إلى أم الصبية - التي كانت تملأ أبنائها الجياح بالماء والحصى في القدر ليناموا - الدقيق والسمن وجعل ينفخ في النار ؛ ولحيته على الأرض في التراب حتى طاب الطعام ، وأقبل على الصبية يطعمهم ، وهو يبكي ويقول : ويل عمر ! ليت أم عمر لم تلد عمر ! هذا ولم ينقل عمر من درك الوحشية ، إلى سماء الإنسانية : سوى دين الإسلام - الذى سرى في روحه ، وأشرب به قلبه - دين النور ، والرأفة ، والرحمة دين السباحة والحضارة ! (وإذا الصحف نشرت) هى صحف الأعمال : تتكشف وتفتح للقراءة (وإذا السماء كشطت) قطعت وأزيلت (وإذا الجحيم سعرت) أوقدت إنقاداً شديداً (وإذا الجنة أزلفت) هيئت ، وأدريت من التيقن (علمت نفس) وتقدك (ما أحضرت) =

ما علمت من خير أو شر (فلا أقسم) أى أقسم (بالجنس) الكواكب الرواجع لأنها تنهب وتجيء ،
 أو هي الكواكب كلها ؛ لأنها تختفي نهاراً ، وتظهر ليلاً (الجوار) السيارة ، التي تجرى مع الشمس
 (الكسوف) التي تختفي تحت ضوء الشمس . وكناس الظي : بيته (والليل إذا عسعس) أدبر بظلامه (والصبح
 إذا تنفس) أقبل . ولا يخفى ما جىء الصبح من النسيم ، والروح ؛ الذي يشبه النفس . وجميع ما تقدم :
 قسم ؛ وجوابه : (إنه) أى القرآن (لقول رسول كريم) هو جبريل عليه السلام ؛ وقد أسند إليه : لأنه

هو الذي نزل به (مكين) ذى جاه ومكانة
 (مطاع ثم) أى مطاع هناك فى السموات ؛
 يطيعه أهلها (أمين) على الوحي المكلف بإتزاله
 (وما صاحبكم) محمد (بمجنون) وقد استدلل
 الزخمرى بهذه الآيات على تفضيل الملك على
 الرسول ؛ وهو استدلال باطل ؛ لأنها لم ترد على
 سبيل التفضيل ؛ بل جاءت تكذيباً لقولهم :
 « إنما يملئهم بشر » وقولهم : « أم به جنة » وهنا
 وإن كان فيه غلو من جانب الزخمرى فى تفضيل
 الملك على الرسول ؛ فقد تمالى أقوام بقولهم :
 إن عوام البشر : أفضل من عوام الملائكة .
 واتى أراه - وراه كل منصف - أننا لو
 استثنينا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : كانت
 الملائكة أفضل من البشر ؛ لامتيزهم الله تعالى
 به من الطاعة المطلقة « لا يصفون الله ما أمرهم
 ويفعلون ما يؤمرون » وما اختصاصهم به من
 القرب « يسبحون الليل والنهار لا يفتنون »
 (انظر آية ٢٩ من سورة الحجر) (ولقد رآه
 بالأفق المبين) أى لقد رأى محمد جبريل عليهما
 الصلاة والسلام على صورته الملائكية بمطلع
 الشمس (وما هو على الغيب بضنين) أى وما
 محمد على تبليغ ما أوحى إليه ، وتعليمه للبشر
 بقصر بخيل . وقرئ « بضنين » أى بمتهم
 (وما هو بقول شيطان رجيم) هو نبي لقولهم :
 إن القرآني كهاة وسحر (فأين تصهبون) أى

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١١٠﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
 مَكِينٍ ﴿١١١﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿١١٢﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ
 بِمَجْنُونٍ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْأَمِينِ ﴿١١٤﴾ وَمَا هُوَ عَلَى
 الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿١١٥﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١١٦﴾
 فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿١١٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١١٨﴾ لِمَنْ
 شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿١١٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
 اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٠﴾

(٨٢) سُورَةُ الْأَنْفُثَارِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّهَا ١٩ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ
 انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ

بُعِثَتْ ﴿٤﴾

فأى طريق تسلكون أين من هذه الطريق ؟ (إن هو) أى القرآن : ما هو (إلا ذكر) تذكرة ونبصرة
 (لمن شاء منكم أن يستقيم) أى لمن شاء الاستقامة ؛ بالدخول فى الإسلام . ومن هنا علم أن الإيمان والاستقامة
 فى وسع كل إنسان ، ووفق مشيئته ؛ ولا يمنع ذلك قول الحكيم العليم (وما المشاءون إلا أن يشاء الله رب
 العالمين) إذ أنه جل شأنه « لا يرضى لعباده الكفر » ولا يفعل عز سلطانه مالا يرضاه ؛ حتى فتح الإنسان
 مغاليق فهمه ، وأبدى استعداده لتلقى كلام ربه : أعانه الله تعالى على نفسه ، ودفع عنه بأس شيطانه ؛ أما إذا
 ركب رأسه ، ووضع أفعال الجهل على قلبه ، وأصم سمعه عن الهداية ، واتبع غير سبيل المؤمنين ؛ فإن
 الله تعالى يعد له فى ضلاله ، وزيند فى خياله « لينوق وبال أمره » وليس معنى ذلك أن الحكيم العليم فرض =

= عليهم الكفر فرضاً ، وألزمهم به لإلزاماً ، وقسمهم عليه قسمراً ١

(سورة الانفطار)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا السماء انفطرت) انشقت (وإذا الكواكب انتثرت) تساقطت (وإذا البحار فجرت) فتح بعضها

على بعض ؛ فاختلف عذبتها بأجاجها ، أو طلعت

البحار على اليابسة فأعرقتها وعثها . والمراد

أن كل شيء يضطرب ولا يستقر على حاله

(وإذا القبور بعثرت) أخرج ما فيها من الموتى

(علمت نفس) أي كل نفس ؛ وعلمها :

رؤيتها الجزاء المعد لها (ما قدمت وأخرت)

ما قدمت من معصية ، وأخرت من طاعة ،

أو «ما قدمت» في حياتها من عمل - صالح

أو طالح - وما «أخرت» بعد موتها من عمل

يقتدى به غيرها (يا أيها الإنسان) خطاب

للكافر (ما عرك بربك الكريم) أي ما الذي

جرأك على عصيان مولاك ؛ الذي أكرمك

بما أكرمك ، وخلقك فسواك فعدلك (في

أي صورة ما شاء ربك) أي ربك في

صورة أي صورة المراد أنه تعالى ربك

في أحسن الصور . لقوله تعالى «لقد خلقنا

الإنسان في أحسن تقويم» وقد ذهب بعض

ضعاف الرأي إلى أن الله جلت قدرته أراد

بهذه الآيات : لإلهام المخاطب المعاتب بالجواب ؛

فلعبد أن يجيب مولاه بقوله : غرني كرمك .

لم يقل جل شأنه «يا أيها الإنسان ما عرك

بربك الكريم» وهذا - كما لا يخفى - تلاعب

بالتأويل ؛ يأباه صريح التنزيل إذ أن هذا

الكلام صادر في مقام التهويل والإرهاب ،

والتهخوف من شدة الحساب ؛ يدل عليه

ما بعده (كلا) ردد عن الاعتزاز ، بكرم الجبار (بل) المال أنكم (تكدبون يوم الدين) يوم الجزاء ا

وهو يوم القيامة (وإن عليكم) في كل وقت وآن (لحافظين) من اللائكة : يحفظون أعمالكم وأقوالكم

(كراماً) أمناء على ما أسند إليهم من ربهم (كاتبين . يعلمون ما فعلون) فيكتبونه (إن الأبرار) جمع بر ،

أو بار ؛ وهم الذين يعملون البر ، ويتصفون به (لني نعيم) جنة «عرضها كعرض السماء والأرض» (وإن

الفجار) الكفار (لني جحيم) الجحيم : اسم من أسماء النار . وكل نار عظيمة في مهواة : فهي جحيم .

قال تعالى «قالوا ابنوا له بنايات فآلقوه في الجحيم» (يصلونها) يدخلونها (يوم الدين) يوم الجزاء (وما هم

عنها بغائبين) أي لا يخرجون عنها طرفه عين ؛ كقوله تعالى «وما هم بخارجين منها» وهذا ينقض قول =

بُعِثْتَ ١ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ٢ يَا أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ٣ الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ ٤ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ٥
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ٦ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ٧
كِرَامًا كَاتِبِينَ ٨ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ٩ إِنَّ
الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ١٠ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ١١
يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ١٢ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ١٣
وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ١٤ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ
الَّذِينَ ١٥ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ
يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ١٦

= الفائلين بعدم الخلود في النار، وأن المراد بالخلود: المبالغة في طول المكث (ثم ما أدراك ما يوم الدين) تكرر لذكر هذا اليوم للتحويل !

(سورة المطففين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الجزء الثلاثون

٧٣٨

(ويل) شدة عذاب . وقيل : هو واد في جهنم (المطففين) الذين يبغضون الناس في الكيل والوزن ؛ يفسره ما بعده (الذين إذا اکتالوا على الناس) أى كالوا منهم لأنفسهم (يستوفون) ما يكيلونه (وإذا كالوهم) أى كالوا لهم (بمخسرون) ينقصون . والتطفيف في الكيل والوزن : من أسوأ الأخلاق المسقطه للرواة ، الماحية للحسنات ، المفسدة للايمان ، يقول الله تعالى (إن الله يامرکم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وقد صار للمشتري منك أمانة عندك ؛ ومى أن تؤدى له ما اشتراه كاملا غير منقوص . وصار للبائع لك أيضاً أمانة لديك ؛ ومى أن تؤدى له ثمنه كاملا ، وتستوفى حقا منه بغير زيادة . فارع الله أيها المؤمن في دينك ، واخش مولاك من فوقك ! هذا وقد كان قدامه الصرین يقطون بين مطف الكيل والميزان (ألا يظن أولئك) المطففون (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) هو يوم القيامة (يوم يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين) انتظارا لثوابه ، أو عقابه (كلا) أى ليس الأمر كما يظنون ؛ من أنهم غير مبعوثين ، ولا معذيين ؛ بل (إن كتاب التجار) صف أعمال الكفار والمطففين (لن يسجن) واد في جهنم . وقيل : إنه ديوان النمر ؛ أمر الله تعالى أن تدون فيه أعمال

(٨٣) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ مَكْتَبَةٌ
وَأَمَّا ٣٦ فَتُرْتَلُّ بِعَدِّ الصَّلَاتِ
وَمِنْ آخِرِ سُورَةِ زَكَرِيَّا عَمَلَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١
الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
يَسْتَوْفُونَ ۝٢
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣
أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦
كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
التَّجَارِ لَئِنِّي بِحَسْبٍ ۝٧
وَمَا أَدْرَاكَ مَا حَسْبُ ۝٨
كِتَابٍ
مَّرْقُومٍ ۝٩
وَعَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠
الَّذِينَ
يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝١١
وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ۝١٢
إِذَا نُتِلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا سَطِيرُ الْأُولِينَ ۝١٣
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤

الكفرة الفجرة ! (وما أدراك ما سجين) تهويل لعاقبه (كتاب مرقوم) مسطور ؛ بين الكتابة (ويل يومئذ للمكذبين) الكافرين (الذين يكذبون بيوم الدين) يوم الجزاء (وما يكذب به إلا كل معتد) متجاوز للحد (أثيم) مرتكب للآثم (أساطير الأولين) أكاذيبهم (كلا) دعه وزجر عن قولهم ذلك (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أى غطت على قلوبهم ذنوبهم ؛ حتى حجبها عن الفهم ؛ فقالوا ما قالوا ، وفضلوا ما فعلوا

(كلا) أى حقا (لأنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أى إن الكفار لمحجوبون من رحمة الله تعالى ومغفرته يوم القيامة (ثم لأنهم لصالوا الجحيم) أى لداخلوا النار (كلا إن كتاب الأبرار) صحف أعمالهم . والأبرار: هم الذين يعملون البر ، ويتصفون به (لنن عليين) أعلى الجنات . أو هو ديوان الخير ؛ كما أنت سجين

ديوان الشر (كتاب مرقوم) مخطوم (يشهده المقربون) أى يرونه رأى العين ؛ أو أريد بالمقربين : اللاتكة (على الأرائك) على الأسرة (ينظرون) ينظر بعضهم لى بعض سرورا ، أو ينظرون مقتبطين لى ما اختصهم به ربهم من نعم مقيم ا (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم ا (يسقون من رحيق) الرحيق: اسم من أسماء الحجر ، وهو صفتها ، والرحيق أيضاً : الشراب الخالص ؛ الذى لا غش فيه (ختمه مسك) أى مخطومة أوانيه بالمسك ؛ مكان الطين الذى كانوا يخطمون به أوعية الحجر (وق ذلك) أى فيما تقدم من النعيم والتكريم (فليتنافس التنافسون) فليغرب الراغبون ، وليتسابق المتسابقون ؛ بالسرعة لى الحيرات ، والانتهاى عن السيئات ا (ومزاجه) أى ما يمزج به ذلك الشراب (من) تسنيم) التسنيم : مصدر سنمه ؛ إذا رفعه ، والمعنى : أن الحجر تمزج بأرفع شراب فى الجنة (إن الذين أجزموا) من الكفار (كانوا) فى الدنيا (من الذين آمنوا يضحكون) استهزاء (وإذا مروا بهم يتغامزون) عليهم ؛ سخرة منهم (وإذا اقبلوا لى أهلهم) رجعوا لى أهلهم فى الدنيا (اقلبوا فكهم) ضاحكين ، ساخرين من المؤمنين (وإذا رأوهم) أى إذا رأى المجرمون المؤمنين (قالوا) عنهم (إن هؤلاء) الناس (لضالون) نسبوا لىهم الضلال وهو لاصق بهم . قال تعالى (وما أرسلوا عليهم) أى ما أرسل الكفار على المؤمنين (حافظين) لأعمالهم ؛ فيردونهم لى صلاحهم ، ويمنعونهم عن ضلالمهم الذى يزعمونه

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٣٩﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ
لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٤٠﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
تُكَذِّبُونَ ﴿١٤١﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٤٢﴾
وَمَا أَزْكَرَنَّكَ مَا عَلِيُونَ ﴿١٤٣﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿١٤٤﴾ يَشْهَدُهُ
الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٤٥﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٤٦﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ
يَنْظُرُونَ ﴿١٤٧﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿١٤٨﴾
يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿١٤٩﴾ خِتَمُهُمْ مِنْ عِذْرِ
ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿١٥٠﴾ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ
تَسْنِيمٍ ﴿١٥١﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٥٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿١٥٣﴾ وَإِذَا
مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿١٥٤﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿١٥٥﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ
لَضَالُونَ ﴿١٥٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿١٥٧﴾

قَالِيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿١٤١﴾ عَلَى
الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴿١٤٢﴾ هَلْ نُوبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿١٤٣﴾

(٨٤) سُورَةُ الْأَنْشِقَاقِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيُّهَا ٢٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْفِقَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُمَتْ ﴿٢﴾
وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُمَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ
لِكَ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُتَلَقِّبِهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوِّقِيَ كِتَابَهُ
بِجَنِّبِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾
وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوِّقِيَ كِتَابَهُ

وَرَاءَ

عَاقِبَتِهَا الْمَوْتُ حَتْمًا ؟ فَتَسَاقُ بِمِلْكِهِ هَذَا إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَلَقِّمِهِ ؟ فَيُكَافِئُكَ عَلَيْهِ : إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ
« وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ نَفْسَهُ حِسَابَهُ » (فَأَمَّا مَنْ أُوِّقِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) وَهُوَ الْمُؤْمِنُ (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)
سَهْلًا أَيْنًا : يُجَازَى عَلَىٰ حَسَنَاتِهِ ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِ (وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ) إِلَىٰ عَشِيرَتِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْلَىٰ أَهْلَهُ
مِنَ الْحَوَرِ الْعَيْنِ (مَسْرُورًا) بِعَالَمِهِ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالتَّكْرِمِ ، وَعَفْوِ الْبَرِّ التَّوَابِ الرَّحِيمِ ا

(فاليوم) يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) كما ضحك الكفار منهم في الدنيا (على الأرباب) السرر (هل نوب الكفار ما كانوا يفعلون) أي هل جوزوا في الآخرة بسعيرتهم بالمؤمنين في الدنيا .

(سورة الانشقاق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا السماء انشقت) تصدعت وتقطعت يوم القيامة (وأذنت لربها) سمعت له وأطاعت ؛ حين أراد انشقاقها (وحمت) أي وحق لها أن تمتثل لأمر خالقها ؛ إذ هو مدبرها ومالكها (وإذا الأرض مدت) بسطت وسويت بآدمك جبالها «لاترى فيها عوجا ولا أمثا» (وألقت ما فيها) أي ورمت ما في جوفها من الأموات ، والأموال ، والكنوز (وتخلت) عن حفظه في بطنها (وأذنت لربها) سمعت له وأطاعت (يا أيها الإنسان إنك كادح كدحا) أي إنك جاهد ومجد بأعمالك التي

(وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) وهو الكافر . وقيل: نفل يمناه إلى عنقه ، وتجعل شماله وراء ظهره ؛ فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره (فسوف يدعو ثبوراً) الثبور: الهلاك . أى يتمنى الهلاك (ويصل سعيماً) يدخل جهنم (إنه كان في أهله مسروراً) أى كان في الدنيا لاهياً لاجباً . قال تعالى «وإذا اتقلبوا إلى أهلهم اتقلبوا فكهين» (إنه ظن) تيقن . والظن - في القرآن الكريم - يأتي دائماً بمعنى اليقين ؛ إلا في بضع مواضع - يقتضيه مقام الكلام - فإنها جاءت بمعنى الشك كقوله تعالى «إن ظنن إلا ظناً»

«إن لم إلا يظنون» (أن لن يحور) لن يرجع (بلى) سيرج (إن ربه كان به) وبأعماله (بصيراً) فيأخذها بها (فلا أقسم) أى أقسم (بالشفق) وهو الحمرة التي تشاهد في الأفق بعد الغروب . وعند الزجاج: إنه النهار (والليل وما وسق) أى وما جمع وض ؛ لأن ما انتشر بالنهار: يجتمع بالليل ؛ حتى أت جناحيك اللذين تمدما إلى العمل بالنهار: تضمهما إلى جنبك للراحة بالليل . والليل يضم الأفراخ إلى أمهاتها ، والسائمات إلى مناخها ، والإنسان إلى فراشه . وبالجملة فإن كل ما نشره النهار بالحركة ؛ يجمعه الليل ويضمه بالسكون (والقمر إذا استق) إذا اجتمع وتم (لتركن طبقاً عن طبق) أى لتركن حالة بعد حالة ؛ على أن الحالة الثانية تطابق الحالة الأولى . أى ستعودون بعد الموت إلى حياة أخرى شبيهة بحياتكم هذه ، مطابقة لها: من حيث الحس والإدراك ، واللذة والإلم . أى انها حياة حقيقية ، وإن خالفت في بعض شؤونها هذه الحياة (فالهم) رغم هذه الدلالات (لا يؤمنون) برهم (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) أى لا يخضعون لأوامره تعالى ونواهيه ؛ لأن السجود أصلاً معناه الخضوع . وبه سمي السجود في الصلاة ؛ لما فيه من الذلة والخضوع ؛ بوضع الرأس - وهي أشرف الأعضاء - في

موضع القدم ؛ وهي أخسها (بل الذين كفروا يكذبون) دائماً بآيات الله تعالى ورسله (وإنه أعلم بما يعون) بما يضررون من الكفر والمقصد على المسلمين (إلا الذين آمنوا) بالله وكتبه ورسله (وعملوا الصالحات) التي أمرهم الله تعالى بها ، وحنهم عليها (لهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع ، أو «غير ممنون» عليهم به .

(سورة السروج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسما ذات البروج) ذات الكواكب والنجوم (واليوم الموعود) يوم القيامة ؛ الذي وعد الله به المؤمنين ، وأوعد الكافرين

وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۖ وَيَصَلُّ سَعِيرًا ۗ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مُسْرُورًا ۖ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ۗ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۖ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۗ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۖ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۖ لِتَرْكِنَ طَبَقًا عَنْ طَبِقِ ۗ قَالَتْ لِمَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۗ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۖ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۗ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۗ

(٨٥) سُورَةُ السَّرُوحِ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّاهَا ٢٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝

(وشاهد ومشهود) قيل: الشاهد: محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، والمشهود: يوم القيامة . أو الشاهد:

٧٤٢ الجزء الثلاثون

أمة محمد ، والمشهود: سائر الأمم . أو
الحفظة وبنو آدم (قتل) لمن (أصحاب
الأخدود) وهم قوم كانوا يشقون في الأرض
شقاً ؛ فيوقدون فيه ناراً يطرحون فيها كل
من آمن بنبيهم (النار ذات الوقود) بيان
للأخدود (إذ تم عليها قعود) أى جلوس
حول النار ؛ يشقون في المؤمنين باحراقهم
فيها (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود)
أى حضور : ناظرون لهم ، فرحون بتعذيبهم
وليلامهم (وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله
العزيز الحميد) أى وما كان سبب انتقامهم
هنا ؛ سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد
(إن الذين قتلوا المؤمنين) أى ابتلواهم بالأذى
(ثم لم يتوبوا) عن إلقاء المؤمنين (إن بطش
ربك لشديد) البطش: الأخذ بمنف وقسوة ؛
فاذا ما وصف بالشدّة ؛ فقد تضاعف وتزايد
(إنه هو يبدئ ويبيد) أى يخلق الخلق ابتداءً ،
ويبيد بعد الموت عند بشم . وقيل :
« يبدئ » العذاب على الكفار ، ويبيده عليهم
(وهو الغفور) لمن تاب (الودود) الذى يبذل
وده لأولياءه . وناهيك بود الغفور الودود
(ذو العرش) صاحب العظمة والسلطات
(الحميد) ذو المجد ؛ المستحق لسائر صفات
العلو (فقال لما يريد) لا يعجزه شيء (هل
أتاك) يا محمد (حديث الجنود) نبؤم وما تم في

أمرهم . وهم (فرعون وثمود) وقد كانوا أشد بأساً ، وأقوى مراساً ؛ من بأس قومك وشدتهم ؛ وقد
أخذهم الله تعالى بذنوبهم (بل الذين كفروا) في سائر الحلات ، وكل الأوقات (في تكذيب) لما جاءت به
الرسول ، ونزلت به الكتب

وَسَاحِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿١﴾ قَتِيلٍ أَحْبَبَ الْأَخْدُودَ ﴿٢﴾
النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٣﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٤﴾ وَهُمْ
عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٥﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ
إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٧﴾
إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا
فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٨﴾ إِنَّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿٩﴾ إِنْ طَشَّ رِيحٌ
لَشَدِيدٌ ﴿١٠﴾ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١١﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ
الْوَدُودُ ﴿١٢﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٣﴾ فَعَالَ لِمَا
يُرِيدُ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٥﴾ فِرْعَوْنُ
وَتَمُودُ ﴿١٦﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ

من

(واقف من ورائهم محيط) قادر عليهم ، وعالم بأحوالهم (بل هو) أي بل المكذب به (قرآن مجيد) عزيز ، شريف (في لوح محفوظ) اللوح المحفوظ : شيء أخبرنا الله تعالى به ، ولم يعرفنا حقيقته وكنهه . وأما دعوى أنه جرم مخصوص ، بذات مخصوصة - كما أورده بعضهم - فهذا ما لم يثبت بالتواتر عن المصوم صلوات الله تعالى وسلامه عليه . واللوح المحفوظ : مدون فيه ما كان ، وما يكون ؛ في كونا هذا ؛ بل في سائر الأكوان التي خلقها الله تعالى ؛ من بدء الخليقة حتى قيام الساعة . وهو قابل للدحو والإنبات ؛ عدا أم الكتاب فإن ما فيه لا يقبل محواً ولا إنباتاً .

٧٤٣

سورة الطارق

ومثل اللوح المحفوظ؛ كمثل القانون العام الذي يصدره الملك ؛ ويذكر فيه كل ما يريده من الأنظمة المنظمة للملك ، الصالحة لرحمته : لذا كان القرآن الكريم بعض ما تدون في اللوح «لأنه لقرآن كريم ، في لوح محفوظ» والقرآن الكريم بعض ماتناوله الحو والانبات في اللوح المحفوظ «مانسخ من آية أو نفسها أت بجير منها أو مثلها» فالنسخ والإنشاء : محو، وإنباء بجير - ممانسخ أو أنسى - أو مثله: إنبات ؛ وكل ذلك بأمر العزيز الجليل ! وكل إنسان يولد: يكتب في اللوح المحفوظ رزقه ، وأجله ، وسعادته أو شقاوته ؛ في هذه الحياة . وجميع ذلك خاضع للدحو والإنبات . فن وصل رحمه: اتسع رزقه ، وطال أجله ؛ كنعس الحديث الشريف . ومن تصدق : رفع من ديوان الأشقياء وكتب في ديوان السعداء . وقد ورد في الحديث عن سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب: فيعمل بعمل أهل النار: فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب : فيعمل بعمل أهل الجنة: فيدخلها» وظاهر الحديث: أن الإنسان ليعمل السيئة ؛ فيقذف به

مِنْ ذَرَّاهُمْ مَحِيْطٌ ﴿١﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢﴾
فِي لَوْحٍ مَّحْفُوْظٍ ﴿٣﴾

(٨٦) سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١٧ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾
النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّآءٍ وَدَاقِقٍ ﴿٦﴾
يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ
لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَابُ ﴿٩﴾ قَسَا لَهُ مِنَ قُوَّةٍ وَلَا
نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ
الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلٍ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالنَّازِلِ ﴿١٤﴾

في النار - وقد قضى حياته في موجبات النجم - وأنه ليعمل الحسنه ؛ فيزف إلى الجنة - وقد قضى حياته في موجباته الجحيم ! أما أم الكتاب ؛ فهو علم الله الأزلي الأقدس ؛ الذي لا يعتبره بتدليل ولا تمييز ، ولا يلحقه محو ولا إنبات ؛ ولا يطلع عليه ملك ولا رسول ا فسبحان من أحاط علمه بالكائنات ، وتزده عن صفات المخلوقات ، وتفرد بالملك والملكوت ا وقيل : إن اللوح المحفوظ : هو أم الكتاب (انظر آية ٣٩ من سورة الرعد) .

(سورة الطارق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسما والطارق) وهو النجم . وأصل «الطارق» كل أت ليلا (وما أدراك ما الطارق) =

تهويل لذكوره ، وتظيم لشأنه (النجم الثاقب) الذى يتقرب الظلام بضوئه (إن كل نفس لما عليها حافظ) أى ما كل نفس إلا عليها حافظ - من قبل الله تعالى - يحفظ عملها ، ويحصى عليها ما تكسب من خير أو شر ؛ كما فى قوله تعالى «وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تعملون» وقوله تعالى «ويرسل عليكم حفظة» أو أريد بالحافظ : الله تعالى «فإنه خير حافظاً وهو أرحم الراحمين» (فلينظر الإنسان) نظر تدبر واستبصار (مع خلق) من أى شئ خلق ؟ فعلام التكبر ، وحنام التعجب ! (خلق من ماء

الجسزة الثلاثون

٧٤٤

دافق) وهو النى ؛ لأن الله تعالى جلت قدرته جعله يتدفق من الرجل بقوة ؛ ليصل إلى بوق الرحم (يخرج من بين الصلب والترائب) الصلب : فقار الظهر ؛ وهو ما تبر عنه العامة بسلسلة الظهر . والترائب : عظام الصدر . والمخين يتخلق من صلب الرجل ، وترائب المرأة . وهناك رأى يقول بأنه يتخلق من صلب الرجل وترائبه أيضاً (إنه) تعالى ؛ وقد خلق المني ، والصلب ، والترائب ، والرجل والمرأة (على رجسه) على إعادة الانسان ، وبشبهه ، وجعله كما كان (لقادر) يوم القيامة (يوم تبلى السرائر) تكشف سراير بني آدم ، ويعرف ما بهامن العقائد والنيات . أما الأعمال : فهى مدونة مكتوبة (فاله من قوة) تدفع عنه العذاب (ولا ناصر) ينصره من الله ، ويجيره من عذابه (والسما ذات الرجس) الرجس : الماء . أى والسما ذات المطر (والأرض ذات الصدع) أى ذات النبات ؛ لأنه يصدع الأرض ، أى يشققها . أقسم تعالى بالسما التى تفيض عليكم بمائها ، وبالأرض التى تقيم معاشكم بنباتها . وجواب القسم (إنه لقول فصل) أى إن هذا القرآن لقول فاصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) ما هو باللبس والباطل ؛ بل هو جد كله ؛ فجدير بقرته وسامعه أن يعظم به ، ويفكر فيه ، وتدبر فى معانيه

إِنَّمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهْلِكُ
الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُويدًا ۝

(٨٧) سُورَةُ الْأَعْلَى مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١٩ نَزَلَتْ بَعْدَ التَّكْوِينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِى خَلَقَ قَسْوَى ۝
وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى ۝ وَالَّذِى أَنْجَحَ الْمَرعى ۝
بِحَصْرِهِ غُشَاةً أَوْسَى ۝ سَنُقْرِطُكَ فَلَا تَنسَى ۝
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝ وَيَسْرُكُ
لِلْيَسْرِى ۝ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرِى ۝ سَيَذَكَّرُ
مَنْ يَخْفَى ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝ الَّذِى يَصلى
النَّارَ الْكُبْرَى ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَخْفَى ۝

قَدْ

(انهم يكيدون كيداً) يعملون المكائد ؛ لإطال أمر الله تعالى ، وتمطيل دينه (وأكيد كيداً) أى وأجازيهم على كيدهم هذا بكيد مثله . وأين كيدهم من كيدي ؟ (فهل الكافرين أمهلهم رويداً) أى لا تستعجل هلاكهم ومؤاخذتهم ؛ وأمهلهم قليلاً . وهذا منتهى الوعيد !

(سورة الأعلى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الأعلى) أى تزهه عملاً بليق به (الذى خلق) سائر المخلوقات (فسوى) ما خلقه ، =

تت وأخرجه على أحسن نظام يصلح له ، وفي خير حالة أعد لها (والذي قدر فهمي) أى الذى «قدر» فى كل شىء من المزايا والحواس : مانعجز عن إدراكه الأفهام ، وهدى الإنسان لوجه الانتفاع بما فيه ! فلو تأملت ما فى النبات من الحواس ، وما فى المعادن من المزايا ؛ وكيف اهتدى الإنسان للانتفاع بها ، وكيف استطاع أن يستنبط من الحيوان والنبات : مادة لغذائه ، وبما تخرجه الأرض : مادة لدوائه ، وبما فى باطنها من المعادن والفلزات : مادة لحياته ؛ فلولا ما وفق إليه من تحويل الحديد إلى أسلحة وأدوات ؛

لما استطاع أن يبني الدور ، أو يشيد القصور ، أو ينشئ المصانع ، ويضع المدافع ، ويبني الأساطيل الجوية والبحرية ؛ التى يحمى بها الزمار ، وينذرها عن الديار ؛ لأنك لو تأملت جميع ذلك بين التفكير والاستبصار ؛ لعلمت أنه لولا قدره تعالى لحقيقته ، وهدايته لبريته : لكننا نهم فى دياجير الظلام ، كسائر الأنعام ! (والذى أخرج المرعى) أنبت ما ترعاه الدواب من الكلال (فعله غشاء) أى هشيا يابساً (أحوى) أسود . ولا يخفى ما فى المرعى من المنفعة ؛ بعد صيرورته هشيا يابساً ؛ فإنه يكون طعاماً هشاً ، نافعاً لكثير من الحيوانات ؛ مسمن لها ، مدر لألبانها . فسبحان من أحكم كل شىء ، و «قدر فهمي» (سنقرئك) يا محمد (فلا تنسى) أى سننزل عليك كتاباً تقرؤه على أمتك ، ولا تنسى منه شيئاً «إن علينا جمعه وقرآنه» (إلا ما شاء الله) نسخه من القرآن ؛ فإنه ينسبك إياه ؛ كقوله تعالى «ما ننسخ من آية أو ننسها» (وننسرك لليسرى) أى نهديك ونوفقك للشرية السمحة ؛ التى يسهل على النفوس قبولها ، وعلى العقول فهمها (فذكر إن نعمت الذكري) أى عطف الناس ؛ حيث تنفع العظة . وقيل : العظة واجبة ؛ نعمت أو لم تنفع . وهو قول باطل ؛ لأنه من الحق والحرق أن تعظ أقواماً

وأنت على تمام اليقين من أنهم لن يقبلونها . وإنما يجب التذكير : إذا كان فيهم من يقبلها ، ومنهم من يرفضها ؛ ويؤده ما بعده (سيدذكر من يخشى) الله تعالى ؛ ويخاف عقابه (ويجنحها) يرفضها ، ولا يسمعها ، وإن سمعها لا يعمل بها (الأسقى) الكافر ؛ الذى هو أشقى المخلوقات ؛ بما سينزل عليه من العذاب والبلاء (الذى يصلى النار الكبرى) وحى جهنم . أما النار الصغرى : فهى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) - كما مات فى الدنيا واستراح (ولا يحيا) أى ولا تتوفر له أسباب الحياة ؛ لأن من دأب النار الإمامة والإفناء ؛ بمعنى أنه لا يحيا حياة طيبة من غير الاحتراق ، الذى هو من أسباب الموت (قد أفلح من تزكى) تظهر من الكفر بالإيمان ، ومن المعاصى بالطاعة . أو هو بمعنى تصدق (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه =

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝
إِنَّ هَذَا لَبِئْسَ الصَّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى ۝

(٨٨) سُورَةُ الْعَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٢٦ نَزَلَتْ بَعْدَ الذَّارَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ النَّفْثِيِّ ۝ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ۝
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۝ تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ
ءَانِيَةٍ ۝ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ۝ لَا يُسْمِنُ
وَلَا يُغْنِيهِمْ مِنْ جُوعٍ ۝ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۝
لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَأَتَسْمَعُ فِيهَا

== (فصل) الصلاة المكتوبة ؛ أو بمعنى : فرحم الفقير ؛ لأن من معاني الصلاة : الرحمة وهو الذي يصل على رسلكم ، أى يرحمكم (بل تؤثرون الحياة الدنيا) تفضلونها . ومعنى ما تقدم : قد أفلع من تصدق ، وتذكر ربه فرحم الفقير ؛ بل أتم تفضلون الحياة الدنيا فتبخلون (والآخرة) وما فيها من النعم (خير) من الدنيا وما فيها (وأنتي) لدوام نعمها . أما ماترونه من نعم الدنيا ؛ فإنه صائر إلى الزوال والفتناء (إن هذا) أى ما تقدم من النصح الرباني ، والإرشاد ، والتذكير ، والتحذير (لنى الصحف الأولى) التي نزلت قبل القرآن (صحف إبراهيم وموسى) وذلك لأن

الجزء الثلاثون

٧٤٦

التحذير من النار ، والتبشير بالجنة ، والتعريف بأهله تصال ، والدعوة إلى الإيمان به ، والحث على طاعته ؛ كل ذلك وارد في كتب الله ، المنزلة على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

(سورة الفاشية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتاك حديث الفاشية) الداهية التي تقضى الناس بأهوالها وشدادتها ؛ يعنى يوم القيامة . أو هي النار ؛ كقوله تعالى «وتقضى وجوههم النار» والمعنى : هل علمت يا محمد حديث الفاشية ؛ فإن لم تكن تعلم ؛ فهناك حديثها ، وحديثها (وجوه يومئذ شامعة) ذليلة (عاملة ناصبة) أى وقع منها في الدنيا عمل ، وأصابها فيه نصب ؛ أى تبس . وقيل : لأنها تعمل ما تتعب فيه يوم القيامة : تكبوس النار ، وجر السلاسل والأصفاد ، ونحو ذلك . والأول أولى ؛ لقابله مع قوله تعالى في وصف أهل الجنة «لسميها راضية» أى لأعمالها في الدنيا (تسقى من عين آنية) أى شديدة الحرارة ؛ من آنى الحميم : إذا انتهى حره ؛ فهو آنى (ضريع) الضريع : مشوك ردى ترعاه الإبل ؛ فتسوء حالها . ويسمى

لَنفِيَةٍ ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝
وَأَعْرَابٌ مَّوضُوعَةٌ ۝ وَعِمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَائِبُ
مَبْنُوتَةٌ ۝ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْرِيلِ كَيْفَ خَلَقَتْ ۝
وَالِىَ السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَالِىَ الْجِبَالِ كَيْفَ
ضُصِّبَتْ ۝ وَالِىَ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ فَذَكِّرْ
لَأَنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۝ إِلَّا
مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۝
إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۝

(٨٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ

وآياتها ٣٠ نزلت بَعْدَ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝

وَاللَّيْلِ

الشرق . و (وجوه يومئذ ناعمة) حسنة منعمة ؛ ذات بهجة (لسميها راضية) لعلها في الدنيا فرحة ، مطمئنة لما رأته من ثوابه (في جنة عالية) بستان مرتفع . والعلو هنا : حساً ومعنى (لا تسمع فيها لآنية) أى لا تسمع فيها خشياً ، ولا شتاً ، ولا سباً (فيها سرر مرفوعة) ليرى الجالس عليها ماخوله ربه من النعم ، والملك العظيم ! وهي مرفوعة قدراً ومجلاً (وعِمَارِقٌ) وسائد . وهو ما يسمى بالسند والخذة (وزَرَائِبُ) بسط فاخرة منقوشة (مبْنُوتَةٌ) مبسوطة (أفلا ينظرون) نظر تأمل واعتبار (للى الإبل كيف خلقت) على هذا النحو العجيب ، والوضع الغريب ! فانظر - يارعاك الله - كيف أنها تبرك ؛ ليستطيع الإنسان أن يضع عليها حوتها عن قرب ، ثم تقوم بما تحمل ، بما ينوء بالمصبة أولى القوة . ثم تميزها بالصر على الجوع =

= والطنش الأيام المدودات ، ثم بلوغها المسافات الطويلة . ثم اكتفاؤها من المرعى بما لا يكاد يرهاه سائر
 البهائم . لى غير ذلك من استعدادها الخلق الذى يساعدها : فشققتها مشقوقة لسهولة تناول الكلال أثناء المشى ،
 ورجلها مفرطحة لثلاث نعوس فى الرمال فيعوقها ذلك عن السير . فنتبارك الذى أحسن كل شىء خلقه !
 وقد خص الله تعالى «الإبل» بالذكر : لأنها أفضل دواب العرب ، وأكثرها نفعا (ولى السماء كيف
 رفعت) من غير عمد (ولى الجبال كيف نصبت) فيها قائم ، وبعضها منحدر ، وبعضها كبير ، وبعضها
 صغير ؛ وما خلق منها فى باطن الأرض أكبر مما

ظهر . قال تعالى «والجبال أوتادا» وكل ذلك
 لحفظ توازن الأرض - أثناء دورانها - لئلا
 تميد بكم (ولى الأرض كيف سطحت) بسطت
 رأى العين ؛ ولو أنها فى واقع الأمر كرية
 الشكل . وهما قد وضحت الأدلة ، وقامت البراهين
 - حتى بلغت حد اليقين - على وجود رب
 العالمين (فذكر) هؤلاء الكفار ؛ بصنع
 العزيز الجبار ، وبأنعمه تعالى عليهم ، ووضوح
 أدلة وجوده وجوده (إنما أنت مذكر) فلا
 عليك أنت يهتدوا (لست عليهم بمسيطر)
 بمتسلط (إلا من تولى وكفر) فلا داعى
 لتذكريه . قال تعالى «وذكر فإن الذكري
 تنفع المؤمنين» فذكر إن نفعت الذكري
 أما «من تولى وكفر» وطنى واستكبر ؛
 فيقابل بالستان لا باللسان ! وبعد ذلك يرد لى
 يوم القيامة (فيعذب الله العذاب الأكبر) فى النار
 وبئس القرار ؛ بعد أن يلقي العذاب الأصفر
 فى الدنيا ؛ بالقتل ، والأسر ، والذل ، وعذاب
 القبر (إن لنا ليايهم) مرجعهم جميعا (ثم إن
 علينا حسابهم) جزاءهم على ما فعلوه فى دنياهم .

وَالْيَلِ إِذَا سَرَ ۝ هَلْ فِي ذَلِكَ سَمَّ لَدَى حَجْرٍ ۝
 أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝
 الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِينَ ۝ وَالْمُؤَدِّ الَّذِينَ جَاءُوا
 أَصْحَابَ الْلُؤَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ
 طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفِسَادَ ۝
 فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ
 لَبِالْمُرْصَادِ ۝ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ
 فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا
 مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۝
 كَلَّا بَلْ لَأَسْكُرِينَ ۝ وَلَا تَحْضُرُونَ عَلَى
 طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ۝
 وَيُحِبُّونَ الْآهَالَ حُبًّا جَمًّا ۝ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ
 دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝

(سورة الفجر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) أقسم سبحانه وتعالى بالنجم ؛ لما فيه من خشوع القلب ، لحضرة الرب . وقيل : أريد
 بالفجر: النهار كله (وليسال عشر) هى عشر ذى الحجة ؛ أقسم بها تعالى : لما يكتنفها من عبادات ،
 ومناسك ، وقربات وقيل : هى العشر الأواخر من رمضان (والشفع والوتر) أى والزوج والفرد ؛ كأنه
 تعالى أقسم بكل شىء ؛ لأن سائر الأشياء : إما زوجا ، وإما فردا . أو هو قسم بالخلق والخالق (والليل إذا
 يسر) إذا يمضى . قيل : هى ليلة المزدلفة ؛ لاجتماع الحجيج بها ، وصلاتهم فيها ، وقيامهم بتناسك حجهم
 (هل فى ذلك قسم لى حجر) الحجر: العقل ؛ لأنه يحجر صاحبه عما لا يبنى . أى هل فى ذلك القسم الذى
 أقسمت به متنع لى عقل ؟ (أم تر كيف فعل ربك بعاد) هم قوم هود عليه السلام . وهى عاد الأولى =

== (إرم) هو اسم لجد القبيلة ، أو هو اسم قبيلة عاد نفسها (ذات العمد) وصف لإرم : التي هي قبيلة عاد ومعنى «ذات العمد» سكان الحيام ؛ لأنها تنصب بالعمد . أو هو كناية عن القوة والشرف وقال قوم : إن «إرم» هي دمشق . وقال آخرون : إنها الإسكندرية . أما ما رواه المفسرون ؛ من أن «إرم ذات العمد» مدينة عظيمة : قصورها من الذهب والفضة ، وأساطينها من الباقوت والزبرجد ؛ فهو من أقاصيص اليهود وأساطيرهم (التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي لم يخلق مثل أهلها ؛ في القوة والبطش ، والحلقة

الجسزة الثلاث

٧٤٨

(وعمود) قوم صالح عليه السلام (الذين جابوا الصخر بالواد) أي قطعوا الحجازة ونحتوها ، وانخذوها بيوتاً ؛ لقوله تعالى «وتنحتون من الجبال بيوتاً» (وفرعون ذى الأوتاد) قيل : كانت له أوتاد يربط بها من يريد تعذيبه . وقيل : هو كناية عن كثرة الجنود ، وخيامهم التي يأوون ليلها . وقيل «الأوتاد» المباني العظيمة ؛ كالأهرام ونحوها وقيل : غير ذلك (الذين ظفوا في البلاد) تجبروا فيها ، وتكبروا على أهلها (فأكثروا فيها الفساد) أي أكثروا المعاصي وسفك الدماء (فصب عليهم ربك سوط عذاب) هو كناية عن شدة التعذيب (إن ربك لبالمرصاد) أي لا يفوته شيء ؛ وسيجازى على سائر الأعمال : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر (فأما للإنسان إذا ما ابتلاه ربه) اختبره وامتنحه بالفق وضهد النعم (فأكرمه) بالمال والآل ، والعيال (فيقول ربى أكرمى) بما أعطاني من النعم التي أستحقها . ولم يعلم أنه ابتلاء له : أي شكر أم يكفر ؟ (وأما إذا ما ابتلاه ربه) اختبره أيضاً وامتنحه بالفقر والفاقة (فقدر عليه رزقه) ضيق عليه عيشه (فيقول ربى أهانى) بتضييقه على ، ولم ينظر بيباله أنه ابتلاء له : أي صبر أم يجزع ؟ ولم يعلم كلاهما أن التقدير قد يؤدي إلى كرامة الدارين ،

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿١٠٠﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ حِجَابِي ﴿١٠١﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَدِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿١٠٢﴾ وَلَا يُؤْتِي نَفَقَةً أَحَدًا ﴿١٠٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١٠٤﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿١٠٥﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿١٠٦﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿١٠٧﴾

(٩٠) سُورَةُ الْبَلَدِ الْمَكِّيَّةِ
وَأَيَّاتُهَا ٢٠ نَزَلَتْ بِعَدْنِ قِيَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِبَدْنِ الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِبَدْنِ الْبَلَدِ ﴿٢﴾
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾
أَلَيْسَ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا

لَبَدًا ﴿٦﴾

وأن التوسعة قد تقضى إلى خسرانها ؛ والمعنى : أن الإنسان على كلا الحالين لا تهمة الآخرة ؛ بل جل همه العاجلة ؛ ويرى أن الهوان في قلة الحظ منها (كلا) ليس الإكرام والإهانة ؛ في كثرة المال وقلته ، وسعة العيش وتضييقه (بل لا تكرمون اليتيم) انتقل القرآن الكريم من بيان سوء أقوال الإنسان ؛ إلى بيان سوء أفعاله ، وإلى أن التوسعة - كما قدمنا - قد تؤدي إلى الخسران ؛ إذا لم يقم الموسع عليه بما يجب عليه : من إكرام اليتيم ، والحض على إطعام المسكين ، والقيام بكل الواجبات التي هو مشغول عنها ، مطالب بها ، محاسب عليها (ولا تحاضون) أي لا يحض بعضهم بعضاً (على طعام المسكين) أي على إطعامه كما طعمتم ، وإشباعه كما شبعتم (وتأكلون التراث) الميراث (أكلالما) أكلنا ؛ وهو الجمع بين الحلال والحرام =

== كناية عن أنهم كانوا يأكلون أنصباهم، وأنصبا باق الورثة . وهو أمر مشاهد في كل حين؛ وعاقبه من أوحى العواقب . فكم رأينا مستكثراً : دامه الفقر ، وظلما : ظلمه الدهر ، وناهياً : صبر الله ماله من بعده نهياً لأعدائه (وتعجبون المال حياً حياً) حياً كثيراً ؛ مع حرص ، وطمع ، وشراهة (كلا) ردع عن أكل التراث ، وعن حب المال ؛ فإذا يفيد أكل حقوق الغير ؛ عند دخول القبر ؟ وماذا يجدي حب المال ؛ عند المال ؟ وماذا يفيد النعم الزائل ؛ عند العذاب الدائم ؟ ماذا يفيد كل هذا (إذا دكت الأرض

دكا دكا) أى ترزلت زلزالا شديداً متتابعاً ،

وتهدمت ؛ عند قيام الساعة (وجاء ربك)

أى جاء أمره وقضاؤه ، وظهرت آيات عظمته

وقدرته (و) جاء (الملك صفاً صفا) أى

وجاءت الملائكة صفوفا صفوفا ؛ متتابعة : كما

يصطف جنود الملك وحراسه : انتظاراً لأمره

(وحى) يومئذ يجهنم يومئذ يتذكر الإنسان

ما قدم وأخر ؛ ويعلم أنه مؤاخذ على ما أكل

من حق ، وما حفظ من مال ، وما يجمل به من

طعام (وأنى له الذكرى) أى ومن أين يكون

له الذكرى ؟ وماذا يجدي التذكر ؟ وماذا

تفيد التوبة ؛ وقد فات أوأتهما ؟ (يقول)

حينئذ (يا ليتني قدمت) فى الدنيا عملاً صالحاً

ينفعنى (لحياتي) الباقية الدائمة : حياة الخلود

(فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه

أحد) هو كناية عن هول عذاب الله تعالى ،

وشدة وثاقه ؛ (يا أيها النفس الطمئنة)

الآمنة . يقال ذلك للمؤمنين : عند الموت ،

أو عند البعث ، أو عند دخول الجنة (ارجى

إلى ربك) إلى رحمته ، ورضوانه ، ونعيمه

الوافر (راضية) عن الله تعالى بما آتاك من

نعم مقيم (مرضية) عنده ؛ بما عملت من صالح

الأعمال (فادخلى فى عبادى) أى فى زمرة

عبادى الصالحين . وقيل : الخطاب لروح

المؤمن ؛ يؤيده قراءة من قرأ «فادخلى فى

عبدى» أى فى جسد عبدى (وادخلى جنتى) مع الداخلين ، من عبادى المؤمنين ا

(سورة البلد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم) أى أقسم (بهذا البلد) أقسم تعالى بالبلد الحرام ؛ وهو مكة شرفها الله تعالى (وأنت حل
بهذا البلد) ساكن بها . أو «حل» بمعنى حلال لك ما فيها : لك أن تقتل من ترى قتله ، وتأمر من
ترى أسره ، وتعذب من ترى تعذيبه ، وتفوق عن ترى العقو عنه ؛ ليس عليك من شيء فى هذا . =

لُبْدًا ١ أَيْحَسِبُ أَنْ تَرِيَهُٓ أَحَدًا ٢ أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ
عَيْنَيْنِ ٣ وَنَسَانًا وَشَفْتَيْنِ ٤ وَهَدَيْتَهُ النَّجْدَيْنِ ٥
فَلَا أَقْنَمُ الْعَقَبَةَ ٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ٧
فَكَرْبَةُ ٨ أَوْ إِطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ٩
يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ١٠ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ ١١ ثُمَّ كَانَ مِنَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ١٢
أَوْ لَيْتَكَ أَتَّخَذَ الْمِيزَةَ ١٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَجَانِبْنَا
فَمَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ١٤ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ١٥

(٩١) سورة الشمس مكية

وآياتها ١٥ نزلت بعد القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ٢ وَالنَّهَارِ

== وكان ذلك يوم دخوله مكة - ولد أمر يومئذ بقتل ابن خطل ؟ وهو آخذ بأستار الكعبة ؟ وكان من ألد الأعداء للإسلام والمسلمين - ولم تحمل مكة لأحد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

أو المراد بقول جل شأنه « لا أقسم » نفي القسم ؟ أى « لا أقسم » بها « وأنت حل » بها ؟ أى حلال . وذلك أن أهل مكة استعملوا إذية الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإخراجه منها (ووالد وما ولد) هو كل والد وولده ؛ من إنسان وحيوان وغيرهما (لقد خلقنا الإنسان في كبد) في مشقة ومكابدة : فالفقير - في هذه الحياة الدنيا - يكابد من آلامها وهمومها ما يكابد

الجزء الثلاثون

٧٥٠

في سبيل نيل قوته ، وإدراك عيشه . والنفي يكابد فيها أيضاً في سبيل المحافظة على ماله ، والخوف على حياته . هذا غير ابتلاء الأغنياء بالمرض ، والأصحاء بالفقر ؛ وبذلك لا يكون على ظهر الأرض إنسان لم ينل حظه من الامتحان والابتلاء ، والمكابدة ! (أحسب أن لن يقدر عليه أحد) لقوته ، وكثرة ماله (يقول أهلكت مالا لبدا) كثيراً مجتمعا .

يقول ذلك على سبيل الفخر والرياء ، وهو على عادة الجاهلية ؛ من ادعاء الكرم والتظاهر به . وقيل : يتختر باهلاك ماله في سبيل عداوة عهد والمؤمنين (أحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق هذا المال في غير مواضعه ، وأنت الله تعالى لا يحاسبه عليه ، ولا يجازيه عنه (لم نجعل له عينين) يرى بهما (ولساناً وشفقتين) ينطق بهما (وهديناه النجدين) أو ضمنا له

طريق الخير ، وطريق الشر (انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) فلا اتحم العقبة) أى فهلا شكر تلك النعم الجليلة ؛ بأن عمل الأعمال الصالحة : مثل الإعتاق ، والإطعام ، وغير ذلك (وما أدراك ما العقبة) تعظيم لشأنها (فك رقبة) إعتاق رقبة (انظر آية ١٧٧ من سورة البقرة و ٩٢ من سورة النساء) (مسفية) جماعة (أو مسكيناً ذا مئرة) هو الفقير الشديد

إِذَا جَلَّتْهَا ① وَأَنْبَلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ② وَالْأَسْمَاءُ ③
 وَمَا بَنَتْهَا ④ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَنَهَا ⑤ وَنَفْسٍ وَمَا
 سَوَّيْنَاهَا ⑥ فَالْمَهْمَا جُورُهَا وَتَقْوِينَهَا ⑦ قَدْ أَفْلَحَ
 مَنْ زَكَّيْنَاهَا ⑧ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيْنَاهَا ⑨ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
 بِطَعْنِهَا ⑩ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ⑪ فَقَالَ لَمْ يَنْ
 رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيِيهَا ⑫ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا
 فَجَاءَهُمْ رَبُّهُمْ يَدْنَئِيمٍ فَسَوَّيْنَاهَا ⑬ وَلَا يَخَافُ
 عُقْبَىٰهَا ⑭

(٩٢) سُورَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ
 وَأَيَّاهَا ٢١ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَجْلَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَنْبَلِ إِذَا يَغْشَىٰ ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ② وَمَا خَلَقَ

اللَّهُ

الفقر ، اللاصق بالتراب (وتواصوا بالصبر) أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على المصائب ، والشدائد ، وثواب الدهر ، وتواصوا أيضاً بالصبر على طاعة الله تعالى ، وعن محارمه (وتواصوا بالرحمة) بالترحم فيما بينهم (أولئك أصحاب الميمنة) أولئك هم السعداء يوم القيامة وهم من اليمين ، أو من اليمين : بمعنى البركة (أصحاب المشأمة) وهم الأشقياء يوم القيامة . وهم من الشمال ، أو من الشؤم (عليهم نار مؤسدة) أى مطبقة عليهم ومغلقة ؛ من آسد الباب : إذا أغلقه .

(والشمس وضحاها) أى وضوئها (والقمر إذا تلامها) إذا تبعها فى الطلوع والإنازة عند غروبها (والنهار إذا جلاها) أظهر الشمس تمام الظهور (والليل إذا يشاها) أى يستر الشمس ؛ فنظّم

الآفاق (والسما وما بناها) أى والقادر العظيم المبدع ؛ الذى بناها (والأرض وماطحاها) أى والمدبر الحكيم العليم ؛ الذى بسطها (ونفس وما سواها) أى والمخلق الرازق المصور ؛ الذى سوى الإنسان ، وأخرجه فى أحسن تقويم . ومن تمام التسوية : أن ركب تعالى فى النفس قواها الظاهرة والباطنة ، وشد أسرها ، وأمورها بما يصلحها ، ونهاها عما يضرها ، ووهبها العقل الذى يميزه بين الخير والشر ، والتقوى والفجور (فألهمها فجورها وتقواها) أى عرفها طاعتها ومعصيتها ، وما ينجيها وما يردئها ، وخلق فيها العقل والإدراك ؛ اللذين يميز بهما بين الفح والتب ، والحسن والقيح .

(انظر آية ١٧٦ من سورة الأعراف) أقسم تعالى فى هذه السورة الكريمة : بالشمس ، والقمر ، والنهار ، والليل ، والسما ، والأرض والنفس : ليلفت النظر إلى هذه الآيات الكونية الدالة على وجود بارئها ، ومدبر حركاتها وسكناتها ؛ بهذا الوضع العجيب ، والنظام الباهر (قد أفلح من زكاها) من طهر هذه النفس ، وأصلحها ، وارتفع بها من مرتبة الحيوانية (وقد خاب) خسر (من دساها) التدمية : النقص والإخفاء ؛ كأنه تعالى يقول لقد خلقت النفس ، وأعدتها بعمدات العلم والفهم ؛ اللذين ينجيها من مهاوى الجهالة ؛

ولم يبق لها بعد ذلك عذر: فن طامع هواه ، وجاهر بمصيته مولاه ؛ فقد نقص من عداد العقلاء ، والحق بالأغبياء الجهلاء ؛ وأراد ربك أن يضرب مثلاً مملوساً لمن دساها ، وما كان من عاقبة أمره فى ديناه ؛ فضلاً عما أعد له ربه فى أخراه ؛ فقال (كذبت عمود) قوم صالح عليه السلام (بطغواها) أى « كذبت عمود» نبيها بسبب طغيانها وبغيها (إذ انبت) قام وانطلق (أشقاها) أشق القبيلة ؛ حين قام لعقر الناقة (فقال لهم رسول الله) صالح عليه السلام (ناقة الله) أى دعوا ناقة الله تعالى ؛ التى أرسلها لكم آية ، ولا تمسوها بسوء (وسقياها) أى لا تمنعوا الشرب فى يوم شربها المدهلها « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم» (فدمتم عليهم ربهم) طعنهم ، وأهلكهم عن آخرهم (فسواها) أى فسوى عمود فى العقوبة ؛ =

الذِّكْرَ وَالْأُنثَى ١ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى ٢ فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى ٣ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٤ فَسَنبَرِهِ
لِلْعُسْرَى ٥ وَأَمَّا مَنْ يُجَلِّ وَأَسْتَفْتَى ٦ وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى ٧ فَسَنبَرِهِ لِلْعُسْرَى ٨ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ
مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ٩ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ١٠ وَإِنَّ
لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ١١ فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْفَطَى ١٢
لَا يَصْلِيئُهَا إِلَّا الْآسُفَى ١٣ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ١٤
وَسَيَجْزِيهَا الْآتِفَى ١٥ الَّذِي يُوَفِّي مَالَهُ يَتَزَكَّى ١٦
وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ١٧ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
رَبِّهِ الْأَعْلَى ١٨ وَسَوْفَ يَرْضَى ١٩

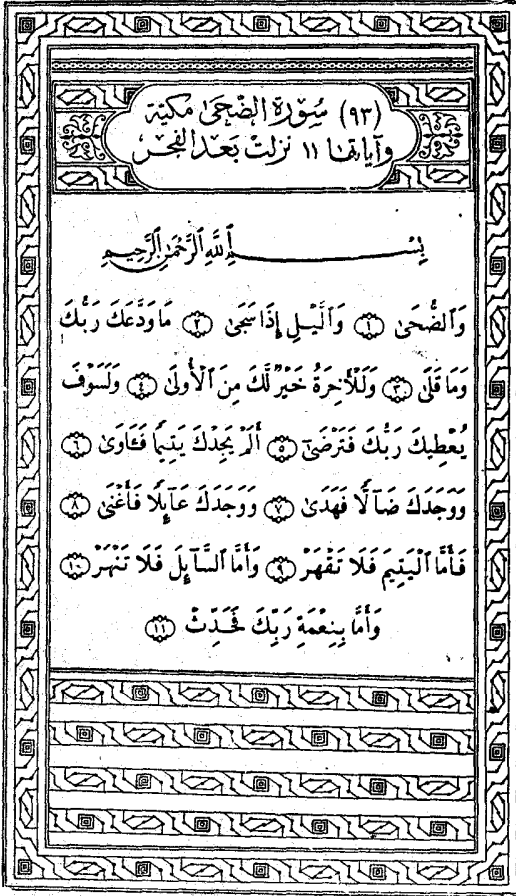
= فلم يفلت أحد . أو سواها بالأرض : بأث دمر مساكنها على ساكنيها (ولا يخاف عقباها) أى ولا يخاف الله تعالى عاقبة إهلاكهم ؛ لأنه ليس كسائر الملوك ؛ فلا هو بالظالم : فيخفه الحق ، ولا بالضعيف : فيلحقه المكروه . ولا ينقص ملكه هلاك طائفة منه ، بل لا ينقص ملكه هلاك سائر مخلوقاته !

(سورة الليل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المسز: الثلاثون

٧٥٢



(والليل إذا يغشى) إذا غطى النهار بظلمته (والنهار إذا تجلّى) إذا ظهر بزوال ظلمة الليل (وما خلق الذكر والأنثى) أى والقادر العظيم ؛ الذى خلق الذكر والأنثى . أقسم تعالى بذيائه - على هذه الصفة - إشعاراً بأنه جل شأنه الخالق المصور المبدع ؛ لأنه لا يعقل أن هذا التخالف بين الذكر والأنثى ؛ يحصل بالاتفاق من طبيعة لا شعور لها بما تفعل ، ولا علم عندما بما يلزم ؛ إذ أت الأجزاء الأصلية فى المني متساوية التكوين ؛ فالولد ينتج من عناصر واحدة ؛ لكنه يخرج نارة ذكراً ، ونارة أنثى ؛ بحيث لا يطنى أحدهما على الآخر . ومن أعجب العجب أن تكثر ولادة الذكران عقب الحروب والطواعين ، واجتياح الرجال ؛ وجميع ذلك يدل دلالة قاطعة على أن واضع هذا النظام : عالم بما يفعل ، محكم لما يصنع ؛ ولا عبرة بما يقوله الآن بعض المشتغلين بالطب : من أنهم سيستطيعون قريباً التحكم فى الجنين ، وجعله كما يريدون ؛ فإن هذا من صنع مدبر الكون ؛ الذى «يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور» (إت سعيكم لشيء) أى إن عملكم لختلف : فنه النافع ، ومنه الضار ، ومنه المنجى ، ومنه المردى ؛ ويفسره ما بعده (فأما من أعطى) الفقراء بما وهبه الله

(وانتق) ربه ، وخاف سوء الحساب (وصدق بالحسنى) آمن بالثبوة الحسنى ؛ وهى الجنة . أو صدق بالكلمة الحسنى ؛ وهى لا إله إلا الله (فستيسره اليسرى) نهيه للخصلة المؤدية لليسر ؛ وهى الأعمال الصالحة ؛ المؤدية للجنة ؛ فتكون الطاعة أيسر شيء لديه (وأما من مجل) على عبادته ، ولم يؤتهم ما أمر به الله (واستغنى) عن ثوابه (وكذب بالحسنى) أى كذب بالجزاء الحسن ، مقابل الإحسان ، أو كذب بكلمة التوحيد (فستيسره اليسرى) نهيه للخصلة المؤدية لليسر والشدة ؛ وهى الأعمال السيئة ؛ المفضية إلى النار ؛ فتكون الطاعة أيسر شيء عليه . وسمى تعالى طريقة الخير يسرى : لأن عاقبتها اليسر . وطريقة الشر عسرى : لأن عاقبتها العسر (وما يفتنى) ما يدفع (عنه ماله إذا تردى) أى إذا هلك ، وتردى فى القبر ، أو إذا تردى =

في جهنم . و «تردى» سقط (إن علينا الهدى) أي علينا أن نوضح طريق الهدى ، ونحث عليه ؛ ونبين طريق الضلال ، وننفر منه (وإن لنا للآخرة والأولى) نوفق في الأولى ، ونجزي في الآخرة ؛ ومن أراد الدنيا أو الآخرة من غيرنا ؛ فقد أخطأ الطريق (فأنذرتم ناراً تلتظي) تلهب . أي لرحمتنا بكم ، وعلما بمصالحكم : أسدينا لكم النصح ؛ فأوضحنا لكم الهدى وما يؤدي إليه ، والضلال وما يؤدي إليه ؛ فأنذرناكم ناراً تلتظي (لا يصلها) لا يدخلها للخلود فيها (إلا الأشتى) الكافر ؛ الذي هو أشقى العصاة

(الذي كذب) النبي والقرآن (وتولى) أعرض عن الإيمان (وسيجنبها) لا يدخلها ، ولا يقربها (الأتقى) المؤمن الصالح ، التقى التقى ! (الذي يؤتى ماله) الفقراء (يترك) يتطهر بذلك من دنس البخل ، أو متزكياً به عن الرياء والسمة ؛ بل يبذله بأمر الله في سبيل مرضاته ! (وما لأحد عنده) من نعمة تجزي) أي يجزيه عليها باعطاء المال ، أو لا ينتظر جزاء من أحد (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) المعنى : أنه لا يعطي ما يعطي جزاء نعمة سابقة أسفها عليه المطى له ، أو منتظراً جزاءً لما يعطيه : كموض ، أو ثناء ؛ بل يفصل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى حسب (ولسوف يرضى) هو وعد من الله تعالى بارضاء من أرضى عبيده ! فمن أراد رضا الله تعالى ؛ فليرض مخلوقاته !

(سورة الضحى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) صدر النهار ؛ حين ترتفع الشمس (والليل إذا سجي) إذا سكن (ماودعك ربك) من الوداع ؛ أي ما تركك (وما قبل) وما أبفضك (وللاخرة خير لك من الأولى) من الدنيا (ولسوف يطيق ربك

فترضى) أي يطيق في الآخرة من النعيم والثواب حتى ترضى . قيل : لما نزلت ؛ قال صلى الله تعالى عليه وسلم «لا أرضى وواحد من أمي في النار» وقد يكون المعنى : لنهاية أمرك ؛ خير من بدايته . يدل عليه ما بعده (ألم يجيدك يتيها فأوى) أي فأواك إلى عمك أبي طالب ، وجمالك أحب الناس لديه . فالإيواء خير من اليم ! (ووجدك ضالاً فهدى) أي وجدك بين أهل الضلال ، معرضاً له فمصمك منه ، وهداك للإيمان ، ولإلى إرشادهم إليه . فالهدى خير من الضلال ! وقد نشأ صلى الله تعالى عليه وسلم في عصر نشأت فيه عبادة الأوثان ، وانتشرت فيه اليهودية والنصرانية ؛ ورأى بعينه ما في هذه الأديان من أباطيل ، وما يستمسكون به من أضاليل ؛ فغناه الله تعالى من الوقوع في براثن الوثنية ، وعصمه من السقوط في وهاد =

(٩٤) سُورَةُ الشَّرْحِ مَكِّيَّةٌ
وآيَاتُهَا ٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ
أَلَمْ نَذِّرْكَ أَنْفَاصَ ظَهْرِكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ
فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۖ

(٩٥) سُورَةُ التَّيْنِ مَكِّيَّةٌ
وآيَاتُهَا ٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْيَعْنَ وَالزَّيْتُونَ ۖ وَطُورِ سِينِينَ ۖ وَهَذَا

= اليهودية والنصرانية . ورغمما عن ذلك فقد كان أهله وعشيرته - عن آخرهم - يبدون الأصنام ؛ وجدير بمن نشأ في عصر كله ضلال أن يكون ضالاً ؛ لولا أن أغاثه مولاه بصنائه ، وأدركه بلطفه وهدايته ! (وجودك عائلاً) فقيراً (فأغني) فأغناك بما آفاه عليك من الغنائم ، أو بمال خديجة رضى الله تعالى عنها . فالغنى خير من الفقر ! (فأما اليتيم فلا تقهر) أى فلا تظبه على ماله لضعفه . وقرئ « فلا تكهر » أى فلا تمس في وجهه وهذا لا يناقى القيام على إصلاحه وتأديبه وتهذيبه ؛ إذ أن تركه وإهماله : قهر له (وأما

الجزء الثلاثون

٧٥٤

السائل فلا تنهر) أريد بالسائل هنا: من يسأل علماً وفيها ؛ فلا ينهر ، بل يجاب على سؤاله برفق ولين . أو سائل المال ؛ فلا يجبس عنه . وتركه بغير إعطاء - مع حاجته - نهر له . ولا يحل بمجال أن يمنع عن سائل المال المال ، أو يجبس عن سائل العلم العلم ؛ وكل من سأل شيئاً : وجبت إجابته في حدود الإمكان . وإنه لمن دواجى سقوط المروءة : رد السائل . وقد كان من قلنا يقف بيابه السائل : فيشاطره قوته وماله ؛ غير منتظر منه جزاء ولا شكوراً ؛ بل يسرع يبذل الشكر له على قبوله الطاء ؛ وتسببه في رضاه مولاه عليه ! (وأما بنعمة ربك فحدث) التحدث بنعمة الله تعالى : شكر هذه النعم ، والشكر على النعم: صرف كل نعمة فيما خلقت له ؛ فيصرف المال في الخيرات ، وير المخلوقات ، ويبذل العلم لطالبه ، لينفعوا به ، وينفعوا الغير بنشره وإذاعته !

(سورة الشرح)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك) بالإسلام وقيل: أريد به : شق صدره الشريف . وغسل قلبه بماء زمزم ؛ كما ورد في الحديث الشريف (ووضنا عنك وزرك) الوزر: الحمل الثقيل . أى وحططنا عنك عبك الثقيل (الذى أفتض ظهره) أى أفتله ؛ وهو مثل لشدة تأله عليه الصلاة والسلام ، وتلهفه على إسلام قومه (ورفضنا لك ذكرك) بالنبوة ويذكره صلى الله تعالى عليه وسلم في التشهد ، والأذات ، والإقامة (فاذا فرغت فانصب) أى إذا فرغت من دعوة الملق ؛ فاجتهد في عبادة الخالق ! والنصب : التنب (ولى ربك فارغب) أى فارغب إليه بالسؤال ، ولا تسأل غيره . وقرئ « فرغب » أى رغب الناس في طلب ما عند الله لأنه متحقق الوجود ، متحقق الإجابة !

الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٢﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٤﴾ قُلْ يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّكْرِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ الْحَكِيمِ ﴿٥﴾

(٩٦) سُورَةُ الْعَلَقِ مَكِّيَّةٌ

وَأَمَّا ١٩ وَهِيَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٢﴾ مِنْ عَلَقٍ ﴿٣﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٤﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٥﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفَّحٍ ﴿٧﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَفْحَفَ ﴿٨﴾ إِنَّ إِلَهَكَ

رَبِّكَ

أى وحططنا عنك عبك الثقيل (الذى أفتض ظهره) أى أفتله ؛ وهو مثل لشدة تأله عليه الصلاة والسلام ، وتلهفه على إسلام قومه (ورفضنا لك ذكرك) بالنبوة ويذكره صلى الله تعالى عليه وسلم في التشهد ، والأذات ، والإقامة (فاذا فرغت فانصب) أى إذا فرغت من دعوة الملق ؛ فاجتهد في عبادة الخالق ! والنصب : التنب (ولى ربك فارغب) أى فارغب إليه بالسؤال ، ولا تسأل غيره . وقرئ « فرغب » أى رغب الناس في طلب ما عند الله لأنه متحقق الوجود ، متحقق الإجابة !

(سورة التين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(التين والزيتون وطور سينين) الطور : الجبل . وقصد به هنا : الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى و«سينين» و«سيناء» شجر . و«سينا» جبل بالشام . وقيل : «طور سينا» جبل بين مصر والقبة (وهذا البلد الأمين) مكة زادها الله تعالى علواً وشرفاً ! وسميت بالبلد الأمين : لأمان من يدخلها .

٧٥٥

سورة القدر

قيل : إن في هذا تقسيم لتاريخ هذا العالم منذ نشأته ؛ إلى أربعة أقسام ؛ وأقسام بكل قسم منها : لأهميته في تاريخ البشر عامة ؛ فالتين : إشارة إلى القسم الذي بدأ من خروج آدم من الجنة إلى وقت الطوفان ؛ وذلك لأن آدم وحواء استترا - حين بدت لهما سوءاتهما - بورك التين . والزيتون : إشارة إلى القسم الذي بدأ من الطوفان إلى ظهور الأديان الحديثة ؛ يبعثه موسى عليه السلام ؛ وذلك لأن نوحاً عليه السلام - حينما استوت سفينته على الجودي - زرع شجرة الزيتون ؛ لغذائه منه ، وغذاء ناشيته من ورقه ، والاستضاءة بزيتيه . وطور سينين : إشارة إلى القسم الذي بدأ يبعثه موسى عليه السلام إلى ظهور الإسلام ، ومجيء سيد الرسل عليه الصلاة والسلام ؛ وذلك لأن موسى ناجى ربه وكلمه عليه . والبلد الأمين : إشارة إلى القسم الذي بدأ برسالة خاتم النبيين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلى يوم تقوم الساعة ؛ وذلك لأن مكة عظيمها الله تعالى : هي مولد الرسول عليه الصلاة والسلام ومبعثه ، ومصدر الإسلام ومنبعه ، وفيها بيت الله الحرام وبقبة سائر المسلمين !

رَبِّكَ الرَّجْمِيَّ ۝ أُرِيَّتَ الَّذِي يَنْهَى ۝ عَبْدًا
إِذَا صَلَّى ۝ أُرِيَّتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ أُنْدَىٰ ۝
أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ۝ أُرِيَّتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝
أَلَّا يَعْلَمَ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعًا
بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَنُذِيَةِ خَاطِبَةٍ ۝ فَلَئِنَّ
نَادِيَهُ ۝ سَنَدُعُ الرِّيَابِيَةَ ۝ كَلَّا لَا نَطَعُهُ وَأَجْزَد
وَاقْتَرَبَ ۝

(٩٧) سُورَةُ الْقَدْرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ عَبَسَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ
الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ

وفي الأقسام بالتين والزيتون : إعلاء لأثنتهما ، ولقت لما فيها من منافع تجل عن البيان والحصر . فالتين : مقول للقلب والدم ، مسمن ، ملين ، وهو يقطع البواسير ، ويعالج الأحماس الروماتيزمية ، ويدفع القرس . والزيتون : مفتت للحصى ؛ مقول للصدر ، طارد للبلغم ؛ وهذا بعض مزاياها ، وقل من كثر من منافعها . وقال بعضهم : المراد بالتين والزيتون : منابتهما . فالتين : دمشق . والزيتون : بيت المقدس . وقيل : «التين والزيتون» : إشارة إلى نبوة عيسى «وطور سينين» إشارة إلى نبوة موسى عليهما السلام . و«البلد الأمين» إشارة إلى نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) في أحسن تصور ؛ حيث خلقه تعالى مستوى القامة ، متناسب الأعضاء ، متصفاً بالعلم والفهم (ثم رددناه أسفل سافلين) =

= أى حيث إنه لم يشكر نعمة خلقنا له في أحسن تقويم ، ولم يستعمل ما خصصناه به من المزايا في طاعتنا ومرضاتنا : سنده في أسفل سافلين ؟ وهى جهنم . نعوذ بالله تعالى منها . ويحتمل أن يكون المعنى : رددناه إلى الكبر والهرم ؛ الذين هم مظهر الضعف والحرف . والمعنى الأول أدق ؛ لقوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع ؛ وهو الجنة وليس بمعتول أن يكون المعنى : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فلن يكبروا ، ولن يهرموا (فما يكنبك بعد الدين) الخطاب للإنسان

الجزء الثلاثون

٧٥٦

على طريقة اللفظ - أى فأسبب تكذيبك بالبعث والجزاء ؛ بعد هذا التبيين ، وبعد وضوح الأدلة والبراهين ؟ (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى ليس الذى خلق التين والزيتون ، وكلم موسى على طور سينين ، وأنشأ البلد الأمين ، وخلق الإنسان في أحسن تقويم ، وجعل النعم والجحيم ؛ فأدخل المؤمن في نعمه ، وأصل الكافر في جحيمه ؛ أليس ذلك بأحكم الحاكمين : صنعا ، وتديرا ، وعدلا ١٢

(سورة الطلق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرأ باسم ربك) أى اقرأ مبتدئا باسم ربك . صح في الأخبار أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عليه الملك جبريل - أول نزوله عليه - وقال له : « اقرأ » قال : ما أنا بقارئ فأخذه فطسه - حتى بلغ منه الجهد - ثم أرسله فقال له « اقرأ » قال : ما أنا بقارئ . فطسه الثانية - حتى بلغ منه الجهد - ثم أرسله فقال له « اقرأ » قال : ما أنا بقارئ ، فطسه الثالثة - حتى بلغ منه الجهد - فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق) حتى بلغ « علم الإنسان ما لم يعلم » وهذا أول خطاب لاهى وجه إلى النبي صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ أما بقية السورة فتأخر

الْمَلِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ①
سَلَّمَ مِنْ حَتَّى مَطَّلَعِ الْفَجْرِ ②

(٩٨) سُورَةُ الْمَلِكَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الطَّلَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ① رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ
يَشَلُّوا صُفْحًا مَطْهُرَةً ② فِيهَا كُتِبَ الْقِيَمَةُ ③ وَمَا
تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَةُ ④ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الَّذِينَ حَقَّاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ
وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ⑤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ

الزول (خلق الإنسان من علق) الطلق : ديدان صغيرة ؛ يؤيده ما أنبته العلم الحديث من احتواء المني على حيوانات صغيرة لا ترى إلا بالميكروسكوب (اقرأ وربك الأكرم) الذى لا يدانى كرمه كرم ا (الذى علم بالقلم) أرشد ، ووفق إلى الكتابة به ؛ وفي هذا تنبيه على فضل علم الكتابة ؛ فإدونت العلوم ، ولا ضبطت كتب الله تعالى المنزلة إلا بالكتابة ؛ ولولاها لما استقامت أمور الدين والدنيا (علم الإنسان ما لم يعلم) أى علمه ما لم يكن يعلم ، أو علمه ما لا يستطيع علمه بقواه البشرية ؛ وإن من ينظر إلى الكهرباء ، واللاسلكى ، والرادار ، والصواريخ الموجهة ، والطائرات ، والنوacsات ، وغير ذلك من خوارق الصناعات والعلومات : يعلم حق العلم أن العقل البشرى - مهما سما وعلا - ما كان ليستطيع أن يبلغ ما بلغ ؛ بغير إلهام =

== وتعليم من الله تعالى (انظر آية ٢٢ من سورة الروم) (كلا إن الإنسان ليطغى) أى ليتجاوز الحد ؛ فتطمح نفسه إلى نيل ما لم ينل ، وتطلع بصره إلى السماء ؛ منتظياً ما رسمه الله تعالى له فى الكون ، خارجاً على سنن الطبيعة التى أوجدها الله ؛ راعياً بلوغ الكواكب ؛ وما هو بياضها ا (أن رآه استغنى) أى أمت رأى نفسه غنياً بالمال ، الذى رزقه الله ليصدق به ، متسلحاً بالعلم ؛ الذى وهبه الله ليفيده ، ويستفيد منه (إن إلى ربك الرجعى) المرجع ؛ فيجازى الكافر على كفرانه ، والطاغى على طغيانه ا

(أرأيت) أيها السامع ؛ وهى للتعجب فى مواضعها الثلاثة من هذه السورة (الذى ينهى عبداً إذا صلى) كأنه تعالى يقول : ما أسخف عقل من يطفى به الكبر والكفر ؛ فينهى عبداً من عبدة الله تعالى عن صلاته ! قيل : إن أبا جهل قال فى ملا من قريش : لئن رأيت عبداً يصلى لأطأن عنقه . وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى مرة فألقوا عليه - حين سجد - سلا جزور ، وكثيراً ما كانوا يتعجبون صلاته ؛ فيخسونه بصنوف من الإهفاء ، وضروب من الإستهزاء ا (أرأيت إن كان هذا المصلى (على الهدى أو أمراً) الذى ينهاه (بالتقوى) أى أمره باتقاء الله تعالى وخشيته فيما يفعل . وقيل : «أرأيت» ذلك النامى «إن كان على الهدى» فيما ينهى عنه من عبادة الله ، أو كان أسماً بالمعروف والتقوى ؛ فيما يأمر به من عبادة الأوثان ؛ كما يقتضيه (أرأيت إن كذب وتولى) أى إن كان على التكذيب للحق ، والتولى عن الدين الصحيح (ألم يعلم بأن الله يرى) كل هذا فيجازه عليه (كلا لئن لم ينته) عما يفعل (لنشفاً بالناصية) لناخذن بناصيته ، ولنسجنه بها إلى النار . والناصية : شعر مقدم الرأس (ناصية كاذبة خاطئة) وصف الناصية بذلك مجازاً ، وأراد به صاحبها (فليدع ناديه) أى

الْكَتِيبِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ① إِنَّ الَّذِينَ هَامُتُوا وَعَمَلُوا
الْأَسْلِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ② جَزَاءُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ
لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ③

(٩٩) سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٨ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّسَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ
أَنْفُسَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ
لُحِثَّتْ أُنْعَابُهَا ④ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَى هَآءَا ⑤ يَوْمَئِذٍ

ليدع أهل ناديه ؛ وهم خلانه وأصدقاؤه ؛ الذين يجلسون معه فى ناديه ؛ وكان - فى دنياه - يعتر بقوتهم ، ويتناول بشوكتهم . والنادى والندى : المجلس الذى يجلس فيه القوم ؛ ويسمع بعضهم فيه نداء بعض . والمعنى : ليدع اليوم من كان يستعصر بهم فى الدنيا ؛ فإنهم لن يستجيبوا لندائه ، ولا لندائه ، ولن يسمعه ، وإن سمعوه فلن يستطيعوا نصرته ا (سندع الزبانية) ملائكة العذاب ؛ فنقول لهم : «خذوه فلوله ، ثم الجحيم صلوه ، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه» و «الزبانية» الشرطه ؛ أطلقت على ملائكة العذاب ؛ لأن الشرطه يذفون بالجرمين إلى السجون ، وملائكة العذاب يذفون بالكافرين إلى النار (كلا) ردع وزجر لذلك العاتى الطاغى : النامى عن الصلاة ، وعن عبادة الله ا وردع عن طاعته واتباعه ==

= (لائطه) في ترك الصلاة (واسجد) لله؛ وداوم عليها (واقرب) وتقرب إلى ربك بالسجود؛ فإن «أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد»

(سورة القدر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الجزء الثلاثون

٧٥٨

(لما أنزلناه) أي القرآن : نزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ؛ وكان ذلك (في ليلة القدر) أي في ليلة تقدير الأمور وقضائها ؛ كقوله تعالى «فيها يفرق كل أمر حكيم» وقيل : سميت بذلك ؛ لشرفها وفضلها على سائر الليالي ؛ وهي في العشر الأواخر من رمضان ، ويرجع أن تكون في ليلة السابع والعشرين منه (وما أدراك ما ليلة القدر) تفخيم لها ، وتظيم لشأنها (ليلة القدر) في العظمة والشرف (خير من ألف شهر) فالعبادة فيها : تفضل العبادة في غيرها بأكثر من ثلاثين ألف ضعف (نزل الملائكة) تنزل إلى السماء الدنيا ، أو إلى الأرض (والروح) جبريل عليه السلام . وخس بالذكر : لأنه النازل بالذكر . وقيل : «الروح» طائفة من الملائكة ؛ حفظة عليهم ، كما أن الملائكة حفظة علينا «وما يعلم جنود ربك إلا هو» (ياذن ربهم) بأمره وإرادته (من كل أمر) أي تنزل الملائكة لأجل كل أمر قضاه الله تعالى على مخلوقاته لتلك السنة (سلام هي) أي لا يقدر الله تعالى فيها للمؤمنين المتقين إلا الأمن والسلامة (حتى مطلع الفجر) وبه يكون انتهاء الليلة . أو المراد بالسلام : ما يحدث في هذه الليلة المباركة من كثرة تسليم الملائكة على المؤمنين .

يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۗ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ

(١٠٠) سُورَةُ الْجَارِيَاتِ مَكِّيَّةٌ
وآياتها ١١ نزلت ببغداد العترة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۗ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۗ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۗ فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا ۗ فَوْسَطِنَّ بِهِ جَمْعًا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۗ وَإِنَّمَا عَلَيَّ ذَلِكَ لَشَيْدٌ ۗ وَإِنَّمَا كُنَّ لِحَافٍ لَشَيْدٍ ۗ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ ۗ وَحِصْلُ مَا فِي الصُّدُورِ ۗ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ عَلِيمٌ ۗ

سورة

(سورة البينة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) اليهود والنصارى ؛ وكفرهم : تكذيبهم بمحمد عليه الصلاة والسلام (والشركين) عبدة الأصنام والأوثان (متفكين) منفصلين عن الكفر ، تاركين له (حتى تأتيهم البينة) الحجة الواضحة ؛ وهي الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ الذي ذكر في كتبهم (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة) هي القرآت (فيها كتب قيمة) أي في هذه الصحف مكتوبات مستقيمة ، ناطقة بالحق والعدل (حفباء) مؤمنين (وذلك دين القيمة) الملة المستقيمة (البرية) الخليفة (جنات عدن) جنات الإقامة =

= من عدن في المكان : إذا أقام فيه (خالدين فيها أبداً) خلوداً دائماً ؛ لا يخرجون منها (رضى الله عنهم) بقبول أعمالهم (ورضوا عنه) بثوابها (انظر آية ٢٢ من سورة المجادلة) .

(سورة الزلزلة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا زلزلت الأرض زلزالها) أي حركت واضطربت اضطراباً شديداً ؛ لقيام الساعة (وأخرجت الأرض أثقالها) ما في جوفها من الموتى ، والكنوز (وقال الإنسان) الكافر (مالها) يقول ذلك مستغنياً ؛ لأنه لا يؤمن بالبعث . أما المؤمن فيقول : «هذاما وعد الرحمن وصدق المرسلون» (يومئذ تحدث أخبارها) ينطقها الله تعالى - الذي أطلق كل شيء - فتشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها ؛ وذلك (بأن ربك أوحى لها) أي إن نطقها هذا يوحى منه تعالى (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً) متفرقين (ليروا أعمالهم) أي ليروا جزاء أعمالهم (فمن يعمل مثقال) وزن (ذرة) الذرة : النملة الصغيرة التي تدورها الرياح . وهو مثل للصغر والثقل (خيراً يره) أي يرى ثوابه (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) أي يرى عقابه .

(سورة العاديات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات ضبحاً) الخيل التي تجرى ، فتضبح . والضبح: صوت أقدامها عند عدوها (فالوريات قدحا) التي توري النار ، وتقدحها بجوافرها . وهذا مشاهد عند جرى الخيل ؛ حين تصطدم حوافرها بقطع الصخر ؛ فتقدح شبراً (فالغبرات صبحاً) التي تنفر على العدو صبحاً (فأثمن به) ثمناً أي فيهجن بوقت الصبح غباراً (فوسطن به جمعاً) أي توسطن بهذا الوقت جموع الأعداء . أقسم تعالى بالخيل الجياد ، التي تندو للجهاد ؛ فتعدو فتورى النار ، وتقدحها بجوافرها ؛ لقوتها وشدة بأسها ، فتضرب على الأعداء ، وتنزل بهم صنوف البلاء ، وتشر الغبار ، وتتوسط الجموع . وذلك للإشعار بعلو مرتبة الخيل ، والحض على اقتنائها والاعتناء بشأنها ؛ ولا يخفى ما يقرب على ذلك من تعلم الفروسية ، وإعداد العدة ، وأخذ الأهبة للحرب والجهاد في سبيل الله تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) أي لكفور بأمنه (ولأنه على ذلك) أي وإن الإنسان على كفره هذا وكنوده (لشديد) يشهد على نفسه بكفر النعمة ؛ =

٧٥٩

سورة القارة

(١٠١) سُورَةُ الْقَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا ١١ نَزَلَتْ بِعَدَنَ قَرِيْبًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۝
نَارٌ حَامِيَةٌ ۝

== حيث يظهر أثر ذلك عليه ؟ فهو دائماً يشكو من الله ولا يشكره على أنعمه (ولأنه لحب الخير) المال (لشديد) أى لأجل حبه للمال لبخيل مسك (أفلا يعلم) ذلك الكنود الكفور مايجل به (إذا بشر ما في القبور) بث ما فيها من الموت (وحصل ما في الصدور) أى أخرج ، وعلم ما فيها: من كفر وإيمان ، وطاعة وعصيان ، وشح وكرم (إن ربهم بهم يومئذ) وبها في قلوبهم (لخبير) فيجازهم على ما قدموا: من خير أو شر .

الجزء الثلاثون

٧٦٠

(سورة القارعة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) القيامة ؛ وسميت قارعة: لأنها ترقع القلوب بأموالها (وما أدراك ما القارعة) تهويل لشأنها (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) الفراش : هو الطائر الصغير الدقيق؛ الذى يطير حول النار . أو هو الجراد الصغير. وقد شجبه تعالى بالفراش؛ لسكرتهم وانتشارهم وضغطهم وذلمهم ، و «المبثوث» المتفرق المنفصر (وتكون أنببال كالعين المنفوش) كالصوف المنتثر المتطار؛ كقوله تعالى «فكانت جباب منبثاة» (فأما من ثقلت موازينه) أى زادت حسناته على سيئاته (وأما من خفت موازينه) أى قصت حسناته عن سيئاته ، أو لم تكن له حسنات يتد بها ؛ كمن يصنع الكرم مباحاة ، أو العباداة رياء (فأما هارئة) أى فأواه النار . ويقال للأوى: أم ؛ لأن الأم : مأوى الولد ومفرغه .

(سورة التكاثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم تَرَ التكاثر) شغلك التفاخر

بالأموال والأولاد ؛ عن طاعة الله (حتى زرم

المقابر) أى شغلك جمع المال ، عن المال ؛ حتى أدرككم الموت ، ودفنتم في المقابر . وقيل : «حتى زرم المقابر» معددين سجايا آباءكم وأجدادكم (كلا) ردد عن التكاثر والتفاخر (سوف تعلمون) عاقبة تكاثركم وتفاخركم (ثم كلا سوف تعلمون) تكرر للتأكيد مما سوف يعلمونه ، وأنه حاصل لا محالة (كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم) أى لو علمت العلم الحقيقى ، وتدبرتم وتفكرتم ؛ لمرتم الجحيم ، ولخفتسوها كأنكم ترونها . وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام «أن تصد الله كأنك تراه» (ثم لترونها عين اليقين) أى ثم ترونها يقيناً يوم القيامة (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) أى تهاسبون وتؤاخذون على النعم الذى شغلكم عن الطاعة ولم تقوموا بشكره !

سورة

(١٠٢) بَيِّنَاتٌ لِّلنَّكَارِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُنَا ٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبُكُورِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الْهٰكِرُ الْفٰكِرُ ١ حَتّٰی زُرِمَ الْمَقَابِرُ ٢ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ الْبَیْقِیْنَ ٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِیْمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عِیْنَ
الْبَیْقِیْنَ ٧ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیْمِ ٨

(١٠٣) سُورَةُ الْعَصْرِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ٣ نَزَلَتْ بَعْدَ الشَّرْحِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَالْعَصْرِ ١ اِنَّ الْاِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكٰفِرٌ ٢ اِلَّا الَّذِیْنَ
ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا
بِالصَّبْرِ ٣

(سورة العصر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعصر) أى والدهر . أقسم الله تعالى بالدهر لتتخذ من التاريخ عظة وعبرة ؛ فنعلم أن الرومان أهلكتهم الترف ، وأطاح بملكهم الفجور والخور . وأن الفراعنة : أهلكتهم الكفر والكبر . وأن كثيراً ممن سبقنا من الأمم « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » وأن البقاء دائماً للأصلح ، و« أن الأرض برئها عبادى الصالحون » .

٧٦١

سورة الهزرة والنيل

هذا وقد يكون المراد بالعصر : صلاة العصر ؛ لفضلها ، أو لكونها الصلاة الوسطى (إذ الإنسان لني خسر) أى لني خسران ؛ لأنه يفضل العاجلة على الآجلة ؛ في حين أنه - فيما يتعلق بالدنيا - يفضل الآجلة على العاجلة : فكم أقرض محتاجاً رغبة في الربا لأنه مطمئن لصدق مقرضه وملائه . أما وعد الإله - الفنى القدير - بالجزاء ؛ فليس في حسابه ، ولا يدخل في مجال اليقين لديه ؛ فبئست التجارة تجارته ؛ وهو في خسرات أبد الدهر ! (إلا الذين آمنوا) بالله تعالى ، وصدقوا برسله وكتبه ، وبوعده ووعيده (وتواصوا بالحق) أى أوصى بعضهم بعضاً بالحق الذى شرعه الله تعالى وأمر به . والحق : الخير كله ؛ من توحيد الله تعالى ، وطاعته ، واتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه (وتواصوا بالصبر) على الشدائد والمصائب ، والصبر على الطاعات ، وعن المعاصي .

(سورة الهزرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل لكل همزة لمزة) وهو الذى يضتاب

الناس ، ويظن في أعراضهم . والهمزة : الغمز والضغط ، والنخس . والغمز : العيب ، والإشارة بالعين (الذى جمع مالا) كثيراً ؛ لأن القليل : لاسمى جمعاً (وعدده) أحصاه ، أو جعله عدة لنوائب الدهر (يحسب أن ماله أخله) أى يظن أن سعة ماله تخله في الدنيا ؛ فلا يموت . أو تخيله في الفنى والعميم ؛ فلا يساق إلى الجحيم (كلا) ردع عن ذلك (ليبيذن في الحطمة) أى ليطحن في النار . وسميت حطمة : لأنها تحطم كل شيء (وما أدراك ما الحطمة) تهويل لتأنيها ، وتعظيم لأمرها (نار الله الموقدة) جهنم أعادنا الله تعالى منها (التي تطلع على الأثدة) أى تحرق قلوب الكافرين . وخس الأثدة بالذكر : لأنها مكان الكفر ، وموطن النفاق . ولأنها أيضاً لاشيء في البدن أشرف منها ، ولا أشد تألماً (إنها عليهم مؤصدة) =

(١٠٤) سُورَةُ الْهُزُرَةِ مَكِّيَّةٌ
وآياتها ٩ نزلت بعد الأقيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ①
الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ①
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ②
كَلَّا لَيُبَدِّلْنَ فِي الْخِطْمِ ③
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخِطْمُ ④
نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ⑤
الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ⑥
إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ⑦
فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ⑧

(١٠٥) سُورَةُ الْفِيلِ مَكِّيَّةٌ
وآياتها ٥ نزلت بعد الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي كَفَّ قَوْلَ رَبِّكَ إِحْسَابَ الْفِيلِ ①
الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنْهُ مَنَافِعَ ②

= مطبقة مفلقة . من آسد الباب : إذا أغلقه (في عمد ممددة) أى أنهم بعد طباق أبواب جهنم عليهم : تمدد عليها العمدة . وذلك لتأكيد بأسهم من الخروج . أو المراد أنهم مربوطون في العمدة بالسلاسل والأغلال!

(سورة الفيل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الجزء الثلاثون

٧٦٢

(الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) وهم قوم أبرهة . روى أن أبرهة بن الصباح ، ملك اليمن : بنى كنيسة بصنعاء ، وأراد أن يصرف إليها الحاج عن مكة ؛ فجاء رجل من كنانة فطخ قلبها بالعدرة - احتقاراً لها - فحاف أبرهة ليهدم الكعبة . وجاء مكة يجيش له جرار تحمله الفيلة . ولذلك سماه الله تعالى أصحاب الفيل من قبل : إن عبد المطلب - سيد قريش ، وجد الرسول عليه الصلاة والسلام - أصاب جيش أبرهة من ماله مائتي بعير ؛ فاستأذن على أبرهة فأذن له ، وقال أبرهة لترجمانه : سله عن حاجته ، فقال : أن ترد لى . فقال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أجمعتى حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين كتبتى في مائتى بعير أصابها جيشى ، وترك بيتنا هو دينك ، ودين آبائك ؛ فلا تكلمنى فيه ! فقال عبد المطلب : إني رب الابل ، وإن للبيت رباً سيمنعه . قال : ما كان ليمنع منى . قال عبد المطلب : أنت وذاك . فرد عليه الابل . وبعد ذلك تخرزوا في شغف الجبال خوفاً من فتك أبرهة . وقام عبد المطلب آخذاً بحلقه باب الكعبة مبتهلاً إلى الله تعالى بقوله :

فِي تَضَلُّيلٍ ① وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ② تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ③ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُوِّلَ ④

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاهَا ٧ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ① فَاعْبُدْهُ وَارْتَبِعْ آيَاتِهِ ② الْبَيْتَ الَّذِي أَطَعْتَهُمْ مِّن جُوعٍ وَهَاتَمْتَهُمْ مِّن خَوْفٍ ③

(١٠٧) سُورَةُ الْمَاعُونِ مَكِّيَّةٌ ثَلَاثُ آيَاتٍ الْأُولَى مَدَنِيَّةٌ الْفَاتِحَةُ وَأَيَّاهَا ٧ نَزَلَتْ بَعْدَ التَّكْوِينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ ① فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ

الْبَيْتِ ①

لام إن المرء يم
وانصر على آل الصدي
لا يظلمن صايهم
جروا جوع بلادهم
عمدوا حاك بكيدهم
إن كنت تاركهم وكعد

(الم يجعل كيدهم في تضليل) في تضييع وإبطال . أى أبطل كيدهم الذي جاءوا من أجله (وأرسل =

عن وقتها ؛ فإياك بمن لا يأتيها أصلاً (الذين هم) إذا صلوا (براعون) أي يصلون أمام الناس رياء ؛ يقال : إنهم صلحاء ، ويتشتمون ليقال : إنهم أقياء ، ويتصدقون ليقال : إنهم كرماء (وعنهم الماعون) وهو كل ما يستعان به ؛ كالإبرة ، والفأس ، والقدح ، والماء ، والملح ، ونحو ذلك .

(سورة الكوثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الجزء الثلاثون

٧٦٤

(إنا أعطيناك الكوثر) الخير الكثير و«الكوثر» من الرجال : السيد الكثير الخير . وقيل : «الكوثر» نهر في الجنة (فصل لربك) صلاة عيد الأضحي (وأحمر) أحضيتك . وقيل : كل صلاة ، وكل نحر . (إن شئت) إن مفضك (هو الأبت) المنقطع عن كل خير . قيل : نزلت في العاص بن وائل ؛ حيث سمى الرسول عليه الصلاة والسلام : أبت عند موت ابنه القاسم . وكيف يكون أبت من التحق بنسبه سائر المؤمنين ؟

(سورة الكافرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أعبد ما تعبدون) لأن الحكم الذي تدمونه يلد ، والهي لا يلد (ولا أنتم عابدون ما أعبد) لأن الهي بأمرهم يأتي فلم تدموني ؛ فإذا أنتم لا تدمونه (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي ولا أنا بعابد عبادتكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم عابدون عبادتي . ومعنى الجملتين الأوليين : الاختلاف التام في المعبود ، والجملتين الآخريتين : الاختلاف التام في العبادة . أي لا معبودنا واحد ، ولا عبادتنا واحدة (لكم دينكم) لكم شرككم (ول دين) ولي توحيدى .

(سورة النصر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا جاء نصر الله والفتح) هو فتح مكة ، أو هو الفرج ، وتنفيس الكرب ! (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) أي جماعات وذلك بعد فتح مكة : صارت العرب تأتي من أقطار الأرض ؛ طاعة للرسول ، مختارة لدينه (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم - بعد نزولها - يكثر من قول «سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه» .

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ① وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ②

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ④

(١١٠) سورة النصر نزلت في فتح مكة
ففتح مكة سنة ١٠ هـ وفتحها بجزء من
التي بها ٣ نزلت بعد التوبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ

فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ

إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ③

(١١١) سورة المسد نزلت في مكة

وأيضا نزلت بعد الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا

عَسَى ②

(تبت) أي هلكت (بدأ ب) وهو عم الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ وسبب ذلك أن الرسول عليه السلام لما دعا قومه للإسلام ، وقال لهم : «إني نذير لكم بين يدي هذاب شديد» فقال أبو لهب ؛ تبا لك ، ألهذا جئنا ؟ فنزلت هذه السورة ؛ دعاء آ عليه يمثل مادعا به على الرسول (وتب) أي وقد كان ذلك وحصل ، يؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله تعالى عنه «وقد تب» (ماغنى عنه ماله وما كسب) أي لم يفده ماله الذى جمه ، ولا عمله الذى اكتسبه (سيصل) سيدخل (نارا ذات لهب) هي جهنم أعادنا الله تعالى منها ١ (وامراته حماله المطب) وقد كانت تمشى في القوم بالنيمة ، ويمر عن الراشي بحمال المطب في لغة العرب ؛ قال الشاعر :

سورة الإخلاص والقلبي ٧٦٥

لأن بني الأدرم حالوا المطب هم الوشاة في الرضاء والنضب وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أنها كانت تحمل المطب حقيقة ، لنضغه في طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ وهو بعيد ؛ لأنها كانت موسرة ذات خدم وحشم ، فلا تعدم خادماً يقوم لها بما تريد : من إذابة الرسول، ووضع المطب في طريقه (في جيدها) في عنقها يوم القيامة (حبل من مسد) المسد : الذى قتل من الجبال فتلا شديداً ، من ليف وجلد وغيرها . وليس كحبال الدنيا ، كما أن النار ليست ككنار الدنيا ، وإنما هو على سبيل التمثيل .

لأن بني الأدرم حالوا المطب

هم الوشاة في الرضاء والنضب

وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أنها كانت تحمل المطب حقيقة ، لنضغه في طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ وهو بعيد ؛ لأنها كانت موسرة ذات خدم وحشم ، فلا تعدم خادماً يقوم لها بما تريد : من إذابة الرسول، ووضع المطب في طريقه (في جيدها) في عنقها يوم القيامة (حبل من مسد) المسد : الذى قتل من الجبال فتلا شديداً ، من ليف وجلد وغيرها . وليس كحبال الدنيا ، كما أن النار ليست ككنار الدنيا ، وإنما هو على سبيل التمثيل .

(سورة الإخلاص)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله أحد) لارب غيره ، ولا معبود

سواه ١ (الله الصمد) الذى يحتاج إليه كل مخلوق ، ولا يحتاج إلى أحد (لم يلد) لأنه لا يجاسه أحد ؛ فيتخذ من جنسه صاحبة فيتوالدا «أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة» (ولم يولد) لأن كل مولود : حادس . وهو جل شأنه قديم ؛ لا أول لوجوده . ولو كان حادثاً لافتقر إلى محدث ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ١ (ولم يكن له كفواً أحد) أى لا يعالاه أحد .

(سورة الفلق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ برب الفلق) الفلق : الصبح (من شر ما خلق) من شر كل شيء خلقه ؛ كنار ،

كَسَبَ ١ سَبَّحَ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٢ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٣ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٤

(١١٢) سُورَةُ الْإِخْلَاصِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا ٤ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤

(١١٣) سُورَةُ الْفَلَقِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا ٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الْفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤

وسيطات ، وحية ، وعقرب ، وغير ذلك (ومن شر غاسق إذا وقب) قيل : إنه الليل إذا دخل ؛ لما يتبع ذلك من الشرور ، والإجرام ، والفتك . وقيل : إنه الثريا إذا سقطت ؛ لما يتبع سقوطها من الأسقام والطواعين . وأهو القمر إذا انخسف ؛ لأنه من علامم الجذب والقطط ، أو انخسافه يوم القيامة ؛ حيث لا يوجد على ظهرها مؤمن . وقيل : الفاسق إذا وقب : الأير إذا قام ؛ ولم في ذلك من بلاء كبير ، وشر مستطير ! وهذا القول مهروي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (ومن شر الثغانات في المقعد) المراد هنا : الثمامون ، الذين يقطون روابط الألفة ،

وجبال المحبة ؛ بما يفتشونه من سموم نائمهم . شبههم تعالى بالسحرة المشعوذين ؛ الذين إذا أرادوا أن يجلوا عقدة المحبة بين الرجل وزوجه: عقدوا عقدة ثم قثوا فيها وحلوا ؛ ليكون ذلك حلا لعقدة التي بين الزوجين ، أو بين المتحابين . والنميمة تشبه أن تكون ضرباً من ضروب السحر ؛ لأنها تحول ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة ولما كانت النميمة على هذا الجانب العظيم من المخطورة : علمنا الله تعالى أن نلجأ إليه ، ونعوذ به منها . أما مارواه بعض المحرفين المحرفين - في تأويل هذه الآية - من أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سحره لبيد بن الاعصم ، وقد أثر سحره فيه ؛ حتى أنه كان يخيل إليه أنه يأتي الشيء وهو لا يأتيه ؛ فهو باطل مردود مجعوج ؛ إذ ما أشبه هذا بقول المشركين فيه صلى الله تعالى عليه وسلم «إن تتبعون لإرجلا مسحوراً» ولا يبعد أن من خلوط في عقله بدرجة أنه كان يخيل إليه أنه يأتي الشيء وهو لا يأتيه : أن يخيل إليه أيضاً أنه يوحى إليه ، ولم يوح إليه ، أو أنه قد بلغ ما أوحى إليه ولم يبلغ ! وفضلا عن هذا فإن هذه السورة مقطوع بمكبتها ، وما يزعمونه من السحر يقولون : إنه وقع بالمدينة . وبالجملة فإن هذا

واضح البطلان ، بادى الحسران ! لا يلتفت إليه ، ولا يعول عليه (ومن شر حاسد إذا حسد) الحاسد : الذى يمتنى زوال نعمة الغير ؛ ومن طبيعة الذى يمتنى زوال النعمة : أن يجتهد في إيصال الأذى ، وتدمير المكائد ؛ بكافة الوسائل ، وسائر السبل . وجدير بمن هنا شأنه أن يلجأ الإنسان منه إلى قوة عظيمة يستعين بها على دفع أذاه ؛ ومن أعظم من الله في دفع الأذى ، وحماية من يحمى به ! إماما ربوونه في الحسد من أنه هو التأثير بنفس العين المجردة ، فهذا ما لا أظنه ولا أعتقده - رغم تواتره ، وكثرة وقوعه - وقد يكون من بعض الخرافات السائدة . وقد يؤثر السحر على بعض النفوس الضعيفة القلقة .

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

(١١٤) سُبْحَانَكَ يَا مَنْ لَا يَلْمُكَ أَحَدٌ
وَأَيُّهَا ٦ نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾
إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾
الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْغِيَةِ
وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

(سورة الناس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ برب الناس) ألبأ إليه وأستعين به . ورب الناس: مريم (ملك الناس) الذى يحكمهم ، ويرعى مصالحهم ، ويضبط أعمالهم ، ويدبر شئونهم (إله الناس) معبودهم ، الذى لا إله غيره (من شر الوسواس) الذى يلقى حديث السوء فى النفس ؛ وهو الشيطان (الخناس) الذى يوسوس إلى الإنسان ؛ فإن لم يجد عنده استعداداً لوسوسته : رجع عنها وأعاد الكرة ثانية بعد برهة . وهو من خفس : إذا رجع (من الجنة والناس) أى إن الشياطين قسمان : من الجن ، ومن الإنس ، ولا شك أن شياطين الإنس أشد فتكا وخطراً من شياطين الجن . (انظر آيتى ١١٢ من سورة الانعام ، و ٢٩ من فصلت) .

(تنبيه) جاء فى صفحة ٧٠٩ عند تفسير قوله تعالى «إن عذاب ربهم غير مأمون» هذا الحديث الشريف : «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب ؛ فيعمل بعمل أهل النار ؛ فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب ؛ فيعمل بعمل أهل الجنة ؛ فيدخلها» .

وقد أوردناه - فى هذا الموضع - بمعناه لا بلفظه . وقد أثبتناه بلفظه - رواية عن مسلم - فى صفحة ٧٤٣ عند قوله تعالى «بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ» .

فهرست

اضح النفس

لابن الخطيب

فهرس أوضح التفاسير

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|--|
| ٢ | ٢ | « العالمين » : كل ما سوى الله تعالى... | | | تقاريط أكابر العلماء والفضلاء : |
| ٤ | ٢ | « يوم الدين » | | | كلمة صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ |
| ٧ | ٢ | من هم المعتم عليهم ؟ | | | يوسف الدجوى : من هيئة كبار |
| ٧ | ٢ | من هم المغضوب عليهم ؟ | ح | | العلماء |
| ٧ | ٢ | « أمين » ليست من القرآن | | | كلمة صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ |
| | ٣ | (سورة البقرة) | | | عبد الحميد اللبان : شيخ كلية أصول |
| ١ | ٣ | «الم» ما قيل في معنى فواتح السور ... | د | | الدين |
| ٣ | ٣ | «الذين يؤمنون بالغيب» | | | كلمة الأساتذة الأجلاء : محمد أبو بكر |
| ٣ | ٣ | مدح المتقين | | | ابراهيم ، والرحوم محمد جاد المولى |
| | | وجوب الإيمان بالرسول المتقدمة ، | هـ | | (بك) ومحمد عطية الأبراشي ... |
| ٤ | ٣ | والكتب المنزلة قبل القرآن ... | | | كلمة زهرة العلماء ، وقودة المفسرين : |
| ٤ | ٣ | وجوب الإيقان بالآخرة وما فيها ... | | | المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف |
| ٨ | ٤ | غاية الإيمان | و | | «أستاذ الفريعة» |
| ٨ | ٤ | الإيمان بالقلب لا باللسان | | | كلمة المرحوم الأستاذ محمد توفيق |
| ١٦ | ٥ | عاقبه المنافقين | ز | | رفعت (باشا) رئيس بجم اللغة العربية |
| ١٧ | ٥ | مثل المنافقين | | | كلمة صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ |
| ١٧ | ٥ | الدنيا كلها ظلمات | | | محمد خلف الحسيني من أفاضل العلماء |
| ١٧ | ٥ | الإخلاص أس العبادة | ح | | وشيخ المقارئ المصرية |
| ١٩ | ٥ | لحاطة الله تعالى بالكافرين | ك | | مقدمة هذه الطبعة |
| ٢٢ | ٦ | نزول الماء من السماء ؛ رأى العين | س | | مقدمة الطبعة الأولى |
| | | تحدى المعارضين بالإتيان بأى سورة | | | (سورة الفاتحة) |
| ٢٣ | ٦ | من القرآن ، وعجزهم عن ذلك ... | ١ | ٢ | البسملة : |
| ٢٦ | ٦ | ضرب الأمثال | | | من قرأها متعبداً بها : وفاه الله تعالى |
| ٢٦ | ٧ | لإضلال الله تعالى للضالين : عقوبة لهم | ١ | ٢ | من النار ، ونجما من ملائكة الجحيم |
| ٢٩ | ٧ | تسخير الله تعالى كل شئ لبني الإنسان | | | من قال : لإنها تيجان للسور ، وليست |
| ٢٩ | ٧ | تذليل الحيوان له | ١ | ٢ | بآية منها |
| | | رحلة الطيور من مواطنها ؛ لتكون | ١ | ٢ | من يرى أنها آية من كل سورة ... |
| ٢٩ | ٧ | لقمة سائفة له | ١ | ٢ | من يرى أنها آية من الفاتحة حسب ... |
| ٣٠ | ٧ | سكنى الأرض بأمم قبل آدم | | | ترجيح أنها آية من كل سورة ، عدا |
| ٣٠ | ٧ | استفهام الملائكة عن حكمة خلق آدم | ١ | ٢ | براءة . لثبوتها في المصحف الإمام ... |
| ٣١ | ٧ | اشتقاق اسم « آدم » | | | فوائد البسملة ؛ عند البدء في الأمور |
| | | بطلان قول من زعم أن آدم ولابليس | ١ | ٢ | المهمة |
| ٣١ | ٧ | رمضان لا أصل لها | ١ | ٢ | تعتمد بعض المتأخرين لإغفالها في مؤلفاتهم |
| | | علمنا صلوات الله تعالى وسلامه | | | لا يقال لمخلوق : هذا الرب ، معرفاً ، |
| ٣١ | ٧ | عليه | ١ | ٢ | بل : رب المنزل ، ورب الغلام ... |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|---|-------|--------|--------------------------------------|
| ١٠٦ | ١٩ | التاسخ والمنسوخ | | | سجود الملائكة لآدم ؛ وكيفية |
| ١٠٦ | ١٩ | أقسام المنسوخ : | ٣٤ | ٨ | ذلك السجود |
| ١٠٦ | ١٩ | منسوخ الحكم والتلاوة... .. | | | امتحان آدم وحواء بالنهي عن الأكل |
| ١٠٦ | ١٩ | منسوخ الحكم باقى التلاوة | ٣٥ | ٨ | من الشجرة |
| ١٠٦ | ١٩ | منسوخ التلاوة باقى الحكم | ٣٧ | ٨ | الكلمات التى تلقاها آدم من ربه |
| ١٠٦ | ١٩ | بطلان النسخ الأخير | ٤٥ | ٩ | الاستعانة بالصبر والصلاة |
| | | قنوت الصلاة : ليس من القرآت | ٤٩ | ١٠ | تعذيب فرعون لبني إسرائيل |
| ١٠٦ | ١٩ | المنسوخ | ٥١ | ١٠ | ميعاد موسى عليه السلام |
| | | تسريع الرسول عليه الصلاة والسلام | ٥١ | ١٠ | عبادة بني إسرائيل للعجل |
| ١٠٦ | ١٩ | واجب كتشريع القرآن | ٥٤ | ١٠ | التوبة عند الأمم السابقة |
| | | بطلان مارووه عن عائشة رضى الله | ٥٧ | ١٠ | المن والسلوى |
| ١٠٦ | ١٩ | تعالى عنها من نسخ التلاوة... .. | ٥٧ | ١١ | ظلم الإنسان لنفسه |
| ١١٣ | ٢١ | الكتب السماوية يصدق بعضها بعضاً | ٦١ | ١١ | تضجر بني إسرائيل من المن والسلوى |
| ١١٤ | ٢١ | لثم تعطيل المساجد | | | الذلة والمسكنة التى ضربها الله تعالى |
| ١١٦ | ٢١ | عدم اتحاد الله تعالى للولد بالدليل العقلى | ٦١ | ١٢ | على بني إسرائيل |
| ١٢٤ | ٢٢ | عدم جواز ولاية الفسقة والظلمة ... | ٦٢ | ١٢ | لم سميت النصارى «نصارى» ؟ ... |
| ١٢٥ | ٢٣ | الأمر بركعتي الطواف... .. | ٦٢ | ١٢ | الصائبين |
| | | موافقة رأى عمر رضى الله تعالى عنه | | | نجاة من آمن بالله واليوم الآخر وعمل |
| ١٢٥ | ٢٣ | لما نزل من القرآن : ثلاث صحرات | ٦٢ | ١٢ | صالحاً فى دنياه... .. |
| | | استجابة دعوة ابراهيم عليه السلام | ٦٣ | ١٢ | سبب رفع الطور فوق بني اسرائيل |
| | | لأهل الحرم ، وحمل الثمار من سائر | ٦٥ | ١٢ | اعتداء اليهود فى السبت |
| ١٢٦ | ٢٣ | الأقطار لإيهم | ٦٥ | ١٢ | مسخ اليهود قرده |
| | | تكفل الله تعالى بأرزاق المؤمنين | ٦٧ | ١٣ | قصة البقرة |
| ١٢٦ | ٢٣ | والكافرين | ٧٤ | ١٤ | القلوب أشد قسوة من الحجارة ... |
| | | دعاء ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة | ٨٣ | ١٥ | الإحسان إلى الوالدين |
| | | والسلام بيث محمد صلى الله تعالى | | | الحث على حسن الخلق وطيب المعاملة |
| ١٢٩ | ٢٣ | عليه وسلم | ٨٣ | ١٥ | مع سائر الناس |
| | | الإخلاص : أب كل خير ، وأساس | | | استنصار أهل الكتاب بالرسول |
| ١٣٩ | ٢٥ | كل نفع | ٨٩ | ١٦ | الكرم قبل بعثته |
| ١٤٣ | ٢٦ | مزايا الصلاة ، وتسميتها إيماناً ... | ٩٢ | ١٧ | عبادة بني اسرائيل للعجل |
| ١٤٤ | ٢٦ | تحويل القبلة إلى الكعبة | ٩٧ | ١٨ | عداوة اليهود لجبريل عليه السلام ... |
| ١٤٨ | ٢٧ | وجوب الاستناب إلى الخيرات | | | قصة هاروت وماروت على وجهها |
| ١٥٢ | ٢٧ | أنواع الشكر: | ١٠٢ | ١٩ | الأكل |
| ١٥٢ | ٢٧ | الشكر بالأفعال ؛ لا بالأقوال | ١٠٢ | ١٩ | عصمة الأنبياء عليهم السلام |
| ١٥٢ | ٢٧ | شكر الحواس والأعضاء | ١٠٢ | ١٩ | بطلان قول من قال بعصياتهم... .. |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|---|
| ١٨٧ | ٣٤ | الحيط الأبيض ، والحيط الأسود ... | ١٥٢ | ٢٨ | الاستعانة بالصبر والصلاة ... |
| ١٨٨ | ٣٤ | تحريم الرشوة ... | | | الصبر على المصيبة ، وما يقال عند وقوعها ... |
| ١٨٩ | ٣٤ | مباشرة الأمور من وجوها ... | ١٥٦ | ٢٨ | الحج ، والاعتبار ، والطواف بالصفاء |
| ١٩٠ | ٣٤ | مقاتله المعتدين ، وعدم البدء بالاعتداء | | | والمروة ... |
| ١٩٤ | ٣٥ | الأشهر الحرم ... | ١٥٨ | ٢٨ | تسخير السحاب : دليل على وحدانية |
| ١٩٤ | ٣٥ | المائة في الاعتداء على الحرمات ... | | | الله تعالى ... |
| ١٩٥ | ٣٥ | عدم الاتفاق في الجهاد : موقف في الهلاك | ١٦٤ | ٢٩ | تبرؤ الرؤساء من متبوعيههم ... |
| ١٩٦ | ٣٥ | المهدي ... | ١٦٦ | ٣٠ | شياطين الإنس ... |
| ١٩٦ | ٣٦ | الفدية ، والصدقة ، والنسك ؛ في الحج | ١٦٨ | ٣٠ | وجوب تحرى الطيبات من الرزق ... |
| ١٩٦ | ٣٦ | التمتع بالعمرة ... | ١٧٢ | ٣٠ | الشكر من لوازم العبادة ... |
| ١٩٧ | ٣٦ | الرفث ، والسوق ، والجدال في الحج | ١٧٢ | ٣٠ | تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير : من |
| ١٩٨ | ٣٦ | عمرات ، والمشعر الحرام ... | | | أهم ما حرص عليه الطب الوقائي ... |
| ١٩٩ | ٣٦ | الإفاضة ؛ والوقوف بالزرافة ... | ١٧٣ | ٣٠ | مبتاع الضلالة بالهدى ... |
| ٢٠١ | ٣٧ | حسنة الدنيا ، وحسنة الآخرة ... | ١٧٥ | ٣١ | طيب النفس عند بذل المال ... |
| ٢٠٣ | ٣٧ | ذكر الله تعالى في أيام التشريق ... | ١٧٧ | ٣١ | الرق موجود من أقدم العصور ؛ والإسلام لا يدعو إليه ؛ بل يدعو |
| ٢١١ | ٣٨ | آيات الله تعالى : هي نعمه التي أنعم بها على عباده ... | | | إلى التخلص منه ... |
| ٢١٢ | ٣٨ | تزيين الشيطان ، في الحياة الدنيا للإنسان الذين اتقوا فوق الذين كفروا يوم القيامة ... | ١٧٧ | ٣١ | القصاص في القتلى ... |
| ٢١٢ | ٣٨ | قد يرزق الله العاصي ، ويمنع الطائع حسد الكافرين للمؤمنين ؛ لبعث خاتم النبيين ... | ١٧٨ | ٣٢ | جواز العفو في الحدود ... |
| ٢١٢ | ٣٨ | جواز القتال في الأشهر الحرم ... | ١٧٨ | ٣٢ | حكمة القصاص ... |
| ٢١٩ | ٤٠ | حكم الحجر والميسر ... | ١٧٩ | ٣٢ | الوصية عند الموت ... |
| ٢١٩ | ٤٠ | منافع الحجر والميسر ... | ١٨٠ | ٣٢ | لثم إبدال الوصية ... |
| ٢١٩ | ٤٠ | الاتفاق مما يزيد عن الحاجة ... | ١٨١ | ٣٢ | فرض الصيام ... |
| ٢٢٠ | ٤١ | مخالطة اليتامى ... | ١٨٣ | ٣٣ | الصيام كان مفروضاً على من قبلنا ... |
| ٢٢١ | ٤١ | النهي عن زواج المشركات وتزوج المشركين ... | ١٨٣ | ٣٣ | الصيام يعين على خشية الله تعالى ... |
| ٢٢١ | ٤١ | من قال : إنا اليهود والنصارى مشركون ... | ١٨٣ | ٣٣ | الاستعانة بالصيام على تحقيق المآرب |
| ٢٢٢ | ٤١ | النهي عن قربان الحائض حتى تطهر ... | ١٨٤ | ٣٣ | رحمة الإفطار لمن يتعبه الصوم ... |
| ٢٢٢ | ٤١ | تشبيه النساء بالحرف ، ووجوب إتيانهن حيث أمر الله تعالى ... | ١٨٤ | ٣٣ | الحث على الإطعام ، والترغيب في الصيام |
| ٢٢٣ | ٤١ | فوائد الصوم الدينية والبدنية ... | ١٨٤ | ٣٣ | شروط الدعاء ، وسبب عدم الإجابة |
| | | | ١٨٦ | ٣٣ | الإيمان والعمل الصالح : شرط لقبول الدعاء ... |
| | | | ١٨٦ | ٣٤ | إباحة الجماع ليالي الصوم ... |
| | | | ١٨٧ | ٣٤ | تشبيه الرجل والمرأة باللباس ... |
| | | | ١٨٧ | ٣٤ | |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|---|
| ٢٣٨ | ٤٦ | الصلاة الوسطى | ٢٣٣ | ٤١ | تأويل قوله تعالى «أنى شئتم» ... |
| ٢٣٩ | ٤٦ | صلاة الخوف | ٢٣٣ | ٤١ | تحريم لإتيان المرأة في دبرها |
| ٢٤١ | ٤٧ | نفقة العدة ، ووجوب أدائها بالمعروف الجنين : سبب في الموت ، والاستبسال : | ٢٣٤ | ٤٢ | جواز الحلف في الخير |
| ٢٤٣ | ٤٧ | سبب في الحياة والسعادة | ٢٣٥ | ٤٢ | اللعن في الأيمان |
| ٢٤٥ | ٤٧ | جزاء الإنفاق | ٢٣٥ | ٤٢ | اليمين الغموس |
| ٢٤٧ | ٤٧ | بسطة طلوت في العلم والجسم ... | ٢٣٦ | ٤٢ | التريص بعد الإيلاء |
| ٢٥١ | ٤٨ | الحرب : ضرورة من ضروريات الحياة الحرب يجب ألا تكون إلا لدفع ظلم ، أو رد عدوات | ٢٣٨ | ٤٢ | الإسلام |
| ٢٥١ | ٤٨ | حروب اليوم وأهوالها ، وحق مدبريها | ٢٣٨ | ٤٢ | الحقوق التي منحها الله تعالى للمرأة ... |
| ٢٥١ | ٤٨ | تفضيل بعض الرسل على بعض | ٢٣٨ | ٤٢ | النهي عن تزويج المرأة لمن لا ترغب وجوب حسن العشرة ، وترك المضارة ، والحث على التلطف بالنساء والعناية بأمرهن |
| ٢٥٢ | ٤٩ | رفعة قدر نبينا عليه الصلاة والسلام | ٢٣٨ | ٤٢ | وجوب تزين الرجل للمرأة |
| ٢٥٢ | ٤٩ | الدليل على كفر تارك الزكاة | ٢٣٨ | ٤٢ | قصة عمر رضى الله تعالى عنه مع المرأة التي أصرت على فراق زوجها |
| ٢٥٤ | ٤٩ | الاسم الأعظم | ٢٣٨ | ٤٣ | الطلاق |
| ٢٥٥ | ٥٠ | امتناع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن الشفاعة ؛ واعتذارهم بخطاياهم شفاعة المصطفى صلى الله تعالى عليه | ٢٣٩ | ٤٣ | الخلع : افتداء المرأة نفسها برد المهر بطلان قول من قال بجواز أخذ شيء من مالها |
| ٢٥٥ | ٥٠ | وسلم وقبولها | ٢٣٩ | ٤٤ | النهي عن إمساك المرأة للاضرار بها النهي عن منع النساء من الزواج ؛ بعد طلاقهن |
| ٢٥٦ | ٥١ | حرية الاعتقاد | ٢٣٩ | ٤٤ | مدة الإرضاع |
| ٢٥٦ | ٥١ | التدين لا يكون إلا بالافتناع العقلي ... | ٢٣٩ | ٤٤ | النهي عن مضارة الوالدة بولدها ، والوالد بولده |
| ٢٥٨ | ٥١ | محااجة إبراهيم عليه السلام لمرود كيف يقوم الإنسان عند البعث ، وكيف تجتمع عظامه المتفتتة | ٢٣٣ | ٤٥ | عدة المرأة عند وفاة زوجها |
| ٢٥٩ | ٥٢ | نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام ؛ حيث طلب رؤية كيفية إحياء الموتى طريقة إحياء الموتى | ٢٣٣ | ٤٥ | جواز تزين المرأة ، وتعريضها للخطاب بعد انقضاء عدتها |
| ٢٦٠ | ٥٢ | فضل الإنفاق في سبيل الله تعالى ... | ٢٣٣ | ٤٥ | جواز التعريض بخطبة النساء |
| ٢٦٠ | ٥٣ | إلانة القول ، والنفو : خير من الصدقة التي يتبعها أذى | ٢٣٥ | ٤٥ | تحريم العقد قبل انقضاء العدة ... |
| ٢٦٢ | ٥٣ | مثل المنفق المرأتى بإفناقه | ٢٣٥ | ٤٥ | وجوب كسوة المطلقات : جبراً لحاطرهن |
| ٢٦٣ | ٥٣ | مثل المنفق المرأتى بإفناقه | ٢٣٦ | ٤٥ | رد نصف مهر الزوجة التي لم يدخل بها الحث على عدم التشدد ؛ وقت الطلاق |
| ٢٦٤ | ٥٣ | مثل المنفق المرأتى بإفناقه | ٢٣٧ | ٤٦ | |
| ٢٦٥ | ٥٤ | مثل المنفق المرأتى بإفناقه | ٢٣٧ | ٤٦ | |
| ٢٦٦ | ٥٤ | فوائد التمر والغب | | | |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|---|-------|--------|--|
| ٤٩ | ٦٥ | حكمة لإبراء الأكمه والأبرس ... | ٢٦٧ | ٥٤ | الإنتفاق من الطيبات ، والنهي عن الإنتفاق من الرديء ... |
| ٤٩ | ٦٥ | أحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام فساد قول من قال : إن الإحياء كان مجازياً ، ولم يكن حقيقياً ... | ٢٧١ | ٥٥ | إبداء الصدقات ، أو إخفاؤها ... |
| ٤٩ | ٦٥ | | ٢٧٥ | ٥٦ | أكل الربا ... |
| ٥٥ | ٦٦ | الخلاف في موت عيسى عليه السلام | ٢٧٥ | ٥٦ | حال المرابي في الدنيا ... |
| ٦١ | ٦٧ | المباهلة | ٢٧٥ | ٥٦ | لثم آكل الربا وموكله ... |
| ٦٥ | ٦٨ | المحاجة في إبراهيم عليه الصلاة والسلام | ٢٧٥ | ٥٦ | الذين « قالوا إنما البيع مثل الربا » ... |
| ٧٢ | ٦٩ | مؤامرة أهل الكتاب على المؤمنين | ٢٧٥ | ٥٦ | الربا بين الحل والحرمه « الآن » ... |
| | | أمانة بعض أهل الكتاب ، وخيانة بعضهم | ٢٧٥ | ٥٦ | فساد قول من قال بحمله ... |
| ٧٥ | ٦٩ | | ٢٧٥ | ٥٦ | الربا : ظلم لا يعدله ظلم ! ... |
| ٧٧ | ٦٩ | نقض اليهود | ٢٧٩ | ٥٧ | التهديد والوعيد لمن يتعاطى الربا ... |
| | | وجوب إنتفاق الإنسان مما يجب ، وكراهة التصدق بما يكره | ٢٨٠ | ٥٧ | لإنظار المدين المسر ... |
| ٩٢ | ٧٢ | | ٢٨٠ | ٥٧ | لإبراء المسر من الدين ... |
| ٩٧ | ٧٣ | كفر من يجحد فرضية الحج | ٢٨٢ | ٥٧ | وجوب كتابة الدين ... |
| ١٠٣ | ٧٣ | الاعتصام بحبل الله « القرآن » | ٢٨٣ | ٥٨ | لثم كتمان الشهادة ... |
| | | وجوب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر | ٥٩ | | (سورة آل عمران) |
| ١٠٤ | ٧٤ | | ٧ | ٥٩ | الآيات الحكيمات والتشابهات ... |
| ١٠٤ | ٧٤ | ترك الأمر بالمعروف : مجلبة للعذاب كتنا خير أمة : للأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر | ٧ | ٥٩ | إبطال قول من قال : إن القرآن كله متشابه ، ومن قال : إنه كله محكم ... |
| ١١٠ | ٧٤ | | ١٤ | ٦٠ | تزيين الشيطان للناس حب الشهوات والمال |
| ١١٢ | ٧٥ | ذلة اليهود ، واضطهاد العالم لهم | ١٩ | ٦١ | الدين الحق - برناردشو يقول : إنه دين المستقبل |
| ١١٧ | ٧٦ | مثل لإنتفاق الذين كفروا | ٢٧ | ٦٢ | إخراج الحي من الميت ، والميت من الحي النهي عن موالة الكفار دون المؤمنين |
| ١١٨ | ٧٦ | النهي عن إتخاذ الأصدقاء من الأعداء | ٢٧ | ٦٢ | |
| ١٢٣ | ٧٧ | نصر المؤمنين بيد | ٢٨ | ٦٢ | |
| ١٣٠ | ٧٨ | القوائد المركبة في الربا | ٢٧ | ٦٣ | |
| ١٣٣ | ٧٨ | الجنة : عرضها السموات والأرض | ٢٧ | ٦٣ | |
| ١٣٥ | ٧٨ | العائد لى ذنبه : كالسهمزئ بربه | ٢٧ | ٦٣ | |
| ١٤٠ | ٧٩ | « وتلك الأيام نداولها بين الناس » | ٢٧ | ٦٤ | |
| ١٤٤ | ٧٩ | مجد عليه الصلاة والسلام كسائر البشر | ٣٩ | ٦٤ | |
| ١٤٥ | ٨٠ | الجبين : لا ينفع . والهزيمة : لا تنجي | ٣٩ | ٦٤ | |
| ١٤٧ | ٨٠ | من آداب الداء : الاستغفار | ٤٢ | ٦٤ | |
| ١٥٤ | ٨١ | إتزال الأمن في مواطن الخوف | ٤٢ | ٦٤ | |
| ١٥٩ | ٨٢ | الأمر بالنظم الدستورية الديمقراطية | ٤٤ | ٦٥ | |
| ١٥٩ | ٨٣ | التوكل على الله تعالى | ٤٤ | ٦٥ | |
| ١٦١ | ٨٣ | أغل من الفنائم | ٤٤ | ٦٥ | |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|---|
| ١١ | ٩٢ | نصيب المرأة في الميراث ... | ١٦٤ | ٨٣ | بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام من أعظم المنن ! ... |
| ١١ | ٩٢ | مساوات المرأة بالرجل في بعض حالات الموارث ... | ١٦٥ | ٨٣ | الجزية لا تكون إلا بسبب تحاذل المقاتلين ... |
| ١١ | ٩٢ | كفر من يدعو إلى المساواة في سائر الحالات ... | ١٦٧ | ٨٤ | كفر من دعى إلى الجهاد فلم يستجب استبشار الشهداء بمن لم يلحقوا بهم ... |
| ١١ | ٩٣ | حرية الإنسان في ماله : مقيدة بما فرضه ربه ... | ١٧٥ | ٨٥ | الشیطان يخوف أوليائه ... |
| ١١ | ٩٣ | حدود الوصية ... | ١٨٠ | ٨٦ | لثم البخل ... |
| ١١ | ٩٣ | الوصية بشرط عدم الإضرار بالغير ... | ١٨١ | ٨٦ | كفر اليهود ، واعتدائهم على ربهم ... |
| ١١ | ٩٣ | التهى عن إربار بعض الأبناء ... | ١٨٥ | ٨٧ | «وما الحياة الدنيا إلا امتاع الفرور» ... |
| ١٥ | ٩٣ | الفاحشة بين النساء «المساحقة» ... | ١٨٥ | ٨٧ | وصف الحياة الدنيا «شمر» ... |
| ١٦ | ٩٤ | الفاحشة بين الرجال «اللواط» ... | ١٩١ | ٨٨ | خشية الله ومراقبته في سائر الحالات بطلان ما يدعيه بعض أرباب الطرق الصوفية ... |
| ١٦ | ٩٤ | حد اللواط والملوبه ... | ١٩١ | ٨٨ | التفكر في خلق السموات والأرض ... |
| ١٦ | ٩٤ | التعزير في اللواط ، وحد التعزير ... | ١٩١ | ٨٨ | الأمر بتحصين الحدود ، وحراستها بالجنود ... |
| ١٦ | ٩٤ | اللواط من أحش الفواحش ... | ٢٠٠ | ٨٩ | (سورة النساء) |
| ١٧ | ٩٤ | التوبة النصوح ... | ٩٠ | | الحفاظة على أموال اليتامى ، والتهى عن أكلها ... |
| ١٨ | ٩٤ | الوقت الذي لا تقبل فيه توبة ... | ٢ | ٩٠ | تعدد الزوجات ... |
| ١٩ | ٩٤ | التهى عن أخذ مال النساء كرهاً ... | ٣ | ٩٠ | إعطاء المهور بطيب نفس ... |
| ١٩ | ٩٥ | الحث على التعاطف وعدم التظليق ... | ٤ | ٩٠ | جواز التنازل عن بعض المهر ... |
| ٢٠ | ٩٥ | لا يجوز للطلق أن يأخذ شيئاً مما آناه لطلقته ... | ٤ | ٩١ | الميترون ، وعدعو الأهلية ... |
| ٢٣ | ٩٥ | المحرمات من النساء ... | ٥ | ٩١ | ثلاثة يدعون الله تعالى فلا يستجيب لهم وجوب رزق السفهاء وكسوتهم ... |
| ٢٤ | ٩٦ | تعريف ملك اليمين ... | ٥ | ٩١ | وجوب الحفاظة على المال : مملوكاً أو غير مملوك ... |
| ٢٤ | ٩٦ | جواز إنقاص جزء من المهر ؛ بتراضى الطرفين ... | ٥ | ٩١ | اختيار اليتامى عند بلوغ الرشد ... |
| ٢٥ | ٩٦ | حث الفقراء ، على التزوج بالإمام ... | ٦ | ٩١ | إعطاء أولى القرين واليتامى والمساكين من الميراث ؛ رغم عدم تورثهم ... |
| ٢٥ | ٩٦ | حد الإمام ... | ٩ | ٩٢ | تحذير الأوصياء واستعطافهم ... |
| ٢٩ | ٩٧ | تحريم أكل الأموال بالباطل ... | ١٠ | ٩٢ | لثم أكل مال اليتيم ... |
| ٢٩ | ٩٧ | حقيقة التراضى في البيع والشراء ... | ١٠ | ٩٢ | إصابة أكل مال اليتيم في الدنيا بالأمراض المهلكة الفتاك ... |
| ٢٩ | ٩٧ | التهى عن الانتحار ... | ١٠ | ٩٢ | |
| ٣١ | ٩٧ | الكبائر ... | | | |
| ٣٢ | ٩٨ | وجوب القناعة ... | | | |
| ٣٤ | ٩٨ | قوامية الرجال على النساء ... | | | |
| ٣٤ | ٩٨ | إذا تعدمت أسباب القوامية : تعدمت القوامية ... | | | |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|---------------------------------------|
| ٩٣ | ١٠٩ | خلود قاتل العمد في النار | ٣٤ | ٩٨ | مدح المرأة التي تحفظ سر زوجها ... |
| ٩٧ | ١١٠ | المهاجرة بالدين | ٣٤ | ٩٨ | تأديب المرأة بالوعظ ، والهجر ، |
| ١٠١ | ١١١ | قصر الصلاة : وأقوال الفقهاء فيه ... | ٣٤ | ٩٩ | والضرب ، وكيفية الضرب ... |
| ١٠٢ | ١١١ | صلاة الخوف ، وكيفيةها | ٣٦ | ٩٩ | الحث على عدم إبدائها والبنى عليها ... |
| ١٠٣ | ١١١ | ذكر الله تعالى في سائر الحالات ... | ٣٦ | ٩٩ | الحث على الإحسان إلى الوالدين ، |
| ١١١ | ١١٢ | لأثم من يلصق الذنب بالبري | ٣٦ | ٩٩ | وذوى القربى واليتامى ، والمساكين |
| ١١٤ | ١١٣ | التناجى لا يكون إلا في معروف ... | ٣٨ | ٩٩ | والجار القريب والبيد |
| ١١٩ | ١١٣ | إضلال الشيطان للناس | ٤٣ | ١٠٠ | وصية المصطفى عليه الصلاة والسلام |
| | | صلح المرأة على أن تعطى زوجها | | | بالجار |
| | | شيئاً من مالها ، أو تنازل له عن | | | الرياء في الإلتحاق |
| ١٢٨ | ١١٥ | بعض حقوقها | ٥٤ | ١٠١ | عفو الله تعالى وكرمه «شعر» ... |
| | | عدم استطاعة العدل بين النساء | | | فساد رأى بعض المفسرين في قوله تعالى |
| ١٢٩ | ١١٥ | في المحبة القلبية | ٥٦ | ١٠٢ | «أم يمسدون الناس على ما آتاهم |
| | | قد يعطى الله تعالى من يكره ، ويمنع | | | الله من فضله» |
| ١٣٤ | ١١٦ | من يجب ! | ٥٩ | ١٠٢ | الإيلام يكون في احتراق الجلد ... |
| ١٣٥ | ١١٦ | وجوب أداء الشهادة ولو على الوالدين | | | وجوب طاعة الحكام؛ ماداموا قاطنين |
| ١٣٥ | ١١٦ | عدم اتباع الهوى في الشهادة | ٧٧ | ١٠٥ | بطاعة الله تعالى |
| | | الغزة لله جميعاً؛ لا تنال إلا عن طريق | | | متاع الدنيا ، ومتاع الآخرة |
| ١٣٩ | ١١٧ | مرضاته ! | ٧٩ | ١٠٦ | بطلان قول من قال بأن الطاعة |
| | | المتعمم للإثم : شريك لقاتله ؛ مالم | | | والمعصية من الله تعالى |
| ١٤٠ | ١١٧ | يمنعه قسراً ، أو يفارقه | ٨١ | ١٠٦ | حقيقة التوكل على الله تعالى |
| ١٤٢ | ١١٨ | مخادعة الله تعالى للمنافقين | ٨١ | ١٠٧ | ليس معنى التوكل : ترك الأسباب ... |
| | | التكاسل والتشاغل في أداء الصلاة : | | | الكرامات ، والمعجزات |
| ١٤٢ | ١١٨ | من صفات الكافرين | ٨٣ | ١٠٧ | فضل الله تعالى على الناس بإرسال |
| ١٤٣ | ١١٨ | الذين يذبون | | | الرسول |
| | | إضلال الله تعالى لا يكون إلا لتبجى | | | التحية ، وأداء السلام |
| ١٤٣ | ١١٨ | الشيطان | | | الحب : من أجل التحايا |
| ١٤٨ | ١١٩ | جواز سب الظالم ، والدعاء عليه ... | | | رد التحية |
| ١٥٧ | ١٢٠ | تعذيب اليهود لعيسى عليه السلام ... | | | المواطن التي لا يرد فيها السلام ... |
| ١٦٠ | ١٢٠ | تحریم الطيبات على اليهود بسبب ظلمهم | | | دية القتل الخطأ |
| ١٦٤ | ١٢١ | تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام ... | | | الرق ، وواجباته ، وشرائطه في |
| ١٦٤ | ١٢١ | عدم جواز البحث في كيفية هذا التكليم | | | الاسلام |
| | ١٢٤ | (سورة المائدة) | | | وصية الرسول عليه الصلاة والسلام |
| ١ | ١٢٤ | الوفاء بالعمود | | | وملك الجين |
| ٢ | ١٢٤ | شعائر الله تعالى | | | استرفاق الأمم والشعوب |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|---|-------|--------|--|
| | | فساد القوانين الوضعية ، وقصورها | ٣ | ١٢٥ | الاستقسام بالأزلام |
| ٣٨ | ١٣٣ | عن ردع المجرمين | ٤ | ١٢٥ | صيد الجوارح |
| | | زيادة الجرائم بسبب عدم تنفيذ | ٥ | ١٢٦ | حل ذبائح أهل الكتاب |
| ٣٨ | ١٣٣ | حدود الله | ٥ | ١٢٦ | حل زواج الكتابيات |
| | | انعدام جريمة السرقة في بلاد الحجاز؟ | ٦ | ١٢٧ | التيمم ، وحكته... .. |
| ٣٨ | ١٣٣ | بسبب إقامة الحدود | | | حكمة الفسل والوضوء : ليس مجرد |
| | | نداء الله تعالى لرسوله عليه الصلاة | ٦ | ١٢٧ | النظافة الظاهرية ! |
| ٤١ | ١٣٤ | والسلام بأحب الأسماء إليه... .. | ٧ | ١٢٧ | من وفي لله تعالى ؟ وفي الله تعالى له... .. |
| ٤٤ | ١٣٤ | الله تعالى أحق بالخشية من العباد | ٨ | ١٢٧ | أهل التقوى |
| ٤٥ | ١٣٥ | حكمة القصاص | ١٤ | ١٢٨ | عداوة اليهود والنصارى |
| ٤٥ | ١٣٥ | تزلزل الأمن بسبب عدم القصاص | | | اختلاف اليهود والنصارى في ملهم |
| | | القرآن الكريم : نزل للعمل به ؟ | ١٤ | ١٢٨ | وتعلمهم |
| ٤٧ | ١٣٥ | لا للتشدد بحروفه | | | تفنن الغربيين في إهلاك بعضهم البعض؟ |
| | | تحاكم اليهود للرسول عليه الصلاة | ١٤ | ١٢٩ | وهم أبناء الدين الواحد ! |
| ٤٩ | ١٣٦ | والسلام وتحكمهم | ١٦ | ١٢٩ | سبل السلام |
| ٥١ | ١٣٦ | موالاة الكفار : كفر | ١٦ | ١٢٩ | الظلمات والنور |
| ٥٤ | ١٣٧ | حب المؤمن لربه... .. | ١٦ | ١٢٩ | تعريف القرآن للقرآن |
| | | لا يجوز تعلق حبه تعالى بسبب من | ١٦ | ١٢٩ | تقصير الأصوليين في التعريف بالقرآن |
| ٥٤ | ١٣٧ | الأسباب... .. | ٢٠ | ١٣٠ | تدليل الله تعالى لبني اسرائيل |
| ٥٤ | ١٣٧ | رأى بعض الصوفية في حب الله تعالى | | | خطة الهجوم ، واكتساح دولة |
| | | الحرص على رضاء المخلوقين : سبب | ٢٣ | ١٣١ | الفرس ، وفتح الأندلس |
| ٥٤ | ١٣٧ | لحب رب العالمين | ٢٣ | ١٣١ | التوكل : من لوازم الإيمان |
| ٥٤ | ١٣٧ | الصدقات : من أهم الأسباب لحب الله | | | جبن بني اسرائيل ، وضعفهم ، |
| | | لين الجانب والتواضع : من دلالات | ٢٤ | ١٣١ | وحقارتهم |
| | | حب الله تعالى للمؤمن ، وحب | ٢٨ | ١٣٢ | قتل قابيل هايل... .. |
| ٥٤ | ١٣٨ | المؤمن لربه | | | يوم القيامة : يؤخذ من حسنات |
| | | استهزاء بعض من تسعوا بالمؤمنين | ٢٩ | ١٣٢ | الظالم فتراد في حسنات المظلوم |
| ٥٨ | ١٣٨ | بالمصلين | | | من قتل نفساً : فكأنما قتل الناس |
| ٦٠ | ١٣٨ | قبح الفرقة والخنازير | ٣٢ | ١٣٢ | جميعاً |
| | | العداوة بين اليهود والنصارى، وبين | | | عقوبة قطع الطريق: والقتل ، وسلب |
| | | سائر المسلمين . أو بين اليهود | | | المال ، والسرقة بالإكراه ، |
| ٦٤ | ١٣٩ | أنفسهم | ٣٣ | ١٣٣ | والتخويف |
| ٦٦ | ١٣٩ | الطاعات : مفتاح لسائر السعادات | ٣٥ | ١٣٣ | الوسيلة |
| | | الرسول عليه الصلاة والسلام: معجزة | ٣٨ | ١٣٣ | عقوبة السرقة |
| ٦٧ | ١٣٩ | الله تعالى بين سائر البشر | ٣٨ | ١٣٣ | حكمة قطع اليد ، ووجوب الأخذ بها |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|--|
| ١٠١ | ١٤٧ | القرآن : فيه الغناء ، وفيه الكفاء البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحمى | ٧١ | ١٤٠ | لن يتوب لئسان ، قبل أنت يتوب عليه اللتان |
| ١٠٣ | ١٤٧ | شاهدا الوصية | ٧٣ | ١٤٠ | قول النصارى «إن الله ثالث ثلاثة» غلو أهل الكتاب في دينهم . الغلو: |
| ١٠٦ | ١٤٨ | عدم جواز شهادة غير المسلم إلا في الوصية | ٧٧ | ١٤١ | إفراط أو تقريط |
| ١٠٦ | ١٤٨ | إحياء عيسى عليه السلام للموتى : كان إحياء حقيقياً | ٨٢ | ١٤٢ | ليمان النجاشي |
| ١١٠ | ١٤٩ | فساد قول من قال : إن الإحياء لم يكن على حقيقته ؛ بل كان إحياء لموتى القلوب | ٨٩ | ١٤٣ | اللقوف في الأيمان |
| ١١٠ | ١٤٩ | طلب إنزال مائدة من السماء | ٩٠ | ١٤٣ | تعريف الحجر |
| ١١٢ | ١٤٩ | (سورة الأنعام) | ٩٠ | ١٤٣ | الحجر : أم الكبائر |
| ١ | ١٥٠ | الظلمات والنور | ٩٠ | ١٤٣ | تسميتها بغير اسمها |
| ١ | ١٥٠ | ظلمة الكفر ، ونور الإيمان | ٩٠ | ١٤٣ | ما شرب منها للتداوى |
| ١ | ١٥٠ | ظلمة الجهل ، ونور العلم | ٩٠ | ١٤٣ | لإباحة شربها وبيعها : وصمة في جبين الأمة المسلمة |
| ٤ | ١٥١ | معجزة القرآن الكريم : أكبر المعجزات وأجلها | ٩٠ | ١٤٣ | حد شارب الحجر ، وضره بالنعال |
| ٨ | ١٥١ | الرسول لا يكون ملكا ، بل بشراً رؤية الرسول لجبريل - عليهما الصلاة والسلام - على صورته | ٩٠ | ١٤٣ | حياة شاربها |
| ٨ | ١٥١ | تلطف الله تعالى بعباده رغم عصيانهم دلائل رحمته تعالى | ٩٠ | ١٤٣ | مضار الحجر : روحيا وجسمانياً |
| ١٢ | ١٥٢ | وجوب تبليغ القرآن على من بلغه القرآن | ٩٠ | ١٤٣ | تأثيرها السيء على الجهاز العصبي |
| ١٩ | ١٥٢ | إنكار البعث «التعطيل» | ٩٠ | ١٤٤ | شارب الحجر لا يستطيع ضبط أقواله ولا أفعاله |
| ٢٩ | ١٥٤ | غلاة الزنادقة في هذا الزمان | ٩٠ | ١٤٤ | الميسر ومضاره ، وتحريمه |
| ٢٩ | ١٥٤ | أمم الحيوان : | ٩٠ | ١٤٤ | الاستقسام بالأزلام |
| ٣٨ | ١٥٥ | أمة النحل ومملكته | ٩٠ | ١٤٤ | عداء السكبرون والمقامرون وصدوم عن الصلاة وذكر الله ؛ بسبب السكر والمقامرة |
| ٣٨ | ١٥٥ | مملكة النمل وحسن تديره | ٩١ | ١٤٤ | الحض على إطعام المسكين ، وإيثار الغير على النفس والولد |
| ٣٨ | ١٥٥ | نضحية النمل بالأفراد لمصلحة المجموع كل مخلوقات والكائنات ؛ خلقت لمصلحة بني الإنسان | ٩٣ | ١٤٤ | التكليف : امتحان من الله تعالى لعباده |
| ٣٨ | ١٥٦ | النمل يدبر معيشته أفضل من تدبير كثير من المخلوقات | ٩٤ | ١٤٥ | وقوع الذنب بالاختيار المحض |
| ٣٨ | ١٥٦ | كثير من المخلوقات | ٩٥ | ١٤٥ | النهي عن قتل الصيد في الإحرام |
| | | | ٩٧ | ١٤٦ | الهدى والقلائد |
| | | | ١٠١ | ١٤٦ | النهي عن سؤال مالا نفع وراءه |
| | | | ١٠١ | ١٤٧ | هدى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في السؤال |
| | | | ١٠١ | ١٤٧ | معجزة القرآن الدائمة |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|---|
| | | توجيه الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام، وإرادة قومه به... | ٣٩ | ١٥٦ | شلال الله تعالى للعبد : عقوبة منه ؛ يترها تعالى على الضالين ... |
| ١١٦ | ١٦٨ | ضلال كثير من الناس بسبب أهوائهم | | | إذا نسي الإنسان ربه : فتح عليه أبواب كل شيء ، ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر ... |
| ١١٩ | ١٦٨ | التزيين للمؤمنين والكافرين... | | | إدعاء الغيب والتصديق به : كفر ... |
| ١٢٢ | ١٦٩ | التزيين للكافرين : عقوبة لهم على الكفر ... | ٤٤ | ١٥٧ | علمه تعالى اللانهاى ... |
| ١٢٢ | ١٦٩ | اختلاف ثمرات الجنات ... | ٥٠ | ١٥٧ | الطعام يطلب آكله ... |
| ١٤١ | ١٧٢ | التصدق من الحب والثمار يوم الحصاد لكل نعمة حقاً ... | ٥٩ | ١٥٨ | النوم : قرين الموت ... |
| ١٤١ | ١٧٢ | الحق على مرتب الموظف ... | ٦٠ | ١٥٩ | نهاية المؤمن ، ونهاية الكافر ... |
| ١٤١ | ١٧٢ | حق المال ، ووجوب لإخراج الزكاة | ٦٠ | ١٥٩ | بأس الناس : أهون من عذاب الله ... |
| ١٤١ | ١٧٣ | حبس الزكاة : بسبب كثرة الجرائم... انفراد الفنى وحده بالتمتع : يكسر قلب الفقير ، ويشير حفيظته ... | ٦٥ | ١٦٠ | وجوب عدم الجلوس مع الطاعنين فى الدين ، أو القرآن ... |
| ١٤١ | ١٧٣ | تحريم ذكر اسم الأولياء عند الذبح | ٦٨ | ١٦٠ | لا يجوز الله تعالى مطلب ، وإذا أراد شيئاً : كان ... |
| ١٤٥ | ١٧٥ | تحريم المحللات على بنى إسرائيل | ٧٣ | ١٦١ | ابراهيم عليه الصلاة والسلام ... |
| ١٤٦ | ١٧٥ | لا حاجة لأحد على الله ؛ بل له تعالى الحجة البالغة ... | ٧٥ | ١٦١ | كواكب السماء : لا عداد لها ... |
| ١٤٩ | ١٧٦ | خوف الإملاق : كفر بالخلق ... | ٧٦ | ١٦١ | إيمان ابراهيم بالكوكب : لم يكن إيماناً حقيقياً ؛ بل كان تعليمياً ... |
| ١٥١ | ١٧٦ | استثمار مال اليتيم ، وإخراج زكاته | ٧٦ | ١٦١ | الإله المصود ؛ يتنزه عن التغير والأقول |
| ١٥٢ | ١٧٦ | إيفاء الكيل والوزن فى حدود الطاقة | ٧٨ | ١٦٢ | توجيه نظر ابراهيم للكائنات ... |
| ١٦٠ | ١٧٨ | المراد بعشر أمثال الحسنه ... | ٨٣ | ١٦٢ | التوصل لحرقة الله تعالى بالدليل العقلى ابراهيم : رأس الملة الحنيفية ، وجد إمام الأنبياء ؛ عليهما الصلاة والسلام ... |
| | ١٧٨ | (سورة الأعراف) | ٨٣ | ١٦٢ | صعوبة خروج أرواح الكافرين ، وسهولة خروج أرواح المؤمنين... |
| ١١ | ١٧٩ | تصوير الخلق على حقيقتهم قبل خلقهم | | | الستقر والمستودع ... |
| ١١ | ١٧٩ | سجود إبليس لآدم ، وكيفيته ... | | | البصائر ... |
| ١٢ | ١٨٠ | عاجة إبليس العين لربه ... | | | حرية الاختيار ... |
| | | من مكائد الشيطان نسبة لإضلاله لرب العالمين ... | ٩٣ | ١٦٤ | كرهية سب الكفار ... |
| ١٦ | ١٨٠ | اللجوء لى الله تعالى للنجاة من إبليس | ٩٨ | ١٦٥ | شياطين الإنس والجن ... |
| ١٧ | ١٨٠ | زعم بعض المؤمنين أن الأكل من الشجرة : ليس على حقيقته ... | ١٠٤ | ١٦٦ | صدق كل ما فى القرآن . ولا تبديل لما فيه ... |
| ٢٢ | ١٨١ | المراد من قصة إبليس ... | ١٠٧ | ١٦٦ | ضلال الغالية العظمى وإصلاحها ... |
| ٢٣ | ١٨١ | خسرات المعاند ، ونجاة المترف بالذنب ، اللاجئ لى الرب ... | ١٠٨ | ١٦٧ | |
| ٢٣ | ١٨١ | أنواع اللباس ... | ١١٢ | ١٦٧ | |
| ٢٦ | ١٨٢ | | ١١٥ | ١٦٨ | |
| | | | ١١٦ | ١٦٨ | |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|---|-------|--------|--|
| ٩٥ | ١٩٢ | أخذ الله تعالى الكافر والفاسق ؛ بعد أن يمد لها في النعيم | ٢٩ | ١٨٢ | وجوب اتباع أمر الله تعالى ؛ لامعاندته... .. |
| ١٠١ | ١٩٣ | حتم الله على قلوب الكافرين : عقوبة لهم على كفرهم... .. | ٣٠ | ١٨٢ | لم يوجب الله تعالى الضلالة على بعض عباده ظلاماً |
| ١٠٨ | ١٩٤ | آيات موسى عليه السلام : العصا واليد سحر السحرة | ٣١ | ١٨٢ | التزين عند دخول المساجد |
| ١١٦ | ١٩٤ | انتصار موسى عليه السلام على السحرة الفرق بين السحر والمعجزة | ٣١ | ١٨٢ | وجوب عدم الإسراف في الأكل |
| ١١٨ | ١٩٥ | الفرق بين السحر والمعجزة | ٣١ | ١٨٣ | لايجل للسلم أن يأكل هو وأولاده وجاره يتضور جوعاً... .. |
| ١١٩ | ١٩٥ | آلهة فرعون عليه اللعنة | ٣١ | ١٨٣ | إطعام الغير مما يشبهه المطعم |
| ١٢٧ | ١٩٥ | بطانة السوء | ٣٢ | ١٨٣ | طلب لإبشار الغير على النفس |
| ١٢٧ | ١٩٦ | شأن المستبد الظالم | ٣٢ | ١٨٣ | أصول الطب . وخلاصة التجارب... .. |
| ١٢٨ | ١٩٦ | الصبر : سلاح المصلحين في كل زمان الشؤم والتطير | ٤٢ | ١٨٤ | الطاعات ، والأعمال الصالحات ؛ في وسع سائر الناس |
| ١٣١ | ١٩٦ | النهي عنهما | ٤٢ | ١٨٤ | النار تشتري بالقود ، والجنة تنال بجناناً |
| ١٣١ | ١٩٦ | ما الذي يقوله المشائم | ٤٣ | ١٨٥ | رؤية أهل النار مقاعدهم من الجنة ، وأهل الجنة مقاعدهم من النار |
| ١٣١ | ١٩٦ | تشاؤم الكافرين بالمرسلين | ٤٦ | ١٨٥ | أصحاب الأعراف... .. |
| ١٣١ | ١٩٦ | التشاؤم : مرذول ؛ يأباه الاسلام فساد قول من استدلل بالتشاؤم من القرآن الكريم | ٤٦ | ١٨٥ | بطلان قول من قال : إن أصحاب الأعراف ملائكة |
| ١٣١ | ١٩٧ | التصدق : مانع للشؤم | ٥٤ | ١٨٦ | استواء الله تعالى على العرش... .. |
| ١٣٣ | ١٩٧ | العقوبات التي أنزلها الله تعالى على بنى اسرائيل | ٥٥ | ١٨٦ | فضل عبادة السر |
| ١٤٣ | ١٩٨ | كيف تجلب الله تعالى للجليل | ٥٥ | ١٨٧ | كرامة رفع الصوت بالدعاء ، وطلب مالا يجوز |
| ١٤٥ | ١٩٩ | نزول التوراة على موسى في الألواح الحسن والأحسن « في كتاب الله » من أنكر القدرة ، وقال بالأسباب الطبيعية | ٥٥ | ١٨٧ | إرادة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل عقلا الآفات الزراعية تحدث بسبب نسيان الخلق لرهبهم |
| ١٤٧ | ١٩٩ | كم من عالم هو من أهل النار ! لأخذ بني اسرائيل للعجل | ٥٨ | ١٨٧ | الاجتهاد في طلب الدين والدنيا |
| ١٤٨ | ٢٠٠ | مقابلة الغضب بالحلم واللين | ٥٨ | ١٨٨ | أكل الحلال ، والابتعاد عن الحرام لإرسال كل نبي من أمته وقومه |
| ١٥٠ | ٢٠٠ | فتنة الله تعالى لبني اسرائيل | ٧٣ | ١٨٩ | خطاب صالح لقومه بعد موتهم... .. |
| ١٥٥ | ٢٠١ | رحمة الله تعالى لمن يتقون ويؤتون الزكاة | ٧٩ | ١٩٠ | فعلته قوم لوط عليه السلام |
| ١٥٦ | ٢٠١ | التبشير بمجيء البشير النذير في الإنجيل القرآن الكريم : هو «التور» | ٨٢ | ١٩٠ | إمطار السماء ناراً وأحجاراً على قوم لوط |
| ١٥٧ | ٢٠٢ | | ٨٤ | ١٩٠ | الفرق بين الوعد والتوعد |
| ١٥٧ | ٢٠٢ | | ٨٦ | ١٩١ | |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|--|
| | | أوجه الشبه بين الكفار والبهائم ؛ | ١٥٨ | ٢٠٢ | التي الأُمى : أعلم العلماء |
| ٢٢ | ٢١٣ | بل لهنهم شر من البهائم | ١٦٠ | ٢٠٢ | المن والسلوى |
| ٢٤ | ٢١٣ | الإيمان : حياة النفوس... .. | ١٦٣ | ٢٠٣ | الصيد يوم السبت |
| ٢٤ | ٢١٣ | الويل لمن أمكن أعداءه من دينه أو | ١٦٤ | ٢٠٣ | يذل العظة لمن لم تتفع معه العظة |
| ٢٤ | ٢١٣ | وطنه | ١٦٧ | ٢٠٣ | وعد الله تعالى بذلة اليهود لى يوم |
| ٢٤ | ٢١٣ | القلب : هو العقل | ١٦٧ | ٢٠٣ | القيامة |
| ٢٥ | ٢١٣ | لإصابة من ظم ومن لم يظلم بالعباد | ١٦٧ | ٢٠٣ | فتك الألمان باليهود |
| | | فساد قول من قال يذهب الأمان | ١٦٩ | ٢٠٤ | طمع الفجارى مفقرة الله تعالى |
| | | عن الأمة الإسلامية بموت رسولها | ١٧٢ | ٢٠٤ | أخذ الميثاق على جميع بنى آدم... .. |
| ٣٣ | ٢١٤ | عليه الصلاة والسلام... .. | ١٧٦ | ٢٠٥ | ذم اتباع الهوى |
| ٣٣ | ٢١٤ | قلة المستغفرين الآت : هو ذهاب | ١٧٦ | ٢٠٥ | كل إنسان يستطيع التميز بين الخير |
| | | الأمان عن المسلمين | | | والشر بطبيعته... .. |
| ٣٣ | ٢١٤ | استغفار الرسول عليه الصلاة والسلام | ١٧٦ | ٢٠٥ | حتى الحيوانات : يحس بما هو خير ، |
| | | لأتمته بمد حقوقه بالرفيق الأعلى | ١٧٦ | ٢٠٥ | وما هو شر |
| ٣٧ | ٢١٥ | الأعمال : نجيتها الرياء والأذى والمن | ١٧٦ | ٢٠٦ | مثل المتبع هواه... .. |
| ٤١ | ٢١٥ | الخمس فى المعام | ١٨٠ | ٢٠٦ | وقه الأسماء الحسنى |
| ٤٢ | ٢١٦ | انتصار الضعفاء على الأقوياء... .. | ١٨٠ | ٢٠٦ | آداب الدماء بأسمائه الكريمة |
| ٤٢ | ٢١٦ | تتكيل الملائكة بالكافرين | ١٨٠ | ٢٠٦ | اسم الله تعالى الأعظم |
| ٤٦ | ٢١٦ | التهبى عن التنازع فى القتال | ١٩٩ | ٢٠٨ | وجوب التسهل فى معاملة الناس |
| ٤٨ | ٢١٧ | تأييد لإبليس المعين للكافرين... .. | ١٩٩ | ٢٠٨ | عفو الرسول عليه الصلاة والسلام |
| ٥٧ | ٢١٨ | الأمر بالاستبسال ، وضرب العدو | ١٩٩ | ٢٠٩ | عمن آذاه وظلمه |
| ٦٠ | ٢١٨ | الضربة القاضية | ١٩٩ | ٢٠٩ | عفوه عن أبى سفيان ، ومنه عليه |
| | | الأمر بأخذ العدة للقتال | ١٩٩ | ٢٠٩ | عفوه عن «وحشى» قاتل حزة رضى |
| | | رأى عمر بن الخطاب ، وسعد بن | ١٩٩ | ٢٠٩ | الله تعالى عنه... .. |
| | | معاذ ؛ رضى الله تعالى عنهما بقتل | ٢٠٠ | ٢٠٩ | نزغ الشيطان |
| ٦٧ | ٢١٩ | الأمرى ؛ وتصديق الله تعالى لها | ٢٠٤ | ٢٠٩ | القراءة فى الصلاة |
| | | احترام الشورى ، والنزول على رأى | | | (سورة الأنفال) |
| ٦٧ | ٢١٩ | الأغلبية «الديموقراطية الإسلامية» | ١ | ٢١٠ | الأفئال |
| ٧٢ | ٢٢٠ | الوفاء بالعهود والمواثيق | ٢ | ٢١٠ | المؤمنون حقاً : تحديد صفتهم |
| ٧٢ | ٢٢٠ | منطق ساسة اليوم : الحق للقوة | ٧ | ٢١١ | وقعة بدر... .. |
| ٧٥ | ٢٢١ | أولوا الأرحام | ٩ | ٢١١ | إمداد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة |
| | | (سورة التوبة) | ١٧ | ٢١٢ | «ومارميت إذ رميت ولكن الله رى» |
| ١ | ٢٢١ | سبب ترك التسمية فى هذه السورة | ١٧ | ٢١٢ | أعمال الخلق المكتسبة... .. |
| | | الله : رحيم رحمن ؛ ولو أمر بالقتال | | | أعمال الخير : من الله تعالى ، أما أعمال |
| ١ | ٢٢١ | وأنزله العذاب | ١٧ | ٢١٢ | الشر : فن أنفسنا |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|---|-------|--------|--|
| | | الصدقة : مطهرة للنفس ، مرضات للرب | ٦ | ٢٢٢ | إقناع الكافرين بالدليل والبرهان ... |
| ١٠٣ | ٢٤٠ | ... | ٦ | ٢٢٢ | رقة المسلمين ، في معاملة الكافرين... |
| ١٠٥ | ٢٤٠ | فضح المنافق وانكشاف أمره | | | التهى عن اتخاذ الكافرين والمنافقين |
| ١٠٧ | ٢٤٠ | مسجد الضرار | ١٦ | ٢٢٤ | أصدقاء ... |
| ١١١ | ٢٤١ | أجر الشهيد | ١٨ | ٢٢٤ | خشية الله تعالى : هي الإيمان كله ... |
| ١١٤ | ٢٤٢ | استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه | ٢٨ | ٢٢٦ | نجاسة المشركين |
| ١١٧ | ٢٤٢ | غزوة تبوك ، والشدة التي لافاها المسلمون فيها | ٢٩ | ٢٢٦ | أخذ الجزية من الكفار |
| ١١٨ | ٢٤٣ | الثلاثة الذين خلفوا | ٣٠ | ٢٢٦ | قصة عزيز ... |
| ١١٨ | ٢٤٣ | المقوية بالمقاطعة | | | رأى أبى ذر رضى الله تعالى عنه في |
| ١١٨ | ٢٤٣ | توبة الله تعالى على عباده 'ثم تاب عليهم ليتوبوا' | ٣٤ | ٢٢٧ | الإفناق ... |
| | | (سورة يونس) | ٣٥ | ٢٢٧ | عقاب البخيل |
| ١١٨ | ٢٤٣ | ... | ٣٦ | ٢٢٨ | ارتكاب المعاصي في الأشهر الحرم ... |
| | ٢٤٥ | | ٤٠ | ٢٢٩ | 'ثاني اثنين إذ هما في الغار' ... |
| ٥ | ٢٤٦ | منازل القمر | | | سمو منزلة الرسول عليه الصلاة |
| | | من شرائط الإيمان : التصديق | ٤٣ | ٢٢٩ | والسلام عند ربه |
| ١١ | ٢٤٧ | بأخرة ؟ فعلا . لا قولاً | | | التهى عن خروج المرتابين المتردين |
| ١٩ | ٢٤٨ | 'كان الناس أمة واحدة' | ٤٧ | ٢٣٠ | للقنال ... |
| ٢٤ | ٢٤٩ | من هلام الساعة | | | تعذيب المنافقين - في الحياة الدنيا - |
| ٥٧ | ٢٥٤ | القرآن : شفاء الصدور | ٥٥ | ٢٣١ | بأموالهم وأولادهم |
| ٦٤ | ٢٥٥ | الاستبشار وقت الزرع | | | الذين تجب لهم الزكاة : الفقراء ، |
| ٦٨ | ٢٥٦ | بطلان نسبة اتخاذ الولد لله سبحانه | | | المساكين ، الجباة ، المؤلفق قلوبهم |
| ٧١ | ٢٥٦ | الاستماتة بالله تعالى : تبعث في النفس الطمأنينة ، وفي الجسم القوة | ٦٠ | ٢٣٢ | الأرقاء ، المتقولون بالدين ، المجاهدون |
| ٩٠ | ٢٥٩ | قول من قال بإيمان فرعون ، وبتلان هذا القول | | | أبناء السبيل |
| | | السبب في معاقبة فرعون وملئه بالإغراق | ٦٦ | ٢٣٣ | كفر المستهزئين بالله ، وآياته ، |
| ٩٠ | ٢٥٩ | ... | | | ورسله ، وعباداته ... |
| ٩٢ | ٢٥٩ | نجاة بدن فرعون | ٧١ | ٢٣٤ | رحمة الله تعالى لمن يأمر بالمعروف |
| | | كل زجر ، أو تبريع موجه للرسول عليه الصلاة والسلام : إنما أريد به أمته | ٧١ | ٢٣٤ | وينهى عن المنكر |
| ١٠٦ | ٢٦١ | ... | ٧١ | ٢٣٤ | إقامة الصلاة : شكر لله تعالى |
| | | (سورة هود) | ٧١ | ٢٣٤ | إتناء الزكاة : من أخس لوازم المؤمن |
| ٣ | ٢٦٢ | القناعة والرضا : هما الفنى الكامل | ٧١ | ٢٣٥ | الدعوة الصادقة لطاعة الله تعالى |
| ٦ | ٢٦٣ | تكفل الله تعالى بأرزاق سائر الخلائق | ٨٠ | ٢٣٦ | التهى عن الاستغفار للمشركين |
| | | | ٨٤ | ٢٣٦ | التهى عن الصلاة على موتى الكفار |
| | | | ٨٤ | ٢٣٦ | صلاة الجنائز |
| | | | ٩٣ | ٢٣٨ | تخلف الفنى عن الجهاد |
| | | | ٩٧ | ٢٣٩ | 'الأمراب : أشد كفراً ونفاقاً' ... |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|--|
| ١١ | ٢٨١ | فساد مايزعمه القراء من الإثم ، وكيفيته | ٦ | ٢٦٣ | رزقه تعالى للإنسان رغم كفرانه وعصيانه |
| ١٥ | ٢٨١ | كيف نزل الوحي على يوسف في الحب | ٢٧ | ٢٦٦ | الفقره : أجباء الله تعالى ، وأسباب جنته |
| ٢٤ | ٢٨٣ | هم يوسف عليه السلام | ٢٧ | ٢٦٦ | الفنى : من أهم أسباب البعد عن الله تعالى |
| ٢٤ | ٢٨٣ | برهان الله تعالى ليوسف عليه السلام | ٤٠ | ٢٦٨ | إذا أراد الله تعالى شيئاً : قلب الأوضاع ، ومحا الطباع |
| ٢٩ | ٢٨٣ | وضوح براءة يوسف لى عزيز مصر وجه الظلمة من وجود يوسف في بيت العزيز | ٤٤ | ٢٦٩ | سفينة نوح : ليست على جبال أارات كما زعم المكشفون |
| ٣٢ | ٢٨٤ | إدخال يوسف السجن بعد وضوح براهته | ٤٤ | ٢٦٩ | قول من قال : إن ابن نوح كات ابن زنا |
| ٣٥ | ٢٨٤ | تدرج يوسف عليه السلام في نشر الدعوة | ٤٦ | ٢٦٩ | مزايا الاستغفار ، وفوائده الدنيوية والأخروية |
| ٤٠ | ٢٨٥ | جزء من ينسى ربه في وقت الشدة | ٥٢ | ٢٧٠ | تحدى هود عليه السلام لقومه : شدة إيمانه ، ومزيد يقينه : بشا فيه القوة ، والطأينة ، والإقدام على هذا التحدى |
| ٤٢ | ٢٨٦ | حفظ الحبوب | ٦٥ | ٢٧٢ | الراضى عن المصيبة : شريك في العصيان |
| ٤٧ | ٢٨٦ | صدق امرأة العزيز | ٧٨ | ٢٧٣ | إتيان الذكران : يحط بنى آدم عن صربة الحيوان |
| ٥١ | ٢٨٧ | بطلان ماقاله الفسرون في قصة يوسف | ٨٦ | ٢٧٤ | توفية الكيل والميزان : مجلبة لحسن الحال والمآل |
| ٥٣ | ٢٨٧ | عز الطاعة ، وذل المصيبة | ١٠٦ | ٢٧٧ | الأشقياء في جهنم « لهم فيها زفير وشهيق » |
| ٥٦ | ٢٨٨ | مجيء لإخوة يوسف ، وعدم معرفتهم له جواز التوصل إلى الأغراض المشروعة | ١١٣ | ٢٧٨ | لُم مخالطة الظالمين ، والركون لاليهم تعرض الإنسان لارتكاب الصفات |
| ٥٨ | ٢٨٨ | بالحيلة | ١١٤ | ٢٧٨ | الصفات ؛ بالإصرار والتكرار : تتحول إلى كباتر |
| ٧٦ | ٢٩٠ | التحسس ، والتجسس | ١١٤ | ٢٧٨ | « إن الحسنات يذهبن السيئات » |
| ٨٧ | ٢٩٢ | قيس يعقوب ، وماورد في صفته | ١١٤ | ٢٧٨ | تحوّل إلى كباتر |
| ٩٣ | ٢٩٣ | لقاء يوسف لأبيه يعقوب | ٧ | ٢٨٠ | قصص القرآن : للاعتبار والاستبصار مضار لما يثار بعض الأبناء على بعض : في الحب والقرب |
| ٩٩ | ٢٩٤ | لطف الله تعالى بيوسف | | | |
| ١٠٠ | ٢٩٤ | إذا أراد المولى تعالى بعبده خيراً : جاءه الخير من طريق الشر ! | | | |
| ١٠٠ | ٢٩٤ | كل شيء في الكون يشهد لله تعالى بالوجود ، والقدرة ، والظمنة | | | |
| ١٠٥ | ٢٩٥ | (سورة الرعد) | | | |
| | ٢٩٦ | اختلاف الثمار والنبات | | | |
| ٤ | ٢٩٦ | تقدير الله تعالى للأشياء | | | |
| ٨ | ٢٩٧ | التوازن بين تمداد السكان وحاجاتهم | | | |
| ٨ | ٢٩٧ | تطور لبن المرضع مع نمو الطفل | | | |
| ١٥ | ١٩٨ | سجود كل شيء لله تعالى | | | |
| ٢٢ | ٣٠٠ | فضل السر في الصدقة | | | |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|---------------------------------------|
| ٢١ | ٣١٣ | ابتلاء الله تعالى عباده بالبسط والقبض | ٢٢ | ٣٠٠ | الصدقة في السر والجهر |
| ٢٢ | ٣١٣ | إرسال الرياح لواقع | | | العقل : هو الميثاق الذي واثق الله |
| ٢٩ | ٣١٤ | كيفية سجود الملائكة لآدم | ٢٥ | ٣٠٠ | عباده به |
| | | لم يفو الله تعالى لمبليس العين ؟ | ٢٧ | ٣٠١ | القرآن : فاق سائر المعجزات ... |
| ٣٩ | ٣١٥ | بل غوى بنفسه ، وأغوى غيره ... | | | مخاطبة الأمة بالتهديد والوعيد ؟ |
| | | ما خلق الله تعالى نفساً أكرم عليه | ٣٧ | ٣٠٣ | في شخص رسولها عليه السلام ... |
| ٧٢ | ٣١٧ | من محمد عليه الصلاة والسلام ... | | | المحو والإثبات في الرزق ، والأجل |
| ٧٢ | ٣١٧ | لإقسام الله تعالى بحياة نبيه عليه السلام | ٣٩ | ٣٠٣ | والسعادة ، والشقاوة |
| ٧٤ | ٣١٧ | لإهلاك قوم لوط عليه السلام | | | الصدقة ، وبر الوالدين ، وصلة |
| ٨٨ | ٣١٨ | النهي عن التطلع إلى ما عند الكفار | ٣٩ | ٣٠٣ | الرحم : تطيل العمر |
| ٨٨ | ٣١٨ | الأمر بالتواضع ولين الجانب للمؤمنين | ٣٩ | ٣٠٣ | محو القضاء الأزلي وتغييره |
| ٨٨ | ٣١٨ | فساد المقاييس والمعايير ، وطغيان المادة | | | الفتوت والدعاء : يدلان على المحو |
| | ٣١٩ | (سورة النحل) | ٣٩ | ٣٠٣ | والتغيير |
| | | القرآن : هو الخير كل الخير ، وهو | | ٣٠٤ | (سورة إبراهيم) |
| ٣٠ | ٣٢٢ | سبب لكل رحمة ونعمة ! | ٤ | ٣٠٤ | وجوب لإرسال الرسل بلسان أقوامهم |
| ٤٨ | ٣٢٥ | سجود كل شيء لله تعالى | ٤ | ٣٠٥ | وجوب ترجمة القرآن لسائر اللغات ... |
| ٥٩ | ٣٢٦ | كرهية بعض الجهال لمولد البنات | ٤ | ٣٠٥ | إضلال الله تعالى لمن يشاء لإضلاله ... |
| ٥٩ | ٣٢٦ | قد تكون الأثني خيراً من الذكر | ١٨ | ٣٠٧ | صفة أعمال الكافرين |
| ٥٩ | ٣٢٦ | الوآد في الجاهلية | ٢٤ | ٣٠٨ | الكلمة الطيبة |
| ٦٠ | ٣٢٦ | «لله المثل الأعلى» | ٢٦ | ٣٠٨ | الكلمة الخبيثة |
| | | اتصاف بعض البشر بصفاتة تعالى ؟ | | | لا يضل الله تعالى إلا من أصر على |
| ٦٠ | ٣٢٦ | وهو «ليس كمثل شيء» | ٢٧ | ٣٠٨ | كفره وضلاله |
| ٦٠ | ٣٢٦ | فهم الكمال الإلهي | ٢٨ | ٣٠٨ | الكفر بالنعمة |
| | | حزبة الكرم ، والرحمة ، والصبر ، | | | الرسول عليه الصلاة والسلام : هو |
| ٦٠ | ٣٢٦ | والعلم | ٢٨ | ٣٠٨ | النعمة العظمى ! |
| | | كلما تعلق الإنسان بالفئاضل والمثل | | | رب ساع لا ينال جزاء سعيه ، ورب |
| ٦٠ | ٣٢٦ | العليا : أزداد حباً لله تعالى ، | ٣١ | ٣٠٩ | قاعد رزق من حيث لا يحتسب |
| | | ومعرفة به ، وقرباً منه | ٣١ | ٣٠٩ | حكمة الإنفاق في السر والعلائية |
| ٦٠ | ٣٢٦ | تذوق الحب الإلهي ! | ٣٤ | ٣٠٩ | أنعم الله تعالى التي لا تحصى |
| ٦٨ | ٣٢٧ | الوحي إلى النحل | | | استجابة دعوة إبراهيم عليه السلام |
| | | فوائد العسل الطيبة : للضعف العام ، | ٣٧ | ٣١٠ | لأهل مكة |
| | | والتسمم ، وأمراض الكبد ، | | | (سورة الحجر) |
| | | والذبجة الصدرية ، والحميات ، | ١٦ | ٣١٣ | منازل الكواكب السيارة |
| | | واحتقان المخ ، وضعف القلب ، | ١٩ | ٣١٣ | تناسب العناصر |
| ٦٩ | ٣٢٨ | والحصبة ، وغير ذلك | | | |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--------------------------------------|-------|--------|--------------------------------------|
| | | النهي عن قربات الزنا ، وما هو | ٧١ | ٣٢٨ | وجوب إكرام العبيد |
| ٣٢ | ٣٤٢ | قربانه ؟ | ٧٥ | ٣٢٨ | معنى الخفدة |
| ٣٢ | ٣٤٢ | الزنا : من أقبح الذنوب | ٧٥ | ٣٣١ | مثل البخيل والكريم |
| ٣٤ | ٣٤٢ | المحافظة على مال اليتيم | ٩٠ | ٣٣١ | العدل : جماع الفضائل كلها |
| ٤٤ | ٣٤٣ | تسبيح كل شيء لله سبحانه | ٩٠ | ٣٣١ | الفحشاء والمنكر : يشملات جميع |
| | | تسبيح السموات ، والأرض ، | ٩٧ | ٣٣٢ | المعاصي والردائل |
| ٤٤ | ٣٤٣ | والجبال ، والكواكب ، والمياه ، | ٩٨ | ٣٣٢ | طيب حياة من يعملون الصالحات ... |
| | | والأشجار ، والأزهار | ١٢٢ | ٣٣٥ | وجوب الاستعاذة قبل قراءة القرآن |
| | | نقني الشعر عن الرسول صلوات الله | ١٢٥ | ٣٣٥ | إبراهيم عليه الصلاة والسلام |
| | | تعالى وسلامه عليه . وبتلان قول | ١٢٦ | ٣٣٦ | وجوب المجادلة باللين والحسنى |
| ٤٧ | ٣٤٤ | من قال بذلك | | | كيفية الماتلة في العقوبة |
| | | مرتبنا الرجاء والخوف ، والتوسط | | | (سورة الإسراء) |
| ٥٧ | ٣٤٤ | فيهما | ١ | ٣٣٦ | تقديس الله تعالى |
| | | رؤيا الرسول عليه الصلاة والسلام | ١ | ٣٣٦ | المبودية : غاية الغايات |
| ٦٠ | ٣٤٥ | مصارع الكفار في وقعة بدر ... | ٤ | ٣٣٧ | بنى اليهود وإفسادهم |
| | | حصانة عباد الله تعالى من كيد الشيطان | ٥ | ٣٣٧ | إذلال اليهود على يد مختصر |
| ٦٥ | ٣٤٥ | ووسوسته | ١٦ | ٣٣٨ | تأويل قوله تعالى «أمرنا مترفها |
| ٦٧ | ٣٤٦ | الاستعاذة بالله تعالى : وقت مس الضر | ١٦ | ٣٣٨ | ففسقوا فيها» |
| ٨٣ | ٣٤٧ | مضار الأيس ، وكفر اليائس القانط | ١٦ | ٣٣٩ | الزنا : السبب الأول للأضرار الفتاكة |
| ٨٥ | ٣٤٧ | الروح ، وحقيقتها | ١٦ | ٣٣٩ | الزهرى : من معقبات الزنا |
| ٨٥ | ٣٤٨ | بعث النفوس يوم القيامة بأجسادها | ١٦ | ٣٣٩ | معقبات الزنا : تلازم ذراري الزاني |
| ٨٥ | ٣٤٨ | زعم تخضير الأرواح | ١٦ | ٣٣٩ | وخطائمه |
| ٨٥ | ٣٤٨ | لا سلطان لأحد على الروح ، سوى | ١٦ | ٣٣٩ | لا يجوز بحال نسبة الأمر بالفسق |
| ٨٥ | ٣٤٨ | خالقها تعالى | ١٦ | ٣٣٩ | لله تعالى |
| ١٠١ | ٣٤٩ | آيات موسى عليه السلام | ١٨ | ٣٣٩ | خسران المقل على الدنيا ، التنصرف |
| ١١٠ | ٣٥٠ | أسمائه تعالى الحسنى | ٢٣ | ٣٤٠ | عن الآخرة |
| ١١٠ | ٣٥١ | الجهر في الصلاة ، والمحقوق فيها ... | ٢٣ | ٣٤٠ | وجوب طاعة الوالدين والإحسان إليهما |
| | | (سورة الكهف) | ٢٦ | ٣٤٠ | وجه الشبه بين إحسان الله تعالى ، |
| ٩ | ٣٥٢ | أصحاب الكهف والرقيم | ٢٦ | ٣٤٠ | وإحسان الوالدين |
| ١٨ | ٣٥٣ | سبب تغليب أصحاب الكهف | ٢٦ | ٣٤٠ | فساد قول من قال : إنه لا فضل |
| ١٨ | ٣٥٣ | سبب الرعب منهم | ٢٦ | ٣٤١ | للوالدين |
| ٢٦ | ٣٥٤ | حجة بعث الناس بأجسادهم | ٢٧ | ٣٤١ | حقوق الأقرباء |
| ٢٦ | ٣٥٤ | جواز اتخاذ المساجد فوق القبور ... | ٢٧ | ٣٤١ | النهي عن التبذير |
| | | وجوب الاستثناء في الأعمال «إن | ٢٧ | ٣٤١ | لا تبذير ، ولا إسراف في الخير |
| ٢٤ | ٣٥٤ | شاء الله» | ٢٨ | ٣٤١ | القول الميسور للوالدين |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|---------------------------------------|-------|--------|--------------------------------------|
| | | مناقشة مدة لبث أهل الكهف ... | ٢٥ | ٣٥٥ | حقيقة مدة لبث أهل الكهف ... |
| ٢٤ | ٣٦٨ | والسلام عند ولادته... .. | | | وجوب تكريم الفقراء ، وعدم |
| ٢٥ | ٣٦٨ | فوائد الرطب للحوامل والوالدات ... | ٢٨ | ٣٥٥ | الانصراف عنهم |
| ٢٧ | ٣٦٨ | اتهام اليهود لمريم بالزنا... .. | ٣٢ | ٣٥٦ | مثل الكافر والمؤمن |
| ٣٠ | ٣٦٩ | هل تنبأ عيسى عليه السلام عند ولادته؟ | ٣٢ | ٣٥٦ | كفر المعتز يديناه |
| ٥٥ | ٣٧١ | وجوب الأمر بالصلاة والزكاة ... | ٤٥ | ٣٥٧ | مثل الحياة الدنيا... .. |
| ٥٩ | ٣٧١ | إضاعة الصلاة ، واتباع الشهوات ... | ٤٦ | ٣٥٧ | « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » |
| | | الجنة : ليس فيها ليل ونهار ؟ بل | ٥٠ | ٣٥٨ | لا بليس وذريته |
| | | نور دائم... .. | ٥٣ | ٣٥٩ | الظن : بمعنى اليقين |
| ٦٢ | ٣٧٢ | ورود المؤمنين على النار | ٦٠ | ٣٦٠ | موسى وفتاه ؟ عليهما السلام... .. |
| ٧١ | ٣٧٢ | اختلاف معاني «كلا» وأول ورودها | ٦٥ | ٣٦٠ | لقاء موسى بالحضر عليهما السلام ... |
| ٧٩ | ٣٧٣ | في القرآت | ٦٥ | ٣٦٠ | دليل نبوة الحضر عليه السلام ... |
| | | الإيمان والعمل الصالح : مجلبة لحب | ٧٧ | ٣٦٢ | البخل : من أحط الصفات |
| ٩٦ | ٣٧٤ | الله تعالى ، وود الناس | ٧٩ | ٣٦٢ | الفقير ، والمسكين |
| | | (سورة طه) | ٧٩ | ٣٦٢ | التعوذ من الفقر |
| ٥ | ٣٧٥ | استواء الرحمن على العرش | ٨٠ | ٣٦٢ | الرضا بقضاء الله في المكروه |
| ٤٤ | ٣٧٨ | الحث على إلاتة القول للطائع والعاصي | ٨٢ | ٣٦٢ | صلاح الآباء : ينفع الأبناء |
| ٤٤ | ٣٧٨ | أخلاق المتنتظين | ٨٦ | ٣٦٣ | الشمس كما رآها ذو القرنين... .. |
| ٤٤ | ٣٧٨ | رفقه تعالى بسائر مخلوقاته | ٨٦ | ٣٦٣ | الشمس على حقيقتها |
| | | هداية الله تعالى لسائر مخلوقاته ؟ | ٨٦ | ٣٦٣ | هل كان ذو القرنين نبياً ؟ |
| ٥٠ | ٣٧٨ | بطريق الوحي والإلهام | ٩٤ | ٣٦٤ | بناء سد ذى القرنين |
| ٥٠ | ٣٧٨ | هداية الحيوان لما أعد له | ١٠٩ | ٣٦٥ | ماهية كلمات الله تعالى |
| ٥٠ | ٣٧٩ | هداية الحيوان لقطع سرة مولوده ... | ١٠٩ | ٣٦٥ | لله تعالى كتابين : دالين على وجوده |
| | | النوع الإنساني : واحد من ملايين | | | وشهوده |
| ٥٠ | ٣٧٩ | أنواع المخلوقات | | | (سورة مريم) |
| | | حب سائر المخلوقات للبقاء ، والنشبت | ١٠ | ٣٦٧ | الصيام من موجبات استجابة الدعاء |
| ٥٠ | ٣٧٩ | بالحياة | ١٢ | ٣٦٧ | صفات يجي عليه السلام |
| ٥٠ | ٣٧٩ | التوازن الحيوي بين سائر المخلوقات | ١٦ | ٣٦٧ | قصة مريم عليها السلام |
| ٥٠ | ٣٧٩ | تكاثر الذباب والحشرات وغيرها | ١٧ | ٣٦٧ | إرسال الروح لآليها |
| ٥٠ | ٣٨٠ | الإنسان : سيد المخلوقات الأرضية ... | | | مناقشة يوسف التجار لمريم ، حين |
| ٥٠ | ٣٨٠ | محاولة الإنسان لإبادة كل ما يترضه ... | ٢١ | ٣٦٨ | رأى منها مظاهر الحمل |
| | | لكل نوع من الحشرات أعداء | ٢١ | ٣٦٨ | يخلق الله تعالى الأشياء ابتداء بغير |
| ٥٠ | ٣٨٠ | توقف نموه وتكاثره | | | سبب |
| | | إفساد الحشرات : في ظاهره نعمة ، | | | نزول عيسى للتبشير بحمد عليهما |
| ٥٠ | ٣٨٠ | وفي حقيقته نعمة | ٢٣ | ٣٦٨ | الصلاة والسلام |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|---|
| ٨٥ | ٣٩٧ | ... ذا الكفل عليه السلام ... | | | الأوثبة ، والطواعين ، والحروب : |
| ٨٥ | ٣٩٧ | ... بوذا وأتباعه ... | ٥٠ | ٣٨٠ | ... لصالح الكون والكائنات ... |
| ٨٧ | ٣٩٧ | ... قصة يونس بن متى عليه السلام ... | ٨٢ | ٣٨٣ | ... شرائط الفئران ... |
| ٨٧ | ٣٩٧ | ... دعاء يونس عليه السلام ، واستجابته ... | ٨٨ | ٣٨٣ | ... عجل السامري ... |
| ٩٥ | ٣٩٨ | ... عذاب الدنيا : لا يدفع عذاب الآخرة «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» : مؤمنهم ، وكافرهم ... | ٩٢ | ٣٨٣ | ... ثورة موسى على هرون عليهما السلام وجوب مواجهة ثورة الصديق بالتساهل والرفق واللين ... |
| ١٠٧ | ٣٩٩ | ... (سورة الحج) | ٩٤ | ٣٨٤ | ... عقوبة السامري في الدنيا ... |
| ١ | ٤٠٠ | ... زلزلة الساعة ... | ٩٧ | ٣٨٤ | ... حشر الجرمين «زرقاً» يوم القيامة بطالات قول من قال : إن الزرقة في عيونهم ... |
| ٥ | ٤٠٠ | ... تأويل خلقه الإنسان «من علقه» من قرأ القرآن : لم يصب بالحرف في كبره ... | ١٠٢ | ٣٨٥ | ... الاسم الأعظم : «الحى القيوم» ... |
| ٥ | ٤٠١ | ... «ذلك بأن الله هو الحق» ... | ١٠٢ | ٣٨٥ | ... معصية آدم عليه السلام ... |
| ٦ | ٤٠١ | ... من ظن أن ينصره الله : فليختنق | ١٢١ | ٣٨٦ | ... معيشة الكافر : ضنك دائم ... |
| ١٥ | ٤٠٢ | ... «ومن يهن الله فما له من مكرم» ... | ١٢٤ | ٣٨٦ | ... حياة المؤمن : سرور في سائر الحالات |
| ١٨ | ٤٠٣ | ... إنما يهين الله تعالى : من يأبى الإيمان بطلان مزاعم من ينسبون الظلم لله | ١٢٤ | ٣٨٦ | ... (سورة الأنبياء) |
| ١٨ | ٤٠٣ | ... «وما ربك بظلام للعبيد» ... | ٢ | ٣٨٨ | ... القرآن الكريم : قديم محدث ... |
| ٢٠ | ٤٠٣ | ... شدة عذاب الله تعالى للكافرين | ٢٠ | ٣٩٠ | ... تسبيح الملائكة عليهم السلام ... |
| ٢٥ | ٤٠٤ | ... لثم من هم بالمعصية في الحرم ... | ٢٣ | ٣٩٠ | ... «لا يسأل عما يفعل» ... |
| ٢٥ | ٤٠٤ | ... حرمة الاحتكار في الحرم ... | ٢٣ | ٣٩٠ | ... بطلان زعم من يقول بأن الأرض : قطعة من الشمس ... |
| ٢٥ | ٤٠٤ | ... صلاة الجماعة ، الجمعة ، الحج : شهادة الزور : من أكبر الكبائر | ٣٠ | ٣٩١ | ... الابتلاء بالشر والخير ... |
| ٣٠ | ٤٠٥ | ... الحروب والقتال : ليست شرأ كلها الحياة ... | ٣٧ | ٣٩٢ | ... «خلق الإنسان من عجل» ... |
| ٤٠ | ٤٠٦ | ... قصة الفرائق ، وبطلان مذهب إليه المفسرون فيها ... | ٤٧ | ٣٩٣ | ... موازين القيامة ... |
| ٥٢ | ٤٠٧ | ... الشقاق الدائم بين الأمم الغربية ... | ٤٧ | ٣٩٣ | ... كيف انقلبت نار إبراهيم برداً وسلاماً تسليط العوض لإهلاك قوم إبراهيم عليه السلام ... |
| ٦٠ | ٤٠٨ | ... لا تجوز المجانسة في العقوبة على إطلاقها | ٦٨ | ٣٩٥ | ... حكم داود وسليمان في مسألة الحرث تفضيل حكم سليمان على حكم داود ؟ مع صحة حكمه ... |
| ٧٣ | ٤١٠ | ... حكمة خلق الذباب | ٧٨ | ٣٩٦ | ... تسبيح الجبال والطير مع داود ... |
| ٧٨ | ٤١١ | ... جهاد النفس ، ومحاربة الشيطان | ٧٩ | ٣٩٦ | ... تسخير الريح والشياطين لسليمان ... |
| | ٤١٢ | ... (سورة المؤمنون) | ٨١ | ٣٩٦ | ... ضر أيوب عليه السلام ... |
| ٣ | ٤١٢ | ... لغوال الكلام ... | ٨٣ | ٣٩٧ | ... بطلان مارواه أكثر المفسرين عن ضره إدريس عليه السلام ... |
| | | | ٨٣ | ٣٩٧ | |
| | | | ٨٥ | ٣٩٧ | |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|---|-------|--------|---|
| ٢٢ | ٤٢٥ | الحث على العفو | ٦ | ٤١٢ | ملك اليمين |
| ٢٢ | ٤٢٥ | وجوب إعطاء الفقير ، ولو عصى ... « الخبيثات للخبيثين ... والطيبات | ٦ | ٤١٢ | اليمين حتى الآن |
| ٢٦ | ٤٢٦ | للطيبين» | ٦ | ٤١٢ | لا يستعبد النفوس : إلا الكفر والعداء |
| ٢٧ | ٤٢٦ | آداب الزيارة ، وحضارة الاسلام ... | ٦ | ٤١٢ | للمؤمنين |
| ٣٠ | ٤٢٦ | الأمر بغض البصر | ٦ | ٤١٢ | لا يستحل الإمام الآث إلا لزان ... |
| ٣٠ | ٤٢٦ | النظر إلى المحرمات : بريد الزنا ... | ١٧ | ٤١٣ | الطرائق : هي السموات |
| ٣١ | ٤٢٧ | نهى المرأة عن إبداء زينتها | ٢٧ | ٤١٤ | فوران ماء الطوفان من التنور ... |
| ٣٣ | ٤٢٧ | استعفاف الذين لا يستطيعون الزواج | ٢٧ | ٤١٤ | بطلان قول من قال بأن سفينة نوح |
| ٣٣ | ٤٢٨ | مكتبة العيد للتحرر | | | كانت تسير بالبخار |
| ٣٣ | ٤٢٨ | ضرر المغالاة في المهور | ٥٢ | ٤١٦ | وجوب توحيد الأمة الإسلامية ... |
| ٣٥ | ٤٢٨ | « الله نور السموات والأرض » ... | ٥٦ | ٤٢٠ | دفع أذى الكفار بالحسنى |
| ٣٥ | ٤٢٨ | وجوب التمسك بنور الله تعالى ... | | ٤٢٢ | (سورة النور) |
| ٣٩ | ٤٢٩ | مثل أعمال الكفار | | | عقوبة الزانية والزاني : المحصن ، |
| ٣٩ | ٤٢٩ | جزاء الكافر على إحسانه : يجعل له | ٢ | ٤٢٢ | وغير المحصن |
| ٤٠ | ٤٢٩ | في الدنيا | | | المرأة : منشأ الجناية ، ومبدأ العواية ، |
| ٤٥ | ٤٣٠ | مثل حيرة الكافر وضلاله | ٢ | ٤٢٢ | وعليها التبعة |
| ٥٥ | ٤٣٢ | خلق كل مخلوقات من ماء | ٢ | ٤٢٢ | غش القوائين الوضعية في جريمة الزنا |
| ٥٨ | ٤٣٢ | انتشار الاسلام وذبوعه | ٢ | ٤٢٢ | حد الزنا : يجب لإيقاعه بالشدّة والعاطفة |
| ٦١ | ٤٣٣ | أوقات استئذان الحدم والأطفال ... | ٢ | ٤٢٢ | نفسي الأمراض الخبيثة بسبب الزنا ... |
| ٦١ | ٤٣٣ | البيوت التي يجوز الأكل منها ؛ بغير | ٣ | ٤٢٣ | « الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة |
| ٦١ | ٤٣٣ | إذن من صاحبها | ٤ | ٤٢٣ | والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك» |
| ٦١ | ٤٣٣ | الإبن وماله : ملك أبيه | | | عقوبة قذف المحصنات |
| ٦١ | ٤٣٣ | رب حبيب ، خير من قريب ، ورب | ٤ | ٤٢٣ | سقوط عدالة القاذف ، وعدم قبول |
| | ٤٣٤ | أخ لك لم تلده أمك | ٤ | ٤٢٣ | شهادته أبد الدهر |
| | | (سورة الفرقان) | ٦ | ٤٢٣ | قذف الزوج لزوجته |
| | | ابتلاء الناس بعضهم ببعض : الغنى | ٦ | ٤٢٣ | كيفية اللعان |
| | | بالفقير ، والمرضى بالصحيح ، | ٦ | ٤٢٣ | باللعان تحصل الفرقة الأبدية بين الزوجين |
| ٢٠ | ٤٣٧ | والوضع بالشرىف | | | الإفك : رمى أم المؤمنين عائشة رضی |
| ٤٥ | ٤٣٩ | دوران الأرض حول الشمس | ١١ | ٤٢٣ | الله تعالى عنها |
| ٥٨ | ٤٤١ | فضيلة التسييح | | | مدح حسان بن ثابت لعائشة رضی الله |
| ٦١ | ٤٤١ | ولم يعض الناس باكتشاف القمر ... | ١١ | ٤٢٤ | تعالى عنها بقصيدة عصماء : برأ |
| ٦١ | ٤٤١ | حق من قال بتفجير جزء من القمر | ١٩ | ٤٢٥ | فيها نفسه مما نسب إليه من الإفك ... |
| ٦١ | ٤٤١ | للإختبار | ٢١ | ٤٢٥ | عدم جواز التستر على الفواحش ... |
| ٦١ | ٤٤٢ | الكواكب لاتصلح لسكنى الإنسان | | | أصدقاء السوء |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|---|-------|--------|--|
| ٨٧ | ٤٤٩ | وجوب اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء والرجاء ؛ للفوز والنجاة | ٦١ | ٤٤٢ | أطاع الإنسان لاتفق عند حد ... الإنسان يريد من وراء الوصول إلى الكواكب : الوصول إلى إنكار خالقها |
| ١٦٥ | ٤٥٣ | حكم اللواط : تحكيم الزنا | ٦١ | ٤٤٢ | الأسباب الداعية لكفر الكافرين : |
| ١٨٩ | ٤٥٤ | عذاب يوم الظلة | ٦١ | ٤٤٣ | كانت كافية لإيمانهم وهدايتهم ... الكواكب التي اكتشفها الإنسان حتى الآن : لاتوازي ذرة من مجموعة الكواكب التي خلقها الله ، ولا قطرة في بحر ملكه الآخر |
| ١٨٩ | ٤٥٤ | قد يرسل تعالى العذاب من مواطن الرحمة | ٦١ | ٤٤٣ | سلط الله تعالى الإنسان على أقوى مخلوقاته ؛ ولو سلط عليه أضعف مخلوقاته ؛ لأهلكه وأفناه |
| ١٨٩ | ٤٥٤ | ملوك مدين | ٦١ | ٤٤٣ | لا يوجد شيء في الوجود ؛ غير موجود حتى من يطلب السفر إلى الكواكب لن يبلغ الكواكب بالغ ، ولن يسافر إليها مسافر |
| ١٨٩ | ٤٥٤ | أصل حروف الهجاء علماء الأمة الإسلامية : خيارها ، | ٦١ | ٤٤٣ | |
| ١٩٧ | ٤٥٥ | يعكس ما عداها من الأمم | ٦١ | ٤٤٤ | لسلط الله تعالى الإنسان على أقوى مخلوقاته ؛ ولو سلط عليه أضعف مخلوقاته ؛ لأهلكه وأفناه |
| ١٩٧ | ٤٥٥ | السالم الذي لا يعمل بعلمه : أول الناس دخولا النار | ٦١ | ٤٤٤ | لا يوجد شيء في الوجود ؛ غير موجود حتى من يطلب السفر إلى الكواكب لن يبلغ الكواكب بالغ ، ولن يسافر إليها مسافر |
| ٢٠٠ | ٤٥٥ | سلوك القرآن في قلوب الكافرين : لتسقط حجبتهم | ٦١ | ٤٤٤ | لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما |
| ٢٠٠ | ٤٥٥ | بطلان قول من قال : إن الذي سلكه الله تعالى في قلوب الكافرين : هو الكفر والتكذيب | ٦١ | ٤٤٤ | لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما |
| ٢٠٠ | ٤٥٥ | ليس كل شاعر بعلوم ، وليس كل شعر بمنوم | ٦١ | ٤٤٤ | لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما |
| ٢٢٤ | ٤٥٧ | من الشعراء : من حاز مرتبة الأولياء | ٦١ | ٤٤٤ | لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما |
| ٢٢٤ | ٤٥٧ | (سورة النمل) | ٦٢ | ٤٤٤ | لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما |
| ١٨ | ٤٥٩ | وجوب حذر الضعيف ، وأخذ أهفته : لتوقى ضرر القوى وبطشه | ٦٢ | ٤٤٤ | لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما |
| ٢٨ | ٤٦٠ | استخدام الطير لحمل الرسائل | ٦٢ | ٤٤٤ | لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما |
| ٢٩ | ٤٦٠ | ورود الأنظمة الديموقراطية في القرآن | ٦٢ | ٤٤٤ | لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما |
| ٣٤ | ٤٦٠ | مضار الاحتلال | ٦٢ | ٤٤٤ | لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما |
| ٤٠ | ٤٦١ | الإيمان بمرش بلقيس إلى سليمان | ٦٢ | ٤٤٤ | لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما |
| ٤٢ | ٤٦٢ | بطلان قول من قال : إن عرش بلقيس لم يحضر لدى سليمان ؛ بل الذي أحضر رسمه لاجسسه | ٦٢ | ٤٤٤ | لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما |
| ٦٣ | ٤٦٤ | سبب تسمية المطر : رحمة | ٦٢ | ٤٤٤ | لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما |
| ٦٥ | ٤٦٥ | لإثبات أن في السموات سكاناً عقلاء نتق علم الغيب عن سائر المخلوقات ؛ حتى سكان السموات | ٦٢ | ٤٤٤ | لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما |
| ٦٥ | ٤٦٥ | حتى سكان السموات | ٦٢ | ٤٤٤ | لقد حاول فرعون وهامان بلوغ الكواكب ؛ فخذلها الله تعالى وأهلكهما |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|---|-------|--------|--|
| ٨٨ | ٤٨١ | « كل شيء هالك إلا وجهه » | ٦٥ | ٤٦٥ | « من ذهب إلى عرفاء : ذهب ثلثا دينه » |
| | ٤٨١ | (سورة العنكبوت) | ٦٥ | ٤٦٥ | الرسول عليه الصلاة والسلام - وهو أفضل المخلوقات - لا يعلم ما في غد |
| | | امتحان الناس : بالفقر والغنى ، | ٦٥ | ٤٦٥ | امتحان الحجاج لأحد العرافين |
| | | والمرض والمافية ، والموت ، | ٨٢ | ٤٦٦ | خروج الدابة ؛ قبيل القيامة |
| ٢ | ٤٨١ | والفحط | ٨٢ | ٤٦٦ | اختلاف الناس في صفتها وهيئتها |
| ٨ | ٤٨٢ | لا طاعة لمخلوق ، في معصية الخالق | ٨٢ | ٤٦٦ | ما استفعله الدابة بالمؤمنين والكافرين |
| | | الحالة الوحيدة التي يجوز فيها مخالفة | ٨٨ | ٤٦٧ | دقة صنع النمل والنحل |
| ٨ | ٤٨٢ | الوالدين وعصيانهما | ٨٩ | ٤٦٧ | نجاة المؤمنين من فرع القيامة وأهوالها |
| | | « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء | | | (سورة القصص) |
| | | والمنكر » | ٤٦٨ | | فرعون موسى |
| ٤٥ | ٤٨٧ | « ولذكر الله أكبر » | ٤ | ٤٦٨ | نصيحة منجم لفرعون |
| ٤٥ | ٤٨٧ | أمية الرسول عليه الصلاة والسلام : | ٦ | ٤٦٨ | جمع الله تعالى في آية واحدة : أمرين |
| ٤٨ | ٤٨٨ | معدة للشك في صدقه | ٧ | ٤٦٩ | ونبيين ، وخيرين ، وبشارتين |
| ٥١ | ٤٨٨ | القرآن : معجزة الدهر ، وآية الأبد | ١٠ | ٤٦٩ | هلع أم موسى عليه السلام |
| | | رزقه تعالى يتناول الحشرة في الصخر | ١٥ | ٤٧٠ | قتل موسى للقطبي |
| ٦٠ | ٤٨٩ | الأصم | ١٥ | ٤٧٠ | الشیطان : محجوب عن الأنبياء ، |
| | | الله تعالى : هو الرازق بلا سبب ، | ١٥ | ٤٧٠ | ممنوع من اغوائهم ، والوسوسة إليهم |
| ٦٠ | ٤٨٩ | المعطى بلا طلب | ١٥ | ٤٧٠ | مقابلة موسى لابنتي شعيب عليه السلام |
| ٦٩ | ٤٩٠ | من عمل بما علم : وهبه الله علم ما لم يعلم | ٢٤ | ٤٧١ | وسقيه لها |
| | ٤٩١ | (سورة الروم) | | | حاجة موسى للطعام ، وتلفه في الطلب |
| | | الكفار : « يعلمون ظاهراً من | ٢٤ | ٤٧١ | من ربه ، وتأكدته من استجابته |
| ٧ | ٤٩١ | الحياة الدنيا » | ٢٤ | ٤٧١ | تعالى له |
| | | « يخرج الحي من الميت ، ويخرج | ٢٥ | ٤٧١ | مقابلة موسى لشعيب عليهما السلام |
| ١٩ | ٤٩٣ | الميت من الحي » | ٢٧ | ٤٧٢ | الرجل الحكيم : يخطب لبناته |
| ٢١ | ٤٩٣ | وجوب التواد والتراحم بين الأزواج | ٣٠ | ٤٧٢ | الشجرة التي نودى موسى من قبلها |
| | | اختلاف اللسان والألوان : من آياته | | | خاطب الله تعالى موسى بكلامه المقدس |
| ٢٢ | ٤٩٣ | تعالى | | | الذي لا يدركه سمع ولا يشابهه |
| ٢٢ | ٤٩٤ | استواء اللغات في وحدة المقصد .. | ٣٠ | ٤٧٢ | صوت |
| | | كل العلوم ، والمدارك ، والمصنوعات : | ٦٨ | ٤٧٨ | « وربك يخلق ما يشاء ويختار » |
| | | أدركها الإنسان بطريق الوحي | ٦٨ | ٤٧٨ | كل المخلوقات : لدى الله تعالى سواء |
| ٢٢ | ٤٩٤ | والإلهام والتوجيه الإلهي | ٧٦ | ٤٧٩ | فارون وكنوزه |
| | | إعادة الخلق ؟ أهون على الله تعالى | ٧٧ | ٤٧٩ | التصدق بعد الكفاية |
| ٢٧ | ٤٩٥ | من بدئه | | | النهي عن الاشتغال بالكيمياء : |
| ٣٣ | ٤٩٥ | للشرك مظاهر شتى | ٧٨ | ٤٧٩ | تحويل المعادن |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|---|-------|--------|--|
| ٤٩ | ٥١٥ | الطلاق قبل الدخول ، وما يترتب عليه | ٤٩٩ | | (سورة لقمان) |
| | | تحريم الزواج على الرسول صلوات الله | ١٢ | ٤٩٩ | من هو لقمان ؟ |
| ٥٢ | ٥١٦ | تعالى وسلامه عليه | ١٢ | ٤٩٩ | لقمان لم يكن نبياً... .. |
| | | أدق الأخلاق الإنسانية ، وأسمى | ١٢ | ٤٩٩ | فكم لله من لطف خفي |
| ٥٣ | ٥١٧ | الآداب الإجتماعية : في معاملة النساء | | | وجوب الاحسان إلى الوالدين |
| ٥٥ | ٥١٧ | الذين يصح للمرأة ألا تحتجب عليهم | ١٥ | ٥٠١ | الكافرين ، ومصاحبتها معروفا |
| | | وجوب الاحتجاب عن نساء الكفار | ١٧ | ٥٠١ | فرض الصلاة في سائر الفرائع المتقدمة |
| ٥٥ | ٥١٧ | كالرجال تماماً | ١٧ | ٥٠١ | الصبر على الشدائد والبلايا |
| ٥٥ | ٥١٧ | كرهة أن تصف المرأة للمرأة للرجال | ٢٠ | ٥٠٢ | نعمه تعالى : الظاهرة والباطنة |
| | | وجوب كثرة الصلاة على النبي صلى | ٢٧ | ٥٠٢ | المراد بكلمات الله التي لا تنفذ |
| | | الله تعالى عليه وسلم ؛ خصوصاً عند | ٣٤ | ٥٠٣ | «وما تدرى نفس بأى أرض تموت» |
| ٥٦ | ٥١٧ | ذكر اسمه الكريم | | | الأمر الحمسة : التي اختص العليم الخبير |
| | | رأى الزنادقة في الصلاة عليه . صلى | ٣٤ | ٥٠٤ | بمعرفتها |
| ٥٦ | ٥١٧ | الله تعالى عليه وسلم | | | (سورة السجدة) |
| | | حرمة اختصارها في الكتابة «صلعم» | | | الأمة العربية - قبل الرسالة المحمدية - |
| ٥٦ | ٥١٧ | أو «ص» | ٣ | ٥٠٤ | كانت من أهل الفترة... .. |
| | | قول من قال : إنها تجب في العمر | ٧ | ٥٠٥ | تناسب خلقة المخلوقات وحسنها |
| ٥٦ | ٥١٨ | حرمة ، وتسفيه رأيه | | | (سورة الأحزاب) |
| ٥٩ | ٥١٨ | الأمر بالحجاب | | | توجيه الخطاب والعتاب للرسول عليه |
| | | الأمانة التي حملها الإنسان ؛ بعد أن | ١ | ٥٠٧ | الصلاة والسلام ؛ والمراد به أمته |
| ٧٢ | ٥١٩ | أبت السموات والأرض والجبال حملها | | | «ما جعل الله لرجل من قلبين |
| | | (سورة سبأ) | | | في جوفه» |
| ١٠ | ٥٢١ | إلانة الحديد لداود عليه السلام | ٤ | ٥٠٨ | المظاهرة من النساء |
| ١٤ | ٥٢٢ | أجساد الأنبياء عليهم السلام لا تبلى... .. | ٤ | ٥٠٨ | نصر المؤمنين بالريح ، والجنود من |
| ٢١ | ٥٢٣ | مخالفة النفس والشيطان | | | الملائكة |
| ٢٤ | ٥٢٤ | الأمر بالتلطف في مناقشة الكافرين | ٩ | ٥٠٩ | تخيير الرسول عليه الصلاة والسلام |
| ٣٩ | ٥٢٦ | ثواب الإنفاق | | | لنساءه ؛ بين الدنيا والآخرة |
| | | (سورة فاطر) | ٢٨ | ٥١٢ | قصة زينب بنت جحش رضى الله |
| ١ | ٥٢٨ | الملائكة ، وخواصهم ، وبعض صفاتهم | ٣٧ | ٥١٤ | تعالى عنها ، وتخط المفسرين فيها |
| ١ | ٥٢٨ | «يزيد في الخلق ما يشاء» | ٣٧ | ٥١٤ | جواز زواج امرأة الدعي |
| ٨ | ٥٢٩ | «أذن زين له سوء عمله فرآه حسناً» | | | الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم |
| ١٠ | ٥٣٠ | العزة لله جميعاً | | | يجمع بين صفى الشمس والقمر ؛ |
| ١٠ | ٥٣٠ | الكلم الطيب ، والعمل الصالح | | | في النفع والإضاءة ، وبعث الحياة |
| ١١ | ٥٣٠ | زيادة الأعمار وتقصانها... .. | ٤٦ | ٥١٥ | الحقيقية! |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|---|-------|--------|---|
| | | بطلان قول من قال ذلك ؛ بالدليل | | | اقتنار جميع المخلوقات لى الله تعالى |
| ٩٠ | ٥٤٧ | العقلى | ١٥ | ٥٣١ | « والله هو الغنى الحميد » |
| ١٠٢ | ٥٤٨ | قصة الذبيح | ٢٨ | ٥٣٢ | العلم : غاية الغايات |
| ١٠٧ | ٥٤٨ | لى أى مدى يطيع الابن أباه | ٢٨ | ٥٣٢ | العلم : يجمع بين الحق والقوة |
| ١٢٣ | ٥٤٩ | « إلباس » النبى ؛ غير « إلباس » جد النبى | ٢٨ | ٥٣٢ | رجال السياسة : غير جددين بالانتساب لى العلم |
| ١٤٠ | ٥٥٠ | قصة يونس عليه السلام ، والتقام الحوت له | ٢٨ | ٥٣٢ | مثل رجال السياسة فى علمهم ؛ كإبليس فى علمه |
| ١٤٤ | ٥٥٠ | دعوة يونس عليه السلام - المستجابة | ٢٩ | ٥٣٣ | التجارة مع الله تعالى : من أرفع التجارات |
| | ٥٥٢ | (سورة س) | | | الإنسان : لا يبدو أن يكون واحداً من ثلاث |
| ٢ | ٥٥٣ | الأمم الغربية : فى شقاق دائم | ٣٢ | ٥٣٣ | (سورة يس) |
| | | جميع الأنبياء عليهم السلام : قامت مللهم على التوحيد ؛ التى قامت عليه ملة محمد عليه الصلاة والسلام | ١ | ٥٣٥ | معنى « يس » |
| ٧ | ٥٥٣ | لماذا سمى فرعون : بنى الأوتاد ؟ | ٦ | ٥٣٦ | العرب - قبل الرسالة - كانوا من أهل الفترة |
| ١٢ | ٥٥٣ | قصة داود عليه السلام ، وإبطال ما أورده المفسرون فيها من فاحش القول | ٣٨ | ٥٣٨ | « والشمس تحرى لمستقر لها » |
| ٢٤ | ٥٥٥ | وجوب حد من يتحدث بقصة داود: حد القذف مضاعفاً | | | فى الكون شمس كثيرة تزيد عن الأربعين مليوناً ؛ ومن هذه الشمس ما يزيد فى الحجم عن شمسنا أربعين ضعفاً |
| ٢٤ | ٥٥٥ | قصة سليمان عليه السلام ، وبطلان ماورد : من حكاية قتله للخيل | ٣٨ | ٥٣٨ | لو دنت الشمس قليلا من الأرض : لفارت المحيطات ، وتبخر ماؤها |
| ٣٣ | ٥٥٦ | قصة ولد سليمان ، الذى ألقى على كرسيه | ٤٧ | ٥٤٠ | « أنظعم من لو يشاء الله أطعمه » |
| ٣٤ | ٥٥٦ | تسخير الريح والشياطين لسليمان | ٤٧ | ٥٤٠ | تلاعب الناس بالألفاظ ومعانيها |
| ٣٧ | ٥٥٦ | أيوب عليه السلام | ٥٣ | ٥٤٠ | صيحة لإسرافيل بالبعث |
| ٤١ | ٥٥٧ | عدم جواز التجايل فى الأيمان | | | (سورة الصافات) |
| ٤٤ | ٥٥٧ | لا سلطان لإبليس على المخاصين من عباده تعالى | | | تأويل الصافات ، والزاجرات ، والتاليات |
| ٨٣ | ٥٥٩ | (سورة الزمر) | ٣ | ٥٤٣ | قذف الشياطين بالشهب |
| | ٥٦٠ | الدين الخالص | ٩ | ٥٤٣ | وصف حجر الجنة |
| ٣ | ٥٦٠ | « ولا يرضى لعباده الكفر » | ٤٦ | ٥٤٥ | أبناء نوح عليه السلام وذرائعهم |
| ٧ | ٥٦١ | « كتابا متشابها مثانى » | ٧٧ | ٥٤٧ | علم النجوم |
| ٢٣ | ٥٦٣ | مثل الكافر والمؤمن | ٩٠ | ٥٤٧ | علاقة الإنسان بالكواكب وسعودها ونحوها |
| ٢٩ | ٥٦٤ | | ٩٠ | ٥٤٧ | |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|---------------------------------------|-------|--------|--|
| | | الإحسان إلى المسيء ، والكظم عند | ٤٢ | ٥٦٦ | النوم : هو الموت الأصفر |
| ٣٤ | ٥٨٦ | الغضب ، والغفو عند المقدرة ... | | | بحث الإنسان عن النوم ، وخوفه |
| ٢٥ | ٥٨٧ | بحاسن الصبر | ٤٢ | ٥٦٦ | من الموت |
| | | الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان ؟ | ٤٢ | ٥٦٦ | من عمل صالحاً : فليت آمناً مستريحاً |
| ٢٦ | ٥٨٧ | عند بواذر شره ونزغته | ٤٧ | ٥٦٧ | أهل الرياء |
| | | القرآن الكريم : شفاء للصدور | ٦٧ | ٥٦٩ | «وماقدروا الله حق قدره» |
| ٤٤ | ٥٨٨ | والأجسام ، ونور العيون | ٧٥ | ٥٧٠ | القضاء بين الخلائق جميعاً : حتى الملائكة |
| ٥٣ | ٥٨٩ | «سنريهم آياتنا في الآفاق» | | | (سورة غافر) |
| | | (سورة التوزي) | | | قول من قال : إن فواتح السور ؟ من |
| ٥ | ٥٩٠ | استفطار الملائكة لمن في الأرض ... | ١ | ٥٧١ | أسماء الله تعالى |
| ٢٣ | ٥٩٤ | مودة القرين | ١١ | ٥٧٢ | دليل الإحياء في القبر |
| ٢٥ | ٥٩٤ | حقيقة التوبة | | | استراق النظر إلى ما لا يحل ، وما يخفى |
| | | «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا | ١٩ | ٥٧٣ | الصدور |
| ٢٧ | ٥٩٤ | في الأرض» | ٣٢ | ٥٧٥ | لم سمي يوم القيامة : «يوم التناد» ؟ |
| | | كل شيء يسرف هذا الكون بارادته | | | إضلال الله تعالى للعبد : لا يكون |
| ٣٣ | ٥٩٥ | تعالى وكلامه | ٣٤ | ٥٧٥ | إلا نتيجة لإصراره على الكفر |
| ٣٧ | ٥٩٥ | الفواخش | ٤٦ | ٥٧٧ | عذاب القبر |
| ٣٧ | ٥٩٥ | التجاوز والتسامح | ٥٥ | ٥٧٨ | أفضل التسبيح |
| ٣٨ | ٥٩٦ | النظام الثوري ، والنظام الاستبدادي | ٦٠ | ٥٧٩ | «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم» |
| ٣٩ | ٥٩٦ | الانتقام من الظالم | ٦٠ | ٥٧٩ | وجوب الغوث بما عند الله |
| ٤٠ | ٥٩٦ | «وجزاء سيئة سيئة مثلها» | ٧٥ | ٥٨٠ | الفرح المنموم |
| | | حض الله تعالى على العفو ، ونهى عن | ٨٠ | ٥٨١ | تسخير الحيوان والجماد للإنسان |
| ٤٠ | ٥٩٦ | القتل والجبن | | | (سورة فصلت) |
| ٥١ | ٥٩٧ | أنواع الوصي | ٥٨٢ | | |
| | | القرآنت : حياة القلوب ، وروح | ٧ | ٥٨٣ | كفر مانع الزكاة |
| ٥٢ | ٥٩٨ | الأرواح ! | ١٢ | ٥٨٣ | حفظ السماء بالكواكب |
| | | تزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام | ١٦ | ٥٨٤ | نحس الأيام وشؤمها : بسبب العصيان |
| ٥٢ | ٥٩٨ | عن النقائص ؟ منذ ولدوا | | | هداية الله تعالى : بإرسال الرسل ، |
| ٥٢ | ٥٩٨ | محمد عليه السلام : أعلا الأنبياء رتبة | ١٧ | ٥٨٤ | وخلق العقول |
| | | (سورة الزخرف) | ٢٠ | ٥٨٥ | شهادة أعضاء الإنسان عليه يوم القيامة |
| | | هدى الله تعالى العباد : بخلق العقول | ٢٠ | ٥٨٥ | مامعنى شهادة الملوذ ؟ |
| ٢٠ | ٦٠٠ | فيهم ، وإرسال الرسل لأبيهم ... | ٢٤ | ٥٨٥ | التاب : لا يكون إلا مع الأحباب ... |
| | | مقياس العظمة : سمو الروح والنفس ؟ | ٢٩ | ٥٨٦ | شياطين الانس والجبن |
| ٣١ | ٦٠١ | لا المال والجاه | ٣٠ | ٥٨٦ | استبشار الصالح عند موته |
| | | | ٣٤ | ٥٨٦ | «ادفع بالتي هي أحسن» |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|---|
| ٣١ | ٦٢١ | حساب الجن ، وما لهم يوم القيامة ... بطلان قول من قال : إن جزاءهم | ٣٢ | ٦٠٢ | المبادئ الهدامة امتعان الله تعالى الناس بضروب |
| ٣١ | ٦٢١ | جزاء البهائم | ٣٢ | ٦٠٢ | من الغنى والفقر ، والسعة والضيق |
| | ٦٢٢ | (سورة محمد عليه الصلاة والسلام) | ٣٢ | ٦٠٢ | ليس فساد المسلمين عيباً في الإسلام ... |
| ٢ | ٦٢٢ | المؤمن : يكفر الله تعالى سيئاته ، ويصلح بآله ! | ٣٢ | ٦٠٢ | التفرقة العنصرية - بسبب اللون - في بعض الدول الراقية «المنحطة» |
| ٤ | ٦٢٢ | الأمر بقتل الكفار قبل أسرهم ... «إن تتصروا الله ينصركم ويثبت | ٣٢ | ٦٠٣ | دين الله تعالى : يدعو إلى البر والرحمة! الفقر : لا يحول دون تولي المناصب |
| ٧ | ٦٢٣ | أقدامكم» | ٣٢ | ٦٠٣ | الغنى الشاكر ، والفقر الصابر ... |
| ١٥ | ٦٢٤ | وصف الجنة ، وما فيها من نعم مقيم عدم نسخ قتال الكفار إلى يوم | ٣٢ | ٦٠٣ | شيوع المال واشتراكيته |
| ٢٠ | ٦٢٥ | القيامة | ٣٢ | ٦٠٤ | الإسلام : مؤسس الاشتراكية الصحيحة ، والشووعية السليمة ... |
| | ٦٢٧ | (سورة الفتح) | ٣٢ | ٦٠٤ | اقسام الدول الأجنبية إلى معسكرين أساس النظام الإلهي |
| ٢ | ٦٢٧ | عصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الذنوب : بعد النبوة ، وطهارته قبلها | ٣٢ | ٦٠٤ | حقارة الدنيا عند الله تعالى |
| ١٠ | ٦٢٩ | «يد الله فوق أيديهم» | ٣٦ | ٦٠٥ | جزاء من يقفل عن ذكر الله تعالى |
| ١٠ | ٦٢٩ | بطلان مذهب المحسمة | | ٦٠٨ | (سورة الدخان) |
| ١٠ | ٦٢٩ | كفر من يقول بالتجسيم ليس على المريض حرج في التخلف | ٣ | ٦٠٨ | نزول القرآن الكريم |
| ١٧ | ٦٣٠ | عن الجهاد | ١٠ | ٦٠٨ | «يوم تأتي السماء بدخان مبين» ... |
| ١٨ | ٦٣٠ | بيعة الحديبية | | | دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام على قریش |
| ٢٧ | ٦٣٢ | رؤيا الرسول عليه السلام بفتح مكة ... | ١٠ | ٦٠٨ | اختيار بني إسرائيل على العالمين ... |
| ٢٩ | ٦٣٢ | نور الإيمان : يلوح في وجه المصلی الأمر بالمعروف ، والنهي عن | ٣٢ | ٦٠٩ | الأمة الإسلامية : خير الأمم . وحمد عليه الصلاة والسلام : خير الأنبياء ! |
| ٢٩ | ٦٣٢ | المنكر : من أفضل المبادات ... | ٣٧ | ٦٠٩ | قوم تبع |
| | ٦٣٣ | (سورة الحجرات) | ٥٤ | ٦١٠ | وصف الحور العين |
| ٢ | ٦٣٣ | الحث على توقيف العلماء تحريم رفع الصوت عند تلاوة القرآن ، أو الحديث ، أو عند قبر الرسول | ٥٤ | ٦١٠ | بطلان ما أورده بعض المفسرين من وصف للحور العين |
| ٣ | ٦٣٣ | عليه الصلاة والسلام أخوة المؤمنين ، ووجوب الإصلاح | ٥٤ | ٦١٠ | (سورة الجاثية) |
| ١٠ | ٦٣٤ | بينهم | ٢٤ | ٦١٤ | منكرو البعث |
| ١١ | ٦٣٥ | النهي عن السخرية ، واللعن ، والتبذير | ٣٥ | ٦١٥ | العتاب من علامات الرضا ، لذا حرم الكافرون من الاستعتاب ! |
| | | | | ٦١٦ | (سورة الأحقاف) |
| | | | ٢٩ | ٦٢١ | استماع الجن للقرآن ، ولإنذارهم قومهم |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|------------------------------------|-------|--------|---------------------------------------|
| ٢١ | ٦٤٣ | حاسة الذوق | ١٢ | ٦٣٥ | الأمر باجتنب الظن |
| ٢١ | ٦٤٣ | حاسة البصر | ١٢ | ٦٣٥ | سوء الظن المباح |
| ٢١ | ٦٤٣ | حاسة السمع | ١٢ | ٦٣٥ | إذا قضى قاض بالظن : فهو ظالم آثم |
| ٢٢ | ٦٤٣ | «وفى السماء رزقكم وما توعدون» | ١٢ | ٦٣٥ | «الظن : أكذب الحديث» |
| ٢٢ | ٦٤٣ | الرزق : يسمى لدى الإنسان ، قبل | ١٢ | ٦٣٥ | النهى عن التجسس والغيبة |
| ٢٢ | ٦٤٣ | أن يسمى إليه | ١٢ | ٦٣٥ | حقيقة الغيبة |
| ٥٥ | ٦٤٤ | «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» | ١٢ | ٦٣٦ | انتشار الغيبة الآن |
| | ٦٤٥ | (سورة الطور) | ١٣ | ٦٣٦ | «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» |
| ٤ | ٦٤٥ | البيت المعمور | | ٦٣٦ | (سورة ق) |
| | ٦٤٨ | (سورة النجم) | ١٢ | ٦٣٧ | «أصحاب الرس» |
| | | ظهر جبريل للرسول على صورته | ١٩ | ٦٣٨ | الميت : يرى عند موته مقعده من |
| ٧ | ٦٤٨ | الحقيقية | ٣٦ | ٦٣٩ | الجنة ، أو النار |
| | | رؤية محمد عليه الصلاة والسلام : | | | الباحثون عن إطالة الأعمار |
| ١١ | ٦٤٨ | كانت لجبريل ؛ لا لربه تعالى ! | | ٦٤٠ | (سورة الناريات) |
| | | «من قال : إن محمداً رأى ربه ؛ فقد | ٢١ | ٦٤١ | «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» |
| ١٣ | ٦٤٩ | أعظم الفرية» | ٢١ | ٦٤١ | آيات الله تعالى فى الأرض |
| ١٤ | ٦٤٩ | سندرة المنتهى | ٢١ | ٦٤١ | آيات الله تعالى فى الأفس |
| ٣٢ | ٦٥٠ | «كباثر الإثم والفواحش» | ٢١ | ٦٤١ | كيف يتكون الجنين |
| ٣٢ | ٦٥٠ | اللمم | | | الاتحاد الذى يتم بين جرثومة الذكر |
| ٣٧ | ٦٥٠ | «وإبراهيم الذى وفى» | ٢١ | ٦٤١ | وبويضة الأنثى |
| ٣٩ | ٦٥٠ | «وأن ليس للإنسان إلا ما سمي» | ٢١ | ٦٤١ | تكوين الخلايا واقسامها |
| | | «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من | | | مجموع الخلايا التى يتكون منها الإنسان |
| ٣٩ | ٦٥٠ | ثلاث» | | | الواحد : يزيد عن مجموع سكان |
| ٤٣ | ٦٥٠ | «وأنه هو أضحك وأبكى» | | | الكرة الأرضية أكثر من |
| | | الله جل شأنه : خالق الضحك | ٢١ | ٦٤١ | ألف صرة |
| ٤٣ | ٦٥٠ | والكاء بلا سبب | ٢١ | ٦٤١ | خلايا الجهاز العصبي |
| ٤٨ | ٦٥١ | «وأنه هو أغنى وأقنى» | | | إرسال رسائل الحواس والأعضاء |
| ٥٦ | ٦٥١ | «هذا نذير من النذر الأولى» | ٢١ | ٦٤١ | إلى المخ ، وتصرف المخ فيها |
| | ٦٥٢ | (سورة القمر) | ٢١ | ٦٤٢ | علاقة الحواس بالمخ |
| | | انشقاق القمر للرسول عليه الصلاة | ٢١ | ٦٤٢ | اختزان العلوم والمعارف بالمخ |
| ١ | ٦٥٢ | والسلام | ٢١ | ٦٤٢ | الخيوط العصبية فى المخ : تتجاوز |
| ١٥ | ٦٥٣ | البحث عن سفينة نوح عليه السلام | ٢١ | ٦٤٢ | عشرة آلاف مليون |
| ٤٩ | ٦٥٥ | «إنا كل شىء خلقناه بقدر» | ٢١ | ٦٤٢ | حاسة اللس |
| | | ... | ٢١ | ٦٤٢ | حاسة الشم |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الصفحة | الآية | الموضوع |
|-------|--------|--|--------|-------|---|
| | ٦٦٥ | (سورة الحديد) | ٤٩ | ٦٥٥ | بطلان قول من قال بالجبر إن الله لا يهدي الكافرين؛ بل يهدي |
| ٣ | ٦٦٥ | «هو الأول والآخر والظاهر والباطن» | ٤٩ | ٦٥٥ | المؤمنين إذا قلنا بالجبر؛ فعلام أرسلت الرسل، |
| ٧ | ٦٦٦ | «وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» | | | وأنزلت الكتب؛ ولماذا تقتص |
| ١٢ | ٦٦٦ | لإضاءة وجوه المؤمنين يوم القيامة | ٤٩ | ٦٥٥ | من الجاني؟ |
| ١٩ | ٦٦٨ | التصديق لا يكون باللسان وحده ... | | | (سورة الرحمن) |
| ٢٠ | ٦٦٨ | تشبيه سرعة انقضاء الدنيا وزوالها | ٦٥٦ | | القرآن : هو النعمة العظمى ، والمنة |
| ٢٣ | ٦٦٩ | التوسط في الحزن والفرح | ٢ | ٦٥٦ | الكبرى أفضل الأعمال المقربة إلى الله تعالى : |
| ٢٥ | ٦٦٩ | الميزان | ٢ | ٦٥٦ | تعلم القرآن وتعليمه |
| ٢٥ | ٦٦٩ | أمة سيد الخلق عليه الصلاة والسلام | ١٧ | ٦٥٧ | «رب المشرقين ، ورب المغربين» ... وصف الحور العين ، وبطلان ماورد |
| | ٦٧١ | (سورة المجادلة) | ٥٨ | ٦٥٩ | في وصفهن |
| | ٦٧١ | قصة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها | | | (سورة الواقعة) |
| ١ | ٦٧١ | كفارة الظهار | ١٦ | ٦٦١ | عظمة أهل الجنة بطلان قول من قال : إن العلمان |
| ٣ | ٦٧١ | التقوى | ١٧ | ٦٦١ | في الجنة للخدمة ولغيرها |
| ٩ | ٦٧٢ | «إنما النجوى من الشيطان» | ٥٩ | ٦٦٣ | المنى وحده : ليس سبياً في الإنجاب |
| ١٠ | ٦٧٢ | وجوب التفسخ في المجالس | | | التقول بأن الإنسان قد يخلق بعد |
| ١١ | ٦٧٣ | وجوب التمسك بالأدب الرباني ، والخلق القرآني | ٦١ | ٦٦٣ | موته ؛ خلقاً أدناً ، أو أعلى من خلقته الأولى . وبطلان ذلك القول |
| ١١ | ٦٧٣ | «والذين أتوا العلم درجات» | ٧٣ | ٦٦٣ | أنعم الله تعالى على عبده |
| ٢٢ | ٦٧٤ | نفي الإيمان عن يوالي الكفار | ٧٩ | ٦٦٤ | المطهرون : هم الملائكة |
| ٢٢ | ٦٧٤ | الإيمان : روح القلوب وحياتها | | | بطلان قول من قال بتحريم مس |
| ٢٢ | ٦٧٥ | أرقى المراتب : «رضى الله عنهم ورضوا عنه» | ٧٩ | ٦٦٤ | المصحف : لتغير المسلم ، وغير المتوضى* |
| | ٦٧٥ | (سورة الحشر) | ٨٠ | ٦٦٤ | القرآنت : لا يساويه قول ؛ مهما علا وسما |
| ٢ | ٦٧٥ | أول حشر لليهود | | | القرآن : لا يعل ؛ بل كلما زدته |
| | ٦٧٥ | الحشر الثاني : خروجهم من فلسطين | ٨٠ | ٦٦٤ | تلاوة : لإزداد حلاوة |
| ٢ | ٦٧٥ | إن شاء الله تعالى | | | طرب الإنسان ، لاستماع القرآن ؛ ولو لم يفهم معناه ! |
| ٢ | ٦٧٥ | إخراج بني النضير من ديارهم | | | |
| ٧ | ٦٧٦ | «كن لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» | | | |
| ٩ | ٦٧٧ | حب الأنصار للمهاجرين | | | |
| ٩ | ٦٧٧ | نزول بعض الأنصار عن زوجاتهم | | | |
| ٩ | ٦٧٧ | لبعض المهاجرين | | | |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|---|
| ٣ | ٦٩٠ | خلق الإنسان في أحسن صورة ... | | | «ويؤمنون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» |
| ٩ | ٦٩٠ | «يوم الثمان» ... | ٩ | ٦٧٧ | ... |
| ١١ | ٦٩١ | «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» ... | ٩ | ٦٧٧ | حقيقة الزهد ... |
| ١٤ | ٦٩١ | عداوة الأزواج والأبناء ... | ٩ | ٦٧٧ | الشج ... |
| ١٤ | ٦٩١ | حقيقة هذه العداوة ... | | | بين اليهود والمنافقين «لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله» ... |
| ١٤ | ٦٩١ | عداوة بعض شرار الأبناء والزوجات خلق الله تعالى الأزواج : للسكن ؟ | ١٣ | ٦٧٨ | (سورة المتحنة) |
| ١٤ | ٦٩٢ | لا للضعف ... | ١ | ٦٨٠ | النهي عن اتخاذ الكفار أولياء ... |
| ١٤ | ٦٩٢ | الولد : مجنبه مبغضة ... | ٨ | ٦٨١ | وجوب حسن المعاملة ، وطيب العاشرة ؛ مع سائر الأجانب ... |
| ١٥ | ٦٩٣ | «إنما أموالكم وأولادكم فتنة» ... | ٨ | ٦٨١ | وجوب مقابلة من يتعدى على الدين ، أو الوطن ... |
| ١٦ | ٦٩٣ | «وأفقوا خيراً لأنفسكم» ... | ١٠ | ٦٨٢ | الأمر بطلاق المرتدة ... |
| ١٦ | ٦٩٣ | الشح ، والبخل ... | ١٢ | ٦٨٢ | الشرك الحفي ... |
| ١٧ | ٦٩٣ | واهب الفتي : يقترض من عيده ... | ١٢ | ٦٨٢ | الراضى بالقتل : شريك في الإثم ... |
| | ٦٩٣ | (سورة الطلاق) | | | (سورة الصف) |
| | | المطلقة : لا تخرج من بيتها قبل عدتها | | | الأمر بالمعروف ، وعدم الاتجار به ... |
| ١ | ٦٩٤ | إلا إذا زنت ... | ٢ | ٦٨٣ | «فلما زاعوا أزواج الله قلوبهم» ... |
| ٢ | ٦٩٤ | وجوب الإشهاد عند المراجعة وقوع الطلاق : بمجرد إرادة الزوج وتطيقه ... | ٥ | ٦٨٣ | تبشير عيسى عليه السلام بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ... |
| ٢ | ٦٩٤ | الشبهة : يقولون بعدم وقوع الطلاق بدون إشهاد ... | ٦ | ٦٨٤ | من أسماء الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ... |
| ٢ | ٦٩٤ | تقييد الطلاق : أمر لا يسيفه الدين ... | ١٠ | ٦٨٤ | التجارة الرابحة ... |
| ٢ | ٦٩٤ | «ومن يبق الله يجعل له مخرجاً» وجوب الاشتهار بالمعروف ، في شأن النساء ... | | | (سورة الجمعة) |
| ٦ | ٦٩٥ | وجوب التساهل في أجرة الرضاع ... | ٢ | ٦٨٥ | رسول الأمين ... |
| ٧ | ٦٩٥ | «سيجعل الله بعد عسر يسراً» ... | ٣ | ٦٨٦ | المعلم الاول عليه الصلاة والسلام ... |
| | ٦٩٦ | (سورة التحريم) | | | «قل ما عند الله خير من اللهب ومن التجارة» ... |
| ١ | ٦٩٦ | غيرة بعض أمهات المؤمنين ... | ١١ | ٦٨٧ | (سورة المنافقون) |
| ١ | ٦٩٦ | قصة الغافير ... | ٩ | ٦٨٩ | «لا تملك أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله» ... |
| ٥ | ٦٩٦ | تهديده تعالى لأمهات المؤمنين ... | | | (سورة الثمان) |
| ٦ | ٦٩٧ | الوقاية من النار ... | | | بطلان قول من قال بأن الكفر والإيمان هما على طريق الإلزام والإرغام ... |
| ٨ | ٦٩٧ | التوبة الصوح ... | ٢ | ٦٩٠ | |
| ١٠ | ٦٩٧ | حياة زوجتنا نوح ولوط لهما ... | | | |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|---|-------|--------|--|
| | ٧٠٨ | (سورة الماعز) | | | مهدم عليها السلام ، وفتح الروح في فرجها |
| | ٧٠٨ | «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» | ١٢ | ٦٩٧ | (سورة الملك) |
| ٤ | ٧٠٨ | ... | | ٦٩٨ | «تبارك الذي بيده الملك» |
| ١٨ | ٧٠٩ | محرم جمع المال ، وعدم إفاقه | ١ | ٦٩٨ | «ماترى في خلق الرحمن من تفاوت» |
| ٢٣ | ٧٠٩ | المداومة على الصلاة | ٣ | ٦٩٨ | ... |
| ٢٨ | ٧٠٩ | «إن عذاب ربهم غير مأمون» | ٥ | ٦٩٨ | ... |
| ٣٣ | ٧٠٩ | أداء الشهادة على وجهها | ١٩ | ٧٠٠ | ... |
| ٤٠ | ٧١٠ | المشارك والمغارب | ٢٢ | ٧٠٠ | ... |
| | ٧١٠ | (سورة نوح) | | ٧٠١ | (سورة القلم) |
| ١ | ٧١٠ | نوح : أبوالبشر الثاني | | | بطلان ما قيل من أن «ت» اسم للحوث الذي يحمل الثور ، الذي يحمل الأرض |
| ٢٣ | ٧١٢ | بعض الأصنام التي كانوا يعبدونها في الجاهلية | ١ | ٧٠١ | إعلان شأن الكتبتين ، وحرارة الأمية |
| ٢٦ | ٧١٢ | دعاء نوح عليه السلام على قومه | ١ | ٧٠١ | القلم : يقيم الدول ، ويزلزل الممالك |
| | ٧١٣ | (سورة الجن) | ١ | ٧٠١ | «ولأنك لعل خلق عظيم» |
| ٢ | ٧١٣ | استماع الجن للقرآن ، وقولهم فيه | ٤ | ٧٠١ | خلق الرسول عليه الصلاة والسلام مدح كتاب القرب لرسول الإسلام ، عليه الصلاة والسلام : |
| ٦ | ٧١٣ | عدم جواز الاستعاذة بغير الله تعالى مايقوله المؤمن إذا نزل بأرض تسكنها الجن | ٤ | ٧٠٢ | برناردشو : فيلسوف انكلترا |
| ٦ | ٧١٣ | الجن : منهم المؤمنون ، ومنهم الكافرون | ٤ | ٧٠٢ | لاهرتين : شاعر فرنسا |
| ١٤ | ٧١٤ | إطلاع بعض الرسل عليهم السلام على القيب | ٤ | ٧٠٢ | ميور : كاتب انكلترا |
| ٢٧ | ٧١٥ | القيب | ٤ | ٧٠٢ | ادوار جيبسون : كاتب روسيا |
| | ٧١٦ | (سورة المزمل) | ٤ | ٧٠٢ | توماس كارليل : فيلسوف انكلترا |
| | ٧١٦ | تدليل الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام | ٤ | ٧٠٣ | لايستطيع أحد من البشر أن يصف محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم |
| ١ | ٧١٦ | ترتيل القرآن الكريم | ١٣ | ٧٠٣ | الزنفير : ابن الزنفا |
| ٤ | ٧١٦ | لبس الترتيل مايزعمه القراء | ٣١ | ٧٠٤ | جزاء البخل ، ومنع الزكاة والصدقات |
| ٤ | ٧١٦ | مبالغة القراء في الغن ، والمد ، وغير ذلك | ٣١ | ٧٠٤ | مصير الشحيح ومانع الزكاة |
| ٤ | ٧١٦ | التبتل لى الله تعالى | ٤٢ | ٧٠٥ | «يوم يكشف عن ساق» |
| ٨ | ٧١٦ | قيام الليل | ٤٢ | ٧٠٥ | بطلان قول من قال : إن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة |
| ٢٠ | ٧١٧ | إسقاط فرض قيام الليل | | ٧٠٥ | (سورة الحاقة) |
| ٢٠ | ٧١٧ | وإذا حلت العناية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء | ٧ | ٧٠٦ | المسوم |
| ٢٠ | ٧١٧ | ... | ١٧ | ٧٠٦ | حلة العرش |
| ٢٠ | ٧١٧ | ... | ٢٩ | ٧٠٦ | أسف الكافر يوم القيامة |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|---|
| | ٧٣٠ | (سورة النازعات) | ٢٠ | ٧١٨ | الحث على الخير |
| ١ | ٧٣٠ | «النازعات» الملائكة | ٢٠ | ٧١٨ | عاقبة البخل |
| ٢٥ | ٧٣١ | «فأخذ الله نكال الآخرة والأولى» الدليل على كزية الأرض : خلقها كالدحية «البيضة» | | ٧١٨ | (سورة المدثر) |
| ٣٠ | ٧٣٢ | (سورة عيس) | ١ | ٧١٨ | لقاء جبريل - لأول مرة - مع الرسول عليهما الصلاة والسلام |
| | ٧٣٣ | انصراف الرسول عليه السلام عن ابن أم مكتوم «الأعمى» | ٤ | ٧١٨ | «وثيابك فطهر» ما المقصود بالتطهير؟ |
| ٢ | ٧٣٣ | «لم» و «لما» | ٦ | ٧١٨ | الاعطاء ؛ بقصد الاستكثار... .. |
| ٢٣ | ٧٣٤ | «فليظفر الإنسان إلى طعامه» | ٣٢ | ٧٢٠ | «كلا والقمر» ما يحدثه القمر في المكائيات |
| ٢٤ | ٧٣٤ | وجوب التأمل فيما تنبت الأرض انشغال كل إنسان بنفسه يوم القيامة ، وانصرافه عن غيره | ٣٨ | ٧٢٠ | «كل نفس بما كسبت رهينة» |
| ٢٤ | ٧٣٤ | (سورة القيامة) | ٥٠ | ٧٢٠ | تشبيه الكفرة بالحجر المستنقرة |
| ٢٧ | ٧٣٤ | أحداث القيامة | ٧٢١ | | |
| | ٧٣٥ | وأد البنات في الجاهلية... .. | ٢ | ٧٢١ | النفس اللوامة |
| ١ | ٧٣٥ | وأد عمر رضى الله تعالى عنه ابنته قبل إسلامه | ٤ | ٧٢١ | تحقيق الشخصية في القرآن الكريم |
| ٨ | ٧٣٥ | غلظة الجاهلية ، ورقة الإسلام | ٤ | ٧٢١ | دقة صنع البنان |
| ٨ | ٧٣٥ | تفضيل الملائكة على البشر | ١٣ | ٧٢٢ | يعذب الإنسان وينعم : بعمل غيره إذا سار على سنته |
| ٢٢ | ٧٣٦ | الإيمان والاستقامة في وسع كل إنسان | ٢٣ | ٧٢٢ | رؤية الله تعالى يوم القيامة |
| ٢٨ | ٧٣٦ | (سورة الانفطار) | | ٧٢٣ | (سورة الإنسان) |
| | ٧٣٧ | اضطراب كل شيء عند القيامة | ١ | ٧٢٣ | «هل» بمعنى : قد ، ويل ، وأم |
| ٥ | ٧٣٧ | تلاعب بعض الناس بالتأويل | ٣ | ٧٢٣ | «إنا هديناه السبيل : إما شاكراً ، وإما كفوراً» |
| ٨ | ٧٣٧ | (سورة المطففين) | ٥ | ٧٢٤ | جزاء الأبرار |
| | ٧٣٨ | التطفيف في الكيل والوزن | ٥ | ٧٢٤ | كافور الجنة |
| ٣ | ٧٣٨ | عقوبة التطفيف عند قداماء المصريين | ٢١ | ٧٢٥ | تحلى أهل الجنة بالفضة والذهب |
| ٣ | ٧٣٨ | (سورة الانشقاق) | ٢٨ | ٧٢٥ | «نحن خلقناهم وشددنا أسرهم» |
| | ٧٤٠ | سكون الليل ، وجمعه لما انتشر بالنهار العودة بعد الموت إلى حياة مطابقة لهذه الحياة | ٣٠ | ٧٢٥ | «وما تشاءون إلا أن يشاء الله» |
| ١٧ | ٧٤١ | السجود : الخضوع | ٣٠ | ٧٢٥ | لا يشاء الله تعالى الخير ؛ إلا لمن طلبه وسعى إليه |
| ١٩ | ٧٤١ | (سورة البروج) | | ٧٢٥ | |
| ٢١ | ٧٤١ | «وشاهدوا مشهود» | ٣٠ | ٧٢٥ | وسعى إليه |
| ٣ | ٧٤٢ | | | ٧٢٦ | (سورة المرسلات) |
| | | | | ٧٢٦ | «المرسلات» : طوائف الملائكة |
| | | | | ٧٢٨ | (سورة التبا) |
| | | | | ٧٢٩ | المعصرات |
| | | | | ٧٣٠ | الاقتصاص من البهائم |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|---------------------------------------|-------|--------|--------------------------------------|
| | ٧٥٢ | (سورة الليل) | ٤ | ٧٤٢ | أصحاب الأخدود... .. |
| | | اختلاف الأنوثة والذكورة ؛ مع أن | | | اللوح المحفوظ : يعترى ما فيه التبديل |
| ٣ | ٧٥٢ | أصلهما واحد... .. | ٢٢ | ٧٤٣ | والتفسير... .. |
| ٣ | ٧٥٢ | بطلان قول الطبيعيين... .. | | | القرآن الكريم : بعض ما تناوله |
| ٣ | ٧٥٢ | لا يمكن إطلاقا التحكم في الجنين... .. | ٢٢ | ٧٤٣ | الحج والإنبات... .. |
| ١٨ | ٧٥٣ | فائدة التطهر من دنس البخل... .. | | | من وصل رقه : اتسع رزقه ، وطال |
| | ٧٥٣ | (سورة الضحى) | ٢٢ | ٧٤٣ | أجله... .. |
| ٥ | ٧٥٣ | «ولسوف يعطيك ربك فترضى»... .. | ٢٢ | ٧٤٣ | أم الكتاب : لا يمتريه تبديل ، |
| | | عصمة الرسول عليه الصلاة والسلام | | | ولا تفسير... .. |
| | | - قبل النبوة - من الضلال ، | | | (سورة الطارق) |
| ٧ | ٧٥٣ | والوثنية ، واليهودية ، والنصرانية | ٤ | ٧٤٤ | «إن كل نفس لنا عليها حافظ»... .. |
| | | من هو السائل الذى نهانا الله تعالى | ٧ | ٧٤٤ | «يخرج من بين الصلب والترائب»... .. |
| ١٠ | ٧٥٤ | عن نهره... .. | | | (سورة الأعلى) |
| | | وجوب بذل العلم والمال ؛ لمن | ٣ | ٧٤٥ | تقدير خواص الأشياء ومزاياها... .. |
| ١٠ | ٧٥٤ | يطلبها... .. | ٣ | ٧٤٥ | هداية الإنسان للانتفاع بما فى الأرض |
| ١١ | ٧٥٤ | وجوب التحدث بنعمة الله... .. | | | (سورة الفاشية) |
| | ٧٥٤ | (سورة الشرح) | ١٧ | ٧٤٦ | التأمل فى خلقه الإيل ، ودقة صنعها |
| | ٧٥٥ | (سورة التين) | | | (سورة الفجر) |
| ٢ | ٧٥٥ | الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى | | | «إرم ذات العماد» وبطلان ما قاله |
| ٣ | ٧٥٥ | البلد الأمين... .. | ٧ | ٧٤٨ | المفسرون فيها... .. |
| ٣ | ٧٥٥ | تاريخ العالم ؛ منذ نشأته :... .. | ١٠ | ٧٤٨ | ذكر نمود ، وفرعون ، وطفياهما... .. |
| ٣ | ٧٥٥ | من آدم إلى نوح... .. | | | الإكرام ، والابتلاء : امتحان من |
| ٣ | ٧٥٥ | من الطوفان إلى بعثة موسى... .. | ١٦ | ٧٤٨ | الله تعالى... .. |
| ٣ | ٧٥٥ | من بعثة موسى إلى سيد الخلق... .. | ٢٠ | ٧٤٩ | النهى عن حب المال ، والحرص عليه |
| ٣ | ٧٥٥ | المنافع الطيبة للتين والزيتون... .. | ٢٧ | ٧٤٩ | النفس المطمئنة وجزاؤها... .. |
| ٤ | ٧٥٥ | خلق الإنسان فى أحسن تقويم... .. | | | (سورة البلد) |
| | ٧٥٦ | (سورة العاق) | | | «لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل |
| ١ | ٧٥٦ | بدء الوحى... .. | ٢ | ٧٤٩ | بهذا البلد»... .. |
| | | أول لقاء لجبريل مع النبي عليهما | | | لمباحة القتل ، والأسر ، والتعذيب ، |
| ١ | ٧٥٦ | الصلاة والسلام... .. | ٢ | ٧٤٩ | والعز ؛ للرسول صلوات الله عليه |
| ٢ | ٧٥٦ | خلق الإنسان من علق... .. | | | آلام الحياة وهمومها ؛ لدى الفنى |
| ٤ | ٧٥٦ | فضل الكتابة... .. | ٤ | ٧٥٠ | والفقير على السواء... .. |
| ٥ | ٧٥٦ | تعليم الله تعالى للإنسان ، وإلهامه له | | | (سورة الشمس) |
| ١٨ | ٧٥٧ | ملائكة العذاب «الزبانية»... .. | ٧ | ٧٥١ | «وتقس وما سخواها»... .. |
| | ٧٥٨ | (سورة القدر) | ٨ | ٧٥١ | «فألهمها فجورها وتقواها»... .. |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|--|
| | ٧٦٤ | (سورة الكوثر) | ١ | ٧٥٨ | ليلة القدر |
| | ٧٦٤ | (سورة الكافرون) | | ٧٥٨ | (سورة البينة) |
| | ٧٦٤ | الاختلاف في العبادة والعبود؛ بين المسلمين والكافرين | | ٧٥٩ | (سورة الزلزلة) |
| ٣ | ٧٦٤ | (سورة النصر) | ٣ | ٧٥٩ | ما يقوله الكافر، وما يقوله المؤمن؛ عند البعث |
| | ٧٦٤ | تسبيح الرسول - عليه الصلاة والسلام - واستغفاره | | ٧٥٩ | (سورة الماديات) |
| ٣ | ٧٦٤ | (سورة المسد) | ٣ | ٧٥٩ | الماديات، والموريات، والمغريات ... |
| | ٧٦٥ | النيمة | | ٧٥٩ | الحث على تعلم الفروسية، وركوب الخيل، وأخذ الأهبة للحرب والجهاد |
| ٤ | ٧٦٥ | (سورة الإخلاص) | | ٧٦٠ | (سورة القارعة) |
| | ٧٦٥ | الله جل شأنه: يفتقر إليه كل مخلوق، ولا يفتقر إلى أحد | ٣ | ٧٦٠ | أحوال القيامة |
| ١ | ٧٦٥ | (سورة الفلق) | | ٧٦٠ | (سورة التكاثر) |
| | ٧٦٥ | ما هو الفاسق؟ | ٢ | ٧٦٠ | التهى عن التكاثر بالأموال والأولاد |
| ٣ | ٧٦٦ | تشبيه النمامين بالبحرة | | ٧٦١ | (سورة العصر) |
| ٤ | ٧٦٦ | بطلان ما رواه بعض المحدثين والمفسرين: من أت الرسول المعصوم عليه الصلاة والسلام قد سحر | | ٧٦١ | وجوب الاتعاط بما صر في سالف العصور |
| | ٧٦٦ | الحسد، والسحر: لا يؤثران إلا على بعض النفوس الضعيفة القلقة | ١ | ٧٦١ | ما هو «العصر» |
| ٥ | ٧٦٦ | (سورة الناس) | ٣ | ٧٦١ | وجوب التواصي بالحق، والصبر |
| | ٧٦٧ | الوسواس الخناس | | ٧٦١ | (سورة الهمزة) |
| ٥ | ٧٦٧ | شياطين الجن، وشياطين الإنس | ١ | ٧٦١ | ذم النية |
| ٦ | ٧٦٧ | (المباحث التي تناولها الكتاب) | ٨ | ٧٦١ | إيصاد جهنم على الكافرين |
| | ٧٦٧ | (تعدد الزوجات) | | ٧٦٢ | (سورة الفيل) |
| ١ | ٧٦٧ | حكمة تعدد الزوجات | ١ | ٧٦٢ | قصة أصحاب الفيل |
| ٣ | ٧٦٧ | إباحة التعدد: لإباحة مطلقة | ١ | ٧٦٢ | قصة عبد المطلب مع أبرهة صاحب الفيل |
| ٣ | ٧٦٧ | الإباحية في البلاد الأجنبية، وفسو الفساد والفساد | ٥ | ٧٦٣ | ما جاء في الطير الأبايل؛ وأنها ميكروب الأمراض |
| ٣ | ٧٦٧ | رأى «برناردشو» في التعدد | | ٧٦٣ | (سورة قريش) |
| ٣ | ٧٦٧ | التدهور الأدبي في المراتع التي تحرم التعدد | ٣ | ٧٦٣ | التأليف بين قلوب الاغراب |
| | ٧٦٣ | | | ٧٦٣ | (سورة الماعون) |
| | ٧٦٣ | | ٦ | ٧٦٣ | ذم المرءاة |
| | ٧٦٣ | | ٦ | ٧٦٣ | وجوب بذل ما يستعان به |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|-------------------------------------|-------|--------|------------------------------------|
| | | حكمة زواجه بالسيدة عائشة رضی الله | | | ضیاع حقوق النساء الشرعیة والمدنیة |
| | ١٢ | تعالی عنها | | | بسبب الزواج الفیر الشرعی عند |
| | ١٢ | حكمة زواجه بالسيدة حفصة رضی | ٤ | | الأوریین |
| | | الله تعالی عنها | | | حمایة الإسلام للمرأة من عدوات |
| | | حكمة زواجه بالسيدة زینب بنت | ٤ | | الرجل |
| | | ججش رضی الله تعالی عنها : وقد | | | المفاضلة بین التعدد فی الإسلام ، |
| | ١٢ | تزوجها یوحى من الله تعالی للتشریع | ٤ | | وتحریمه فی الشرائع الأخرى ... |
| | | حكمة زواجه بالسيدة زینب بنت | | | ترك أبناء من زوجات متعددة: خیر |
| | ١٣ | خزیمة رضی الله تعالی عنها | | | من ترك أبناء من زوجة شرعیة ، |
| | | حكمة زواجه بالسيدة أم سلمة رضی | ٤ | | وأخرى غیر شرعیة |
| | ١٣ | الله تعالی عنها | | | دحض حجة من قال : إن الإسلام |
| | | حدیث أم سلمة : فیما یقوله المسلم | ٥ | | یدعو لى التزوج بواحدة |
| | ١٣ | عند المصیبة | | | الرد علی من قال بهذا الرأى الفاسد |
| | | حكمة زواجه بالسيدة أم حبیبة رضی | ٦ | | رأى المرحوم وحید الأیوبى |
| | ١٣ | الله تعالی عنها | | | رأى المرحوم عبد العزیز (باشا) فهمى |
| | | حكمة زواجه بالسيدة میمونة بنت | ٧ | | دلیل التعدد من الكتاب والسنة ... |
| | ١٤ | الحرث رضی الله تعالی عنها | | | التعدد : من أدق النظم الاجتماعیة ، |
| | | حكمة زواجه بالسيدة جوریة بنت | ٨ | | وأعلاها ، وأرقاها ، وأوفاها ... |
| | ١٤ | الحارث | | | التلاعب بألفاظ القرآن الكرم ... |
| | | حكمة زواجه بالسيدة صفیة بنت حبی | ٩ | | معارضة الرسول علیه الصلاة والسلام |
| | ١٤ | رضی الله تعالی عنها | | | فی زواج علی علی فاطمة ، رضی الله |
| | | فضل أمهات المؤمنین رضوان الله | ٩ | | تعالی عنهما ، وسبب ذلك |
| | | تعالی علیهن فی تبلیغ الأحكام ، | | | التعدد : یجب أن یكون بقصد |
| | ١٥ | وإذاعة الحلال والحرام | | | الاستغفاف ؛ لا الإسفاف |
| | | علاقات الرسول علیه الصلاة والسلام | ١٠ | | طعن المشرین فی تعدد زوجات |
| | ١٥ | بزوجاته ، ومروأته ، وسعة صدره | | | الرسول علیه الصلاة والسلام ... |
| | | الضعف الاختیارى : أقوى من سائر | ١١ | | لم یصح عهد وآله من خیر الشعیر ... |
| | ١٦ | القوى | | | سبب نزول آیه التخییر: تخییره علیه |
| | | لبطال الأحادیث الواردة فی شأن مبله | | | الصلاة والسلام لنسائه بین شظف |
| | ١٦ | صلی الله تعالی علیه وسلم للنساء ... | | | العیش ، أو الطلاق |
| | ١٩ | (مبحث الطلاق) | | | حكمة تعدد زوجات الرسول صلی الله |
| | ١٩ | الشرائع التى أخذت بنظام منع الطلاق | ١١ | | تعالی علیه وسلم |
| | ١٩ | الفراق الجسمانى فی هذه الشرائع ... | | | حكمة زواجه بالسيدة خدیجة رضی |
| | | التأدیب - فی الإسلام - بطریق | ١١ | | الله تعالی عنها |
| | ١٩ | الهجر فی المضاجع | | | حكمة زواجه بالسيدة سودة بنت زمعة |
| | | | ١٢ | | رضی الله تعالی عنها |

| الآية | الصفحة | الموضوع | الآية | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|--|-------|--------|--|
| | ٢٧ | الأمر بغض البصر امتلاء الطرقات ، بالنساء الكاسيات | ١٩ | ١٩ | مراحل تأديب المرأة في الإسلام ... فساد التأديب بالفراق الجسماني ووقته |
| | ٢٧ | العاريات | ٢٠ | ٢٠ | انقلاب العلاقات الروحية ، إلى علاقات حيوانية |
| | ٢٧ | لثم التبرج والنفور : يقع على الرجال | ٢٠ | ٢٠ | بعض المآسي الخلقية في الديانات الأخرى |
| | ٢٨ | غض البصر : من ألزم اللوازم ... | ٢٠ | ٢٠ | الطلاق : هو الواحة التي يستظل بها الزوجين |
| | ٢٨ | حدود المؤمنات في لبداء الزينة ... تشدد الصحابة - رضوان الله تعالى | ٢١ | ٢١ | تقييد الطلاق بإذن الحاكم : خطأ ديني واجتماعي |
| | ٢٨ | عليهم - في الحجاب رأى ابن عباس - رضى الله تعالى | ٢١ | ٢١ | حكمة الطلاق |
| | ٢٩ | عنهما - في الحجاب رأى عائشة - رضى الله تعالى عنها - | ٢٢ | ٢٢ | الطلاق : علاج للطباع المتنافرة ... حت عمر رضى الله تعالى عنه على |
| | ٢٩ | في ذلك النساء المتبرجات : لا يدخلن الجنة ، | ٢٢ | ٢٢ | عدم الطلاق : للرعاية والدم ... وجوب ملائنة الزوجة وملاطفتها ، |
| | ٢٩ | ولا يجذن رجحاً ! من قال بأن تأخر المسلمين : سببه | ٢٢ | ٢٢ | وصبر الزوج على ما يكره منها ... (مبحث تحديد النسل) |
| | ٢٩ | الحجاب الرد على من قال ذلك | ٢٣ | ٢٣ | فساد القول بعدم كفاية المواد الغذائية الطير : تمدو خاصاً وتروح بطاناً |
| | ٢٩ | تحرر الفريين من قيود الأخلاق والفضيلة | ٢٣ | ٢٣ | الله تعالى يقول «وبارك فيها وقدر أقواتها» |
| | ٣١ | ضبط زوج لزوجته عارية مع أجنبي إباحة المحاكم الإنجائزية لهذا الفعل ... | ٢٣ | ٢٣ | الدعوة إلى تحديد النسل : دعوة المحادية |
| | ٣٢ | الفجور العلى في البلاد الأجنبية ... (مبحث التعطيل) | ٢٣ | ٢٣ | القلة : ذلة ، والكثرة : عزة ! ... «وما من ذابة في الأرض إلا على الله |
| | ٣٣ | إنكار البعث لا يجوز عقلا : وجود مصنوع بغير | ٢٤ | ٢٤ | رزقها» الإنسان لا يملك رزق نفسه ، وقوت يومه ! |
| | ٣٣ | صانع | ٢٤ | ٢٤ | نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن العزل |
| | ٣٤ | قصيدة الزهاوى في إنكار البعث ... | ٢٤ | ٢٤ | (مبحث التبرج والنفور) |
| | ٣٥ | كفر الزهاوى | ٢٧ | ٢٧ | أمر القرآن الكريم بالحجاب ... |
| | ٣٦ | الرد على قصيدة الزهاوى | | | |
| | ٣٧ | المؤمن : ينام في قبره مثل المروس ... | | | |
| | ٣٧ | فساد رأى الطبيين | | | |
| | ٣٩ | خاتمة الكتاب | | | |